

التَّسْهِيلُ الْعِلْمُومُ التَّنْزِيلُ

تَأَلَّفَ الْعَلَامَةُ الْمُفَسِّرُ الْفَلَسْفِي
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيْي السَّكَلِي الْأَنْدَلُسِي الْفَرَنْجِي
رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَقَبَّلَهُ فِي الشَّهَادَةِ - (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وَفَعَّلَهُ تَرْكَتُ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَّاكِ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَفَقَّعَ يَدَهُ
عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمَشْكُكَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالسَّلَوَكِ

تَحْقِيقُ
عَلِي بْنُ حَمْدٍ الصَّبَّاحِي
مُصَوِّمٌ تَرْكَتُ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ

الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ
الْقَائِمَةُ - الْأَعْيَانُ



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | عمرة ينقعه

مفهرس وكامل - 4 مجلدات في ملف واحد

التَّسْهِيلُ الْعُلُومِ التَّنْزِيلِ

تَأليف العلامة المفسر أبي الفاسي
محمد بن أحمد بن جزي الكلي الأندلسي الفراطيني
رحمه الله وتقبله في الشَّهَادَةِ - (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وَقَعَتْ بِمَرْكَزِ الْفَضِيلَةِ الشَّيخُ الْعَلَامِيُّ
عبد الرحمن بن ناصر البراك
حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى وَتَقَبَّلَ مِنْهُ
عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمُشْكَلَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالسُّلُوكِ

مُحَقِّقٌ

علي بن حمد الصَّالِحِي
عُضُوٌّ هَيئَةِ التَّدْرِيسِ بِمَجْلِسِ الدِّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

المجلد الأول
الفاتحة - آل عمران



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينفع به

التَّسْهِيلُ لِمَا لَمْ يَسْهَلْهُمُ الْعُلُومُ مِنَ التَّنْزِيلِ

تَأَلَّفَ الْعَلَامَةُ الْفَيْسَرِيُّ الْفَلَّاسِي
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُرَيْجٍ الْكَلْبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْغُرَنَاتِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَقَبَّلَهُ فِي الشُّهُدَاءِ - (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وَمَعَهُ تَقَرَّرَاتُ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَّاكِ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِهِ
عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمَشْكُوكَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالسُّلُوكِ
تَحْقِيقُ

عَلِيٌّ بْنُ حَمْدٍ الصَّالِحِي
مُضَوِّهٌ هَيْئَةَ النَّادِيَةِ بِمَجَامِعِ الْفُرْقَانِ

الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ
الْقَائِمَةُ - أَلْعُرْسَانُ



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينفذ به

حقوق الطب مع محفوظات

الطبعة الأولى
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

0125562986 | yyy01@hotmail.com



dar.taiba



@dar_tg



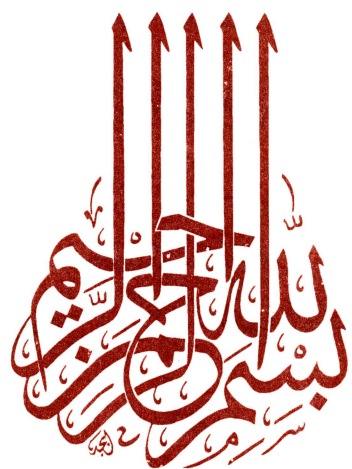
dar.taiba.green123



dar.taiba

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

0503568771 | 0550428992 | yyy.01@hotmail.com | 0125562986



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على مَنْ بعثه الله رحمةً للعالمين ، محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن أشرف العلوم قدراً ، وأجلّها ذكراً ، وأرفعها شأنًا ، وأولاها عرفانًا ؛ علمُ تفسير كتاب الله تعالى ، وتفهُّم معانيه ، وهو أولى العلوم بالتحصيل ، وخير ما صُرفت فيه الأعمار ، وأنفقت فيه الأوقات ، وكُدّت فيه القرائح والفهوم ؛ إذ هو متعلّق بأشرفِ كلام ، وهو كلام رب العالمين ، فنال هذا العلمُ قصب السبق بهذه المزيّة ، وأعظم بها من مزيّة ، ومن رُتبة عليّة ، وحرِيّ بعلم هذه خَلَّتْه وخَصَلْتَه أن يكون سيّد العلوم وكبيرها ، وأن تكون سائر العلوم له جنّدًا وتبعًا ، وقَمَنُ به أن يكون في ذروة المعارف والعلوم التي يقصدها ورّادها ، ويرومها قَصَادُها ، ويطلبها شِدَاتُها ؛ ليرتعوا في رياضه ، ويكرعوا من حياضه ، ويقتبسوا من أنواره ، ويتأرّجوا من نفحاته ، وما أجمل ما دبّجته يراعة الإمام المَظْلبي ، محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللهُ حيث يقول مستحِثًا طلبة العلم على العناية بكتاب الله ، ومُذَكِّيًا هَمَمهم في الانكباب

على تحصيل علمه - : « فكلُّ ما أنزل في كتابه - جل ثناؤه - رحمةٌ وحجةٌ ،
 عِلْمُهُ مَنْ علمه ، وجهله من جهله ، لا يعلم مَنْ جهله ، ولا يجهل من علمه ،
 والناس في العلم طبقاتٌ ، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به ،
 فحقٌّ على طلبة العلم بلوغُ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه ، والصبرُ
 على كل عارضٍ دون طلبه ، وإخلاصُ النية لله في استدراك علمه : نصًّا
 واستنباطًا ، والرغبةُ إلى الله في العون عليه ؛ فإنه لا يُدرك خيرٌ إلَّا بعونه ، فإن
 مَنْ أدرك علمَ أحكام الله في كتابه نصًّا واستدلالًا ، ووفَّقَه الله للقول والعمل
 بما عِلِمَ منه : فاز بالفضيلة في دينه ودنياه ، وانتفت عنه الرِّيب ، ونوَّرت في
 قلبه الحكمةُ ، واستوجب في الدين موضع الإمامة ، فنسأل الله المبتدئ لنا
 بنِعَمِهِ قبل استحقاقها ، المُدِيمَها علينا ، مع تقصيرنا في الإتيان على ما
 أوجب به من شكره بها ، الجاعِلُنَا في خير أمة أخرجت للناس : أن يرزقنا
 فهمًا في كتابه ، ثم سنة نبيه ، وقولًا وعملاً يُؤدِّي به عَنَّا حقَّه ، ويوجب لنا
 نافلةً مزيده^(١) .

وإن من أنفع الكتب المؤلفة في علم تفسير كتاب الله تعالى : كتاب
 «التسهيل لعلوم التنزيل» للشيخ الشهيد أبي القاسم محمد بن أحمد ابن
 جُزَيِّ الكلبي الغرناطي رَحِمَهُ اللهُ ، فقد امتاز هذا الكتاب بعدة مميزات ، تجعله
 من أولى كتب التفسير التي يجدر بطالب العلم أن يُقبل على تحصيلها ،
 ومن تلك المميزات :

١ - سهولة أسلوب ابن جزَيٍّ ووضوح عبارته وجودتها ، وحسن ترتيبه

(١) الرسالة (ص : ١٩ - ٢٠) .

وعرضه للمسائل ، وهذه الميزة يجدها الطالب بجلاء عند مطالعته لسائر كتب ابن جزي ، فعبارته يمكن أن توصف بأنها من السهل الممتنع ، حيث يجد القارئ سلاسةً عند قراءتها ، لكن يصعب على الشخص أن يحاكيها .

٢- صغر حجم الكتاب نسبياً ؛ مما يسهل تحصيله ، ويقربه إلى الراغبين ، مع غزارة مادته العلمية ، فابن جزي اختصر العبارة ، مع غاية الدقة في انتقاء العبارة ، فالمطالع لتفسيره يجد العبارة المختصرة المركزة ، لكن لو فتش فيما تحتها من المعنى لوجده معني غزيراً ، وقد نبه رحمه الله على ذلك فقال : « ثم إني عزمتُ على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار ، وترك التطويل والتكرار » .

٣- نقاوة هذا التفسير وخلوصه وصفاءه من الأقوال الباطلة والساقطة ، كما نبه على ذلك في المقدمة فقال : « وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره ؛ تنزيهاً للكتاب عنه ، وربما ذكرته تحذيراً منه » ، إضافةً إلى تحقيقه لأقوال المفسرين والفرقة بين السقيم منها والصحيح ، وتمييزه بين الراجح والمرجوح ، فهو بحقّ عسل مصفى ، ولبن خالص سائغ للشاربين .

٤- أنه يُعدّ كتاباً تطبيقياً لمن درس علوم الآلة - كعلوم اللغة من نحو وتصريف وبلاغة وعلم الأصول - ويروم أن ينمي ملكته في تطبيق هذه العلوم على فهم كتاب الله ، فابن جزي بيّن بوضوح الأوجه الإعرابية في الآية والمعنى المبني على كل وجه ، وما فيها من النكات البلاغية ، وبين تصاريف الكلمات وأبنيئها .

٥- قدّم له ابن جزي بمقدّمتين ، إحداهما في أبواب من علوم القرآن

وأصول التفسير، وهي بمثابة كتاب مستقل في علم علوم القرآن وأصول التفسير، والأخرى في اللغات التي يكثر ورودها في القرآن، وهي بمثابة كتاب مستقل في علم غريب القرآن، وهذا الصنيع قل أن يوجد مثله في كتب التفسير.

٦- جودة المصادر التي استمد منها ابن جزّي تفسيره - وسيأتي الحديث عنها بإذن الله -، وأهم تلك المصادر: تفسير ابن عطية، وتفسير الزمخشري، وهذان التفسيران من أجل كتب التفسير العمدة الكبار، فالدارس لتفسير ابن جزّي كأنه قرأ لباب هذين التفسيرين وصفتيهما.

وقد نوّه أهل العلم بمزية تفسير ابن جزّي، وأشادوا بمنزلته، وأوصوا به طلاب العلم، فهذا الشيخ أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسيّ (ت ١٠٥٢هـ) من عيون علماء المغاربة في القرن الحادي عشر يوصي أولاده حين قدموا فاس لطلب العلم بها ويقول في ضمن وصيته: «ومن أحسن التفاسير التي أحبّ لكم مطالعتها وتفهمها: تفسير ابن جزّي، ولا أقبل قول من يخالف في ذلك»^(١).

ويقول فضيلة الشيخ الدكتور خالد السبت -نفع الله به-: «فهذا كتاب في غاية الأهمية، لا يستغني عنه طالب العلم، وهو مع إيجازه، فالمؤلف يحرص فيه على الوفاء بالمعنى، يختصر جدًّا مع ذكر الأقوال، وهو كتاب ملخّص، لكنه عميق ودقيق قل أن يوجد مثله»، ويقول أيضًا: «ويصلح أن

(١) نقل نصّ هذه الوصية د. محمد عوامة في كتابه: معالم إرشادية لصناعة طالب العلم (ص ٤٣٤).

يكون هذا الكتاب أصلاً يُعتمد عليه، بحيث يكون عند طالب العلم، يضبطه، ويضيف عليه ويُعلّق عليه، ويرجع إليه حيناً بعد حين، ويراجعه ويكرره»^(١).

ومع جلالة هذا الكتاب وقيّمته العلمية ومزاياه العليّة؛ إلا أنه لم تخرج له طبعةٌ صحيحة سليمة من الأخطاء تليق بمكانته، فجميع الطبعات التي خرجت له بخسّته وهضمته حقّه بكثرة ما فيها من الأخطاء الشنيعة والتحريفات والسقط الكثير الذي يصل أحياناً إلى عدّة أسطر!؛ مما يجعل استفادة الدارس من هذا الكتاب صعبةً ومحدودة، ومعاناته شديدةً في القراءة فيه، فحداني ذلك إلى أن أستعين الله تعالى في تحقيق هذا الكتاب تحقيقاً علمياً يليق بمكانته ويخلصه وينقيه من التحريفات والأخطاء، ويُعيد إلى حوزته ما نقص منه وما سقط من عباراته، معتمداً في ذلك على أصول خطيّة لهذا الكتاب انتخبتهما مما جمعته جهداً استطاعتي.

هذا؛ وقد حلّى جيد هذا الكتاب، ووشّى حُلّله، تعليقاتٌ نفسية، وتقريراتٌ فريدة، لفضيلة الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك -أمتع الله به-، وفيها استدراكاتٌ على مواضع من الكتاب جانب المؤلف فيها الصواب في العقيدة والسلوك وغير ذلك، وقد كنتُ في أثناء عملي في التسهيل تُعرض لي مواضع يقرّر فيها ابن جزّيّ تقريراً مشكلاً على منهج أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة، فعرضتُ هذا الأمر على شيخنا

(١) راجع: المادة الصوتية رقم (١) من شرح فضيلته لتفسير ابن جزّي، على الموقع الرسمي لفضيلته في الشبكة العنكبوتية، من الدقيقة (٢٥) وما بعدها.

الأستاذ الدكتور: عبد المحسن العسكر - نفع الله به - ، فاقترح عليّ - جزاه الله خيراً - أن أرسل له هذه المواضع المشكّلة ويقوم هو بعرضها على شيخه الشيخ عبد الرحمن البراك ، وهكذا عهد شيخنا - جزاه الله خيراً - باذلاً للخير مبادراً نفاعاً .

وكل امرئ يولي الجميل محبب وكل مكان ينبئ العز طيب
وعرض شيخنا هذا الأمر على فضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك فأجاب إلى ذلك كرمًا منه وتفضلاً - جزاه الله خيراً - على عادته في الجود بالعلم وبذل الخير والنصح ، والشيء من معدنه لا يُستغرب ، وكأنّ زهيراً عنه حين قال في هَرَم بن سنان :

قد جعل المبتغون الخير في هَرَم والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً
وأملى هذه التعليقات على الشيخ عبد المحسن العسكر ، وهي بحق - كما يقول شيخنا عبد المحسن - «تعليقات تشدُّ إليها الرحال ، وتضرب بها الأمثال ، وترخص في تحصيلها كرائم الأموال ؛ فإنها معقد الآمال ، ومتنافس كرام الرجال ، وإنها لحلية في جيد (التسهيل) تستوجب الثناء الجزيل والذكر الجميل» .

فأسأل الله أن يجزي الشيخ العلامة : عبد الرحمن بن ناصر البراك خير ما يجزي به العلماء الناصحين والأئمة الصادقين ، وأن يبارك في مسعاه ويبلغه من الخير متتهاه .

وأسأله سبحانه أن يجزي شيخنا المبارك المفضل الذي كثرت لديّ فضائله وفواضله الشيخ الأستاذ الدكتور : عبد المحسن العسكر خير الجزاء على جهده في عرض هذه القضايا المشكلة على فضيلة الشيخ : عبد الرحمن البراك وتقييده لها ومتابعته للعمل في ذلك ، ولا يفوتني أن أشكر كل من أعان في هذا العمل بمراجعة أو نقد أو إفادة ، جزاهم الله تعالى على إحسانهم خير الجزاء .

وبعد؛ فهذا كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» أقدمه للقارئ الكريم وقد بذلتُ الجهد في تحقيقه وتنقيحه واستفرغت الوسع ، وحرصت على حسن الإخراج والتنسيق ، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده فله الحمد والشكر ، وما كان فيه من خطأ وزلل -وقلما ينجا امرؤ من الزلل- فمن نفسي والشيطان ، والله ورسوله منه بريثان ، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وزلفى لديه في جنات النعيم المقيم ، وأن يبارك فيه وينفع به ، وأسأله سبحانه أن يجزي الشيخ ابن جزيّ خير الجزاء على هذا السّفر العظيم ، وأن يتغمده برحمته وأن يتقبّله في الشهداء ، إنه سميع مجيب ، وأسأله سبحانه أن يجزي والديّ ومشايخي وكلّ من له فضلٌ عليّ خير الجزاء ، وأن يعلي درجاتهم في عليين ، إنه خير من سئل وأجود من أعطى والحمد لله رب العالمين .

✍ وكتبه

علي بن حمد الصالحي

مكة المكرمة

ali.h.s.32@gmail.com

المطلب الأول

التعريف بالمفسر ابن جزي^١ رَحِمَهُ اللهُ (٢)

★ اسمه ونسبه:

هو محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمد بن عبد الله بن يحيى بن الأمير

(١) يقول الحضرمي -تلميذ المترجم له- في ضبط هذا الاسم في «فهرسته»: «ابن جزيء بضم الجيم وفتح الزاي بعدها ياء ساكنة بعدها همزة» نقله التنبكتي في نيل الابتهاج (ص: ٣٩٨)، إلا أنه جرى على الألسنة «جزي» بطرح الهمزة، على مذهب أهل الحجاز من تخفيف الهمزة المتطرفة الساكن ما قبلها، كما ذكر ذلك الحسن بن عبد العزيز القادري التلمساني في تحقيقه لمقدمة الغريب في اللغات لابن جزي، والتي أخرجها في كتاب مستقل باسم «القاموس الوجيز للقرآن العزيز» وطُبع في فاس سنة ١٣٤٨ هـ.

(٢) انظر في ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة، لتلميذه لسان الدين ابن الخطيب (٢٠/٣) والكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لابن الخطيب أيضا (٤٦)، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (٢/٢٧٤)، وأعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن لابن الأحمر (ص: ١٦٥)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (٢/٨٣)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (٥/٨٨)، وطبقات المفسرين للدواودي (٢/٨٥)، ودرة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس المكناسي الشهير بابن القاضي (٢/١١٧)، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي (ص: ٣٩٨) ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب الدين المقري التلمساني (٥/٥١٤)، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، للمقري أيضًا (٣/١٨٤)، وفهرس الفهارس للكتاني (١/٣٠٦)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمخلوف (١/٣٦٠).

أبي بكر عبد الرحمن بن يوسف، ابنُ جُزَيِّ الكلبيُّ الأندلسيُّ الغرناطي، أبو القاسم، ينتسب إلى قبيلة كَلْبِ القُضَاعِيَةِ اليمانية، والكلبيون منهم من دخل الأندلس واليًّا عليها كعنْبَسَةَ بن سحيم الكلبي الذي دخلها عام ١٠٣هـ، ومنهم من دخلها مجاهدًا فاتحًا، ومن هؤلاء سَلَفُ ابن جزيٍّ رَحِمَهُ اللهُ، كما قال ابن الخطيب: «أصل سلفه من ولبة من حصون البراجلة، نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي» وكان أبو الخطار قد دخل الأندلس سنة ١٢٥هـ.

وكانت لجَدِّه السلطان الأمير أبي بكر عبد الرحمن ابن جزي بجيَّان رئاسةً وانفرادًا بالتدبير، حيث بُويع له فيها سنة (٥٣٩هـ).

★ مولده ونشأته:

ولد ابن جزيَّ يومَ الخميس تاسع ربيع الثاني عام (٦٩٣هـ). وقد نشأ في بيت علم وفضل وجلالة وديانة ونباهة، وأسرة ابن جزيٍّ من الأسر الرفيعة في غرناطة ومنها تخرَّج أعلام في الفقه والقضاء والخطابة، وكانت نشأة ابن جزيٍّ في طلب العلم منذ وقتٍ مبكر.

★ مكانته العلمية وأخلاقه:

يقول عند تلميذه ابن الخطيب: «كان رَحِمَهُ اللهُ على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاقتصاد على الاقتيات من حُرِّ النَّسَبِ، والاشتغال بالنَّظَرِ والتَّقْيِيدِ والتَّدْوِينِ، فقيهاً، حافظاً، قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من العربية، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حافظاً للتفسير، مستوعباً للأقوال، جمّاعاً للكتب، مُلوَكِّي الخِزانة، حَسَنَ

المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن، تقدّم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنّه، فاتفق على فضله، وجرى على سنن أصالته».

ويقول عنه ابن الأحمر: «كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة، وكان فقيهاً إماماً عالماً بجميع العلوم، محصّلاً، قارب درجة الاجتهاد، ودوّن وصنف في كل فن، وكان أحد أهل الفتيا بغرناطة».

ويقول تلميذه الحضرمي: «كان رجلاً ذا مروءة كاملة، حافظاً متفتناً، ذا أخلاق فاضلة، وديانة وعفة وطهارة، وشهرته ديناً وعلماً أغنت عن التعريف به».

★ شيوخه:

أخذ العلم عن عدد من علماء عصره وفضلاء بلده، من أشهرهم:

(١) الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن.

(٢) الأستاذ النظّار المتفتّن أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن الشّاط الأنصاري السبتي (ت ٧٢٣هـ)، صاحب كتاب «أنوار البروق في تعقب مسائل القواعد والفروق» للقرافي.

(٣) الأستاذ المقرئ الرّاوية المكثّر أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي، المعروف بابن الكمّاد (ت ٧١٢هـ).

(٤) الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمرو الفهري السبتي، المعروف بابن رُشيد (ت ٧٢١هـ).

٥) عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي الفاسي، قرأ عليه ابن جزي كثيرًا من كتب القراءات وأبعاضًا من الموطأ ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود والشمائل والشفاء، وسراج ابن العربي وتلقين عبد الوهاب وكثيرًا من تأليفه وغيرها.

وأخذ أيضًا عن عدد من علماء عصره وروى عنهم، منهم: الشيخ الوزير أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن المؤذن، والراوية المسنن أبو الوليد الحضرمي، والشيخ الراوية أبو زكريا البرشاني، والراوية الخطيب أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري، والقاضي أبو المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص، والقاضي أبو عبد الله بن برطال، والشيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع، والخطيب الولي أبو عبد الله الطنجالي.

★ تلاميذه:

من تلاميذه أبنائه الثلاثة:

(١) أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي، الأديب الحافظ.

(٢) أبو بكر أحمد بن أبي القاسم ابن جزي، الفقيه المتفنن، تولى الكتابة السلطانية، والقضاء بغرناطة، والخطابة بجامعها (ت ٧٨٥هـ).

(٣) أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن جزي (ت ٧٥٧هـ)، كان بارعًا في النظم والنثر، وهو الذي جمع رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة.

ومن أبرز تلاميذه أيضًا :

(٤) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي ، المعروف بابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ).

(٥) أبو محمد عبد المهيم بن محمد الحضرمي ، صاحب «الفهرسة» (ت ٧٤٩هـ).

(٦) أبو القاسم محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري ، المعروف بابن الخشاب (ت ٧٧٤هـ).

(٧) أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري ، المعروف بالشَّدِيد (٧٧٦هـ).

★ مصنفاته :

خَلَّفَ المفسِّر ابن جزِّي رَحمَته ثروة من الكتب في شتى الفنون ، منها ما هو مطبوع ، ومنها ما هو في عِدَاد المفقود ، ومن أبرز تلك المؤلفات :

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ، وهو هذا الذي الذي بين يدي القارئ الكريم .

(٢) وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم .

(٣) الأنوار السَّنية في الكلمات السَّنية .

(٤) الدَّعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار .

(٥) القوانين الفقهية ، في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية .

(٦) تقريب الوصول إلى علم الأصول .

(٧) النور المبين في قواعد عقائد الدين .

(٨) المختصر البارع في قراءة نافع .

(٩) أصول القرآن الستة غير نافع .

(١٠) الفوائد العامة في لحن العامة .

(١١) فهرسة كبيرة اشتملت على جملة من أهل المشرق والمغرب .

★ شعره :

لابن جزيّ أشعار رائعة مستحسنة ، تدلُّ على ذائقة أدبية رائعة ، منها قوله :

لكلّ بني الدنيا مراد ومقصد	وإنّ مرادي صحّة وفراغ
لأبلغ في علم الشريعة مبلغا	يكون به لي للجنان بلاغ
وفي مثل هذا فلينافس أولو التهي	وحسبي من الدنيا الغرور بلاغ
فما الفوز إلّا في نعيم مؤبد	به العيش رغد والشّراب يساغ

وقوله في مدح النبي ﷺ :

أروم امتداح المصطفى ويردني	قصوري عن إدراك تلك المناقب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر؟	ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب
ولو أنّ أعضائي غدت ألسنا إذن	لما بلغت في المدح بعض مآربي
ولو أنّ كلّ العالمين تألفوا	على مدحه لم يبلغوا بعض واجب

فأمسكت عنه هيبة وتأدبا
وربّ سكوت كان فيه بلاغة
وقوله - مشفقاً من ذنبه - :

يا ربّ إنّ ذنوبي اليوم قد كثرت
وليس لي بعذاب النار من قبل
فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي
وقوله :

وكم من صفحة كالشمس تبدو
غضضت الطرف عن نظري إليها
وقوله :

وقائلة لم هجرت التصابي
يمر زمان الصبا ضائعاً
ولم تدر لذة طيب الهوى
فقلت: أبى العلم إلا التقى
ومن لم يفده طلاب العلوم
فخير له الجهل من علمه
وسنك في عنفوان الشباب
ولم تله فيه ببيض الكعاب
ولم تزو من سلسبيل الرضاب
وهجر المعاصي ووصل المتاب
رجاء الثواب وخوف العقاب
وأنجى له من أليم العذاب

وقوله :

أيا من كفتُ النفس عنه تعفُفاً وفي النفس من شوقي إليه لهيب
ألا إنما صبري كصبرٍ، وإنما على النفس من تقوى الإله رقيب

★ وفاته :

توفي رَحِمَهُ اللهُ في معركة طَريف، وهي واقعة شهيرة وقعت بين المسلمين والنصارى، استشهد فيها عدد من علماء المسلمين، وكانت هذه الواقعة في يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة (٧٤١هـ)، وفُقد فيها ابن جزيّ وهو يشحذ الناس ويحرّضهم، ويثبّت بصائرهم، وقد نقل صاحب نيل الابتهاج عن الحضرمي في فهرسته نصّاً تاريخياً يتعلّق باللحظات الأخيرة من حياة ابن جزي فيقول: «قال الفقيه المحدث الوزير أبو بكر ابن ذي الوزارتين ابن الحكيم: أنشدني [يعني: ابن جزي] يوم الواقعة من آخر شعره قوله :

قصدي المؤمل في جهري وإسراري ومطلبي من إلهي الواحد الباري
شهادة في سبيل الله خالصة تمحو ذنوبي وتنجيني من النار
إن المعاصي رجس لا يطهرها إلا الصوارم من أيمان كُفّار

ثم قال: في اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات، قال الوزير: فقلت له: وجعلت للكفار يميناً؟! فلو كان غير هذا اللفظ موضعه!، فقال لي: والحطمة في الناس من أيدي الكفار، قال: فكان آخر عهدي به رَحِمَهُ اللهُ»^(١).

(١) نيل الابتهاج: (٣٩٨-٣٩٩).

فرحم الله ابن جزي وتقبله في الشهداء، وجزاه عن الإسلام والمسلمين
خير الجزاء، وجمعنا به في جنات النعيم، مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين، وحسُن أولئك رفيقًا.



المطلب الثاني

التعريف بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل^(١)

★ اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

اسم هذا الكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل»، هكذا صرّح المؤلف رَحِمَهُ اللهُ باسمه في مقدمته، فقال: «وسمّيْتُ هذا الكتاب: كتاب التَّسْهِيلِ لعلوم التَّنْزِيلِ».

وأما نسبته إلى مؤلفه فهي ثابتة لا شك فيها، فقد ذكر لسان الدين ابن الخطيب تلميذ ابن جزّي أنه شيخه صَنَّفَ في التفسير^(٢)، ولم يذكر ابن الخطيب اسم كتابه الذي صنّفه في التفسير، لكننا نجد محمد بن عبد الملك القيسي الغرناطي (ت ٨٣٤هـ) تلميذ ابني ابن جزّي -أحمد وعبد الله- صرّح باسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه، ويعتبر هو أول من صرّح بنسبة الكتاب إلى مؤلفه فيما وقفت عليه، حيث يقول في مقدمة كتابه: «منهاج العلماء الأخيار

(١) ينظر في ذلك: كتاب ابن جزّي ومنهجه في التفسير، للباحث: علي محمد الزبيري، فهذا الكتاب دراسة مسهلة عن ابن جزّي وتفسيره، وهي دراسة عميقة وقوية ورصينة لهذا الكتاب، وتعد من أجود الدراسات التي تكلمت عن ابن جزّي ومنهجه -وعن منهج مفسر عمومًا-، وهي رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة، عام ١٣٩٨هـ.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، لتلميذه لسان الدين ابن الخطيب (٢٠/٣).

في تفسير أحاديث كتاب الأنوار» - وهو شرح لكتاب ابن جزري «الأنوار السنية في الألفاظ السنية» - : «من شيوخنا جماعة منهم الشيخ الإمام العلامة بحر البيان وأوحد الزمان، أبو محمد عبد الله بن الإمام المحدث الحافظ أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزري الكلبلي رَحِمَهُمُ اللَّهُ . . وشرعتُ عليه في قراءة التفسير المسمى بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل، من تأليف السيد والده المذكور»^(١).

ويعتبر هذا النص كافياً في نسبة الكتاب إلى مؤلفه، فهو نص قريب العهد من المؤلف، وإسناده عالٍ؛ إذ هو تلميذ ابني المؤلف.

★ منهج ابن جزري في تفسيره:

ذكر ابن جزري رَحِمَهُمُ اللَّهُ في مقدمة تفسيره شيئاً من منهجه وطريقته في كتابه، حيث يقول: «وصنفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلّق به من العلوم، وسلكتُ به مسلكاً نافعاً، إذ جعلته وجيزاً جامعاً، قصدتُ به أربع مقاصد، تتضمّن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم؛ تسهيلاً على الطالبين، وتقريباً على الراغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمّنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفُضولها، ولقد أودعته من كلّ فنٍّ من فنون علوم القرآن الباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه، من غير

(١) انظر منهاج العلماء الأخيار (مخطوط) (ل: ٣).

إفراط ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية: ذكرُ نكتٍ عجيبةٍ، وفوائد غريبةٍ، قلَّما توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري، ونتائج فكري، أو مما أخذته عن شيوخِي رحمهم الله، أو مما التقطته من مُستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إمَّا بحلِّ العُقَدِ المقفلات، وإمَّا بحسنِ العبارة، ورفعِ الاحتمالات، وبيانِ المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيقُ أقوال المفسرين، والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييزُ الرَّاجح من المرجوح.

وذلك أنَّ أقوال الناس على مراتب:

فمنها: الصحيح الذي يُعوَّل عليه.

ومنها: الباطل الذي لا يُلتفتُ إليه.

ومنها: ما يَحتمل الصحة والفساد، ثم إنَّ هذا الاحتمال قد يكون: متساويًا، أو متفاوتًا، والتفاوت قد يكون: قليلًا أو كثيرًا.

وإني جعلت لهذه الأقسام عباراتٍ مختلفة، يُعرَفُ بها مرتبةُ كلِّ قول:

فأدناها: ما أصرَّحُ بأنه «خطأ»، أو «باطل».

ثم: ما أقول فيه: إنه «ضعيف»، أو «بعيد».

ثم: ما أقول: «إنَّ غيره أرجحُ منه»، أو «أقوى»، أو «أظهر»، أو «أشهر».

ثم : ما أقدمُ غيره عليه ؛ إشعاراً بترجيح المتقدم ، أو ما أقولُ فيه : « قيل : كذا » ؛ قصدًا للخروج عن عهده .

وأما إذا صرَّحتُ باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين : إما للخروج عن عهده .

وإما لتصرته ، إذا كان قائله ممن يُقتدى به .

على أنني لا أنسبُ الأقوالَ إلى أصحابها إلا قليلاً ، وذلك لقلَّةِ صحَّةِ إسنادهما إليهم ، أو لاختلافِ الناقلين في نسبتها إليهم .

وأما إذا ذكرتُ شيئاً دون حكايةِ قوله عن أحدٍ : فذلك إشارة إلى أنني أنقلُّه وأرتضيه ، سواء كان من تلقاء نفسي ، أو مما أختاره من كلام غيره .

وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره ؛ تنزيهاً للكتاب ، وربما ذكرته تحذيراً منه .

ومن خلال تأمل هذا النص والاطلاع على تفسيره وطريقته فيها ، يمكن ذكر أهم معالم منهج ابن جزى في النقاط التالية :

١- ابتدأ ابن جزى تفسيره بذكر مقدّمتين في غاية النفاسة ، جعل المقدمة الأولى في ذكر مسائل تتعلق بعلوم القرآن وأصول التفسير والعلوم التي يحتاج إليها المفسر ، والكلام عن المفسرين وكتب التفسير ، ومواقف القرآن والقراءات وغير ذلك ، وجعلها في اثني عشر باباً ، وجعل المقدمة الثانية في غريب القرآن ، وذكر فيها الكلمات الغريبة التي ترد في موضعين

فأكثر من القرآن، فجمّعها في موضع واحد، ورتبها على حروف المعجم؛ ليسهل على الدارس مراجعتها وحفظها واستذكارها، وهاتان المقدمتان لا بد للدارس لهذا الكتاب أن يدمن النظر فيها وأن يراجعها مرة بعد أخرى؛ فكثيراً ما يحيل إليها ابن جزي في تفسيره، أو يستغني بما ذكره فيها من المسائل عن تكرار ذكره في ثانيا كتابه.

٢- سلك ابن جزي رحمته الله في تفسيره مسلك الاختصار والإيجاز مع الشمول والاستيعاب كما قال: «إذ جعلته وجيزاً جامعاً»، وهذا المقصد جعل ابن جزي يأتي بالعبارة المفردة في الاختصار، ولكنها عميقة في معناها إذا تأملها القارئ كما قال: «ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار».

٣- طريقته في تفسير الآية: أنه يذكر رأس الآية، أو الجملة التي تحتاج إلى بيان في الآية ثم يذكر سبب نزولها إن كان، ويشرح غريبها، وتصاريف الكلمات التي فيها إن اقتضت الحاجة ذكرها، ويبين إعرابها إن كان إعرابها مشكلاً، أو كان فيها أوجه إعرابية، ويذكر المعنى على كل وجه إعرابي، ويذكر المعنى الإجمالي للآية، ومقصدها، وهو لا يسير في ذلك على ترتيب واحد في تفسيره للآيات، فأحياناً يبدأ بشرح الغريب، ثم ذكر الإعراب، ثم ذكر المعنى الإجمالي، ثم ذكر المقصد، وأحياناً يذكر المعنى الإجمالي ثم الإعراب، ثم يشرح الغريب، وأحياناً يبدأ بذكر سبب النزول وأحياناً يؤخره، وهكذا.

٤ - عملاً بمنهج الاختصار الذي أخذه ابن جزي على نفسه ؛ فإن كانت الكلمة الغريبة الواردة في الآية سبق أن شَرَحَها في المقدمة أو في موضع متقدم من التفسير فإنه يكتفي بذلك عن إعادة بيانها ، وربما أحال إلى موضعها ، بأن يقول : «قد تقدّم اللغات» ، أو «قد ذكر في سورة كذا» ، أو «قد ذكر» أو نحو ذلك ؛ حرصاً منه على الاختصار وعدم التكرار ، وهكذا يصنع إن كان سبق أن بيّن تفسير الآية ومعناها في موضع متقدم ، وأيضاً ؛ إذا كان إعراب الآية واضحاً لم يتعرض له ؛ طلباً للاختصار ، كما قال في المقدمة : «وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه ؛ من المشكل ، أو المختلف فيه ، أو ما يفيد فهم المعنى ، أو يختلف المعنى باختلافه ، ولم نتعرّض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ ؛ فإن ذلك تطويلٌ بغير كبير فائدة» ، ومن هنا يلحظ القارئ لتفسيره أنه قد يتجاوز الآية والآيتين دون أن يتكلم عن تفسيرها ، إما لأن واضحة الإعراب والمعنى وليس فيها غريب يحتاج إلى شرح ، وإما لأنه سبق أن تكلم عن الغريب الذي فيها في المقدمة ، أو في موضع متقدم من التفسير ، وهذا يستدعي الدارس لتفسيره إلى أن يعتني بمقدمة ابن جزي في غريب القرآن وأن يعيد مطالعتها وقراءتها بشكل مستمر ؛ فابن جزي يعتمد عليها ويحيل عليها كثيراً في ثنايا تفسيره ، وبناءً على منهج الاختصار أيضاً ؛ ففي كثير من الأحيان إذا كان تفسير الآية المعيّنة له نظائر فيما يأتي من الآيات ، فإنه يبين المعنى في أول موضع ويقول : «وهكذا تفسيره حيث وقع» أو نحو هذه العبارة ؛ أي : هكذا تفسير هذه الكلمة أو الجملة حيث وقعت في كتاب الله .

٥ - في ذكر أقوال المفسرين والاختلاف في تفسير الآية، يُعدُّ تفسير ابن جزيّ من أنقى التفاسير وأكثرها خلوّاً من الأقوال الباطلة والساقطة التي تذكر في كثير من كتب التفسير، وقد ذكر في مقدمة كتابه أن من مقاصده في هذا التفسير: تحقيق أقوال المفسرين والتمييز بين الصحيح منها والسقيم، وذكر منهجه في ذكر الأقوال في هذا الكتاب، وذكر أن القول إذا كان في غاية السقوط والبطلان؛ فإنه نزه الكتاب عن ذكره فيه، وقد يذكره أحياناً؛ لأن الحاجة تدعو إلى التنبيه على بطلانه، وقد بين طريقته في ذكر مراتب الأقوال، وطرق الترجيح بينها، ومن المهم لدراس الكتاب أن يستحضر منهجيته في ذكر الأقوال؛ حتى يعرف مغزى ابن جزيّ في سردها وترتيبها، وفي نسبة الأقوال من عدمها، وعبارته في الترجيح بينها، وما القول الذي يختاره ويرفضه.

٦ - آيات الأحكام يقف عندها ابن جزيّ؛ ليذكر الأحكام الفقهية التي لها تعلق بالآية، ويذكر خلاف المذاهب فيها، وفي الغالب أنه يذكر مذهب المالكية ومذهبي الحنفية والشافعية، ولم يذكر مذهب الحنابلة إلا نادراً، وهي أربعة مواضع تقريباً، وكذلك مذهب الظاهرية يندر أن يذكره.

٧ - بنى ابن جزيّ تفسيره للآيات على قراءة نافع، برواية راويه ورش تحديداً؛ وهي الرواية المشتهرة في بلاد المغرب والأندلس، ومع ذلك فإنه لم يقتصر على هذه القراءة، بل إنه يذكر اختلاف القراءات؛ إذا كان في ذكرها فائدة في تفسير الآية، كما قال في المقدمة: «وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدة في المعنى والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنينا عن استيفاء القراءات؛ لكونها مذكورة في الكتب

المؤلفة فيها ، وقد صَنَّفْنَا فيها كتبًا نفع الله بها ، وأيضًا ؛ فإننا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه ضرورةً .

٨ - في جانب قصص القرآن ، حرص ابن جزّي أن يكون تفسيره نقيًا من القصص الباطل وغير الثابت ، فاقصر على ذكر ما صحَّ ثبوته واحتج إليه في تفسير الآية ، كما قال في المقدمة : « وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح ، حتى إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصيرٌ بمنصب الأنبياء ﷺ ، أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه ، وأما نحن فاقصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه ، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح » .

٩ - تعرّض ابن جزّي في تفسيره إلى مقامات السلوك والسير إلى الله تعالى والدار الآخرة ، وله في ذلك كلام جيد حرص أن يخلصه من إشكالات المتصوفة كما قال : « وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يُستحسن من الإشارات الصوفية ، دون ما يُعترض أو يُقدح فيه » ، وإن كان قد وقع في إشكالات المتصوفة في بعض المواضع ، وعلّق عليها الشيخ عبد الرحمن البراك - أمتع الله به - ، وقد تكلم ابن جزّي على اثني عشر مقامًا ؛ بحسب المناسبة التي تعرض له ، فإذا كانت الآية في شأن الذكر تكلم عن مقام الذكر ، وإذا كانت في شأن الشكر تكلم عن مقام الشكر وهكذا .

١٠ - يعتني ابن جزّي في تفسيره بعلم البلاغة والبيان ، وقد أفرد في المقدمة الأولى بابًا مستقلًا في أدوات البيان التي وردت في القرآن وهي اثنان وعشرون نوعًا بحسب تتبعه لها في القرآن ، وعرف بها ابن جزّي في المقدمة ،

وفي ثنايا التفسير يشير لها، فيقول مثلاً: «وفي الآية من أدوات البيان: التجنيس»، أو «المقابلة»، أو «التقسيم»، أو «الترديد» ونحو ذلك، فيحتاج الدارس إلى أن يرجع للمقدمة؛ ليعرف معنى هذه الأداة.

١١- يلحظ الدارس لتفسير ابن جزي أن المصنف رحمته الله أجاد في توظيف مختلف فنون العلوم في تفسيره، من لغة ونحو وتصريف وبلاغة وأصول فقه وغيرها، فيعدُّ هذا الكتاب بمثابة كتاب تطبيقي يطبَّق فيه الدارس هذه العلوم، وهذا يستدعي من الطالب أن يكون ذا إمام جيّد بهذه العلوم؛ حتى يحصل فائدة أكبر من هذا التفسير المبارك.

١٢- يستعمل ابن جزي في تفسيره طريقة السؤال والجواب، ويعرض الإشكالات المتعلقة بالآية في طريقة سؤال، فيقول: «فإن قيل:» ويذكر الإشكال، ثم يذكر جواب الإشكال، وهذه الطريقة تأثر فيها ابن جزي بالزمخشري في تفسيره، فكثيراً ما يستعمل الزمخشري هذه الطريقة في عرض الإشكالات، وهي طريقة مفيدة في إيضاح الإشكال في الآية، وفي ترسيخ الجواب في ذهن الدارس، فإن المعلومة إذا عُرِضت بطريقة سؤال تشوّف المرء إلى معرفة جوابها أكثر مما لو ذكرت عرضاً في ثنايا الكلام.

★ مصادر ابن جزي في تفسيره :

استمدَّ ابن جزي تفسيره من عدد من المصادر من كتب التفسير وغيره، وأبرز المصادر التي ظهر لي اعتماد ابن جزي عليها في تفسيره ما يلي :

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ).

(٢) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،
لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ).

ويعدُّ هذان التفسيران أهم مرجعين لابن جزّي في تفسيره، فقد استمدَّ منهما جُلَّ مادته في تفسيره، ووضع في كتابه زبدَةً ما في هذين الكتابين، وتأثر بهما تأثراً كبيراً في ترجيح الأقوال وتوجيه الإعراب ونحو ذلك، فكأنَّ هذين التفسيرين كانا ملازمين لابن جزّي لا يفارقانه أثناء كتابته لتفسيره، ومن المهم لدارس هذا الكتاب أن يكون هذان التفسيران بجانبه؛ يراجعهما كلما أشكل عليه شيء من عبارات ابن جزّي.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٣٧هـ)، نقل عنه ابن جزّي في بعض المواضع، ويظهر لي أنه نقل عنه بواسطة المحرر الوجيز، ولم تكن لديه نسخة منه.

(٥) التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت بعد ٤٣٠هـ).

(٦) تفسير النكت والعيون، للقاضي أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ).

(٧) عين المعاني في تفسير السبع المثاني، لأبي عبد الله أو أبي الفضل محمد بن أبي يزيد طيفور السّجّاوندي الغزنوي (ت ٥٦٠هـ).

٨) أحكام القرآن، لأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم الأندلسي الغرناطي، المعروف بابن الفرس (ت ٥٩٧هـ).

وهذا الكتاب يعتبر المصدر الأساسي لابن جزي في كلامه عن آيات الأحكام، ويعتمد عليه كثيرًا في عزو الأقوال إلى أصحابها.

٩) أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ).

١٠) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لشيخ المصنف أبي جعفر ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، ويعتمد عليه ابن جزي كثيرًا في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

١١) درة التنزيل وغرة التأويل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، وهو كتاب في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

١٢) التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، لأبي القاسم أو أبي زيد، عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١هـ)، وهذا الكتاب يرجع إليه ابن جزي كثيرًا في تسمية الأعلام الواردة في القرآن.

١٣) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الحميري (ت ٦٣٤هـ)، يعتمد عليه ابن جزي في ذكر أخبار مغازي النبي ﷺ.

١٤) المقدمات الممهدة في الفقه، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ابن رشد الجد (ت ٥٢٠هـ).

- (١٥) الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، للسهيلي.
- (١٦) شرح تنقيح الفصول في علم الأصول، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي (ت ٦٨٤هـ).
- (١٧) مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).
- (١٨) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب.
- ويظهر لي أنه كان ينقل من هذين الكتابين بواسطة المحرر الوجيز لابن عطية.
- (١٩) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجويني (٤٧٨هـ)، ويظهر لي أنه كان ينقل منه بواسطة المحرر الوجيز.
- ومن مصادر ابن جزى في تفسيره: كتاب للقاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥هـ)، فقد أورد ابنُ جزى آراء القاضي منذر في غير موضع من تفسيره، وقد ذكر في المقدمة أن منذر بن سعيد صنف كتاباً في غريب القرآن وتفسيره، وذكر الحميدي (ت ٤٨٨) في «جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» أثناء ترجمته للقاضي منذر بن سعيد أن له كتاباً اسمه «الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله»^(١)، ولا أدري إن كان هذا هو الكتاب الذي أشار إليه ابن جزى أم غيره؟ وقد بحثت عن هذا الكتاب كثيراً في فهارس المخطوطات فلم أقف على ذكر له، فيبدو أن في عداد المفقود من تراث الأمة!

(١) جذوة المقتبس (ص: ٣٤٨).

★ طبعات الكتاب السابقة :

- أول طبعة لكتاب التسهيل خرج بها من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات : طُبِعَت في مصر عام ١٣٥٥هـ في أربعة مجلدات ، وُكُتِبَ على غلافها : «عُني بمقابلتها على عدّة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية وصحّحها نخبة من العلماء» .

وهذه الطبعة مشحونة جدًّا بالتحريفات والتصحيّفات ، وفيها من السقط الشيء الكثير والكثير ، ويظهر لي أن السبب في ذلك هو المخطوطات التي اعتمدها ، فلديّ بعض المخطوطات من دار الكتب المصرية ومن المكتبة الأزهرية كُتِبَتْ بالخط المشرقي المعتاد ، وقد قارنتُ بين هذه المخطوطات وبين هذه الطبعة فوجدت توافقًا كبيرًا بينهما في السقط والتحريف ؛ فلعلَّ هذا هو مبدأ الخلل ، فكتاب التسهيل هو من كتب الأندلسيين ، ولا ريب أنه كُتِبَ في مخطوطاته العتيقة على وفق قواعد الخط المغربي والأندلسي ، وهذا الخط يصعب على المشاركة قراءته ، وتلبس حروفه كثيرًا ، فمن طريقة المغاربة مثلاً أنهم يكتبون حرف الفاء بوضع نقطة في أسفل الحرف ، وحرف القاف بوضع نقطة في أعلى الحرف ، فيحصل من جرّاء ذلك التباس كبير عند المشاركة ، وهكذا الالتباس بين حرفي الدال والراء والهاء في آخر الكلمة ، وبين السين والشين والياء . . إلخ ، فلعلَّ ناسخ المخطوطة عندما رام كتابتها بقواعد الخط المشرقي اعتمد على مخطوطات الكتاب المغربية فالتبس عليه كثيرٌ من حروفها ؛ بسبب اختلاف هذه القواعد ، وأيضًا حصل له سقط كبير فيها ، ثم جاء المعتنون بهذه الطبعة ، وعوّلوا على هذه المخطوطات المشرقية ، فحصل فيها هذا السقط والتحريف الكثير .

ثم توالى طبعات التسهيل بعد ذلك، فطُبِعَ عدة طبعات، والحقيقة أن هذه الطبعات في غاية الرداءة، ويظهر أنها إعادة لصفّ طبعة ١٣٥٥ هـ ليس إلا، فتجد فيها عين السقط والتحريف الذي كان في هذه الطبعة، إن لم يكن أكثر، ولا أرى حاجة للوقوف عندها.

ثم طبع التسهيل في السنوات القريبة، ثلاث طبعات أتحدّث عنها فيما يلي:

١- طبعة دار الضياء - عام ١٤٣٠ هـ:

هذه الطبعة بتحقيق: أ. د: محمد بن سيدي محمد مولاي، وتقع هذه الطبعة في ثلاثة مجلدات، الأول إلى نهاية الأنفال، والثاني إلى نهاية الصافات، والثالث إلى آخر القرآن، وبالمقارنة بين هذه الطبعة والطبعات السابقة للكتاب؛ فقد تجاوزت هذه الطبعة مواضع من السقط والتحريف التي كانت في الطبعات السابقة، إلا أنه بقي من السقط والتحريف الشيء الكثير والكثير؛ حيث يصعب على الدارس للكتاب اعتماد هذه الطبعة؛ لما يستغلّق عليه بعض مواضعها، وقد قابلت هذه الطبعة على النسخ الخطية التي لديّ كلمة كلمة، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاتها من سقط أو تحريف!، وقد يصل السقط فيها إلى سطرين وأكثر، فمثلاً: جاء في هذه الطبعة (٢٠٠/١): هذا النصّ:

«ذَهَبَ اللَّهُ يَنْوِرُهُمْ»: أي: أذهب به هذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طفيت النار ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَنْوِرُهُمْ﴾ جملة مستأنفة».

فهذا النص فيه شيء من الغموض، وهو غير مفهوم، فرجعت إلى المخطوطات فوجدت النص هكذا :

«ذَهَبَ اللَّهُ يَنْوِرُهُمْ»: أي : أذهب وهذه الجملة جواب لما ، [فالضمير في (بنورهم) عائد على (الذي)، وهو على هذا بمعنى : الذين ، وحذف النون منه لغة . وقيل : جواب لما] محذوف تقديره : طفيت النار ، [و] «ذَهَبَ اللَّهُ يَنْوِرُهُمْ» جملة مستأنفة». فما بين المعقوفتين ساقط من هذه الطبعة ! .

وأيضاً عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة : «وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ»، جاء في هذه الطبعة هذا النص (١ / ٣٤١) : «كَمَثَلِ جَنَّةٍ» : تقديره : كمثّل صاحب حبة أو يقدر ولا مثل نفقة الذي ينفقون» ! .

فهذا كلام غامض وغير مفهوم، فرجعت إلى المخطوطات فوجدت العبارة هكذا :

«كَمَثَلِ جَنَّةٍ» : تقديره : كمثّل صاحب جنة، أو يقدر أولاً : مثل نفقة الذين ينفقون» .

ومثل هذا كثير في هذه الطبعة .

٢- طبعة دار الضياء - عام ١٤٣٤هـ :

أعيد طبع هذا الكتاب في هذه الدار عام ١٤٣٤هـ في أربعة مجلدات ، الأول إلى نهاية سورة الأنعام ، والثاني إلى نهاية سورة الأنبياء ، والثالث إلى نهاية سورة محمد ، والرابع إلى آخر القرآن ، وقد استعرضت هذه الطبعة وقارنت بينها وبين طبعة الدار عام ١٤٣٠هـ وبين التصويبات التي صوبتها من

المخطوطات، فأما المجلد الأول من هذه الطبعة والذي ينتهي إلى آخر سورة الأنعام، فقد أعادوا مراجعته، وتجاوزوا الكثير من السقط والتحريف الذي كان في الطبعة الأولى، ومع ذلك فقد بقي أيضًا الكثير من السقط والتحريف لم يُصلح!، فعلى سبيل المثال: نموذج السقط - وهو النموذج الأول الذي أوردته في الطبعة الأولى - تكرر في هذه الطبعة ولم يُصلح!، والنموذج الثاني للتحريف أُصلح إصلاحًا جزئيًا.

وأما المجلدات الثلاثة المتبقية من هذه الطبعة فلم يصلحوا شيئًا مما فيها من الأخطاء والسقط، بل السقط والتحريف الذي كان موجودًا في الطبعة الأولى موجودٌ كما هو في هذه الطبعة!.

وأكتفي بهذا في الكلام عن هاتين الطبعتين.

٣- طبعة المنتدى الإسلامي بالشارقة - ١٤٣٣هـ:

وهذه الطبعة بعناية: أبي بكر بن عبد الله سعداوي، وتقع في مجلد ضخيم يقع في (١٠٢٣) صفحة، وقد اعتمد فيها على خمس نسخ خطية، وبعض هذه النسخ موجود لديّ، وهذه الطبعة يظهر فيها جهد المعنتي بها وأنه قابل على المخطوطات مقابلة حقيقية، وقد تجاوز الكثير من الأخطاء التي كانت في النسخ قبله، فلا تكاد تجد فيها السقط الذي كان يوجد في الطبعات السابقة، وأما التحريفات والتصحيحات فقد قلّت في هذه الطبعة، وإن كان قد بقي فيها شيء من التصحيح فمن خلال مقارنتي بين هذه الطبعة وبين الطبعات السابقة والمخطوطات وقفت على عدد من التصحيحات لبعض الكلمات، ولكنها قليلة مقارنة بالطبعات السابقة، بل بينها وبين الطبعات

السابقة مفاوز!، وأيضًا؛ يعيب هذه الطبعة -إضافة إلى وجود التصحيقات- بعض الأمور الفنية والشكلية، مثل عدم الاعتناء بالتعليق على ما يحتاج إلى تعليق، من بيان غريب أو إيضاح مشكل، وعدم شُكْل ما يُشكّل من الكلمات وضبطه بالحركات، وكذلك أهمل الإحالات، وأيضًا؛ من ناحية الإخراج فإن الكلام فيها مرصوص بطريقة تتعب القارئ؛ إضافة إلى دقة الخط.

★ وصف النسخ الخطية المعتمدة:

تيسر لي الحصول -بتوفيق الله تعالى- على خمس عشرة نسخة خطية لكتاب التسهيل، تتفاوت في الجودة، وفي النقص والتمام، انتخبت منها خمس نسخٍ خطيّة، هي أجود ما وقفت عليه من نسخ هذا الكتاب، وبعضها قريب العهد من زمن المصنف، فاعتمدتها في التحقيق، واستأنست بنسختين أُخريين، وجميع هذه النسخ السبع كُتبت بالخط المغربي الأندلسي، وهي أسلم من التحريف وأبعد من السقط؛ مقارنة بالنسخ التي كتبت بالخط الشرقي المعتاد، وفيما يلي وصف هذه النسخ السبع:

النسخة الأولى: نسخة مكتبة تشستر بيتي:

وتوجد مصورتها في قسم المخطوطات في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

رقمها: (٤٠٥٩)، وتقع في (٢٤٧) ورقة، وفي كل صفحة (٣١) سطرًا.

وكتبت بالخط المغربي، وهو واضح ومقروء، وهي نسخة تامة، سوى أنه سقط من المصورة ورقة أو ورقتان، كما سيأتي بيانه في موضعه، وعلى

هوامش بعض صفحاتها تصويبات وذكر فروقات نسخ أخرى (رمز لها بالحرف «خ») واستدراك سقط، وتوجد بها تعليقات يسيرة، ولم تخلُ من سقط كلمات في بعض المواضع، ويندر أنه يوجد فيها تصحيف.

وفُرج من كتابة هذه النسخة في شهر ذي الحجة من عام (٩٥٦هـ) على يد كاتبها سالم بن أحمد بن منصور^(١)، وهي أقرب النسخ -التي وقفت عليها- إلى عصر المؤلف.

وعلى الصفحة الأولى منها قيد تملك باسم عبد ربه محمد في (٢٧) رمضان ١٣٣٩هـ.

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «أ».

النسخة الثانية: نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: وهي محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام برقم (٧٥١٣)، وتقع في (٢٠٥) ورقة، وفي كل صفحة (٣٥) سطرًا.

وهذه النسخة بالخط المغربي، وهو واضح ومقروء، وهي نسخة تامة، وعليها نقولات وتعليقات وحواشٍ كثيرة، لا تكاد تخلو منها ورقة من أوراقها، وأغلب هذه التعليقات مأخوذ من تفسير «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» لأبي العباس ابن عجيبة المغربي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، ويوجد بها أيضًا مقابلات على أصول خطية أخرى واستدراك سقط في بعض المواطن من النسخة دون بعضها، بيد أنه لم تسلم بعض الكلمات من

(١) لم يتضح لي اللقب.

التصحيح ، ولم تخلُ من سقط كلمة أو كلمات أو أسطر في بعض المواضع .
وأما تاريخ النسخة : فهو سنة (٩٧٦هـ) ، وقد جاء في آخرها ما نصّه :
«وكان الفراغ من هذه النسخة في ظهر يوم الخميس الرابع والعشرين من
صفر سنة ستّ وسبعين وتسع مئة على يد العبد المذنب الراجي عفوّ ربه
ورُحماء أحمد بن عبد الله بن أحمد القيسي . .» .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «ب» .

النسخة الثالثة : نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية :
وهي محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام برقم (١١٤٨٠) ، وتقع
في (٢٤٣) ورقة ، في كل صفحة (٣٤) سطرًا .

وكتبت بالخط المغربي ، وخطها واضح ومقروء ، وهي تامة غير أنه سقط
منها ورقات يسيرة يأتي التنبيه لها في مواضعها بإذن الله ، ولست أدري هل
السقط من التصوير أم من أصل النسخة؟ ، وهذه النسخة بها مقابلات على
أصول خطية أخرى واستدراك سقط في بعض مواطنها ، ويوجد بها تصحيح
قليل ، وسقط يصل إلى عدة أسطر .

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (٩٨٠هـ) ، وقد جاء في آخرها ما نصّه : «وكان
الفراغ منه عند زوال يوم الأحد خامس المحرم الحرام ، فاتح ثمانين وتسع
مئة ، على يد العبد الراجي عفوّ مولاه أبو محمد عبد الله بن مسعود بن
عبد الرحمن بن علي الملقب بـ[. . .]^(١) غفر الله له ولوالديه ولجميع

(١) لم أتمكن من قراءته .

المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على من لا نبي بعده، وهذه النسخة التاسعة مما نسخنا بأيدينا، والحمد لله على كل حال، آمين آمين آمين يا رب العالمين».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «ج».

النسخة الرابعة: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية:

وهي محفوظة في المركز برقم (١٠٧٧١)، وتقع في (١٨٢) ورقة، في كل صفحة (٤٠) سطرًا.

وهي بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وتمتاز بأنها مشكولة بالكامل، وهي نسخة تامة، ويوجد بها تصويبات كثيرة واستدراك للسقط على حواشيها، ويقلُّ السقط في هذه النسخة مقارنة بالنسخ الأخرى، إلا أنه يوجد بها تصحيف وتحريف لبعض الكلمات.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٢٤١هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصّه: «كمل بعون الله وحمده، والصلاة والسلام على نبيه وعبد، والرضا عن آل وأصحابه، وأنصاره وأحزابه، على يد كاتبه لنفسه، ثم لمن شاء الله من بعده، العبد الراجي عفو مولاه، المستغني به عن كل ما سواه، وهو محمد بن عمر [..]»^(١) لطف الله به آمين، بعد صلاة العصر يوم الأربعاء العاشر من شهر الله صفر الخير عام ١٢٤١ غفر الله له ولوالديه ولأشياخه وأحبابه

(١) كلمة لم أتمكن من قراءتها.

ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، آمين يا رب العالمين».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «د».

النسخة الخامسة: نسخة جامعة الملك سعود بالرياض:

وهي محفوظة في قسم المخطوطات برقم (٥٣٤٧)، وتقع في (١٧٩) ورقة، في كل صفحة (٤٠) سطرًا.

كتبت بالخط المغربي، وخطها واضح، وهي نسخة تامة، وبها تصويبات واستدراك للسقط على حواشيها، وخاتمة النسخة بها طمس، ويظهر أنه من آثار الترميم، فلم تتبين سوى كلمتي: «كمل كتاب...».

وأما تاريخ النسخة واسم ناسخها، فليس مبينًا عليها، ولعله طمس عليه أيضًا في آخر النسخة من آثار الترميم، إلا أن فهرس المكتبة ذكر في بيانات المخطوطة أنها كتبت في القرن الثاني عشر الهجري تقديرًا.

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «هـ».

وأما النسختان اللتان استأنست بهما في المقابلة وترجيح الفروق بين النسخ، فوصفهما فيما يلي:

النسخة الأولى: نسخة خزانة جامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب:

وهي محفوظة في الخزانة برقم (٢٤)، وتقع في (٤٠٦) ورقة في مجلدين، في كل صفحة (٣١) سطرًا.

وهي نسخة مكتوبة بالخط المغربي المقروء الواضح، ويقل فيها التحريف والسقط.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٠٨٩هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصّه: «كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، وبمنه وكرمه وبفضله وإحسانه على يد العبد الفقير إلى رحمة ربه الضعيف الحقير الذليل المنكسر خاطره عُييد الله تعالى وأصغر عييد المحتاج إليه عبد القادر بن عبد المولى بن علي بن سعيد بن إبراهيم المطيري ثم التموجري، غفر الله له ولوالديه ولأجداده ولمن علّمه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والميتين . . . وقد كتبه للفقهاء الأجل العالم الأفضل المدرس البركة السيد أحمد بن عبد الله [. . .]^(١)، أحمد الله رأيه وأدام عزّه عليه ونفعه بهذا الكتاب . . . وكان الفراغ منه يوم الأربعاء، وهو يوم عيد الفطر عام تسعة وثمانين وألف، وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين».

النسخة الثانية: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات بالرياض:

وهي محفوظة في المركز برقم (١٢٨٠٢)، وتقع في (٢٥٣) ورقة، في كل صفحة (٣٧) سطرًا.

وهي مكتوبة بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وعلى هامشها تصويبات في بعض الصفحات، وهي قليلة السقط والتحريف، وفي بعض

(١) لم يتضح لي الاسم.

صفحاتها حواشٍ وتعليقات ولكن ليست بالكثيرة.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٠٨٤هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصّه: «[. . .] ^(١) التفسير المبارك المسمى التسهيل لعلوم التنزيل بن جزى رَحِمَهُ اللهُ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى وَحَسَنِ عَوْنِهِ وَتَأْيِيدِهِ عَلَى يَدِ الْعَبْدِ الْمَذْنُوبِ الْفَقِيرِ إِلَى اللهِ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ الْوَسْكَرِيِّ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِأَسْلَافِهِ، وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ نَسْخِهِ [. . .] ^(٢) فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةً وَأَلْفٍ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا ».

★ عملي في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل:

(١) قابلت بين النسخ الخطية الخمس التي اعتمدتها كلمة كلمة، ولم أَعْتَمِدْ نَسْخَةً مِنْهَا أَصْلًا، وَإِنَّمَا رَجَّحْتُ مِنْ فُرُوقَاتِ النُّسخِ مَا رَأَيْتُهُ أَرْجَحَ، وَأَثْبَتُّ بَاقِيَ الْفُرُوقَاتِ فِي الْهَامِشِ، وَقَدْ اسْتَأْنَسْتُ فِي تَرْجِيحِ الْفُرُوقَاتِ بِالنَّسَخَتَيْنِ الْخَطِيئَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ، إِضَافَةً إِلَى الْمَصَادِرِ الَّتِي يَسْتَمِدُّ مِنْهَا ابْنُ جَزَيٍّ تَفْسِيرَهُ، وَبِالْأَخْصِ الْمَحْرَرِ الْوَجِيزِ وَالْكَشَافِ، وَكَذَلِكَ مَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ وَقَوَاعِدُ اللُّغَةِ، وَكَانَ جُلُّ هَمِّي أَنْ أُخْرِجَ نَصَّ التَّسْهِيلِ سَلِيمًا -حَسَبِ الْإِسْتِطَاعَةِ- مِنَ التَّصْحِيفِ وَالتَّحْرِيفِ، فَهَذَا هُوَ غَايَةُ التَّحْقِيقِ الْحَقِيقِيَّةِ، كَمَا يَقُولُ الْأُسْتَاذُ عَبْدُ السَّلَامِ هَارُونَ: «مَعَ أَنْ الْعِنَايَةَ بِأَدَاءِ النَّصِّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ إِلَى السَّلَامَةِ هِيَ الْمَهْمَةُ الْأُولَى لِمَحْقَقِي الْكُتُبِ وَنَاشِرِيهَا، أَمَا التَّعْلِيقُ وَالتَّفْسِيرُ أَمْرٌ نَافِلَةٌ زَائِدٌ عَلَى طَبِيعَةِ التَّحْقِيقِ وَأَمَانَةِ الْأَدَاءِ» ^(٣).

(١) كلمة لم أتمكن من قراءتها.

(٢) كلمات لم أتمكن من قراءتها؛ بسبب المداد التي جاء عليها.

(٣) مجلة معهد المخطوطات (١٨٨/٢).

(٢) جعلت رسم الآيات التي يفسرها ابن جزيّ وفق قراءة ورش عن نافع .
 (٣) طريقة ابن جزيّ أنه يذكر رأس الآية أو الكلمة التي تحتاج إلى تفسير في الآية ويفسرها ، ولا يذكر مقاطع الآيات التي يروم تفسيرها ، ولم يكتب جميع آيات القرآن في تفسيره ، فأضفتُ مقاطع الآيات بين معقوفتين هكذا [] ، وقد اعتمدت في تقسيم مقاطع الآيات - غالباً - على وقوف الركوعات المعلّمة بعلامة (ع) في المصحف الأوردو الذي طبعه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، والمصحف الكويتي ، فهذه الركوعات تراعي المعنى في الغالب ، وكل موقف منها بمثابة مقطع مناسب للركوع عنده ، والغرض من إضافة هذه المقاطع التسهيل على الطالب إذا أراد قراءة الآيات كاملة قبل قراءة تفسيرها ، وأيضاً ؛ فإنها تفيد الدارس للكتاب الذي يريد أن يجعل له ورّداً معيّناً من الكتاب ليدرسه ؛ فكل مقطع يعتبر بمثابة ورد مستقل للدراسة .

(٤) أدرجت تقارير فضيلة الشيخ العلامة : عبد الرحمن بن ناصر البراك - أمتع الله - ، على المواضع المشكّلة في العقيدة والسلوك ، وإذا تكرر الإشكال في الكتاب أحلت إلى الموضوع السابق للتعليق ، وصنعت لهذه التعليقات فهرساً في آخر الكتاب ؛ ليسهل على مريدها الوصول إليها .

(٥) خرّجت الأحاديث التي أوردها المؤلف في كتابه تخريجاً مختصراً .

(٦) أحلت على المصادر التي ينقل منها ابن جزيّ ؛ فيما أمكن الرجوع إليه .

(٧) علقت على ما أرى أنه يحتاج إلى تعليق ، من شرح غريب ، أو حلّ مستغلق ، أو إيضاح مشكل .

٨) في المقدمة الثانية التي وضعها ابن جزي رحمته الله في غريب القرآن، رَقَّمت مواد الغريب التي شرحها ابن جزي ترقيمًا متسلسلاً، وقد بلغت (٦٠٢) مادة، والغرض من ذلك سهولة الإحالة عليها إذا أحال ابن جزي في أثناء تفسيره إليها، فقد يذكر ابن جزي الكلمة في أثناء تفسيره ويقول: تقدَّم بيانها في اللغات، فأحيل إليها في الحاشية بذكر رقم المادة، وأيضًا؛ ففيها تسهيل للطالب الذي يرغب في حفظ غريب ابن جزي بحيث يجعل له وردًا من المواد كل يوم ونحو ذلك.



صورة اللوحة الأولى من نسخة (ب)



صورة اللوحة الأولى من نسخة (ج)



[illegible]

صورة اللوحة الأولى من نسخة (هـ)

صورة اللوحة الأولى من نسخة خزانة جامع القرويين

الحسنة العزيم الوفاء ملك الملوك ورب الارباب هو الذي انزل على محمد
الكتاب من ربه عز وجل لا اله الا هو وحده لا شريك له والبراهمة
الطاهرة والاشواق الشريفة غالية المحبة وصل الثغاب وحده من
الغصن العلية والاشواق العزيم والاشواق العلية والاشواق العلية
بكل عبادك وجعله في الصفة العليا اليان حتى عجز الناس الجلاء
واعترفوا بعباد الرب اليان ما قضته من المحبة والبراهمة والطاهرة ولا
عزيم ولا عباد ويكثر حبه في الصدور وصر حبه من الشكر والنعيم ملك
يكثر في حبه على كل امرئ من قولك لا حجاب وجعله فوق اقطار وحكماء
عزيم واجتماعه ومحبته باقية بينا هو عالم تشهد له وجوه وعزيم
بها المحبة المودعة والبراهمة على الكواكب والبراهمة وهو الخلق
صير الى حاله من غير الحلال والبراهمة وعلمه من ربه الا سلام وعزيم
البراهمة والاشواق الشريفة والاشواق الشريفة والاشواق الشريفة
وجعله على الارباب الشريفة وحاشية واصحابه من عبادك واودعهم اجرة
وحسن الشريفة بسكنى السور الكريم التي خصها بكتابه وفيه من الاشواق
بما لا تحصى من البراهمة والاشواق الشريفة والاشواق الشريفة
حقيقا وعزيم من عبادك وما في صفة البراهمة هو رب الاله لا هو عليه توكلت
والله متقن على الله وسلاسة وقيامته وبركاته واحكامه على مولا
على الله وبالله وسلاسة الله وجاهدنا بالفرقان العظيم ولا اله الا الله
وجاهد الله حق الجهاد وبذل جهنم في المحرم على نجات العباد وحق
وتبع وبذل جهنم حتى قامت المحبة واحتمل المحبة وتبشّر الرشد والبر
ولهم خير من النور الصواب وانقضت ظلمات الشرك والارباب ملك
سيدنا ومولا في حق النبي في البراهمة الشريفة والاشواق الشريفة
والطاهرة والاشواق الشريفة والاشواق الشريفة والاشواق الشريفة
ولا اله الا الله والاشواق الشريفة والاشواق الشريفة والاشواق الشريفة
يكثر في الدنيا والآخرة وجعله فابن الغر المحمدين والوجه الناضر

صورة اللوحة الأولى من نسخة مركز الملك فيصل

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في القرآن الكريم
نورا للذين آمنوا به واتباعه
والذين آمنوا به واتباعه
والذين آمنوا به واتباعه

[illegible]

کتب و خط

كتاب التسهيل لعلوم التنزيل

محققاً

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عُبيد الله تعالى، وَخَدِيمُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، مُحَمَّدٌ الْمَدْعُوُّ أَبَا الْقَاسِمِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جُرَيجٍ عفا الله عنه، وغفر له بمنّه وفضله:

الحمد لله العزيز الوهاب، مالك الملوك وربّ الأرباب، هو الذي أنزل على عبده الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب.

وأودعه من العلوم النافعة، والبراهين القاطعة، والأنوار الساطعة: غاية الحكمة وفضل الخطاب.

وخصّه^(١) من الخصائص العلية، واللطائف الخفية، والدلائل الجلية، والأسرار الربانية العجائب: بكل عَجَبٍ عُجَابٍ.

وجعله في الطبقة العليا من البيان، حتى أعجز الإنس^(٢) والجان، واعترف زعماء أرباب اللسان بما تضمّنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب.

(١) في ب، هـ: «وخصمه».

(٢) في أ: «الإنسان»، وفي الهامش: «خ: الإنس».

ويسر حفظه في الصدور، وضمن حفظه من التبديل والتغيير، فلم يتغير، ولا يتغير على طول الدهور وتوالي الأحقاب.

وجعله قولاً فصلاً، وحكماً عدلاً، وآيةً باديةً، ومعجزةً باقيةً، يُشاهدها مَنْ شَهِدَ^(١) الوحي ومن غاب، وتقوم بها الحجة للمؤمن الأواب، والحجة على الكافر المرتاب.

وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام، وبين من الحلال والحرام، وعلم من شرائع^(٢) الإسلام، وصرف من النواهي والأوامر والمواعظ والزواجر والبشارة بالثواب، والنذارة بالعقاب.

وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته، واصطفاهم من عباده، وأورثهم الجنة وحسن المآب.

فسبحان المولى الكريم الذي خصنا بكتابه، وشرّفنا بخطابه، فيا لها^(٣) نعمة^(٤) سابغة، وحجة بالغة، أوزعنا الله القيام بواجب شكرها، وتوفية حقّها، ومعرفة قدرها، وما توفيقى إلا بالله، هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب.

وصلواتُ الله وسلامه وتحياته وبركاته وإكرامه على مَنْ دلّنا على الله، وبلغنا رسالة الله، وجاءنا بالقرآن العظيم، وبالآيات والذكر الحكيم،

(١) في ب: «يشاهدها من شهد»، وفي د، هـ: «يشاهدها من شاهد».

(٢) في ب، ج، هـ: «شعائر»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ«خ».

(٣) في ب، ج، هـ: «فيا له».

(٤) في أ: «من نعمة».

وجاهد في الله حقَّ الجهاد، وبذل جُهدَه في الحرص على نِجاة العباد، وعَلَّمَ ونَصَح، وبيَّن وأوضَح، حتى قامت الحجَّة، ولاحت المحجَّة، وتبيَّن الرشدُ من الغيِّ، وظهر طريقُ الحقِّ والصواب، وانقشعت ظلمات الشكِّ^(١) والارتباب، ذلك سيدُّنا ومولانا محمدُ النبي الأميُّ القرشيُّ الهاشميُّ المختارُ من لباب اللباب، والمصطفى من أطهر الأنساب وأشرف الأحساب، الذي أيَّده الله بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، والجنود القاهرة، والسيوف الباترة العِصاب، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة، وجعله قائدَ الغرِّ المحجلِّين والوجوه الناضرة، فهو أوَّلُ مَنْ يَشْفَع يوم الحساب، وأول مَنْ يدخل الجنة ويقرَّع الباب.

فصلَّى الله عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين^(٢)، خيرِ أهل وأكرم أصحاب، صلاةً زاكيةً ناميةً^(٣) لا يحصُرُ مقدارها العدُّ والحساب، ولا يبلِّغ إلى أدنى وصفها السنة البلغاء، ولا أقلام الكتَّاب.

أمَّا بعدُ: فإنَّ علمَ القرآن العظيم هو أرفعُ العلوم قدرًا، وأجلُّها خطرًا، وأعظمها أجرًا، وأشرفها ذكرًا، وإنَّ الله أنعمَ عليَّ بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلُّمه وتعليمه، وشغفني بتفهْم معانيه وتحصيل علومه، فاطلعتُ على ما صنَّفه العلماء رحمهم الله في تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف، المتباينة الأصناف:

فمنهم مَنْ أثر الاختصار.

(١) في هامش أ: «خ: الشرك».

(٢) في د: «الأكمليين».

(٣) في د: «تامة».

ومنهم مَنْ طَوَّلَ حتى كَثُرَ^(١) الأسفار.

ومنهم من تَكَلَّمَ في بعض فنون العلم دون بعض.

ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس.

ومنهم من عَوَّلَ على النظر والتحقيق والتدقيق.

وكلُّ واحدٍ سلك طريقًا نَحَاهُ، وذهب مذهبًا ارتضاهُ، وكَلَّا وعد الله الحسنَى، فرغبتُ في سلوك طريقهم، والانخراط في سلك فريقهم، وصنَّفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلَّقُ به من العلوم، وسلكْتُ به مسلًكًا نافعًا، إذ جعلتهُ وجيزًا جامعًا، قصدتُ به أربع مقاصد، تتضمَّن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمعُ كثيرٍ من العلم في كتاب صغير الحجم^(٢)؛ تسهيلًا على الطَّالِبِينَ، وتقريبًا على الرَّاغِبِينَ، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمَّنته الدواوينُ الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفُضولها، ولقد أودعتهُ من كلِّ فنٍّ من فنون علوم^(٣) القرآن اللبابَ المرغوبَ فيه، دون القشرِ المرغوبِ عنه، من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وتركِ التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية: ذكْرُ نَكْتٍ عجيبةٍ، وفوائد غريبةٍ، قلَّما توجد في كتاب؛

(١) في ج، د: «أكثر».

(٢) في ب، د: «الجُرم».

(٣) في ب، ج، هـ: «علم».

لأنها من بنات صدري، ونتائج فكري، أو مما أخذته عن شيوخنا عليهم السلام،
أو مما التقطته من مُستطرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إمّا بحلّ العقْدِ المقفلات، وإما
بحسن العبارة، ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين، والتفرقة بين السقيم منها
والصحيح، وتمييز الرّاجح من المرجوح.

وذلك أنّ أقوال الناس على مراتب:

فمنها: الصحيح الذي يُعوّل عليه.

ومنها: الباطل الذي لا يلتفت إليه.

ومنها: ما يحتمل الصحة والفساد، ثم إنّ هذا الاحتمال قد يكون:
متساوياً، أو متفاوتاً، والتفاوت قد يكون: قليلاً أو كثيراً.

وإني جعلت لهذه الأقسام عباراتٍ مختلفة، يُعرَفُ بها مرتبةُ
كلِّ قول:

فأدناها: ما أصرّح بأنه «خطأ»، أو «باطل».

ثم: ما أقول فيه: إنه «ضعيف»، أو «بعيد».

ثم: ما أقول: «إن غيره أرجح منه»، أو «أقوى»، أو «أظهر»، أو «أشهر».

ثم: ما أقدم غيره عليه؛ إشعاراً بترجيح المتقدّم، أو ما أقول فيه: «قليل:
كذا»؛ قصداً للخروج عن عُهده.

وَأَمَّا إِذَا صَرَّحْتُ^(١) بِاسْمِ قَائِلِ الْقَوْلِ فَإِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَحَدِ أَمْرَيْنِ :
إِذَا لِلخُرُوجِ عَنْ عَهْدَتِهِ .

وَأَمَّا لِنُصْرَتِهِ ، إِذَا كَانَ قَائِلُهُ مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ .

عَلَى أَنِّي لَا أَنْسِبُ^(٢) الْأَقْوَالَ إِلَى أَصْحَابِهَا إِلَّا قَلِيلًا ، وَذَلِكَ لِقَلَّةِ صَحَّةِ
إِسْنَادِهَا إِلَيْهِمْ ، أَوْ لِاخْتِلَافِ النَّاqِلِينَ فِي نَسَبِهَا إِلَيْهِمْ .

وَأَمَّا إِذَا ذَكَرْتُ شَيْئًا دُونَ حِكَايَةِ قَوْلِهِ عَنْ أَحَدٍ : فَذَلِكَ إِشَارَةٌ
إِلَى أَنِّي أَتَقَلَّدُهُ وَأَرْضِيهِ ، سِوَاءٍ كَانَ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِي ، أَوْ مِمَّا اخْتَارَهُ مِنْ كَلَامِ
غَيْرِي .

وَإِذَا كَانَ الْقَوْلُ فِي غَايَةِ السَّقُوطِ وَالْبَطْلَانِ لَمْ أَذْكُرْهُ ؛ تَنْزِيهًا
لِلْكِتَابِ ، وَرَبَّمَا ذَكَرْتُهُ تَحْذِيرًا مِنْهُ .

وَهَذَا الَّذِي ارْتَكَبْتُهُ^(٣) مِنَ التَّرْجِيحِ وَالتَّصْحِيحِ مَبْنِيٌّ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْعِلْمِيَّةِ ،
أَوْ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ .

وَسَنَذَكُرُ بَعْدَ هَذَا بَابًا فِي مَوْجِبَاتِ التَّرْجِيحِ بَيْنَ الْأَقْوَالِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَسَمَّيْتُ هَذَا الْكِتَابَ : «كِتَابُ التَّسْهِيلِ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ»

وَقَدَّمْتُ فِي أَوَّلِهِ مَقْدَمَتَيْنِ :

إِحْدَاهُمَا : فِي أَبْوَابٍ نَافِعَةٍ ، وَقَوَاعِدَ كَلِمَةٍ جَامِعَةٍ .

(١) فِي دِيَاذَةِ : «فِيهِ» .

(٢) فِي ب ، د : «لَسْتُ أَنْسِبُ» ، وَفِي ه ، ج : «أَنِّي نَسَبْتُ» ! .

(٣) فِي ب : «ارْتَكَبْتُ» ، وَفِي د : «أَرْتَكَبُهُ» .

والأخرى: فيما كثر دوره من اللغات الواقعة في القرآن.

وأنا أرغبُ إلى الله العظيم الكريم أن يجعلَ تصنيفَ هذا الكتابِ عملاً
مبروراً، وسعيًا مشكورًا، ووسيلةً توصلني إلى جنات النعيم، وتُنقذني من
عذاب الجحيم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



﴿المقدمة الأولى﴾

فيها اثنا عشر بابًا :

﴿الباب الأول﴾

في نزول القرآن، وجمعه في المصحف، ونقْطه،
وتحزيه، وتعشيره، وذكر أسمائه^(١)

* نزل القرآن على رسول الله ﷺ مِنْ أَوَّلِ مَا بَعَثَهُ اللهُ بِمَكَّةَ وهو ابنُ أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله .

فكانت مدة نزوله عليه :

عشرين سنة .

وقيل : كانت ثلاثًا وعشرين سنة .

على حسب الاختلاف في سنَّه ﷺ يوم تُوفِّي هل كان ابنَ ستين سنة؟ أو^(٢)
ثلاثٍ وستين^(٣)؟

(١) انظر : المحرر الوجيز، لابن عطية (١/٣٧، ٥١) .

(٢) في هـ، د زيادة : «ابن» .

(٣) في أ زيادة : «سنة» .

وكان ربما تنزل^(١) عليه سورة كاملة، وربما تنزل^(٢) عليه آيات متفرقات^(٣) فيضمُّ ﷺ بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة.

وأول ما نزل من القرآن:

صدرُ سورة العلق، ثم المدثر و^(٤)المزمل.

وقيل: أول ما نزل: المدثر.

وقيل: فاتحة الكتاب.

والأول هو الصحيح؛ لما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها في حديثها الطويل في ابتداء الوحي قالت فيه: «جاءه الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]. فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره^(٥)،

(١) في د: «نزلت»، وفي هامش أ: «خ: نزل».

(٢) في د وهامش أ: «نزل»

(٣) في أ: «مفترقة».

(٤) في د: «ثم».

(٥) كذا في أ، ب وهي الموافقة لما في رواية مسلم، وفي ج، هـ: «ترجف بها بوادره»، والبودار جمع بادرة، وهي لحة بين المنكب والعنق، أي: ترعد وتضطرب.

انظر: النهاية لابن الأثير (١/٢٥٥).

وفي د: «يرجف بها فؤاده» وهي موافقة لرواية البخاري.

فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه ما يجد من الرّوع»^(١).

وفي رواية من طريق جابر بن عبد الله: «فقال رسول الله ﷺ: زملوني، فأنزل الله: ﴿يَتَأْتِيَ الْمَدَنِيُّ﴾» [المدثر: ١]^(٢).

وأما آخر ما نزل من القرآن:

فسورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

وقيل: آية الربا التي في البقرة.

وقيل: الآية التي قبلها.

وكان القرآن على عهد رسول الله ﷺ مفترقا في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، ولكنه لم يوجد^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٣) أخرج أبو بكر ابن أبي داود في «كتاب المصاحف» (ص ٥٩): «عن أشعث عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ أقسم على أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله، إلا أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلا لجمعة، فبايعه ثم رجع»، ثم قال ابن أبي داود معلقا على هذا الأثر: «لم يذكر المصحف أحدًا إلا أشعث، وهولين الحديث، وإنما رووا: «حتى أجمع القرآن» يعني: أتم حفظه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن»، وأعل هذا الأثر أيضا ابن كثير في كتابه «فضائل القرآن» (ص ٨٨) بأنه: «فيه انقطاع»، وقال تعليقا على قول ابن أبي داود: «وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر - والله أعلم -، فإن عليا لم ينقل عنه مصحف - على ما قيل - ولا غير ذلك». وانظر: الانتان للسيوطي (٣٨٠ / ٢).

فلما قُتِلَ جماعةٌ من الصحابة يوم اليمامة في قتال مُسَيْلِمة الكذاب أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن؛ مخافة أن يذهب بموت القرّاء، فجمعه في صحف غير مرتّب السور، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر الصديق، ثم عند عمر بعده، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين.

وانتشرت في خلال ذلك صحفٌ كُتِبَت في الآفاق عن الصحابة، وكان بينها اختلافٌ، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان رضي الله عنه بجمع الناس على مصحف واحد؛ خيفةً من اختلافهم، فانتدب لذلك عثمان، وأمر زيد ابن ثابت بجمعه وجعل معه ثلاثة من قريش؛ عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاص بن أمية، وقال لهم: إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه ببلغة قريش، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة إماماً في هذا الجمع الأخير، وكان عثمان رضي الله عنه يتعهدهم ويشاركهم في ذلك، فلما كمل المصحف نسخ عثمان رضي الله عنه منه نسخاً، ووجهها إلى الأمصار، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق، أو تحرق - يروى بالخاء المهملة، والخاء المنقوطة -.

فترتيب السور على ما هو الآن عليه: هو من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف.

وقد قيل: إنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ضعيفٌ، تردُّه الآثار الواردة في ذلك.

★ وأما نَقْطُ القرآن وشَكْلُه: فأوّل من فعل ذلك:

الحجاج بن يوسف، بأمر عبد الملك بن مروان، وزاد الحجاج تحزيبه.

وقيل : أول من نَقَطَه يحيى بن يَعْمَر .

وقيل : أبو الأسود الدُّؤَلِيُّ .

★ وأما وضعُ الأعشار فيه :

ف قيل : إن الحجاج فعل ذلك .

وقيل : بل أمر به المأمون العباسي .

★ وأما أسماءُوه : فهي أربعة : القرآن ، والفرقان ، والكتاب ، والذكر .

وسائر ما يُسمَّى به صفاتٌ لا أسماءٌ ، كوصفه بالعظيم ، والكريم ،
والمبين ، والعزيز ، والمجيد ، وغير ذلك .

فأما القرآن : فأصله مصدر : قرأ ، ثم أُطلق على المقروء .

وأما الفرقان : فمصدرٌ -أيضاً- ، معناه : التفرقة بين الحق والباطل .

وأما الكتاب : فمصدرٌ ، ثم أُطلق على المكتوب .

وأما الذكر : فسُمِّي القرآن به ؛ لما فيه من ذكر الله ، أو ^(١) من التذكير
والمواعظ .

ويجوز في «السُّورة» من القرآن : الهمزُ .

وترك الهمز لغة قريش .

وأما الآية : فأصلها : العلامة ، ثم سُمِّيَت الجملةُ من القرآن آيةً ^(٢) ؛ لأنها
علامةٌ على صدق النبي ﷺ .

(١) في هـ : «و» .

(٢) في ب ، هـ : «به» .

﴿الباب الثاني﴾

في السور المكية والمدنية

★ اعلم:

أَنَّ السُّورَ المَكِّيَّةَ: هي التي نزلت بمكة، ويُعَدُّ منها: كلُّ ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة.

كما أن المَدَنِيَّةَ: هي السور التي نزلت بالمدينة، ويُعَدُّ منها: كلُّ ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.

★ وتنقسم السور ثلاثة أقسام:

[١-] قسمٌ مدنية باتفاقٍ، وهي اثنتان وعشرون سورةً.

وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾.

[٢-] وقسم فيها خلافٌ؛ هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاث عشرة

سورةً.

أم القرآن، والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففين^(١)،
والقدر، ﴿لَمْ يَكُنْ﴾، ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾، ﴿أَرْءَيْتَ﴾، والإخلاص،
والمعوذتان.

[٣-] وقسمٌ مكية باتفاق، وهي سائرُ السور.

وقد وقعت آياتٌ مدنية في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور
مدنية، وذلك قليلٌ، مختلفٌ في أكثره.

★ واعلم:

أنَّ السور المكية نزل أكثرها في: إثبات العقائد، والردّ على
المشركين، وفي قصص الأنبياء.

وأن السور المدنية نزل أكثرها في: الأحكام الشرعية، وفي الرد
على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات
النبي ﷺ.

وحيثما ورد: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهو مدنيٌّ.

وأما ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فقد وقع في المكي والمدنيّ.



(١) في ب، ج، هـ: «والمطففون».

﴿الباب الثالث﴾

في المعاني والعلوم التي تَضَمَّنَهَا الْقُرْآنُ

ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل .

★ أما على الجملة : فاعلم أن المقصود بالقرآن : دعوة الخلق إلى عبادة الله ، وإلى الدخول في دين الله ، ثم إن هذا المقصد يقتضى أمرين لا بد منهما ، وإليهما ترجع معاني القرآن كله :

أحدهما : بيان العبادة التي دُعي الخلق إليها .

والآخر : ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها ، وتقودهم إليها .

فأما العبادة : فتتقسم إلى نوعين وهما : أصول العقائد ، وأحكام الأعمال .

وأما البواعث عليها : فأمران ؛ وهما : الترغيب ، والترهيب .

★ وأما على التفصيل : فاعلم أن معاني القرآن سبعة ؛ وهي : علم الربوبية ، والنبوة ، والمعاد ، والأحكام ، والوعد ، والوعيد ، والقصاص .

★ [١-] فأما علم الربوبية :

فمنه : إثبات وجود الباري جل جلاله ، والاستدلال عليه بمخلوقاته ، فكل ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات ، والاعتبار في خَلْقَة

الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك من الموجودات؛ فهو دليلٌ على خالقه.

ومنه: إثبات الوحداية، والردُّ على المشركين، والتعريفُ بصفات الله من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك من أسمائه وصفاته، وتنزيهه عما لا يليق به.

★ [٢-] وأما النبوة: فإثبات نبوة الأنبياء ﷺ على العموم، ونبوة محمد ﷺ على الخصوص، وإثبات الكتب التي أنزلها الله عليهم، ووجود الملائكة الذين كان منهم وسائط بين الله وبينهم، والردُّ على من كفر بشيء من ذلك.

وينخرط في سلك هذا: ما ورد في القرآن من تأنيس النبي ﷺ وكرامته^(١)، والثناء عليه وعلى سائر الأنبياء صلى الله عليه وعلى أجمعين.

★ [٣-] وأما المعاد: فإثبات الحشر، وإقامة البراهين عليه، والردُّ على من خالف فيه، وذكر ما في الدار الآخرة من الجنة والنار والحساب والميزان وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال وغير ذلك.

★ [٤-] وأما الأحكام: فهي الأوامر والنواهي، وتنقسم خمسة أنواع: واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح.

ومنها:

ما يتعلق بالأبدان، كالصلاة والصيام.

(١) في د: «وكذا أمته»!، ولعله تصحيف.

وما يتعلق بالأموال كالزكاة.

وما يتعلق بالقلوب، كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك.

★ [٥-] وأما الوعد :

فمنه وعدٌ بخير الدنيا، من النصر والظهور وغير ذلك.

ومنه بخير الآخرة، وهو الأكثر، كأوصاف الجنة ونعيمها.

★ [٦-] وأما الوعيد :

فمنه تخويفٌ بالعقاب في الدنيا.

ومنه تخويفٌ بالعقاب في الآخرة، وهو الأكثر، كأوصاف جهنم وعذابها، وأوصاف القيامة وأهوالها.

وتأمل القرآن؛ تجد الوعد مقرونًا بالوعيد، قد^(١) ذُكر أحدهما على إثر ذكر الآخر؛ ليجمع بين الترغيب والترهيب، وليتبيّن أحدهما بالآخر، كما قيل :

فبضدّها تتبيّن الأشياء^(٢)

★ [٧-] وأما القصص : فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم؛ كقصة أصحاب الكهف، وذو القرنين.

فإن قيل : ما الحكمة في تكرار قصص الأنبياء في القرآن؟

(١) في أ، ب : «وقد».

(٢) هذا عجز بيت للمتنبي، وصدره : «ونذيمهم وبها عرفنا فضلُهُ»، انظر : شرح أبي البقاء العكبري على ديوان المتنبي (١/ ٢٢).

فالجواب: من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه ربما ذُكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يُذكر في سورة أخرى، ففي كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى.

الوجه الثاني: أنه ذُكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب، وفي مواضع على طريقة الإيجاز؛ لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

الوجه الثالث: أن أخبار الأنبياء قُصِدَ بذكرها مقاصد كثيرة^(١) فتعدّد ذكرها بتعدد تلك المقاصد.

فمن المقاصد بها: إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين؛ بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من الهلاك^(٢).

ومنها: إثبات نبوة محمد ﷺ؛ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلّم من أحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩].

ومنها: إثبات الوحانية، ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [هود: ١٠١].

ومنها: الاعتبار في قدرة الله تعالى، وشدة عقابه لمن كفر به.

ومنها: تسليّة النبي ﷺ عن تكذيب قومه له؛ بالتأسي بمن تقدم من

(١) سقطت هذه الكلمة من ج، هـ.

(٢) في د: «المهالك».

الأنبياء؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

ومنها: تأنيسه^(١) ﷺ، ووعدّه بالنصر كما نُصِر الأنبياء الذين من قبله.

ومنها: تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم.

إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء وردّهم على الكفار، وغير ذلك، فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة ذُكرت في مواضع كثيرة، ولكلّ مقام مقال.



(١) في ج، هـ: «تسليته».

﴿الباب الرابع﴾

في فنون العلوم التي تتعلق بالقرآن

اعلم: أنَّ الكلامَ على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشرَ فنًّا من العلوم، وهي: التفسير، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقصاص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان.

★ [١-] فأما التفسير: فهو المقصود لنفسه، وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه، أو تتعلق به، أو تتفرع منه.

ومعنى التفسير: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه.

واعلم: أن التفسير منه متفق عليه، ومختلف فيه، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

أحدها: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى، فهذا عدّه كثير من المؤلفين في التفسير خلافاً، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لاتفاق معناه.

وجعلناه نحن قولاً واحداً، وعبرنا عنه بأحد^(١) عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها.

(١) في د: «ياحدى».

النوع الثاني: اختلاف في التمثيل ؛ لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثالاً منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام الذي ^(١) تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، فهذا عدّه أيضاً كثيرٌ من المؤلفين خلافاً، وليس في الحقيقة بخلاف ؛ لأن كلَّ قولٍ ^(٢) منها مثالٌ للمراد، وليس بكل المراد.

ولم نعدّه نحن خلافاً، بل عبّرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك الأقوال تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

النوع الثالث: اختلافٌ في المعنى، فهذا هو الذي عدّدناه خلافاً، ورَجَّحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب.

فإن قيل : ما الفرق بين التفسير والتأويل؟

فالجواب : أن في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : أنهما بمعنى واحد.

الثاني : أن التفسير : للفظ، والتأويل : للمعنى.

الثالث - وهو الصواب - : أن التفسير هو الشرح، وأن التأويل هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه ظاهر اللفظ ؛ لموجب اقتضى أن يُحمَل على ذلك ويخرج عن ظاهره.

(١) في ب، ج، هـ: «التي».

(٢) في ب، ج، هـ: «لأن كلاً».

★ [٢-] وأما القراءات: فإنها في القرآن بمنزلة الرواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته.

ثم إن القراءات على قسمين: مشهورة، وشاذة.

فالمشهورَةُ: هي القراءات السبع وما جرى مجراها؛ كقراءة يعقوب^(١) وابن محيصن^(٢).

والشاذة: ما سوى ذلك.

وإنما^(٣) بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع المدني^(٤)؛ لوجهين:

أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب.

والآخر: الاقتداء بالمدينة شرفها الله تعالى؛ لأنها قراءة أهل المدينة، وقال مالك بن أنس: قراءة نافع سنة.

وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدة في المعنى والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنيا عن استيفاء القراءات؛ لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها، وقد صنفنا فيها كتباً نفع الله بها، وأيضاً؛ فإننا لما

(١) هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قارئ أهل البصرة في عصره، توفي سنة (٢٠٥هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٩٤).

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولا هم المكي، قارئ أهل مكة، توفي سنة (١٢٣هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٥٦).

(٣) في ب، ج، هـ: «وإنّا».

(٤) هو نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الليثي، مولا هم، أبو رويم المقرئ المدني، توفي سنة (١٦٩هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٦٤).

عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه ضرورة، وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابًا في قواعد أصول القراءات.

★ [٣-] وأما أحكام القرآن: فهي تفسير ما ورد فيه من الأوامر والنواهي والمسائل الفقهية.

وقال بعض العلماء: إن آيات الأحكام خمس مئة آية، وقد تنتهي إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها في مواضعها.

وقد صنّف الناس في أحكام القرآن تصانيف كثيرة.

ومن أحسن تصانيف المشاركة فيها: تأليف إسماعيل القاضي^(١)، وأبي الحسن كياه^(٢).

ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس^(٣): تأليف القاضي الإمام أبي بكر

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم بن بابك الجهمضي الأزدي المالكي، وبه تفقه أهل العراق من المالكية، توفي سنة (٢٨٢هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (١/٢٨٢).

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الكيا الهراشي الشافعي، والكيا: لفظة أعجمية معناها: الكبير القدر المقدم بين الناس، توفي سنة (٥٠٤هـ). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/٢٨٦)، و«كيا» و«كياه» بمعنى واحد، و«أل» فيها للتعريف، قال العطار في حاشيته على شرح المحلي على «جمع الجوامع» في ضبطه (١/٣٣٩): «ضبطه الكوراني بفتحها؛ لأن «كيا» معناه: العظيم، وأل حرف تعريف وهمزتها بالفتح؛ لأنها همزة وصل».

(٣) في ب، د زيادة: «فيها».

ابن العربي^(١)، والقاضي الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس^(٢).

★ [٤-] وأما النسخ: فهو يتعلق^(٣) بالأحكام؛ لأنها محلُّ النسخ؛ إذ لا تُنسخ الأخبار.

ولا بد من معرفة ما وقع في القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم؛ وهو ما لم يُنسخ.

وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة، أحسنها: تأليف القاضي أبي بكر بن العربي.

وقد ذكرنا في هذه المقدمات باباً في قواعد النسخ، وذكر ما تكرر^(٤) في القرآن من المنسوخ، وذكرنا سائرَه في مواضعه.

★ [٥-] وأما الحديث: فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه؛ لوجهين:

الأول: أن كثيراً من آيات القرآن نزلت في قوم مخصوصين، ونزلت بأسبابٍ قضايا وقعت في زمان النبي ﷺ من الغزوات والنوازل والسؤالات، فلا بد من معرفة ذلك؛ ليُعلم فيمن نزلت الآية، وفيما نزلت، ومتى نزلت؛

(١) الإمام المالكي المعروف، توفي سنة (٥٤٣هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢٥٢/٢).

(٢) الخزرجي المالكي، توفي سنة (٥٩٩هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (١٣٣/٢).

(٣) في ب، ج، هـ: «ما يتعلق».

(٤) في ج، هـ: «ما تقرر».

فإن النسخ مبنيٌّ على معرفة تاريخ النزول؛ لأن المتأخر ناسخٌ للمتقدم.

والوجه الآخر: أنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن، فتجب معرفته؛ لأن قوله ﷺ مقدم على أقوال الناس.

★ [٦-] **وأما القصص:** فهو من جملة العلوم التي تضمنها القرآن، فلا بد من تفسيره، إلا أن الضروري منه: ما يتوقف التفسير عليه، وما سوى ذلك زيادةٌ مستغنى عنها.

وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح، حتى إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصيرٌ بمنصب الأنبياء ﷺ، أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه.

وأما نحن فاقصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح.

★ [٧-] **وأما التصوف:** فله تعلقٌ بالقرآن؛ لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس وتنوير القلوب وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة واجتناب الأخلاق الذميمة.

وقد تكلمت المتصوفة^(١) في تفسير القرآن، فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغل في الباطنية، وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية.

(١) في د: «الصوفية».

وقد جمع أبو عبد الرحمن السُّلَمي^(١) كلامهم في التفسير في كتاب سماه «الحقائق»، وقال بعض العلماء: بل هو^(٢) البواطل، وإذا أنصفنا قلنا: فيه حقائق وبواطل.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يُستحسن من الإشارات الصوفية، دون ما يُعترض أو يُقدح فيه، وتكلمنا أيضًا على اثني عشر مقامًا من مقامات التصوف في مواضعها من القرآن.

[١-] فتكلمنا على الشكر في «أم القرآن»؛ لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى.

[٢-] وتكلمنا على التقوى في قوله تعالى في «البقرة»: ﴿هُدًى لِّلْمُنْفِقِينَ﴾.

[٣-] وعلى الذكر في قوله فيها: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

[٤-] وعلى الصَّبْر في قوله تعالى فيها: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

[٥-] وعلى التوحيد في قوله فيها: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾.

[٦-] وعلى محبة الله^(٣) في قوله فيها: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

[٧-] وعلى التوكل في قوله في «آل عمران»: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي، السُّلَمي الأم، النيسابوري، شيخ خراسان، وكبير الصوفية، له كتاب «حقائق التفسير»، و«طبقات الصوفية» وغيرهما، توفي سنة (٤١٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٤٧/١٧).

(٢) في ب، ج، هـ: «هي».

(٣) في أ: «المحبة».

[٨-] وعلى المراقبة في قوله في «النساء»: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ .
 [٩، ١٠-] وعلى الخوف والرجاء في قوله في «الأعراف»: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ .

[١١-] وعلى التوبة في قوله في «النور»: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ .
 [١٢-] وعلى الإخلاص في قوله في «لم يكن»: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ .

★ [٩-] وأما أصول الدين: فتتعلق بالقرآن من طريقين:

أحدهما: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد، وإقامة البراهين عليها،
 والرد على أصناف الكفار.

والآخر: أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن، وكل طائفة
 منهم تحتج لمذهبها بالقرآن، وترد على من خالفها، وتزعم أنه خالف
 القرآن، ولا شك أن منهم المحق والمبطل.

فمعرفة تفسير القرآن توصل في ذلك إلى التحقيق، مع التسديد والتأييد من
 الله والتوفيق.

★ [١٠-] وأما أصول الفقه: فإنها من أدوات تفسير القرآن، على أن كثيراً
 من المفسرين لم يشتغلوا بها.

وإنها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أحوج المفسر
 إلى معرفة النص، والظاهر، والمجمل، والمبين، والعام، والخاص،
 والمطلق، والمقيد، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب،

وشروط النسخ، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول.

★ [١١-] وأما اللغة: فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها، وهي غريب القرآن، وهي فنٌّ من فنون التفسير.

وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيف كثيرة، وقد ذكرنا - بعد هذه المقدمة - مقدمة في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن؛ لئلا نحتاج أن نذكرها حيثما وقعت، فيطول الكتاب بكثرة تكرارها.

★ [١٢-] وأما النحو: فلا بد للمفسر من معرفته؛ فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى علم اللسان^(١).

والنحو ينقسم قسمين:

أحدهما: عوامل الإعراب، وهي أحكام الكلام المركب.

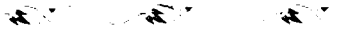
والآخر: التصريف، وهو أحكام الكلمات قبل تركيبها.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه؛ من المشكل، أو المختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنى، أو يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ؛ فإن ذلك تطويل^(٢) بغير كبير فائدة.

(١) في ب، ج، هـ: «إلى معرفة اللسان»، وفي د: «إلى معرفة علم اللسان».

(٢) في ب، ج، د، هـ: «يطول».

★ [١٣-] وأما علم البيان: فهو علم شريف، تظهر به فصاحة القرآن، وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائد فائقة، ونكتًا مستحسنة رائقة، وجعلنا في المقدمات بابًا في أدوات البيان؛ ليُفهم به ما يرد منها مفرقًا في مواضع^(١) من القرآن.



(١) في د: «مواضعه».

﴿الباب الخامس﴾

في أسباب الخلاف بين المفسرين
والوجوه التي نُرجَّحُ^(١) بها بين أقوالهم

★ فأما أسبابُ الخلاف فهي اثنا عشر:

الأول: اختلاف القراءات.

الثاني: اختلاف وجوه الإعراب؛ وإن اتفقت القراءة.

الثالث: اختلاف اللُّغويين في معنى الكلمة.

الرابع: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

الخامس: احتمال العموم أو الخصوص.

السادس: احتمال الإطلاق أو التقييد.

السابع: احتمال الحقيقة أو المجاز.

الثامن: احتمال الإضمار أو الاستقلال.

التاسع: احتمال كون الكلمة زائدةً أو غيرَ زائدةٍ.

العاشر: احتمال حمل الكلام على الترتيب، أو على التقديم والتأخير.

(١) في ج، هـ: «يترجح».

الحادي عشر: احتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً .
 الثاني عشر: اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ، وعن
 السلف رضي الله عنهم .

★ وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر :

الأول: تفسير بعض القرآن ببعض ؛ فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد
 بموضع آخر^(١) حملناه عليه ، ورجّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال .
 الثاني: حديث النبي ﷺ ؛ فإذا ورد عنه ﷺ تفسير شيء من القرآن عولنا
 عليه ، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح .

الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين ، فإن كثرة
 القائلين بالقول تقتضي ترجيحه .

الرابع: أن يكون القول قول من يُقتدى به من الصحابة ، كالخلفاء
 الأربعة ، وعبد الله بن عباس ؛ لقول رسول الله ﷺ : « اللهم فقهه في الدين
 وعلمه التأويل »^(٢) .

الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب ؛ من اللغة ، أو الإعراب
 أو التصريف ، أو الاشتقاق .

السادس: أن يشهد لصحة القول سياق^(٣) الكلام ، ويدلّ عليه ما قبله
 أو ما بعده .

(١) في ب ، ج ، هـ : « على أن المراد بعض آخر » ! .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٩٧) ، (٢٨٧٩) ، (٣٠٣٢) ، (٣١٠٢) .

(٣) في أ : « مساق » ، وفي الهامش : « خ : سياق » .

السابع: أن يكون ذلك المعنى هو المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليلٌ على ظهوره ورجحانه.

الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أولى أن يُحمَل عليها اللفظ عند الأصوليين.

وقد يترجَّح المجاز إذا كثر استعماله حتى يصير أغلب استعمالاً من الحقيقة، ويسمى مجازاً راجحاً، والحقيقة مرجوحة، وقد اختلف العلماء أيهما يقدَّم؟

فمذهب أبي حنيفة: تقديم الحقيقة؛ لأنها الأصل.

ومذهب أبي يوسف: تقديم المجاز الراجح؛ لرجحانه.

وقد يكون المجاز أفصح وأبرع، فيكون أرجح.

التاسع: تقديم العموم على الخصوص، فإن العموم أولى؛ لأنه الأصل، إلا أن يدلّ دليل على التخصيص.

العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدلّ دليل على التقييد.

الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار، إلا أن يدلّ دليل على الإضمار.

الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه، إلا أن يدلّ دليل على التقديم والتأخير.



﴿الباب السادس﴾

في ذكر المفسرين^(١)

★ اعلم أن السلف الصالح انقسموا على فرقتين:

فمنهم من فسّر القرآن، وتكلّم في معانيه، وهم الأكثرون.

ومنهم من توقّف عن الكلام فيه؛ احتياطاً؛ لما ورد من التشديد في ذلك؛ فقد قالت عائشة رضي الله عنها: «ما كان رسول الله ﷺ يفسّر من القرآن إلا آياتٍ بعددٍ، علّمه إياهنّ جبريل»^(٢)، وقال ﷺ: «من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ»^(٣).

وتأوّل المفسرون حديث عائشة رضي الله عنها بأنه في مُغَيَّيات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيفٍ من الله تعالى.

وتأولوا الحديث الآخر بأنه فيمن تكلّم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلّم بما^(٤) تقتضيه أدوات العلوم، ونظرَ في أقوال العلماء المتقدمين، فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢٢/١).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (١٢٣/٨)، والطبري في تفسيره (٧٨/١) وأعلّٰ إسناده، وحكم عليه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٤/١) بأنه حديث منكر.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢).

(٤) في ب: «فيما».

★ واعلم أنَّ المفسرين على طبقاتٍ :

فالطبقة الأولى : الصحابة رضي الله عنهم :

وأكثرهم كلامًا في التفسير : ابن عباس ، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس ويقول : «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق»^(١) ، وقال ابن عباس : «ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه»^(٢) .

ويتلوهما : عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت .

ثم : عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص .

وكلُّ ما جاء عن الصحابة من التفسير فهو حسنٌ مقبول .

والطبقة الثانية : التابعون :

وأحسنهم كلامًا في التفسير : الحسن بن أبي الحسن البصريُّ ،

وسعيد بن جبير ، ومجاهدٌ مولى ابن عباس ، وعلقمةٌ صاحب عبد الله بن مسعود .

ويتلوهم : عكرمة ، وقتادة ، والسُّدِّيُّ ، والضحاك بن مُزاحم ،

وأبو صالح ، وأبو العالية .

ثم حمل تفسير القرآن عُدولٌ كلَّ خَلَفٍ ، وألف الناس فيه ، كالمفضل^(٣) ،

(١) أخرجه الدينوري المالكي بإسناده في «المجالسة وجواهر العلم» (٢/٤١٥) .

(٢) لم أقف على إسناده ، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز (١/٢٣) بغير إسناد .

(٣) هو المفضل بن سلمة بن عاصم ، أبو طالب النحوي اللغوي الكوفي ، له كتاب =

وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والبخاري، وعلي بن أبي طلحة، وغيرهم. ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع أقوال المفسرين^(١)، وأحسن النظر فيها.

وممن صنف في التفسير أيضًا: أبو بكر النقاش^(٢)، والثعلبي^(٣)، والماوردي^(٤)، إلا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح، وقد استدرك الناس على بعضهم.

وصنف أبو محمد ابن قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه. وصنف في معاني القرآن جماعة من النحويين؛ كأبي إسحاق الزجاج^(٥)،

= «ضياء القلوب» في معاني القرآن، نيف وعشرون جزءًا، توفي بعد سنة (٢٩٠هـ).

انظر: السير، للذهبي (٣٦٢/١٤)، وطبقات المفسرين، للداودي (٣٢٨/٢).

(١) في د: «المتقدمين».

(٢) هو محمد بن الحسن محمد بن زياد بن هارون، إمام أهل العراق في القراءات والتفسير، صاحب تفسير «شفاء الصدور»، توفي سنة (٣٥١هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١٣٥/٢).

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، ويقال له: الثعالبي، وهو لقب لا نسب، صاحب تفسير «الكشف والبيان»، توفي سنة (٤٢٧هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٦٦/١).

(٤) هو علي بن محمد بن حبيب القاضي، أبو الحسن الماوردي البصري، صاحب تفسير «النكت والعيون»، توفي سنة (٤٥٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٤٢٧/١).

(٥) هو إبراهيم بن السري بن سهل، توفي سنة (٣١١هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (٤١١/١).

وأبي علي الفارسي^(١)، وأبي جعفر النحاس^(٢).

★ وأما أهل المغرب والأندلس:

فصنف القاضي مُنذِرُ بن سعيد البلوطي^(٣) كتابًا في غريب القرآن وتفسيره.

ثم صنف المقرئ أبو محمد مكِّي بن أبي طالب^(٤) كتاب الهداية في تفسير القرآن، وكتابًا في غريب القرآن، وكتابًا في ناسخ القرآن ومنسوخه، وكتابًا في إعراب القرآن، إلى غير ذلك من تواليفه؛ فإنها نحو ثمانين تأليفًا، أكثرها في علوم القرآن؛ من القراءات، والتفسير، وغير ذلك.

وأما أبو عمرو الداني^(٥) فتواليفه تنيف على مئة وعشرين، إلا أن أكثرها في القراءات، ولم يؤلف في التفسير إلا قليلًا.

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان، اتهم بالاعتزال، توفي سنة (٣٧٧هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/٤٩٦).

(٢) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المصري، توفي سنة (٣٣٨هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/٣٦٢).

(٣) هو منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي الأندلسي، أبو الحكم القاضي، توفي سنة (٣٥٥هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/٣٣٦).

(٤) هو مكِّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي، النحوي المقرئ، توفي سنة (٤٣٧هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/٣٣٧).

(٥) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، أبو عمرو الداني، توفي سنة (٤٤٤هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/٣٧٩).

وأما أبو العباس المهدوي^(١) فمُتَقِنُ التَّأْلِيفِ، حَسَنُ التَّرْتِيبِ، جَامِعٌ
لِفَنُونِ عُلُومِ الْقُرْآنِ.

ثم جاء القاضيان: أبو بكر بن العربي، وأبو محمد عبد الحق بن عطية،
فأبدع كل واحدٍ منهما وأجمل، واحتفل وأكمل.

فأما ابن العربي فصنف كتاب: «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع
لعُلُومِ الْقُرْآنِ، فلما تَلَفَ تَلَفَاهُ بكتاب: «قانون التأويل»^(٢) إلا أنه اخترمته
المنية قبل تخليصه وتلخيصه، وألَّفَ في سائر علوم القرآن تواليِفَ مفيدة.

وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسنُ التواليِفِ وأعدلُها، فإنه اَطَّلَعَ على
تواليِفٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ فهُذِبَها وَلُخِصَها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدّد
النظر، محافظٌ على السنة.

(١) هو أحمد بن عمار، أبو العباس المهدوي، نسبة إلى المهدية بالمغرب، ألفه التفسير
الكبير «التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، ثم اختصره في «التحصيل لفوائد كتاب
التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، توفي بعد سنة (٤٣٠هـ). انظر: طبقات المفسرين،
للدوادني (٥٦/١).

(٢) لابن العربي كتابان بهذا العنوان:

أحدهما: قانون التأويل في التفسير، وقد اختلف الباحثون في تسميته، واستظهر
بعضهم أن اسمه: «واضح السبيل إلى معرفة قانون التأويل بفوائد التنزيل»، وهذا هو
الكتاب الذي عناه ابن جزى.

والآخر: قانون التأويل، وهو جامع لفوائد شتى من عدة علوم، ولا يختص بالتفسير
وعُلُومِ الْقُرْآنِ، وهو مطبوع في مجلد بتحقيق د. محمد السليمانى. انظر: قسم الدراسة
الذي قدمه د. السليمانى لهذا الكتاب ص ١٢٤، ٣٩١.

ثم ختم علماء القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير^(١)، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطةً في علمه، وقوةً في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق.

★ ومما بأيدينا من تواليف أهل المشرق: تفسير أبي القاسم الزمخشري، وأبي الفضل الغزنوي^(٢)، وأبي الفضل ابن الخطيب^(٣).

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي، الجباني المولد، الغرناطي المنشأ، الأستاذ أبو جعفر، صاحب «ملاك التأويل» في المتشابه في القرآن وغيره من المصنفات، توفي سنة (٧٠٨هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢٧/١).

(٢) في أ، ب: «الغزنوني»، وفي ج، هـ: «القزويني» وهو تصحيف.
وهو محمد بن أبي يزيد طيفور السجائوندي الغزنوي، أبو عبد الله أو أبو الفضل، اختلفت المصادر في كنيته، المقرئ المفسر النحوي، له تفسير «عين المعاني في تفسير السبع المثاني»، و«الوقف والابتداء» وغيرهما، توفي سنة (٥٦٠هـ) على ما قاله الصفدي، وقد نقل عنه ابن جزى من تفسيره «عين المعاني» في أربعة مواطن: في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَجَسَتْ﴾، وفي الأنبياء عند قوله: ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، وفي المؤمنون عند قوله: ﴿هَيَاتَ﴾، وفي العلق عند قوله: ﴿أَرَبَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْأُفُقَيْنِ﴾، وهو أحد المصادر التي استمد منها ابن جزى مادة تفسيره، وتفسيره هذا حُقق في عدة رسائل علمية في جامعة الإمام. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢٠٦/١٢)، والوافي بالوفيات، للصفدي (١٤٧/٣)، وإنباه الرواة، للقفطي (١٥٣/٣)، والروض المعطار، للحميري (٤٢٨).

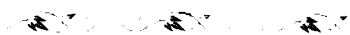
(٣) هو محمد بن عمر بن الحسين، الرازي، فخر الدين، صاحب تفسير «مفاتيح الغيب»، وكنيته أبو الفضل أو أبو عبد الله على اختلاف بين المصادر. توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٣٧/١٣)، وفیات الأعيان، لابن خلكان (٢٤٨/٤)، وأخبار العلماء، للقفطي (٢١٩).

فأما الزمخشري : فمسدّد النظر ، بارعٌ في الإعراب ، متقنٌ في علم البيان ؛
إلا أنه ملأ كتابه من مذاهب المعتزلة ونصرهم ، وحمل آيات القرآن على
طريقتهم ، فتكدر صفوه ، وتمرر حُلوه ، فخذ منه ما صفا ، ودع ما كدر .

وأما الغزنوي : فكتابته مختصرٌ جامع ، وفيه من التصوف نكتٌ بديعة .

وأما ابن الخطيب : فتضمّن كتابه ما في كتاب الزمخشري ، وزاد عليه
إشباع الكلام في قواعد علم الكلام ، ونمّقه بترتيب المسائل ، وتدقيق
النظر في بعض المواضع ، وهو على الجملة كتاب كبير الجرم ، وربما
يحتاج إلى تنخيل وتلخيص .

والله ينفع الجميع بخدمة كتابه ، ويجزيهم أفضل ثوابه .



﴿الباب السابع﴾

في النسخ والمنسوخ

النسخ في اللغة: هو الإزالة، أو النقل.

ومعناه في الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعد تقرُّره.

★ ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: نسخ اللفظ والمعنى، كقوله: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم»^(١).

والثاني: نسخ اللفظ دون المعنى، كقوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألَبَتَ نَكَالًا من الله والله عزيز حكيم»^(٢).

والثالث: نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير، وقع منه في القرآن على ما عدّه بعض العلماء^(٣) مئتا موضع، ثنتان وعشرة^(٤) مواضع منسوخة؛ إلا أنهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨٣٠) في ضمن حديث طويل من خطبة عمر رضي الله عنه وفيه: «.. ثم إننا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إن كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم..».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٨٥)، وأحمد في مسنده (٢١٢٠٧)، (٢١٥٩٦)، وابن ماجه (٢٥٥٣).

(٣) في ب، د: «بعضهم».

(٤) في د: «واثنان وعشرة».

عَدُّوا التخصيص والتقييد والاستثناء نسخًا!، وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروقٌ معروفة، وستكلم على ذلك في مواضعه.

* ونقدّم هنا ما جاء من نسخ مسالمة الكفار والعفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم؛ بالأمر بقتالهم؛ لِيُغْنِيَ ذلك عن تكراره في مواضعه، فإنه وقع منه في القرآن مئة آية وأربع عشرة آية، من أربع وخمسين سورة^(١):

★ (١-) ففي البقرة:

[١] ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [الآية: ٨٣].

[٢] ﴿وَلَنَا أَعْمَلُنَا﴾ [الآية: ١٣٩].

[٣] ﴿وَلَا تَسَدُّوْا﴾ [الآية: ١٩٠]؛ أي: لا تبدؤوا بالقتال.

[٤] ﴿وَلَا تُقْبِلُوهُمْ﴾ [الآية: ١٩١].

[٥] ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [الآية: ٢١٧].

[٦] ﴿لَا إِكْرَاهَ﴾ [الآية: ٢٥٦].

★ (٢-) وفي آل عمران:

[٧] ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾ [الآية: ٢٠].

(١) هذه المسألة استمدّها ابن جزّي رحمه الله من «عين المعاني» للغزنوي، بل هناك تطابق شبه تام بين النصين، غير أن ابن جزّي ذكر مئة وثلاث عشرة آية من ثلاث وخمسين سورة، حيث فات ابن جزّي ذكر الآية المئة والرابع عشرة من السورة الرابعة والخمسين التي ذكرها الغزنوي، وهي سورة التين، آية: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ الْخَكِيمِينَ﴾ (٨). انظر: «عين المعاني».

[٨] ﴿مِنْهُمْ نُّقَنَةٌ﴾ [الآية: ٢٨].

★ (٣-) وفي النساء:

[٩، ١٠] ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ في موضعين [الآية: ٦٣ و ٨١].

[١١] ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الآية: ٨٠].

[١٢] ﴿لَا تُكَلِّفْ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [الآية: ٨٤].

[١٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ [الآية: ٩٠].

★ (٤-) وفي المائدة:

[١٤] ﴿وَلَا ءَامِينَ﴾ [الآية: ٢].

[١٥] ﴿عَلَيْكَ الْبَلَّغُ﴾^(١).

[١٦] ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: ١٠٥].

★ (٥-) وفي الأنعام:

[١٧] ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: ٦٧].

[١٨] ﴿ثُمَّ ذَرَّهُمْ﴾ [الآية: ٩١].

[١٩] ﴿عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الآية: ١٠٤].

[٢٠] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ١٠٦].

(١) كذا ورد في الأصول الخطية!، والواقع أنه لا توجد في سورة المائدة آية بهذا اللفظ،

وإنما الذي في المائدة: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ [آية: ٩٢]، و﴿مَّا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾ [آية: ٩٩].

[٢١] ﴿عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [الآية: ١٠٧].

[٢٢] ﴿وَلَا تَسُبُّوا﴾ [الآية: ١٠٨].

[٢٣، ٢٤] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ في موضعين [الآية: ١١٢ و ١٣٧].

[٢٥] ﴿يَقَوْمٍ أَعْمَلُوا﴾ [الآية: ١٣٥].

[٢٦] ﴿قُلْ أَنْظِرُوا﴾ [الآية: ١٥٨].

[٢٧] ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الآية: ١٥٩].

★ (٦-) وفي الأعراف:

[٢٨] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ١٩٩].

[٢٩] ﴿وَأْمُلْ لَهُمْ﴾ [الآية: ١٨٣].

★ (٧-) وفي الأنفال:

[٣٠] ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ﴾ [الآية: ٧٢]؛ يعني: المعاهددين.

★ (٨-) وفي التوبة:

[٣١] ﴿فَأَسْتَفِيمُوا لَهُمْ﴾ [الآية: ٧].

★ (٩-) وفي يونس:

[٣٢] ﴿فَأَنْظِرُوا﴾ [الآية: ٢٠].

[٣٣] ﴿فَقُلْ لِي عَمَلٍ﴾ [الآية: ٤١].

[٣٤] ﴿وَإِنَّمَا نُرِيتَكَ﴾ [الآية: ٤٦].

[٣٥] ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [الآية: ٦٥]؛ لما يقتضي من الإمهال.

[٣٦] ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ﴾ [الآية: ٩٩].

[٣٧] ﴿فَمَنْ أَمْتَدَى﴾ [الآية: ١٠٨]؛ لأن معناه الإمهال.

[٣٨] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ [الآية: ١٠٩].

★ (١٠-) وفي هود:

[٣٩] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ [الآية: ١٢]؛ أي: تُنذِرُ ولا تُجبرُ.

[٤٠] ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾ [الآية: ١٢١].

[٤١] ﴿وَانْظُرُوا﴾ [الآية: ١٢٢].

★ (١١-) وفي الرعد:

[٤٢] ﴿عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ [الآية: ٤٠].

★ (١٢-) وفي الحجر:

[٤٣] ﴿ذَرَّهُمْ﴾ [الآية: ٣].

[٤٤] ﴿فَأَصْفَحْ﴾ [الآية: ٨٥].

[٤٥] ﴿لَا تَمْدَنْ﴾ [الآية: ٨٨].

[٤٦] ﴿أَنَا النَّذِيرُ﴾ [الآية: ٨٩].

[٤٧] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٩٤].

★ (١٣-) وفي النحل :

[٤٨] ﴿إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾ [الآية : ٣٥].

[٤٩] ﴿عَلَيْكَ أَلْبَلَعُ﴾ [الآية : ٨٢].

[٥٠] ﴿وَجَدَلَهُمْ﴾ [الآية : ١٢٥].

[٥١] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ [الآية : ١٢٧].

★ (١٤-) وفي الإسراء :

[٥٢] ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ [الآية : ٥٤].

★ (١٥-) وفي مريم :

[٥٣] ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ [الآية : ٣٩].

[٥٤] ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ [الآية : ٧٥].

[٥٥] ﴿فَلَا تَعْجَلْ﴾ [الآية : ٨٤].

★ (١٦-) وفي طه :

[٥٦] ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ﴾ [الآية : ١٣٥].

★ (١٧-) وفي الحج :

[٥٧] ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ﴾ [الآية : ٦٨].

★ (١٨-) وفي المؤمنين :

[٥٨] ﴿نَذَرَهُمْ﴾ [الآية : ٥٤].

[٥٩] ﴿أَدْفَعْ﴾ [الآية: ٩٦].

★ (١٩-) وفي النور:

[٦٠] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: ٥٤].

[٦١] ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾ [الآية: ٥٤].

★ (٢٠-) وفي النمل:

[٦٢] ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ [الآية: ٩٢].

★ (٢١-) وفي القصص:

[٦٣] ﴿لَنَّا أَعْمَلْنَا﴾ [الآية: ٥٥].

★ (٢٢-) وفي العنكبوت:

[٦٤] ﴿أَنَا نَذِيرٌ﴾ [الآية: ٥٠]؛ لما يقتضي من عدم الإِجبار.

★ (٢٣-) وفي الروم:

[٦٥] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ [الآية: ٦٠].

★ (٢٤-) وفي لقمان:

[٦٦] ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ [الآية: ١٢].

★ (٢٥-) وفي السجدة:

[٦٧] ﴿وَأَنْظِرْ﴾ [الآية: ٣٠].

★ (٢٦-) وفي الأحزاب:

[٦٨] ﴿وَدَعَّ أَدْنَاهُمْ﴾ [الآية: ٤٨].

★ (٢٧-) وفي سبأ:

[٦٩] ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونِي﴾ [الآية: ٢٥].

★ (٢٨-) وفي فاطر:

[٧٠] ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [الآية: ٢٣].

★ (٢٩-) وفي يس:

[٧١] ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ﴾ [الآية: ٧٦].

★ (٣٠-) وفي الصافات:

[٧٢] ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الآية: ١٧٤].

[٧٣] ﴿وَوَوَّلَ﴾ [الآية: ١٧٨].

[٧٤، ٧٥] وما يليهما [الآيتان: ١٧٥، ١٧٩].

★ (٣١-) وفي ص:

[٧٦] ﴿أَصِيرَ﴾ [الآية: ١٧].

[٧٧] ﴿أَنَا مُنذِرٌ﴾ [الآية: ٦٥].

★ (٣٢-) وفي الزمر:

[٧٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: ٣]؛ لما فيه من الإمهال.

[٧٩] ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [الآية: ١٥].

[٨٠] ﴿يَقَوْمِ اعْمَلُوا﴾ [الآية: ٣٩].

[٨١] ﴿فَمِنْ أَهْتَدَى﴾ [الآية: ٤١].

[٨٢] ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ﴾ [الآية: ٤٦]؛ لأن فيه تفويضا.

★ (٣٣-) وفي المؤمن :

[٨٣، ٨٤] ﴿فَاصْرِ﴾ في موضعين [الآية: ٥٥ و ٧٧].

★ (٣٤-) وفي السجدة :

[٨٥] ﴿أَدْفَعُ﴾ [فصلت، الآية: ٣٤].

★ (٣٥-) وفي الشورى :

[٨٦] ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَكِيلٍ﴾ [الآية: ٦].

[٨٧] ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا﴾ [الآية: ١٥].

[٨٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ [الآية: ٤٨].

★ (٣٦-) وفي الزخرف :

[٨٩] ﴿فَذَرَّهُمْ﴾ [الآية: ٨٣].

[٩٠] ﴿فَاصْفَحْ﴾ [الآية: ٨٩].

★ (٣٧-) وفي الدخان :

[٩١] ﴿فَارْتَقِبْ﴾ [الآية: ٥٩].

★ (٣٨-) وفي الجاثية:

[٩٢] ﴿يَغْفِرُوا﴾ [الآية: ١٤].

★ (٣٩-) وفي الأحقاف:

[٩٣] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ [الآية: ٣٥].

★ (٤٠-) وفي القتال:

[٩٤] ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ [الآية: ٤].

★ (٤١-) وفي ق:

[٩٥] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ [الآية: ٣٩].

[٩٦] ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ [الآية: ٤٥].

★ (٤٢-) وفي الذاريات:

[٩٧] ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الآية: ٥٤].

★ (٤٣-) وفي الطور:

[٩٨] ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ [الآية: ٣١].

[٩٩] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ [الآية: ٤٨].

[١٠٠] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ [الآية: ٤٥].

★ (٤٤-) وفي النجم:

[١٠١] ﴿فَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٢٩].

★ (٤٥-) وفي القمر :

[١٠٢] ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الآية : ٦] .

★ (٤٦-) وفي ن :

[١٠٣] ﴿فَاصْبِرْ﴾ [الآية : ٤٨] .

[١٠٤] ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ [الآية : ٤٤] .

★ (٤٧-) وفي المعارج :

[١٠٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾ [الآية : ٥] .

[١٠٦] ﴿فَذَرَّهُمْ﴾ [الآية : ٤٢] .

★ (٤٨-) وفي المزمل :

[١٠٧] ﴿وَأَهْجُرْهُمْ﴾ [الآية : ١٠] .

[١٠٨] ﴿وَذَرْنِي﴾ [الآية : ١١] .

★ (٤٩-) وفي المدثر :

[١٠٩] ﴿ذَرْنِي﴾ [الآية : ١١] .

★ (٥٠-) وفي الإنسان :

[١١٠] ﴿فَاصْبِرْ﴾ [الآية : ٢٤] .

★ (٥١-) وفي الطارق :

[١١١] ﴿فَمَهَلِ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية : ١٧] .

★ (٥٢-) وفي الغاشية :

[١١٢] ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الآية: ٢٢]^(١).

★ (٥٣-) وفي الكافرين :

[١١٣] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الآية: ٦].

★ نَسَخَ ذَلِكَ كُلَّهُ : ﴿فَأَقْضُوا الشُّرُوكَ﴾ [التوبة: ٥] ، و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦].



(١) في «عين المعاني» بعد هذه الآية : «(٥٤-) التين : [١١٤] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ الْخَكِيمِينَ﴾ (أ) معنى» .

﴿الباب الثامن﴾

في جوامع القراءات

★ وهي على نوعين: مشهورة، وشاذة.

- فالمشهورَةُ: القراءات السبع؛ وهي: حرف^(١) نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبي عمرو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم وحمزة والكسائي الكوفيّين.

ويجري مجراهم في الصحة والشُّهرة: يعقوبُ الحضرمي^(٢)، وابن محيِصن، ويزيدُ بن القَعْقَاع^(٣).

- والشاذَّة: ما سوى ذلك، وإنما سميت شاذةً؛ لعدم استفاضتها في النقل، وقد تكون فصيحَةً اللفظ و^(٤)قويَّة المعنى.

(١) في د: «حروف».

(٢) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي، قارئ أهل البصرة في عصره، توفي سنة (٢٠٥هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٩٤).

(٣) هو أبو جعفر يزيد بن القَعْقَاع المدني، اختلف في وفاته قيل: سنة (١٢٧هـ)، وقيل: (١٢٨هـ)، وقيل: (١٣١هـ)، وقيل: (١٣٢هـ)، وقيل: (١٣٣هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٤٠).

(٤) في ب، ج، هـ: «أو».

★ ولا يجوز أن يُقرأ بحرفٍ إلا بثلاثة شروط:

- ١- موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه.
 - ٢- وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه، أو في بعض اللغات.
 - ٣- ونقله نقلاً متواتراً، أو مستفيضاً.
- ★ واعلم أنَّ اختلاف القُرَّاء على نوعين: أصول، وفرش الحروف.
- فأما الفرش: فهو ما لا يرجع إلى أصل مطَّردٍ، ولا قانونٍ كليٍّ.

وهو على وجهين: اختلافٌ في القراءة:

باختلاف المعنى.

وباتِّفاق المعنى.

- وأما الأصول: فالاختلاف فيها لا يغيِّر المعنى.

وهي ترجع إلى ثمانِ قواعد:

الأولى: المدُّ، وهو في حروف المد الثلاثة، ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمز، و^(١)التقاء الساكنين.

الثانية: الهمزُ، وأصله التَّحْقِيقُ، ثم قد يخفَّفُ على سبعة أوجه:

إبدالٌ: واوٌ، وياءٌ، وألفٌ.

وتسهيلٌ: بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف.

وإسقاطٌ.

(١) في أ: «أو».

الثالثة: الإدغام والإظهار، والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام في المثلين، أو في المتقاربين، وفي كلمة، وفي كلمتين.

وهو نوعان:

إدغامٌ كبير، انفرد به أبو عمرو؛ وهو إدغام المتحرّك.

وإدغامٌ صغير، لجميع القراء، وهو إدغام الساكن.

الرابعة: الإمالة، وهي: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، والأصل الفتح.

ويوجبُ الإمالة: الكسر، أو الياء.

الخامسة: الترقيق والتفخيم.

والحروف على ثلاثة أقسام:

[١-] مفخّم في كل حال، وهي حروف الاستعلاء السبعة.

[٢-] ومفخم تارةً ومرقّق أخرى، وهي: الراء، واللام، والألف.

فأما الراء: فأصلها التفخيم، وترقق للكسر والياء.

وأما اللام: فأصلها الترقيق، وتفخم لحروف الإطباق.

وأما الألف: فهي تابعة في التفخيم والترقيق لما قبلها.

[٣-] والمرقق على كل حال: سائر الحروف.

السادسة: الوقف، وهو على ثلاثة أنواع:

[١-] سكونٌ، جائز في الحركات الثلاث.

[٢-] وروم في المضموم والمكسور .

[٣-] وإشمام في المضموم خاصة .

السابعة : مراعاة الخط في الوقف .

الثامنة : إثبات الياءات وحذفها ، وتسكينها ، وفتحها .



﴿الباب التاسع﴾

في المواقف

★ وهي أربعة أنواع: موقفٌ تامٌّ، وحسنٌ، وكافٍ، وقبيحٌ، وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى.

- فإن كان الكلام مفتقراً إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقر^(١) إليه كذلك = لم يجز الفصل بينهما، والوقف على الكلام الأول قبيح.

وذلك الفصل بين كلٍّ معمولٍ وعامله، وبين كلٍّ ذي خبرٍ وخبره، وبين كلٍّ ذي جوابٍ وجوابه، وبين كلٍّ ذي موصولٍ وصلته.

- وإن كان الكلام الأول مستقلاً يفهم دون الثاني، إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله = فالوقف على الأول كافٍ.

وذلك في التوابع والفضلات؛ كالحال، والتمييز، والاستثناء، وشبه ذلك.

إلا أن وصل الاستثناء المتصل أكد من المنقطع.

ووصل التوابع والحال إذا كانت اسماً مفرداً^(٢) أكد من وصلها إذا كانت جملةً.

(١) في ب، ج، هـ: «مفتقراً».

(٢) في أ: «اسماً مفردة»، وفي ب، د: «أسماء مفردات».

- وإن كان الكلام الأول مستقلاً والثاني كذلك :

فإن كانا في قصة واحدة : فالوقف على الأول حسنٌ .

وإن كانا في قصتين مختلفتين : فالوقف تامٌ .

وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب ، أو المعنى ، ولذلك اختلف الناس في كثير من المواقف ، ومن أقوالهم فيها راجحٌ ومرجوحٌ وباطلٌ .

وقد يُوقَفُ لبيان المراد ، وإن لم يتم الكلام .

★ تنبيهه : هذا الذي ذكرنا من رُعي الإعراب والمعنى في المواقف استقرَّ عليه العمل ، وأخذ به شيوخُ المقرئين .

وكان الأوائل يراعون رؤوسَ الآيات ، فيقفون عندها ؛ لأنها في القرآن كالقَفَر في النثر ، والقوافي في الشعر ، ويؤيد^(١) ذلك : ما خرَّجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها : « أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته ، يقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، ثم يقف ، ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ، ثم يقف^(٢) .



(١) في ج ، د : « ويؤكد » .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٢٧) .

﴿الباب العاشر﴾

في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان

★ أما الفصاحة: فلها خمسة شروط:

الأول: أن تكون الألفاظ عربيةً، لا مما أحدثه المولّدون، ولا مما غلّطت فيه العامة.

الثاني: أن تكون من الألفاظ المستعملة، لا من الوحشية المستثناة.

الثالث: أن تكون العبارة واقعةً على المعنى، مؤفّيةً له، لا قاصرةً عنه.

الرابع: أن تكون العبارة سهلةً، سالمةً من التعكير^(١).

الخامس: أن يكون الكلام سالمًا من الحشو الذي لا يُحتاج إليه.

★ وأما البلاغة: فهي سياق الكلام على حسب ما يقتضيه الحال والمقام؛ من الإيجاز والإطناب، ومن التهويل والتعظيم والتحقيق، ومن التصريح والكناية، والإشارة، وشبه ذلك، بحيث يَهْزُ النفوس، ويؤثّر في القلوب، ويقود السامع إلى المراد، أو يكاد.

★ وأما أدوات البيان: فهي صناعة البديع، وهي: تزين الكلام كما يزين العَلَمُ الثوب.

(١) في هامش ب: «التعقيد».

وقد وجدنا في القرآن منها : اثنين وعشرين نوعًا ، ونَبَّهنا على كل نوع في المواضع التي وقع فيها من القرآن ، ونذكر هنا أسماءها ، ونبين معانيها .
 - النوع الأول : المجاز ، وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له ،
 لعلاقة بينهما .

وهو اثنا عشر نوعًا :

[١-] التشبيه .

[٢-] والاستعارة .

[٣-] والزيادة .

[٤-] والنقصان .

[٥-] وتسمية المجاور باسم مجاوره .

[٦-] والمُلابس باسم مُلابسه .

[٧-] وإطلاق اسم الكلّ على البعض .

[٨-] وعكسه .

[٩-] وتسمية السبب باسم المسبّب .

[١٠-] وعكسه .

[١١-] والتسمية باعتبار ما يستقبل .

[١٢-] والتسمية باعتبار ما مضى ؛ وفي هذا خلافتٌ ، هل هو حقيقة

أو مجاز؟ .

وَاتَّفَقَ أَكْثَرُ^(١) أَهْلِ عِلْمِ اللِّسَانِ وَأَهْلِ الْأَصُولِ عَلَى وَقُوعِ الْمَجَازِ فِي الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ، وَعَادَةُ فَصَحَاءِ الْعَرَبِ اسْتِعْمَالُ الْمَجَازِ، وَلَا وَجْهَ لِمَنْ مَنَعَهُ؛ لِأَنَّ الْوَاقِعَ مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَحْصَى.

- النوع الثاني: الكناية، وهي العبارة عن الشيء بما يلازمه، من غير تصريح.

- الثالث: الالتفات، وهو على ستة أنواع:

[١، ٢]- خروج من التكلم إلى الخطاب، أو الغيبة.

[٣، ٤]- وخروج من الخطاب إلى التكلم، أو الغيبة.

[٥، ٦]- وخروج من الغيبة إلى التكلم، أو الخطاب.

- الرابع: التجريد، وهو: ذِكْرُ شَيْءٍ بَعْدَ انْدِرَاجِهِ فِي لَفْظٍ عَامٍ مُتَقَدِّمٍ.

والقصد بالتجريد: تعظيم المجرّد ذكره، أو تحقيره، أو رفع الاحتمال.

- الخامس: الاعتراض، وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين، كالخبر والمخبر عنه، والصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه، أو إدخاله في أثناء كلام متصل.

والقصد به: تأكيد الكلام الذي أُدرج فيه.

- السادس: التجنيس، وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى،

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، د، هـ.

ثم إن الاتفاق قد يكون :

في الحروف والصيغة .

أو في الحروف خاصة .

أو في أكثر الحروف لا في جميعها .

أو في الخط لا في اللفظ ، وهو تجنيس التصحيف .

- السابع : المطابقة^(١) ، وهي ذكر الأشياء المتضادة ؛ كالسواد والبياض ، والحياة والموت ، والليل والنهار ، وشبه ذلك .

- الثامن : المقابلة ، وهي أن تجمع بين شيئين فصاعداً ، ثم تقابلها بأشياء أخرى .

- التاسع : المشاكلة ، وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره ، لوقوعه في صحبته .

- العاشر : التردد ، وهو ردُّ أول الكلام على آخره ، ويسمى في الشعر : رد العجز على الصدر .

- الحادي عشر : لزوم ما لا يلزم ، وهو أن تلتزم قبل حرف الروي حرفاً آخر ، وكذلك^(٢) عند رؤوس الآيات .

- الثاني عشر : القلب ، وهو أن يكون الكلام يصح^(٣) ابتداءً قراءته من

(١) في ب : «الطباق» .

(٢) في ب ، د : «وذلك» .

(٣) في أ : «تصح» ، وفي ب : «يصلح» .

أوله وآخره، نحو: دعد، أو تُعكس كلماته فيقدّم المؤخر منها ويؤخر المقدم.

- الثالث عشر: التقسيم، وهو أن تقسم المذكور إلى أنواعه، أو^(١) أجزائه.

- الرابع عشر: التّميم، وهو أن تزيد في الكلام ما يوضحه أو يؤكد، وإن كان مستقلاً دون هذه الزيادة.

- الخامس عشر: التّكرار، وهو أن تضع الظاهر موضع المضمّر، فتكرّر الكلمة على وجه: التعظيم، أو التهويل، أو لمّح المذكور، أو ذمّه، أو للبيان.

- السادس عشر: التهكّم، وهو إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاء بالمخاطب، أو بالمخبر عنه، كذكر البشارة في موضع النّذارة.

- السابع عشر: اللفّ والنشر، وهو أن تُلَفّ في الذكر شيئين فأكثر، ثم تذكر متعلّقات بها^(٢).

وفيه طريقتان:

[١-] أن تبدأ في ذكر المتعلّقات بالأول.

[٢-] وأن تبدأ بالآخر.

(١) في أ، د: «و».

(٢) في أ: «متعلقاتها»، وفي الهامش: «خ: متعلقات بها».

- الثامنُ عشر: الجمع، وهو: أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبرٍ واحد، وفي وصفٍ واحد، وشبه ذلك.

- التاسعُ عشر: التَّرصيع، وهو أن تكون الألفاظ في آخر الكلام مستوية الوزن، أو متقاربةً مع الألفاظ التي في أوله.

- الموقفي عشرين: التَّسجيع، وهو أن تكون كلمات الآية على رويِّ حرفٍ واحد.

- الحادي والعشرون: الاستطراد، وهو أن تتطَرَّق من كلامٍ إلى كلامٍ آخرَ بوجهٍ يصلُّ ما بينهما، ويكون الكلام الثاني هو المقصود، كخروج الشاعر من النَّسِيب إلى المدح بمعنى يتعلق بالطرفين، مع أنه إنما قصد المدح.

- الثاني والعشرون: المبالغة.

وقد تكون بصيغة الكلمة، نحو: صيغة فَعَّال ومِفعَال.

وقد تكون بالمبالغة في الإخبار أو الوصف.

فإن اشتدَّت المبالغة فهي غلوٌ وإغراق، وذلك مستكرهٌ عند أهل هذا الشأن.



﴿الباب الحادي عشر﴾

في إعجاز القرآن وإقامة الدليل

على أنه من عند الله ﷻ

★ ويدلُّ على ذلك عشرةُ وجوه:

- الأول: فصاحته التي امتاز بها عن كلام^(١) المخلوقين.
- الثاني: نظمُه العجيب، وأسلوبه الغريب، من مقاطع آياته، وفواصل كلماته.
- الثالث: عجزُ الخلق في زمان نزوله وبعدَ ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله.
- الرابع: ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ولم يكن النبي ﷺ تعلمَ ذلك ولا قرأه في كتاب.
- الخامس: ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلَة؛ فوقعت على حسب ما قال.
- السادس: ما فيه من التعريف بالباري ﷻ، وذكر صفاته وأسمائه، وما يجوز عليه وما يستحيل عليه، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة

(١) في د: «عن غيره من كلام...».

البراهين القاطعة، والحجج الواضحة، والردّ على أصناف الكفار، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحى من العليم الخبير، ولا يشكُّ عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم، ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم.

- السابع: ما شرع فيه من الأحكام، وبين^(١) من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غاية الحكمة وثمره العلوم.

- الثامن: كونه محفوظًا عن الزيادة والنقصان، محروسًا عن التبديل والتغيير على تناول الأزمان، بخلاف سائر الكتب.

- التاسع: تيسيره للحفظ؛ وذلك معلومٌ بالمعاينة.

- العاشر: كونه لا يملّه قارئه ولا سامعه على كثرة الترداد، بخلاف سائر الكلام.



(١) في زيادة: «فيه».

﴿الباب الثاني عشر﴾

في فضائل القرآن

وإنما نذكر منها: ما ورد في الحديث الصحيح.

- فمن ذلك: ^(١) عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» ^(٢).

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويتعتع فيه وهو عليه شاقٌ له أجران» ^(٣).

- وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة؛ ليس لها ريح وطعمها مرٌّ» ^(٤).

- وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «استذكروا القرآن

(١) في د زيادة: «ما ورد».

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٣) أخرجه مسلم (٧٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧) واللفظ له.

فلهو أشدُّ تفضيلاً من صدور الرجال من النعم بعقلها»^(١).

- وعن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلّم القرآن وعلمه»^(٢).

- وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين»^(٣).

- وعن ابن عباس قال: «بينما جبريل قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، قال هذا بابٌ من السماء فتح اليوم ولم يفتح قطُّ إلا اليوم، فنزل منه ملكٌ فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطُّ إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيُّ قبلك؛ فاتحة الكتاب، وخواتم سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منهما إلا أُعطيته»^(٤).

- وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفتاه»^(٥).

- وعن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: «اقرأوا البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة»^(٦).

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٣) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٦).

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧).

(٦) سبق تخريجه، وهو جزء من حديث أبي أمامة أول حديث أورده المؤلف في هذا الباب.

- وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفرُّ من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»^(١).

- وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر!، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر!، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، قال: فضرب في صدري وقال: لِيَهِنَكَ الْعِلْمُ يا أبا المنذر»^(٢).

- وعن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تَقْدُمُهُ سورة البقرة وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهما^(٣) بعد، قال: «كأنهما غمامتان، أو ظِلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ»^(٤)، أو كأنهما فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»^(٥).

- وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»^(٦).

(١) أخرجه مسلم (٧٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٨١٠).

(٣) في ب، ج، د، هـ: «ما نسيتهما»، وفي الرواية في مسلم: «ما نسيتهن».

(٤) أي: ضوء، وهو الشمس. انظر: النهاية لابن الأثير (٢١٣٨/٥).

(٥) أخرجه مسلم (٨٠٥).

(٦) أخرجه مسلم (٨٠٩).

- وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ».

- وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتُ أَنْزَلَتْ عَلَيَّ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؛ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»^(٢).



(١) أخرجه مسلم (٨١١).

(٢) أخرجه مسلم (٨١٤).

﴿ المقدمة الثانية ﴾

في تفسير معاني اللغات

نذكر في هذه المقدمة الكلمات التي يكثر دَوْرُها في القرآن، أو تقع فيه في موضعين فأكثر، من الأسماء والأفعال والحروف.

★ وإنما جمعناها^(١) في هذا الباب لثلاث فوائد:

- إحداها: تيسيرها للحفظ؛ فإنها وقعت في القرآن متفرقةً، فجمعناها أسهل لحفظها.

- والثانية: ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير، كما أن تواليف القراءات جمعت فيها الأصول المطردة والكثيرة الدور.

- والثالثة: الاختصار، فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن؛ خوف التطويل بتكرارها.

وربما نبهنا على بعضها؛ للحاجة إلى ذلك.

ورتبناها في هذا الباب على حروف المعجم، فمن لم يجد تفسير كلمة في موضعها من القرآن فلينظرها في هذا الباب.

(١) في ب، ج، د: «جعلناها».

واعتبرنا في هذه الحروف الحرف الذي يكون فاء الكلمة وهو الأصلي،
دون الحروف الزوائد في أول الكلمات^(١).



(١) ثمة تشابه، إلى حد كبير، في شرح الكلمات الغريبة وتعداد معانيها بين مادة الغريب لابن جزي هنا وبين «تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» لأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)، وهما متعاصران، ومن بلدة واحدة، وكلاهما من تلاميذ أبي جعفر ابن الزبير الغرناطي، ومقارنة سريعة بين غريب ابن جزي وغريب أبي حيان في باب واحد توصل إلى هذه النتيجة، يبد أن ابن جزي اقتصر - في المقدمة - على شرح الكلمات الغريبة التي تكررت في القرآن مرتين فأكثر، وأما أبو حيان فشرح كل كلمة غريبة ولو جاءت في القرآن في موضع واحد، فلعلهما استمدا مادتهما في كتابيهما من كتاب واحد رجعا إليه جميعا!.

﴿حرف الهمزة﴾^(١)

١- آية : لها معنيان :

أحدهما : عبرة وبرهان .

والثاني : آية من القرآن ، وهي كلام متّصل إلى الفاصلة ، والفواصل : هي رؤوس الآيات .

٢- أتى بقصر الهمزة : معناه : جاء ، ومضارعه : يأتي ، ومصدره : إتيان ، واسم الفاعل منه : آتٍ ، واسم المفعول منه : مأتًى ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿وَعَدُّ مَائِيًّا﴾ [مريم : ٦١] .

(١) يلاحظ المطالع لهذه المقدمة في اللغات أن ترتيب حروف الهجاء فيها يختلف عما هو سائد ومألوف عند المشاركة ، وذلك لأن المؤلف ﷺ اتبع طريقة أهل جهته المغاربة في ترتيب حروف الهجاء ، فالمغاربة والمشاركة يتحدون في ترتيب الحروف الهجائية المفردة إلى حرف الزاي ثم بعد ذلك يحصل خلاف بينهم في ترتيب بقيّة الحروف ، يقول القلقشندي في «صبح الأعشى» (٢٢/٣) : «واعلم أن ترتيب الحروف على ضربين : مفرد ومزدوج ، وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب ، أما المفرد : فأهل الشرق يرتّبونه على هذا الترتيب :

أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، لا ، ي .

وأما أهل الغرب فإنهم يرتّبونه على هذا الترتيب :

أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ك ، ل ، م ، ن ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، س ، ش ، هـ ، و ، لا ، ي .

٣- وآتى بمد الهمزة: معناه: أعطى، ومضارعه: يؤتي، ومصدره: إيتاء، واسم الفاعل: مؤتٍ؛ ومنه: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢].

٤- أبى يأبى: أي: امتنع.

٥- أثر الشيء: بقيته وأمارته، وجمعه: آثار.

والأثر -أيضاً-: الحديث.

﴿أَشْرَفَ مَنْ عَلِمَ﴾ [الأحقاف: ٤]: بقيّة.

﴿وَأَثَرُوا الْأَرْضَ﴾ [الروم: ٩]: حرثوها.

وآثر الرجل الشيء يؤثره: أي: فضّله.

٦- إثم: ذنب؛ ومنه: ﴿إِثْمٌ﴾ و﴿أَيْثِمٌ﴾ أي: مذنب.

٧- أجّر: ثواب.

وبمعنى: الأجرة؛ ومنه: ﴿أَسْتَجِرُّهُ﴾ [الفصص: ٢٦]، و﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾

[الفصص: ٢٧].

وأمّا: ﴿أَسْتَجَارَكَ فَاجِرُهُ﴾ [التوبة: ٦] و﴿وَيُجْرِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١]

و﴿لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن: ٢٢] و﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]

= فذلك كله من الجوار؛ بمعنى: التّأمين.

٨- آمن إيماناً أي: صدّق.

والإيمان في اللغة: التصديق مطلقاً.

وفي الشرع: التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

والمؤمن في الشرع: المصدق بهذه الأمور.

والمؤمن اسم الله تعالى:

أي: المصدق لنفسه.

وقيل: إنه من الأمن، أي: يؤمن أوليائه من عذابه^(١).

٩- وأمن - بقصر الهمزة وكسر الميم - أمنا وأمنة: ضد الخوف.

وأمن - أيضا - : من الأمانة.

وأمن غيره: من التأمين.

١٠- أليم: مؤلِّم أي: موجع؛ ومنه: ﴿تَأْلُمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله تَعْلَمُ: «الإيمان في اللغة: التصديق مطلقاً»، أقول:

هذا هو المشهور عند اللغويين وجمهور المفسرين، وهذا التفسير للإيمان أشهر ما احتج به المرجئة القائلون بأن الإيمان هو التصديق، يعنون به تصديق القلب، والقول بأن الإيمان هو التصديق مطلقاً، يقتضي أن كل تصديق إيمان، وخالف في ذلك الإمام ابن تيمية رحمته فقال: الإيمان في اللغة تصديق خاص، وهو التصديق فيما يؤتمن عليه المخبر؛ كالأخبار عن الأمور الغائبة، فلا يقال لمن صدق مخبراً عن طلوع الشمس: آمن له، بل صدقه؛ لأن طلوع الشمس من الأمور الحسية الظاهرة.

وقوله: «والإيمان في الشرع: هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»، أقول: نعم هذا هو الإيمان في الشرع بمعناه الخاص المتعلق بالاعتقاد، ويطلق الإيمان في الشرع إطلاقاً عاماً يشمل جميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة، يدل لذلك قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبه، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»، وفي الحديث رد على المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان. وعلى ذلك فيكون الإيمان بمعناه العام اسماً لكل ما شرعه الله من الاعتقادات والأعمال والأقوال، ولذا قال أهل السنة: الإيمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان.

١١- إمام : له أربعة معان :

[١] القدوة .

[٢] والكتاب .

[٣] والطريق .

[٤] وجمع «آم» أي : تابع ؛ وهو : ﴿لِلْمُنَقِبِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان : ٧٤] .

١٢- أُمَّة : لها أربعة معان :

[١] الجماعة من الناس .

[٢] والدين .

[٣] والحين .

[٤] والإمام ؛ أي : القدوة .

١٣- أُمِّيٌّ : لا يقرأ ولا يكتب ؛ ولذلك وصف العرب بالأُمِّيِّين .

١٤- أُمٌّ : لها معنيان :

[١] الوالدة .

[٢] والأصل .

وأم القرى : مكة .

١٥- أُخْرَى : مؤنثة : آخِر ، وآخِر .

١٦- آل : له معنيان :

[١] الأهل ؛ ومنه : ﴿ءَالُ لُوطٍ﴾ [الحجر : ٦١] .

[٢] والأتباع والجنود؛ ومنه: ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٥٠].

١٧- أمس: اليوم الذي قَبْلَ يومِك.

والزمانُ الماضي.

١٨- إِنَاهُ: وقته، وجمعه: آنَاءٌ؛ ومنه: ﴿ءَانَاءُ اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٩].

١٩- أَمْرٌ: له معنيان:

أحدهما: طلب الفعل على الوجوب، أو الندب، أو الإباحة.

وقد تأتي صيغة الأمر لغير الطلب، كالتهديد، والتعجيز، والتعجب، والخبر.

والثاني: بمعنى الشأن والصفة.

وقد يراد به العذاب؛ ومنه: ﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [مرد: ٥٨].

٢٠- إسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وهو والد الأسباط، واليهود من ذريتهم.

٢١- إِيَابٌ: رجوع؛ ومنه: ﴿مَتَابٍ﴾ أي: مرجع.

و«رجلٌ أَوَابٌ»: كثيرُ الرجوع إلى الله.

والتأويب: التسبيح؛ ومنه: ﴿يَجِبَالُ أَوِيٍّ﴾ [سبا: ١٠].

٢٢- إِفْكٌ: أشدُّ الكذب، والأفَّاك: الكذاب.

وَأَفِكَ الرجلُ عن الشيء: أي: صُرِفَ عنه؛ ومنه: ﴿تُؤَفِّكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

٢٣- أوى الرجلُ إلى الموضع -بالقصر- .

وآواه غيره -بالمد- ؛ ومنه : ﴿الْمَأْوَى﴾ [النازعات : ٣٩] .

٢٤- أُفَّ : كلمة شرٌّ .

٢٥- آلاءُ الله : نِعْمُهُ ؛ ومنه : ﴿آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا﴾ [الرحمن : ١٣] .

٢٦- أَسِيفٌ : له معنيان :

[١] الحُزْنُ .

[٢] والغضب ؛ ومنه : ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف : ٥٥] .

٢٧- إسوة -بكسر الهمزة وضمها- : قُدوة .

٢٨- أَسِيَ الرجلُ يَأْسِي أَسًا : أي : حَزِنَ ؛ ومنه : ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ [المائدة : ٢٦] و﴿فَكَيْفَ ءَاسَى﴾ [الأعراف : ٩٣] .

٢٩- أَذَانٌ -بالقصر- : إعلامٌ بالشيء ؛ ومنه الأذان بالصلاة .

والأذان -بالمد- : جمع أذُنٍ .

٣٠- أَذِنَ اللهُ : يَأْتِي بمعنى : العلم ، والأمر ، والإرادة ، والإباحة .

وَأَذِنْتُ بالشيء : عَلِمْتُ^(١) به -بكسر الذال- .

وَأَذَنْتُ به غيري -بالمد- .

٣١- إِضْرٌ : له معنيان :

[١] الثَّقُلُ .

(١) في ب، د : «أعلمتُ» .

[٢] والعَهْدُ.

٣٢- أَيْدٌ: قوة؛ ومنه: ﴿وَأَيْدَتْهُ﴾ [البقرة: ٨٧] و﴿بَيْنَ يَدَيْهَا يَأْتِي﴾ [الذاريات: ٤٧].

والأيدي: جمع يدٍ، فهمزتها زائدة.

٣٣- أَكَلٌ -بضم الهمزة-: اسم المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها.

والأَكْلُ -بفتح الهمزة-: المصدر.

٣٤- أَيْكَةٌ: غَيْضَةٌ.

٣٥- أَثَاثٌ: متاع البيت.

٣٦- أَجَااجٌ: مُرٌّ.

٣٧- أَرَاثُكُ: أَسِرَّةٌ، واحدها: أَرِيكَةٌ.

٣٨- أَنِيَّةٌ: له معنيان:

[١] جمعُ إِنْاءٍ؛ ومنه: ﴿بَيِّنَاتٍ مِّنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥].

[٢] وشديدة الحرِّ؛ ومنه: ﴿عَيْنٍ أَيْنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥].

ووزن الأول: أَفْعِلَةٌ، والثاني: فاعِلَةٌ، ومذكَّرها: آنٍ؛ ومنه: ﴿حَمِيمٍ﴾ [الرحمن: ٤٤].

٣٩- أَحَدٌ: له معنيان:

[١] واحدٌ؛ ومنه: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

[٢] واسمُ نفِيٍّ، بمعنى: إنسان.

٤٠- أَيْآنَ: معناه: متى .

٤١- أَيْ: بمعنى: كيف، ومتى، وأين .

٤٢- إِنَّ المكسورة المشددة: للتأكيد .

والمفتوحة المشددة: مصدرية .

٤٣- إِنَّمَا: للحصر .

٤٤- إِنَّ المكسورة المخففة: أربعة أنواع:

[١] شرطية .

[٢] ونافية .

[٣] وزائدة .

[٤] ومخففة من الثقيلة .

٤٥- أَنَّ المفتوحة المخففة: أربعة أنواع:

[١] مصدرية .

[٢] وزائدة .

[٣] ومخففة من الثقيلة .

[٤] وعبارة عن القول .

٤٦- إِذَا: نوعان:

[١] ظرفُ زمانٍ مستقبلٍ، ومعناها الشرط، وقد تخلو عن الشرط .

[٢] وفجائية .

٤٧- إذ: لها معنيان :

[١] ظرفُ زمان ماضٍ .

[٢] وسببٌ للتعليل .

٤٨- أو :

[أ-] العاطفةُ : لها خمسة معان :

[١] الشكُ .

[٢] والإبهام .

[٣] والتخيير .

[٤] والإباحة .

[٥] والتنويع ^(١) .

[ب-] والناصبَةُ للفعل : بمعنى : «إلى أن»، أو : «إلا أن»، أو : «كي» .

٤٩- أم : استفهامٌ، وقد يكون فيها معنى ^(٢) الإنكار، أو الإضراب .

وتكون :

متصلةٌ ؛ للمعادلة بين ما قبلها وما بعدها .

ومنفصلةٌ مما قبلها .

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ .

(٢) في ب : «وقد يكون بمعنى» .

٥٠- إمَّا المكسورة المشددة: للتنوين، والشك، والتخيير.

وقد تكون مركبةً مِنْ «إِنْ» الشرطية و«مَا» الزائدة.

٥١- أمَّا المفتوحة المشددة: للتقسيم، والتفصيل.

٥٢- أَلَا المفتوحة المخففة: للتنبيه، والاستفتاح، والتوبيخ، والعَرَض، والتمني.

٥٣- إِلَّا المكسورة المشددة: استثناءً.

وتكون للإيجاب بعد غير الواجب.

وتكون مركبةً مِنْ «إِنْ» الشرطية و«لَا» النافية.

٥٤- أَيُّ المشددة: سبعة أنواع:

[١] شرطية.

[٢] واستفهامية.

[٣] وموصولة.

[٤] ومنادى.

[٥] وصفة.

[٦] وظرفية إذا أُضيفت إلى ظرف.

[٧] ومصدرية إذا أُضيفت إلى مصدر.

٥٥- إِيَّ المكسورة المخففة: معناها: التصديق.

٥٦- إلى : معناها : انتهاء الغاية .

وقد^(١) تكون بمعنى «مع» .

٥٧- الهمزة : للاستفهام ، والتقدير ، والتوبيخ ، والنداء ، والتسوية ،
وللمتكلم ، وأصلية ، وزائدة ؛ للبناء .



(١) في أ ، ب : «وقيل» .

﴿حرف الباء﴾

٥٨- بَارِئٌ: خَالِقٌ، ومنه: ﴿الْبَرِيَّةُ﴾ [اليئة: ٦] أَي: الخلق.

٥٩- بَعَثٌ: له معنيان:

[١] بَعَثُ الرسل.

[٢] وبعث الموتى من القبور.

٦٠- بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ: وَسَّعَهُ، وَضَدَهُ: قَبَضَ وَقَدَّرَ الرِّزْقَ أَي: ضَيَّقَهُ.

ومن أسماء الله تعالى: القابض والباسط.

و﴿بَسْطَةً﴾: زيادةً.

٦١- بَشَّرَ: مِنَ الْبَشَارَةِ، وَهِيَ: الْإِعْلَامُ بِالْخَيْرِ قَبْلَ وُرُودِهِ.

وقد تكون للشرِّ إِذَا ذُكِرَ معها.

ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف، ومنه: الْمُبَشِّرُ وَالْبَشِيرُ.

واستبشِّرَ بِالشَّيْءِ: فرح به.

٦٢- بُعِدَ: له معنيان:

[١] ضِدُّ الْقُرْبِ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ: بُعِدَ -بِضْمِ الْعَيْنِ-.

[٢] والهلاك، والفعل منه: بكسرها، ومنه: ﴿كَمَا بَعَدَتْ نُمُودٌ﴾

[مود: ٩٥].

٦٣- بلاءٌ: له معنيان:

[١] العذاب.

[٢] والاختبار، ومنه: ﴿أَبْتَلَى﴾ [البقرة: ١٢٤] و﴿وَبَلَّوْكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٦٤- برٌّ: له معنيان:

[١] الكرامة، ومنه: بر الوالدين، و﴿أَنْ تَبَرُّوهُمَا﴾ [المتحنة: ٨].

[٢] والتَّقْوَى والجمع لخصال الخير، ومنه: ﴿الْبِرِّ مِنْ أَتَقَى﴾

[البقرة: ١٨٩].

ورجل بارٌّ وبرٌّ، وجمعه^(١): أبرار.

والبرُّ: من أسماء الله تعالى.

٦٥- بات: معروفٌ، ومصدره بَيَاتٌ.

وبيَّت الأمر: دَبَّرَه بالليل.

٦٦- بغتةً: فجأةً.

٦٧- بُروج: جمع بُرْج، وهو الحصن.

وبروج السماء: منازل الشمس والقمر.

(١) في ب، ج، هـ: «والجمع».

٦٨- بَيْنَ : ظرفٌ .

وبين يدي الشيء : ما تقدّم قبله .

والْبَيْنُ : الفراق والاجتماع ؛ لأنه من الأضداد .

٦٩- بَيِّنَاتٌ : براهين من المعجزات وغيرها .

ومبيّنة : من البيان .

٧٠- مُبِينٌ^(١) : من البيان ، وله معنيان :

[١] بَيِّنٌ غير متعدي .

[٢] ومبيّنٌ لغيره .

٧١- بدا يبدو - بغير همز- : ظَهَرَ ، وأبديته : أظهرته .

والبادي -أيضاً- : من البادية ، ومنه : ﴿بَادُوكَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ [الأحزاب: ٢٠]

٧٢- بدأ - بالهمز- : من الابتداء ، ويقال : بدأ الله^(٢) الخلق ، وأبدأه .
وقد جاء القرآن بالوجهين .

٧٣- بَغَى : له معنيان :

[١] العدوان على الناس .

[٢] والحسد .

والبِغَاء -بكسر الباء- : الزَّنا ، ومنه : امرأةٌ بَغِيٌّ أي : زانية .

(١) في هـ : «بَيْن» .

(٢) اسم الله لم يرد في ب ، ج ، د ، هـ .

وابتغى الشيء وبغاه: أي: طلبه.

٧٤- بثّ الحديث وغيره: نشره.

و﴿الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]: المنتشر.

و﴿مَبْثُوثُهُ﴾ [الغاشية: ١٦]: متفرقة.

والبثّ: الحُزْنُ الشديد؛ ومنه: ﴿أَشْكُوا بَنِي﴾ [يوسف: ٨٦].

٧٥- بَوَّأ: أنزل الرجل منزلاً؛ ومنه: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٧٤]

و﴿لَنَبْوِّنَّهُمْ﴾ [النحل: ٤١]، و﴿مُبَوَّأ﴾ [يونس: ٩٣].

٧٦- بوارّ: هلاكٌ؛ ومنه: ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨] أي: هلكى.

٧٧- باء بالشيء: رجع به.

وقد يقال بمعنى: اعترف.

٧٨- بأساء: الفقر.

والبؤس: الشدة والمحنة.

و﴿الْبَاسِ الْفَقِيرِ﴾ [الحج: ٢٨]: من البؤس.

والبأس: القتال، والشجاعة، والمكره.

وبأس الله: عذابه.

ويئس: كلمة ذمّ.

٧٩- برزخ: شيء بين شيئين.

والبرزخ: ما بين الموت والقيامة.

٨٠- بديع: له معنيان:

[١] جميل.

[٢] ومبدع أي: خالق الشيء ابتداءً.

٨١- بسر: عبس، ومنه: ﴿بَاسِرَةً﴾ [القيامة: ٢٤].

٨٢- بصير: من البصر، يقال: أبصرته، وبصرتُ به^(١).

والبصائر: البراهين، جمع بصيرة.

٨٣- برز: ظهر؛ ومنه: ﴿بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، و﴿بَرِزُونَ﴾ [غافر: ١٦].

٨٤- بطش: أخذ بشدة.

٨٥- بخس: نقص.

٨٦- بعل: له معنيان:

[١] زوج المرأة، وجمعه: بُعُولَةٌ.

[٢] والبعل - أيضًا - : الربُّ، وقيل: اسم صنم؛ ومنه: ﴿أَنذَعُونَ بَعْلًا﴾

[الصافات: ١٢٥].

٨٧- بهجة: حُسن، وبهيج: حُسن.

٨٨- مبلسون: جمع مبلِس، وهو:

اليائس.

(١) في ج، هـ: «بصرته، وأبصرت به».

وقيل : الساكت الذي انقطعت حجته .

وقيل : الحزين النادم ؛ ومنه : ﴿يُلِيسُ﴾ [الروم : ١٢] .

ومنه اشتقَّ : إبليس .

٨٩- بُهت : انقطعت حجته .

٩٠- تبارك : من البركة ، وهي الكثرة والنماء .

وقيل : تقدَّس .

٩١- بلى : جوابٌ يقتضي إثبات الشيء .

٩٢- بل : معناها : الإضرابُ عمَّا قبلها .

٩٣- الباء : للإلصاق ، ولنقلِ الفعل في التعدي ، وللقسم ، وللتعليل ، وللمصاحبة ، وللاستعانة ، وظرفيةً ، وزائدةً .



﴿ حرف التاء ﴾

٩٤- تَلَا يَتْلُو : له معنيان :

[١] قرأ .

[٢] وتبع .

٩٥- تقوى : مصدرٌ مشتقٌّ من الوقاية ، فالتاء بدل من واو .

ومعناه : الخوفُ ، والتزامُ طاعة الله ، وتركُ معاصيه ؛ فهو جماع كلِّ خير .

٩٦- تاب يتوب : رجع ، توبةً وتوباً ؛ فهو تائب .

وتَوَّاب : كثير التوبة .

وتَوَّاب : اسم الله تعالى أي : كثير التوبة على عباده .

وتاب الله على العبد :

ألهمه للتوبة^(١) .

أو قَبِلَ توبته .

٩٧- تَبَابٌ : خسران ، وتَبَّ : خسر .

٩٨- تَبَارٌ : هلاكٌ ؛ ومنه : ﴿ مُتَبَرِّئٌ ﴾ [الأعراف : ١٣٩] .

(١) في د : «التوبة» .

٩٩- أترفوا: نُعموا، والمترَفون: المنعمون^(١) في الدنيا.



(١) في د: «المتنعمون».

﴿ حرف الثاء ﴾

١٠٠- ثمود: قبيلة من العرب الأقدمين.

١٠١- ثوى في الموضع: أقام فيه، ومنه: ﴿مَثْوَى﴾.

١٠٢- تُبُورٌ: هلاكٌ؛ ومنه: ﴿مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، و﴿دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣] أي صاحوا: واهلاكاه^(١).

١٠٣- ثمر: ما يؤكل مما تُنبت^(٢) الأرض.

ويقال بالفتح والضم.

١٠٤- تُقِفُوا: أخذوا، وظُفِرَ بهم؛ ومنه: ﴿فَإِمَّا تَقَفَّيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧].

١٠٥- ثاقب: مضيء.

١٠٦- ثَمَّ:

[أ-] بالفتح: ظرف.

[ب-] وبالضم: حرف عطف يقتضي الترتيب والمهلة.

وقد يرد لغير الترتيب، كالتأكيد، وترتيب الإخبار.



(١) في ب، ج، د، هـ: «هلاكا».

(٢) في ب، ج، هـ: «تنبت».

﴿ حرف الجيم ﴾

١٠٧- جَعَلَ : لها أربعة معانٍ :

[١] صَيَّرَ .

[٢] وأَلْقَى .

[٣] وَخَلَقَ .

[٤] وَأَنشَأَ يفعل كذا .

١٠٨- جَنَاحُ الطائرِ : معروف .

وَجَنَاحُ الْإِنْسَانِ : يُطَه ، ومنه : ﴿وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢] .

و﴿لَا جُنَاحَ﴾ [البقرة: ٢٣٦] : لا إثم ؛ فمعناه : إباحة .

وَجَنَحَ لِلشَّيْءِ : مال إليه .

١٠٩- لا جَرَمَ : لا بُدَّ .

١١٠- اجتَبَى : اختار .

١١١- جدال : مخالفة ، ومخاصمة ، واحتجاج .

١١٢- تجَارُون : تَصِيحُون بالدعاء .

١١٣- جَوَارِي : جمع جارية ، وهي السفينة .

١١٤- أجرم فهو مُجرّم له معنيان :

[١] الكفر .

[٢] والعصيان .

١١٥- جنّ : الجنون .

وقد جاء بمعنى الملائكة .

١١٦- جانّ : له معنيان :

[١] الجنون^(١) .

[٢] والحيّة الصغيرة .

١١٧- جنّة : بالفتح : البستان .

وبالكسر : الجنون .

وبالضم : التُّرس وما أشبهه مما يُستتر به ؛ ومنه استعير : ﴿ أَيْمَنَهُمْ جُنَّةٌ ﴾

[المجادلة : ١٦] .

(١) تفسير هذه الكلمة والكلمة التي قبلها -وهي «جنّ»- بالجنون مشكّل، ولم أقف بعد البحث على مَنْ فسّرها بذلك، فلعله وهمّ أو سبق قلم، ولعل صواب تفسير هاتين الكلمتين : أنهم الجنّ المعروفون المخلوقون من النار، قال المؤلف في تفسير آية «الرحمن» : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ ﴾ . . . «الجانّ: الجنّ، يعني: إبليس والد الجن»، وجاء في «تحفة الأريب» لأبي حيان الأندلسي (ص : ٩٠) : «جانّ: واحد الجن، وجنس من الحيّات»، وانظر تفسير المؤلف لآية «الكهف» : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ وآية «النمل» : ﴿ كَانَتْهَا جَانٌّ ﴾ .

١١٨ - جاثية: أي: على رُكبهم؛ لا يستطيعون القيام؛ مما هم فيه.

وقوله: ﴿جِثْيَا﴾ [مریم: ٦٨]: جمع جاثٍ.

١١٩ - الجُرُز: الأرض التي لا نبات فيها.

١٢٠ - جاثمين: باركين على ركبهم.

١٢١ - جَبَّار: اسم الله تعالى له معنيان:

[١] قهار.

[٢] ومتكبر.

وقد يكون من الجبر للكَسِير وشبهه.

والجَبَّار -أيضاً-: الظالم.

١٢٢ - أجداث: قبور.

١٢٣ - جَزَى: له معنيان:

[١] مِنَ الجِزَاء بالخير والشر.

[٢] وبمعنى أغنى؛ ومنه: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ [البقرة: ٤٨].

وأما أجزأ بالهمز فمعناه: كفى.

١٢٤ - جَرَح: له معنيان:

[١] من الجُروح.

[٢] وبمعنى: الكسْب والعمل؛ ومنه: ﴿جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]،

و﴿أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

ولذلك سُمِّيَت كلاب الصيد: جوارح؛ لأنها كواسِبُ لأهلِها.

١٢٥- جُنُب: له معنيان:

[١] من الجنابة.

[٢] وبمعنى: البُعْد؛ ومنه: ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ [القصص: ١١].



﴿ حرف الحاء ﴾

١٢٦- حمدٌ: هو الثناء، سواء كان جزاءً على نعمة، أو ابتداءً، والشكر إنما يكون جزاءً؛ فالحمد من هذا الوجه أعمُّ.

والشكر باللسان والقلب والجوارح، ولا يكون الحمد إلا باللسان؛ فالشكر من هذا الوجه أعمُّ.

وحميدٌ: اسم الله تعالى، أي: محمودٌ.

١٢٧- حكمة: عقل^(١)، أو علم.

وقيل في: ﴿الْكَيْتَبَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]: هي السنة.

١٢٨- حكيم: اسم الله تعالى، من:

الحكمة.

أو من الحكم بين العباد.

أو من إحكام الأمور وإتقانها.

١٢٩- حلِيم: الحلم: العقل.

وقد يقال بمعنى: العفو.

(١) في د: «كمال».

والأحلام: العقول.

والحليم: من أسماء الله تعالى:

قيل: الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

وقيل: معناه العفو عن الذنوب.

وأحلام النوم: ما يُرى في المنام.

١٣٠ - حبط: بطل، وأحبطه الله: أبطله.

١٣١ - حنيف: مسلم وموحد لله.

وقيل: حاج.

وقيل: مختبر.

وجمعه: حنفاء.

١٣٢ - محصنين ومحصنات: الإحصان له أربع معان:

[١] الإسلام.

[٢] الحرية.

[٣] والعفاف.

[٤] والتزويج.

﴿لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]: يقيكم.

١٣٣ - حجة - بالضم -: دليل وبرهان.

وحاج فلان فلاناً: جادله، وحجّه: غلبه بالحجة.

والحَجُّ - بالفتح والكسر - : القصد؛ ومنه أخذ: ﴿حَجَّ أَلَيْتَ﴾

[آل عمران: ٩٧].

وَحِجَّةٌ - بالكسر - : سَنَةٌ، وجمعها: حَجَج.

١٣٤ - حِطَّةٌ : أي : حُطَّ عنا ذُنُوبَنَا .

وقيل : هي كلمة بالعبرانية تفسرها : « لا إله إلا الله » .

١٣٥ - حضر : بالضاد : من الحضور؛ ومنه : ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ [الروم: ١٦] ،

و﴿شَرِبَ مُنْخَضِرٌ﴾ [القمر: ٢٨] .

وبالظاء : من المنع؛ ومنه : ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] ،

و﴿كَهَشِيرِ الْمُحْظَرِ﴾ [القمر: ٣١] .

وبالذال : من الحذر وهو الخوف؛ ومنه : ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾

[الإسراء: ٥٧] .

١٣٦ - حِفْظُ الْعِلْمِ : وَغْيُهُ ، وَحِفْظُ الشَّيْءِ : حِرَاسَتُهُ .

والحفيظ : اسم الله تعالى :

قيل : معناه العليم .

وقيل : حافظ الخلق ، أي : كَالِئِهِمْ مِنَ الْمَهَالِكِ .

١٣٧ - حَاقَ بِهِمْ : حَلَّ بِهِمْ .

١٣٨ - حَبْلٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّاسِ : أي : عَهْدٌ .

وحبل الله : القرآن .

وأصله: الحبل المعروف.

١٣٩- حَسِبَ - بكسر السين -: ظَنَّ، ومضارعه: بالفتح والكسر.

وحَسَبَ - بالفتح -: مَنَ العدد، ومضارعه: يحسُب بالضم؛ ومنه: الحساب، والحُسابان.

﴿حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠] أي: مَرَامٍ، واحدها: حُسْبَانَةٌ.

١٤٠- حساب: مِّنَ الظَّنِّ، وَمِنَ العدد.

﴿يَغَيِّرُ حِسَابًا﴾ يحتمل:

الوجهين.

وأن يكون: مِّنَ المحاسبة، أي: لا يحاسب عليه.

ومن التقدير، أي: بغير تضيق.

﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبا: ٣٦] أي: كافياً.

١٤١- حَسِبَ: اسم الله تعالى، فيه أربعة أقوال:

[١] كافٍ.

[٢] وعالمٌ.

[٣] وقادرٌ.

[٤] ومحاسبٌ.

١٤٢- حَسْبُكَ الله: أي: كافيك.

١٤٣- حُزْنٌ: تَأَسَّفٌ عَلَى مَاضٍ أَوْ حَالٍ.

والخوف: تَوَقُّعٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

ويقال: حَزَنَ بِكَسْرِ الزَّايِ، وَحَزَنَهُ غَيْرُهُ بَفَتْحِهَا، وَأَحْزَنَهُ -أَيْضًا-.

١٤٤- حَصِيرٌ: مُجْبَسٌ؛ مِنْ الْحَضَرِ.

وَأُحْصِرَ عَنِ الشَّيْءِ: حُجِسَ عَنْهُ.

وحسير -بالسين-: كَلِيلٌ.

١٤٥- حَصِيدٌ: هُوَ مَا يَحْصَدُ مِنَ الزَّرْعِ وَغَيْرِهِ.

واستعير منه: ﴿قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠] أي: بَاقٍ وَذَاهِبٌ.

١٤٦- حَمِيمٌ: لَهُ مَعْنِيَانِ:

[١] الصَّدِيقُ^(١).

[٢] وَالْمَاءُ الْحَارُّ.

١٤٧- مَحِيصٌ: مَهْرَبٌ.

١٤٨- حَجْرٌ: لَهُ أَرْبَعَةُ مَعَانٍ:

[١] الْحَرَامُ.

[٢] وَالْعَقْلُ.

[٣] وَمَنَازِلُ ثُمُودَ.

(١) فِي ج، د: «الصَّدِيدُ».

[٤] وحجر الكعبة.

١٤٩- حِمْلٌ - بكسر الحاء -: ما على ظهر الدابة وغيرها.

ويستعار للذنوب.

وبالفتح: ما في بطن المرأة، وجمعه: أحمال.

١٥٠- إحسان: له ثلاثة معان:

[١] فعل الحسنات.

[٢] والإنعام على الناس.

[٣] ومراقبة الله تعالى المشار إليها في قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»^(١).

١٥١- حقٌ: له أربعة معان:

[١] الصدق.

[٢] والعدل في الحكم.

[٣] والشيء الثابت.

[٤] والأمر الواجب.

والحق: اسم الله تعالى، أي: الواجب الوجود^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٨) في ضمن حديث جبريل الطويل.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «قوله: «أي واجب الوجود»، أقول: هذا من معنى اسمه تعالى الحق، ويدخل في معنى هذا الاسم (الحق) أنه الموصوف بكل كمال، المنزه =

١٥٢- حاصِبٌ : ريح شديدة، سُمِّيت بذلك ؛ لأنها ترمي بالحصباء أي : الحصى .

والحاصب -أيضاً- : الحجارة .

١٥٣- حِلْيَةٌ : حُلْيٌ .

١٥٤- حَرْجٌ : ضيق ، أو مشقة .

١٥٥- حَوْلٌ : له معنيان :

[١] العام .

[٢] والحيلة .

و﴿جَوْلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] - بكسر الحاء - : انتقالاً .

١٥٦- حَرُثُ الْأَرْضِ : مصدر ، ثم استعمل بمعنى : الأرض ، والزرع ، والجنات .

١٥٧- حَسٌّ - بغير ألف - : قَتَلَ ؛ ومنه : ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢] .

وأحسَّ : مِنْ الْحِسِّ .

١٥٨- حُرْمٌ - بضمّتين - : محرمون بالحج .

= عن كل نقص ، وأنه الإله الحق ، رب كل شيء ومليكه ، فدخل في معنى هذا الاسم جميع أسمائه الحسنی وصفاته العلی .

ويجوز إطلاق واجب الوجود على الله تعالى خبراً ، لا اسماً ، فهو تعالى واجب الوجود ، أي لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم ، وليس ذلك من الأسماء الحسنی التي يدعى بها .

١٥٩- حُقْب -بضمّتين- وأحقَابُ: جمع حُقْبٍ؛ وهو مدَّةٌ من الدهر، يقال: إنها ثمانون سنة.

١٦٠- حف الشيءُ بالشيءِ: أطاف^(١) به من جوانبه، ومنه: ﴿وَحَفَفْنَاهَا بِنَحْلٍ﴾ [الكهف: ٣٢] و﴿أَلَمْ لَيْكَةَ حَافِيَتُ﴾ [الزمر: ٧٥].

١٦١- حلَّ بالمكان: يَحِلُّ -بالضم والكسر-.

وحلَّ من إحرامه: يَحِلُّ -بالكسر^(٢) لا غير-.

١٦٢- حطامٌ: فُتَاتٌ.

والحطام: ما تحطَّم من عيدان الزرع اليابس.



(١) في د: «أحاط».

(٢) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، د، هـ.

﴿ حرف الخاء ﴾

١٦٣- خَلَقَ : له معنيان :

[١] من الخِلْقَةِ ؛ ومنه : الخالق اسم الله ، والخالق .

[٢] وَخَلَقَ الرجلُ : كَذَبَ ؛ ومنه : ﴿ وَتَخَلَّفُوا بِإِفْكَاءٍ ﴾ [العنكبوت : ١٧] و﴿ أَخْلَقُ ﴾ [ص : ٧] أي : كَذَبَ .

١٦٤- خَلَّاقٌ : نصيب .

١٦٥- خير : ضد الشرِّ ، وله أربعة معان :

[١] العمل الصالح .

[٢] والمال .

[٣] والخَيْرَةُ .

[٤] والتفضيل بين شيئين .

١٦٦- خَلَا : له معنيان :

[١] من الخُلُوة .

[٢] وبمعنى : ذهب وتقدَّم ؛ ومنه : ﴿ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ^ط ﴾ [البقرة : ١٣٤] .

١٦٧ - خطيئة: ذنب، وجمعه: خطايا وخطيآت، والفعل منه: حَطِئَ، فهو خاطئ.

وأما الخطأ بغير عمد؛ فالفعل منه: أخطأ.

١٦٨ - خاسئين: مطرودين؛ من قولك: خَسَأْتُ الكلبَ، ومنه: ﴿أَخْسَوْا فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

١٦٩ - خلف - بفتح الخاء وإسكان اللام - له معنيان:
[١] وراء.

[٢] وَمَنْ خَلَفَ سَلْفَهُ بَشَرٌ.

فإذا خلفه بخير قيل بفتح اللام.

١٧٠ - خلاف: له معنيان:

[١] من المخالفة.

[٢] وبمعنى: بَعْدَ أَوْ دُونِ؛ ومنه: ﴿يَمَقِّعُهُمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١].

١٧١ - حَوَّلَ: أعطى.

١٧٢ - حُلَّةٌ - بضم الخاء - : مودَّةٌ؛ ومنه: الخليل، وجمعه: أَخِلَاءٌ.

١٧٣ - خِلَالٌ: له معنيان:

[١] وِدَادٌ؛ ومنه: ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

[٢] وبمعنى: بَيْنَ؛ ومنه: ﴿خِلَالِ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥] و﴿خِلَالَكُمْ﴾

[التوبة: ٤٧].

- ١٧٤- خَرَّ يَخِرُّ: سقط على وجهه .
- ١٧٥- خامدين: مَيِّتِينَ^(١) هالكين، وأصله: من خمود النار .
- ١٧٦- خَطَبٌ: خبرٌ .
- والخطب -أيضاً-: الأمر العظيم .
- وخطبة النساء: بالكسر .
- وخطبة الخطيب: بالضم .
- ١٧٧- خَرَّاصُونَ: كَذَّابُونَ؛ ومنه: ﴿يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦] .
- والخَرْص -أيضاً-: التقدير؛ وقيل: إِنَّ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ منه؛ أي: يقولون بالظن من غير تحقيق .
- ١٧٨- خَبَالٌ: شرٌّ .
- ١٧٩- خَوَّان: كثير الخيانة .
- ١٨٠- مختال: من الخيلاء .
- ١٨١- خَتَّار: غَدَّار؛ مِنْ: خَتَرَ العهد .
- ١٨٢- مخمصةٌ: مِنْ الحَمَص؛ وهو الجوع .
- ١٨٣- أَخْدَان: جمع خِدْنٍ؛ وهو الخليل .
- ١٨٤- خَرَّاجٌ وَخَرْجٌ: أي: أُجْرَةٌ، أو عَطِيَّةٌ .

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ .

﴿ حرف الدال ﴾

١٨٥ - دين : له خمسة معان :

[١] المَلَّة .

[٢] والعادة .

[٣] والجزاء .

[٤] والحساب .

[٥] والقهر .

١٨٦ - أدنى : له معنيان :

[١] أقرب ؛ فهو من الدنو .

[٢] وأقل ؛ فهو من الدنيء الحقيق .

١٨٧ - دأب : له معنيان :

[١] عادة .

[٢] وجِدْ وملازمة ؛ ومنه : ﴿ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ [يوسف : ٤٧] أي : متتابعة

للزراعة ؛ من قولك : دأبتُ على الشيء : دمت عليه .

١٨٨ - دار السلام : الجنة .

١٨٩- دوائر: صروف الدهر، واحدها: دائرة؛ ومنه: ﴿دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾

[التوبة: ٩٨].

١٩٠- دعاء: له خمسة معان:

[١] الطلب من الله.

[٢] والعبادة؛ ومنه: ﴿تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٦].

[٣] والتمني: ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ [يس: ٥٧].

[٤] والنداء؛ ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣].

[٥] والدعوة إلى الشيء؛ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

١٩١- دَابَّة: كل ما يَدِبُّ، فتعمُّ^(١) جميع الحيوان.

١٩٢- دحور: إبعاد؛ ومنه: المدحور: المطرود.

١٩٣- دَعَّ - بتشديد العين - يَدْعُ أي: دفع بعنف؛ ومنه: ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾

[الماعون: ٢]، و﴿يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاءً﴾ [الطور: ١٣].

١٩٤- درأ: دفع؛ ومنه: ﴿وَيَذَرُونَ﴾ [الرعد: ٢٢].

١٩٥- مدرارًا: من: درَّ المطر: إذا صَبَّ.

١٩٦- داخرين: صاغرین.

١٩٧- دُكَّت الأرض: أي^(٢): دُقَّت جبالها حتى استوت مع وجه الأرض

ومنه: ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: مستويًا مع الأرض.

(١) في ب، ج، هـ: «فيجمع».

(٢) في أ: «إذا».

﴿ حرف الذال ﴾

١٩٨- ذَكُرٌ: له أربعة معان:

[١] ضد النسيان.

[٢] والذكر باللسان.

[٣] والقرآن؛ ومنه: ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩].

[٤] والشَّرف.

و﴿مَذْكِرٌ﴾ [القمر: ١٥]: مَفْتَعِلٌ من الذِّكر.

١٩٩- ذَنُوبٌ: بضم الذال: جمع ذَنْبٍ.

وبالفتح: النَّصِيب؛ ومنه: ﴿ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ [الذاريات: ٥٩] أي: نصيبًا من العذاب.

والذَّنُوب -أيضًا-: الدَّلُوء.

٢٠٠- ذَبْحٌ: بكسر الذال: المذبوح.

وبالفتح: المصدر.

٢٠١- ذَرَأٌ: خلق ونَشَر.

٢٠٢- ذَلُولٌ: مُذَلَّلَةٌ للعمل؛ من الذَّل - بكسر الهمزة -؛ ومنه: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ [يس: ٧٢].

ورجل ذليلٌ: من الذَّل - بالضم -.

و﴿وَذَلَّلْتَ قُطُوفَهَا﴾ [الإنسان: ١٤]: أَدْنَيْتَ^(١).

٢٠٣- أَذْقَان: جمع ذَقْنٍ.



(١) في ج، هـ: «أي: دنيت».

﴿ حرف الراء ﴾

٢٠٤- رَبُّ: له أربعة معان:

[١] الإله.

[٢] والسيد.

[٣] والمالك للشيء.

[٤] والمصلح للأمر.

٢٠٥- رَبُّ: شكٌّ؛ ومنه: ﴿أَرْتَابُوا﴾ [النور: ٥٠]، و﴿مُرِيبٌ﴾ [هود: ٦٢].

و﴿رَبِّ الْمُنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]: حوادث الدهر.

٢٠٦- رَجَعَ: يستعمل متعديًا بمعنى: ردَّ.

وغير متعدٍّ.

والمرجع: اسم مصدر، أو زمان، أو مكان؛ من الرجوع.

٢٠٧- رَعَى: له معنيان:

[١] من النظر.

[٢] ومن رعى الغنم.

٢٠٨- رُوحٌ : له أربعة معان :

[١] النفس التي بها الحياة ؛ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

[٢] والوحي ؛ ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ [النحل: ٢] .

[٣] وجبريل ؛ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] .

[٤] ومَلَكٌ عظيم ؛ ﴿نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ﴾ [القدر: ٤] .

وَرُوحٌ -بفتح الراء- : رائحة طيبة .

والرَّيحان : الرزق ، وقيل : الشجر المعروف .

٢٠٩- رُكَّامٌ : بعضه فوق بعض ؛ ومنه : ﴿مَرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤] ،

و﴿فَيَرْكُمُهُ﴾ [الأنفال: ٣٧] .

٢١٠- رجا : طمع .

وقد يستعمل في الخوف ؛ ﴿يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [يونس: ٧] .

٢١١- رجالٌ : جمع رجل .

وجمع راجلٍ أي : غير راكب ؛ ومنه : ﴿يَأْتُونَكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧] ،

ومثله : ﴿بِحَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] .

٢١٢- رَفَتْ : له معنيان :

[١] الجماع .

[٢] والكلام بهذا المعنى .

٢١٣- رَجُزٌ: عذابٌ، إِلَّا^(١): ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُزْ﴾ [المدثر: ٥]؛ فهي الأوثان.

والرَّجْس -بالسين-: النجس؛ حقيقةً، أو مجازًا.

وقد يستعمل بمعنى العذاب.

٢١٤- رَهْبٌ: خوفٌ؛ ومنه: ﴿يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

٢١٥- رَوْوْفٌ: من الرأفة، وهي الرحمة.

إِلَّا أن الرأفة في دفع المكروه، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل؛ فهي أعمُّ من الرأفة.

٢١٦- مرضاةٌ: مَفْعَلَةٌ من الرضا.

٢١٧- راسياتٌ: ثابتات؛ ومنه قيل للجبال: رواسي، ومنه: ﴿مُرْسَنَاهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أي: ثبوتها.

٢١٨- رَغَدًا: كثيرًا.

٢١٩- ربوةٌ: مكان مرتفع.

٢٢٠- ربا: هو في اللغة: الزيادة؛ ومنه: ﴿وَيُرِي الصَّدَقَتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وربت الأرض: انتفخت.

٢٢١- أرحام: جمع رَحِمٍ؛ وهو فرج المرأة.

ويستعمل -أيضًا- في القرابة.

٢٢٢- أَرْجِه: أَخْرُهْ؛ ومنه: ﴿تَرْجِي﴾ [الأحزاب: ٥١] و﴿مَرْجُونَ﴾ [التوبة: ١٠٦].

(١) في د: «رجز: له معنيان: عذاب، والرجز..».

ويجوز فيه: الهمز، وتركه.

٢٢٣- رأى^(١): من رؤية العين^(٢): يتعدى إلى واحد.

ومن رؤية القلب -بمعنى العلم-: يتعدى إلى مفعولين.

٢٢٤- تربّص: انتظر.

٢٢٥- رفاتٌ: فُتات.

٢٢٦- أرذل العمر: الهرم.

و﴿الْأَزْدَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]: من الرُّذالة.

٢٢٧- رقى: من الرقية بفتح القاف؛ ومنه: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧].

ورقي في السُّلَم: بالكسر في الماضي، والفتح في المستقبل.

٢٢٨- أرداكم: أهلككم، والردى: الهلاك؛ ومنه: ﴿لَتَرْذِلْنَ﴾ [الصفات: ٥٦]

و﴿تَرَدَّى﴾ [الليل: ١١].

٢٢٩- رجفة: زلزلة وشدة^(٣).



(١) في هـ: «أراني».

(٢) في د: «البصر».

(٣) في ب: «شديدة».

﴿ حرف الزاي ﴾

٢٣٠- زُبُرٌ - بضمّين - : كُتِبَ .

والزُّبُور : كتاب داود عليه السلام .

٢٣١- زُخْرَفٌ : زينةٌ .

والزخرف -أيضاً- : الذهب .

٢٣٢- زكاة : له في اللغة معنيان : الزيادة ، والطهارة .

ثم استعمله الشرع في إعطاء المال ؛ وهو من :

الزيادة ؛ لأنه يبارك له فيه فيزيد .

أو من الطهارة ؛ لأنه يطهّره من الذنوب .

وزكّيت الرجل : أثّنت عليه .

وزكّا هو - مخففة - : أي صار زاكياً^(١) .

٢٣٣- زوج : له ثلاثة معان :

[١] الرجل .

(١) في د : «زكياً» .

[٢] والمرأة؛ وقد يقال فيها: زوجة.

[٣] وبمعنى: الصنف والنوع؛ ومنه: ﴿أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣]، و﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧].

٢٣٤- زَلَّ: له معنيان:

[١] زَلَّ القدم عن الموضع.

[٢] وفعل الزَّلَل.

٢٣٥- زَاغَ عن الشيء زَيْغًا: مال عنه، وأزاعه غيره: أماله.

٢٣٦- زُلْفَى: قربي، و﴿أُزْلِفَتْ﴾: قُرِبَتْ.

﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤]: ساعات.

٢٣٧- زَعَمَ: أي: ادَّعى ولم يوافقه غيره.

قال ابن عباس: زَعَمَ: كنايةٌ عن كذب^(١).

٢٣٨- زَعِيمٌ: ضامن.

٢٣٩- يُزَجِّي: يسوق.

٢٤٠- زَلْزَلَةُ الْأَرْضِ: اهتزازها.

وتستعمل بمعنى: الشدَّة والخوف؛ ومنه: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤].

(١) هذا من قول من ابن عمر رضي الله عنهما، وليس من قول ابن عباس رضي الله عنه، أخرجه الطبري بإسناده في تفسيره (٩/٢٣) إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «زعم: كناية الكذب».

٢٤١- زجرة واحدة: صيحة، يعني: نفخة الصور.

والزجرة: الصيحة بشدة وانتهاز.

﴿وَأَزْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩]: من الرِّجْرِ.



﴿ حرف الطاء ﴾

٢٤٢- طَبَعَ : خَتَمَ ، والخاتم : الطابع .

٢٤٣- طَوَّلُ -بفتح الطاء- : فَضَّلُ ، أو غِنَى .

٢٤٤- طائر : له معنيان :

[١] من الطَّيْرَان .

[٢] ومن الطَّيْرَةِ .

٢٤٥- طَوَى : قِيل : اسم للوادي .

وقيل : معناه : مرتين ، أي : قُدَّس الوادي مرتين .

٢٤٦- طهارة : له معنيان :

[١] الطهارة بالماء ؛ ومنه : ﴿ جُنُبًا فَاطْهَرُوا ﴾ [المائدة: ٦] ، والماء الطهور ؛

وهو المطهر .

[٢] والطهارة من القبائح والردائل ؛ ومنه : ﴿ أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٢]

٢٤٧- طَيَّبَ : له معنيان :

[١] اللذيذ^(١) .

(١) في ج ، د : « الدين » .

[٢] والحلال .

٢٤٨- طُوفان : سيل عظيم .

٢٤٩- طاغوت : أصنام وشياطين ، ويكون مفردًا وجمعًا .

والطاغوت -أيضًا- : رئيس النصارى -على قولٍ- .

٢٥٠- طَباق : بعضها على بعض .

و﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق : ١٩] : حالًا بعد حال .

٢٥١- طُورٌ -بالضم-^(١) : الجبل ، وهو الطَّود .

٢٥٢- طَفِقَ يفعلُ كذا : أي : جعل يفعله .

٢٥٣- طائفتين : من الطواف^(٢) .

و﴿طَيْفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف : ٢٠١] : لَمَمٌ ، و﴿طَيْفٌ﴾ : فاعل منه .



(١) هذه الكلمة لم ترد في ب ، ج ، هـ .

(٢) في ج ، د : «طائفتين : من الطوائف» .

﴿ حرف الظاء ﴾

٢٥٤- ظَهَرَ الأمرُ: بدا، وأظهره غيره: أبداه.

٢٥٥- ظهيرٌ: معين.

٢٥٦- ظاهر الرجلُ من امرأته، وتظاهر وتظَهَّرَ أي: قال لها: «أنتِ عليّ كظهر أمي»، وهو الظَّهار.

٢٥٧- ظَهَرُ البيتِ: أعلاه.

وظَهَرَتْه أي: ارتفعتُ عليه؛ ومنه: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧].

٢٥٨- ظَلَمٌ: يقع في القرآن على ثلاثة معان:

[١] الكفر.

[٢] والمعاصي.

[٣] وظلم الناس أي: التعدي عليهم.

٢٥٩- ظَنَّ: له ثلاثة معان:

[١] التَّحْقِيق.

[٢] وغلبةُ أحدِ الاعتقادين.

[٣] والتُّهْمَةُ.

٢٦٠- ظمأً : عطشٌ .

٢٦١- ظلال : جمع ظلّ .

وُظِّل - بالضم - : جمع ظُلة ؛ وهي ما كان من فوق .

٢٦٢- ظلّ بالنهار : بمنزلة بات بالليل .



﴿ حرف الكاف ﴾

٢٦٣- كافر: له معنيان:

[١] من الكفر؛ وهو الجحود.

[٢] وبمعنى: الزرع^(١)؛ ومنه: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ [الحديد: ٢٠] أي: الزَّرَاعُ.

وتكفير الذنوب: غفرانها.

٢٦٤- كَافَّةً: جميعًا.

٢٦٥- كَرَّةً: رجعة.

٢٦٦- كَبُرَ - بكسر الباء-: من السَّنِّ، يَكْبُرُ - بالفتح - في المضارع.

وَكَبُرَ الأمرُ - بالضم - في الماضي والمضارع.

وَكُبُرٌ - بضم الكاف وفتح الباء-: جمع كبرى.

وَكُبَّارٌ - بالضم والتشديد-: كبيرٌ، مبالغَةٌ.

والكِبَرُ: التكبرُ.

وَكَبُرَ الشيءُ - بكسر الكاف وضمها-: معظُمه.

(١) في د: «الزارع».

والكبرياء: المُلْك والعظمة.

والمتكبر: اسم الله تعالى، من الكبرياء بمعنى^(١): العظمة.

٢٦٧- كَفَل: يَكْفُل أي: ضَمَّ الصبي وحضنه.

و﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ [ص: ٢٣]: اجعلني كافلاً لها.

٢٦٨- كَفُل: نصيبٌ.

٢٦٩- كِلَالَةٌ: هي أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد.

٢٧٠- كَاد: قارب الأمر ولم يفعله.

فإذا نُفِيَ اقتَضَى الإثبات.

٢٧١- كَرِيمٌ: من الكرم، وهو الحسب والجلالة والفضل.

وكريم: اسم الله تعالى؛ أي: محسنٌ.

٢٧٢- أَكَنَّةٌ: أَغْطِيَةٌ.

وأكنان: جمع كِنٌ؛ وهو ما وقى من الحر والبرد.

٢٧٣- كَهْلٌ: هو الذي انتهى شبابه.

٢٧٤- أَكْمَامٌ: جمع كِمٍّ؛ وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها.

٢٧٥- أَكَبَّ الرجلُ على وجهه؛ فهو مُكَبَّبٌ، وكَبَّهْ غيره: بغير ألف.

٢٧٦- كَهْف: غار.

(١) في ب، ج، هـ: «وبمعنى».

٢٧٧- كَيْدٌ: هو من المخلوق: احتيالٌ.

وهو من^(١) الله: مشيئةُ أمرٍ ينزل^(٢) بالعبد من حيث لا يشعر.

٢٧٨- كِسْفًا بفتح السين: جمع كِسْفَةٍ؛ وهي القطعة من الشيء.

وبالسكون: كذلك، أو مفرد.

٢٧٩- كُتِبُوا: أي: أهلكوا، ﴿يَكْتِبُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٧]: يُهْلِكُهُمْ، أو يَخْزِيهِمْ^(٣).

٢٨٠- أَكْمَهُ: هو الذي وُلِدَ أعمى.

٢٨١- كَانَ: على نوعين:

[١] تَامَّةٌ؛ بمعنى حضر، أو حدث، أو وقع، وهي ترفع الفاعل.

[٢] وناقصة؛ وهي ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتقتضي ثبوت الخبر للمخبر عنه في زمانها.

وقد تأتي بمعنى الدوام في مثل قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]،

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] وشبه ذلك، وهو كثير في القرآن، ومعناه: لم يزل ولا يزال موصوفًا بذلك الوصف.

٢٨٢- كَأَنَّ: معناها التشبيه.

٢٨٣- كَي: معناها التعليل.

(١) في ب، ج، د، هـ: «ومن».

(٢) في د: «يقع».

(٣) في د: «يخرجهم».

٢٨٤- كم : معناها التكثير ، وهي خبرية ، واستفهامية .

٢٨٥- كَأَيِّنْ : بمعنى : كم .

وهي عند سيبويه : كافُ التشبيه دخلت على أيّ .

٢٨٦- كَلَّا : حرف ردع وزجر .

وقيل : إنها تكون للنفي ، أي : ليس الأمر كما ظننت .

وقيل : إنها استفتاح كلام بمعنى ألا .

٢٨٧- الكاف : بمعنى التشبيه ، وبمعنى التعليل .

وقيل : إنها تكون زائدة .



﴿ حرف اللام ﴾

٢٨٨- لَبَسَ الأمرَ: أي: خلطه، بفتح الباء في الماضي وكسرها في المستقبل.

ولَبَسَ الثوبَ: بالكسر في الماضي، والفتح في المستقبل.

٢٨٩- أَلْبَابٌ: عقول؛ وهو جمع لُبٍّ.

٢٩٠- لَبِثَ في المكان: أقام فيه.

٢٩١- لَمَزَ يلمز: أي: عاب الشيء.

٢٩٢- لَوْلَوْ: جوهر.

٢٩٣- لَغُوَ الكلام: الباطلُ منه، والفحش^(١).

ولغو اليمين: ما لا يلزم.

٢٩٤- لَهَا - بفتح الهاء - : من اللّهُو، ومضارعه: يَلْهُو.

وَلَهِيَ عن الشيء - بالكسر والياء - يَلْهَى - بالفتح - : إذا عرض عنه.

وَأَلْهَاهُ الشَّيْءُ: إذا أشغله؛ ومنه: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ [المنافقون: ٩].

٢٩٥- لَطِيفٌ: اسم الله تعالى؛ قيل: معناه رفيق.

(١) في د: «ومنه الفحش».

وقيل : خبير بخفّيات الأمور .

٢٩٦- لدى ولدن : معناهما عند .

٢٩٧- ليت : معناها التمني .

٢٩٨- لعلّ : معناها الترجّي في المحبوبات ، والتوقّع للمكروهات .

وأشكل ذلك في حق الله تعالى ؛ فقليل : جاءت في القرآن على منهاج كلام العرب ، وبالنظر إلى المخاطب ، أي : ذلك مما يُرتجى عندكم ، أو ^(١) يُتوقّع .

وقد يكون معناها : التعليل ^(٢) ، أو مقارنة الأمر ؛ فلا إشكال .

٢٩٩- لو : لها معنيان :

[١] التمني .

[٢] وامتناع شيء لا امتناع غيره .

٣٠٠- لولا : لها معنيان :

[١] العرض ، مثل : لَوْ مَا .

[٢] وامتناع شيء لوجود غيره .

٣٠١- لَمَّا : لها معنيان :

[١] النفي ، وهي الجازمة .

(١) في ب ، ج ، هـ : «أي» .

(٢) في د : «التقليل» .

[٢] ووجود شيء لوجود غيره .

وأما لَمَّا - بالتخفيف - : فهي لام التأكيد دخلت على «ما» .

وقال الكوفيون : هي بمعنى «إِلَّا» الموجبة بعد النفي .

٣٠٢- لا : ثلاثة أنواع :

[١] نافية .

[٢] وناهية .

[٣] وزائدة .

٣٠٣- اللام : خمسة أنواع :

[١] لام الجرّ .

[٢] ولام كي .

[٣] ولام الجحود .

[٤] ولام الأمر .

[٥] ولام التأكيد في القسم وغيره ؛ وهي المفتوحة .

ثم إن لام الجرّ لها ثلاثة معان : المِلْك ، والاستحقاق ، والتعليل .

وقد تأتي للتعدي إذا ضعُفَ العامل .

وقد تأتي بمعنى «عند» ؛ نحو : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه : ١٤] ،

و﴿لَذُلُّوكَ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء : ٧٨] .

ولام كي معناها: السبيّة، والتعليل.

وقد تأتي بمعنى الصيرورة في العاقبة؛ نحو: ﴿فَالنَّفْطَةُ أَلْ فِرْعَوْنَ
لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨].

وقد تأتي بمعنى «أن» المصدرية؛ ومنه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾
[النساء: ٢٦].



﴿ حرف الميم ﴾

٣٠٤- مرضُ الجسد : معروف .

ومرض القلب : الشكُّ في الإيمان ، والبُغْضَةُ في الدين .

٣٠٥- المَنُّ : شبه العسل .

وقيل : خبزٌ ^(١) النَّقِيّ .

والسلوى : طائر .

والمَنُّ -أيضًا- : الإنعام .

والمَنُّ -أيضًا- : ذِكْرُ العَطِيَّة .

والمَنُّ -أيضًا- : القطع ؛ ومنه : ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت : ٨] .

٣٠٦- أمانِيّ : جمع أمنيّة ، ولها ثلاثة معان :

[١] ما تتمنّاه النفس .

[٢] والتلاوة .

[٣] والكذب .

(١) في د : «الخبز» .

وكذلك تمنى ؛ له هذه المعاني الثلاثة .

٣٠٧- ملأ القوم : أشرفهم ، وذوو الرأي منهم .

٣٠٨- مثلٌ - بفتح الميم والثاء - له أربعة معان :

[١] الشبيه والنظير .

[٢] ومن المثل المضروب ؛ وأصله من التشبيه .

[٣] ومثل الشيء : حاله وصفته .

[٤] والمثل : الكلام الذي يُتمثل به .

ومثل الشيء - بكسر الميم - : شُبْهه .

٣٠٩- مَرِيَّةٌ : شكٌ ؛ ومنه : ﴿الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] أي : الشاكِّين .

و﴿فَلَا تُمَارِ﴾ [الكهف: ٢٢] من المراء ؛ وهو الجدل .

٣١٠- أَمَلَى لَهُمْ : أمهلهم وزادهم .

٣١١- مهاد : فراش .

٣١٢- مَدَّ يَمْدٌ : أي : أملى .

وقد تكون بمعنى : زاد ؛ مثل : أمدَّ بالآلف من المَدَد^(١) .

٣١٣- مُضَغَةٌ : قطعة لحم .

٣١٤- إملاقٌ : فقر .

(١) في ب ، د : «المداد» .

٣١٥- مَرِيدٌ وَمَارِدٌ: مِنَ الْعُتُوِّ وَالضَّلَالِ.

٣١٦- مَكَانَةٌ: بِمَعْنَى: مَكَانٍ.

أو: مِنَ التَّمَكِينِ^(١) وَالْعِزِّ؛ وَمِنْهُ: ﴿مَكِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

٣١٧- مَوَاحِرُ: فَوَاعِلُ مِنَ الْمَخْرِ؛ يُقَالُ: مَخَرَتِ السَّفِينَةُ: إِذَا جَرَتْ تَشَقُّ الْمَاءِ.

٣١٨- مَجِيدٌ: مِنَ الْمَجْدِ؛ وَهُوَ الْكَرَمُ وَالشَّرَفُ.

٣١٩- مَقْتُ: هُوَ الدَّمُ، أَوْ الْبَغْضُ عَلَى فِعْلِ الْقِيحِ.

٣٢٠- مَعِينٌ: مَاءٌ جَارٍ كَثِيرٌ؛ وَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ: مَعَنَ الْمَاءُ أَي: كَثُرَ.

وَقِيلَ: هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَيْنِ، وَوَزَنُهُ: مَفْعُولٌ؛ فَالْمِيمُ زَائِدَةٌ.

٣٢١- مَرِيحٌ: مُخْتَلِطٌ.

وَالْمَارِجُ: لَهَبُ النَّارِ؛ مِنْ قَوْلِكَ: مَرَجَ الشَّيْءُ: إِذَا اضْطَرَبَ.

وَقِيلَ: مِنَ الْإِخْتِلَاطِ؛ أَي: خُلِطَ نَوْعَانِ مِنَ النَّارِ.

٣٢٢- مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ: أَي: خَلَّى بَيْنَهُمَا. ۞

وَقِيلَ: خَلَطَهُمَا.

وَقِيلَ: أَفَاضَ أَحَدَهُمَا فِي الْآخَرِ.

٣٢٣- مُهْلٌ: فِيهِ قَوْلَانِ:

(١) فِي د: «التَّمَكُّنُ».

دُرْدِيُّ الزَيْت^(١).

وما أُذِيبَ مِنَ النِّحَاسِ .

٣٢٤- مَنُون : لَهُ مَعْنِيَان :

[١] الْمَوْتِ .

[٢] وَالْدَّهْرِ .

٣٢٥- مَس : لَهُ مَعْنِيَان :

[١] اللَّامِسُ بِالْيَدِ وَغَيْرِهِ .

[٢] وَالْجُنُونِ .

٣٢٦- مَن : أَرْبَعَةُ أَنْوَاع :

[١] شَرْطِيَّة .

[٢] وَمَوْصُولَةٌ .

[٣] وَاسْتِفْهَامِيَّة .

[٤] وَنَكْرَةٌ مَوْصُوفَةٌ .

٣٢٧- مَا :

[أ-] إِذَا كَانَتْ اسْمًا فَلَهَا سِتَّةُ أَنْوَاع :

[١] شَرْطِيَّة .

(١) هُوَ مَا يَبْقَى فِي أَسْفَلِهِ . «لِسَانُ الْعَرَبِ» مَادَّة (درد).

[٢] وموصولة .

[٣] واستفهامية .

[٤] وموصوفة .

[٥] وصفة .

[٦] وتعجبية .

[ب-] وإذا كانت حرفا فلها خمسة أنواع :

[١] نافية .

[٢] ومصدرية .

[٣] وزائدة .

[٤] وكافّة .

[٥] ومهيّئة^(١) .

٣٢٨- من : لها ستة أنواع :

[١] لابتداء الغاية .

[٢] ولجملّة الغاية .

[٣] وللتبويض .

(١) أي : تهییء «إن» وأخواتها للدخول على الجمل . انظر : «أوضح المسالك» لابن هشام (١/٣١٠) .

[٤] ولييان الجنس .

[٥] وللتعليل .

[٦] وزائدة .

٣٢٩- مهما : اسم شرط .



﴿ حرف النون ﴾

٣٣٠- نَظَرَ: له معنيان:

[١] من النَّظَر.

[٢] ومن الانتظار.

فإذا كان من الانتظار: تعدى بغير حرف.

ومن نظر العين: يتعدى بـ «إلى».

ومن نظر القلب: يتعدى بـ «في».

٣٣١- أَنْظَرَ-بالألف-: أَخَّر؛ ومنه: ﴿أَنْظِرْنِي﴾ [الأعراف: ١٤]، و﴿مِنْ

الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥]، و﴿فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

٣٣٢- نَضَرٌ-بالضاد-: من التَّعَمُّ؛ ومنه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾

[القيامة: ٢٢] أي: ناعمة.

وأما: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿٢٣﴾ [القيامة: ٢٣]: فهو من ^(١) النظر.

٣٣٣- نعمة: بفتح النون: من النَّعِيم.

وبكسرها: من الإِنْعَام.

(١) في ب، ج، هـ: «فمن».

٣٣٤- أنعام: هي الإبل والبقر والغنم، دون سائر البهائم. ويجوز تذكيرها وتأنيثها.

ويقال لها -أيضا-: نَعَمٌ.

٣٣٥- نِعَم: كلمة مدح، ويجوز فيها: كسر النون وفتحها، وإسكان العين وكسرها.

٣٣٦- نَعَم -بفتح النون والعين-: كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها من نفي أو إثبات.

بخلاف «بلى»؛ فإنها للإثبات خاصة.

ويجوز في «نعم»: فتح العين وكسرها.

٣٣٧- نَذُّ: هو المضاهي والمماثل والمعاند، وجمعه: أندادٌ.

٣٣٨- أَنْذَر: أَعْلَمَ بالمكروه قبل وقوعه؛ ومنه: ﴿نَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩]، و﴿مُنْذِرٌ﴾ [الرعد: ٧]، و﴿الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٤]، ﴿كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [الملك: ١٧] أي: إنذارِي؛ فهو مصدر؛ ومنه: ﴿عَذَائِي وَنُذْرِي﴾ [القمر: ١٦].

وَنَذَرَ النَّذْرَ: بغير ألف؛ ومنه: ﴿نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، و﴿وَلْيُؤْفُوا نَّذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

٣٣٩- نَكَالٌ: له معنيان:

[١] العقوبة.

[٢] والعبرة.

٣٤٠- نَجَّى - بتشديد الجيم - : له معنيان :

[١] من النجاة .

[٢] ومن النجوة ؛ وهو الموضع المرتفع ؛ ومنه : ﴿نَجَّيَكَ بِدَنِكَ﴾

[يونس : ٩٢] على قول .

٣٤١- نجوى : معناه : كلامٌ خفي ؛ ومنه : ناجى ، و﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾

[مريم : ٥٢] .

وقيل : إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس في قوله : ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾

[الإسراء : ٤٧] .

وقد يحمل ذلك على حذف مضاف تقديره : وإذ هم أصحاب نجوى .

٣٤٢- نسيان : له معنيان :

[١] الذُّهول ؛ ومنه : ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

[٢] والتَّرك ؛ ومنه : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة : ٦٧] .

٣٤٣- نسخٌ : له معنيان :

[١] الكتابة ؛ ومنه : ﴿نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية : ٢٩] .

[٢] والإزالة ؛ ومنه : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

٣٤٤- نصرٌ - بالصاد المهملة - : معروف .

وبالسين : اسم صنم ^(١) ؛ ﴿وَيَعُوقُ وَشَرَ﴾ [نوح : ٢٣] .

(١) في د زيادة : «ومنه» .

واسم طائر -أيضاً- .

٣٤٥- نشور: خروج الناس من القبور، يقال: أنشروهم الله فنشروا .

﴿الرَّيْحَ نُشِرًا﴾ [الأعراف: ٥٧]؛ لأنها تنشر السحاب .

٣٤٦- نشوز -بالزاي-: له معنيان:

[١] شرٌّ بين الرجل والمرأة .

[٢] وارتفاع؛ ومنه: ﴿أَنْشُرُوا﴾ [المجادلة: ١١] أي: قوموا من المكان .

٣٤٧- نُزْلٌ -بضمين-: رِزْقٌ؛ وهو ما يطعم الضيف .

٣٤٨- نَأَى: أي: بُعد؛ ومنه: ﴿وَيَنْتَوَتْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] .

٣٤٩- نَكَصَ: رجع إلى وراء .

٣٥٠- نَفَرَ نَفُورًا عن الشيء: يَنْفِرُ -بضم المضارع-؛ ومنه: نفرت

الدابة .

ونَفَرَ يَنْفِرُ -بكسر المضارع- نفيرًا: أي: أسرع وجدًّا؛ ومنه: ﴿أَنْفِرُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٨] .

٣٥١- نَبَأٌ: خبر؛ ومنه اشتق النبيء بالهمز، وترك الهمز تخفيفًا .

وقيل: إنه -عند من ترك الهمز- مشتق من النبوة؛ وهي الارتفاع .

٣٥٢- نطفة: أي نقطة من ماء؛ ومنه: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾

[فاطر: ١١] يعني: من المنى .

٣٥٣- أَنَابَ إلى الشيء: رجع ومال إليه؛ ومنه: ﴿مُنِيبٌ﴾ [مؤد: ٧٥] .

- ٣٥٤- نَفِدَ يَنْفَدُ: أي: تَمَّ وانقطع.
- ٣٥٥- نَهْرٌ -بفتح الهاء-: الوادي، ويجوز الإسكان.
- وَأَمَّا ﴿السَّائِلَ فَلَا نَنْهَرُ﴾ [الضحى: ١٠]: فهو من الانتهار؛ وهو الزجر.
- ٣٥٦- منيرٌ: من النور؛ وهو الضوء حسًّا أو معنًى.
- ٣٥٧- نَصَبٌ: بضمّتين، وبضمّ النون وإسكان الصاد، وبفتح النون وإسكان الصاد: بمعنًى واحدٍ؛ وهو حَجَرٌ أو صنم كان المشركون يذبحون عنده، وجمعه: أنصاب.
- ٣٥٨- نَصَبٌ -بفتحتين-: تعبٌ، و﴿مَسْنَى الشَّيْطَانُ نِصْبٍ﴾ [ص: ٤١] أي: بلاءٌ وشرٌّ.
- ٣٥٩- نَقَمَ الشَّيْءَ يَنْقِمُهُ: أي: كرهه وعابه.
- ٣٦٠- نَضِيدٌ: منضوّدٌ بعضه إلى بعض.
- ٣٦١- نَكِيرِي: إنكاري^(١)، ويقال: نَكَرَ الشَّيْءَ وأنكره: بمعنًى^(٢).
- ٣٦٢- يَنْسِلُونَ: من النَّسْلَانِ؛ وهو الإسراع في المشي مع قرب الخطأ.



(١) في أ، د: «نكير: إنكار».

(٢) في د زيادة: «واحد».

﴿ حرف الصاد ﴾

٣٦٣- صراطٌ: هو في اللغة: الطريق، ثم استعمل في القرآن بمعنى: الطريقة الدينية.

وأصله السين، ثم قلبت صاءً؛ لحرف الإطباق بعدها.
وفيه ثلاث لغات: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي.

٣٦٤- صلاة: إذا كانت من الله: فمعناها رحمة.

وإذا كانت من المخلوق: فلها معنيان:

[١] الدعاء.

[٢] والأفعال المعلومة.

٣٦٥- صومٌ: أصله في اللغة: الإمساك مطلقاً.

ثم استعمل شرعاً في: الإمساك عن الطعام والشراب^(١).

وقد جاء بمعنى الصمت في قوله: ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦]؛ لأنه إمساكٌ عن الكلام.

(١) في هامش ب: «والجماع».

٣٦٦- صدقة: ينطلق^(١) على: الزكاة الواجبة، وعلى التطوع؛ ومنه: ﴿إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ﴾ بالتشديد؛ أي: المتصدقين [الحديد: ١٨].

وأما: ﴿أَأَنْتَ لِمَنِ الْمُصْذِقِينَ﴾ [الصفات: ٥٢] بالتخفيف: فهو من التصديق.

٣٦٧- صدقة - بضم الدال - : صداق المرأة؛ ومنه: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صُذُقِينَ﴾ [النساء: ٤].

٣٦٨- الصدق: في القول: ضد الكذب.

والصدق في الفعل: حُسن النية فيه.

والصدق في القصد: العزم الصادق.

٣٦٩- صعد يصعد أي: ارتفع.

وأصعد - بالالف - يُصعد - بالضم - أي: أبعد في الهروب؛ ومنه: ﴿إِذْ نُصْعِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

٣٧٠- صعيداً طيباً: أي: تراباً.

والصعيد: وجه الأرض.

٣٧١- صدّ: له معنيان:

[١] فالمتعدّي: بمعنى: منع غيره من شيء، ومصدره: صدّ، ومضارعه بالضم.

[٢] وغيره: بمعنى: أعرض، ومصدره: صدودّ.

(١) في د: «تطلق».

٣٧٢- صار: له معنيان:

[١] من الانتقال؛ ومنه: ﴿نَصِيرُ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٥٣]، و﴿الْمَصِيرُ﴾.

[٢] وبمعنى: ضَمَّ، ومضارعه: يَصُور؛ ومنه: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾

[البقرة: ٢٦٠].

٣٧٣- صاعقة: لها ثلاثة معان:

[١] الموت.

[٢] وكلُّ بلاءٍ يصيب.

[٣] وقطعة نارٍ تنزل مع شدة الرعد والمطر.

وجمعها: صواعق.

٣٧٤- أَصَرَّ عَلَى الذَّنْبِ يُصِرُّ إِصْرَارًا: دام عليه، ولم يتب منه.

٣٧٥- صُوعٌ: مِكْيَالٌ؛ وهو السقاية والصاع.

وَصُوعٌ - بالسین -: اسم صنم.

٣٧٦- صَابِينَ^(١): قوم يعبدون الملائكة ويقولون: إنها بنات الله.

وقيل: إنهم يرون تأثير الكواكب.

وفيه لغتان:

الهمز.

(١) كذا رسمت كلمة «صابين» في النسخ الخطية بغير همز؛ اتباعاً لقراءة نافع.

وتركّه؛ مِنْ: صَبَا إِلَى الشَّيْءِ: إِذَا مَالَ إِلَيْهِ.

٣٧٧- تَصَطَّلُونَ: تَفْتَعِلُونَ؛ مِنْ: صَلَّى بِالنَّارِ^(١): إِذَا تَسَخَّنَ بِهَا، وَالطَّاءُ بَدَلُ مِنَ التَّاءِ.

٣٧٨- اصْطَفَى: أَي: اخْتَارَ، وَأَصْلُهُ: مِنَ الصَّفَا؛ أَي: اتَّخَذَهُ صَفِيًّا.

٣٧٩- صَغَارٌ -بِفَتْحِ الصَّادِ-: ذِلَّةٌ؛ وَمِنْهُ: ﴿صَغُرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].
وَالصَّغِيرُ: ضِدُّ الْكَبِيرِ.

٣٨٠- صَدَفَ عَنِ الشَّيْءِ يَصْدِفُ: أَعْرَضَ عَنْهُ.

٣٨١- صَرِيخٌ: مُغِيثٌ؛ وَمِنْهُ: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

٣٨٢- صَلْصَالٌ: طِينٌ يَابَسٌ.

فَإِذَا مَسَّتْهُ النَّارُ: فَهُوَ فَخَّارٌ.

٣٨٣- صَرْحٌ: قَصْرٌ.

وَهُوَ -أَيْضًا-: الْبِنَاءُ الْعَالِي.



(١) فِي د: «النَّارَ».

﴿ حرف الضاد ﴾

٣٨٤- ضرب : له أربعة معان :

[١] مِنَ الضَّرْبِ باليد وشبهه .

[٢] ومن ضرب الأمثال .

[٣] ومن السفر ؛ ومنه : ﴿ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [النساء : ١٠١] .

[٤] ومن الالتزام ؛ ومنه : ﴿ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ ﴾ [آل عمران : ١١٢] أي : أُلْزِمُوها .

و﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ ﴾ [الكهف : ١١] أي : أَلْقِينَا عَلَيْهِمُ النُّومَ .

و﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ ﴾ [الزخرف : ٥] أي : نُمْسِكُ عَنْكُمُ التَّذْكِيرَ .

٣٨٥- ضاعف الشيء : كَثَّرَهُ ، ويجوز فيه التشديد .

وَضِعْفُ الشيء -بكسر الضاد- : مِثْلَاهُ ، وَقِيلَ : مِثْلُهُ .

وَالضُّعْفُ -أَيْضًا- : الْعَذَابُ .

وَالضُّعْفُ بِالضَّمِّ : يَجُوزُ^(١) فِيهِ الْفَتْحُ .

(١) فِي ب ، د : «يَجُوزُ» .

٣٨٦- ضرٌّ - بفتح الضاد وضمها - : بمعنى واحد .

وكذلك الضير - بالياء - ؛ ومنه : ﴿لَا يَضِرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

والضرّاء : ما يصيب من المرض وشبهه .

٣٨٧- ضحى : أول النهار ، والفعل منه : أضحى .

وأما ضَحِيّ - بكسر الحاء - يَضْحَى في المضارع فمعناه : برز للشمس ، وأصابه حرّها ؛ ومنه : ﴿لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [طه : ١١٩] .

٣٨٨- ضيفٌ : يقال للواحد ، والاثنين ، والجماعة .

٣٨٩- ضيق - بكسر الضاد - : مصدر .

وبفتحها مع إسكان الياء : تخفيفٌ من ضَيِّق المشدد ؛ كمَيِّت ومَيِّت .



﴿ حرف العين ﴾

٣٩٠- عاذ بالله يعوذ: أي: استجار به، ولجأ إليه؛ ليدفع عنه ما يخاف.
ويقال -أيضاً-: استعاذ يستعيز.

ومنه: ﴿عُدْتُ بِرَبِّي﴾ [غافر: ٢٧]، و﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣].

٣٩١- العالمين: جمع عالم؛ وهو عند المتكلمين: كلُّ موجود سوى الله تعالى.

وقيل: العالمين: الإنس والجن والملائكة؛ لجمعه جمع العقلاء.

وقيل: الإنس خاصة؛ لقوله: ﴿الذُّكْرَانِ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥].

٣٩٢- يعمهون: يتحيرون في ضلالهم، والعمّة: الحيرة.

٣٩٣- عدل يعدل عدلاً: ضدُّ جار.

وعدل عن الحق عدولاً.

وعدلتُ فلاناً بفلان: سويتُ بينهما؛ ومنه: ﴿بَرَبِّهِمْ يَقْدِرُونَ﴾ [الأنعام: ١].

والعدل له ثلاثة معان:

[١] ضد الجور.

[٢] والفدية؛ ومنها: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، و﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كُذِّبَ﴾ [الأنعام: ٧٠].

[٣] ومثل الشيء؛ ومنه: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥].

٣٩٤- عزيز: اسم الله تعالى، معناه: الغالب.

وعزَّ: غلب؛ ومنه: ﴿وَعَزَّزْنِي فِي الْحِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] أي: غلبني.

والغلبة ترجع إلى: القوة، والقدرة؛ ومنه: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤] أي: قوينا.

وقيل: العزيز: العديد المثل.

٣٩٥- عفا: له أربعة معان:

[١] عفا عن الذنب؛ أي: صفح عنه.

[٢] وعفا: أسقط حقه؛ ومنه: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا﴾ [البقرة: ٢٣٧].

[٣] وعفا القوم: كثروا؛ ومنه: ﴿حَتَّىٰ عَفَّوْا﴾ [الأعراف: ٩٥].

[٤] وعفا المنزل: درس.

٣٩٦- عَفُوٌّ: له ثلاثة معان:

[١] الصفح عن الذنب.

[٢] والإسقاط.

[٣] والسهل من غير كلفة؛ ومنه: ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

٣٩٧- عَيْنٌ : له في القرآن معنيان :

[١] العين المبصرة .

[٢] وعين الماء .

وله في غير القرآن معانٍ كثيرةٌ .

٣٩٨- عَيْنٌ - بكسر العين - : واسعاتُ العيون ؛ وهو جمع عَيْنَاء .

٣٩٩- عَنَتٌ : معناه الهلاك ، أو المشقة ؛ ومنه : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة : ٢٢٠] أي : لأهلككم ، أو ضيق عليكم .

والعَنَت - أيضًا - : الزنا ؛ ومنه : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ [النساء : ٢٥] .

وأما : ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ [طه : ١١١] فليس من هذا ؛ لأن لامه واوٌ ، فهو من : عنا يعنوا : إذا خضع .

٤٠٠- عاقب : له معنيان :

[١] من العقوبة على الذنب .

[٢] ومن العُقْبَى ؛ ومنه : ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابْتُمْ﴾ [المنحة : ١١] أي : أصبتم عقبي .

٤٠١- أعجاز نخل : أصولها .

٤٠٢- أعجز^(١) الشيء : إذا فات ولم يُقدَّر عليه ؛ ومنه : ﴿وَمَا هُمْ

(١) في د : «أعجزه» .

يُمَعِّجِرِينَ ﴿[الزمر: ٥١]، و﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِرَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤].

وأما ﴿مُعْجِرِينَ﴾ [الحج: ٥١] - بالألف - فمعناه: مسابقين.

٤٠٣ - عال يعيل عيلةً: أي: افتقر؛ ومنه: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ [الضحى: ٨].

وعال يعول: عدل عن الحق.

وعال يعول - أيضًا -: كثر عياله؛ والأشهر أن يقال في هذا المعنى: أعال^(١) بالألف.

٤٠٤ - عرج يعرج - بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع -: صعد وارتقى؛ ومنه: ﴿أَلْمَعَارِجُ﴾ [المعارج: ٣].

وعرج - بالكسر في الماضي والفتح في المضارع -: صار أعرج.

٤٠٥ - عُتِبَى: معناه: الرضا؛ ومنه: ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤]، و﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤].

والعتاب: العذل.

٤٠٦ - أَعَدَّ - بالألف -: يَسَّرَ الشيءَ وهَيَّأه.

وعَدَّ - بغير ألف -: من العدد.

٤٠٧ - عَرَشٌ: سرير المَلِكِ؛ ومنه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، و﴿أَهْكَذَا عَرْشُكَ﴾ [النمل: ٤٢].

وعرش الله: فوق السماوات.

(١) لم ترد في ب، ج، هـ.

و﴿يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧، النحل: ٦٨]: يبنون^(١).

و﴿عَلَىٰ عُرُوشَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]: سقوفها.

٤٠٨- عورةٌ: أصلُ معناه: الانكشاف فيما يكره كشفه؛ ولذلك قيل:
عورة الإنسان.

و﴿ثَلَاثُ عَوْرَتٍ﴾ [النور: ٥٨] أي: أوقات انكشافٍ.

و﴿يُؤْتِنَا عَوْرَةً﴾ [الأحزاب: ١٣] أي: خاليةٌ معرضةٌ للسُّراق.

٤٠٩- عاقر: له معنيان:

[١] المرأة العقيم.

[٢] واسم فاعل من: عقر الحيوان.

٤١٠- عَبْرَ يَعْبُرُ: له معنيان:

[١] من عبارة الرؤيا ومنه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

[٢] ومن الجواز على الموضع؛ ومنه: ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ [النساء: ٤٣].

٤١١- عَمُونَ وَعَمِينَ^(٢): جمع عَمٍ؛ وهو صفة على وزن فَعِل - بكسر العين-؛ من العَمَى في البصر، أو في البصيرة.

(١) في النسخ المعتمدة: «و«تعريشون»: تبنون»، وليس كذلك لفظ الآية، إنما هو بالياء كما أثبتته، وهو موافق لإحدى النسخ الخطية التي لم أعتمدها أصالة في المقابلة، وإنما أرجع إليها للاستئناس.

(٢) هذه الكلمة لم ترد في ب، د.

٤١٢- علا يعلو: تكبر؛ ومنه: ﴿قَوْمًا عَلَيْنَ﴾ [المؤمنون: ٤٦] و﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصر: ٤].

والعلي: اسم الله، والمتعالي، والأعلى؛ من العلو؛ بمعنى: الجلال والعظمة.

وقيل: بمعنى التنزيه عما لا يليق به^(١).

٤١٣- عَزَبَ الشَّيْءُ: غاب؛ ومنه: ﴿وَمَا يَعْرِزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٦١] أي: لا يخفى عنه^(٢).

٤١٤- عُصْبَةٌ: جماعة من العشرة إلى الأربعين.

٤١٥- عَلَقَةٌ: واحدة العلق؛ وهو الدَّم.

٤١٦- عاصفٌ: ريح شديدة.

٤١٧- عَصَفٌ: ورق الزرع.



(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك: «قوله: «من العلو؛ بمعنى: الجلال

والعظمة». إلخ، أقول: يلاحظ أنه اقتصر على معنيين من معاني العلو:

الأول: الجلال والعظمة، المتضمن لعلو القهر.

والثاني: التنزيه لله عما لا يليق به، وهذا يتضمن علو القدر، ولم يذكر تَعَلُّو الذات،

وهو ارتفاعه تعالى فوق جميع المخلوقات مستويا على عرشه، وهذا هو الذي اختلف

فيه أهل السنة والمبتدعة كالجهمية ومن وافقهم، فاسمه العلي سبحانه يتضمن معاني

العلو الثلاثة. والله أعلم.

(٢) في د: «لا يغيب ولا يخفى عنه».

﴿ حرف الغين ﴾

٤١٨- غِشَاوَةٌ : غطاءٌ ؛ إما حقيقةً ، أو مجازًا .

٤١٩- غمام : هو السحاب .

٤٢٠- غُلْفٌ : جمع أغلف ؛ وهو كلُّ شيء جعلته في غلاف ؛ أي : قلوبنا محجوبة .

٤٢١- غُرْفَةٌ -بضم الغين- لها معنيان :

[١] المسكن المرتفع .

[٢] والغرفة من الماء بالضم ، وبالفتح : المرة الواحدة .

٤٢٢- غادر : ترك ؛ ومنه : ﴿لَا يُغَادِرُ﴾ [الكهف : ٤٩] ^(١) .

٤٢٣- غلَّ يَغْلُ : من الغلول ؛ وهو الخيانة ، والأخذ من المغنم بغير حق .
والغِلُّ : الحقد .

٤٢٤- أغلال : جمع غُلٍّ -بالضم- ؛ وهو ما يجعل في العنق ، ومنه : ﴿مَعْلُولَةٌ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

٤٢٥- غلا يغلو : من الغلو ؛ وهو مجاوزة الحد والإفراط ؛ ومنه :

(١) في ب ، ج ، هـ : ﴿فَلَمْ تَغَادِرْ﴾ [الكهف : ٤٧] .

﴿لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] أي: لا تجاوزوا الحق.

٤٢٦- غائط: المكان المنخفض؛ ثم استعمل في حاجة الإنسان.

٤٢٧- غَشِيَ الأمر يَغْشَى - بالكسر في الماضي والفتح في المضارع - معناه: غَطَّى حسًا أو معنى؛ ومنه: ﴿وَالَيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]؛ لأنه يَغْطِي بظلامه.

ويُنْقَلُ^(١) بالهمزة، والتشديد؛ فيقال: غَشَى وأغشى.

و﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ عَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] يعني: ما يغشاهم^(٢) من العذاب أي: يصيبهم؛ ومنه: ﴿غَشِيَتْهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٧].

والغاشية - أيضًا - : القيامة، لأنها تغشى الخلق.

٤٢٨- غَبَر: له معنيان:

[١] ذهب.

[٢] وبقي.

ومنه: ﴿عَجُوزًا فِي الْغَايِنِ﴾ [الشعراء: ١٧١] أي: في الهالكين الذاهبين، أو في الباقيين في العذاب.

٤٢٩- غرور - بضم الغين - : مصدر.

وبفتحها: اسم فاعل مبالغة؛ ويراد به: إبليس.

(١) في د: «ويستعمل».

(٢) في ج، د: «يغشيه».

٤٣٠- غاض الشيء: نقص؛ ومنه: ﴿وَعِصَ الْمَاءُ﴾ [هود: ٤٤]، و﴿نَعِيشُ الْأَزْحَامُ﴾ [الرعد: ٨].

وغاز يغِظ - بالطاء المشالة - : من الغِظ.

٤٣١- غَوْرٌ: أي: غائر؛ من غار الماء: إذا ذهب.

٤٣٢- غرام: عذاب؛ ومنه: ﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٦].

والمعْرَم: غُرِم المال؛ ومنه: ﴿مِنْ مَّعْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠].



﴿ حرف الفاء ﴾

٤٣٣- فُرْقَان : أي : مفرِّقٌ بين الحق والباطل ؛ ومنه : ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] أي : تَفْرِقَةً .

ولذلك سمي القرآن : بالفرقان .

٤٣٤- فِتْنَة : جماعة من الناس .

٤٣٥- فِصَالٌ : فطام من الرِّضَاع .

٤٣٦- فَضْلٌ : له معنيان :

[١] الإحسان .

[٢] والربح في التجارة وغيرها ؛ ومنه : ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] .

٤٣٧- فسق : أصله الخروج ، وتارة يرد بمعنى الكفر ، وتارة بمعنى العصيان .

٤٣٨- فِتْنَة : لها ثلاثة معان :

[١] الكفر .

[٢] والاختبار .

[٣] والتعذيب .

٤٣٩- فَاءٌ يَفِيءُ: أي: رجع.

٤٤٠- فُلُكٌ -بضم الفاء-: أي: سفينة؛ ويستوي فيه المفرد والجمع.

٤٤١- فَلَكَ -بفتحتين-: القطب الذي تدور به الكواكب.

٤٤٢- فزع: له معنيان:

[١] الخوف.

[٢] والإسراع؛ ومنه: ﴿إِذْ فَرَعُوا فَلَا قَوَّةَ﴾ [سبا: ٥١].

٤٤٣- فرح: له معنيان:

[١] السرور.

[٢] والبطر.

٤٤٤- فاحشة وفحشاء: هي كل ما يَقْبُحُ ذكره من المعاصي.

٤٤٥- فرض: له معنيان:

[١] الوجوب.

[٢] والتقدير.

٤٤٦- فتح: له معنيان:

[١] فتح الأبواب؛ ومنه: فتح البلاد وشبهها.

[٢] والحكم؛ ومنه: ﴿أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، ويقال

للقاضي: فتّاح.

واسم الله تعالى الفتح : قيل : الحاكم ، وقيل : خالق النصر والفتح .

٤٤٧- انفَضُّوا : أي : تفرَّقوا .

٤٤٨- فطرَ : خلقه ابتداءً ؛ ومنه : ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ١٤] .

و﴿ فِطَرَتَ اللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٠] : الخِلقَةُ التي خَلَقَ الخَلْقَ عليها .

وأفطر - بالالف - : من الطعام .

٤٤٩- فُطُورٌ : شقوق ؛ ومنه : ﴿ أَنْفَطَرْتُ ﴾ [الانفطار : ١] ، أي : انشَقَّتْ ،

و﴿ يَنْفَطِرْنَ ﴾ [مريم : ٩٠] .

٤٥٠- فُجٌّ : طريق واسع ، وجمعه : فِجَاجٌ .

٤٥١- فار التنور : يقال لكلِّ شيءٍ هاج وغلا حتى فاض ؛ ومنه : ﴿ وَهَى

تَفُورُ ﴾ [الملك : ٧] ، وقولهم : فارت القدر .

٤٥٢- فَوْجٌ : جماعة من الناس ، وجمعه : أفواج .

٤٥٣- فاكهين : من التلذُّذ بالفاكهة .

أو من الفكاهة ؛ وهي السُّرور واللَّهو .

٤٥٤- فؤاد : هو القلب ، وجمعه : أفئدة .

٤٥٥- اسْتَفْزَرَ يَسْتَفِزُّ : أي : استخَفَّ .

٤٥٦- فقهه : فهم ؛ ومنه : ﴿ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ، و﴿ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا ﴾ [هود : ٩١] .

٤٥٧- في : حرف جر بمعنى الظرفية .

وقد تكون للتعليل ، وقد تكون بمعنى «مع» .

وقيل : بمعنى «على» .

٤٥٨- الفاء : ثلاثة أنواع :

[١] عاطفة .

[٢] ورابطة .

[٣] وناصفة للفعل بإضمار «أن» .

ومعناها : الترتيب ، والتعقيب ، والتسبيب^(١) .



(١) في د : «والتسبب» .

﴿ حرف القاف ﴾

٤٥٩- قرآن : له معنيان :

[١] الكتاب العزيز .

[٢] ومصدرُ : قرأ ؛ أي : تلا ، ومنه : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [القيامة : ١٧] .

٤٦٠- فنوتٌ : له خمسة معان :

[١] العبادة .

[٢] والطاعة .

[٣] والقيام في الصلاة .

[٤] والدعاء .

[٥] والسكوت .

٤٦١- قضاءٌ : له سبعة معان :

[١] الحُكْم .

[٢] والأمر .

[٣] والقدر السابق .

[٤] وفعل الشيء .

[٥] والفراغ منه .

[٦] والموت .

[٧] والإعلام بالشيء ؛ ومنه : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ ﴾ [الحجر : ٦٦] .

٤٦٢ - قَدَرَ : له خمسة معان :

[١] من القُدرة .

[٢] ومن التَّقدير .

[٣] ومن المِقْدَار .

[٤] ومن القدر والقضاء .

[٥] وبمعنى التَّضييق ؛ نحو : ﴿ فَفَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾ [الفجر : ١٦] .

وقد يشدّد الفعل ويخفّف .

والقدرُ - بفتح الدال وإسكانها - : القضاء ، والمقدار .

وبالفتح لا غير : من القضاء .

٤٦٣ - قام : له ثلاثة معان :

[١] من القيام على الرّجلين .

[٢] ومن القيام بالأمر بتدبيره وإصلاحه ؛ ومنه : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى

النِّسَاءِ ﴾ [النساء : ٣٤] .

[٣] وقام الأمرُ : ظهر واستقام ؛ ومنه : ﴿ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [التوبة : ٣٦] ، و﴿ دِينَ

الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة : ٥] .

٤٦٤- أقام: له ثلاثة معان:

[١] أقام الرجل غيره؛ من القيام.

[٢] ومن التقويم؛ ومنه: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧].

[٣] وأقام في الموضع: سکن؛ ومنه: ﴿مُقِيمٌ﴾ أي: دائم.

٤٦٥- قَيَّوم: اسم الله تعالى؛ وزنه فَيَعُول؛ وهو بناءٌ مبالغة؛ من القيام على الأمور، معناه: مدبِّر الخلائق في الدنيا والآخرة؛ ومنه: ﴿قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

٤٦٦- قِيَام: له معنيان:

[١] مصدر قام على اختلاف معانيه.

[٢] وبمعنى: قَوَام الأمر ومِلاكه.

وَقِيم - بغير ألف - : جمع قِيمَةٍ.

٤٦٧- قَرَضٌ: سلفٌ؛ والفعل منه: أَقْرَضَ يُقْرِضُ.

٤٦٨- أَقْسَط - بالالف - قِسْطًا^(١): عدلٌ في الحكم؛ ومنه: ﴿يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

وَقَسَط - بغير ألف - : جار؛ ومنه: ﴿وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾

[الجن: ١٥].

(١) في د: «يُقْسِط».

٤٦٩- مقاليد: فيه قولان: خزائن، ومفاتيح^(١).

٤٧٠- قَدَس يُقَدَّس: من التنزيه والطهارة.

وقيل: من التعظيم.

والقُدُّوس: اسم الله تعالى، فُعُول؛ من النزاهة عما لا يليق به.

٤٧١- قال يقول: من القول.

وقد يكون بمعنى الظن.

ومصدره: قَوْلٌ، وقِيلٌ.

وقال يَقِيل: من القائلة؛ ومنه: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، و﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

٤٧٢- قَفَى: اتَّبَعَ؛ وأصله: من القفا؛ يقال: قَفَوته: إذا جئت في أثره.

وقَفَّيت - بالتشديد - : إذا سقت شيئاً في أثره؛ ومنه: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧].

٤٧٣- قُرُنٌ: جماعة من الناس، وجمعه: قرون.

٤٧٤- قواعد البيت: أساسه، واحده: قاعدة.

و﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٦٠]: واحدة: قاعدٌ؛ وهي العجوز.

٤٧٥- قُرْبَانٌ: ما يتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها.

وقربان - أيضاً - : من القرابة.

(١) في ج، هـ: «ومفاتيح».

٤٧٦- قَلَى يَقْلِي: أَبْغَضَ؛ وَمِنْهُ: ﴿وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]، و﴿لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

٤٧٧- اقْتَرَفَ: اكْتَسَبَ حَسَنَةً، أَوْ سَيِّئَةً.

٤٧٨- قَصَصَ: لَهُ مَعْنِيَانِ:

[١] مِنَ الْحَدِيثِ.

[٢] وَمِنْ قَصِّ الْأَثَرِ؛ وَمِنْهُ: ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، و﴿فُصِّصَ﴾ [القصص: ١١].

٤٧٩- قَرَرْتُ بِهِ عَيْنًا أَقَرُّ: بِالْكَسْرِ فِي الْمَاضِي وَالْفَتْحُ فِي الْمَضَارِعِ.

وَقَرَرْتُ فِي الْمَكَانِ: بِالْفَتْحِ فِي الْمَاضِي وَالْكَسْرِ فِي الْمَضَارِعِ.

٤٨٠- قَسَطَاسٌ: مِيزَانٌ.

٤٨١- قَتَرُ وَقْتَرَةٌ: غَبَارٌ.

وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَغْيِيرِ الْوَجْهِ.

٤٨٢- قُتُورٌ: مِنَ التَّقْتِيرِ.

٤٨٣- قَارَعَةٌ: دَاهِيَةٌ وَأَمْرٌ عَظِيمٌ.

٤٨٤- قَبْسٌ: شَعْلَةٌ نَارٍ.

٤٨٥- قَنِطٌ: يَنْسُ مِنَ الْخَيْرِ.

٤٨٦- قَرَطَاسٌ: صَحِيفَةٌ، وَجَمْعُهَا: قَرَاتِيسٌ.

﴿ حرف السين ﴾

٤٨٧- أسباطٌ : جمع سبطٍ ؛ وهم ذرية يعقوب عليه السلام ، كان له اثنا عشر ولدًا ذكرًا ، فأعقب كلُّ واحد منهم عقبًا .

والأسباط في بني إسرائيل : كالقبائل في العرب .

٤٨٨- سبيل : هو الطريق ، وجمعه : سُبُلٌ .

ثم استعمل في طريق الخير والشر .

وسبيل الله : الجهاد .

وابن السبيل : الضيف ، وقيل : الغريب .

٤٨٩- سَوَى - بالتشديد - : له معنيان :

[١] من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء .

[٢] وبمعنى : اتقن وأحسن ؛ ومنه : ﴿ فَسَوَّيْنَاكَ فَعَدْلَكَ ﴾ [الأنفطار : ٧] .

٤٩٠- سَوَاءٌ - بالفتح والهمز - : من التسوية بين الأشياء .

و﴿ سَوَاءٌ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٥٥] : وسطها .

و﴿ سَوَاءٌ الصِّرَاطِ ﴾ [ص : ٢٢] : قَصْدَ الطريق .

٤٩١- سَوَى - بالكسر أو الضم مع ترك الهمز- : استثناء.

وقد يكون من التسوية.

٤٩٢- سفهاء: جمع سفيه؛ وهو الناقص العقل.

وأصل السَّفَه: الخَفَّة؛ ولذلك قيل لمبذر المال: سفيه، وللكفار والمنافقين: سفهاء.

٤٩٣- سلوى: طائرٌ يشبه السُّمَانَى، وكان ينزل على بني إسرائيل مع المنّ.

٤٩٤- سأل: له معنيان:

[١] طلب الشيء.

[٢] والاستفهام عنه.

وسال - بغير همز- : من المعنيين المذكورين، ومن السَّيل.

٤٩٥- سبحان: تنزيه، وسَبَّحْتُ الله أي: نَزَّهْتُهُ عما لا يليق به من

الصاحبة والولد والشركاء والأنداد وصفاتِ الحدوث^(١) وجميع العيوب والنقائص.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «قوله: «وصفات الحدوث» أقول: هذا لفظ مجملٌ يحتمل حقاً وباطلاً؛ فإن أريد به تنزيهه تعالى عن وصفه بشيء من خصائص المخلوق مما يستلزم تمثيله سبحانه بخلقه فهو حقٌّ، وإن أريد به تنزيهه عما يكون بمشيئته تعالى من أفعاله، وهو ما يعبرون عنه بحلول الحوادث، ويقصدون نفي قيام الأفعال الاختيارية به؛ فإن ذلك باطلٌ. وهذا أصل عند أكثر المتكلمين، فإنه يقولون: إنه تعالى منزّه عن حلول الحوادث، يريدون نفي قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه؛ كالمجيء والنزول والاستواء على العرش، والله أعلم».

٤٩٦- سار يسير: مشى ليلاً أو نهاراً.

٤٩٧- سرى يسري: مشى ليلاً.

ويقال -أيضاً-: أسرى -بالألف-.

٤٩٨- سخر يسخر -بالكسر في الماضي والفتح في المضارع- أي: استهزأ.

٤٩٩- سخر -بالتشديد-: من التسخير.

٥٠٠- سخرتاً بضم السين: من السخرة؛ وهو تكليف الأعمال.

وبالكسر: من الاستهزاء.

٥٠١- سلطان: له معنيان:

[١] البرهان.

[٢] والقوة؛ ومنه: ﴿لَا تَفْذُوتَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

٥٠٢- سام يسوم: أي: كُلف الأمر وألزمه؛ ومنه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ

الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩].

وأصله: من سوم السلعة في البيع.

٥٠٣- سيم يسأم: أي: ملّ؛ ومنه: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

٥٠٤- سنة: أي: عادة.

٥٠٥- سلف الأمر: أي: تقدّم.

وأسلفه الرجل: أي: قدّمه؛ ومنه: ﴿هَنِيئًا يَمَاّ أَخْلَفْتُمْ﴾ [الحاقة: ٢٤].

٥٠٦- سرَّاء: فَعْلَاء؛ من السرور.

٥٠٧- سارع إلى الشيء: بادر إليه.

٥٠٨- إسراف: إفراط.

والمسرفون: أي: المبذرون، أو المفرطون في الكفر والمعاصي.

٥٠٩- سَوَاء: عورة.

والسوء: ما يسوء -بالفتح والضم-.

و﴿الْأَسْوَأَ﴾ [الروم: ١٠]: فَعْلَى؛ من السوء.

و﴿يَسِئَ بِهِمْ﴾ [هود: ٧٧]: فَعِلَ بِهِم السوء.

٥١٠- سَنَّة -بفتح السين-: عامٌ، ولامها محذوفة، وجمعها: سنين.

وقد تقال بمعنى: القحط والجذب.

٥١١- سِنَّة -بكسر السين-: ابتداء النوم، وفاؤها واو محذوفة؛ لأنها من الوسن.

٥١٢- سَلَكَ يَسْلُكُ: له معنيان:

[١] أدخل؛ ومنه: ﴿أَسْلُكُ يَدَكَ﴾ [الفصص: ٣٢] و﴿فَسَلَكُهُ يَنْبِيعَ﴾ [الزمر: ٢١].

[٢] ومن: سلوك الطريق.

٥١٣- أسفارٌ: جمع: سَفَرٍ -بفتح السين-.

وجمع: سِفْرٍ؛ وهو الكتاب.

٥١٤- ساح يسبح: أي: سار؛ ومنه: ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢].

و﴿السَّيِّحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]: الصائمون.

٥١٥- سَوَّلَ - بتشديد الواو - : زَيَّنَ؛ ومنه: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾

[يوسف: ١٨].

٥١٦- سراييل: جمع سربال؛ وهو القميص.

٥١٧- سبأ: قبيلة من العرب.

٥١٨- سَمُوم: شِدَّةُ الحرِّ.

٥١٩- سلام: له ثلاثة معان:

[١] التحية.

[٢] والسلامة.

[٣] والقول الحسن؛ ومنه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

[الفرقان: ٦٣].

٥٢٠- سلام: اسم الله تعالى؛ معناه: ذو السلامة من كل نقص؛ فهو من

أسماء التنزيه.

وقيل: مُسَلِّمُ العباد من المهالك.

وقيل: ذو السلام على المؤمنين في الجنة.

٥٢١- سَلَّمَ - بفتحتين - : انقيادٌ، وإلقاءٌ باليد.

وهو -أيضاً- بَيْعٌ.

٥٢٢- سَلَّمَ - بفتح السين وإسكان اللام - : صُلِح ومهادنة .

٥٢٣- سِلَّمَ - بكسر السين وإسكان اللام - : معناه : الإسلام .

٥٢٤- سُلَّمَ - بضم السين وفتح اللام مشددة - : هو الذي يُصْعَد فيه .

٥٢٥- أسلم يُسَلِّم : له ثلاثة معان :

[١] الدُّخُول في الإسلام .

[٢] والإخلاص لله .

[٣] والانقياد ؛ ومنه : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ [الصافات : ١٠٣] .

٥٢٦- سعى يسعى : له ثلاثة معان :

[١] عَمِلَ عَمَلًا ؛ ومنه : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم : ٣٩] .

[٢] ومشى ؛ ومنه : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة : ٩] .

[٣] وأسرع في مَشْيِهِ ؛ ومنه : ﴿ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ [يس : ٢٠] .

٥٢٧- سكن يسكن : له معنيان :

[١] من السكون ضد الحركة .

[٢] ومن السُّكْنَى في الموضع .

٥٢٨- سَكِينَة : وقار وطُمَأْنِينَة .

٥٢٩- سَائِع : سهل للشَّرَاب^(١) ، لَا يَعْصُ بِهِ مِنْ شَرْبِهِ .

(١) في ب : «الشرب» .

- ٥٣٠- سابغات: دروع واسعات طوال.
- ٥٣١- أساطير الأولين: ما كتبه المتقدمون.
- ٥٣٢- مسيطر: أي مُسَلَّط.
- و﴿أَمْ هُمُ الْمُضَيَّطُونَ﴾ [الطور: ٣٧] أي: الأرباب.
- ٥٣٣- سندس وإستبرق: ثياب حرير.
- وقيل: السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: صفيقه.
- ٥٣٤- سحقًا: بُعْداً؛ ومنه: ﴿مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] أي: بعيد.
- ٥٣٥- سعير: جهنم.
- و﴿سُعِرَتْ﴾ [التكوير: ١٢]: أوقدت.
- ٥٣٦- سبب - وجمعه: أسباب - : له خمسة معان:
- [١] الجبل؛ ومنه: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥].
- [٢] والاستعارة من الجبل في المودة والقراية؛ ومنه: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].
- [٣] والطريق؛ ومنه: ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥].
- [٤] والباب؛ ومنه: ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ﴾ [غافر: ٣٧].
- [٥] وسبب الأمر: مُوجِبُهُ.

﴿ حرف الشين ﴾

٥٣٧- شَعَرَ : بالأمر يشْعُرُ : أي : عَلِمَهُ .

والشعور : العلم من طريق الحسِّ ؛ ومنه : ﴿ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٢] .

٥٣٨- شَهِدَ يَشْهَدُ : له معنيان :

[١] من الشهادة على الشيء .

[٢] ومن الحضور .

٥٣٩- شهداء : جمع شهيد ؛ وله ثلاثة معان :

[١] من الشهادة على الشيء .

[٢] ومن الحضور .

[٣] ومن الشهادة في سبيل الله .

٥٤٠- شكر : قد تقدم في الحمد^(١) .

والشَّاكر والشَّاكور : اسم الله المجازي لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب .

وقيل : المثنى على العباد .

(١) انظر المادة (١٢٦) .

٥٤١- شَرَى: أي: باع.

وقد يكون بمعنى: اشترى.

٥٤٢- شِقَاقٌ: عداوة ومعاندة؛ ومنه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾ [الأنفال: ١٣].

٥٤٣- شهاب: كوكب.

وقد يطلق على شعلة النار.

٥٤٤- شجر: هو كل ما ينبت في الأرض.

و﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] أي: اختلفوا فيه.

٥٤٥- شَنَانٌ: عداوة وشرٌّ، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها.

٥٤٦- شَرَعَ الله الأمر: أي: أمر به.

والشريعة والشرعة: الملة.

وشرعت الدَّوابُّ في الماء.

٥٤٧- شعائرُ الله: معالم دينه، واحدها: شَعيْرة أو شِعارَة.

٥٤٨- شِرْكٌ: له معنيان:

[١] من الإِشراك.

[٢] وهو -أيضاً- النصيب؛ ومنه: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [فاطر: ٤٠].

٥٤٩- شركاء: جمع شريك.

٥٥٠- مشحون: أي: مملوء.

﴿ حرف الهاء ﴾

٥٥١- الهُدَى : له معنيان :

[١] الإرشاد .

[٢] والبيان .

وَمِنَ الْبَيَانِ : ﴿وَأَمَّا تَعْمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ﴾ [فصلت: ١٧] .

والإرشاد قد يكون :

إلى الطريق .

وإلى الدين .

وبمعنى التوفيق والإلهام .

٥٥٢- الهُدَى - بفتح الهاء وإسكان الدال - : ما يُهْدَى إلى الكعبة من

البهائم .

٥٥٣- هاد يهود : أي : تاب ؛ ومنه : ﴿هُدْنًا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] .

و﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ [البقرة: ٦٢] أي : تهوّدوا ؛ أي : صاروا يهودًا ، وأصله

من قولهم : ﴿هُدْنًا إِلَيْكَ﴾ .

٥٥٤- هود: له معنيان :

[١] اسم نبي عادٍ عليه السلام .

[٢] وبمعنى اليهود؛ ومنه: ﴿كُونُوا هُودًا﴾ [البقرة: ١٣٥].

٥٥٥- هوى النفس - مقصور -؛ وهو ما تحبّه وتميل إليه .

والفعل منه: بكسر الواو في الماضي، وفتحها في المضارع .

والهواء - بالمد والهمز - : ما بين السماء والأرض .

و﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أي: مُنْخَرِقَةٌ لَا تَعِي^(١) شيئاً .

وهوى يهوي - بالفتح في الماضي والكسر في المضارع - : وقع من علوٍ .

ويقال - أيضاً - بمعنى الميل؛ ومنه: ﴿أَفْتَدَتْ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ﴾

[إبراهيم: ٣٧] .

٥٥٦- هاجر: خرج من بلاده؛ ومنه سمي: المهاجرون .

٥٥٧- هجر: من الهجران .

ومن الهُجر - أيضاً -؛ وهو: فحش الكلام .

وقد يقال في هذا: أهجر - بالالف - .

٥٥٨- أَهْلٌ لغير الله به: أي: صبيح، والإهلال: الصياح .

ثم استعمل في:

الكلام بغير صياح .

(١) في ب، د: «لا تغني» .

وفي النية؛ أي: أريدَ به غيرُ الله.

٥٥٩- مهيمن عليه: أي شاهدٌ. وقيل: مؤتمن.

والمهيمن: اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم.

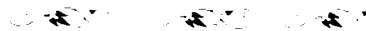
وقيل: الشاهد.

وقيل: الرقيب.

٥٦٠- هَوَانٌ وَهُونٌ: أي: ذُلٌّ.

٥٦١- مُهَيْن -بضم الميم-: مُفْعِلٌ مشتق من الهوان؛ أي: مُذِلٌّ.

وأما مَهِين -بفتح الميم-: فمعناه: ضعيف، أو ذليل.



﴿ حرف الواو ﴾

٥٦٢- وَقُودِ النَّارِ - بفتح الواو- : ما توقد به من الحطب وشبهه .

وَالْوُقُودِ - بالضم- : المصدر .

٥٦٣- وَجْهٌ : له معنيان :

[١] الجارحة .

[٢] والجهة ؛ ومنه : ﴿ وَجْهَهُ ﴾ [البقرة: ١٤٨] .

وأما وجه الله :

ففي قوله : ﴿ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ، أي : طلب رضاه .

وفي قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [النقص: ٨٨] ، ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾

[الرحمن: ٢٧] :

قيل : الوجه : الذات .

وقيل : صفة كاليدين ؛ وهو من المتشابه^(١) .

٥٦٤- وَعَدَ يَعِدُ وَعْدًا : بالخير .

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك عند تفسير المؤلف قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ

وَجْهَهُ اللَّهُ ﴾ صفحة ٣٥٢ .

وقد يقال في الشرِّ إذا قُيِّدَ .

وأوعد - بالألَف - يُوعِدُ وَعِيدًا : بالشرِّ لا غير .

٥٦٥- وَدَّ يَوَدُّ : له معنيان :

[١] من المودَّة والمحبة .

[٢] وبمعنى : تمنَّى ، نحو : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [النساء : ٨٩] .

والوَدُّ بالضم : المحبة .

و﴿ وَدَّ ﴾ [نوح : ٢٣] : اسم صنم ، بضم الواو وفتحها .

٥٦٦- ودود : اسم الله تعالى ؛ أي : محبٌّ لأوليائه .

وقيل : محبوب .

٥٦٧- ويلٌ : كلمة شر .

وقيل : إن الويل وادٍ في جهنم .

٥٦٨- وَجَبَ : له معنيان :

[١] من وجوب الحق .

[٢] وبمعنى : سقط ، كقولهم : وجب الحائط : إذا سقط ؛ ومنه : ﴿ وَجَبَتْ

جُنُوبَهَا ﴾ [الحج : ٣٦] .

٥٦٩- وَسَطٌ وَأَوْسَطٌ : له معنيان :

[١] من التوسط بين الشيئين .

[٢] وبمعنى: الخيار والأحسن^(١).

٥٧٠- وَسِعَ يَسَعُ سَعَةً: من الاتساع ضد الضيق.
والسعة: الغِنَى.

والواسع: اسم الله تعالى؛ أي: واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة.
وقيل: واسع: جواد.

٥٧١- مُوسِعٌ: غنيٌّ؛ أي: واسع الحال، وهو ضد المُقْتِرِ.
و﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]: قيل: أغنياء، وقيل: قادرون.

و﴿إِلَّا وَسْعَهَا﴾: طاقتها.

٥٧٢- وَلَّى: له معنيان:

[١] أدبر.

[٢] وجعل والياً.

٥٧٣- تَوَلَّى: له ثلاثة معان:

[١] أدبر وأعرض بالبدن، أو بالقلب.

[٢] وصار والياً.

[٣] واتخذ ولياً؛ ومنه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٥٦].

٥٧٤- وَلِيٌّ: ناصر.

(١) في ج، د: «والإحسان».

والولي: اسم الله؛ قيل: ناصر، وقيل: متولي أمر الخلائق.

٥٧٥- مولى: له سبعة معان:

[١] السيد الأعظم.

[٢] والناصر.

[٣] والولي - أي القريب -.

[٤] والمالك.

[٥] والمعتق.

[٦] والمعتق.

[٧] وبمعنى: أولى؛ ومنه: ﴿مَأْوَانُكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ [الحديد: ١٥].

٥٧٦- وَلَجَ يَلِج: أي: دخل؛ ومنه: ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾.

وأولج يُولِج: أدخل؛ ومنه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾.

٥٧٧- وَهَنَ يَهِن: ضعف؛ ومنه: ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ [مريم: ٤]، والوهن: الضعف.

٥٧٨- وَرَدَ الْمَاءُ يَرِدُهُ: إذا جاء إليه.

وأورده غيره.

و﴿فَازْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف: ١٩]: الذي يتقدمهم إلى الماء فيستقي لهم.

٥٧٩- أوزعني: أي: ألهمني ووفقني.

٥٨٠- يوزعون: يدفعون.

٥٨١- وليد: صبي، وجمعه: ولدان.

٥٨٢- وِجَل: يَوْجَلُ وَجَلًا: خاف، ومنه: ﴿لَا تُوجَلْ﴾ [الحجر: ٥٣]،
و﴿رَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ و﴿وَحِلُونْ﴾ [الحجر: ٥٢].

٥٨٣- أوجس: وجد في نفسه وأضمر.

٥٨٤- وارى يُواري: أي: ستر؛ ومنه: ﴿يُؤَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]
و﴿مَا وُرِيَ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠].

وتواری: أي: استتر واستخفى.

٥٨٥- وِطْئٌ يَطْأُ: له ثلاثة معان:

[١] جماع المرأة.

[٢] ومن الوطء بالأقدام؛ ومنه: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطْكُوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

[٣] والإهلاك؛ ومنه: ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْكُوهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥].

٥٨٦- وَقَرُّ - بفتح الواو-: هو الصمم والثقل في الأذن.

والوِقر - بكسر الواو-: الحِمْلُ؛ ومنه: ﴿فَالْحَمِيلَاتِ وَفَرَا﴾ [الذاريات: ٢].

٥٨٧- وَذَقُّ: هو المطر.

٥٨٨- واصب: أي: دائم.

٥٨٩- وكيل: كفيل بالأمر.

وقيل: كافٍ.

٥٩٠- وَزَّرَ - بكسر الواو وإسكان الزاي -: له معنيان :

[١] الذنب ؛ ومنه : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ .

[٢] والحِمل الثقيل ، وهو الأصل ؛ ومنه : ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ [طه : ٨٧] ؛ أي : أحمالاً .

٥٩١- وَزَّرَ - بفتحيتين -: أي : ملجأً .

٥٩٢- وزير : أي : مُعين ، وأصله : من الوزر بمعنى : الثقل ؛ لأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله .

٥٩٣- وسوس الشيطان إلى الإنسان : ألقى في نفسه .

والوسواس : الشيطان .

٥٩٤- أَوْحَى يُوحِي وَحْيًا : له ثلاثة معان :

[١] كلام الملك عن الله للأنبياء ؛ ومنه قيل للقرآن : وَحْيٌ .

[٢] وبمعنى الإلهام ؛ ومنه : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل : ٦٨] .

[٣] وبمعنى الإشارة ؛ ومنه : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم : ١١] أي : أشار .

٥٩٥- وَعَى العلمَ يعي^(١) : حفظه ؛ ومنه : ﴿أَذِّنْ وَعِيَةً﴾ [الحاقة : ١٢] .

وأوعى - بالألِف - يُوعِي : جمع المال في وعاء ؛ ومنه : ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ [المعارج : ١٨] .

(١) في أ ، ب : «يعني» .

﴿ حرف الياء ﴾

٥٩٦- يمين: له أربعة معان:

[١] اليد اليمنى .

[٢] والجهة اليمنى .

[٣] وبمعنى القوة .

[٤] وبمعنى الحلف .

٥٩٧- أيمن: أي: إلى الجهة اليمنى .

٥٩٨- يسيرٌ: له معنيان:

[١] قليل ؛ ومنه: ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥] .

[٢] وهينٌ ؛ ومنه: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ .

واليسر: ضد العسر .

٥٩٩- يئس من الأمر يئأس: أي: انقطع رجاءه ؛ ومنه: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنَ

رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] ، و﴿إِنَّهُ لَيَبْغِضُكُمْ﴾ [هود: ٩] .

وأما ﴿أَفَلَمْ يَأْتِنِسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الرعد: ٣١]: فمعناه: ألم يعلم .

٦٠٠- يَمٌ: هو البحر .

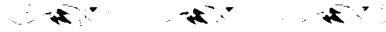
٦٠١- مَيْسَرٌ: هو القمار في النرد والشطرنج وغير ذلك.

وهو مأخوذ من: يَسْرُ لي كذا: إذا وجب.

والْيَسَر - بفتح الياء والسين - : الرجل الذي يشتغل بالميسر، وجمعه: أيسار.

وميسر العرب: أنهم كان لهم عشرة قِداح - وهي الأزلام - لكل واحد منها^(١) نصيب معلوم من ناقة ينحرونها، وبعضها^(٢) لا نصيب له، ويجزؤونها عشرة أجزاء، ثم يُدخلون الأزلام في خريطة ويضعونها على يدي عدلٍ، ثم يُدخل يده فيها فيُخرج باسم رجل قَدْحًا، فمن خرج له قَدْحٌ له نصيب: أخذ ذلك النصيب، ومن خرج له قدح لا نصيب له: غَرِمَ ثمن الناقة كُلِّها.

٦٠٢- يَنْبُوغٌ: أي: عينٌ من ماء، والجمع ينابيع.



(١) في د: «منهم».

(٢) في د: «وبعضهم».

﴿ الكلام على الاستعاذة ﴾

★ فيه عشرُ فوائد من فنونٍ مختلفة:

- الأولى: لفظ التعوذ على خمسة أوجه:

[١] «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، وهو المروي عن النبي ﷺ^(١)، والمختار عند القراء.

[٢] و«أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»، وهو مروي عن النبي ﷺ^(٢).

[٣] و«أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم».

[٤] و«أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي».

[٥] و«أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد»=

وهي محدثة.

- الثانية: يؤمر القارئ بالاستعاذة قبل القراءة؛ سواء ابتداء أول سورة، أو جزء سورة.

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٧٧/٢)، (ح: ٢٦١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٧٨٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

والأمر بذلك على الندب .

- الثالثة : يُجَهَر بالاستعاذة عند الجمهور ، وهو المختار .

وروي الإخفاء عن حمزة ونافع .

- الرابعة : لا يتعوّذ في الصلاة عند مالك .

ويتعوّذ في أوّل ركعة عند الشافعي وأبي حنيفة .

وفي كلّ ركعة عند قوم .

فحجة مالك : عمل أهل المدينة .

وحجة غيره : قول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] ؛ وذلك يعم الصلاة وغيرها^(١) .

- الخامسة : إنما جاء «أعوذ» بالمضارع دون الماضي ؛ لأنّ معنى الاستعاذة لا يتعلق إلّا بالمستقبل ؛ لأنها كالدعاء .

وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده ؛ مشاكلةً للأمر به في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَعِذْ ﴾ .

- السادسة : ﴿ الشَّيْطَانِ ﴾ يحتمل أن يراد به :

الجنس ؛ فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين .

أو العهد ؛ فالاستعاذة من إبليس .

(١) انظر : المحرر الوجيز (١/ ٥٥) .

وهو من :

شَطَنَ : إذا بَعُدَ ؛ فالنون أصلية ، والياء زائدة ، ووزنه : «فَعَال» .

وقيل : من شاط : إذا هاج ؛ فالنون زائدة ، والياء أصلية ، ووزنه : «فَعْلَان» .

وإن سَمَّيْت به : لم ينصرف على الثاني ؛ لزيادة الألف والنون ، وانصرف على الأوَّل .

- السابعة : ﴿الرَّجِيمُ﴾ : فَعِيل بمعنى مفعول ، ويحتمل معنيين :

أن يكون بمعنى : لعين وطريد ؛ وهذا يناسب إبليس ؛ لقوله : ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر : ٣٤] .

وأن يكون من : الرَّجَمَ بالنجوم ؛ وهذا يناسب الجنس ؛ لقوله : ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك : ٥] .

والأول أظهر .

- الثامنة : من استعاذ بالله صادقاً أعاده ، فعليك بالصدق ، ألا ترى امرأة عمران لما أعادت مريم وذريَّتها عصمها الله ؛ ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : «ما من مولود إلا نَحَسُه الشيطان فيستهل صارخاً ، إلا ابن مريم وأُمّه»^(١) .

- التاسعة : الشيطان عدوٌّ حَذَّر الله منه ؛ إذ لا مطمع في زوال عَادِيَّتِهِ^(٢) ، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فيأمره -أوَّلًا- بالكفر ويشكِّكه في

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٨) ، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) قال في «لسان العرب» (٢٦٤ / ١٩) : «ويقال : كَفَّ عَنَّا عَادِيَّتُكَ : أي : ظلمك وشرُّك» .

الإيمان، فإن قَدَّرَ عليه وإلَّا أمره بالمعاصي، فإن أطاعه وإلَّا ثَبَّطَهُ عن الطاعة، فإن سَلِمَ من ذلك أَفْسَدَهَا عليه بالرياء والعجب.

- العاشرة: القواطع عن الله أربعة: الشيطان، والنفس، والدنيا، والخلق.

فعلاجُ الشيطان: بالاستعاذة منه، والمخالفة له.

وعلاج النفس: بالقهر.

وعلاج الدنيا: بالزهد.

وعلاج الخلق: بالانقباض والعزلة.



﴿ الكلام على البسملة ﴾

★ فيه عشر فوائد^(١) :

- الأولى : ليست البسملة عند مالك بآية من الفاتحة ولا من غيرها ، إلا من النمل خاصة .

وهي عند الشافعي : آية من الفاتحة .

وعند ابن عباس : آية من كل سورة .

فحجة مالك : ما ورد في الحديث الصحيح : أن رسول الله ﷺ قال : «أنزلت عليّ سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها ، ثم قال : الحمد لله رب العالمين»^(٢) ؛ ولم يذكر البسملة ، وكذلك ما ورد في الحديث الصحيح : «إن الله يقول : قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين : يقول العبد : الحمد لله رب العالمين . . .»^(٣) فبدأ بهذا دون البسملة .

وحجة الشافعي : ما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ : «بسم

(١) انظر : المحرر الوجيز (٥٨/١) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢٣١) ، والترمذي (٢٨٧٥) ، وأحمد في مسنده (٩٣٤٥) في ضمن حديث طويل .

(٣) أخرجه مسلم (٣٩٥) .

الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين»^(١).

وحجة ابن عباس: ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف.

- الثانية: إذا ابتدأت أول سورة بسملة، إلا «براءة»، وسنذكر علّة سقوطها من «براءة» في موضعه.

وإذا ابتدأت جزء سورة:

فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرو والداني^(٢).
وتترك البسملة عند غيره.

وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى: فاختلف القراء في البسملة وتركها.
- الثالثة: لا يبسمل في الصلاة عند مالك.

ويبسمل عند الشافعي جهراً في الجهر، وسراً في السرّ.
وعند أبي حنيفة: سراً في الجهر والسرّ.

فحجة مالك من وجهين:

أحدهما: أنها ليست عنده آية من الفاتحة حسبما ذكرنا.

والآخر: الحديث الصحيح عن أنس أنه قال: «صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»،

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥).

(٢) انظر: التيسير في القراءات السبع، للداني (١٨).

لا يذكرون: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في أول الفاتحة ولا في آخرها^(١).

وحجة الشافعي من وجهين:

أحدهما: أن البسملة عنده آية من الفاتحة.

والآخر: ما ورد في الحديث من قراءتها حسبما ذكرناه.

- الرابعة: كانوا يكتبون: «باسمك اللهم»، حتى نزل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ بِحَبْرِهَا﴾ [هود: ٤١] فكتبوا: «بسم الله»، حتى نزل: ﴿أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الاسراء: ١١٠] فكتبوا: «بسم الله الرحمن»، حتى نزل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فكتبوها.

وحذفت الألف من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾؛ لكثرة الاستعمال.

- الخامسة: الباء من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: متعلقة باسم محذوف عند البصريين، والتقدير: ابتدائي كائن بسم الله؛ فموضعها: رفع.

وعند الكوفيين: تتعلق بفعل، تقديره: أبدأ أو أتلو؛ فموضعها: نصب.

وينبغي أن يقدر متأخراً؛ لوجهين:

أحدهما: إفادة الحصر والاختصاص.

والآخر: تقديم اسم الله اعتناءً؛ كما قدم في ﴿بِسْمِ اللَّهِ بِحَبْرِهَا﴾

[هود: ٤١].

(١) أخرجه مسلم (٣٩٩).

- السادسة: الاسم مشتق من السموّ عند البصريين؛ فلامه واوٌ محذوفة.
وعند الكوفيين: مشتقٌّ من السّمة -وهي العلامة-؛ ففاؤه واوٌ محذوفة.
ودليل البصريين: التصغير والتكسير؛ لأنهما يردّان الكلمات إلى أصولها، فقول العرب: أسماءٌ وسُمَيٌّ دليلٌ على أن الفاء هي السين، وأن اللام حرف علة.

وقول الكوفيين أظهر في المعنى؛ لأنّ الاسم علامةٌ على المسمى.
- السابعة: قولك «الله» اسم مرتجل جامد، والألف واللام فيه لازمة، لا للتعريف.

وقيل: إنه مشتق من التألّه، وهو التعبد.
وقيل: من الولّهان، وهي الحيرة؛ لتحير العقول في شأنه.
وقيل: أصله «إله» من غير ألف ولام، ثم حذفت الهمزة من أوّله على غير قياس، ثم أدخلت الألف واللام عليه.
وقيل: أصله «الإله» بالألف واللام، ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى اللام؛ كما تنقل في «الأرض» وشبهه، فاجتمع لامان، فأدغمت إحداهما في الأخرى.

وفُخِّم؛ للتعظيم، إلّا إذا كان قبله كسرة.

- الثامنة: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ صفتان، من الرحمة، ومعناهما:

الإحسان؛ فهي صفة فعل.

وقيل: إرادة الإحسان؛ فهي صفة ذات^(١).

- التاسعة: الفرق بين الرحمن والرحيم على ما روي عن رسول الله ﷺ: أَنَّ الرحمن في الدنيا والآخرة، والرحيم في الآخرة^(٢).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: قوله: «ومعناهما: الإحسان» إلخ، أقول: هذا يتضمن تفسير الرحمة إما بالإحسان أو بإرادة الإحسان، قال: «والإحسان صفة فعل»، والذين يقولون هذا يريدون ما يخلقه الله من النعم؛ فالرحمة -إذن- عبارة عن مخلوقاته سبحانه، وإن سموها صفة فعل فهو غلطٌ في العقل؛ فإن المفعول لا يكون صفة للفاعل، بل أثر فعله، وهم لا يثبتون فعلاً يقوم بالفاعل بمشيئته، فليس عندهم إلا فاعل ومفعول، وقد يفسرون الرحمة بإرادة الإحسان، وعليه فهي صفة ذاتية، كما قال المؤلف، أي إنها قائمة بذاته تعالى، وكلُّ من التفسيرين فيه صرفٌ للفظ عن ظاهره؛ فإن الرحمة لها معنى يقابل الغضب؛ كما جاء في الحديث القدسي: «إن رحمتي سبقت غضبي»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة التدمرية (ص ٣١) في الذين ينفون صفة الرحمة والمحبة والغضب والرضا: «إنهم يفسرون ذلك إما بالإرادة، وإما ببعض المفعولات من النعم والعقوبات» أهـ. وعليه فالواجب إثبات الرحمة صفةً لله حقيقة، وتفسيرها بالإحسان تفسير لها بأثرها. والرحمة في صفات الله نوعان: صفة ذاتية، وصفة فعلية، وذهب ابن القيم إلى أن الصفة الذاتية مدلول اسم الرحمة، والفعلية مدلول اسمه الرحيم. وينبغي أن يعلم أن الرحمة المضافة إلى الله نوعان: نوع هو صفة له سبحانه، ذاتية أو فعلية، كما تقدم، وإضافتها إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف، وهي مدلول الاسمين الشريفين، والنوع الثاني رحمة مخلوقة، وإضافتها إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ مَآثِرِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾، فالرحمة هنا المطر، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَيَّضًا فُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، والرحمة هنا الجنة، وفي الحديث القدسي أن الله قال للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشياء»، ومن النوع الأول قول سليمان عليه السلام متوسلاً: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/١٢٧).

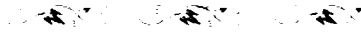
وقيل : الرحمن عام في رحمة المؤمنين والكافرين ، والرحيم خاص بالمؤمنين ؛ لقوله : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] ؛ فالرحمن أعم وأبلغ .

وقيل : الرحيم أبلغ ؛ لوقوعه بعده على طريقة الارتقاء إلى الأعلى .

- العاشرة : إنما قدم الرحمن لوجهين :

اختصاصه بالله .

وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات .



﴿سورة أم القرآن﴾

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
 ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦].

وتسمَّى: سورة الحمد، وفاتحة الكتاب، والواقية، والشافية، والسبع
 المثاني.

★ وفيها عشرون فائدة، سوى ما تقدَّم في «اللغات» من تفسير
 ألفاظها.

واختلف: هل هي مكية أو مدنية؟

ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيات.

إلا أن الشافعي يعدُّ البسملة آيةً منها.

والمالكي يسقطها، ويعدُّ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آيةً.

- الفائدة الأولى: قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة عند مالك والشافعي،

خلافاً لأبي حنيفة.

وحجتهم: قوله ﷺ: « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »^(١).
وحجة أبي حنيفة: قوله ﷺ: « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »^(٢).

- الثانية: اختلف هل أول الفاتحة على إضمار قول: تعليمًا للعباد،
أي: قولوا: الحمد لله؟ أو هو ابتداء كلام الله؟

ولا بد من إضمار القول في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وما بعده.

- الثالثة: الحمد أعم من الشكر؛ لأن الشكر لا يكون إلا جزاء على
نعمة، والحمد يكون جزاء كالشكر، ويكون ثناء ابتداءً.

كما أن الشكر قد يكون أعم من الحمد؛ لأن الحمد باللسان، والشكر
باللسان والقلب والجوارح.

فإذا فهمت عموم الحمد: علمت أن قولك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقتضي:

الثناء عليه بما هو أهله من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والإفضال
والعلم والقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات، ويتضمن معاني أسمائه
الحسنى التسعة والتسعين.

ويقتضي شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى، ورحمة أولى جميع خلقه في
الآخرة والأولى.

فيا لها من كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات، وتقف دون مداه عقول

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).

الخلائق! ويكفيك أن الله جعلها أوّل كتابه، وآخر دعوى أهل الجنة.

- الرابعة: الشكر باللسان: هو الثناء على المنعم والتحدّث بالنعمة، قال رسول الله: «التحدّث بالنعمة شكرٌ»^(١).

والشكر بالجوارح: هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه.

والشكر بالقلب: هو معرفة مقدار النعمة، والعلم بأنها من الله وحده، والعلم بأنها تفضّل، لا باستحقاق العبد.

★ واعلم أنّ النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام:

[١] نعم دنيوية^(٢)، كالعافية والمال.

[٢] ونعم دينية، كالعلم، والتقوى.

[٣] ونعم أخراوية^(٣)، وهي جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير.

★ والناس في الشكر على مقامين:

منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصةً.

ومنهم من يشكر الله - عن جميع خلقه - على النعم الواصلة إلى جميعهم.

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٢/٦)، والبزار في مسنده (٢٢٦/٨).

(٢) في أ: «دنيوية».

(٣) في أ: «أخروية».

★ والشكر على ثلاث درجات :

فدرجة العوام : الشكر على النعم .

ودرجة الخواص : الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال .

ودرجة خواص الخواص : أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم .

قال رجل لإبراهيم بن أدهم : إن الفقراء إذا أعطوا شكروا ، وإذا مُنعوا صبروا ، فقال إبراهيم : هذه أخلاق الكلاب ؛ ولكن الفقراء ^(١) إذا مُنعوا شكروا ، وإذا أعطوا آثروا ^{(٢)(٣)} .

(١) في أ ، ب ، ج ، هـ : «القوم» ، وفي هامش أ : «خ : الفقراء» .

(٢) رواه بإسناده الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٤٥٦/١) قال : «حدثنا محمد ابن عبد العزيز ؛ قال : قال حذيفة المرعشي : قدم شقيق البلخي مكة وإبراهيم بن أدهم بمكة ، فاجتمع الناس ، فقالوا : نجتمع بينهما . فجمعوا بينهما في المسجد الحرام ، فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق : يا شقيق ! على ماذا أصلتم أصولكم ؟ فقال شقيق : أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا أكلنا ، وإذا منعنا صبرنا . فقال إبراهيم بن أدهم : هكذا كلاب بلخ ، إذا رزقت أكلت وإذا منعت صبرت . فقال شقيق : فعلى ماذا أصلتم أصولكم يا أبا إسحاق ؟ فقال : أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا آثرنا ، وإذا مُنعنا حمدنا وشكرنا . قال : فقام شقيق وجلس بين يديه ، وقال : يا أبا إسحاق ! أنت أستاذنا ، ورواه أيضًا أبو نعيم في «الحلية» (٣٧/٨) .

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : «قوله : «الشكر على ثلاث درجات . . . إلخ . . أقول : سلك المؤلف رحمته في تقسيم مراتب الشكر والتعبير عنها طريق الصوفية ، وفي كلامه هذا عدة مآخذ :

الأول : قوله : إن الشكر على النعم درجة العوام ، أقول : بل الشكر على النعم من شأن العوام والخواص من المؤمنين ، وقد أثنى الله على إبراهيم عليه السلام فقال : ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمٍ﴾ [النحل : ١٢١] ، ولما ذكر الله ما أعطى سليمان عليه السلام من تسخير الجن والريح =

ومن فضيلة الشكر: أنه من صفات الحق، ومن صفات الخلق؛ فإن من أسماء الله: الشاكر والشكور، وقد فسّرتهما في «اللغات»^(١).

- الخامسة: قولنا: «الحمد لله رب العالمين» أفضل عند المحققين من: «لا إله إلا الله»؛ لوجهين:

أحدهما: ما خرّجه النسائي عن رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله كتبت له عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنة»^(٢).

= قال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

الثاني: زعمه أن درجة الخواص الشكر على النعم، أقول: هذا لا يصح، فإنه لم يأت في الكتاب ولا في السنة تعلق الشكر بالنعم، وإنما الذي ورد الحمد، فيقال: له الحمد على كل حال، وأما الشكر فمتعلّقه النعم، وشواهد هذا في القرآن كثير.

الثالث: قوله في الدرجة الثالثة - وهي كما قال: - درجة خواص الخواص، وفسرها بأن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم.

أقول: هذا من جنس ما تقدم في درجات الذكر عند المؤلف حيث جعل أعلى درجات الذكر الفناء، وهي أن يغيب بالله عن كل ما سوى الله، حتى عن نفسه. وتقدم أن مقام الفناء ليس بكمال بل هو نقص.

ولم يأت في الكتاب ولا في السنة مدحه، بل الرسول ﷺ - وهو أكمل الخلق ذكراً وعبودية - لا يغيب وهو يصلي، بل يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته، وخير الهدى هدى محمد ﷺ.

الرابع: ذكره الحكاية عن إبراهيم بن أدهم، وفيها التحقير للشكر على النعم، وأنه أخلاق الكلاب، فهذا - على فرض ثبوته - قبيح.

(١) انظر: المادة (٥٤٠) في اللغات.

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٤٠).

والثاني: أَنَّ التوحيد الذي يقتضيه «لا إله إلا الله» حاصل في قولك: «رب العالمين»، وزادت بقولك: «الحمد لله»، وفيه من المعاني ما قدّمنا. وأما قوله ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله»^(١)؛ فإنما ذلك للتوحيد الذي تقتضيه، وقد شاركتها «الحمد لله رب العالمين» في ذلك، وزادت عليها.

وهذا المؤمن^(٢) يقولها لطلب الثواب، وأما لمن دخل في الإسلام فيتعين عليه «لا إله إلا الله».

- السادسة: «الرَّبُّ» وزنه: فَعِلٌّ - بكسر العين - ثم أدغم.

ومعانيه أربعة: الإله، والسيد، والمالك، والمصلح؛ وكلها تصلح^(٣) في ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، إِلَّا أَنْ الْأَرْجَحَ: معنى الإله؛ لاختصاصه بالله تعالى. كما أَنَّ الْأَرْجَحَ فِي ﴿الْعَالَمِينَ﴾ أَنْ يَرَادَ بِهِ: كل موجود سوى الله تعالى، فيعم جميع المخلوقات.

- السابعة: ﴿مَلِكٌ﴾ قرأه^(٤) الجماعة: بغير ألف؛ من المُلْك.

وقرأ^(٥) عاصم والكسائي: بالألف؛ والتقدير على هذا:

مالك مجيء يوم الدين.

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٦٢١).

(٢) في د: «للمؤمن»، وفي هـ: «للمؤمن».

(٣) في مغربي أ، د: «تصَحُّ» وفي هامش أ: «خ: تصلح».

(٤) في ب، د: «قراءة».

(٥) في ج: «وقرأه»، وفي د: «وقراءة».

أو: مالك الأمر يوم الدين.

وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه:

الأول: أَنَّ الْمَلِكَ أعظم من المالك؛ إذ قد يوصف كلُّ أحد بالمالك لماله، وأما المَلِكُ فهو سيّد الناس.

والثاني: قوله: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

والثالث: أنها لا تقتضي حذفاً، والأخرى تقتضيه؛ لأنَّ تقديرها: مالك الأمر، أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل.

وأما قراءة الجماعة بإضافة ﴿مَلِكٍ﴾ إلى ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ فهي على طريقة الاتساع، وإجراء^(١) الظرف مجرى المفعول به، والمعنى على الظرفية؛ أي: المَلِكُ في يوم الدين.

ويجوز أن يكون المعنى: ملك الأمور يوم الدين؛ فيكون فيه حذف.

وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله ﷺ^(٢).

وقد قرئ ﴿مَلِكٍ﴾ بوجه كثيرة إلا أنها شاذة.

- الثامنة: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، و﴿مَلِكٍ﴾: صفات.

فإن قيل: كيف جرى ﴿مَلِكٍ﴾ و﴿مَلِكٍ﴾ صفة للمعرفة، وإضافة اسم الفاعل غير محضة؟

(١) في أ، ج، هـ: «وأجرى»، وفي هامش أ: «خ: وإجراء».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٢٧)، (٢٩٢٨).

فالجواب: أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال،
وأما هذا فهو مستمر دائم؛ فإضافته محضة.

- التاسعة: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: هو يوم القيامة.

ويصلح هنا من معاني الدين: الحساب، والجزاء، والقهر؛ ومنه: ﴿أَعَانَا
لَمَدِينُونَ﴾ [الصفات: ٥٣].

- العاشرة: ﴿إِيَّاكَ﴾ في الموضعين: مفعول بالفعل الذي بعده.

وإنما قُدِّم ليفيد الحصر؛ فإنَّ تقديم المعمولات يقتضي الحصر، فاقضى
قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: أن يعبد الله وحده، واقتضى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾ اعترافاً بالعجز والفقر، وأنه لا يستعين إلا بالله^(١) وحده.

- الحادية عشرة: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أي نطلب العون منك على
العبادة وعلى جميع أمورنا.

وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية، وأن الحق بين ذلك.

- الثانية عشرة: ﴿أَهْدِنَا﴾: دعاء بالهدى.

فإن قيل: كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم؟

فالجواب: أن ذلك طلبٌ للثبات عليه إلى الموت، أو^(٢) الزيادة منه؛ فإنَّ
الارتقاء في المقامات لا نهاية له.

- الثالثة عشرة: قدم الحمد والثناء على الدعاء؛ لأنَّ تلك السنة في

(١) في د: «الله».

(٢) في ج، د: «و».

الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وذلك أقرب للإجابة.
وكذلك قَدَمَ الرحمن على ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ لأنَّ رحمة الله سبقت
غضبه.

وكذلك قَدَمَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنَّ تقديم الوسيلة
قبل طلب الحاجة.

- الرابعة عشرة: ذَكَرَ الله تعالى في أوَّل هذه السورة على طريق الغيبة،
ثم على الخطاب في ﴿إِيَّاكَ﴾ وما بعده، وذلك يسمى: الالتفات.
وفيه إشارة إلى أَنَّ العبد إذا ذَكَرَ الله تَقَرَّبَ منه فصار من أهل الحضور
فناجاه.

- الخامسة عشرة: الصراطُ في اللغة: الطريق المحسوس الذي يُمشَى
عليه.

ثم استعير للطريقة التي يكون الإنسان عليها من الخير أو الشر.

ومعنى ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾: القويم الذي لا عَوَجَ فيه.

فـ ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: الإسلام.

وقيل: القرآن.

والمعنيان متقاربان؛ لأنَّ القرآن تَضَمَّنَ شرائع الإسلام، وكلاهما مروى
عن النبي ﷺ^(١).

(١) تفسير الصراط بالإسلام أخرجه أحمد في مسنده (١٧٦٣٤)، وتفسيره بالقرآن أخرجه
الترمذي (٢٩٠٦)، كلاهما في ضمن حديث طويل.

وقرئ ﴿الصِّرَاطَ﴾: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي.

وقد قيل: إنه قرئ بزاي خالصة.

والأصل فيه: السين، وإنما أُبدل منها صادٌ؛ لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق، وأما الزاي؛ فلموافقة الطاء في الجهر.

- السادسة عشرة: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾:

قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

وقيل: المؤمنون.

وقيل: الصحابة.

وقيل: قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا.

والأول أرجح؛ لعمومه، ولقوله: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

- السابعة عشرة: إعراب ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾: بدلٌ.

وببعد النعت؛ لأنَّ إضافته غير محضة، وهو قد جرى على معرفة.

وقرئ بالنصب: على الاستثناء، أو الحال.

- الثامنة عشرة: أسند ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى الله، والغضب إلى ما

لم^(١) يُسَمَّ فاعله على وجه التأدب؛ كقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

[الشعراء: ٨٠].

(١) في أ: «لما لم».

﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأوّل: في موضع نصب، والثاني: في موضع رفع.
 - التاسعة عشرة: ﴿الْمَنْصُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود، و﴿الضَّالِّينَ﴾: النصراني، قاله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ^(١).

وقيل: ذلك عامٌ في كل مغضوب عليه، وكل ضالّ.

والأول أرجح؛ لأربعة أوجه:

[١] روايته عن النبي ﷺ.

[٢] وجلالة قائله^(٢).

[٣] وتكرار «لا» في قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ دليلٌ على تغاير الطائفتين.

[٤] وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن؛ كقوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، والضلال صفة النصراني؛ لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى بن مريم ﷺ، ولقول الله فيهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

- الموقية عشرين: هذه السورة جمعت معاني القرآن كلّها، فكأنها نسخة مختصرة منه، فتأملها بعد تحصيل «الباب الثالث» من «المقدمة الأولى» تعلم ذلك.

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٥٤).

(٢) في أ، ب، د: «قائله».

فالإلهيات حاصلة في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ② الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ .

والدار الآخرة في قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ③ .
والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ .

والشريعة كلها في قوله: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .
والأنبياء وغيرهم في قوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ .
وذكر طوائف الكفار في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ .
★ خاتمة: أمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة؛ للدعاء الذي فيها .

وقولك: «آمين»: اسم فعلٍ معناه: اللهم استجب .

وقيل: هو من أسماء الله .

ويجوز فيه مدُّ الهمزة وقصرُها، ولا يجوز تشديد الميم .

ويؤمَّن في الصلاة: المأموم، والفذ، والإمام إذا أسرَّ، واختلف إذا

جهر .



﴿سورة البقرة﴾

[﴿الْعَمَّ﴾ ١] ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾].

﴿الْعَمَّ﴾ اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل السور، وهي: ﴿الْمَصَّ﴾، و﴿الرَّءَّ﴾، و﴿الْمَرْءَ﴾، و﴿كَمَيْعَصَ﴾، و﴿طَهَ﴾، و﴿طَسَمَ﴾، و﴿طَسَّ﴾، و﴿يَسَّ﴾، و﴿صَّ﴾، و﴿قَفَّ﴾، و﴿حَمَّ﴾، و﴿عَسَقَ﴾، و﴿تَفَّ﴾.

فقال قومٌ: لا تفسر؛ لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله.

قال أبو بكر الصديق: «لله في كل كتاب سرٌّ، وسرُّه في القرآن فواتح السور»^(١).

(١) لم أقف عليه مسندًا إلى أبي بكر رضي الله عنه، ونسبه الثعلبي في تفسير «الكشف والبيان» (١٣٦/١) إلى أبي بكر أيضًا، وفي «الدر المنثور» (١٢٧/١): «وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ بن حيان في التفسير عن داود بن أبي هند قال: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور، فقال: يا داود إن لكل كتاب سرًّا، وإن سر هذا القرآن فواتح السور، فدعها وسل عما بدا لك».

وقال قوم: تفسّر؛ ثم اختلفوا فيها:

فقليل: هي أسماء للسور.

وقيل: أسماء لله.

وقيل: أشياء^(١) أقسم الله بها.

وقيل: هي حروف مقطّعة من كلمات؛ فالألف من: «الله»، واللام من:

«جبريل»، والميم من: «محمد» ﷺ، ومثل ذلك في سائرهما.

وورد في الحديث: أن بني إسرائيل فهموا أنها تدلّ بعدد حروف

«أبي جاد» على السنين التي تبقى هذه الأمة، وسمع النبي ﷺ منهم ذلك

فلم ينكره^(٢).

وقد جمع أبو القاسم السهيلي^(٣) عددها على ذلك، بعد أن أسقط

المكرّر، فبلغت تسع مئة وثلاثة^(٤).

وإعراب هذه الحروف: يختلف باختلاف في معناها^(٥):

فيُتصوّر أن تكون في موضع رفع، أو نصب، أو خفض.

(١) في ب، ج، هـ: «أسماء».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٢٠).

(٣) هو أبو القاسم وأبو زيد، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخنعمي الأندلسي المالقي

السهيلي المالكي، صاحب كتاب «الروض الأنف» في شرح سيرة ابن هشام وغيره من

التصانيف، توفي سنة (٥٨١هـ). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ١٤٣)،

والديباج المذهب، لابن فرحون (١/ ٤٨٠).

(٤) انظر: الروض الأنف (٤/ ٤٢٠).

(٥) في د: «معانيها».

فالرفع: على أنها مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمرة.

والنصب: على أنها مفعولة بفعل مضمرة.

والخفض: على قول من جعلها مُقَسِّمًا بها؛ كقولك: «اللَّهُ لأفعلن».

وإنما سُكِّنت لأنها لم يدخل عليها عاملٌ يقتضي حركة؛ فسكونها للوقف، لا للبناء، كقولك في العدد: «واحد، اثنان».

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ هو هنا: القرآن.

وقيل: التوراة والإنجيل.

وقيل: اللوح المحفوظ.

والأول هو الصحيح الذي يدلُّ عليه سياق الكلام، ويشهد^(١) له مواضع من القرآن المقصودُ فيها إثبات أن القرآن من عند الله؛ كقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢] يعني: القرآن باتفاق. وخبر ﴿ذَلِكَ﴾: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

وقيل: خبره ﴿الْكِتَابُ﴾؛ فعلى هذا: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ جملة مستقلة؛ فيوقف عليها.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك أنه من عند الله؛ في نفس الأمر، وفي اعتقاد أهل الحق. ولم يعتبر اعتقاد أهل الباطل. ﴿فِيهِ﴾ خبر ﴿لَا﴾^(٢)؛ فيوقف عليه.

(١) في ج، د: «وتشهد».

(٢) في ب، د: «وخبِرَ ﴿لَا﴾: ﴿فِيهِ﴾».

وقيل : خبرها محذوف ؛ فيوقف على : ﴿لَا رَيْبَ﴾ .
والأول أرجح ؛ لتعنيته في قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في مواضع أخر .
فإن قيل : فهلاً قدّم قوله : ﴿فِيهِ﴾ على الريب كقوله : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾
[الصافات : ٤٧] ؟

فالجواب : أنه إنما قصد نفي الريب عنه ، ولو قدّم ﴿فِيهِ﴾ لكان إشارةً
إلى أن ثمّ كتاباً آخر فيه ريبٌ ، كما أن ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ إشارة إلى أن خمر
الدنيا فيها غول ، وهذا المعنى يبعد قصده ؛ فلم يقدّم الخبر^(١) .
﴿هُدًى﴾ هنا بمعنى : الإرشاد ؛ لتخصيصه بالمتقين .

ولو كان بمعنى البيان لعمّ ؛ كقوله : ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة : ١٨٥] .
وإعرابه :

خبر ابتداء .

أو مبتدأ ، وخبره : ﴿فِيهِ﴾ عند من يقف^(٢) : ﴿لَا رَيْبَ﴾ .

أو منصوب على الحال ، والعامل فيه الإشارة .

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مُفْتَعِلِينَ ؛ من التقوى ، وقد تقدّم معناه في «اللغات»^(٣) .

(١) انظر : الكشف للزمخشري (٢ / ٥٥) .

(٢) في هامش ه زيادة : «على» .

(٣) انظر المادة (٩٥) في اللغات .

★ نتكلم في^(١) التقوى في ثلاثة فصول:

- الأول: في فضائل المستنبطة من القرآن، وهي خمس عشرة:

- [١] الهدى؛ لقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُنْفِقِينَ﴾ [البقرة: ٢].
- [٢] والنصرة؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨].
- [٣] والولاية؛ لقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ١٧٩].
- [٤] والمحبة؛ لقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].
- [٥] والمعرفة؛ لقوله: ﴿إِنْ تَنَفَّوْا اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].
- [٦] والمخرج من الغم.
- [٧] والرزق من حيث لا يحتسب؛ لقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [البقرة: ٢١٧].
- [٨] وتيسير الأمور؛ لقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [البقرة: ٢١٨].
- [٩] وغفران الذنوب.
- [١٠] وإعظام الأجور؛ لقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيُغْنِهِ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِكَفٍّ وَعَظِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٩].
- [١١] وتقبل الأعمال؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٧].
- [١٢] والفلاح؛ لقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

(١) في د، وهامش أ: «على».

[١٣] والبشرى؛ لقوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾

[يونس: ٦٤].

[١٤] ودخول الجنة؛ لقوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤].

[١٥] والنجاة من النار؛ لقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [مريم: ٧٢].

- الفصل الثاني: البواعث على التقوى^(١) عشرة:

[١] خوف العقاب الأخراوي.

[٢] وخوف العقاب الدنياوي.

[٣] ورجاء الثواب الدنيوي.

[٤] ورجاء الثواب الأخروي.

[٥] وخوف الحساب.

[٦] والحياء من نظر الله، وهو مقام المراقبة.

[٧] والشكر على نعمه بطاعته.

[٨] والعلم؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

[٩] وتعظيم جلال الله، وهو مقام الهيبة.

[١٠] وصدق المحبة فيه؛ لقول القائل:

تعصي الإله وأنت تُظهرُ حبه! هذا محالٌ في القياس بديع

(١) في ب، دزيادة: «وهي».

لو كان حبُّكَ صادقًا لأطعته إِنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مُطيعٌ^(١)
ولله دُرُّ القائل :

قالت -وقد سألت عن حال عاشقها-: بالله صفهُ ولا تَنْقُص ولا تَزِدْ
فقلتُ: لو كان رهنَ الموت من ظمإٍ وقلتُ: قف عن وُرود الماء: لم يَرِدْ^(٢)

- الفصل الثالث: درجات التقوى خمسُ :

[١] أن يتَّقِيَ العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام.

[٢] وأن يتقي المعاصي والمحرمات، وهو مقام التوبة.

[٣] وأن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع.

[٤] وأن يتقي المباحات، وهو مقام الزهد.

[٥] وأن يتقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة.

(١) البيتان لعبد الله بن المبارك، أوردهما ابن عساكر بإسناده في «تاريخ دمشق» (٤٦٩/٣٢)، وانظر: ديوان ابن المبارك، جمع وتحقيق ودراسة: د. مجاهد مصطفى بهجت.

(٢) البيتان لأبي القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا الحسني الرسي المصري، كما في يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي (٤٩٨/١)، ووفيات الأعيان (١٢٩/١)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٨١٧/٧)، ولفظ البيتين هكذا في المصادر:
قالتُ لِطيفِ خيالِ زارني ومضى بالله صفهُ ولا تَنْقُص ولا تَزِدْ
فقال: أبصرته لومات من ظمإٍ وقلتُ: قف عن وُرود الماء: لم يَرِدْ
وُنُسب أيضًا إلى أبي المطاع ذي القرنين ابن ناصر الدولة كما في يتيمة الدهر (١١٨/١)، قال الذهبي: «ولم يصح».

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فيه قولان :

يؤمنون بالأمر المغيَّبات، كالآخرة وغيرها ؛ فالغيب -على هذا- :
بمعنى الغائب ؛ إمَّا :

تسميةً بالمصدر، كعدلٍ .

وإما تخفيفاً من فَعِيل ؛ كَمَيِّت .

والآخر: يؤمنون في حال غيبتهم، أي: باطنًا وظاهرًا .

و﴿بِالْغَيْبِ﴾ :

على القول الأول: يتعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ .

وعلى الثاني: في موضع الحال .

ويجوز في ﴿الَّذِينَ﴾ أن يكون :

خفضاً على النعت .

أو نصباً على إضمار فعل .

أو رفعاً على أنه خبر ابتداء .

﴿وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ إقامتها: عملها ؛ من قولك: «قامت السوق»، وشبه

ذلك .

والكمال: المحافظة عليها في أوقاتها، بالإخلاص لله في فعلها، وتوفية

شروطها، وأركانها، وسننها، وفضائلها، وحضور القلب، والخشوع

فيها، وملازمة الجماعة في الفرائض، والإكثار من النوافل .

﴿يُنْفِقُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

الزكاة ؛ لا قترانها مع الصلاة .

والثاني : أنه التطوع .

والثالث : العموم ، وهو الأرجح ؛ لأنه لا دليل على التخصيص .

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ اختلف :

هل هم المذكورون قبل ؛ فيكون ^(١) من عطف الصفات ؟

أو هم غيرهم - وهم مَنْ أسلم من أهل الكتاب - ؛ فيكون عطفاً للمغايرة ؟

أو مبتدأ ، وخبره : الجملة بعده ؟

﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ : القرآن .

﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ : التوراة ، والإنجيل ، وغيرهما من كتب الله ﷻ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن ، كأبي جهل .

فإن كان ﴿الَّذِينَ﴾ للجنس : فلفظها عامٌ يراد به الخصوص .

وإن كان للعهد : فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم ، وقد اختلف فيهم :

فقليل : المراد من قُتِلَ بيد من كفار قريش .

وقيل : المراد حِيَّ بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديان .

﴿سَوَاءٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ ، و﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ فاعلٌ به ؛ لأنه في تقدير المصدر .

(١) في زيادة : «قوله : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾» ورمز لها أعلى السطر : «خ» .

أو ﴿سَوَاءٌ﴾ مبتدأ، و﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ خبره.

أو العكس؛ وهو أحسن.

و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ على هذه الوجوه:

استئناف للبيان، أو للتأكيد.

أو خبرٌ بعد خبر.

أو تكون الجملة اعتراضاً، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الخبر.

والهمزة في ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ لمعنى التسوية، قد انسلخت من معنى الاستفهام.

﴿خَتَمَ﴾ الآية تعليلٌ لعدم إيمانهم، وهو عبارة عن إضلالهم؛ فهو مجاز.

وقيل: حقيقة، وأن القلب كالكف، يُقبَضُ مع زيادة الضلال إصْبَعًا إصْبَعًا حتى يختم عليه.

والأول أبرع.

﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ معطوفٌ على ﴿قُلُوبِهِمْ﴾؛ فيوقف عليه.

وقيل: الوقف على ﴿قُلُوبِهِمْ﴾، والسمع راجع إلى ما بعده.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿غَشَوَهُ﴾ مجازٌ باتِّفاق.

وفيه دليلٌ على وقوع المجاز في القرآن، خلافاً لمن منعه.

ووَحَّدَ السمع؛ لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع.

[وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ بَيْعَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُنْتَهِدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ضُمُّ بَكْمَ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيٓ أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾].

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أصل الناس: أناس؛ لأنه مشتق من الأنس، وهو اسم جمع، وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفاً.

﴿مَن يَقُولُ﴾ إن كانت اللام في ﴿النَّاسِ﴾:

للجنس: ف ﴿مَن﴾ موصوفة.

وإن جعلتها للعهد: ف ﴿مَن﴾ موصولة.

وأفرد الضمير في ﴿يَقُولُ﴾ رَعْيًا للفظ: ﴿مَن﴾.

﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ هم المنافقون، وكانوا جماعة من الأوس والخزرج، رأسهم: عبد الله بن أبي بن سلول، يظهرون الإسلام ويسرون الكفر.

ويسمى الآن من كان كذلك: زنديقًا.

وهم في الآخرة: مخلدون في النار.

وأما في الدنيا:

فإن لم تقم عليهم بيته: فحكمهم كالمسلمين في دمائهم وأموالهم.

وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان:

فمذهب مالك: القتل، دون الاستتابة.

ومذهب الشافعي: الاستتابة وترك القتل.

فإن قيل: كيف جاء قولهم ﴿ءَامَنَّا﴾ جملة فعلية، و﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ جملة اسمية؛ فهل طابقتها؟

فالجواب: أن قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أبلغ وأؤكد في نفي الإيمان عنهم من أن لو قال: «وما آمنوا»^(١).

فإن قيل: لم جاء قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ مقيدًا بالله واليوم الآخر، و﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مطلقًا؟

فالجواب: أنه يحتمل وجهين:

التقييد؛ وتركه^(٢) لدلالة الأول عليه.

(١) انظر: الكشاف (٢/١٥٧).

(٢) في ج، هـ: «وترك».

والإطلاق، وهو أعمُّ في سلبهم عن الإيمان^(١).

﴿يُخَادِعُونَ﴾ أي: يفعلون فعل المخادع، ويرومون الخَدْعَ بإظهار خلاف ما يسرون.

وقيل: معناه يخادعون رسولَ الله ﷺ.

والأول أظهر.

﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: وبأل فعلهم راجعٌ عليهم.

وقرئ: ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ - بفتح الياء من غير ألف - : مِنْ خَدَع، وهو أبلغ في المعنى؛ لأنه يقال: خادع: إذا رام الخداع، وخدع: إذا تمَّ له.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ حُذِفَ معموله^(٢)، أي: لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يَحْتَمِلُ:

أن يكون حقيقة؛ وهو الألم الذي يجدونه من الخوف وغيره.

وأن يكون مجازاً؛ بمعنى الشك، أو الحسد.

﴿فَزَادَهُمْ﴾ يَحْتَمِلُ: الدعاء والخبر.

﴿يُكْذِبُونَ﴾ - بالتشديد - أي: يكذبون الرسول ﷺ.

وقرئ بالتخفيف؛ أي: يَكْذِبُونَ في قولهم: آمنا.

(١) انظر: الكشاف (١٥٩/٢).

(٢) في ب، د: «مفعوله».

﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ أي: بالكفر والنميمة وإيقاع الشر وغير ذلك.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يحتمل:

أن يكون جحودًا للكفر؛ لقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾.

أو اعتقادًا أنهم على إصلاح.

﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ.

والكاف يحتمل: أن تكون للتشبيه، أو التعليل.

و﴿مَا﴾ يحتمل:

أن تكون كافةً مُهَيَّئَةً^(١)؛ كما هي في «ربما».

وأن تكون مصدريةً.

﴿أَتُؤْمِنُ﴾ إنكارٌ منهم وتوبيخٌ.

﴿هُمْ أَسْفَهَاءُ﴾ ردٌّ عليهم، وإناطةٌ للسَّفه بهم.

وكذلك: ﴿هُمْ أَلْمُفْسِدُونَ﴾.

وجاء بالألف واللام؛ ليفيد حُضْرَ السَّفه والفساد فيهم، وأكَّده بـ «إِنَّ»

وبـ «أَلَا» التي تقتضي الاستثناف وتنبية المخاطب.

﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ كذبوا؛ خوفًا من المؤمنين.

﴿خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ﴾ هم: رؤساء الكفار^(٢).

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٢) في ب، ج، هـ: «الكفر»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ «خ».

وقيل : شياطين الجن ، وهو بعيد .

وتعدى «خلا» بـ «إلى» ؛ لأنه ضَمَّن معنى : مشوا ، أو ذهبوا ، أو ركنوا .

وقيل : «إلى» بمعنى «مع» ، أو بمعنى الباء .

وجاء قولهم : ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بجملة اسمية ؛ مبالغة وتأكيذاً بخلاف قولهم : ﴿ءَاْمَنَّا﴾ ؛ فإنه جاء بالفعل ؛ لضعف إيمانهم .

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

تسمية العقوبة باسم الذنب ؛ كقوله : ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾

[آل عمران : ٥٤] .

وقيل : يُملِي لهم ؛ بدليل قوله : ﴿وَيَذُدُّهُمْ﴾ .

وقيل : يفعل بهم في الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزاءً بهم ؛ كما جاء في سورة «الحديد» : ﴿أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ الآية [الحديد : ١٣] ^(١) .

﴿وَيَذُدُّهُمْ﴾ : يزيدهم .

وقيل : يُملِي لهم .

وقد ذُكِرَ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ ^(٢) .

﴿أَشْرَوْا الضَّلَالَةَ﴾ عبارة عن تركهم الهدى مع تمكُّنهم منه ، ووقوعهم في الضلالة ؛ فهو مجاز بديع .

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : «لا إشكال فيما ذكر المؤلف من الوجوه ؛ فلكل منها وجهٌ . وأقربها الثاني والثالث ؛ فإن في كل منهما استهزاءً بالفعل» .

(٢) انظر المادة (٣٩٢) في اللغات .

﴿فَمَا رِيحَتْ بِحَنَرُهُمْ﴾ ترشيحٌ للمجاز؛ لَمَّا ذَكَرَ الشَّرَاءَ ذَكَرَ مَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الرِّيحِ وَالْخُسْرَانِ.

وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجازٌ -أيضاً-؛ لأن الربح أو الخاسر هو التاجر.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ في هذا الشراء، أو على الإطلاق.

قال الزمخشري: نفى الربح في قوله: ﴿فَمَا رِيحَتْ﴾، ونفى سلامة رأس المال في قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(١).

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ إن كان المثل -هنا- بمعنى: حالهم وصفتهم: فالكاف للتشبيه.

وإن كان المثل بمعنى: الشبه: فالكاف زائدة.

﴿أَسْتَوْقَدَ﴾ أي: أوقد.

وقيل: طلب الوقود؛ على الأصل في «استفعل».

﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ إن تعدى: ف ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ مفعولٌ به.

وإن لم يتعد: ف ﴿مَا﴾ زائدة، أو ظرفية.

﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: أذهب، وهذه الجملة جواب ﴿لَمَّا﴾؛ فالضمير

في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ عائدٌ على ﴿الَّذِي﴾؛ وهو على هذا بمعنى: «الذين»، وحذف النون منه لغةً.

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٢٢٠).

وقيل : جواب ﴿لَمَّا﴾ محذوف تقديره : طَفِئَتِ النَّارُ ؛ و﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ : جملةٌ مستأنفةٌ ، والضمير عائد على المنافقين ؛ فعلى هذا يكون ﴿الَّذِي﴾ على بابه من الأفراد .

(والأول أرجح) ^(١) ، والأرجح : أنه إنما أُعيد عليه ضمير الجماعة ؛ لأنه لم يُقصد بالذي : واحدٌ بعينه ، إنما المقصود التشبيه بمن استوقد ناراً ، سواء كان واحداً أو جماعة ، ثم أُعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبَّه ؛ لأنهم جماعة .

فإن قيل : ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت ؟ فالجواب : من ثلاثة أوجه ^(٢) :

أحدها : أنَّ منفعتهم في الدنيا - بدعوى الإيمان - شبيهةٌ بالنور ، وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده .

والثاني : أنَّ اختفاء كفرهم كالنور ، وفضيحتهم بعده كالظلمة .

والثالث : أنَّ ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر ، فإيمانه نورٌ ، وكفره بعده ظلمة .

ويرجَّح هذا قوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ [المنافقون : ٣] .

فإن قيل : لم قال : ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل : «ذهب الله بضوئهم» ؛ مشاكلةً لقوله : ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ ؟

(١) زيادة من ب ، د .

(٢) انظر : المحرر الوجيز (١/ ١٣٤) ؛ والكشاف (٢/ ٢٤٢) .

فالجواب: أنَّ ذهاب^(١) النور أبلغ؛ لأنه إذهابٌ للقليل والكثير، بخلاف الضوء؛ فإنما^(٢) يَنْطَلِقُ^(٣) على الكثير.

﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَى﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِهِ: المنافقون، أو المستوقِدون المشبه بهم.

وهذه الأوصاف مجازٌ، عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم، وليس المراد فقدَ الحواسِّ.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إن أريد به المنافقون فمعناه: لا يرجعون إلى الهدى. وإن أريد به أصحاب النار فمعناه: أنهم متحيِّرون في الظلمة، لا يَبْرَحُونَ^(٤)، ولا يهتدون إلى الطريق.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ عطف على: ﴿الَّذِي أَسْتَوَفَدَ﴾، والتقدير: أو كصاحبِ صَيِّبٍ.

و﴿أَوْ﴾ للتنويع؛ لأنَّ هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين.

والصيب: المطر، وأصله: صَيُوبٌ، ووزنه فَيْعِلٌ، وهو مشتق من قولك: صاب يصوب.

وفي قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ إشارة إلى قوَّته وشدة انصبابه.

(١) في هامش أ: «خ: إذهاب».

(٢) في ج، د، هـ: «فإنه».

(٣) في ب: «يطلق».

(٤) في ج، د: «لا يرجعون».

قال ابن مسعود: إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ هَرَبَا إِلَى الْمَشْرِكِينَ، فَأَصَابَهُمَا هَذَا الْمَطَرُ وَأَيَّقَنَا بِالْهَلَاكِ، فَعَزَمَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَرَجَعَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُمَا، فَضْرَبَ اللَّهُ مَا نَزَلَ بِهِمَا مَثَلًا لِلْمُنَافِقِينَ.

وقيل: المعنى: تشبيه المنافقين في حيرتهم في الدين وفي خوفهم على أنفسهم: بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق، فضلَّ عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه؛ وهذا التشبيه على الجملة.

وقيل: إِنَّ التشبيه على التفصيل؛ فالمطر: مَثَلٌ لِلْقُرْآنِ أَوِ الْإِسْلَامِ، وَالظُّلُمَاتُ: مَثَلٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِشْكَالِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَالرَّعْدُ: مَثَلٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ وَالزَّجْرِ لَهُمْ، وَالْبَرْقُ: مَثَلٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ.

فإن قيل: لم قال: ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ بالإفراد، ولم يجمعه كما جمع ﴿ظُلُمْتُ﴾؟

فالجواب: أَنَّ الرعد والبرق مصدران، والمصدر لا يجمع.

ويحتمل أن يكونا اسمين، وترك جمعهما لأنهما في الأصل مصدران^(١).

﴿يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ أي: من أجل الصواعق.

قال ابن مسعود: كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم؛ لئلا يسمعوا القرآن في مجلس النبي ﷺ.

فهو -على هذا- حقيقة في المنافقين.

(١) انظر: الكشاف (٢/٢٦٩).

والصواعق على هذا: ما يكرهون من القرآن، والموت: هو ما يتخوَّفونه؛
فهما مجازان.

وقيل: إنه راجعٌ لأصحاب المطر المشبَّه بهم، فهو حقيقة فيهم.
والصواعق على هذا حقيقة، وهي التي تكون مع المطر من شدَّة الرعد،
ونزولِ قطعة نار، والموت -أيضاً- حقيقة.

وقيل: إنه راجعٌ للمنافقين على وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل
أصابه في أذنه^(١) من شدَّة الخوف من المطر والرعد.

فإن قيل: لم قال: ﴿أَصْبَعُمْ﴾ ولم يقل: «أناملهم»؛ والأنامل هي التي
تجعل في الآذان؟

فالجواب: أن ذكر الأصابع أبلغ؛ لأنها أعظم من الأنامل؛ ولذلك
جمَّعها، مع أن الذي يجعل في الآذان السبابة خاصة^(٢).

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي لا يفوتونه، بل هم تحت قهره، وهو قادر على
عقابهم.

﴿يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ إن رجع الضمير إلى أصحاب المطر -وهم الذين شبَّه
بهم المنافقين-: فهو بين المعنى.

وإن رجع إلى المنافقين: فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين:
أحدهما: تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يُضيء البرق؛ وهذا مناسبٌ

(١) في أ: «آذانه».

(٢) انظر: الكشاف (٢/٢٧١).

لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدّم.

والآخر: يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم.

﴿كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْآ فِيهِ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم.

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى: أنه ^(١) يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان.

﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق.

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى:

أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان: ثبتوا على كفرهم.

وقيل: إنَّ المعنى: كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا: هذا دين مبارك؛ فهذا مثل الضوء، وإذا أصابتهم شدة أو مصيبة عابوا الدين وسخطوه؛ فهذا مثل الظلمة.

فإن قيل: لم قال مع الإضاءة: ﴿كَلَّمَآ﴾، ومع الإظلام: ﴿وَإِذَا﴾؟

فالجواب: أنهم لما كانوا جراحاً على المشي: ذكر معه ﴿كَلَّمَآ﴾؛ لأنها تقتضي التكرار والكثرة ^(٢).

(١) في أ: «أنهم» وفي الهامش: «خ: أنه».

(٢) انظر: الكشف (٢/٢٧٨).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ الآية: إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد، وأبصارهم بالبرق.

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى: لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة؛ وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم. والباء للتعدي؛ كما هي في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.



[يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا
عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾
فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا
رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا
أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا
مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ
كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٨﴾
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ
فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٠﴾].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ الآية: لما قدّم اختلاف الناس في الدين، وذكر ثلاث
طوائف: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين = أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى
عبادة الله.

وجاءت الدعوة عامة لجميع الناس؛ لأن النبي ﷺ بعث إلى جميع
الناس.

﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ يدخل فيه : الإيمانُ به سبحانه ، وتوحيده ، وطاعته .

فالأمر بالإيمان به : لمن كان جاحداً .

والأمر بالتوحيد : لمن كان مشركاً .

والأمر بالطاعة : لمن كان مؤمناً .

﴿لَكُمْ﴾ يتعلق :

بـ ﴿خَلَقَكُمْ﴾ ؛ أي خلقكم لتتقوه ؛ كقوله : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) ﴿الذاريات : ٥٦﴾ .

أو بفعل مقدر من معنى الكلام أي : دعوتكم إلى عبادة الله ؛ لعلكم تتقون ؛ وهذا أحسن .

وقيل : يتعلق بقوله : ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ ؛ وهذا ضعيف .

وإن كانت «لعل» للترجي فتأويله : أنه في حق المخلوقين ؛ جرياً على عادة كلام العرب .

وإن كانت للمقاربة أو التعليل : فلا إشكال .

والأظهر فيها : أنها لمقاربة الأمر ؛ نحو : «عسى» ؛ فإذا قالها الله فمعناها : إطماع العباد ، وهكذا القول فيها حيثما وردت في كلام الله تعالى .

﴿الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ تمثيل ؛ لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفراش ؛ فهو مجاز .

وكذلك ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ .

﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ : «من» : للتبويض ، أو لبيان الجنس ؛ لأن الثمر هو المأكول من الفواكه وغيرها .

والباء في ﴿بِهِ﴾ : سببية ، أو كقولك : «كتبت بالقلم» ؛ لأنَّ الماء سبب في خروج الثمرات بقدره الله تعالى .

﴿فَلَا تَجْعَلُوا﴾ : «لا» :

ناهية .

أو نافية ؛ وانتصب الفعل بإضمار «أن» بعد الفاء في جواب ﴿اعْبُدُوا﴾ .
والأول أظهر .

﴿أَنذَادًا﴾ يراد به هنا : الشركاء المعبودون مع الله جلَّ وعلا .

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حُذِفَ مفعوله مبالغةً وبلاغةً ؛ أي : وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين .

وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق .

ويتعلَّق قوله : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا﴾ بما تقدَّم من البراهين .

ويحتمل أن يتعلَّق بقوله : ﴿اعْبُدُوا﴾ .

والأول أظهر .

★ فوائد ثلاث :

الأولى : هذه الآية تضمَّنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقين :

أحدهما : إقامة البراهين بخليقتهم وخلق السموات والأرض والمطر والثمرات .

والآخر : ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام ، فذكر أولاً ربوبيته لهم ، ثم ذكر خلقة لهم وآبائهم ؛ لأن الخالق يستحق أن يعبد ، ثم ذكر ما أنعم به عليهم من جعل الأرض فراشاً والسماء بناءً ، ومن إنزال المطر ، وإخراج الثمرات ؛ لأن المنعم يستحق أن يعبد ويشكر ، وانظر قوله : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ﴾ ، و﴿ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ يدلُّك على ذلك ؛ لتخصيصه ذلك بهم ؛ فما أجملها من ملاطفة وخطاب بديع ! .

الثانية : المقصود الأعظم من هذه الآية : الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه ؛ لقوله في آخرها : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ ، وذلك هو الذي يُترجم عنه بقولنا : « لا إله إلا الله » ؛ فيقتضي ذلك : الأمر بالدخول في دين الإسلام الذي قاعدته التوحيد ، وقول « لا إله إلا الله » .

الثالثة : تكرر في القرآن ذكر المخلوقات ، والتنبيه على الاعتبار في الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار ؛ وذلك أنها تدلُّ بالعقل على عشرة أمور ؛ وهي :

[١] أن الله موجود ؛ لأن الصنعة دليل على الصانع لا محالة .

[٢] وأنه واحد لا شريك له ؛ لأنه لا خالق إلا هو ^(١) ، ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ ﴾ [النحل : ١٧] .

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قوله : (لأنه لا خالق إلا هو) توجيه لدلالة المخلوقات على أنه واحد ؛ وهذا ليس بجيد في صياغة الاستدلال ؛ لأنه تعليل للشيء بنفسه ؛ فكأنه قال : دلت على أنه واحد ؛ لأنه واحد . ولا يخفى ما فيه .

[٣-٦] وأنه حيٌّ، قدير، عالم^(١)، مُريد؛ لأنَّ هذه الصفات الأربع من شروط الصانع؛ إذ لا تصدر صنعة عمَّن عَدِمَ صِفَةً منها.

[٧] وأنه قديم؛ لأنه صانع للمحدثات، فيستحيل أن يكون مثلها في الحدوث.

[٨] وأنه باقٍ؛ لأن ما^(٢) ثبت قِدْمُهُ استحال عَدَمِهِ.

[٩] وأنه حكيم؛ لأن آثار حكمته ظاهرة في إتقانه للمخلوقات، وتدييره للملكوت.

[١٠] وأنه رحيم؛ لأن في كل ما خلق منافع لبني آدم، سخر لهم ما في السموات وما في الأرض.

وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على وجوده تعالى، أو على وحدانيته^(٣).

(١) في أ: «عليم».

(٢) في ب، د: «من».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: (وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على وجوده تعالى، أو على وحدانيته)، أقول: في هذا نظر؛ فإن المخاطبين ليسوا جاحدين لوجود الله؛ بل مشركين في العبادة؛ فالمقصود الأول من ذكر المخلوقات الاستدلال بها على توحيد الإلهية، وهم يقرون بأنه الخالق لهذه المخلوقات، فاحتجَّ عليهم بما أقروا به على ما أنكروه من توحيد الإلهية، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾، ولما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ أَلِيلٍ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاحِ وَالْغَلَاكِ أَلَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ =

فإن قيل: لم قصر الخطاب بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على المخاطبين دون الذين من قبلهم، مع أنه أمر الجميع بالتقوى؟

فالجواب: أنه لم يقصره عليهم في المعنى، ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ، والمراد الجميع^(١).

فإن قيل: هلاً قال: «لعلكم تعبدون»؛ مناسبة لقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾؟
فالجواب: أن التقوى غاية العبادة وكمالها؛ فكان قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أبلغ وأوقع في النفوس^(٢).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الآية إثبات لنبوة محمد ﷺ؛ بإقامة الدليل على أن القرآن الذي جاء به من عند الله.

فلما قَدَّم إثبات الإلهية: أعقبها بإثبات النبوة.

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، ومعلوم أنهم كانوا في ريب وفي تكذيب؟

فالجواب: أنه ذكر حرف «إن» إشارة إلى أن الريب بعيد عند العقلاء في

= مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَاتَّخِذُوا الْأَرْضَ بُعْدَ مَوْتِكُمْ وَأَنْتُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِتُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فتضمنت الآيتان الأمر بعبادته تعالى، والنهي عن الشرك به، وذكر المقتضي لذلك، وهو خلق الأولين والآخرين وخلق السماوات والأرض وما بينهما، ونظائر ذلك كثير.

(١) انظر: الكشاف (٢/٢٩٧).

(٢) انظر: الكشاف (٢/٢٩٩).

مثل هذا الأمر الساطع البرهان؛ فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال في الأمر^(١) الواقع؛ لُبْعِدِ وقوع الريب وقُبْحِه عند العقلاء، كما قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢).

﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾ هو النبي ﷺ.

والعبودية على وجهين:

عامة، وهي التي بمعنى المِلْك.

وخاصة، وهي التي يراد بها التَّشْرِيف والتَّخْصِيس، وهي من أشرف أوصاف العباد، ولله درُّ القائل:

لا تدعني إلا بيا عبدهُ فإنه أشرفُ أسمائي^(٣)

﴿فَأَتُوا سُورَةَ﴾ أمرٌ يراد به التَّعْجِيز.

﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ الضمير عائد:

على: ﴿مَا نَزَّلْنَا﴾، وهو القرآن، و«مِّن»: لبيان الجنس.

وقيل: يعود على النبي ﷺ؛ ف«مِّن» - على هذا - لا ابتداءً الغاية، ومعناه: من بشرٍ مثله.

(١) في ج، ه زيادة: «الماضي».

(٢) انظر: الكشف (٥٤/٢).

(٣) هذا البيت ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٤٥) بإسناده إلى أبي عبد الله المغربي (ت ٢٩٩هـ).

والأول أرجح؛ لتعيينه^(١) في «يونس» و«هود».

ومعنى: ﴿مِثْلِهِ﴾: في فصاحته، وفيما تضمن من العلوم، والحكم العجيبة، والبراهين الواضحة.

﴿شُهِدَآءُكُمْ﴾: آلهتكم، أو أعوانكم، أو من يشهد لكم.

﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غير الله.

وقيل: هو من الدنيء الحقير؛ فهو مقلوب اللفظ.

﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ اعتراض بين الشرط وجوابه، فيه مبالغة وبلاغة، وهو إخبار ظهر مصداقه في الوجود؛ إذ لم يقدر أحد أن يأتي بمثل القرآن، مع فصاحة العرب في زمان نزوله، وتصرفهم في الكلام، وحرصهم على التكذيب.

وفي الإخبار بذلك معجزة أخرى.

وقد اختلف في عجز الخلق عنه على قولين:

أحدهما: أنه ليس في قدرتهم الإتيان بمثله، وهو الصحيح.

والثاني: أنه كان في قدرتهم وُصِرُوا عنه.

والإعجاز حاصل على الوجهين.

وقد بيّنّا سائر وجوه إعجازه في المقدمات^(٢).

(١) في ب، ج، د: «لتعيينه».

(٢) انظر صفحة ١١٨.

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ أي : فآمنوا ؛ لتنجوا من النار ، وعبر بالملازم عن ملازمه ؛ لأن ذكر النار أبلغ في التفخيم والتهويل والتخويف .

﴿وَقُودُهَا﴾ حطبها .

﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ قال ابن مسعود : هي حجارة الكبريت ؛ لسرعة اتقادها ، وشدة حرها ، وقبح رائحتها .

وقيل : الحجارة المعبودة .

وقيل : الحجارة على الإطلاق .

﴿أَعَدَّتْ﴾ دليل على أنها قد خلقت ، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة ، خلافاً لمن قال : إنها تخلق يوم القيامة . وكذلك الجنة .

﴿وَبَشِّرِ﴾ يحتمل أن يكون :

خطاباً للنبي ﷺ .

أو خطاباً لكل أحد ، ورجح الزمخشري هذا^(١) ؛ لأنه أفخم .

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ دليل على أن الإيمان خلافاً للعمل ؛ لعطفه عليه ، خلافاً لمن قال : الإيمان اعتقاد ، وقول ، وعمل .

وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال ، خلافاً للمرجئة^(٢) .

(١) انظر : الكشاف (٢/٣٤٣) .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : «في كلام المؤلف مسألتان : المسألة الأولى : قوله : «دليل على أن الإيمان خلافاً للعمل ؛ لعطفه عليه» . =

﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: تحت أشجارها وتحت مبانيتها.
وهي: أنهار الماء، واللبن، والخمر، والعسل. وهكذا^(١) تفسيره حيث وقع.

وروي أن أنهار الجنة تجري في غير أُحدود^(٢).

﴿مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ «من» الأولى: للغاية، أو للتبعيض، أو لبيان الجنس.
و«من» الثانية: لبيان الجنس.

﴿رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا؛ بدليل قولهم: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُتَشَفِّينَ﴾ [الطور: ٢٦] أي: في الدنيا، فإن في الجنة أجناسَ ثمر الدنيا، وإن كانت خيراً منها في المطعم والمنظر.

= أقول: ظاهره أنه يقرر هذا الاستدلال، وهو بهذا يوافق جميع طوائف المرجئة في الاستدلال بهذه الآية على إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان، وأهل السنة يخالفونهم في أصل المسألة وفي الاستدلال بالآية، فيقولون: العمل من الإيمان، لدلائل كثيرة من الكتاب والسنة، كحديث وفد عبد القيس وحديث شعب الإيمان. ويقولون: العطف لا يقتضي المغايرة دائماً، بل منه عطف الخاص على العام، ومن ذلك عطف الأعمال على الإيمان.

المسألة الثانية: قوله: «وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال، خلافاً للمرجئة».

أقول: هذا الاستدلال صحيح، ولكن قوله: «خلافاً للمرجئة» لا يصح على الإطلاق؛ لأن مرجئة الفقهاء لا ينازعون في هذا، وإنما ينازع في هذا المرجئة الجهمية، القائلين: لا يضر مع الإيمان ذنب».

(١) في ج، د: «وهذا».

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٠٥/٦).

﴿وَأَنؤُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ أي: يشبه ثمر الدنيا في جنسه.

وقيل: يشبه بعضه بعضًا في المنظر، ويختلف في المطعم.

والضمير المجرور يعود على: المرزوق الذي يدلُّ عليه المعنى.

﴿مُطَهَّرَةً﴾ أي: من الحيض وأقذار النساء ومن سائر الأقذار التي لا تختصُّ بالنساء، كالبول وغيره.

ويحتمل أن يريد: طهارة الطِّباع، وطيب الأخلاق.

﴿لَا يَسْتَحْيَ﴾ تأوّل قومٌ أن معناه: لا يترك؛ لأنهم زعموا أنَّ الحياء مستحيل على الله؛ لأنه -عندهم-: انكسارٌ يمنع من الوقوع في أمرٍ.

وليس كذلك؛ وإنما هو: كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب.

ويردُّ عليهم: قوله ﷺ: «إن الله حيٌّ كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً» (١)(٢).

﴿أَن يَضْرِبَ﴾ سبب الآية: أنه لما ذكر في القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار ذلك.

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦) وابن ماجه (٣٨٦٥) جميعهم من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «كلام المؤلف مستقيم، على مذهب أهل السنة؛ لأنه تضمن إثبات الحياء لله على ما يليق به، وأنكر على من زعم أنه ممتنع على الله، مما أوجب لهم تحريف الآية بتأويل الحياء بالترك، واستدل المؤلف لما ذهب إليه بالحديث، وهو استدلال صحيح».

وقيل : لما ضُرب المثلين المتقدمين في المنافقين تكلموا في ذلك ؛ فنزلت الآية ردًا عليهم .

﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إعراب ﴿بَعُوضَةً﴾ :

مفعولٌ بـ ﴿يَضْرِبُ﴾ ، و﴿مَثَلًا﴾ حال .

أو ﴿مَثَلًا﴾ مفعول ، و﴿بَعُوضَةً﴾ بدل منه ، أو عطف بيان .

أو هما مفعولان بـ ﴿يَضْرِبُ﴾ ؛ لأنها -على هذا المعنى- تتعدى إلى مفعولين ، كجعل .

و﴿مَّا﴾ : صفة للنكرة ، أو زائدة .

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الكِبَر .

وقيل : في الصَّغَر .

والأول أظهر .

﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ ؛ لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ما شاء ، ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة ، وضربُ أمثال ، وبيانٌ للناس ، ولأنَّ الصادق جاء بها من عند الله .

﴿مَاذَا أَرَادَ﴾ لفظه : الاستفهام ، ومعناه : الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب .

وفي إعراب ﴿مَاذَا﴾ وجهان :

أن تكون «ما» مبتدأ ، و«ذا» خبره ، وهي موصولة .

وأن تكون كلمة مركبة في موضع نصب على المفعول بـ ﴿أَرَادَ﴾ .

و﴿مَثَلًا﴾ منصوب على: الحال، أو التمييز.

﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ من كلام الله؛ جوابًا للذين قالوا: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾.

وهو -أيضًا- تفسير لما أراد الله بضرب المثل من الهدى والضلال.
﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ مطلق في العهود، وكذلك ما بعده من القطع والفساد.
ويحتمل:

أن يشارَ بنقض عهد الله إلى اليهود؛ لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم في الإيمان بمحمد ﷺ.

ويشارَ بقطع ما أمر الله به أن يوصل إلى قريش؛ لأنهم قطعوا الأرحام التي بينهم وبين المؤمنين.

ويشارَ بالفساد في الأرض إلى المنافقين؛ لأن الإفساد^(١) من أفعالهم، حسبما تقدّم في وصفهم^(٢).

﴿مِثْقَاءَ الزُّمُرِّ﴾ الضمير: للعهد، أو لله تعالى.

﴿كَيْفَ نَكْفُرُونَ﴾ موضعها^(٣): الاستفهام، ومعناها هنا: الإنكار والتوبيخ.

(١) في ب، د: «الفساد».

(٢) في ب، ج، هـ: «صفته».

(٣) في ب، ج، هـ: «موضوعها».

﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا﴾ أي: معدومين، أو في أصلاّب الآباء، أو نُطفًا في الأرحام.

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي: أخرجكم إلى الدنيا.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموت المعروف.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء.

وقيل: الحياة الأولى: حين أخرجهم من صلب آدم لأخذ العهد.

وقيل: في الحياة الثانية: إنها في القبور.

والراجع القول الأول؛ لتعيّنه في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الحج: ٦٦].

★ فوائد ثلاث:

الأولى: هذه الآية في معرض الردّ على الكفار، وإقامة البرهان على بطلان قولهم.

فإن قيل: إنما يصحّ الاحتجاج عليهم بما يعترفون به، فكيف يحتجّ عليهم بالبعث وهم منكرون له؟

فالجواب: أنهم ألزموا، من ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت، ثبوت البعث؛ لأن القدرة صالحة لذلك كلّ.

الثانية: قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا﴾ في موضع الحال.

فإن قيل: كيف جاء دون «قد» وهي لازمة مع الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال؟

فالجواب: أنه قد جاء بعد الماضي مستقبل، والمراد: مجموع الكلام؛ كأنه يقول: وحالكم هذه؛ فلذلك لم تلزم «قد»^(١).

الثالثة: عطف ﴿فَأَخْيَكُمُ﴾ بالفاء؛ لأن الحياة إثرُ العدم، لا تراخي بينهما، وعطف ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ و﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بـ «ثم»؛ للتراخي الذي بينهما.

﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ دليلٌ على إباحة الانتفاع بما في الأرض.
﴿أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصد لها.

والسما - هنا - : جنس؛ ولأجل ذلك أعاد عليها بعد ضمير الجماعة.
﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾ أي: أتنن خلقتهن؛ كقوله: ﴿فَسَوَّيْنَكَ فَعَدَّكَ﴾ [الأنفطار: ٧].
وقيل: جعلهن سواءً.

★ فائدة: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض، وقوله:
﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] ظاهره خلاف ذلك؛ والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الأرض خلقت قبل السماء، ودُحيت بعد ذلك، فلا تعارض.

والآخر: أن تكون «ثم» لترتيب الإخبار.

(١) انظر: الكشاف (٢/٤١٣).

[وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّخِذُ أُنثِيَهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَتَّخِذُ مَسْكَنًا أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾].

﴿لِلْمَلَكَةِ﴾ جمع ملك، واختلف في وزنه :

ف قيل : فَعَلٌ ؛ فالميم أصلية ، ووزن ملائكة على هذا : فعائلة .

وقيل : هو من الألوكة ، وهي الرسالة ، فوزنه مَفْعَلٌ وأصله : مَأْلُكٌ ، ثم حذفت الهمزة ، ووزن ملائكة على هذا : مَفَاعِلَةٌ ، ثم قلب وأخرت الهمزة ؛ فصار : مَعَاوِلَةٌ ؛ وذلك بعيد .

﴿خَلِيفَةً﴾ هو آدم ﷺ ؛ لأنَّ الله استخلفه في الأرض .

وقيل : ذرَّيته ؛ لأنَّ بعضهم يخلف بعضًا .

والأَوَّلُ أرجح ، ولو أراد الثاني لقال : خلفاء .

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الآية ؛ سؤال محض ؛ لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله من يعصيه .

وليس فيه اعتراض ؛ لأن الملائكة منزّهون عنه .

وإنما علموا أن بني آدم يفسدون :

بإعلام الله إياهم بذلك .

وقيل : كان في الأرض جنّ فأفسدوا ، فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم ، فقام الملائكة بني آدم عليهم .

﴿وَنَحْنُ سُبِّحٌ﴾ اعتراف ، والتزام للتسبيح ، لا افتخار ولا منّة .

﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي : حامدين لك ، والتقدير : نُسَبِّحُ مُلْتَبِسِينَ^(١) بحمدك ؛ فهو في موضع الحال .

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يحتمل :

أن تكون الكاف مفعولاً ، ودخلت عليها اللام ؛ كقولك : ضربتُ لزيد .

أو أن يكون المفعول محذوفاً ، أي : نقُدِّسُكَ ، على معنى : ننزّهك أو نعظّمك ، وتكون اللام في ﴿لَكَ﴾ للتعليل ؛ أي : لأجلك .

أو يكون التقدير : نقُدِّسُ أنفسنا - أي نطهّرها - لك .

﴿أَعْلَمُ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ أي : ما يكون في بني آدم من الأنبياء والأولياء ،

(١) في ب ، د ، هامش أ ورمز له بـ"خ" : «متلبّسين» .

وغير ذلك من المصالح والحكمة.

﴿الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا﴾ أي: أسماء بني آدم.

أو ^(١) أسماء أجناس الأشياء، كتسمية الفرس والشجرة وغير ذلك.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: عرض المسميات، وهي أشخاص بني آدم، أو ^(٢) أجناس الأشياء.

﴿أَنِتُّونِي﴾ أمرٌ على وجه التعجيز.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في قولكم: إِنَّ الخليفة يُفسد في الأرض ويسفك الدماء.

وقيل: إن كنتم صادقين في جواب السؤال والمعرفة بالأسماء.

﴿لَا عَلِمَ لَنَا﴾ اعتراف.

﴿أَنبَيْنَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي: أنبئ الملائكة بأسماء ذريتك، أو بأسماء أجناس الأشياء.

﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ السجود له على وجه التحية.

وقيل: عبادة لله، وآدم كالقابلة.

﴿فَسَجَدُوا﴾ روي أَنَّ أَوَّلَ مَنْ سجد لإسرافيل؛ ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ ^(٣).

(١) في ج، هـ: «و».

(٢) في ج، هـ: «و».

(٣) أخرجه ابن عساكر بإسناده في «تاريخ دمشق» (٣٩٨/٧).

﴿إِلَّا إِلَيسَ﴾ استثناءً متصل عند من قال : إنه كان ملكًا .

ومنقطع عند من قال : إنه كان من الجن .

﴿وَأَسْتَكْبَرُ﴾ لقوله : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف : ١٢] .

﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قيل : كفر بإيائته من السجود ؛ وذلك بناء على أن المعصية كفرٌ .

والأظهر : أنه كفر باعتراضه على الله ، وتسفيهه له في أمره بالسجود لآدم ، وليس كفره كفر جحود ؛ لاعترافه بالربوبية .

﴿وَزَوْجُكَ﴾ هي حواء ، خلقها الله من ضلعِ آدم .

ويقال : زوجةٌ ، وزوجٌ ؛ وهذا أفصح .

﴿الْجَنَّةَ﴾ هي جنَّةُ الخلد عند الجماعة وأهل السنة ، خلافاً لمن قال : هي غيرها .

﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ النهي عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى ، وإنما نهى عن القرب سداً للذريعة ؛ فهذا أصل في سدِّ الذرائع .

﴿الشَّجَرَةَ﴾ قيل : هي شجرة العنب ، وقيل : شجرة التين ، وقيل : الحنطة .

وذلك مفتقر إلى نقل صحيح ، واللفظ مبهم .

﴿فَتَكُونَا﴾ عطف على ﴿تَقْرَبَا﴾ .

أو : نصب بإضمار «أن» بعد الفاء في جواب النهي .

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ متعدّدٌ : من زلّل القدم .

﴿أَزَالَهُمَا﴾ بالألف : من الزوال .

﴿عَنَّا﴾ الضمير عائد :

على الجنة .

أو على الشجرة ؛ فتكون «عن» - على هذا - سببية .

★ فائدة : اختلفوا في أكل آدم الشجرة :

فالأظهر : أنه كان على وجه النسيان ؛ لقوله تعالى : ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه : ١١٥] .

وقيل : سكر من خمر الجنة ، وحينئذٍ أكل منها ؛ وهذا باطل ؛ لأن خمر الجنة لا تسكر .

وقيل : أكلها عمداً ، وهي معصية صغرى ؛ وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر .

وقيل : تأول آدم أن النهي كان عن شجرة معينة ، فأكل من غيرها من جنسها .

وقيل : لما حلف له إبليس صدقه ؛ لأنه ظن أنه لا يحلف أحد كاذباً .

﴿أَهْطُوا﴾ خطاب لآدم وزوجه وإبليس ؛ بدليل : ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ .

﴿مُسْفَرٌّ﴾ موضع استقرار ؛ وهو في مدة الحياة .

وقيل : في بطن الأرض بعد الموت .

﴿وَمَتَّعْ﴾ ما يتمتع به .

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى الموت.

﴿فَتَلَقَّ﴾ أي: أخذ وقَبِلَ على قراءة الجماعة.

وقرأ ابن كثير بنصب «آدم» ورفع الكلمات؛ ف﴿تَلَقَّى﴾ - على هذا - : من اللقاء.

﴿كَلِمَتٍ﴾ هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّنَا تَغْفِرٌ لَّنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]؛ بدليل ورودها في «الأعراف».

وقيل غير ذلك.

﴿أَهْبِطُوا﴾ كُرِّرَ؛ لِيُنَاطَ به ما بعده.

ويَحْتَمَلُ: أن يكون أحد الهبوطين من السماء، والآخر من الجنة.

وأن يكون هذا الثاني: لذرية آدم؛ لقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾، والأول: لآدم وزوجه وإبليس.

وروي أن آدم نزل بسرنديب من أرض الهند، وحواء بجدة، وإبليس بالأُبْلَةُ^(١).

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ «إِنْ»: شرطية، و«ما» زائدة؛ للتأكيد.

والهدى هنا يراد به: كتاب^(٢) الله ورسالاته.

﴿فَمَنْ يَبَعْ﴾ شرط، وهو جواب الشرط الأول.

وقيل: ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ جواب الشرطين.

(١) الأُبْلَةُ: بلدة قريبة من البصرة في العراق. انظر: معجم البلدان (١/٧٦).

(٢) في ب: «كتب».

[يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي
فَارْهَبُونَ ﴿٤١﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا
بِعَابَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ
﴿٤٣﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٤﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٥﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا
لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٦﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٧﴾].

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ لَمَّا قَدَّمَ دَعْوَةَ النَّاسِ عَمُومًا ، وَذَكَرَ مَبْدَأَهُمْ : دَعَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ خُصُوصًا ، وَهُمْ الْيَهُودُ .

وَجَرَى الْكَلَامَ مَعَهُمْ مِنْ هُنَا إِلَى حَزْبٍ : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ .

فِتَارَةً دَعَاهُمْ بِالْمَلَاظِفَةِ وَذَكَرَ الْإِنْعَامَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى آبَائِهِمْ .

وَتَارَةً بِالتَّخْوِيفِ .

وَتَارَةً بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَتَوْبِيخِهِمْ عَلَى سُوءِ أَعْمَالِهِمْ ، وَذَكَرَ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي
عَاقِبَهُمْ .

★ فَذَكَرَ مِنَ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ عَشْرَةَ أَشْيَاءَ ، وَهِيَ :

[١] ﴿وَإِذْ بَخَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩] .

[٢] وَ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠] .

[٣] وَ﴿بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦] .

[٤] وَ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْعِمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧] .

[٥] و﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى﴾ [البقرة: ٥٧].

[٦] و﴿عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٢].

[٧] و﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

[٨] و﴿يَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨].

[٩] و﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣].

[١٠] و﴿فَإَنفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠].

★ وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء :

[١] قولهم : ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣].

[٢] و﴿أَتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٢].

[٣] وقولهم : ﴿أَرَأَيْتَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

[٤] و﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ٥٩].

[٥] و﴿لَنْ نَضْرِبَ عَلَى طَعَامِ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١].

[٦] و﴿يُحَرِّفُونَهُ﴾ [البقرة: ٧٥].

[٧] و﴿تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٤].

[٨] و﴿فَسَتُ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٧٤].

[٩] و﴿وَكُفِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٥].

[١٠] و﴿وَقَالِهِمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥].

★ وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء :

[١ - ٢ - ٣] ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾

[البقرة: ٦١].

[٤] و﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩].

[٥] و﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

[٦] و﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ [البقرة: ٦٥].

[٧] و﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٥٩].

[٨] و﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥].

[٩] و﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

[١٠] و﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

وهذا كله جرى لأبائهم المتقدمين ، وخطب به المعاصرون لمحمد ﷺ ؛
لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم .

★ وقد وَبَّخ المعاصرين^(١) لمحمد ﷺ بتوبيخات آخر، وهي
عشرة :

[١] كتمانهم أمر محمد ﷺ مع^(٢) معرفتهم به .

[٢] و﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ [النساء: ٤٦].

(١) في ب، د، هـ: «وَبَّخ المعاصرون».

(٢) في د: «بعد».

[٣] و﴿يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

[٤-٥] و﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِكْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٥].

[٦] وحرصهم على الحياة.

[٧] وعداوتهم لجبريل.

[٨] وأتباعهم للسحر.

[٩] وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١٨].

[١٠] وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿نَعِمَتِي﴾ اسم جنس؛ فهي مفردة بمعنى الجمع، ومعناها عام في جميع النعم التي على بني إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم، أو اختصوا هم به، كالمن والسلوى.

وللمفسرين فيه أقوال؛ تُحمل على أنها أمثلة، واللفظ يعُمُّ جميعها.

﴿بَعْدِي﴾ مطلق في كل ما أخذ عليهم من العهود.

وقيل: الإيمان بمحمد ﷺ، وذلك قوي؛ لأنه مقصود الكلام.

﴿بَعْدِكُمْ﴾ دخول الجنة.

﴿وَإِنِّي﴾ مفعولٌ بفعل مضمر مؤخر؛ لانفصال الضمير، وليفيد الحصر،

يفسره: ﴿فَارْهَبُون﴾؛ لأنه قد أخذ معموله^(١).

(١) في د: «مفعوله».

وكذلك: ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ .

﴿بِمَا أُنْزِلْتُ﴾ يعني: القرآن .

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي: مصدقاً للتوراة .

★ وتصديق القرآن للتوراة وغيرها، وتصديق محمد ﷺ
للأنبياء المتقدمين له ثلاثة معان:

أحدها: أنهم أخبروا به، ثم ظهر كما قالوا؛ فتيّن صدقهم في الإخبار به.
والآخر: أنه ﷺ أخبر أنهم أنبياء، وأن الله أنزل عليهم الكتب؛ فهو
مصدق لهم؛ أي: شاهد بصدقهم .

والثالث: أنه ﷺ وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة
وغير ذلك من عقائد الشرائع؛ فهو مصدق لهم؛ لاتفاقه معهم في الإيمان
بذلك .

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ الضمير عائد على القرآن .

وهذا نهى عن المسابقة إلى الكفر به، ولا يقتضي إباحة الكفر به في ثاني
حال؛ لأن هذا مفهوم معطل، بل يقتضي الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به؛
لما يجدون في كتبهم من ذكره، ولما يعرفون من علاماته .

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الاشتراء هنا: استعارة في الاستبدال؛ كقوله:
﴿أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ .

والآيات هنا: هي الإيمان بمحمد ﷺ .

والثمن القليل : ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رئاستهم ، وأخذ الرُّشَا على تغيير أمر محمد ﷺ ، وغير ذلك .

وقيل : كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فنُهِوا عن ذلك .

واحتجَّ الحنفية بهذه الآية على منع الأجرة^(١) على تعليم القرآن .

﴿الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ﴾ الحق هنا يراد به : نبوة محمد ﷺ ، والباطل : الكفر به .

وقيل : الحق : التوراة ، والباطل : ما زادوا فيها .

﴿وَتَكْنُؤُوا﴾ معطوف على النهي .

أو منصوب بإضمار «أَنْ» في جواب النهي ، والواو بمعنى الجمع .

والأول أرجح ؛ لأنَّ العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين ، بخلاف النصب بالواو ؛ فإنه إنما يقتضي النهي عن الجمع بين الشيئين ، لا النهي عن كل واحد على انفراده .

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي : تعلمون أنه حق .

﴿الصَّلَاةَ﴾ و﴿الزَّكَاةَ﴾ يراد بها : صلاة المسلمين وزكاتهم ؛ فهو يقتضي الأمر بالدخول في الإسلام .

﴿وَأَزْكَوْا﴾ خصَّص الركوع بعد ذكر الصلاة ؛ لأنَّ صلاة اليهود بلا ركوع ، فكأنه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع .

وقيل : الركوع : الخضوع والانقياد .

(١) في ج ، هـ : «الإجارة» .

﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ هم المسلمون؛ فيقتضي ذلك: الأمر بالدخول في دينهم.

وقيل: الأمر بالصلاة مع الجماعة.

﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ تفریع وتوبیخ لليهود.

﴿بِالْبَرِّ﴾ عامٌّ في أنواعه؛ فوبَّخهم على أمر الناس به وتركهم له.

وقيل: كان الأحرار يأمرؤن من نصحوه في السرِّ باتباع محمد ﷺ، ولا يتبعونه.

وقال ابن عباس: كانوا يأمرؤن باتباع التوراة، ويخالفونها في جحدهم منها صفة محمد ﷺ.

﴿وَتَسَوْنَ﴾ أي: تتركون، وهذا تفریع.

﴿نَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ حجة عليهم.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبیخ.

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالْصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ قيل: معناه: استعينوا بهما على مصائب الدنيا، وقد روي أن رسول الله ﷺ: «كان إذا حزبه^(١) أمر فزع إلى الصلاة»^(٢)، ونُعي إلى ابن عباس أخوه فُثم فصلَّى ركعتين وقرأ الآية^(٣).

وقيل: استعينوا بهما على طلب الآخرة.

وقيل: الصبر هنا الصوم.

(١) في ج، هـ: «حزنه»، وفي ب، د: «أحزنه»، والمثبت هو الموافق لما في الرواية.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٦٢٠).

وقيل : الصلاة هنا الدعاء .

﴿وَإِنَّهَا﴾ الضمير عائد :

على العبادة التي تضمَّنْها الصبر والصلاة .

أو على الاستعانة .

أو على الصلاة .

﴿لَكِبْرَةٌ﴾ أي : شاقَّةٌ صعبة .

﴿يُظُنُّونَ﴾ هنا : يتيقَّنون .



[يَبْتَغِي إِسْرَاءَ يَدِ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾] وَأَتَقُوا
يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِذْ يُخَيِّنُكُمْ مَنِ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَمْجَيْنَاكُم وَأَغْرَقْنَا
آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نُنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ
الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ
أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ
فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ
جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِّن بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ
فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾].

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي أهل زمانهم.

وقيل: تفضيل من وجه ما، وهو كثرة الأنبياء و^(١) غير ذلك.

﴿لَا تَجْزِي﴾ لا تغني، و﴿شَيْئًا﴾:

مفعول به.

(١) في ب، ج، هـ: «أو».

أو صفة لمصدر محذوف.

والجملة في موضع الصفة، وحُذِفَ الضمير؛ أي: فيه.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ ليس نفْيُ الشفاعة مطلقاً؛ فإنَّ مذهب أهل الحق ثبوتُ شفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإنما المراد: أنه لا يشفع أحدٌ إلَّا بعد أن يأذن الله له؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣]، ولقوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٣]، وانظر ما ورد في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ يسجد يوم القيامة يستأذن في الشفاعة، فيقال له: «اشفع تشفع»^(١).

فكلُّ ما ورد في القرآن من نفْيِ الشفاعة مطلقاً يحمل على هذا؛ لأنَّ المطلق يحمل على المقيد، فليس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفْيِ الشفاعة.

﴿عَذْلٌ﴾ هنا: فدية.

﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ جمع؛ لأنَّ النفس المذكورة يراد بها نفوس.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ تقديره: اذكروا إذ نجيناكم، أي: نجينا آباءكم.

وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي ﷺ؛ لأنهم ذريَّتُهُم وعلى دينهم ومتَّبِعُونَ لهم، فحكمهم كحكمهم، وكذلك فيما بعد هذا:

مِنْ تَعْدَادِ النِّعَمِ؛ لأنَّ الإِنْعَامَ عَلَى الْآبَاءِ إِنْْعَامٌ عَلَى الْأَبْنَاءِ.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

وَمِنْ ذَكَرٍ مَسَاوِيهِمْ ؛ لِأَنَّ ذُرِّيَّتَهُمْ رَاضُونَ بِهَا .

﴿مَنْ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ المراد : من فرعون وآله ؛ وحذف لدلالة المعنى .

وآل فرعون : هم جنوده وأشياعه وآل دينه ، لا قرابته خاصة .

ويقال : إِنَّ اسمَه : الوليد بن مصعب ، وهو من ذُرِّيَّةِ عَمَلِيق .

ويقال : «فرعون» : لكلِّ مَنْ ولي مصر .

وأصل «آل» : أهل ، ثم أُبْدِلَ من الهاء همزةٌ ، وأُبدِلَ من الهمزة ألفٌ .

★ فائدة : كلُّ ما ذُكِرَ في هذه السورة من الأخبار معجزاتٌ للنبي ﷺ ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلُّم .

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي : يُلْزِمُونَهُ لَكُمْ ، وهو استعارة من السَّوم في البيع .

وَفَسَّرَ سُوءَ الْعَذَابِ بقوله : ﴿يُذَيِّبُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ ولذلك لم يعطفه هنا .

وأما حيث عطفه في سورة «إبراهيم» فيحتمل :

أن يراد بـ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ غير ذلك ؛ فيكون عطف مغايرةً .

أو أراد به ذلك ؛ وعطفه لاختلاف اللفظ .

وكان سبب قتل فرعون لأبناء بني إسرائيل :

أنه أخبره الكهان والمنجِّمون أن هلاكه على يد مولود ذكرٍ من بني إسرائيل .

وقيل : إن آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذريته ملوكًا وأنبياء فحسدَهم^(١) على ذلك .

وروي : أنه وكَّل بالنساء رجالًا يحفظون من يحمل منهنَّ^(٢) .

وقيل : بل وكَّل على ذلك القوابل ؛ ولأجل هذا قيل : معنى : ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ : يَفْتِشُونَ الحيا من كل امرأة ، وهو فرجُها ، وهذا بعيد .
والأظهر : أنه من الحياة ضدَّ الموت .

﴿فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ أي : فصلناه ، وجعلناه فِرْقًا ، اثني عشر طريقًا ، على عدد الأسباب .

والباء : سببية ، أو للمصاحبة .

والبحر المذكور هنا : هو بحر القلْزُوم .

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ هي : شهر ذي قعدة وعشر ذي الحجة .

وإنما خصَّ الليالي بالذكر لأنَّ التاريخ بها ، والأيام تابعة لها ، والمراد : أربعين ليلة بأيامها .

﴿أَتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ أي : اتخذتموه إلهاً ؛ فحذف لدلالة المعنى .

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي : ^(٣) بعد غيبته في الطُّور .

﴿الْكِتَابَ﴾ هنا : التوراة .

(١) في ب ، د : «فحسدوهم» .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٤٦/١) .

(٣) في ب ، ج ، د زيادة : «من» .

﴿وَالْفُرْقَان﴾ أي : المفرق بين الحق والباطل ، وهو صفة للتوراة ؛ عطف عليها لاختلاف اللفظ .

وقيل : الفرقان هنا : فرق البحر .

وقيل : المعنى : آتينا موسى الكتاب ، وآتينا محمداً الفرقان ؛ وهذا بعيد ؛ لما فيه من الحذف من غير دليل عليه .

﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي : يقتل بعضكم بعضاً ؛ كقوله : ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور : ٦١] .

وروي : أن من لم يعبد العجل قُتل من عبده^(١) .

وروي : أن الظلام أُلقي عليهم فقتل بعضهم بعضاً ، حتى بلغ القتل سبعين ألفاً ، فعفا الله عنهم^(٢) .

وإنما خصّ هنا اسم الباري ؛ لأن فيه توبيخاً للذين عبدوا العجل ؛ كأنه يقول : كيف عبدتم غير الذي برأكم . ومعنى الباري : الخالق .

﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبله محذوف ؛ لدلالة الكلام عليه ، وهو فحوى الخطاب ، أي : ففعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم .

﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ﴾ تعدى باللام ؛ لأنه تضمن معنى الانقياد .

﴿جَهْرَةً عِيَانًا﴾ .

﴿الصَّعِقَةَ﴾ الموت .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٠ / ١) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٨٠ / ١) .

وكانوا سبعين، وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور، فسمعوا كلام الله، ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا؛ لسوء أدبهم، وجُرأتهم على الله. ﴿وَوَلَّلْنَاهُ﴾ أي: جعلنا الغمام فوقهم كالظلة يقيكم حرَّ الشمس، وكان ذلك في النَّهْي.

وكذلك أنزل عليهم فيه المَنَّ والسلوى لما عَدِموا الطعام.

وقد فسرنا ﴿الْمَنَّ وَالسَّلَوَى﴾ في «اللغات»^(١).

﴿كُلُوا﴾ معمولٌ لقول محذوف.

﴿هَذِهِ الْفَرْيَةُ﴾ بيت المقدس، وقيل: أريحاء، وقيل: قريب من بيت المقدس.

﴿فَكُلُوا﴾ جاء هنا بالفاء التي للترتيب؛ لأن الأكل بعد الدخول فيها.

وجاء في «الأعراف» بالواو بعد قوله: ﴿أَسْكُنُوا﴾؛ لأن الأكل مقارن للسكنى.

﴿سُجَّدًا﴾ قيل: معناه رُكُوعًا؛ لأنَّ الدخول لا يتأتَّى معه السجود.

وقيل: متواضعين.

﴿حِطَّةٌ﴾ تقدَّم في «اللغات»^(٢).

﴿وَسَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نزيدهم أجرًا إلى المغفرة.

(١) انظر المادتين: (٣٠٥)، (٤٩٣) في اللغات.

(٢) انظر المادة (١٣٤) في اللغات.

﴿فَبَدَّلَ﴾ روي أنه قالوا: حنطة.

وروي: حبة في شعرة.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني: المذكورين، ووضع الظاهر موضع المضمرة؛
لقصد ذمهم بالظلم.

وكرّره زيادة في تقبيح أمرهم.

﴿رِجْزًا﴾ روي أنهم أصابهم الطاعون، فمات منهم سبعون ألفاً.



[﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ كَلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦١﴾﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يٰمُوسَىٰ لَنْ نَّضِرَّ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَنْتَبِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآ سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِعَصَابِ اللَّهِ ذَلِكَ بَآئِنُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بَيَّأَتِ اللَّهُ يَتَائِثَ الَّذِينَ يَبْغِيْنَ يَغْيِرُ الْخَفَىٰ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٢﴾﴾].

﴿اسْتَسْقَى﴾ طَلَبَ السَّقْيَا لَمَّا عَطَشُوا فِي التِّيهِ .

﴿الْحَجَرُ﴾ كَانَ مَرْبَعًا ؛ ذِرَاعًا فِي ذِرَاعٍ ، تَنْفَجَرُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ثَلَاثَ عَيُونٍ .
وروي : أَنَّ آدَمَ كَانَ أَهْبَطَهُ مِنَ الْجَنَّةِ .

وقيل : هُوَ جَنَسٌ غَيْرُ مَعْيَنٍ ؛ وَذَلِكَ أَبْلَغُ فِي الْإِعْجَازِ .

﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ قَبْلَهُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ : فَضْرَبَهُ فَانْفَجَرَتْ .

﴿مَشْرِبَهُمْ﴾ أَي : مَوْضِعَ شَرْبِهِمْ ، وَكَانُوا اثْنِي عَشَرَ سِبْطًا ؛ لِكُلِّ سِبْطٍ عَيْنٌ .

﴿كَلُّوا﴾ أَي : مِنَ الْمَنِّْ وَالسَّلْوَى .

﴿وَاشْرَبُوا﴾ مِنَ الْمَاءِ الْمَذْكُورِ .

﴿وَفُومِهَا﴾ هِيَ الثُّومُ . وَقِيلَ : الْحَنْطَةُ .

﴿أَدْنَىٰ﴾ مِنَ الدُّنْيَا الْحَقِيرِ .

وقيل : أَصْلُهُ «أَدُونُ» ، ثُمَّ قُلِبَ بِتَأْخِيرِ عَيْنِهِ وَتَقْدِيمِ لَامِهِ .

﴿مِصْرًا﴾ قيل : البلد المعروف ؛ وصُرف لسكون وسطه .
 وقيل : هو غير معين فهو نكرة ؛ لِمَا روي أنهم نزلوا بالشام .
 والأول أرجح ؛ لقوله تعالى : ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء : ٥٩] يعني : مصر .

﴿وَضُرِبَتْ﴾ أي قُضي عليهم بها ، وأُلزموها .
 وجعله الزمخشري استعارة ؛ مِنْ ضَرْبِ الْقُبَّةِ ؛ لأنها تعلو الإنسان وتحيط به ^(١) .

﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الفاقة ، وقيل : الجزية .
 ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى : ضرب الذلة ، والمسكنة ، والغضب .
 والباء للتعليل .

﴿يَتَّيَنَتِ اللَّهُ﴾ الآيات المتلوة ، أو العلامات .
 ﴿يَغْيِرِ الْحَقُّ﴾ معلوم أنه لا يقتل نبيًّا إلا بغير حق ، وإنما نصَّ عليه تشنيعًا
 لقبح فعلهم ، ولأنهم اجتروا على قتلهم مع معرفتهم بأنه بغير حق ؛ وذلك
 أقبح .

★ فائدة : قال هنا : ﴿يَغْيِرِ الْحَقُّ﴾ بالتعريف ، فاللام للعهد ؛ لأنه قد
 تقررت الموجبات لقتل النفس .

وقال في الموضع الآخر من «آل عمران» : ﴿يَغْيِرِ حَقٌّ﴾ [آل عمران : ٢١]

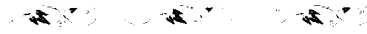
(١) انظر : الكشف (٢/٥٠٧) .

بالتنكير؛ لاستغراق النفي؛ لأن تلك نزلت في المعاصرين لمحمد ﷺ.

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ يَحْتَمَلُ :

أن يكون تأكيداً للأول.

أو تكون الإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى القتل والكفر، والباء لتعليل ﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: اجترأوا على الكفر وقتل الأنبياء لما انهمكوا في العصيان والعدوان.



[إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰبِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾
 وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
 تَتَّقُونَ ﴿١١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ
 ﴿١١٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى
 لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنُخِذْنَا هَٰذَا قَالِ أَعُودُ بِاللَّهِ أَن أَكُونَ مِنَ
 الْجَاهِلِينَ ﴿١١٧﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكَرُّ
 عَوَانٌ بَيْنَكَ ذَلِكَ فَاَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿١١٨﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا
 قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوثُهَا تَسُرُّ النَّطِيرِينَ ﴿١١٩﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ
 يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿١٢٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
 بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ
 فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَءْهُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ
 تَكْتُمُونَ ﴿١٢٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَعْقِلُونَ ﴿١٢٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ
 لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ
 خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٤﴾].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية: قال ابن عباس: نسخها: ﴿وَمَنْ
 يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقيل: معناها: إن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيماناً صحيحاً فله أجره؛
 فيكون في حق المؤمنين: الثبات إلى الموت، وفي حق غيرهم: الدخول

في الإسلام؛ فلا نسخ.

وقيل: إنها فيمن كان قبل بعث النبي ﷺ؛ فلا نسخ.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، والجملة خبر ﴿إِنْ﴾.

أو: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل، و﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبر ﴿إِنْ﴾.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها؛ فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم: إن لم تأخذوها وقع عليكم.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ جد في تعلم التوراة، أو العمل بها.

﴿أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ اصطادوا فيه الحوت، وكان محرماً عليهم.

﴿كُونُوا فِرْدَةً﴾ عبارة عن مسخهم.

﴿وَحَسْبَيْكَ﴾: صفة، أو خبر ثان؛ ومعناه: مُبْعِدِينَ كما يُخَسُّ الكلب.

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ الضمير للفيلة؛ وهي المسخ.

﴿نَكَلًا﴾ أي: عقوبة لما تقدّم من ذنوبهم وما تأخّر.

وقيل: عبرة لمن تقدّم ومن تأخّر.

﴿أَنْ تَذَبَحُوا بَقَرَةً﴾ قصّتها: أن رجلاً من بني إسرائيل قتل قريبه ليرثه،

وادّعى على قوم أنهم قتلوه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة، ويضربوا القتيل ببعضها، ففعلوا، فقام وأخبر بمن قتله، ثم عاد ميتاً.

﴿أَتْلَخِدْنَا هُزُؤًا﴾ جفاء وقلة أدب، أو تكذيب.

﴿فَارِضٌ﴾ مسنة.

﴿يَكُرُّ﴾ صغيرة .

﴿عَوَّانٌ﴾ متوسطة .

﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي : بين ما ذُكِرَ ؛ ولذلك قال : ﴿ذَلِكَ﴾ مع أن الإشارة إلى شيئين .

﴿صَفَرَاءُ﴾ من الصفرة المعروفة .

وقيل : سوداء ؛ وهو بعيد .

والظاهر : صفراء كلها .

وقيل : القرن والظلف فقط ؛ وهو بعيد .

﴿فَاقِعٌ﴾ شديد الصفرة .

﴿تَسْرُ النَّظِيرِ﴾ لحسن لونها .

وقيل : لِسَمَنِها ومنظرها كله .

﴿لَا ذُلُولٌ﴾ أي : غير مذللة للعمل .

﴿تُبِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي : تحرثها ، وهو داخل تحت النفي على الأصح .

﴿وَلَا تَسْقَى﴾ لا يسقى عليها .

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العمل ، أو من العيوب .

﴿لَا شَيْءَ﴾ لا لُْمعة غير الصفرة ؛ وهو مِن «وَشَى» ؛ ففاؤه واو محذوفة ، كَعِدَةٍ .

﴿أَكْنَ جِئَ بِالْحَقِّ﴾ العامل في الظرف : ﴿جِئَ بِالْحَقِّ﴾ .

وقيل : العامل فيه مضمّر تقديره : الآن نذبُحُها .

والأول أظهر .

فإن كان قولهم : ﴿أَتَّخِذُوا هُزُؤًا﴾ تكذيباً : فهذا تصديق .

وإن كان غير ذلك فالمعنى : بالحق البين .

﴿وَمَا كَادُوا﴾ ؛ لعصيانهم وكثرة سؤالهم عن شأنها .

أو لغلاء البقرة ؛ فقد جاء أنها كانت ليتيم ، وأنهم اشتروها بوزنها ذهباً .
أو لقلّة وجود تلك الصفات ؛ فقد روي أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدد عليهم .

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هو أول قصة البقرة ؛ فرتبته التقديم قبل : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ ! .

قال الزمخشري : إنما أُخِّر لتعدد توبيخهم بقصتين ؛ وهما : ترك المسارعة إلى الأمر ، وقتل النفس ؛ ولو قدّم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد^(١) .

﴿فَادْرَأْتُمْ﴾ أي اختلفتم ؛ وهو من المدارأة ؛ أي : المدافعة .

﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القتل ، ومن قتله .

﴿أَضْرِبُوهُ﴾ القتل ، أو قبره .

﴿بِبَعْضِهَا﴾ مطلق . وقيل : الفخذ . وقيل : اللسان . وقيل : الذنب .

﴿كَذَلِكَ﴾ إشارة إلى حياة القتل ، واستدلالاً بها على الإحياء للبعث .

(١) انظر : الكشف (٢/ ٥٣٨) .

وقبله محذوف لا بد منه ؛ وهو : ففعلوا ذلك فقام القتل .

★ **فائدة :** استدلل المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول : «فلان قتلني» ؛ وهو ضعيف ؛ لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاناة الآخرة ، وقصته معجزة لنبي ، فلا يتأتى أن يكذب المقتول ، بخلاف غيره .

واستدلوا -أيضاً- بها على أن القاتل لا يرث ؛ ولا دليل فيها على ذلك .
﴿فَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ خطاب لبني إسرائيل .

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي : بعد إحياء القتيل ، وما جرى في القصة من العجائب .

وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات .

﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ عطف على موضع الكاف .

أو : خبر ابتداء ؛ أي : هي أشد .

و﴿أَوْ﴾ هنا إمّا :

للإبهام .

أو للتخيير ؛ كأن من علم حالها مخيراً بين أن يشبّها بالحجارة ، أو بما هو أشد قسوة ، كالحديد .

أو للتفصيل ؛ أي : فيهم كالحجارة ، وفيهم أشد .

وإنما قال : ﴿أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ ولم يقل «أقصى» مع أن فعل القسوة يبنى منه «أفعل» : لكون ﴿أَشَدُّ﴾ أدلّ على فرط القسوة .

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ الآية: تفضيلٌ للحجارة على قلوبهم.

﴿يَهْبِطُ﴾ أي: يتردَّى من عُلوِّ إلى سُفْلٍ^(١).

والخشية: عبارة عن انقيادها.

وقيل: حقيقة؛ وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله.



(١) في أ: «أسفل».

[﴿أَنْظَمُوا﴾ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ
يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ
لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ
بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ
أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ
أَتُخَذْتُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾
بَلَى مَنْ كَسَبَ سِنِيئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُ ۖ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾].

﴿أَنْظَمُوا﴾ خطاب للمؤمنين .

و﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ يعني : اليهود ، وتعدي باللام ؛ لَمَّا تضمن معنى الانقياد .

﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ السبعون الذي سمعوا كلام الله على الطور ، ثم حرفوه .

وقيل : بنو إسرائيل ، حرفوا التوراة .

﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بيان لقبح فعلهم ^(١) .

﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ قالها من ادعى الإسلام من اليهود .

وقيل : قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا أخبارهم .

(١) في هامش أ : «خ : حالهم» .

﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ توبيخ.

﴿بِمَا فَتَحَ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

بما حكم عليهم من العقوبات .

وبما في كتبهم من ذكر محمد ﷺ .

وبما فتح الله عليهم من الخير والإنعام .

وكلُّ وجه حجةٌ عليهم ؛ ولذلك قالوا : ﴿لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾ .

﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ قيل : في الآخرة .

وقيل : أي : في حكم ربكم وما أنزل في كتابه ؛ فعنده بمعنى : حكمه .

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ من بقية كلامهم ؛ توبيخاً لقومهم .

﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية : من كلام الله ؛ ردّاً عليهم ، وفضيحةٌ لهم .

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ أي : لا يقرؤون ولا يكتبون ؛ فهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ

الْكِتَابَ﴾ .

والمراد : قوم من اليهود .

وقيل : من المجوس ؛ وهذا غير صحيح ؛ لأن الكلام كلّه مع اليهود .

﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ تلاوةٌ بغير فهم ، أو أكاذيب ، أو ما تتمناه النفس .

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تحقيق لافتراءهم .

﴿ثُمَّناً قَلِيلاً﴾ عَرَضَ الدنيا ؛ من الرئاسة ، أو ^(١) الرشوة ، وشبه ذلك .

(١) في ب ، ج ، د : «و» .

﴿يَكْسِبُونَ﴾ من الدنيا ، أو من الذنوب .

﴿أَنِّيَأَمَّا مَعْدُودَةٌ﴾ أربعين يوماً عددَ عبادتهم العجل .

وقيل : سبعة أيام .

﴿أَنَّاخَذْنُمُ﴾ الآية : تقريرٌ يقتضي إبطال قولهم .

﴿بَكَلَى﴾ تحقيقٌ :

لطول مكثهم في النار .

أو لقولهم ما لا يعلمون .

﴿مَنْ كَسَبَ سَنِيَةً﴾ الآيةُ في الكفار ؛ لأنها ردُّ على اليهود ، ولقوله

بعدها : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار .



[وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ
دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ شَاهِدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ
هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ وَهِيَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ
بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾].

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ جوابٌ لقسم^(١)؛ يدلُّ عليه: الميثاق.

وقيل: خبر بمعنى النهي؛ ويرجحه قراءة: «لا تعبدوا».

وقيل: الأصل: «بأن لا تعبدوا»، ثم حذفت الباء، و«أن».

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يتعلق بـ ﴿إِحْسَانًا﴾.

أو: بمحذوف، تقديره: أحسنوا، ووُكِّدَ بـ ﴿إِحْسَانًا﴾.

﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة.

﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ جمع يتيم؛ وهو من فقد والده قبل البلوغ.

واليتم من سائر الحيوان: من فقد أمه.

(١) في ب، هـ: «القسم».

وجاء الترتيب في هذه الآية بتقديم الأهم: فقدّم الوالدين؛ لحقّهما الأعظم، ثم القرابة؛ لأنّ فيهم أجرُ الإحسان وصلة الرحم، ثم اليتامى؛ لقلة حيلتهم، ثم المساكين.

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي: لا يسفك بعضكم دم بعض.

وإعرابه: مثل: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضاً.

﴿أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق، واعترفتم بلزومه.

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بأخذ الميثاق عليكم.

﴿هَؤُلَاءِ﴾ منصوب - على التخصيص - بفعل مضمر.

وقال ابن الباذش^(١): مبتدأ، وخبره ﴿أَنْتُمْ﴾، و﴿تَقْتُلُونَ﴾ حال لازمة تمّ بها المعنى^(٢).

﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ كانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه، وينفيه من موضعه إذا ظفر به.

﴿تَظَاهَرُونَ﴾ أي: تتعاونون.

(١) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصاري الغرناطي، نحويّ عالم بعلوم العربية، من شيوخ ابن عطية، ووالد أبي جعفر أحمد، صاحب «الإقناع» في القراءات، توفي سنة (٥٢٨هـ). انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب (٧٨/٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/٢٧٣).

﴿تَفْدُوهُمْ﴾ قرئ: بالالف وحذفها؛ والمعنى واحد.

وكذلك ﴿أَسْرَى﴾ بالالف وحذفها؛ جمع أسير.

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الضمير: للإخراج من ديارهم، و﴿هُوَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿مُحَرَّمٌ﴾، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ بدل.

أو: الضمير للأمر والشأن، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾: مبتدأ، و﴿مُحَرَّمٌ﴾ خبره، والجملة خبر الضمير.

﴿أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ فداؤهم الأسارى؛ موافقة لما في كتابهم^(١).

﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾ القتل والإخراج من الديار؛ مخالفة لما في كتابهم. ﴿خِزْيٌ﴾ الجزية، أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم، أو مطلق.



(١) في أ، ج، هـ: «كتبهم».

[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ بِسَفْهَتِهِمْ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِعَضْبٍ عَلَى عَضْبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحِينَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ ءِيمَنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنَجْذِثُنَّ عَنْهُمْ النَّاسَ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾].

﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أي: جئنا من بعده بالرسول؛ وهو مأخوذ من القفا؛ أي: جاء بالثاني في قفا الأول.

﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات؛ من إحياء الموتى وغير ذلك.

﴿بُرُوجَ الْقُدُسِ﴾ جبريل . وقيل : الإنجيل . وقيل : الاسم الذي كان يُحيي به الموتى .

والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢] ، ولقوله ﷺ لحسان : «اللهم أيده بروح القدس»^(١) .

﴿تَقْتُلُونَ﴾ جاء مضارعًا مبالغَةً ؛ لأنه أريد استحضاره في النفوس ، أو لأنهم حاولوا قتل محمد ﷺ لولا أن الله عصمه .

﴿عُلْفٌ﴾ جمع أغلف ؛ أي : عليها غلاف - وهو الغشاء - فلا تَفْقَهُ .

﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ ردٌ عليهم ، وبيان أن عدم فهمهم بسبب كفرهم .

﴿فَقَلِيلًا﴾ أي : إيمانًا قليلًا يؤمنون ، و﴿مَا﴾ زائدة .

ويجوز أن تكون القلة :

بمعنى العدم .

أو على أصلها ؛ لأن من دخل منهم في الإسلام قليل ، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض .

﴿كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ هو القرآن .

﴿مُصَدِّقٌ﴾ تقدّم أن له ثلاثة معانٍ^(٢) .

﴿يَسْتَفْهِحُونَ﴾ أي يستنصرون^(٣) على المشركين ؛ إذا قاتلوهم قالوا :

(١) أخرجه مسلم (٢٤٨٥) .

(٢) انظر صفحة ٣٠٨ .

(٣) في ب ، د : «يتنصرون» .

«اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان». ويقولون لأعدائهم من المشركين: «قد أظَلَّ زمان نبي يخرج فنقتلكم معه قتلَ عادٍ وإِرم».

وقيل: ﴿بَسَفَنَحُوكَ﴾ أي: يعرفون الناس بالنبي ﷺ؛ فالسين - على هذا - للمبالغة؛ كالسين في: استعجب واستسخر^(١).

وعلى الأول: للطلب.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ القرآن، والإسلام، ومحمد ﷺ.

قال المبرّد: ﴿كَفَرُوا﴾ جواب «لَمَّا» الأولى والثانية، وأُعيدت الثانية لطول الكلام، ولقصد التأكيد.

وقال الزّجاج: ﴿كَفَرُوا﴾ جواب «لَمَّا» الثانية، وحُذف جواب الأولى؛ للاستغناء عنه بذلك.

وقال الفراء: جواب «لَمَّا» الأولى: ﴿فَلَمَّا﴾، وجواب الثانية: ﴿كَفَرُوا﴾.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: عليهم؛ يعني: اليهود، ووضع الظاهر موضع المضمّر؛ ليدلّ أن اللعنة بسبب كفرهم.

واللام:

للعهد.

أو للجنس؛ فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار.

(١) في د: «واستخرج».

﴿يُنْكَمًا﴾ فاعل «بئس» مضمر، و«ما» مفسرة له، و﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ هو المذموم.

وقال الفراء: ﴿يُنْكَمًا﴾ مركب؛ كحَبَّذَا.

وقال الكسائي: «ما» مصدرية؛ أي: اشتراؤهم؛ فهي فاعلة.

﴿أَشْتَرُوا﴾ هنا بمعنى: باعوا.

﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ في موضع خبر ابتداء.

أو: مبتدأ؛ كاسم المذموم في «بئس».

أو: مفعول من أجله.

أو: بدل من الضمير في ﴿بِهِ﴾.

﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن، أو التوراة؛ لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد ﷺ.

﴿أَنْ يُنْزَلَ﴾ في موضع مفعول من أجله.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ القرآن، والرسالة.

﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

والمعنى: أنهم إنما كفروا حسداً لمحمد ﷺ لما تفضل الله عليه بالرسالة.

﴿يَعْصِبُ عَلَى غَضَبٍ﴾ أي: بغضب؛ لكفرهم بمحمد ﷺ على غضب:

لكفرهم بعيسى ﷺ.

أو لعبادتهم العجل .

أو لقولهم : عزيز ابن الله .

ولغير ذلك من قبائحهم .

﴿بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ القرآن .

﴿بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ التوراة .

﴿بِمَا وَرَأَاهُ﴾ أي : بما بعده ؛ وهو القرآن .

﴿فَلِمَ تَقُولُونَ﴾ ردُّ عليهم فيما ادَّعوا من الإيمان بالتوراة ، وتكذيبُ لهم .

وذكر الماضي بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته ؛ فكأنه دائم لما رضي هؤلاء به .

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرطية ؛ بمعنى القدح في إيمانهم ، وجوابها يدل عليه ما قبل .

أو نافية ؛ فيوقف قبلها .

والأول أظهر .

﴿يَالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني : المعجزات ؛ كالعصا ، وفلق البحر ، وغير ذلك .

﴿أَتَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ ذكر هنا على وجه الذمِّ لهم ، والإبطال لقولهم : ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ .

وكذلك رفع الطور .

وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم ؛ لقوله : ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ [البقرة : ٥٢] ،

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [البقرة: ٦٤].

وعطفه بـ «ثُمَّ» في الموضعين؛ إشارة إلى قبح ما فعلوه من ذلك.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ الضمير لموسى عليه السلام؛ أي: من بعد غييبته في مناجاة الله على جبل الطور.

﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك.

ويَحْتَمِلُ أَنْ^(١) قالوه: بلسان المقال، أو بلسان الحال.

﴿وَأُشْرِبُوا﴾ عبارة عن تَمَكُّنِ حُبِّ العجل من قلوبهم؛ فهو مجاز، تشبيهاً بشرب الماء، أو بشرب الصَّبْغِ في الثوب.

وفي الكلام محذوف؛ أي: أُشْرِبُوا حُبَّ العجل.

وقيل: إن موسى بَرَدَ العجل بالمِبرَد، ورمى بُرَادَتَهُ في الماء فشربوه؛ فالشُّرب على هذا حقيقة.

ويردُّ هذا قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

﴿يَكْفُرِهِمْ﴾ الباء: سببية للتعليل، أو بمعنى المصاحبة.

﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ إسنادُ الأمر إلى إيمانهم مجاز؛ على وجه التهكُّم؛ كقوله: ﴿أَصَلُّوا تَأْمُرُكُمْ﴾ [هود: ٨٧].

وكذلك إضافة الإيمان إليهم.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾: شرط، أو نفْي.

(١) في ب، د زيادة: «يكون».

﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ بالقلب واللسان، أو باللسان خاصة.
وذلك أمرٌ على وجه التعجيز والتبكيث؛ لأنه من علم أنه من أهل الجنة
اشتااق إليها.

وورد: أنهم لو تمنوا الموت لماتوا في الحين.
وقيل: إن ذلك معجزة للنبي ﷺ دامت طول حياته.
﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ إن قيل: لم قال في هذه السورة: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾، وفي
سورة «الجمعة»: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ﴾ فنفي هنا بـ «لن» وفي الجمعة بـ «لا»؟
فقال شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: الجواب: أنه لما كان الشرط
في «البقرة» مستقبلاً وهو قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ
خَالِصَةً﴾ = جاء جوابه بـ «لن» التي تخلص الفعل للاستقبال، ولما كان
الشرط في «الجمعة» حالاً وهو قوله: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ = جاء
جوابه بـ «لا» التي تدخل على الحال، وقد تدخل على المستقبل^(١).

﴿يَمَّا قَدَّمْتُ﴾ أي: بسبب ذنوبهم وكفرهم.
﴿عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ تهديدٌ لهم.
﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أن يكون عطفًا على ما قبله؛ فيوصل به.
والمعنى: أن اليهودَ أحرصُ على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا،

(١) انظر: ملاك التأويل، لأبي جعفر ابن الزبير (١/٢٢٧).

فَحُمِلَ عَلَى الْمَعْنَى ؛ كَأَنَّهُ قَالَ : أَحْرَصَ مِنَ النَّاسِ وَمَنِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا .
وخصَّ الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس ؛ لأنهم
لا يؤمنون بالآخرة ، فأفرط حُبُّهم للحياة الدنيا .

والآخر : أن يكون ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ ابتداءً كلام ؛ فيوقف على ما
قبله .

والمعنى : من الذين أشركوا قومٌ ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ،
فحُذِفَ الموصوف .

وقيل : أراد به المجوس ؛ لأنهم يقولون لملوكهم : «عِشْ أَلْفَ سَنَةٍ» .
والأول أظهر ؛ لأن الكلام إنما هو في اليهود ، وعلى الثاني يخرج الكلام
عنهم .

﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجَةٍ ﴾ الآية : فيها وجهان :

أحدهما : أن يكون ﴿ هُوَ ﴾ عائداً على ﴿ أَحَدُهُمْ ﴾ ، و﴿ أَن يُعَمَّرَ ﴾ فاعل
بـ ﴿ مُزَحَّزَجَةٍ ﴾ .

والآخر : أن يكون ﴿ هُوَ ﴾ للتعمير ، و﴿ أَن يُعَمَّرَ ﴾ بدل .



[﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٩٨) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ (٩٩) أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠٠) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَشَرٌ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِسَائِلِ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَتُّوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٣)].

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ الآية سببها : أَنَّ اليهود قالوا للنبي ﷺ : جبريل عدونا ؛ لأنه ملك الشدائد والعذاب ؛ فلذلك لا نؤمن بك ، ولو جاءك ميكائيل لآمنّا بك ؛ لأنه ملك الأمطار والرحمة .

﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ فيه وجهان :

الأول : فإن الله نزل جبريل .

والآخر : فإن جبريل نزل القرآن ، وهذا أظهر ؛ لأن قوله : ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من أوصاف القرآن .

والمعنى : الردُّ على اليهود بأحد وجهين :

أحدهما : من كان عدوًّا لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديه ؛ لأنه نَزَّلَه على قلبك ؛ فهو مستحق للمحبة ، ويؤكد هذا قوله : ﴿ هُدًى وَبُشْرَى ﴾ .

والثاني : من كان عدوًّا لجبريل فإنما عاداه لأنه نَزَّلَه على قلبك ، فكأنَّ هذا تعليلٌ لعداوتهم لجبريل .

﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ﴾ ذُكِرَا بعد الملائكة تجريدًا ؛ للتشريف والتعظيم .

﴿ أَوْكُلَّمَا ﴾ الواو : للعطف .

وقال الأخفش : زائدة .

﴿ بَدَّءَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ نزلت في مالك بن الصَّيْف اليهودي ، وكان قد قال : والله ما أخذ علينا عهدٌ أن نؤمن بمحمد .

﴿ رَسُولٌ ﴾ يعني : محمدًا ﷺ .

﴿ كَتَبَ اللَّهُ ﴾ يعني : القرآن ، أو التوراة ؛ لما فيها من ذكر محمد ﷺ .

﴿ وَاتَّبَعُوا ﴾ أي : اليهود الذين في زمان محمد ﷺ ، أو المتقدمون .

﴿ مَا تَنَلُّوا ﴾ هو من : القراءة ، أو الاتِّباع .

﴿ عَلَىٰ مُلْكٍ ﴾ أي : في ملكٍ ، أو على عهد ملك سليمان .

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ ﴾ تبرئة له مما نسبوه إليه ؛ وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر ليذهبه ، فأخرجوه بعد موته ، ونسبوه إليه ، وقالت اليهود : إنما كان سليمان ساحرًا .

وقيل : إِنَّ الشَّيَاطِينَ اسْتَرْقَوْا السَّمْعَ وَأَلْقَوْهُ إِلَى الْكُهَّانِ ، فَجَمَعَ سُلَيْمَانُ مَا كَتَبُوا مِنْ ذَلِكَ وَدَفَنَهُ ، فَلَمَّا مَاتَ قَالُوا : ذَلِكَ عِلْمُ سُلَيْمَانَ .

﴿الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ بتعليم^(١) السحر ، أو بالعمل به ، أو بنسبته إلى سليمان عليه السلام .

﴿وَمَا أُنْزِلَ﴾ نفى .

أو : عطف على : ﴿السَّحَرِ﴾ .

أو : على : ﴿مَا تَنَلَّوْا﴾ .

﴿الْمَلَائِكِينَ﴾ إن كانت «ما» نافية : فذلك تبرئة لهما من إنزال السحر عليهما .

إلا أن ذلك يرده آخر الآية .

وإن كانت معطوفة بمعنى «الذي» فالمعنى : أنهما أُنْزِلَ عليهما ضربٌ من السحر ؛ ابتلاءً من الله لعباده ، أو ليُعرف فيُحذر منه .

وقرى : ﴿الْمَلَائِكِينَ﴾ بكسر اللام ؛ وقال الحسن : هما عِلْجان ، فعلى هذا : يتعين أن تكون «ما» غير نافية .

﴿بِبَابِلَ﴾ موضعٌ معروف .

﴿هَرُوتَ وَمَرُوتَ﴾ اسمان علّمان .

وهما : بدل من ﴿الْمَلَائِكِينَ﴾ ، أو عطف بيان .

(١) في أ ، ب ، ج ، هـ : «بتعلّم» ، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (١/٢٩٩) .

﴿إِنَّمَا مَحْنٌ فَتَنَةٌ﴾ أي محنة؛ وذلك تحذيرٌ من السحر.

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي بتعلم السحر.

ومن هنا أخذ مالك أن الساحر يقتل كفراً.

﴿يُفَرِّقُونَ﴾ زوال العصمة، أو المنع من الوطء.

﴿يَضُرُّهُمْ﴾ أي: في الآخرة.

﴿عَلِمُوا﴾ أي: اليهود، أو الشياطين.

﴿أَشْرَبْنَاهُ﴾ أي: اشتغل به، وذكر الشراء؛ لأنهم كانوا يُعْطُونَ الأجرَ عليه.

﴿شَرَوْا﴾ هنا بمعنى: باعوا.

﴿لَمْ تُؤَبِّهْ﴾ من الثواب؛ وهو جواب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾.

وإنما جاء جوابها بجملة اسمية، وعدل عن الفعلية؛ لما في ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره.

وقيل: الجواب محذوف؛ أي: لأثبيوا.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ في الموضعين: نفياً لعلهم.

فإن قيل: كيف نفاه وقد أثبتته في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾؟

فالجواب: أنهم لم ينفعهم علمهم؛ فكأنهم لم يعلموا^(١).

(١) انظر: الكشاف (٣/ ٢٤).

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلَكِنَّ عَذَابَ آيَةٍ ١٦٥ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ١٦٥] مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٦٦ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٦٧ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ١٦٨ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٦٩ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٧٠ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٧١ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٧٢].

﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: يا رسول الله راعنا؛ وذلك من المراعاة، أي: راقبنا وانظرنا، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها: معنى الرعونة على وجه الإذاية للنبي ﷺ، وربما كانوا ينوونها على معنى النداء، فهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة؛ لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون وما قصده اليهود، فالنهي سداً^(١) للذريعة. وأمرُوا أن يقولوا: «انظرنا»؛ لخلوّه عن ذلك الاحتمال المذموم؛

(١) في ب، ج، هـ: «سداً».

وهو من النظر، أو الانتظار.

وقيل: إنما نُهي المسلمون عنها؛ لما فيها من الجفاء وقلة التوقير.

﴿وَأَسْمَعُوا﴾ عطف على ﴿وَقُولُوا﴾، لا على معمولها.

والمعنى: الأمر بالطاعة والانقياد.

﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جنس يعم نوعين: أهل الكتاب، والمشركين من العرب؛ ولذلك فسره بهما.

ومعنى الآية: أنهم لا يحبون أن ينزل الله خيراً على المسلمين.

﴿مَنْ خَيْرٌ﴾ «من»: للتبويض. وقيل: زائدة؛ لتقدم النفي في قوله: ﴿مَا يُوَدُّ﴾.

﴿بِرَحْمَتِهِ﴾ قيل: القرآن. وقيل: النبوة. والعموم أولى.

ومعنى الآية: الردُّ على من كره الخير للمسلمين.

﴿مَا نَنْسَخْ﴾ أي: نُزيل حكمه ولفظه، أو أحدهما.

وقرى: بضم النون؛ أي: نأمر بنسخه.

﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ من النسيان؛ وهو ضدُّ الذكر، أي: ينساها النبي ﷺ بإذن

الله؛ كقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ﴿١﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴿[الأعلى: ٦ - ٧].

أو بمعنى الترك؛ أي:

نتركها غير مُنزلة.

أو غير منسوخة.

وقرئ بالهمز: بمعنى التأخير؛ أي: تؤخر إنزالها، أو نسخها.

﴿يَخَيْرُ﴾ في خفة العمل، أو في الثواب، أو أعم.

﴿قَدِيرٌ﴾ استدلالٌ على جواز النسخ؛ لأنه من المقدورات، خلافاً لليهود -لعنهم الله-؛ فإنهم أحالوه على الله.

وهو جائز عقلاً، وواقع شرعاً؛ فكما نسخت شريعتهم ما قبلها، نسخها ما بعدها.

﴿سَأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ أي: تطلبوا منه الآيات.

ويَحْتَمِلُ السؤال عن العلم.

والأول أرجح؛ لما بعده، فإنه شَبَّهَ بسؤالهم لموسى، وهو قولهم له: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: تمنوا.

ونزلت الآية في حُيي بن أخطب، وأخيه أبي ياسر، وأشباههما من اليهود، الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين، ويطمعون أن يردوهم عن الإسلام.

﴿حَسَدًا﴾ مفعولٌ من أجله، أو مصدرٌ في موضع الحال، والعامل فيه ما قبله؛ فيجب وصله معه.

وقيل: هو مصدر، والعامل فيه محذوف تقديره: يحسدونكم حسداً؛ فعلى هذا يوقف على ما قبله.

والأول أظهر وأرجح.

﴿مَنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ﴾ يتعلّق بـ ﴿حَسَدًا﴾ . وقيل : بـ ﴿وَدَّ﴾ .
﴿فَاعْفُوا﴾ منسوخٌ بالسيف .

﴿يَأْمُرُهُ﴾ يعني : إباحة قتالهم ، أو وصول آجالهم .

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾ الآية : أي : قالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا ، وقالت النصارى : لن يدخلها إلا من كان نصرانيًا .

﴿هُودًا﴾ يعني : اليهود ، وهذه الكلمة : جمع هائد ، أو مصدر وصف به .
وقال الفرّاء : حذف منه ياء «يهود» على غير قياس .

﴿أَمَانِيُهُمْ﴾ أكاذيبهم ، أو ما يتمنّونه .

﴿هَاتُوا﴾ أمرٌ على وجه التعجيز ، والردّ عليهم ؛ وهو من : هاتى يُهاطي ، ولم يُنطق به .

وقيل : أصله : أتوا ، وأُبدل من الهمزة هاء .

﴿بَلَى﴾ إيجاب لما نفّوا ؛ أي : يدخلها من ليس يهوديًا ، ولا نصرانيًا .

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي : دخل في الإسلام ، أو أخلص .

وذكر الوجه لشرفه ، والمراد : جملة الإنسان .



[وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَؤْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعُ عِلْمُهُ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَكُمْ قَلِيلٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآية: سببها: اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة؛ فذممت كل طائفة الأخرى.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ﴾ تقيح لقولهم مع تلاوتهم الكتاب.

﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المشركون من العرب؛ لأنهم لا كتاب لهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه: الاستفهام، ومعناه^(١): لا أحد أظلم منه - حيث

وقع -.

(١) في ب، ج، هـ: «لفظها... ومعناها».

﴿مَنْعَ مَسْجِدِ اللَّهِ﴾ قريشٌ منعت الكعبة، أو النصارى منعوا بيت المقدس، أو على العموم.

﴿خَافِينَ﴾ في حق قريش: قوله ﷺ: «لا يحج بعد هذا العام مشرك»^(١).

وفي حق النصارى: ضَرَبُهم عند بيت المقدس، أو الجزية.

﴿خَزَى﴾ في حق قريش: غلبَتُهم وفتح مكة.

وفي حق النصارى: فتح بيت المقدس، أو الجزية^(٢).

﴿فَإَيْنَمَا تَوَلَّوْا﴾ في الحديث الصحيح: أنهم صلَّوا ليلةً في سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة؛ فنزلت^(٣).

وقيل: هي في تنقُّل المسافرين حيثما توجَّهت به دابته.

وقيل: هي راجعة إلى ما قبلها؛ أي: إن مُنَعْتَم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم.

وقيل: إنها احتجاجٌ على من أنكر تحويل القبلة؛ فهي كقوله بعد هذا: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢] الآية.

والقول الأوَّل هو الصحيح؛ ويؤخذ منه: أن من أخطأ القبلة فلا تجب الإعادة عليه، وهو مذهب مالك.

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٣٩٣٥)، وأحمد في المسند (٥٩٤).

(٢) قوله: «أو الجزية» سقط من ب، ج، هـ، د.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠).

﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ المراد به هنا: كقوله: ﴿أَبْتَغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] أي: رضاه.

وقيل: معناه الجهة التي وجَّهنا إليها.

وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨] و﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]: فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف، ويردُّ علمه إلى الله.

وقال الأصوليون: هو عبارة عن الذات، أو عن الوجود.

وقال بعضهم: هو صفة ثابتة بالسمع^(١).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «(وجه الله) المراد به هنا: كقوله: (ابتغاء وجه الله) أي: رضاه» إلخ.

أقول: ذكر في هذا السياق ثلاث آيات ورد فيها ذكر الوجه، فذكر في الآية الأولى قولين:

الأول: أن المراد بالوجه في الآية كقوله تعالى: ﴿أَبْتَغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾، وفسره بالرضا. الثاني: أن المراد الجهة التي وجَّهنا الله إليها، يريد: القبلة. وذكر في الآية الثالثة قولين في تفسير الوجه:

أحدهما: قول أهل التأويل، وهو أن المراد بالوجه الذات، أو الوجود.

الثاني: أن ذكر الوجه من المتشابه الذي يجب التسليم له، وردُّ علمه إلى الله.

أقول: وفيما ذكره حق وباطل؛ فتفسيره الوجه في الآية الأولى بالجهة، حق، وبه قال كثير من السلف. وتفسيره الوجه في الآية الأولى والثانية بالرضا خطأ، فالوجه لا يعرف في اللغة بالرضا، لكن سياق الآية يتضمن هذا المعنى، والممنوع أن يكون المراد بالوجه الرضا، وتفسير الوجه في الآية الثالثة بالذات والوجود خطأ، وهو تفسير أهل التأويل من نفاة الصفات.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ﴾ قالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت الصابئون وبعض العرب: الملائكة بنات الله.

﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه له عن قولهم.

﴿بَلْ لَهُ﴾ الآية: رد عليهم؛ لأن الكل ملكه، والعبودية تنافي النبوة.

﴿قَلْبُهُنَّ﴾ أي: طائعون منقادون.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ﴾ أي: مخترعها وخالقها ابتداءً.

﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ﴾ أي: قدره، أو أمضاه.

قال ابن عطية: «يتَّجه في الآية المعنيان؛ فعلى مذهب أهل السنة: قدر في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة: أمضى عند الخلق والإيجاد»^(١).

قلت: لا يكون ﴿قَضَى﴾ هنا بمعنى قدر؛ لأن القدر قديم، و«إذا» تقتضي الحدوث والاستقبال؛ وذلك يناقض القِدم. وإنما ﴿قَضَى﴾ هنا بمعنى:

= القول الثاني: مما ذكره ابن جزي: أن الوجه في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ وقوله: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ من المتشابه، والمتشابه عندهم ما لا يعلم معناه إلا الله، وهذا مذهب أهل التفويض، وهم من النفاة، وهم يقابلون أهل التأويل. وما ذكره عن بعضهم أن الوجه صفة ثابتة بالسمع، فهو حق، فلا يجوز نفيه ولا تأويله، بل يجب إثباته على ما يليق به سبحانه، وأنه لا يماثل وجوه العباد، وليس هو من المتشابه؛ لأن معناه معقول، والكيف مجهول. والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز (١/ ٣٣١).

أمضى أو فعل أو أوجد؛ كقوله: ﴿فَقَضَّهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢] ^(١).

وقد قيل: إنه بمعنى حتم الأمر، أو بمعنى حكم.

والأمر هنا: بمعنى الشيء ^(٢)، وهو واحد الأمور، وليس بمصدر: أمر يأمر.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قال الأصوليون: إن هذا عبارة عن نفوذ قدرة

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: أقول: القضاء من الله في القرآن يأتي لمعان:

١- قضى الخلق، بمعنى فرغ من خلقه، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَّهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾.

٢- قضى بمعنى حكم، وهو نوعان:

الأول: شرعي، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ومعناه أمر ووصى.
والثاني: كوني، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَيْتُمْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، ومعناه: أراد كونه. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وعلى هذا فنتفسير قضى بأمر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَيْتُمْ أَمْرًا﴾، أظهر؛ لأن المعنى: إذا أراد الله كون ما سبق في علمه وكتابه قال له: كُنْ فيكون، وهذا هو معنى الإمضاء، أي إتمام الأمر الذي قدره الله في علمه وكتابه.

ولهذا أقول: ما وجه به المؤلف ابن جزري اختياره، وهو أن معنى قضى: أمضى، وجبه. ويأتي قضى في القرآن مضمنا معنى أوحى أو أوصل، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْكَ بِرَبِّكَ إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَنُفَيْدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَاتِبَ﴾.

كما يأتي القضاء بمعنى الحكم شاملا للمعنيين الكوني والشرعي، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَفْضِلُ بِالْحَقِّ﴾، كما يأتي القضاء بمعنى الفصل بين المختلفين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

(٢) في أ: «الشان»، وفي الهامش: «خ: الشيء».

الله تعالى ، وليس بقول حقيقي ؛ لأنه إن كان قول : ﴿كُنْ﴾ خطاباً للشيء في حال عدمه لم يصح ؛ لأن المعدوم لا يخاطب ، وإن كان خطاباً للشيء في حال وجوده لم يصح ؛ لأنه قد كان ، وتحصيل الحاصل غير مطلوب .

وحمله المفسرون على حقيقته ، وأجابوا عن ذلك بأربعة أوجه :

أحدها : أن الشيء الذي يقول الله له : ﴿كُنْ﴾ هو موجود في علم الله ؛ وإنما يقول له : ﴿كُنْ﴾ ليخرجه إلى العيان لنا .

والثاني : أن قول : ﴿كُنْ﴾ لا يتقدم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه . قاله الطبري^(١) .

والثالث : أن ذلك خطاب لمن كان موجوداً على حالة ، فيؤمر بأن يكون على حالة أخرى ، كإحياء الموتى ، ومسح الكفار . وهذا ضعيف ؛ لأنه تخصيص من غير مخصص .

والرابع : أن معنى : ﴿يَقُولُ لَهُ﴾ : يقول من أجله ؛ فلا يلزم خطابه . والأول أحسن هذه الأجوبة .

وقال ابن عطية : «تلخيص المعتقد في هذه الآية : أن الله ﷻ لم يزل أمراً للمعدومات بشرط وجودها ، فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال : فهو بحسب المأمورات ؛ إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن»^{(٢)(٣)} .

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٠) .

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٣٣٢) .

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قوله : (وأجابوا عن ذلك بأربعة أوجه) إلخ ، أقول : كل هذه الأقوال الأربعة ليس فيها انفصال عن الإشكال الذي ذكره ، والراجع =

﴿فَيَكُونُ﴾ رُفِعَ عَلَى الاستئناف .

قال سيبويه : معناه : فهو يكونُ .

وقال غيره : ﴿فَيَكُونُ﴾ عطفٌ عَلَى ﴿يَقُولُ﴾ ، واختاره الطبري ^(١) .

قال ابن عطية : «وهو فاسدٌ من جهة المعنى ؛ لأنه يقتضي أن القول مع التكوين والوجود» ^(٢) .

وفي هذا نظر .

= منها القول الأول كما اختاره المؤلف ، وأرجح منه القول الرابع ، وإن كان المؤلف قد ضعفه ، ويشهد له قوله تعالى في خلق آدم وعيسى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(٣) ، ولعل الجواب الذي يرفع الإشكال الذي ذكره أن الأمر الوارد في الآيات ليس أمر تكليف للمخاطب بفعل شيء في نفسه أو في غيره ، بل هو أمر تكوين يوجب كون الشيء الذي أراده الله ، كما أراد ، فيكون الموجب لكونه - أي وجوده - إرادته تعالى وقوله ، كما جمع الله بينهما في الآيات : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(٤) ، وقوله : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(٥) ، وحدوث المحدثات بإرادته وكلامه سبحانه يستلزم قدرته على كل شيء ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

وأما قول ابن عطية رحمه الله فليس فيه جواب ، بل يزيد الإشكال ، لقوله : «لم يزل أمراً للمعدومات بشرط وجودها» ، فمضمون قوله أنه تعالى لم يزل أمراً للمعدومات الموجودات ، وهذا ممتنع ، وسبب الإشكال عندهم اعتقاد أن الأمر أمر تكليف الذي يُطلب به من المأمور فعلٌ يفعلُه بعلم وإرادة ، والصواب أن الأمر أمر تكوين ، كما تقدم . وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٨ / ١٨١) .

(١) تفسير الطبري (٢ / ٤٧٢) .

(٢) المحرر الوجيز (١ / ٣٣١) .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم هنا وفي الموضع الأول: كفارُ العرب على الأصحّ.

وقيل: هنا هم اليهود والنصارى.

﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: اليهود والنصارى على القول بأن ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كفارُ العرب.

وأما على القول بأن ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ اليهود والنصارى: فالذين من قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين.

﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ لولا هنا: عَرَضُ، والمعنى: أنهم قالوا: لن نؤمن حتى يكلمنا الله، أو تأتينا آية؛ أي: دلالة من المعجزات؛ كقولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] وما بعده.

﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الضمير لـ ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ولـ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

وتشابه قلوبهم: هو في الكفر، أو في طلب ما لا يصح أن يطلب؛ وهو قولهم^(١): ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾.

﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾ أخبر تعالى أنه قد بين الآيات الدالة على وحدانيته، وعلى صدق رسوله ﷺ، فكيف تُطلب الآيات بعد بيانها؟، ولكن إنما فهمها الذين يوقنون؛ فلذلك خصّهم بالذكر، بخلاف الكفار المعاندين؛ فإنهم لا تنفعهم الآيات؛ لعنادهم.

(١) في ج، هـ: «كقولهم».

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ.

والمراد بالحق: التوحيد، وكل ما جاءت به الشريعة.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: تبشّر المؤمنين بالجنة، وتنذر الكفار بالنار، وهذا معناه حيث وقع.

﴿وَلَا تَسْأَلْ﴾ بالجزم: نهى.

وسببها: أن النبي ﷺ سأل عن حال آبائه في الآخرة فنزلت.

وقيل: إن ذلك على معنى التهويل؛ كقولك: «لا تسأل عن^(١) فلان»؛ لشدة حاله.

وقرأ غيرُ نافع: بضم التاء واللام؛ أي: ﴿وَلَا تُسْأَلْ﴾ في القيامة عن ذنوبهم.

﴿مِلَّتَهُمْ﴾ ذكرت مفردة وإن كانت ملتين؛ لأنهما متفقتان في الكفر، فكأنهما ملة واحدة.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ ردُّ على اليهود والنصارى، والمعنى: أن الذي أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيقي؛ لأنه هدى من عند الله، بخلاف ما يدّعيه اليهود والنصارى.

﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ جمع هوى، ويعني به: ما هم عليه من الأديان الفاسدة، والأقوال المضلّة؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة، بل بهوى النفوس.

(١) في زيادة: «حال».

والضمير : لليهود والنصارى .

والخطاب : لمحمد ﷺ ، وقد علم الله أنه لا يتبع أهواءهم ، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك ؛ فهو على معنى الفرض والتقدير .
ويحتمل أن يكون خطاباً له ﷺ ، والمراد غيره .

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني : المسلمين ؛ و﴿الْكِتَابَ﴾ - على هذا - : القرآن .

وقيل : هم من أسلم من بني إسرائيل ؛ و﴿الْكِتَابَ﴾ - على هذا - : التوراة .

ويحتمل العموم ؛ ويكون ﴿الْكِتَابَ﴾ : اسم جنس .

﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَةٍ﴾ أي : يقرؤونه كما يجب من التدبر له ، والعمل به .

وقيل : معناه يتبعونه حق اتباعه ، بامثال أوامره واجتناب نواهيه .

والأول أظهر ؛ فإن التلاوة ، وإن كانت تقال بمعنى القراءة ، وبمعنى الاتباع ؛ فإنها أظهر في معنى القراءة^(١) ، لا سيما إذا كانت تلاوة للكتاب .

ويحتمل أن تكون هذه الجملة : في موضع خبر ﴿الَّذِينَ﴾ ؛ فيتّم الكلام ، ويوقف عليها .

ويحتمل أن تكون هذه الجملة : في موضع الحال ، ويكون الخبر ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ، وهذا أرجح ؛ لأن مقصود الكلام الثناء عليهم بالإيمان ، أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن .

(١) في ب ، ج ، هـ : «التلاوة» .

[يَبْنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُثَسِّمُ الصِّدْرُ ﴿١٤١﴾ وَإِذْ رَفَعَ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٤٢﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٣﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤٤﴾].

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الآية: تقدّم الكلام على نظيرتها^(١).

﴿وَإِذِ ابْتَلَى﴾ أي: اختبر، والعامل في «إذ»:

فعلٌ مضمّر تقديره: اذكر.

أو قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾.

﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ قيل: هي مناسك الحج.

وقيل: خصال الفطرة؛ وهي: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقصّ الشارب، وإعفاء اللحية، وقص الأظافر، ونتف الإبطين، وحلق

العانة، والختان، والاستنجاء.

وقيل: هي ثلاثون خصلة؛ عشرٌ ذُكرت في «براءة» من قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وعشرٌ في «الأحزاب» من قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، وعشرٌ في «المعارج» من قوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (٢٢).

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: عَمِلَ بِهِنَّ.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ استفهامٌ، أو رغبة.

﴿عَهْدِي﴾ الإمامة^(١).

﴿الْبَيْتِ﴾ الكعبة.

﴿مَثَابَهُ﴾ اسم مكان؛ من قولك: ثاب: إذا رجع؛ لأنَّ الناس يرجعون إليه عامًّا بعد عام.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ بالفتح: إخبارٌ عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام.

وبالكسر: أمرٌ لهذه الأمة، وافق قولَ عمر رضي الله عنه: «لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى»^(٢).

وقيل: أمرٌ لإبراهيم وشيعته.

وقيل: لبني إسرائيل؛ فهو - على هذا - عطفتُ على قوله: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾؛ وهذا بعيد.

(١) في ب، د: «الأمانة».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٢).

﴿مَقَامٍ إِبْرَهِيمَ﴾ هو الحجر الذي صعد به ^(١) حين بنى الكعبة.

وقيل : المسجد الحرام .

﴿وَعَهْدَنَا﴾ عبارة عن الأمر والوصية .

﴿طَهْرًا بَيْنِي﴾ عبارة عن بُنيانه بنية خالصة ؛ كقوله : ﴿أَسِسَ عَلَى التَّقْوَى﴾

[التوبة : ١٠٨] .

وقيل : المعنى طهّراه من عبادة الأصنام .

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ هم الذين يطوفون بالكعبة .

وقيل : الغرباء القادمون على مكة .

والأول أظهر .

﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ هم المعتكفون ^(٢) . وقيل : المصلّون . وقيل : المجاورون

من الغرباء . وقيل : أهل مكة .

والعكوف في اللغة : اللزوم .

﴿بَلَدًا﴾ يعني : مكة .

﴿ءَامِنًا﴾ أي : مما يصيب غيره من الخسف والعذاب .

وقيل : آمناً من إغارة الناس على أهله ؛ لأنّ العرب كان يُغير بعضهم على

بعض ، وكانوا لا يتعرّضون لأهل مكة ، وهذا أرجح ؛ لقوله : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا

(١) في د : «عليه» .

(٢) في د زيادة : «في المسجد» .

جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴿٦٧﴾ [المنكوت: ٦٧].

فإن قيل : لم قال في «البقرة» : ﴿هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ وفي «إبراهيم» : ﴿هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ ، فعرف البلد في «إبراهيم» ونكره في «البقرة» ؟
فعن ذلك ثلاثة أجوبة :

الجواب الأول : قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر ابن الزبير ، وهو أنه تقدم في «البقرة» ذكر البيت في قوله : ﴿الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾^(١) ، وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه ، فلم يحتج إلى تعريفه ، بخلاف آية «إبراهيم» ؛ فإنه لم يتقدم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ، ولا المعرفة به ، فذكره بلام التعريف .

الجواب الثاني : قاله السهيلي ، وهو أن النبي ﷺ كان بمكة حين نزلت آية «إبراهيم» ؛ لأنها مكية ، فلذلك قال فيه : ﴿الْبَلَدَ﴾ بلام التعريف التي للحضور ؛ كقولك : «هذا الرجل» وهو حاضر ، بخلاف آية «البقرة» ؛ فإنها مدنية ، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها ، فلم يعرفها بلام الحضور .

وفي هذا نظر ؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام ، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة .

الجواب الثالث : قاله بعض المشارقة^(٢) ، أنه قال : ﴿هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ قبل

(١) هذه الآية متأخرة عن الآية التي يتكلم عنها ، فكانه سبق قلم من ابن جزي رحمه الله ، والمراد آية : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَبَاةً﴾ . . . فهي المتقدمة عليها ، وهي التي ذكرها ابن الزبير في «ملاك التأويل» (١/ ٢٣٤) الذي نقل منه ابن جزي هذا الجواب .

(٢) يعني به : أبا عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني ، المعروف بالخطيب الإسكافي ، =

أن يكون بلدًا، فكأنه قال: اجعل هذا الموضع بلدًا آمنًا، وقال: ﴿هَذَا
الْبَلَدُ﴾ بعد ما صار بلدًا.

وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين؛ والظاهر أنه مرة واحدة،
حكى لفظه فيها على وجهين.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل بعض من كل.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أي: قال الله: وأرزق من كفر؛ لأن الله يرزق في الدنيا
المؤمن والكافر.

﴿رَبَّنَا ثَبِّتْ﴾ على حذف القول؛ أي: يقولان ذلك.

﴿وَأَرَانَا مَنَاسِكَا﴾ أي: علمنا مواضع الحج. وقيل: العبادات.

﴿فِيهِمْ﴾ أي: في ذريتنا.

﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ؛ ولذلك قال ﷺ: «أنا دعوة إبراهيم»^(١).

والضمير المجرور: لذرية إبراهيم وإسماعيل، وهم العرب الذين من
نسل عدنان.

وأما الذين من نسل قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا؟

﴿الْكِتَابَ﴾ هنا: القرآن.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا: السنة.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهرهم من الكفر والذنوب.

= قاله ذلك في كتابه «درة التنزيل وغرة التأويل» (١/٢٨٢).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٢)، والطبري في تفسيره (٥٧٢/٢) واللفظ له.

[وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالِلهَ ءَابَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٨﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤٠﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نَفَرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٤١﴾ فَإِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ نَّبْتَلِيكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٤٢﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٤٣﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُم أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٤٤﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٥﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٦﴾] .

﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ منصوب على التشبيه بالمفعول به .

وقيل : الأصل : «في نفسه» ؛ ثم حذف الجار فانتصب .

وقيل : تمييز .

﴿وَأَوْصَى بِهَا﴾ أي : بالكلمة والملة .

﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بالرفع: عطف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾؛ فهو موصى.

وقرئ بالنصب: عطفًا على ﴿بَنِي﴾؛ فهو موصى.

﴿أَمْ كُنْتُمْ﴾ «أم» هنا منقطعة، معناها الاستفهام والإنكار.

﴿وَأِسْمَاعِيلَ﴾ كان عمه؛ والعم يسمى أبا.

﴿وَقَالُوا كُونُوا﴾ أي: قالت اليهود: كونوا هودًا، وقالت النصارى:

كونوا نصارى.

﴿بَلْ مِلَّةَ﴾ منصوب بإضمار فعل.

﴿لَا نَفَرِقُ﴾ أي: لا نؤمن بالبعض دون البعض، وهذا برهان؛ لأن كل

من أتى بالمعجزة فهو نبي، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض.

﴿نَسَبِكُمْ﴾ وعدّ ظهر مصداقه بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير،

وغير ذلك.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي دينه، وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره.

ونصبه:

على الإغراء.

أو على المصدر من المعاني المتقدمة.

أو بدل من: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿كُتِبَ شَهَادَةٌ﴾ هي الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفة.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق :

بـ ﴿كَتَرَ﴾ .

أو بـ ﴿عِنْدُمُ﴾ ؛ كأنَّ المعنى : شهادة تَخَلَّصَتْ له من الله .



[﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٤) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٧٥) قَدْ رَأَى نَفْلُكَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَتَوَلَّيْتَكَ قِبْلَةً رَضَاهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (٧٦) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧٧) الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٨) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (٧٩)].

﴿سَيَقُولُ﴾ ظاهره: الإعلام بقولهم قبل وقوعه.

إِلَّا أَنْ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ بَعْدَ قَوْلِهِمْ.

﴿السُّفَهَاءُ﴾ هنا: اليهود، أو المشركون، أو المنافقون.

﴿مَا وَلَّهُمْ﴾ أي: ما ولى المسلمين عن قِبَلَتِهِمُ الْأُولَى - وهي بيت المقدس - إلى الكعبة؟.

﴿اللَّهُ الْمَشْرِقُ﴾ الآية: رَدُّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يَرِيدُ، وَيُوَلِّي عِبَادَهُ حَيْثُ شَاءَ؛ لِأَنَّ الْجِهَاتِ كُلَّهَا لَهُ.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي : كما هديناكم جعلناكم سَطًّا ؛ أي : خِيَارًا ^(١) .

﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي : تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرُّسُلِ إلى قومهم .

﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي : بأعمالكم ، قال ﷺ : «أقول كما قال أخي عيسى : ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة : ١١٧] الآية» ^(٢) .

فإن قيل : لم قدّم المجرور في قوله : ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وأخره في قوله : ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ؟

فالجواب : أن تقديم المعمولات يفيد الحصر ، فقدّم المجرور في قوله : ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ؛ لاختصاص شهادة النبي ﷺ بأُمَّته ، ولم يقدّمه في قوله : ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ؛ لأنه لم يقصد الحصر ^(٣) .

﴿الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها الكعبة ، وهو قول ابن عباس .

والآخر : أنها بيت المقدس ، وهو قول قتادة وعطاء والسُّدِّي .

وهذا مع ظاهر قوله : ﴿كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ ؛ لأن النبي ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس ، ثم انصرف عنه إلى الكعبة .

وأما قول ابن عباس : فتأويله بوجهين :

الأول : أن «كنت» بمعنى «أنت» .

(١) في أ، ج، هـ : «أخيَارًا» .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٩) ، ومسلم (٢٨٦٠) .

(٣) انظر : الكشف (١٣٤ / ٣) .

والثاني: قيل: إن النبي ﷺ صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس.

وإعراب ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾:

مفعولٌ بـ ﴿جَعَلْنَا﴾.

أو صفة لـ ﴿الْقِبْلَةَ﴾.

ومعنى الآية على القولين: اختبارٌ وفتنة للناس بأمر القبلة.

فأما على قول قتادة: فإن الصلاة إلى بيت المقدس:

فتنة للعرب؛ لأنهم كانوا يعظمون الكعبة.

أو فتنة لمن أنكر تحويلها؛ وتقديره على هذا: ما جعلنا صرف القبلة التي

كنت عليها؛ وهذا أظهر؛ لأن الفتنة إنما وقعت عند صرف القبلة.

وأما على قول ابن عباس: فإن الصلاة إلى الكعبة:

فتنة لليهود؛ لأنهم يعظمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ،

فأنكروا صرف القبلة.

أو فتنة لضعفاء المسلمين، حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صُرفت

القبلة.

﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: العلم الذي تقوم به الحجة على العبد، وهو: إذا ظهر في

الوجود ما علمه الله.

﴿يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ عبارة عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيه بمن رجع

يمشي إلى وراء.

﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ «إِنْ» مخففة من الثقيلة .

واسم «كان» : ضمير الفعلة ؛ وهي التحول عن القبلة .

﴿إِيْمَانَكُمْ﴾ هنا : قيل : صلاتكم إلى بيت المقدس ؛ واستدل به من قال :
إِنَّ الأعمال من الإيمان .

وقيل : معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة .

﴿تَقَلُّبُ وَجْهِكَ﴾ كان النبي ﷺ يرفع رأسه إلى السماء ؛ رجاء أن يؤمر
بالصلاة إلى الكعبة .

﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾ جهته .

﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِلَابَهُمْ﴾ خبر يتضمن النهي .

وَوَحَّدَتْ ﴿قِلَابَهُمْ﴾ وإن كانت جهتين ؛ لاستوائيهما في البطلان .

﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لأن اليهود يستقبلون المغرب ، والنصارى
المشرق .

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي : يعرفون القرآن ، أو النبي ﷺ ، أو أمر القبلة .

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ مبالغة في وصف المعرفة ، وقال عبد الله بن سلام :

«معرفتي بالنبي ﷺ أشد من معرفتي بابني ؛ لأن ابني قد يمكن فيه الشك» (١) .

(١) انظر : تفسير البغوي (١/ ١٦٤) .

[﴿وَلِكُلِّ وُجْهَهُ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٠) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٥١) فَأَذْكُرُوا أَنَا أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾ (١٥٢)].

﴿وَلِكُلِّ﴾ أي: لكل واحد، أو لكل طائفة.

﴿وَجْهَهُ﴾ أي: جهة، ولم تحذف الواو؛ لأنه ظرف مكان.

وقيل: إنه مصدر ثبت فيه الواو على غير قياس.

﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي: مولئها وجهه.

وقرئ: ﴿مُوَلَّاَهَا﴾ أي: ولّاه الله إليها^(١).

والمعنى: أن الله تعالى جعل لكل أمة قبله.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي: بادروا إلى الأعمال الصالحة.

﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يبعثكم من قبوركم.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ كرر تأكيداً، أو ليناط به ما بعده.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ الآية؛ معناها: أن الصلاة إلى الكعبة ترفع

(١) في د: «إياها».

حجة المعترضين من الناس .

فإن أريد بالناس اليهود: فحجَّتْهم أنهم يجدون في كتبهم أَنَّ النبي ﷺ يصلي إلى الكعبة، فلما صَلَّى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين .

وإن أريد^(١) قريش: فحجَّتْهم أنهم قالوا: قبله آبائه أولى به .

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: من يتكلم بغير حجة ويعترض التحوُّل إلى الكعبة .

والاستثناء متصل؛ لأنه استثناء من عموم الناس .

ويحتمل الانقطاع؛ على أن يكون استثناء ممن له حجة، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة .

﴿وَلَا تُتِمَّ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: فعلت ذلك لأنتم .

أو: معطوف على: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ﴾ .

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق:

بقوله: ﴿وَلَا تُتِمَّ﴾ .

أو بقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ .

والأول أظهر .

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قال سعيد بن المسيب: معناه: اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب .

(١) في زيادة: «بهم» .

وقيل : اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك .

وقد أكثر المفسرون - لا سيما المتصوفة - في تفسير هذا الموضع بالفاظ لها معانٍ مخصوصةٌ ؛ ولا دليل على التخصيص .

وبالجملة : هذه الآية بيان لشرف الذكر ، وبينها قولُ رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه : « أنا عند ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم »^(١) .

والذكر ثلاثة أنواع : ذكر بالقلب ، وباللسان ، وبهما معاً .

واعلم أن الذكر أفضلُ الأعمال على الجملة ، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها ؛ فإنَّ ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى .

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه :

الأول : النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال ، قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « ذكر الله »^(٢) .

وسئل رسول الله ﷺ : أيُّ الأعمال أفضل ؟ قال : « ذكر الله » ، قيل : الذكر

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٢١٧٠٢) ، (٢٢٠٧٩) ، (٢٧٥٢٥) ، والترمذي (٣٣٧٧) ، وابن ماجه (٣٧٩١) .

أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: «لو ضُرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دمًا: لكان الذاكرُ الله أفضلَ منه»^(١).

الوجه الثاني: أن الله تعالى حيثما أمر بالذكر أو أثنى على الذاكرين: اشترط فيه الكثرة؛ فقال: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال.

الوجه الثالث: أن في الذكر مزيةً هي له خاصة ليست لغيره؛ وهي الحضور في الحضرة العلية، والوصول إلى القرب الذي عبّر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعينة؛ فإن الله تعالى يقول: «أنا جليس من ذكرني»^(٢)، ويقول: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني».

وللناس في المقصد بالذكر مقامان:

فمقصد^(٣) العامة: اكتساب الأجور.

ومقصد^(٤) الخاصة: القرب والحضور.

وما بين المقامين بؤن بعيد، فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب، وبين من يُقَرَّب حتى يكون من خواص الأحاب!^(٥).

(١) أخرجه أحمد (١١٧٢٠)، والترمذي (٣٣٧٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/٢٤٥)، والبيهقي في الشعب (٢/١٧١).

(٣) في د: «فمقام».

(٤) في د: «ومقام».

(٥) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وللناس في المقصد بالذكر مقامان» إلخ.

أقول: تضمن كلامه هذا ﷺ أن الذاكرين نوعان؛ عامة وخاصة، وأن مقصود العامة بالذكر اكتساب الأجور، وأن مقصود الخاصة القرب من الله، ويدخل في الخاصة =

واعلم أن الذكرَ على أنواع كثيرة: فمنها التهليل، والتسبيح، والتكبير،
والتحميد، والحوقة، والحسبة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى،
والصلاة على النبي ﷺ، والاستغفار، وغير ذلك.

ولكل ذكر خاصية وثمره:

فأما التهليل: فثمرته التوحيد، أعني: التوحيد الخاص؛ فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن.

وأما التكبير: فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال.

وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة، كالرحمن والرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك: فثمرتها ثلاث مقامات؛ وهي:

= الأنبياء والصديقون، وهذا التقسيم والتفاضل بين الذاكرين صحيح، وهذا يجري في كل الطاعات، فالمؤمنون منهم الأبرار أصحاب اليمين، ومنهم المقربون السابقون، كما جاء هذا التقسيم في سورة الواقعة وسورة الإنسان والمطففين، ومنه ما ذكر في سورة فاطر.

ولكن يُستدرك على الشيخ ابن جزى رحمه الله ما يوهمه كلامه من أن الخاصة لا طمع لهم في الأجور، وهذا يخالف ما وصف الله به أنبياءه وأوليائه، من رجاء رحمته وخوف عذابه، مع طلب القرب في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فهم يعبدون الله في ثلاثة مقامات: مقام الحب، والخوف، والرجاء.

وكلامه رحمه الله يوهم ما تقوله جهلة الصوفية من أن العارف لا يعبد الله طمعاً في جنته، ولا خوفاً من ناره، ويرد هذا الزعم آيات كثيرة من كتاب الله ﷻ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة؛ فإنَّ المحسنَ محبوبٌ لا محالة.
وأما الحوقلة والحسيلة: فثمرتها التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والثقة بالله.

وأما الأسماء التي معناها الاطلاع والإدراك، كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك: فثمرتها المراقبة.

وأما الصلاة على النبي ﷺ: فثمرتها شدة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته.

وأما الاستغفار: فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة، مع انكسار القلب بسبب الذنوب المتقدمة.

ثم إنَّ ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد^(١)؛ وهو قولنا: «الله، الله»؛ فذلك هو الغاية وإليه المنتهى^(٢).

(١) في ج، د: «المفرد».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «ثم إنَّ ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات... إلخ».

يتضمن أمرين؛ حقًا وباطلا:

الأول: أن جميع معاني أسماء الله الحسنى يتضمنها الاسم الشريف الله، وهذا حق.
الثاني: أن أفضل الذكر هو ذكر الله بالاسم المفرد: الله الله، وهذا باطل، وذلك لأمر:

١- أن الذكر بالاسم المفرد من بدع الصوفية، ولا أصل له في كتاب ولا سنة. فاختيار المؤلف لذلك زلة منه عفا الله عنه.

٢- أن كل ما ورد من ألفاظ الذكر في الكتاب والسنة هو من الكلام المركب: كسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٨﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٩﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَهَدُونَ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٥﴾ وَلِلَّهِ كُفْرُ الْإِلَهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٦﴾].

﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ قد ذكر^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: بمعونته.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ﴾ قيل: إنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزوة بدر، وكانوا أربعة عشر رجلاً، لما قتلوا حزن عليهم

= ٣- أن الاسم المفرد لا يفيد فائدة تامة، كما هو مقرر في علم النحو.

لذلك لا يحصل بالاسم المفرد إيمان ولا كفر، فلا يدخل الكافر في الإسلام بذكره الاسم المفرد: الله، ولا يكفر من قال: لا إله إلا الله، وامتنع عن ذكر الاسم المفرد. لذلك: لا يجزئ الإتيان بالاسم المفرد في المواضع التي يستحب أو يجب فيها نوع من الأذكار الشرعية.

(١) انظر صفحة ٣١٠.

أقاربهم ، فنزلت الآية مبيّنة لمنزلة الشهداء عند الله ، ومسليّة لأقاربهم .
ولا يخصّصها نزولها فيهم ؛ بل حكمها على العموم في الشهداء .
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي : نختبركم .

وحيث ما جاء الاختبار في حق الله فمعناه : أن يظهر في الوجود ما في علمه ؛ لتقوم الحجة على العبد ، وليس كاختبار الناس بعضهم بعضاً ؛ لأن الله يعلم ما كان وما يكون .

والخطاب بهذا الابتلاء :

للمسلمين .

وقيل : لكفار قريش .

والأول أظهر ؛ لقوله بعدها : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ .

﴿بَشَىٰ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ يعني : من الأعداء .

﴿وَالْجُوعِ﴾ بالجذب .

﴿وَنَقَصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالخسارة .

﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بالقتل .

﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالجوائح .

وقيل : ذلك كلّه بسبب الجهاد .

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ اللام للملك ؛ والمالك يفعل في ملكه ما يشاء .

﴿رَجِعُوتٌ﴾ تذكّروا الآخرة ؛ لتهون عليهم مصائب الدنيا ، وفي الحديث

الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «من أصابته مصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى^(١) واخلف لي خيراً منها: أخلف الله له خيراً مما أصابه». قالت أم سلمة: «فلما مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك؛ فأبدلني الله به رسول الله ﷺ»^(٣).

★ **فائدة:** ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعاً، وذلك لعظمة موقعه في الدين.

قال بعض العلماء: كلُّ الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف، إلا الصبر؛ فإنه لا يحصر أجره؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة:

أولها: المحبة، قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

والثاني: النصر، قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

والثالث: عُرفات الجنة، قال: ﴿يُجْزَوْنَ الْفُرْقَةَ يَمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥].

والرابع: الأجر الجزيل، قال: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

(١) في ب، د: «على».

(٢) في أ، د: «هذه».

(٣) أخرجه مسلم (٩١٨).

والأربعة الأخرى: المذكورة في هذه الآية:

فمنها البشارة، قال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

والصلاة والرحمة والهداية، قال: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ﴾.

والصبر على أربعة أوجه:

[١-] صبرٌ على البلاء؛ وهو منع النفس من التسخط والهلع والجزع.

[٢-] وصبر على النعم؛ وهو تقيدها بالشكر، وعدم الطغيان، وعدم التكبر بها.

[٣-] وصبر على الطاعات؛ بالمحافظة والدوام عليها.

[٤-] وصبر عن المعاصي؛ بكف النفس عنها.

وفوق الصبر: التسليم؛ وهو ترك الاعتراض والتسخط ظاهراً، وترك الكراهة باطناً.

وفوق التسليم: الرضا بالقضاء؛ وهو سرور النفس بفعل الله، وهو صادر عن المحبة، وكل ما يفعل المحبوب محبوب.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلان صغيران بمكة.

﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي: معالم دينه، واحدها: شعيرة، أو شعارة.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إباحة للسعي بين الصفا والمروة.

والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي.

وإنما جاء بلفظ يقتضي الإباحة؛ لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما؛ لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنمٌ يقال له: إِسَافٌ، وعلى المروة صنمٌ يقال له: نائلة، فخافوا أن يكون السعي بينهما تعظيمًا للصنمين، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك.

ثم إنَّ السعي بينهما واجب^(١) بالسنة؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «سنَّ رسول الله ﷺ السعي بين الصفا والمروة، وليس لأحد تركه»^(٢).

وقيل: إن الوجوب يؤخذ من قوله: ﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ وهذا ضعيف؛ لأنَّ شعائر الله منها واجبةٌ، ومنها مندوبة.

وقد قيل: إنَّ السعي مندوبٌ.

﴿يَطُوفُ﴾ أصله: يَطُوفُ؛ ثم أدغمت التاء في الطاء.

وهذا الطواف يراد به: السعي سبعة أشواط.

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ عامٌ في أفعال البر.

أو خاصٌّ في السعي بين الصفا والمروة؛ فيقتضي أن السعي بينهما تطوُّعٌ، ويؤخذ الوجوب من السنة.

أو معنى ﴿تَطَوَّعَ﴾: التطوُّع بحجٍّ بعد حجِّ الفريضة.

﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود؛ كتموا أمر محمد ﷺ.

(١) في ج، هـ: «وجب».

(٢) أخرجه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧).

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة هنا .

﴿الَّلَّعْنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون .

وقيل : المخلوقات إلا الثقلين .

وقيل : البهائم ؛ لما يصيبهم من الجذب بذنوب الكاتمين للحق .

﴿وَبَيَّنُوا﴾ إنما شرط في توبتهم أن يبينوا ؛ لأنهم كتموا .

﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هم المؤمنون ؛ فهو عام يراد به الخصوص ؛ لأن المؤمنين هم الذين يُعتدُّ بلعنهم للكفار .

وقيل : يلعنهم جميع الناس في الآخرة .

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي : في اللعنة . وقيل : في النار .

﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ من أنظر : إذا أخر ؛ أي : لا يؤخرون عن العذاب ولا يُمهلون .

أو من نظر ؛ لقوله : ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران : ٧٧] ؛ إلا أن هذا يتعدى بـ «إلى» .

﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ الواحد له ثلاثة معانٍ ، كلها صحيحة في حق الله تعالى :

أحدها : أنه لا ثاني له ؛ فهو نفى للعدد .

والآخر : أنه لا شريك له ولا نظير .

والثالث: أنه واحدٌ لا يتبعَّض ولا ينقسم^(١).

وقد فُسِّر المراد به هنا في قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات:

الأولى: توحيد عامة المسلمين؛ وهو الذي يعصم النفس والمال في الدنيا، ويُنجي من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفْيُ الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد.

الدرجة الثانية: توحيد الخاصَّة؛ وهو أن يرى الأفعال كلّها صادرةً من الله وحده، ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة، لا بطريق الاستدلال، فإنَّ معرفة ذلك بطريق الاستدلال حاصلةٌ لكلِّ مؤمن، وإنما مقام الخاصَّة: يقين في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم: الانقطاع إلى الله، والتوكل عليه وحده، وإطراح جميع الخلق، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف أحداً سواه؛ إذ ليس يرى فاعلاً إلا إياه، ويرى جميع

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «الواحد له ثلاثة معان . . . الخ».

أقول: ما ذكره في معنى الواحد، وأن المعاني الثلاثة صحيحة في حق الله؛ سقيمٌ في الجملة، وقد جرى في ذلك على طريقة المتكلمين في تقسيم التوحيد، ويؤخذ عليه وعليهم أمور:

أنهم لم يذكروا توحيد الإلهية المتضمن توحيد العبادة، الذي هو معنى لا إله إلا الله. أن ما ذكره غايته أن يتضمن توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون.

أن بعض عباراتهم في هذا التقسيم فيها إجمال؛ كنفي النظر والشبيه، فإن المعطلة - كالمعتزلة ومن وافقهم - يدخلون في ذلك نفْي الصفات.

قولهم: «إنه واحدٌ في ذاته ولا يتجزأ»، هو حقٌّ في ظاهره، لكنهم يدخلون فيه أيضًا: نفْي علوه تعالى على خلقه.

الخلق في قبضة القهر، ليس بيدهم شيءٌ من الأمر، فيطرح الأسباب، وينبذ الأرباب.

والدرجة الثالثة: ألا يرى في الوجود إلا الله وحده، فيغيب عن النظر إلى المخلوقات، حتى كأنها عنده معدومة.

وهذا هو الذي تسميه الصوفية: مقام الفناء؛ بمعنى الغيبة عن الخلق؛ حتى إنه قد يفنى عن نفسه، وعن توحيده، أي: يغيبُ عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله^(١).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات... إلخ».

أقول: هذا التقسيم للناس في التوحيد يشبه ما ذكره من تقسيمه للناس في مقصودهم من الذكر، وقد تقدم التنبيه إلى ما فيه، وكذلك نقول هنا: إن ما ذكره من تفاضل الناس في التوحيد صحيح، ولكنه سلك في التعبير عن ذلك طريق الصوفية؛ إذ جعله ثلاث درجات: توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة. وفُسر كل درجة من هذه الدرجات، كما هي عند الصوفية، ولا إشكال فيما فُسر به توحيد العامة إلا من حيث تخصيصه بالعامة، ولكن يؤخذ على المؤلف ما فُسر به الدرجة الثانية والثالثة مقرراً لهما، وقد تضمن كلامه ﷺ عدة إشكالات:

١- قوله: «فيطرح الأسباب»، أقول: هذا قولٌ مجملٌ يحتمل أموراً:

أ - فإن كان لا اعتقاد عدم تأثيرها، فهذا جحدٌ لما تضافرت الأدلة العقلية والشرعية على إثباته، وهو تأثير الأسباب في مسبباتها، وهذا مذهب الجهمية ومن وافقهم؛ كالأشاعرة.

ب - وإن كان لا اعتقاد عدم شرعية العمل بها، فهذا مخالفٌ لموجب الشرع، كقوله ﷺ: «أحرص على ما ينفعك»، وقوله للرجل: «اعقلها وتوكل»، وقوله تعالى: ﴿وَأَعِذُوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وشواهد ذلك كثيرة.

[﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٦٤)] وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَكُنَّا كَرَّةً فَتَبَرَّأْنَا

= ج - وإن كان أطراح الأسباب بترك الاعتماد عليها ؛ فهذا حق ، وهو من تحقيق التوكل على الله .

٢- قوله في الدرجة الثالثة : « ألا يرى في الوجود إلا الله وحده . . . » إلخ .
أقول : قوله هذا لفظه يحتمل أن يعتقد ألا موجود إلا الله ، وهذا هو القول بوحدة الوجود ، وهو قول ملاحدة الصوفية الاتحادية ، والمؤلف لا يريد هذا المعنى ؛ لأنه فسره بقوله : « حتى كأنها عنده معدومة . وهذا هو الفناء عند الصوفية ، وهو الغيبة عن الخلق ؛ حتى أنه يفنى عن نفسه وعن توحيده » .

وقد جعل المؤلف هذه الدرجة بهذا التفسير أعلى درجات التوحيد ، وهي الفناء عن شهود ما سوى الله ، أي عدم الشعور بما سوى الله من المخلوقات ، وقد غلط في هذا عفا الله عنه ، فإن الفناء والغيبة نقص ليس بكمال ، فضلا عن أن يكون من الدين ، فضلا عن أن يكون أعلى مقامات الدين .

قال شيخ الإسلام في العقيدة التدمرية : « الفناء الثاني : وهو الذي يذكره بعض الصوفية ، وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى . . . بحيث قد يغيب عن شهود نفسه لما سوى الله تعالى ؛ فهذا حال ناقص . . . ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضال ضللاً مبيناً ، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطئ ، بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض » .

مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٧﴾].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية؛ ذكر فيها ثمانية أصنافٍ من المخلوقات؛ تنبيهاً على ما فيها من العبر، واستدلالاً على التوحيد المذكور قبلها في قوله: ﴿وَاللَّهُ كَزَّ إِلَهُ وَحْدٌ﴾.

﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ أي: اختلاف وصفهما من الضياء والظلام، والطول والقصر.

وقيل: المعنى: أن أحدهما يخلف^(١) الآخر.

﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارة وغيرها.

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ إرسالها من جهاتٍ مختلفة؛ وهي الجهات الأربع وما بينها، وبصفاتٍ مختلفة؛ فمنها مُلْقِحَةٌ للشجر، وعَقِيمٌ، وصِرٌّ، وللنصر، وللهلاك.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين:

أحدهما: المحبة العامة التي لا يخلو عنها كل مؤمن؛ وهي واجبة.

والأخرى: المحبة الخاصة التي ينفرد بها العلماء الربانيون، والأولياء، والأصفياء.

وهي أعلى المقامات، وغاية المطلوبات؛ فإن سائر مقامات الصالحين، كالخوف، والرجاء، والتوكل، وغير ذلك؛ هي مبنية على حظوظ النفوس،

(١) في أ، ب، د: «يخلفه».

ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه، وأن الراجي إنما يرجو منفعةً لنفسه؟، بخلاف المحبة؛ فإنها من أجل المحبوب؛ فليست من المعاوضات^(١).

واعلم أن سببَ محبة الله : معرفته ؛ فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة؛ فإن الموجب للمحبة أحد أمرين،

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قوله : «اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين . . .» إلخ.

أقول : تضمّن كلامه تعظيم مقام المحبة، وأن العباد فيها متفاضلون، وهذا صحيح، ولكنه - عفا الله عنه - هوّن من مقامات الخوف والرجاء والتوكل، وقال : إن غايتها حظ النفس، بينما غاية المحبة المحبوب.

وهذا لا يُسلم له في الجانبين، فمقامات الخوف والرجاء والتوكل غايتها إجلال الله وتعظيمه، والخضوع له والإقرار بربوبيته وكمال غناه، كيف وقد أثنى الله على ملائكته بمقام الخوف فقال : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوِّهِمْ﴾ [النحل : ٥٠]، وقال سبحانه : ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ مُسَوِّفَاتٍ﴾ [الأنبياء : ٢٨]، وأثنى الله على أنبيائه وأوليائه بمقام الخوف والرجاء والتوكل فقال سبحانه : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء : ٩٠]، وقال عن رسوله ﷺ : ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلًا وَلِنُضِيقَ عَلَى مَا أَدْبْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم : ١٢].

وأما مقام المحبة - مع علو قدره - فلا يستغنى به عن مقام الخوف والرجاء، كما تزعم الصوفية، ومع ذلك فللنفس حظ في مقام الحب، وهو ما تجده من اللذة في مشاهدة جمال المحبوب وكماله، فلا بد من التعبد لله بكل هذه المقامات، حبًا ورجاءً وخوفًا وتوكلًا.

قال بعض السلف : من عبد الله تعالى بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حُروريّ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن.

أو كلاهما إذا اجتماعا، ولا شكَّ أنهما اجتماعا في حق الله تعالى على غاية الكمال:

فالموجب الأوَّل: الحسن والجمال.

والآخر: الإحسان والإجمال.

فأما الجمال: فهو محبوب بالطبع؛ فإنَّ الإنسان بالضرورة يحبُّ كلَّ ما يستحسن.

والإجمال: مثل جمال الله في حكمته البالغة، وصنائه البديعة، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار، التي تروِّق العقول وتبهِج القلوب.

وإنما يُدرَك جماله تعالى بالبصائر، لا بالأبصار.

وأما الإحسان؛ فقد جُبِلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها.

وإحسان الله إلى عباده متواتر، وإنعامه عليهم باطن وظاهر، ﴿وَإِنْ نَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، وكلُّ إحسان يُنسب إلى غيره فهو - في الحقيقة - منه وحده، فهو المستحقُّ للمحبة وحده.

واعلم أن محبة الله إذا تمكَّنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح؛ من الجدِّ في طاعته، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذُّذ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوق إلى لقائه، والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات،

وخروج الدنيا من القلب ، ومحبة كل ما يحبه الله ، (وكل من يحب الله)^(١) وإيثار الله على كل من سواه .

قال الحارث المحاسبي : المحبة مِيلُك إلى المحبوب بكلِّيتك ، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ، ثم موافقته سرًّا وجهراً ، ثم علمك بتقصيرك في حبه^(٢) .

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ من رؤية العين ، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مفعولٌ ، وجواب «لو» محذوف ؛ وهو العامل في ﴿أَنَّ﴾ .

والتقدير : لو ترى الذين ظلموا لعلمت أنَّ القوة لله ، أو لعلموا أنَّ القوة لله .

وقرئ ﴿يَرَى﴾ بالياء : وهو - على هذه القراءة - من رؤية القلب ، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فاعل ، و﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ مفعولٌ ﴿يَرَى﴾ ، وجواب «لو» محذوف .

والتقدير : لو يرى الذين ظلموا أنَّ القوة لله لندموا ، أو لاستعظموها ما حلَّ بهم .

﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدلٌ من : ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ .

أو استئنافٌ ؛ والعامل فيه محذوف تقديره : اذكر .

(١) سقط من ج ، د ، هـ .

(٢) أورده القشيري بإسناده إلى الحارث في الرسالة القشيرية (٢/٤٩٠) .

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ هم : الآلهة ، أو الشياطين ، أو الرؤساء من الكفار .
والعموم أولى .

﴿الْأَسْبَابُ﴾ هنا : الوصلات من الأرحام والموَدَّات .

﴿أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ﴾ أي : سيئاتهم . وقيل : حسناتهم إذ لم تقبل منهم .
أو : ما عملوه لآلهتهم .



[يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمْى فهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِ ءَمْنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾] .

﴿كُلُّوْا﴾ أمرٌ محمول على الإباحة .

﴿حَلَالًا﴾ حالٌ من : ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ .

أو مفعولٌ بـ ﴿كُلُّوْا﴾ .

أو صفة لمفعول محذوف ؛ أي : شيئًا حلالًا .

﴿طَيِّبًا﴾ يحتمل أن يريد : الحلال ، أو اللذيذ .

﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ما يأمر به ؛ وأصله من : خُطوة الشيء .

وقال المنذر بن سعيد : يحتمل أن يكون من الخطيئة ، ثم سهَّلت همزته .

وقرئ : بضم الطاء وإسكانها ؛ وهي لغتان .

﴿يَاسُوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ المعاصي .

﴿وَأَنْ تَقُولُوا﴾ الإِشْرَافُ ، وتحريم الحلال ؛ كالبَحيرة وغير ذلك .

﴿أَوَلَوْ كَانَتْ﴾ أَبَاؤُهُمْ ﴿رَدُّ عَلَى قَوْلِهِمْ﴾ : ﴿بَلْ نَسْتَعِ﴾ .

والآية في كَفَّارِ الْعَرَبِ . وقيل : في اليهود .

والمعنى : أَتَتَّبِعُونَهُمْ ^(١) ولو كانوا لا يعقلون ؟ ، فدخلت همزة الإنكار على واو الحال .

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية ؛ في معناها قولان :

الأول : تشبيه الذين كفروا بالبهائم في قلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم .

ولا بد في هذا من محذوف ؛ وفيه وجهان :

أحدهما : أن يكون المحذوف أَوَّلَ الآية ، والتقدير : مثل داعي الذين كفروا إلى الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ أي : يصيح ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ وهي البهائم التي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ ولا تعقل معناه .

والآخر : أن يكون المحذوف بعد ذلك ، والتقدير : مثل الذين كفروا كمثل مَدْعُوِّ الَّذِي يَنْعِقُ .

ويكون ﴿دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ على الوجهين : مفعولاً بـ ﴿يَسْمَعُ﴾ .

والنعيق : هو زجر الغنم ، والصياح عليها .

(١) في ج ، هـ : «أَتَتَّبِعُونَهُمْ» .

فعلى هذا القول: شبه الكفار: بالغنم، وشبه داعيهم: بالذي يزجرها ويصيح عليها.

والقول الثاني: تشبيه الذين كفروا في دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينطق بما لا يسمع؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئاً.

ويكون ﴿دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ﴾ على هذا منقطعاً؛ أي: أن الداعي يتعب نفسه بالدعاء والنداء لمن لا يسمعه من غير فائدة.

فعلى هذا: شبه الكفار: بالناقص.

﴿صُمٌّ﴾ وما بعده: راجع إلى الكفار؛ وذلك يقوّي التأويل الأول.

ورفعه: على إضمار مبتدأ.

﴿وَأَشْكُرُوا﴾ الآية؛ دليل على وجوب الشكر؛ لقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿الْمَيْتَةَ﴾ ما مات حتف أنفه، وهو عمومٌ خُصَّ منه: الحوت والجراد.

وأجاز مالك أكل الطافي من الحوت، ومنعه أبو حنيفة.

ومنع مالك أكل^(١) الجراد حتى يُسبَّب موتها^(٢) بقطع عضو منها، أو وضعها في الماء، أو غير ذلك، وأجازه عبد الحكم دون ذلك.

﴿وَالَّذِمَّ﴾ يريد: المسفوح؛ لتقييده بذلك في سورة «الأنعام».

(١) هذه الكلمة سقطت من ج، هـ.

(٢) في ب: «في موتها».

ولا خلاف في إباحة ما خالط اللحم من الدم.

﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ هو حرام؛ سواء ذُكِّي أو لم يذكَّ.

وكذلك شحمه بإجماع، وإنما خصَّ اللحم بالذكر؛ لأنه الغالب في الأكل، ولأن الشحم تابع له؛ ولذلك من حلف أن لا يأكل لحمًا فأكل شحمًا حنث، بخلاف العكس.

﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ﴾ أي: صيَح؛ لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذُبِح له، ثم استعمل في النية في الذبيحة.

﴿لِعَيْرِ اللَّهِ﴾ الأصنام وشبهها.

﴿أَضْطَرَّ﴾ بالجوع، أو بالإكراه.

وهو مشتق من الضرورة، ووزنه: افتعل، وأبدل من التاء طاءً.

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قيل: باغ على المسلمين، وعادٍ عليهم؛ ولذلك لم يرخص مالك - في رواية عنه - للعاصي بسفره أن يأكل الميتة، والمشهور عنه: الترخيص له.

وقيل: باغ باستعمالها من غير اضطرار.

وقيل: باغ أي: متزيّد على إمساك رمقه؛ ولهذا لم يُجز الشافعي للمضطرّ أن يشبع من الميتة، وقال مالك: بل يشبع ويتزوّد.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفع للخرج.

ويجب على المضطرّ أكل الميتة؛ لئلا يقتل نفسه بالجوع، وإنما تدل الآية على الإباحة، ويؤخذ الوجوب من غيرها.

واختلف: هل يباح له أكل الميتة والدم والخنزير، أو أكل ما عدا الخنزير؟
واختلف: هل يباح له أكل ميتة ابن آدم أم لا؟ فمنعه مالك، وأجازه
الشافعي؛ لعموم الآية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود.

﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ أي: أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار؛
فوضع السبب موضع المسبب.

وقيل: يأكلون النار حقيقة في جهنم.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ عبارة عن غضبه عليهم.

وقيل: لا يكلمهم بما يحبونه^(١).

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يثني عليهم.

﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ﴾ تعجب:

من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار.

أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾: «عبارة عن غضبه عليهم»
إلخ.

أقول: فسر نفي الكلام بأحد وجهين:

- بالغضب اللازم من ترك الكلام، وهو من التفسير باللازم.

- أو بترك كلام مخصوص، وهو ما يحبونه ويسره.

والثاني هو المناسب؛ لظاهر اللفظ، والله أعلم.

وقيل : إنه استفهام ؛ و﴿أَصْبَرَهُمْ﴾ بمعنى : صَبَرَهُمْ ، وهذا بعيد ؛ وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجب مستحيل على الله ؛ لأنه استعظامٌ خفي سببه .

وذلك لا يلزم ؛ فإنه في حق الله غير خفي السبب .

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى العذاب .

ورفعه : بالابتداء ، أو بفعل مضمر .

﴿يَأَنَّ اللَّهَ﴾ الباء سببية .

﴿نَزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن هنا .

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي : بالواجب ، أو بالإخبار الحق^(١) ؛ أي : الصادق .

والباء فيه : سببية ، أو للمصاحبة .

﴿الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ؛ و﴿الْكِتَابِ﴾ على هذا : التوراة والإنجيل .

وقيل : ﴿الَّذِينَ اخْتَلَفُوا﴾ : العرب ؛ و﴿الْكِتَابِ﴾ على هذا : القرآن .

ويحتمل جنس الكتاب^(٢) في الموضعين .

﴿لِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي : بعيد من الحق والاستقامة .



(١) في د : «بالحق» .

(٢) في ج ، د : «الكتب» .

[لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾] يَتَّخِذُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِغَاءً بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءً إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِتْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾].

﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ الآية؛ خطابٌ لأهل الكتاب؛ لأن المغرب قبله اليهود، والمشرق قبله النصارى، أي: إنما البرُّ التوجُّه إلى الكعبة.

وقيل: خطابٌ للمؤمنين؛ أي: ليس البرُّ الصلاة خاصة، بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ لا يصحُّ أن يكون ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ خبراً عن ﴿الْبِرِّ﴾؛ فتأويله:

لكنَّ صاحب البر من آمن.

أو لكن البرُّ برٌّ من آمن.

أو يكون البرُّ مصدرًا وُصِفَ به.

﴿وَأَنَّى الْمَالُ﴾ صدقة التطوع، وليست بالزكاة؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَأَنَّى الزَّكَاةُ﴾.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ الضمير عائد على ﴿الْمَالُ﴾؛ كقوله: ﴿وَيُؤَثِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] الآية؛ وهو الراجح من طريق المعنى، وعود الضمير على الأقرب. وهو على هذا تميم؛ وهو من أدوات البيان.

وقيل: يعود على مصدر ﴿وَأَنَّى﴾.

وقيل: على الله.

﴿دَوَى الْفَرِيقِ﴾ وما بعده: مرتب بتقديم الأهم والأفضل؛ لأن الصدقة على القرابة صدقة وصلة، بخلاف من بعدهم، ثم اليتامى؛ لصغرهم وحاجتهم، ثم المساكين؛ للحاجة خاصة.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ الغريب، وقيل: الضيف^(١).

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ وإن كانوا غير محتاجين.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ عتقها.

﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ أي: العهد مع الله، ومع الناس.

﴿وَالصَّادِرِينَ﴾ نُصِبَ بإضمار فعل.

﴿فِي أَلْبَاسَاءِ﴾ الفقر.

﴿وَالْفَرَآءِ﴾ المرضى.

(١) في ج، د، هـ: «الضعيف»، والمثبت موافق لما فسر به في «اللغات» مادة (٤٨٨).

﴿وَجِنَ الْبَأْسَ﴾ القتال .

﴿صَدَقُوا﴾ في القول ، والفعل ، والعزيمة .

﴿كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ أي : شرع لكم .

وليس بمعنى : فُرض ؛ لأن وليَّ المقتول مخيرٌ بين القصاص والدية والعفو .

وقيل : بمعنى فرض ؛ أي : فُرض :

على القاتل : الانقياد للقصاص .

وعلى وليَّ المقتول : أن لا يتعداه إلى قتل غيره ؛ كفعل الجاهلية .

وعلى الحكّام : التمكين من القصاص .

﴿الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ ظاهره : اعتبار التّساوي بين القاتل والمقتول في الحرية والذكورية ، وأن لا يقتل حرٌّ بعبد ، ولا ذكر بأنثى .

إلا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى .

ورأى قوم : أن يُعطي أولياؤها حينئذٍ نصف الدية لأولياء الرجل المقتصّ منه ؛ خلافاً لمالك والشافعي وأبي حنيفة .

وأما قتل الحرّ بالعبد : فهو مذهب أبي حنيفة ، خلافاً لمالك والشافعي .

فعلى هذا :

لم يأخذ أبو حنيفة بشيء من ظاهر الآية ؛ لا في الذكورية ولا في الحرية ؛ لأنها عنده منسوخة .

وأخذ مالك بظاهرها في الحرية لا في الذكورية، وتأويلها عنده:

أن قوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ عمومٌ يدخل فيه: الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرّر قوله: ﴿وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ تجريداً؛ للتأكيد؛ لأن بعض العرب كانوا إذا قُتلت منهم أنثى قتلوا بها ذكراً؛ تكبراً وعدواناً.

وقد يتّجه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحرّ بالعبد من السنة، وهو قوله ﷺ: «لا يقتل حرٌّ بعبد»^(١).

والناسخ لها على القول بالنسخ: عموم قوله: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، على أن هذا ضعيف؛ لأنه إخبار عن حكم بني إسرائيل.

﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ﴾ الآية؛ فيها تأويلان:

أحدهما: أن المعنى: من قتل فعُفي عنه فعليه أداء الدية بإحسان، وعلى أولياء المقتول اتباعه بها بمعروف.

فعلى هذا: «مَنْ»: كناية عن القاتل، وأخوه: هو المقتول، أو وليّه، و﴿عَفَى﴾ من العفو عن القصاص؛ وأصله أن يتعدى بـ«عن»، وإنما تعدّى هنا باللام؛ لأنه كقولك: «تجاوزت لفلان عن ذنبه».

والثاني: أن المعنى: مَنْ أعطيتَه الدية فعليه اتباع بمعروف، وعلى القاتل أداءً بإحسان.

فعلى هذا: «مَنْ»: كناية عن أولياء المقتول، وأخوه: هو القاتل

(١) أخرجه البيهقي (١٦/١٩١)، والدارقطني (٤/١٥٣).

أو عاقلته^(١)، و﴿عُفَى﴾ بمعنى: يُسَّرَ؛ كقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي: ما تيسَّر، ولا إشكال في تعدي ﴿عُفَى﴾ باللام على هذا المعنى.

﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ﴾ إشارة إلى جواز أخذ الدية؛ لأن بني إسرائيل لم تكن عندهم دية، وإنما هو القصاص.

﴿فَمَنْ أَعْتَدَى﴾ أي: قتل قاتل وليه بعد أن أخذ منه الدية.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ القصاص منه. وقيل: عذاب الآخرة.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ بمعنى قولهم: «القتل أنفى للقتل»؛ أي: أن القصاص يردع الناس عن القتل.

وقيل: المعنى: أن القصاص أقل قتلاً؛ لأنه قتل واحد بواحد، بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتتال قبيلتي القاتل والمقتول، حتى يُقتل بسبب ذلك جماعة.

﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ كانت فرضاً قبل الميراث، ثم نسخها آيةُ المواريث، مع قوله ﷺ: «لا وصية لوارث»^(٢)، وبقيت الوصية مندوبةً لمن لا يرث من الأقربين.

وقيل: معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض؛ فلا تعارض بينها وبين المواريث، ولا نسخ.

والأول أشهر.

(١) في أ، د: «أو على عاقلته».

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٢٠)، وأبو داود (٢٨٧٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وأحمد (١٧٦٦٣).

[يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٨٢﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٣﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلِّهِمْ يَرْشُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرِّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِهِنَّ عِلْمٌ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ تَحْتَائُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَأَبْغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآلِيلِ وَلَا تَبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَلَافُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي: فُرِضَ.

﴿كَمَا كُتِبَ﴾ القصد بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وبقوله:

﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾: تسهيلُ الصيام على المسلمين، وكأنه اعتذارٌ عن كتبه عليهم، ومُلاطفةٌ جميلة.

والذي كُتِبَ على الذين من قبلنا:

الصيام مطلقًا.

وقيل : كتب على الذين من قبلنا رمضان، فبدّلوه .

﴿أَنِيكَأَمَّا﴾ منصوبٌ : بـ ﴿الصِّيَامُ﴾ ، أو بمحذوف .

ويبعد انتصابه بـ ﴿تَنَقُّونَ﴾ .

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ الآية ؛ إباحةٌ للفطر مع المرض والسفر، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك .

وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى : فحوى الخطاب ؛ وتقديره : فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فأفطر : فعليه عدّةٌ من أيام آخر .

ولم يقل الظاهرية بهذا المحذوف ؛ فرأوا أنّ صيام المريض والمسافر لا يصحُّ ، وأوجبوا عليه عدّةٌ من أيام آخر ، وإن صام في رمضان . وهذا منهم جهلٌ بكلام العرب .

وليس في الآية ما يقتضي تحديد السفر ، وبذلك قال الظاهرية . وحده في مشهور مذهب مالك : أربعة بُرْدٍ .

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ قيل : يطيقونه من غير مشقة ؛ فيفطرون ويكفّرون ، ثم نسخ جواز الإفطار بقوله : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ .

وقيل : يطيقونه بمشقة ؛ كالشيخ الهرم ، فيجوز له الفطر ، ويكفّر بالإطعام ، فلا نسخ على هذا .

﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ أي : صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة ؛ وذلك على القول بالنسخ .

وقيل : تطوَّع بالزيادة في مقدار الإطعام ، وذلك على القول بعدم النسخ .

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ : مبتدأ .

أو خبر ابتداء مضمر .

أو بدلٌ من ﴿الصِّيَامُ﴾ .

﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ابن عباس : أنزل القرآن جملةً واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان ، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ بطول عشرين سنة .

وقيل : المعنى : أنزل في شأنه القرآن ؛ كقولك : «أنزل القرآن في فلان» .

وقيل : المعنى : ابتدئ فيه إنزال القرآن .

﴿هُدًى لِّلنَّكَاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى﴾ أي : أن القرآن هدى ، ثم هو

- مع ذلك - من مبيّنات^(١) الهدى ؛ وذلك أن الهدى على نوعين : مطلق ، وموصوف بالبيان .

فالهدى الأول - هنا - : على الإطلاق .

وقوله : ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى﴾ أي : وهو من الهدى المبين ؛ فهو من

عطف الصفات ؛ كقولك : «فلان عالمٌ وجليلٌ من العلماء» .

﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ أي : كان حاضرًا غير مسافر ، و﴿الشَّهْرَ﴾ : منصوبٌ على

الظرفية .

﴿الْيُسْرَ﴾ و﴿الْعُسْرَ﴾ : على الإطلاق .

(١) في د : «بينات» .

وقيل: اليسرُ: الفطرُ في السفر، والعسر: الصوم فيه.

﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ متعلقٌ بمحذوف تقديره: شرع.

أو: عطف على: ﴿الْيُسْرَ﴾.

﴿الْعِدَّةَ﴾ الأيام التي أفطر فيها.

﴿وَلِتُكَبِّرُوا﴾ التكبير يوم العيد، أو مطلق.

﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ مقيد بمشيئة الله، وموافقة القدر.

وهذا جواب من قال: كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة؟^(١).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «مقيد بمشيئة الله... إلخ».

أقول: تضمن كلامه هذا أن وعد الله باستجابة دعاء الداعي مشروط بمشيئة الله، وهذا حق؛ فإنَّ فعله تعالى إنما يكون بمشيئة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]، وأدلة ذلك كثيرة في القرآن.

ومشروط ثانياً بموافقة القدر، أي أن يكون المطلوب قد سبق القدرُ بكونه، وفي هذا إجمال؛ فإنَّ أراد أنه مقدَّر بدون حصول هذا الدعاء، فهذا يؤول إلى أن يكون الدعاء لا أثر له في حصول المطلوب، وهذا هو الظاهر من مراده، فإنَّ هذا يجري على مذهب نفاة تأثير الأسباب، والدعاء من الأسباب، وهو مذهب الأشاعرة، والظاهر أن المؤلف ممن يذهب هذا المذهب.

وإنَّ أراد أنه مقدَّر الحصول بذلك الدعاء فهو حقٌّ، لكن يصير التقيد بذلك كالتيقيد للمشيئة؛ فإنه لا يكون إلا ما سبق به القدر، كما لا يكون إلا ما شاء الله تعالى، فتَحَلَّفُ المطلوب يرجع إلى أن الله لم يقدِّر حصوله في سابق علمه وكتابه. وما كان كذلك فإنه لا يشاؤه سبحانه.

فالمشيئة والقدر متلازمان، فما شاءه فقد سبق به علمه وكتابه، وما عَلِمَهُ وكتَبَهُ فإنه تعالى يشاؤه، فلا يكون إلا ما يشاء، ولا يكون إلا ما سبق به علمه وكتابه. والله أعلم.

﴿فَلَيْسَ تَجِبُوا إِلَيَّ﴾ أي : في امثال ما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعة .

﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾ الآية ؛ كان الأكل والجماع محرماً بعد النوم في ليل رمضان ، فجرت في ذلك قصة لعمر بن الخطاب ^(١) ولصِرمَة بن مالك ^(٢) ؛ فأحلَّهما الله ؛ تخفيفاً على عباده .

﴿أَرَفْتُ﴾ هنا : الجماع ، وإنما تعدَّى بـ ﴿إِلَى﴾ ؛ لأنه في معنى الإفضاء .
﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ﴾ تشبيه بالثياب ؛ لاشتغال كل واحد من الزوجين على الآخر ، وهذا تعليل للإباحة .

﴿تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي : تأكلون وتجامعون بعد النوم في رمضان .

﴿فَنَابَ﴾ و﴿وَعَفَا﴾ أي : غفر ما وقعتم فيه من ذلك .

وقيل : رَفَع عنكم ذلك الحكم .

﴿بَشِّرُوهُمْ﴾ إباحة .

﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل : الولد يبتغى بالجماع .

وقيل : الرخصة في الأكل والجماع لمن نام في ليل رمضان بعد منعه .

﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض ، لا للأسود ؛ لأنَّ الفجر ليس له سواد .

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٥٧٩٥) .

(٢) أخرجه البخاري (١٩١٥) ، ووقع في اسمه اختلاف كثير ، ذكره ابن حجر في الإصابة

(٢٤٨/٥) ، فقيل : صرمة بن مالك كما أورده المؤلف ، وقيل : قيس بن صرمة كما في

رواية البخاري ، وقيل غير ذلك .

والخيط - هنا - استعارة؛ يراد بالخيط الأبيض : بياض الفجر ، وبالخيط الأسود : سواد الليل .

وروي أن قوله : ﴿ مِنْ الْفَجْرِ ﴾ نزل بعد ذلك ؛ بياناً لهذا المعنى ؛ لأنَّ بعضهم جعل خيطةً أبيض وخيطةً أسود عند وِسَادِهِ ، وأكل حتى تبيَّن له ، فقال له النبي ﷺ : « إنما هو بياض النهار وسواد الليل »^(١) .

﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي : إلى أوَّل الليل ، وهو غروب الشمس ؛ فمن أفطر قبل ذلك : فعليه القضاء والكفارة .

ومن شك هل غربت أم لا فأفطر : فعليه - أيضاً - القضاء والكفارة .
وقيل : القضاء فقط .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ : يقتضي المنع من الوصال ، وقد جاء ذلك في الحديث^(٢) .

﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾ تحريمٌ للمباشرة حين الاعتكاف .

قال الجمهور : المباشرة - هنا - : الجماع وما دونه .

وقيل : الجماع فقط .

﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ دليلٌ على جواز الاعتكاف في كلِّ مسجد ؛ خلافاً لمن قال : لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، وبيت المقدس .
وفيه - أيضاً - دليلٌ على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد ، لا في

(١) أخرجه البخاري (١٩١٦) ، ومسلم (١٠٩٠) .

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٥) ، ومسلم (١١٠٣) .

غيرها، خلافاً لمن أجازها في غيرها من مفهوم الآية.

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: أحكامه التي أمر بالوقوف عندها.

﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ أي لا تُقاربوا^(١) مخالفتها.

واستدل بعضهم به على سدِّ الذرائع؛ لأنَّ المقصود النهي عن المخالفة للحدود؛ لقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ثم نهى - هنا - عن مقارنة المخالفة؛ سداً للذريعة.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل، كالقمار، والغصب، وجحد الحقوق، وغير ذلك.

﴿وَتُدْلُوا﴾ عطف على: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾.

أو: نصب بإضمار «أن».

وهو من: أدلى الرجل بحجته: إذا قام بها.

والمعنى: نهى عن أن يحتج بحجة باطلة؛ ليصل بها إلى أكل مال الناس.

وقيل: نهى عن رشوة الحكام بالأموال للوصول إلى أكل أموال الناس.

فالباء:

على الأول: سببية.

وعلى الثاني: للإلصاق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الباء: سببية، أو للمصاحبة.

(١) في أ، ب: «لا تقربوا».

والإثم :

على القول الأول في ﴿وَتَذْلُوا﴾ : إقامة الحجة الباطلة ؛ كشهادة الزور ،
والأيمان الكاذبة .

وعلى القول الثاني : الرشوة .

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي : تعلمون أنكم على الباطل ؛ وذلك مبالغة في
المعصية والجرأة .



[﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
 الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٦﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنْ
 اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٨٧﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ
 أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ
 جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٨٨﴾ فَإِنْ أَنَّهُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
 الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُوا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٠﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ
 قِصَاصٌ فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩١﴾ وَأَنِفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٢﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ
 حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ
 سُلْكِ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي
 الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا
 اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾ سببها : أنهم سألوا عن الهلال ، وما فائدة محاقه
 وكماله ومخالفته لحال الشمس .

والهلال : ليلتان من أول الشهر ، وقيل : ثلاث ، ثم يقال له : قمر .

﴿مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات ؛ لمحلّ الديون ، والأكرية ، وانقضاء العدد ،
 وغير ذلك .

ثم ذكر الحج ؛ اهتماماً بذكره ، وإن كان قد دخل في المواقيت للناس .

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ الآية؛ كان قومٌ إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، وإنما يدخلون من ظهورها، ويقولون: لا يحولُ بيننا وبين السماء شيءٌ؛ فنزلت الآية إعلامًا أنَّ ذلك ليس من البرِّ.

وإنما ذَكَرَ ذلك بعد ذِكرِ الحج؛ لأنه كان عندهم من تمام الحج. وقيل: إن المعنى: ليس البر أن تسألوا عن الأهلَّة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه؛ فتأتون الأمور على غير ما يجب.

فعلى هذا: ﴿الْبُيُوتَ﴾ و﴿أَبْوَابَهَا﴾ و﴿ظُهُورَهَا﴾ استعاراتٌ؛ يراد بالبيوت: المسائل، وظهورها^(١): السؤال عما لا يفيد، وأبوابها: السؤال عما يحتاج إليه.

﴿الْبِرُّ مِنْ أَتَقَى﴾ تأويله مثل: ﴿الْبِرُّ مَنْ ءَامَنَ﴾^(٢).

﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ كان القتال غير مباح في أوَّل الإسلام، ثم أمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل؛ وذلك مقتضى هذه الآية، ثم أمر بقتال جميع الكفار في قوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] و﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩]؛ فهذه الآية منسوخة.

وقيل: إنها مُحْكَمَةٌ؛ وأنَّ المعنى: قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلكم^(٣)، دون النساء والصبيان الذي لا يقاتلونكم.

والأوَّل أرجح وأشهر.

(١) في ب، ج، هـ: «فظهورها».

(٢) انظر صفحة ٣٩٨.

(٣) في ب، ج، هـ: «يقاتلونكم».

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: بقتال من لم يقاتلكم؛ على القول الأول.
وبقتال النساء والصبيان؛ على القول الثاني.
﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي: من مكة؛ لأنَّ قريشًا أخرجوا منها
المسلمين.

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي: فتنة المؤمن عن دينه أشدُّ عليه من قتله.
وقيل: كفر الكفار أشدُّ من قتل المؤمنين^(١) لهم في الجهاد.
﴿عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ منسوخ بقوله: ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩]، وذلك
يقوّي نسخ: ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾.
﴿فَإِنْ أَنهَوْا﴾ أي: عن الكفر فأسلموا؛ بدليل قوله: ﴿عَفْوٌ رَّحِيمٌ﴾؛ وإنما
يغفر للكافر إذا أسلم.

﴿لَا تَكُونُ فِتْنَةً﴾ أي: لا يبقى دينٌ كفرٍ.
﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الآية؛ نزلت لما صدَّ الكفارُ النبيَّ ﷺ والمسلمين^(٢) عن
دخول مكة للعمرة عامَ الحديبية في شهر ذي قعدة، فدخلها في العام
الذي بعده في شهر ذي قعدة.

أي: ﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الذي دخلتم فيه مكة ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الذي صُدِدتُم فيه
عن دخولها.

﴿وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾ أي: حرمةُ الشهر والبلد حين دخلتموها: قصاصٌ

(١) في ج، هـ: «المؤمن».

(٢) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

بحرمة الشهر والبلد حين صُدِّدتم عنها .

﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب ؛ أي : قاتلوا مَنْ قاتلكم ، ولا تبالوا بحرمة من صدَّكم عن مكة .

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أبو أيوب الأنصاري : المعنى : لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد .

وقيل : لا تركوا النفقة في الجهاد ؛ خوف العيلة .

وقيل : لا تقنطوا من التوبة .

وقيل : لا تقتحموا المهالك .

والباء في ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ : زائدة .

وقيل : التقدير : لا تلقوا أنفسكم بأيديكم .

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي : أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما^(١) .

ابن عباس : إتمامهما^(٢) : إكمال المناسك .

عليّ : إتمامهما^(٣) : أن تحرم بهما من دارك .

ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة ؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام ، لا بالابتداء .

(١) في ج ، هـ : «أكملوها إذا ابتدأتم عملها» .

(٢) في ب ، ج ، هـ : «إتمامها» .

(٣) في ب ، ج ، هـ : «إتمامها» .

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ المشهور في اللغة: أحصره المرض - بالألف -، وحصره العدو.

وقيل: بالعكس.

وقيل: هما بمعنى واحد.

فقال مالك: ﴿أُحْصِرْتُمْ﴾ هنا: بالمرض على مشهور اللغة؛ فأوجب عليه الهدى، ولم يوجب على من حصره العدو.

وقال الشافعي وأشهب: يجب الهدى على من حصره العدو، وحملاً الآية على ذلك، واستدلّا بنحر النبي ﷺ الهدى بالحديبية.

وقال أبو حنيفة: يجب الهدى على المحصر بعدو وبمرض.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ أي: فعليكم ما استيسر من الهدى؛ وذلك شاء.

﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ﴾ خطاب للمحصر بمرض عند مالك؛ لأنه لا يتحلل بالحلق حتى يبلغ الهدى محلّه أي: موضع نحره؛ وهو:

مكة أو منى عند مالك.

وقال الشافعي: محلّه: حيث أُحصر.

وقيل: هو ^(١) خطاب للمحصر وغيره.

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ الآية؛ نزلت في كعب بن عُجرة حين رآه النبي ﷺ فقال له: «لعلك تؤذيك هوائم رأسك؟» فقال: نعم، فقال له

(١) في ب، ج، هـ «هي».

رسول الله ﷺ: «أحلق رأسك، وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسك بشاة»^(١).

(فمعنى الآية: أن من كان الحج واضطره مرض^(٢) أو قمل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر: جاز له حلقه؛ وعليه صيام، أو صدقة، أو نسك)^(٣) حسبما تفسر في الحديث.

وقاس الفقهاء على حلق الرأس: سائر الأشياء التي يُمنع الحاج منها، إلا الصيد، ووطء النساء.

وقصر الظاهرية ذلك على حلق الرأس.

ولا بد في الآية من مضمّر لا يستقل الكلام دونّه، وهو المسمى: فحوى الخطاب؛ وتقديرها: فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ أي: من المرض؛ على قول مالك.

ومن العدو؛ على قول غيره.

والمعنى: إذا كنتم بحال أمن؛ سواء تقدّم مرض أو خوف عدو، أو لم يتقدّم.

﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ التمتع عند مالك وغيره: هو أن يعتمر الإنسان في

(١) أخرجه البخاري (١٨١٤)، ومسلم (١٢٠١).

(٢) في د: «واضطّر لمرض».

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

أشهر الحج، ثم يحجّ من عامه؛ فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة.

وقال عبد الله بن الزبير: التمتع: هو أن يُحصّر عن الحج بعدوّ حتى يفوته الحج، فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاء لحجته؛ فهو قد تمتع بفعل الممنوعات في الحج من وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل.

وقيل: التمتع: هو قِرَان الحج والعمرة.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ شاة.

﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ وقتها: من إحرامه إلى يوم عرفة، فإن فاتته: صامَ أيام التشريق.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي: إلى بلادكم، أو في الطريق.

﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ﴾ فائدته: بيان أن السبعة تصام بعد الثلاثة؛ فتكون عشرة، ورفع لتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة.

وقيل: هو مثل الفذلكة؛ وهو قول الناس بعد الأعداد: «فذلك كذا».

وقيل: كاملة في الثواب.

﴿لَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني: غير أهل مكة وذو طوى بإجماع.

وقيل: أهل الحرم كله.

وقيل: من كان دون المواقيت.

وقوله: ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى الهدي أو الصيام؛ أي: إنما يجب الهدي - أو الصيام بدلاً منه - على الغرباء، لا على أهل مكة.

وقيل: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى التمتع.



[الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۚ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَأْتُوا فِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۚ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَآتَقَىٰ اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلْمَهاً ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ نَكْمُ الْبَيِّنَاتِ فَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾] .

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ التقدير: أشهر الحج أشهر.

أو: الحج في أشهر.

وهي : شَوَّال ، وذو القَعْدَةِ ، وذو الحِجَّة .

وقيل : العَشر الأَوَّل منه .

وينبني على ذلك : من آخر طواف الإفاضة إلى آخر ذي حِجَّة :

فعليه دَمٌ على القول بالعَشر الأول .

ولا دمٌ عليه على القول بجميع الشهر .

واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر :

فأجازه مالكٌ على كراهة .

ولم يُجزَّه الشافعيُّ وداود ؛ لتعيين هذا الأشهر لذلك ؛ فكأنها كوقت الصلاة .

﴿فَمَنْ فُضِّضَ﴾ أي : ألزم الحجَّ نفسه .

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ الرفث : الجماع . وقيل : الفحش من الكلام .

والفسوق : المعاصي .

والجدال : المراءى مطلقاً .

وقيل : المجادلة في مواقف الحج .

وقيل : النسيء الذي كانت العرب تفعله .

﴿وَسَكَّرُوا﴾ قيل : احملوا زاداً في السفر .

وقيل : تزودوا للآخرة بالتقوى ، وهو الأرجح ؛ لما بعده .

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ التجارة في أيام الحج، أباحها الله تعالى.

وقرأ ابن عباس: «فضلاً من ربكم في مواسم الحج».

﴿أَفْضُتُمْ﴾ اندفعتم جملةً واحدة.

﴿مِّنْ عَرَفَتٍ﴾ اسمٌ عَلَمٌ للموقف.

والتنوين فيه في مقابلة النون في جمع المذكر، لا تنوين صرفٍ؛ فإن فيه التعريف والتأنيث.

﴿الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ المزدلفة.

والوقوف بها سنة.

﴿كَمَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ الكاف للتعليل.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾ «إن» مخففة من الثقيلة؛ ولذلك جاءت اللام في خبرها.

﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل الهدى.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أمر للْحُمْسِ^(١)؛ وهم قريشٌ ومَن تبعهم، كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرمٌ، ولا يقفون بعرفة مع سائر الناس؛ لأنها حِلٌّ، ويقولون: نحن أهل الحرم؛ فلا نقف إلا بالحرم، فأمرهم الله تعالى أن

(١) الْحُمْس: لقب قريش، ومن ولدت قريشٌ وكنانةً وجديلةً قيس، وهم: فَهْمٌ وَعَدَوَانُ ابنا عمرو بن قيسِ عِيلَانَ، وبنو عامر بن صعصعة، سُمُوا حُمْسًا؛ لِتَحْمُسِهِمْ فِي دِينِهِمْ، أي: تشدّدهم فيه، وكذا في الشجاعة فلا يطاقون، أو لالتجائهم بالْحُمْسَاء، وهي الكعبة؛ لأن حَجَرَهَا أبيضٌ إِلَى السَّوَادِ. انظر: تاج العروس (٥٥٥/١٥).

يقفوا بعرفة مع الناس ويُقيضوا منها .

وقد كان النبي ﷺ قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة ؛ توفيقاً من الله تعالى له .

والقول الثاني : أنها خطابٌ لجميع الناس ؛ ومعناها : أفيضوا من المزدلفة إلى منى .

ف ﴿ثُمَّ﴾ على هذا القول : على بابها من الترتيب .

وأما على القول الأول : فليست للترتيب ، بل للعطف خاصة .

قال الزمخشري : هي كقولك : «أحسن إلى الناس ، ثم لا تحسن إلا إلى كريم» ؛ فإن معناها : التفاوت بين ما قبلها وما بعدها ، وأن ما بعدها أكد^(١) .

﴿فَضَيْتُمْ مَنَاسِكُكُمْ﴾ فرغتم من أعمال الحج .

﴿كَذَرَكُمُ آبَاءُكُمْ﴾ لأن الإنسان كثيراً ما يذكر آباه^(٢) .

وقيل : كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرةً عند الجمرة ، فأمرُوا بذكر الله عوضاً من ذلك .

﴿إِنَّا إِنَّا فِي الدُّنْيَا﴾ كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة ؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة .

﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ قيل : العمل الصالح . وقيل : المال . وقيل : المرأة الصالحة .

(١) الكشف (٣/٣٠٣) .

(٢) في ب ، ج ، هـ : «آباه» .

﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ الجنة .

﴿نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ «مِنْ» :

سبباً ؛ أي : لهم نصيب عند الله ؛ من أجل ما كسبوا من الحسنات .

وَأَنْ تَكُونَ لِبَيَانِ الْجِنْسِ ؛ أي : لهم نصيب من الحسنات التي اكتسبوها ،
والنصيب - على هذا - : الثواب .

﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ :

أحدهما : أَنْ يَرَادَ بِهِ : سُرْعَةُ مُجِيءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَالْآخَرُ : أَنْ يَرَادَ بِهِ : سُرْعَةُ وَقُوعِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَحْتَاجُ
إِلَى عِدَّةٍ وَلَا فِكْرَةٍ .

وَقِيلَ لِعَلِيِّ رضي الله عنه : كَيْفَ يَحَاسِبُ اللَّهُ النَّاسَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ ؟ قَالَ : «كَمَا
يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ» ^(١) .

﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ ثَلَاثَةٌ بَعْدَ يَوْمِ النُّحْرِ ؛ وَهِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ .

وَالذِّكْرُ فِيهَا : التَّكْبِيرُ فِي أَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ ، وَعِنْدَ رَمِي الْجِمَارِ ، وَغَيْرِ
ذَلِكَ .

﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أَي : انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق .

﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ أَي : إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَرَمَى فِيهِ بَقِيَّةَ الْجِمَارِ .

(١) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ مَسْنَدًا .

وأما المتعجل : فقليل : يترك رمي جمار اليوم الثالث . وقيل : يقدّمها في اليوم الثاني .

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في الموضعين :

قيل : إنه إباحةٌ للتعجل والتأخر .

وقيل : إنه إخبارٌ عن غفران الإثم - وهو الذنب - للحاجّ ؛ سواءً تعجل أو تأخر .

﴿لَمَنِ اتَّقَى﴾ أمّا على القول بأن معنى : ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ إباحةٌ ؛ فالمعنى : أن الإباحة في التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما ؛ فقد أبيع له ذلك من غير إثم .

وأما على القول : بأن معنى : ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ إخبار بغفران الذنوب ؛ فالمعنى : أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله في حجه ؛ كقوله ﷺ : «من حج هذا البيت ، فلم يرفث ، ولم يفسق : خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»^(١) .

فاللام متعلّقة : إمّا بالغفران ، أو بالإباحة^(٢) المفهومين من الآية .

﴿مَنْ يُعْجِبْكَ قَوْلُهُ﴾ الآية ؛ قيل : نزلت في الأخنس بن شريق ؛ فإنه أظهر الإسلام ، ثم خرج فقتل دوابّ المسلمين وأحرق لهم زرعاً .

وقيل : في المنافقين .

وقيل : عامة في كل من كان على هذه الصفة .

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٠) ، ومسلم (١٣٥٠) .

(٢) في د : «بالإباحة» .

﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ متعلق بـ ﴿قَوْلُهُ﴾ ؛ أي : يعجبك ما يقول في أمر الدنيا .

ويحتمل أن يتعلق بـ ﴿يُعْجِبُكَ﴾ .

﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ﴾ أي : يقول : الله يعلم إنني لصادق .

﴿أَلَدَّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة .

﴿تَوَلَّى﴾ أدبر بجسده ، أو أعرض بقلبه .

وقيل : صار والياً .

﴿رَبِّهِلِكَ الْحَرْتُ وَالسَّيْلُ﴾ على القول بأنها في الأخنس : فإهلاك

الحرث : حرقه للزرع ، وإهلاك النسل : قتله للدواب .

وعلى القول بالعموم : فالمعنى : مبالغة في الفساد ، وعبر عن ذلك بإهلاك

الحرث والنسل ؛ لأنهما قِوَامُ معيشة بني آدم ، فإن الحرث : هو الزرع

والفواكه وغير ذلك من النبات ، والنسل : هو الإبل والبقر والغنم ، وغير ذلك

مما يتناسل .

﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ المعنى : أنه لا يطيع من أمره بالتقوى ؛ تكبراً

وطغياناً .

والباء يحتمل أن تكون : سببية ، أو بمعنى «مع» .

وقال الزمخشري : هي كقولك : أخذ الأمير الناس بكذا أي : ألزمهم

إياه ؛ فالمعنى : حملته العزة على الإثم ^(١) .

﴿مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ أي: يبيعها.

قيل: نزلت في صهيب. وقيل: على العموم.

وبيع النفس: في الهجرة، أو الجهاد.

وقيل: في تغيير المنكر، وأنَّ الذي قبلها: فيمن غيَّر عليه فلم ينزجر.

﴿السَّلَامِ﴾ بفتح السين:

المسالمة، والمراد بها هنا: عقد الذمة بالجزية.

فالأمر على هذا: لأهل الكتاب، وخطبوا بـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة.

وقيل: هو الإسلام.

وكذلك هو بكسر السين.

فيكون الخطاب لأهل الكتاب؛ على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام.

وقيل: إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظّموا السبب كما كانوا؛ فالمعنى على هذا: ادخلوا في الإسلام، واتركوا سواه^(١).

ويَحتمل: أن يكون الخطاب للمسلمين؛ على معنى: الأمر بالثبوت عليه، أو^(٢) الدخول في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي.

(١) في د: «ما سواه».

(٢) في أ، ب: «و».

﴿كَافَّةٌ﴾ عموم في : المخاطبين ، أو في شرائع الإسلام .

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تهديد لمن زلَّ بعد البيان .

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي : ينتظرون .

﴿يَأْتِيهِمُ اللَّهُ﴾ تأويله عند المتأولين : يأتيهم عذاب الله في الآخرة ، أو أمره في الدنيا .

وهي عند السلف الصالح ومن تبعهم : من المتشابه ؛ فيجب الإيمان بها من غير تكييف .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا تَكُونَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ : ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بِمَعْنَى : يَطْلُبُونَ ذَلِكَ بِجَهْلِهِمْ ؛ كَقَوْلِهِمْ : ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ [البقرة : ١١٨] .

﴿فِي ظُلُلٍ﴾ جمع ظُلَّةٌ ؛ وهو : ما علاك من فوق .

فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِأَمْرِ اللَّهِ : فَلَا إِشْكَالَ .

وَإِنْ كَانَ لِلَّهِ : فَهُوَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ ^(١) .

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قوله : «يأتيهم الله» تأويله عند المتأولين : يأتيهم عذاب الله في الآخرة ، أو أمره في الدنيا . إلخ ، أقول : ذكر في معنى قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهِمُ اللَّهُ﴾ قولين :

الأول : تفسير المتأولين ، بما ذكره من عذاب الله في الآخرة أو أمره في الدنيا ، وهذه طريقة أهل التأويل من نفاة الصفات .

الثاني : أن الآية من المتشابه ، والمتشابه عند المؤلف وأمثاله ما لا يعلم معناه إلا الله ، وزعم ابن جزى أن هذا هو مذهب السلف ومن تبعهم ، ونسبة هذا إلى السلف باطلة ، فهذه الآية وأمثالها من نصوص الصفات عند السلف مفهومة المعنى ، وهم يثبتون =

﴿الْغَمَامِ﴾ السحاب.

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فرغ منه؛ وذلك كناية عن وقوع العذاب.



= ما دلت عليه من الصفات والأفعال، ولكن قول المؤلف: «فيجب الإيمان بها من غير تكييف» كلام حق يشبه ما جاء عن السلف في نصوص الصفات: أمروها كما جاءت من غير كيف. لكن يكون في كلام المؤلف نوع تناقض، فجعلها من المتشابه يقتضي عدم الفهم لمعناها، وقوله: «يجب الإيمان بها من غير تكييف» يقتضي فهمها وإثبات معناها، ففي تقريره لما زعم أنه مذهب السلف اضطراب.

وفي كلامه ﷺ عن الآية اضطراب آخر، فبينما يتعلق الكلام في: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ ينتقل إلى أن يكون متعلقا بقوله: ﴿يَنْظُرُونَ﴾، وذلك في قوله: «ويحتمل أن لا تكون من المتشابه»، ثم يفسر ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بيبطلون. والمعروف في اللغة والتفسير أن ينظرون المتعدي معناه: ينتظرون، كقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾، وفي هذا تهديد للمكذبين، والصواب أن الآية تدل على أن الله يأتي يوم القيامة كيف شاء، كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾. وقول المؤلف: «فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال، وإن كان لله: فهو من المتشابه» لعله يريد إن كانت الظلل شيئا مخلوقا بأمر الله فلا إشكال، وهو كما قال، وإن كانت الظلل صفة لله فهي من المتشابه، ولا موجب لهذا التردد، بل الظلل مخلوقة قطعاً، وهي بأمر الله، ولا يجوز أن تكون من ذات الله أو صفته، فلا موجب لهذا التردد، ومن أحسن ما عبر به عن قوله: (في ظلل) أي: مع ظلل. ففي على هذا بمعنى مع والله أعلم.

[سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢٩﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٣٠﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٣١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ النَّبِإِ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢٣٢﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْآفَرِيقِينَ وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينِ وَآيِنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٣٣﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٤﴾].

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ على وجه التوبيخ لهم، وإقامة الحجة عليهم.

﴿مِنْ آيَةٍ﴾ معجزات موسى، أو الدلالات ^(١) على نبوة محمد ﷺ.

﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ﴾ وعيد.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ كفار قريش سخروا من فقراء المسلمين، كبلال وصهيب.

﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هم المؤمنون الذين سخر الكفار منهم.

﴿فَوْقَهُمْ﴾ أي: أحسن حالاً منهم.

(١) في ب، د: «الدلالة».

ويحتمل فوقية المكان؛ لأنَّ الجنة في السماء.

﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إنَّ أراد في الآخرة: ﴿مَنْ﴾ كناية عن المؤمنين.

والمعنى: ردُّ على الكفار؛ أي: إنَّ رَزَقَ الله الكفار في الدنيا؛ فإنَّ المؤمنين يُرزقون في الآخرة.

وإنَّ أراد في الدنيا: فيحتمل:

أن تكون ﴿مَنْ﴾ كناية عن المؤمنين؛ أي: سيرزقهم، ففيه وعدُّ لهم.
وأن تكون كناية عن الكافرين؛ أي: أنَّ رَزَقَهُم في الدنيا بمشيئة الله،
لا على وجه الكرامة لهم.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إنَّ كان للمؤمنين: فيحتمل أن يريد:

بغير تضيق.

أو من حيث لا يحتسبون.

أو لا يحاسبون عليه.

وإنَّ كان للكفار: فمن غير تضيق.

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: متفقين في الدين:

قيل: كفاراً؛ في زمان نوح عليه السلام.

وقيل: مؤمنون؛ ما بين آدم ونوح، أو من كان مع نوح في السفينة.

وعلى ذلك يقدر: فاختلفوا بعد اتفاقهم؛ ويدلُّ عليه: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩].

﴿الْكِتَابَ﴾ هنا: جنس، أو مع كل نبي كتابه^(١).

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ الضمير المجرور يعود:

على ﴿الْكِتَابَ﴾.

أو على الضمير المجرور المتقدم.

وقال الزمخشري: يعود على «الحق»^(٢).

وأما الضمير في ﴿أُوتُوهُ﴾: فيعود على ﴿الْكِتَابَ﴾.

والمعنى: تقبيحُ الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم
البيانات.

﴿بَغْيًا﴾ أي: حسدًا، أو عدوانًا.

وهو: مفعولٌ من أجله، أو مصدرٌ في موضع الحال.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: أمة محمد ﷺ.

﴿لَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: للحق فيما اختلفوا فيه.

ف«ما» بمعنى: الذي، وقبلها مضاف محذوف.

والضمير في ﴿اَخْتَلَفُوا﴾: لجميع الناس.

يريد: اختلافهم في الأديان، فهدى الله المؤمنين لدين الحق.

(١) في ج، هـ: «كتاب».

(٢) الكشاف (٣/٣٣٩).

وتقدير الكلام: فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق.

و«مِنْ» في قوله: ﴿مِنْ الْحَقِّ﴾ لبيان الجنس؛ أي^(١): جنس ما وقع فيه الخلاف^(٢).

﴿يَا ذِيْنَهُ﴾ قيل: بعلمه. وقيل: بأمره.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين على وجه التشجيع لهم، والأمر بالصبر على الشدائد.

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ أي: لا تدخلون الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب مَنْ كان قبلكم.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ﴾ أي: حالهم، وعبر عنه بالمثل؛ لأنه في شدته يُضْرَبُ به المثل.

﴿وَزُلْزِلُوا﴾ بالتخويف والشدائد.

﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ يحتمل:

أن يكون جواباً للذين قالوا: متى نصر الله؟
أو أن يكون إخباراً مستأنفاً.

وقيل: إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه: متى نصر الله؟
﴿فَلْيَوْلَا الَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ إن أُريدَ بالنفقة الزكاة: فذلك منسوخ.

(١) في ب، ج، هـ: «أعني».

(٢) كذا في د، وهامش أ ورمز له ب«خ»، وفي أ، ب، ج، هـ: «جنس المختلف فيه».

والصواب: أن المراد التطوع؛ فلا نسخ.

وقدّم في الترتيب الأهمّ فالأهم.

وورد السؤال عن المنفق، والجواب عن مَصْرِفِهِ؛ لأنه كان المقصود بالسؤال، وقد حصل الجواب عن المنفق في قوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ إن كان على الأعيان: فنسخه: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، فصار القتال فرض كفاية.

وإن كان على الكفاية: فلا نسخ.

﴿كَرِهٌ﴾ مصدر: كَرِهَ^(١)؛ للمبالغة، أو اسمٌ مفعول؛ كالخبز بمعنى: المخبوز.

﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا﴾ حضٌ على القتال.



(١) كذا في أ، ب، د، وفي هامش أ: «خ: ذكر»، وفي ج، هـ: «مصدر ذكره».

[يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَغْفُورُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَنْفَكُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي نَمَسَ قُلُوبُ إِصْلَاحٍ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا فِيهَا فَأَخُونَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ عَنْ اللَّهِ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾].

﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ جنسٌ، وهي أربعة أشهر: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم.

﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدلٌ من ﴿الشَّهْرِ﴾؛ وهو مقصود السؤال.

﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي: ممنوع؛ ثم نسخه: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وذلك بعيد؛ فإن ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ عمومٌ في الأمكنة، لا في الأزمنة.

ويظهر أن ناسخه: ﴿وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] بعد ذكر الأشهر الحرم؛ فإن^(١) التقدير: قاتلوا فيها؛ ويدل عليه: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

ويحتمل أن يكون المراد: وقوع القتال في الشهر الحرام؛ أي: إباحته حسبما استقر في الشرع؛ فلا تكون الآية منسوخة، بل ناسخة لما كان في أول الإسلام من تحريم القتال في الأشهر الحرم.

﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ابتداءً، وما بعده معطوف عليه، و﴿أكبر عند الله﴾ خبر الجميع.

أي: أن هذه الأفعال القبيحة التي فعلها الكفار أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام الذي عيّر به الكفار المسلمين في سرية عبد الله بن جحش حين قاتل في أول يوم من رجب.

وقد قيل: إنه ظنه آخر يوم من جمادى.

﴿وَالْمَسْجِدِ﴾ عطف على: ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ﴾ قال الزمخشري: «حتى» هنا: للتعليل^(٢).

﴿فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ ذهب مالك إلى أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد؛ سواء رجع إلى الإسلام، أو مات على الارتداد، ومن ذلك: انتقاض وضوئه، وبطلان صومه.

(١) في د: «فكأن».

(٢) الكشف (٣/ ٣٥٠).

وزهب الشافعي إلى أنه لا يحبط إلا إن مات كافراً؛ لقوله: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾.

وأجاب المالكية: بأن قوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾: جزاء على الردة، وقوله: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: جزاء على الموت على الكفر. وفي ذلك نظر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية؛ نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه. ﴿الْخَمْرِ﴾ كل مسكر؛ من العنب وغيره.

﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار. وكان ميسر العرب بالقداح في لحم الجزور. ثم يدخل في ذلك: النرد والشطرنج وغيرهما. وروي: أن السائل عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

﴿إِنَّكُمْ كَبِيرٌ﴾ نص في التحريم وأنها من الكبائر؛ لأن الإثم حرام؛ لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. خلافاً لمن قال: إنما حرمتها آية «المائدة»، لا هذه الآية.

﴿وَمَنْعُ﴾ في الخمر: التلذذ والطرب. وفي القمار: الاكتساب به. ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة؛ قال ابن عباس: المنافع قبل التحريم، والإثم بعده.

﴿وَأِنَّهُمْ أَكْبَرُ﴾ تغليب^(١) للإثم على المنفعة، وذلك -أيضاً- بيان للتحريم.

(١) في ج، هـ: «تغليبا».

﴿قُلِ الْغَفْوُ﴾ أي: السَّهْل من غير مشقَّة.

وقراءة الجماعة: بالنصب، بإضمار فعلٍ؛ مشاكلةً للسؤال؛ (على أن يكون ﴿مَاذَا﴾ مركَّبًا مفعولًا بـ ﴿يُنْفِقُونَ﴾).

وقرأ أبو عمرو: بالرفع بالابتداء؛ مشاكلةً للسؤال؛^(١) على أن يكون «ما» مبتدأ، و«ذا» خبره.

﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٦١) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي: في أمرهما.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ كانوا قد تجنَّبوا اليتامى تورُّعًا؛ فنزلت إباحة^(٢) مخالطتهم بالإصلاح لهم.

فإن قيل: لم جاء ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ بالواو ثلاث مرات، وبغير واو ثلاث مرات قبلها؟

فالجواب: أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأوَّل وقع في أوقات متفرقة؛ فلم تأت^(٣) بحرف عطف، وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو؛ لأنها كانت متناسقة^(٤).

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ تحذيرٌ من الفساد، وهو أكل أموال اليتامى.

﴿لَا غَنْتَكُمْ﴾ لضيقَ عليكم بالمنع من مخالطتهم.

(١) سقط من ب، ج، هـ.

(٢) في د: «فنزلت الآية بإباحة».

(٣) في ب، ج، هـ: «يأت».

(٤) انظر: الكشاف (٣/ ٣٧٤).

ابن عباس: لأهلكم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى^(١).

﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ أي: لا تتزوجوا.

والنكاح: مشترك بين الوطاء والعقد.

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ عبّاد الأوثان من العرب، فلا تتناول اليهود ولا النصارى المباح نكاحهن في «المائدة»، فلا تعارض بين الموضعين، ولا نسخ. خلافاً لمن قال: آية «المائدة» نسخت هذه.

ولمن قال: هذه نسخت آية «المائدة»؛ فمَنع نكاح الكتابيات.

ونزلت الآية بسبب مرثد الغنوي، أراد أن يتزوج امرأة مشركة.

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أي: أمة لله؛ حرة كانت أو مملوكة.

وقيل: أمة مملوكة مؤمنة خير من حرة مشركة.

﴿وَلَوْ أَغَبْتَكُمْ﴾ في الجمال، والمال، وغير ذلك.

﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا تزوجوهم نساءكم.

وانعقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوج مسلمة؛ سواء كان كتابياً أو غيره.

واستدل المالكية على وجوب الولاية في النكاح بقوله: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا

الْمُشْرِكِينَ﴾؛ لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال.

﴿وَلَعَبْدٌ﴾ أي: عبد لله. وقيل: مملوك.

(١) سقط من ب، ج، هـ.

﴿أُولَئِكَ﴾ المشركات والمشركون.

﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ إلى الكفر الموجب للنار.

﴿يَاذُنِهِ﴾ أي: بإرادته، أو علمه.



[وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعَزِّلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شَتْمٌ وَقَدْ مَوُا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولِهِنَّ أَحَقُّ بِرِدْهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ سأل عن ذلك عبّاد بن بشرٍ وأسيد بن الحُضير؛
قالا لرسول الله ﷺ: ألا نجامع النساء في المحيض، خلافاً لليهود؟.

﴿هُوَ أَذَى﴾ مستقذر، وهذا تعليلٌ لتحريم الجماع في المحيض.

﴿فَاعَزِّلُوا النِّسَاءَ﴾ أي: اجتنبوا جماعهنَّ.

وقد فسر ذلك الحديث بقوله: «لتشدَّ عليها إزارها، وشأنك بأعلاها»^(١).

﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ أي: ينقطع عنهنَّ الدم.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن بالماء.

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٩).

وتعلّق الحكمُ :

بالغاية الأخيرة عند مالك والشافعي ؛ فلا يجوز عندهما وطء الحائض حتى تغتسل .

وبالغاية الأولى عند أبي حنيفة ؛ فأجاز الوطء عند انقطاع الدم ، وقبل الغُسل .

وقرئ : ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ : بالتشديد ، ومعنى هذه القراءة : بالماء ؛ فتكون الغايتان ^(١) بمعنى واحد ، وذلك حجة لمالك .

﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ ﴾ قبل المرأة .

﴿ التَّوْبَيْنِ ﴾ من الذُّنوب .

﴿ الْمَطْهَرِينَ ﴾ بالماء ، أو من الذُّنوب .

﴿ حَرْتُ لَكُمْ ﴾ أي : موضعُ حرثٍ ؛ وذلك تشبيه للجماع في إلقاء النطفة وانتظار الولد : بالحرث في إلقاء البذر وانتظار الزرع .

﴿ أَنْتُمْ شِئْتُمْ ﴾ أي : كيف شِئْتُمْ من الهيئات ، أو متى شِئْتُمْ .

لا : أين شِئْتُمْ ؛ لأنه يُوهِم الإتيان في الدبر ، وقد افترى مَنْ نسب جوازه إلى مالك ، وقد تبرأ هو من ذلك وقال : إنما الحرث في موضع الزرع .

﴿ وَقَدِمُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي : الأعمال الصالحة ^(٢) .

(١) في ج ، هـ : « الغاية » .

(٢) في ب ، د : « الصالحات » .

﴿عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ أي: لا تكثروا الحلف بالله فتبتذلوا اسمه.

و﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ على هذا: علة للنهي؛ فهو مفعولٌ من أجله، أي: نهيتهم^(١) عن كثرة الحلف كي تبرؤوا.

وقيل: المعنى: لا تحلفوا على أن تبرؤوا وتتقوا، وافعلوا البر والتقوى دون يمين.

ف﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ على هذا: هو المحلوف عليه.

والعُرْضَةُ على هذين القولين كقولك: «فلان عرضة لفلان»: إذا أكثر التعرض له.

وقيل: ﴿عُرْضَةً﴾ مانع؛ من قولك: «عرض له أمر»: حال بينه وبين كذا.

أي: لا تمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوى، ومن ذلك يمين أبي بكر الصديق أن لا ينفق على مسطح.

ف﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ على هذا: علة لامتناعهم؛ فهو مفعولٌ من أجله، أو مفعولٌ بـ ﴿عُرْضَةً﴾؛ لأنها بمعنى مانع.

﴿بِاللَّعْنِ﴾ الساقط.

وهو عند مالك: قولك^(٢): «نعم والله»، و«لا والله»، الجاري على اللسان من غير قصد، وفاقاً للشافعي.

(١) في د: «نهيتكم».

(٢) في ب، د: «كقولك».

وقيل : أن يحلف على الشيء يظنُّه على ما حلف عليه ، ثم يظهر خلافه ،
وفاقاً لأبي حنيفة .

وقال ابن عباس : اللغو : الحلف حين الغضب .

وقيل : اللغو : اليمين على المعصية .

والمؤاخذه : العقاب ، أو وجوب الكفارة .

﴿مَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي : قصدت ؛ فهو خلاف اللغو .

وقال ابن عباس : هو اليمين الغموس ؛ وذلك أن يحلف على الكذب
متعمداً . وهو حرام إجماعاً .

وليس فيه كفارة عند مالك ، خلافاً للشافعي .

﴿يُؤْلَوْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ يحلفون على ترك وطئهن .

وإنما تعدى بـ ﴿مِنْ﴾ ؛ لأنه تضمن معنى البعد منهن .

ويدخل في عموم قوله : ﴿لِلَّذِينَ﴾ : كل حالف ؛ حرّاً كان أو عبداً .

إلا أن مالكاً جعل مدة إيلاء العبد شهرين ، خلافاً للشافعي .

ويدخل في إطلاق الإيلاء : اليمين بكل ما يلزم عنه حكم ، خلافاً للشافعي
في قصره الإيلاء على الحلف بالله ؛ ووجهه : أنها اليمين الشرعية .

ولا يكون مؤلّياً - عند مالك والشافعي - إلا إذا حلف على مدّة أكثر من
أربعة أشهر .

وعند أبي حنيفة : أربعة أشهر فصاعداً .

فإذا انقضت الأربعة الأشهر:

وُقِفَ المؤلى^(١) عند مالك والشافعي، فإمّا فاء، وإلا طَلَّقَ.

فإن أبى: طَلَّقَ عليه الحاكم.

وقال أبو حنيفة: إذا انقضت الأربعة الأشهر: وقع الطلاق دون توقيف.

ولفظ الآية يحتمل القولين.

﴿فَإِنْ فَاءٌ﴾ رجعوا إلى الوطاء، وكفّروا عن اليمين.

﴿عَفْوَرٌ رَجِيمٌ﴾ أي: يغفر ما في الإيلاء من الإضرار بالمرأة.

﴿عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ العزيمة:

على قول مالك: التطليق، أو الإبابة؛ فيطَلِّقُ عليه الحاكم.

وعند أبي حنيفة: ترك الفيء حتى تنقضي الأربعة الأشهر.

والطلاق في الإيلاء:

رجعي عند مالك.

بائن عند الشافعي وأبي حنيفة.

﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَرْبِضَنَّ﴾ بيان للعدة، وهو عمومٌ مخصوص؛ خرجت منه:

الحامل بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

واليائسة والصغيرة بقوله: ﴿وَالَّتِي يُسِّنْ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ [الطلاق: ٤] الآية.

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.

والتي لم يُدخَل بها بقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

فيبقى حكمها: في المدخول بها، وهي في سنٍّ من تحيض.

وقد خصَّ مالك منها: الأمة؛ فجعل عدتها قرأين.

و﴿يَتَّبِعْنَ﴾ خبرٌ بمعنى الأمر.

﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ انتصب ﴿ثَلَاثَةَ﴾ على أنه مفعولٌ به؛ هكذا قال الزمخشري^(١).

و﴿قُرُوءٍ﴾: جمع قرء؛ وهو مشترك - في اللغة - بين الطهر والحيض.

فحملة مالك والشافعي على الطهر؛ لإثبات التاء في ﴿ثَلَاثَةَ﴾، فإن الطهر مذكّر، والحيض مؤنث، ولقول عائشة: الأقرأ هي الأطهار.

وحمله أبو حنيفة على الحيض؛ لأنه الدليل على براءة الرحم، وذلك مقصود العدة.

فعلى قول مالك: تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة، إذا طلقها في طهر لم يمسه فيها.

وعند أبي حنيفة: بالطهر منها.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ يعني: الحمل والحيض.

﴿وَيُعُولَهُنَّ﴾ جمع بعل؛ وهو هنا الزوج.

﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي: في زمان العدة.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ من الاستمتاع، وحسن المعاشرة.
﴿دَرَجَةً﴾ في الكرامة. وقيل: الإنفاق. وقيل: كونُ الطلاق بيده.



[﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيعُ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا أَجَلَهُنَّ فَأَنْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَتِ اللَّهِ هُزُوًا وَآذَكُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرْضَوْنَ بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمُ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾].

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ﴾ بيان لعدد الطلاق الذي يُرتجع منه دون زوج آخر.

وقيل: بيان لعدد الطلاق الذي يجوز إيقاعه، وهو طلاق السُّنَّة.

﴿فَإِمْسَاكُ﴾ ارتجاع. وهو مرفوع: بالابتداء، أو بالخبر.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ حُسنِ المعاشرة، وتوفية الحقوق.

﴿أَوْ تَسْرِيعُ﴾ هو تركها حتى تنقضي العدة، فتبين منه.

﴿بِإِحْسَنٍ﴾ المتعة.

وقيل: التسريح هنا: الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، وروي في ذلك حديث

ضعيف^(١).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ١٣٠).

وهو بعيد؛ لأنَّ قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ هو الطلقة الثالثة، وعلى ذلك يكون تكرارًا، أو طلقةً رابعة لا معنى لها.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا﴾ الآية؛ نزلت بسبب ثابت بن قيس، اشتكت به امرأته إلى رسول الله ﷺ فقال لها: «أتردّين عليه حديقته؟» قالت: نعم، فدعاه فطلّقها على ذلك^(١).

وحكمها على العموم.

وهي خطاب للأزواج في حكم الفدية؛ وهي الخلع. وظهرها أنه: لا يجوز الخلع إلّا إذا خاف الزوجان إلّا يقيما حدود الله، وذلك إذا ساء ما بينهما وقُبِحت معاشرتهم.

ثم إن المخالعة على أربعة أحوال:

الأول: أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة:

فأجازها مالك وغيره؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ الآية [النساء: ٤].

ومنعها قوم؛ لقوله في هذه الآية: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

والثاني: أن يكون الضرر منهما جميعًا:

فمنعه مالك في المشهور؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ﴾ [النساء: ١٩].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/١٣٩).

وأجازه الشافعي؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

الثالث: أن يكون الضرر من الزوجة خاصة:

فأجازه الجمهور؛ لظاهر هذه الآية.

والرابع: أن يكون الضرر من الزوج خاصة:

فمنعه الجمهور؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾
الآية [النساء: ٢٠].

وقد منع بعضهم الخلع مطلقاً؛ لقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآية.

وأجازه أبو حنيفة مطلقاً، وقوله في ذلك مخالف للكتاب والسنة.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاب للحكام والمتوسطين في هذا الأمر.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله:
﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾.

﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ أجمعت الأمة على أن النكاح هنا هو العقد، مع
الدخول والوطء؛ لقوله ﷺ للمطلقة ثلاثاً حين أرادت الرجوع إلى مطلقها
قبل أن يمسه الزوج الآخر: «لا؛ حتى تذوقي عُسَيْلَتَهُ ويذوقَ عَسِيلَتِكَ»^(١).

وروي عن سعيد بن المسيب أن العقد يُحلُّها دون وطءٍ، وهو قول
مرفوض؛ لمخالفته للحديث، وخرقه للإجماع.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣).

وإنما يُحِلُّ^(١) عند مالك إذا كان :

النكاح صحيحًا لا شبهة فيه .

والوطء مباحًا في غير حيض ، ولا إحرام ، ولا اعتكاف ، ولا صيام ،
خلافًا لابن الماجشون في الوطء غير المباح .

وأما نكاح المحلل : فحرام ، ولا يُحِلُّ الزوجة لزوجها عند مالك ، خلافًا
لأبي حنيفة .

والمعتبر في ذلك : نية المحلل ، لا نية المرأة ، ولا المحلل له .

وقال قوم : من نوى التحليل منهم أفسد .

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ يعني : هذا الزوج الثاني .

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي : على الزوجة والزوج الأول .

﴿أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي : أوامره فيما يجب من حقوق الزوجية .

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية ؛ خطابٌ للأزواج .

وهو نهى عن أن يطول الرجل العدة على المرأة ؛ مضارةً منه لها ، بأن
يرتجع قرب انقضاء العدة ، ثم يطلق بعد ذلك .

ومعنى : ﴿فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ في هذا الموضع : قاربن انقضاء العدة ، وليس
المراد : انقضاؤها ؛ لأنه ليس بيده إمساكٌ حينئذٍ .

ومعنى ﴿فَأَنْسِكُوهُنَّ﴾ : راجعوهن .

(١) في د : «تحل» .

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ هنا : قيل : هو الإشهاد . وقيل : النفقة .

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية ؛ هذه الأخرى خطابٌ للأولياء .

وبلوغ الأجل هنا : انقضاء العدة .

﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي : لا تمنعهنَّ .

﴿أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي : يراجعن الأزواج الذين طلقوهنَّ .

قال السهيلي : نزلت في معقل بن يسار ، كان له أخت ، فطلقها زوجها ثم أراد مراجعتها وأرادت هي مراجعته ، فمنعها أخوها^(١) .

وقيل : نزلت في جابر بن عبد الله ؛ وذلك أنَّ رجلاً طلق أخته وتركها حتى تمتَّ عدتها ، ثم أراد ارتجاعها ، فمنعها جابر وقال : تركتها وأنت أملكُ بها ، لا زوّجتها أبداً ، فنزلت الآية .

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا : الصداق . وقيل : الإشهاد .

وهذه الآية تقتضي ثبوت حقّ الولي في إنكاح وليته ، خلافاً لأبي حنيفة .

﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ ، أو لكلِّ أحد على حدّته ؛ ولذلك وُحِّد ضمير الخطاب .

﴿ذَلِكَ أَرْكَى﴾ خطابٌ للمؤمنين ، والإشارة إلى ترك العَضَل .

ومعنى ﴿أَرْكَى﴾ : أطيبُ للنفس .

ومعنى ﴿وَأَظْهَرُ﴾ : للدين والعرض .

(١) انظر : التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ، للسهيلي ، تحقيق : النقراط ، ص : ٦٩ .

[﴿ وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لِهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِعِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَانْقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٣٦﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٣٧﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَكُمْ سَتَذْكُرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٣٨﴾] .

﴿ وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ ﴾ خبر بمعنى الأمر .

★ وتقتضي الآية حكمين :

★ الأول : مَنْ يُرْضِعُ الْوَلَدَ :

مذهب^(١) مالك : أن المرأة يجب عليها رضاع ولدها ما دامت في عصمة والده ، إلا أن تكون شريفة لا يُرضع مثلها ، فلا يلزمها ذلك .

وإن كان والده قد مات وليس للولد^(٢) مال :

لزمها إرضاعه في المشهور .

(١) في د : « فمذهب » .

(٢) في د : « للابن » وكذا في هامش أ ورمز لها بـ « خ » .

وقيل : أجرة رضاعه على بيت المال .

وإن كانت مطلقةً بائناً^(١) : لم يلزمها رضاعه ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ٦] ، إِلَّا أَنْ تَشَاءَ هِيَ ؛ فهي أحقُّ به بأجرة المثل .

وإن^(٢) لم يقبل غيرها : وجب^(٣) عليها إرضاعه .

ومذهب الشافعي وأبي حنيفة : أنها لا يلزمها إرضاعه أصلاً ، والأمر في هذه الآية عندهما على الندب .

وقال أبو ثور : يلزمها على الإطلاق ؛ لظاهر الآية ، فحملها على الوجوب .

وأما مالك : فحملها في موضع على الوجوب ، وفي موضع على الندب ، وفي موضع على التخيير ، حسبما ذكرنا^(٤) من التقسيم في المذهب .

★ الحكم الثاني : مدّة الرّضاع :

وقد ذكرها في قوله : ﴿ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ وإنما وصفهما بكاملين ؛ لأنه يجوز أن يقال في حولٍ وبعضٍ آخر : حولان ، فرفع ذلك الاحتمال .
وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى : ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ .

(١) في د : « طَلَقَةٌ بَائِنَةٌ » .

(٢) في ب ، ج ، هـ : « فَإِنْ » .

(٣) في ب ، ج ، هـ : « فيجب » .

(٤) في ب ، ج ، هـ : « ذكرُوا » .

واشترط أن يكون الفطام عن تراضي الأبوين بقوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ الآية.

فإن لم يكن على الولد ضررٌ في الفطام فلا جناح عليهما.

ومن دعا منهما إلى تمام الحولين: فذلك له.

وأما بعد الحولين: فمن دعا منهما إلى الفطام فذلك له.

وقال ابن عباس: إنما يرضع حولين من مكث في البطن ستة أشهر، فمن مكث سبعة فرضاعه: ثلاثة وعشرون شهراً، وإن مكث تسعة فرضاعه: أحدٌ وعشرون؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُمْ وَفِصَالُهُمْ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الاحقاف: ١٥].

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ في هذه النفقة والكسوة قولان:

أحدهما: أنها أجرة رضاع الولد، أوجبها الله للأم على الوالد، وهو قول الزمخشري^(١) وابن العربي^(٢).

والثاني: أنها نفقة الزوجات على الإطلاق، قال منذر بن سعيد البلوطي: هذه الآية نصٌ في وجوب نفقة الرجل على زوجته، وعلى هذا حملها ابن القرس^(٣).

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا: أي: على قدر حال الزوج في ماله، والزوجة في منصبها، وقد بين ذلك بقوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

(١) انظر: الكشاف (٤١٦/٣).

(٢) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٢٠٣/١).

(٣) انظر: أحكام القرآن، لابن القرس (٣٤٠/١).

﴿لَا تُضَآرَّ وِلَدُهُۥٓ يَوْلَدُهَا﴾ قرئ:

بفتح الراء - لالتقاء الساكنين - ؛ على النهي .

وبرفعهما ؛ على الخبر ، ومعناه النهي .

ويَحْتَمِلُ على كل واحد من الوجهين :

أن يكون الفعل مسندًا إلى الفاعل ؛ ، فيكون ما قبل الآخر مكسورًا قبل الإدغام .

أو يكون مسندًا إلى المفعول ، فيكون مفتوحًا .

والمعنى على الوجهين : النهي عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد .

ويدخل في عموم النهي : وجوه الضرر كلها .

والباء في قوله ﴿يَوْلَدُهَا﴾ و﴿يَوْلَدُهُۥ﴾ : سببية .

والمراد بقوله : ﴿مَوْلُودٌ لَّهُ﴾ : الوالد ، وإنما ذكره بهذا اللفظ ؛ إعلامًا بأن الولد يُنسَبُ له ، لا للأم .

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ اختلف في الوارث :

ف قيل : وارث المولود له .

وقيل : وارث الصبي لو مات .

وقيل : هو الصبي نفسه .

وقيل : مَنْ بَقِيَ مِنْ أبويه .

واختلف في المراد بقوله: ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾:

فقال مالك وأصحابه: عدم المضاربة، وذلك يجري مع كل قول في الوارث؛ لأن ترك الضرر واجب على كل أحد.

وقيل: المراد: أجره الرضاع في النفقة والكسوة، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث:

فأما على القول بأن الوارث هو الصبي: فلا إشكال؛ لأن أجره رضاعه في ماله.

وأما على سائر الأقوال:

فقيل: إن الآية منسوخة؛ فلا تجب أجره الرضاع على أحد غير الوالد.

وقيل: إنها مُحْكَمَةٌ؛ فتجب أجره الرضاع على وارث الصبي لو مات، أو على وارث الوالد، وهو قول قتادة والحسن البصري.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَسْتَرْضِعُوَكُمْ﴾ إباحة لاتخاذ الطّئر.

﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً أَيْنَيْتُمْ﴾ أي: دفعتم أجره الرضاع.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾

الآية؛ عموم في كل متوفى عنها؛ سواء توفي زوجها قبل الدخول أو بعده.

إلا الحامل؛ فعِدَّتُها وضِعُّ حملها؛ سواء وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها عند مالك والشافعي وجمهور العلماء.

وقال علي بن أبي طالب: عدَّتُها أبعْدُ الأجلين.

وخصَّ مالك من ذلك: الأمة؛ فعِدَّتُها في الوفاة: شهران وخمسة ليالٍ.

﴿يَرْبِضَنَّ﴾ معناه: عن التزوُّج.

وقيل: وعن^(١) الزَّيْنَةُ؛ فيكون أمراً بالإحْدَاد.

وإعراب ﴿وَالَّذِينَ﴾: مبتدأ، وخبره: ﴿يَرْبِضَنَّ﴾ على تقدير: أزواجهم يتربضنَّ.

وقيل: التقدير: وأزواج الذين يتوفون منكم يتربضن.

وقال الكوفيون: الخبرُ عن ﴿وَالَّذِينَ﴾ متروكٌ، والقصد: الإخبار عن أزواجهم.

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزوج والزينة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢) هنا: إذا كان غير منكر.

وقيل: معناه الإِشْهَاد.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ﴾ الآية؛ إباحةٌ للتعريض بخِطْبَةِ المرأةِ المَعْتَدَةِ.

ويقتضي ذلك: النهي عن التَّصْرِيحِ.

ثم أباح ما يُضْمَرُ في النفس بقوله: ﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾.

﴿سَتَذْكُرُوهُنَّ﴾ أي: تذكروهنَّ^(٣) في نفوسكم، وبألسنتكم لمن يَخِفُّ عليكم.

(١) في د: «عن» بلا واو.

(٢) في ب، د، هـ: «فالمعروف».

(٣) في ب، ج، هـ: «تذكروهنَّ».

وقيل : أي ستخطبونهنَّ إن لم تُنْهَوْا^(١) عن ذلك .

﴿لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي : لا تواعدوهنَّ في العِدَّة خُفِيَّةً بأن تزوجوهنَّ بعد العدة .

وقال مالك فيمن يَعِدُ^(٢) في العِدَّة ثم يتزوج بعدها : فراقها أحب إليَّ ، ثم يكون خاطبًا من الحُطَّاب .

وقال ابن القاسم : يجب فراقها .

﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ استثناء منقطع .

والقول المعروف : هو ما أُبِيح من التَّعْرِيض ؛ كقوله : «إنكم لأَكْفَاءُ كرام» ، وقوله : «إن الله سيفعل معك خيرًا» ، وشبه ذلك .

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ الآية ؛ نهْيٌ عن عقد النكاح قبل تمام العِدَّة .

﴿وَالْكِتَابُ﴾ هنا : القدر الذي شُرِع من المدة .

وَمَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً فِي عِدَّتِهَا فَرَّقَ بَيْنَهُمَا اتِّفَاقًا .

فإن دخل بها حرِّمَتْ عليه على التَّأْيِيد عند مالك ، خلافًا للشافعي وأبي حنيفة .

واختُلف عن مالك في تأييد التحريم إذا لم يدخل بها ، أو إذا دخل ولم يَطَّأها .

(١) في ج ، د : «تنتهوا» .

(٢) في د : «يواعد» .

[لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزِّكَاجِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَآلًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجَ فَلَآ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلَمَّا طَلَقْتُمْ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾] .

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية؛ قيل: إنها إباحة للطلاق قبل الدخول.

لَمَّا نُهِيَ عَنِ التَزْوُجِ بِمَعْنَى الذَّوْقِ، وَأُمِرَ بِالتَزْوُجِ طَلَبَ الْعَصْمَةِ وَدَوَامِ الصَّحْبَةِ: ظَنَّ قَوْمٌ أَنَّ مَنْ طَلَّقَ قَبْلَ الْبِنَاءِ وَقَعَ فِي الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ رَافِعَةً لِلْجُنَاحِ فِي ذَلِكَ.

وقيل: إنها في بيان ما يلزم من الصَّدَاقِ وَالْمُتْعَةِ فِي الطَّلَاقِ قَبْلَ الدَّخُولِ. وذلك أَنَّ مَنْ طَلَّقَ قَبْلَ الدَّخُولِ:

فَإِنْ كَانَ لَمْ يَقْرِضْ لَهَا صَدَاقًا - وَذَلِكَ فِي نِكَاحِ التَّقْوِيضِ - : فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّدَاقِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية، فَالْمَعْنَى: لَا طَلَبَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّدَاقِ.

ويؤمر بالمتعة ؛ لقوله تعالى : ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ .

وإن كان قد فرض لها : فعليه نصف الصداق ؛ لقوله تعالى : ﴿فَنَصَفَ مَا فَرَضْتُمْ﴾ .

ولا مُتعة عليه ؛ لأن المتعة إنما ذُكرت لمن لم يفرض لها ؛ فقوله : ﴿أَوْ تَفَرِّضُوا﴾ «أو» فيه بمعنى الواو .

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أي : أحسنوا إليهن ، وأعطوهن شيئاً عند الطلاق .

والأمر بالمتعة مندوبٌ عند مالك ، واجبٌ عند الشافعي .

﴿عَلَى الْوُسْعِ قَدْرُهُ﴾ أي : يُمتَّع كلٌ واحد على قدر ما يجد .

و﴿الْوُسْعِ﴾ : الغني ، و﴿الْمُقْتَرِ﴾ : الضيق الحال .

وقرئ بإسكان دال ﴿قَدْرُهُ﴾ وفتحها ؛ وهما بمعنى .

و﴿يَا لَمَعْرُوفٍ﴾ هنا : أي : لا حَمْلَ فيه ، ولا تَكْلُفَ على أحد الجانبين .

﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ تعلق الشافعي في وجوب المتعة بقوله : ﴿حَقًّا﴾ .

وتعلق مالك في الندب بقوله : ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ ؛ لأن الإحسان تطوعٌ بما لا يلزم .

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ الآية ؛ بيان أن المطلقة قبل الدخول

لها نصف الصداق إذا كان قد فرض لها صداقٌ مسمًى ، بخلاف نكاح التفويض .

﴿إِلَّا أَنْ يَعْقُوبَ﴾ النون فيه : نون جماعة النسوة ؛ يريد : المطلقات .

والعفو هنا : بمعنى الإسقاط .

أي : للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق ، إلا أن يُسَقِطَنَّه ، وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها .

﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ قال ابن عباس ومالك وغيرهما : هو الولي الذي تكون المرأة في حجره ، كالأب في ابنته المحجورة ، والسيد في أمته ، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجب له بالطلاق قبل الدخول . وأجاز شريح إسقاط غير الأب من الأولياء .

وقال علي بن أبي طالب والشافعي : ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ هو الزوج .

وعفوه : أن يعطي النصف الذي سقط عنه من الصداق . ولا يجوز عندهم أن يسقط الأب النصف الواجب لبنته . وحجة مالك : أن قوله : ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ في الحال ؛ والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقد نكاح .

وحجة الشافعي : قوله تعالى : ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذي لا يلزمه فذلك فضل ، وأما إسقاط الأب لحق ابنته فليس فيه تقوى ؛ لأنه إسقاط^(١) حق الغير .

﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ قيل : إنه يعني إسقاط المرأة نصف صداقها ، أو دفع الرجل النصف الساقط عنه .

(١) في ج ، د : «أسقط» .

واللفظ أعمُّ من ذلك .

﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ جَرَّد ذكرها بعد دخولها في ﴿الصَّلَاةِ﴾ ؛ اعتناءً بها .

وهي :

الصبح عند مالك وأهل المدينة .

والعصر عند عليّ بن أبي طالب ؛ لقوله ﷺ : «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»^(١) .

وقيل : هي الظهر .

وقيل : المغرب .

وقيل : العشاء الآخرة .

وقيل : الجمعة .

وسُمِّيت وسطى :

لتوسطها في عدد الركعات ، على القول بأنها المغرب ؛ لأنها بين الركعتين والأربع .

أو لتوسط وقتها :

على القول بأنها الصبح ؛ لأنها متوسطة بين الليل والنهار .

وعلى القول بأنها الظهر أو الجمعة ؛ لأنها في وسط النهار .

(١) أخرجه مسلم (٦٢٨) .

أو لفضلِها ؛ من الوسط ؛ وهو الخيار ، وعلى هذا يجري اختلاف الأقوال فيها .

﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ ﴾ معناه : في صلاتكم .

﴿ قَنِتَيْنِ ﴾ هنا : ساكتين ؛ وكانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت .

قاله ابن مسعود ، وزيد بن أرقم .

وقيل : خاشعين .

وقيل هنا : طول القيام .

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ من عدو ، أو سَبْعٍ ، أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس .

﴿ فِرَاجًا ﴾ جمع راجل ؛ أي : على رجله .

﴿ أَوْ رُكْبَانًا ﴾ جمع راكب .

أي : صلوا كيفما كنتم من ركوب أو غيره ، وذلك في صلاة المُسَايَفة .

ولا يُنْقَص فيها من ركعتين في السفر ، وأربع في الحضر عند مالك .

﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ الآية ؛ قيل : المعنى : إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التي عَلِمْتُمُوهَا ؛ وهي التامة .

وقيل : إذا أمنتُم فاذكروا الله كما علّمكم هذه الصلاة التي تُجْزئكم في حال الخوف .

فالذكر :

على القول الأوّل : بمعنى الصلاة .

وعلى الثاني: بمعنى الشكر.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ هذه الآية منسوخة.

ومعناها: أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم في منزله سنة، ويُنفق عليها من ماله، وذلك وصية لها.

ثم نُسخ إقامتها سنة: بالأربعة الأشهر والعشر.

ونُسخت النفقة: بالربع أو الثمن الذي لها في الميراث؛ حسبما ذكر في سورة «النساء».

وإعراب ﴿وَصِيَّةً﴾: مبتدأ، وخبره:

﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾.

أو مضمّر تقديره: فعليهم وصية.

وقرئت بالنصب: على المصدر؛ تقديره: ليوصوا وصية.

و﴿مَتَّعًا﴾: نُصِبَ على المصدر.

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي: ليس لأولياء الميت إخراج المرأة.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ معناه: إذا كان الخروج من قبل المرأة فلا جناح على أحد

فيما فعلت في نفسها من تزوّج وزينة.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ﴾ عامٌ في إمتاع كلّ مطلّقة؛ وبعمومه أخذ أبو ثور.

واستثنى الجمهور: المطلقة قبل الدخول، وقد فُرض لها؛ بالآية المتقدمة.

واستثنى مالك: المختلعة والملاينة.

﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ يدلُّ على وجوب المتعة؛ وهي الإحسان للمطلقات؛ لأن التقوى واجبة.

ولذلك قال بعضهم: نزلت مؤكدة للمتعة؛ لأنه نزل قبلها: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، فقال رجل: فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع، فنزلت: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.



[﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَخْيَبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٢٦﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٧﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْضِي وَبِطَضٍّ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٢٩﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٠﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾].

﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ وهم قوم من بني إسرائيل، أمروا بالجهاد

فخافوا الموت بالقتال، فخرجوا من ديارهم فرارًا من ذلك، فأماتهم الله؛ ليعرفهم أنهم لا ينجيهم من الموت شيء.

وقيل: بل فرؤا من الطاعون.

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ جمع ألف؛ قيل: ثمانون ألفًا. وقيل: ثلاثون ألفًا. وقيل:

ثمانية آلاف.

وقيل: هو من الألفة؛ وهذا ضعيف.

﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ عبارة عن إماتتهم.

وقيل: إن ملكين صاحبا بهم: «موتوا!»، فماتوا.

﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ليستوفوا آجالهم.

﴿وَقَتَّلُوا﴾ خطاب لهذه الأمة.

وقيل: للذين أماتهم الله ثم أحياهم.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ استفهام يراد به: الطلب، والحض على الإنفاق.

وذكر لفظ القرض؛ تقريباً للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب، كما ينتظر المسلف ردَّ ما أسلف.

وروي: أن الآية نزلت في أبي الدحداح حين تصدَّق بحائط لم يكن له غيره.

﴿قَرَضًا حَسَنًا﴾ أي: خالصاً طيباً من حلال، من غير من ولا أذى.

﴿فِيضْعْفَهُ﴾ قرئ:

بالتشديد والتخفيف.

وبالرفع: على الاستئناف، أو عطفاً على ﴿يُقْرِضُ﴾.

وبالنصب: في جواب الاستفهام.

﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ عشرة فما فوقها إلى سبع مئة.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْصُطُ﴾ إخبار يراد به: الترغيب في الإنفاق.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَايِكَةِ رُؤْيَا قَلْبٍ، وَكَانُوا قَوْمًا نَالَتْهُمْ الذَّلَّةُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، فَطَلَبُوا الْإِذْنَ فِي الْقِتَالِ، فَلَمَّا أُمِرُوا بِهِ كَرَهُوه.﴾

﴿لِنَبِيِّ لَهُمْ﴾ قيل: اسمه شَمُوِيل^(١). وقيل: شَمْعُون.

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: قاربتم، وأراد النبي المذكور أن يتوثق منهم.

ويجوز في السين من ﴿عَسَيْتُمْ﴾: الكسر، والفتح؛ وهو أفصح ولذلك انفرد نافع بالكسر.

وأما إذ لم يتصل بـ «عسى» ضمير: فلا يجوز فيها إلا الفتح.

﴿طَالُوتَ مَلَكًا﴾ قال وهب بن مُنَبِّه: أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل فشئ الدهن^(٢) الذي في القرن^(٣): فهو مَلِكُهُمْ.

وقال السُّدِّيُّ: أرسل الله إلى نبيهم عصا، وقال له: إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم؛ فكان ذلك طالوت.

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ روي أنه كان دَبَّاعًا، ولم يكن من بيت المُلْك.

والواو في قوله: ﴿وَنَحْنُ﴾ واو الحال.

(١) في أ، ب، د: «سمويل».

(٢) نش الماء والدهن وغيرهما يَنْشُ نَشًا وَنَشِيئًا: صَوَّتَ عند الغليان. انظر: لسان العرب (٢٤٤/٨).

(٣) قال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ (٣٠٧/٥): «القرن: قرن الثور وغيره، وكأنه أراد هنا: القنينة التي يكون فيها الدهن والطيب، وكأنهم كانوا يتخذونها من قرون البقر وغيرها، وقد سموا المحجمة التي يحتجم بها «قرنا» ولم أجد هذا الحرف بهذا المعنى في كتب اللغة، ولكنه صحيح كما رأيت».

والواو في قوله: ﴿وَلَمْ يُوْتِ﴾ : لعطف الجملة على الأخرى .

﴿بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ : كان عالماً بالعلوم ، وقيل : بالحروب .

وكان أطول رجل^(١) يصل إلى منكبيه .

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ : ردُّ عليهم في اعتقادهم أن الملك يُستحقُّ بالبيت أو المال .

﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ : كان هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع ، فجعله يوشع في البرية ، فبعث الله ملائكة حملته حتى جعلته^(٢) في دار طالوت .

وفيه قصص كثير غير ثابت .

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ : قيل : ريح لها رأسٌ ووجه كوجه الإنسان .

وقيل : طستٌ من ذهب تُغسل فيه قلوبُ الأنبياء .

وقيل : رحمة .

وقيل : وقار .

﴿وَقِيَّةٌ﴾ : ابنُ عباس : هي عصا موسى ورُضاض الألواح^(٣) .

وقيل : العصا والتعلان .

(١) في د: «الناس» .

(٢) في ج ، د ، هـ : «جعلوه» .

(٣) رُضاض الشيء : كُسارُه أي : ما تكسَّر منه ، وقطعه ، وفُتاتُه ، ورض الشيء رَضًا : كسره فصار قطعًا . انظر : لسان العرب (١٤ / ٩) .

وقيل: ألواح من التوراة.

﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ﴾ يعني: أقاربهما.

وقال الزمخشري: يعني الأنبياء من بني إسرائيل^(١).

ويحتمل أن يريد موسى وهارون، وأقحم الآل.



(١) الكشاف (٣/٤٦٤).

[﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ فَلَمَّا شَرِبَ فِتْنَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبِّنَا آفِرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَأْذِنُ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾].

﴿فَصَلَ طَالُوتُ﴾ أي: خرج من موضعه إلى الجهاد.

﴿بِنَهَرٍ﴾ قيل: هو نهر فلسطين.

﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ الآية؛ اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب.

﴿إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ رخص لهم في الغرفة باليد.

وقرئ: بفتح الغين؛ وهو المصدر، وبضمها؛ وهو الاسم.

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قيل: كانوا ثمانين ألفاً، فشربوا منه كلهم

إلا ثلاث مئة وبضعة عشر، عدد أصحاب بدر، فأما من شرب فاشتد عليه

العطش، وأما من لم يشرب فلم يعطش.

﴿يَجَالُوتَ وَجُنُودُهُ﴾ كان كافراً عدواً لهم، وهو ملك العمالقة.

ويقال: إن البربر من ذريته.

﴿يُظَنُّونَ﴾ أي: يوقنون؛ وهم أهل البصائر من أصحابه.

﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ كان داود في جند طالوت، فقتل جالوت، فأعطاه الله ملك بني إسرائيل.

وفي ذلك قصص كثير غير صحيح.

﴿وَالْحِكْمَةُ﴾ هنا: النبوة، أو الزبور.

﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ صنعة الدروع، ومنطق الطير، وغير ذلك.

﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ﴾ الآية؛ منة على العباد بدفع بعضهم ببعض.

وقرئ: ﴿دِفَاعُ﴾ بالألف، و﴿دَفْعُ﴾ بغير ألف؛ والمعنى متفق.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ الإشارة إلى جماعتهم.

﴿فَضَلْنَا﴾ نص في التفضيل في الجملة، من غير تعيين مفضل؛ كقوله

ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء»^(١)، و«لا تفضلوني على يونس بن متى»^(٢)،

فإن معناه: النهي عن تعيين المفضل؛ لأنه تنقيص له، وذلك غيبة ممنوعة.

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤).

(٢) هذا اللفظ حكم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه «نقل باطل»، انظر: مجموع الفتاوى

(٢/٢٢٤). والثابت قوله ﷺ: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»

أخرجه البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٦).

وقد صرَّحَ ﷺ بفضله على جميع الأنبياء بقوله: «أنا سيد ولدِ آدم»^(١) لا بفضله على واحدٍ بعينه؛ فلا تعارض بين الحديثين.

﴿مَنْ كَلَّمَ اللَّهَ﴾ موسى ﷺ.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ قيل: هو محمد ﷺ؛ لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة.

وقيل: هو إدريس؛ لقوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾ [مريم: ٥٧]؛ فالرفعة على هذا: في المسافة.

وقيل: هو مطلق في كل من فضَّله الله منهم.

﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد الأنبياء، والمعنى: بعد كل نبيٍّ، لا بعد الجميع.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا﴾ كرَّره تأكيدًا، و^(٢) لِيُنَبِّئَ عليه ما بعده.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (٢٢٧٨) واللفظ له.

(٢) في ب، د: «أو».

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿١٣٧﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٨﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣٩﴾].

﴿أَنفِقُوا﴾ يعم الزكاة والتطوع.

﴿لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ أي: لا يتصرف أحد في ماله، والمراد^(١): لا تقدرين فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا.

ويدخل فيه: نفى الفدية؛ لأنها شراء الإنسان نفسه.

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ أي: مودة نافعة؛ لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه.

﴿وَلَا شَفْعَةٌ﴾ أي: ليس في يوم القيامة شفاعة إلا بإذن الله؛ فهي في الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه، وكرامة للشافع، ليس فيها تحكُّم على الله.

وعلى هذا يُحمَل ما ورد من نفى الشفاعة في القرآن؛ أعني: أنها لا تقع إلا بإذن الله؛ فلا تعارض بينه وبين إثباتها.

(١) في ب، د: «والمعنى».

وحيثما كان سياقُ الكلام في أهوال يوم القيامة، والتخويف بها: نُفِيت الشفاعة على الإطلاق؛ مبالغةً في التهويل.

وحيثما كان سياقُ الكلام تعظيمَ الله: نُفِيت الشفاعة إلا بإذنه.

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال هكذا، ولم يقل: «الظالمون هم الكافرون»^(١).

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ هذه آية الكرسي، وهي أعظم آية في القرآن حسبما ورد في الحديث^(٢)، وجاء فيها فضلٌ كبير في الحديث الصحيح وفي غيره.

﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ تنزيهٌ لله تعالى عن الآفات البشرية.

والفرق بين السَّنة والنوم: أن السنة هي ابتداء النوم، لا نفسه؛ كقول القائل:

..... في عينه سِنَّةٌ وليس بنائم^(٣)

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ استفهامٌ يراد به نفْيُ الشفاعة إلا بإذن الله، فهي في الحقيقة راجعةٌ إليه.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران عائدان على مَنْ يعقل؛ ممَّنْ تضمَّنَه قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٦/٤).

(٢) تقدم تخريجه في صفحة .

(٣) هذا عَجْزُ بيت لعدي بن الرَّقاع العاملي، في ديوانه (ص: ١٢٢)، وصدره: «وَسَنَانُ أَفْضَدُهُ النَّعَاسُ فَرَنْقَتْ»، وهو ضمن قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك.

والمعنى: يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم.

وقال مجاهد: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الآخرة.

﴿مَنْ عَلَيْهِ﴾ من معلوماته؛ أي: لا يعلم عباده من معلوماته إلا ما شاء هو أن يعلموه^(١).

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ الكرسي: مخلوق عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السموات والأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء.

وقيل: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: علمه.

وقيل: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: ملكه.

﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾ أي: لا يثقله، ولا يشق عليه.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ المعنى: أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: ﴿مَنْ عَلَيْهِ﴾ من معلوماته إلخ؛ أقول: اقتصر

المؤلف رحمه الله على أحد القولين، وهو أن المراد بعلمه معلوماته سبحانه، وجعل المنفي عن العباد هو علمهم بمعلومات الرب، والمنفي في الآية هو الإحاطة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عَلَيْهِ﴾، والإحاطة أخص من مطلق العلم، ولكن كل منهما منتف عن العباد، فلا يعلم العباد إلا ما علمهم الله، ولا يحيطون بشيء علما إلا بما شاء سبحانه، وفي الآية قول آخر، وهو أن المراد بالعلم هو المتعلق بذاته سبحانه وأسمائه وصفاته، فعلى هذا يكون المراد من العلم العلم الإلهي، وهذا القول هو الراجح، وذلك لأمرين:

١- لأن قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عَلَيْهِ﴾، ورد في أثناء آية الكرسي، التي هي أعظم آية في كتاب الله؛ لأنها اشتملت على جماع أسماء الله وصفاته.

٢- أن لهذا القول شاهدا من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ علما.

البراهين على صحته، بحيث لا يحتاج أن يُكره أحدٌ على الدخول فيه، بل يدخل فيه كلٌ ذي عقلٍ سليم من تلقاء نفسه، دون إكراه؛ ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي: قد تبين أن الإسلام رشدٌ، وأن الكفر غيٌّ؛ فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه.

وقيل: معناها المواءمة، وأن لا يُكره أحدٌ بقتالٍ على الدخول في الإسلام؛ ثم نُسِخت بالقتال، وهذا ضعيف؛ لأنها مدنية، وإنما آيات المسالمة وترك القتال بمكة.

﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ العروة في الأجرام هي: موضع الإمساك وشدة الأيدي. وهي هنا تشبيهٌ واستعارة في الإيمان.

﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾ لا انكسار لها، ولا انفصال.

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

﴿أُولَئِكَ أَوْهُمْ أَطْلُغُوتُ﴾ جمع الطاغوت هنا، وأُفرد في غير هذا الموضع؛ فكانه اسم جنس لما عُبد من دون الله، ولمن يضلُّ الناس من الشياطين وبني آدم^(١).

(١) المقصود: أنه جمع الفعل المسند إلى ﴿أَطْلُغُوتُ﴾ وهو ﴿أُولَئِكَ أَوْهُمْ﴾ مع أن لفظ ﴿أَطْلُغُوتُ﴾ مفرد؛ فكان مقتضى ذلك أن يقول: «ولئهم»، وأجاب عن هذا بأن المراد به الجنس، فروعي فيهم معنى الجمع، وقوله: «وأُفرد في غير هذا الموضع» كما في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠] فأعاد عليه ضمير المفرد ﴿بِهِ﴾ ولم يقل: «بها»؛ لأنه روعي فيه لفظ ﴿أَطْلُغُوتُ﴾ وهو مفرد. انظر: الكشاف (٤٥/٥)، (٧٢٥/٩).

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥٨) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُ تُؤْمِنُ أَوْ لَا بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾].

﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو نَمْرُودُ^(١) الملك.

وكان يدعي الربوبية؛ فقال لإبراهيم: من ربك؟ قال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.

فقال نمرود: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، فقال: قد أحييت هذا وأميت هذا.

(١) هذه الكلمة هنا وفي الموضعين الآتين وردت في ب، ج، د كذا: «نمرود» بالدال المهملة، وهما وجهان في الكلمة، بالذال المعجمة والمهملة، قال الإمام ثعلب: «ونمرود بالذال، وأهل البصرة يقولون: نمرود بالدال» مجالس ثعلب (١/ ١٨١)، وبعض اللغويين يرى أنه بالمعجمة لا غير. وانظر: تاج العروس (٩/ ٢٤٠).

فقال له إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾
﴿فَبُهِتَ﴾ أي: انقطع، وقامت عليه الحجة.

فإن قيل: لم انتقل إبراهيم عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثاني،
والانتقال علامة الانقطاع؟

فالجواب: أنه لم ينقطع، ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء
والإماتة: كان له حقيقة - وهو فعل الله -، ومجاز - وهو فعل غيره -،
فتعلق نمرود بالمجاز؛ غلطاً منه أو مغالطة، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى
الدليل الثاني؛ لأنه لا مجاز له، ولا يمكن الكافر عدولاً عنه^(١).

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ تقديره: «أو رأيت مثل الذي»، فحذف؛ لدلالة
﴿أَلَمْ تَرَ﴾ عليه؛ لأن كليهما كلمة تعجيب.

ويجوز أن يحمل على المعنى؛ كأنه قيل: رأيت كالذي حاج إبراهيم،
أو كالذي مر على قرية.
وهذا المار:

قيل: إنه عزيز. وقيل: الخضر؛ فقله: ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ﴾ ليس إنكاراً
للبعث، ولا استبعاداً، ولكنه:

استعظاماً لقدرة الذي يحيي الموتى.

أو سؤال عن كيفية الإحياء وصورته، لا شك في وقوعه؛ وذلك مقتضى
كلمة ﴿أَنِّي﴾، فأراه الله ذلك عياناً؛ ليزداد بصيرة.

(١) انظر: الكشاف (٣/٥٠٠).

وقيل: بل كان كافراً، وقالها إنكاراً للبعث، واستبعاداً، فأراه الله الحياة بعد الموت في نفسه، وذلك أعظم برهان.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: خالية من الناس.

وقال السُّدِّي: سقطت سُقْفُهَا - وهي العروش -، ثم سقطت الحيطان على السَّقْف.

﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ أُلَّهُ﴾ ظاهر هذا اللفظ: إحياء هذه القرية بالعمارة بعد الخراب.

ولكن المعنى: إحياء أهلها بعد موتهم؛ لأن ذلك هو الذي يمكن فيه الشك أو الإنكار؛ ولذلك أراه الله الحياة بعد موته.

والقرية كانت بيت المقدس، لما خربته بُحْتُ نَصْر^(١).

وقيل: قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف.

﴿كَمْ لَبِثْتُ﴾ سؤال على جهة التقرير.

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقل مدة موته، قيل: أماته الله غُدْوَةَ يَوْمٍ، ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مئة عام، فظن أنه يوم واحد، ثم رأى بَقِيَّةَ من الشمس فخاف أن يكذب في قوله: ﴿يَوْمًا﴾ فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ قيل: إن طعامه كان تيناً وعنباً، وإن

(١) في لسان العرب (٦٨/٧): «قال الأصمعي: إنما هو بُوخْتَنْصَر، فأعرب، وبُوخْتُ:

ابن، ونَصْر: صنم، وكان وُجد عند الصنم ولم يعرف له أب، ف قيل هو ابن الصنم».

شرا به كان عصيرًا، أو^(١) لبنًا.

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ معناه: لم يتغيَّر، بل بقي على حاله طولَ مئة عام، وذلك أعجوبة إلهية.

واللفظ يحتمل أن يكون مشتقًا من السَّنة؛ لأن لا مَها هاء.

فتكون الهاء في ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ أصلية؛ أي: لم تغيَّرهُ السُّنُون.

ويحتمل أن يكون مشتقًا من قولك: تسَنَّ الشيءُ: إذا فسَدَ؛ ومنه: «الحمأ المسنون»، ثم قلبت النون حرفَ عِلَّةٍ؛ كقولهم: «قَصَّيْتُ أظفاري»، ثم حذف حرف العلة؛ للجزم.

والهاء على هذا: هاء السَّكْت.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ قيل: بقي حماره حيًّا طول المئة عام، دون علفٍ ولا ماء.

وقيل: مات، ثم أحياه الله وهو ينظر إليه.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ التقدير: فَعَلْنَا بِكَ هذا؛ لتكون آية للناس.

وروي: أنه قام شابًّا على حالته يوم مات، فوجد أولادَه وأولادَهم شيوخًا.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ هي عظام نفسه.

وقيل: عظام الحمار؛ على القول بأنه مات.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «و»، والمثبت موافق لما في الكشاف (٣/٥٠٧).

﴿نُشِرُهَا﴾ - بالراء - : نُحْيِيهَا .

وقرئ بالزاي ؛ ومعناه : نرفعها للإحياء .

﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ بهمزة قطع وضَمُّ الميم ؛ أي : قال الرجل ذلك اعترافاً .

وقرئ : بألف وصل ، والجزم ؛ على الأمر ؛ أي : قال له الملك ذلك .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ الآية ؛ قال الجمهور : لم يشك إبراهيم في إحياء الموتى ، وإنما طلب المعينة ؛ لأنه رأى دابة قد أكلتها السباع والحيتان ، فسأل ذلك السؤال ؛ ويدلُّ على ذلك قوله : ﴿كَيْفَ﴾ ؛ فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته ، لا عن وقوعه .

﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي : بالمعينة .

﴿أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ قيل : هي الديك والطاوس والحمام والغراب ، فقطَّعها ، وخلط أجزاءها ، ثم جعل من المجموع جزءاً على كل جبل ، وأمسك رؤوسها بيده ، ثم قال : تعالَيْنِ بإذن الله ، فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمَّتْ ، وبقيت بلا رؤوس ، ثم كرَّر النداء ، فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها في رؤوسها ، وطارت بإذن الله .

﴿فَصُرُّهُنَّ﴾ أي : ضُمَّهُنَّ . وقيل : قطَّعهن .

﴿عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ قيل : أربعة جبال . وقيل : سبعة . وقيل : الجبال التي وصل إليها حينئذٍ من غير حصرٍ بعددٍ .

[مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّْا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٢﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿١٦٣﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَنَاتٍ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ^١ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفًا^٢ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦٦﴾].

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ظاهره: الجهاد.

وقد يُحْمَلُ عَلَى جَمِيعِ وَجُوهِ الْبَرِّ.

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ كُلُّ مَا يُزْدَرَعُ^(١) وَيُقْتَات، وأشهره: القمح.

وفي الكلام حذف؛ تقديره: مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة.

أو يَقْدَرُ فِي آخِرِ^(٢) الكلام: كمثل صاحب حبة.

(١) في ب: «يزرع» وهما بمعنى واحد. انظر: القاموس المحيط مادة (زرع).

(٢) في ب، ج: «أجزاء».

﴿أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ بيان أن الحسنة بسبع مئة؛ كما جاء في الحديث: أن رجلاً جاء بناقة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبع مئة ناقة»^(١).

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يزيده على سبع مئة.

وقيل: هو تأكيد وبيان للسبع مئة.

والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث ما يدل عليه.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ الآية؛ قيل: نزلت في عثمان. وقيل: في علي. وقيل:

في عبد الرحمن بن عوف.

﴿مِنَّا وَلَا أَذَى﴾ المن: ذكر النعمة على معنى التعدد لها والتفريع بها.

والأذى: السب.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ هو ردّ السائل بجميل من القول؛ كالدعاء له، والتأنيس.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: عفو عن السائل إذا وُجد منه جفاء.

وقيل: مغفرة من الله بسبب الردّ الجميل.

والمعنى: تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف ومغفرة: على العطاء

الذي يتبعه أذى.

﴿لَا تُبْطَلُوا صَدَقَتَكُمْ﴾ عقيدة أهل السنة: أن السيئات لا تبطل الحسنات؛

فقالوا في هذه الآية: إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمين أو يؤذي

لا تقبل منه.

(١) أخرجه مسلم (١٨٩٢).

وقيل : إِنَّ الْمَنَّ وَالْأَذَى دَلِيلٌ عَلَى أَنْ نِيَّتَهُ لَمْ تَكُنْ خَالِصَةً ؛ فَلِذَلِكَ بَطَلَتْ صِدْقَتُهُ .

﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ﴾ تمثيلٌ لمن يُمْنُ ويؤذي بالذي ينفق رياءً وهو غير مؤمن .
﴿فَمَثَلُهُ﴾ أي : مثل المرائي في نفقته : كحجرٍ عليه تراب ، فيظنه من يراه أرضاً مُنْبِتَةً طيبةً ، فإذا نزل عليه المطرُ انكشف التراب ، فبقيَ الحجر لا منفعةَ فيه .

فكذلك المرائي ؛ يظنُّ أن له أجرًا ، فإذا كان يومُ القيامة انكشف سرُّه ولم تنفعه نفقته .

﴿صَفْوَانٍ﴾ حجرٌ كبير .

﴿وَأَبْلٍ﴾ مطرٌ كثير .

﴿صَلْدًا﴾ أملس .

﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ أي : لا يقدرُونَ على الانتفاع بثواب شيءٍ من إنفاقهم ؛ وهو كسبُهُم .

﴿وَتَثْبِيَتًا﴾ أي : تيقنًا وتحقيقًا للثواب ؛ لأن أنفسهم لها بصائرٌ تحملهم على الإنفاق .

ويَحْتَمَلُ أن يكون معنى التثبيت : أنهم يَثْبِتُونَ أنفسهم على الإيمان ؛ باحتمال المشقة في بذل المال .

وانتصابُ ﴿أَبْتِغَاءً﴾ : على المصدر في موضع الحال ، وعطف عليه ﴿وَتَثْبِيَتًا﴾ .

ولا يصحّ في ﴿وَتَثْبِيَتًا﴾ أن يكون مفعولاً من أجله ؛ لأن الإنفاق ليس من أجل الثبوت ؛ فامتنع ذلك في المعطوف عليه وهو ﴿أَبْتِغَاءً﴾ .
﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ تقديره : كمثّل صاحب جنّة .

أو يقدر أوّلاً : مثل نفقة الذين ينفقون .

﴿بِرُبُوبَةٍ﴾ لأنّ ارتفاع موضع الجنة أطيّب ؛ لثريتها وهوائها .
﴿فَطَلَّ﴾ المطر الرقيق الخفيف ؛ والمعنى : أنه يكفي هذه الجنة ؛ لكرم أرضها .

﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ﴾ الآية ؛ مثل ضرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً ، حتى إذا كان عند آخر عمره ختم له بعمل السوء .

أو مثل للكافر ، أو المنافق ، أو المرائي المتقدم ذكره آنفاً ، أو ذي المن والأذى ؛ فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله ، فإذا كان وقت حاجته إليه لم يجد شيئاً .

فشبههم الله بمن كانت له جنة ، ثم أصابتها الجائحة المهلكة أحوج ما كان إليها ؛ لشيخوخته ، وضعف ذريته .

فالواو في قوله : ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ : للحال .

﴿إِعْصَارٌ﴾ أي : ريح فيها سموم محرقة .



[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِصَاحِبِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْنِصُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٣٠﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَبْنَاءِ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾].

﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الطيبات هنا عند الجمهور: الجيد غير الرديء.

فقيل: إِنَّ ذَلِكَ فِي الزَّكَاةِ؛ فَيَكُونُ وَاجِبًا.

وقيل: فِي التَّطَوُّعِ؛ فَيَكُونُ مَنُودِيًّا، لَا وَاجِبًا؛ لِأَنَّهُ كَمَا يَجُوزُ التَّطَوُّعُ بِالْقَلِيلِ يَجُوزُ بِالرَّدِيِّءِ.

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا﴾ النبات، والمعادن، وغير ذلك.

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ أي: لَا تَقْصِدُوا الرَّدِيءَ.

﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ.

﴿وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ﴾ الواو للحال.

والمعنى: أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم، إلا بأن تتسامحوا في أخذه^(١).

﴿وَتُعِصُوا﴾ من قولك: أغمض فلان عن بعض حقه: إذا لم يستوفه، أو إذا غَضَّ بصره.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ الآية؛ دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر، ففي ضمن ذلك حُضٌّ على الإنفاق.

ثم بين عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء؛ وهي: المعاصي.

وقيل: الفحشاء: البخل؛ والفاحش عند العرب: البخل.

قال ابن عباس: في الآية اثنتان من الشيطان، واثنتان من الله.

والفضل: هو الرزق والتوسعة.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ قيل: هي المعرفة بالقرآن. وقيل: النبوة. وقيل: الإصابة في القول والعمل.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ الآية؛ ذكر نوعين وهما:

ما يفعله الإنسان تبرعاً.

وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر.

وفي قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ وعدٌ بالشواب.

(١) في ب، ج، هـ: «تسامحوا فيه».

وفي قوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ وعيد لمن يمنع الزكاة، أو ينفق^(١) لغير الله.

﴿إِنْ بُدُّوا الصَّدَقَاتِ﴾ هي التطوع عند الجمهور؛ لأنها يحسن إخفاؤها، وإبداء الواجبة؛ كالصلوات.

﴿فَنِعْمًا هِيَ﴾ ثناء على الإظهار، ثم حكّم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء.

و«ما» من «نِعْمًا»: في موضع نصب، تفسير للمضمر؛ والتقدير: فنعم شيئًا إبداءها.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ قيل: إن المسلمين كانوا لا يتصدّقون على أهل الذمة؛ فنزلت الآية مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام، وذلك في التطوع، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلاً.

فالضمير في ﴿هُدَاهُمْ﴾ على هذا القول: للكافر.

وقيل: ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الإنفاق، وترك المن والاذى والرياء والإنفاق من الخبيث، إنما عليك أن تبلغهم، والهدى بيد الله.

فالضمير على هذا: للمسلمين.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: إن منفعته لكم كقوله^(٢): ﴿مَنْ عَمِلَ

(١) في زيادة: «ماله».

(٢) في د: «لقوله».

صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ﴿٤٦﴾ [فصلت: ٤٦].

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ قيل: إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله؛ ففيه تزكية لهم، وشهادة بفضلهم. وقيل: ما تنفقون نفقةً تُقبل منكم، إلا ابتغاء وجه الله؛ ففي ذلك حضٌّ على الإخلاص.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف؛ تقديره: الإنفاق للفقراء؛ وهم هنا: المهاجرون.

﴿أُخْصِرُوا﴾ حُبِسُوا بالعدو، أو بالمرض.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحتمل: الجهاد، أو الدخول في الإسلام.

﴿ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ هو التصرف في التجارة وغيرها.

﴿يُخَسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْيَاءَ﴾ أي: يظنُّ الجاهل بحالهم أنهم أغنياء؛ لقلة سؤالهم.

﴿وَالْتَعَفُّ﴾ هنا: هو عن الطلب.

﴿وَمِنْ﴾: سببية. وقال ابن عطية: لبيان الجنس^(١).

(١) الذي ذكره ابن عطية أنها لا ابتداء الغاية، وهذا نصُّ عبارته: «وَمِنْ» في قوله: (من التّعَفُّفِ) لا ابتداء الغاية، أي: مِنْ تَعَفُّفِهِمْ ابتدأت محسبته، وليست لبيان الجنس، ثم قال بعد ذلك: «وتحتمل الآية معنى آخر «مِنْ» فيه لبيان الجنس سنذكره بعد». المحرر الوجيز (٨٩/٢).

﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ علامة وجوههم؛ وهي ظهور الجهد والفاقة، وقلة
النعمة.

وقيل: الخشوع.

وقيل: السجود.

﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ الإلحاف: هو الإلحاح في السؤال.

والمعنى: أنهم إذا سألوا يتلطفون ولا يلحون.

وقيل: هو نفى للسؤال والإلحاح معاً.

وباقى الآية وعد.



[الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٦﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿١٨٠﴾ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨١﴾ وَأَنْتُمْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾].

﴿بِالْإِتِلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ تعميمٌ لوجوه الإنفاق، وأوقاته.

ابن عباس: نزلت في عليٍّ؛ فإنه تصدَّق بدرهم بالليل، وبدرهم بالنهار، وبدرهم سرًّا، وبدرهم علانيةً.

أبو هريرة: نزلت في علف الخيل.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ أي: ينتفعون به، وعبرَ عن ذلك بالأكل؛ لأنه أغلب المنافع. وسواءً من أعطاه أو من أخذه.

والربا في اللغة: الزيادة، ثم استعمل في الشريعة في بيوعات ممنوعة، أكثرها راجعٌ إلى الزيادة؛ فإنَّ غالب الربا في الجاهلية قولهم للغريم:

أَتَقْضِي أَمْ تُرَبِّي؟، فكان الغريم يزيد في عدد المال، ويصبر الطالب عليه.

ثم إن الربا على نوعين: ربا النسيئة، وriba التفاضل.

وكلاهما يكون في: الذهب والفضة، وفي الطعام.

فأما النسيئة؛ فَتَحْرُمُ في بيع الذهب بالذهب، وبيع الفضة بالفضة، وفي بيع الذهب بالفضة، وهو الصَّرف، وفي بيع الطعام بالطعام مطلقاً.

وأما التفاضل؛ فإنما يَحْرُمُ في بيع الجنس الواحد بجنسه؛ من النقدين، ومن الطعام.

ومذهب مالك: أنه إنما يحرم التفاضل في المقتات المدَّخر من الطعام.

ومذهب الشافعي: أنه يحرم في كل طعام.

ومذهب أبي حنيفة: أنه يحرم في المكيل والموزون؛ من الطعام وغيره.

﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ أجمع المفسرون أن المعنى: لا يقومون من قبورهم في البعث إلا كالمجنون.

﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾: يتفعَّله؛ من قولك: خَبَطَ يَخْبِطُ.

﴿الْمَسِّ﴾: الجنون.

﴿مِنْ﴾ تتعلق بـ ﴿يَقُومُ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ تعليل للعقاب الذي يصيبهم، وإنما هذا للكفار؛ لأن قولهم: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾: ردُّ على الشريعة وتكذيبٌ لها، ثم قد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد.

فإن قيل: فهلاً قيل: «إنما الربا مثل البيع»؛ لأنهم قاسوا الربا على البيع في الجواز؟

فالجواب: أن هذا مبالغة؛ فإنهم جعلوا الربا أصلاً حتى شبّهوا به البيع^(١).

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ عمومٌ يخرج منه: البيوع الممنوعة شرعاً، وقد عدّناها في الفقه ثمانين نوعاً^(٢).

﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ردٌّ على الكفار، وإنكارٌ للتسوية بين البيع والربا. وفي ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص؛ لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم: تحليل الله وتحريمه.

﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي: له ما أخذ من الربا؛ (أي: لا يؤاخذ بما فعل منه)^(٣) قبل نزول التحريم.

﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الضمير عائد على صاحب الربا.

والمعنى: أن الله يحكم فيه يوم القيامة، فلا تؤاخذوه في الدنيا.

وقيل: الضمير عائد على الربا.

والمعنى: أمر الربا إلى الله في تحريمه أو غير ذلك.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ الآية؛ يعني: من عاد إلى فعل الربا، وإلى القول:

(١) انظر: الكشاف (٣/٥٤٤).

(٢) انظر: القوانين الفقهية، لابن جزي (ص: ٤٣٢) وما بعدها.

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

«إنما البيع مثل الربا».

ولذلك حَكَمَ عليه بالخلود في النار؛ لأنَّ ذلك القول لا يصدر إلا من كافر، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة؛ لكونها في الكفار.

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ يَنْقُصُهُ وَيُذْهِبُهُ.

﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ يُنْمِيهَا؛ في الدنيا؛ بالبركة، وفي الآخرة؛ بمضاعفة الثواب.

﴿كَفَّارِ آثِمٍ﴾ أي: مَنْ يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا؛ وهذا يدل على أن الآية في الكفار.

﴿وَذَرُّوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربًّا في الجاهلية، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة قال في خطبته: «كل ربًّا كان في الجاهلية موضوع»، ثم إنَّ ثقيفًا أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش، فأبوا من دفعه وقالوا: قد وُضِعَ الربا، فتحاكموا إلى عتَّاب بن أسيد أمير مكة، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية^(١).

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرط لمن خوطب به؛ من ثقيف وغيرهم.

﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾ أي: إن لم تنتهوا عن الربا حُوربتهم.

ومعنى ﴿فَأْذَنُوا﴾: اعلّموا.

وقرى بالمد؛ أي: أعلّموا غيركم.

ولما نزلت قالت ثقيف: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٠/٥).

﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ أي: لا تظلمون بأخذ زيادةٍ على رؤوس أموالكم، ولا تُظلمون بالنقص منها.

﴿وَأِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾ «كان» تامة؛ بمعنى: حضر، أو وقع.

وقرئ ﴿ذَا عُسْرَةٍ﴾؛ أي: إن كان الغريم ذا عسرة.

﴿فَنَظَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ حكم الله للمُعسر بالإنظار إلى أن يُوسر، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه.

و﴿نَظَرَةٌ﴾: مصدر؛ معناه: التأخير.

وهو مرفوع على أنه:

خبر ابتداء؛ تقديره: فالواجبُ نظرةٌ.

أو مبتدأ.

و﴿مَيْسَرَةٍ﴾ أيضاً مصدر.

وقرئ بضم السين، وفتحها.

﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ندب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط

الدين عنه، فذلك أفضل من إنظاره.

وباقى الآية وعظ.

وقيل: إِنَّ آخِرَ آيَةٍ نَزَلَتْ آيَةُ الرِّبَا.

وقيل: بل قوله: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية.

وقيل: آية الدين المذكورة بعد.

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسَوْفَ يَكُمُ وَيَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨١﴾] وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءِثْمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾].

﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾ أي : إذا عامل بعضكم بعضاً بدين .

وإنما ذكر الدين وإن كان مذكوراً في ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ ؛ ليعود عليه الضمير في ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ ، وليزول الاشتراك الذي في ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ ؛ إذ قد يقال بمعنى : الجزاء .

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ دليلٌ على أنه لا يجوز إلى أجلٍ مجهول .

وأجاز مالك البيع إلى الجداد والحصاد ؛ لأنه معروف عند الناس .

ومنعه الشافعي وأبو حنيفة .

قال ابن عباس: نزلت الآية في السلم خاصة؛ يعني: أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها.

قال مالك: وهذا يجمع الدين كله؛ يعني: أنه يجوز التأخير في السلم والسلف وغيرهما.

﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ ذهب قومٌ إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية.

وقال قوم: إنها منسوخة بقوله: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾.

وقال قوم: إنها على النذب.

﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ قال قوم: يجب على الكاتب أن يكتب.

وقال قوم: نسخ ذلك بقوله: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

وقال آخرون: يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه.

وقال قوم: إن الأمر بذلك على النذب؛ ولذلك جاز أخذ الأجرة على كُتُب الوثائق.

﴿بِالْمَكْدَلِ﴾ يتعلق عند ابن عطية بقوله: ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾^(١).

وعند الزمخشري بقوله: ﴿كَاتِبٌ﴾^(٢).

فعلى الأول: تكون الكتابة بالعدل؛ وإن كان الكاتب غير مرضي.

وعلى الثاني: يجب أن يكون الكاتب مرضياً في نفسه.

(١) المحرر الوجيز (١١٢/٢).

(٢) الكشف (٥٥٤/٣).

قال مالك : لا يكتب الوثائق إلا عارفٌ بها ، عدلٌ في نفسه ، مأمونٌ .

﴿وَلَا يَأَبَّ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ نهى عن الإبابة ، وهو يقوِّي الوجوب .

﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ يتعلَّق بقوله : ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ ، والكاف :

للتَّشبيه ؛ أي : يكتب مثل ما علَّمه الله .

أو للتعليل ؛ أي : ينفع الناس بالكتابة كما علَّمه الله ؛ كقوله : ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص : ٧٧] .

وقيل : يتعلَّق بقوله بعدها : ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ .

﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ يقال : أمْلَلْتُ الكتاب ، وأمْلَيْتُهُ ؛ فورد هنا على اللغة الواحدة ، وفي قوله : ﴿تُمْلَى عَلَيْهِ﴾ [الفرقان : ٥] على الأخرى .

﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ ؛ لأنَّ الشهادة إنما هي باعترافه .

فإن كُتِبَت الوثيقة دون إملايه ، ثم أقرَّ بها جاز .

﴿وَلَا يَبْخَسُ﴾ أمره الله بالتقوى فيما يُمِلُّ ، ونهاه عن البَخْس ؛ وهو نقص الحق .

﴿سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ السَّفيه : الذي لا يُحسِن النظر في ماله .

والضعيف : الصغير وشبهه .

والذي لا يستطيع أن يُمِلَّ : الآخرس وشبهه .

﴿وَلَيْتُهُ﴾ أبوه ، أو وصيه .

والضمير عائذ على : ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ .

﴿وَأَسْشَهِدُوا شَهِدَيْنِ﴾ شهادة الرجلين جائزة في كل شيء، إلا في الزنا؛ فلا بد من أربعة .

﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ نص في رفض شهادة الكفار، والصبيان، والنساء .

وأما العبيد : فاللفظ يتناولهم ؛ ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم .

ومنعها مالك والشافعي ؛ لنقص الرق .

﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ قال قوم : لا تجوز شهادة المرأتين إلا مع عدم الرجال ؛ وقالوا : معنى الآية : ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا﴾ : إن لم يوجدَا .

وأجازه الجمهور ؛ لأن المعنى : إن لم يشهد^(١) رجلان فرجلاً وامرأتان .

وإنما يجوز - عند مالك - شهادة الرجل والمرأتين في الأموال ، لا في غيرها .

وتجوز عنده شهادة المرأتين دون رجل فيما لا يطلع عليه الرجال ، كالولادة ، والاستهلال ، وعيوب النساء .

وارتفع^(٢) ﴿فَرَجُلٌ﴾ :

بفعل مضمر ؛ تقديره : فليكن رجلٌ ؛ فهو فاعل ، أو تقديره : فليُستشهد رجلٌ ؛ فهو مفعول لم يُسم فاعله .

أو بالابتداء ؛ تقديره : فرجل وامرأتان يشهدون .

(١) في ب ، ج ، هـ : «يستشهد» .

(٢) في ج ، هـ : «وارتفاع» .

﴿مِمَّنْ رَضَوْنَ﴾ صفة للرجل والمرأتين .

وهو مشترط -أيضاً- في الرجلين الشاهدين ؛ لأنَّ الرضا مشترط في الجميع .

وهو العدالة ؛ ومعناها : اجتناب الذنوب الكبائر ، وتوقّي الصغائر ، مع المحافظة على المروءة .

﴿أَنْ تَصِلَ﴾ مفعولٌ من أجله ، والعامل فيه : هو المقدّر العامل في ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ .

والضلال في الشهادة : هو نسيانها ، أو نسيان بعضها .

وإنما جعل ضلال إحدى المرأتين مفعولاً من أجله ، وليس هو المراد ؛ لأنه سببٌ لتذكير الأخرى لها ، وهو المراد ؛ فأقيم السببُ مقام المسبّب .

وقرئ : ﴿إِنْ تَصِلَ﴾ بكسر الهمزة : على الشرط ، وجوابه : الفاء في ﴿فَتَذَكَّرُ﴾ .

ولذلك رفعه مَنْ كسر الهمزة ، ونصبه من فتحها على العطف .

وقرئ ﴿فَتَذَكَّرَ﴾ بالتشديد والتخفيف ؛ والمعنى واحد .

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ أي : لا يمتنعوا إذا دعوا إلى أداء الشهادة ، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي ﷺ^(١) ، واتفق العلماء أن أداء الشهادة واجبٌ إذا دعي إليها .

(١) لم أقف على تخريجه ، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ١٢٠) : «وأسند النقاش إلى النبي ﷺ أنه فسر الآية بهذا» .

وقيل : إذا دعوا^(١) إلى تحصيل الشهادة وكتبها .

وقيل : إلى الأمرين .

﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي : لا تملؤا من الكتابة إذا ترددت وكثرت ؛ سواء كان الحق صغيراً أو كبيراً .

ونُصب ﴿صَغِيرًا﴾ على الحال .

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الكتابة .

﴿أَقْسَطُ﴾ من القسط ؛ وهو العدل .

﴿وَأَقْوَمُ﴾ بمعنى : وأشدُّ إقامةً .

وبُني أفعال فيهما من الرباعي ؛ وهو قليل .

﴿وَأَذِّنْ أَلَّا تَرَابُؤًا﴾ أي : أقرب إلى عدم الشك في الشهادة .

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً﴾ «أن» في موضع نصب على الاستثناء المنقطع ؛ لأن الكلام المتقدم في الدين المؤجل .

والمعنى : إباحة ترك الكتابة في التجارة الحاضرة ؛ وهي ما يباع بالنقد .

وقوله : ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ يقتضي : القبض ، والبيونة .

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ ذهب قومٌ إلى وجوب الإشهاد على كل بيع ، صغير أو كبير ، وهم الظاهرية ، خلافاً للجمهور .

وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله : ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ .

(١) في ب ، ج ، د ، هـ : «دعي» .

وزهب قوم إلى أنه على النذب .

﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ﴿كَاتِبٌ﴾ فَاعِلًا ؛ عَلَى تَقْدِيرِ كَسْرِ الرَّاءِ الْمَدْغَمَةِ مِنْ ﴿يُضَارَّ﴾ .

وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا : نَهْيٌ لِلْكَاتِبِ وَالشَّهِيدِ ^(١) أَنْ يَضُرَّ صَاحِبَ الْحَقِّ أَوْ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ بِالزِّيَادَةِ فِيهِ ، أَوْ النِّقْصَانِ مِنْهُ ، أَوْ الْامْتِنَاعِ مِنَ الْكِتَابَةِ أَوْ الشَّهَادَةِ .

وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ﴿كَاتِبٌ﴾ مَفْعُولًا لَمْ يَسْمَ فَاعِلُهُ ؛ عَلَى تَقْدِيرِ فَتْحِ الرَّاءِ الْمَدْغَمَةِ ، وَيَقْوِي ذَلِكَ قِرَاءَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «لَا يُضَارَّرُ» بِالتَّفْكِيكِ وَفَتْحِ الرَّاءِ .

وَالْمَعْنَى : النَّهْيُ عَنِ الْإِضْرَارِ بِالْكَاتِبِ وَالشَّهِيدِ ؛ بِإِذَايَتِهِمَا بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ .

﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ إِنْ وَقَعْتُمْ فِي الْإِضْرَارِ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ حَالٌّ بِكُمْ .

﴿وَيُعْلِمُكُمُ اللَّهُ﴾ إِيخْبَارٌ عَلَى وَجْهِ الْاِمْتِنَانِ .

وَقِيلَ : مَعْنَاهُ الْوَعْدُ بِأَنْ مَنْ اتَّقَى عِلْمَهُ اللَّهُ وَأَلْهَمَهُ .

وَهَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ ، وَلَكِنْ لَفْظُ الْآيَةِ لَا يُعْطِيهِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَجَزِمَ ﴿وَيُعْلِمُكُمُ﴾ فِي جَوَابِ ﴿وَأَنْقُوا﴾ .

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ الْآيَةُ ؛ لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِكِتَابَةِ الدِّيُونِ : جَعَلَ الرَّهْنَ تَوْثِيقًا لِلْحَقِّ ، عَوْضًا مِنَ الْكِتَابَةِ حَيْثُ تَتَعَذَّرُ الْكِتَابَةُ فِي السَّفَرِ .

(١) فِي د : «وَالشَّاهِدُ» .

وقال الظاهرية: لا يجوز الرهن إلا في السفر؛ لظاهر الآية.
وأجازه مالك وغيره في الحضرة؛ لأن النبي ﷺ رهن درعه بالمدينة^(١).
﴿فَرِهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ يقتضي بينونة المرتهن بالرهن.
وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن، وقبض وكيله.
وأجاز مالك والجمهور وضعه على يد عدل.
والقبض للرهن شرط في الصحة عند الشافعي وغيره؛ لقوله تعالى:
﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾.

وهو عند مالك شرط كمال.

﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ الآية؛ أي: إن أمن صاحب الحق المديان
لحسن ظنه به: فليستغن عن الكتابة وعن الرهن.
فأمر أولاً بالكتابة، ثم بالرهن، ثم بالائتمان؛ فللدين ثلاثة أحوال.
ثم أمر المديان بأداء الأمانة؛ ليكون عند ظن صاحبه به.
﴿وَلَا تَكُونُوا الشَّهَدَةَ﴾ محمول على الوجوب.
﴿فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ﴾ معناه: قد تعلق به الإثم اللاحق عن المعصية في
كتمان الشهادة.

وارتفع ﴿ءَاثِمٌ﴾ بأنه خبر «إِنَّ»، و﴿قَلْبُهُ﴾ فاعل به.
ويجوز أن يكون ﴿قَلْبُهُ﴾ مبتدأ، و﴿ءَاثِمٌ﴾ خبره.

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٩).

وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كانت جملةُ الكاتم هي الآثمة: لأنَّ
الكِتمانَ مِن فعل القلب؛ إذ هو يُضمِرُها، ولئلا يُظَنَّ أن كتمان الشهادة من
الآثام المتعلقة باللسان.



[﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٨٢) ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّوْا مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٣﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾].

﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ الآية؛ مقتضاها: المحاسبة على ما في نفوس العباد من الذنوب؛ سواء أبدو أم أخفوه، ثم المعاقبة على ذلك لمن شاء الله أو الغفران لمن شاء الله.

وفي ذلك إشكال؛ لمعارضته لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا»^(١).

ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة: أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا: هلكنّا إن حوسبنا بخواطر أنفسنا، فقال لهم النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا»، فقالوها، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فكشف عنهم الكربة^(٢)، ونسخ بذلك هذه الآية^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).

(٢) في ج، هـ: «الكرب».

(٣) أخرجه مسلم (١٢٥).

وقيل : هي في معنى : كتم الشهادة وإبدائها ؛ وذلك محاسبٌ به .
 وقيل : يحاسب الله خلقه على ما في نفوسهم ، ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين .

والصحيح : التأويل الأول ؛ لوروده في الصحيح ، وقد ورد -أيضاً- عن ابن عباس وغيره .

فإن قيل : إن الآية خبرٌ ، والأخبار لا يدخلها النسخ ؟
 فالجواب : أن النسخ إنما وقع في المؤاخذه والمحاسبة ؛ وذلك حكمٌ يصح دخول النسخ فيه .

فلفظ الآية : خبر ، ومعناها : حكم ^(١) .

﴿فَيَغْفِرُ﴾ و﴿يُعَذِّبُ﴾ قرئ :

بجزمهما : عطفًا على ﴿يُحَاسِبُكُمْ﴾ .

ويرفعهما : على تقدير : فهو يغفر .

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾ الآية ؛ سببها : ما تقدّم في حديث أبي هريرة ؛ لما قالوا :
 سمعنا وأطعنا : مدحهم الله بهذه الآية ، وقدّم ذلك قبل كشف ما شقّ عليهم .

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطفٌ على ﴿الرَّسُولُ﴾ ، أو مبتدأ :

فعلی الأول : يُوقَفُ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ .

وعلى الثاني : يوقف ﴿مِنْ زَيْدٍ﴾ .

(١) انظر : المحرر الوجيز (٢/ ١٣٣) .

والأول أحسن .

﴿كُلُّ ءَامَنَ﴾ إن كان ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ معطوفاً : فـ ﴿كُلُّ﴾ عمومٌ في الرسول والمؤمنين .

وإن كان مبتدأً : فـ ﴿كُلُّ﴾ عموم في المؤمنين .

ووَحَّد الضمير في ﴿ءَامَنَ﴾ على معنى : كل واحدٍ منهم آمن .

﴿وَكُتِبَ﴾ قرئ بالجمع ؛ أي كل كتاب أنزله الله .

وقرئ بالتوحيد ؛ يريد : القرآن ، أو الجنس .

﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ التقدير : يقولون : لا نفرِّق .

والمعنى : لا نفرِّق بين أحدٍ من الرسل وبين غيره في الإيمان ، بل نؤمن بجميعهم ، ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعضٍ ويكفرون ببعض .

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ حكاية قول المؤمنين ؛ على وجه المدح لهم .

﴿غُفِرَانَكَ﴾ مصدرٌ ، والعامل فيه مضمَر . ونصبُهُ :

على المصدرية ؛ تقديره : اغفرْ غفرانَكَ .

وقيل : على المفعولية ؛ تقديره : نطلب غفرانَكَ .

﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ إقرارٌ بالبعث ، مع تذللٍ وانقياد . وهنا تمَّت حكاية

كلام المؤمنين .

﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إخبارٌ من الله تعالى برفع تكليف ما

لا يطاق .

وهو جائزٌ عقلاً عند الأشعرية، ومحالٌ عقلاً عند المعتزلة.

وانفقوا على أنه لم يقع في الشريعة.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: من الحسنات.

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي: من السيئات.

وجاءت العبارة بـ ﴿لَهَا﴾ في الحسنات؛ لأنها مما يَنْتَفَعُ العبدُ به،

وجاءت في السيئات بـ ﴿عَلَيْهَا﴾؛ لأنها مما يَضُرُّ بالعبد.

وإنما قال في الحسنات ﴿كَسَبَتْ﴾ وفي الشرِّ^(١) ﴿اَكْتَسَبَتْ﴾:

لأنَّ في الاكتساب ضرباً من الاعتماد والمعالجة، حسبما تقتضيه صيغة:

«افتعل»؛ فالسيئات فاعلُها يتكَلَّفُ مخالفةَ أمر الله، ويتعدَّاه، بخلاف

الحسنات؛ فإنه فيها على الجادة من غير تكلُّف.

أو لأنَّ السيئات يجِدُّ في فعلها؛ لميل النفس إليها، فجعلت لذلك

مُكتسبة، ولمَّا لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك؛ وُصِفَ بما لا دلالة

فيه على الاعتماد.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي: قولوا ذلك في دعائكم^(٢).

ويَحْتَمِلُ أن يكون من بَقِيَّةِ حكاية قولهم؛ كما حكى عنهم قولهم: ﴿سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا﴾.

(١) في ب: «السيئات».

(٢) في د: «أي: قالوا ذلك في دعائهم».

والنسيان هنا : هو الذُّهولُ الغالبُ على الإنسان .

والخطأ : غير العمد ؛ فذلك معنى قوله ﷺ : «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنَّسْيَانُ»^(١) .

وقد كان يجوز أن يُؤَاخَذَ به لولا أنَّ الله رفعه .

﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهِ إِصْرًا﴾ التكاليف الصعبة ؛ كانت قد كُفِّتْ لمن تقدَّم من الأمم ؛ كقتل أنفسهم ، وقَرْضُ أبدانهم ، ورُفِعَتْ عن هذه الأمة ؛ قال تعالى : ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وقيل : الإِصْرُ : المسخُّ قردةً وخنزير .

﴿وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ هذا الدعاء دليلٌ على جواز تكليف ما لا يطاق ؛ لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع ، ثم إنَّ الشرع دفع وقوعه . وتحقيقُ ذلك : أنَّ ما لا يطاق أربعة أنواع :

الأول : عقليٌّ محض ؛ كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن ؛ فهذا جائزٌ ، وواقعٌ باتِّفاق .

والثاني : عاديٌّ ؛ كالطَّيران في الهواء .

والثالث : عقليٌّ وعاديٌّ ؛ كالجمع بين الضَّدين .

فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما ، والاتفاق على عدم وقوعه .

والرابع : تكليف ما يَشَقُّ وَيَصْعُبُ :

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٣) .

فهذا جائز اتفاقاً، وقد كلفه الله من تقدّم من الأمم (ورفعه عن هذه الأمة)^(١).

﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ ألفاظ متقاربة المعنى، وبينها من الفرق: أن العفو: ترك المؤاخذه بالذنب. والمغفرة: تقتضي - مع ذلك - السّتر. والرحمة: تجمع ذلك، مع التفضل بالإنعام. ﴿مَوْلَانَا﴾ وليّنا وسيدنا.



(١) سقط من ب، ج، هـ.

﴿سورة آل عمران﴾

نزل صدرها إلى نيف وثمانين آية لما قدم نصارى نجران المدينة يناظرون رسول الله ﷺ في عيسى بن مريم عليه السلام .

[﴿الْم ١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٩﴾﴾].

﴿الْم ١﴾ تقدم الكلام على حروف الهجاء^(١).

وقرأ الجمهور: بفتح الميم هنا في الوصل؛ لالتقاء الساكنين؛ نحو: «مِنَ النَّاسِ».

وقال الزمخشري: هي حركة الهمزة نُقلت إلى الميم^(١). وهذا ضعيف؛ لأنها أَلِفٌ وَصَلٍ تَسْقُطُ فِي الدَّرَجِ.

﴿الْحَىُّ الْقَيُّومُ﴾ ردُّ على النصارى في قولهم: إِنَّ عيسى هو الله؛ لأنهم زعموا أنه صُلب؛ فليس بحيٍّ، وليس بقيُّومٍ.

﴿الْكِتَابُ﴾ هنا: القرآن.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: تَضَمَّنَ الْحَقُّ؛ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا.

أو: بالاستحقاق.

﴿مُصَدِّقًا﴾ قد تقدَّم في: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤١]^(٢).

﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الكتب المتقدمة.

﴿التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ أعجميان؛ فلا يصحُّ ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما.

﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ هو القرآن؛ وإنما كرَّر ذكره؛ ليصفه بأنه المفرِّق بين الحق والباطل.

ويَحْتَمِلُ: أن يكون ذكره أَوَّلًا على وجه الإثبات لإنزاله بقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، ثم ذكره ثانيًا على وجه الامتنان بالهدى به؛ كما قال في التوراة والإنجيل: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾؛ فكأنه قال: «وأنزل الفرقان هدى للناس»، ثم حَذَفَ ذلك؛ لدلالة الهدى الأوَّل عليه.

(١) الكشف (٥/٤).

(٢) انظر صفحة ٣٠٨.

فلما اختلف قصْدُ الكلام في الموضوعين : لم يكن ذلك تكررًا .
وقيل : الفرقان هنا : كلُّ ما فرّق بين الحق والباطل ؛ من كتابٍ وغيره .
وقيل : هو الزُّبور ؛ وهذا بعيد .
﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ خبرٌ عن إحاطة عِلْمِ الله بجميع الأشياء على التفصيل .

وهذه صفةٌ لم تكن لعيسى ، ولا لغيره ؛ ففي ذلك ردٌّ على النصارى .
﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾ برهانٌ على إثبات علم الله المذكورِ قبلُ .
وفيه ردٌّ على النصارى ؛ لأن عيسى لا يَقْدِر على التَّصوير ، بل كان مصوَّرًا ؛ كسائر بني آدم .
﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من طولٍ ، وقِصَرٍ ، وحُسْنٍ ، وقبحٍ ، ولَوْنٍ ، وغير ذلك .
﴿وَمِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكَمُ﴾ المُحْكَم من القرآن : هو البَيِّنُ المعنى ، الثابت الحكم .

والمتشابه : هو الذي يحتاج إلى تأويل ، أو يكون مُستغْلِقَ المعنى ؛ كحروف الهجاء .

قال ابن عباس : المحكمات : النَّاسَخَاتُ والحلال والحرام ،
والمتشابهات : المنسوخات ، والمقدّم ، والمؤخّر .
وهذا تمثيلٌ لما قلنا .

﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي : عُمْدَةُ ما فيه ، ومُعْظَمُهُ .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ نزلت في نصارى نجران؛ فإنهم قالوا للنبي ﷺ: أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروحٌ منه؟ قال: «نعم»، قالوا: فحسبنا إذن^(١). فهذا من المتشابه الذي اتبعوه.

وقيل: نزلت في أبي ياسر ابن أخطب اليهودي وأخيه حُيَيٍّ. ثم يدخل في ذلك: كلُّ كافر، أو مبتدع، أو جاهل يتَّبِع المتشابه من القرآن.

﴿أَتَبِعَاءِ الْفِتْنَةِ﴾ أي: ليفتنوا به الناس.
 ﴿وَأَتَبِعَاءِ تَأْوِيلِهِ﴾ أي: يبتغون أن يتأولوه على ما تقتضي مذاهبتهم.
 أو: يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يصل إليه مخلوق.
 ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ إخبارٌ عن انفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن، وذمٌ لمن طلب علم ذلك من الناس.
 ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأً مقطوع مما قبله.

والمعنى: أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه، وإنما يقولون: «آمنا به»؛ على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته.

وقيل: إنه معطوفٌ على ما قبله.
 وإن المعنى: أنهم يعلمون تأويله.
 وكلا القولين مرويان عن ابن عباس.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٥/٥-٢٠٦).

والأول قول أبي بكر الصديق، وعائشة، وعروة بن الزبير؛ وهو أرجح.

وقال ابن عطية: المتشابه نوعان:

نوعٌ انفرد الله بعلمه.

ونوعٌ يمكن وصول الخلق إليه.

فيكون ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾:

ابتداءً: بالنظر إلى الأول.

وعطفًا: بالنظر إلى الثاني^(١).

﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أي: المحكم والمتشابه من عند الله.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ حكاية عن الراسخين.

ويحتمل أن يكون منقطعًا؛ على وجه التعليم.

والأول أرجح؛ لاتصال الكلام.

وأما قوله: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: فهو من كلام الله تعالى،

لا حكاية قول الراسخين.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ استدلالٌ على البعث، ويحتمل أن يكون:

من تمام كلام الراسخين.

أو منقطعًا؛ فهو من كلام الله تعالى.

(١) المحرر الوجيز (٢/١٦١).

[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٥﴾ كَذَابٍ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٧﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مَنْ يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٨﴾ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٩﴾ قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ آتَقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢١﴾ الصَّكِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِينِ وَالسِّفِينِ وَالْمُسْتَقِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿٢٢﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٤﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٥﴾].

﴿كَذَابٍ﴾ في موضع رفع؛ أي: دأب هؤلاء ﴿كَذَابٍ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾؛ وفي ذلك تهديد.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف على ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، ويعني بهم: قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

والضمير عائذ على ﴿ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ .

﴿يَأْتِينَا﴾ البراهين ، أو الكتب .

﴿سَتُفْلَبُونَ وَتُحْزَرُونَ﴾ قرئ بقاء الخطاب :

ليهود المدينة .

وقيل : لكفار قريش .

وقرئ بالياء : إخباراً :

عن يهود المدينة .

وقيل : عن قريش .

وهو صادق على كل قول :

أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع .

وأما قريش ففي بدرٍ وغيرها .

والأشهر أنها في بني قينقاع ؛ لأن رسول الله ﷺ دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر ، فقالوا له : لا يغرنك أنك قتلت نفرًا من قريش لا يعرفون القتال ، فلو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس ، فنزلت الآية ، ثم أخرجهم رسول الله ﷺ من المدينة .

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ قيل : خطابٌ للمؤمنين . وقيل : لليهود . وقيل :

لقريش .

والأرجح^(١) أنه لبني قينقاع الذين قيل لهم: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾؛ ففيه تهديد لهم وعبرة بما^(٢) جرى لغيرهم.

﴿فِي فَتْنَيْنِ اَلْتَقَتَا﴾ المسلمون والمشركون يوم بدر.

﴿تَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ﴾ قرئ: ﴿تَرَوْنَهُمْ﴾ بالتاء: خطاباً لمن خوطب بقوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾.

والمعنى: ترون الكفار مثلي المسلمين؛ ولكن الله أيد المسلمين بنصره على قلة عددهم.

وقرئ: بالياء؛ والفاعل في ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾: هم المؤمنون، والمفعول به: هم المشركون، والضمير في ﴿مِثْلَهُمْ﴾: للمؤمنين. والمعنى: على حسب ما تقدم.

فإن قيل: إن الكفار كانوا يوم بدر أكثر من مثلي المسلمين؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين؛ لأن الكفار كانوا قريباً من ألف، والمؤمنون ثلاث مئة وثلاثة عشر، ثم إن الله تعالى قلل عدد الكافرين في أعين المؤمنين؛ حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين؛ ليتجاسروا على قتالهم، إذا ظهر لهم أنهم على ما أمروا به من قتال الواحد للآخرين من قوله: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦].

(١) في د: «والأول أرجح».

(٢) في د: «لما».

وهذا المعنى موافق لقوله تعالى : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٤].

والآخر : أنه رجع قومٌ من الكفار حتى بقي منهم ستُّ مئة وستة وعشرون رجلاً ؛ وذلك قَدْرُ عدد المسلمين مرتين .

وقيل : إنَّ الفاعل في ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ : ضمير المشركين ، والمفعول : ضمير المؤمنين ، وإنَّ الضمير في ﴿مِثْلِيهِمْ﴾ يَحْتَمِلُ أن يكون للمؤمنين أو للمشركين .

والمعنى على هذا : أنَّ الله كَثَّرَ عدد المسلمين في أعين المشركين ؛ حتى حَسِبَ الكفارُ المؤمنين مثلي الكافرين ، أو مثلي المؤمنين ، وهم أقلُّ من ذلك ، وإنما كَثَّرَهم الله في أعينهم ليرهبوهم .

ويردُّ هذا قوله تعالى : ﴿وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] .

﴿رَأَى الْآيَاتِ﴾ نُصِبَ على المصدرية . ومعناه : معاينة ظاهرة لا شك فيها .

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ﴾ أي : أنَّ النصر بمشيئة الله ، لا بالقلة ، ولا بالكثرة ؛ فإنَّ فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين ؛ مع أنهم كانوا أكثرَ منهم .

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ قيل : المزيّن هو الله ، وقيل : الشيطان .

ولا تعارض بينهما ؛ فتزيين الله : بالإيجاد والتهيئة للانتفاع ، وإنشاء الجبلة على الميل إلى الدنيا .

وتزيين الشيطان : بالسوسة والخديعة .

﴿وَالْقَنْطَرِ﴾ جمع قنطار؛ وهو ألف ومئتا أوقية. وقيل: ألف ومئتا مثقال، وكلاهما مروى عن النبي ﷺ^(١).

﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ مبنية من لفظ القنطار؛ للتأكيد؛ كقولهم: ألف مؤلفة.

وقيل: المضروبة دنائراً أو دراهم.

﴿الْمُسَوِّمَةِ﴾ الراعية؛ من قولهم: سام الفرس وغيره: إذا جال في المسارح.

وقيل: المعلمة في وجوهها شيات^(٢)؛ فهي من السِّمَا بمعنى العلامة.

وقيل: المعدة للجهاد.

﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تحقير لها؛ ليزهد فيها الناس.

﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ﴾ تفضيل للآخرة على الدنيا؛ ليرغب فيها.

وتَمَّ الكلام في قوله: ﴿مِّنْ ذَلِكَ﴾، ثم ابتداء قوله: ﴿لِّلَّذِينَ اتَّقَوْاْ﴾؛ تفسيراً لذلك.

ف ﴿جَنَّتٌ﴾ على هذا: مبتدأ، وخبره: ﴿لِّلَّذِينَ اتَّقَوْاْ﴾.

وقيل: إنَّ قوله: ﴿لِّلَّذِينَ اتَّقَوْاْ﴾ متعلق بما قبله، ويتم الكلام في قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

ف ﴿جَنَّتٌ﴾ على هذا: خبرُ ابتداءٍ مضمرة.

(١) أخرجهما الطبري في تفسيره (٢٥٥/٥).

(٢) الشِّياتُ: جمع شِيَّة، وهي كل لونٍ يخالف معظم لون الفرس وغيره، وهي من: وَشَى، ففأوه واو محذوفة، والهاء في آخره عوضٌ منها. انظر: لسان العرب (٢٧١/٢٠).

﴿وَرِضْوَتٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ زيادةٌ إلى نعيم الجنة ، وهو أعظم من النعيم حسَبما ورد في الحديث ^(١) .

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ نَعْتُ ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ، أو رُفِعَ بالابتداء ، أو نُصِبَ بإضمار فعل .

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في الأقوال والأفعال .

﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ العابدين ، أو المطيعين .

﴿وَالسُّغْفِرِينَ﴾ الاستغفار : هو طلب المغفرة .

قيل لرسول الله ﷺ : كيف نستغفر؟ فقال : «قولوا : اللهم اغفر لنا وارحمنا وتُبْ علينا إنك أنت التَّوَّابُ الرحيم» ^(٢) .

﴿وَبِالْأَشْحَارِ﴾ جمع سَحَرٍ ؛ وهو آخر الليل ؛ يقال : إنه الثلث الآخر ؛ وهو الذي ورد أن الله يقول حينئذٍ : «من يستغفرني فأغفر له» ^(٣) .

﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ الآية ؛ شهادةٌ من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية .

وقيل : معناها : إعلامُه لعباده بذلك .

(١) عن أبي سعيد الخدري ، أن النبي ﷺ قال : «إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول : هل رضيتم؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول : أحلُّ عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً» أخرجه البخاري (٧٥١٨) ، ومسلم (٢٨٢٩) .

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٧٣/٩) .

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) .

﴿وَالْمَلَكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ عطفٌ على اسم ﴿اللَّهُ﴾ ؛ أي: هم شهداء بالوحدانية.

ويعني بأولي العلم: العارفين بالله، الذين يقيمون البراهين على وحدانيته.

﴿قَالِمًا﴾ منصوبٌ على الحال من: اسم ﴿اللَّهُ﴾ ، أو من: ﴿هُوَ﴾ .

أو منصوبٌ على المدح.

﴿يَالْقِسْطِ﴾ بالعدل.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إنما كرّر التَّهْلِيلَ لوجهين:

أحدهما: أنه ذكّر أولاً الشهادة بالوحدانية، ثم ذكرها ثانياً بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة^(١).

والآخر: أن ذلك تعلیمٌ لعباده؛ ليُكثِّروا من قولها.

﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ بكسر الهمزة: ابتداءً.

وبفتحها: بدلٌ مِنْ ﴿أَنَّهُ﴾ ، وهو بدلٌ شيءٍ من شيءٍ؛ لأن التوحيد هو الإسلام.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الدِّينَ﴾ الآية؛ إخبارٌ أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق؛ من أجل البغي، وهو الحسد.

والآية في اليهود، وقيل: في النصارى، وقيل: فيهما.

(١) في د: «ثم ذكر ثانياً ثبوتها بالشهادة المتقدمة».

﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ قد تقدّم معناه في «البقرة»^(١).

وهو هنا تهديد؛ ولذلك وقع في جواب: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ﴾.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي: جادلوك في الدين.

والضمير: لليهود، ونصارى نجران.

﴿أَسَلْتُ وَجْهِي﴾ أي: أخلصت نفسي وجملتي لله؛ وعبر بالوجه عن الجملة.

ومعنى الآية: إقامة الحجة عليهم؛ لأنّ من أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شك، فسقطت حجّة من خالفه.

﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ عطف على التاء في ﴿أَسَلَمْتُ﴾.

ويجوز أن يكون مفعولاً معه.

﴿أَسَلَمْتُمْ﴾ تقرير بعد إقامة الحجة؛ أي: قد جاءكم من البراهين ما يقتضي أن تسلموا.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ أي: إنما عليك أن تبلغ رسالة ربك، فإذا بلغت فقد فعلت ما عليك.

وقيل: إن فيها مودةً نسختها آية السيف.



[إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعَتْ لَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية؛ نزلت في اليهود والنصارى؛ توبيخاً لهم، ووعيداً على قبيح^(١) أفعالهم، وأفعال أسلافهم.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود.

(١) في ب، د: «فُجِح».

والكتاب هنا : التوراة ، أو جنس .

﴿يُدْعُونَ إِنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾ ابنُ عباس : دخل رسول الله ﷺ على جماعةٍ من اليهود ، فيهم النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد ، فقالوا له : على أيِّ دينٍ أنت ؟ فقال : «على دين إبراهيم» ، فقالوا : إنَّ إبراهيم كان يهوديًا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : «فهلِّمُوا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم» ، فأبوا عليه فنزلت الآية^(١) .

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ على هذا : التوراة .

وقيل : هو القرآن ؛ كان النبي ﷺ يدعوهم إليه فيعرضون عنه .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارةُ إلى إعراضهم عن كتاب الله .

والباء سببية .

والمعنى : أنَّ كفرهم بسبب اغترارهم وأكاذيبهم .

والأيام المعدودات قد ذُكرت^(٢) في «البقرة»^(٣) .

﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ﴾ أي : كيف يكون حالهم يوم القيامة ؟

والمعنى : تهويلٌ واستعظام لما أُعدَّ لهم .

﴿اللَّهُمَّ﴾ منادى ، والميم فيه عوض من حرف النداء عند البصريين ؛

ولذلك لا يجتمعان .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩٣/٥) .

(٢) في ب ، ج ، هـ : «ذكر» .

(٣) انظر صفحة ٣٣٠ .

وقال الكوفيون: أصله: «يا الله أُمَّنًا بخير» فالميم عندهم من: «أُمَّنًا». ﴿مَلِكَ الْمَلِكِ﴾ منادى عند سيبويه.

وأجاز الزَّجَّاج أن يكون صفةً لاسم الله.

وقيل: إن الآية نزلت ردًا على النصارى في قولهم: إنَّ عيسى هو الله؛ لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى.

وقيل: لما أخبر النبي ﷺ أن أمته يفتحون مُلْك كسرى وقيصر: استبعد ذلك المنافقون، فنزلت الآية.

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ قيل: المراد: «بيدك الخير والشر»، فحذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه.

وقيل: إنما خصَّ الخير بالذكر؛ لأنَّ الآية في معنى دعاءٍ ورغبة؛ فكأنه يقول: بيدك الخير فأجزل حظِّي منه.

﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ عبد الله بن مسعود: هي النُّطفة؛ تُخرج من الرجل ميِّتة وهو حيٌّ، ويخرج الرجل منها حيًّا وهي ميِّتة.

وقال عكرمة: هو إخراج الدَّجاجة من البَيْضة، والبيضة من الدَّجاجة.

وقيل: تُخرج^(١) المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، فالحياة والموت على هذا: استعارة.

(١) في ب، د: «يخرج».

وفي ذِكْرِ الْحَيِّ مع الميت :

المطابقة ؛ وهي من أدوات البيان .

وفيه -أيضاً- القلب ؛ لأنه قَدَّمَ الْحَيَّ على الميت ، ثم عكس .

﴿بَعَثَ حِسَابٍ﴾ بغير تضيق . وقيل : بغير محاسبة .

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية ؛ عامة في جميع الأعصار .

وسببها : مِيلُ بعض الأنصار إلى بعض اليهود .

وقيل : كتاب حاطب إلى مشركي قريش .

﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ تبرؤ ممن فعل ذلك ، ووعدٌ على موالاة الكفار .

وفي الكلام حذف ؛ تقديره : ليس من التقرب إلى الله في شيء .

وموضع ﴿فِي شَيْءٍ﴾ : نصبٌ على الحال من الضمير في ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ .

قاله ابن عطية^(١) .

﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ﴾ إباحةٌ لموالاتهم إن خافوا منهم .

(١) المحرر الوجيز (٢/ ١٩٢) ، ونقل أبو حيان كلام ابن عطية هذا ، وعلق عليه بقوله : «وهو كلام مضطرب ؛ لأن تقديره : «فليس من التقرب إلى الله» يقتضي أن لا يكون «من الله» خبراً لـ«ليس» ؛ إذ لا يستقل ، وقوله : «(في شيء) هو في موضع نصب على الحال» يقتضي أن لا يكون خبراً ؛ فيبقى «ليس» -على قوله- لا يكون لها خبر ، وذلك لا يجوز» ، وأعرّبها أبو حيان بقوله : «وخبر «ليس» هو ما استقلت به الفائدة ، وهي (في شيء) ، (من الله) في موضع نصب على الحال ؛ لأنه لو تأخر لكان صفةً لشيء ، والتقدير : فليس في شيء من ولاية الله» . البحر المحيط (٥/ ٢٨٦) .

والمراد: موالاةً بالظاهر، مع البغضاء في الباطن.

﴿تُقَنَّنَ﴾ وزنه: فُعَلَة - بضم الفاء وفتح العين - ، وفاؤه واوٌ، أُبدِلَ منها تاءٌ، ولامه ياء أُبدِلَ منها ألف.

وهو منصوب على المصدرية.

ويجوز أن ينتصب على الحال من الضمير في ﴿تَكْفُوا﴾.

﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ تخويفٌ.

﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ منصوبٌ على الظرفية، والعامل فيه:

فعل مضمر؛ تقديره: اذكروا، أو خافوا.

وقيل: العامل فيه: ﴿قَدِيرٌ﴾.

وقيل: ﴿الْمَصِيرُ﴾.

وقيل: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ﴾.

﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿تَوَدُّ﴾.

أو معطوف.

﴿أَمَدًا﴾ أي: مسافةً.

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ﴾ ذكر بعد التحذير:

تأنيسًا؛ لئلا يُفْرِطَ الخوفُ.

أو لأن التحذير والتنبيه رَأْفَةٌ.

﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ جَعَلَ اتِّبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ :

علامةً على محبة العبد لله تعالى .

وشرطاً في محبة الله للعبد ومغفرته له .

وقيل : إِنَّ الآية خطابٌ لنصارى نجران ، ومعناها على العموم في جميع

الناس .



[﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ٣٣ ذُرِّيَّةً
بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي
مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا
دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُكُمْ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٧ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ
لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ٣٨ فَنَادَاهُ الْمَلَكُ هُوَ قَائِمٌ يُمْكِلُ فِي الْمِحْرَابِ
أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِبَحْتٍ مُصَدِّقٍ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ٣٩
قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا
يَشَاءُ ٤٠ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا
وَأَذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَتُنَادِيكَ بِالسَّيِّئِ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾].

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾ الآية؛ لما مضى صدر من محاكاة نصارى نجران: أخذ
يبين لهم ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عليه السلام، وكيفية ولادته.
وبدا بذكر آدم ونوح عليه السلام؛ تكميلاً للأمر؛ لأنهما أبوان لجميع الأنبياء.
ثم ذكر إبراهيم؛ تدريجاً إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى عليه السلام.
وقيل: إن عمران هنا هو والد موسى، وبينهما ألف وثمان مئة سنة.
والأظهر أن المراد هنا: هو والد مريم؛ لذكر قصتها بعد ذلك.
﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ يحتمل أن يريد بالآل: القرابة، أو الأتباع.
وعلى الوجهين يدخل نبينا محمد ﷺ في آل إبراهيم.

﴿ذُرِّيَّةٌ﴾ بدلٌ مما تقدّم، أو حال.

ووزنه فُعْلِيَّةٌ؛ منسوب إلى الذرّ؛ لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر، وغير أوّلِه في النسب.

وقيل: أصل ذُرِّيَّة: ذُرُورَةٌ؛ وزنها: فُعُولَةٌ، ثم أُبدِل من الراء الأخيرة ياء، فصار: ذُرُويّة، ثم أدغمت الواو في الياء وكسرت الراء فصار: ذُرِّيّة.

﴿إِذْ قَالَتْ﴾ العامل فيه محذوف؛ تقديره: اذكر.

وقيل: ﴿عَلِيمٌ﴾.

وقال الرّجّاج: العامل فيه: معنى الاصطفاء.

﴿أَمْرَأْتُ عِمْرَانَ﴾ اسمها: حَنَّة - بالنون-، وهي أمّ مريم، وعمران هنا: هو والد مريم.

﴿نَذَرْتُ﴾ أي: جعلت نذرًا عليّ أن يكون هذا الولد الذي في بطني حَيِّسًا على خدمة بيتك؛ وهو بيت المقدس.

﴿مُحَرَّرًا﴾ أي: عَتِيقًا من كل شُغلٍ إلّا خدمة المسجد.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الآية؛ كانوا لا يُحرّرون الإناث لخدمة المساجد، فقالت: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾؛ تحسّرًا وتلهّفًا على ما فاتها من النذر الذي نذرت.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ قرئ ﴿وَضَعْتَ﴾: بإسكان التاء، وهو من كلام الله؛ تعظيمًا لموضوعها.

وقرئ: بضم التاء وسكون العين؛ وهو -على هذا- من كلامهما.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ يَحْتَمِلُ :

أن يكون من كلام الله .

فالمعنى : ليس الذكر الذي طَلَبَتِ كالأُنْثَى التي وَهَبْتُ لَكَ .

وأن يكون من كلامها .

فالمعنى : ليس الذكر كالأُنْثَى في خدمة المساجد ؛ لأن الذكور كانوا يَخْدُمونها دون الأنثى .

﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ إنما قالت لربها : ﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ؛ لأن مريم في لغتهم بمعنى : العابدة ، فأرادت بذلك التقربُ إلى الله .

ويؤخذ من هذا : تسمية المولود يوم ولادته .

وامتنع ﴿مَرْيَمَ﴾ من الصَّرف ؛ للتعريف والتأنيث ، وفيه -أيضاً- العُجْمة .

﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا﴾ ورد في الحديث : «ما من مولود إلا نَحَسُّه الشيطان حين يُولَدُ فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا ، إلا مريم وابنها ؛ لقولها : ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ﴾ الآية»^(١) .

﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي : رَضِيَهَا للمسجد مكانَ الذَّكَرِ .

﴿بِقَبُولِ حَسَنٍ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن يكون مصدرًا على غير الصَّدْر^(٢) .

(١) تقدم تخريجه في صفحة .

(٢) في أ ، د : «المصدر» ، والمثبت هو الصواب ، والصَّدْرُ : هو الفعل في اصطلاح الكوفيين ، وهذا التعبير «مصدر على غير الصَّدْر» مألوف الاستعمال عند العلماء ، =

والآخر: أن يكون اسمًا لما يُقبل به، كالسَّعوط: اسم^(١) لما يُسَعَط به.
﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ عبارة عن حسن النشأة.
﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي: ضمَّها إلى إنفاقه وحضانته، والكافل: هو
الحاضن.

وكان زكرياء زوجَ خالتها، وقيل: زوج أختها.
وقرئ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ بتشديد الفاء، ونصب ﴿زَكَرِيَّا﴾، أي: جعله الله
كافلها.

﴿الْمِحْرَابِ﴾ في اللغة: أشرفُ المجالس، وبذلك سُمِّي موضع الإمام.
ويقال: إن زكرياء بنى لها غرفةً في المسجد؛ وهي المحراب هنا.
وقيل: المحراب: موضع العبادة.
﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة
الصيف في الشتاء.

ويقال: إنها لم تَرْضَعْ ثديًا قط، وكان الله يرزقها.

= كما في أدب الكاتب لابن قتيبة، والمححر الوجيز، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي،
والبحر المحيط لأبي حيان، وغيرها، ومعناه: أن يكون المصدر على غير بناء الفعل،
بأن يكون مصدرًا لفعل آخر، فالفعل في هذه الآية: «تَقَبَّلَ»، ومصدرُ هذا الفعل:
«تَقَبُّلاً»، ولكنه جاء هنا «قبولًا» مصدرًا للفعل «قَبِلَ». وانظر: أدب الكاتب، لابن قتيبة
(تحقيق: الدالي): (ص: ٣٣٣).

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

﴿أَنْ لَّكَ هَذَا﴾ أي: كيف؟ ومن أين؟

﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ﴾ من كلام مريم، أو من كلام الله تعالى.

﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى مكان.

وقد يستعمل في الزمان؛ وهو الأظهر هنا، أي: لما رأى زكرياء كرامة الله تعالى لمريم: سأل من الله الولد.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أَنْتَ رَغِيًّا للجماعة.

وقرئ بالالف على التذكير.

وقيل: إن الذي ناداه جبريل وحده، وإنما قيل: ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ كقولهم: فلان يركب الخيل؛ أي: جنس الخيل، وإن كان فرسًا واحدًا.

﴿يَحْيَى﴾ اسم سَمَاءَ الله تعالى به قبل أن يولد، وهو اسم بالعبرانية صادم اشتقاقًا وبناءً في العربية.

وهو لا ينصرف، فإن كان أعجميًا: ففيه التعريف والعُجمة، وإن كان عربيًا: فالتعريف ووزن الفعل.

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: مصدقًا بعيسى ﷺ، مؤمنًا به.

وسُمِّي عيسى كلمة الله؛ لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها؛ وهي قوله: ﴿كُنْ﴾، لا بسبب آخر؛ وهو الوالد كسائر بني آدم.

﴿وَسَيِّدًا﴾ السَّيِّد: الذي يسود قومه؛ أي: يفوقهم في الشرف والفضل.

﴿وَحَصُورًا﴾ أي: لا يأتي النساء؛ فقيل: خلقه الله كذلك، وقيل: كان يُمسِكُ نفسه.

وقيل: الحضور: الذي لا يأتي الذُّنوب.

﴿أَنْ يَكُونَ لِي عِلْمٌ﴾ تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته، وعُقم امرأته، ويقال: إنه كان له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون؛ فاستبعد ذلك في العادة، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك.

فسأله؛ لعلمه بقدرة الله، واستبعده؛ لأنه نادر في العادة.

وقيل: سأله وهو شاب، وأجيب وهو شيخ؛ ولذلك استبعده.

﴿كَذَلِكَ اللَّهُ﴾ أي: مثل هذه الفعلة العجيبة: يفعل الله ما يشاء؛ فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة.

والإشارة بـ «ذلك»: إلى هبة الولد لذكرياء.

واسم ﴿اللَّهُ﴾ مرفوعٌ بالابتداء، و﴿كَذَلِكَ﴾ خبره؛ فيجب وصله معه.

وقيل: إن الخبر: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، ويَحْتَمِلُ ﴿كَذَلِكَ﴾ - على هذا - وجهين:

أحدهما: أن يكون في موضع الحال من فاعل ﴿يَفْعَلُ﴾.

والآخر: أن يكون في موضع خبر مبتدأٍ محذوف؛ تقديره: «الأمير كذلك»، أو «أنتما كذلك».

وعلى هذا يوقف على ﴿كَذَلِكَ﴾.

والأول أرجح؛ لاتصال الكلام، وارتباط قوله: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ مع ما قبله، ولأن له نظائر كثيرة في القرآن؛ منها قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾

﴿أَجْعَلْ لِّي آيَةً﴾ أي: علامة على حمل المرأة.

﴿ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس ثلاثة أيام، يُمنع لسانه^(١) عن ذلك، مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله؛ ولذلك قال: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾.

وإنما حُبس لسانه عن الكلام تلك المدة؛ لِيُخْلِصَ فيها لذكر الله؛ شكرًا على استجابة دعائه، ولا يُشْغِلَ لسانه بغير الشُّكر والذكر.

﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ إشارة باليد، أو بالرأس، أو غيرهما؛ فهو استثناء منقطع.

﴿بِالْعَشِيِّ﴾: من زوال الشمس إلى غروبها، ﴿وَالْإِبْكَرِ﴾: من طلوع الفجر إلى الضحى.



(١) في ج: «لسانك».

[وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ يَمْرَيْمُ اقْنِطِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهِمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٣﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٤﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٦﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٧﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَنْبَرَمَ وَأُخَيِّ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿٤٩﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٠﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥١﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٣﴾].

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ اختلف هل المراد جبريل أو جمع من الملائكة؟

والعامل في «إذ» مضمّر.

﴿اصْطَفَاكِ﴾ أولاً حين تقبلتك من أمك.

﴿وطهّرك﴾ من كل عيب في خلق أو خلق أو دين.

﴿وَأَصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ يَحْتَمَلُ :

أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصاً بأن وهب لها عيسى من غير أب .

فيكون ﴿عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ عاماً .

وأن يكون الاصطفاء عاماً .

فِيُخَصَّصُ^(١) مِنْ ﴿نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ : خديجة وفاطمة .

أو يكون المعنى : على نساء زمانها .

وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق .

وقيل : إنها كانت نبيّة ؛ لتكليم الملائكة لها .

﴿أَقْنِي﴾ القنوت هنا : بمعنى الطاعة والعبادة .

وقيل : طول القيام في الصلاة ؛ وهو قول الأكثرين .

﴿وَأَسْجُدِي وَأَزْكِى﴾ أُمِرَتْ بِالصَّلَاةِ ؛ فَذَكَرَ الْقَنُوتَ وَالسُّجُودَ ؛ لَكُونَهُمَا^(٢)

من هيئات الصلاة وأركانها ، ثم قيل لها : ﴿وَأَزْكِى مَعَ الرُّكُوعِ﴾ بمعنى :

ولتكن صلاتك مع المصلين ؛ أي : في الجماعة .

فلا يقتضي الكلام - على هذا - تقديم السجود على الركوع ؛ لأنه لم يُرد

الركوع والسجود المنتظمين في ركعة واحدة .

وقيل : أراد ذلك ، وقَدَّمَ السُّجُودَ ؛ لِأَنَّ الْوَاوَ لَا تُرْتَّبُ .

(١) في ج ، د ، هـ : «فيخص» .

(٢) ب : «لأنهما» .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ فِي مَلَّتِهِمْ بِتَقْدِيمِ السُّجُودِ عَلَى الرُّكُوعِ .
﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من القَصَصِ ، وهو خطابٌ للنبي ﷺ .
﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ احتجاجٌ على نبوته ﷺ ؛ لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم .

﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ أزالامهم^(١) ؛ وهي قِدَاحُهُمْ .

وقيل : الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة ، اقترعوا بها على كفالة مريم ؛ حرصاً عليها وتنافساً في كفالتها .

وتدلُّ الآية على جواز القرعة ، وقد ثبتت - أيضاً - من السنة .

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ مبتدأ وخبرٌ ، في موضع نصبٍ بفعل تقديره : يَنْظُرُونَ أَيُّهُمْ .

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يختلفون فيمن يكفلها منهم .

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ «إِذْ» بدلٌ من ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ ، أو من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ، أو العامل فيه مضمَر .

﴿أَسْمُهُ﴾ أعاد الضمير المذكر على «الكلمة» ؛ لأن المسمى بها ذَكَرٌ .

﴿الْمَسِيحُ﴾ قيل : هو مشتقٌ من : سَاحَ في الأرض ؛ فوزنه : مَفْعِلٌ .

وقال الأكثرون : مِنْ مَسَحَ ؛ لأنه مُسِحٌ بالبركة ؛ فوزنه : فَعِيلٌ .

(١) هذه الكلمة سقطت من ب ، ج ، هـ .

وإنما قيل ^(١): ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ والخطاب لمريم؛ لينسبها إليها؛ إعلامًا بأنه يولد من غير والد.

﴿وَجِيهًا﴾ نُصِبَ على الحال.

ووجاهته في الدنيا: النبوة، والتقدم على الناس، وفي الآخرة: الشفاعة وعُلوُّ الدرجة في الجنة.

﴿فِي الْمَهْدِ﴾ في موضع الحال، ﴿وَكَهْلًا﴾ عطف عليه.

والمعنى: أنه يكلم الناس صغيرًا؛ آية تدلُّ على براءة أمه مما قذفها به اليهود، وتدلُّ على نبوته. ويكلمهم - أيضًا - كبيرًا؛ ففيه إعلامٌ بعيشه إلى أن يبلغ سنَّ الكهولة؛ وأوله: ثلاث ^(٢) وثلاثون سنة. وقيل: أربعون.

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ عطف على ﴿يُشْرِكُ﴾، أو على ﴿وَيُكَلِّمُ﴾.

﴿الْكِتَابَ﴾ هنا: جنس. وقيل: الخط باليد.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا: العلوم الدينية، أو الإصابة في القول والفعل.

﴿وَرَسُولًا﴾ حالٌ معطوفة على ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾؛ إذ التقدير: ومعلمًا الكتاب.

أو يُضمَر له فعل تقديره: أُرْسِلَ رسولًا، أو جاء رسولًا.

﴿إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أُرْسِلَ إليهم عيسى عليه السلام مبینًا لحكم التوراة.

﴿أَنِّي﴾ تقديره: بآني.

(١) في د: «قال».

(٢) في أ، ب، د، هـ: «ثلاثة».

﴿إِنِّي أَخْلُقُ﴾ بفتح الهمزة: بدلٌ من ﴿أَفِ﴾ الأول، أو من ﴿يَأَيُّهُ﴾.

وبكسرهما: ابتداءً كلام.

﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ ذَكَرْ هُنَا الضمير؛ لأنه يعود على الطَّيْنِ^(١)، أو على الكاف من ﴿كَهَيْئَةٍ﴾.

وَأَنْثُ فِي «المائدة»؛ لأنه يعود على الهيئة.

﴿فَيَكُونُ طَائِرًا﴾ قيل: إنه لم يخلق غير الخُفَّاش.

وَقَرَأَ ﴿طَائِرًا﴾ بياءٍ ساكنة: على الجمع، وبألف وهمزة: على الإفراد.

وَكَّرَرَ ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ رَفَعًا لَوْهَمٍ مِنْ تَوْهَمٍ فِي عَيْسَى الرُّبُوبِيَّةِ.

﴿وَأَبْرَأُ﴾ رُوي أَنَّهُ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُمَيَّانِ وَالْبُرَصِ^(٢) فَيَدْعُو لَهُمْ فَيَبْرِؤُون.

﴿وَأَخِي الْمَوْتَى﴾ رُوي أَنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ بَعْصَاهُ الْمَيِّتَ أَوْ الْقَبْرَ، فَيَقُومُ الْمَيِّتُ وَيَكَلِّمُهُ.

وروي أنه أحيا سَامَ بن نوح.

﴿وَأَنْبِئُكُمْ﴾ كان يقول: يا فلان أَكَلْتَ كَذَا، وَاذْخَرْتَ فِي بَيْتِكَ كَذَا.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطف:

على ﴿وَرَسُولًا﴾.

(١) في ب، د: «الطير»، وما أثبتته موافق لما في المحرر الوجيز (٢/ ٢٢٨).

(٢) في أ، ب، د، هـ: «والبرص»، والذي لسان العرب (٨/ ٢٧٠): «وجمع الأبرص بُرَصٌ».

أو على موضع: ﴿بَيَّاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ لأنه في موضع الحال، وهو أحسن؛ لأنه من جملة كلام عيسى، فالتقدير: جئتكم^(١) بآية، وجئتكم مصدقًا.

﴿وَلِأَجَلٍ لَّكُمْ﴾ عطفٌ على ﴿بَيَّاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

وكانوا قد حُرِّم عليهم الشحم، ولحم الإبل، وأشياء من الحيتان والطيور، فأحلَّ لهم عيسى بعض ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ ردُّ على مَنْ نسب الربوبية لعيسى.

وانتهى كلام عيسى ﷺ إلى قوله: ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، وابتدأه من قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ﴾.

وكلُّ ذلك يَحْتَمِلُ:

أن يكون مما ذَكَرَت الملائكة لمريم حكايةً عن عيسى ﷺ أنه سيقوله.

ويَحْتَمِلُ أن يكون خطابُ مريم قد انقطع، ثم استؤنف الكلام مِنْ قوله: ﴿وَرَسُولًا﴾؛ على تقدير: جاء عيسى رسولًا بأني قد جئتكم بآية^(٢)، ثم استمرَّ كلامه إلى آخره.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى﴾ أي: عَلِمَ علمًا ظاهرًا، كعلم ما يُدْرَك بالحواس.

﴿مِّنْ أَنْصَارِيٍّ﴾ طَلَبُ النَّصْرَةِ^(٣). والأنصار: جمع ناصر.

(١) في زيادة: «من ربكم».

(٢) في زيادة: «من ربكم».

(٣) في ب، ج: «طلب للنصرة».

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ تقديره: مَنْ يَضِيفُ أَنْفُسَهُمْ - في نصرتي - إلى الله؛ فلذلك قيل: «إلى» هنا بمعنى: «مع».

أو: يتعلّق بمحذوف تقديره: ذاهبًا إلى الله، أو ملتجئًا إلى الله.

﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ حوارِيُّ الرجل: صِفْوَتُهُ وخَالِصَتُهُ؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيٍّ حوارِيٌّ، وإن حوارِيَّ الزبير»^(١).

وقيل: إنَّ الحواريين كانوا قَصَّارين^(٢) يُحَوِّرون الثياب - أي: يبيضونها - ولذلك سمَّاهم الحواريين.

﴿بِمَا أُنْزِلَتْ﴾ يريدون: الإنجيل، و﴿الرَّسُولَ﴾ هنا: عيسى عليه السلام.

﴿مَعَ الشَّهِيدِ﴾ أي: مع الذين يشهدون بالحقِّ من الأمم.

وقيل: مع أمة محمد ﷺ؛ لأنهم يشهدون على الناس.

﴿وَمَكْرُؤًا﴾ الضمير لكفار بني إسرائيل، ومكرهم: أنهم وگُلُوا بعيسى مَنْ يقتله غيلةً.

﴿وَمَكْرَ اللَّهِ﴾ أي: رفع عيسى إلى السماء، وألقى شَبَّهُهُ على من أراد اغتياله حتى قُتِلَ عَوْضًا منه.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٤١٥).

(٢) قَصَّرَ الثوبَ قِصَارَةً وَقَصَّرَهُ: حَوَّرَهُ ودَقَّه، والقَصَّارُ والمُقَصِّرُ: المحوِّر للثياب؛ لأنه يَدُقُّهَا بالقَصْرَةِ التي هي القطعة من الخشب، وتسمى أيضًا المِقْصَرَةَ، وحرفته: القِصَّارَةُ. انظر: لسان العرب (٤١٥/٦).

وعَبَّرَ عن فِعْلِ الله بالمكر مشاكلةً لقوله: ﴿وَمَكْرُوا﴾^(١).
 ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾ أي: أقواهم، وهو فاعلٌ ذلك بحقٍّ، والماكر من
 البشر فاعلٌ بباطل.



(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «عَبَّرَ عن فعل الله» إلخ. أقول: معناه أن الله سَمَّى ما يفعله بالكافرين من العقوبة مكرًا مشاكلةً لفظيةً، ليوافق مكر الكافرين بالرسول ﷺ والمؤمنين في الاسم، فيكون الجزاء من جنس العمل لفظًا. وهذا خطأ، والحامل عليه عند المؤلف وغيره: استقباحُ إضافة المكر إلى الله حقيقةً، بناءً على اعتقاد أن المكر كله مذموم، وليس كذلك؛ بل من المكر ما هو محمودٌ، وهو ما كان على وجه المجازاة عدلاً، ومن هذا مكرُ الله بأعدائه وأعداء رسله، جزاءً وفاقا، وسنةُ الله أن يكون الجزاء من جنس العمل. ومن مكر الله بالكافرين الإملاء لهم واستدراجهم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٨﴾﴾.

[إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْأَيْكَ وَارَأَيْتَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوفِيهِمْ أَجْرَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ
نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلُ لَكَ خُبْرًا عَلَى الْكَذِبِ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ
إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾] .

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ العامل فيه : فعلٌ مضمَر ، أو ﴿وَمَكْرَ﴾^(١) .

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قيل : وفاة موت ، ثم أحياء الله في السماء .

وقيل : رُفِعَ حَيًّا ، ووفاء الموت : بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدَّجَالُ .

وقيل : يعني : وفاة نوم .

وقيل : المعنى : قابضك من الأرض إلى السماء .

﴿وَرَأَيْتَكَ إِلَىٰ﴾ أي : إلى سمائي^(٢) .

(١) في جميع النسخ الخطية كذا : «أو يمكر» ! ، والمثبت هو لفظ الآية ، وهو الموافق لما في

المحرر الوجيز (٢/٢٣٧) ، والكشاف (٤/١١٩) .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراء : قول ابن جزي في قوله تعالى في شأن عيسى ﷺ :

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَأَيْتَكَ إِلَىٰ﴾ قال : أي : «إلى سمائي» ، أقول : هذا عدولٌ باللفظ عن =

﴿وَمُطَهِّرُكُ﴾ أي: من سوءِ جوارهم.

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوكُ﴾ هم المسلمون، وعلوُّهم على الكفار: بالحجة وبالسيف في غالب الأمر.

وقيل: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوكُ﴾^(١): النصارى، و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: اليهود؛ فالآية مخبرة عن عزّة النصارى على اليهود، وإذلالهم لهم.

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ﴾ إشارة إلى ما تقدّم من الأخبار.

﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ المتلوّة، أو المعجزات.

﴿وَالذِّكْرِ﴾ القرآن.

﴿الْحَكِيمِ﴾ الناطق بالحكمة.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ الآية؛ حجة على النصارى في قولهم: كيف يكون ابنٌ دون أب؟، فمثله الله بآدم الذي خلقه دون أمٍّ ولا أبٍ، وذلك أغرب مما استبعدوه؛ فهو أقطع لقولهم.

= ظاهره، بتفسيره بلازمه؛ فإن رفع عيسى ﷺ إلى الله الذي هو مدلول اللفظ، يستلزم رفعه إلى السماء، والذي حمل ابن جزي وأمثاله على هذا التأويل مذهبهم في علو الله، وهو أنه ليس سبحانه بذاته فوق سماواته، بل هو في كل مكان، كما تقدم في عدد من المواضع التي جرى التعليق عليها، وهذا خلاف ما دلت عليه النصوص، وأجمع عليه أهل السنة، ورفع عيسى ﷺ إلى السماء التي وجده النبي ﷺ فيها ليلة الإسراء يتضمن تكريما وتقريبا، فمن كان من العباد أعلى مكانا كان أقرب إلى الله تعالى، فإبراهيم وموسى ﷺ أقرب إلى الله من المسيح، فإن إبراهيم في السماء السابعة، وموسى في السادسة، وعيسى في الثانية، كما في حديث أنس عند مسلم، (رقم ١٦٢). والله أعلم.

(١) في ب، ج، هـ: «الذين اتبعوه».

﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ تفسير لحال آدم.

﴿فَيَكُونُ﴾ حكاية حال ماضية، والأصل لو قال: «خلقه من تراب ثم قال له كن فكان»، لكنه وضع المضارع موضع الماضي؛ ليصور في نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم.

﴿الْحَقُّ﴾ خبر ابتداء مضمرة.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ أي: في عيسى، وكان الذي حاجه فيه وفد نجران من النصارى، وكان لهم سيّدان يقال لأحدهما: السيد، وللآخر: العاقب.

﴿نَبْتَلِ﴾ نلتعن، والبهلة: اللعنة؛ أي: نقول: «لعنة الله على الكاذب منا ومنكم»، هذا أصل الابتهاال.

ثم استعمل في كل دعاء يُجْتَهَدُ فيه، وإن لم يكن لعنة.

ولما نزلت الآية أرسل رسول الله ﷺ إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملائنة فخافوا أن يهلكهم الله أو يمسّخهم الله قردة وخنازير، فأبوا من الملائنة، وأعطوا الجزية.

[قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا شَرْكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ هَتَانِمْ هَتُولَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ ﴿٢٠﴾ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسِئُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾].

﴿قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ﴾ خطابٌ لنصارى نجران، وقيل: لليهود.

﴿سَوَاءٍ﴾ أي عدلٍ ونصفٍ.

﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ بدلٌ من ﴿كَلِمَةٍ﴾.

أو رَفَعٌ على تقدير: هي.

ودعاهم ﷺ إلى توحيد الله، وترك ما عبدوا من دونه، كالْمسيح والأحبار والرهبان.

﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ قالت اليهود: كان إبراهيم يهوديًا، وقال النصارى: كان نصرانيًا، فنزلت الآية ردًا عليهم؛ لأن ملة اليهود والنصارى إنما وُجدت بعد موت إبراهيم بمدة طويلة.

﴿هَآأَنُتُمْ﴾ «ها» تنبيه، وقيل: بدل من همزة الاستفهام، و«أنتم» مبتدأ:
و﴿هَؤُلَاءِ﴾ خبره، و﴿حَاجَبُتُمْ﴾ استئناف.

أو: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ منصوب على التخصيص، و﴿حَاجَبُتُمْ﴾ الخبر.

﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ فيما نطقت به التوراة والإنجيل.

﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ ما تقدم على ذلك من حال إبراهيم.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ رد على اليهود والنصارى.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفى للإشراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في
ذلك الإشراك الذي يتضمّنه دين اليهود والنصارى.

﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ عطف على ﴿لَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾، أي: محمد ﷺ أولى الناس
بإبراهيم؛ لأنه على دينه.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: أمة محمد ﷺ.

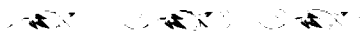
﴿وَدَّتْ طَآئِفَةٌ﴾ هم اليهود؛ دعوا حذيفة وعمارًا ومعاذًا إلى اليهودية.

﴿وَمَا يُضِلُّوْكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: لا يعود وبال الإضلال إلا عليهم.

﴿وَأَنْتُمْ شَٰهَدُونَ﴾ أي: تعلمون أن محمدًا ﷺ نبي.

﴿لَمْ تَلْسُونَا﴾ أي: تخلطون.

والحق: نبوة محمد ﷺ، والباطل: الكفر به.



[وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ
وَكَفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ
أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٧٧﴾ يُخَصِّصْ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٨﴾ *
وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِن تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنَ إِن تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ
إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى
اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ بَلَى مَن أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٠﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا
يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِسْمَةِ وَلَا يُرْكِبُهُمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨١﴾
وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوَنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ
الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿٨٢﴾ مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا
كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٨٣﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ
إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ *].

﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ﴾ كان قومٌ من اليهود أظهروا الإيمان أول النهار، ثم
كفروا آخره؛ ليخدعوا المسلمين فيقولوا: ما رجع هؤلاء إلا عن علم.

وقال السهيلي: إن هذه الطائفة هم عبد الله بن الصَّيْف، وعديُّ بن زيد،
والحارث بن عوف^(١).

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٧٥-٧٦.

﴿أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ يَحْتَمَلُ :

أن يكون من تمام الكلام الذي أمر النبي ﷺ أن يقوله ؛ فيكون متصلاً بقوله : ﴿إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ .

وأن يكون من كلام أهل الكتاب ؛ فيكون متصلاً بقولهم : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ ، ويكون ﴿إِنَّ الْهُدَىٰ﴾ اعتراضاً بين الكلامين .

فعلى الأول : يكون المعنى : كراهة أن يؤتى أحدٌ مثل ما أُوتيتم : قُلْتُمْ ما قُلْتُمْ ، ودَبَّرْتُمْ ما دَبَّرْتُمْ من الخداع .

فموضع ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ﴾ :

مفعولٌ من أجله .

أو منصوبٌ بفعل مضمر تقديره : فلا تنكروا أن يؤتى أحدٌ مثل ما أُوتيتم من الكتاب والنبوة .

وعلى الثاني : يكون المعنى : لا تؤمنوا أي : لا تُقِرُّوا بأن يؤتى أحدٌ مثل ما أُوتيتم ﴿إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ ، واكتموا ذلك عَمَّنْ لم يتبع دينكم ؛ لئلا يدعوهم إلى الإسلام .

فموضع ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ﴾ :

مفعولٌ بـ ﴿تُؤْمِنُوا﴾ المضمَّن معنى : تُقِرُّوا .

ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله ؛ أي : لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ؛ كراهة أن يؤتى أحدٌ مثل ما أُوتيتم .

﴿أَوْ بِمَا جُورٌ﴾ عطفٌ على ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾، وضمير الفاعل: للمسلمين، وضمير المفعول: لليهود.

﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ ردٌّ على اليهود في قولهم: لم يؤتِ الله أحداً مثل ما أوتي بنو إسرائيل من النبوة والشرف.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية؛ إخبارٌ أن أهل الكتب على قسمين: أمين، وخائن.

وذكر القنطار مثلاً^(١) للكثير؛ فمن أذاه أدى ما دونه، وذكر الدينار مثلاً للقليل؛ فمن منعه منع ما فوقه بطريق الأولى.

﴿قَابِئًا﴾ يحتمل أن يكون:

من القيام الحقيقي بالجسد.

أو من القيام بالأمر؛ وهو العزيمة عليه.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى خيانتهم، والباء: للتعليل.

﴿لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ زعموا أن أموال الأُمِّيِّين - وهم العرب - حلالٌ لهم.

﴿الْكُذْبَ﴾ هنا: قولهم: إنَّ الله أحلها لهم في التوراة، أو كذبهم على الإطلاق.

﴿بِكُلِّ﴾ أي: عليهم سبيلٌ وبيعاً في أموال الأُمِّيِّين.

﴿بِعَهْدِهِ﴾ الضمير يعود على: ﴿مَنْ﴾، أو على ﴿اللَّهِ﴾.

(١) في ب، ج، هـ: «وذكرُ القنطارِ مثلاً».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ الآية؛ قيل: نزلت في اليهود؛ لأنهم تركوا عهد الله في التوراة لأجل الدنيا.

وقيل: نزلت بسبب خصومة بين الأشعث بن قيس وآخر، فأراد خصمه أن يحلف كاذباً.

﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ﴾ الضمير عائد على أهل الكتاب.

﴿يَلُونُ أَلْسِنَتَهُمْ﴾ أي: يحرفون اللفظ، أو المعنى.

﴿لِتَحْسِبُوهُ﴾ الضمير يعود على ما دلّ عليه قوله: ﴿يَلُونُ أَلْسِنَتَهُمْ﴾، وهو الكلام المحرف.

﴿مَا كَانَ لِشَرِّ﴾ الآية؛ هذا النفي يتسلط^(١) على ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ﴾، والمعنى: لا يدعي الربوبية من آتاه الله النبوة.

والإشارة: إلى عيسى عليه السلام، ردّ على النصارى الذي قالو: إنه إله.

وقيل: إلى محمد ﷺ؛ لأن اليهود قالوا له: يا محمد أتريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى؟ فقال: «معاذ الله!، ما بذلك أمرت، ولا إليه دعوت»^(٢).

﴿رَبَّنَا﴾ جمع ربّاني؛ وهو العالم.

وقيل: الرباني: الذي يرّبي الناس بصغار العلم قبل كباره.

﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ الباء: سببية، و«ما»: مصدرية.

(١) في ب، ج، هـ: «متسلط».

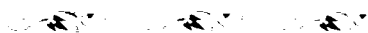
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٥٢٤).

﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف : تَعْرِفُونَ .

وقرئ بالتشديد : من التَّعليم .

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالرفع : استئناف ، والفاعل : الله ، أو البشر المذكور .

وقرئ بالنصب : عطفًا على ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ﴾ ، أو على ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾ ، والفاعل على هذا : البشر .



[وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَجْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَلَدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُبْعَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾].

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ معنى الآية: أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد ﷺ وينصره إن أدركه، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء.

واللام في قوله: ﴿لَمَا آتَيْنَاكُمْ﴾ لام التوطئة؛ لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف.

واللام في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ جواب القسم.

و«ما» يَحْتَمَلُ :

أن تكون شرطية، و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ سَدُّ مَسَدٍ جواب القسم والشرط .

وأن تكون موصولة؛ بمعنى : الذي آتيناكموه لَتُؤْمِنُنَّ به .

والضمير في : ﴿بِهِ﴾ و﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ : عائدٌ على الرسول .

﴿أَقْرَرْتُمْ﴾ اعترفتُم .

﴿إِصْرِي﴾ عهدي .

﴿فَاشْهَدُوا﴾ أي : على أنفسكم ، وعلى أُممكم بالتزام هذا العهد .

﴿وَأَنَا مَعَكُمْ﴾ تأكيدٌ للعهد بشهادة ربِّ العزة ﷻ .

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي : مَنْ تَوَلَّى عن الإيمان بهذا النبي ﷺ بعد هذا الميثاق فهو فاسقٌ مُتَمَرِّدٌ^(١) في كفره .

﴿أَفْعَرَ﴾ الهمزة : للإنكار ، والفاء : عطفَت جملةً على جملة ، و«غيرَ» : مفعولٌ ؛ قُدِّمَ : للاهتمام به ، أو للحصر .

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ أي : انقاد واستسلم .

﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ مصدرٌ في موضع الحال .

والطَّوْعُ : للمؤمنين .

والكَرْهُ : للكافر إذا عاين الموت .

وقيل : عند أخذ الميثاق المتقدم .

(١) في ج : «مرتد»، وفي د : «مترد»، والمثبت موافق لعبارة الكشف (٤/١٦٧) .

وقيل : إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرهاً .

﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾ أمر النبي ﷺ أن يُخَبِّرَ عن نفسه وعن أمته بالإيمان .

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ تعدى هنا بـ «على» ؛ مناسبة لقوله : ﴿قُلْ﴾ .

وفي «البقرة» بـ «إلى» ؛ لقوله : ﴿قَالُوا﴾ ؛ لأن «على» حرف استعلاء يقتضي النزول من علو ، ونزوله على هذا المعنى مختص بالنبي ﷺ ، و«إلى» حرف غاية ؛ وهو موصول^(١) إلى جميع الأمة .

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ﴾ الآية ؛ إبطال لجميع الأديان غير الإسلام .

وقيل : نسخت : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى﴾ [البقرة : ٦٢] الآية .

﴿كَيْفَ﴾ سؤال ، والمراد به هنا : استبعاد الهدى .

﴿قَوْمًا كَفَرُوا﴾ نزلت في الحارث بن سُويْدٍ وغيره ؛ أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بالكفار ، ثم كتبوا إلى أهلهم : هل لنا من توبة ؟ فنزلت الآية إلى قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ ، فرجعوا إلى الإسلام .

وقيل : نزلت في اليهود والنصارى ، شهدوا بصفة النبي ﷺ ، وآمنوا به ، ثم كفروا به لما بُعث .

﴿وَشَهِدُوا﴾ عطف على ﴿إِيْمَانِهِمْ﴾ ؛ لأن معناه : بعد أن آمنوا .

وقيل : الواو للحال .

وقال ابن عطية : عطف على ﴿كَفَرُوا﴾ ، والواو لا ترتب^(٢) .

(١) في ب : «موصول» .

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ٢٧٨) .

﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ عمومٌ بمعنى الخصوص في المؤمنين .

أو على عمومه ؛ وتكون اللعنة في الآخرة .

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ الضمير عائد : على اللعنة .

وقيل : على النار وإن لم تُذكر ؛ لأنَّ المعنى يقتضيها .

﴿ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا﴾ قيل : هم اليهود ؛ كفروا بعتسى بعد إيمانهم بموسى ،

ثم ازدادوا كفرًا بكفرهم بمحمد ﷺ .

وقيل : كفروا بمحمد ﷺ بعدما كانوا مؤمنين قبل مبعثه ، ثم ازدادوا كفرًا

بعداوتهم له وطعنهم عليه .

وقيل : هم الذين ارتدوا .

﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ قيل : ذلك عبارة عن موتهم على الكفر ؛ أي : ليس

لهم توبة فتقبل ، وذلك في قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر .

وقيل : لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر ؛ فذلك عامٌّ .

﴿فَلَنْ يُبْعَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ﴾ جَزْمٌ بالعذاب لكلِّ مَنْ مات على الكفر .

والواو في قوله : ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾ :

قيل : زائدة .

وقيل : للعطف على محذوف ؛ كأنه قال : لن يقبل من أحدهم لو تصدَّق

به ، ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾ .

وقيل : نفى أوَّلَا القبول جملةً على الوجوه كلّها ، ثم خصَّ الفدية بالنفي ؛

كقولك : أنا لا أفعل كذا أصلًا ولو رَغِبْتَ إِلَيَّ .

[لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾
 ﴿٩٣﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
 تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۚ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ فَمَنْ أَفْزَى عَلَى اللَّهِ
 الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٥﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٦﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
 لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ
 الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ
 تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بَعُوعَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
 ﴿٩٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
 كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ
 بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾] .

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي : لن تكونوا من الأبرار ، و^(١) لن تنالوا البرَّ الكامل حتى تنفقوا مما تحبونه من أموالكم .

ولما نزلت قال أبو طلحة : إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ يَبْرَحِي^(٢) ، وإنها صدقة .
 وكان ابن عمر يتصدق بالسكر ؛ ويقول : إني لأحبه .

(١) في هـ ، د : «أو» .

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٧٥) : «هذه اللفظة كثيرًا ما تختلف ألفاظ المحدثين فيها ، فيقولون يبرحاء ، بفتح الباء وكسر ها ، وفتح الراء وضمها ، والمد فيهما ، وفتحهما والقصر ، وهي اسم مالٍ وموضع بالمدينة» ، وقال الزمخشري في «الفاق» (١/ ٩٣) : «كانها فيعلًى ، من البراح ، وهي الأرض المنكشفة الظاهرة» .

﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾ الآية؛ إخبارٌ أن الأطعمة كانت حلالاً لبني إسرائيل،
إلا ما حرّم أبوهُم على نفسه؛ وهو لحم الإبل ولبنها.

ثم حرّمت عليهم أنواعٌ من الأطعمة كالشُحوم وغيرها؛ عقوبةً لهم على
معاصيهم.

وفيها ردٌّ عليهم في قولهم: إنهم على ملّة إبراهيم عليه السلام، وإنّ الأشياء التي
هي محرّمة عليهم كانت محرّمة على إبراهيم.

وفيها دليلٌ على جواز النسخ ووقوعه؛ لأنّ الله حرّم عليهم تلك الأشياء
بعد حلّها، خلافاً لليهود في قولهم: إنّ النسخ محالٌ على الله.

وفيها معجزةٌ للنبي ﷺ؛ لإخباره بذلك من غير تعلّم من أحدٍ.

وسبب تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه: أنه مرض، فنذر إن شفاه
الله أن يُحرّم أحبّ الطعام إليه؛ شكراً لله وتقرباً إليه.

ويؤخذ من ذلك: أنه يجوز للأنبياء أن يحرّموا على أنفسهم باجتهادهم.

﴿فَأَتُوا بِالتَّورَةِ﴾ تعجيزٌ لليهود، وإقامة حجة عليهم.

وروي: أنهم لم يجسّروا على إخراج التوراة.

﴿فَمَنْ أَفْتَرَى﴾ أي: من زعم بعد هذا البيان أن الشحم وغيره كان محرّماً
على بني إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظالم المكابر بالباطل.

﴿صَدَقَ اللَّهُ﴾ أي: الأمر كما وصف، لا كما تكذبون أنتم؛ ففيه تعريضٌ
بكذبهم.

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلزامٌ لهم أن يُسَلِّمُوا؛ لما ثبت أن مِلَّةَ الإسلام هي مِلَّةُ إبراهيم التي لم يحَرِّم فيها شيءٌ مما هو محرَّم عليهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ أي: أول مسجد بُني في الأرض.

وقد سأل أبو ذرُّ النَّبِيِّ ﷺ: أيُّ مسجد بني أولٌ^(١)؟ قال: «المسجد الحرام، ثم بيت المقدس»^(٢).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المعنى: أنه أول بيت وُضِعَ مباركاً وهدى، وقد كانت قبله بيوت.

﴿بَيْكَةً﴾ قيل: هي مكة؛ والباء بدل من الميم.

وقيل: مكة: الحرم كله، وبَيْكَةً: المسجد وما حوله.

﴿مُبَارَكًا﴾ نُصِبَ على الحال، والعامل فيه:

على قول علي: ﴿وُضِعَ﴾؛ لأنه حالٌ من الضمير الذي فيه.

وعلى القول الأول: هو حالٌ من الضمير الذي في المجرور، والعاملُ

فيه: العامل في المجرور من معنى الاستقرار.

﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ آيات البيت^(٣) كثيرة:

منها: الحجر الذي هو مقام إبراهيم، وهو الذي قام عليه حين رفع

القواعد من البيت، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى

(١) في د: «أولاً»، ووردت بالوجهين في صحيح مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

(٣) في ب، ج، هـ، د: «الينات».

أكمل البناء، وغرقت قدم إبراهيم في الحجر كأنها في طين، وذلك الأثر باقٍ إلى اليوم.

ومنها: أن الطير لا تعلوه.

ومنها: إهلاك أصحاب الفيل، ورد الجبابة عنه.

ونبع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه، وحفر عبد المطلب لها بعد دئورها، وأن ماءها ينفع لما شرب به، إلى غير ذلك.

﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ قيل: إنه بدل من الآيات، أو عطف بيان؛ وإنما جاز بدل الواحد من الجمع؛ لأن المقام يحتوي على آيات كثيرة؛ لدلالته على قدرة الله تعالى، وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك.

وقيل: الآيات: مقام إبراهيم، وأمن من دخله؛ فعلى هذا: يكون قوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ عطفاً.

وعلى الأول: استئنافاً.

وقيل: التقدير: منهن مقام إبراهيم؛ فهو على هذا: مبتدأ.

والمقام: هو الحجر المذكور.

وقيل: البيت كله.

وقيل: مكة كلها.

﴿كَانَ آمِنًا﴾ أي: آمناً من العقاب؛ فإنه كان في الجاهلية إذا فعل أحد جريرة^(١) ثم لجأ إلى البيت لا يطلب، ولا يعاقب.

(١) في د: «جريمة».

فأما في الإسلام: فإنَّ الحرم لا يَمْنَع من الحدود، ولا من القصاص .
وقال ابن عباس وأبو حنيفة: ذلك الحكم باقٍ في الإسلام؛ إلَّا أنَّ
مَنْ وجب عليه حدٌّ أو قصاصٌ فدخل الحرم لا يُطْعَم ولا يُباع منه حتى
يُخرج .

وقيل: آمناً من النار .

﴿حَجَّ أَلْبَيْتِ﴾ بيانٌ لوجوب الحج، واختلف هل هو على الفور أو على
التراخي؟ .

وفي الآية ردٌّ على اليهود؛ لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم قيل لهم: إن
كنتم صادقين فحُجُّوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه .

﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ﴾ «مَنْ»: بدلٌ من ﴿النَّاسِ﴾ .

وقيل: فاعلٌ بالمصدر؛ وهو ﴿حَجٌّ﴾ .

وقيل: شرطٌ مبتدأ؛ أي: من استطاع فعليه الحجُّ .

والاستطاعةُ:

عند مالك: هي القدرة على الوصول إلى مكة بصحَّةِ البدن، إمَّا راجلاً
وإمَّا راكباً، مع الزاد المبلَّغ والطريق الآمن .

وقيل: الاستطاعة: الزاد والراحلة؛ وهو مذهب الشافعي وعبد الملك
ابن حبيب، وروي في ذلك حديث ضعيف^(١) .

(١) أخرجه الدارقطني (٢١٣/٣)، والبيهقي (٢٠٦/٩) .

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قيل : المعنى : من لم يحجَّ ؛ وعَبَّرَ عنه بالكفر تغليظًا ؛ كقوله ﷺ : «من ترك الصلاة فقد كفر»^(١) .

وقيل : أراد اليهود ؛ لأنهم لا يحجُّون .

وقيل : مَنْ زعم أن الحج ليس بواجب .

﴿لَمْ تَكْفُرُوا﴾ توبيخ لليهود .

﴿لَمْ تَصُدُّوا﴾ توبيخ أيضًا ، وكانوا يمنعون الناس من الإسلام ، ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم .

﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هنا : الإسلام .

﴿تَبْعُونَهَا عِوَجًا﴾ الضمير يعود على السبيل ؛ أي : تطلبون لها الاعوجاج .

﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ أي : تشهدون أن الإسلام حق .

﴿إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا﴾ الآية ؛ لفظها عام ، والخطاب للأوس والخزرج ؛ إذ كان اليهود يريدون فتنهم .

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ إنكار واستبعاد .

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٢)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٢٢٩٣٧) (٢٣٠٠٧) .

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٦٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٦٩﴾].

﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قيل: نسخها: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقيل: لا نسخ؛ إذ لا تعارض، فإنَّ العباد أُمرُوا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا؛ تحرُّراً من الإكراه وشبهه.

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: تمسَّكوا، والحبل هنا: مستعارٌ من الحبل الذي يُشدُّ عليه اليد.

والمراد به هنا: القرآن، وقيل: الجماعة.

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ نهى عن التدابر والتقاطع؛ إذ كان الأوس همُّوا بالقتال مع الخزرج، لما رام اليهود إيقاع الشرِّ بينهم.

ويَحتمل أن يكون نهياً عن التفرُّق في أصول الدين.

ولا يدخل في النهي: الاختلاف في الفروع.

﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ﴾ كان بين الأوس والخزرج عداوةٌ وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله على الإسلام.

﴿شَفَا حُفْرَةً﴾ أي: حَرَفِ حَفْرَةٍ، وذلك تشبيهٌ لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التي تقودهم إلى النار.

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ الآية؛ دليلٌ على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ.

وقوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ دليلٌ على أنه فرض كفاية؛ لأن «مِنْ» للتبعض.

وقيل: إنها لبيان الجنس، وأن المعنى: كونوا أمةً.

وتغيّر المنكر يكون: باليد وباللسان وبالقلب، على حسب الأحوال.

﴿كَالَّذِينَ نَفَرُوا﴾ هم اليهود والنصارى، نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم.

ورد في الحديث أنه ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين^(١) وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قيل: ومن تلك الواحدة؟ قال: «مَنْ كان على ما أنا وأصحابي عليه»^(٢).

﴿يَوْمَ بَيَضَ وُجُوهٌُ﴾ العامل فيه: محذوفٌ. وقيل: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(١) في أ، ب، هـ: «اثنتين».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) واللفظ له، وأبو داود (٤٥٩٦)، وابن ماجه (٣٩٩٢)، وأحمد (١٢٤٧٩).

﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: يقال لهم: ﴿أَكْفَرْتُمْ﴾.

والخطاب: لمن ارتدَّ عن الإسلام.

وقيل: للخوارج.

وقيل: لليهود؛ لأنهم آمنوا بصفة النبي ﷺ المذكورة في التوراة، ثم كفروا

به لما بعث.



[كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ أَلَذَّابًا ثُمَّ لَا يُمْسِرُونَ ﴿١١١﴾ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ إِنَّنِ مَا نُنْفِقُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِأُمُورٍ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَتَأْتُمْ أَوْلَاءَ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ أَلَا نَأْمِلُ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا تَسْتَفِقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾].

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ «كان» هنا : هي التي تقتضي الدوام، كقوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا رَّحِيمًا﴾ .

وقيل : كنتم في علم الله .

وقيل : كنتم فيما وصفتُم به في الكتب المتقدمة .

وقيل : «كنتم» بمعنى : «أنتم» .

والخطاب : لجميع المؤمنين . وقيل : للصَّحابة خاصة .

﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ أي : بالكلام خاصة ، وهو أهون المضرة .

﴿يُؤْلِكُكُمْ الْأَذْبَارُ﴾ إخبارٌ بغيب ظهر في الوجود صدقُهُ .

﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ إخبارٌ مستأنفٌ ، غير معطوف على ﴿يُؤْلِكُكُمْ﴾ ، وفائدة

ذلك : أن توليتهم الأدبار مقيّدة بوقت القتال ، وعدم النصر على الإطلاق .

وعُطِفَت الجملة على جملة الشرط والجزاء .

و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأحوال ؛ لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشدُّ من

توليتهم الأدبار حين القتال .

﴿إِلَّا يَجْلِبَ مِنَ اللَّهِ﴾ هو هنا : العهد والذمة .

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي : ليس أهل الكتاب مستويين^(١) في دينهم .

﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ أي : قائمةٌ بالحق ، وذلك فيمن أسلم من اليهود ، كعبد الله

بن سلام ، وثعلبة بن سعية وأخيه أسد وغيرهم .

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يدلُّ أن تلاوتهم للكتاب في الصلاة .

﴿فَلَنْ تُكَفِّرُوهُ﴾ أي : لا تحرمون ثوابه .

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾ الآية ؛ تشبيه لنفقة الكفار بزرع أهلكته ريحٌ باردة ، فلم

(١) في أ : «مستويين» .

ينتفع به أصحابه ، فكذلك لا ينتفع الكفار بما ينفقون .

وفي الكلام حذف تقديره :

مثل ما ينفقون كمثل مُهلك ريح .

أو : مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح .

وإنما احتيج لهذا ؛ لأن ما ينفقون ليس شبيهاً بالريح ، إنما هو شبيه بالزرع الذي أهلكته الريح .

﴿صِرُّ﴾ أي : برُد .

﴿حَرَّتْ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي : عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم .

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ الضمير :

للكفار والمنافقين .

أو لأصحاب الحرث .

والأول أرجح ؛ لأن قوله : ﴿أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فعلٌ حالٍ فدلَّ (١) على أنه للحاضرين .

﴿يُطَانَّةٌ مِّنْ دُونِكُمْ﴾ أي : أولياء من غيركم ؛ فالمعنى : نهى عن استخلاص الكفار وموالاتهم .

وقيل لعمر رضي الله عنه : إن هنا رجلاً من النصارى لا أحد أحسن خطاً منه ،

(١) في ب : «يدل» .

أفلا يكتب عنك؟ فقال: إِذَنْ أَتَّخِذُ بَطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ^(١).

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لَا يُقْصِرُونَ فِي فِسَادِكُمْ، والخبال: الفساد.

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: تَمَنَّوْا مُضِرَّتْكُمْ، و«ما» مصدرية.

وهذه الجملة والتي قبلها:

صفة للبطانة.

أو استئناف.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ، واليهود لَا يُؤْمِنُونَ بقرآنكم.

﴿عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ﴾ عبارة عن شِدَّةِ الْغِيْظِ مع عدم القدرة على إنفاذه.

﴿وَالْأَنَامِلُ﴾: جمع أنملة بضم الميم وفتحها.

﴿مُؤْتُوا بِغِيْظِكُمْ﴾ تَقْرِيعٌ وإِغَاظَةٌ، وقيل: دعاء.

﴿إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً﴾ الحسنة هنا: الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك، والسيئة: ضدها.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ من الضَّرِّ؛ بمعنى الضَّرِّ.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٨٩/١٤).

[وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٦﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣٧﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣٨﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴿١٣٩﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٤١﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَ غَلَبًا أَوْ يَكْتَسِبَ غَلَبًا أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤٢﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾].

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ نزلت في غزوة أحد، وكان غدو رسول الله ﷺ للقتال صبيحة يوم السبت، وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة، وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة.

﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تنزلهم، وذلك يوم السبت حين حضر القتال. وقيل: ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة، وذلك ضعيف؛ لأنه لا يقال: «غدوت» فيما بعد الزوال إلا على المجاز. وقيل: ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس، وذلك ضعيف؛ لأنه لم يَبَوِّئْ حينئذٍ مقاعد للقتال؛ إلا أن يراد أنه بوأهم بالتدبير حين المشاورة.

﴿مَقْعِدَ﴾ مواضع، وهو جمع مَقْعِدٍ.

﴿طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ هما: بنو حارثة من الأوس، وبنو سلمة من الخزرج

لَمَّا رَأَوْا كَثْرَةَ الْمُشْرِكِينَ وَقَلَّةَ الْمُسْلِمِينَ هُمُّوا بِالْإِنصِرَافِ؛ فَعَصَمَهُمُ اللَّهُ وَنَهَضُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ الفشل في البدن: هو الإعياء، والفشل في الرأي: هو العجز والحيرة وفساد العزم.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: مُبْتَتِيهِمَا.

وقال جابر بن عبد الله: ما وددنا أنها لم تنزل؛ لقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾^(١).

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ تذكير بنصر الله يوم بدر؛ لتقوى قلوبهم.

﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ هذه الذلة: هي قلة عددهم وضعف عددهم؛ كانوا يوم بدر ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، ولم يكن لهم إلا فرس واحد، وكان المشركون ما بين التسع مئة والألف، وكان معهم مئة فرس، فقتل من المشركين سبعون، وأسر منهم سبعون، وانهزم سائرهم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ متعلق: بـ ﴿نَصَرَكُمُ﴾، أو بـ ﴿فَاتَّقُوا﴾، والأول أظهر.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كان هذا القول: يوم بدر.

وقيل: يوم أحد.

فالعامل في «إذ»:

على الأول: محذوف.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥١)، ومسلم (٢٥٠٥).

وعلى الثاني: هي بدلٌ من: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾.

﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ تقريرٌ، جوابه: ﴿بَلَى﴾.

وإنما جابوب المتكلم؛ لصحة الأمر وبيانه؛ كقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦].

﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ﴾ الضمير للمشركين، والفور: السرعة^(١).

أي: من ساعتهم.

وقيل: المعنى: من سفرهم.

﴿بِحَمْسَةِ آلْفٍ﴾ بأكثر من العدد الذي يكفيكم^(٢)؛ ليزيد ذلك في قوتكم^(٣).

فإن كان هذا يومَ بدر: فقد قاتلت فيه الملائكة.

وإن كان يومَ أحد: فقد شرط قوله: ﴿إِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا﴾، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة.

﴿مُسَوِّمِينَ﴾ - بفتح الواو وكسرهما - أي: مُعَلِّمِينَ، أو مُعَلِّمِينَ أَنْفُسَهُمْ أو خيلهم.

وكانت سِيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء، إلا جبريل فإنه كانت عِمامته صفراء.

(١) في هـ، ج: «الساعة»، والمثبت هو الصواب كما في الكشف (٢٥٢/٤).

(٢) في ج، د: «يكفيهم».

(٣) في هـ، د: «قوتهم».

وقيل : كانوا بعمائم صفر، وكانت خيلهم مجزوزة الأذنان.

وقيل : كانوا على خيل بُلّقي.

﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾ الضمير عائد على : الإنزال و^(١)الإمداد.

﴿وَلِنُظْمِينَ﴾ معطوف على ﴿بُشْرَى﴾ ؛ لأنه هذا الفعل بتأويل المصدر.

وقيل : يتعلّق بفعل مضمر يدلُّ عليه ﴿جَعَلَهُ﴾.

﴿لِيَقْطَعَ﴾ يتعلّق :

بقوله : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

أو بقوله : ﴿وَمَا أَلْتَصِرُ﴾.

﴿لَيْسَ لَكَ﴾ جملة اعتراضية بين المعطوفين.

ونزلت لما دعا رسول الله ﷺ في الصلاة على أحياء من العرب، فترك الدعاء عليهم^(٢).

﴿أَوْ يَتُوبَ﴾ معناه : يُسَلِّمُونَ.



(١) في أ : «أو».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٩).

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا اَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَطِيعِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٣٨﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٩﴾ هَٰذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ إِن يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَلِيَمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ أَم حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ نَظُرُونَ ﴿٤٥﴾].

﴿اَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ كانوا يزدون فيه كلما حلّ، عامًا بعد عام.

﴿سَارِعُوا﴾ بغير واو: استئناف، وبالواو: عطف على ما تقدّم.

﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾ أي: إلى الأعمال التي تستحقّون بها المغفرة.

﴿عَرْضُهَا﴾ ابنُ عباس: تُقَرَّنُ السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تُبَسِّطُ الثياب، فذلك عَرْضُ الجنة، ولا يعلم طولها إلّا الله.

وقيل: ليس العرض هنا خلاف الطول، وإنما المعنى: سعتها كسعة السموات والأرض.

﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ في العسر واليسر.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حُذِفَ مفعولُه، وتقديره: وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين؛ تأنيساً لهم.

وقيل: للكفار؛ تخويفاً لهم.

﴿فَانظُرُوا﴾ من نظر العين عند الجمهور.

وقيل: هو بالفكر.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تقويةٌ لقلوب المؤمنين.

﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ إخبارٌ بعلو كلمة الإسلام.

﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرَحٌ﴾ الآية؛ معناها: إن مسَّكم قتلٌ أو جراح في أحد فقد مسَّ الكفار مثله في بدر.

وقيل: قد مسَّ الكفار يومَ أحد مثلُ ما مسَّكم فيه؛ فإنهم نالوا منكم ونلتهم منهم.

وذلك تسلية^(١) للمؤمنين بالتأسي.

﴿نُذَوُّهُمْ﴾ تسليةٌ أيضاً عما جرى يوم أحد.

(١) في د: «تأنيس».

﴿وَلْيَعْلَمْ﴾ متعلق بمحذوف؛ تقديره: أصابكم ما أصاب يوم أحد؛
لِيَعْلَمْ.

والمعنى: ليعلم ذلك علماً ظاهراً لكم تقوم به الحجة.

﴿شُهَدَاءَ﴾ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ.

﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ أَي: يُطَهَّرَ، وَقِيلَ: يُمَيِّزُ.

وهو معطوف على ما تقدّم من التعليلات لقصة أحد.

والمعنى: أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين،
وَأَنَّ نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكُفَّارِ إِنَّمَا هُوَ لِيُمَحِّقَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ؛ أَي: يُهْلِكَهُمْ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ «أَمْ» هنا منقطعة، مقدّرة بـ «بل» والهمزة عند سيبويه.

وهذه الآية وما بعدها معاتبة لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم
أحد.

﴿تَمَنَّوْنَ أَلْمُوتَ﴾ خُوطِبَ بِهِ قَوْمٌ فَاتَتْهُمْ غَزْوَةُ بَدْرٍ، فَتَمَنَّوْا حُضُورَ قِتَالِ
الْكُفَّارِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ؛ لَيْسْتَ دَرَكُوا مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْجِهَادِ، فَعَلَى هَذَا: إِنَّمَا
تَمَنَّوْا الْجِهَادَ، وَهُوَ سَبَبُ الْمَوْتِ.

وقيل: تمنّوا الشهادة في سبيل الله.

[﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٧٤) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يَرُدُّ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرُدُّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (٧٥) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلْنَا مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (٧٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتُبْ عَلَيْنَا أَعْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٧) فَقَالَتْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسِينَ﴾ (٧٨)].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ المعنى: أن محمداً ﷺ رسولٌ كسائر الرسل؛ قد بلغ الرسالة كما بلغوا، فيجب عليكم التمسك بدينه في حياته وبعد موته. وسببها: أنه صرخ صارخ يوم أحد: إن محمداً قد مات، فتزلزل بعض الناس.

﴿أَفَإِنْ مَاتَ﴾ دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء، ودخلت الفاء؛ لتربط الجملة الشرطية بالجملة التي قبلها.

والمعنى: أن موت رسول الله ﷺ أو قتله لا يقتضي انقلاب أصحابه على أعقابهم؛ لأن شريعته قد تقررت، وبراهينه قد صحت، فعاتبهم على تقدير أن لو صدر منهم انقلاب لو مات ﷺ، أو قُتل، وقد علم أنه لا يُقتل؛ ولكنه^(١) ذكر ذلك لما كان قد صرخ به صارخ ووقع في نفوسهم.

﴿الشَّاكِرِينَ﴾ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الثابتون على دينهم.

(١) في ب، ج، هـ: «ولكن»

﴿كَتَبْنَا مُوَجَّلًا﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: كُتِبَ الْمَوْتُ كِتَابًا.

وقال ابن عطية: نصب على التمييز^(١).

﴿نُؤَيِّدُ مِنْهَا﴾ فِي ثَوَابِ الدُّنْيَا مَقِيدٌ بِالْمَشِيئَةِ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قُتِلَ﴾ الْفِعْلُ مُسْنَدٌ إِلَى ضَمِيرِ النَّبِيِّ، وَ﴿مَعَهُ رِيثُونَ﴾ عَلَى هَذَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ.

وقيل: إنه مسند إلى الرِّثِيِّينَ، فَيَكُونُ^(٢) ﴿رِيثُونَ﴾ عَلَى هَذَا مَفْعُولًا لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

فَعَلَى الْأَوَّلِ: يَوْفَقُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ﴾.

وَيَتَرَجَّحُ الْأَوَّلُ: بِمَا صَرَخَ بِهِ الصَّارِخُ يَوْمَ أَحَدَ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَضَرَبَ لَهُمُ الْمَثَلَ بِنَبِيِّ قُتِلَ.

وَيَتَرَجَّحُ الثَّانِي: بِأَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ قَطُّ نَبِيٌّ فِي مُحَارَبَةٍ.

﴿رِيثُونَ﴾ عِلْمَاءٌ؛ مِثْلُ ﴿رَبَّكِنِغَنَ﴾.

وقيل: جموعٌ كثيرة.

﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ الضَّمِيرُ لـ ﴿رِيثُونَ﴾؛ عَلَى إِسْنَادِ الْقَتْلِ لِلنَّبِيِّ.

وهو لمن بقي منهم؛ عَلَى إِسْنَادِ الْقَتْلِ إِلَيْهِمْ.

(١) المحرر الوجيز (٢/٣٧٤).

(٢) فِي أ، د: «وَيَكُونُ».

﴿وَمَا اسْتَكَاثُوا﴾ أي: لم يذُلُّوا للكفار.

قال بعض النحاة: استكانَ مشتقٌّ من السُّكون، ووزنه افتَعَلُوا؛ مُطِلْتُ^(١) فتحة الكاف فحدث عن مَظِلِّهَا أَلَفٌ، وذلك كالإشباع.

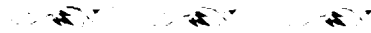
وقيل: أنه من: كان يكون، فوزنه استفعلوا^(٢).

وقوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ وما بعده: تعريضٌ بما صدر من بعض الناس يوم أحد.

﴿وَتَبَيَّنَتْ أَقْدَامُنَا﴾ أي: في الحرب.

﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر.

﴿ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ الجنة.



(١) المَظِلُّ: المدُّ. كما في القاموس المحيط، مادة (م ط ل).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٣٨١): «أصله: استَكُونُوا، نُقِلَتْ حركة الواو إلى الكاف، وقُلِبَتْ أَلِفًا.. والمعنى: إنَّهم لم يضعفوا ولا كانوا قريبًا من ذلك».

[يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَيَبْسُ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۖ إِذْ نُسَيِّدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَغِمَ لَكُمْ لِيَكِيلَ تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾] .

﴿إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم المنافقون الذين قالوا في قضية^(١) أحد ما قالوا .

وقيل : مشركو قريش .

وقيل : اليهود .

(١) في د : «قصة» .

﴿الرُّعْبَ﴾ قيل : ألقى الله الرعبَ في قلوب المشركين بأحد، فرجعوا إلى مكة من غير سبب .

وقيل : لما كانوا ببعض الطريق همُّوا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين ، فألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا .

والآية بعدُ تتناول جميع الكفار ؛ لقوله ﷺ : «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ»^(١) .

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ كان رسول الله ﷺ قد وعد المسلمين عن الله بالنصر ، فنصرهم الله أولاً ، وانهزم المشركون وقُتِلَ منهم اثنان وعشرون رجلاً ، وكان رسول الله ﷺ قد أمر الرُّماة أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا ، فلما رأوا المشركين قد انهزموا طمِعوا في الغنيمة وأتبعوهم ، وخالفوا ما أمروا به من الثبوت في مكانهم ، فانقلبت الهزيمة على المسلمين .

﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ﴾ أي : تقتلونهم قتلاً ذريعاً ؛ يعني : في أوَّل الأمر .

﴿وَتَنَزَعْتُمْ﴾ وقع التنازع بين الرماة ، فثبت بعضهم كما أمروا ، ولم يثبت بعضهم .

﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ أي : خالفتم ما أمرتم به من الثبوت .

وجاءت المخاطبة في هذا لجميع المؤمنين ، وإن كان المخالف بعضهم ؛ وعظاً للجميع ، وسترًا على مَنْ فعل ذلك .

وجواب ﴿إِذَا﴾ : محذوفٌ ؛ تقديره : انهزمتم .

﴿مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ الذين حرصوا على الغنيمة .

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥) ، ومسلم (٥٢١) .

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ معناه: لِيَنْزِلَ بكم ما نزل من القتل والتمحيص.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ إعلامٌ بأن الذنب كان يستحقُّ أكثرَ مما نزل بهم؛ لولا عفو الله عنهم، فمعناه: لقد أبقي عليكم.

وقيل: هو عفو عن الذنب.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ العامل في «إِذْ»:

﴿عَفَا﴾؛ فَيُوصَلُ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ مع ما قبله.

ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمراً.

﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ مبالغة في صفة الانهزام.

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان رسول الله ﷺ يقول^(١): «إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ»، وهم يفرون^(٢).

﴿فِي أَخْرَجَكُمْ﴾ في ساقيتكم.

وفيه مدحٌ للنبي ﷺ؛ فَإِنَّ الْآخِرَ هُوَ مَوْقِفُ الْأَبْطَالِ^(٣).

﴿فَأَتْبَعَكُمْ﴾ أي: جازاكم.

﴿عَمَّا يَغْمُرُ﴾ قيل: أثابكم غمًّا بسبب الغم الذي أدخلتموه على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين إذ عصيتم وتنازعتم.

(١) في د: «ينادي».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٧/٦).

(٣) في هـ، ج: «فإن الآخر موقوف على الأبطال».

وقيل: أثابكم غمًّا متَّصلاً بغمٍّ؛ وأحد الغمَّين: ما أصابهم من القتل والجراح، والآخر: ما أُرْجِف به من قتل رسول الله ﷺ.

﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من النَّصر والغنيمة.

﴿مَّا أَصَبَكُمْ﴾ من القتل والجراح والانهزام.

﴿أَمَنَّا نَعَّاسًا﴾ قال ابن مسعود: نَعَّسنا يوم أحد، والنَّعَّاس في الحرب أَمْنٌ من الله^(١).

﴿يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ﴾ هم المؤمنون المخلصون، غَشَّيْهِم النَّعَّاس؛ تَأْمِينًا لَهُمْ.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ هم المنافقون، كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان والمشركون.

﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ معناه: يظنون أن الإسلام ليس بحقٍّ، وأن الله لا ينصره. و﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ بدلٌ؛ وهو على حذف موصوفٍ، تقديره: ظَنَّ المَدَّةَ الجاهلية، أو الفِرقة الجاهلية.

﴿هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قالها عبد الله بن أبيّ بن سلول، والمعنى: ليس لنا رأيٌ، ولا يُسْمَع قولنا.

أو: لسنا على شيءٍ من الأمر الحقِّ؛ فيكون قولهم هذا كفرًا.

(١) أخرجه الطبري في تفسير (٦/١٦٣) بلفظ: «النَّعَّاس في القتال أَمَنَة، والنَّعَّاس في الصلاة من الشيطان».

﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ :

الْأَقْوَالِ الَّتِي قَالُوهَا .

أَوْ الْكُفْرَ .

﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قَالَهُ مُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ ، وَيَحْتَمِلُ مِنَ الْمَعْنَى مَا احْتَمَلَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي .

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ الْآيَةُ ؛ رَدُّ عَلَيْهِمْ ، وَإِعْلَامٌ بِأَنَّ أَجَلَ كُلِّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يُقْتَلْ يَمُوتُ لِأَجَلِهِ ، وَلَا يُؤَخَّرُ ، وَأَنَّ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ لَا يَنْجِيهِ مِنْهُ شَيْءٌ .

﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ يَتَعَلَّقُ بِفَعْلٍ ، تَقْدِيرُهُ : لِيَبْتَلِيَ فَعَلَ بِكُمْ ذَلِكَ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ الْآيَةُ ؛ نَزَلَتْ فِي مَنْ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ .

﴿أَسْتَزَلَّهُمْ﴾ أَيِ : طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَزِلُّوا .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : أَزَلَّهُمْ ؛ أَيِ : أَوْقَعَهُمْ فِي الزَّلَلِ .

﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أَيِ : كَانَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ عَاقِبَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا ؛ بِأَنَّ مَكْنَ الشَّيْطَانَ^(١) مِنْ اسْتَزَلَّ لَهُمْ .

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أَيِ : غَفَرَ لَهُمْ مَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْفِرَارِ .



(١) فِي ج : «مَكْنَهُمُ الشَّيْطَانُ» .

[يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ
كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ
وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ
مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ
لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ
اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ
نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ
وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَشَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَزُكِّرَ بِهِمُ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوْ لَمَّا
أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذِنِ اللَّهُ وَلْيَعْلَمْ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلْيَعْلَمْ
الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنُتْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ
هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ
أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾].

﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم المنافقون.

﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ هم ^(١) إخوانه القرابة؛ لأن المنافقين كانوا من الأوس

(١) في هـ، ج: «هي».

والخزرج، وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يُقتل من المهاجرين إلا أربعة.

﴿إِذَا صَرُّوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافروا.

وإنما قال: «إذا» التي للاستقبال مع ﴿قَالُوا﴾؛ لأنه على حكاية الحال الماضية.

﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾ جمع غازٍ، ووزنه فُعَل - بضم الفاء وتشديد العين -.

﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا﴾ اعتقادٌ منهم فاسد؛ لأنهم ظنُّوا أن إخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يُقتلوا، وهذا قول من لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم. ويتقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين^(١).

﴿لِيَجْعَلَ﴾ يتعلَّق بـ ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قالوا ذلك فكان حسرةً في قلوبهم، فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذي أوجب لهم الحسرة؛ لأن الذي يتيقَّن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة.

﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ردٌّ على قولهم واعتقادهم.

﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ﴾ الآية؛ إخبارٌ أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قُتلوا أو ماتوا في سبيل الله خيرٌ لهم مما يجمعون من الدنيا.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: ذكروا أن المعتزلة يقولون: المقتول مقطوعٌ عليه أجله الذي قدر له، أو إن له أجلين: أحدهما: ما حصل بسبب القتل، والآخر: هو الذي لو عاش لبلغه.

﴿وَلَيْنَ مَثَمٌ﴾ الآية؛ إخبار أن من مات أو قتل فإنه يُحشَر إلى الله .
 ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ﴾ «ما» زائدة للتأكيد .
 ﴿لَا نَفْضُوا﴾ أي: تفرقوا .
 ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك .
 ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما يختص بحق الله .
 ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ المشاورة مأمورٌ بها شرعاً ، وإنما يشاور النبي ﷺ الناس في
 الرأي؛ في الحروب وغيرها ، لا في أحكام الشريعة^(١) .
 وقرأ ابن عباس: «وشاورهم في بعض الأمر» .
 ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ التوكل: هو الاعتماد على الله في تحصيل
 المنافع ، أو حفظها بعد حصولها ، وفي دفع المضرات ، أو رفعها بعد
 وقوعها .

وهو من أعلى المقامات؛ لوجهين:
 أحدهما: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ .
 والآخر: الضمان الذي في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾
 [الطلاق: ٣] .

وقد يكون واجباً؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
 [المائدة: ٢٣] ، فجعله شرطاً في الإيمان ، ولظاهر قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ﴾

(١) في هـ، ج: «الأحكام الشرعية» .

الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ مَحْمُولٌ عَلَى الْوَجُوبِ .

واعلم أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب :

الأولى : أن يعتمد العبد على ربه ، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له ، وقيامه بمصالحه .

والثانية : أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه ؛ فإنه لا يعرف سواها ، ولا يلجأ إلا إليها .

والثالثة : أن يكون العبد مع ربه : كالमित بين يدي الغاسل ، قد أسلم نفسه إليه بالكلية .

(فصاحب الدرجة الأولى : عنده حظ من النظر لنفسه ، بخلاف صاحب الثانية .

وصاحب الثانية : له حظ من المراد والاختيار ، بخلاف صاحب الثالثة)^{(١)(٢)} .

(١) ما بين القوسين سقط في هـ ، ج .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قوله : «واعلم أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب» إلخ ، أقول : التوكل من أعمال القلوب ، وهو من تحقيق توحيد الربوبية ، ومن مقامات العبودية القلبية ، وجعله ثلاث درجات طريقة الصوفية ، والحق أنه درجتان : الأولى : توكل المقتصدين ، والثانية : توكل المقربين ، وهذا يوافق معنى ما ذكره المؤلف في الدرجة الأولى والثانية ؛ فإنه لا إشكال فيهما ، وأما الدرجة الثالثة فهي من بدع الصوفية التي خالفوا فيها الحس والعقل والشرع ، فكون الإنسان يصل إلى حالة يكون فيها كالमित بين يدي الغاسل ، بحيث لا تكون له إرادة في جلب ولا دفع حالة ممتنعة حساً وعقلاً ، وغير مطلوبة شرعاً ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقا على قول بعض =

وهذه الدَّرَجَات مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ الَّذِي تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِلَهًُ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] ^(١)، فَهِيَ تَقْوَى بِقُوَّتِهِ، وَتَضَعُفُ بِضَعْفِهِ.

فَإِنْ قِيلَ : هَلْ يُشْتَرَطُ فِي التَّوَكُّلِ تَرْكُ الْأَسْبَابِ أَمْ لَا؟

فَالْجَوَابُ : أَنَّ الْأَسْبَابَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

أَحَدُهَا : سَبَبٌ مَعْلُومٌ قَطْعًا، قَدْ أَجْرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَهَذَا لَا يَجُوزُ تَرْكُهُ، كَالْأَكْلِ لِدَفْعِ الْجُوعِ، وَاللِّبَاسِ لِدَفْعِ الْبَرْدِ.

وَالثَّانِي : سَبَبٌ مَظْنُونٌ، كَالتَّجَارَةِ وَطَلْبِ الْمَعَاشِ، وَشَبْهُ ذَلِكَ، فَهَذَا لَا يَقْدَحُ فَعْلُهُ فِي التَّوَكُّلِ ؛ فَإِنَّ التَّوَكُّلَ مِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ، لَا مِنْ أَعْمَالِ الْبَدَنِ، وَيَجُوزُ تَرْكُهُ لِمَنْ قَوِيَ عَلَى ذَلِكَ.

وَالثَّالِثُ : سَبَبٌ مُوْهُومٌ بَعِيدٌ، فَهَذَا يَقْدَحُ فَعْلُهُ فِي التَّوَكُّلِ.

ثُمَّ إِنَّ فَوْقَ التَّوَكُّلِ التَّفْوِيزُ ؛ وَهُوَ الِاسْتِسْلَامُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْكُلِيَّةِ، فَإِنَّ الْمُتَوَكِّلَ لَهُ مَرَادٌ وَاخْتِيَارٌ، وَهُوَ يَطْلُبُ مَرَادَهُ بِاعْتِمَادِهِ عَلَى رَبِّهِ، وَأَمَّا الْمَفْوُوضُ فَلَيْسَ لَهُ مَرَادٌ وَلَا اخْتِيَارٌ، بَلْ أَسْنَدُ الْاخْتِيَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ أَكْمَلُ أَدَبًا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.

= الصَّوْفِيَّةُ : (إِنَّ الْعَارِفَ بِصِيرِ كَالْمَيْتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَاسِلِ)، أَيِ فِي اسْتِسْلَامِهِ لِلْقَدَرِ، قَالَ الشَّيْخُ : «فَهَذَا إِنَّمَا يَمْدَحُ مِنْهُ سَقُوطُ إِرَادَتِهِ الَّتِي لَمْ يُؤْمَرْ بِهَا، وَعَدَمُ حِظِّهِ الَّذِي لَمْ يُؤْمَرْ بِطَلْبِهِ، وَأَنَّهُ كَالْمَيْتِ فِي طَلْبِ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِطَلْبِهِ، وَتَرْكُ دَفْعِ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِدَفْعِهِ. وَمَنْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهُ تَبْطُلُ إِرَادَتُهُ بِالْكُلِيَّةِ، وَأَنَّهُ لَا يُحْسِنُ بِاللَّذَّةِ وَالْأَلَمِ وَالنَّافِعِ وَالضَّارِّ، فَهَذَا مُخَالَفٌ لِنُزُورَةِ الْحَسَنِ وَالْعَقْلِ، وَمَنْ مَدَحَ هَذَا فَهُوَ مُخَالَفٌ لِنُزُورَةِ الدِّينِ وَالْعَقْلِ» أَهْ مِنْ الْعَقِيدَةِ التَّدْمِيرِيَّةِ (ص ٢٢٠).

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ﴾ هو من الغُلُول، وهو أخذ الشيء في خفية من المغانم وغيرها.

وقرئ بفتح الياء وضم الغين، ومعناه: تبرئة للنبي ﷺ من الغلول. وسببها: أنه فُقدت من المغانم قطيفة حمراء، فقال بعض المنافقين: لعلَّ رسول الله ﷺ أخذها.

وقرئ بضم الياء وفتح الغين:

أي: ليس لأحد أن يُغْلَ نبياً؛ أي: يخونه في المغانم. وخصَّ النبي بالذكر وإن كان ذلك محظوراً مع الأمراء؛ لشُعة الحال مع النبي؛ لأن المعاصي تعظم بحضرته.

وقيل: معنى هذه القراءة: أن يوجد غالاً، كما تقول: أحمدت الرجل؛ إذا أصبته محموداً، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة إلى معنى فتح الياء.

﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ وعيد لمن غلَّ بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيء الذي غلَّ.

وقد جاء ذلك مفسراً في الحديث، قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير، لا ألفين أحدكم على رقبته فرس، لا ألفين أحدكم على رقبته رِقَاع، لا ألفين أحدكم على رقبته صامت^(١)، لا ألفين أحدكم على رقبته إنسان، فيقول: يا رسول الله أغثنني!، فأقول: لا أملك

(١) يعني: الذهب والفضة، خلاف الناطق وهو الحيوان. انظر: النهاية (٦/٢٣٧٥).

لك من الله شيئاً ، قد بَلَّغْتُكَ»^(١).

﴿أَفَمِنْ أَتَّبَعَ﴾ الآية ؛ قيل : إن الذي اتَّبَعَ رضوان الله : من لم يَغْلُ ، والذي بَاءَ بالسُّخْطِ : من غلَّ .

وقيل : الذي اتبع الرضوان : من استُشْهِدَ بأحد ، والذي بَاءَ بالسُّخْطِ : المنافقون الذين رجعوا عن الغزو .

﴿هُمْ دَرَجَتٌ﴾ أي : ذووا درجات ، والمعنى :

تفاوت ما بين منازل أهل الرضوان وأهل السُّخْطِ .

أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان ، فإن بعضهم فوق بعض ، وكذلك^(٢) درجات أهل السُّخْطِ .

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ الآية ؛ إخباراً بفضل الله على المؤمنين ببعث رسوله محمد ﷺ .

﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ معناه : في الجنس واللسان ، فكونه من جنسهم : يوجب الأنس به ، وقلة الاستيحاش منه ، وكونه بلسانهم : يُوجب حسنَ الفهم عنه ، ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته ﷺ ، ويكون هو ﷺ أشفقَ عليهم وأرحمَ بهم من الأجنيين .

﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً﴾ الآية ؛ عتابٌ للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد .

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٣) ، ومسلم (١٨٣١) .

(٢) في ب ، ج ، هـ : «فكذلك» .

ودخلت ألف التويخ على واو العطف .

والجملة معطوفة على :

ما تقدّم من قصة أحد .

أو على محذوف .

﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلَهَا﴾ قُتِلَ من المسلمين يوم أحد سبعون ، وكان قد قُتِلَ من
المشركين يوم بدر سبعون ، وأُسِرَ سبعون .

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ قيل : معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة ؛ لمخالفتهم
رسولَ الله ﷺ حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يخرج إلى المشركين ، فأبوا
إلا الخروج .

وقيل : بل ذلك إشارة إلى عصيان الرماة حسبما تقدّم .

﴿يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أي : جُمِعَ المسلمين والمشركين يوم أحد .

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ الآية ؛ كان رأيُ عبد الله بن أبيّ بن سلول أن لا يخرج
المسلمون إلى المشركين ، فلما طَلَبَ الخروجُ قومٌ من المسلمين فخرج
رسول الله ﷺ غضب عبد الله ، وقال : أطاعهم وعصاني ! ، فرجع ورجع
معه ثلاث مئة رجلٍ ، فمشى في أثرهم عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ،
فقال لهم : ارجعوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ! ، فقال له عبد الله بن أبي :
ما أرى أن يكون قتالٌ ، ولو علمنا أنه يكون قتالٌ لكنّا معكم .

﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ أي : كَثَرُوا السَّوَادَ وإن لم تقاتلوا .

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ بدلٌ من ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ .

﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾: في النَّسَب؛ لأنهم كانوا من الأوس والخزرج.
 ﴿قُلْ فَأَدْرَأُ﴾ أي: ادفعوا، والمعنى: ردّ عليهم.

❦ ❦ ❦

[وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَیَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ یَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَا يُبَالِي عَنِ اللَّهِ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾] .

﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾ إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء؛ من التمتع بأرزاق الجنة، بخلاف سائر الأموات من المؤمنين؛ فإنهم لا يتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة .

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ المعنى : أنهم يفرحون بإخوانهم الذين

بقُوا في الدنيا من بعدهم ؛ لأنهم يرجون أن يُستشهدوا مثلهم ، فينالوا مثل ما نالوا من السَّعادة .

﴿أَلَا خَوْفٌ﴾ في موضع المفعول من أجله ، أو بدلٌ من ﴿الَّذِينَ﴾ .

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ كُرِّرَ لِيُذَكَّرَ ما تعلق به من النعمة والفضل .

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ صفةٌ لـ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، أو مبتدأ وخبره : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ الآية .

ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في اتباع المشركين بعد غزوة أحد ، فبلغ بهم إلى حمراء الأسد ، وهي على ثمانية أميال من المدينة ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وكانوا قد أصابتهم جراحاتٌ وشدائدٌ ، فتجلدوا وخرجوا ، فمدحهم الله بذلك .

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ الآية ؛ لما خرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد بعد أحد ، بلغ ذلك أبا سفيان ، فمرَّ عليه ركبٌ من عبد القيس يريدون المدينة بالميرة ، فجعل لهم حِمْلَ بعيرٍ من زبيب على أن يثبُتوا المسلمين عن اتباع المشركين ، فخوَّفوهم بهم ، فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وخرجوا .

فـ ﴿النَّاسُ﴾ الأول : ركب عبد القيس ، وـ ﴿النَّاسُ﴾ الثاني : مشركو قريش .

وقيل : نادى أبو سفيان يوم أحد : موعدنا بدرٌ في العام القابل ، فقال رسول الله ﷺ : «إن شاء الله» ، فلما كان العام القابل خرج رسول الله ﷺ إلى بدر للميعاد ، فأرسل أبو سفيان نعيم بن مسعود الأشجعي ليثبُط المسلمين .

فعلى هذا: ﴿النَّاسُ﴾ الأول: نعيم، وإنما قيل له: «الناس» وهو واحد؛ لأنه من جنس الناس، كقولك: ركبت الخيل؛ إذا ركبت فرساً.

﴿فَزَادَهُمْ﴾ الفاعل ضمير المَقُول، وهو: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾. والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص، فمعناه هنا: قَوِي يَقِينُهُمْ وثَقَّتُهُم بالله. ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ كلمة يُدْفَعُ بها ما يخاف ويكره، وهي التي قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلْقِيَ في النار.

ومعنى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافينا الله وحده؛ فلا نخاف غيره. ومعنى: ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ثناء على الله، وأنه خير مَنْ يَتَوَكَّلُ العبدُ عليه ويلجأ إليه.

﴿فَانْقَلَبُوا﴾ أي: رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر. ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ لخروجهم مع رسول الله ﷺ. ﴿ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ المراد به هنا: أبو سفيان، أو نعيم الذي أرسله أبو سفيان أو إبليس.

و﴿ذَلِكُمُ﴾ مبتدأ، و﴿الشَّيْطَانُ﴾ خبره، وما بعده استئناف. أو: ﴿الشَّيْطَانُ﴾ نعت، وما بعده خبر. ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: يخوفكم أيها المؤمنون أوليائه؛ وهم الكفار، فالمفعول الأول محذوف، ويدل عليه: قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، وقراءة ابن عباس وابن مسعود: «يخوفكم أوليائه».

وقيل : المعنى : يخوفُ المنافقين - وهم أولياؤه - من كفار قريش ،
فالمفعول الثاني على هذا محذوف .

﴿وَلَا يُحْزِنُكَ﴾ تسلياً للنبي ﷺ .

وقرئ بفتح الياء وضم الزاي حيث وقع مضارعاً ، من : «حَزَنَ» الثلاثي ،
وهو أشهر في اللغة من «أحزن» .

﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي : يبادرون إلى أقواله وأفعاله ، وهم :
المنافقون ، أو الكفار .

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا﴾ الآية ؛ هم : المذكورون قبل ، أو على العموم في
جميع الكفار .

﴿إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي : نُمهلهم .

و«أَنَّ» مفعول بـ ﴿يَحْسِبَنَّ﴾ ، و«ما» اسم «أَنَّ» ؛ فحَقُّها أن تكتب منفصلةً ،
و﴿خَيْرٌ﴾ الخبر .

﴿إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ﴾ «ما» هنا كافّة ، والمعنى : ردُّ عليهم ؛ أي : أن الإملاء لهم
ليس خيراً لهم ، إنما هو استدراجٌ ؛ ليكتسبوا الآثام .

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية ؛ خطاب للمؤمنين ، والمعنى : ما كان
الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين ، ولكنه ميّز هؤلاء من هؤلاء ؛ بما
ظهر في غزوة أحد من الأقوال والأفعال ، التي تدلُّ على الإيمان أو على
النفاق .

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي: ما كان الله ليُطْلِعَكُمْ على ما في القلوب من الإيمان والنفاق.

أو: ما كان الله ليطلعكم على أنكم تغلبون أو تُغلبون.

﴿يَجْتَنِي مِنْ رُسُلِهِ﴾ أي: يختار مَنْ شاء مِنْ رسله، فيطلعه على ما شاء من غَيْبه.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ يمنعون الزكاة وغيرها.

﴿هُوَ خَيْرٌ﴾: ﴿هُوَ﴾ فضْلٌ، و﴿خَيْرٌ﴾ مفعول ثانٍ، والأول محذوف؛ تقديره: لا يحسبن^(١) البخل خيراً لهم.

﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ أي: يُلْزَمُونَ إثم ما بخلوا به.

وقيل: يُجعل ما بخل به حِيَّةٌ يُطَوَّقُهَا في عنقه يوم القيامة.



(١) في أ، د: «تحسبن».

[لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُفُّوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٧١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٧٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ يَالْبَيِّنَتِ وَإِلَازِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا يَالْبَيِّنَتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٧٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن رُّحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿٧٥﴾ * لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّن عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٧٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَكُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْرُوكُ ﴿٧٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٩﴾ *].

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ الآية؛ لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال بعض اليهود -وهو فنحاص، أو حبي بن أخطب، أو غيرهما-: إنما يستقرض الفقير من الغني، فالله فقير ونحن أغنياء، فنزلت هذه الآية، وكان ذلك القول منهم اعتراضاً على القرآن، أوجبه قلَّة فهمهم، أو تحريفهم للمعاني، فإن كانوا قالوه باعتقادٍ فهو كفر، وإن قالوه بغير اعتقاد: فهو استخفاف، وعناد.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ أي: تكتبه الملائكة في الصحف.

﴿وَقَتَلَهُمُ الْآلِيبَاءُ﴾ أي: قتل آبائهم للأنبياء، وأسند إليهم؛ لأنهم راضون به، ومتبعون لمن فعله من آبائهم.

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ صفة لـ ﴿الَّذِينَ﴾، وليس صفة ﴿لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبَانٍ﴾ كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول الله لصدقة أو غيرها جعلوه في مكان، فتزل نار من السماء فتحرقه، وإن لم تنزل فليس بمقبول، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل.

﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ الآية؛ رد عليهم بأن الرسل قد جاؤوهم بمعجزات توجب الإيمان بهم، وجاؤوهم أيضًا بالقربان الذي تأكله النار، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم، فذلك يدل على أن كفرهم عناد، وأنهم كذبوا في قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ﴾ الآية؛ تسلية للنبي ﷺ بالتأسي بغيره.

﴿فَمَنْ رُحِزَ﴾ أي: نُحِّي^(١) وأبعد.

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ الآية؛ خطاب للمسلمين، والبلاء في الأنفس: بالموت والأمراض، وفي الأموال: بالمصائب والإنفاق.

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ الآية؛ سببها: قول اليهود: «إن الله فقير»، وسببهم للنبي ﷺ ولللمسلمين.

﴿لَتَبَيَّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُمُونَهُ﴾ ابن عباس: هي لليهود؛ أخذ عليهم العهد في أمر محمد ﷺ فكتموه.

(١) في ج، د: «نجا».

وقيل : هي عامّة في كل من علّمه الله علماً .

﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أْتَوْا﴾ الآية ؛ ابنُ عباس : نزلت في أهل الكتاب ؛ سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتّموه إياه وأخبروه بغيره ، فخرجوا وقد أروّه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا إليه بذلك ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه .

وقال أبو سعيد الخدري : نزلت في المنافقين ؛ كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزو تخلّفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، وإذا قدّم النبي ﷺ اعتذروا إليه ، وأحبّوا أن يحمّدوا بما لم يفعلوا .

﴿فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ﴾ بالتاء وفتح الباء : خطاب للنبي ﷺ .

وبالياء وضم الباء : أسند الفعل لـ ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ ؛ أي : لا يحسبون أنفسهم^(١) بمفازة من العذاب .

ومن قرأ : ﴿لَا يَحْسِبَنَّ﴾ بالتاء : فهو أيضاً خطاب للنبي ﷺ و﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ مفعول به ، و﴿بِمَفَازَةٍ﴾ المفعول الثاني ، وكرّر ﴿فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ﴾ للتأكيد .

ومن قرأ : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء من أسفل : فإنه حذف المفعولين ؛ لدلالة مفعولي ﴿فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ﴾ عليهما .

(١) في د : «أنهم» .

[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاثِمْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسْلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَتْهُمْ جَنَّاتُ بَحْرٍ مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّن عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾].

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذكر في «البقرة» (١).

﴿قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: يذكرون الله على كل حال؛ فكان هذه الهيئات حصرًا لحال ابن آدم.

وقيل : إن ذلك في الصلاة ؛ يَصَلُّون قِيَامًا ، فإن لم يستطيعوا صَلَّوا قَعُودًا ، فإن لم يستطيعوا صَلَّوا على جنوبهم .

﴿رَبَّنَا﴾ أي : يقولون : ربنا ما خلقت هذا لغير فائدة ، بل خلقتَه و خلقت البشر ؛ لينظروا فيه فيعرفوك فيعبدوك .

﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ هو النبي ﷺ .

﴿مَا وَعَدْنَاهُ عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي : على ألسنة رسلك .

﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ﴾ «من» : لبيان الجنس ، وقيل : زائدة ؛ لتقدم النفي .

﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي : الرجال والنساء سواءً في الأجور والخيرات .

﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ هم المهاجرون ؛ آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا منها .

﴿نَوَابًا﴾ منصوبٌ على المصدرية .

﴿لَا يَغُرُّكَ﴾ الآية ؛ تسليّة للنبي ﷺ ؛ أي : لا تظنّ أن حال الكفار في الدنيا دائمة فتهتمّ لذلك ، وأنزل ﴿لَا يَغُرُّكَ﴾ منزلة : «لا يحزنك» .

﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ أي : تقلّبهم في الدنيا قليل ؛ بالنظر إلى ما فاتهم في الآخرة .

﴿تُرُؤًا﴾ منصوبٌ :

على الحال من ﴿جَنَّتْ﴾ .

أو على المصدرية .

﴿لِلْأَبْرَارِ﴾ جمع بارٍّ أو برٍّ ، ومعناه : العاملون بالبرِّ ؛ وهو غاية التقوى

والعمل الصالح .

قال بعضهم: الأبرار: هم الذين لا يؤذون الذرَّ^(١).

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية؛ قيل: نزلت في النجاشي ملك الحبشة، فإنه كان نصرانيًا فأسلم.

وقيل: في عبد الله بن سلام وغيره ممن أسلم من اليهود.

﴿لَا يَشْتَرُونَ﴾ مدح لهم، وفيه تعريضٌ بدم غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا.

﴿وَصَابِرُوا﴾ أي: صابروا أعداءكم^(٢) في القتال.

﴿وَرَابِطُوا﴾ أقيموا في الثُّغُور رابطين خيلكم، مستعدّين للجهاد.

وقيل: هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله؛ أي: معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية.

والأول أظهر وأشهر؛ قال ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه»^(٣).

وأما قوله -في انتظار الصلاة-: «فذلكم الرِّباط»^(٤) فهو تشبيهٌ بالرباط في سبيل الله؛ لعظم أجره.

(١) قال ذلك الحسن البصري، أورده بإسناده الإمام أحمد في الزهد (٦٣٢)، والطبري في تفسيره (٢٠٦/٢٤).

(٢) في ب: «عدوكم».

(٣) أخرجه مسلم (١٩١٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥١).

والمرابط عند الفقهاء: هو الذي يسكن الثغور؛ ليرابط فيها، وهي غيرُ موطنه.

فأما سكَّانُها دائماً بأهلهم لمعايشهم فليسوا بمرابطين، ولكنهم حُماةٌ. حكاة ابن عطية^(١).



(١) المحرر الوجيز (٢/٤٥٨).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مُتَلَكِّمَةٌ	٥
المطلب الأول: التعريف بالمفسّر ابن جزيّ رَحِمَهُ اللهُ	١٣
المطلب الثاني: التعريف بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل	٢٢
كتاب التسهيل لعلوم التنزيل محققًا	٥٥
﴿المقدمة الأولى﴾ فيها اثنا عشر بابًا :	٦٢
﴿البابُ الأول﴾ في نزول القرآن، وجمعه في المصحف، ونقْطه، وتخزيه، وتعشير، وذكر أسمائه	٦٢
﴿الباب الثاني﴾ في السور المكية والمدنية	٦٧
﴿الباب الثالث﴾ في المعاني والعلوم التي تضمّنّها القرآن	٦٩
﴿الباب الرابع﴾ في فنون العلوم التي تتعلّق بالقرآن	٧٤
﴿الباب الخامس﴾ في أسباب الخلاف بين المفسرين والوجوه التي نُرجّح بها بين أقوالهم	٨٤
﴿الباب السادس﴾ في ذكر المفسّرين	٨٧
﴿الباب السابع﴾ في الناسخ والمنسوخ	٩٤
﴿الباب الثامن﴾ في جوامع القراءات	١٠٦

- ﴿الباب التاسع﴾ في المواقف ١١٠
- ﴿الباب العاشر﴾ في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان ١١٢
- ﴿الباب الحادي عشر﴾ في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند
الله ﷻ ١١٨
- ﴿الباب الثاني عشر﴾ في فضائل القرآن ١٢٠
- ﴿المقدمة الثانية﴾ في تفسير معاني اللغات ١٢٤
- ﴿حرف الهمزة﴾ ١٢٦
- ﴿حرف الباء﴾ ١٣٧
- ﴿حرف التاء﴾ ١٤٣
- ﴿حرف الثاء﴾ ١٤٥
- ﴿حرف الجيم﴾ ١٤٦
- ﴿حرف الحاء﴾ ١٥٠
- ﴿حرف الخاء﴾ ١٥٨
- ﴿حرف الدال﴾ ١٦١
- ﴿حرف الذال﴾ ١٦٣
- ﴿حرف الراء﴾ ١٦٥
- ﴿حرف الزاي﴾ ١٦٩
- ﴿حرف الطاء﴾ ١٧٢
- ﴿حرف الظاء﴾ ١٧٤
- ﴿حرف الكاف﴾ ١٧٦

١٨٠	﴿ حرف اللام ﴾
١٨٤	﴿ حرف الميم ﴾
١٩٠	﴿ حرف النون ﴾
١٩٥	﴿ حرف الصاد ﴾
١٩٩	﴿ حرف الضاد ﴾
٢٠١	﴿ حرف العين ﴾
٢٠٧	﴿ حرف الغين ﴾
٢١٠	﴿ حرف الفاء ﴾
٢١٤	﴿ حرف القاف ﴾
٢١٩	﴿ حرف السين ﴾
٢٢٦	﴿ حرف الشين ﴾
٢٢٨	﴿ حرف الهاء ﴾
٢٣١	﴿ حرف الواو ﴾
٢٣٧	﴿ حرف الياء ﴾
٢٣٩	﴿ الكلام على الاستعاذة ﴾
٢٤٣	﴿ الكلام على البسملة ﴾
٢٤٩	﴿ سورة أم القرآن ﴾
٢٦١	﴿ سورة البقرة ﴾
٥١٢	﴿ سورة آل عمران ﴾
٦٠٩	فهرس الموضوعات

التَّسْهِيلُ الْعُلُومِ التَّنْزِيلِ

تَأَلَّفَ الْعَلَامَةُ الْمُفَسِّرُ الرَّبِّيُّ الْفَالَسِي
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُرَيْجٍ الْكَلْبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْغُرَابِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَقَبَّلَهُ فِي الشَّهْرِ . (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وَعَدَّ تَفْسِيرَاتُ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَكَ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَقَعَ بِهَا
عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمُشْكَلَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالسُّلُوكِ

تَحْقِيقُ
عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّبَّاحِيِّ
عُصَمَاءُ مَجْلِسَةِ التَّلَاوُحِ بِمَجْلَعَةِ لُغَةِ الرَّبِّيِّ

المجلد الثاني
من النساء إلى الإسراء



دار طيبة الخضراء
للنشر والمطبوعات | علم ينفعه

التَّسْهِيلُ الْعُلُومِ التَّنْزِيلِ

تَأْلِيفُ الْعَلَامَةِ الْمُفَسِّرِ زَيْدِ الْفَارِسِيِّ

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُرَيْجٍ الْكَلْبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْغُرَنَاطِيِّ

رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَقَبَّلْهُ فِي الشُّهُدَاءِ - (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وَمَعْمُورَاتِ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَكَ

حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَفَقَّعَ بِهِ

عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمَشْكُورَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالسُّلُوكِ

تَحْقِيقُ

عَلِيِّ بْنِ حَمْدٍ الصَّالِحِيِّ

عُصُوهُ هَيْئَةِ النَّدْوَةِ بِسَرِجِ جَامِعَةِ لُغَةِ الْفَرَنْجِيِّ

المجلد الثاني
مِلَالُ النِّسَاءِ إِلَى الْإِسْلَامِ



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

حقوق الطب مع محفوظات

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم يرفع به

0125562986 | yyy.01@hotmail.com



dar.taibaa



@dar_tg



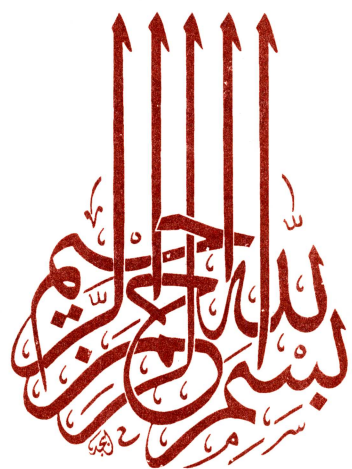
dar.taibagreen123



dar.taiba

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

0503568771 | 0550428992 | yyy.01@hotmail.com | 0125562986



﴿ سورة النساء ﴾

[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدَلُوا الْخَيْرِ بِالْطَّبِيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَتِلْكَ وَرُبَّ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم﴾ خطابٌ على العموم، وقد تكلمنا على التقوى

في أوّل «البقرة»^(١).

﴿مَنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ هو آدم عليه السلام.

﴿زَوْجَهَا﴾ هي حواء؛ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ.

﴿وَبَثَّ﴾ نشر.

﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ أي: يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله أن تفعل كذا.

﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالنصب عطفاً:

على اسم الله؛ أي: اتقوا الأرحام فلا تقطعوها.

أو على موضع الجار والمجرور - وهو ﴿بِهِ﴾ -؛ لأنَّ موضعه نصبٌ.

وقرئ بالخفض: عطفاً على الضمير في ﴿بِهِ﴾، وهو ضعيف عند البصريين؛ لأن الضمير المخفوض لا يُعْطَفُ عليه إلا بإعادة الخافض.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ إذا تحقّق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة، وهو مقام شريف، أصله: علمٌ، وحال، ثم يُثْمَرُ حالين.

أما العلم: فهو معرفة العبد بأن الله مَطَّلِعٌ عليه، ناظرٌ إليه، يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كلَّ ما يخطر على باله.

وأما الحال: فهو ملازمة هذا العلم للقلب، بحيث يَغْلِبُ عليه ولا يَغْفُلُ عنه، ولا يكفي العلم دون هذه الحال.

(١) انظر صفحة ٢٦٥/١.

فإذا حصل العلم والحال:

كانت ثمرتهما عند أصحاب اليمين: الحياء من الله، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي، والجِدُّ في الطاعات.

وكانت ثمرتهما عند المقرَّبين: المشاهدة التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال.

وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله ﷺ بقوله: «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).

فقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه» إشارة إلى الثمرة الثانية، وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم؛ كمن يشاهد ملكًا عظيمًا، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة.

وقوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» إشارة إلى الثمرة الأولى، ومعناه: إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقرَّبين، فاعلم أنه يراك؛ فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما فسّر الإحسان أوّل مرّة بالمقام الأعلى؛ رأى أن كثيرًا من الناس قد يعجزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر.

واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى يتقدّم^(٢) قبلها: المشاركة، والمرابطة، ويتأخّر عنها: المحاسبة، والمعاقبة.

فأما المشاركة: فهي اشتراط العبد على نفسه التزام الطاعة وترك المعاصي.

(١) تقدم تخريجه في صفحة ١٥٥/١.

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «تتقدم».

وأما **المرابطة** : فهي معاهدة العبد لربّه على ذلك .

ثم بعد المشاركة والمrabطة في أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره .

وبعد ذلك ^(١) يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه ، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عاهد عليه الله : حمّد الله .

وإن وجد نفسه قد حلَّ عُقْدَةً ^(٢) المشاركة ، ونقض عهد المrabطة : عاقب النفس عقاباً يزجرها ^(٣) عن العودة إلى مثل ذلك .

ثم عاد إلى المشاركة ، والمrabطة ، وحافظ على المراقبة ، ثم اختبر بالمحاسبة ، فهكذا يكون إلى أن يلقي الله تعالى .

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ خطابٌ للأوصياء .

وقيل : للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير ؛ فأمرُوا أن يورثوهم .

وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء :

فالمراد : أن يؤتوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم ؛ فيكون اليتيم على هذا حقيقةً .

وقيل : المراد : دفع أموالهم إذا بلغوا ؛ فيكون اليتيم على هذا مجازاً ؛ لأن اليتيم قد كبر .

﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْأَلْوَنِ﴾ كان بعضهم يبدّل الشاة السمينة من مال اليتيم

(١) في د زيادة : «تكون المحاسبة» .

(٢) في ب ، ج ، هـ : «عقد» .

(٣) في ب : «بأن يزجرها» .

بالمهزولة من ماله ، والدرهم الطيب بالزائف ؛ فنهوا عن ذلك .

وقيل : المعنى : لا تأكلوا مالهم ^(١) - وهو الخبيث - ، وتدعوا مالكم ^(٢) - وهو الطيب - .

﴿إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ المعنى : نهى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعةً إلى أموالهم .

وقيل : نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى ، ثم أُبيح ذلك بقوله : ﴿وَإِنْ تَخَاطَبُوهُمْ فَاخْوَنُكُمْ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .

وإنما تعدى الفعل بـ «إلى» ؛ لأنه تضمّن معنى الجمع والضم .

وقيل : «إلى» بمعنى «مع» .

﴿حُبًّا﴾ أي : ذنبًا .

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمَنِ فَانْكِحُوا﴾ الآية ؛ قالت عائشة : نزلت في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال وليّاتهم ، فيريدون أن يتزوجوهن ويبخسوهن في الصّدّاق ؛ لمكان ولايتهم عليهن ، ف قيل لهم : أقسطوا في مهورهن ، فمن خاف أن لا يقسط فليتزوّج ما طاب له من الأجنبية اللاتي يوفيهن حقوقهن .

وقال ابن عباس : إن العرب كانت تتحرّج في أموال اليتامى ، ولا تتحرّج في العدل بين النساء ، فنزلت الآية في ذلك ؛ أي : كما تخافون أن لا تقسطوا

(١) في ب ، ج ، هـ ، د : «أموالهم» .

(٢) في د : «أموالكم» .

في اليتامى فكذلك خافوا في النساء .

وقيل : إن الرجل منهم كان يتزوج العشرَ وأكثر ، فإذا ضاق ماله أخذ مال يتيمة ، ف قيل لهم : إن خفتُم أن لا تقسطوا في اليتامى فاقصروا في النساء .

﴿ مَا طَابَ ﴾ أي : ما حلَّ .

وإنما قال «ما» ولم يقل «مَن» :

لأنه أراد الجنس .

وقال الزمخشري : لأن الإناث من العقلاء يُجرى مُجرى غير العقلاء ؛ ومنه قوله : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾^(١) .

﴿ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ ﴾ لا تنصرف ؛ للعدل والوصف .

وهي : حالٌ من ﴿ مَا طَابَ ﴾ .

وقال ابن عطية : بدل^(٢) .

وهي معدولةٌ عن أعدادٍ مكررة ، ومعنى التكرار فيها : أن الخطاب لجماعة ؛ فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد ، فتكررت الأعداد بتكرار^(٣) الناس .

والمعنى : انكحوا اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً ، وفي ذلك منْعٌ لما كان في الجاهلية من تزوّج ما زاد على الأربع .

(١) الكشف (٤/٤٢٣) .

(٢) المحرر الوجيز (٢/٤٦٦) .

(٣) في ج ، هـ : «بتعدد» .

وقال قوم لا يُعبأ بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع؛ لأن مثنى وثلاث ورباع يجتمعُ منه تسعة، وهذا خطأ؛ لأن المراد التَّخْيِيرُ بين تلك الأعداد لا الجمع، ولو أراد الجمع لقال: «تسع»، ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطولُ منه وأقلُّ بياناً، وأيضاً قد انعقد الإجماع على تحريم ما زاد على الرابعة.

﴿فَوَاحِشَةً﴾ أي: إن خفتُم أن لا تعدلوا بين الاثنين^(١) أو الثلاث أو الأربع فاقصروا على واحدة، أو على ما ملكت أيمانكم من قليل أو كثير؛ رغبة في العدل.

وانتصاب^(٢) ﴿فَوَاحِشَةً﴾ بفعل مضمر؛ تقديره: فانكحوا واحدةً.

﴿ذَلِكَ أَذَىٌّ أَلَّا تَعُولُوا﴾ الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة، والمعنى: أن ذلك أقرب إلى أن لا تعولوا.

ومعنى ﴿تَعُولُوا﴾: تميلوا، وقيل: يكثر عيالكم.

﴿وَأَنُؤُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ﴾ خطابٌ للأزواج.

وقيل: للأولياء؛ لأن بعضهم كان يأكل صداق وليته.

وقيل: هي^(٣) نهى عن الشغار.

﴿مَخْلَةً﴾ أي: عطية منكم لهن، أو عطية من الله.

(١) في أ، ب، هـ: «الاثنين».

(٢) في ب: «وانتصب».

(٣) في ب، د، هـ: «هو».

وقيل : معنى ﴿نَحْلَةً﴾ أي : شِرْعَةً وِدْيَانَةً^(١) .

وانتصابه :

على المصدر من معنى : آتوهن .

أو على الحال من ضمير المخاطبين .

﴿فَإِنْ طَبْنَ لَكُمْ﴾ الآية ؛ إباحة للأزواج أو الأولياء -على ما تقدّم من الخلاف- أن يأخذوا ما دفعه النساء مِنْ صَدُقَاتِهِنَّ عن طيب أنفسهن .

والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ يعود :

على الصّدّاق .

أو على الإيتاء .

﴿هَنِئًا مَرِيئًا﴾ عبارة عن التّحليل ، ومبالغة في الإباحة .

وهما صفتان ؛ من قولك : «هَنُؤُ الطّعامَ وَمَرُؤً» : إذا كان سائغًا لا تنغيص فيه .

وهما : وصفٌ للمصدر ؛ أي : أكلاً هنيئًا .

أو حال من ضمير الفاعل^(٢) .

(١) في ب : «ودياناً» .

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية ، ولعل صوابه : «حال من ضمير المفعول» ، أي : حال كون المأكول هنيئًا مريئًا ، كما تومئ إليه عبارة الزمخشري في كشفه حيث قال (٤/٤٣٥) : «وهما وصفٌ للمصدر ، أي : أكلاً هنيئًا مريئًا ، أو حالٌ من الضمير ؛ أي : كلوه وهو [المأكول] هنيء مريء» ، وقال أبو حيان (٦/٤٢٧) «وانتصاب (هنيئًا) . . على أنه حال من ضمير المفعول ، هكذا أعربه الزمخشري وغيره» والله أعلم .

وقيل: يوقف على ﴿فَكُلُوهُ﴾، ويبدأ: ﴿هَيَّئَا مَرِيضًا﴾ على الدعاء.
﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ قيل: هم أولاد الرجل وامراته؛ أي: لا تؤتوهم
أموالكم للتبذير.

وقيل: السفهاء: المحجورون، و﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: أموال المحجورين،
وأضافها إلى المخاطبين؛ لأنهم ناظرون عليها وهي تحت ولايتهم.
﴿قِيمًا﴾ جمع قِيمَة.

وقيل: بمعنى «قيام» بالألف؛ أي: تقوم بها معاشكم^(١).
﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ قيل: إنها فيمن تلزم الرجل نفقته من زوجته
وأولاده.

وقيل: في المحجورين؛ يُرزقون ويكسّون من أموالهم.
﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْفُوعًا﴾ أي: ادعوا لهم بخير، أو عدّوهم وعدًا جميلًا؛
أي: إن رشدتم دفعنا لكم أموالكم.

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ أي: اختبروا رشدهم.

﴿بَلِّغُوا النِّكَاحَ﴾ بلغوا مبلّغ الرجال.

﴿فَإِنْ ءَاسَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ الرُّشد: هو المعرفة بمصالحه وتدبير ماله، وإن لم
يكن من أهل الدين.

واشترط قوم الدين.

(١) في أ، ب: «معاشكم»، وفي هـ: «على معاشهم»، وفي ج: «على معاشكم».

واعتبر مالك: البلوغ والرشد؛ وحينئذ يدفع المال^(١).

واعتبر أبو حنيفة: البلوغ وحده؛ ما لم يظهر سفة.

وقوله مخالف للقرآن.

﴿وَيَدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا﴾ معناه: مبادرةً لكبرهم؛ أي: إن الوصي يستغنم أكل مال اليتيم قبل أن يكبر.

وموضع ﴿أَنْ يَكْبُرُوا﴾ نصب:

على المفعولية بـ ﴿وَيَدَارًا﴾.

أو على المفعول من أجله؛ تقديره: مخافة أن يكبروا.

﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أمر الوصي^(٢) الغني أن يستعفف عن مال اليتيم^(٣)، ولا يأكل منه شيئاً.

﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال عمر بن الخطاب: المعنى: أن يستسلف الوصي الفقير من مال المحجور^(٤)، فإذا أيسر رده.

وقيل: المراد: أن يكون له أجره بقدر عمله وخدمته.

ومعنى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير إسراف.

وقيل: نسخها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾.

(١) في هامش ب زيادة: «إليه».

(٢) في ب: «أمر للوصي».

(٣) في د: «المحجور».

(٤) في د: «اليتيم».

﴿فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أمر بالتحرز والحزم؛ فهو ندب، وقيل: فرض.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ الآية؛ سببها: أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء، فنزلت الآية؛ ليرث الرجال والنساء^(١).

﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ منصوب انتصاب المصدر المؤكّد؛ كقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾.

وقال الزمخشري: منصوب على التخصيص؛ بمعنى: أعني نصيباً^(٢).
﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ الآية؛ خطاب للوارثين؛ أمروا أن يتصدّقوا من الميراث على قرابتهم، وعلى اليتامى والمساكين.

ف قيل: إن ذلك على الوجوب.

وقيل: على الندب؛ وهو الصحيح.

وقيل: نسخ بآية الموارث.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ﴾ الآية؛ معناها: الأمر لأولياء اليتامى أن يحسنوا إليهم في نظر أموالهم، فيخافوا الله على أيتامهم كخوفهم على ذريّتهم لو تركوهم ضعافاً، ويُقدّروا ذلك في أنفسهم؛ حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرّحمة.

وقيل: هم الذين يجلسون إلى المريض فيأمروه أن يتصدّق بماله حتى يُجحف بورثته، فأمروا أن يخشوا على الورثة كما يخشون على أولادهم.

وحذف مفعول ﴿وَلْيَخْشَ﴾.

(١) في د: «بميراث الرجال والنساء».

(٢) الكشف (٤/٤٤٦).

و﴿خَافُوا﴾ جواب ﴿لَوْ﴾.

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ على القول الأول: ملاطفة الوصي لليتيم بالكلام الحسن.

وعلى القول الثاني: أن يقول للموروث: «لا تُسْرِف في وصيتك وارْفُق بورثتك».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ قيل: نزلت في الذين لا يُورَثون الإناث. وقيل: في الأوصياء.

ولفظها^(١) عام في كل من أكل مال يتيم بغير حق.

﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ أي: إنَّ أكلهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار.

وقيل: بل يأكلون النار في جهنم.



(١) في ج، هـ: «وقولها».

[يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِنْهُ حَظٌّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِلْمُتَّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْمُتَّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَأَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوَصَّوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٌ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّتُهُ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾].

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ هذه الآية نزلت بسبب بنات^(١) سعد بن الربيع.

وقيل: بسبب جابر بن عبد الله؛ إذ عاده^(٢) رسول الله ﷺ في مرضه.

ورفعت ما كان في الجاهلية من ترك توريث النساء والأطفال.

(١) في ب: «بنت»، ولم ترد في ج، هـ.

(٢) في ب: «دعاه».

وقيل : نسخت : ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة : ١٨٠] .

وإنما قال : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ بلفظ الفعل الدائم ، ولم يقل : «أوصاكم» ؛ تنبيهاً على نسخ ما مضى والشروع في حكم آخر .

وإنما قال : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ بالاسم الظاهر ، ولم يقل : «نوصيكم» ؛ لأنه أراد تعظيم الوصية ، فجاء بالاسم الذي هو أعظم الأسماء .

وإنما قال : ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ ولم يقل : «في أبنائكم» ؛ لأن الابن يقع على الابن من الرضاعة ، وعلى ابن البنت ، وعلى الابن المتبني^(١) ، وليسوا من الورثة .

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ هذا بيان للوصية المذكورة .

فإن قيل : هلا قال : «للأنثيين مثل حظ الذكر» ، أو «للأنثى نصف حظ الذكر» ؟ .

فالجواب : أنه بدأ بالذكر لفضله ، ولأن القصد ذكركم حظه ، ولو قال : «للأنثيين مثل حظ الذكر» لكان فيه تفضيل للإناث^(٢) .

﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ إنما أنت ضمير الجماعة في ﴿كُنَّ﴾ ؛ لأنه قصد الإناث وأصله أن يعود على الأولاد ؛ لأنه يشمل الذكور والإناث .

وقيل : يعود على المتروكات .

(١) في د : «وعلى ابن التبي» .

(٢) انظر : الكشف (٤/ ٤٥٥) .

وأجاز الزمخشري أن تكون «كان» تامةً، والضمير مبهم، و﴿نِسَاءً﴾ تفسير (١).

﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ ظاهره: أكثر من اثنتين، ولذلك أُجمِع على أن للثلاث فما فوقهن الثلثين (٢).

وأما البنتان: فاختلف فيهما:

فقال ابن عباس: لهما النصف، كالبنت الواحدة.

وقال الجمهور: لهما الثلثان، وتأولوا ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾:

أن المراد: اثنتان فما فوقهما.

وقال قوم: إن ﴿فَوْقَ﴾ زائدة؛ كقوله: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢] وهذا ضعيف.

وقال قوم: إنما وجب لهما الثلثان بالسنة لا بالقرآن.

وقيل: بالقياس على الأختين.

﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ بالرفع: فاعل، و«كان» تامة.

وبالنصب: خبر «كان».

وقوله تعالى: ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾ نصٌّ على أن للبنت النصف إذا انفردت، ودليلٌ على أن للابن جميع المال إذا انفرد؛ لأن للذكر مثل حظ الأنثيين.

(١) الكشاف (٤/٤٥٧).

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «الثلثان».

﴿إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ الولد: يقع على الذكر والأنثى، والواحد والاثنين والجماعة، سواء كان للصلب، أو ولد ابن، وكلُّهم يَرُدُّ الأبوين إلى السدس. ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ لم يجعل الله للأمّ الثلث إلا بشرطين:

أحدهما: عدم الولد.

والآخر: إحاطة الأبوين بالميراث؛ ولذلك دخلت الواو؛ لتعطف أحد الشرطين على الآخر.

وسكت عن حظّ الأب؛ استغناءً بفهمه؛ لأنه لا يبقى بعد الثلث إلا الثلثان، ولا وارث إلا الأبوان، فاقضى ذلك أن الأب^(١) يأخذ بقية المال؛ وهو الثلثان.

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ أجمع العلماء على أن ثلاثة من الإخوة يَرُدُّون الأمّ إلى السدس.

واختلفوا في الاثنين:

فمذهب الجمهور: أنهما يَرُدَّانها إلى السدس.

ومذهب ابن عباس: أنهما لا يَرُدَّانها إليه، بل هما كالأخ الواحد.

وحجّته: أن لفظ الإخوة لا يقع على الاثنين؛ لأنه جمع لا تنية، وأقلُّ الجمع ثلاثة.

وقال غيره: إن لفظ الجمع قد يقع على الاثنين؛ كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ

(١) في د: «الوالد».

شَهِيدٌ ﴿[الأنبياء: ٧٨]، وَ﴿سَوْرُوا الْخِرَابَ﴾ [ص: ٢١]، وَ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ [طه: ١٣٠]، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ ﷺ: «الاثنان فما فوقهما جماعة»^(١)، وقال مالك: مضت السنة أن الإخوة اثنان فصاعدًا، ومذهبه: أن أقل الجمع اثنان.

فعلى هذا: يَحْجُبُ الأخوان فصاعدًا الأُمَّ عن الثلث إلى السدس، سواءً كانا شقيقين أو لأب أو لأم، أو مختلفين، وسواءً كانا ذكرين أو أنثيين أو ذكرًا وأنثى.

فإن كان معهما أبٌ: ورث بقية المال، ولم يكن للإخوة شيءٌ عند الجمهور، فهم يحجبون الأم، ولا يرثون.

وقال قومٌ: يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأُمَّ.

وإن لم يكن أبٌ ورثوا.

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٌ﴾ قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ يتعلّق بالاستقرار المضمّر في قوله: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾؛ أي: استقرّ لهنّ الثلثان من بعد وصية.

وَيَمْتَنَعُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِ﴿تَرَكَ﴾.

وفاعل ﴿يُوصَى﴾: الميت.

وإنما قُدِّمَت الوصية على الدّين، والدّين مقدّمٌ عليها في الشريعة؛ اهتمامًا

(١) أخرجه الدارقطني (٢/ ٢٤).

بها، وتأكيذا للأمر بها^(١)، ولئلا يُتهاون بها. وأُخِرَ الدِّين؛ لأن صاحبه يتقاضاه، فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه.

وتُخَرَج الوصية من الثلث، والدِّين من رأس المال بعد الكفن. وإنما ذَكَر الوصية والدِّين نكرتين؛ ليدلَّ على أنهما قد يكونان، وقد لا يكونان؛ فدلَّ ذلك على سقوط وجوب الوصية. ﴿أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ قيل: بالإنفاق إذا احتيج إليه. وقيل: بالشفاعة في الآخرة.

ويَحْتَمَل أن يريد: نفعًا بالميراث من ماله، وهو أَلْيَقُ بسياق الكلام. ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ الآية؛ خطابٌ للرجال، وأُجْمِع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تنفرد به إن كانت واحدة، ويُقَسَّم بينهما إن كنَّ أكثر من واحدة، ولا يُنْقَص من ميراث الزوج والزوجة وسائر أهل السهام إلا ما نَقَصه العَوْلُ على مذهب جمهور العلماء، خلافاً لابن عباس؛ فإنه لا يقول بالعول.

فإن قيل: لم كرَّر قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ﴾ مع ميراث الزوج وميراث الزوجة، ولم يذكره قبل ذلك إلا مرة واحدة في ميراث الأولاد والأبوين؟ فالجواب: أن الموروث في ميراث الزوج هو الزوجة، والموروث في ميراث الزوجة هو الزوج، فكل واحدة قضية على انفرادها؛ فلذلك ذكر

(١) في د: «لأمرها».

ذلك مع كل واحدة، بخلاف الأولى؛ فإن الموروث فيها واحد، ذكر حكم ما يرث منه أولاده وأبواه؛ وهي قضية واحدة؛ فلذلك قال فيها: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ﴾ مرة واحدة.

﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ الكلالة: هي انقطاع عمودي النسب؛ وهي خلؤ الميت عن وليد^(١) والد.

ويحتمل أن تطلق هنا على: الميت الموروث، أو على الورثة، أو على الوراثة، أو على القرابة، أو على المال.

[١] فإن كانت للميت فإعرابها:

١- خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة^(٢).

٢- (أو) ﴿يُورَثُ﴾ خبر كان، و﴿كَالَةً﴾ حال من الضمير في ﴿يُورَثُ﴾.

٣- أو تكون ﴿كَانَ﴾ تامة، و﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة^(٣) و﴿كَالَةً﴾ حال من الضمير.

[٢] وإن كانت للورثة فهي:

١- خبر ﴿كَانَ﴾؛ على حذف مضافٍ تقديره: «ذا كلالَةٍ».

٢- أو حال؛ على حذف مضافٍ أيضًا.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «أو».

(٢) في ب زيادة: «و(كلالة) حال من الضمير».

(٣) ما بين القوسين سقط من ج، هـ.

[٣] وإن كانت للوراثه فهي: مصدرٌ في موضع الحال.

[٤] وإن كانت للقراية فهي: مفعولٌ من أجله، (تقديره: «يورث»^(١) من أجل القربى)^(٢).

[٥] وإن كانت للمال فهي: مفعولٌ ثانٍ لـ ﴿يُورَثُ﴾.

وكل وجه من هذه الوجوه^(٣) على أن تكون:

١- ﴿كَانَ﴾ تامةً، و﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة.

٢- وأن^(٤) تكون ناقصةً، و﴿يُورَثُ﴾ خبرها.

﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ المراد هنا: الأخ للأم والأخت للأم بإجماع.

وقرأ سعد بن أبي وقاص: «وله أخ أو أخت لأمه»؛ وذلك تفسير للمعنى.

﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ إذا كان الأخ للأم واحدًا فله السدس، وكذلك إن كانت الأخت للأم واحدةً.

﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ إذا كان الإخوة للأم اثنين فأكثر فلهم الثلث بالسواء بين الذكر والأنثى؛ لأن قوله: ﴿شُرَكَاءُ﴾ يقتضي التسوية بينهم، ولا خلاف في ذلك.

(١) هذه الكلمة سقطت من د.

(٢) سقط من ج، هـ.

(٣) في ب: «الأوجه».

(٤) في د: «أو».

﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ منصوبٌ على الحال، والعامل فيه: ﴿يُوصِي﴾،
و﴿مُضَارٍّ﴾ اسم فاعل.

قال ابن عباس: الضّرار في الوصية من الكبائر.

ووجوه المضارّة كثيرة؛ منها: الوصية لوارث، والوصية بأكثر من الثلث،
أو بالثلث؛ فراراً عن^(١) وارثٍ محتاج.

فإن علم أنه قصد بوصيته الإضرار رُدَّ ما زاد على الثلث اتفاقاً.
واختلف: هل يُرَدُّ الثلث؟ على قولين في المذهب، والمشهور: أنه ينفذ.
﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدرٌ مؤكّد لقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾.

ويجوز أن ينتصب بـ ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدّم من الموارث وغيرها.

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية؛ تعلّق بها المعتزلة في قولهم: إن
العصاة من المؤمنين يُخلّدون في النار.

وتأوّلها الأشعرية: على أنها في الكفار.



(١) في أ، ب: «من».

[وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَازِوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَقْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ فَنَطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾].

﴿يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ﴾ هي هنا : الزَّنا .

﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ أي : من المسلمات ؛ لأن المسلمة تُحَدِّدُ حَدَّ الزَّنا .

وأما الكافر والكافرة : فاختلَفَ هل يُحَدُّ أو يعاقب ؟

﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ قيل : إنما جعل شهداء الزنا أربعة ؛

تغليظًا على المدَّعي ، وسترًا على العباد .

وقيل : ليكون شاهدان على كلِّ واحدٍ من الزَّانِئِينَ .

﴿فَأَنسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ كانت عقوبة الزنا الإمساك في البيوت، ثم نُسخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا؛ وهو السَّبُّ والتَّوْيِيخُ.

وقيل: إن الإمساك في البيوت للنساء، والأذى للرجال، فلا نسخ بينهما. ورَّجَّحه ابن عطية^(١) وابن الفرس^(٢) بقوله - في الإمساك - : ﴿مِنْ نِّسَائِكُمْ﴾، وفي الأذى: ﴿مِنْكُمْ﴾.

ثم نُسخ الإمساك والأذى بالرَّجم للمُحَصَّن، وبالجلد لغير المحصن، واستقرَّ الأمر على ذلك.

فأما الجلد: فمذكور في سورة «النور».

وأما الرجم: فقد كان في القرآن، ثم نُسخ لفظه وبقي حكمه، وقد رجم رسول الله ﷺ ماعزًا الأسلمي^(٣) وغيره.

﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ لما أمر بالأذى للزاني؛ أمر بالإعراض عنه إذا تاب، وهو ترك الأذى.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إنما يقبل الله توبة من كان على هذه الصفة.

وإذا تاب العبد توبةً صحيحة بشروطها:

فَيُقْطَع بَقُولِ اللَّهِ لِتَوْبَتِهِ عِنْدَ جَمْهُورِ الْعُلَمَاءِ.

(١) المحرر الوجيز (٢/٤٩٠).

(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٢/١٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٧١)، ومسلم (١٦٩٥).

وقال أبو المعالي: يَغْلِبُ ذَلِكَ عَلَى الظَّنِّ، وَلَا يُقْطَعُ بِهِ^(١).

﴿يَعْمَلُونَ الشُّوْءَ بِجَهْلَةٍ﴾ أي: بسفاهة وقلة تحصيل أدت إلى المعصية. وليس المعنى: أنه يجهل أن يكون ذلك الفعل معصية؛ قال أبو العالية: أجمع الصحابة على أن كل معصية فهي بجهالة، سواء كانت عمداً أو جهلاً^(٢).

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قيل: قبل المرض والموت.

وقيل: قبل السَّيَاق، ومعاناة الملائكة، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر»^(٣).

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ الآية^(٤)؛ في الذين يُصِرُّونَ عَلَى الذُّنُوبِ إِلَى حِينٍ لَا تَقْبَلُ التَّوْبَةَ؛ وهو معاناة الموت.

فإن كانوا كفاراً فهم مخلَّدون في النار بإجماع.

وإن كانوا مسلمين فهم في مشيئة الله إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم.

فقوله: ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ثابتٌ في حق الكفار، ومنسوخٌ في حق العصاة من المسلمين بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]؛ فعذابهم مقيَّدٌ بالمشيئة.

(١) انظر: الإرشاد لأبي المعالي الجويني (ص: ٤٠٤).

(٢) أخرجه الطبري بإسناده في تفسيره (٥٠٧/٦).

(٣) أخرجه أحمد (٦١٦٠)، (٦٤٠٨)، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣).

(٤) في دزيادة: «نزلت».

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ ابن عباس: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته؛ إن شاؤوا تزوجها أحدهم، وإن شاؤوا زوجوها من غيرهم، وإن شاؤوا منعوها التزويج^(١)، فنزلت الآية في ذلك.

فمعنى الآية على هذا: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يُورثن عن الرجال كما يورث المال.

وقيل: الخطاب للأزواج الذين يمسون المرأة في العصمة؛ ليرثوا مالها من غير غبطة بها.

وقيل: الخطاب للأولياء الذين يمنعون وليّاتهم^(٢) من التزويج؛ ليرثوهن دون الزوج.

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ معطوف على: ﴿أَنْ تَرِثُوا﴾، أو نهى.

والعضل: المنع.

فقال ابن عباس: هي -أيضا- في أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزويج بعد موته.

إلا أن قوله: ﴿مَّا أَتَيْتُمُوهُنَّ﴾ على هذا معناه: ما آتاها الرجل الذي مات.

وقال ابن عباس أيضا: هي في الأزواج الذي يمسون المرأة ويُسَيِّئون عَشْرَتَهَا؛ حتى تفتدي بصدّاقها.

(١) في د: «التزويج».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «وليّاتهم».

وهو ظاهر اللفظ في قوله: ﴿مَاءً آتِيْتُمُوهُنَّ﴾ ، ويقوّيه قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ؛ فإن الأظهر فيه أن يكون في الأزواج ، وقد يكون في غيرهم .
وقيل : هي للأولياء .

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ﴾ قيل : الفاحشة هنا : الزنا .

وقيل : نشوز المرأة وبغضها في زوجها ، فإذا نشزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صدّاقٍ وغير ذلك من مالها .

وهذا جارٍ على مذهب مالك في جواز الخلع إذا كان الضرر من المرأة ، والزنا أصعب على الزوج من النشوز ؛ فيجوز له أخذ الفدية معه .

﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ الآية ؛ معناها : إن كرهتم النساء لوجهٍ فاصبروا عليه ؛ فعسى أن يجعل الله الخير في وجهٍ آخر .

وقيل : الخير الكثير : الولد .

والأحسن العموم ؛ وهذا معنى قوله ﷺ : « لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ؛ إِنْ سَخِطَ مِنْهَا خَلْقًا رَضِيَ مِنْهَا ^(١) آخَرُ » ^(٢) .

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآية ؛ معناها : المنع من أن يأخذ الرجل من المرأة فديةً على الطلاق إذا أراد أن يُبدلها بأخرى ، وعلى هذا جرى مذهب مالك وغيره في المنع من (أن يأخذ الرجل) ^(٣) الفدية إذا كان الضرر

(١) لفظة : «منها» زيادة من د ، وهي موافقة لما في الصحيح .

(٢) أخرجه مسلم (١٤٦٩) .

(٣) زيادة من هامش أ ، ورمز لها ب «خ» .

وإرادةُ الفراقِ من الزوج .

وقال قوم : إنَّ هذه الآية منسوخةٌ بقوله في «البقرة» : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيهَا أَفَدَّتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] .

وقال قوم : هي ناسخةٌ .

والصحيح : أنها غير ناسخة ولا منسوخة ؛ فإنَّ جواز الفدية على وجهه ، ومنعها على وجهه ؛ فلا تعارض ولا نسخ .

﴿قِنْطَارًا﴾ مثالٌ على جهة^(١) المبالغة في الكثرة .

وقد استدلتُ به المرأةُ على جواز المغالاة في المهور حين نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ذلك ؛ فقال عمر رضي الله عنه : «امرأةٌ أصابت ، ورجلٌ أخطأ ، كلُّ الناس أفقه منك يا عمر»^(٢) .

﴿أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ كنايةٌ عن الجماع .

﴿مَيْثَقًا غَلِيظًا﴾ قيل : هو عُقْدَةُ^(٣) النكاح .

وقيل : قوله : ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] .

وقيل : الأمر بحسن العشرة .

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعده ؛ فنزلت الآية تحريمًا لذلك .

(١) في ج ، د : «وجه» .

(٢) أخرجه البيهقي (٤٧٩/١٤) .

(٣) في ج : «عقد» .

فكلُّ امرأةٍ تزوّجها رجلٌ حرّمت على أولاده ما سَفَلُوا، سواءٌ دخل بها أو لم يدخل؛ فالنكاح في الآية بمعنى العقد.

و﴿مَا نَكَحَ﴾ يعني: النساء، وإنما أطلق عليهن «ما» وإن كانت^(١) ممن يعقل؛ لأنَّ المراد الجنس.

فإن زنى رجلٌ بامرأةٍ فاختلف هل يحرم تزوّجها على أولاده أم لا؟
فحرّمه أبو حنيفة.

وأجازه الشافعي.

وفي المذهب قولان.

واحتج من حرّمه: بهذه الآية، وحمل النكاح فيها على الوطء.

وقال من أجازه: إنَّ الآية لم تتناولهُ؛ إذ النكاح فيها بمعنى العقد.

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: إلّا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك، وانقطع بالإسلام؛ فقد عُفي عنه فلا تَوَاحِدُونَ به، ويدلُّ على هذا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ بعد قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في المرّة الأخرى في الجمع بين الأختين.

قال ابن عباس: كانت العرب تحرّم كل ما حرّمت الشريعة، إلّا امرأة الأب، والجمع بين الأختين.

وقيل: المعنى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فدعوه.

(١) في د: «كُنَّ».

وقال الزمخشريُّ: المعنى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فانكحوه إن أمكنكم،
وذلك غير ممكن؛ فالمعنى: المبالغة في التحريم^(١).

﴿إِنَّهُ كَانَ فَنِيئًا مَقْتًا﴾ «كان» في هذه الآية تقتضي الدوام؛ كقوله:
﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، وشبه ذلك.

وقال المبرد: هي زائدة. وذلك خطأ؛ لوجود خبرها منصوبًا.

وزاد هنا المقت على ما وصف به الزنا في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَنِيئًا مَقْتًا وَسَاءَ
سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]؛ دلالة على أن هذا أقبح من الزنا.



(١) الكشاف (٤/٤٨٩).

[حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُنَّ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٣﴾] وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِجْلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَاَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُنْجَذَبَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ الآية؛ معناها: تحريم ما ذُكِرَ من النساء.

والنساء المحرّمات على التّأبيد ثلاثة أصناف: بالنّسب، وبالرّضاع، وبالمصاهرة.

فأما النّسب فيحرّم به سبعة أصناف؛ وهي المذكورة في هذه الآية.

وضابطها: أنه يحرم على الرجل فصوله ما سفّلت، وأصوله ما علّت، وفصول أبويه ما سفّلت، وأول فصلٍ من كل أصل متقدّم على أبويه.

﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه : الوالدات ، والجَدَّات من الأم ومن الأب ما علَوْنَ .

﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه : البنت ، وبنت الابن ، وبنت البنت ما سَقَلْنَ .
 ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه : الأخت الشقيقة ، والأخت للأب ، والأخت للأم .

﴿وَعَمَّتُكُمْ﴾ يدخل فيه : أخت الوالد ، وأخت الجد ما علا ؛ سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم .

﴿وَحَلَّتُكُمْ﴾ يدخل فيه : أخت الأم ، وأخت الجدَّة ما علت ؛ سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم .

﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ﴾ يدخل فيه : كل من تناسل من الأخ الشقيق ، وللأب ، وللأم .

﴿وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾ يدخل فيه : كل من تناسل من الأخت الشقيقة ، وللأب ، وللأم .

﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾ ذكر تعالى صنفين من الرضاغة وهما : الأم والأخت ، وقال رسول الله ﷺ : «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»^(١) .

فاقتضى ذلك : تحريم الأصناف السبعة التي تحرم من النسب ، وهي : الأم ، والبنت ، والأخت ، والعمة ، والخالة ، وبنت الأخ ، وبنت الأخت .

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤٥) ، ومسلم (١٤٤٧) .

وتفصيل ذلك يطول .

وفي الرضاع مسائل لم نذكرها ؛ لأنها ليس لها تعلق بالفاظ الآية .
﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ المحرمات بالمصاهرة أربع ؛ وهن : زوجة الأب ،
وزوجة الابن ، وأم الزوجة ، وبنت الزوجة .

فأما الثلاث الأول : فتحرّم بالعقد ؛ دخل بها أو لم يدخل .

وأما بنت الزوجة : فلا تحرم إلا بعد الدخول بأمرها .

فإن وطئها حرمت عليه بنتها بإجماع .

وإن تلذذ بها بما دون الوطء : فحرّمها مالك والجمهور .

وإن عقد عليها ولم يدخل بها : لم تحرم بنتها إجماعاً .

وتحرم هذه الأربع بالرضاع كما تحرم بالنسب .

﴿رَبِّبْتُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ الرّبيبة : هي بنت امرأة الرجل من غيره ،
سميت بذلك ؛ لأنه يُربّيها ، فلفظها : فَعِيلَة بمعنى مفعولة .

وقوله : ﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ على غالب الأمر ؛ إذ الأكثر أن تكون الرّبيبة
في حجر زوج أمّها ، وهي محرّمة ؛ سواء كانت في حجره أم لا ، هذا عند
الجمهور من العلماء ، إلا ما روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه أجاز
نكاحها إن لم تكن في حجره .

﴿مِنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ اشترط الدخول في تحريم بنت
الزوجة خاصة ، ولم يشترطه في غيرها ، وعلى ذلك جمهور العلماء ، إلا ما
روي عن علي بن أبي طالب أنه اشترط الدخول في تحريم الجميع ، وقد

انعقد الإجماع بعده على خلاف ذلك .

﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ الحلائل : جمع حَلِيلَة ؛ وهي الزوجة .

﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ تخصيص ؛ ليخرج عنه زوجة الابن الذي يتبناه الرجل وهو أجنبي عنه ؛ كتزويج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ، امرأة زيد بن حارثة الكلبي الذي كان يقال له : زيد بن محمد .

﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ يقتضي تحريم الجمع بين الأختين ؛ سواء كانتا شقيقتين أو لأب أو لأم ؛ وذلك في الزوجتين .

وأما الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء :

فمنعه مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم ، ورأوا أنه داخل في عموم لفظ : ﴿الْأُخْتَيْنِ﴾ .

وأجازه الظاهرية ؛ لأنهم قصرُوا الآية على الجمع بالنكاح .

وأما الجمع بين الأختين في الملك دون وطء فجائز باتفاق .

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ المعنى : إلا ما فعلتم من ذلك في الجاهلية وانقطع بالإسلام ؛ فقد عُفي عنكم فلا تؤاخذون به ، هذا أرجح الأقوال حسبما تقدّم في الموضع الأول .

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ المراد هنا : ذوات الأزواج ، وهو معطوف على المحرمات المذكورات قبله .

والمعنى : أنه لا يحل^(١) نكاح المرأة إذا كانت في عصمة الرجل .

(١) في د : «لا يجوز» .

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ يريد: السَّبايا في أشهر الأقوال، والاستثناء متصل.

والمعنى: أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج، ثم سُبيت جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها.

وسبب ذلك: أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً إلى أوطاس، فأصابوا سبايا من العدو لهن^(١) أزواج من المشركين، فتأثم المسلمون من غشيانهن، فنزلت الآية مبيحةً لذلك.

ومذهب مالك: أن السبي يهدم النكاح؛ سواءً سُبِيَ الزوجان الكافران معاً أو سُبِيَ أحدهما قبل الآخر.

وقال ابن المَوَّاز: لا يهدم السبي النكاح.

﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ منصوبٌ على المصدرية؛ أي: كَتَبَ اللَّهُ ذلك عليكم كتاباً، وهو تحريم ما حرَّم.

وهو عند الكوفيين: منصوب على الإغراء.

﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ معناه: أَحَلَّ لَكُمْ تزوج مَنْ سِوَى ما حرَّم من النساء.

وعطف ﴿أَحَلَّ﴾ على الفعل المضمر الذي نصب ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾، والفاعل هو الله؛ أي: كَتَبَ اللَّهُ عليكم تحريم مَنْ ذَكَرَ، وَأَحَلَّ لَكُمْ ما وراء ذلكم.

(١) في ج، د: «ولهن».

﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ مفعولٌ من أجله، أو بدلٌ من: ﴿مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾.

وحُذِفَ مفعوله؛ وهو النساء.

﴿مُحْصِنِينَ﴾ هنا: أَعَفَّةٌ. ونُضِبُهُ على الحال من الفاعل في ﴿تَبْتَغُوا﴾.

﴿غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ أي: غير زناةٍ. والسَّفَاح: هو الزنا.

﴿فَمَا أَسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ابنُ عباس وغيره: معناها:

إذا استمتعتم بالزوجة، ووقع الوطء، فقد وجب إعطاء الأجر؛ وهو الصَّدَاق كاملاً.

وقيل: إنها في نكاح المتعة؛ وهو النكاح إلى أجلٍ من غير ميراث، وكان جائزاً في أول الإسلام، فنزلت هذه الآية في وجوب الصداق فيه، ثم حُرِّم عند جمهور العلماء؛ فالآية على هذا منسوخة:

بالخبر الثابت في تحريم نكاح المتعة.

وقيل: نسخها آية الفرائض؛ لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه.

وقيل: نسخها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥].

وروي عن ابن عباس جواز نكاح المتعة، وروي أنه رجع عنه.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا رَزَضْتُمْ بِهِ﴾ مَنْ قَالَ: إن الآية المتقدمة في مهور

النساء؛ فمعنى هذه: جواز ما يتراضون به من حطٍّ من^(١) الصداق، أو تأخيرها بعد استقرار الفريضة.

(١) لم يرد هذا الحرف في ج، هـ، د.

ومن قال: إن الآية في نكاح المتعة؛ فمعنى هذه: جواز ما يتراضون به من زيادة في مدة المتعة وزيادة في الأجر.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيِّئَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ معناها: إباحة تزوج الفتيات - وهنّ الإماء - للرجل إذا لم يجد طَوْلاً للمحصنات.

والطَّوْل: هو السعة في المال.

والمحصنات هنا: يراد به^(١) الحرائر غير المملوكات.

ومذهب مالك وأكثر أصحابه: أنه لا يجوز للحرِّ نكاح أمةٍ إلا بشرطين: أحدهما: عدم الطَّوْل؛ وهو أن لا يجد ما يتزوج به حرة^(٢).

والآخر: خوف العنت؛ وهو الزَّنا؛ لقوله بعد هذا: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾.

وأجاز ابن القاسم نكاحهن دون الشرطين؛ على القول بأن دليل الخطاب لا يعتبر.

واتفقوا على اشتراط الإسلام في الأمة التي تُتَزَوَّج^(٣)؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ فَيِّئَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، إلا أهل العراق فلم يشترطوه.

(١) في د: «بهن».

(٢) في ب، ج، هـ: «بما يتزوج حرة».

(٣) في ج، هـ: «لا تتزوج».

وإعراب ﴿طَوَّلًا﴾ :

[١-] مفعولٌ بالاستطاعة ، و﴿أَنْ يَنْكِحَ﴾ :

بدلٌ منه ، فهو في موضع نصبٍ .

(أو في موضع نصبٍ)^(١) بتقدير : «لأن يَنْكِحَ» .

[٢-] ويَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ﴿طَوَّلًا﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ ؛ وَالْعَامِلُ فِيهِ

الاستطاعة لأنهما بمعنى يتقارب ، و﴿أَنْ يَنْكِحَ﴾ عَلَى هَذَا مَفْعُولٌ :

بِالِاسْتِطَاعَةِ .

أَوْ بِالْمَصْدَرِ .

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ معناه : أنه يعلم بواطن الأمور ولكم ظواهرها ، فإذا كانت الأمة ظاهرة الإيمان ، فنكاحها صحيح ، وعِلْمُ باطنها إلى الله .

﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي : إماءكم منكم ؛ وهذا تأنيسٌ بنكاح الإماء ؛ لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك .

﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي : بإذن ساداتهنَّ المالكيين لهنَّ .

﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي : صدقاتهن .

وهذا يقتضي أنهنَّ أحقُّ بصدقاتهنَّ من ساداتهنَّ ، وهو مذهب مالك .

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي : بالشَّرْعِ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ السُّنَّةُ .

(١) ما بين القوسين لم يرد في أ ، ب ، ج ، د ، ومثبت من هـ ، وهو موافق لما في المحرر الوجيز (٢/ ٥٢٠) .

﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ﴾ أي: عفيفات غير زانيات.

وهو منصوب على الحال؛ والعامل فيه: ﴿فَأَنكِحُوهُنَّ﴾.

﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْأَخْدَانِ﴾ جمع خَدْنٍ؛ وهو الخليل، وكان من نساء الجاهلية من تتخذ خدناً تزني معه خاصة، ومنهن من كانت لا ترد يد لامس.

﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنْ أَتَيْتَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ معنى ذلك: أن الأمة إذا زنت بعد أن أُحصنت فعليها نصف حدّ الحرة، فإن الحرة تُجلد في الزنا مئة جلدة، والأمة تجلد خمسين.

فـ ﴿إِذَا أُحْصِنَ﴾ يريد به هنا: تزوّجن، والفاحشة هنا: الزنا، و﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ هنا: الحرائر، و﴿الْعَذَابِ﴾ هنا: الحد^(١).

فاقتضت الآية: حدّ الأمة إذا زنت بعد أن تزوّجت، ويؤخذ حدّ غير المتزوجة من السنة؛ وهو مثل حدّ المتزوجة.

وهذا على^(٢) قراءة ﴿أُحْصِنَ﴾ بضم الهمزة وكسر الصاد.

وقرئ بفتحهما، ومعناه:

أَسْلَمْنَ.

وقيل: تزوّجن.

﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ أَلْعَنَتْ مِنْكُمْ﴾ الإشارة إلى تزوّج الأمة؛ أي: إنما يجوز لمن حشِيَ على نفسه الزنا، لا لمن يملك نفسه.

(١) في د: «الجلد».

(٢) في ب، ج، هـ: «وعلى هذا».

﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ المراد: الصبر عن نكاح الإماء، وهذا نَدْبٌ إلى تركه، وَعِلَّتُهُ: ما يؤدي إليه من استرقاق الولد.

[﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ سُنَنِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾
 وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
 الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ
 ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ
 تَكُونَ بَحْكَرَةً عَنْ رَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾
 وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
 ﴿٣٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا
 كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا
 اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَى وَمَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ
 عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَأَوْهَهُمْ نَصِيحُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ﴾ قال الزمخشري: «أصله: أن يبين؛ فزيدت اللام
 مؤكدة، كما زيدت في: لا أبا لك»^(١).

وقال الكوفيون: اللام مصدرية؛ مثل: «أن».

﴿وَيُذْهِبُ لَكُمْ سُنَنِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: يهديكم مناهج من كان قبلكم
 من الأنبياء والصالحين؛ لتقتدوا بهم.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرر توطئة لفساد إرادة الذين يتبعون
 الشهوات، وهم هنا:

الزناة عند مجاهد.

وقيل : المجوس ؛ لنكاحهم ذوات المحارم .

وقيل : عامٌ في كل متبع شهوة . وهو أرجح .

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ يقتضي سياق الكلام التخفيف الذي وقع في إباحة نكاح الإماء ، وهو مع ذلك عامٌ في كل ما خَفَّفَ الله عن عباده ، وجَعَلَ دينهم يُسرًا .

﴿وَحَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ قيل : معناه لا يصبر عن النساء ؛ وذلك مقتضى سياق الكلام .

واللفظ أعمُّ من ذلك .

﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ يدخل فيه : القمار ، والغصب ، والسرقة ، وغير ذلك .

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ استثناء منقطع ، والمعنى : لكن إن كانت تجارة فكلوها .

وفي إباحة التجارة دليلٌ على أنه يجوز للإنسان أن يشتري بدرهم سلعة تساوي مئة ، والمشهور إمضاء البيع .

وحكي عن ابن وهب : أنه يُردُّ إذا كان الغبن أكثر من الثلث .

وموضع «أن» نصبٌ ، و﴿تِجَارَةً﴾ بالرفع : فاعل ﴿تَكُونَ﴾ ؛ وهي تامة .

وقرئ بالنصب : خبر ﴿تَكُونَ﴾ ؛ وهي ناقصة .

﴿عَنْ تَرَايٍ مِنْكُمْ﴾ أي : اتفاق .

وبهذا استدلل المالكية على تمام البيع بالعقد دون التفرق.

وقال الشافعي: إنما يتم بالتفرق بالأبدان؛ لقوله ﷺ: «المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا»^(١).

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قال ابن عطية: أجمع المفسرون أن المعنى: لا يقتل بعضكم بعضاً^(٢).

قلت: ولفظها يتناول قتل الإنسان لنفسه^(٣)، وقد حملها عمرو بن العاص على ذلك، ولم ينكره رسول الله ﷺ إذ سمعه^(٤).

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى:

القتل؛ لأنه أقرب مذكور.

وقيل: إليه، وإلى أكل المال بالباطل.

وقيل: إلى كل ما تقدم من المنهيات من أول السورة.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ﴾ اختلف الناس في الكبائر ما هي؟

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣١).

(٢) المحرر الوجيز (٥٣٠/٢).

(٣) في ب، د: «نفسه».

(٤) أخرج أبو داود في سننه (٣٣٤) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت أن اغتسل فأهليك، فتيمنت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟!» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً.

فقال ابن عباس: الكبائر: كلُّ ذنب ختمه الله بنارٍ أو لعنةٍ أو غضبٍ.
وقال ابن مسعود: الكبائر هي الذُّنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى هذه الآية.

وقال بعض العلماء: كل ما عَصِيَ الله به فهو كبيرةٌ.
وعَدَّها بعضهم سبعَ عشرة.

وفي البخاري عن النبي ﷺ: «اتقوا السبع الموبقات: الإِشراك بالله، والسحر، وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات»^(١) فلا شك أن هذه من الكبائر؛ للنص عليها في الحديث.

وزاد بعضهم عليها أشياء وردَ في الأحاديث^(٢) النصُّ على أنها كبائر، أو ورد في القرآن أو في الحديث وعيدٌ عليها؛ فمنها: عقوق الوالدين، وشهادة الزور، واليمين الغموس، والزنا، والسرقه، وشرب الخمر، والنُّهبة، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، ومنع ابن السبيل، الماء، والإلحاد في البيت الحرام، والنميمة، وترك التحرُّز من البول، والغُلُول، واستطالة المرء في عِرْض أخيه، والجور في الحكم.

﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ وعُدُّ بغُفران الذنوب الصغائر إذا اجْتُنِبَت الكبائر.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٢) في ب، د: «الحديث».

﴿مَذْخَلًا كَرِيمًا﴾ اسم مكان؛ وهو هنا: الجنة.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ الآية؛ سببها: أن النساء قلن: ليتنا استويننا مع الرجال في الميراث، وشاركناهم في الغزو!، فنزلت نهياً عن ذلك؛ لأن في تمنّيهم ردّاً^(١) على حكم الشريعة.

فيدخل في النهي: تمنّي مخالفة الأحكام الشرعية كلّها.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ الآية؛ أي: من الأجر والحسنات.

وقيل: من الميراث؛ ويردّه لفظ الاكتساب.

﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى﴾ الآية؛ في معناها وجهان:

أحدهما: لكل شيء من الأموال جعلنا مولى يرثونه؛ ف﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ -على هذا-: بيان لـ «كُلِّ».

والآخر: لكلٍّ أحد جعلنا مولى يرثون مما ترك الوالدان والأقربون؛ ف﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ -على هذا-: يتعلّق بفعل مضمر.

والموالي هنا: الورثة^(٢) والعصبة.

﴿وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ اختُلف هل هي منسوخة أو مُحْكَمَة؟

فالذين قالوا إنها منسوخة قالوا: معناها:

الميراث بالحلف الذي كان في الجاهلية.

(١) في ب: «لأن تمنّيهم ردّاً».

(٢) في ج، هـ: «الذرية»، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (٥٣٧/٢).

وقيل : بالمؤاخاة التي آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه .

ثم نسخها : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥] ؛ فصار الميراث للأقارب .

والذين قالوا إنها محكمة اختلفوا :

فقال ابن عباس : هي في المؤازرة والنصرة بالحلف ، لا في الميراث به .

وقال أبو حنيفة : هي في الميراث ؛ وأن الرجلين إذا والى أحدهما الآخر على أن يتوارثا صحَّ ذلك ، وإن لم تكن بينهما قرابة .



[الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَتٌ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيَّ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْعُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٦﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعُثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٧﴾ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِشَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٤٠﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤٣﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٤﴾].

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ قَوَّام: بناءً مبالغة؛ من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه.

قال ابن عباس: الرجال أمراء على النساء.

﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾ الباء: للتعليل، و«ما» مصدرية.

والتفضيل: بالجهد، والإمامة، وملك الطلاق، وكمال العقل، وغير ذلك.

﴿وَيْمًا أَنْفَقُوا﴾ هو: الصَّدَاقُ، والنفقة المستمرة على الزوجات.
 ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ أي: النساء الصالحات في دينهن مطيعات
 لأزواجهن.

أو: مطيعات لله في حق أزواجهن.
 ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي: تحفظ كل ما غاب عن علم زوجها، فيدخل في
 ذلك: صيانة نفسها، وحفظ ماله وبيته، وحفظ أسراره.

﴿يَمًا حَفِظَ اللَّهُ﴾ أي: بحفظ الله ورعايته.

أو: بأمره للنساء أن يُطعن الزوج ويحفظنه.

ف«ما»: مصدرية، أو بمعنى «الذي».

﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ قيل: الخوف هنا بمعنى اليقين.

وقيل: هو على أصله.

﴿فَعُظُّهُنَّ وَأَهْجُرُهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ هذه أنواع من تأديب المرأة
 إذا نشزت على زوجها؛ وهي على مراتب:

فالوعظ في النشوز في الخفيف.

والهجران فيما هو أشد منه.

والضرب فيما هو أشد منه^(١).

ومتى انتهت عن النشوز بوجه من التأديب لم يُتعدَّ إلى ما بعده.

(١) لم ترد هذه الكلمة في ب، هـ.

والهجران هنا: هو ترك مضاجعتها، وقيل: ترك الجماع إذا ضاجعها.
والضرب: غير مُبرَّح.

﴿فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ أي: إذا أطاعت المرأة زوجها
فليس له أن يؤذيها بهجران ولا ضرب.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ الشقاق: الشرُّ والعداوة.

وكان الأصل: «إن خفتم شقاقاً بينهما»، ثم أُضيف الظرف إلى الشقاق
على طريق الاتساع؛ كقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ﴾ [سبا: ٣٣]؛
وأصله: «مكر بالليل والنهار».

﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا﴾ الآية؛ ذكر تعالى الحُكْمَ في نشوز المرأة، والحكمَ في
طاعتها، ثم ذكر هنا حالة أخرى؛ وهي: إذا ساء^(١) ما بين الزوجين ولم يُقدَّرْ
على الإصلاح بينهما، ولا عُلِمَ مَنْ الظالم منهما، فَيُبْعَثُ حَكَمَانِ مُسْلِمَانِ؛
لِيَنْظُرَا فِي أَمْرِهِمَا، وَيُنْفِذَا^(٢) ما ظهر لهما من تطليق وُخْلَع من غير إذن
الزوج.

وقال أبو حنيفة: ليس لهما الفراق إلا إن جُعِلَ^(٣) لهما.

وإن اختلفا لم يلزم شيءٌ إلا باتِّفاقهما.

ومشهور مذهب مالك: أن الحاكم هو الذي يبعث الحكمين.

(١) في ب: «وهي إساءة».

(٢) في ب، ج، هـ: «ويُنْفِذ».

(٣) في ب: «أن يجعل».

وقيل : يبعثهما الزوجان .

وجرت عادة القضاة أن يبعثوا امرأةً أمينة ، ولا يبعثوا حكمين ؛ قال بعض العلماء : هذا تغييرٌ لحكم القرآن والسنة الجارية .

﴿مَنْ أَهْلِهِ﴾ يجوز في المذهب أن يكون الحكمان من غير أهل الزوجين والأكمل أن يكونا من أهلها ؛ كما ذكر الله .

﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ الضمير في ﴿يُرِيدَا﴾ : للحكمين ، وفي ﴿بَيْنَهُمَا﴾ : للزوجين على الأظهر .

وقيل : الضميران للزوجين .

وقيل : للحكمين .

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ ابنُ عباس : الجارُ ذو القربى : هو القريب النسب ، والجار الجنب : هو الأجنبي .

وقيل : ذو القربى : القريب المسكن منك ، والجنب : البعيد المسكن عنك .

وحد الجوار^(١) عند بعضهم : أربعون دارًا من كل ناحية .

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ ابنُ عباس : الرفيق في السفر .

عليُّ بن أبي طالب : الزوجة .

(١) في د : «الجار» .

﴿مُحْتَالًا﴾ اسم فاعل؛ وزنه مُفْتَعِل؛ من الخيلاء، وهي ^(١) الكبر وإعجاب المرء بنفسه.

﴿فَحُورًا﴾ شديد الفخر.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿مُحْتَالًا﴾.

أو نَضَبٌ على الذم.

أو رفعٌ بخبر ابتداء مضمَر.

أو مبتدأ وخبره محذوف؛ تقديره: «يُعَذَّبُونَ».

والآية في اليهود؛ نزلت في قوم منهم: كَرْدَمٌ، وحُيَي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن الثَّابُوت، كانوا يقولون للأنصار: لا تُنْفِقُوا أموالكم في الجهاد والصدقات.

وهي -مع ذلك- عامةٌ فيمن فعل هذه الأفعال من المسلمين.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ عطفٌ على ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾.

وقيل: على: ﴿الْكُفْرِينَ﴾.

والآية في المنافقين الذين كانوا ينفقون في الزكاة والجهاد رياءً ^(٢) ومُصَانَعَةً.

وقيل: في اليهود.

(١) في د: «وهو».

(٢) في د: «رياء الناس».

وقيل: في مشركي مكة الذين أنفقوا أموالهم^(١) في حرب المسلمين.

﴿قَرِينَا﴾ أي: مُلَازِمًا له يُغْوِيه.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا﴾ الآية؛ استدعاء لهم بملاطفة.

أو: توبيخ على ترك الإيمان والإنفاق؛ كأنه يقول: أيُّ مضرّة عليهم في ذلك.

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: وزنها؛ وهي النملة الصغيرة، وذلك تمثيلٌ بالقليل تنبيهًا على الكثير.

﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً﴾ بالرفع: فاعل، و﴿تَكُ﴾ تامة.

وبالنصب: خبر؛ على أنها ناقصة، واسمها مضمّر فيها.

﴿يُضَعِفُهَا﴾ أي: يكثرها^(٢)؛ واحدة بعشر^(٣)، إلى سبع مئة وأكثر.

﴿وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ﴾ أي: من عنده؛ تفضلاً وزيادةً على ثواب العمل.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾ تقديره: كيف يكون الحال إذا جئنا!.

﴿شَهِيدٍ﴾ هو نبيهم؛ يشهد عليهم بأعمالهم.

﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ أي: تشهد على قومك.

ولما قرأ ابن مسعود هذه الآية على رسول الله ﷺ ذرّفت عيناه^(٤).

(١) في أ: «مالهم» وفي الهامش: «خ: أموالهم».

(٢) في أ: «يكررها» وفي الهامش: «خ: يكثرها».

(٣) في د: «بعشر أمثالها».

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٨٣)، ومسلم (٨٠٠).

﴿لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي: يتمنون أن يدفنوا فيها، ثم تَسَوَّى بهم كما تَسَوَّى بالموتى.

وقيل: يتمنون أن يكونوا سواءً مع الأرض؛ كقوله: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠]، وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة.

﴿وَلَا يَكْنُؤُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ استئناف، إخبار أنهم لا يكتُمون يوم القيامة عن الله شيئًا.

فإن قيل: كيف هذا مع قولهم: ﴿وَاللَّهُ رَيْنًا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؟
فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الكتم لا ينفعهم؛ لأنهم إذا كتموا تنطق جوارحهم، فكأنهم لم يكتُموا.

والآخر: أنهم طوائف مختلفة، ولهم أوقات مختلفة.

وقيل: إن قوله: ﴿وَلَا يَكْنُؤُونَ﴾ عطف على ﴿تَسَوَّى﴾؛ أي: يتمنون أن لا يكتُموا؛ لأنهم إذا كتموا افتضحوا.

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْجَىٰ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنِينَ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدَّهَا عَلَى أَذْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُرْكَبُونَ أَنْفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ يُرْكَبُ مِنْ يَسَاءٍ وَلَا يَظْلَمُونَ فِتْنًا ﴿٤٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٠﴾].

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ سببها : أن جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها ، ثم قاموا إلى الصلاة ، وأمهم أحدهم فخلط في القراءة .

فمعناها : النهي عن الصلاة في حال ^(١) السكر .

قال بعض الناس : هي منسوخة بتحريم الخمر ، وذلك لا يلزم ؛ لأنها ليس فيها ما يقتضي إباحة الخمر ، إنما هي نهى عن الصلاة في حال السكر ، وذلك

(١) في هامش أ : «حين» .

الحكم ثابت في حين إباحة الخمر وفي حين تحريمها .

وقال بعضهم : معناها : لا يكن منكم سكرٌ يمنع قرب الصلاة ؛ إذ المرءُ مأمورٌ بالصلاة ، فكأنها تقتضي النهي عن السكر ، وعن سببه وهو الشرب ، وهذا بعيدٌ من مقتضى اللفظ .

﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ أي : حتى تعود إليكم عقولكم فتعلمون ما تقرأون .

ويظهر من هذا : أن السكران (لا يعلمُ ما يقول ؛ فأخذ بعض الناس من ذلك : أن السكران)^(١) لا يلزمه طلاقه ولا إقراره .

﴿وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ﴾ عطف ﴿وَلَا جُنْبًا﴾ على موضع : ﴿وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ ؛ إذ هو في موضع الحال .

والجنب هنا : غير الظاهر ؛ بإنزالٍ أو إيلاج ، وهو واقعٌ على جماعة ؛ بدليل استثناء الجمع منه .

واختلف في عابري السبيل :

فقليل : إنه المسافر ؛ ومعنى الآية على هذا : نهى أن يقرب الصلاة وهو جنب إلا في السفر ، فيصلّي بالتيمم دون اغتسال .

فمقتضى الآية : إباحة التيمم للجنب في السفر ، ويؤخذ إباحة التيمم للجنب في الحضر من الحديث .

(١) ما بين القوسين سقط من ب ، ج ، هـ .

وقيل: عابرُ السبيل: المارُّ في المسجد، والصلاة هنا يراد بها: المسجد؛ لأنه موضع الصلاة، فمعنى الآية على هذا: النهي أن يقرب الجنبُ المسجد إلا خاطراً عليه.

وعلى هذا أخذ^(١) الشافعي الآية؛ لأنه يُجيز للجنب أن يمرَّ في المسجد، ولا يجيز له أن يقعد فيه.

ومنع مالك المرور والقعود.

وأجازهما داود.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآية؛ سببها: عَدَمُ الصحابة للماء في غزوة المُريسيع، فأبيح لهم التيمم في عَدَمِ الماء.

ثم إنَّ عَدَمَ الماء على ثلاثة أوجه:

أحدها: عدمه في السفر.

والثاني: عدمه في المرض.

فيجوز التيمم في هذين الوجهين بإجماع؛ لأن الآية نصٌّ في المرض والسفر إذا عدم الماء فيهما؛ لقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾.

الوجه الثالث: عدم الماء في الحضر دون مرض؛ فاختلف الفقهاء فيه:

فمذهب أبي حنيفة: أنه لا يجوز فيه التيمم؛ لأن ظاهر الآية أنَّ عدم الماء إنما يعتبر مع المرض أو السفر.

(١) في د: «حمل».

ومذهب مالك والشافعي : أنه يجوز فيه التيمم .

فإن قلنا : إن الآية لا تقتضيه ، فيؤخذ جوازه من السنة .

وإن قلنا : إن الآية تقتضيه ، فيؤخذ جوازه منها^(١) .

وهذا هو الأرجح إن شاء الله ؛ وذلك أنه ذكر في أول الآية المرض والسفر ، ثم ذكر الأحداث دون مرض ولا سفر ، ثم قال بعد ذلك كله : ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً ﴾ ، فيرجع قوله : ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً ﴾ إلى المرض وإلى السفر وإلى مَنْ أَحْدَثَ في غير مرض ولا سفر ؛ فيجوز التيمم على هذا لِمَنْ عَدِمَ الماءَ في غير مرض ولا سفر ، فيكون في الآية حجةً لمالك والشافعي .

ويجوز التيمم أيضًا في مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء ، ولم يَقْدِرْ على استعماله ؛ لضررِ بدنه .

فإن قلنا : إن الآية لا تقتضيه ، فيؤخذ جوازه من السنة .

وإن قلنا : إن الآية تقتضيه ، فيؤخذ جوازه منها^(٢) ؛ على أن يُتَأَوَّلَ قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى ﴾ أن معناه : مرضى لا تقدرُونَ على مسِّ الماء .

وحدَّ المرض الذي يجوز فيه التيمم :

عند مالك : هو أن يَخَافَ الموتَ ، أو زيادةَ المرض ، أو تأخُرَ البرء .

وعند الشافعي : خوفُ الموت لا غيرُ .

وحدَّ السفر : الغيبة عن الحضَر ، سواءً كان مما تُقَصَّرُ فيه الصلاة أم لا .

(١) في د : «منهما» .

(٢) في د : «منهما» .

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم﴾ في «أو» هنا تأويلان :

أحدهما : أن تكون للتفصيل والتنويع على بابها .

والآخر : أنها بمعنى الواو .

فعلى القول بأنها على بابها : يكون قوله : ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾ راجعاً إلى المريض والمسافر ، وإلى مَنْ جاء مِنَ الغائط ، وإلى مَنْ لَامَسَ ، سواءً كانا مريضين أو مسافرين أم لا ؛ حسبما ذكرنا قبل هذا .

فيقتضي ذلك : جواز التيمم للحاضر الصحيح إذا عَدِمَ الماء ، وهو مذهب مالك والشافعي فيكون في الآية حجة لهما .

وعلى القول بأنها بمعنى الواو : يكون قوله : ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾ راجعاً إلى المريض والمسافر .

فيقتضي ذلك : أنه لا يجوز التيمم إلا في المرض والسفر مع عَدَمِ الماء ، وأنه لا يجوز للحاضر الصحيح إذا عَدِمَ الماء ، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخر .

والراجع : أن تكون «أو» على بابها ؛ لوجهين :

أحدهما : أن جعلها بمعنى الواو إخراجاً لها عن أصلها ، وذلك ضعيف .

والآخر : أنه ^(١) إذا كانت على بابها : كان فيها إفادة ^(٢) إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عَدِمَ الماء على ما ظهر لنا فيها ، وإذا كانت بمعنى

(١) في د : «أنها» .

(٢) في ج ، د : «فائدة» .

الواو لم تُعْطِ^(١) هذه الفائدة .

وَحَجَّةٌ مَنْ جَعَلَهَا بِمَعْنَى الْوَائِي : أَنَّهُ لَوْ جَعَلَهَا عَلَى بَابِهَا لَا قَتَضَى الْمَعْنَى أَنَّ الْمَرَضَ وَالسَّفَرَ حَدَثٌ يُوجِبُ الْوُضُوءَ كَالْغَائِطِ ؛ لِعَطْفِهِ عَلَيْهِمَا .

وهذا لا يلزم ؛ لأن العطف بـ «أو» هنا للتنويع والتفصيل ، ومعنى الآية كأنه قال : يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماءً إن كنتم مرضى أو على سفر ، أو أحدثتم في غير مرض ولا سفر .

﴿الْغَائِطُ﴾ أصله : المكان المنخفض ، وهو هنا : كناية عن الحدث الخارج من المخرجين ، وهو العذرة ، والريح ، والبول ؛ لأن من ذهب إلى الغائط تكون منه هذه الأحداث الثلاثة .

وقيل : إنما هو كناية عن العذرة ، وأما البول والريح ، فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السنة ، وكذلك الودْيُ والمَذْيُ .

﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ اختلف في المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال : أحدها : أنها الجماع وما دونه ؛ من التقبيل واللمس باليد وغيرها . وهو قول مالك .

فعلى هذا : ينتقض الوضوء باللمس الذي هو دون الجماع على تفصيل في المذهب ، ويجب معه التيمم إذا عدم الماء ، ويكون الجنب من أهل التيمم .

والقول الثاني : أنها ما دون الجماع .

فعلى هذا : ينتقض الوضوء باللمس ، ولا يجوز التيمم للجنب ، وقد قال

(١) في هامش أ : «خ : تُفَدُّ» .

بذلك عمر بن الخطاب، ويؤخذ جوازه عند من أجازوه من الحديث.

والثالث: أنها الجماع لا غيرُ.

فعلى هذا: يجوز التيمم للجنب، ولا يكون ما دون الجماع ناقضاً للوضوء. وهو مذهب أبي حنيفة.

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ هذا يفيد وجوب طلب الماء^(١)، وهو مذهب مالك، خلافاً لأبي حنيفة.

فإن وجده بثمنٍ فاختلف: هل يجوز له التيمم أم لا؟

وإن وهب له فاختلف: هل يلزمه قبوله أم لا؟

﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ التيمم في اللغة: القصد.

وفي الفقه: الطَّهارة بالتراب، وهو منقولٌ من المعنى اللُّغوي.

﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ الصَّعيد عند مالك: هو وجه الأرض، كان تراباً أو رملاً أو حجارة، فأجاز التيمم بذلك كله.

وهو عند الشافعي: التراب لا غيرُ.

والطيب هنا: الطاهر.

واختلف في التيمم بالمعادن كالذهب، وبالمِلح، وبالتراب المنقول كالمَجْعول في طبق، وبالأجر، وبالجص المطبوخ، وبالجدار، وبالنبات الذي على وجه الأرض، وذلك كله على الاختلاف في معنى الصعيد.

(١) في ب، ج، هـ: «الطلب».

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ لا يكون التيمم إلا في هذين العضوين،
ويُقَدَّم الوجه على اليدين؛ لظاهر الآية، وذلك على الندب عند مالك،
ويستوعب الوجه بالمسح.

وأما اليدان فاختُلف هل يمسحهما إلى الكوعين، أو إلى المرفقين؟
ولفظ الآية مُحتمِلٌ؛ لأنه لم يُحدَّ.

وقد احتجَّ من قال: إلى المرفقين بأن هذا مطلق، فيُحمل على المقيّد،
وهو تحديدهما في الوضوء بالمرفقين.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود هنا، وفي الموضع الثاني.
قال السهيلي في الموضع الأول: نزل في رِفاعَةَ بن زيد بن الثَّابُوت، وفي
الثاني: نزل في كعب بن الأشرف^(١).

﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَلَةَ﴾ عبارة عن إيثارهم الكفرَ على الإيمان، فالشِّراء
مجازٌ؛ كقوله: ﴿أَشْتَرُوا الضَّلَلَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٦].
وفي تَكَرُّار قوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ﴾ مبالغة.

﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا﴾ «من»:

راجعةً إلى: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا﴾، أو إلى: ﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾؛ فهي بيان.
وقال الفارسي^(٢): هي ابتداء كلام؛ تقديره: «من الذين هادوا قوم».

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٨١.

(٢) هو أبو علي الفارسي النحوي، تقدمت ترجمته في ٩٠/١.

وقيل : هي متعلّقة بـ ﴿نَصِيرًا﴾ ؛ وهو ضعيف .

ويوقف على ﴿نَصِيرًا﴾ على قول الفارسي .

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ يحتمل : تحريف اللفظ ، أو المعنى .

و﴿الْكَلِمَ﴾ هنا : التوراة ، وقيل : كلام النبي ﷺ .

﴿غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ معناه : لا سمعت .

﴿وَرَاعَنَا﴾ ذُكِرَ فِي «البقرة»^(١) .

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ عوضٌ من قولهم : «سمعنا وعصينا» .

﴿وَأَسْمَعَ﴾ عوضٌ من قولهم : «اسمع غير مسمع» .

﴿وَأَنْظَرْنَا﴾ عوضٌ من قولهم : «راعنا» ؛ وهو من النَّظَر أو الانتظار .

فهذه الأشياء الثلاثة في مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمّهم على قولها ؛ لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الآخر عوضاً من تلك لكان خيراً لهم ؛ فإن هذه ليس فيها سوء أدب .

﴿مُصَدِّقًا﴾ ذُكِرَ فِي «البقرة»^(٢) .

﴿أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ ابنُ عباس : طَمَسُهَا : أَنْ تُزَالَ الْعَيْنَانِ مِنْهَا ، وَتُرَدَّ فِي الْقَفَا ؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ رَدًّا عَلَى الدُّبْرِ .

وقيل : طمسها : محو تخطيط صُورِهَا ؛ مِنْ أَنْفٍ وَعَيْنٍ وَحَاجِبٍ ، حَتَّى

(١) انظر صفحة ٣٦٤ / ١ .

(٢) انظر صفحة ٣٠٨ / ١ .

تصيرَ كالأدبار في خلوها عن الحواس.

﴿أَوْ نَلْعَنُهُمْ﴾ أي: نمسخهم كما مُسِخ^(١) أصحاب السبت، وقد ذُكروا^(٢) في «البقرة»^(٣).

أو يكون من اللعن المعروف.

والضمير يعود:

على الوجوه؛ والمراد أصحابها.

أو يعود على الذين أوتوا الكتاب؛ على الالتفات.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد، وهي المبيّنة لما تعارض فيها من الآيات، وهي الحجّة لأهل السنة، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة.

وذلك أن مذهب أهل السنة: أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، وحجّتهم: هذه الآية؛ فإنها نصّ في هذا المعنى.

ومذهب الخوارج: أن العصاة يُعذبون ولا بدّ؛ سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر.

ومذهب المعتزلة: أنهم يعذبون على الكبائر ولا بدّ.

(١) في د: «مسخنا».

(٢) في ج، هـ: «ذكر».

(٣) انظر صفحة ١/٣٢٣.

وَيَرُدُّ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ قَوْلَهُ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾.

ومذهب المرجئة: أن العصاة كُلَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ وَلَا بَدْءَ، وأنه لَا يَضُرُّ^(١) ذَنْبٌ مع الإيمان.

وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُ: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾؛ فإنه تخصيصٌ لبعض العصاة. وقد تأولت المعتزلة الآية على مذهبهم، فقالوا: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾: هو التائب، فإن التائب لَا خلاف أنه لَا يعذب.

وهذا التأويل بعيد؛ لأن قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ في غير التائب من الشرك، وكذلك قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ في غير التائب من العصيان؛ ليكون أَوَّلُ الآية وآخرها على نسقٍ واحد.

وتأولتها المرجئة على مذهبهم، فقالوا: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ معناه: لمن يشاء أن يؤمن.

وهذا أيضًا بعيد، لا يتقضيه اللفظ.

وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد:

فحملها المعتزلة على العصاة.

وحملها المرجئة على الكفار.

وحملها أهل السنة على الكفار، وعلى مَنْ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْعِصَاةِ.

كما حملوا آيات الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا، وعلى المذنبين

(١) في هامش أ: «خ: لَا يَضُرُّهُمْ».

التائبين ، وعلى مَنْ يغفر الله له من العصاة غير التائبين .

فعلى مذهب أهل السنة لا يبقى تعارضٌ بين آيات الوعد وآيات الوعيد ، بل يُجمَع بين معانيها ، بخلاف قول غيرهم ؛ فإن الآيات فيه تتعارض^(١) .

وتلخيص المذاهب :

أن الكافر إذا تاب من كفره عُفِرَ له بإجماع ، وإن مات على كفره لم يُغْفَرْ له ، وخُلِدَ في النار بإجماع .

وأن العاصي من المؤمنين إن تاب غفر له ، وإن مات دون توبة فهو الذي اختلف الناس فيه .

﴿الَّذِينَ يُرْكُونُ أَنْفُسَهُمْ﴾ هم اليهود ، وتركيتهم :

قولهم : «نحن أبناء الله وأحباؤه» .

وقيل : مدحهم لأنفسهم .

﴿فَنِيلًا﴾ الفئيل : هو الخيط الذي في شِقِّ نواة التمرة .

وقيل : ما يخرج بين إصبعيك وكفِّك إذا فتلتهما .

وهو تمثيلٌ وعبرة عن أقلِّ الأشياء ؛ فيدلُّ على الأكثر بطريق الأولى .

﴿يَقَرُّونَ﴾ دليلٌ على أن تركيتهم لأنفسهم بالباطل .

❦ ❦ ❦

(١) في أ : «فيها تعارض» وفي الهامش : «خ : فيه تعارض» .

[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُفِيَٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بِدَلَّتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَندْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٦٠﴾] .

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ قال ابن عباس: الجبت هنا: حيي بن أخطب، والطاغوت: كعب بن الأشرف.

وقال عمر بن الخطاب: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان.

وقيل: الجبت: الكاهن، والطاغوت: الساحر.

وبالجملة هما: كل ما عُبد و^(١) أُطِيع من دون الله.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية؛ سببها: أن حيي بن أخطب أو كعب بن

(١) في أ، د، هـ: «أو».

الأشرف أو غيرهما من اليهود قالوا لكفار قريش: أنتم أهدي سبيلاً من محمد وأصحابه.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ الهمزة للاستفهام مع الإنكار.
 ﴿نَقِيرًا﴾ النقيير: هو النَّفْرةُ في ظهر النواة، وهو تمثيلٌ وعبرة عن أقل الأشياء.

والمراد: وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك، وأنهم حينئذٍ يبخلون بالنقيير الذي هو أقلُّ الأشياء، ويبخلون بما هو أكثرُ منه من باب أولى.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ وصفهم بالحسد مع البخل.
 والناس هنا يراد به: النبي ﷺ وأُمَّته، والفضل: النبوة، وقيل: النصر والعزة.

وقيل: الناس: العرب، والفضل: كون النبي ﷺ منهم.
 ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ المراد بآل إبراهيم: ذريته من بني إسرائيل وغيرهم؛ ممن آتاه الله الكتابَ التي أنزلها والحكمة التي علّمها.
 والقصد بالآية: الردُّ على اليهود في حسدهم لمحمد ﷺ.

ومعناها: إلزامُ لهم بما عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم، فلا شيء يخصُّون محمداً ﷺ بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليه.

﴿مُلْكًا عَظِيمًا﴾ الملك في آل إبراهيم: هو ملك يوسف، وداود، وسليمان ﷺ.

﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ الآية؛ قيل: المراد: من اليهود من آمن: بالنبي ﷺ.

أو بالقرآن المذكور في قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾.

أو بما ذكر من حديث إبراهيم.

فهذه ثلاثة أوجه في ضمير ﴿بِهِ﴾.

وقيل: ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم، ومنهم من كفر؛

كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ الآية؛ قيل: تُبدل لهم جلود بعد جلود آخر؛ إذ

نفوسهم هي المعذبة.

وقيل: تبديل الجلود: تغيير صفاتها بالنار.

وقيل: الجلود السراويل؛ وهو بعيد.

﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ذكر في «البقرة»^(١).

﴿ظِلًّا ظِلِيلًا﴾ صفة من لفظ «الظِّل» للتأكيد؛ أي: دائماً لا تنسخه

الشمس.

وقيل: يقي الحر والبرد.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ الآية؛ قيل: هي خطاب للولادة.

وقيل: للنبي ﷺ حين أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة.

ولفظها عامٌّ، وكذلك حكمها.

﴿وَأُولَى الْأَمْرِ﴾ هم : الولاة ، وقيل : العلماء .

ونزلت في عبد الله بن حذافة ؛ بعثه رسول الله ﷺ في سرية .

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الردُّ إلى الله : هو النظر في كتابه ، والردُّ إلى

الرسول ﷺ : هو سؤاله في حياته ، والنظر في سنته بعد وفاته .

﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّرْطُ رَاجِعًا :

إلى قوله : ﴿فَرُدُّوهُ﴾ .

أو إلى قوله : ﴿أَطِيعُوا﴾ .

والأول أظهر ؛ لأنه أقرب إليه .

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي : مآلاً وعاقبةً .

وقيل : أحسنُ نظرًا منكم .



[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۚ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَاتَتْهُمُ مِنْ لَدُنَّا آجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾].

﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية؛ نزلت في المنافقين.

وقيل: في منافقٍ ويهودي؛ كان بينهما خصومة، فتحاكما إلى كعب بن الأشرف اليهودي، وقيل: إلى كاهن.

﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمهر؛ ليدّمهم بالنفاق.

ودلّ ذلك على أن الآية المتقدمة نزلت في المنافقين.

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةً﴾ الآية؛ أي: كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم!.

﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ يحتمل أن يكون هذا:

معطوفاً على ما قبله.

أو يكون معطوفاً على قوله: ﴿يَصُدُّونَ﴾، ويكون قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُمْ﴾ اعتراضاً.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: عن معاقبتهم.

وليس المراد بالإعراض القطيعة؛ لقوله: ﴿وَعِظْهُمْ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية؛ وعدٌ بالمغفرة لمن استغفر، وفيه استدعاءٌ للاستغفار والتوبة.

ومعنى ﴿جَاءُوكَ﴾: أتوك تائبين معتذرين من ذنوبهم، يطلبون أن تستغفر لهم الله.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ «لا» هنا: مؤكدةٌ للنفي الذي بعدها.

﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلطوا واختلفوا فيه.

ومعنى الآية: أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبي ﷺ.

ونزلت بسبب:

المنافقين الذين تخاصموا.

وقيل: بسبب خصام الزبير مع رجل من الأنصار في الماء.

وحكمها عامٌ.

﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية؛ معناها: لو فرض عليهم ما فرض على من كان قبلهم من المشقات لم يفعلوها؛ لقلّة انقيادهم، إلّا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقًا، وقد روي أن من هؤلاء القليل: أبا بكر وعمر وابن مسعود وعمار بن ياسر وثابت بن قيس.

﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع: بدلٌ من الضمير.

وقرأ ابن عامر وحده بالنصب:

على أصل الاستثناء.

أو على: إلّا فعلًا قليلًا.

﴿مَا يُوعِظُونَ بِهِ﴾ من اتباع النبي ﷺ وطاعته والانقياد له.

﴿وَأَشَدُّ تَنَبُّيًّا﴾ أي: تحقيقًا لإيمانهم.

﴿وَإِذَا لَا تَنَبَّهُهُمْ﴾ جوابٌ لسؤال مقدّر عن حالهم لو فعلوا ذلك.

﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ثوابٌ على الطاعة؛ أي: هم معهم في الجنة.

وهذه الآية مفسّرة لقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

والصديق: فعيل؛ من الصدق، أو من التصديق، والمراد به المبالغة، والصديقون أرفع الناس درجةً بعد الأنبياء.

والشهداء: المقتولون في سبيل الله، ومن جرى مجراهم من سائر

الشهداء، كالغريق وصاحب الهدم؛ حسبما ورد في الحديث أنهم سبعة^(١).

﴿وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا﴾ الإشارة إلى الأصناف الأربعة المذكورة.

والرفيق: يقع على الواحد والجماعة؛ كالخليفة.

أو هو مفردٌ بين به الجنس.

ومعنى الكلام: إخباراً، واستدعاءً للطاعة التي يُنال بها مرافقة هؤلاء.

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ﴾ الإشارة إلى الثواب على الطاعة بمرافقة من ذكر في

الجنة.

﴿وَالْفَضْلُ﴾: صفة، أو خبرٌ.



(١) أخرج مالك في الموطأ (٩٣٥)، (٩٩٦)، وأبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٨٤٧) في حديث طويل أن رسول الله ﷺ قال: «الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعمون شهيد، والعرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمع شهيد» قال أبو داود: الجُمع: أن يكون ولدها معها.

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُدُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧٦﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيَبْطُلَنَّ فَإِنْ أَصَبَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالِ قَدْ اَنَعَمَ اللّٰهُ عَلٰى اِذْ لَمْ اَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٧﴾ وَلَئِنْ اَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللّٰهِ لَيَقُولَنَّ كَاَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِثَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَاَفُوزٌ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٨﴾ فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ الَّذِي يَشْرُوكَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَيُقْتَلْ اَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ اَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٩﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَالْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِيْنَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ اَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا اَوْلِيَآءَ الشَّيْطَانِ اِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٨١﴾].

﴿خُدُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي: تحرّزوا من عدوكم واستعدّوا له.

﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ أي: اخرجوا للجهاد جماعاتٍ متفرّقين؛ وذلك كناية عن السرايا.

وقيل: إنّ الثّبة: ما فوق العشرة.

ووزنها فُعْلَةٌ - بفتح العين -، ولا مِها محذوفة.

﴿أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين في الجيش^(١) الكثيف.

فخبرهم بين^(٢) الخروج إلى الغزو في قلة أو في كثرة.

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيَبْطُلَنَّ﴾ الخطاب للمؤمنين، والمراد بـ«مَنْ»: المنافقون،

(١) كذا في دوفي هامش أ ورمز له بـ«خ»، وفي بقية النسخ: «الجمع».

(٢) في ج، هـ، د: «في».

وَعَبَّرَ عَنْهُمْ بِ﴿مَنْكُمْ﴾؛ إِذْ هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَقُولُونَ: آمَنَّا.
واللام:

فِي ﴿لَمَنْ﴾ لِلتَّأْكِيدِ.

وَفِي ﴿لَيُبَطِّلَنَّ﴾ جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ.

ومعناه:

يُبْطِلُ غَيْرَهُ - أَي: يَشْبِطُهُ - عَنِ الْجِهَادِ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى التَّخَلُّفِ عَنِ الْغَزْوِ.
وقيل: يَبْطُلُ: يَتَخَلَّفُ هُوَ عَنِ الْغَزْوِ وَيَتَثَاقَلُ.

﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ أَي: قَتْلٌ وَهَزِيمَةٌ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمَنَاقِقَ تَسْرُهُ غَيْبَتُهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا هُزِمُوا.

و﴿شَهِيدًا﴾ مَعْنَاهُ: حَاضِرًا مَعَهُمْ.

﴿وَلَيْنَ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ﴾ أَي: نَصْرٌ وَغَنِيمَةٌ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمَنَاقِقَ يَنْدَمُ عَلَى تَرْكِ الْغَزْوِ مَعَهُمْ إِذَا غَنِمُوا؛ فَيَتِمْنَى أَنْ
يَكُونَ مَعَهُمْ.

﴿كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ جَمَلُهُ اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْقَوْلِ وَمَعْمُولِهِ؛
فَلَا يَجُوزُ الْوَقْفُ عَلَيْهَا.

وهذه المودة في ظاهر المناق، لا في اعتقاده.

﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ أَي: يَبِيعُونَ.

﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ ذكر الحالتين للمقاتل، ووعد بالأجر على كل واحدة^(١) منهما.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ تحريض على القتال.

و«ما» مبتدأ والمجرور خبره، و﴿لَا تُقَاتِلُونَ﴾ في موضع الحال.

﴿وَالْمُسْتَضَعِّينَ﴾ هم: الذين حبسهم مشركو قريش بمكة؛ ليفتنوهم عن الإسلام.

وهو عطف على اسم ﴿اللَّهُ﴾، أو مفعول معه.

﴿الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ هي مكة حين كانت للمشركين.

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وما بعده: إخبار، قصد به: تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال.



(١) في ب، ج، هـ: «واحد».

[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنِعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾] أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيطًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرْدَانِ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقِنِلسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّنْتُمْ بِنَجْوَى فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾] .

﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية؛ قيل: هي في قوم من الصحابة؛ كانوا قد أمروا بالكف عن القتال قبل أن يُفرض الجهاد، فتمنوا أن يؤمروا به، فلما أمروا به كرهوه، لا شكًا في دينهم، ولكن خوفًا من الموت.

وقيل : هي في المنافقين ؛ وهو أليقُ بسياق الكلام .

﴿مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ وما بعده : تحقيرُ للدنيا ؛ يتضمَّنُ ^(١) ردًّا عليهم في كراحتهم للموت .

﴿فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ أي : في حصون منيعة .

وقيل : المشيدة : المطوّلة .

وقيل : المبنية بالشّد ؛ وهو الجصُّ .

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ الآية ؛ الحسنة هنا : النصر والغنيمة وشبه ذلك من المحبوبات ، والسيئة : الهزيمة والجوع وشبه ذلك .

والضمير في ﴿تُصِيبُهُمْ﴾ وفي ﴿يَقُولُوا﴾ لـ ﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ ، وهذا يدلُّ على أنها في المنافقين ؛ لأن المؤمنين لا يقولون للنبي ﷺ : إن السيئات من عنده .

﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ ردُّ على من نسب السيئة إلى رسول الله ﷺ ، وإعلامٌ أن السيئة والحسنة والخير والشر من عند الله ؛ أي : بقضائه وقدره .

﴿فَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ توبيخٌ لهم على قلة فهمهم .

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ ، والمراد به : كل مخاطب على الإطلاق ؛ فدخل فيه غيره من الناس . وفيه تأويلان :

أحدهما : نسبةُ الحسنة إلى الله ، والسيئة إلى العبد ؛ تأدُّباً مع الله في

(١) في ب ، ج ، هـ : «تضمن» .

الكلام، وإن كان كلُّ شيء منه في الحقيقة؛ وذلك كقوله ﷺ: «والخير كله بيدك»^(١)، والشر ليس إليك»^(٢)، وأيضاً فنسبة^(٣) السيئة إلى العبد؛ لأنها بسبب ذنوبه؛ لقوله: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، فهي من العبد بتسببه^(٤) فيها، ومن الله بالخلق^(٥) والاختراع.

والثاني: أن هذا كلام القوم المذكورين قبل؛ والتقدير: يقولون كذا؛ فمعناها كمعنى التي قبلها.

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ هذه الآية من فضائل رسول الله ﷺ، وإنما كانت طاعته طاعة الله؛ لأنه يأمر وينهى عن الله.

﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾ أي: مَنْ أَعْرَضَ عَنْ طَاعَتِكَ فَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ بِحَفِيفٍ تَحْفَظُ أَعْمَالَهُ، بل حسابه وجزاؤه على الله.

وفي هذا مُتَارَكَةٌ ومُؤَادَعَةٌ منسوخة بالقتال.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ أي: أَمَرْنَا وَشَأْنُنَا طَاعَةٌ لَكَ.

وهي في المنافقين بإجماع.

﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ بَيَّتَ: أَي: دَبَّرَ الْأَمْرَ بِاللَّيْلِ.

(١) في ب، ج، د: «بيدك» والمثبت موافق لما في الصحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٣) في أ: «فُنُسِبَتْ».

(٤) في هـ: «بتسببه».

(٥) في هامش أ: «خ: بِالْخَلْق».

والضمير في ﴿تَقُولُ﴾ :

للمخاطب ؛ وهو النبي ﷺ .

أو للطائفة .

﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي : لا تعاقبهم .

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ حضُّ على التفكر في معانيه ؛ لتظهر أدلته وبراهينه .

﴿أَخْلَفْنَا كَثِيرًا﴾ أي : تناقض ؛ كما في كلام البشر ، أو تفاوت في الفصاحة ، لكن القرآن منزّه عن ذلك ؛ فدلّ على أنه كلام الله .

وإن عرّضت لأحد شبهة وظنّ اختلافًا في شيء من القرآن فالواجب : أن يتّهم نظره ، ويسأل أهل العلم ، ويطالع تواليهم ؛ حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف .

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ قيل : هم المنافقون .

وقيل : قومٌ من ضعفاء المسلمين ؛ كانوا إذا بلغهم خبرٌ عن السرايا والجيوش أو غير ذلك أذاعوا به ، أي تكلموا به وشهروه قبل أن يعلموا صحته ، وكان في إذاعتهم له مفسدةٌ على المسلمين ، مع ما في ذلك من العجلة وقلة الثبّت ، فأنكر الله عليهم ذلك .

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾

أي : لو ترك هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذي بلغهم ، وردّوه إلى

رسول الله ﷺ وإلى أولي الأمر^(١)، وهم كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم = لعلمه القوم الذين يستنبطونه - أي: يستخرجونه - من الرسول وأولي الأمر.

ف﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ على هذا: طائفة من المسلمين؛ يسألون عنه الرسول ﷺ وأولي الأمر.

وحرف الجر في قوله: ﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ لا ابتداء الغاية؛ وهو^(٢) يتعلّق بالفعل.

والضمير المجرور يعود على: الرسول وأولي الأمر.

وقيل: إن ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ هم أولوا الأمر؛ كما جاء في الحديث عن عمر رضي الله عنه: أنه سمع أن رسول الله ﷺ طلق نساءه، فدخل عليه، فقال: أطلقت نساءك؟ فقال: «لا»، فقام على باب المسجد، فقال: إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه^(٣). فأنزل الله هذه القصة، قال: وأنا الذي استنبطته.

فعلى هذا: ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ هم أولوا الأمر.

والضمير المجرور يعود عليهم، و﴿مِنْهُمْ﴾ لبيان الجنس.

واستنباطه على هذا:

هو بسؤالهم عنه النبي ﷺ.

(١) في زيادة: «منهم».

(٢) سقط من ب، ج، هـ.

(٣) أخرجه البخاري (٨٩)، ومسلم (١٤٧٩).

أو بالنظر والبحث.

واستنباطه على التأويل الأول: هو بسؤال الذين أذاعوه للرسول ﷺ ولأولي الأمر.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: هُداه وتوفيقه، أو بعثه للرسول^(١)، وإنزاله للكتاب^(٢).

والخطاب في هذه الآية للمؤمنين.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا اتباعًا قليلًا؛ فالاستثناء من المصدر، والمعنى: لولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا في أمور قليلة كنتم لا تتبعونه فيها.

وقيل: إنه استثناء من الفاعل في ﴿لَاتَبَعْتُمْ﴾؛ أي: إلا قليلًا منكم، وهم الذين كانوا قبل الإسلام غير متبعين للشيطان؛ كورقة بن نوفل.

والفضل والرحمة على هذا: بعث الرسول^(٣) وإنزال الكتاب^(٤).

وقيل: إن الاستثناء من قوله: ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾.

﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ لما تناقل بعض الناس عن القتال قيل هذا للنبي ﷺ؛ أي: إن أفردوك فقاتل وحدك؛ فإنما عليك ذلك.

(١) في أ، ج، هـ: «الرسال».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «الكتب».

(٣) في ج: «الرسال».

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «الكتب».

﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليس عليك في شأن المؤمنين إلا التحريض.
 ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: «عسى» من الله واجبة.
 و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا: قريش، وقد كفهم الله بهزيمتهم في بدر وغيرها، وافتح مكة.

﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي: عقابًا وعذابًا.
 ﴿شَفَعَةً حَسَنَةً﴾ هي الشفاعة في مسلم؛ لتُفَرَّجَ عنه كربة، أو تُدْفَعَ^(١) مظلمة، أو يُجَلَبَ إليه خير^(٢)، والشفاعة السيئة بخلاف ذلك.
 وقيل: الشفاعة الحسنة: هي الطاعة، والشفاعة السيئة: هي المعصية.

والأول أظهر.

والكِفْل: هو النَّصِيب.

﴿مُقِينًا﴾ قيل: قديرًا.

وقيل: حفيظًا.

وقيل: الذي يُقَيِّت الحيوان؛ أي: يرزقهم القوت.

﴿فَحْيُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ معنى ذلك: الأمر برّد السلام، والتخير بين أن يرّد بمثل ما سلّم عليه أو بأحسن منه، والأحسن أفضل؛ مثل أن يقال له: «سلام عليك»، فيردّ السلام ويزيد الرحمة، أو يزيد الرحمة والبركة.

(١) في د: «أو ترفع عنه».

(٢) في ب: «لِيُفَرَّجَ عنه كربة، أو يَدْفَعَ مظلمة، أو يَجَلِبَ إليه خيرًا».

وردّ السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعي .

وقال بعض الناس : هو فرض عين .

واختلف في الردّ على الكفار :

ف قيل : يرّد عليهم ؛ لعموم الآية .

وقيل : لا يرّد عليهم .

وقيل : يقال لهم : «عليكم» ؛ حسبما جاء في الحديث ^(١) ، وهو مذهب مالك .

ولا يُبَدَّوْنَ بالسّلام .

﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ جواب قسم محذوف ، وتضمّن معنى الحشر ؛ ولذلك تعدّى بـ «إلى» .

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ لفظه استفهام ؛ ومعناه : لا أحد أصدق من الله .



(١) أخرجه البخاري (٦٢٥٨) ، ومسلم (٢١٦٣) .

[﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَفْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنَّحِذُوا مِنْهُمْ وَلَا تَصَيِّرُوا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقُولُوا أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلقَنَلُوكُمْ فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُواكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَارَدُّوْا إِلَىٰ الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَفْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ ﴿٩١﴾].

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتَيْنِ﴾ «ما» استفهامية بمعنى التوبيخ، والخطاب للمسلمين.

ومعنى ﴿فِتْنَتَيْنِ﴾ أي: طائفتين مختلفتين، وهو منصوب على الحال.
والمراد بالمنافقين هنا:

ما قال ابن عباس: إنها نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين؛ فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا، ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارا، فاختلف المسلمون هل يقاتلونهم ليغنموا تجارتهم؛ لأنهم لم يهاجروا؟ أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنون؟

وقال زيد بن ثابت: نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم أحد، فاختلف الصحابة في أمرهم.

ويردُّ هذا قوله: ﴿حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا﴾.

﴿أَزْكُسُهُمْ﴾ أي: أضلَّهُم وأهلكهم.

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ الضمير للمنافقين؛ أي: تمنُّوا أن تكفروا.

﴿فَخَذُوهُمْ﴾ يريد به: الأسر.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ الآية؛ استثناء من قوله: ﴿فَخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ﴾.

ومعناها:

أن مَنْ وصل مِنَ الكفار غيرِ المعاهدين إلى الكفار المعاهدين - وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهدٌ ومهادنة - فحكمه ^(١) كحكمهم في المسالمة وترك قتاله ^(٢)، وكان ذلك في أول الإسلام، ثم نسخ بالقتال في أول سورة «براءة».

قال السهيلي وغيره: ﴿الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: هم بنو مُدَلِّج بن كِنانة ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾: بنو خزاعة، فدخل بنو مدلج في صلح خزاعة مع رسول الله ﷺ ^(٣)، فمعنى: ﴿يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾: ينتهون إليهم، ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة.

وقيل: معنى ﴿يَصِلُونَ﴾: ينتسبون؛ وهذا ضعيف جدًا؛ بدليل قتال رسول الله ﷺ لقريش، وهم أقاربه وأقارب المؤمنين؛ فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين!

(١) في د: «فحكمهم».

(٢) في ج: «قتله»، وفي د: «القتال».

(٣) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٨٤.

﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ عطفٌ :

على ﴿يَصِلُونَ﴾ .

أو على صفة ﴿قَوْمٍ﴾ ؛ وهي : ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثْقٌ﴾ .

والمعنى يختلف على ذلك ، والأول أظهر .

و﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ في موضع الحال ؛ بدليل قراءة يعقوب :
«حَصِرَةً» ، ومعناه : ضاقت عن القتال وكرهته .

ونزلت الآية في قوم جاؤوا إلى المسلمين ، وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين ،
وكرهوا أيضًا أن يقاتلوا قومهم - وهم أقاربهم الكفار - ، فأمر الله بالكفِّ
عنهم ، ثم نُسِخَ^(١) أيضًا ذلك بالقتال .

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْكُمْ﴾ أي : سالموكم فلا تقاتلوهم ، و﴿السَّلَامُ﴾ هنا : الانقياد .
﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ﴾ الآية ؛ نزلت في قوم مخادعين ، وهم من أسدٍ
وغطفان ، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ؛ ليأمنوا المسلمين ،
فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا ؛ ليأمنوا قومهم .

و﴿الْفِتْنَةُ﴾ هنا : الكفر على الأظهر . وقيل : الاختبار .

(١) في ج : «أبيح» .

[وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ نزلت بسبب قتل عياش بن ربيعة للحارث بن زيد، وكان الحارث يُعَذِّبُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ، وَلَمْ يَعْلَمْ عِيَّاشُ بِإِسْلَامِهِ فَقَتَلَهُ.

وقيل: إِنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ هُنَا مَنْقُطِعٌ؛ وَالْمَعْنَى: لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا بوجه، لَكِنِ الْخَطَاُ قَدْ يَقَعُ.

والصحيح: أَنَّهُ مُتَّصِلٌ؛ وَالْمَعْنَى: لَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ وَلَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْخَطَاِ، مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا تَعَمُّدٍ؛ إِذْ هُوَ مَغْلُوبٌ فِيهِ.

وانتصاب ﴿خَطَاً﴾ على أنه :

مفعولٌ من أجله .

أو حالٌ .

أو صفةٌ لمصدر محذوف .

﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمَنَةٍ وَدِيَةٌ﴾ هذا بيانٌ ما يجب على القاتل خطأً ، فأوجب الله عليه التَّحْرِيرَ والدية ، فأما التحرير ففي مال القاتل ، وأما الدية ففي مال عاقلته ، وجاء ذلك عن النبي ﷺ^(١) ، وهو بيانٌ للآية ؛ إذ لفظها يحتمل ذلك وغيره ، وأجمع الفقهاء عليه .

واشترط مالك في الرِّقبة التي تُعْتَقُ : أن تكون مؤمنةً ، ليس فيها عقدٌ من عقود الحرية ، سالمةٌ من العيوب .

فأما إيمانها : فنصُّ هنا ؛ ولذلك أجمع العلماء عليه هنا ، واختلفوا في رقة الظَّهار وكفارة اليمين .

وأما سلامتها من عقود الحرية : فيظهر من قوله تعالى : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ ؛ لأنَّ ظاهره أنه ابتداءً عتق عند التكفير بها .

وأما سلامتها من العيوب : فزعموا أن إطلاق الرقة يقتضيه ؛ وفي ذلك نظر .

ولم يبين في الآية مقدار الدية ، وهي عند مالك : مئة من الإبل على أهل الإبل ، وألف دينار شرعية على أهل الذهب ، واثنان عشر ألف درهم شرعية على أهل الورق ، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب .

(١) أخرجه البخاري (٦٩١٠) ومسلم (١٦٨١) .

﴿مُسْلَمَةً إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أي: مدفوعة إليهم، والأهل هنا: الورثة.

واختلف في مدة تسليمها:

ف قيل: هي حالة عليهم.

وقيل: يؤدونها في ثلاث سنين.

وقيل: في أربع.

ولفظ التَّسْلِيم مطلق؛ وهو أظهر في الحلول لولا ما جاء من السنة في ذلك.

﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ الضمير يعود على أولياء المقتول؛ أي: إذا أسقطوا الدية سقطت.

وإذا أسقطها المقتول سقطت أيضًا عند مالك والجمهور، خلافاً لأهل الظاهر؛ وحبَّتهم: عود الضمير على الأولياء.

وقال الجمهور: إنما هذا إذا لم يُسَقِّطها المقتول.

﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾
معنى الآية: أنَّ المقتول خطأ إن كان مؤمناً وقومه كفاراً^(١) أعداء - وهم المحاربون -، فإنما في قتله التَّحْرِيرُ خاصةً دون الدية، فلا تُدفع لهم؛ لئلا يتقووا بها على المسلمين.

ورأى ابن عباس أن ذلك إنما هو فيمن آمن وبقي في دار الحرب لم يهاجر، وخالفه غيره.

(١) في ج، هـ: «كفاراً».

ورأى مالك أن الدية في هذا لبيت المال؛ فالآية عنده منسوخة.

﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ الآية؛ معناها: أن المقتول خطأً إن كان قومه كفاراً معاهدين ففي قتله تحرير رقبة والدية إلى أهله؛ لأجل معاهدتهم.

والمقتول على هذا مؤمن؛ ولذلك قال مالك: لا كفارة في قتل الذمي. وقيل: إن المقتول في هذه الآية كافر؛ فعلى هذا: تجب الكفارة في قتل الذمي.

وقيل: هي عامة في المؤمن والكافر.

ولفظ الآية مطلق؛ إلا إن قيده قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ في الآية التي قبلها، وقرأ الحسن هنا: «وهو مؤمن».

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ أي: من لم يجد العتق ولم يقدر عليه فصيام الشهرين المتتابعين عوضاً منه.

﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ منصوبٌ على المصدر؛ ومعناه: رحمةٌ منه وتخفيفاً.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ الآية؛ نزلت بسبب مقيس بن صبابه؛ كان قد أخذ دية أخيه هشام المقتول خطأً، ثم قتل رجلاً من القوم الذين قتلوا أخاه وارتدّ مشركاً، فأمر رسول الله ﷺ بقتله.

والمتعمد عند الجمهور: هو الذي يقصد القتل بحديد أو حجر أو عصاً أو غير ذلك.

وهذه الآية مُعْضِلَةٌ على مذهب الأشعرية وغيرهم ممن يقول: لا يُخْلَدُ عصاةُ المؤمنين في النار.

واحتجَّ بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة في النار؛ لقوله: ﴿خُلِدَا فِيهَا﴾.

وتأولها الأشعرية بأربعة أوجه:

أحدها: أن قالوا: إنها في الكافر إذا قُتل مؤمناً.

والثاني: قالوا: معنى المتعمد هنا: المستحلُّ للقتل؛ وذلك يؤول إلى الكفر.

والثالث: قالوا: الخلود فيها ليست بمعنى الدوام الأبدي، وإنما هو عبارة عن طول المدة.

والرابع: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وأما المعتزلة: فحملوها على ظاهرها، ورأوا أنها ناسخة لقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، واحتجوا على ذلك: بقول زيد بن ثابت: «نزلت الشديدة بعد الهيئة»^(١)، وبقول ابن عباس: «الشرك والقتل من مات عليهما خُلِدَ»^(٢)، وبقول رسول الله ﷺ: «كلُّ ذنب عسى الله أن

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٩/٧).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وكذلك أورده ابن عطية في تفسيره (٦٣٤/٣) بغير إسناد، فقال: «وكان ابن عباس يقول: الشرك والقتل مبهمان، من مات عليهما خُلِدَ»، وعند الطبري (٣٤٧/٧) والخلال في جامعه (٩٤/٩)، وابن أبي شيبة (٤٣٣/٥) بلفظ: =

يغفره، إِلَّا الرجلَ يموت كافرًا، أو الرجلَ يقتل المؤمنَ متعمدًا»^(١)،
وتقتضي الآية وهذه الآثار: أن للقتل حكمًا يخصه من بين سائر المعاصي^(٢).
واختلف الناس في القاتل عمدًا إذا تاب؛ هل تقبل توبته أم لا؟.

= «هما المبهمتان: الشرك والقتل»، قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على تفسير الطبري (٦٧/٩): «يعني بقوله: «المبهمتان»، يعني: الآيتان اللتان لا مخرج منهما، كأنها باب مبهم مصمت، أي: مستغلق لا يفتح، ولا مأتى له. وذلك أن الشرك والقتل، جزاؤه التخليد في نار جهنم، أعادنا الله منها».

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٠٧)، والنسائي في الكبرى (٤١٦/٣).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: (وهذه الآية مُعْضِلة على مذهب الأشعرية وغيرهم) إلخ، أقول: ما ذكره من أن هذه الآية معضلة، أي مشكلة إشكالا قويا، على مذهب الأشاعرة وغيرهم من القائلين بأن عصاة الموحدين لا يخلدون في النار، وأجاب من جهة الأشاعرة وغيرهم من القائلين بعدم خلود أهل الكبائر في النار بأربعة أجوبة؛ أقول: أجودها: تفسير الخلود بالمكث الطويل، وأجود منه تقييد الآية بما تواترت به السنة من خروج عصاة الموحدين من النار بشفاعاة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين.

وكذلك ما ذكره من احتجاج المعتزلة بهذه الآية على قولهم بتخليد أهل الكبائر في النار، أقول: ما ذكره من المذهبين في تخليد العصاة صحيح، ولكنه رحمه الله ذكر احتجاج المعتزلة على مذهبهم بأثر ابن عباس وزيد وبالحديث، ولم يجب عن ذلك، بل أيده بقوله: (وتقتضي الآية وهذه الآثار: أن للقتل حكمًا يخصه من بين سائر المعاصي). وهذا يجعل في كلامه نوع تناقض؛ لأنه قد أجاب عن الآية، وأما أثر ابن عباس وزيد والحديث فلا تقاوم دلالتها دلاله قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ في موضعين من سورة النساء. وهي التي ذكر فيها وعيد القاتل بالخلود في النار، ولا تقاوم دلالة السنة على خروج عصاة الموحدين من النار، وقد أجمع أهل السنة على ما دلت عليه آيات النساء، وما دل عليه حديث الشفاعاة. والله أعلم.

وكذلك حكى ابن رُشد الخلاف في القاتل إذا اقتُص منه ؛ هل يسقط عنه العقاب^(١) في الآخرة أم لا؟^(٢).

والصحيح : أنه يسقط عنه ؛ لقول رسول الله ﷺ : «من أصاب ذنباً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة»^(٣) ، وبذلك قال جمهور العلماء .

﴿ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي : سافرتُم في الجهاد .

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من البيان .

وقرئ : بالثاء المثلثة ؛ من الثبات .

والتَّفَعَّلُ فيها بمعنى الاستفعال ؛ أي : اطلبوا^(٤) بيان الأمر أو^(٥) ثبوته .

﴿أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامُ﴾ بغير ألف ؛ أي : انقَادَ وألقى بيده .

وقرئ : ﴿السَّلَامُ﴾ ؛ بمعنى التحية .

ونزلت في سرية لقيت رجلاً فسَلَّم عليهم ، وقال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فحمل عليه أحدُهم فقتله ، فسَقَّ ذلك على رسول الله ﷺ .

وكان القاتل : مُحَلَّمُ بن جَثَّامة ، والمقتول : عامرُ بن الأَضْبَط .

وقيل : القاتل أسامة بن زيد ، والمقتول : مِرْدَاس بن نَهيْكَ .

(١) في أ : «العذاب» ، وفي الهامش : «خ : العقاب» .

(٢) انظر : المقدمات الممهّدات ، لأبي الوليد ابن رشد الجدّ (ت ٥٢٠هـ) (٣/٢٧٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٩٢) ، ومسلم (١٧٠٩) .

(٤) في أ : «يطلب» .

(٥) في ب ، د : «و» .

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ يعني : الغنيمة ، وكان للرجل المقتول غَنَمٌ .

﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ وعدٌ ، وتزهيذٌ في غنيمة مَنْ أظهر الإسلام .
﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ قيل : معناه : كنتم كفَّارًا ، فهذاكم الله للإسلام .

وقيل : كنتم تخفون إيمانكم من قومكم ، فَمَنْ الله عليكم بالعزة والنصر حتى أظهرتموه .

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ الآية ؛ معناها : تفضيلُ المجاهدين على مَنْ لم يجاهد ؛ وهم القاعدون .

﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ لما نزلت الآية قام ابن أم مكتوم الأعمى ، فقال : يا رسول الله هل من رخصة ؛ فإني ضَرير البصر؟ فنزل : ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ .

وقرئ ﴿غَيْرَ﴾ بالحركات الثلاث :

فالرفع ؛ صفةٌ للقاعدين .

والنصب ؛ على الاستثناء ، أو الحال .

والخفض ؛ صفةٌ للمؤمنين .

﴿دَرَجَةً﴾ قيل : هي تفضيلٌ على القاعدين من أهل العذر ، والدرجات : على القاعدين بغير عذر .

وقيل : إن الدرجات مبالغةٌ وتأكيذٌ للدرجة .

﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة .

﴿أَجْرًا﴾ منصوب :

على الحال من ﴿دَرَجَتٍ﴾^(١) .

أو على المصدرية من معنى ﴿فَضَّلَ﴾ .

وانتصب ﴿دَرَجَتٍ﴾ :

على البدل من الأجر .

أو بفعل مضمر .

وانتصب ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ بإضمار فعليهما ؛ أي : غفر لهم ورحمهم مغفرةً ورحمةً .



(١) قال في الكشف (٥/ ١٢٩) : «وُنُصِبَ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على أنه حالٌّ عن النكرة التي هي ﴿دَرَجَتٍ﴾ مقدَّمةٌ عليها» .

[﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِيَةَ﴾ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيهِمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوْنُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠١﴾﴾].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِيَةَ﴾ الآية؛ نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفار فقتلوا؛ منهم: قيس بن الفاكه، والحارث بن زُمعة، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أمية بن خلف. ويحتمل ﴿تَوَفَّيْنَاهُمْ﴾ أن يكون: ماضيًا، أو مضارعًا.

وانتصب ﴿ظَالِيَةَ﴾ على الحال.

﴿قَالُوا فِيهِمْ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم من أمر دينكم.

﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ اعتذار عن التوبيخ الذي وبَّخهم الملائكة؛ أي: لم تقدر^(١) على الهجرة، وكان اعتذارًا بالباطل.

﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ ردُّ عليهم، وتكذيبُ لهم في اعتذارهم.

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: الذين كان استضعافُهم حقًا، قال ابن عباس: كنت أنا وأبي وأمي ممن عني الله بهذه الآية.

﴿مُرْغَمًا﴾ أي: متحوَّلًا وموضعًا يُرغمُ عدوَّه بالذهاب إليه.

(١) في أ: «تقدروا».

﴿وَسَعَةً﴾ أي: اتساع في الأرض.

وقيل: في الرزق.

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ﴾ أي: ثبت وصح^(١).

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾ الآية؛ حكمها على العموم.

ونزلت في ضَمْرَةَ بن العيس^(٢) وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضاً فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة قال: أخرجوني^(٣)، فهَيَّئْ له فراشاً فَوُضِعَ عليه وخرج، فمات في الطريق.

وقيل: نزلت في خالد بن حزام؛ فإنه هاجر إلى أرض الحبشة، فنهشته حية في الطريق فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة.



(١) هكذا جاء موضع تفسير هذه الجملة من الآية، متقدماً على تفسير جملة (ومن يخرج من بيته) في جميع النسخ الخطية!، وحقه أن يكون متأخراً عن تفسير جملة (ومن يخرج من بيته)؛ جرئاً على ترتيب الآية.

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية «العيس» بالسين، والذي في تفسير الطبري (٧/٣٩٣)، والإصابة لابن حجر (٢/٢٥٩): «العيص» بالصاد.

(٣) في هامش أ: «خ: اخرجوا بي».

[وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٥٦﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥٧﴾ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٥٨﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٥٩﴾].

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اختلف العلماء في تأويلها على خمسة أقوال :

الأول: أنها في قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين في السفر، وأن ذلك لا يجوز إلا في حال الخوف على ظاهر الآية، وهو قول عائشة وعثمان ابن عفان رضي الله عنهما.

الثاني: أن الآية تقتضي ذلك، ولكن يؤخذ القصر في السفر دون الخوف من السنة، ويؤيد هذا: حديث يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: إن الله يقول: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ وقد آمن الناس؟ فقال: عجبْتُ مما عجبْت منه، فسألتُ رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «صدقة تصدَّق الله بها عليكم فاقبلوا

صدقته»^(١)، وقد ثبت أن النبي ﷺ قصر في السفر وهو آمن^(٢).

الثالث: أن قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ راجع إلى قوله: ﴿وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ﴾ الآية التي بعد ذلك، والواو زائدة، وهذا بعيد.

الرابع: أنها في صلاة الخوف؛ على قول من يرى أن تُصَلَّى كُلُّ طَائِفَةٍ ركعة خاصة، قال ابن عباس: فرضت الصلاة في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة.

الخامس: أنها في صلاة المسابقة؛ فالقصر على هذا هو من هيئات الصلاة؛ كقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩].

وإذا قلنا: إنها في القصر في السفر:

فظاهرها: أن القصر رخصة، والإتمام أفضل. وهو مذهب الشافعي.

وقال مالك: القصر أفضل.

وقيل: إنهما سواء.

وأوجب أبو حنيفة القصر.

وليس في لفظ الآية ما يدل على مقدار المسافة التي يقصر فيها؛ لأن قوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ معناه: السفر مطلقاً؛ ولذلك أجاز الظاهرية القصر في كل سفر؛ طويل أو قصير.

(١) أخرجه مسلم (٦٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٨٣)، ومسلم (٦٩٦).

ومذهب مالك والشافعي: أن مسافة القصر ثمانية وأربعون ميلاً؛ واحتجوا بآثار عن ابن عمر وابن عباس.

وكذلك ليس في الآية ما يدلُّ على تخصيص القصر بسفر القُرْبَة، أو السفر المباح دون سفر المعصية؛ فإنَّ لفظها مطلقٌ في السفر، ولذلك أجاز أبو حنيفة: القصر في سفر القربة، وفي المباح، وفي سفر المعصية.

ومنع مالك: في سفر المعصية.

ومنع ابن حنبل: في المعصية، وفي المباح^(١).

وللقصر أحكامٌ لا تتعلق بالآية؛ فأضربنا عن ذكرها.

والمراد بالفتنة في هذه الآية: القتال والتعرض بما يُكره.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ الآية؛ في صلاة الخوف، وظاهرها يقتضي: أنها لا تُصلَّى بعد رسول الله ﷺ؛ لأنه شرط كونه فيهم، وبذلك قال أبو يوسف. وأجازها الجمهور بعده ﷺ؛ لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أمته، وقد فعلها الصحابة بعده ﷺ.

واختلف الناس في صفة صلاة الخوف على عشرة أقوال؛ لاختلاف الأحاديث فيها، ولسنا نضطرُّ إلى ذكرها؛ فإنَّ تفسيرها لا يتوقف على ذلك.

وكانت صلاة رسول الله ﷺ لصلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع.

(١) معتمد المذهب عند الحنابلة: جواز القصر في السفر المباح، وهذه الرواية عن الإمام اختارها جماهير الأصحاب، وعن أحمد رواية أخرى: لا يقصر إلا في سفر الطاعة، اختارها بعض الأصحاب. انظر: المسائل الفقهية من الروايتين والوجهين، لأبي يعلى (١٧٦/١)، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٨/٥).

﴿فَلَنَقُومَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ﴾ يَقْسِمُ الإمام المسلمین علی طائفتین ؛ فیصلي بالأولی نصف الصلاة، وتقف الأخرى تحرس، ثم یصلي بالثانية بقية الصلاة، وتقف الأولی تحرس.

واختلف هل تُتِمُّ كلُّ طائفة صلاتها -وهو مذهب الجمهور-، أم لا؟
وعلى القول بالإتمام اختلف ؛ هل يُتَمُونَهَا في إثر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك؟

﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ اختلف من المأمور بأخذ الأسلحة؟.
ف قيل : الطائفة المصلية.

وقيل : الحارسة.

والأول أرجح ؛ لأنه قد قال بعد ذلك في الطائفة الأخرى : ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾.

ويدل ذلك على أنهم إن قوتلوا وهم في الصلاة جاز لهم أن يقاتلوا من قاتلهم ؛ وإلا لم يكن معنى لأخذ الأسلحة إذا لم يدفعوا بها من قاتلهم .

﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن رَّرَائِكُمْ﴾ الضمير في قوله : ﴿سَجَدُوا﴾ للمصلين ، والمعنى : إذا سجدوا معك في الركعة الأولى .

وقيل : إذا سجدوا في ركعة القضاء .

والضمير في قوله : ﴿فَلْيَكُونُوا مِن رَّرَائِكُمْ﴾ :

[أ-] يَحْتَمِلُ أن يكون للذين سجدوا ؛ أي : إذا سجدوا فليقوموا وليرجعوا

وراءكم .

وعلى هذا :

إن كان السجود هنا في الركعة الأولى : فيقتضي ذلك أنهم يقومون للحراسة بعد انقضاء الركعة الأولى ، ثم يحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقية صلاتهم أو لا يقضونها .

وإن كان السجود ركعة القضاء : فيقتضي ذلك أنهم لا يقومون للحراسة إلا بعد القضاء ، وهو مذهب مالك والشافعي .

[ب -] ويحتمل أن يكون الضمير في قوله : ﴿ فَلْيَكُونُوا ﴾ للطائفة الأخرى ؛ أي : يقفون وراء المصلين يحرسونهم في حال سجودهم .
﴿ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى ﴾ يعني : الطائفة الحارسة .

﴿ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية ؛ إخبار عما جرى في غزوة ذات الرقاع من عزم الكفار على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم ، فنزل جبريل على النبي ﷺ ، وأخبره بذلك ، وشُرعت صلاة الخوف ؛ حذرًا من الكفار .
وفي قوله تعالى : ﴿ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ مبالغة ؛ أي : مُستأصلة لا يُحتاج معها إلى ثانية .

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ ﴾ الآية ؛ نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف ، كان مريضًا فوضع سلاحه فعنفه ^(١) بعض الناس ، فرخص الله في وضع السلاح في حال المرض والمطر ، ويُقاس عليهما : كلُّ عذر يحدث في ذلك الوقت .

(١) في أ : « فعتبه » وفي الهامش : « خ : فعنفه » .

﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ إن قيل: كيف طابق الأمر بالحذر للعذاب المهين؟

فالجواب: أن الأمر بالحذر من العدو يقتضي توهُّم قوّتهم وعزّتهم، فنفي ذلك الوهم بالإخبار أن الله يُهينهم ولا ينصرهم؛ لتقوى قلوب المؤمنين. قال ذلك الزمخشري^(١).

وإنما يصحّ ذلك إذا كان العذاب المهين في الدنيا، والأظهر: أنه في الآخرة.

﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ الآية؛ أي: إذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله بألستكم.

وذكر القيام والقعود وعلى الجنوب؛ ليُعَمَّ جميع أحوال الإنسان. وقيل: المعنى: إذا تلبّستم بالصلاة فافعلوها قيامًا، فإن لم تقدروا فقعودًا، فإن لم تقدروا فعلى جنوبكم.

﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة.

﴿كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ أي: محدودًا بالأوقات.

وقال ابن عباس: فرضًا مفروضًا.

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ أي: لا تضعفوا في طلب الكفار.

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ الآية؛ معناها : إن أصابكم ألمٌ من القتال فكذلك يصيب الكفار ألمٌ مثله، ومع ذلك فإنكم ترجون -إذا قاتلتموهم- النصرَ في الدنيا، والأجر في الآخرة، وذلك تشجيعٌ للمسلمين.



[إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾].

﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يريد: بالوحي، أو بالاجتهاد أو بهما.

وإذا تَضَمَّنْتَ الاجتهاد؛ ففيها دليلٌ على إثبات النظر والقياس، خلافاً لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم.

﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في قصة طُعْمَةَ ابن الأبيريق؛ إذ سرق طعاماً وسلاحاً لبعض الأنصار، وجاء قومه إلى النبي ﷺ وقالوا: إنه بريء، ونسبوا السرقة إلى غيره، وظنَّ رسول الله ﷺ أنهم صادقون، فجادل عنهم؛ ليدفع ما نُسِبَ إليهم، حتى نزل القرآن فافتضحوا. فالخائنون في الآية: هم السُّراق بنو الأبيريق، وقال السهيلي: هم بَشْرُ

وَبُشِّرَ وَمُبَشَّرٌ وَأُسِيرٌ^(١).

ومعناها : لا تكن لأجل الخائنين مخاصماً لغيرهم .

﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أي : من خصامك عن الخائنين ؛ على أنه ﷺ إنما تكلم على الظاهر وهو يعتقد براءتهم .

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ أي : يُدَبِّرُونَ ليلاً ، وإنما سُمِّيَ التدبير قولاً ؛ لأنه كلام النفس ، وربما كان معه كلام باللسان .

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ قيل : إن الخطيئة تكون عن عمدٍ وعن غير عمد ، والإثم لا يكون إلا عن عمد .

وقيل : هما بمعنى^(٢) ؛ وكُرِّرَ لاختلاف اللفظ .

﴿ثُمَّ يَرَوْهُ بَرِيًّا﴾ كان القوم قد نسبوا السرقة إلى لبيد بن سهل .

﴿هَلَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ﴾ هم الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ وأبرؤوا ابن الأبيرق من السرقة .

وهذه الآيات^(٣) ، وإن كانت إنما نزلت بسبب هذه القصة ؛ فهي أيضاً تتضمن أحكاماً غيرها .

وبقية الآية تشريفٌ للنبي ﷺ ، وتقرير لنعم الله عليه .



(١) انظر : التعريف والإعلام ، للسهيلى ، ص : ٨٧ .

(٢) في دزيادة : «واحد» .

(٣) في ب : «الآية» .

[لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ
بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلَّهِ مَا تَوَلَّى
وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ
إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا أُخَذِّنَ مِنْ
عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مُنِنَتْهُمْ وَلَا مُرْنَتْهُمْ فَلْيَبْكُوا ؕ إِذَا نَكَحَ
الْأَنْعَامَ وَلَا مُرْنَتْهُمْ فَلْيَغْفِرْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ
فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ
اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن
يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ
الصَّالِحَاتِ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا
﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ مَُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾].

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ إن كانت النجوى هنا بمعنى: الكلام
الخفي؛ فالاستثناء الذي بعد هذا منقطع.

وقد يكون متصلًا؛ على حذف مضاف تقديره: إلا نجوى من أمر.

وإن كانت النجوى بمعنى: الجماعة؛ فالاستثناء متصل.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ أي: يُعَادِيهِ؛ والشِّقَاقُ: هو العداوة.

ونزلت الآية بسبب ابن الأبيرق؛ لأنه ارتدَّ وسار إلى المشركين ومات على الكفر، وهي عامةٌ فيه وفي غيره.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استدَلَّ الأصوليون بهذا^(١) على صحة إجماع المسلمين، وأنه لا تجوز مخالفته؛ لأن مَنْ خالفه اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ. وفي ذلك نظر.

﴿تُولَّيْهِ مَا تَوَلَّى﴾ أي: نتركه مع اختياره الفاسد.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ قد تقدَّم الكلام على نظيرتها^(٢).

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْثًا﴾ الضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ للكفار.

ومعنى ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون.

واختلف في الإناث هنا:

ف قيل: هي الأصنام؛ لأن العرب كانت تسمي الأصنام بأسماء مؤنثة، كاللَّات والعزى.

وقيل: المراد: الملائكة؛ لقول الكفار: إنهم إناث، وكانوا يعبدونهم؛ فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد.

وقيل: المراد: الأصنام؛ لأنها لا تَعْقِل، فَيُخْبَرُ عنها كما يُخْبَرُ عن المؤنث.

(١) في ب، د: «بها».

(٢) انظر صفحة ٦٦.

﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ يعني: إبليس، وإنما قال: إنهم يعبدونه؛ لأنهم يطيعونه في الكفر والضلال.

والمريد: هو الشديد العتو والإضلال.

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ صفة للشيطان.

﴿وَقَالَ لَا اتَّخَذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيًّا مَفْرُوضًا﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾: للشيطان.

﴿مَفْرُوضًا﴾ أي: فَرَضْتُهُ لِنَفْسِي؛ من قولك: فَرَضَ للجند وغيرهم، والمراد بهم: أهل الضلال.

﴿وَلَا تُؤْمِنُ بِهِمْ﴾ أي: أَعِدْهُمْ الأمانِيَّ الكاذبة.

﴿فَلْيَبْتَكَنْ إِذَا ذَكَرَ الْآلَاءَ﴾ أي: يُقَطِّعُونَهَا، والإشارة بذلك إلى البَحِيرَة وشبهها.

﴿فَلْيَغْيِرْكَ خَلْقُ اللَّهِ﴾ التَّغْيِيرُ: هو الْخِصَاءُ وشبهه؛ وقد رَخَّص جماعة من العلماء في خِصَاءِ البهائم إذا كان فيه منفعة، ومنعه بعضهم؛ لظاهر الآية.

وقيل: التَّغْيِيرُ: هو الْوَشْمُ وشبهه؛ ويدلُّ على هذا الحديث الذي لعن فيه الواشمات، والمستوشمات، والمنتَمِصات، والمتفلجات للحسن، المغيَّرات خلق الله^(١).

﴿مَحِيصًا﴾ أي: مَعْدِلًا وَمَهْرَبًا.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران :

الأول : مؤكّد للوعد الذي يقتضيه قوله : ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾ .

والثاني : مؤكّد لـ ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ .

﴿لَئِنْ بَأْمَانِيَكُمْ﴾ الآية ؛ اسم «ليس» مضمّر ؛ تقديره : «الأمر» وشبهه .

والخطاب للمسلمين ، وقيل : للمشركين .

أي : لا يكون ما تتمنون^(١) ، ولا ما يتمنى أهل الكتاب ، بل يحكم الله بين عبادّه ، ويجازيهم بأعمالهم .

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ وعيدٌ حتمٌ في الكفار ، ومقيّدٌ بمشيئة الله في المسلمين .

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ دخلت «من» للتبعض ؛ رفقًا بالعباد ؛ لأن الصالحات على الكمال لا يطيقها البشر .

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تقييدٌ باشتراط الإيمان ؛ فإنه لا يقبل عملٌ إلّا به .

﴿نَقِيرًا﴾ هو النُقْرة التي في ظهر نواة التمرة ، والمعنى : تمثيلٌ بأقلّ الأشياء .

﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي : دين الإسلام .

﴿حَنِيفًا﴾ حالٌ : من المتّبع ، أو من ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ .

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ أي : صفيًا ؛ وهو مشتقٌّ من الخلّة بمعنى المودّة ، وفي ذلك تشريفٌ لإبراهيم ، وترغيبٌ في اتّباعه .

(١) في ب ، ج ، هـ ، د : «تتمنون» .

[وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُولَدْنَ لَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ يَكْتُمُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَيْنِ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمِغْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَنْفَرَا بَعْضُ اللَّهِ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾].

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ أي: يسألونك عما يجب عليهم في أمر النساء.
 ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ عطف على اسم ﴿اللَّهُ﴾؛ أي: يُفْتِيكُمْ اللَّهُ والمتلو^(١) في الكتاب؛ يعني: القرآن.

﴿فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُولَدْنَ لَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ كان الرجل من العرب يتزوج اليتيمة من أقاربه بدون ما تستحقه من الصداق.

فقوله: ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ يعني: ما تستحقه المرأة من الصداق.

(١) في ب، د زيادة: «عليكم».

وقوله: ﴿وَرَغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يعني: لجمالهنَّ ومالهنَّ من غير توفية حقوقهنَّ، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك في قوله أَوَّلُ السُّورَةِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْتَى﴾ الآية، وهذه هي التي تُلِيَت عليهم في يتامى النساء.

﴿وَالسَّضْعَيْنِ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ عطفٌ على: ﴿يَتَمَى النِّسَاءِ﴾؛ أي: والذي يُتلى في المستضعفين من الولدان؛ وهو قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾؛ لأن العرب كانت لا تُورَثُ البنت ولا الابن الصغير، فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث.

﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَى بِالْقِسْطِ﴾ عطفٌ على: ﴿وَالسَّضْعَيْنِ﴾؛ أي: والذي يُتلى عليكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط.

ويجوز أن يكون منصوباً^(١)؛ تقديره: ويأمركم أن تقوموا.

والخطاب في ذلك: للأولياء والأوصياء، أو للقضاة وشبههم. والذي تلي^(٢) عليهم في ذلك هو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَمَى ظُلْمًا﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] إلى غير ذلك.

﴿وَإِنْ أَمْرَاهُ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَالِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ معنى الآية: إباحة الصلح بين الزوجين إذا خافت النُّشُورُ أو الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف؛ كذلك يجوز بعد وقوع

(١) في زيادة: «بفعل محذوف».

(٢) في د: «يتلى».

النشوز أو^(١) الإعراض.

وقد تقدّم معنى النشوز^(٢)، وأما الإعراض فهو أخفّ منه.

ووجوه الصلح كثيرة؛ منها: أن يعطيها الزوج شيئاً، أو تعطيه هي، أو تسقط حقّها من النفقة أو الاستمتاع أو غير ذلك.

وسبب الآية: أن سودة بنت زمعة لما كبرت خافت أن يطلقها رسول الله ﷺ، فقالت له: أمسكني في نساءك ولا تقسم لي، وقد وهبت يومي لعائشة.

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ لفظ عام؛ يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما.

وقيل: معناه: صلح الزوجين خير من فراقهما؛ فـ ﴿خَيْرٌ﴾ على هذا للتفضيل، واللام في ﴿وَالصُّلْحُ﴾ للعهد.

﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ معناه: أن الشح جعل حاضراً مع النفوس لا يغيب عنها؛ لأنها جُبِلت عليه.

والشح: هو أن لا يسمح الإنسان لغيره بشيء من حظوظ نفسه.

وشح المرأة من^(٣) هذا: هو طلبها لحقّها من النفقة والاستمتاع.

وشح الزوج: هو منع الصّدّاق، أو التضييق في النفقة، وزهده في المرأة؛ لكبر سنّها أو قُبْح صورتها.

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ معناه: العدل التام الكامل في

(١) في ج، هـ، د: «و».

(٢) انظر صفحة ٥١.

(٣) في د: «على».

الأقوال والأفعال والمحبة وغير ذلك، فرفع الله ذلك عن عباده؛ فإنهم لا يستطيعونه، وقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه ثم يقول: «اللهم هذا فعلي فيما أملك؛ فلا تؤاخذني فيما^(١) لا أملك»^(٢) يعني: مئله بقلبه.

وقيل: إن الآية نزلت في مئله ﷺ بقلبه إلى عائشة.

ومعناها: اعتذار من الله تعالى عن عباده.

﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: لا ذات زوج ولا مطلقة.

﴿وَإِنْ يَفْرَقَا﴾ الآية؛ معناها: إن تفرق الزوجان بطلاق أغنى الله كل واحد منهما من فضله عن صاحبه، وهذا وعدٌ بخيرٍ وتأنيس.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ الآية؛ إخبار أن الله وصى الأولين والآخرين بأن يتقوه.

﴿وَيَأْتِ بِتَاخِرِينَ﴾ أي: بقوم غيركم، وروي أن النبي ﷺ لما نزلت ضرب بيده على كتف سلمان الفارسي، وقال: «هم قوم هذا»^(٣).

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ الآية؛ تقتضي الترغيب في طلب ثواب الآخرة؛ لأنه خير من ثواب الدنيا.

وتقتضي -أيضاً- أن يطلب ثواب الدنيا والآخرة من الله وحده؛ فإن ذلك بيده لا بيد غيره.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «بما»، والمثبت موافق لما في السنن والمسند.

(٢) أخرجه أحمد (٢٥١١١)، وأبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، والنسائي (٣٣٩٥)، وابن ماجه (١٩٧١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٨٢/٧).

وعلى أحد هذين الوجهين يرتبط الشرط بجوابه :

فالتقدير على الأول: من كان يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه خاصة ؛
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة .

وعلى الثاني: من كان يريد ثواب الدنيا فليطلبه من الله ؛ فعنده ثواب
الدنيا والآخرة .



[﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِأَلْقُسَطِ شَهَدَاءِ اللَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾] إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا هَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢٤٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٢٤٦﴾ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ثُمَّ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿٢٤٧﴾ بَشِّرِ الْمُتَفَقِّينَ يَأْنَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُوعُونَ عِنْدَهُمُ الْغُرَّةُ فَإِنَّ الْغُرَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿٢٤٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنْ اللَّهُ جَامِعُ الْمُتَفَقِّينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿٢٥٠﴾ الَّذِينَ يَرْتَابُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿٢٥١﴾] .

﴿كُوفُوا قَوْمِينَ بِأَلْقُسَطِ﴾ أي : مجتهدين في إقامة العدل .

﴿شَهَدَاءِ اللَّهِ﴾ معناه : لوجه الله ولمرضاته .

﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ يتعلق بـ ﴿شَهَدَاءِ﴾ .

وشهادة الإنسان على نفسه : هي إقراره بالحق .

ثم ذكر الوالدين والأقربين ؛ إذ هم مَظَنَّةٌ للتعصب والميل ؛ فإقامة الشهادة على الأجنيين من باب أخرى وأولى .

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ جواب «إِنْ» محذوفٌ على الأظهر ؛ أي : إِنْ

يكن المشهودُ عليه غنيًّا فلا يَمْتَنِعُ^(١) من الشهادة عليه تعظيمًا له، وإن كان فقيرًا فلا يَمْتَنِعُ^(٢) من الشهادة عليه إشفاقًا عليه؛ فإنَّ اللهَ أُولَىٰ بالغني والفقير؛ أي: بالنظر لهما.

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ «أَنْ» مفعولٌ من أجله، ويَحْتَمِلُ أَنْ يكون المعنى:

مِنَ الْعَدْلِ؛ فالتقدير: إرادة أَنْ تَعْدِلُوا بين الناس.

أو من الْعُدُولِ؛ فالتقدير: كراهة أَنْ تَعْدِلُوا عن الْحَقِّ.

﴿وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا﴾ قيل: إِنَّ الْخَطَابَ لِلْحُكَّامِ.

وقيل: لِلشُّهُودِ.

واللفظ عامٌّ في الوجهين.

واللَّيُّ: هو تحريف الكلام.

أي: إِنْ تَلَوْا عن الحكم بالعدل أو عن الشهادة بِالْحَقِّ، أو تُعْرِضُوا عن صاحب الحق، أو عن المشهود^(٣) له فَإِنَّ اللهَ يُجَازِيكُمْ؛ فإنه خبير بما تعملون.

وقرئ: ﴿وَإِنْ تَلَوْا﴾ بضم اللام؛ من الْوِلَايَةِ؛ أي: إِنْ وَلَّيْتُمْ إِقَامَةَ الشهادة، أو أَعْرَضْتُمْ عنها.

(١) في د: «تمتنع».

(٢) في د: «تمتنع».

(٣) في د: «الشهادة».

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾ الآية؛ خطابٌ للمسلمين، معناه:

الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال بكلِّ ما ذُكر.

أو يكون أمرًا بالدَّوام على الإيمان.

وقيل: خطابٌ لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدمين، معناه:

الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد ﷺ.

وقيل: خطابٌ للمنافقين، معناه: الأمر بأن يؤمنوا بألسنتهم وقلوبهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ الآية؛ قيل: هي في المنافقين؛ لترددهم بين الإيمان والكفر.

وقيل: في اليهود والنصارى؛ لأنهم آمنوا بأنبيائهم ثم ^(١) كفروا بمحمد ﷺ.

والأول أرجح؛ لأنَّ الكلام من هنا فيهم.

والأظهر: أنها فيمن آمن بمحمد ﷺ، ثم ارتدَّ، ثم عاد إلى الإيمان، ثم ارتدَّ وزاد كفرًا.

﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذلك فيمن عَلِمَ الله أنه يموت على كفره، وقد يكون إضلالهم عقابًا لهم بسوء أفعالهم.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الآية؛ إشارة إلى قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨] وغيرها.

(١) في د: «و».

وفي الآية دليلٌ على وجوب تجنُّب أهل المعاصي .
والضمير في قوله : ﴿مَعَهُمْ﴾ يعود على : ما يدلُّ عليه سياق الكلام من الكافرين والمنافقين .

﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ﴾ صفةٌ للمنافقين ؛ أي : ينتظرون بكم دوائر الزمان .
﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي : نغلب على أمركم بالنصرة لكم والحمية .
﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ قال علي بن أبي طالب وغيره :
ذلك في الآخرة .

وقيل : السبيل هنا : الحجة الغالبة^(١) .



(١) كذا في ب، وهامش أ ورمز له بـ«خ» وهو موافق لما في المحرر الوجيز (٤٩/٣)، وفي بقية النسخ : «البالغة» .

[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٦﴾ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٨﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥٠﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٥١﴾ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٥٢﴾ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٥٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٤﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٦﴾].

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ ذَكَرَ فِي «البقرة» (١).

﴿وَهُوَ خَدِعُهُمْ﴾ تَسِيمَةُ لِلْعُقُوبَةِ بِاسْمِ الذَّنْبِ؛ لِأَنَّ وَبَالَ خِدَاعِهِمْ رَاجِعٌ عَلَيْهِمْ (٢).

﴿مُذَبِّدِينَ﴾ أَي: مُضْطَرِبِينَ مُتَرَدِّدِينَ، لَا إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَلَا إِلَى الْكَافِرِينَ.
﴿سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ أَي: حُجَّةً ظَاهِرَةً.

(١) انظر صفحة ٢٧٣/١.

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ٢٧٥/١، ٥٤٥/١، و صفحة ٤٢٢، و ٥١٢ من هذا الجزء.

﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾ أي: في الطبقة السفلى من جهنم، وهي سبع طبقات.

وفي ذلك دليل على أنهم شر من الكفار.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ استثناء من المنافقين، والتوبة هنا: الإيمان الصادق في الظاهر والباطن.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ﴾ المعنى: أي حاجة أو منفعة لله بعذابكم وهو الغني عنكم!.

وقدّم الشكر على الإيمان؛ لأنّ العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها ثم يؤمن بالمنعم، فكأنّ الشكر سبب للإيمان متقدّم عليه.

ويحتمل أن يكون الشكر يتضمّن الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعده توكيداً واهتماماً به.

والشّاکر اسم الله، ذُكر في «اللغات»^(١).

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ أي: إلّا جَهَرَ المظلوم، فيجوز له من الجهر: أن يدعو على من ظلمه.

وقيل: أن يذكر ما فعل به من الظلم.

وقيل: أن يرُدّ عليه بمثل مظلّمته إن كان شتمه.

﴿إِنْ بُدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ الآية؛ ترغيب في فعل الخير سرّاً وعلانية،

(١) انظر المادة (٥٤٠) في اللغات.

وفي العفو عن الظلم بعد أن أباح الانتصار؛ لأن العفو أحب إلى الله من الانتصار، وأكد ذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية؛ ^(١) في اليهود والنصارى؛ لأنهم آمنوا بأنبيائهم وكفروا بمحمد ﷺ وغيره.

ومعنى التفريق بين الله ورسله: الإيمان به والكفر برسله.

وكذلك التفريق بين الرُّسل: هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم، فحكم الله على مَنْ كان كذلك بحكم الكفر الحقيقي الكامل.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية؛ في أمة محمد ﷺ؛ لأنهم آمنوا بالله وجميع رسله.



(١) في د زيادة: «نزلت».

[يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا بِمَا عَمِلْتُمْ سُلْطَنًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ بِمِثْقَلِهِمْ وَكُفِّرِهِمْ بَيَّانَتْ إِلَهُهُمُ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ بَيَّنَّتْ حَقَّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَيَكْفُرُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذْنَاهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكْلَاهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾].

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية؛ روي أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتابٍ من السماء جملةً كما أتى موسى بالتوراة.

وقيل: كتابٌ إلى فلان، وكتابٌ إلى فلان بأنك رسول الله.

وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنت، فذكر الله سؤالهم من موسى، وسوء أدبهم معه؛ تسلياً للنبي ﷺ بالتأسي بغيره.

ثم ذكر أفعالهم القبيحة؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّ كَفَرَهُمْ إِنَّمَا هُوَ عِنَادٌ، وقد تقدَّم في «البقرة»^(١) ذِكْرُ طَلِبِهِمُ لِلرَّوْيَةِ، واتخاذهم العجلَ، ورَفْعُ الطُّورِ فوقَهُم، واعتدائهم في السَّبْتِ وغير ذلك مما أُشير إليه هنا.

﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ﴾ «ما» زائدة؛ للتأكيد، والباء تتعلّق:

بمحذوف؛ تقديره: بسبب نقضهم فَعَلْنَا بِهِمْ ما فعلنا.

أو تتعلّق بقوله: ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ﴾، ويكون ﴿فِي ظُلُمٍ﴾ -على هذا- بدلاً من قوله: ﴿فِيمَا نَقَضُوا﴾.

﴿بُهِتْنَا عَظِيمًا﴾ هو أَنَّ رَمَوْا مَرْيَمَ بِالزَّنَا مع رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ عدّد الله في جملة قبائحهم قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾؛ لأنهم قالوها افتخاراً وجُراً مع أنهم كذبوا في ذلك، ولزِمهم الذنب وهم لم يقتلوه؛ لأنهم صلبوا الشخص الذي أُلْقِيَ شَبْهُه عليه، وهم يعتقدون أنه عيسى.

وروي أن عيسى قال للحواريين: أَيُّكُمْ يُلْقَى عليه شَبْهي فيُقْتَل ويكون رفيقي في الجنة؟ فقال أحدهم: أنا، فأُلْقِيَ عليه شَبْهُ عِيسَى فُقُتِلَ على أنه عيسى.

وقيل: بل دَلَّ على عيسى يهوديٌّ، فأُلْقِيَ الله شَبْهُ عِيسَى على اليهودي،

(١) انظر صفحة ٣١٥/١ وما بعدها.

فَقُتِلَ الْيَهُودِيُّ، وَرُفِعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ حَيًّا، حَتَّى يَنْزَلَ إِلَى الْأَرْضِ فَيُقْتَلَ الدَّجَالُ.

﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ إِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالُوا فِيهِ ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِهِ وَيَسُبُّونَهُ؟
فَالْجَوَابُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّهْكُمِ وَالِاسْتِهْزَاءِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ قَالُوهُ عَلَى حَسَبِ اعْتِقَادِ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ؛ كَأَنَّهُمْ قَالُوا:
رَسُولُ اللَّهِ عِنْدَكُمْ أَوْ بَزَعِمَكُمْ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ لَا مِنْ قَوْلِهِمْ؛ فَيُوقَفُ قَبْلَهُ، وَفَائِدَتُهُ: تَعْظِيمُ
ذَنْبِهِمْ، وَتَقْبِيحُ قَوْلِهِمْ: إِنَّا قَتَلْنَاهُ.

﴿وَمَا قُلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ رَدُّ عَلَيْهِمْ وَتَكْذِيبُ لَهُمْ وَلِلنَّصَارَى أَيْضًا فِي
قَوْلِهِمْ: إِنَّهُ صُلِبَ؛ حَتَّى عَبْدُوا الصَّلِيبَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ
مِنْ تَنَاقُضِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّهُ إِلَهٌ أَوْ ابْنُ إِلَهٍ، ثُمَّ يَقُولُونَ: إِنَّهُ صُلِبَ! .
﴿وَلَكِنْ شَبَّهَهُمْ﴾ فِيهِ تَأْوِيلَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ إِقْدَاءِ شَبَّهَهُ عَلَى الْحَوَارِيِّ، أَوْ عَلَى الْيَهُودِيِّ.

وَالْآخَرُ: أَنَّ مَعْنَاهُ: شَبَّهَهُ لَهُمُ الْأَمْرُ؛ أَيِ: خَلَطَ لَهُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ حَاولُوا
قَتْلَهُ؛ فَإِنَّهُمْ قَتَلُوا رَجُلًا آخَرَ وَصَلَبُوهُ وَمَنَعُوا النَّاسَ أَنْ يَقْرُبُوا مِنْهُ، حَتَّى تَغَيَّرَ
بَحِثٌ لَا يُعْرَفُ، وَقَالُوا لِلنَّاسِ: هَذَا عِيسَى، وَلَمْ يَكُنْ عِيسَى، فَاعْتَقَدَ النَّاسُ
صَدَقَهُمْ وَكَانُوا مُتَعَمِّدِينَ لِلْكَذِبِ.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لِفِي شَكِّ مَنَّهُ﴾ روي أنه لما رُفِعَ عيسى وألقيَ شَبْهه على غيره فقتلوه قالوا: إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا؟، وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ فاختلفوا، فقال بعضهم: هو هو، وقال بعضهم: ليس هو، فأجمعوا أن شخصاً قُتِلَ، واختلفوا مَنْ كان.

﴿إِلَّا ابْنَاءَ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع؛ لأنَّ العلم تحقيقٌ والظن تردُّدٌ. وقال ابن عطية: هو متَّصلٌ؛ إذ الظنُّ والعلم يَجْمَعُهُمَا جنسُ المعتقدات^(١).

فإن قيل: كيف وصفهم بالشكِّ وهو تردُّدٌ بين احتمالين على السَّواء، ثم وصفهم بالظنِّ وهو ترجيحُ أحد الاحتمالين؟ فالجواب: أنهم كانوا على الشكِّ، ثم لَاحَتْ لهم أَمَارَةٌ فظنُّوا. قاله الزمخشري^(٢).

وقد يقال: الظنُّ بمعنى الشكِّ، وبمعنى الوَهْم الذي هو أضعف من الشكِّ.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: ما قتلوه قتلاً يقيناً؛ فإعراب ﴿يَقِينًا﴾ على هذا: صفةٌ لمصدر محذوف.

وقيل: هو مصدرٌ في موضع الحال؛ أي: ما قتلوه متيقِّنين. وقيل: هو تأكيدٌ للنفي الذي في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾؛ أي: تَيَقَّنَ نَفْيُ قَتْلِهِ، وهو على هذا منصوبٌ على المصدرية.

(١) المحرر الوجيز (٦٢/٣).

(٢) الكشاف (٢٢١/٥).

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى سمائه^(١)، وقد ورد في حديث الإسراء أنه في السماء الثانية^(٢).

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: أن الضمير في ﴿مَوْتِهِ﴾ لعيسى، والمعنى: أن كلَّ أحدٍ من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض، قبل أن يموت عيسى، وتصير الأديان كلها حيثز دينًا واحدًا، وهو دين الإسلام.

والثاني: أن الضمير في ﴿مَوْتِهِ﴾ للكتابي الذي تضمَّنه قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، التقدير: وإن من أهل الكتاب أحدٌ إلا ليؤمننَّ بعيسى ويعلم أنه نبيُّ قبل أن يموت هذا الإنسان؛ وذلك حين معاينة الموت، وهو إيمان لا ينفعه، وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس وغيره.

وفي مصحف أبي بن كعب: «قبل موتهم»، وفي هذه القراءة تقويةٌ للقول الثاني.

والضمير في ﴿بِهِ﴾: لعيسى على الوجهين.

وقيل: هو لمحمد ﷺ.

﴿وَبَصَدَّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون:

بمعنى الإعراض؛ فيكون ﴿كَثِيرًا﴾ صفةً لمصدر محذوف؛ تقديره: صدًّا كثيرًا.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك في صفحة ٥٤٦/١.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

أو بمعنى صدّهم لغيرهم؛ فيكون ﴿كَثِيرًا﴾ مفعولاً بالصد؛ أي: صدّوا كثيراً من الناس عن سبيل الله.

﴿لَكِنَّ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ هم عبد الله بن سلام، ومُخَيَّرِيق، ومَنْ جرى مجراهم.

﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ منصوبٌ على المدح بإضمارِ فعلٍ، وهو جائزٌ كثيرٌ في الكلام.

وقالت عائشة: هو من لحن كُتَّاب المصحف^(١).

وفي مصحف ابن مسعود: «والمقيمون» على الأصل.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٨٠/٧)، والفراء في معاني القرآن (١٠٦/١) بإسنادهما عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلٰوةَ﴾، وعن قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقُونَ﴾ وعن قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرِينَ﴾ فقالت: «يا ابن أخي، هذا عمل الكُتَّاب أخطؤوا في الكتاب»، وقال السيوطي في الإتيقان (٢٦٩/٢): «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين»، وقال الطبري تعليقاً على هذا الأثر (٦٨٤/٧): «فلو كان ذلك خطأً من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه = بخلاف ما هو في مصحفنا، وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صوابٌ غيرُ خطإٍ، مع أن ذلك لو كان خطأً من جهة الخط لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ يعلمون مَنْ علّموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولأصلحوه بالسنتهم، ولقنوه للأمة تعليماً على وجه الصواب، وفي نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءةً على ما هو به في الخط مرسوماً أدلّ الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صُنِعَ في ذلك للكاتب»، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٨/١٥) وما بعدها.

[﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاثَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴾] ١١٢ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ١١٣ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١١٤ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ١١٥ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ١١٦ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ١١٧ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ١١٨ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١٩ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾].

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ الآية؛ ردُّ على اليهود الذين سألوا من النبي (ﷺ) أن يُنَزَّلَ عليهم كتابًا من السماء، واحتجاجٌ عليهم بأن الذي أتى به وحي، كما أتى مَنْ تقدَّم من الأنبياء بالوحي من غير إنزال كتابٍ من السماء، ولذلك أكثر من ذكر الأنبياء الذين كان شأنهم هذا؛ لتقوم بهم الحجة.

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ ﴾ منصوبٌ بفعل مضمر؛ أي: أرسلنا رسلًا.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ تصريحٌ بالكلام، مؤكِّدٌ بالمصدر، وذلك دليلٌ على بطلان قول المعتزلة: إِنَّ الشجرة هي التي كلمت موسى .
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ﴾ منصوبٌ :

بفعل مضمر .

أو على البدل .

﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أي : بعثهم الله ليقطع حجة من يقول : لو أرسل إليَّ رسولٌ لآمنت .
﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ الآية ؛ معناها : أَنَّ الله يشهد بأن القرآن من عنده ، وكذلك تشهد الملائكة بذلك .

وسبب الآية : إنكار اليهود للوحي ، فجاء الاستدراك ؛ على تقدير أنهم قالوا : لن نشهد بما أنزل إليك ، ف قيل : لكن الله يشهد بذلك .
وفي الآية من أدوات البيان : التَّرديد ، وهو ذكر الشهادة أولاً ، ثم ذكرها في آخر الآية .

﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ في هذا دليلٌ لأهل السنة على إثبات علم الله ، خلافاً للمعتزلة في قولهم : إنه عالم بلا علم ، وقد تأولوا الآية بتأويلٍ بعيد .
﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ خطابٌ عام ؛ لأن النبي ﷺ بُعث إلى جميع الناس .
﴿فَتَأْمُرُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ انتصب ﴿خَيْرًا﴾ هنا ، وفي قوله : ﴿أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ :

بفعلٍ مضمر لا يظهر ؛ تقديره : اتتوا خيراً لكم . هذا مذهب سيويه .

وقال الخليل : انتصب بقوله : ﴿فَأَمِنُوا﴾ و﴿أَنْتَهُوا﴾ على المعنى .

وقال الفراء : فأمنوا إيماناً خيراً لكم ؛ فنصبه على النعت لمصدر محذوف .

وقال بعض الكوفيين : هو خبر «كان» المحذوفة ؛ تقديره : يكن الإيمان خيراً لكم .

﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي : هو غني عنكم ، لا يضره كفركم .

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ هذا خطاب للنصارى ؛ لأنهم غلوا في عيسى حتى كفروا ، فلفظ «أهل الكتاب» عمومٌ يراد به الخصوص في النصارى ؛ بدليل ما بعد ذلك .

والغلو : هو الإفراط وتجاوز الحد .

﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ أي : مكوّن عن كلمته التي هي «كن» ، من غير واسطة أب ولا نطفة .

﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي : ذو روح من الله ، ف«من» هنا : لابتداء الغاية ، والمعنى : من عند الله .

وجعله من عند الله ؛ لأن الله أرسل به جبريل عليه السلام إلى مريم .

﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ نهى عن التثليث الخبيث ، وهو مذهب النصارى .

وإعراب ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ : خبر ابتداءٍ مضمرة .

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ برهان على تنزيهه تعالى عن الولد ؛ لأنه مالك كل شيء .

[لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَخَافُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٧﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٩﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرُوا هَكَذَا لَيْسَ لَهُمْ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ إِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٨٠﴾].

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ لن يأنف. وكذلك ^(١) حيث وقع.

﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فيه دليل لمن قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء؛ لأن المعنى: لن يستنكف عيسى ولا من فوقه.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ﴾ هو القرآن، وهو أيضًا النور المبين.

ويحتمل أن يريد بالبرهان: الدلائل والحجج، وبالنور: النبي ﷺ؛ لأنه سماء سراجًا.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: يطلبون منك الفتيا.

ويحتمل أن يكون هذا الفعل:

طالبًا للكلالة، و﴿يُفْتِيكُمْ﴾ أيضًا طالبًا لها؛ فيكون من باب الإعمال،

وَأَعْمِلِ الْعَامِلَ الثَّانِي عَلَى اخْتِيَارِ الْبَصْرِيِّينَ .

أَوْ يَكُونُ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ مَقْطُوعًا عَنْ ذَلِكَ ؛ فَيُوقَفُ عَلَيْهِ .
وَالأَوَّلُ أَظْهَرُ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى الْكَلَالَةِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ ^(١) .

وَالْمُرَادُ بِالْأَخْتِ وَالْأَخِ هُنَا : الشَّقَائِقُ ، وَالَّذِينَ لِلْأَبِ إِذَا عَدِمَ الشَّقَائِقُ ،
وَقَدْ تَقَدَّمَ حُكْمُ الْإِخْوَةِ لِلْأُمِّ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً﴾
الْآيَةُ .

﴿إِنْ أَمْرُؤًا هَلَكَ﴾ ارْتَفَعَ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ .

وَلَا إِشْكَالَ فِيمَا ذَكَرْهُنَا مِنْ أَحْكَامِ الْمَوَارِيثِ .

﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾ مَفْعُولٌ مِنْ أَجَلِهِ ؛ تَقْدِيرُهُ : كِرَاهَةً أَنْ تَضِلُّوا .



﴿ سورة المائدة ﴾

[يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَوْفُوا بِالْعُقُودِ اُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْاَنْعَامِ اِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَاَنْتُمْ حُرْمٌ اِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعْيِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَاِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ اَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْاِثْمِ وَالْعُدُوْنِ وَاتَّقُوا اللَّهَ اِنَّ اللَّهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ اَلْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيْرِ وَمَا اُهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوْدَةُ وَالْمَرْدِيَّةُ وَالنَّطِيْحَةُ وَمَا اَكَلَ السَّبْعُ اِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَاَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْاَزْلَمِ ذَلِكُمْ فُسْقٌ اَلْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ دِيْنِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَاَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْاِسْلَامَ دِيْنًا فَمَنْ اضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِاِثْمٍ فَاِنَّ اللَّهَ عَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴿٣﴾ يَسْأَلُوْنَكَ مَاذَا اُحِلَّ لَهُمْ قُلْ اُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبَتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِيْنَ تُعَلِّمُوْنَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا اَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ اِنَّ اللَّهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ اَلْيَوْمَ اُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبَتُ وَطَعَامُ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ حَلْلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنٰتِ وَالْمُحْصَنَتُ مِنَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ اِذَا ءَاتَيْتُمُوْهُنَّ اُجُوْرَهُنَّ مُحْصِيْنَ غَيْرَ مُسْفِحِيْنَ وَلَا مُتَّخِذِيْ اَحْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْاِيْمٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْاٰخِرَةِ مِنْ الْخٰسِرِيْنَ ﴿٥﴾] .

﴿اَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ قيل : إن العقود هنا : ما عقده الإنسان مع غيره من بيع

ونكاح وعتق وشبه ذلك .

وقيل : ما عقده مع ربّه من الطّاعات ، كالحج والصيام وشبه ذلك .

وقيل : ما عقده الله عليهم من التّحليل والتّحريم في دينه ؛ ذُكر مجملاً ثم فُصل بعد ذلك في قوله : ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ﴾ وما بعده .

﴿بِهَيْمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ هي : الإبل والبقر والغنم .

وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخصّ منه ؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها .

قال الزمخشري : هي الإضافة التي بمعنى «من» ، كخاتمٍ من حديد ؛ أي : البهيمة من الأنعام ^(١) .

وقيل : هي الوحش ؛ كالظباء ، وبقر الوحش .

والمعروف من كلام العرب : أن الأنعام لا يقع إلّا على الإبل والبقر والغنم ، وأن البهيمة تقع على كلّ حيوانٍ ما عدا الإنسان .

﴿إِلَّا مَا يَتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يريد : الميتة وأخواتها .

﴿غَيْرِ مُحْلَىٰ الصَّيْدِ﴾ نُصب على الحال من الضمير في ﴿لَكُمْ﴾ .

﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ حالٌ من ﴿مُحْلَىٰ الصَّيْدِ﴾ .

و﴿حُرُمٌ﴾ جمع حُرْمٍ ؛ وهو المُحرّم بالحج .

(١) الكشف (٥/٢٥٥) .

فلاستثناء بـ «إلا» من البهائم المحللة، والاستثناء بـ «غير» من القوم المخاطبين.

﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ قيل: هي مناسك الحج؛ كان المشركون يحجُّون ويعتَمرون، فأراد المسلمون أن يُغيروا عليهم، ف قيل لهم: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾؛ أي: لا تُغيروا عليهم ولا تصدُّوهم.
وقيل: هي الحرَم، وإحلاله: الصيد فيه.

وقيل: هي ما يحرم على الحاج من النساء والصيد^(١) وغير ذلك، وإحلاله: فعله.

﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ قيل: هو جنس الأشهر الحرم الأربعة؛ وهي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم.

وقيل: أشهر الحج؛ وهي: شوال، وذو قعدة، وذو الحجة.

وإحلالها: هو القتال فيها، وتغيير حالها.

﴿وَلَا أَلْهَدَى﴾ هو ما يَهْدَى إلى البيت الحرام من الأنعام، ويذبح تقرباً إلى الله، فنهى الله أن يُستحلَّ؛ بأن يُغار عليه، أو يُصدَّ عن البيت.

﴿وَلَا أَلْقَيْدَ﴾ قيل: هي التي تُعلَّق في أعناق الهدى؛ فنهى عن التعرُّض لها.

وقيل: أراد: ذوات القلائد من الهدى؛ وهي البُدن، وجردَها بالذِّكر بعد دخولها في الهدى؛ اهتماماً بها وتأكيذاً لأمرها.

(١) في ب، د: «والطيب» بدل «والصيد»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ «خ».

﴿وَلَا آمَنِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ أي: القاصدين إلى البيت لحجٍّ أو عمرة، نهى الله عن الإغارة عليهم أو صدّهم عن البيت.

ونزلت الآية - على ما قال السهيلي - بسبب الحُطَمِ البَكْرِيِّ - واسمه: شُريح بن ضُبَيْعَة - ^(١)، أخذته خيل رسول الله ﷺ وهو يَقْصِدُ إلى الكعبة ليعتمر ^(٢).

وهذا النهي عن إحلال هذه الأشياء عامٌّ في المسلمين والمشركين، ثم نُسخَ النهي عن قتال المشركين بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وبقوله: ﴿فَلَا يَفْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨]، وبقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٧].

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ الفضل: الربح في التجارة، والرضوان: الرحمة ^(٣) في الدنيا أو ^(٤) في الآخرة.

(١) الحطم لقبٌ له، ومعناه: الراعي الذي يسوق ماشيته سوقًا عنيفًا، لقب بذلك لأنه غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة فغنم وسبى بعد حربٍ كانت بينه وبين كندة، ثم رجع وأخذ في طريقٍ مفازةٍ فضلَ بهم دليلهم ثم هرب منهم، فهلك أناسٌ كثيرٌ بالعطش، فجعل شريح يسوق بأصحابه سوقًا حثيثًا حتى نجوا ووردوا الماء، فقال فيه رشيد ابن رميض العنزي:

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّي زَيْمٌ قد لفَّها الليلُ بسَوَاقِ حُطَمٍ

إلى آخر الأبيات. انظر: فوات الوفيات، للصفدي (١٦/٨٤).

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٩١.

(٣) في ب، د: «الريح».

(٤) في ب، د: «و».

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أي : إذا حللتكم من إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم ؛ فالأمر هنا بإباحة بإجماع .

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ معنى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ : لا يُكْسِبَنَّكُمْ ؛ يقال : جَرَمَ فلانٌ فلاناً هذا الأمر : إذا أكسبه إِيَّاهُ وحمله عليه .

والشَنَاَنُ : هو البغض والحقد ؛ ويقال بفتح النون وإسكانها .

﴿وَأَنْ صَدُّوكُمْ﴾ مفعولٌ من أجله .

﴿وَأَنْ تَعْتَدُوا﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ .

ومعنى الآية : لا تحمِلَنَّكُمْ^(١) عداوة قومٍ على أن تعتدوا عليهم من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام .

ونزلت عام الفتح ؛ حين ظفِر المسلمون بأهل مكة فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل ؛ لأنهم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية ، فنهاهم الله عن قتلهم ؛ لأن الله عَلِمَ أنهم يؤمنون .

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ وصيةٌ عامة .

والفرق بين البرِّ والتقوى :

أن البرَّ : عامٌّ في فعل الواجبات والمندوبات ، وترك المحرمات ، وفي كل ما يُقَرَّبُ إلى الله .

(١) في أ ، ب ، د : «لا تحمِلَنَّكُمْ» .

والتقوى : في الواجبات ، وترك المحرمات ، دون فعل المندوبات .

فالبرُّ أعم من التقوى .

﴿وَلَا تَعَاوُزُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ﴾ الفرق بينهما :

أن الإثم : كلُّ ذنب بين العبد وبين الله (أو بينه وبين الناس)^(١) .

والعدوان : على الناس .

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِزْيِرِ﴾ تقدّم الكلام عليها في «البقرة»^(٢) .

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ هي التي تُخنق بحبلٍ وشبهه .

﴿وَالْمَوْفُوذَةُ﴾ هي المضروبة بعضًا أو حجرٍ وشبهه .

﴿وَالْمَرْدِيَّةُ﴾ هي التي تسقط من جبلٍ وشبهه^(٣) .

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ هي التي نطحت بها بهيمةٌ أخرى .

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ أي : أكل بعضه ، والسَّبُعُ : كلُّ حيوانٍ مفترس ؛ كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والنَّسْر .

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ قيل : إنه استثناءٌ منقطع ؛ وذلك إذا أريد بالمنخنقة وأخواتها : ما مات من الاختناق والوقْذ والتَّرْدِي والنَّطْح وأكل السَّبُع ، والمعنى : حُرِّمَتْ عليكم هذه الأشياء ، لكن ما ذَكَّيْتُمْ من غيرها فهو حلال .

(١) سقط من ب ، ج ، هـ .

(٢) انظر صفحة ٣٩٤ / ١ .

(٣) في ب ، د : «وشبه ذلك» .

وهذا القول ضعيف؛ لأنها إذا ماتت بهذه الأسباب فهي ميتة؛ فقد دخلت في عموم الميتة، فلا فائدة لذكرها بعدها.

وقيل: إنه استثناء متصل؛ وذلك إن أُريد بالمنخقة وأخواتها: ما أصابته تلك الأسباب وأدركت ذكاته، والمعنى على هذا: إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال.

ثم اختلف أهل هذا القول: هل يشترط أن تكون لم تُنفذ مقَاتِلُها أم لا؟ وأما إذا لم تُشرف على الموت من هذه الأسباب فذكاتها جائزة باتفاق.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ عطف على المحرمات المذكورة.

و﴿النُّصُبِ﴾ حجارة كان أهل الجاهلية يُعظمونها ويذبحون عليها، وليست بالأصنام؛ لأن الأصنام مصورة والنُّصُب غير مصورة، وهي الأنصاب، والمفرد: نِصاب.

وقد قيل: إن النُّصُب بضمين: مفرد، وجمعه: أنصاب.

﴿وَأَنْ تَسْقِسُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ عطف على المحرمات أيضا.

والاستقسام: هو طلب ما قُسم له.

والأزلام: هي السَّهَام؛ واحدها: زَلَمٌ - بضم الزاي وفتحها -، وكانت ثلاثة قد كُتب على أحدها: «افعل»، وعلى الآخر: «لا تفعل»، والثالث مهمل، فإذا أراد الإنسان أن يعمل أمرا جعلها في خريطة، وأدخل يده وأخرج أحدها، فإن خرج له الذي فيه «افعل» ففعل ما أراد، وإن خرج له

الذي فيه «لا تفعل» تركه، وإن خرج^(١) المهمل أعاد الضرب.

﴿ذَلِكُمْ فَسُقُ﴾ الإشارة:

إلى تناول المحرمات المذكورة كلها.

أو إلى الاستقسام بالأزلام، وإنما حرّمه الله وجعله فسقاً؛ لأنه دخولٌ في علم الغيب الذي انفرد الله به، فهو كالكهانة وغيرها مما يرام به الاطلاع على الغيوب.

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ أي: يتسوا أن يغلبوه أو يُبطلوه.

ونزلت بعد العصر من يوم الجمعة يومَ عرفة في حجة الوداع؛ فذلك هو اليوم المذكور؛ لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين.

ويحتمل أن يكون المراد باليوم: الزمان الحاضر، لا اليوم بعينه.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذا الإكمال يحتمل أن يكون:

بالنصر والظهور.

أو بتعليم الشرائع، وبيان الحلال والحرام.

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ راجعٌ إلى المحرمات المذكورة قبلَ هذا، أباحها الله عند الاضطرار.

﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ في مجاعة.

(١) في ج، د زيادة: «له».

﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ هو بمعنى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ وقد تقدّم في «البقرة»^(١).

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قام مقام: «فلا جناح عليه»، وتضمن زيادة الوعد. ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ سببها: أن المسلمين سألوا رسول الله ﷺ عما يحلّ لهم من المأكّل.

وقيل: لما أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب سأله: ماذا يحلّ لنا من الكلاب؟ فنزلت مبيّنة للصيد بالكلاب.

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ هي عند مالك: الحلال؛ وذلك ما لم يرد تحريمه في كتاب ولا سنة.

وعند الشافعي: الحلال المستلذ؛ فحرّم كل مستقذّر كالخنافس وشبهها؛ لأنها من الخبائث.

﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ عطف على ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾؛ على حذف مضاف تقديره: وصيد ما علمتم.

أو: مبتدأ وخبره: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا أحسن؛ لأنه لا حذف فيه.

والجوارح: هي الكلاب ونحوها مما يُصاد به، وسُمّيت جوارح؛ لأنها كواسب لأهلها، فهو من الجرّح بمعنى الكسب.

ولا خلاف في جواز الصيد بالكلاب .

واختلف فيما سواها :

ومذهب الجمهور : الجواز ؛ للأحاديث الواردة في البُرْاة وغيرها .

ومنع بعضهم ذلك ؛ لقوله : ﴿مُكَلِّينَ﴾ ؛ فإنه مشتق من الكلب .

ونزلت الآية بسبب عدي بن حاتم ؛ فإنه كان له كلاب يصطاد بها ، فسأل رسول الله ﷺ عما يحل من الصيد .

﴿مُكَلِّينَ﴾ أي : معلّمين للكلاب^(١) الاصطياد .

وقيل : معناه : أصحاب كلاب .

وهو منصوبٌ على الحال من ضمير الفاعل في ﴿عَلَّمْتُمْ﴾ .

ويقتضي قوله : ﴿عَلَّمْتُمْ﴾ و﴿مُكَلِّينَ﴾ : أنه لا يجوز الصيد إلا بجارح معلّم ؛ لقوله : ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ﴾ ولقوله : ﴿مُكَلِّينَ﴾ على القول الأول ، ولتأكيد ذلك بقوله : ﴿تَعْلَمُونَهُنَّ﴾ .

وحدّ التعلّم :

عند ابن القاسم : أن يفهم الجارح الإيساد^(٢) والزجر .

(١) في ج ، د : «معلمين الكلاب» .

(٢) في دهن وفي الموضوع التالي : «الإشلاء» . قال في لسان العرب (٤/٣٨) : «وَأَسَدَ الْكَلْبِ بالصيدِ إِيسَادًا : هَيَّجَهُ وَأَغْرَاهُ ، وَأَشْلَاهُ : دَعَاهُ» ، وقال الإمام ثعلب في كتاب الفصيح (ص : ١٥٥) : «وَتَقُولُ : أَشْلَيْتُ الْكَلْبَ وَغَيْرَهُ : إِذَا دَعَوْتُهُ إِلَيْكَ . وَقَوْلُ النَّاسِ : أَشْلَيْتُهُ عَلَى الصَّيْدِ خَطَأٌ . فَإِنْ أَرَدْتَ ذَلِكَ قُلْتَ : أَسَدْتُهُ عَلَى الصَّيْدِ ، وَأَوْسَدْتُهُ» .

وقيل : الإيساد خاصة .

وقيل : الزجر خاصة .

وقيل : أن يُجيب إذا دُعي .

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ أي : تعلمونهنَّ من الحيلة في الاصطياد وتأتي تحصيل الصيد ، وهذا جزء مما علمه الله الإنسان ؛ ف «من» للتبعية .

ويَحتمل أن تكون لابتداء الغاية .

والجملة في موضع : الحال ، أو استئناف .

﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ الأمر هنا إباحة .

ويَحتمل أن يريد : مما أمسكن سواء أكلت الجوارح منه أو لم تأكل ، وهو ظاهر إطلاق اللفظ ، وبذلك أخذ مالك .

ويَحتمل أن يريد : مما أمسكن ولم يأكلن منه ؛ وبذلك فسره رسول الله ﷺ بقوله : «فإن أكل منه فلا تأكل ؛ فإنه إنما أمسك على نفسه»^(١) ، وقد أخذ بهذا بعض العلماء .

وقد ورد في حديث آخر : «إذا أكل فكل»^(٢) ، وهو حجة لمالك .

﴿وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ هذا أمرٌ بالتسمية على الصيد ، ويجري الذبح مجراه .

(١) أخرجه البخاري (١٧٥) ، ومسلم (١٩٢٩) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٥٢) .

وقد اختلف الناس في حكم التسمية :

فقال الظاهرية : إنها واجبة ؛ حملاً للأمر على الوجوب ، فإن تركت التسمية عمداً أو نسياناً ، لم تؤكل عندهم .

وقال الشافعي : إنها مستحبة ؛ حملاً للأمر على الندب ، وتؤكل عنده ؛ سواء تركت التسمية عمداً أو نسياناً .

وجعل بعضهم الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائداً على الأكل ؛ فليس فيها - على هذا - أمرٌ بالتسمية على الصيد .

ومذهب مالك : أنه : إن تركت التسمية عمداً لم تؤكل ، وإن تركت نسياناً أكلت ؛ فهي عنده واجبة مع الذكر ، ساقطة مع النسيان .

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ معنى ﴿حِلٌّ﴾ : حلالٌ ، و﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هم اليهود والنصارى .

واختلف في نصارى بني تغلب من العرب ، وفيمن كان مسلماً ثم ارتد إلى اليهودية أو النصرانية هل يحل لنا طعامهم أم لا ؟ .

ولفظ الآية يقتضي الجواز ؛ لأنهم من أهل الكتاب .

واختلف في المجوس والصابئين هل هم أهل كتاب أم لا ؟ .

وأما الطعام ؛ فهو على ثلاثة أقسام :

أحدها : الذبائح ؛ وقد اتفق العلماء على أنها مُراد في الآية ، فأجازوا أكل ذبائح اليهود والنصارى .

واختلفوا فيما هو محرّم عليهم في دينهم ، هل يحل لنا أم لا ؟ .

على ثلاثة أقوال: الجواز، والمنع، والكراهة.

وهذا الاختلاف مبني على: هل هو من طعامهم أم لا؟

فإن أريد بطعامهم ما ذبحوه: جاز.

وإن أريد به ما يحل لهم: مُنِع.

والكراهة توسط بين القولين.

القسم الثاني: ما لا محاولة لهم فيه؛ كالقمح والفاكهة، فهو جائز لنا باتفاق.

والثالث: ما فيه محاولة؛ كالخبز، وتَعصير الزَّيت، وعَقْد الجُبْن، وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه:

فمنعه ابن عباس؛ لأنه رأى أن طعامهم هو الذَّبائح خاصة، ولأنه يمكن أن يكون نجسًا.

وأجازه الجمهور؛ لأنهم رأوه داخلًا في طعامهم.

وهذا إذا كان استعمال النجاسة فيه محتملاً، فأما إذا تحقَّق استعمال النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة فلا يجوز أصلاً، وقد صنف الطُّرطوشي^(١) في تحريم جُبْن النصارى، وقال: إنه يُنَجِّس البائع

(١) هو أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي نسبة إلى بلدة طرطوشة بالأندلس، الفقيه المالكي، توفي بالاسكندرية سنة (٥٢٠هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢/٢٤٤).

والمشتري والآلة ؛ لأنهم يُعَقِّدُونَهُ بِإِنْفَاحِ^(١) الميتة^(٢) .

ويجري مجرى ذلك الزيت إذا عَلِمْنَا أنهم يجعلونه في ظروف الميتة .
﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ هذه إباحة للمسلمين أن يُطْعِمُوا أهلَ الكتاب من طعامهم .

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ عطفٌ على الطعام المحلل .
وقد تقدّم أن الإحصان له أربعة معانٍ : الإسلام ، والتزوّج ، والعِفَّةُ ، والحرية .

فأما الإسلام فلا يصحُّ هنا ؛ لقوله : ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ .
وأما التزوّج فلا يصحُّ أيضًا ؛ لأن ذات الزوج لا تحلُّ لغيره .
ويَحْتَمِلُ هنا : العِفَّةُ والحرية .

فَمَنْ حَمَلَهُ على العفة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواء كانت حرة أو أمة .
ومن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرة ومنع الأمة ، وهو مذهب مالك .

ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة : ٢٢١] لأنه هذه في الكتابيّات ، والأخرى في المشركين من العرب .

(١) قال في «القاموس» : «الإنْفَاحُ بكسر الهمزة ، وقد تشدد الحاء ، وقد تكسر الفاء : شيء يستخرج من بطن الجدّي الرضيع ، أصفرٌ ، فيُعصر في صوفة ، فيغلظ كالجبين» .

(٢) انظر : رسالة في تحريم الجبن الرومي ، تحقيق : عبد المجيد التركي ، ط : دار الغرب الإسلامي ، سنة (١٤١٧هـ) ، صفحة (١٣١) .

وقد جعل بعضُ الناس هذه ناسخةً لتلك .

وقيل بالعكس .

وقد تقدّم معنى : ﴿فَتَأْتُهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤] ، ومعنى الأخدان^(١) .



(١) انظر صفحة ٤٢ .

[يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾] .

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ نزلت في غزوة المريسيع، حين انقطع^(١) عقد عائشة رضي الله عنها، فأقام الناس على التماسيه وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فنزلت الرخصة في التيمم، فقال أسيد بن حضير: ما هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر^(٢)، ولذلك سُميت الآية آية التيمم، وقد كان الوضوء مشروعا قبلها، ثابتا بالسنة.

(١) في د: «تلف».

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٢)، ومسلم (٣٦٧).

وقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ معناه: إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤوا.

ويقتضي ظاهرها: وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة، وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة.

ومذهب الجمهور: أنه لا يجب، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال:

الأول: أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله ﷺ؛ إذ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد^(١).

والثاني: أن ما تقتضيه الآية من التجديد يُحمَل على الندب.

والثالث: أن تقديرها: إذا قمتم مُحدِّثين؛ فإنما يجب على من أحدث.

والرابع: أن تقديرها: إذا قمتم من النوم.

﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ذكر في هذه الآية أربعة أعضاء:

اثنين محدودين؛ وهما اليدان والرجلان.

واثنين غير محدودين؛ وهما الوجه والرأس.

فأما المحدودان: فغُسل اليدان إلى المرفقين، والرجلان إلى الكعبين وجوباً بإجماع؛ فإنَّ ذلك هو الحدُّ الذي جعل الله لهما.

واختلف: هل يجب غُسل المرفقين مع اليدين، وغسل الكعبين مع

(١) أخرجه مسلم (٢٧٧).

الرجلين أم لا؟ وذلك مبني على معنى «إلى»:

فمن جعل «إلى» بمعنى «مع» في قوله: ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ و﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ أوجب غسلهما.

ومن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسلهما.

واختلف في الكعبين؛ هل هما اللذان عند معقد الشراك؟ أو العظمان الناتئان في طرف الساق؟ وهو أظهر؛ لأنه ذكرهما بلفظ التثنية، ولو كان اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق؛ لأنه على ذلك في كل رجل كعب واحد.

وأما غير المحدودين: فاتفق على وجوب إيعاب الوجه.

وحده طولاً: من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن أو اللحية، وحده عرضاً: من الأذن إلى الأذن، وقيل: من العذار إلى العذار.

وأما الرأس: فمذهب مالك: وجوب إيعابه؛ كالوجه.

ومذهب كثير من العلماء: جواز الاقتصار على بعضه؛ لما ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ مسح على ناصيته^(١). ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يُجزئ على أقوال كثيرة.

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ اختلف في هذه الباء:

فقال قوم: إنها للتبعض؛ وبنوا على ذلك: جواز مسح بعض الرأس. وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية.

(١) أخرجه أحمد (١٨١٣٤)، والنسائي (١٠٧).

وقال القرافي: إنها باء الاستعانة التي تدخل على الآلات، وإن المعنى: امسحوا أيديكم برؤوسكم^(١). وهذا ضعيف؛ لأن الرأس على هذا ماسح لا ممسوح، وذلك خلاف المقصود.

وقيل: إنها زائدة. وهو ضعيف؛ لأن هذا ليس موضع زيادتها.

والصحيح عندي: أنها باء الإلصاق التي توصِل الفعل إلى مفعوله؛ لأن المسح تارة يتعدى بنفسه، وتارة بحرف الجر؛ كقوله: ﴿فَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، وكقوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالْسُوفِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

﴿وَأَرْجَلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ قرئ: ﴿وَأَرْجَلَكُمْ﴾ بالنصب؛ عطفاً على الوجوه^(٢) والأيدي، فيقتضي ذلك: وجوب غسل الرجلين. وقرئ بالخفض:

فحمله بعضهم على أنه عطف على قوله: ﴿رُءُوسِكُمْ﴾، فأجاز مسح الرجلين، روي ذلك عن ابن عباس.

وقال الجمهور: لا يجوز مسحهما، بل يجب غسلهما، وتأولوا قراءة الخفض بثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه خفض على الجوار، لا على العطف.

والآخر: أنه يراد به المسح على الخفين.

والثالث: أن ذلك منسوخ بالسنة.

(١) انظر: شرح تنقيح الفصول، للقرافي (ص: ١٠٤).

(٢) في ب، ج، هـ: «الوجه».

والفرق بين الغسل والمسح :

أن المسح : إمرار اليدين بالبلل الذي يبقى من الماء .

والغسل : عند مالك : إمرار اليد بالماء ، وعند الشافعي : إمرار الماء ، وإن لم يذلك باليد .

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ تقدّم الكلام على نظيرتها في «النساء»^(١) .
﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي : من ضيقٍ ولا مشقة ؛
كقول رسول الله ﷺ : «دين الله يسر»^(٢) .

وبقية الآية تفضل من الله على عباده ورحمة ، وفي ضمن ذلك ترغيب في الطهارة وتنشيط عليها .

﴿وَمِثْلَهُ الَّذِي وَاتَّكُم بِهِ﴾ هو ما وقع في بيعة العقبة ، وبيعة الرضوان ، وكل موطن قال المسلمون فيه : سمعنا وأطعنا .

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ تقدّم الكلام على نظيرتها في «النساء»^(٣) .

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي : لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم .

﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ في سببها أربعة أقوال :

الأول : أن النبي ﷺ ذهب إلى بني النضير من اليهود ، فهموا أن يصبوا عليه صخرة يقتلونه بها ، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان ، ويقوي هذا

(١) انظر صفحة ٥٩ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٩) ، ولفظه : «إن الدين يسر» . . .

(٣) انظر صفحة ١٢٠ .

القول: ما ورد من الآيات بعد هذا في غدر اليهود.

الثاني: أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سلَّ السيف على رسول الله ﷺ حين وجده في سفر وهو وحده، وقال له: من يمنعك مني؟ قال: «الله»، فأغمد السيف وجلس^(١). واسمه: غَوْرَثُ بن الحارث الغطفاني.

الثالث: أنها فيما همَّ به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف.

الرابع: أنها على الإطلاق في دفع الله الكفار عن المسلمين.

❦ ❦ ❦

(١) أخرجه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).

[﴿١٥٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٦٠﴾ فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيءُ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٦٢﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٦٣﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦٤﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٦٦﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٧﴾].

﴿أَتْنَى عَشَرَ نَفِيبًا﴾ النقيب: هو كبير القوم القائمُ بأمورهم.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بنصري.

والخطاب: لبني إسرائيل، وقيل: للنُّبَّاء.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ اختلَف: هل أُريد تحريفُ الألفاظ أو المعاني؟.

﴿وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ أي: على خيانة؛ فهو مصدر كالعاقبة.

وقيل: على طائفةٍ خائنة.

وهو إخبارٌ بامرٍ مُستقبل.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ منسوخٌ بالسيف والجزية.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ﴾ أي: ادَّعوا أنهم أنصار الله، وسَمَّوا

أنفسهم بذلك، ثم كفروا بالله، ووصفوه بما لا يليق به.

ويتعلق^(١) ﴿وَمِنَ الَّذِينَ﴾ بـ ﴿أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾، والضمير عائد على

النصارى.

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أي: أثبتنا وألصقنا؛ وهو مأخوذٌ مِنَ الْغِرَاءِ.

﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ﴾ في الموضعين: يعمُّ اليهود والنصارى.

وقيل: إنها نزلت بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة؛ فإنهم كانوا يذكرون

رسول الله ﷺ ويصفونه بصفته، فلما حلَّ بالمدينة كفروا به.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني: محمداً ﷺ، وفي الآية دلالةٌ على صحة

(١) في أ، ب، د: «وتتعلق».

نبوته ؛ لأنه بين لهم ما أخفوه مما في كتبهم ، وهو أمّي لم يقرأ كتبهم .

﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي : يتركه ولا يفضحكم فيه .

﴿نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ محمد ﷺ ، والقرآن .

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ الآية ؛ ردّ على الذين قالوا : إن الله هو

عيسى ، وهم فرقة من النصارى .

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ إشارة إلى خَلْقِهِ^(١) عيسى من غير والد .

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى﴾ أي : قالت كل فرقة عن نفسها : إنهم أبناء الله

وأحبّاءه .

والبنوة هنا : بُنُوَّةُ الحنان والرأفة .

وقال الزمخشري : المعنى : نحن أشياعُ أبناءِ الله - عندهم - ، وهما

المسيح وعُزَيْر ، كما يقول حشَمُ الملوك : نحن الملوك^(٢) .

﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ﴾ ردّ عليهم ؛ لأنهم قد اعترفوا أنهم يدخلون النار أياماً

معدودات .

وقد أخذ الصوفية من الآية أن المحب لا يعذب حبيبَه^(٣) ، ففي ذلك إشارة

لمن أحبه الله .

(١) في ب : «خَلْقِهِ» .

(٢) الكشف (٣١٧/٥) .

(٣) قال ذلك أبو بكر الشبلي الصوفي لابن مجاهد المقرئ في محادثة جرت بينهما في

مجلس ، أوردها الخطيب البغدادي بإسناده في تاريخ بغداد (١٦/٥٦٧) ، وابن الصلاح

في طبقات الشافعية (١/٤٨٩) ، وفيها - كما عند الخطيب - : «ثم قال [الشبلي] له =

[وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُخِرمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾].

﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ قيل : جعل منكم ملوكًا ؛ أي : أمراء .

وقيل : الملك : من له مسكنٌ وامرأة وخادم .

﴿مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ قيل : يعني : المنّ والسلوى والغمام وغير ذلك من الآيات ، وعلى هذا : يكون ﴿الْعَالَمِينَ﴾ خاصًا بأهل زمانهم ؛ لأن أمة محمد ﷺ قد أُوتيت من آياته مثل ذلك وأعظم .

وقيل : المراد : كثرة الأنبياء ، فعلى هذا : يكون عامًا ؛ لأن الأنبياء في

= [أي : لابن مجاهد] : قد أجمع الناس أنك مقرئ الوقت ، أين في القرآن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ قال : فسكت ابن مجاهد ، فقال له أبي : قل يا أبا بكر ، قال : قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَانِي نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ ، فقال ابن مجاهد : كأنني ما سمعتها قط! .

بني إسرائيل أكثر منهم في سائر الأمم .

﴿الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةَ﴾ أرض بيت المقدس ، وقيل : الطُّور ، وقيل : دمشق .

﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي : قضَى أن تكون لكم .

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ يَحْتَمِلُ أن يريد :

الارتداد عن الدين والطاعة .

أو الرجوعَ إلى الطريق الذي جاؤوا منه ؛ فإنه رُوي أنه لما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبارين الذين فيها ، وهمُّوا أن يُقدِّموا على أنفسهم رئيسًا ويرجعوا إلى مصر .

﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ هم العمالقة .

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ هما : يُوشَعَ وكالِب .

﴿يَخَافُونَ﴾ أي : يخافون الله .

وقيل : يخافون الجبارين ، ولكن الله أنعم عليهم بالصبر والثبوت ؛ لصدق إيمانهما .

﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ أي : باب المدينة .

﴿فَازْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ إفراط في العصيانِ وسوءِ الأدب بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله ، وأين هؤلاء من الذين قالوا الرسول الله ﷺ :
لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ، ولكن نقول لك : اذهب أنت

وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون! (١).

﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ قاله موسى ﷺ؛ ليتبرأ إلى الله من قول بني إسرائيل، ويبدل جهده في طاعة الله، ويعتذر إلى الله.

وإعراب ﴿أَخِي﴾:

عطف على ﴿نَفْسِي﴾؛ لأن أخاه هارون كان يُطيعه.

وقيل: عطف على الضمير في ﴿أَمْلِكُ﴾؛ أي: لا أملك أنا إلا نفسي، ولا يملك أخي إلا نفسه.

وقيل: مبتدأ، وخبره محذوف؛ أي: أخي لا يملك إلا نفسه.

﴿فَأَفَرَّقْ بَيْنَنَا﴾ أي: فارق بيننا وبينهم؛ فهو من الفُرقة.

وقيل: افصل بيننا وبينهم بحكم.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ لله تعالى.

وحرّم الله على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة، وتركهم في هذه المدة يتيهون في الأرض؛ أي: في أرض التيه - وهو ما بين مصر والشام -، حتى مات كل من قال: «إن لن ندخلها»، ولم يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب، ومات هارون في التيه، ومات موسى بعده في التيه أيضاً.

وقيل: إن موسى وهارون لم يكونا في التيه؛ لقوله: ﴿فَأَفَرَّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

(١) قاله المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم بدر. أخرجه البخاري (٣٩٥٢)، (٤٦٠٩).

وخرج يوشع ببني إسرائيل بعد الأربعين سنة، وقاتل الجبارين، وفتح المدينة.

والعامل في ﴿أَزْبَعِينَ﴾ : ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ على الأصح ؛ فيجب وصله معه .

وقيل : العامل فيه : ﴿يَتِيَهُوتُ﴾ ، فعلى هذا يجوز الوقف على قوله : ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ ، وهذا ضعيف ؛ لأنه لا حامل على تقديم المعمول هنا ، مع أن القول الأول أكمل معنى ؛ لأنه بيان لمدة التحريم والتية .

﴿يَتِيَهُوتُ﴾ أي : يتحيرون ، وروي أنهم كانوا يسيرون الليل كله ، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه .

﴿فَلَا تَأْسُ﴾ أي : لا تحزن ، والخطاب : لموسى .

وقيل : لمحمد ﷺ ، ويراد بـ ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ : مَنْ كان في عصره من اليهود .



[﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَعَتْ لهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيرِيَهُ كَيْفَ يُؤَرِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقُ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاؤُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾].

﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾ هما قابيل وهايل.

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ روي أن قابيل كان صاحب زرع فقرب أرذل زرعه، وكان هايل صاحب غنم فقرب أحسن كبش عنده، وكانت العادة حينئذ أن يقرب الإنسان قربانه إلى الله ويقوم يصلي، فإذا نزلت نار من السماء وأكلت القربان فذلك دليل على القبول وإلا فلا قبول، فنزلت النار فأخذت كبش هايل ورفعته، وتركت زرع قابيل، فحسده قابيل فقتله.

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ استدلل بها المعتزلة وغيرهم على أن العاصي لا يُتَقَبَّلُ عمله .

وتأولها الأشعرية : بأن التقوى هنا يراد بها : تقوى الشرك^(١) .

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ الآية ؛ قيل : معناها : لئن بدأتني بالقتل لم أبدأك به .

وقيل : لئن بدأتني بالقتل لم أدافعك ، ثم اختلف على هذا القول :

هل تركه لدفاعه عن نفسه تورع^(٢) وفضيلة ؟ وهو الأظهر والأشهر .

أو كان واجبا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه ؟ وهو قول مجاهد .

وأما في شرعنا : فيجوز دفع الإنسان عن نفسه ؛ بل يجب .

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ يَأْتِي وَإِثْمَكَ﴾ الإرادة هنا ليست بإرادة محبة وشهوة ، وإنما هو تخيير في أهون الشرين ؛ كأنه قال : إن قتلتي فذلك أحب إلي من

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قوله : (استدلل بها المعتزلة . .) إلخ ، أقول : ذكر

المؤلف قول المعتزلة وقول الأشاعرة ، وظاهر كلامه أنه يرد قول المعتزلة ، ويرضى قول الأشاعرة ، وقول المعتزلة ظاهر الفساد ؛ لأنه مبني على أن العاصي ليس بمؤمن ، وشرط قبول العمل الإيمان ، وأما قول الأشاعرة فصحيح من جهة أن الشرك يحبط العمل ، لكن هذا القول يقتضي أن من لم يكن مشركا فالله يقبل عمله مطلقا ، وليس هذا بمستقيم ؛ فإن المؤمن الموحد قد يعرض له في العمل ما يبطله كالرياء ، والمن والأذى في الصدقة ، ومخالفة السنة ، ومن الخطأ في فهم الآية ظن بعض الناس أن المراد أن الله لا يتقبل إلا من تقى فاعل للمأمورات ، تارك للمعاصي ، وهذا يؤول إلى قول المعتزلة ، والصواب في الآية أن الله لا يتقبل إلا ممن اتقى الله في عمله ذلك ، بأن أتى به على الوجه المشروع ، خالصا صوابا ، ولم يأت بما يبطله . والله أعلم .

(٢) في د زيادة : « منه » .

أن أقتلك، كما ورد في الأثر: «كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل»^(١).

وأما قوله: ﴿يَأْتِي وَإِيكَ﴾ فمعناه:

يأتي قتلي لك لو قتلتك، ويأتي قتلك لي، وإنما تحمّل القاتل الإثمين؛ لأنه ظالم، فذلك مثل قوله ﷺ: «المستبان ما قالا فهو على البادي»^(٢).

وقيل: ﴿يَأْتِي﴾ أي: تحمّل عني سائر ذنوبي؛ لأن الظالم تجعل عليه في القيامة ذنوب المظلوم، ﴿وَإِيكَ﴾ أي: في قتلك لي، وفي غير ذلك من ذنوبك.

﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون:

من كلام هابيل.

أو استئنافاً من كلام الله تعالى.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾ الآية؛ روي أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر، ثم جعل القاتل يبحث عن التراب ويواري الميت.

وقيل: بل كان غراباً واحداً يبحث ويلقي التراب على هابيل.

﴿سَوْءَ أَخِيهِ﴾ أي: عورته، وخُصّت بالذكر؛ لأنها أحقّ بالسّتر من سائر الجسد.

والضمير في ﴿أَخِيهِ﴾ عائذ على ابن آدم، ويظهر من هذه القصة أن هابيل

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٠٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٧).

كان أول مَنْ دُفِنَ مِنْ بني آدم.

﴿قَالَ يَنْوَلِّتَى﴾ أصله: «يا ويلتي»، ثم أبدل من الياء ألف، وفتحت التاء.
وكذلك: ﴿يَتَأَسَفَى﴾، و﴿يَحْزَنَى﴾.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ أي: على ما وقع فيه من قتل أخيه.

واختلف في قابيل؛ هل كان كافراً أو عاصياً؟

والصحيح: أنه لم يكن كافراً؛ لأنه قصد التقرب إلى الله بالقربان، ولأنه لم يكن في تلك المدة كافراً.

و﴿أَصْبَحَ﴾ هنا وفي الموضع الأول: عبارة عن جميع الأوقات، لا مختصةً بالصباح.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ يتعلق بـ ﴿كُتِبْنَا﴾.

وقيل: بـ ﴿النَّادِمِينَ﴾؛ وهو ضعيف.

﴿كُتِبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: فرضنا عليهم، أو كتبناه في كتبهم.

﴿يَغْيِرُ نَفْسٍ﴾ معناه: من غير أن يقتل نفساً يجب عليه به القصاص.

﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: الفساد الذي يجب به القتل؛ كالحرابة.

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يُتَصَوَّرُ

من ثلاث جهات:

إحداها: القصاص؛ فإن القصاص في قتل الواحد والجميع سواء.

والثاني: انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان.

والثالث: الإثم والعذاب الأخرائي، قال مجاهد: أُوعد^(١) الله قاتل النفس بجهنم، والخلود فيها، والغضب، واللعنة، والعذاب العظيم، فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك. وهذا الوجه هو الأظهر؛ لأن القصد بالآية تعظيم قتل النفس والتشديد فيه؛ ليزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كثواب إحياء الجميع؛ لتعظيم الأمر والترغيب فيه.

وإحيائها: هو بإنقاذها من الموت؛ كإنقاذ الغريق والحريق وشبه ذلك.

وقيل: بترك قتلها.

وقيل: بالعفو إذا وجب القصاص.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل، والمعنى: تقبيح أفعالهم، وفي ذلك إشارة إلى ما هموا به من قتل رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية؛ سببها عند ابن عباس: قوم من اليهود كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فنقضوا العهد وقطعوا السبيل.

وقال جماعة: نزلت في نفر من عُكْلٍ وعُرَيْنَةٍ، أسلموا، ثم إنهم قتلوا راعي النبي ﷺ وأخذوا إبله.

ثم حكمها بعد ذلك في كل مُحَارِبٍ.

والحرابة عند مالك: هي حمل السلاح على الناس في بلد أو في خارج بلد.

(١) في ج، د: «وعد».

وقال أبو حنيفة: لا يكون المحارب إلا خارج البلدان.

وقوله: ﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ تغليظ ومبالغة.

قال بعضهم: تقديره: يحاربون رسول الله ﷺ. وذلك ضعيف؛ لأن الرسول ﷺ قد ذكر بعد ذلك.

وقيل: يحاربون عباد الله^(١). وهو أحسن.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بيان للحراية، وهي على درجات؛ فأدناها: إخافة الطريق، ثم أخذ الأموال، ثم قتل النفس.

﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ الصَّلب مضاف إلى القتل:

فقليل: يقتل ثم يصلب؛ ليراه أهل الفساد فيزدجروا. وهو قول أشهب.

وقيل: يصلب حيًا، ويقتل في الخشبة. وهو قول ابن القاسم.

﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلْفٍ﴾ معناه: أن تُقَطَّعَ يده اليمنى ورجله اليسرى، ثم إن عاد قُطِّعت يده اليسرى ورجله اليمنى.

وقُطِّعَ اليَدُ^(٢) عند مالك والجمهور: من الرُّسْغ، وقطع الرجل: من المَفْصِل، وذلك في الحراية وفي السرقة.

﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ مشهور مذهب مالك: أن يُنْفَى من بلد إلى بلد آخر، ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته.

(١) في ب: «يحاربون الناس».

(٢) في د: «وتقطع اليد».

وروى عنه مطرف^(١): أنه يسجن في البلد بعينه ، وبذلك قال أبو حنيفة .

وقيل : ينفى إلى بلد آخر دون أن يسجن فيه .

ومذهب مالك : أن الإمام مخير في المحارب بين أن يقتله ويصلبه ، أو يقتله ولا يصلبه ، أو يقطع يده ورجله ، أو ينفيه ، إلا أنه قال : إن كان قتل فلا بد من قتله ، وإن لم يقتل فالأحسن أن يؤخذ فيه بأيسر العقاب .

وقال الشافعي وغيره : هذه العقوبات مرتبة ؛ فمن قتل وأخذ المال قُتل وُصِّل ، ومن قتل ولم يأخذ مالا^(٢) قُتل ولم يُصلب ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله ، ومن أخاف السيل ولم يقتل ولم يأخذ مالا نُفي .

وحجة مالك : عطف هذه العقوبات بـ «أو» التي تقتضي التخيير .

﴿خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ هو العقوبة ، وعذاب الآخرة : النار .

وظاهر هذا : أن العقوبة في الدنيا لا تكون كفارة للمحارب ، بخلاف سائر الحدود .

ويحتمل أن يكون الخزي في الدنيا لمن عوقب (في الدنيا)^(٣) ، والعذاب في الآخرة لمن لم يعاقب .

(١) هو مطرف بن عبد الله بن مطرف الهلالي أبو مصعب ، مولى ميمونة وزوج النبي ﷺ ، وهو ابن أخت الإمام مالك ، ومن كبار أصحابه ، توفي سنة (٢٢٠) . انظر : الديباج المذهب (٢/ ٣٤٠) .

(٢) في ج : «المال» .

(٣) لم ترد في ج ، د ، هـ .

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ﴾ قيل : هي في المشركين . وهو ضعيف ؛ لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها . وقيل : هي في المحاربين من المسلمين . وهو الصَّحيح ، وهم الذين جاءت فيهم العقوبات المذكورة ، فمن تاب منهم قبل أن يُقَدَّر عليه فقد سقط عنه حكم الحِرابَة ؛ لقوله : ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾ . واختُلف هل يطالب بما عليه من حقوق الناس في الدماء والأموال أم لا ؟ .

فوجه المطالبة بها : أنها زائدة على حدِّ الحِرابَة الذي سقط ^(١) عنه بالتوبة . ووجه سقوطها : إطلاق ^(٢) قوله : ﴿عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾ .

(١) في د : «التي سقطت» .

(٢) لم ترد في ج ، هـ .

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ مَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٠﴾ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣١﴾ سَمَّعُوا لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلْسُّخْتِ إِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٣٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُكَ اللَّهُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٣﴾].

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي : ما يُتَوَسَّلُ بِهِ وَيُقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ ؛ من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك .

﴿لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾ إن قيل : لم وَّحَّدَ الضمير وقد ذكر شيئين وهما : ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ و﴿وَمِثْلَهُ﴾ ؟

فالجواب :

أنه وَضَعَ المفرد موضعَ الاثنين .

أو أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة ؛ كأنه قال : ليفتدوا بذلك .

أو تكون^(١) الواو بمعنى «مع»^(٢) .

﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي : دائمٌ ، وكذلك : ﴿نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة : ٢١] .

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ عموم الآية يقتضي قطع كل سارق ؛ إلا أن الفقهاء اشترطوا في القطع شروطًا خصّصوا بها العموم ، فمن ذلك :

أنَّ مَنْ اضطرَّه الجوع إلى السرقة لم يُقَطَّع عند مالك ؛ لتحليل الميتة له .
وكذلك مَنْ سرق مال ولده أو سيده .

أو من سرق من غير حرز .

أو سرق أقل من النصاب ؛ وهو عند مالك : ربع دينار من الذهب ، أو ثلاثة دراهم من الفضة ، أو ما يساوي أحدهما .

وأدلة التخصيص بهذه الأشياء في غير هذه الآية .

وقد قيل : إن الحرز مأخوذ من الآية ؛ لأن ما أهمل بغير حرز أو أوّتمن عليه فليس أخذه سرقةً ، وإنما هو اختلاس أو خيانة .

(١) في أ ، ب ، د : «يكون» .

(٢) انظر : الكشف (٣٤٩/٥) .

وإعراب ﴿وَالسَّارِقُ﴾ :

عند سيبويه : مبتدأ ، وخبره محذوف ؛ كأنه قال : فيما يتلى عليكم السارقُ والسارقة .

والخبر عند المبرِّد وغيره : ﴿فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ ، ودخلت الفاء ؛ لتضمن معنى الشرط .

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ الآية ؛ توبة السارق : هي أن يندم على ما مضى ، ويُقلع فيما يستقبل ، ويرد ما سرق إلى من يستحقه .

واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم :

هل يسقط عنه القطع ؟ وهو مذهب الشافعي ؛ لظاهر الآية .

أو لا يسقط عنه ؟ وهو مذهب مالك ؛ لأن الحدود عنده لا تسقط بالتوبة ، إلا المحارب ؛ للنص عليه .

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ قَدَّم العذاب على المغفرة ؛ لأنه قوبل بذلك تقدُّم^(١) السرقة على التوبة .

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ﴾ الآية ؛ خطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له .

﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ هم المنافقون .

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ يحتمل أن يكون :

عطفًا على ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ ، ثم يكون ﴿سَمَّعُونَ﴾ استئناف إخبار عن

(١) في د : «تقديم» .

الصَّنْفَيْنِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودَ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ استثناءً منقطعاً مما قبله،
و﴿سَمْعُونَ﴾ راجع إليهم خاصةً.

﴿سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أي: يسمعون^(١) كلام قوم آخرين من اليهود
الذين لا يأتون النبي ﷺ؛ لإفراط البُغْضَةِ والمجاهرة بالعداوة؛ فقوله:
﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ صفة لـ ﴿قَوْمٍ آخَرِينَ﴾.

والمراد بالقوم الآخرين: يهود خيبر، والسَّمَاعُونَ للكذب: بنو قُرَيْظَةَ.
﴿يُخْرِقُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: يبدّلونه من بعد أن وُضِعَ في
مواضعه، وقُصِدَتْ به وجوهه القويمة، وذلك من صفة اليهود.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ نزلت بسبب أن يهودياً زنى يهودية؛
فسأل رسول الله ﷺ اليهودَ عن حدِّ الزاني عندهم فقالوا: نجلدهما ونُحْمَمُ
وجوههما، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إِنْ فِي التَّوْرَةِ الرَّجْمُ»، فَأَنكَرُوا
ذلك، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَيَقْرَءُوهَا، وجعل أحدهم يده على آية الرجم،
فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك!، فَرَفَعَ، فإذا آية الرجم، فَأَمَرَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ بِالْيَهُودِيِّ وَالْيَهُودِيَةِ فَرُجِمَا^(٢).

فمعنى قولهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾: إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُمْ مِنَ
الْجَلْدِ وَالتَّحْمِيمِ فَخُذُوهُ وَاعْمَلُوا بِهِ، ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ وَأَفْتَاكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ
بغيره ﴿فَأَحْذَرُوا﴾.

(١) في د: «سماعون».

(٢) أخرجه البخاري (١٣٢٩)، ومسلم (١٦٩٩).

﴿فِتْنَتْهُ﴾ أي: ضلّالته^(١) في الدنيا، أو عذابه في الآخرة.
 ﴿فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: الذّلة، والمسكنة، والجزية^(٢).
 ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ إن كان الأول في اليهود: فكُرّر هنا تأكيدًا.
 وإن كان الأول في المنافقين واليهود: فهذا في اليهود خاصة.
 ﴿أَكَلُونَ لِلشُّحِّ﴾ أي: للحرام؛ من الرشوة والربا وشبه ذلك.
 ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا تخيير للنبي ﷺ في أن يحكم بين اليهود أو يتركهم، وهو أيضًا يتناول الحكام.
 وقيل: إنه منسوخ بقوله: ﴿وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾.
 ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ﴾ الآية؛ استبعادًا لتحكيمهم النبي ﷺ وهم لا يؤمنون به،
 مع أنهم يخالفون حكم التوراة التي يدعون الإيمان بها.
 فمعنى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: يتولّون عن اتباع حكم الله
 في التوراة من بعد كون حكم الله فيها موجودًا عندهم، ومعلومًا في قضية^(٣)
 الرجم وغيرها.
 ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى عليه السلام،
 وهذا إلزام لهم؛ لأن من خالف كتاب الله وبدّله فدعواه الإيمان به باطل.

(١) في ب، ج، هـ: «ضلّاله».

(٢) هذه الكلمة لم ترد في ج، هـ.

(٣) في ب، د: «قصة».

[إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾] وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾] وَفَقِينَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ يَعْنِي ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾] وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾] وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَقِيمُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٤٨﴾] وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾] أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾] .

﴿النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ هم الأنبياء الذين بين موسى ومحمد ﷺ .

ومعنى ﴿أَسْلَمُوا﴾ هنا : أخلصوا لله ، وهي صفة مدح أُريد بها التعريض باليهود ؛ لأنهم بخلاف هذه الصفة .

وليس المراد هنا : الإسلام الذي هو ضد الكفر ؛ لأن الأنبياء لا يقال فيهم : أسلموا على هذا المعنى ؛ لأنهم لم يكفروا قط ، وإنما هو كقول

إبراهيم عليه السلام: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ متعلق بـ ﴿يَحْكُمُ﴾؛ أي: يحكم الأنبياء بالتوراة للذين هادوا، ويحملونهم عليها.

وقيل: يتعلق بقوله: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾.

﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا﴾ أي: كُلُّفُوا حفظه، والباء هنا: سببية. قاله الزمخشري^(١).

ويحتمل أن تكون بدلاً من المجرور في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾.

﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ﴾ وما بعده: خطاب لليهود.

ويحتمل أن تكون^(٢) وصية للمسلمين يراد بها التعريض باليهود؛ لأن ذلك من أفعالهم.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال ابن عباس: نزلت الثلاثة في اليهود؛ ﴿الْكَافِرُونَ﴾، و﴿الظَّالِمُونَ﴾، و﴿الْفَاسِقُونَ﴾. وقد روي في هذا أحاديث عن النبي ﷺ^(٣).

وقال جماعة: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم، إلا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان.

(١) الكشاف (٣٦٧/٥).

(٢) في ب، ج، هـ، د: «يكون».

(٣) أخرجه مسلم (١٧٠٠).

وقال الشعبي: ﴿الْكَافِرُونَ﴾: في المسلمين، و﴿الظَّالِمُونَ﴾: في اليهود، و﴿الْفَاسِقُونَ﴾ في النصارى.

﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ ﴿كُتِبْنَا﴾ بمعنى:

الكتابة في الألواح.

أو بمعنى الفرض والإلزام.

والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لبني إسرائيل، وفي قوله: ﴿فِيهَا﴾ للتوراة.

﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أي: تُقْتَلُ النفس إذا قُتِلَتْ نفسًا، وهذا إخبارٌ عما في التوراة، وهو حكمٌ في شريعتنا بإجماع، إلا أن هذا اللفظ عام، وقد خَصَّصَ العلماء منه أشياء، فقال مالك: لا يقتل مؤمن بكافر؛ للحديث الوارد في ذلك^(١)، ولا يقتل حرٌّ بعبد؛ لقوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقد تقدَّم الكلام على ذلك في «البقرة»^(٢).

﴿وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ﴾ وما بعده: حُكِمَ الْقِصَاصُ فِي الْأَعْضَاءِ.

والقراءة بنصب ﴿وَالْعَيْنُ﴾ وما بعده: عَطْفٌ عَلَى ﴿النَّفْسِ﴾.

وقرئ بالرفع، ولها ثلاثة أوجه:

أحدها: العطف على موضع ﴿النَّفْسِ﴾؛ لأن المعنى: قلنا لهم: النفس بالنفس.

والثاني: العطف على الضمير الذي في الخبر؛ وهو ﴿بِالنَّفْسِ﴾.

(١) أخرجه البخاري (١١١).

(٢) انظر صفحة ٤٠٠/١.

والثالث: أن يكون مستأنفاً مرفوعاً بالابتداء .

﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ بالنصب : عطفٌ على المنصوبات قبله .

وبالرفع : على الأوجه الثلاثة التي في رفع ﴿وَالْعَيْنَ﴾ .

وهذا اللفظ عامٌ، يراد به الخصوص في الجراح التي لا يُخاف على النفس منها .

﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : مَنْ تصدَّق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه فذلك كفارةٌ له ؛ يكفر الله ذنوبه ؛ لعفوه وإسقاطه حقه .

والثاني : مَنْ تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل أو الجراح ؛ يعفو الله عنه في ذلك ؛ لأن صاحب الحق قد عفا عنه .

فالضمير في ﴿لَهُ﴾ :

على التأويل الأول : يعود على «مَنْ» التي هي كناية عن المقتول أو المجروح ، أو الولي .

وعلى الثاني : يعود على القاتل أو الجراح وإن لم يجر له ذكرٌ ؛ ولكن سياق الكلام يقتضيه .

والأول أرجح ؛ لعود الضمير على مذكور ؛ وهو «مَنْ» ، ومعناها واحد على التأويلين .

والصدقة بمعنى العفو على التأويلين :

إلا أن التأويل الأول : بيانٌ لأجر من عفا ، وترغيبٌ في العفو .

والتأويل الثاني: بيان لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عُفي عنه .

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قد تقدّم معنى ﴿مُصَدِّقًا﴾ في «البقرة»^(١).

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: التوراة؛ لأنها قبله، والقرآن مصدّق للتوراة والإنجيل، لأنهما قبله.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطف على موضع قوله: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾؛ لأنه في موضع الحال.

﴿وَمُهَيِّمًا﴾ ابن عباس: شاهدًا، وقيل: مؤتمنًا.

﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ تضمّن الكلام معنى: «لا تنصرف» أو «لا تنحرف» ولذلك تعدى بـ «عن».

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ ابن عباس: سبيلًا وسنة.

والخطاب: للأنبياء، أو للأمم.

والمعنى: أن الله جعل لكلّ أمة شريعة يتبعونها.

وقد استدللّ بها من قال: إن شريعة من قبلنا ليس بشرع لنا؛ وذلك في الأحكام والفروع.

وأما الاعتقادات^(٢)؛ فالدين فيها واحدٌ لجميع العالم؛ وهو الإيمان بالله، وتوحيده، وتصديق رسله، والإيمان بالدار الآخرة.

(١) انظر صفحة ٣٠٨/١.

(٢) في أ، ب، د: «في الاعتقادات».

﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ استدلالاً بها^(١) قومٌ على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها، وهذا متفق عليه في العبادات كلها، إلا الصلاة؛ ففيها خلاف: فمذهب الشافعي: أن تقديمها في أول وقتها أفضل.

وعكس أبو حنيفة.

وفي مذهب مالك خلافٌ وتفصيل.

واتفقوا أن تقديم المغرب أفضل.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم عِطْفُ﴾

على «الكتاب» في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾.

أو على «الحق» في قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾.

وقال قوم: إن هذا وقوله قبله: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم﴾ ناسخٌ لقوله: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: ناسخٌ للتخيير الذي في الآية.

وقيل: إنه ناسخٌ للحكم بالتوراة.

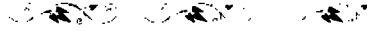
ونزلت الآية بسبب قوم من اليهود؛ طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم فأبى من ذلك، ونزلت الآية تقتضي أن يحكم بينهم.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ توبيخٌ لليهود.

وقرئ بالياء: إخباراً عنهم، وبالتاء: خطاباً لهم.

(١) في ج، هـ: «به».

﴿لَقَوْمٍ يُوقَتُونَ﴾ قال الزمخشري: اللام لليان؛ أي: هذا الخطاب لقوم يوقنون؛ فإنهم الذين يتبين لهم أنه لا أحسن من الله حكماً^(١).



(١) انظر: الكشاف (٥/٣٨٥).

[﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْهِقُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ تَدْمِينٌ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّهَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٥٦)] .

﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَآءَ﴾ سببها : موالة عبد الله بن أبي بن سلول ليهود بني قينقاع ، وخلع عبادة بن الصامت الحلف الذي كان بينه وبينهم .
ولفظها عامٌ ، وحكمها باقي .

ولا يدخل فيه معاملتهم في البيع وشبهه .

﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ تغليظ في الوعيد ، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه ، ومن خالفهم في اعتقادهم وأحبهم فهو منهم في المقت عند الله ، واستحقاق العقوبة .

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ هم المنافقون ؛ والمراد هنا : عبد الله بن أبي بن سلول ومن كان معه .

﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ كان عبد الله بن أبي يوالي اليهود ويستكثر بهم ، ويقول : إني رجل أخشى الدوائر .

﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ الفتح : هو ظهور النبي ﷺ والمسلمين .

والأمر من عند الله :

هو هلاك الأعداء بأمر من عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق .

أو أمر من الله لرسوله ﷺ بقتل اليهود .

﴿فَيُضَيِّحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ تَدْمِينًا﴾ الضمير في ﴿فَيُضَيِّحُوا﴾ للمنافقين ، والذي أسروه : هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين ، وإضمارُ العداوة للمسلمين .

﴿يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قرئ : ﴿يَقُولُ﴾ بغير واو ؛ استئناف إخبار .

وقرئ بالواو والرفع ؛ وهو عطف جملة على جملة .

وبالواو والنصب ؛ عطفًا على ﴿أَن يَأْتِيَ﴾ ، أو على ﴿فَيُضَيِّحُوا﴾ .

﴿أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا﴾ الإشارة إلى المنافقين ؛ لأنهم كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين .

وانتصب ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ على المصدر المؤكّد .

﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ يحتمل أن يكون : من كلام المؤمنين ، أو من كلام الله .

ويحتمل أن يكون : دعاء ، أو خبرًا .

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُم عَن دِينِهِ﴾ خطابٌ على وجه التحذير والوعيد ، وفيه

إعلامٌ بارتداد بعض المسلمين، فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه، ثم وقع؛ فارتدَّ في حياة رسول الله ﷺ بنو حنيفة قومٌ مُسيلمَة الكذاب، وبنو مُدْلِج قوم الأسود العنسي الذي ادعى النبوة، وقُتِل في حياة رسول الله ﷺ، وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة ثم أسلم وجاهد، ثم كثر المرتدون، وفشا أمرهم بعد موت رسول الله ﷺ، حتى كفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وكانت القبائل التي ارتدت بعد وفاة رسول الله ﷺ سبع قبائل: بنو فزارة، وعُظفان، وبنو سُليم، وبنو يربوع، وكندة، وبنو بكر بن وائل، وبعض بني تميم، ثم ارتدت غسان في زمان عمر بن الخطاب، وهم قوم جبلة بن الأيهم الذي تنصر من أجل اللطمة^(١).

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ روي أن رسول الله ﷺ قرأها، وقال: «هم قوم هذا»^(٢)، يعني: أبا موسى الأشعري، والإشارة بذلك - والله أعلم - إلى أهل اليمن؛ لأن الأشعريين من أهل اليمن.

وقيل: المراد أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة، ويقوي ذلك: ما ظهر من أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الجِدِّ في قتالهم، والعزم عليه حين^(٣) خالفه في ذلك بعض الناس، فاشتدَّ عزمه حتى وافقوه وأجمعوا معه، فنصرهم الله على أهل الردة، ويقوي ذلك أيضًا: أنَّ الصفات التي وُصف

(١) انظر قصته في فتوح الشام، للواقدي (١/ ١٠٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٥٢١).

(٣) في ب، ج، هـ: «حتى».

بها هؤلاء القوم هي أوصاف أبي بكر، ألا ترى قوله: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وكان أبو بكر ضعيفاً في نفسه، قوياً في الله، وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ إشارة إلى من خالف أبا بكر ولأمه في قتال أهل الردة فلم يرجع عن عزمه.

﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ كقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وإنما تعدى ﴿أَذِلَّةٌ﴾ بـ «على»؛ لأنه تضمن معنى العطف والحنو.

فإن قيل: أين الراجع من الجزاء إلى الشرط؟

فالجواب: أنه محذوف؛ تقديره: من يتردد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم، أو بقوم يقاتلونهم^(١).

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ ذكر الولي بلفظ المفرد؛ إفراداً لله تعالى بها، ثم عطف على اسمه تعالى الرسول ﷺ والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قال: «إنما أولياؤكم» لم يكن في الكلام أصل وتبع.

﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ قيل: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فإنه سأله سائل وهو راكع في الصلاة، فأعطاه خاتمه.

وقيل: هي عامة، وذكر الركوع بعد الصلاة؛ لأنه من أشرف أعمالها. فالواو:

على القول الأول: واو الحال.

(١) انظر: الكشاف (٥/٣٩٥).

وعلى الثاني: للعطف^(١).

﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ هذا من إقامة الظاهر مقامَ المضمَر؛ معناه: فإنهم هم الغالبون.

(١) في د: «عطفٌ على (الذين)».

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّوْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُم إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابُ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَن ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَوكُم قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءَاللَّهُ أَغْلَرُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ءَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِتَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾].

﴿وَالْكَفَّارَ﴾ بالنصب: عطف على ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾.

وقرئ بالخفض: عطف على ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، ويعضده قراءة ابن مسعود: «ومن الكفار».

ويراد بهم: المشركون من العرب.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُم إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية؛ روي أن رجلاً من النصارى كان بالمدينة إذا

سمع المؤذن يقول: «أشهد أن محمداً رسول الله» قال: حَرَقَ الله الكاذبَ، فوقعت النار في بيته واحترق هو وأهلُه.

واستدلَّ بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ جعل قِلَّةَ عقولهم علةً لاستهزائهم بالدين.
﴿هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾ أي: هل تَعِيبُونَ علينا وتُنْكِرُونَ مِنَّا إِلَّا إيماننا بالله،
وبجميع كتبه ورسله!، وذلك أمرٌ لا ينكر ولا يعاب، ونظيرُ هذا في الاستثناء العجيب قول النابغة:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفهم بهنَّ فُلُولٌ من قِراعِ الكتائبِ^(١)

ونزلت الآية بسبب أبي ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وجماعة من اليهود؛ سألوا رسول الله ﷺ عن الرسل الذين يؤمن بهم، فتلا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] إلى آخر الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به.

﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ﴾ قيل: إنه معطوف على ﴿أَنْ ءَامَنَّا﴾.

وقيل: على ﴿وَمَا أُنزِلَ﴾.

وقيل: هو تعليلٌ معطوف على تعليلٍ محذوف؛ تقديره: هل تنقمون مِنَّا إِلَّا لِقلةِ إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون!.

ويَحتمل أن يكون ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ﴾ مبتدأً، وخبره محذوف تقديره: فسُقُكم معلومٌ، أو ثابت.

(١) انظر: ديوان النابغة، بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ص: ٤٤).

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ﴾ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَعْيُونَ الْمُسْلِمِينَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَرَسُولِهِ؛ ذَكَرَ عَيُوبَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي مَقَابِلَةِ ذَلِكَ؛ رَدًّا عَلَيْهِمْ. فَالْخُطَابُ فِي ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ لِلْيَهُودِ، وَالْإِشَارَةُ بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ هِيَ مِنَ الثَّوَابِ، وَوَضَعَ الثَّوَابَ مَوْضِعَ الْعِقَابِ؛ تَهْكُومًا بِهِمْ؛ نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ يَعْنِي: الْيَهُودَ، وَ«مَنْ»:

فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِخَبَرِ ابْتِدَاءٍ مُّضْمَرٍ؛ تَقْدِيرُهُ: هُوَ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ.

أَوْ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ «شَرٍّ».

وَلَا بَدَّ فِي الْكَلَامِ مِنْ حَذْفِ مُضَافٍ؛ تَقْدِيرُهُ: «بِشَرٍّ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ»، أَوْ تَقْدِيرُهُ: «دِينِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ».

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ مُسِيخٌ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ قُرُودًا^(١) حِينَ اعْتَدَوْا فِي السَّبْتِ، وَمُسِيخٌ قَوْمٌ مِنْهُمْ خَنَازِيرٌ حِينَ كَذَّبُوا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ.

﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ الْقِرَاءَةُ بِفَتْحِ الْبَاءِ: فَعَلٌ مُّعْطُوفٌ عَلَى ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾.

وَقَرَأَ بِضَمِّ الْبَاءِ وَخَفْضِ ﴿الطَّاغُوتَ﴾؛ عَلَى أَنْ يَكُونَ «عَبْدٌ» اسْمًا عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ كـ «يَقْطِطُ»، أُضِيفَ إِلَى «الطَّاغُوتِ».

وَقَرَأَ: «وَعَابَدَ» «وَعُبادًا» =

(١) فِي د: «قُرْدَةٌ».

وهي في هذه الوجوه عطفٌ على ﴿الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ .

﴿شَرُّ مَكَانًا﴾ أي : منزلةً ، ونسب الشرِّ للمكان وهو في الحقيقة لأهله ؛ وذلك مبالغة في الذم .

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾ نزلت في منافقين من اليهود .

﴿دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ تقديره : مُلتَبِسِينَ^(١) بالكفر ، والمعنى : دخلوا كفارًا وخرجوا كفارًا .

ودخلت «قد» على ﴿دَخَلُوا﴾ و﴿خَرَجُوا﴾ ؛ تقريبًا للماضي من الحال ؛ أي : ذلك حالهم في دخولهم وخروجهم على الدوام .

﴿فِي الْإِثْمِ﴾ الكذب ، وسائر المعاصي .

﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم .

﴿السَّحْتِ﴾ الحرام .

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمْ﴾ عرضٌ وتحضيضٌ وتقريعٌ .

﴿لَيْتَ﴾ اللام في الموضعين للقسم .

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ غَلُّ اليد : كناية عن البخل ، وبَسْطُهَا : كناية عن الجود ؛ ومنه : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ أي : لا تَبْخُلْ كُلَّ البخل ، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء : ٢٩] أي : لا تُجِدْ كُلَّ الجود .

وروي أنَّ اليهود أصابتهم سنةٌ جهِدَ فقالوا هذه المقالة الشنيعة ، وكان

(١) في ب ، د : «ملتبسين» .

الذي قالها فَنَحَاصُّ، ونُسِبت إلى جملة اليهود؛ لأنهم رضوا بقوله.

﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ: دعاء أو خبرًا.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ: في الدنيا أو في الآخرة.

فَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا: فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِهِ: البُخْلُ، أَوْ غَلُّ أَيْدِيهِمْ فِي الْأَسْرِ.

وَإِنْ كَانَ فِي الْآخِرَةِ: فَهُوَ جَعَلُ الْأَغْلَالِ فِي جَهَنَّمَ.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عبارة عن إنعامه وجوده.

وإنما تُنِيتَ اليَدَانِ هنا وأفردت في قول اليهود: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾؛ ليكون ردًا عليهم، ومبالغة في وصفه تعالى بالجود؛ كقول العرب: «فلان يعطي بكلتا يديه»؛ إذا كان عظيم السخاء^(١).

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ إيقاد النار: عبارة عن محاولة الحرب،

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: (عبارة عن إنعامه وجوده) إلخ، أقول: إن أراد بذلك تفسير اليدين، فهذا تأويل يجري على طريقة أهل التأويل من نفاة الصفات؛ فإنهم يجمعون بين التعطيل والتحريف، وإن أراد ما يدل عليه بسط اليدين بكثرة الإنفاق فهو معنى صحيح، يؤيده قوله تعالى: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، ولا يقتضي ذلك نفي حقيقة اليدين، وسياق كلام المؤلف يشعر بالنفي، وليرجع في معرفة حقيقة مذهبه إلى كلامه عند قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْكَ﴾؛ فإنه قال هناك «قوله: ﴿بِيَدَيْكَ﴾ من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به، وتسليم علم حقيقته إلى الله، وقال المتأولون: هو عبارة عن القدرة» أه، وقال نظير ذلك عند قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيَاتِنَا أَنْعَمْنَا﴾. ويظهر من ذلك أن ابن جزي يذهب إلى التفويض، وحقيقته إجراء النصوص ألفاظا، من غير فهم لمعناها. والتفويض والتأويل مذهبان لنفاة الصفات، كلها أو بعضها.

وإطفأوها : عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم .

ويَحْتَمِلُ أن يراد بذلك :

أسلافهم .

أو يراد مَنْ كان معاصراً للنبي ﷺ منهم ، وَمَنْ يَأْت بعدهم ، (فيكون على هذا إخباراً بغيب ، وبشارة للمسلمين^(١) .

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ الآية ؛ يَحْتَمِلُ أن يريد :

أسلافهم .

أو المعاصرين للنبي ﷺ^(٢) ، فيكون على هذا ترغيباً لهم في الإيمان والتقوى .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ إقامتها : بالعمل .

وَذَكَرُ الْإِنْجِيلِ دليلٌ على دخول النصارى في لفظ أهل الكتاب .

﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ قيل : ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ عبارة عن

المطر ، ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ عبارة عن النبات والزرع .

وقيل : ذلك استعارة في توسعة الرزق من كل وجه .

﴿أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ أي : معتدلة ، ويراد به :

مَنْ أسلم منهم ؛ كعبد الله بن سلام .

وقيل : مَنْ لم يُعَادِ الأنبياء المتقدمين .

(١) في ب : «فهو على هذا إخبارٌ بغيب وبشارة للمسلمين» .

(٢) ما بين القوسين سقط من ج ، هـ .

[يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالْأَصْرِيُّونَ وَالْأَحْزَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاءَ أَوْلِيَاءُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا فَكَفَى لِلظَّالِمِينَ جَعْدًا وَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَنَّ تَكْوِينَ فَتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِيَّ إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثُلَاثٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَفْعَلُوا وَلَا تَقْعَلُوا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرِ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾].

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أمرٌ بتبليغ جميع ما أوحى إليه على الاستيفاء والكمال؛ لأنه كان قد بَلِّغَ، وإنما أمر هنا أن لا يتوقَّفَ عن شيءٍ مخافةً أحدٍ.

﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغْتَ رِسَالَاتِهِ﴾ هذا وعيدٌ على تقدير عدم التبليغ .

وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان :

أحدهما : أن المعنى : إن تركت منه شيئاً فكأنك لم تبلغ شيئاً ، وصار ما بَلَغْتَ لا يُعتدُّ به ، فمعنى ﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ﴾ : إن لم تستوفِ التبليغَ على الكمال .

والآخر : أن المعنى : إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقابٌ مَنْ كَتَمَهَا ، ووضع السبب موضعَ المسبَّب .

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وعدٌ وضمانٌ للعصمة ، وكان رسول الله ﷺ يخاف أعداءه ويحترس منهم في غزواته وغيرها ، فلما نزلت هذه الآية قال : «يا أيها الناس ! ، انصرفوا فإن الله قد عصمني»^(١) وترك الاحتراس .

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ الآية ؛ أي : لستم على دينٍ يُعتدُّ به يسمى شيئاً حتى تقيموا التوراة والإنجيل ، ومن إقامتها : الإيمانُ بمحمد ﷺ .

وقوله : ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم﴾ قال ابن عباس : يعني : القرآن .

ونزلت الآية بسبب رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ورافع بن حريملة^(٢) وغيرهم من اليهود ؛ جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها ، ولا نؤمن بك ولا نتبعك .

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٤٦) .

(٢) في أ ، د كذا : «خرعة» وهو تصحيف ، والمثبت هو الصواب كما في سيرة ابن هشام (٥٦٨/١) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ تقدّم الكلام على نظيرتها في «البقرة»^(١).
 ﴿وَالصَّابُونَ﴾ قراءة السبعة بالواو؛ وهي مشكّلة، حتى قالت عائشة:
 «هي من لحن كتاب المصحف»^(٢).

وإعرابها:

عند أهل البصرة: مبتدأ وخبره محذوف؛ تقديره: والصابون كذلك، وهو
 مقدّم في نية التأخير.

وأجاز بعض الكوفيين فيه: أن يكون معطوفاً على موضع اسم «إِنَّ».
 وقيل: «إِنَّ» هنا بمعنى «نَعَمْ»، وما بعدها مرفوع بالابتداء. وهو ضعيف.
 ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ أي: بلاء واختبار.
 وقرئ ﴿تَكُونَ»:

بالرفع؛ على أن تكون «أَنْ» مخففة من الثقيلة.
 وبالنصب؛ على أنها مصدرية.

﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ عبارة عن تماديهم على المخالفة والعصيان.
 ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: إن هذه التوبة ردّ ملكهم ورجوعهم إلى بيت
 المقدس بعد خروجهم منه، ثم أخرجوا المرة الثانية فلم ينجبر حالهم أبداً.
 وقيل: التوبة: بعث عيسى.

(١) انظر صفحة ٣٢٢/١.

(٢) انظر تخريجه والتعليق عليه صفحة ١٣٢.

وقيل: بعث محمد ﷺ .

﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بدلٌ من الضمير .

أو فاعلٌ؛ على لغة: «أكلوني البراغيث» .

والبديل أرجح وأفصح .

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ﴾ الآية؛ ردُّ على النصارى، وتكذيبٌ لهم .

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يحتمل أن يكون: من كلام المسيح، أو من كلام الله .

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية؛ ردُّ على من جعله إلهاً .

﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ بناءٌ مبالغة؛ من الصَّدَق، أو من التَّصْدِيق .

ووصفُها بهذه الصفة دون النبوة يدفع قولَ من قال: إنها نبيَّةٌ .

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ استدلالٌ على أنهما ليسا بالهين؛

لاحتياجهما إلى الغذاء الذي لا يحتاج إليه إلا مُحَدَّثٌ مُفْتَقِرٌ، ومن كان كذلك فليس بإله؛ لأن الإله منزَّهٌ عن صفات الحدوث^(١)، وعن كلِّ ما يلحق بالبشر .

وقيل: إن قوله: ﴿يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ عبارةٌ عن الاحتياج إلى الغائط .

ولا ضرورةً تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره؛ لأن الحجة قائمةٌ بالوجهين .

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك في المقدمة الثانية في اللغات عند المادة رقم (٤٩٥) .

﴿ثُمَّ أَنْظِرْ﴾ دخلت «ثم»؛ لتفاوت الأمرين، ولقصد التعجيب من كفرهم بعد بيان الآيات.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية؛ إقامة حجة على من عبد عيسى وأمه وهما لا يملكان ضرًا ولا نفعًا.

﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ﴾ خطاب للنصارى، والغلو: الإفراط، وبسبب ذلك كفر النصارى.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾ قيل: هم أئمتهم في دين النصرانية؛ كانوا على ضلال في عيسى، وأضلوا كثيرًا من الناس، ثم ضلُّوا بكفرهم بمحمد ﷺ. وقيل: هم اليهود.

والأول أرجح؛ لوجهين:

أحدهما: أن الضلال وصف لازم للنصارى، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾!

والآخر: أنه يبعد نهى النصارى عن اتباع اليهود، مع ما بينهم من الخلاف والشقاق.

[لِإِنِّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَتَزَلُ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﷻ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ ذَلِكَ يَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسَاتٍ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾]

﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: في الزبور والإنجيل.

﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي: لا يَنْهَى بعضهم بعضاً عن منكر.

فإن قيل: لم وصف المنكر بقوله: ﴿فَعَلُوهُ﴾ والنهي لا يكون بعد الفعل؟

فالجواب: أن المعنى: لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر^(١)
أرادوا فعله^(٢).

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾: إن أراد أسلافهم: فالرؤية بالقلب.

(١) في هامش أ زيادة: «خ: إن» أي: إن أرادوا فعله، والمثبت موافق لما في الكشاف.

(٢) انظر: الكشف (٥/٤٥٤).

وإن أراد المعاصرين للنبي ﷺ - وهو الأظهر - فهي رؤية عين .

﴿وَالنَّبِيُّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني : محمداً ﷺ .

﴿مَا أَخَذُوا مِنْهُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي : ما اتخذوا الكفار أولياء .

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾ الآية ؛ إخباراً عن شدة عداوة اليهود وعبدة الأوثان للمسلمين .

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً﴾ الآية ؛ إخباراً أن النصارى أقرب إلى مودة المسلمين .

وهذا الأمر باقٍ إلى آخر الدهر ، فكل يهوديٍّ شديد العداوة للإسلام والكيد لأهله .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا رُسُلَنَا﴾ تعليلٌ لقرب مودتهم ، والقسّيس : العالم ، والراهب : العابد .

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ الآية ؛ هي في النجاشي ، وفي الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله ﷺ ، وهم سبعون رجلاً ، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن ، فبكوا كما بكى النجاشي حين قرأ عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه سورة «مريم» .

وقال السهيلي : نزلت في وفد نجران ، وكانوا نصارى عشرين رجلاً ، فلما سمعوا القرآن بكوا^(١) .

﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ «من» الأولى : سبيّة ، والثانية : لبيان الجنس .

(١) انظر : التعريف والإعلام ، للسهيلي ، ص : ٩٩ .

﴿ءَامَنَّا﴾ أي: بالقرآن من عند الله.

﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع المسلمين، وكذلك: ﴿مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ توقيف لأنفسهم، أو محاجة لغيرهم.

﴿وَنَطْمَعُ﴾ قال الزمخشري: الواو للحال^(١).

وقال ابن عطية: لعطف جملة على جملة، لا لعطف فعل على فعل^(٢).



(١) انظر: الكشف (٥/ ٤٦٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٣٦).

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَتِ مَا ءَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُم بِمَا عَقَدْتُمُ الْاَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رُسُولِنَا أَلْبَلَغُ الْعِلْمِ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾].

﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ سببها : أن قوماً من الصحابة غلب عليهم خوف الله إلى أن حرّم بعضهم النساء ، وبعضهم النوم بالليل ، وبعضهم أكل اللحم ، وهم بعضهم أن يَحْتَضُوا وَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ ، فقال رسول الله ﷺ : «أَمَا أَنَا فَأَقُومُ وَأَنَامُ ، وَأَصُومُ وَأُفِطِرُ ، وَآتِي النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي : لَا تُفْرِطُوا فِي التَّشْدِيدِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا شَرَعَ لَكُمْ.

﴿وَكُلُوا﴾ أي : تَمَتَّعُوا بِالْمَأْكَلِ الْحَلَالِ ، وَبِالنِّسَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

وإنما خصَّ الأكل بالذكر؛ لأنه أعظم حاجات الإنسان.

﴿بِاللَّغْوِ﴾ تقدّم في «البقرة»^(١).

﴿بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَنَ﴾ أي: بما قصدتم عقده بالنية.

وقرئ ﴿عَقَدْتُمُ﴾ بالتخفيف، و﴿عَاقَدْتُمُ﴾ بالآلف.

﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ اشتراط المسكنة دليلٌ على أنه لا يُجزئ في الكفارة إطعام غنيٍّ، فإن أطعمه جهلاً لم يُجزئه على المشهور من المذهب. واشترط مالك أيضاً: أن يكونوا أحراراً مسلمين، وليس في الآية ما يدلُّ على ذلك.

﴿مَنْ أَوْسَطَ مَا تَطْعُمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ اختلف في هذا التوسط؛ هل هو في القدر أو في الصنف؟ واللفظ يحتمل الوجهين. فأما القدر:

فقال مالك: يُطعم بالمدينة: مدٌّ بمدّ النبي ﷺ، وبغيرها: وسطٌ من الشَّبع.

وقال الشافعي وابن القاسم: يُجزئ المدُّ في كل مكان.

وقال أبو حنيفة: إن غداهم وعشاهم أجزاء.

وأما الصنف: فاختلف هل يُطعم من عيش نفسه، أو من عيش أهل بلده؟ فمعنى الآية على التأويل الثاني: من أوسط ما تطعمون -أيها الناس-

(١) انظر صفحة ٤٤٢/١.

أهليكم على الجملة.

وعلى الأول: يختص الخطاب بالمكفر.

﴿أَوْ كَسَوْتُهُمْ﴾ قال كثير من العلماء: يُجزئ ثوب واحد لمسكين؛ لأنه يقال فيه: كِسُوَةٌ.

وقال مالك: إنما يُجزئ^(١) ما تصح به الصلاة، فالرجل^(٢) ثوب واحد، والمرأة^(٣) قميص وخمار.

﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ اشترط مالك فيها: أن تكون مؤمنة؛ لتقيدها بذلك في كفارة القتل، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيد.

وأجاز أبو حنيفة هنا: عتق الكافر؛ لإطلاق اللفظ هنا.

واشترط مالك أيضًا: أن تكون سليمة من العيوب. وليس في اللفظ ما يدل على ذلك.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ أي: مَنْ لم يملك ما يُعتق ولا ما يُطعم ولا ما يكسو؛ فعليه صيام ثلاثة أيام، فالخصال الثلاثة^(٤) على التّخيير، والصيام مرتب بعدها لمن عَدِمها.

وهو عند مالك: مَنْ لم يَفْضُل عن قوته وقوت عياله في يومه زيادةً.

(١) في د: «يجزئه».

(٢) في ج، د: «فللرجل».

(٣) في ج، د: «وللمرأة».

(٤) في أ: «الثلاث».

﴿ذَلِكَ كَفَرَةٌ أَيَمَنَ كُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ معناه: إذ حلفتم وحيثتم، أو أردتم الحنث.

واختلف: هل يجوز تقديم الكفارة على الحنث أم لا؟.

﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ أي: احفظوها فبرؤا فيها، ولا تحنثوا.

وقيل: احفظوها بأن تكفروها إن^(١) حنثتم.

وقيل: احفظوها؛ أي: لا تنسوها تهاونا بها.

﴿الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ مذكوران في «البقرة»^(٢).

﴿وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ﴾ مذكوران في أول هذه السورة^(٣).

﴿رَجَسٌ﴾ هو في اللغة: كلٌ مكروه مذموم، وقد يطلق بمعنى النجس، وبمعنى الحرام.

وقال ابن عباس هنا^(٤): ﴿رَجَسٌ﴾: سُخْطٌ.

﴿فَأَجْنِبُوهُ﴾ نصٌّ في التحريم، والضمير يعود على الرّجس؛ الذي هو خبرٌ عن جميع الأشياء المذكورة.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ تقبيحٌ للخمير والميسر، وذكر لبعض عيوبها، وتعليلٌ لتحريمها.

(١) في د: «إذا»، وكذا في هامش أ ورمز لها بـ«خ».

(٢) انظر صفحة ٤٣٦/١.

(٣) انظر صفحة ١٤٤.

(٤) في د: «معنى» بدل «هنا».

وقد وقعت في زمان الصحابة عداوة بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها، ويقال: إن ذلك كان سبب نزول الآية.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ توقيفٌ يتضمَّن الرِّجْر والوعيد؛ ولذلك قال عمر لما نزلت: «انتھينا انتھينا»^(١).

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ فيها تأويلان: أحدهما: أنه لما نزل تحريم الخمر قال قومٌ من الصحابة: كيف بمن مات منّا وهو يشربها؟ فنزلت الآية مُعلِّمةً أنه لا جُنَاح على من شربها قبل التَّحريم؛ لأنه لم يعص الله بشربها حينئذٍ.

والآخر: أن المعنى: رفعُ الجُنَاح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها، وعلى هذا أخذها عمر رضي الله عنه حين قال لِقْدَامَة: «إنك إذا اتَّقيتَ الله اجتنبت ما حرم عليك»، وكان قدامَة قد شربها واحتجَّ بهذه الآية على رفع الجناح عنه، فقال له عمر: «أخطأت التأويل»^(٢).

﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا﴾ الآية؛ قيل: كرَّر التقوى مبالغةً.

وقيل: الرُّتبة الأولى: اتقاء الشرك، والثانية: اتقاء المعاصي، والثالثة: اتقاء ما لا بأس به؛ حذرًا مما به البأسُ.

وقيل: الأولى: للزمان الماضي، والثانية: للحال، والثالثة: للمستقبل.

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٧٢/٧).

﴿وَأَحْسِنُوا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ:

الإحسانَ إلى الناس.

أو الإحسانَ في طاعة الله؛ وهو^(١) المراقبة، وهذا أرجح؛ لأنه درجةٌ فوق التقوى، ولذلك ذكّره في المرة الثالثة وهي الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة: مقام الإسلام، ثم مقام الإيمان، ثم مقام الإحسان.



(١) في أ، ب، هـ: «وهي».

[يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُغُواكَ اللَّهُ يَشَىءُ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَلَّ مِنْكُمْ مُتَعِدًّا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذَا بَلَغَ الْكُفَّةَ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلنَّاسِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكُفَّةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتَيْدَ ذَلِكَ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكِلُ شَيْءًا عَلَيْهِ ﴿٩٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾].

﴿لِيَبْلُغُواكَ اللَّهُ يَشَىءُ مِنَ الصَّيْدِ﴾ أي: يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام، أو في الحرم.

وكان الصيد من معاش العرب ومستعملًا عندهم، فاخترُوا بتركه كما اختبر بنو إسرائيل بالحيوت في السبت.

وإنما قلله في قوله: ﴿يَشَىءُ مِنَ الصَّيْدِ﴾ إشعارًا بأنه ليس من الفتن العظام، وإنما هو من الأمور التي يمكن الصبر عنها.

﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ قال مجاهد: الذي تناله الأيدي: الفِراخ، والبيض، وما لا يستطيع أن يفرّ، والذي تناله الرماح: كبار الصيد.

والظاهر عدم هذا التخصيص.

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ أي: يعلّمه علماً تقوم به الحجّة؛ وذلك إذا ظهر في الوجود.

﴿فَمَنْ أَعَدَّى﴾ أي: بقتل الصيد وهو مُحَرَّمٌ.

والعذاب الأليم هنا: في الآخرة.

﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ معنى ﴿حُرْمٌ﴾: داخلين في الإحرام، أو في الحرم.

و﴿الصَّيْدَ﴾ هنا: عامٌ، خَصَّصَ منه الحديث: الغراب، والجِذَاءَ، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور^(١).

وأدخل مالك في الكلب العقور: كلّ ما يؤذي الناس من السّباع وغيرها.
وقاس الشافعي على هذه الخمسة: كلّ ما لا يؤكل لحمه.

ولفظ الصيد يدخل فيه: ما صيد، وما لم يُصَدَّ مما شأنه أن يصاد.
وورد النهي هنا عن القتل؛ قبل أن يصاد وبعد أن يصاد، وأما النهي عن الاصطياد فيؤخذ من قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ مفهوم الآية يقتضي: أن جزاء الصيد على المتعمّد لا على الناسي، وبذلك قال أهل الظاهر.

وقال جمهور الفقهاء: إن المتعمّد والناسي سواء في وجوب الجزاء، ثم اختلفوا في تأويل قوله: ﴿مُتَعَمِّدًا﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المتعمّد إنما ذكّر ليُناط به الوعيد الذي في قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨).

فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴿١﴾ ؛ إِذْ لَا وَعِيدَ عَلَى النَّاسِي .

والثاني: أن الجزاء على الناسي بالقياس على المتعمد .

والثالث: أن الجزاء على المتعمد ثبت بالقرآن ، وأنَّ الجزاء على الناسي ثبت بالسنة ^(١) .

﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ المعنى : فعليه جزاء .

وقرئ بإضافة ﴿جَزَاءً﴾ إلى ﴿مِثْلٍ﴾ ؛ وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به .

وقيل : ﴿مِثْلٍ﴾ زائدة ؛ كقولك : «أنا أكرمُ مثلك» أي : أكرمُك .

وقرئ ﴿فَجَزَاءً﴾ - بالتثوين - ﴿مِثْلٍ﴾ بالرفع ؛ على البدل ، أو الصفة .

و﴿النَّعَمِ﴾ : الإبل والبقر والغنم خاصة .

ومعنى الآية :

عند مالك والشافعي : أن من قتل صيداً وهو مُحَرَّمٌ أنَّ عليه في الفدية ما يشبه ذلك الصيد في الخلقة والمنظر ، ففي النعامة بدنة ، وفي حمار الوحش بقرة ، وفي الغزالة شاة ، فالمثليَّة - على هذا - : هي في الصورة والمقدار ، فإن لم يكن له مِثْلٌ : أطعم أو صام .

(١) هذا من قول الزهري ، كما في مصنف عبد الرزاق (٤/ ١٧٠) : «عن الزهري قال : يُحَكَّمُ عليه في العمد ، وهو في الخطأ سنة» ، وليس المراد بالسنة هنا حديثٌ معيَّن واردٌ فيه ، وإنما المراد : أنه عليه عمل أهل العلم وطريقتهم ، ولذا قال عبد الرزاق معلقاً : «وهو قول الناس ، وبه نأخذ» .

ومذهب أبي حنيفة: أن المثلَ القيمة؛ يَقَوْمُ الصيدُ المقتول، ويخَيَّرُ القاتل بين أن يتصدَّقَ بالقيمة، أو يشتريَ بالقيمة من النعم ما يُهديه.

﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذه الآية تقتضي: أن التَّحْكِيمَ شرطٌ في إخراج الجزاء، ولا خلاف في ذلك، فإن أخرج أحدَ الجزاء قبل الحكم عليه فعليه إعادته بالحكم، إلَّا حمامَ مكة؛ فإنه لا يَحْتَاجُ إلى حَكَمين، قاله مالك.

ويجب عند مالك التَّحْكِيمُ فيما حَكَمْتَ فيه ^(١) الصحابة، وفيما لم يحكموا به؛ لعموم لفظ الآية.

وقال الشافعي: يُكْتَفَى في ذلك بما حكمت به الصحابة.

﴿هَذَا﴾ يقتضي ظاهره: أن ما يُخْرَجُ من النعم جزاءً عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يُهْدَى؛ وهو الجذع من الضأن والشَّيْءُ مما سواه.

وقال الشافعي: يُخْرَجُ المثلُ في اللحم، ولا يُشْتَرَطُ السن.

﴿بَلِغِ الْكَعْبَةَ﴾ لم يُرد الكعبة بعينها، وإنما أراد الحرم.

ويقتضي: أن يصنع بالجزاء ما يصنع بالهدي؛ مِنْ سَوْقِهِ من الحلِّ إلى الحرم ^(٢).

وقال الشافعي وأبو حنيفة: إن اشتراه في الحرم أجزأه.

﴿أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامَ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ عدَّد تعالى ما يجب في قتل المحرم للصيد، فذكر أوَّلَ الجزاء من النعم، ثم الطعام، ثم الصيام.

(١) في د: «به».

(٢) في أ، ب، هـ: «الحرام».

ومذهب مالك والجمهور: أنها على التَّخْيِير، وهو الذي يقتضيه العطف بـ «أو».

ومذهب ابن عباس: أنها على التَّرتِيب.

ولم يبين الله هنا مقدار الطعام، فرأى العلماء أن يُقَدَّر بالجزاء من النِّعم، إلا أنهم اختلفوا في كيفية التَّقدير:

فقال مالك: يُقَدَّر الصيد المقتول نفسه بالطعام، أو بالدراهم ثم تقوَّم الدراهم بالطعام، فيُنظر كم يساوي من طعام أو من دراهم وهو حيٌّ.

وقال بعض أصحاب مالك: تقدير الصيد بالطعام أن يقال: كم كان يُشبع الصيد من نفسٍ، ثم يُخرج قَدْر شَبَعِهِمْ طعامًا.

وقال الشافعي: لا يُقَدَّر الصيد نفسه، وإنما يُقَدَّر مثله، وهو الجزاء الواجب على القاتل له.

﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ تحتمل الإشارة بذلك أن تكون:

إلى الطعام، وهو أحسن؛ لأنه أقرب.

أو إلى الصيد.

واختلف في صفة تعديل الصيام بالطعام:

فقال مالك: يصوم مكان كل مدٍّ يومًا.

وقال أبو حنيفة: مكان كل مدين يومًا.

وقيل: مكان كل صاع يومًا.

ولا يجب الجزاء ولا الإطعام ولا الصيام إلا بقتل الصيد، لا بأخذه دون قتل؛ لقوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ﴾.

وفي كل وجه يشترط حُكْم الحَكَمين، وإنما لم يذكره الله في الصيام والطعام؛ استغناءً بذكره في الجزاء.

﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهٖ﴾ الذَّوْقُ هنا: مستعار؛ لأن حقيقة بحاسة اللسان. والوبال: سوء العاقبة، وهو هنا: ما لزمه من التَّكفير.

﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ أي: عمّا فعلتم في الجاهلية من قتل الصَّيد في الحرم.

﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ أي: مَنْ عاد إلى قتل الصيد وهو مُحَرَّمٌ بعد النهي عن ذلك فينتقم الله منه بوجوب الكفارة عليه، أو بعذابه في الآخرة.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أحلَّ الله بهذه الآية صيد البحر للحلال والمحرم.

والصيد هنا: المصيد، والبحر: هو الماء الكثير؛ سواءً كان مِلْحًا أو عَذْبًا، كالبرك ونحوها.

﴿وَطَعَامُهُ﴾ هو ما يطفو على الماء، وما قَذَف به البحر؛ لأنَّ ذلك طعامٌ وليس بصيد. قاله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب.

وقال ابن عباس: طعامه: ما مُلِحَّ منه وبقي.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ الخطاب بـ ﴿لَكُمْ﴾ للحاضرين في البحر، والسيارة: المسافرين.

أي: هو متاع^(١) تأتدُمون به.

(١) في دزيادة: «لكم».

﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ الصَّيْدُ هُنَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِهِ :
المصدر، أو الشيء المصيد، أو كلاهما .

فنشأ من هذا : أن ما صاده المحرم فلا يحلُّ له أكله بوجه .

ونشأ الاختلاف فيما صاد ^(١) غيره :

فإذا اصطاد حلالاً :

فقليل : يجوز للمُحَرَّم أكله .

وقيل : لا يجوز .

وقيل : لا يجوز إن اصطاده لمحرَّم .

والأقوال الثلاثة مروية عن مالك .

وإن اصطاد حراماً : لم يَجْزُ لغيره أكله عند مالك ، خلافاً للشافعي .

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ أي : أمراً يقوم للناس بالأمن
والمنافع .

وقيل : موضع قيام بالمناسك .

ولفظ «الناس» هنا : عامٌّ .

وقيل : أراد العربَ خاصةً ؛ لأنهم الذين كانوا يعظمون الكعبة .

﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ يريد : جنس الأشهر الحرم الأربعة ؛ لأنهم كانوا يكفُّون
فيها عن القتال .

(١) في ب ، د : «صاده» .

﴿وَالْهَدَى﴾ يريد: أنه أمانٌ لمن يسوقه؛ لأنه يُعلم أنه في عبادةٍ لم يأت لحرب.

﴿وَالْقَلْبَ﴾ كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلّد شيئاً من السَّمُر، وإذا رجع تقلّد شيئاً من شجر الحرم؛ ليُعلم أنه كان في عبادة، فلا يتعرّض له أحدٌ بِشْر^(١)؛ فالقلائد هنا: هو^(٢) ما يُقلّده^(٣) المحرم من الشجر. وقيل: أراد قلائد الهدى.

قال سعيد بن جبير: جعل الله هذه الأمور للناس في الجاهلية، وشدّدها في الإسلام^(٤).

﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا﴾ الإشارةُ إلى جعل الله هذه الأمور قِيَامًا للناس. والمعنى: فعل^(٥) الله ذلك لتعلموا أنه يعلم تفاصيل الأمور. ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ لفظٌ عام في جميع الأمور؛ من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك.

(١) في ب، هـ: «بشيء» ولم ترد في ج.

(٢) في ج، هـ: «هي».

(٣) في د: «ما تقلّده».

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/٩).

(٥) في د: «جعل».

[يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ بُدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٥٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٥٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَّلُوا كَان ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٥٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُو عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّن غَيْرِكُمْ إِن أَنْتُمْ ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْكُمْ فِي الْمَوْتِ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِّن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَفُقِسْمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِ بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٥٦﴾ فَإِن عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِّنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقَّ مِن شَهِدَتِهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٧﴾ ذَلِكَ أَدَّىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٥٨﴾].

﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ قيل: سببها: سؤال عبد الله بن حذافة: مَنْ أَبِي؟، فقال له النبي ﷺ: «أبوك حذافة»، وقال آخر: أين أنا^(١)؟ قال: «في النار»^(٢).

وقيل: سببها: أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب عليكم الحجَّ فحجوا»

(١) في هامش ب: «أين أبي»، والمثبت موافق لما في الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٩٤).

فقالوا: يا رسول الله أفي كلِّ عامٍ؟ فسكت، فأعادوا، قال: «لا، ولو قلتُ: نعم لوجبت»^(١).

فعلى الأول: ﴿تَسْأَلُونَ﴾ بالإخبار بما لا يعجبكم.

وعلى الثاني: ﴿تَسْأَلُونَ﴾ بتكليف ما يشقُّ عليكم، ويقوّي هذا قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: سكت عن ذكرها ولم يطالبكم بها؛ كقوله ﷺ: «عفا الله عن الزكاة في الخيل»^(٢).

وقيل: إن معنى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ عفا عنكم فيما تقدّم من سؤالكم؛ فلا تعودوا إليه.

﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ بُدَّ لَكُمْ﴾ فيه معنى الوعيد على السؤال؛ كأنه قال: لا تسألوا، وإن سألتكم أبدي لكم ما يسؤوكم.

والمراد بـ ﴿حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ﴾: زمان الوحي.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ الضمير في ﴿سَأَلَهَا﴾ راجع إلى المسألة التي دلَّ عليها ﴿لَا تَسْأَلُوا﴾، وهي مصدر؛ ولذلك لم يتعدَّ بـ «عن» كما تعدَّى قوله: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا﴾.

وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا، فالكفر هنا: عبارة عن ترك ما أمروا به.

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٧٤)، والترمذي (٦٢٠)، والنسائي (٢٤٨٠) بلفظ: «قد عفوت عن صدقة الخيل...».

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ لما سأل قومٌ عن هذه الأمور التي كانت في الجاهلية هل تعظم كتعظيم الكعبة والهدي؟؛ أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئاً من ذلك لعباده؛ أي: لم يشرعه لهم، وإنما الكفار جعلوا ذلك.

فأما البَحِيرَةُ: فهي فَعِيلَةٌ بمعنى مفعولة؛ مِنْ بَحَرَ إِذَا شَقَّ؛ وذلك أن الناقة إِذَا نُتِجَتْ^(١) عشرة أَبْطُنٍ شَقُّوا أُذُنَهَا، وتركوها ترعى ولا ينتفع بها.

وأما السَّائِبَةُ: فكان الرجل يقول: إِذَا قَدِمْتُ مِنْ سَفَرِي أَوْ بَرِئْتُ مِنْ مَرَضِي فَنَاقَتِي سَائِبَةٌ، وجعلها كالْبَحِيرَةِ في عدم الانتفاع بها.

وأما الوَصِيلَةُ: فكانوا إِذَا وَلَدَتِ الناقة ذَكَرًا وَأُنْثَى فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ قَالُوا: وَصَلَتِ الناقةُ أَخَاهَا، فلم يذبحوه^(٢).

وأما الحَامِي: فكانوا إِذَا نُتِجَ مِنْ صَلْبِ الْجَمَلِ عشرةُ بَطُونٍ قَالُوا: قَدْ حَمَى ظَهْرَهُ، فلا يُرْكَب ولا يُحْمَل عليه شيءٌ.

﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: يكذبون عليه بتحريمهم ما لم يحرم.

(١) في أ، ب، د: «أنتجت» بالألف، والمثبت هو الفصح كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ ثَعْلَبُ فِي كِتَابِهِ الْفَصِيح، يُقَالُ: «نُتِجَتِ النَّاقَةُ تُنْتَجُ، وَتَنْجُهَا أَهْلُهَا»، وانظر: شرح الفصح لابن درستويه (ص: ١٠٤).

(٢) في أ، د: «يذبحوها»، والمثبت هو الصواب، والضمير يعود على الذَّكَرِ، قال في الكشاف (٥/٥٠٨): «فَإِنْ وَلَدَتِ ذَكَرًا وَأُنْثَى قَالُوا: وَصَلَتْ أَخَاهَا، فلم يذبحوا الذَّكَرَ لِأَهْلَتِهِمْ»، وانظر أيضًا: المحرر الوجيز (٣/٢٧٧).

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الذي يفترون: هم الذين اخترعوا تحريم تلك الأشياء.

والذين لا يعقلون: هم أتباعهم المقلدون لهم.

﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي: يكفينا دين آبائنا.

﴿أُولَئِكَ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ قال الزمخشري: الواو: واو الحال، دخلت عليها همزة الإنكار؛ كأنه قيل: أحسبهم هذا وآباؤهم لا يعقلون! (١).

وقال ابن عطية: «ألف التوقيف دخلت على واو العطف» (٢).

وقول الزمخشري أحسن في المعنى.

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقيل: إنها خطاب للمسلمين من ذرية الذين حرّموا البحيرة وأخواتها؛ كأنه يقول: لا يضرّكم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم.

والقول الصحيح فيها: ما ورد عن أبي ثعلبة الخشني أنه قال: سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شُحًا مَطَاعًا، وَهُوَ مَتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ بِخَوِصَّةِ نَفْسِكَ وَذَرْ عَوَامَّهُمْ» (٤)، ومثل ذلك قول عبد الله بن

(١) انظر: الكشاف (٥/٥٠٩).

(٢) المحرر الوجيز (٣/٢٧٨).

(٣) في د: «رأيت».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤).

مسعود عليه السلام : «ليس هذا بزمان هذه الآية ؛ قولوا الحق ما قبل منكم ، فإذا رُدَّ عليكم^(١) فعليكم أنفسكم»^(٢) .

﴿شَهَدَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾ قال مكِّي : هذه الآية أشكلُ آيةٍ مِنَ القرآن ؛ إعرابًا ، ومعنى ، وحكمًا^(٣) .

ونحن نبين معناها على الجملة ، ثم نبين أحكامها ، وإعرابها على التفصيل .

وسببها : أنَّ رجلين خرجا إلى الشام ، وخرج معهما رجلٌ آخر لتجارة^(٤) ، فمرض في الطريق ، فكتب كتابًا قيَّد فيه كلُّ ما معه ، وجعله في متاعه ، وأوصى الرجلين أن يؤدِّيا رَحْلَهُ إلى ورثته ، فمات ، فَقَدِمَ الرجلان المدينة ، ودفعا رَحْلَهُ إلى ورثته ، فوجدوا فيه كتابه ، وفقدوا منه أشياء قد كتبها ، فسألوهما عنها فقالا : لا ندري ، هذا الذي قبضناه ، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فاستحلفهما رسول الله ﷺ ، فبقي الأمر مدَّةً ، ثم عُثِرَ على إناءٍ عظيم من فضة ، فقبل لمن وُجِدَ عنده : من أين لك هذا ؟ ، فقال : اشتريته من فلان وفلان ، يعني الرجلين ، فارتفع الأمر في ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ رجلين من أولياء الميت أن يحلفا ، فحلفا واستحقَّا .

فمعنى الآية : إذا حضر الموتُ أحدًا في السفر فليُشْهِدْ عَدْلَيْنِ بما معه ، فإن

(١) سقطت هذه الكلمة من ب ، ج ، هـ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٣/٩) .

(٣) انظر : مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي (١/٢٤٣) .

(٤) في ج ، د : «بتجارة» .

وقعت ربيّة في شهادتهما حلفاً أنهما ما كذبا ولا بدّلاً ، فإن عُثِرَ بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا حلف رجلاّن من أولياء الميت ، و غَرِمَ الشّاهدان ما ظهر عليهما .

﴿شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ مرفوعٌ بالابتداء ، وخبره : ﴿أَنْتَانِ﴾ ، التقدير : شهادة بينكم شهادة اثنين .

أو : مقيمٌ شهادة بينكم اثنان .

﴿إِذَا حَضَرَ﴾ أي : إذا قارب^(١) الحضور ، والعامل في ﴿إِذَا﴾ : المصدرُ الذي هو ﴿شَهْدَةُ﴾ ، وهذا على أن يكون ﴿إِذَا﴾ بمنزلة «حين» ؛ لا تحتاج جواباً .

ويجوز أن تكون شرطيةً ، وجوابها محذوف ؛ يدلُّ عليه ما تقدّم قبلها ؛ فإنّ المعنى : إذا حضر أحدكم الموتُ فينبغي أن يُشهدَ .
﴿حِينَ أَلْوَصِيَّةِ﴾ ظرفٌ ؛ العامل فيه : ﴿حَضَرَ﴾ .

أو يكون بدّلاً من ﴿إِذَا﴾ .

﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفةٌ للشاهدين .

﴿مِنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قيل : معنى ﴿مِنْكُمْ﴾ : من عشيرتكم وأقاربكم ، و ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ : من غير العشيرة والقراية .

وقال الجمهور : ﴿مِنْكُمْ﴾ أي : من المسلمين ، و ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي : من الكفار إن لم يوجد مسلمٌ .

(١) في ج ، د : «قرب» .

ثم اختلف على هذا :

هل هي منسوخة بقوله : ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق : ٢] فلا تجوز شهادة الكفار أصلاً - وهو قول مالك والشافعي والجمهور - ؟ .

أو هي مُحْكَمَةٌ وأن شهادة الكفار جائزة على الوصية في السفر - وهو قول ابن عباس - ؟ .

﴿إِنَّ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي : سافرتم ، وجواب ﴿إِنْ﴾ محذوف ؛ يدلُّ عليه ما تقدَّم قبلها ، والمعنى : إن ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت فشهادة بينكم شهادة اثنين .

﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾ قال أبو علي الفارسي : هو صفة لـ ﴿ءَاخِرَانِ﴾ ، واعتراض بين الصفة والموصوف بقوله : ﴿إِنَّ أَنْتُمْ﴾ إلى قوله : ﴿الْمَوْتِ﴾ ؛ ليفيد أن العدول إلى آخَرَيْنِ من غير الملة إنما يجوز لضرورة الضرب في الأرض ، وحلول الموت في السفر .

وقال الزمخشري : ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾ استئناف كلام^(١) .

﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ قال الجمهور : هي صلاة العصر ؛ فاللام للعهد ؛ لأنها وقت اجتماع الناس ، وبعدها أمر النبي ﷺ باللعان ، وقال : «مَنْ حَلَفَ عَلَى سَلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ . .»^(٢) ، وكان التحليف بعدها معروفاً عندهم .

وقال ابن عباس : هي صلاة الكافرين في دينهما ؛ لأنهما لا يُعْظَمَانِ صلاةَ العصر .

(١) انظر : الكشف (٥/٥١٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٦٩) ، ومسلم (١٠٨) .

﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ أي: يحلفان، ومذهب الجمهور: أن تحليف الشاهدين منسوخ.

وقد أحلفهما علي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري.

﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ أي: إن شككتم في صدقهما، وأمانتهما.

وهذه الكلمة اعتراض بين القسم والمقسم عليه.

وجواب ﴿إِنْ﴾ محذوف؛ يدل عليه: ﴿فَيَقْسِمَانِ﴾.

﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ هذا هو المقسم عليه، والضمير في ﴿بِهِ﴾ للقسم،

وفي ﴿كَانَ﴾ للمقسم له؛ أي: لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضاً من الدنيا؛ أي: لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال؛ ولو كان من نفسه له قريباً لنا؛ وهذا لأن عادة الناس الميل إلى أقاربهم.

﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أي: الشهادة التي أمر الله بحفظها وأدائها،

وأضافها^(١) إلى الله؛ تعظيماً لها.

﴿فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي: إن اطلع بعد ذلك على أنهما فعلاً

ما أوجب إثمًا.

فالإثم: الكذب، أو^(٢) الخيانة. واستحقاقه: الأهلية للوصف به.

﴿فَتَاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: اثنان من أولياء الميت يقومان مقام

الشاهدين في اليمين.

(١) في ج: «وأضافتها».

(٢) في د: «و».

﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي : من الذين استُحِقَّ عليهم الإثم ، أو المال .
ومعناه : من الذي جُنِيَ عليهم ؛ وهم أولياء الميت .
﴿الْأَوَّلِينَ﴾ تشية «أُولَى» ؛ بمعنى : أحق ؛ أي : الأحقَّان بالشهادة ؛
لمعرفتهما ، أو الأحقَّان بالمال ؛ لقربتهما .
وهو مرفوعٌ ؛ على أنه :
خبر ابتداء ؛ تقديره : «هما الأوليان» .
أو مبتدأ مؤخرٌ ؛ تقديره : «الأوليان آخران يقومان» .
أو بدلٌ من الضمير في ﴿يَقُومَانِ﴾ .
ومنع الفارسيُّ أن يُسند ﴿اسْتُحِقَّ﴾ إلى ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ ، وأجازه ابن عطية^(١) .
وأما على قراءة ﴿اسْتَحَقَّ﴾ - بفتح التاء والحاء - على البناء للفاعل :
فـ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ فاعلٌ بـ ﴿اسْتَحَقَّ﴾ .
ومعنى ﴿اسْتَحَقَّ﴾ على هذا : أخذ المال وجعل يده عليه .
و﴿الْأَوَّلِينَ﴾ - على هذا - هما : الشَّاهدان اللذان ظهرت خيانتُهما ؛ أي :
الأوليان بالتَّحليف والتَّعنيف والفضيحة .
وقرئ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ جمع أوَّلٍ ، وهو :
مخفوضٌ ؛ على الصفة لـ ﴿الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمْ﴾ .
أو منصوبٌ بإضمار فعلٍ .

(١) انظر : المحرر الوجيز (٣/ ٢٨٩) .

ووصفهم بالأولية؛ لتقدمهم على الأجانب في استحقاق المال، وفي صدق الشهادة.

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتَيْهِمَا﴾ أي: يحلف هذان الآخران أن شهادتهما أحق - أي: أصح - من شهادة الشاهدين اللذين ظهرت خيانتهم.

﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن اعتدنا فإننا من الظالمين؛ وذلك على وجه التبري، ومثله قول الأولين: ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ أَذْنُ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَيْهَا﴾ الإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى الحكم الذي وقع في هذه القضية^(١).

ومعنى ﴿أَذْنُ﴾: أقرب، و﴿عَلَى وَجْهَيْهَا﴾ أي: كما وقعت من غير تبديل ولا تغيير.

﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تَرُدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: يخافوا أن يحلف غيرهم بعدهم فيقتضحوا.

(١) في ب: «القصة»، وفي د: «الوصية».

[﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ
 الْغُيُوبَ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ
 بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
 وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا
 بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي
 إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّؤْتَمِنٌ
 ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ
 ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ
 السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا
 وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا
 أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
 الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ
 أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾].

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة، وانتصابُ الظرف بفعل مضمر.
 ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أي: ماذا أجابكم به الأمم؛ من إيمان وكفر وطاعة
 ومعصية؟

والمقصود بهذا السؤال: توبيخُ مَنْ كفر من الأمم، وإقامةُ الحجة عليهم.
 وانتصب ﴿مَاذَا﴾ بـ ﴿أُجِبْتُمْ﴾ انتصابٌ مصدره.
 ولو أريد الجواب لقليل: «بماذا أُجبتُمْ؟».

﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إنما قالوا ذلك تأدُّبًا مع الله، فوكلوا العلم إليه.

قال ابن عباس : المعنى : لا علم لنا إلا ما علّمنا .

وقيل : معناه : علّمنا ساقط في جنب علمك ، ويقوّي ذلك قولهم : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبَ ﴾ ؛ لَأَنَّ مَنْ عَلِمَ الْخَفِيَّاتِ لَمْ تَخَفْ ^(١) عليه الظواهر .

وقيل : ذَهَلُوا عن الجواب ؛ لهول ذلك اليوم . وهذا بعيد ؛ لَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ آمِنُونَ .

وقيل : أرادوا بذلك توبيخ الكفار .

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ ﴾ يَحْتَمَلُ :

أَنْ يَكُونَ ﴿ إِذْ ﴾ بَدَلًا مِنْ ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ﴾ ، وَيَكُونُ هَذَا الْقَوْلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
أَوْ يَكُونُ الْعَامِلُ فِي ﴿ إِذْ ﴾ مُضْمَرًا ، وَيَحْتَمَلُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ الْقَوْلُ :
فِي الدُّنْيَا .

أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا جَعَلْنَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَقَوْلُهُ : ﴿ قَالَ ﴾ بِمَعْنَى : يَقُولُ .
وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ أَلْفَاظِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي « آل عمران » ^(٢) .

﴿ فَتَنْفَخُ فِيهَا ﴾ الضمير المؤنث عائِدٌ عَلَى الْكَافِ ؛ لِأَنَّهَا صِفَةُ الْهَيْئَةِ ،
وَكَذَلِكَ الضمير فِي ﴿ فَتَكُونُ ﴾ .

وكذلك الضمير المذكر فِي قَوْلِهِ فِي « آل عمران » : ﴿ فَانْفُخْ فِيهِ ﴾

[آل عمران : ٤٩] عائِدٌ عَلَى الْكَافِ أَيْضًا ؛ لِأَنَّهَا بِمَعْنَى : « مِثْلَ » .

وإن شئت أن تقول : هو فِي الْمَوْضِعَيْنِ عائِدٌ عَلَى الْمَوْصُوفِ الْمَحْذُوفِ

(١) فِي ب ، هـ : « يَخْف » .

(٢) انظر صفحة ٥٤٢ / ١ .

الذي وُصِفَ بقوله: ﴿كَهَيْئَةٍ﴾ فَتَقَدَّرُهُ^(١) في التَّائِيثِ: «صورة»، وفي التَّذْكِيرِ: «شخصًا» أو «خَلْقًا» وشبه ذلك.

وقيل: المؤنَّثُ يعود: على الهيئة، والمذكَّرُ^(٢): على الطَّير، أو الطَّين. وهو بعيدٌ في المعنى.

﴿يَاذِينِ﴾ كَرَّرَهُ مع كل معجزة؛ ردًّا على من نسب الربوبية لعيسى. وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ﴾ يعني: اليهود؛ حين همُّوا بقتله فرفعه الله إليه.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ معطوفٌ على ما قبله؛ فهو من جملة نعم الله على عيسى. والوحي هنا يحتمل أن يكون: وحي إلهام، أو وحي كلام. وَأَشْهَدُ﴾ يحتمل أن يكون خطابًا: لله تعالى، أو لعيسى ﷺ.

﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَإِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نداؤهم له باسمه دليلٌ على أنهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين لمحمد ﷺ؛ فإنهم كانوا لا ينادونه باسمه، وإنما يقولون: يا رسول الله، يا نبي الله.

وقولهم: ﴿أَبْنُ مَرْيَمَ﴾ دليلٌ على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح من نسبته إلى أمِّ دون والد، بخلاف ما اعتقده النصارى.

﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ظاهرُ هذا اللفظ: أنهم شكَّوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة. وعلى هذا أخذه الزمخشري، وقال: ما وصفهم الله

(١) في أ، ب: «فتقديره».

(٢) في د زيادة: «يعود».

بالإيمان، وإنما حكى دعواهم في قولهم: «آمنَّا»^(١).

وقال ابن عطية وغيره: ليس لأنهم شكوا في قدرة الله؛ لكنه بمعنى: هل يفعل ربك هذا؟، وهل يقع منه إجابة إليه؟^(٢).

وهذا أرجح؛ لأن الله أثنى على الحواريين في مواضع من كتابه، مع أن في اللفظ بشاعة تنكر.

وقرئ: ﴿تَسْتَطِيعُ﴾ - بناء الخطاب - ﴿رَبِّكَ﴾ بالنصب؛ أي: هل تستطيع سؤال ربك.

وهذه القراءة لا تقتضي أنهم شكوا، وبها قرأت عائشة رضي الله عنها، وقالت: «كان الحواريون أعرف برّبهم من أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾»^(٣).

﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ موضع ﴿أَنْ﴾:

مفعول بقوله: ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ على القراءة بالياء.

ومفعول بالمصدر - وهو السؤال المقدّر - على القراءة بالتاء.

والمائدة: التي عليها طعام، فإن لم يكن عليها طعام فهي خوان.

﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قوله لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ يحتمل أن

يكون:

زجرًا عن طلب المائدة، واقتراح الآيات.

(١) انظر: الكشاف (٥/٥٣٣).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/٢٩٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٢٤٣).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ زَجْرًا عَنِ الشَّكِّ الَّذِي يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُمْ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ عَلَى مَذْهَبِ الزَّمْخَشَرِيِّ.

أَوْ عَنِ الْبِشَاعَةِ الَّتِي فِي اللَّفْظِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَكٌّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ عَلَى مَذْهَبِ الزَّمْخَشَرِيِّ.

وَأَمَّا عَلَى مَذْهَبِ ابْنِ عَطِيَّةٍ وَغَيْرِهِ: فَهُوَ تَقْرِيرٌ لَهُمْ؛ كَمَا تَقُولُ: «أَفْعَلْ كَذَا إِنْ كُنْتَ رَجُلًا»، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ رَجُلٌ.

وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ صَدَرَتْ مِنْهُمْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، قَبْلَ أَنْ يَرَوْا مُعْجَزَاتِ عِيسَى.

﴿قَالُوا رَبُّدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ أَيُّ: أَكَلًا نَتَشَرَّفُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَيْسَ مَرَادُهُمْ شَهْوَةَ الْبَطْنِ.

﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا﴾ أَيُّ: نَعَايِنُ الْآيَةَ، فَيَصِيرُ إِيْمَانُنَا بِالضَّرُورَةِ وَالْمَشَاهِدَةِ فَلَا تَعْرِضُ لَنَا الشُّكُوكُ الَّتِي تَعْرِضُ فِي الْإِسْتِدْلَالِ.

﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ ظَاهِرُهُ يَقْوِي قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُمْ إِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ قَبْلَ تَمَكُّنِ إِيْمَانِهِمْ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: نَعْلَمَ عِلْمًا ضَرُورِيًّا لَا يَحْتَمِلُ الشَّكَّ.

﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أَيُّ: نَشْهَدُ بِهَا عِنْدَ مَنْ لَمْ يَحْضُرْهَا مِنَ النَّاسِ.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾ أَجَابَهُمْ عِيسَى إِلَى سُؤَالِ الْمَائِدَةِ مِنَ اللَّهِ.

وروي أنه لبس جُبَّةَ شَعْرٍ ورداءَ شَعْرٍ، وقام يصلي ويدعو ويبكي .
﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ قيل : نَتَّخِذُ يَوْمَ نَزُولِهَا عِيدًا يدور كلَّ عامٍ ،
لأول الأمة ، ثم لمن بعدهم .

وقال ابن عباس : المعنى : تكون مجتمعًا لجميعنا أولنا وآخرنا في يوم
نزولها خاصة ، لا عيدًا ^(١) يدور .

﴿وَأَيَّةٌ مِنْكَ﴾ أي : علامةٌ على صدقي .
﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ أجابهم الله إلى ما طلبوا ، ونزلت المائدة عليها
خبز وسمك .

وقيل : زيتون وتمر ورمان .

وقال ابن عباس : كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا .
وفي قصة المائدة قصص كثيرٌ غيرٌ صحيح .
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنَّ أَعَذِّبُهُ﴾ عادةُ الله ﷻ عقابُ مَنْ كفر بعد اقتراحِ
آيةٍ فَأُعْطِيَتْهُ ، ولما كفر بعض هؤلاء مَسَخَهُمُ اللَّهُ خنازير .

قال عبد الله بن عمر : أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة مَنْ كفر من أصحاب
المائدة ، وآل فرعون ، والمنافقون ^(٢) .

(١) في أ ، ب ، ج ، هـ : «لا عيد» .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٣٢) .

[وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٣٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٣٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٠﴾].

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس والجمهور: هذا القول من الله يكون يوم القيامة على رؤوس الخلائق؛ ليرى الكفار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه، ويعلمون أنهم كانوا على باطل.

وقال السُّدِّيُّ: لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ما قالت، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، فسأله الله حينئذ عن ذلك، فقال: ﴿سُبْحَنَكَ﴾ الآية، فعلى هذا:

يكون ﴿إِذْ قَالَ﴾ ماضيًا في معناه؛ كما هو في لفظه.

وعلى قول ابن عباس: يكون بمعنى المستقبل.

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ نفى يعضده دليل العقل؛ لأن المحدث لا يكون إلهاً.

﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ اعتذارٌ وبراءةٌ من ذلك القول، ووكل العلم إلى الله؛ لتظهر براءته؛ لأن الله عليم أنه لم يقل ذلك.

﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة؛ فقال: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾؛ مقابلةً لقوله: ﴿فِي نَفْسِي﴾^(١).

وبقية كلامه تعظيمٌ لله، وإخبارٌ بما قال للناس في الدنيا.

﴿أَنْ أَعْبُدُوا﴾ ﴿أَنْ﴾ حرف عبارة وتفسير.

أو مصدرية؛ بدلٌ من الضمير في ﴿بِهِ﴾.

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيها سؤالان: الأول: كيف قال: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وهم كفار؛ والكفار لا يُغْفَرُ لهم؟

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله في تفسير الآية: «أي تعلم معلومي ولا أعلم معلومك» إلخ، أقول: هذا تفسير منه للموصول في الموضعين: ﴿مَا فِي نَفْسِي﴾ و﴿مَا فِي نَفْسِكَ﴾، فيكون المعنى تعلم الذي أعلمه، ولا أعلم الذي تعلمه، وهذا يشمل ما يُبْدَى وما يُخْفَى، وهذا أعم مما يدل عليه لفظ الآية، والله يعلم ما بيديه العبد وما يخفيه، ﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي مُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوْهُ يَلْعَنَهُ اللَّهُ﴾، والعبد يعلم من معلوم الله ما أعلمه به، ولا يعلم العبد ما يخفيه سبحانه، فلا يعلم ما استأثر الله بعلمه، ولا كل ما أعلم به بعض عباده، فقول عيسى عليه السلام: ﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ أي ما أخفيه، ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي ما تخفيه. ولم يذكر المؤلف بحثة معنى النفس في الآية، وألحق معاني النفس في مثل هذا السياق أن يراد بها الذات، كما يقال: جاء محمد نفسه، وهذا الشيء نفسُ ذاك، أي هو هو، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّدُ عَنْ نَفْسِهَا﴾. والله أعلم.

والجواب: أن المعنى: تسليم الأمر لله، وأنه إن عذّب أو غفر فلا اعتراض عليه؛ لأن الخلق عباده، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار، إنما يقتضي جوازها في حكمة الله تعالى وعزته، وفرق بين الجواز والوقوع.

وأما على قول من قال: إن هذا الخطاب لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء، فلا إشكال؛ لأن المعنى: إن تغفر لهم بالتوبة، وكانوا حينئذ أحياء، وكل حيّ معرض للتوبة.

السؤال الثاني: ما مناسبة قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لقوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾؛ والأليق مع ذكر المغفرة أن لو قيل: «فإنك أنت الغفور الرحيم»؟.

والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: يظهر لي: أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له، كان قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أليق؛ فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم له؛ فإن العزيز: هو الذي يفعل ما يريد، ولا يغلبه غيره، ولا يمتنع عليه شيء أراد، فافتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله في المغفرة لهم أو عدم المغفرة؛ لأنه قادر على كلا الأمرين؛ لعزته، وأيهما فعل فهو جميل؛ لحكمته.

الجواب الثاني: -قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير-: إنما لم يقل «الغفور الرحيم»؛ لئلا يكون في ذلك تعريض بطلب المغفرة لهم، فاقصر

على التسليم والتفويض دون الطلب؛ إذ لا تطلب المغفرة لكافر^(١).
وهذا قريب من قولنا.

الثالث: حكى شيخنا الخطيب أبو عبد الله ابن رُشيد^(٢) عن شيخه إمام
البلغاء في وقته حازم ابن حازم^(٣) أنه كان يقف على قوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾،
ويجعل ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ استثناءً، وجواب ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ
عِبَادُكَ﴾؛ كأنه قال: إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال.
﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ عمومٌ في جميع الصادقين، وخصوصٌ في
عيسى بن مريم؛ فإن في ذلك إشارةً إلى صدقه في الكلام الذي حكاه الله
عنه.

وقرأ غيرُ نافع: ﴿هَذَا يَوْمٌ﴾ بالرفع؛ على الابتداء والخبر.

وقرأ نافعٌ بالنصب؛ وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون ﴿يَوْمٌ﴾ ظرفاً لـ ﴿قَالَ﴾؛ فعلى هذا: لا تكون الجملة
معمولَ القول، وإنما معموله ﴿هَذَا﴾ خاصةً، والمعنى: قال الله هذا
القصاص أو^(٤) الخبر في يوم. وهذا بعيدٌ مُزِيلٌ لِرَوْنَقِ الكلام.

(١) انظر: ملاك التأويل (١/٤٠٨).

(٢) هو محمد بن عمر، ابنُ رُشيد الفهري السبتي، أبو عبد الله محب الدين، ولد سنة
(٦٥٧هـ)، وتوفي سنة (٧٢١هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/١٩٩).

(٣) هو حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطبي النحوي،
أبو الحسن، شيخ البلاغة والأدب في عصره، له كتاب «سراج البلغاء» في البلاغة،
ولد سنة (٦٠٨هـ)، وتوفي سنة (٦٨٤هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/٤٩١).

(٤) في ب، د: «و».

والآخر: أن يكون ﴿هَذَا﴾ مبتدأ، و﴿يَوْمَ﴾ في موضع خبره، والعامل فيه محذوف؛ تقديره: هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم. ولا يجوز أن يكون ﴿يَوْمَ﴾ مبنياً على قراءة نافع؛ لأنه أضيف إلى مُعَرَّبٍ. قاله الفارسي والزمخشري^(١).

❦ ❦ ❦

(١) انظر: الكشاف (٥/٥٤٩).

﴿سورة الأنعام﴾

قال كعب^(١): أول الأنعام هو أول التوراة^(٢).

[﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرَاطٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيسُوتَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَسْأَلْنَاهُ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾].

﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ «جعل» هنا بمعنى: خلق، والظلمات: الليل، والنور: النهار، والضوء الذي في الشمس والقمر وغيرهما.

(١) في د زيادة: «الأخبار».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٧/٩).

وإنما أفرد النور؛ لأنه أراد الجنس.

وفي الآية ردُّ على المجوس في عبادتهم النارَ وغيرَها من الأنوار، وقولهم: إن الخيرَ من النور والشرَّ من الظلمة؛ فإن المخلوق لا يكون إلهاً ولا فاعلاً لشيءٍ من الحوادث.

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يُسَوُّون ويُمَثِّلون؛ من قولك: عدلتُ فلاناً بفلان: إذا جعلته نظيره وقرينه.

ودخلت ﴿ثُمَّ﴾ لتدلَّ على استبعاد أن يعدلوا برَّبِّهم بعد وضوح آياته في خلق السموات والأرض، والظلمات والنور.

وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾؛ استبعادٌ لأن يمتروا فيه بعدما ثبت أنه أحياهم وأماتهم.

وفي ضمن ذلك تعجيبٌ من فعلهم، وتوبيخٌ لهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا: عامٌّ في كل مشرك.

وقد يختصُّ:

بالمجوس؛ بدليل الظلمات والنور.

أو بعبدة الأصنام؛ لأنهم المجاورون للنبي ﷺ، وعليهم يقع الردُّ في أكثر القرآن.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ أي: خلق أباكم آدمَ من طين.

﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ الأجل الأول: الموت، والثاني: يومُ القيامة، وجعله عنده؛ لأنه استأثر بعلمه.

وقيل : الأول : النوم ، والثاني : الموت .

ودخلت ﴿ثُمَّ﴾ هنا لترتيب الإخبار ، لا لترتيب الوقوع ؛ لأن القضاء متقدّم على الخلق .

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ يتعلّق ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ بمعنى اسم الله ؛ فالمعنى كقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف : ٨٤] ، كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب .

ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر ؛ فيتعلّق باسم فاعلٍ محذوف ، والمعنى على هذا قريبٌ من الأول .

وقيل : المعنى أنه في السموات والأرض بعلمه ؛ كقوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد : ٤] .

والأول أرجح وأفصح ؛ لأن اسم الله جامعٌ للصفات كلّها من العلم والقدرة والحكمة وغير ذلك فقصد جمّعها مع الإيجاز .

ويترجّح الثاني : بأن سياق الكلام في اطلاع الله تعالى وعلمه ؛ لقوله بعدها : ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ .

وقيل : يتعلّق بمحذوف ؛ تقديره : المعبود في السموات والأرض ، وهذا المحذوف صفة لـ ﴿اللَّهُ﴾ .

واسم ﴿اللَّهُ﴾ على هذا القول ، وعلى الأول : هو خبر المبتدأ .

وأما إذا كان المجرور الخبر : فاسم ﴿اللَّهُ﴾ بدلٌ من الضمير .

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ «مِنْ» الأولى : زائدة .

والثانية: للتَّبْعِيض، أو لبيان الجنس.

﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني: ما جاء به محمد ﷺ.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ الآية؛ وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ حضُّ للكفار على الاعتبار بغيرهم.

والقُرْن: مئة سنة، وقيل: سبعون، وقيل: أربعون.

﴿مَكَتْنَهُمْ﴾ الضمير عائِدٌ على القرن؛ لأنه في معنى الجماعة.

﴿مَا لَمْ تُمْكِنْ لَكُمْ﴾ الخطاب لجميع أهل ذلك العصر من مؤمن وكافر.

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا﴾ السماء هنا: المطر، أو السحاب، أو السماء حقيقةً.

﴿وَمِذْرَارًا﴾: بناءٌ مبالغٍ وتكثير؛ من قولك: درَّ المطر: إذا غُزِرَ.

﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَدُوبِهِمْ﴾ التقدير: فكفروا وعصوا فأهلكناهم، وهذا تهديدٌ

للكفار أن يصيبهم مثلُ ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي فِرْطَاسٍ﴾ الآية؛ إخبارٌ أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات.

والمراد بقوله: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾^(١) لو بالغوا في مَيزِهِ وتقليبه ليرتفع الشك؛ لعاندوا بعد ذلك.

(١) في د «أي»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ«خ».

وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَ بَعْضِهِمُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَا أَوْمنَ لَكَ^(١)
 حَتَّى تَأْتِيَنِي بِكِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ يَأْمُرُنِي بِتَصَدِيقِكَ، وَمَا أَرَانِي مَعَ هَذَا^(٢)
 أَصَدِّقُكَ.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ حكاية عن طلب بعض العرب، روي أن
 العاصي بن وائل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، والأسود بن
 عبد يغوث قالوا للنبي ﷺ: يا محمد، لو كان معك ملك!

﴿وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ قال ابن عباس: المعنى: لو أنزلنا ملكًا
 فكفروا بعد ذلك لعجل لهم العذاب، ففي الكلام على هذا حذف،
 وقضاء الأمر على هذا: تعجيل أخذهم.

وقيل: المعنى: لو أنزلنا ملكًا لماتوا من هول رؤيته، فقضاء الأمر على
 هذا: موتهم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ أي: لو جعلنا الرسول ملكًا لكان في
 صورة^(٣) رجل؛ لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته.

﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيُشُونَ﴾ أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على
 أنفسهم وعلى ضعفائهم؛ فإنهم إذا رأوا الملك في صورة إنسان قالوا:
 هذا إنسان وليس بملك.

(١) في د: «بك».

(٢) في د: «بعد ذلك».

(٣) في د: «في صفة».

﴿وَلَقَدْ أَسْهَزَيْ﴾ الآية؛ إخبارٌ قُصِدَ به تسليَةُ النبي ﷺ عما كان يلقي من قومه .

﴿فَحَاقَ﴾ أي: أحاط بهم، وفي هذا الإخبارِ تهديدٌ للكفار.



[﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا﴾ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنْتُ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةً لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَليًا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤﴾ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَمِيمُ ﴿١٥﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ؛ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٧﴾ قُلْ أَتَى شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية؛ حضُّ على الاعتبار بغيرهم إذا رأوا منازل الكفار الذين هلكوا قبلهم.

﴿ثُمَّ أَنْظَرُوا﴾ قال الزمخشري: إن قلت: أي فرَّق بين قوله: ﴿فَأَنْظَرُوا﴾ وبين قوله: ﴿ثُمَّ أَنْظَرُوا﴾؟

قلت: جعل النظر مسبباً عن السير في قوله: ﴿فَأَنْظَرُوا﴾؛ فكأنه قال: سيروا لأجل النظر، وأما قوله: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا﴾ فمعناه: إباحة السير للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجابُ النظر في الهالكين، ونَبَهَ على

ذلك بـ «ثم» ؛ لتباعد ما بين الواجب والمباح^(١).

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ القصد بالآية : إقامة برهانٍ على صحة التوحيد وإبطال الشرك ، وجاء ذلك بصيغة الاستفهام ؛ لإقامة الحجة على الكفار ، فسأل أولاً : ﴿لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، ثم أجاب عن السؤال بقوله : ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ ؛ لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضرورة ، فيثبت بذلك أن الإله الحق هو الله الذي له ما في السموات والأرض .

وإنما يحسن أن يكون السائل مجيباً عن سؤاله ، إذا علم أن خصمه لا يخالفه في الجواب الذي به يقيم الحجة عليه .

﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي : قضاها ؛ وتفسير ذلك : بقول النبي ﷺ : «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض ، وفيه : إن رحمتي سبقت غضبي»^(٢) ، وفي رواية : «تغلب غضبي»^(٣) .

﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مقطوع مما قبله ، وهو جواب لقسم محذوف .
وقيل : هو تفسير للرحمة المذكورة ؛ تقديره : أن يجمعكم . وهذا ضعيف ؛ لدخول النون الثقيلة في غير موضعها ؛ فإنها لا تدخل إلا في القسم ، أو في غير الواجب .

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ قيل : «إلى» هنا بمعنى «في» . وهو ضعيف .

والصحيح : أنها للغاية على بابها .

(١) انظر : الكشاف (٦/ ٣٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٢) ، ومسلم (٢٧٥١) .

(٣) أخرجه البخاري (٣١٩٤) ، ومسلم (٢٧٥١) .

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ودخلت الفاء؛ لما في الكلام من معنى الشرط. قاله الزجاج، وهو حسن.

وقال الزمخشري: ﴿الَّذِينَ﴾ نَصَبٌ عَلَى الذَّمِّ، أَوْ رَفْعٌ بِخَبَرِ ابْتِدَاءِ مَضْمَرٍ^(١).

وقيل: هو بدلٌ من الضمير في ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ وهو ضعيف.

وقيل: منادى، وهو باطل.

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾.

ومعنى ﴿سَكَنَ﴾: حلٌّ؛ فهو من السُّكْنَى.

وقيل: هو من السُّكُون. وهو ضعيف؛ لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة؛ فلا يعمُّ، والمقصود عمومُ مُلْكِهِ تعالى لكل شيء.

﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخْخَذُ وَلِيًّا﴾ إقامةُ حجةٍ على الكفار، وردُّ عليهم بصفات الله الكريمة التي لا يشاركه غيره فيها.

﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي: من هذه الأمة؛ لأن النبي ﷺ سابقُ أمته إلى الإسلام.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ في الكلام حذفٌ؛ تقديره: وقيل لي: ولا تكونن من المشركين.

(١) انظر: الكشاف (٦/٣٤).

أو يكون معطوفاً على معنى ﴿أُمِرْتُ﴾ فلا حذف، وتقديره: أُمِرْتُ بالإسلام، ونُهِيت عن الإشراك.

﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ أي: مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَدْ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقرئ: ﴿يُصْرِفْ﴾ بفتح الياء، وفاعله: الله.

﴿وَذَلِكَ﴾ إشارة إلى: صَرْفِ الْعَذَابِ، أو إلى الرحمة.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ﴾ معنى ﴿يَمْسَسْكَ﴾: يُصِيبُكَ، والضَّرُّ: المرض وغيره على العموم في جميع المضمرات، والخير: العافية وغيرها على العموم أيضاً.

والآية برهانٌ على الوحدانية؛ لانفراد الله تعالى بالضر والخير، وكذلك ما بعد هذا من الأوصاف؛ براهينُ وردُّ على المشركين.

﴿قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ سؤالٌ يقتضي جواباً ينبنى عليه المقصود.

وفيه دليلٌ على أن الله يقال فيه: شيء؛ ولكن ليس كمثله شيء.

﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، و﴿شَهِيدٌ﴾ خبره.

والآخر: أن يكون تمام الجواب عند قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾؛ بمعنى: أن الله أكبر شهادة، ثم يتدئ؛ على تقدير: هو شهيدٌ بيني وبينكم.

والأول أرجح؛ لعدم الإضمار.

والثاني أرجح؛ لمطابقته للسؤال؛ لأن السؤال بمنزلة من يقول: من أكبر الناس؟ فيقال في الجواب: فلان، وتقديره: فلان أكبر الناس.
والمقصود بالكلام: الاستشهاد بالله -الذي هو أكبر شهادة- على صدق رسوله ﷺ.

وشهادة الله بهذا:

هي علمه بصحة نبوة محمد ﷺ.

أو إظهاره لمعجزاته الدالة على نبوته.

﴿وَمَنْ بَلَغْ﴾ عطفٌ على ضمير المفعول في ﴿لَا تُذِرْكُمْ﴾، والفاعل بـ ﴿بَلَغْ﴾: ضميرُ ﴿الْقُرْآنُ﴾، والمفعول: محذوف يعود على «مَنْ»؛ تقديره: وَمَنْ بلغه.

والمعنى: أُوحيَ إليَّ هذا القرآنُ لأُنذِرَ به المخاطبين - وهم أهل مكة -، وأنذرَ كلَّ مَنْ بلغه القرآنُ من العرب والعجم إلى يوم القيامة، قال سعيد بن جبير: من بلغه القرآنُ فكأنما رأى محمدًا ﷺ^(١).

وقيل: المعنى: وَمَنْ بَلَغَ الْحُلُمَ. وهو بعيد.

﴿إِنِّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ الآية؛ تقريرٌ للمشركين على شُرُكهم، ثم تبرأ من ذلك بقوله: ﴿لَا أَشْهَدُ﴾، ثم شهد لله بالوحدانية.

(١) لم أفق عليه من قول سعيد بن جبير، ووقفْتُ عليه من قول محمد بن كعب القرظي، أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٢/٩).

وروي أنها نزلت بسبب قوم من الكفار؛ أتوا رسول الله ﷺ فقالوا:
يا محمد!، أما تعلم مع الله إلهاً آخر؟.

﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ تقدّم في «البقرة»^(١).

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ، وخبره:
﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقيل: ﴿الَّذِينَ﴾ نعت لـ ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾، وهو فاسد؛ لأن
الذين أتوا الكتاب استشهد بهم هنا ليقيم الحجة على الكفار.

❦ ❦ ❦

(١) انظر ١/ ٣٧١.

[﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَّاوُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُخَدِّلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَ نَارُهَا وَلَا تَضُرُّنَا وَلَا تُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَكُنُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأْتُمْ مَا كَانُوا يَحْفُوفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: لا أحد أظلم ممن افترى على الله، وذلك تنصّل من الكذب على الله، وإظهار لبراءة رسول الله ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ: مَا نَسَبَ إِلَيْهِ الْكَفَّارُ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَالْأَوْلَادِ.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي: علاماته، وبراهين دينه.

﴿إِنَّا سُرَّاوُكُمْ﴾ يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ.

﴿تَزْعُمُونَ﴾ أي: تزعمون أنهم آلهة؛ فحذفه لدلالة المعنى عليه.

والعامل في ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ محذوف^(١).

(١) في هامش هنا زيادة: «تقديره: ويوم نحشرهم كان كَيْتٌ وكَيْتٌ، فترك لبقى على =

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ﴾ الفتنة هنا يحتمل أن تكون :

بمعنى الكفر ؛ أي : لم تكن عاقبة كفرهم إلا جحوده والتبري منه .

وقيل : ﴿فِتْنَتَهُمْ﴾ : معذرتهم .

وقيل : كلامهم .

وقرئ ﴿فِتْنَتَهُمْ﴾ :

بالنصب ؛ على خبر «كان» ، واسمها : ﴿أَنْ قَالُوا﴾ .

وقرئ بالرفع ؛ على اسم «كان» ، وخبرها : ﴿أَنْ قَالُوا﴾ .

﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ جحود لشركهم .

فإن قيل : كيف يجحدونه وقد قال الله : ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء : ٤٢] ؟

فالجواب : أن ذلك يختلف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن ، فيكتم قوم ويقر آخرون ، ويكتمون في موطن ويقرّون في موطن آخر ؛ لأن يوم القيامة طويل .

وقد قال ابن عباس - لما سئل عن هذا السؤال - : إنهم جحدوا طمعا في النجاة ، فحتم الله على أفواههم ، وتكلمت جوارحهم ؛ فلا يكتمون الله حديثا^(١) .

= الإبهام الذي هو أدخل في التخويف» ، وكتب بعدها : «صح منه» ، وهذه عبارة الزمخشري في الكشف (٥٠ / ٦) ، وليست موجودة في بقية النسخ ، فيظهر أنها حاشية ، وليست من عبارة التسهيل .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩ / ١٩٤) .

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الضمير عائذ على الكفار، وأفرد ﴿يَسْتَمِعُ﴾ وهو فعل^(١) جماعة؛ حملاً على لفظ «مَنْ».

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ ﴿أَكِنَّةٌ﴾ جمع كِنَان؛ وهو الغطاء، و﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ في موضع مفعول من أجله؛ تقديره: كراهة أن يفقهوه.

ومعنى الآية: أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه، وعبر بالأكِنَّة والوَقْر؛ مبالغة، وهي استعارة.

﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: قَصَصُهُمْ وأخبارُهُمْ، وهو جمع أسْطَار وأسطورة. قال السهيلي: حيثما ورد^(٢) في القرآن ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ فإن قائلها هو النَّضْر بن الحارث، وكان قد دخل بلاد فارس، وتعلم أخبار ملوكهم، فكان يقول: حديثي أحسن من حديث محمد^(٣).

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ ﴿هُمْ﴾ عائذ على الكفار، والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على القرآن، والمعنى: وهم ينهون الناس عن الإيمان به، وينأون هم عنه - أي يبعدون -، والنَّأْيُ: هو البُعد^(٤).

وقيل: الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على النبي ﷺ، ومعنى ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: ينهون الناس عن إدايته، وهم مع ذلك يبعدون عنه، والمراد بالآية - على هذا -: أبو طالب ومن كان معه يحمي النبي ﷺ ولا يُسلم.

(١) في ب: «اللفظ».

(٢) في د: «وقع».

(٣) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٠١).

(٤) في د، ه: «والنائي هو البعيد» وكذا في هامش أ، ورمز له بـ«خ».

وفي قوله: ﴿يَنْهَوْنَ﴾ و﴿يَنْتُونُ﴾ ضربٌ من ضربِ التَّجْنِيسِ .
﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ : جواب «لو» محذوفٌ هنا وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ
إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ ، وإنما حُذِفَ ليكون أبلغَ ما يُقَدَّرُه السَّامِعُ ؛ أي : لو ترى
لرأيت أمرًا شنيعًا هائلًا .

ومعنى ﴿وَقَفُوا﴾ : حُسِّبُوا . قاله ابن عطية^(١) .

ويَحْتَمِلُ أن يريد بذلك :

إذا دخلوا النار .

أو إذا عاينوها وأشرفوا عليها .

ووضع «إِذْ» موضع «إِذَا» ؛ لتحقيق وقوع الفعل حتى كأنه ماضٍ .
﴿يَلَيِّنَا نُرْدُّ وَلَا نُكَذِّبُ﴾ قرئ برفع ﴿نُكَذِّبُ﴾ و﴿نُكُونُ﴾ ؛ على
الاستئنافِ والقطعِ عن التمني ، ومثله سيبويه بقولك : دعني ولا أعود ؛
أي : وأنا لا أعود .

ويَحْتَمِلُ أن يكون :

حالًا ؛ تقديره : نُرْدُّ غيرَ مكذِّبين .

أو عطفًا على ﴿نُرْدُّ﴾ .

وقرئ بالنصب ؛ بإضمار «أَنْ» بعد الواو في جواب التمني .

﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ المعنى : ظهر لهم يوم القيامة في

(١) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٣٤١) .

صحائفهم ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم.

وقيل: هي في أهل الكتاب؛ أي: بدا لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد ﷺ.

وقيل: هي في المنافقين؛ أي: بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر. وهذا القولان بعيدان؛ فإن الكلام من أوله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب.

وقيل: إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا وأخفوا ذلك الخوف؛ لئلا يشعر به^(١) أتباعهم، فظهر لهم ذلك يوم القيامة.

﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾ إخبارٌ بأمر لا يكون، لو كان كيف كان يكون، وذلك مما انفرد الله بعلمه.

﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ يعني في قولهم: ﴿وَلَا نُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ولا يصح أن يرجع إلى قولهم: ﴿يَلَيِّنَا نُرَدُّ﴾؛ لأن التمني لا يحتمل الصدق ولا الكذب.

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ حكاية عن^(٢) قولهم في إنكار البعث الآخر. أي: لا شيء من هذا إلا حياتنا الدنياه.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ تقريرٌ لهم وتوبيخٌ.

(١) في ب: «بهم».

(٢) سقط الحرف من ب، ج، هـ.

[قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْقُوتُ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَايَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتِ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٢٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَن يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ يَكُونُ لَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَيْنَكُمُ السَّاعَةُ أَعْبَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾] .

﴿قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ الضمير في ﴿فِيهَا﴾ للحياة الدنيا ؛ لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يجز لها ذكر .

وقيل : للساعة ؛ أي : فرطنا في شأنها ، والاستعداد لها .

والأول أظهر .

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ كناية^(١) عن تحمّل الذنوب ، وقال :

(١) في د : «عبارة» .

﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ ؛ لأن العادة حمل الأثقال على الظهر .

وقيل : إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقةً ، وروي في ذلك أن الكافر يركبه عمله بعد أن يتمثل له في أقبح صورة ، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتصور له في أحسن صورة .

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ إخبار عن سوء ما يفعلون من الأوزار .

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ قرأ نافع «يحزن» حيث وقع بضم الياء ؛ من «أحزن» ، إلا قوله : ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] .

وقرأ الباقر بفتح الياء ؛ من «حزن» الثلاثي ، وهو أشهر في اللغة .

و﴿الَّذِي يَقُولُونَ﴾ : قولهم : إنه ساحرٌ ، شاعرٌ ، كاهنٌ .

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ من قرأ بالتشديد فالمعنى : لا يكذبونك معتقدين لكذبك ، وإنما هم يجحدون الحق مع علمهم به .

ومن قرأه بالتخفيف :

ف قيل : معناه : لا يجدونك كاذباً ؛ يقال : أَكْذَبْتُ فلاناً ؛ إذا وجدته كاذباً ، كما يقال : أَحْمَدْتُهُ ؛ إذا وجدته محموداً .

وقيل : هو بمعنى التشديد ؛ يقال : كَذَّبَ فلان فلاناً وأَكْذَبَهُ بمعنى واحد ، وهو الأظهر ؛ لقوله بعد هذا : ﴿يَجْحَدُونَ﴾ ، ويؤيد هذا : ما روي أنها نزلت في أبي جهل ؛ فإنه قال لرسول الله ﷺ : إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به ، وأنه قال للأحنس بن شريق : والله إن محمداً لصادق ، ولكنني أحسده على الشرف .

﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: ولكنهم، ووضع الظاهر موضع المضمَر؛ للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الآية؛ تسليّة للنبي ﷺ، وحضُّ له على الصَّبْر، ووعدُّ له بالنصر.

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: لمواعيدة لرسله؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُتَرَسِّلِينَ﴾ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٢]، وفي هذا تقوية للوعد.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: من أخبارهم، ويعني بذلك: صبرهم ثم نصرهم، وهذا أيضًا تقوية للوعد والحض على الصبر. وفاعل ﴿جَاءَكَ﴾ محذوف؛ تقديره: نبأ أو جلاء^(١).

وقيل: هو المجرور.

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ الآية؛ مقصودها: حمل النبي ﷺ على الصبر، والتسليم لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر، فإنه ﷺ كان شديد الحرص على إيمانهم، فقليل له: إن استطعت أن تدخل في الأرض أو تصعد إلى السماء لتأتيهم^(٢) بآية يؤمنوا بسببها فافعل، وأنت لا تقدر على ذلك، فاستسلم لأمر^(٣) الله.

(١) في هامش ب: «خ: بيان»، وفي د: «خبر».

(٢) في د: «فتأتيهم».

(٣) في ب، ه: «بأمر».

والتَّفَقُّ في الأرض معناه: مَنفَذُ تَنفُذٍ فيه إلى ما تحت الأرض.

وحُذِفَ جواب «إن»؛ لفهم المعنى.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ حجةٌ لأهل السنة على القدرية.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: من الذين يجهلون أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ المعنى: إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون.

﴿وَالْمَوْتِ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن الموتى: عبارة عن الكفار؛ (لموت قلوبهم، والبعث يراد به: الحشر يوم القيامة، فالمعنى: أن الكفار في الدنيا كالموتى في قلة سمعهم وعدم فهمهم)^(١) فيبعثهم الله في الآخرة، وحينئذ يسمعون.

والآخر: أن الموتى: عبارة عن الكفار، والبعث: عبارة عن هدايتهم للْفَهْمِ وَالسَّمْعِ.

والثالث: أن الموتى على حقيقته، والبعث على حقيقته؛ فهو إخبارٌ عن بعث الموتى يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ الضمير في ﴿وَقَالُوا﴾ للكفار، و﴿لَوْلَا﴾ عَرَضٌ، والمعنى: أنهم طلبوا أن يأتي النبي ﷺ بآية على نبوته.

(١) سقط من ب.

فإن قيل : فقد أتى بآيات ومعجزات كثيرة فلم طلبوا آية؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنهم لم يعتدوا بما أتى به ؛ فكأنه لم يأت بشيء عندهم ؛
لعنادهم وجحدهم .

والآخر : أنهم إنما طلبوا آية تضطرُّ إلى الإيمان من غير نظر ولا تفكر^(١) .

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ جوابٌ على قولهم ، وقد حُكي هذا
القول عنهم في مواضع من القرآن ، وجُوبوا عليه بأجوبة مختلفة :

منها : ما يقتضي الردَّ عليهم في طلبهم للآيات ؛ فإنهم^(٢) قد أتاهم بآيات ،
وتحصيل الحاصل لا يُبتغى ؛ كقوله : ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾ [البقرة : ١١٨] ،
وكقوله : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت : ٥١] .

ومنها : ما يقتضي الإعراض عنهم ؛ لأن الخصم إذا تبين عناده سقطت
مكالمته ، ويَحتمل أن يكون من هذا قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ .

ويَحتمل أيضًا أن يكون معناه : قادرٌ على أن ينزل آية تضطرُّهم إلى الإيمان .

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حُذِفَ مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ، وهو يَحتمل

وجهين :

أحدهما : لا يعلمون أن الله قادر .

والآخر : لا يعلمون أن الله إنما منع الآيات التي تضطرُّ إلى الإيمان

(١) في د : «فكر» .

(٢) في ب ، هـ «بأنهم» .

لمصالح العباد؛ فإنهم لو رأوها ولم يؤمنوا لُعُوجِلُوا بالعذاب.
﴿بِحَنَاحِهِ﴾ تأكيد، وبيان، وإزالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة؛
فقد يقال: طائرٌ للسَّعد والنَّحس.

﴿أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ أي: في الخلق والرزق والحياة والموت وغير ذلك.
ومناسبة ذِكر هذا لما قبله من وجهين:

أحدهما: أنه تنبيهٌ على مخلوقات الله تعالى؛ فكأنه يقول: تفكروا في
آياته في مخلوقاته، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات.

والآخر: أنه تنبيهٌ على البعث؛ كأنه يقول: جميع الدوابِّ والطَّير
يحشر يوم القيامة كما تحشرون أنتم، وهو أظهر؛ لقوله بعده: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما أغفلنا، والكتاب هنا:

اللوح المحفوظ، والكلام على هذا عام.

وقيل: هو القرآن، والكلام على هذا خاص؛ أي: ما فرطنا فيه من شيءٍ
فيه هدايتكم والبيان لكم.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي: تُبعثُ الدوابُّ والطَّير^(١) يوم القيامة
للجزاء والفصل بينها.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ الآية؛ لما ذكر قدرته على بعث الخلق كلهم أتبعه بأن

(١) في د: «والطير».

وصف من كَذَّبَ بذلك بالصَّمِّمِ والبَكَمِ.

وقوله: ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ يقوم مقام الوصف بالعمى.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ معناه: أخبروني، والضمير الثاني للخطاب، ولا محلَّ له من الإعراب.

وجواب الشرط محذوف؛ تقديره: إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة مَنْ تَدْعُونَ؟، ثم وَقَّفَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَدْعُونَ حِينَئِذٍ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا يَدْعُونَ آلَهُتَهُمْ.

والآية احتجاجٌ عليهم، وإثباتٌ للتوحيد، وإبطالٌ للشرك.

﴿إِنْ شَاءَ﴾ استثناء؛ أي: يكشف ما نزل بكم إن أراد، ويصيبكم به إن أراد.

﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ يحتمل أن يكون من: النسيان، أو الترك.

[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٤٢﴾
 فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا
 فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ
 غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُم بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصْرَفُ الْأَيَّاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذَقُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن
 أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ
 الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾
 وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي
 خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ
 يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾] .

﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ كان ذلك على وجه التَّخْوِيفِ والتَّأْدِيبِ .

﴿فَلَوْلَا﴾ هنا : عَرَضٌ وَتَحْضِيضٌ .

وفيه دليل على نفع التضرع حين الشدائد .

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ الآية ؛ أي : لما تركوا الاتِّعَاضَ بما ذُكِّرُوا به من الشدائد فَتَحَ

عليهم أبواب الرزق والنَّعَمَ لِيَشْكُرُوا عليها ، فلم يشكروا ، فأخذهم الله .

﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من الخير .

﴿دَائِرُ الْقَوْمِ﴾ أي : آخِرُهُمْ ، وذلك عبارة عن استئصالهم بالكلية .

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكرٌ على إهلاك الكفار ؛ فإنه ^(١) نعمة على المؤمنين .

(١) في د : «لأنه» .

وقيل: إنه^(١) على ما تقدّم من ملاطفته في أخذه لهم بالشرّ ليزدجروا، أو^(٢) بالخير ليشكروا، حتى وجب عليهم العذاب^(٣) بعد الإنذار والإعذار.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ الآية؛ احتجاج على الكفار أيضًا.

﴿يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾ الضمير عائذ على المأخوذ.

﴿يَصْدِفُونَ﴾ أي: يُعرضون.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ الآية؛ وعيد وتهديد، والبغته: ما لم يتقدّم لهم شعور به، والجهرة: ما بدت لهم مخايله.

وقيل: ﴿بَغْتَةً﴾ بالليل، و﴿جَهْرَةً﴾ بالنهار.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ الآية؛ أي: لا أدعي شيئاً ينكر ولا يُستبعد، إنما أنا نبيّ رسول كما كان غيري من الرسل.

﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ مثال للضال والمهتدي.

(١) أي: الحمد. انظر: المحرر الوجيز (٣/٣٦٣).

(٢) في د، هـ «و».

(٣) في ب، د، هـ: «العقاب».

[﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتبين سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾].

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الضمير في ﴿بِهِ﴾ يعود على ﴿مَا يُوحَى﴾.

والإنذار عامٌ لجميع الناس، وإنما خُصَّص هنا بالذين يخافون؛ لأنه قد تقدّم في الكلام ما يقتضي اليأس^(١) من إيمان غيرهم، فكأنه يقول: أنذر الخائفين؛ لأنهم ينفعهم الإنذار^(٢)، وأعرض عمن تقدّم ذكره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون.

﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ في موضع الحال من الضمير في ﴿يُحْشَرُوا﴾.

أو استئناف إخبار.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يتعلق بـ ﴿أَنْذِرْ﴾.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ الآية؛ نزلت في ضعفاء المؤمنين، كبلال، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وخبّاب، وصُهيب، وأمثالهم، وكان

(١) في أ: «الإيأس» وفي الهامش: «خ: اليأس».

(٢) في أ: «فكأنه أنذر الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار».

بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبي ﷺ: لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء؛ لَشَرَفِنَا فلو طردتهم لا تَبْعُنَاكَ، فنزلت الآية.

﴿بِالْغَدُوَّةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قيل: هي الصلاة بمكة قبل فرض الخمس، وكانت غُدُوَّةً وَعَشِيَّةً.

وقيل: هي عبارة عن دوام الفعل.

و﴿يَدْعُونَ﴾ هنا:

من الدعاء وذكّر الله.

أو بمعنى العبادة.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ إخبار عن إخلاصهم لله، وفيه تزكية لهم.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية؛ قيل: الضمير في ﴿حِسَابِهِمْ﴾ لـ ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾.

وقيل: للمشركين؛ والمعنى على هذا: لا تُحَاسِبُ عنهم، ولا يُحَاسِبُونَ عنك، فلا تهتمّ بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [هود: ٢٩]، وقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء: ١١٣]، والمعنى على هذا: أن الله هو الذي يحاسبهم فلاي شيء تطردهم!.

﴿فَتَطْرُدْهُمْ﴾ هذا جواب النفي في قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ﴾.

﴿فَتَكُونَ﴾ هذا جواب النهي في قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدْ﴾.

أو عطف على ﴿فَتَطْرُدْهُمْ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ابتَلينا الكفار بالمؤمنين، وذلك أن الكفار كانوا يقولون: هؤلاء العبيد والفقراء من الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوننا، ونحن أشراف أغنياء!، وكان هذا الكلام منهم على جهة الاستبعاد لذلك.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ردُّ على الكفار في قولهم المتقدم. ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ هم الذين نُهي النبي ﷺ عن طردهم، أمر بأن يُسلم عليهم؛ إكراماً لهم، وأن يُؤنسهم بما بعد هذا. ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: حتمها، وفي الصحيح: «إن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي»^(١).

﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا﴾ الآية؛ وعدُّ بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح، وهو خطاب للقوم المذكورين قبل، وحكمه عامٌ فيهم وفي غيرهم. والجهالة قد ذكرت في «النساء»^(٢).

وقيل: نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء عسى أن يُسلم الكفار، فلما نزلت ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ ندم عمر على قوله، وتاب منه؛ فنزلت الآية.

وقرئ ﴿أَنَّهُ﴾:

بالفتح؛ على البدل من ﴿الرَّحْمَةِ﴾.

(١) تقدم تخريجه في صفحة ٢٤٧.

(٢) انظر صفحة ٢٨.

وبالكسر؛ على الاستئناف.

وكذلك ﴿فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بالكسر: على الاستئناف.

وبالفتح:

خبرُ ابتداءٍ مضمر؛ تقديره: فأمره أنه غفور.

وقيل: تكررُ للأولى؛ لطول الكلام.

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ﴾ الإشارة إلى ما تقدّم من النهي عن الطرد وغير ذلك.

وتفصيلُ الآيات: شَرُّحُها وبيانُها.

﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ بقاء الخطاب ونصب السبيل: على أنه

مفعول به.

وقرئ بقاء التأنيث ورفع السبيل: على أنه فاعلٌ مؤنَّث.

وبالياء والرفع: على تذكير السبيل؛ لأنه يجوز فيه التذكير والتأنيث.



[﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْبِئُكُمْ بِمَا أَهْوَاءُكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ٥٦ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِلِينَ﴾ ٥٧ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ ٥٨ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ أَرْضٍ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٥٩ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٦٠].

﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون.

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾ أي: إن اتبعت أهواءكم ضللت.

﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ أي: على أمرٍ بينٍ من معرفة ربي.

والهاء في ﴿يَبْنِي﴾: للمبالغة، أو للتأنيث.

﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ الضمير عائد على: الرب، أو على البيئة.

﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ﴾ أي: العذاب الذي طلبوه في قولهم: ﴿فَأَمْطَرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقيل: الآيات التي اقترحوها.

والأول أظهر.

﴿يَقْضُ الْحَقُّ﴾ من القصاص.

وَقَرَأَ ﴿يَقْضِ﴾ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ؛ مِنَ الْقَضَاءِ، وَهُوَ أَرْجَحُ؛ لِقَوْلِهِ:
﴿خَيْرُ الْفَصِيلِينَ﴾ أَيِ: الْحَاكِمِينَ.

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أَيِ: لَوْ كَانَ عِنْدِي الْعَذَابُ
- عَلَى التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ -، أَوِ الْآيَاتُ الْمَقْتَرَحَةُ - عَلَى التَّأْوِيلِ الْآخِرِ -؛ لَوَقَعَ
الانفصال وزال النزاع؛ لنزول العذاب، أَوْ لظهور الآيات.

﴿مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾ استعارةٌ وعِبَارَةٌ عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَى الْغُيُوبِ كَمَا يُتَوَصَّلُ
بِالْمَفَاتِحِ إِلَى مَا فِي الْخَزَائِنِ.

وَهُوَ جَمْعُ مِفْتَاحٍ - بِكسْرِ الميم -؛ بِمَعْنَى: مِفْتَاحٍ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ مَفْتَحٍ - بِالْفَتْحِ -؛ وَهُوَ الْمَخْزُونُ.

﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ تَنْبِيهٌُ بِهَا عَلَى غَيْرِهَا؛ لِأَنَّهَا أَشَدُّ تَغْيِبًا مِنْ
كُلِّ شَيْءٍ.

﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، وَقِيلَ: عِلْمُ اللَّهِ.

﴿يَتَوَفَّنُكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ أَيِ: إِذَا نَمْتُمْ، وَفِي ذَلِكَ عِتْبَارٌ وَاسْتِدْلَالٌ عَلَى الْبَعْثِ
الْآخِرَاوِيِّ.

﴿مَا جَرَحْتُمْ﴾ أَيِ: مَا كَسَبْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ.

﴿يَتَّبِعُكُمْ فِيهِ﴾ أَيِ: يَوْقُظُكُمْ مِنَ النَّوْمِ، وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى النَّهَارِ؛ لِأَنَّ
غَالِبَ الْيَقَظَةِ فِيهِ، وَغَالِبُ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ.

﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أَجَلُ الْمَوْتِ.

[﴿وَهُوَ الْفَاحِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَتَجَنَّبُنَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِسَكُمْ شِيعًا وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ نَصْرُفِ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْكَ ﴿١٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ بِكَافِلٍ ﴿١٦﴾ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آبَائِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُبْسِطَنَّ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتُ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُ ﴿١٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾].

﴿حَفَظَةً﴾ جمع حافظ ؛ وهم الملائكة الكاتبون .

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي : الملائكة الذين مع ملك الموت .

﴿ثُمَّ رُدُّوْا﴾ خروج من الخطاب إلى الغيبة ، والضمير لجميع الخلق .

﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ﴾ الآية ؛ إقامة حجة .

﴿وَالْبَحْرِ﴾ : عبارة عن شدائدهما وأهوالهما ؛ كما يقال لليوم

الشديد : مُظْلَمٌ .

﴿عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ﴾ قيل : الذي من فوق : إِمطار الحجارة ومن تحت : الخسف .

وقيل : ﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ : تسليط أكابرهم ، و﴿مِن تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ﴾ : تسليط سَفَلَتِكُمْ ، وهذا بعيد .

﴿أَوْ يَلْسِكُمْ شِعَا﴾ أي : يَخْلِطُكُمْ فِرَقًا مختلفين .

﴿وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال .

واختلف هل الخطاب بهذه الآية للكفار أو للمؤمنين ؟ .

وروي أنه لما نزلت ﴿أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُم عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ ، قال رسول الله ﷺ :

«أعوذ بوجهك» ، فلما نزلت ﴿مِن تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال : «أعوذ بوجهك» ، فلما

نزلت ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ شِعَا﴾ ، قال النبي ﷺ : «هذه أهون»^(١) ، فقضى الله على هذه الأمة بالفتن والقتال إلى يوم القيامة .

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ الضمير عائذ :

على القرآن .

أو على الوعيد المتقدم .

و﴿قَوْمُكَ﴾ هم قريش .

﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي : بحفيظ ومتسلط ، وفي ذلك متاركة نسخها

القتال .

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٨) .

﴿لِكُلِّ نَبَرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: غاية يُعرفُ عندها صدقه من كذبه.

﴿يَخُونُونَ فِيَّ إِيَّانَا﴾ في الاستهزاء بها، والطعن فيها.

﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: قم ولا تجالسهم.

﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ «إمّا» مرغبة من «إن» الشرطية و«ما» الزائدة،

والمعنى: إن أنساك الشيطان النهي عن مجالستهم فلا تقعد بعد أن تذكر النهي.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْفُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ «الذين ينفون»: هم

المؤمنون، والضمير في ﴿حِسَابِهِمْ﴾ للكفار المستهزئين، والمعنى: ليس على المؤمنين شيء من حساب الكفار على استهزائهم وضلالهم^(١).

وقيل: إن ذلك يقتضي إباحة جلوس المؤمنين مع الكافرين؛ لأنهم شق عليهم النهي عن ذلك؛ إذ كانوا لا بد لهم من مخالطتهم في طلب المعاش، وفي الطواف بالبيت وغير ذلك، ثم نُسِخت بآية «النساء»؛ وهي: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] الآية.

وقيل: إنها لا تقتضي إباحة القعود.

﴿وَلَكِنْ ذَكَرْنَاهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْفُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المعنى: ليس على المؤمنين حساب الكفار، ولكن عليهم تذكير لهم، ووعظ^(٢).

(١) في أ: «وإضلالهم».

(٢) في د: «تذكيرهم ووعظهم».

وإعراب ﴿ذَكَرَ﴾ على هذا :

نَضْبٌ على المصدر ؛ وتقديره : يذكرونهم ذكرى .

أو رَفْعٌ على المبتدأ ؛ تقديره : عليهم ذكرى .

والضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ عائِدٌ :

على الكفار ؛ أي : يذكرونهم رجاء أن يتقوا .

أو عائِدٌ على المؤمنين ؛ أي : يذكرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى لله .

والوجه الثاني : أن المعنى : ليس نهى المؤمنين عن القعود مع الكافرين بسبب أن عليهم من حسابهم شيء ، وإنما هو ذكرى للمؤمنين .

وإعراب ﴿ذَكَرَ﴾ على هذا :

خبرٌ ابتداءً مضمَرٌ ؛ تقديره : ولكن نهىهم ذكرى .

أو مفعولٌ من أجله ؛ تقديره : إنما نهوا ذكرى .

والضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ على هذا : للمؤمنين لا غيرُ .

﴿وَذَرِ الَّذِينَ﴾ قيل : إنها متاركةٌ منسوخة بالسيف .

وقيل : بل هي تهديدٌ فلا^(١) متاركةٌ ؛ فلا نسخ فيها .

﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ أي : اتَّخَذُوا الدين الذي كان ينبغي لهم لعبًا ولهوًا ؛ لأنهم سخروا منه .

(١) في د : «بلا» .

أَوْ اتَّخَذُوا الدِّينَ الَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ لَعِبًا وَلَهْوًا ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ فَهُمْ يَلْعَبُونَ وَيَلْهُونَ .

﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ الضمير عائد : على الدين ، أو على القرآن .

﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾ قيل : معناه : تُحْبَسَ ، وقيل : تُفْضَحَ ، وقيل : تَهْلِكَ .

وهو في موضع مفعولٍ من أَجَلَهُ ؛ أي : ذَكَّرْ بِهِ ؛ كراهةً أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ .

﴿وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ دَلِيلٍ﴾ أي : وَإِنْ تُعْطِ كُلَّ فِدْيَةٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا .



[قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُذِرُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُنْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٨﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ رَأَىٰ أَنَّهُ اتَّخَذَ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرِنَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا رَأَى السَّمَاسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٨٣﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٧﴾].

﴿قُلْ أَدْعُوا﴾ الآية؛ إقامة حجة، وتوبيخ للكفار.

﴿وَنُذِرُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ أي: نرجع من الهدى إلى الضلال، وأصل الرجوع على العقب: في المشي، ثم استعير في المعاني.

وهذه الجملة معطوفة على ﴿أَدْعُوا﴾، والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ.

﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ الكاف :

في موضع نصب على الحال من الضمير في ﴿نُرْدُّ﴾ ؛ أي : كيف نرجع مُشْبِهِينَ مَن استهوته الشياطين .

أو نعتٌ لمصدر محذوف ؛ تقديره : ردًّا كرد الذي .

ومعنى ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ : ذهبَتْ به في مَهَامِهِ الأرض ، وأخرجته عن الطريق ؛ فهو استفعال مِن هَوَى في الأرض : إذا ذهبَ فيها .

وقال الفارسي : استهوى بمعنى : أهوى ؛ مثل استزلَّ بمعنى أزلَّ .

و﴿حَيْرَانَ﴾ أي : ضال^(١) عن الطريق ، وهو نَصَبٌ على الحال من المفعول في ﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾ .

﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا﴾ أي : لهذا المستهوي أصحابٌ - وهم رُفَقَةٌ - يدعونه إلى الهدى ؛ أي : إلى أن يَهْدُوهُ الطريق ، يقولون له : اتنا ، وهو قد تاهَ وَبَعَدَ عنهم فلا يُجِيبُهُمْ ، وهذا كُلُّهُ تمثيلٌ لمن ضلَّ في الدين عن الهدى ، وهو يُدْعَى إلى الإسلام فلا يجيب .

وقيل : نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام ، وَيُبْطِلُ هذا قولُ عائشة : ما نزل في آل أبي بكر شيءٌ من القرآن إِلَّا براءتي^(٢) .

(١) في د : «أي : ضالًّا» .

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٧) .

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا﴾ عطفٌ :

على ﴿لِنُسَلِّمَ﴾ .

أو على مفعول ﴿وَأْمُرْنَا﴾ .

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ مرفوعٌ بالابتداء، وخبرُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾، وهو مقدّم عليه،
والعامل فيه: معنى الاستقرار؛ كقولك: يومَ الجمعة القتالُ، واليومُ: بمعنى
الحين، وفاعل ﴿يَكُونُ﴾ مضمَر، وهو فاعل ﴿كُنْ﴾؛ أي: حين يقول لشيءٍ
كن: فيكون ذلك الشيء.

﴿يَوْمَ يَنْفَحُ فِي الصُّورِ﴾ ظرفٌ لقوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾؛ كقوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ
الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦].

وقيل في إعراب الآية غير هذا مما هو ضعيفٌ أو تخليطٌ.

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ خبرُ ابتداءٍ مضمِرٍ.

﴿لِأَيِّهِ أَزَرَ﴾ هو اسم أبي إبراهيم، فإعرابه: عطفٌ بيان، أو بدلٌ، ومُنْعٍ
من الصَّرفِ للعُجْمَةِ والعَلَمِيَّةِ، لا للوزن؛ فإن وزنه: فاعِلٌ؛ نحو: عابرٌ
وشالَخ.

وقرئ بالرفع؛ على النداء.

وقيل: إنه اسم صنم؛ لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم تَارَح؛ فعلى هذا
يَحْتَمَلُ:

أن يكون لَقَبٌ به؛ لملازمته له.

أو أريد: عابد آزر، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك بعيد.

ولا يبعد أن يكون له اسمان.

﴿نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قيل: إنه فرج له السموات والأرض حتى رأى ببصره الملك الأعلى والأسفل، وهذا يفتقر إلى صحة نقل.

وقيل: رأى ما يراه الناس من الملكوت، ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لأحد من أهل زمانه.

﴿وَلْيَكُونَنَّ﴾ يتعلّق بمحذوف؛ تقديره: وليكون من الموقنين فعلاً به ذلك.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي: ستره؛ يقال: جنّ عليه الليل وأجنّه.

﴿رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ يحتمل أن يكون هذا الذي جرى لإبراهيم في الكوكب والقمر والشمس:

أن يكون قبل البلوغ والتكليف، وقد روي أن أمّه ولّدتَه في غار؛ خوفاً من نمرود؛ إذ كان يقتل الأطفال؛ لأن المنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبي.

ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الردّ عليهم والتوبيخ لهم، وهذا أرجح؛ لقوله بعد ذلك: ﴿إِنِّي بِرَبِّي مُّشْكِرٌ﴾.

ولا يُتَصَوَّرُ أن يقول ذلك وهو منفرد في الغار؛ لأن ذلك يقتضي حاجة وردًا على قومه .

وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يبين لهم الخطأ في دينهم، وأن يرشدَهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحدٌ منها إلهاً؛ لقيام الدليل على حدوثها، وأن الذي أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأقولها هو الإله الحق وحده، فقوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ قول من يُنصِفُ خصمه مع علمه أنه مُبْطَلٌ؛ لأن ذلك أدعى إلى الحق وأقرب إلى رجوع الخصم، ثم أقام عليه الحجة بقوله: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾؛ أي: لا أحب عبادة المتغيّرين؛ لأن التغيّر دليل على الحدوث، والحدوث ليس من صفات الإله، ثم استمرّ على ذلك المنهاج في القمر وفي الشمس، فلما أوضح البرهان، وأقام عليهم الحجة، جاهرهم بالبراءة من باطلهم، فقال: ﴿إِنِّي بَرِيٌّ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، ثم أعلن بعبادته لله وتوحيده له فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، ووصف الله تعالى بوصف يقتضي توحيده وانفراده بالملك .

فإن قيل: لم احتجّ بالأفول دون الطُلُوع، وكلاهما دليلٌ على الحدوث؛ لأنهما انتقالٌ من حال إلى حال؟

فالجواب: أنه أظهرُ في الدلالة؛ لأنه انتقالٌ مع اختفاء^(١) واحتجاب^(٢).

(١) في ب، ج، هـ: «خفاء».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البرّاك: قوله: «... ثم أقام عليه الحجة بقوله: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي: لا أحب عبادة المتغيّرين؛ لأن التغيّر دليلٌ على الحدوث»، إلخ =

﴿أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ﴾ أي: في الإيمان بالله وفي توحيده، والأصل: أتحتاجونني - بنونين - .

وقرى:

بالتشديد؛ على إدغام إحداهما في الأخرى.

وبالتخفيف؛ على حذف إحداهما، واختلف هل حذفت الأولى أو الثانية؟.

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ ﴿مَا﴾ هنا بمعنى: «الذي»، ويريد بها: الأصنام، وكانوا قد خوفوه أن تصيبه أصنامهم بضرٍّ، فقال: لا أخاف منهم؛ لأنهم لا يَقْدِرُونَ على شيء.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ استثناء منقطع بمعنى: «لكن»؛ أي: إنما أخاف من ربي إن أراد بي شيئاً.

= أقول: عليه في هذا الكلام مأخذان:

أحدهما: تفسير الأفعال بالتغير، وهو من التفسير باللازم؛ فإن أفل في اللغة بمعنى غاب، والأقول هو الغياب بعد الظهور، فعليه يكون ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي: الغائبين بعد الظهور.

الثاني: جزمه بأن كل متغير محدث؛ فيقتضي ذلك نفي التغير عن الله، وابن جزري وأمثاله يطلقون نفي التغير عن الله بهذه الشبهة، والصواب أن التغير من الألفاظ المحدثة المجملة التي لا تجوز إضافتها إلى الله، لا نفياً ولا إثباتاً، إلا بعد الاستفصال عن مراد المتكلم بها؛ فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً رد، وإن أرادهما ميز الباطل من الحق، فعلى هذا؛ إن أريد بالتغير قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه، فالنفي باطل، والإثبات حق، وإن أريد بالتغير النقص بعد الكمال في ذاته تعالى وصفاته، فالنفي حق، والإثبات باطل، وابن جزري وأمثاله هم من نفاة الصفات الفعلية في الجملة.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ أي: كيف أخاف شركاءكم الذين لا يقديرون على شيء، وأنتم لا تخافون ما فيه كل خوف؛ وهو إشراككم بالله؟، فأنتم تنكرون عليّ الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف، ثم أوقفهم على ذلك بقوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ يعني: فريق المؤمنين، وفريق الكافرين، ثم أجاب عن السؤال بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية.

وقيل: إن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية استئناف، وليس من كلام إبراهيم. ﴿وَلَمْ يَلْسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤).

[﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾].

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ إشارة إلى ما تقدّم من استدلاله واحتجاجه .

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ الضمير : لنوح ، أو إبراهيم عليهما السلام ، والأول هو الصحيح ؛
لذكر لوط ؛ وليس من ذرية إبراهيم .

﴿دَاوُدَ﴾ عطف على ﴿نُوحًا﴾ ؛ أي : وهدينا داود .

﴿وَعِيسَى﴾ فيه دليل على أن أولاد البنات يقال لهم : ذرية ؛ لأن عيسى ليس له أب ؛ فهو ابن بنت نوح .

﴿وَمِن آبَائِهِمْ﴾ في موضع نصب ؛ عطفاً على ﴿كُلًّا﴾ ؛ أي : وهدينا بعض آبائهم .

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾ أي : أهل مكة .

﴿وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ هم : الأنبياء المذكورون ، وقيل : الصحابة ، وقيل : كل

مؤمن .

والأول أرجح؛ لدلالة ما بعده على ذلك .
 ومعنى توكيلهم بها : توفيقهم للإيمان بها والقيام بحقوقها .
 ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾ إشارة إلى الأنبياء المذكورين .
 ﴿فَهَدَاهُمْ أَقَدَرُهُ﴾ استدلال به من قال : إن شرع من قبلنا شرع لنا .
 فأما أصول الدين من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
 الآخر ؛ فاتفقت فيه جميع الشرائع .
 وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع ، والخلاف : هل يقتدي
 النبي ﷺ فيها بمن قبله أم لا ؟ .
 والهاء في ﴿أَقَدَرُهُ﴾ للوقف ؛ فينبغي أن تسقط في الوصل ، ولكن من
 أثبتها فيه راعى ثبوتها في خط المصحف .

[﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُم مَّا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾].

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم؛ إذ أنكروا بعثه للرسل وإنزاله للكتب.

والقائلون هم: اليهود؛ بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار نبوة محمد ﷺ، وروي أن الذي قالها منهم مالك بن الصَّيْف، فردَّ الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بدَّ لهم من الإقرار به؛ وهو إنزال التوراة على موسى.

وقيل: القائلون قريش، وألزموا ذلك؛ لأنهم كانوا مقرِّين بالتوراة.

﴿وَعِلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ الخطاب: لليهود، أو لقريش؛ على وجه إقامة الحجة والردَّ عليهم في قولهم: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾.

فإن كان لليهود: فالذي علَّموه: التوراة.

وإن كان لقريش: فالذي علَّموه: ما جاء به محمد ﷺ.

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب: ﴿مَنْ أَنْزَلَ﴾ ، واسم ﴿اللَّهُ﴾ :

مرفوعٌ بفعل مضمر ؛ تقديره: أنزله الله .

أو مرفوع بالابتداء .

﴿وَلِنُنْذِرَ﴾ عطفت على صفة الكتاب .

﴿أَمْ الْقُرَى﴾ مكة ، وسميت أم القرى :

لأنها مكان أول بيت وضع للناس .

ولأنه جاء أن الأرض دُحيت منها .

ولأنها يحج إليها أهل القرى من كل فج عميق .

﴿أَوْ قَالَ أُوْحَىٰ إِلَىٰ﴾ هو مُسَيِّلِمَة وغيره من الكذابين الذين ادَّعوا النبوة .

﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ هو النَّضْر بن الحارث ؛ لأنه عارض

القرآن ، واللفظ عام فيه وفي غيره من المستهزئين .

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ جوابه محذوف ؛ تقديره: لرأيت أمراً عظيماً .

﴿الظَّالِمُونَ﴾ :

مَنْ تقدّم ذكره من اليهود والكذابين والمستهزئين ؛ فتكون اللام للعهد .

أو أعم من ذلك ؛ فتكون للجنس .

﴿بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: تبسط الملائكة أيديهم إلى الكفار ، يقولون لهم :

﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ؛ وهذه عبارة عن التّعنيف في السّياق ، والشّدة في

قبض الأرواح .

﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ:

ذلك^(١) الوقتَ بعينه .

أو الوقت الممتدَّ من حينئذٍ إلى الأبد .

﴿الْهَوْنِ﴾ الدَّلة .

﴿فَرْدَى﴾ منفردين :

عن أموالكم وأولادكم .

أو عن شركائكم .

والأول يترجَّح بقوله^(٢) : ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ﴾ ؛ أي : ما أعطيناكم من الأموال والأولاد .

ويترجح الثاني بقوله : ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ .

﴿تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ تَفَرَّقَ شَمْلُكُمْ .

ومن قرأه بالرفع :

أسند الفعل إلى الظرف واستعمله استعمال الأسماء .

أو يكون اليبين بمعنى الفُرقة ، أو بمعنى الوصل .

ومن قرأه بالنصب : فالفاعل :

مصدرُ الفعل .

أو محذوفٌ ؛ تقديره : تقطع الاتصال بينكم .

(١) في ب، د، هـ : «بذلك» .

(٢) في أ، ب، ج، هـ : «لقوله» .

[﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىٰ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النَّجْمَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ، يَنْبَنٍ وَبَنَتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾].

﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ أي: يفلق الحبَّ تحت الأرض؛ لخروج النبات منها، ويفلق النوى؛ لخروج الشجر منها.

وقيل: أراد الشَّقَيْنِ اللذَيْنِ في النواة والحِنطة.

والأول أرجح؛ لعمومه في أصناف الحبوب.

﴿يُخْرِجُ الْحَى﴾ تقدَّم في «آل عمران»^(١).

﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ معطوفٌ على ﴿فَالِقُ﴾.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ أي: الصبح؛ فهو مصدر سُمِّي به الصبح، ومعنى فَلَقَهُ: إخراجُه من الظلمة.

وقيل: إن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح، فالتقدير: فالقُ ظلمة الإصباح.

﴿سَكَنًا﴾ أي: يُسَكِّنُ فيه عن الحركات وَيُسْتَرَّاحُ.

﴿حُسْبَانًا﴾ أي: يُعَلِّمُ بهما حساب الأزمان والليل والنهار.

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ما أحسنَ ذِكْرَ هذين الاسمين هنا!؛ لأن العزيز يغلب كل شيء ويقهره، وهو قد قهر الشمس والقمر وسخرهما كيف شاء، والعليم لما في تقدير الشمس والقمر والليل والنهار من العلوم والحكمة العظيمة وإتقان الصنعة.

﴿فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ أي: في ظلمات الليل في البر والبحر، وأضاف الظلمات إليهما لملا بستهما^(١) لهما.

أو شبه الطرق المشتبهة بالظلمات.

﴿فَسَتَّارٌ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ مَنْ كَسَرَ الْقَافَ مِنْ ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾: فهو اسم فاعل، و﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ اسم مفعول، والتقدير: فمنكم مستقرٌّ ومستودعٌ.

وَمَنْ فَتَحَهَا: فهو اسم مكان أو مصدر، و﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ مثله، والتقدير على هذا: لكم مستقرٌّ ومستودعٌ.

والاستقرار: في الرَّجْمِ، والاستيداع: في الصُّلْبِ.

(١) في د: «لمناستهما».

وقيل: الاستقرار: فوق الأرض، والاستيداع: تحتها.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ الضمير يعود على الماء.

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ الضمير عائد على النبات.

﴿خَضِرًا﴾ أي: أخضر غصًا، وهو يتولد من أصل النبات من الفِراخ.

﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ الضمير عائد على الخضر.

﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ يعني: السُّنبُل؛ لأنَّ حَبَّهُ بعضه على بعض، وكذلك الرُّمَان وشبهها.

﴿قِنَوَانٌ﴾ جمع قِنْوٍ، وهو العنقود من التمر.

وهو مرفوع بالابتداء، وخبره ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾، و﴿مِنْ طَلْمِهَا﴾ بدل.

والطَّلَع: أول ما يخرج من التمر في أكمامه.

﴿دَائِنَةٌ﴾ أي: قريبة سهلة للتناول.

وقيل: قريب بعضها من بعض.

﴿وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ بالنصب؛ عطفاً على ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

وقرئ - في غير السبع - بالرفع؛ عطفاً على ﴿قِنَوَانٌ﴾.

﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِّهٍ﴾ نَضَبٌ على الحال:

مِنْ ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾.

أو من كلِّ ما تقدَّم من النبات.

والمشتبه والمتشابه بمعنى واحد؛ أي: مِنَ النبات ما يشبه بعضه بعضًا

في اللون والطعم والصورة، ومنه ما لا يشبه بعضه بعضًا، وفي ذلك دليلٌ قاطع على الصانع المختار القدير^(١) العليم المريد.

﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ أي: انظروا إلى ثمره أول ما يخرج ضعيفًا لا منفعة فيه، ثم يُنقل من حال إلى حال حتى يَنْعَ؛ أي: يَنْضَجَ ويطيب.

﴿شُرَكَاءَ الْجَنِّ﴾ نَصْبُ ﴿الْجَنِّ﴾ على أنه:

مفعول أول لـ ﴿جَعَلُوا﴾، و﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول ثانٍ، وقُدِّم لاستعظام الإشراك.

أو ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول أول، و﴿لِلَّهِ﴾ في موضع المفعول الثاني، و﴿الْجَنِّ﴾ بدلٌ من ﴿شُرَكَاءَ﴾.

والمراد بهم هنا:

الملائكة؛ وذلك ردُّ على من عبدهم.

وقيل: المراد الجن، والإشراك بهم: طاعتهم.

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ الواو للحال، والمعنى: الرَّدُّ عليهم؛ أي: جعلوا لله شركاء وهو خلقهم.

والضمير عائد: على الجن، أو على الجاعلين؛ والحجة قائمة على الوجهين.

(١) في ب، ج، هـ: «العزیز».

﴿وَحَرِّفُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ أي: اختلقوا وزوّروا، والبنين قول النصارى في المسيح، واليهود في عزيز، والبنات قول العرب في الملائكة.

﴿بَغْيَرٍ عَلِيمٍ﴾ أي: قالوا ذلك بغير دليل؛ بل مجرد افتراء.

﴿بَدِيعٌ﴾ ذَكَرَ معناه في «البقرة»^(١)، ورفع على أنه:

خبرُ ابتداءٍ مضمير.

أو مبتدأ وخبره: ﴿أَنِّي يَكُونُ﴾.

أو فاعلٌ ﴿تَعْلَى﴾.

والقصد به الردُّ على مَنْ نَسَبَ لله البنين والبنات؛ وذلك من وجهين:

أحدهما: أن الولد لا يكون إلا من جنس والده، والله تعالى متعالٍ عن الأجناس؛ لأنه مُبْدِعُهَا، فلا يصحُّ أن يكون له ولد.

والآخر: أن الله خلق السموات والأرض، ومن كان هكذا فهو غنيٌّ عن الولد وعن كل شيء.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ مسبَّبٌ عن مضمون الجملة؛ أي: مَنْ كان هكذا فهو المستحقُّ للعبادة وحده.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبَصَرُ﴾ يعني: في الدنيا، وأما في الآخرة؛ فالحقُّ أن المؤمنين يرون ربهم؛ بدليل قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُهَا نَاطِرَةً﴾ [القيامة: ٢٣]، وقد جاءت في ذلك أحاديثٌ صحيحةٌ صريحةٌ المعنى، لا تحتلُّ التأويل.

وقالت الأشعرية : إن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة عقلاً ؛ لأن موسى سألها من الله ، ولا يسأل موسى ما هو محال .

وقد اختلف الناس هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء أم لا ؟ .

﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ قال بعضهم : الفرق بين الرؤية والإدراك : أن الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى غايته ؛ فلذلك نفى أن تدرك أبصارُ الخلق ربهم ، ولا يقتضي ذلك نفى الرؤية ؛ وحسن على هذا قوله : ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ؛ لإحاطة علمه تعالى بالخفيات .

﴿اللطيفُ الخبيرُ﴾ أي : لطف عن أن تدركه الأبصار ، وهو الخبير بكل شيء ؛ فهو يدرك الأبصار .

[قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٦٦﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٧﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٦٩﴾ وَلَا تَسْأَلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْأَلُوكَ اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٠﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧١﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٧٢﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَلَكَّمْهُمُ الْوَقْوَ وَحْشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١٧٣﴾].

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ﴾ جمع بصيرة؛ وهي نور القلب، والبصر نور العين.
 وهذا الكلام على لسان النبي ﷺ؛ لقوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾.
 ﴿وَلِيُقُولُوا﴾ متعلق بمحذوف؛ تقديره: ليقولوا؛ صرفنا الآيات.
 ﴿دَرَسْتَ﴾ - بإسكان السين وفتح التاء-؛ أي: درست العلم وقرأته.
 و﴿دَارَسْتَ﴾ - بالالف-؛ أي: دارست العلماء وتعلمت منهم.
 و﴿دَرَسْتَ﴾ - بفتح السين وإسكان التاء-؛ بمعنى: قدمت هذه الآيات
 ودثرت.

﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ الضمير للآيات، وجاء مذكراً؛ لأن المراد بها القرآن.
 ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ إن كان معناه: أعرض عما يدعونك إليه، أو عن
 مجادلهم فهو مُحْكَم.

وإن كان: عن قتالهم وعقابهم فهو منسوخ.

وكذلك: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ و﴿بَوَكِيلٍ﴾.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا تسبوا آلهتهم فيكون ذلك سبباً لأن يسبوا الله.

واستدلَّ المالكية بهذا على سدِّ الذرائع.

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: هي بيد الله لا بيدي.

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي: ما يُدْرِيكُم؛ وهو من الشعور بالشيء.

و«ما»: نافية، أو استفهامية.

﴿أَنهَآ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مَنْ قرأ بفتح ﴿أَنهَآ﴾:

فهو معمولٌ ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾؛ أي: ما يدريكُم أن الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها؟!، نحن نعلم ذلك وأنتم لا تعلمونه.

وقيل: ﴿لَا﴾ زائدة؛ والمعنى: ما يُشْعِرُكم أنهم يؤمنون.

وقيل: «أَنَّ» هنا بمعنى «لعل».

وَمَنْ قرأ بالكسر: فهي استئنافٌ إخباري، وتَمَّ الكلام في قوله: ﴿وَمَا

يُشْعِرُكُمْ﴾؛ أي: ما يشعركم ما يكون منهم.

فعلى القراءة بالكسر: يوقف على ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾.

وأما على القراءة بالفتح:

فإن كانت «أَنَّ» مصدرية لم يوقف عليه؛ لأنه عاملٌ فيها.

وإن كانت بمعنى «لعلَّ»: فأجاز بعض الناس الوقف، ومنعه شيخنا أبو جعفر بن الزبير؛ لما في «لعلَّ» من معنى التعليل.

﴿وَنَقَلَبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ أي: نطبع عليها ونصدّها عن الفهم فلا يفقهون.

﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ الكاف للتعليل؛ أي: نطبع على أفئدتهم وأبصارهم؛ عقوبة لهم على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة.

ويحتمل أن تكون للتشبيه؛ أي: نطبع عليها إذا رأوا الآيات مثل ما طبّعنا عليها أول مرة.

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ الآية؛ ردّ عليهم في قسّمهم أنهم لو جاءتهم آية لآمنوا بها؛ أي: لو أعطيناهم هذه الآيات التي اقترحوها وكلّ آية لم يؤمنوا إلّا أن يشاء الله.

﴿قَبَلًا﴾ - بكسر القاف وفتح الباء -؛ أي: معاينةً، فنصّبهُ على الحال.

وقرى بضمّتين؛ ومعناه: مواجهةً؛ كقوله: ﴿قَدْ مِنْ قَبْلِ﴾ [يوسف: ٢٦].

وقيل: هو جمع قبيل بمعنى كفيل؛ أي: كفلاء بتصديق رسول الله ﷺ.

[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ أَفِئْدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١٧٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٧٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٧٥﴾ وَإِن تُلْقُ أَكْثَرًا مِّن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٧٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٨﴾ وَمَا لَكُم مَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٧٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنْمِرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنْمِرَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٨٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٨١﴾] .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ الآية ؛ تسليّة للنبي ﷺ بالتأسي بغيره .

﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ أي : المتمردين من الصنفين ، ونصب

﴿شَيْطَانٍ﴾ :

على البدل من ﴿عَدُوًّا﴾ ؛ إذ هو بمعنى الجمع .

أو مفعول أول ، و﴿عَدُوًّا﴾ مفعول ثان .

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي : يوسوس ويلقي الشر .

﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ ما يزينه من القول .

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ الضمير عائدٌ :

على وحيهم .

أو على عداوة الكفار .

﴿فَذَرَّهُمْ﴾ وعيدٌ .

﴿وَمَا يَفْقَرُونَ﴾ «ما» في موضع نصب ؛ على أنها :

مفعولٌ معه .

أو عطفت على الضمير .

﴿وَلِنَصْنَعَنَّ﴾ أي : تميل ، وهو متعلق بمحذوف ، واللام لام الصيرورة .

﴿إِلَيْهِ﴾ الضمير لوجيهم .

﴿وَلَيَفْقَرُوا﴾ يكتسبوا .

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ معمولٌ لقول محذوف ؛ أي : قل لهم .

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي : صَحَّتْ ، والكلمات : ما نزل على عباده

من كتبه .

﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي : صدقًا فيما أخبر ، وعدلًا فيما حَكَم .

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ القصد بهذا الأمر : إباحة ما ذُكِرَ اسم الله

عليه ، والنهي عما ذبح للنُصْب وغيرها ، وعن الميتة ، وهذا النهي يقتضيه

دليل الخطاب من الأمر ، ثم صرَّح به في قوله : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ

اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ .

وقد استدللّ بذلك مَنْ أوجب التسمية على الذبيحة، وإنما جاء الكلام في سياق تحريم الميتة وغيرها، فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليلٌ على وجوب التسمية في ذبائح المسلمين، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك.

وقال عطاء: هذه الآية أمرٌ بذكر الله على الذبح والأكل والشرب^(١).
﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ المعنى: أي غرض لكم في ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه وقد بين لكم الحلال من الحرام؟
﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ استثناءٌ مما حرّم.
﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ لفظٌ يعمُّ أنواع المعاصي؛ لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر.

وقيل: الظاهر: الأعمال، والباطن: الاعتقاد.
﴿وَأِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الضمير لمصدر ﴿لَا تَأْكُلُوا﴾.
﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ﴾ سببها: أن قومًا من الكفار قالوا: إننا نأكل ما قتلنا، ولا نأكل ما قتل الله -يعنون الميتة-!.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/٥١١-٥١٢).

[﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٥﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْيَوْمَ الَّذِينَ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٩﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَصَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣٠﴾].

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ الموت هنا: عبارة عن الكفر، والإحياء: عبارة عن الإيمان، والنور: نور الإيمان، والظلمات: الكفر؛ فهي استعارات.

وفي قوله: ﴿مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ مطابقة؛ وهي من أدوات البيان.

ونزلت الآية في عمار بن ياسر، وقيل: في عمر بن الخطاب.

والذي في الظلمات: أبو جهل.

ولفظها أعم من ذلك.

﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ مثل هنا : بمعنى صفة ، وقيل : هوزائد ؛ والمعنى : كمن هو .
 ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا﴾ أي : كما جعلنا في مكة أكابرها
 ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية ، وإنما ذُكر الأكابر ؛ لأن غيرهم تبع لهم ،
 والمقصود : تسلية النبي ﷺ .

﴿مُجْرِمِيهَا﴾ إعرابه :

مضاف إليه عند الفارسي وغيره .

وقال ابن عطية وغيره : إنه مفعولٌ أول لـ ﴿جَعَلْنَا﴾ ، و﴿أَكْبَرًا﴾ مفعولٌ
 ثانٍ مقدَّم^(١) ، وهذا جيدٌ في المعنى ضعيفٌ في العربية ؛ لأن ﴿أَكْبَرًا﴾
 جمع أكبر وهو من أفعَلَ ؛ فلا يستعمل إلا بـ «من» أو بالإضافة .
 ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾ الآية ؛ قال^(٢) هذه المقالة أبو جهل .

وقيل : الوليد بن المغيرة ؛ لأنه قال : أنا أولى بالنبوة من محمد .

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ردُّ عليهم فيما طلبوه ، والمعنى : أن
 الله عليمٌ أن محمداً ﷺ أهلٌ للرسالة ، فخصَّه بها ، وعلم أنهم ليسوا بأهلٍ
 لها فحرمهم إيَّها .

وفي الآية من أدوات البيان : التريديد ؛ لكونه ختم كلامهم باسم الله ، ثم
 رده في أول كلامه .

﴿صَغَارٌ﴾ أي : ذلَّة .

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٤٥٣) .

(٢) في د : «قائل» .

﴿يَشْرَحُ صَدْرُهُ﴾ شَرَحَ الصدر، وَضِيْقُهُ، وَحَرَجُهُ: ألفاظٌ مستعارة.

ومن قرأ ﴿حَرَجًا﴾ -بفتح الراء-: فهو مصدرٌ وُصِفَ به.

﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: كأنما يحاول الصعود في السماء، وذلك غير ممكن؛ فكذلك يصعب عليه الإيمان.

وأصل ﴿يَصْعَدُ﴾ المشدد: يتصعد، وقرئ بالتخفيف.

﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ الجنة، والسَّلام هنا يَحْتَمِلُ أن يكون:

اسم الله، فأضافها إليه؛ لأنها مُلْكُهُ وَخَلْقُهُ.

أو بمعنى السلامة.

أو التحية.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ محذوف؛ تقديره: اذكر.

أو تقديره: قلنا، ويكون -على هذا- عاملاً في ﴿يَوْمَ﴾ وفي ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ﴾.

﴿أَسْتَكَثَرْتُ مِنَ الْإِنْسِ﴾ أي: أضللتهم منهم كثيراً، وجعلتهم أتباعكم؛ كما تقول: استكثر الأمير من الجيش.

﴿أَسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ استمتع الجن بالإنس: طاعتهم لهم، واستمتع الإنس بالجن: كقوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنَّ﴾ [الجن: ٦] فإن الرجل كان إذا نزل وادياً قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي -يعني: كبير الجن-.

﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا﴾ هو الموت، وقيل: الحشر.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: الاستثناء من الكاف والميم في ﴿مَثَوْنَكُمْ﴾؛ فـ«ما» بمعنى «مَنْ»؛ لأنها وقعت على صنف من الجن والإنس، والمستثنى على هذا: مَنْ آمَنَ منهم.

وقيل: الاستثناء من مدّة الخلود، وهو الزمان الذي بين حشرهم إلى دخول النار.

وقيل: الاستثناء من النار، وهو دخولهم الزمهرير.

وقيل: ليس المراد هنا بالاستثناء الإخراج، وإنما هو على وجه الأدب مع الله، وإسناد الأمور إليه.

﴿تُؤَلَّىٰ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: نجعل بعضهم وليًا لبعض.

وقيل: تُتَّبَعُ بعضهم بعضًا في دخولهم النار.

وقيل: نَسَلَتْ بعضهم على بعض.

[يَمْعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُذَرُّونَكُم لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَٰهَدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَٰهَدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَّبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَّبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَآءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾ تقرير للجن والإنس؛ فقل: إن الجن بُعث فيهم رسلٌ منهم؛ لظاهر الآية.

وقيل: إنما الرسل من الإنس خاصة؛ وإنما قال: ﴿رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾؛ لأنه جمَعَ الثقليين في الخطاب.

﴿وَشَٰهَدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ لا تنافي بينه وبين قولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؛ لما تقدّم هناك.

فإن قيل: لم كرّر شهادتهم على أنفسهم؟

فالجواب: أن قولهم: ﴿شَٰهَدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾ قولٌ قالوه هم، وقوله: ﴿وَشَٰهَدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ ذمٌ لهم، وتقبيحٌ لحالهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر ابتداء مضمر؛ تقديره: الأمر ذلك.

أو مفعولٌ بفعل مضمر؛ تقديره: فعلنا ذلك.

والإشارة إلى بعث الرسل .

﴿أَنْ لَّمْ يَكُنْ﴾ تعليلٌ لبعث الرسل .

وهو في موضع مفعول من أجله ، أو بدلٌ من ﴿ذَلِكَ﴾ .

﴿يُظْلَمُ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الله لم يكن ليُهلك القرى دون بعث رسل إليهم ، فيكون إهلاكهم ظلماً ؛ إذ لم يُنذَرهم ، فهو كقوله : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء : ١٥] .

والآخر : أن الله لا يهلك القرى بظلم إذا ظلموا دون أن يُنذَرهم ؛ ففاعل الظلم - على هذا - : أهل القرى ، وغفلتهم : عدم إنذارهم .

حكى الوجهين ابن عطية والزمخشري^(١) ، والوجه الأول صحيح^(٢) على مذهب المعتزلة ، ولا يصحُّ على مذهب أهل السنة ؛ لأن الله لو أهلك عباده بغير ذنب لم يكن ظالماً عندهم^(٣) .

(١) انظر : المحرر الوجيز (٣/٤٦٣) ، والكشاف (٦/٢٥٠) .

(٢) هذه الكلمة لم ترد في أ ، ب ، ج ، هـ .

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قوله : «ولا يصح على مذهب أهل السنة» ، يريد الأشاعرة ، فمن مذهبهم أن كلَّ ممكنٍ جائزٌ على الرب فعله ؛ فعندهم يجوز أن يعذب أوليائه ، وأن ينعم أعداءه ، فعليه : يجوز أن يعذب من شاء بغير ذنب ، أو يعذبه بذنب غيره ، ومنشأ هذا المذهب هو أن مردَّ أفعال الله تعالى وشرعه محضُ المشيئة ، فلا حكمة ولا غاية في مفعولاته ومأموراته ، والظلم عندهم هو المستحيل لذاته ، كالجمع بين النقيضين ، قال ابن القيم :

والظلمُ عندهم المحالُ لذاته أنى ينزه عنه ذو السُلطان =

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ﴾ أي: منازل في الجزاء على أعمالهم؛ من الثواب والعقاب.

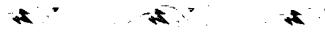
﴿مِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: من ذرية أهل سفينة نوح، أو مَنْ كان قبلهم إلى آدم.
﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ﴾ الأمر هنا للتهديد، والمكانة: التمكن.
﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد.

﴿مَنْ تَكُونُ لَهُ﴾ يحتمل أن تكون «مَنْ»:

موصولة في موضع نصبٍ على المفعولية.

أو استفهامية في موضع رفعٍ بالابتداء.

﴿عَقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: الآخرة، أو الدنيا، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٣].



= وأما الظلم عند أهل السنة والجماعة، فهو أن يعذب أحدا بغير ذنب، أو يعذبه بذنب غيره، وقد حرّم الله تعالى ذلك على نفسه، قال في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا»، وقد نزه الله نفسه عن الظلم في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، والظلم عند أهل السنة مقدور له، لكنه لا يفعله لكمال عدله وحكمته، وأما الظلم عند الأشاعرة فهو غير مقدور له، والمدح والكمال في ترك الظلم مع القدرة عليه.

[وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَهَذَا لَشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْذَوْهُمْ وَلِيَقْسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرْتُ حَجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ بِرْغِمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلَيْهِمْ ﴿١٢٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٣٠﴾].

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُوا﴾ لكفار العرب.

قال السهيلي: هم حيٌّ من خَوْلَانِ، يقال لهم: الأديم، كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم ومن أنعامهم نصيباً لله ونصيباً لأصنامهم^(١).

ومعنى ﴿ذَرَأَ﴾: خلق وأنشأ؛ ففي ذلك ردُّ عليهم؛ لأن الله الذي خلقها وذراها هو مالکها لا ربٌّ غيره.

﴿بِرْغِمِهِمْ﴾ أي: بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع، وأكثر ما يقال الزعم: في الكذب.

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٠٥).

وقرئ بفتح الزاي وضمها، وهما لغتان.

﴿فَمَا كَانَتْ إِشْرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية؛ كانوا إذا هبَّت
الريح فحملت شيئاً من الذي لله إلى الذي للأصنام أقرؤه، وإذا حملت شيئاً
من الذي للأصنام إلى الذي لله ردؤه، وإذا أصابتهم سنة أكلوا نصيب الله،
وتحاموا نصيب شركائهم.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائُهُمْ﴾
كانوا يقتلون أولادهم بالوَادِ، ويذبحونهم تقرُّباً إلى الأصنام.

و﴿شُرَكَائُهُمْ﴾ هنا: هم الشياطين، أو القائمون على الأصنام.

وقرأ الجمهور بفتح الزاي من ﴿زَيْنٌ﴾ على البناء للفاعل، ونُصِبَ
﴿قُتِلَ﴾ على أنه مفعول، وخَفَضَ ﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ بالإضافة، وَرَفَعَ
﴿شُرَكَائُهُمْ﴾ على أنه فاعل بـ ﴿زَيْنٌ﴾.

والشُرَكَاء على هذه القراءة: هم الذين زَيَّنُوا القتل.

وقرأ ابن عامر^(١): بضم الزاي على البناء للمفعول، ورفع ﴿قُتِلَ﴾ على
أنه مفعول لم يسمَّ فاعله، ونُصِبَ ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ على أنه مفعول بـ ﴿قُتِلَ﴾،
وخَفَضَ ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ على الإضافة إلى ﴿قُتِلَ﴾ إضافة المصدر إلى فاعله،
وفُصِّلَ بين المضاف والمضاف إليه بقوله: ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾، وذلك ضعيف في
العربية، وقد سُمِعَ في الشعر.

والشُرَكَاء على هذه القراءة: هم القاتلون للأولاد.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «ابن عباس» والمثبت هو الصواب. انظر: المحرر الوجيز
(٤٦٨/٣).

﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾ أي: لِيُهْلِكُوهُمْ، وهو مِنَ الرَّدَى بمعنى الهلاك.

﴿أَنْفَعُ وَحَرَّتْ حِجْرٌ﴾ أي: حرامٌ، وهو فِعْلٌ بمعنى مفعولٍ، نحو ذَبَحَ، فيستوي في الوصف به المذكرُ والمؤنثُ والواحد والجمع.

﴿لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ أي: لا يأكلها إِلَّا مَنْ شَاءُوا؛ وهم: القائمون على الأصنام، أو الرجال دون النساء.

﴿وَأَنْفَعُ حُرِّمَتْ طُهُورُهَا﴾ أي: لا تُرَكَّبُ، وهي السائبة وأخواتها.
﴿وَأَنْفَعُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قيل: معناه: لا يُحَجُّ عليها؛ فلا يُذكر اسم الله بالتلبية.

وقيل: لا يذكر عليها إذا ذُبِحت.

﴿أَفْتَرَاءَ عَلَيْهِ﴾ كانوا قد قَسَمُوا أنعامهم هذه الأقسام، ونسبوا ذلك إلى الله افتراءً وكذباً.

ونضبه: على الحال، أو مفعول من أجله، أو مصدر مؤكّد.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية؛ كانوا يقولون في أجنّة البحيرة والسائبة: ما وُلِدَ منها حيّاً فهو للرجال خاصة ولا يأكل منها النساء، وما وُلِدَ منها ميتاً اشترك فيه الرجال والنساء.

وَأَنْثُ ﴿خَالِصَةٌ﴾ للحمل على المعنى؛ وهي الأجنّة، وذَكَرٌ ﴿مُحَرَّمٌ﴾ حملاً على لفظ «ما».

ويجوز أن تكون التاء للمبالغة.

﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: البحيرة والسائبة وشبههما.

[﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٤١) وَمِنَ الْإِنْعَامِ حُمُولَةً وَفَرَشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١٤٢) ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالَّذِينَ هَٰؤُلَاءِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنشِينَ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنشَيْنِ نَيْثُونِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالَّذِينَ هَٰؤُلَاءِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنشِينَ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنشَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾].

﴿ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ ﴾ مرفوعات على دعائم وشبهها، ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ متروكات على وجه الأرض.

وقيل: المعروشات: ما غرسه الناس في العمران، وغير معروشات: ما أنبته الله في الجبال والبراري.

﴿ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ ﴾ في اللون والطعم والرائحة والحجم، وذلك دليل على أن الخالق مختارٌ مُريد.

﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ قيل: ﴿ حَقُّهُ ﴾ هنا: الزكاة، وهو ضعيف؛ لوجهين:

أحدهما: أن الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة.

والآخر : أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد، وإنما تعطى يوم^(١) ضمّ الحبوب والثمار.

وقيل : ﴿حَقَّهُ﴾ ما يتصدق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجباً ثم نُسِخَ بالعُشر.

وقيل : هو ما يسقط من السُنبل، والأمر على هذا للندب.

﴿حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ﴾ عطفٌ على ﴿جَنَّتِ﴾.

والحمولة : الكبار، والفرش : الصغار؛ كالعجائيل والفُصلان.

وقيل : الحمولة : الإبل؛ لأنها يُحْمَلُ عليها، والفرش : الغنم؛ لأنها تُفْرَشُ للذبح، ويُفْرَشُ ما ينسج من صوفها.

﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدلٌ من ﴿حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ﴾، وسمّاها أزواجاً؛ لأن الذكر زوج للأنثى، والأنثى زوج للذكر.

﴿مِنَ الصَّكَّانِ اثْنَيْنِ﴾ يريد : الذكر والأنثى، وكذلك فيما بعده.

﴿قُلْ آلَذَكَرَيْنِ﴾ يعني : الذكر من الضأن والذكر من المعز، ويعني بالأنثيين : الأنثى من الضأن، والأنثى من المعز، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقر.

والهمزة للإنكار.

﴿يَتَّبِعُونَ بِعِلْمٍ﴾ تعجيزٌ وتوبيخ.

(١) في د : «بعد».

﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني: في تحريم^(١) ما لم يحرم الله، وذلك إشارة إلى العرب في تحريمهم أشياء كالبحيرة وغيرها.



(١) في د: «تحريمهم».

[﴿قُلْ لَا أَحَدٌ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَيْزِرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤٥) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالنَّعَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٤٦) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٤٧) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَاءِ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٩) قُلْ هَلَمْ شَهِدْكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَايِنَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (٥٠)].

﴿قُلْ لَا أَحَدٌ﴾ الآية تقتضي حصر المحرمات فيما ذكر، وقد جاء في السنة تحريم أشياء لم تذكر هنا كالحوم الحُمُر؛ فذهب قوم إلى أن السنة نسخت هذا الحصر.

وذهب آخرون إلى أن الآية وردت على سبب؛ فلا تقتضي الحصر.

وذهب آخرون إلى أن ما عدا ما ذكر إنما نُهي عنه على وجه الكراهة، لا على وجه التحريم.

﴿أَوْ فِسْقًا﴾ معطوف على المنصوبات قبله، وهو ما أُهِلَّ به لغير الله،

سماه فسقًا؛ لتوغلّه في الفسق، وقد تقدّم الكلام على هذه المحرمات في «البقرة»^(١).

﴿كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ هو ما له إصبع من دابة أو طائر. قاله الزمخشري^(٢). وقال ابن عطية: يراد به: الإبل والإوز والنعام ونحوه من الحيوان الذي هو غير منفرج الأصابع، و^(٣) له ظفر^(٤). وقال الماوردي مثله^(٥).

وحكى النقّاش عن ثعلب: أن كل ما لا يصيد فهو ذو ظفر، وما يصيد فهو ذو مِخْلَب، وهذا غير مطّرد؛ لأن الأسد ذو ظفر^(٦).

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ طُهُورُهُمَا﴾ يعني: ما في الظهور والجَنُوب من شحم. ﴿أَوْ الْحَوَايَا﴾ هي المبايع^(٧).

وقيل: المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوّى في البطن. وواحد حوايا حَوِيَّة؛ على وزن فَعِيلَة؛ فوزن حوايا على هذا فعائل؛ كصحيفة وصحائف.

(١) انظر: ٣٩٤/١.

(٢) انظر: الكشف (٢٧٨/٦).

(٣) في أ، ب: «أو».

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤٨٣/٣).

(٥) انظر: تفسير الماوردي «النكت والعيون» (١٨٣/٣).

(٦) انظر: المحرر الوجيز (٤٨٣/٣).

(٧) المبايع: جمع مبْعَر، وهو مكان اجتماع البَعَر في البطن من كل ذي أربع. لسان العرب (١٣٨/٥).

وقيل: واحدها حاوية؛ على وزن فاعلة؛ فحوايا - على هذا - فواعل؛ كضاربة وضوارب.

وهو معطوفٌ على ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾، فهو من المستثنى من التحريم.

وقيل: عطفتُ على الظهور؛ فالمعنى: إلا ما حملت الظهور، أو حملت الحوايا.

وقيل: عطفتُ على الشحوم؛ فهو من المحرّم.

﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ يريد: في جميع الجسد.

﴿وَإِنَّا لَصَدُقُونَ﴾ أي: فيما أخبرنا به من التحريم، وفي ذلك تعريضٌ بكذب مَنْ حرّم ما لم يحرمّ الله.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ أي: إن كذبوك فيما أخبرت به من التحريم فقل لهم: ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾؛ إذ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدة جرمكم، وهذا كما تقول عند رؤية معصية: ما أحلم الله!؛ تريد: لإمهاله عن مثل ذلك.

ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله: ﴿وَلَا يُرْدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا تغتروا بسعة رحمته؛ فإنه لا يردُّ بأسه عن مثلكم إما في الدنيا أو في الآخرة.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ الآية؛ معناها: أنهم يقولون: إن شركهم وتحريمهم لما حرّموا كان بمشيئة الله، ولو شاء الله أن

لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، فاحتجوا على صحة ذلك بإرادة الله له، وتلك نزغة جبرية، ولا حجة لهم في ذلك؛ لأنهم مكلفون مأمورون ألا يشركوا بالله، ولا يحرموا ما حلل الله، والإرادة خلاف التكليف.

ويَحْتَمِلُ عندي أن يكون قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قولاً يقولونه في الآخرة على وجه التمني أن ذلك لم يكن؛ كقولك إذا ندمت على شيء: لو شاء الله ما كان هذا؛ أي: تتمنى أن ذلك لم يكن، ويؤيد هذا: أنه حكى قولهم بأداة الاستقبال، وهي السين؛ فذلك دليل على أنهم يقولونه في المستقبل وهي الآخرة.

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ تَوْقِيفُ لَهُمْ وَتَعْجِيزُ.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ لما أبطل حجَّتهم أثبت حجة الله؛ ليظهر الحق ويبطل الباطل.

﴿هَلَمْ﴾ قيل: هي بمعنى «هات»؛ فهي متعدية.

وقيل: بمعنى «أقبل»؛ فهي غير متعدية.

وهي عند بعض العرب: فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث. وعند بعضهم: اسم فعل؛ فيخاطب بها الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث على حد سواء.

ومقصود الآية: تعجيزهم عن إقامة الشهداء.

﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: إن كذبوا في شهادتهم وزوروا فلا تشهد بمثل شهادتهم.

[﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥١)] وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾].

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم عليهم.

وذكر في هذه الآيات المحرمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تُنسخ قط في ملة.

وقال ابن عباس: هي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى^(١).

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ قيل: «أن» هنا: حرف عبارة وتفسير؛ فلا موضع لها من الإعراب، و«لا» ناهية جازمت الفعل.

وقيل: «أن» مصدرية في موضع رفع؛ تقديره: الأمر أن لا تشركوا؛ ف«لا» على هذا نافية.

(١) لم أقف على إسناده إلى ابن عباس، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٤٩٠) بقوله: «وقد قيل: إنها العشر... إلخ، ولم ينسبه لأحد.

وقيل : «أن» في موضع نصبٍ بدلًا من قوله : ﴿مَا حَرَّمَ﴾ ، ولا يصح ذلك إلا إن كانت «لا» زائدةً ، وإن لم تكن زائدةً فسَدَ المعنى ؛ لأن الذي حرم على ذلك يكون تركُ الإشراك .

والأحسن عندي : أن تكون «أن» مصدرية في موضع نصب على البدل و«لا» نافية ، ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى ؛ لأن قوله : ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ معناه : ما وصّاكم به ربكم ؛ بدليل قوله في آخر الآية : ﴿ذَلِكَهُ وَصَّكُمْ بِهِ﴾ فضمّن التحريم معنى الوصية ، والوصية في المعنى أعم من التحريم ؛ لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل ووجوب وندب ، ولا يُنكر أن يريد بالتحريم الوصية ؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم ، كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص .

فإذ تقرر هذا ؛ فتقدير الكلام : قل تعالوا أتل ما وصّاكم به ربكم ، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان ؛ فقال : ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ؛ أي : وصّاكم أن لا تشركوا به شيئًا ، ووصّاكم بالإحسان بالوالدين ، ووصّاكم أن لا تقتلوا أولادكم ، فجَمَعَتِ الوصيةُ تركَ الإشراك وفعلَ الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك .

ويؤيد هذا التأويل الذي تأوّلنا : أن الآيات اشتملت على أوامر ؛ كالإحسان بالوالدين ، وقول العدل ، والوفاء في الوزن ، وعلى نواهي ؛ كالإشراك ، وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، فلا بد أن يكون اللفظ المقدم في أولها لفظًا يجمع الأوامر والنواهي ؛ لأنها أُجْمِلَت فيه ، ثم فُسِّرَت بعد ذلك ، ويصلح لذلك لفظ الوصية ؛ لأنه جامع للأمر والنهي ، فلذلك

جعلنا التحريم بمعنى الوصية، ويدل على ذلك : ذكر لفظ الوصية بعد ذلك .
 وإن لم يتأول على ما ذكرناه : لزم في الآية إشكالٌ ؛ وهو عطف الأوامر
 على النواهي ، وعطف النواهي على الأوامر ، فإن الأوامر تُطلب فعلها ،
 والنواهي تُطلب تركها ، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف
 والمعطوف عليه ، ولا يصحُّ ذلك إلا على الوجه الذي تأولناه من عموم
 الوصية للفعل والترك .

وتَحتمل الآية ^(١) عندي تأويلاً آخر ؛ وهو : أن يكون لفظ التحريم على
 ظاهره ، ويعمُّ فعل المحرمات ، وترك الواجبات ؛ لأن ترك الواجب حرامٌ .
 ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ الإملاق : الفاقة ، و﴿مِنْ﴾ هنا للتعليل ؛
 تقديرها : من أجل إملاق .

وإنما نهى عن قتل الأولاد لأجل الفاقة ؛ لأن العرب كانوا يفعلون ذلك ،
 فخرج مخرج الغالب ، فلا يُفهم منه إباحة قتلهم لغير ذلك الوجه .
 ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ﴾ قيل : ﴿مَا ظَهَرَ﴾ : الزنا ، ﴿وَمَا بَطَنٌ﴾ :
 اتخاذ الأخدان .

والصحيح : أن ذلك عمومٌ في جميع الفواحش .

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فسره قولُ رسول الله ﷺ :
 « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : زنا بعد إحصان ، أو كفر بعد

(١) في د : «أيضاً» .

إيمان، أو قتل نفس بغير نفس»^(١).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النهي عن القرب يعمّ وجوه التصرف، وفيه سدّ الذريعة؛ لأنه إذا نهى عن أن يقرب^(٢) المال فالنهي عن أكله أولى وأحرى.

والتي هي أحسن: منفعة اليتيم وتشمير ماله.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ هو البلوغ مع الرشد، وليس المقصود هنا السنّ وحده، وإنما المقصود: معرفته بمصالحه.

﴿لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لما أمر بالقسط في الكيل والوزن، وقد علم أن القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج ولا يتحقق الوصول إليه؛ أمر بما في الوسع من ذلك، وعفا عما سواه.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل؛ فلا ينبغي أن يزيد ولا ينقص، بل يعدل.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ الإشارة بـ ﴿هَذَا﴾:

إلى ما تقدّم من الوصايا.

أو إلى جميع الشريعة.

و«أَنَّ» بفتح الهمزة والتشديد:

عطف على ما تقدّم.

(١) أخرجه أحمد (٤٣٧)، وأبو داود (٤٥٠٢)، والترمذي (٢١٥٨)، والنسائي (٤٠٢٤).

(٢) في د: «عن قرب».

أو مفعول من أجله ؛ أي : فاتبعوه ؛ لأن هذا صراطي مستقيماً .
وقرئ بالكسر ؛ على الاستئناف .

وبالفتح والتخفيف ؛ على العطف ، وهي على هذا مخففة من الثقيلة .
﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المختلفة في الدين ؛ من اليهودية والنصرانية
وغيرها من الأديان الباطلة ، ويدخل فيه أيضاً : البدع والأهواء المضلّة .
وفي الحديث : أن النبي ﷺ خطّ خطاً ، ثم قال : «هذا سبيل الله» ، ثم خطّ
خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : «هذه كلّها سبيلٌ ، على كل سبيل منها
شيطان يدعو إليه»^(١) .

﴿فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي : تُفرِّقكم عن سبيل الله ، والفعل مستقبل ؛
حذفت منه تاء المضارعة ، ولذلك شدّده البرزّي .
﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا﴾ معطوفٌ على ﴿وَصَنَّاكُمْ بِهِ﴾ .

فإن قيل : فإن إيتاء موسى الكتاب متقدّم على هذه الوصية ، فكيف عطفه
عليها بـ «ثم» ؟ .

فالجواب : أن هذه الوصية قديمة لكل أمة على لسان نبيها ، فصحّ
الترتيب .

وقيل : إنها هنا لترتيب الإخبار والقول ، لا لترتيب الزمان .

﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن المعنى : تمامًا للنعمة على الذي أحسن من قوم موسى ،

(١) أخرجه أحمد (٤١٤٢) ، والنسائي في الكبرى (٩٥ / ١٠) .

ففاعل ﴿أَحْسَنَ﴾ ضمير يعود على ﴿الَّذِي﴾ ، و﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ يراد به :
جنس المحسنين .

والآخر : أن المعنى : تمامًا ؛ أي : تفضُّلاً ، أو جزاءً على ما أحسن موسى
ﷺ من طاعة ربه وتبليغ رسالته ، فالفاعل على هذا ضمير موسى ﷺ ،
و﴿الَّذِي﴾ صفة لعمل موسى .

والثالث : تمامًا ؛ أي : إكمالاً على ما أحسن الله به إلى عباده ،
فالفاعل ^(١) على هذا ضمير الله تعالى .



(١) في أ ، ب ، هـ : «الفاعل» .

[وَهَذَا كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾] أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَرَعُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلِ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلِ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلِ أَغَيْرَ اللَّهِ أَنْبِئَ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَارِزَّهُ وَزَرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾] .

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ في موضع مفعولٍ من أجله ؛ تقديره : كراهةً أَنْ تَقُولُوا .

﴿عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ أهل التوراة والإنجيل .

﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ﴾ أي : لم ندرس مثل دراستهم ولم نعرف

ما درسوا من الكتب فلا حجة علينا ، ﴿وَإِنْ﴾ هنا مخففة من الثقيلة .

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ إقامة حجة عليهم .

﴿وَصَدَفَ﴾ أَعْرَضَ.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ الآية؛ تقدّمت نظيرتها في «البقرة»^(١).

﴿بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أشرائط الساعة؛ كطلوع الشمس من مغربها، فحينئذ لا يقبل إيمان كافر، ولا توبة عاصٍ.

فقوله: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا﴾ يعني: أن إيمان الكافر لا ينفعه حينئذ.

وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَنِهَا خَيْرًا﴾ يعني: أن من كان مؤمناً ولم يكسب حسنات قبل ظهور تلك الآيات، ثم تاب إذا ظهرت لم ينفعه؛ لأن باب التوبة يغلق حينئذ.

﴿قُلْ أَنْظِرُوا﴾ وعيدٌ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ هم اليهود والنصارى.

وقيل: أهل الأهواء والبدع.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»، قيل: يا رسول الله ومن تلك الواحدة؟ قال: «من كان على ما أنا وأصحابي عليه»^(٢).

وقرى ﴿فَارْقُوا﴾؛ أي: تركوا.

﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ جمع شِيعَةٍ؛ أي: متفرقين، كل فرقة تتشيع لمذهبها.

(١) انظر: ٤٢٧/١.

(٢) تقدم تخريجه ٥٦٧/١.

﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: أنت بريء منهم.

﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فضلٌ عظيم، على العموم في الحسنات، وفي العاملين، وهو أقلُّ التَّضْعِيفِ للحسنات؛ فقد ينتهي إلى سبع مئة وأزيد.

﴿دِينًا قِيمًا﴾ بدلٌ من موضع: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؛ لأن أصله: هداني صراطًا؛ بدليل: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾، والقيِّم: فيُعِل؛ من القيام، وهو أبلغ من قائم.

وقرئ ﴿فِيمَا﴾ بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها، وهو على هذا: مصدر وُصِفَ به.

﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدلٌ من ﴿دِينًا﴾، أو عطف بيان.

﴿وَسُكًى﴾ أي: عبادتي، وقيل: ذبحي للبهائم، وقيل: حَجِّي. والأول أعم وأرجح.

﴿وَحَيَاىَ وَمَمَافٍ﴾ أي: أعمالي في حين حياتي وعند موتي.

﴿لِلَّهِ﴾ أي: خالصًا^(١) لوجهه وطلب رضاه، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَّهُ﴾؛ أي: لا أريد بأعمالي غير الله؛ فيكون نفيًا للشرك الأصغر وهو الرياء.

ويحتمل أن يريد: لا أعبد غير الله؛ فيكون نفيًا للشرك الأكبر.

﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ الإشارةُ إلى الإخلاص الذي تقتضيه الآية قبل ذلك.

﴿أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ لأنه ﷺ سابقُ أمته.

(١) في د: «خالصة».

﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبْنِي رَبًّا﴾ تقريرٌ وتوبيخٌ للكفار.

وسببها : أنهم دَعَوْهُ إلى عبادة آلهتهم .

﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ برهانٌ على التوحيد، ونفيُ الربوبية عن غير الله .

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ ردٌّ على الكفار؛ لأنهم قالوا له : اعبُدْ آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تَبَاعَةٍ تتوقَّعُها في دنياك وأُخْرَاكَ^(١)، فنزلت هذه الآية ؛ أي : ليس كما قلتم ، وإنما كَسَبُ كُلِّ نَفْسٍ عليها خاصةً .

﴿وَلَا لِرِزْقٍ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ أي : لا يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ أَحَدٍ ، وأصل الوزر : الثَّقلُ ، ثم استعمل في الذنوب .

﴿حَلِيفَ﴾ جمع خليفة ؛ أي : يَخْلُفُ بعضكم بعضًا في السُّكنى في الأرض .

أو خلائف عن الله في أرضه ، والخطاب على هذا : لجميع الناس .

وقيل : لأمة محمد ﷺ ؛ لأنهم خَلَفُوا الأُمَّمَ المتقدمة .

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ﴾ عمومٌ في المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما وقع فيه التفضيل بين العباد .

﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ ليختبرَ شُكْرَكُمْ على ما أعطاكم ، وأعمالكم فيما مَكَّنْكُمْ فيه .

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ جمعٌ بين التَّخْوِيفِ والتَّرجِيةِ .

(١) في د : «وأخرتك» .

وسُرْعَة عقابه تعالى :

إما في الدنيا لمن عَجَّلَ أَخْذَهُ .

أو في الآخرة ؛ لأن كلَّ آتٍ قَرِيبٌ .

ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا بفضلِهِ ورحمته^(١) .



(١) في زيادة: «تمت سورة الأنعام بعون الله وفضله، فله الحمد، وبتمامها كمل الكلام على الربع الأول من القرآن العظيم، صلى الله على سيدنا محمد الأمين المبلغ الهادي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا».

﴿ سورة الاعراف ﴾

[﴿الْمَصَّ ١﴾ كَتَبْتُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِئُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾].

﴿الْمَصَّ ١﴾ تكلّمنا على حروف الهجاء في «البقرة»^(١).

﴿حَرَجٌ مِنْهُ﴾ أي: ضيقٌ من تبليغه مع تكذيب قومك.

وقيل: الحرج هنا: الشك؛ فتأويله كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُخَلَّفِينَ﴾

[البقرة: ١٤٧].

﴿لِئُنذِرَ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾.

﴿وَذِكْرَى﴾ منصوبٌ على المصدرية بفعل مقدّر^(٢)؛ تقديره: لتنذر وتذكّر

(١) انظر: ٢٦١/١.

(٢) في أ: «مضمّر».

ذكرى؛ لأن الذكرى بمعنى التذكير.

أو مرفوع؛ على أنه خبر ابتداءٍ مضمرة.

أو مخفوض؛ عطفًا على موضع ﴿لِنُنذِرَ﴾؛ أي: للإنذار والذكرى.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ انتصب ﴿قَلِيلًا﴾ بـ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تذكرون تذكُّرًا قليلًا.

و﴿مَّا﴾ زائدة؛ للتأكيد.

﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأُسْنًا﴾ قيل: إنه من المقلوب؛ تقديره: جاءها بأسنا فأهلكناها.

وقيل: المعنى: أردنا إهلاكها فجاءها بأُسنا؛ لأن مجيء البأس قبل الإهلاك، فلا يصحَّ عطفه عليه بالفاء.

ويَحتمل أن يكون ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنًا﴾ استثناءً؛ على وجه التفسير للإهلاك، فلا يحتاج إلى تكلف.

والمراد: أهلكنا أهلها فجاءهم، ثم حذف المضاف؛ بدليل: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

﴿بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ مصدرٌ في موضع الحال؛ بمعنى: بائتين؛ أي: بالليل.

و﴿قَائِلُونَ﴾: من القائلة؛ أي: بالنهار.

وقد أصاب العذابُ بعض الكفار المتقدمين بالليل، وبعضهم بالنهار.

﴿أَوْ﴾ هنا : للتنويع .

﴿دَعَوْهُمْ﴾ أي : ما كان دعائهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون .

وقيل : المعنى : أن دعواهم هنا : ما كانوا يدعونه من دينهم ، فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك .

﴿أَرْسِلْ إِلَيْهِمْ﴾ أسند الفعل إلى الجار والمجرور .

ومعنى الآية : أن الله يسأل الأمم عما أجابوا به رسلهم ، ويسأل الرسل عما أُجيبوا به .

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمُ﴾ على الرسل والأمم .

﴿وَالْوَزْنَ﴾ يعني : وزن الأعمال .

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي : يوم يُسأل الرسلُ وأمُّهم ؛ وهو يوم القيامة .

﴿بِأَيِّنَّا يَظِلُّونَ﴾ أي : يكذبون بها ظلماً .



[وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُ فِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا وَمَذْهُورًا لَّمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَبَنَادُمْ أَسْكُنُ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾] .

﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ قيل : المعنى : أردنا خلقكم وتصويركم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم .

وقيل : خلقنا أباكم ^(١) ، ثم صورناه .

وإنما احتيج إلى التأويل ؛ ليصحَّ العطف .

(١) في د ، وهامش أ زيادة : «آدم» .

﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ «لا» زائدة؛ للتأكيد.

﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ استدلال به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضي الوجوب والفور؛ ولذلك وقع العقاب على ترك المبادرة للسجود.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ تعليلٌ علَّلَ به إبليسُ امتناعه من السجود، وهو يقتضي الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه. وبهذا الاعتراض كفر إبليس؛ إذ ليس كفره كفر جحود.

﴿فَأَهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من السماء.

﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي﴾ الباء للتعليل؛ وهي تتعلق^(١) بفعل قسم محذوف تقديره: أقسم بالله - بسبب إغوائك لي - لأغوين بني آدم. و«ما»: مصدرية.

وقيل: استفهامية؛ ويؤيده ثبوت الألف في «ما» مع حرف الجر.

﴿صِرْطُكَ﴾ يريد: طريق الهدى والخير، وهو منصوبٌ على الظرفية. ﴿ثُمَّ لَا يَنبَغُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية؛ أي: من الجهات الأربع، وذلك عبارة عن تسليطه على بني آدم كيفما أمكنه.

وقال ابن عباس: ﴿بَيْنَ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: الآخرة، ﴿وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ﴾: الحسنات، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾: السيئات. ﴿مَذْمُومًا﴾ من ذأمه - بالهمز - : إذا ذمه.

(١) في أ، ب، هـ: «وهو متعلق».

﴿مَذْهُورًا﴾ أي : مطروداً حيث وقع .

﴿فَوَسَّوَسَ﴾ إذا تكلم كلاماً خفياً يكرّره ؛ فمعنى ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا﴾ : ألقى لهما هذا الكلام .

﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا﴾ أي : ليظهر ما ستر من عوراتهما .
واللام في قوله : ﴿لِيُبْدِيَ﴾ :

للتعليل ؛ إن كان في انكشافهما غرضٌ لإبليس .

أو للصّيرة ؛ إن وقع ذلك بغير قصدٍ منه إليه .

﴿الشَّجَرَةَ﴾ ذكرت في «البقرة»^(١) .

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أي : كراهةً أن تكونا ملكين .

واستدلّ به من قال : إن الملائكة أفضلُ من الأنبياء .

وقرئ : «مَلَكَيْنِ» بكسر اللام ؛ ويقوِّي هذه القراءة قوله : ﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾

[طه : ١٢٠] .

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي : حلف لهما إنه لمن الناصحين .

وذكر قَسَمَ إبليس بصيغة المفاعلة التي تكون بين الاثنين :

لأنه اجتهد فيه .

أو لأنه أقسم لهما ، وأقسما له أن يقبلا نصيحته .

﴿نَدَلْنَهُمَا﴾ أي : أنزلهما إلى الأكل من الشجرة .

(١) انظر : ٣٠١/١ .

﴿يَعْرُورٌ﴾ أي : غرَّهما بحلفيه لهما ؛ لأنهما ظنَّا أنه لا يحلف كاذبًا .
 ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ مُنْمًا﴾ أي : زال عنهما اللباس ، وظهرت عوراتُهما ، وكانا لا يريانها من أنفسهما ، ولا أحدهما ^(١) من الآخر .
 وقيل : كان لباسهما نورٌ يحول بينهما وبين النَّظر .
 ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي : يَصِلَان بعضه ببعض ليستترا بها .
 ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ يحتمل أن يكون هذا النداء : بواسطة ملك ، أو بغير واسطة .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ اعترافٌ ، وطلبٌ للمغفرة والرحمة .
 وتلك ^(٢) الكلمات التي تاب الله عليه بها .
 ﴿أَهْبِطُوا﴾ وما بعده : مذكور في «البقرة» ^(٣) .
 ﴿فِيهَا حَيَوْنَ﴾ أي : في الأرض .



(١) في أ، ب، ج، هـ : «لأحدهما» .

(٢) في د زيادة : «هي» .

(٣) انظر : ٣٠٢ / ١ .

[يَبْنِيَّ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورَى سَوْءَ نِكَمٍ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيَّ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهْمًا إِنَّهُ يَرُوكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّا لِلَّهِ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَنْقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ يَبْنِيَّ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾].

﴿لِبَاسًا﴾ أي: الثياب التي تستر؛ ومعنى ﴿أَنْزَلْنَا﴾: خلقنا.

وقيل: المراد: أنزلنا ما يكون عنه اللباس؛ وهو^(١) المطر.

واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة.

﴿وَرِيْشًا﴾ أي: لباس الزينة؛ وهو مستعار من ريش الطائر.

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ استعار للتقوى لباسًا؛ كقولهم: ألبسك الله قميص

تقواه.

وقيل: لباس التقوى: ما يتقَى به في الحرب من الدروع وشبهها.

وقرئ: بالرفع؛ على الابتداء، وخبره: الجملة؛ وهي: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.

﴿ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ الإشارة إلى ما أنزل من اللباس.

(١) في أ، ب، هـ: «أي».

وهذه الآية واردة على وجه الاستطراد عَقِيب^(١) ما ذكر من ظهور السَّوآت وخَصَف الورق عليهما ؛ لِيُبينَ إنعامه بما^(٢) خَلَق من اللباس .

﴿نَزَعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ أي : كان سبباً في نزع لباسهما عنهما .

﴿مِنْ حَيْثُ لَا نَرَوْنَهُمْ﴾ يعني : في غالب الأمر .

وقد استدللَّ به من قال : إن الجن لا يُروْنَ .

وقد جاءت في رؤيتهم أحاديث صحيحة ، فتُحمَل الآية على الأكثر ؛ جمعاً بينها وبين الأحاديث .

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ قيل : هي ما كانت العرب تفعله من الطَّواف بالبيت عِراءَ ؛ الرجال والنساء .

ويَحتمل العموم في الفواحش .

﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ اعتذروا بعذرين باطلين :

أحدهما : تقليد آبائهم .

والآخر : افتراؤهم على الله .

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ قيل : المراد إحضار النية ، والإخلاص لله .

وقيل : فعل الصلاة والتوجُّه فيها .

﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي : في كل مكان سجود .

(١) في د : «عَقِب» .

(٢) في أ ، ب ، ج ، هـ : «على ما» .

أو: في وقت كل سجود.

والأول أظهر.

والمعنى: إباحة الصلاة في كل موضع؛ كقوله ^(١) ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً» ^(٢).

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ احتجاج على البعث الأخراوي بالبداة الأولى.

﴿فَرِيقًا﴾ الأول: منصوبٌ بـ ﴿هَذَى﴾.

والثاني: منصوبٌ بفعل مضمر؛ يفسره ما بعده.

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ قيل: المراد به: الثياب الساترة، واحتج به من أوجب ستر العورة في الصلاة.

وقيل: المراد به: الزينة زيادةً على السّتر، كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الأمر فيهما للإباحة؛ لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من المأكّل.

﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي: لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة.

وقال الأطباء: إن الطبّ كلّهُ مجموعٌ في هذه الآية ^(٣).

وقيل: لا تسرفوا بأكل الحرام.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «لقوله».

(٢) هو جزء من حديث: «نصرت بالرعب..» وقد تقدم تخريجه ٥٨٤/١.

(٣) انظر: الكشف (٣٧٢/٦).

[قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِي ءَادَمُ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءِتْيَا فَمَنْ أَنْفَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاثِبُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَهُمْ لِأُولَٰئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَنَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَٰئِهِمْ لِأُخْرَيْنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾].

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ إنكاراً لتحريمها، وهي ما شرعه الله لعباده من الملابس والأكل.

وكان بعض العرب إذا حجُّوا يُحرِّمون^(١) الثياب ويطوفون عراةً، ويحرِّمون الشحم واللبن؛ فتزل ذلك ردًّا عليهم.

﴿خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: الزينة والطيبات في الدنيا: للذين آمنوا ولغيرهم، وفي الآخرة: خالصةٌ لهم دون غيرهم.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «يجردون».

وقرئ ﴿خَالِصَةً﴾ :

بالنصب ؛ على الحال .

والرفع ؛ على أنه : خبر بعد خبر ، أو خبر ابتداءٍ مضمّر .

﴿وَالْإِثْمَ﴾ عامٌ في كل ذنب .

﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي : تفتروا عليه في التحريم وغيره .

﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ هي «إن» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة ؛ للتأكيد ، ولزمتها النون الشديدة المؤكدة .

وجواب الشرط : ﴿فَمَنِ اتَّقَى﴾ الآية .

﴿فَمَنَ أَظْلَمُ﴾ ذكر في «الأنعام»^(١) .

﴿يَنَالُهُم نَصِيبُهُم مِّنَ الْكَلْبِ﴾ أي : يصل إليهم ما كُتِبَ لهم من الأرزاق وغيرها .

﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾ أي : غابوا عنا .

﴿أَدْخَلُوا فِي أُمَمٍ﴾ أي : ادخلوا النار في جملة أمم ؛ أي : مع أمم .

﴿أَذَارَكُوا﴾ أي : تلاحقوا واجتمعوا .

﴿قَالَتْ أَخْرِضْنَهُمْ لِأُولِنَهُمْ﴾ المراد بـ ﴿أُولِنَهُمْ﴾ : الرؤساء والقادة ، و﴿أَخْرِضْنَهُمْ﴾ : الأتباع والسفلة .

والمعنى : أن أخرهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم ؛ لأنهم أضلّوهم .

وليس المعنى : أنهم قالوا لهم ذلك خطاباً لهم ، إنما هو كقولك : قال فلان لفلان كذا ؛ أي : قاله عنه ، وإن لم يخاطبه به .

﴿وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أي : لم يكن لكم علينا فضل في الإيمان والتقوى يوجب أن يكون عذابنا أشدّ من عذابكم ، بل نحن وأنتم متساوون .

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ من قول أولاهم لأخرهم ، أو من قول الله تعالى لجميعهم .



[إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَسْعَوْنَ فِي أَرْضٍ وَعُجَا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ غُلٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْزَحُونَ ﴿٥٣﴾].

﴿لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : لا يصعد عملهم إلى السماء .

والثاني: لا يدخلون الجنة؛ فإن الجنة في السماء.

والثالث: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم - إذا ماتوا - كما تفتح لأرواح المؤمنين.

﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي: حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة.

والمعنى: لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدًا، فلا يدخلونها أبدًا.

﴿مِهَادٌ﴾ فراش.

﴿غَوَاشٍ﴾ أغطية.

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ جملة اعتراض بين المبتدأ والخبر؛ ليبين أنه إنما طلب من الأعمال الصالحة ما في الوسع والطاقة.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ أي: من كان في صدره غلٌّ لأخيه في الدنيا نُزع منه في الجنة، وصاروا إخوانًا أحرابًا.

وإنما قال: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ بلفظ الماضي وهو مستقبل؛ لتحقيق وقوعه في المستقبل، حتى عبّر عنه بما يعبر عن الواقع.

وكذلك كلُّ ما جاء بعد هذا من الأفعال الماضية في اللفظ، وهي تقع في الآخرة؛ كقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ وغير ذلك.

﴿هَدَنَّا لِهَذَا﴾ إشارة إلى الجنة، أو إلى ما أوجبها من الإيمان والتقوى.

﴿أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ﴾ و﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا﴾ ، و﴿أَنْ لَعْنَةُ﴾ ، و﴿أَنْ سَلَّمَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ
تَكُونَ ﴿أَنْ﴾ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا :

مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ؛ فَيَكُونُ فِيهَا ضَمِيرٌ .

أَوْ حَرْفُ عِبَارَةٍ وَتَفْسِيرٌ لِمَعْنَى الْقَوْلِ .

﴿مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ حُذِفَ مَفْعُولُ ﴿وَعَدَ﴾ :

اسْتِغْنَاءٌ عَنْهُ بِمَفْعُولِ ﴿وَعَدْنَا﴾ .

أَوْ لِإِطْلَاقِ الْوَعْدِ ؛ فَيَتَنَاوَلُ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ .

﴿فَإِذَا مَوْزَنُ﴾ أَيُ : أَعْلَمُ مُعْلِمٌ ؛ وَهُوَ مَلَكٌ .

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أَيُ : بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

أَوْ : بَيْنَ أَصْحَابِهِمَا ، وَهُوَ الْأَرْجَحُ ؛ لِقَوْلِهِ : ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُرُوجًا﴾

[الحديد: ١٣] .

﴿الْأَعْرَافِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُوَ تَلُّ^(١) بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

وَمَجَاهِدٌ : حِجَابٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

وَقِيلَ : سَوْرُ الْجَنَّةِ .

﴿رِجَالٌ﴾ هُمُ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ .

وَوُرِدَ فِي الْحَدِيثِ : «أَنَّهُمْ قَوْمٌ مِنْ بَنِي آدَمَ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ ،

(١) فِي د : «جبل» .

فلم يدخلوا الجنة ولا النار»^(١).

وقيل: هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم، فاستشهدوا، فمُنِعوا من الجنة؛ لعصيان آبائهم، ونَجُوا من النار؛ للشهادة.

﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: يعرفون أهل الجنة بعلامتهم؛ من بياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بعلامتهم؛ من سواد وجوههم، أو غير ذلك من العلامات.

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ أي: سَلَّمَ أصحابُ الأعراف على أهل الجنة.

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي: أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة، وهم يطمعون في دخولها من بعد.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ الضمير لأصحاب الأعراف؛ أي: إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لا يجعلهم منهم.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ يعني: من الكفار الذين في النار، قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ.

﴿جَمْعُهُمْ﴾ يَحْتَمَلُ أن يريد:

جمعكم للمال.

أو كثرتم.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٢١-٢٢٢).

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتَكَبَّرُونَ﴾ أي: استكباركم على الناس، أو استكباركم عن الرجوع إلى الحق؛ ف «ما» ها هنا مصدرية.

و«ما» في قوله: ﴿مَا أَغْنَى﴾: استفهامية، أو نافية.

﴿أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ من كلام أصحاب الأعراف خطاباً لأهل النار.

والإشارة بـ ﴿هَوَلَاءَ﴾ إلى أهل الجنة؛ وذلك أن الكفار كانوا في الدنيا يُقْسِمُونَ أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يعبأ بهم؛ فظهر خلاف ما قالوا.

وقيل: هي من كلام الملائكة؛ خطاباً لأهل النار.

والإشارة بـ ﴿هَوَلَاءَ﴾ إلى أصحاب الأعراف.

﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ خطابٌ لأهل الجنة: إن كان من كلام أصحاب الأعراف؛

تقديره: قد قيل لهم ادخلوا الجنة.

وخطابٌ لأهل الأعراف: إن كان من كلام الملائكة.

﴿أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ دليلٌ على أن الجنة فوق النار.

﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من سائر الأطعمة أو الأشربة.

﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ﴾ أي: نتركهم.

﴿كَمَا سُوءُ﴾ الكاف للتعليل.

﴿وَمَا كَانُوا﴾ عطفٌ على ﴿كَمَا سُوءُ﴾؛ أي: لنسيانهم وجحودهم.

﴿جَنَّتْهُمْ يَكْتَبِ﴾ يعني: القرآن.

﴿فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: عَلِمْنَا كَيْفَ نُفَصِّلُهُ^(١).

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أي: هل ينتظرون إلا عاقبة أمره، وما يؤول إليه؛ مِنْ ظُهور
ما نطق به من الوعد والوعيد؟.

﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: قد تبَيَّنَ وظُهر الآن أن الرسلَ جاؤوا
بالحق.



(١) في أ، ب، د: «تَفْصِيلُهُ».

[إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٦﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مَنِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا يَقَالَا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾].

﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ حيث وقع:

حمله قومٌ على ظاهره؛ منهم ابن أبي زيد^(١) وغيره.

وتأوله قوم بمعنى: قصد؛ كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

ولو كان كذلك لقال: ثم استوى إلى العرش.

وتأوله الأشعرية أن معنى استوى: استولى بالملك والقدرة.

والحق: الإيمان به من غير تكليف؛ فإن السلامة في التسليم، ولله درُّ مالك بن أنس الإمام في قوله للذي سأله عن ذلك: «الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عن هذا بدعة»^(٢).

وقد روي مثل قول مالك عن أبي حنيفة، وجعفر الصادق، والحسن البصري.

(١) هو ابن أبي زيد القيرواني، في مقدمة الرسالة في الفقه المالكي (ص: ١٠).

(٢) أخرجه اللالكاني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٤١/٢).

ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء، بل أمسكوا عنه؛ ولذلك قال مالك: «السؤال عنه بدعة»^(١).

﴿يُعْشَىٰ لَيْلَ النَّهَارِ﴾ أي: يلحق الليل بالنهار، أو يلحق النهار بالليل؛ يحتمل الوجهين، هكذا قال الزمخشري^(٢).

وأصل اللفظة: من الغشاء؛ أي: يجعل أحدهما غشاءً للآخر يغطيه، فتغطي ظلمة الليل نور النهار.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: ﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ حيث وقع، إلخ، أقول: ذكر فيه مذاهب:

الأول: إجراؤه على ظاهره، لابن أبي زيد المالكي.

الثاني: مذهب أهل التأويل، ومنهم الأشاعرة، وبعضهم قال: استوى: قصد، وقالت الأشاعرة: استوى بالملك والقدرة.

الثالث: مذهب الصحابة والأئمة، وهو الإيمان به من غير تكيف، وقرر هذا القول بقوله: «والحق: الإيمان به من غير تكيف؛ فإن السلامة في التسليم».

وكلامه هنا متردد بين الإثبات من غير تكيف، وبين التفويض، ولذا استشهد بقول الإمام مالك وغيره: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»، ولكنه قال: «ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء، بل أمسكوا عنه»، قال: «ولذا قال مالك: والسؤال عنه بدعة»، ومفهوم كلام المؤلف بحجة أن السؤال عن معنى الاستواء بدعة، وهذا خطأ فالذي سئل عنه مالك، وقال: «السؤال عنه بدعة» هو الكيفية؛ لأنه قال: «الاستواء معلوم» أي معناه، «والكيف مجهول»، والسؤال عنه أي السؤال عن الكيف.

وقد أخطأ ابن جزى بحجة أيضا في زعمه أن الصحابة والتابعين لم يتكلموا في معنى استوى. والصواب هو إثبات الاستواء لله على العرش بمعناه المعلوم، وهو علا وارتفع، مع نفي التمثيل، ونفي العلم بالكيفية. ومن يتدبر كلام ابن جزى يدرك أنه إلى التفويض أميل، أي تفويض معنى الاستواء، أو هو قوله الذي يقول به. والله أعلم.

(٢) انظر: الكشف (٦/٤٠٤).

﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ أي: سريعاً، والجملة في موضع الحال من ﴿أَيْلَ﴾؛
أي: يطلب^(١) النهار فيُدركه.

﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ قيل: الخلق: المخلوقات، والأمر: مصدر أمر يَأْمُرُ.
وقيل: الخلق: مصدر خلق، والأمر: واحد الأمور؛ كقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ
تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

والكلُّ صحيحٌ.

﴿بَارَكَ﴾ من البركة؛ وهو فعل غير متصرف لم تنطق له العرب بمضارع.
﴿نَضْرَعًا وَخُفْيَةً﴾ مصدرٌ في موضع الحال، وكذلك: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.
﴿وَخُفْيَةً﴾ من الإخفاء.

وقرئ: «خَيْفَةً» من الخوف.

﴿الْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين للحدِّ.

وقيل هنا: هو رفع الصوت بالدعاء، والتشطُّط فيه.

﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ جمع الله الخوفَ والطمع؛ ليكون العبد خائفاً
راجياً؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

فإن موجب الخوف: معرفة سَطَوَاتِ^(٢) الله وشدّة عقابه.

وموجب الرجاء: معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه؛ قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ

(١) في د زيادة: «الليل».

(٢) في د: «سطوة».

أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

وَمَنْ عَرَفَ فَضْلَ اللَّهِ رَجَاهُ، وَمَنْ عَرَفَ عَذَابَهُ خَافَهُ؛ وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَرَجَاؤُهُ لَا عَتَدَلَا»^(١).

إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَحِبُّ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ طَوِيلَ عَمْرِهِ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ؛ لِيَقْوَدَهُ إِلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ السَّيِّئَاتِ، وَأَنْ يَغْلِبَ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى»^(٢).

★ واعلم أن الخوف على ثلاث درجات:

الأولى: أن يكون ضعيفاً يخطر على القلب، ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر، فوجود هذا كالعدم.

والثانية: أن يكون قوياً فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة.

والثالثة: أن يشتدَّ حتى يبلغ إلى القنوط واليأس، وهذا لا يجوز، وخير الأمور أوسطها.

★ والناس في الخوف على ثلاث مقامات:

فخوف العامة: من الذنوب.

وخوف الخاصة: من الخاتمة.

(١) لا يصح حديثاً، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٥٥٥): «لا أصل له في المرفوع، وإنما يؤثر عن بعض السلف»، وأخرجه أحمد في الزهد (ص: ٢٣٩) عن مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير من قوله.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

وخوف خاصة الخاصة: من السابقة؛ فإن الخاتمة مبنية عليها.

★ والرجاء على ثلاث درجات:

الأولى: رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعته وترك معصيته؛ فهذا هو الرجاء المحمود.

والثانية: الرجاء مع التفريط والعصيان؛ فهذا غرور.

والثالثة: أن يقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن؛ فهذا حرام.

★ والناس في الرجاء على ثلاث مقامات:

فمقام العامة: رجاء ثواب الله.

ومقام الخاصة: رجاء رضوان الله.

ومقام خاصة الخاصة: رجاء لقاء الله حباً فيه وشوقاً إليه.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ حذفت تاء التانيث من ﴿قَرِيبٌ﴾ وهو خبر عن الرحمة:

على تأويل الرحمة بالرجم، أو الترحم، أو العفو.

أو لأن تانيث الرحمة غير حقيقي.

أو لأنه صفة موصوف محذوف تقديره: شيء قريب.

أو على تقدير النسب؛ أي: ذات قرب.

وقيل: ﴿قَرِيبٌ﴾ هنا ليس خبراً عن الرحمة^(١)، وإنما هو ظرف لها.

(١) قوله: «عن الرحمة» لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

﴿الرِّيحُ نَشْرًا﴾ قرئ ﴿الرِّيحُ﴾ : بالجمع ؛ لأنها رياح المطر .
 وقد اُطرد في القرآن جمعُها إذا كانت للرحمة ، وإفرادها إذا كانت للعذاب
 ومنه ورد في الحديث : «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا»^(١) .
 وقرئ بالإفراد ؛ والمراد : الجنس .
 وقرئ : ﴿نَشْرًا﴾ - بفتح النون وإسكان الشين - ؛ وهو على هذا مصدر في
 موضع الحال .

وقرئ بضمهما ؛ وهو جمع ناشر ، وقيل : جمع منشور .
 وقرئ بضم النون وإسكان الشين ؛ وهو تخفيف من الضم ؛ كرُسُلٍ ورُسُل .
 وقرئ بالباء في موضع النون ؛ من الإشارة .
 ﴿يَبْتَكَ يَدَى رَحْمَتِهِ﴾ أي : قَبْلَ المطر .
 ﴿أَقْلَتْ﴾ حَمَلَتْ .
 ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ لأنها تحمل الماء فتثقل به .
 ﴿سُقْنَهُ﴾ الضمير للسحاب .
 ﴿لِلْكَرْمِ مَتِّتٍ﴾ يعني : لا نبات فيه من شدة القحط ، وكذلك معناه حيث
 وقع .

﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ الضمير :

للسحاب .

(١) أخرجه الشافعي في مسنده (١/١٧٥) ، والطبراني في المعجم الكبير (١١/٢١٣) .

أو البلد؛ على أن تكون الباء ظرفيةً.

﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ تمثيلٌ لإخراج الموتى من القبور بإخراج الزرع من الأرض.

وقد وقع ذلك في القرآن في مواضع؛ منها: ﴿كَذَلِكَ نُشَوِّرُ﴾ [فاطر: ٩]، ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١].

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ هو الكريم من الأرض، الجيد التراب^(١).

﴿وَالَّذِي حَبِطَ﴾ بخلاف ذلك؛ كالسَّبخة ونحوها.

﴿يَا ذَنْ رَبِّهِ﴾ عبارة عن السهولة والطيب، والنَّكِد بخلاف ذلك.

ويَحْتَمِل أن يكون المراد:

ما يقتضيه ظاهر اللفظ؛ فتكون متممةً للمعنى الذي قَبْلُهَا في المطر.

وأن يكون^(٢) تمثيلاً للقلوب:

فقليل - على هذا - : الطيب: قلب المؤمن، والخبيث: قلب الكافر.

وقيل: هما الفَهْمُ^(٣) والبليد.

(١) في ب، ج، هـ: «التراب».

(٢) في ج، د: «تكون».

(٣) في د: «الفهم».

[لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرُوكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾].

﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ قرأ الكسائي: بالخفض - حيث وقع -؛ على اللفظ.

وقرأ غيره: بالرفع؛ على الموضع.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: يوم القيامة، أو يوم هلاكهم.

﴿الْمَلَأُ﴾ أشراف الناس.

﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ إنما قال ﴿ضَلَالَةٌ﴾ ولم يقل «ضلالاً» كقولهم؛ لأن الضلالة أخص من الضلال، كما إذا قيل لك: أعندك تمر؟ تقول: ما عندي تمر؛ فتعم بالنفي.

﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد.

وهو في موضع صفة لـ ﴿رَسُولٌ﴾، أو استئناف.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من صفاته ورحمته وعذابه.

﴿أَوْ عَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف؛ كأنه قال: أكذبتكم وعجبتكم من أن جاءكم ذكرٌ.

﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ أي: على لسان رجل.

﴿ فِي الْفُلِّ ﴾ يتعلّق:

بـ ﴿ مَعَهُ ﴾ ؛ والتقدير: استقرُّوا معه في الفلك .

ويَحْتَمِلُ أن يتعلّق بـ ﴿ أَنْجَيْنَاهُ ﴾ .

﴿ عَمِينَ ﴾ جمع عَمٍ ؛ وهو مِنْ عَمَى القلب .



[﴿٦٥﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوِّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْفَقُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٦٧﴾ قَالَ يَنْفَوِّمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ أَيْلَعُكُمْ رَسُولِي رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٩﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَادْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِن شَاءَ رَبُّنَا إِنَّا لَمُتَّبِعُونَ ﴿٧١﴾ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٢﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَضْبٌ أَنْجِدُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَيِّئُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَاَنْظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴿٧٣﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٤﴾] .

﴿أَخَاهُمْ﴾ أي: واحداً من قبيلتهم، وهو معطوف على ﴿نُوحًا﴾ .

و﴿هُودًا﴾ بدلٌ منه، أو عطف بيان .

وكذلك ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ وما بعده، وما هو مثله حيث وقع .

﴿الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيّد هنا بالكفر؛ لأن في الملأ من قوم هود من آمن؛ وهو مرثد بن سعد، بخلاف قوم نوح؛ فإنهم لم يكن فيهم مؤمن، فأطلق لفظ الملأ .

﴿أَمِينٌ﴾ يحتمل أن يريد:

أمانته على الوحي .

أو أنهم قد كانوا عرفوه بالأمانة والصدق .

﴿خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي : خلفتموهم في الأرض ، أو جعلكم ملوكًا .
﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ كانوا عظام الأجسام ؛ كان أقصرهم ستين ذراعًا ، وأطولهم مئة ذراع .

﴿إِنَّا اللَّهُ﴾ نِعْمُهُ حَيْثُ وَقَعَ .

﴿أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ استبعدوا توحيد الله مع اعترافهم بربوبيته ؛
ولذلك قال لهم هود : ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ﴾ أي : حَقَّ عليكم ووجب عذاب
من ربكم وغضب .

﴿أَتَجِدَلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ يعني : الأصنام ؛ أي : تجادلونني في
عبادة مسمياتِ أسماء ؛ ففي الكلام حذف .

وأراد بقوله : ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ :

جعلتم لها أسماء ؛ فدلَّ ذلك على أنها محدثة ، فلا يصحُّ أن تكون آلهة .
أو سَمَّيْتُمُوهَا آلهةً من غير دليل على أنها آلهة ؛ فقولكم باطل .

فالجidal :

على القول الأول : في عبادتها .

وعلى القول الثاني : في تسميتها آلهةً .

والمراد بالأسماء :

على القول الأول : المسمَّى .

وعلى القول الثاني : التَّسمية .

﴿دَائِرَ﴾ ذكر في «الأنعام»^(١) .

.....

(١) انظر صفحة ٢٦٤ .

[وإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ يَبُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِكَ أَرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنُتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آتِنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَجْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظُرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾].

﴿بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: آية ظاهرة؛ وهي الناقة، وأضيفت إلى الله تشریفًا لها، ولأنه خلقها من غير فعلٍ.

وكانوا قد اقترحوا على صالح عليه السلام أن يخرجها لهم من صخرة، وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك، فانشقت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون، ثم نُبِجَتْ وَلَدًا فآمن به قوم منهم وكفر آخرون.

﴿لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ أي: معجزة تدلُّ^(١) على صحة نبوة صالح.
 والمجرور في موضع الحال من ﴿ءَايَةٌ﴾؛ لأنه لو تأخر لكان صفةً.
 ﴿وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ﴾ أي: لا تضروها^(٢)، ولا تطردوها.
 ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ كانت أرضهم بين الحجاز والشام، وقد دخلها
 رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال لهم ﷺ: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذَّبين
 إلَّا وأنتم باكون؛ مخافة أن يصيبكم مثل الذي أصابهم»^(٣).
 ﴿تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تبنون قصورًا في الأرض البسيطة.
 ﴿وَنَنْجُوْنَ الْجِبَالَ بَيُوتًا﴾ أي: تنجرون^(٤) بيوتا في الجبال، (وكانوا
 يسكنون القصور في الصيف، والجبال في الشتاء).
 وانتصب ﴿بَيُوتًا﴾ على الحال^(٥)؛ وهو كقولك: خِطْتُ هذا الثوب
 قميصًا.
 ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدلٌ من ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضِعُوا﴾.
 ﴿إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ﴾ إنما لم يقولوا: ﴿يَمَّا أُرْسِلَ بِهِ﴾ كما
 قال الآخرون؛ لئلا يكون اعترافًا برسالته.

(١) لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٢) في ج، د: «لا تضربوها».

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠).

(٤) في أ: «تتخذون».

(٥) سقط من أ، ب، هـ.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ نَسَبُ الْعَقْرِ إِلَى جَمِيعِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْهُمْ ؛ وَهُوَ الْأَحْمَرُ .

﴿الرَّجْفَةُ﴾ الصَّيْحَةُ حَيْثُ وَقَعَتْ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ جَبْرِيلَ فَصَاحَ صَيْحَةً بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَمَاتُوا مِنْهَا .

﴿جَثِمِينَ﴾ حَيْثُ وَقَعَ : أَيِ : قَاعِدِينَ لَا يَتَحَرَّكُونَ .

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ الْآيَةُ ؛ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَوْلُهُ لَهُمْ :

حِينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ ، قَبْلَ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ رَوَى أَنَّهُ خَرَجَ حِينَئِذٍ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ .

أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ هَلَكُوا ؛ وَهُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ ، وَعَلَى هَذَا : خَاطَبَهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ عَلَى وَجْهِ التَّفَجُّعِ عَلَيْهِمْ .

وقوله : ﴿لَا يُحِبُّونَ التَّصْحِيحَ﴾ حِكَايَةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ .

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ الْعَامِلُ فِي ﴿إِذْ﴾ : «أَرْسَلْنَا» الْمَضْمُرُ ، أَوْ يَكُونُ بَدَلًا مِنْ ﴿لَوْطًا﴾ .

﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أَيِ : لَمْ يَفْعَلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَبْلَكُمْ .

و﴿مِنْ﴾ الْأُولَى : زَائِدَةٌ .

وَالثَّانِيَةُ : لِلتَّبْعِيضِ ، أَوْ لِلجِنْسِ .

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ الْآيَةُ ؛ أَيِ : أَنَّهُمْ عَدَلُوا عَنْ جَوَابِهِ عَلَى كَلَامِهِ إِلَى الْأَمْرِ بِإِخْرَاجِهِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ .

﴿أَنَاسٌ يَطَّهَّرُونَ﴾ أي: يتنزهون عن الفاحشة.

﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي: من الهالكين.

وقيل: من الذين غبروا في ديارهم فهلكوا، أو من الباقين من أترابها؛
يقال: غبر: بمعنى مضى، وبمعنى بقي.

وإنما قال: ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ بجمع المذكر؛ تغليباً للرجال الغابرين.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ يعني: الحجارة؛ أُصيب بها من كان منهم
خارجاً عن بلادهم، وقُلبت البلاد بمن كان فيها.



[وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
 قَدْ جَاءَ نَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ. وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ
 وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا
 بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ. وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ
 الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولُو كُنَّا كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ
 عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّنا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا
 وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ
 الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾
 فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا
 فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَنَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَقَوَّمُ لَقَدْ
 أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾].

﴿بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: آية ظاهرة، ولم تُعَيَّن في القرآن آية شعيب.

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ كانوا ينقصون في الكيل والوزن، فبُعِثَ شعيب لينهاهم عن ذلك.

والكيل هنا: بمعنى المكيال الذي يكال به؛ مناسبة للميزان؛ كما جاء في «هود»: ﴿الْمِكْيَالُ وَالْمِيزَانُ﴾ [هود: ٨٤].

ويجوز أن يكون ﴿الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ مصدرين .

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ قيل : هو نهْيٌ عن السَّلْبِ وقطع الطريق ؛ وكان ذلك مِنْ فِعْلِهِمْ .

وقيل : كانوا يقعدون على الطريق ؛ يردُّون الناس عن اتباع شعيب ويُوْعِدُونَهُمْ إِنْ اتَّبَعُوهُ .

﴿وَنَصَّدُّوكَ﴾ أي : تمنعون الناس من ^(١) سبيل الله ؛ وهو الإيمان .

والضمير في ﴿بِهِ﴾ : للضَّارِطِ ، أو لله .

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ ذُكِرَ فِي «آلِ عِمْرَانَ» ^(٢) .

﴿أَوْ لَتَعُودَنَّ فِيْ مِلَّتِنَا﴾ أي : ليكوننَّ أحدُ الأمرين : إما إخراجُكم ، أو عَوْدُكم إلى ملة الكفر .

فإن قيل : إن العود إلى الشيء يقتضي أنه قد كان فُعِلَ قبل ذلك ؛ فيقتضي قولهم : ﴿لَتَعُودَنَّ فِيْ مِلَّتِنَا﴾ أن شعيبًا ومن كان معه كانوا أولاً على ملة قومهم ، ثم خرجوا منها فطلب قومهم أن يعودوا إليها ، وذلك محالٌ ؛ فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها ! .

فالجواب من وجهين :

أحدهما : قاله ابن عطية ؛ وهو أن «عاد» قد تكون بمعنى : صار ؛

(١) في ج ، د : «عن» .

(٢) انظر ١ / ٥٦٥ .

فلا تقتضي تقدُّم ذلك الحال الذي صار إليه^(١).

والثاني: قاله الزمخشري؛ وهو أن المراد بذلك: الذين آمنوا بشعيب دون شعيب، وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك؛ كما أدخلوه في الخطاب معهم في قولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ﴾؛ فغلبوا في الخطاب بالعود الجماعة على الواحد^(٢).

وبمثل ذلك يُجاب عن قوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾.

﴿قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ﴾ الهمزة: للاستفهام والإنكار، والواو: للحال، تقديره: أعود في ملتكم^(٣) ونحن كارهون؟!.

﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ أي: إن عدنا فيها فقد وقعنا في أمرٍ عظيم من الافتراء على الله، وذلك تبرُّؤ من العود فيها.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ هذا استسلامٌ لقضاء الله على وجه التأدب مع الله وإسناد الأمور إليه؛ وذلك أنه لما تبرَّأ من ملتهم: أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عودٍ وتركة؛ فإن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء.

فإن قلت: إنَّ ذلك يصحُّ في حق قومه، وأما في حق نفسه فلا؛ فإنه معصوم من الكفر؟.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/٦١٣).

(٢) انظر: الكشاف (٦/٤٧٣).

(٣) في أ، ب، هـ زيادة: «ويكون لنا أن نعود فيها».

فالجواب : أنه قال ذلك تواضعًا وتأدُّبًا مع الله تعالى ، واستسلامًا لأمره ؛
 كقول نبينا ﷺ : «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(١) مع أنه قد علم أنه
 يثبتّه .

﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ أي : احكم .

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي : كأن لم يقيموا في ديارهم .

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ أي : كيف أأحزنُ عليهم وقد استحقُّوا ما
 أصابهم من العذاب بكفرهم .



(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٢١٠٧)، والترمذي (٢١٤٠).

[﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ
يَضُرَّعُونَ﴾ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ
وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩٥) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا
عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٩٦)
أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (٩٧) أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن
يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ
إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩٩) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّو
نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ
عَلَيْكَ مِن نَّبَايِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن
قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن
وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ (١٠٢) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي
رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ
بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِثَابِتٍ فَأْتِ بِهَا إِن
كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ
بِضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ﴾ (١٠٨)].

﴿بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ قد تقدّم (١).

﴿بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أي: أبدلنا البأساء والضراء بالنعيم؛
اختباراً لهم في الحالتين.

﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ أي: كَثُرُوا ونَمَوْا في أنفسهم وأموالهم.

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ أي: قد جرى ذلك لآبائنا ولم يضرَّهم؛ فهو بالاتفاق لا بقصد الاختبار.

﴿بَرَكَتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بالمطر، والزرع.

﴿أَوْ أَمِنَ﴾ مَن قرأ بإسكان الواو: فهي «أو» العاطفة.

ومن قرأ بفتحها: فهي واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ؛ كما دخلت على الفاء في قوله: ﴿أَفَأَمِنَ﴾.

﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾ أي: استدراجَه وأخذه للعبد من حيث لا يشعر.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ أو لم يَتَبَيَّنْ.

﴿لِّلَّذِينَ يَرْتُوبُ الْأَرْضِ﴾ أي: يسكنونها.

﴿أَن لَّوْ نَشَاءُ﴾ هو فاعلُ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾، ومقصود الآية الوعيد.

﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ عطفٌ على ﴿أَصْبَتْهُمْ﴾؛ لأنه في معنى المستقبل.

أو منقطع؛ على معنى الوعيد.

وأجاز الزمخشري أن يكون عطفاً على ﴿يَرْتُوبُ الْأَرْضِ﴾، أو على ما دلَّ عليه معنى ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾؛ كأنه قال: يَعْمَلُونَ عن الهداية ونطبعُ على قلوبهم^(١).

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ﴾ الضمير لـ ﴿أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾، والمعنى:

وجدناهم ناقضين للعهود.

(١) انظر: الكشف (٦/٤٩١).

﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ من قرأ ﴿عَلَيَّ﴾ بالتشديد على أنها ياء المتكلم: فالمعنى ظاهر؛ وهو أن موسى قال: حقيق عليه أن لا يقول على الله إلا الحق.

وموضع ﴿أَنْ لَا أَقُولَ﴾ - على هذا - رفع؛ على أنه:
خبر ﴿حَقِيقٌ﴾، و﴿حَقِيقٌ﴾ مبتدأ.
أو بالعكس.

ومن قرأ ﴿عَلَيَّ﴾ بالتخفيف: فموضع ﴿أَنْ لَا أَقُولَ﴾ خفض بحرف الجر، و﴿حَقِيقٌ﴾ صفة لرسول.

وفي المعنى - على هذا - وجهان:

أحدهما: أن «على» بمعنى الباء؛ فمعنى الكلام: رسول حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق.

والثاني: أن معنى حقيق: حريص؛ ولذلك تعدى بـ «على».

﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: بمعجزة تدل على صدقي؛ وهي العصا، أو جنس المعجزات.

﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: خلّهم يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة موطن آبائهم.

وذلك أنه لما توفّي يوسف عليه السلام غلب فرعون على بني إسرائيل واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يد موسى، وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى: أربع مئة عام.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ وكان موسى عليه السلام شديد الأدمة ، فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها في جيبه ، ثم أخرجها وهي بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشدُّ بياضًا .

وقيل : إنها كانت مُنيرةً شفافة كالشمس ، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه .

﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ مبالغة في وصف يده بالبياض ؛ كأنَّ الناسَ يجتمعون للنظر إليها ، والتعجب منها .



[﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٦٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٧٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاذْ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١٧١﴾ يَا نُؤُوكَ يَكُلْ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١٧٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٧٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٧٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْكَيْنِ ﴿١٧٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١٧٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٧٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٧٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٨٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٨٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَادَنْ لَكُمْ إِنْ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِخُورِجُوا مِنْهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا لَنَنْقِمَ مِنْآ إِلَّا أَنْتَ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّانَا مُسْلِمِينَ﴾ (١٨٦)].

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٦٩) حكى هذا الكلام هنا عن الملأ، وفي «الشعراء» عن فرعون: فكانه قد قاله هو وهم.

أو قاله هو، ووافقوه عليه؛ كعادة جلساء الملوك في اتباعهم لما يقول الملك.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ أي: يخرجكم منها بالقتال^(١) أو بالحيل.

وقيل: المراد إخراج بني إسرائيل، وكانوا خُدَّامًا لهم؛ فتخرب الأرض

(١) في أ، ب، هـ: «بالقتل».

بـخـروـج الخُـدَّام والعُـمَّار منها .

﴿فَمَآذَا تَآمُرُونَ﴾ من قول الملا، أو من قول فرعون .

وهو من معنى :

المؤامرة؛ أي^(١) : المشاورة .

أو من الأمر وهو ضدُّ النهي .

﴿أَرْجِه﴾ من قرأه بالهمز : فهو من أرجأت الرجل : إذا أخرته ؛ فمعناه : أخرهما حتى ننظرَ في أمرهما .

وقيل : المراد بالإرجاء -هنا- : السَّجن .

ومن قرأ بغير همز : فتحتمل :

أن تكون بمعنى المهموز ؛ وسهَّلت الهمزة .

أو يكون بمعنى الرجاء ؛ أي : أطمعه .

وأما ضمُّ الهاء وكسرُها : فليقتان .

وأما إسكانُها : فلعله أجرى فيها الوصل مُجرى الوقف .

﴿حَشِيرِينَ﴾ يعني : الشُّرَط ؛ أي : جامعين للسحرة .

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ قبل هذا محذوفٌ يدلُّ عليه سياق الكلام ؛ وهو أنه بعث إلى السحرة .

﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ من قرأه بهمزتين : فهو استفهام .

(١) في أ، ج، هـ : «أو» .

ومن قرأه بهمزة واحدة: فيَحْتَمِلُ أن يكون خبرًا، أو استفهامًا حذفت منه الهمزة.

والأجر هنا: الأجرة؛ طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى، فَأَنْعَمَ لَهُم فرعون بها، وزادهم التَّقْرِيبَ منه، والجاهَ عنده.

﴿وَإِنَّكُمْ لَيْنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عطفٌ على معنى ﴿نَعَمْ﴾؛ كأنه قال: نعطيكم أجرًا ونقربكم.

واختلف في عدد السحرة اختلافًا متباينًا من سبعين رجلًا إلى سبعين ألفًا؛ وكلُّ ذلك لا أصل له في صحة النقل.

﴿إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ خيروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدؤوا هم بالإلقاء سحرهم، فأمرهم أن يلقوا.

وانظر كيف عبّروا عن إلقاء موسى بالفعل، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الاسمية؛ إشارةً إلى أنهم أهلُ الإلقاء المتمكّنون فيه.

﴿وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي: خوفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر.

﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ لما ألقاها صارت ثعبانًا عظيمًا على قَدَرِ الجبل.

وقيل: إنه طال حتى جاوز النيل.

﴿تَلَقَّفْ﴾ أي: تبتلع.

﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: ما صوّروا من إفكهم وكذبهم.

وروي: أن الثعبان أكل مِلءَ الوادي من حبالهم وعصيَّهم، ومدَّ موسى يده إليه فصار عصًا كما كان، فعَلِمَ السحرةُ أن ذلك ليس من السحر،

وليس في قدرة البشر، فأمنوا بالله وبموسى عليه السلام.

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية؛ وعيدٌ من فرعون للسحرة.

وليس في القرآن أنه أنفذ ذلك، ولكنه روي أنه أنفذه عن ابن عباس وغيره.

وقد ذكر معنى ﴿مَنْ خَلَفَ﴾ في «العقود»^(١).

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (١٢٥) أي: لا نبالي بالموت؛ لانقلابنا إلى ربنا.

﴿وَمَا نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا آتَاءَآمَنَّا﴾ أي: ما نعيب منآ إلا إيماننا.



[وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ
وَأَهْلَكَ قَالَ سَنْقِيلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿٢٧٦﴾ قَالَ مُوسَى
لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧٨﴾ قَالُوا أُوذِيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى
رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨٠﴾].

﴿لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يُخربوا ملك فرعون وقومه ويخالفوا دينه.

﴿وَيَذَرَكَ﴾ معطوف على ﴿لِيُفْسِدُوا﴾، أو منصوب بإضمار «أن» بعد
الواو.

﴿وَأَهْلَكَ﴾ قيل: إن فرعون كان قد جعل للناس أصنامًا يعبدونها،
وجعل نفسه الإله الأكبر؛ فلذلك قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]؛
ف﴿وَأَهْلَكَ﴾ - على هذا - هي تلك الأصنام.

وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس: «وَأَهْلَكَ»؛ أي:
عبادتك والتذلل لك.

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ تعليلٌ للصبر الذي أمرهم به.

يعني: أرض الدنيا هنا وفي قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

وقيل: يعني: أرض فرعون.

فأشار لهم موسى أولاً بالنصر في قوله: ﴿يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ﴾، ثم صرح
به في قوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ﴾ الآية.

﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ حضٌ على الاستقامة والطاعة.

[وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ
أَلَّا إِنَّمَا طَلَيْهِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ
لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ
وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٩﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا
يَمُوسَى آدُعْ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيُنْزِلَ عَلَيْنَا مَاءً كَاسًا يَسْقِي كُنُوزَنَا
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِلِقَاؤِهِ إِذَا هُمْ
يَنْكُثُونَ ﴿١٤٠﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ غَارِقَتُهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا
غَافِلِينَ ﴿١٤١﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي
بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٤٢﴾ وَجَوْرْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ
فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ
قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٤٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَطَلُّوا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ قَالَ
أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ وَإِذْ أُنْحِيطَ مِنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يُسْؤِمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ
بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤٦﴾].

﴿بِالسِّنِينَ﴾ أي: بالجذب والقحوط^(١).

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ الآية؛ أي: إذ جاءهم الخصب والرخاء قالوا: هذا لنا وبسعدينا، ونحن مستحقون له، وإذ جاءهم الجذب والشدة ﴿يَطَّيَّرُوا﴾

(١) في د: «والقحط».

يُؤَسِّئُ ﴿٣٧٨﴾ أي: قالوا: هذا بشؤمه.

فإن قيل: لم قال: ﴿فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ بـ «إذا» وتعريف الحسنة، ﴿وَإِنْ نُصِبَتْ سَيِّئَةٌ﴾ بـ «إن» وتنكير السيئة؟.

فالجواب: أن الحسنة وقوعها كثير، والسيئة وقوعها نادر؛ فعرف الكثير الوقوع باللام التي للعهد، وذكره بـ «إذا»؛ لأنها تقتضي التحقيق، وذكر السيئة بـ «إن» لأنها تقتضي الشك، ونكرها للتقليل.

﴿أَلَا إِنَّمَا طَبَرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: إنما حظهم ونصيبهم الذي قُدر لهم من الخير والشر عند الله.

وهو مأخوذ من زجر الطير، ثم سُمي به ما يصيب الإنسان.

ومقصود الآية: الرّد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم.

﴿مَهْمَا﴾ هي «ما» الشرطية ضمت إليها «ما» الزائدة؛ نحو: «أينما»، ثم قلبت الألف هاء.

وقيل: هي اسمٌ بسيط غير مركّب.

والضمير في ﴿بِهِ﴾ يعود على ﴿مَهْمَا﴾.

وإنما قالوا: ﴿مِنْ آيَةٍ﴾:

على تسمية موسى لها آية.

أو على وجه التهكم.

﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ روي: أنه كان مطرًا شديدًا دائمًا، مع فيض النيل

حتى هدم بيوتهم، وكادوا يهلكون، وامتنعوا من الزراعة.

وقيل: هو الطّاعون.

﴿وَالْجُرَادُ﴾ هو المعروف؛ أكل زرعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم وأبوابهم وسُقِفَ بيوتهم.

﴿وَالْقُمَّلُ﴾ قيل: هي صغار الجراد. وقيل: البراغيث. وقيل: السُّوس.

وقرئ «القُمَّل» - بفتح القاف والتخفيف -؛ فهي - على هذا - : القمل المعروف، وكانت تتعلّق بلحومهم وشعورهم^(١).

﴿وَالضَّفَادِعُ﴾ هي المعروفة؛ كثرت عندهم حتى امتلأت بها فُرُشهم وأوانيهم، وإذا تكلم أحدهم وثب الضفدع إلى فمه^(٢).

﴿وَالْدَّمَ﴾ صارت مياههم دمًا؛ فكان يستقي من البئر القبطي والإسرائيلي في إناء واحد، فيخرج ما يلي القبطي دمًا، وما يلي الإسرائيلي ماءً.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ أي: العذاب؛ وهي الأشياء المتقدمة، وكانوا مهما نزل بهم أمرٌ منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم، فإذا^(٣) كشفه عنهم نقضوا العهد وتمادوا على كفرهم.

﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ أي: بِذِمَامِكَ إليه ووسائلك.

(١) هذه اللفظة لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٢) في ب: «وقع الضفدع في فمه».

(٣) في أ، ب، ج: «فلما».

والباء تحتمل :

أن تكون للقسم، وجوابه ﴿لَنُؤْمِنَنَّ﴾ .

أو تتعلق بـ ﴿أَذْعُ لَنَا﴾ ؛ أي : توَّسَّلْ إليه بما عهد عندك .

﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر حيث وقع .

﴿الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ هم بنو إسرائيل .

﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا﴾ الشام ومصر .

﴿بَرَكَاتٍ فِيهَا﴾ أي : بالخشب، وكثرة الأرزاق .

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي نفذت لهم واستقرت .

والكلمة هنا :

ما قُضِيَ لهم في الأزل .

وقيل : هي قوله : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾

[القصص : ٥] .

﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ أي : يبنون .

وقيل : هي الكُروم وشبهها .

فهو على الأوَّل : من العرش .

وعلى الثاني : من العريش .

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ أي : اجعل لنا صنماً نعبده كما يعبد هؤلاء

أصنامهم .

ولما تَمَّ خبر موسى مع فرعون: ابتداء خبره مع بني إسرائيل من هنا إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَنْقُزُ الْجَبَلَ﴾ .

﴿مُتَّبِرٌ﴾ من التَّبار؛ وهو الهلاك.

﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وما بعده: مذكور في «البقرة»^(١).



(١) انظر (١/٣١٢).

[﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرْنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا بَلَغَ رُبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمْوَسَّى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكُرُوا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَلَقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾] .

﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ روي: أن الثلاثين: هي شهر ذي القعدة، والعشر بعدها: هي العشر الأول من ذي الحجة؛ وذلك تفصيل للأربعين المذكورة في «البقرة» .

﴿مِيقَتُ رَبِّهِ﴾ أي: ما وقَّت له من الوقت لمناجاته في الطُّور .

﴿أَخْلَفْنِي﴾ أي: كن خليفتي على بني إسرائيل مدة مغيبتي .

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ لما سمع موسى كلامَ الله طمع في رؤيته، فسألها،

كما قال الشاعر :

وأبرُح ما يكون الشُّوقُ يومًا إذا دنت الدِّيارُ من الديار^(١)
واستدلَّ الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلاً ، وأنها لو كانت
محالاً لم يسألها موسى ؛ فإن الأنبياء ﷺ يعلمون ما يجوز على الله وما
يستحيل عليه .

وتأوَّل الزمخشري طلب موسى للرؤية بوجهين :

أحدهما : أنه إنما سأل ذلك تَبَكُّيًّا لمن خرج معه من بني إسرائيل ،
فهم^(٢) الذين طلبوا الرؤية ، فقالوا : أرنا الله جَهْرَةً ؛ فقال موسى ذلك
ليسمعوا الجواب في المنع فيتأدَّبوا .

والآخر : أن معنى ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ : عَرَّفَنِي نَفْسَكَ تعريفاً واضحاً
جلياً^(٣) .

وكلا الوجهين بعيد ، والثاني أبعد وأضعف ؛ فإنه لو لم يكن المراد الرؤية
لم يقل له ﴿أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الآية .

﴿قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ قال مجاهد وغيره : إن الله قال لموسى : ﴿لَنْ تَرَنِي﴾ ؛
لأنك لا تطيق ذلك ، ولكن سأتجلى للجبل الذي هو أقوى منك وأشدُّ ،

(١) البيت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، المعروف بإسحاق النديم ؛ لمنادمته لعدد من
الخلفاء العباسيين . انظر : الوافي بالوفيات (٢٥٥ / ٨) .

(٢) لم ترد في ب ، ج .

(٣) انظر : الكشف (٥٥١ / ٦) .

فإن استقرَّ وأطاق الصبر لهييتي أمكن أن تراني أنت، وإن لم يطق الجبل فأحرى أن لا تطيق أنت.

فعلى هذا؛ إنما جعل الله الجبل مثلاً لموسى.

وقال قوم: المعنى: سأتجلى لك على الجبل؛ وهذا ضعيف؛ يبطله قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾.

فإذا تقرَّر هذا؛ فقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ نفْيٌ للرؤية، وليس فيه دليلٌ على أنها محال؛ فإنه إنما جعل علَّةَ النفْي: عدمُ إطاقه موسى الرؤية لا استحالتها.

ولو كانت الرؤية مستحيلاً؛ لكان في الجواب زجرٌ وإغلاظ، كما قال الله لنوح: ﴿فَلَا تَسْتَلِنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]. فهذا المنع من رؤية الله إنما هو في الدنيا؛ لضعف البنية البشرية عن ذلك. وأما في الآخرة: فقد صرَّح بوقوع الرؤية كتابُ الله وسنة رسوله ﷺ، فلا ينكرها إلا مبتدع.

وبين المعتزلة وأهل السنة في مسألة الرؤية نزاعٌ طويل.

وفي هذه القصة قصصٌ كثيرٌ تركته؛ لعدم صحته، ولما فيه من الأقوال الفاسدة.

﴿جَعَلَهُ دَكَّا﴾ أي: مذكوكًا؛ فهو مصدر بمعنى مفعول، كقولك: ضربُ الأمير.

والدَّكُّ والدَّقُّ: أخوان؛ وهو التفتُّ.

وقرى: ﴿دَكَّاءٌ﴾ - بالمد والهمز - ؛ أي: أرضاً دكاءً:

قيل: ذهب أعلى الجبل وبقي أكثره.

وقيل: تفتت حتى صار غباراً.

وقيل: ساخ في الأرض، وأفصى إلى البحر.

﴿وَحَزَرَ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ أي: مغشياً عليه.

﴿تَبَّتْ إِلَيْكَ﴾ معناه: تبت من سؤال الرؤية في الدنيا وأنا لا أطيقها.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أوّل قومه، أو أهل^(١) زمانه، أو على وجه المبالغة في السبق إلى الإيمان.

﴿أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي﴾ عمومٌ يراد به الخصوص؛ فإنّ جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة.

واختلف: هل كلّم الله غيره من الرسل أم لا؟.

والصحيح: أنه كلم نبينا محمداً ﷺ ليلة الإسراء.

﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَكَ﴾ تأديبٌ؛ أي: اقنع بما أعطيتك من رسالتي وكلامي، ولا تطلب غير ذلك.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ أي: في ألواح التوراة.

وكانت: سبعة، وقيل: عشرة، وقيل: اثنان.

وقيل: كانت من زُمُرْد، وقيل: من ياقوت، وقيل: من خشب.

(١) في أ، ب، هـ: «أول».

﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه في دينهم .

وكذلك : ﴿وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ .

وموضع ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ : نصبٌ ؛ على أنه مفعول ﴿كَتَبْنَا﴾ ،
و﴿مَوْعِظَةً﴾ : بدلٌ منه .

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي : بجِدٍّ وحزم^(١) . والضمير للتوراة .

﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي : فيها ما هو حسنٌ وأحسنٌ منه ؛ كالقصاص مع
العفو ، وكذلك سائر المباحات من المندوبات .

﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي : دار فرعون وقومه ؛ وهي مصر .

والمعنى : أريكم كيف أفقرت منهم لما هلكوا .

وقيل : منازل عاد وثمود ومن هلك من الأمم المتقدمة ؛ ليعتبروا بها .

وقيل : جهنم .

وقرأ ابن عباس : «سأورثكم» - بالثاء المثناة - ؛ من الوراثة .

وهي - على هذا - مصر ؛ لقوله ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء : ٥٩] .

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآياتُ : يحتمل - هنا - أن

يراد بها :

آيات القرآن وغيره من الكتب .

أو العلامات والبراهين .

(١) في أ : «وعزم» .

والصَّرْفُ يراد به : صَدُّهُمْ عَنْ فَهْمِهَا وعن الإيمان بها ؛ عقوبةٌ لهم على تكبُّرهم .

وقيل : الصَّرْفُ : مَنَعُهُمْ مِنْ إِبْطَالِهَا .

﴿وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ﴾ يجوز أن يكون :

من إضافة المصدر إلى المفعول به ؛ أي : ولقائهم الآخرة .

أو من إضافة المصدر إلى الظرف .



[وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾] .

﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ هم بنو إسرائيل .

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي : من بعد غيبيته في الطور .

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ - بضم الحاء والتشديد - : جمع حَلِيٍّ ؛ نحو ثَدْيٍ وَثَدْيٍ .

وقرئ بكسر الحاء ؛ للإِتِّبَاع .

وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام .

والْحَلِيُّ : هو ما يُتَزَيَّن به من الذهب والفضة .

﴿جَسَدًا﴾ أي : جسمًا دون روح . وانتصابه على البدل .

﴿لَهُمْ خُورٌ﴾ الخوار : هو صوت البقر .

وكان السَّامِرِيُّ قد قَبَضَ قبضة من تراب أثر فرس جبريل يوم قطع البحر ، فقفذه في العجل فصار له خوارٌ .

وقيل : كان إبليس يدخل في جوف العجل فيصيح فيه ، فيسمع له خوار .

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ ردُّ عليهم ، وإبطالٌ لمذهبهم الفاسد في عبادته .

﴿اتَّخَذُوهُ﴾ أي : اتَّخَذُوهُ إِلَهًا ؛ فحذف المفعول الثاني للعلم به .
وكذلك حذف من قوله : ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى﴾ .
﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي : نَدِمُوا ؛ يقال : سُقِطَ فِي يَدِ فُلَانٍ : إِذَا عَجَزَ عَمَّا
يريد ، أَوْ وَقَعَ فِيهِمَا يَكْرَهُ .
﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن على ما فعلوا .
وقيل : شديد الغضب ؛ كقوله : ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف : ٥٥] .
﴿يَنْسَمَا حَلَفْتُونِي﴾ أي : قُتِمْتُمْ مَقَامِي .
وفاعل «بئس» مضمَّر ؛ يفسره «ما» ، واسم المذموم محذوف .
والمخاطب بذلك :
إِذَا الْقَوْمَ الَّذِينَ عَبْدُوا الْعَجَلَ مَعَ السَّامِرِيِّ ؛ حَيْثُ عَبْدُوا غَيْرَ اللَّهِ فِي غَيْبَةِ
مُوسَى عَنْهُمْ .
أَوْ رُؤَسَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ حَيْثُ لَمْ يَكْفُوا الَّذِينَ عَبْدُوا الْعَجَلَ .
﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ معناه : أَعَجَلْتُمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّكُمْ ، وَهُوَ أَنْتَظَارُ مُوسَى
حَتَّى يَرْجِعَ مِنَ الطُّورِ ؛ فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ تَمَّ ظَنُّوا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ
مَاتَ فَعَبَدُوا الْعَجَلَ .
﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ طَرَحَهَا ؛ لِمَا لَحِقَهُ مِنَ الدَّهْشِ وَالضَّجَرِ ؛ غَضَبًا لِلَّهِ مِنْ
عِبَادَةِ الْعَجَلَ .
﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي : بَشَعَرِ رَأْسِهِ يَجْرُهُ ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ فَرَطَ فِي كَفِّ الَّذِينَ
عَبَدُوا الْعَجَلَ .

﴿أَبْنِ أُمَّ﴾ كان هارون شقيقَ موسى ، وإنما دعاه بأُمَّه ؛ لأنه ادَّعى إلى العطف والحنو .

وقرئ : ﴿أَبْنِ أُمَّ﴾ :

بالكسر ؛ على الإضافة إلى ياء المتكلم ، وحذفت الياء .

وبالفتح ؛ تشبيهاً بخمسة عشر ؛ جُعل الاسمان اسمًا واحدًا فُبني .

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي : لا تظنَّ أنني منهم .

أو : لا تجد عليَّ في نفسك ما تجدُ عليهم ؛ يعني : أصحاب العجل .



[إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ
مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٧﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي تَسْحِثِهَا
هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٨﴾ وَأَخْبَارَ مُّوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا
أَخَذْتُهُمُ الرِّجْفَةَ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتْلُو أَسْمَاءَهُمْ إِنَّمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا
إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْغَافِرِينَ ﴿١٥٩﴾ وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدَّنَا إِلَيْكَ قَالَ
عَذَابٌ أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشْيَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ
الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦١﴾].

﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ أي: غضبٌ في الآخرة، وذِلَّةٌ في الدنيا.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ أي: سَكَنَ؛ وكذلك قرأ بعضهم.

وقال الزمخشري: قوله: ﴿سَكَتَ﴾ مثل؛ كأنَّ الغضب كان يقول له: أَلْقِ
الألواح وجرَّ برأس أخيك، ثم سَكَتَ عن ذلك ^(١).

﴿وَفِي تَسْحِثِهَا﴾ أي: فيما ينسخ منها، والنُّسخة: فُعْلَةٌ بمعنى مفعول.

﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي: يخافون.

ودخلت اللام؛ لتقدّم المفعول؛ كقوله: ﴿لِلرَّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].
وقال المبرّد: تتعلّق بمصدر تقديره: رهبتهم لربهم.

﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي: من قومه سبعين رجلاً، حملهم معه إلى الطور فسمِعوا^(١) كلام الله لموسى، فقالوا: أرنا الله جهرة، فأخذتهم الرجفة؛ عقاباً لهم على قولهم.

وقيل: إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل، أو لسكوتهم عن^(٢) عبادته.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾

[النساء: ١٥٣].

ويَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ رَجْفَةً:

موت.

أو إغماء.

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦].

﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ ﴿لَوْ﴾ هنا للتمني؛

أي: تمنّى أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك؛ لأنه خاف من تشغيب بني إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين.

ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَالَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَضَرُّعِ وَالِاسْتِسْلَامِ لِأَمْرِ اللَّهِ؛ كَأَنَّهُ

(١) في ب، ج، هـ: «فيسمعوا».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «على».

قال : لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت ؛ فإننا عبيدك وتحت قهرك ، وأنت تفعل ما تشاء .

ويَحْتَمَلُ أن يكون قالها على وجه التضرُّع والرغبة ؛ كأنه قال : لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت ، لكنك عافيتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن كما عودتنا^(١) ، وأخي هؤلاء القوم الذين أخذتهم الرجفة .

﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ أي : أتهلكني وتهلك بني إسرائيل بما فعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية ، والذين عبدوا العجل .

فمعنى هذا : إدلاءً بحجته ، وبرؤًى من فعل السفهاء ، ورغبةً إلى الله أن لا يعم الجميع بالعقوبة .

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ أي : الأمور كلها بيدك تضلُّ من تشاء وتهدي من تشاء .

ومعنى هذا : اعتذارٌ عن فعل السفهاء بأنه^(٢) كان بقضاء الله ومشيئته .

﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي : تَبَّنَا .

وهذا الكلام الذي قاله موسى ﷺ إنما هو كله استعطافٌ ورغبة إلى الله وتضرُّع إليه ، ولا يقتضي شيئاً مما توهم الجهال فيه من الجفاء في قوله : ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ ؛ لأننا قد بينا أنه إنما قال ذلك استعطافاً لله ، وبراءةً من فعل السفهاء .

(١) في أ، ج، د، هـ : «وعدتنا» .

(٢) في د : «فإنه» .

﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ قيل : الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة .

والصحيح : أنه عمومٌ يندرجون فيه مع غيرهم .

وقرئ «من أساء» -بالسين وفتح الهمزة- ؛ من الإساءة ، وأنكرها بعض المقرئين وقال : إنها تصحيفٌ .

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتمل أن يريد رحمته في الدنيا ؛ فيكون خصوصاً في الرحمة ، وعموماً في كل شيء ؛ لأنَّ المؤمن والكافر والمطيع والعاصي تنالهم رحمة الله ونعمته في الدنيا .

ويحتمل أن يريد رحمة الآخرة ؛ فيكون خصوصاً في كل شيء ؛ لأنَّ الرحمة في الآخرة مختصة بالمؤمنين .

ويحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق ؛ فيكون عمومياً في الرحمة ، وفي كل شيء .

﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَنْفُونَ﴾ إن كانت الرحمة المذكورة رحمة الآخرة : فهي -بلا شك- مختصة بهؤلاء الذين كتبها الله لهم ، وهم أمة محمد ﷺ .

وإن كانت رحمة الدنيا : فهي -أيضاً- مختصة بهم ؛ لأن الله نصرهم على جميع الأمم ، وأعلى دينهم على جميع الأديان ، ومكّن لهم في الأرض ما لم يمكن لغيرهم .

وإن كانت على الإطلاق : فقله : ﴿فَسَاكُتُهَا﴾ تخصيصٌ للإطلاق .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي : يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء ،

وليس ذلك لغير هذه الأمة .

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ هذا الوصف خَصَّصَ أمة محمد ﷺ .

قال بعضهم : لما قال الله : ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ طَمِعَ فيها كُلُّ أحد حتى إبليس ، فلما قال : ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ﴾ يَسُّس إبليس ، وبقيت اليهود والنصارى ، فلما قال : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ الآية : يَسُّس اليهود والنصارى ^(١) .

﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ أي : الذي لا يقرأ ولا يكتب ، وذلك من أعظم دلائل نبوة محمد ^(٢) ﷺ ؛ لأنه أتى بالعلوم الجمة من غير قراءة ولا كتابة ، ولذلك قال تعالى : ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُمْ يَمِينًا إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٨] .

قال بعضهم : الأميُّ منسوبٌ إلى الأمِّ ، وقيل : إلى الأمة ^(٣) .

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ ضمير الفاعل في ﴿يَجِدُونَهُ﴾ لبني إسرائيل ، وكذلك الضمير في ﴿عِنْدَهُمْ﴾ .
ومعنى ﴿يَجِدُونَهُ﴾ : يجدون نعتَه وصفته .

★ ولنذكر هنا ما ورد في التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا ﷺ :

فمن ذلك : ما ورد في البخاري وغيره أنَّ في التوراة من صفة النبي ﷺ :

(١) انظر : تفسير الطبري (١٠/٤٨٣-٤٨٤) .

(٢) في ج ، د : «نبوته» .

(٣) في أ ، ب ، هـ : «للأمة» .

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأئمين، أنت عبيدي ورسولي، أسميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صحّاب^(١) في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح^(٢)، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به عيناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً غلفاً^(٣).

ومن ذلك: ما في التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب، وهو باق بأيديهم إلى الآن: «إِنَّ الْمَلِكَ نَزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لَهُ: فِي هَذَا الْعَامِ يُولَدُ لَكَ غُلَامٌ اسْمُهُ إِسْحَاقُ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشَ يَخْدُمَكَ، فَقَالَ اللَّهُ لإِبْرَاهِيمَ: ذَلِكَ لَكَ، قَدْ اسْتَجِيبَ لَكَ فِي إِسْمَاعِيلَ، وَأَنَا أَبَارِكُهُ وَأَنْمِيهِ وَأَكْبِرْهُ وَأَعْظِمْهُ بِمَا ذُوُّهُ».

وتفسير هذه الحروف: محمد.

ومن ذلك: في التوراة: «إِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى جَاءَ فِي طُورِ سَيْنَاءَ، وَطَلَعَ مِنْ سَاعِرَ، وَظَهَرَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ».

ويعني بطور سيناء: موضع مناجاة موسى ﷺ، وساعر: موضع عيسى ﷺ، وفاران: هي مكة موضع مولد نبينا محمد ﷺ ومبعثه.

ومعنى ما ذكر من مجيء الله وطلوعه وظهوره: هو ظهور دينه على يد

(١) الذي في الرواية: «سَحَاب» بالسين، وهما بمعنى واحد، قال في النهاية (٥/٢٢٨٩): «الصَّخْبُ وَالسَّخْبُ: الضَّجَّةُ واضطراب الأصوات للخصام».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «ولا تجزي». تعفو وتصفح، والمبثت موافق لما في الرواية.

(٣) أخرجه البخاري (٢١٢٥)، (٤٨٣٨).

الأنبياء الثلاثة المنسويين لتلك المواضع .

وتفسير ذلك : ما في كتاب أشعيا خطابًا لمكة : «قومي فأزهرى مصباحك ، فقد دنا وقتك ، وكرامةُ الله طالعةٌ عليك ، فقد تجلَّل الأرضَ الظلامُ ، وغطَّى على الأمم المصاب ، والربُّ يشرق عليك إشراقًا ، ويُظهر كرامته عليك ، تسير الأمم إلى نورك ، والملوك إلى ضوء طلوئك ، ارفعي بصرك إلى ما حولك ، وتأملِّي فإنهم مستجمعون عندك ، وتحجُّ إليك عساكر الأمم» .

وفي بعض كتبهم : «لقد تقطَّعت السماء من بهاء محمد المحمود ، وامتلأت الأرض من حمده ، لأنه ظهر بخلاص أمته» .

ومن ذلك : في التوراة : «أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك فقال لها : يا هاجر أين تريدين ؟ ومن أين أقبلت ؟ فقالت : أهربُ من سيدتي سارة ، فقال لها : ارجعي إلى سارة وستحبلين وتلدن ولداً اسمه إسماعيل وهو يكون عين الناس ، وتكون يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطَةٌ إليه بالخضوع» .

ووجه دلالة هذا الكلام على نبوة محمد ﷺ : أن هذا الذي وعدَها به الملكُ من أن يد ولدها فوق الجميع وأن يد الجميع مبسوطَةٌ إليه بالخضوع إنما ظهرت بمبعث النبي محمد ﷺ وظهور دينه وعلو كلمته ، ولم يكن ذلك لإسماعيل ولا لغيره قبل محمد ﷺ .

ومن ذلك : في التوراة - أيضًا - : «أن الرب يقيم لهم نبياً من إخوتهم ،

وأَيُّ رجل لم يسمع الكلام الذي يؤديه ذلك النبي عن الله فينتقم^(١) الله منه». ودلالة هذا الكلام ظاهرة بأن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد ﷺ كبني قريظة وبني قينقاع وغيرهم.

ومن ذلك: في التوراة: «إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: قد أجبتُ دعاءك في إسماعيل، وباركت عليك، وسيلد اثني عشر عظيمًا، وأجعله لأمة عظيمة».

ومن ذلك: في الإنجيل: «أن المسيح قال للحواريين: أنا ذاهب عنكم، وسيأتيكم البارقليط الذي لا يتكلم من قبل نفسه، إنما يقول كما يُقال له». وبهذا وصف الله سبحانه نبينا محمد ﷺ في قوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

وتفسير البارقليط: أنه مشتق من الحمد، واسم نبينا ﷺ محمد وأحمد. وقيل: معنى البارقليط: الشافع المشفع.

ومن ذلك: في التوراة: «أن مولده بمكة، ومسكنه بطيبة، وأمه الحمادون».

وبيان ذلك: أن أمته يقرأون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في صلاتهم مرارًا كثيرة في كل يوم وليلة.

وعن شهر بن حوشب مثل ذلك في إسلام كعب الأحبار، وهو من اليمن

(١) في أ، ب، هـ: «ينتقم».

من حمير: أن كعباً أخبره بأمره وكيف كان ذلك، وقال كان أبوه من مؤمني أهل التوراة برسول الله ﷺ، وكان من عظمائهم وخيارهم، قال كعب: وكان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى من التوراة، وبكُتُب الأنبياء، ولم يكن يدّخر عني شيئاً مما كان يعلم، فلما حضرته الوفاة دعاني، فقال: يا بني قد علمت أني لم أكن أدّخر عنك شيئاً مما كنت أعلم، إلا أني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث، وقد أظللّ زمانه، فكرهت أن أخبرك بذلك، فلا آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض هؤلاء الكذّابين فتبعه، وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما في هذه الكؤوة التي ترى وطّيت عليهما، فلا تتعرّض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا، وأقرّهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي، فإذا خرج فاتّبعه وانظر فيهما؛ فإن الله يزيذك بذلك خيراً.

فلما مات والذي لم يكن شيء أحبّ إلي من أن ينقضي المآثم حتى أنظر ما في الورقتين، فلما انقضى المآثم فتحت الكؤوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما: «محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين، لا نبي بعده، مولده بمكة، ومُهاجره بطيبة، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صحّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويغفر ويصفح، أمته الحمّادون الذي يحمّدون الله على كل شرف، وعلى كل حال، وتُذللّ^(١) ألسنتهم بالتكبير، وينصر الله نبيّهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم بالماء، ويأتّزرون على أوساطهم، وأناجيلُهم في صدورهم، ويأكلون قُربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم

(١) في أ: «وتتذلل».

والأب، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، وهم السابقون المقربون، والشّافعون المشفع لهم».

فلما قرأتُ هذا قلت في نفسي: والله ما علّمني شيئاً خيراً لي من هذا، فمكثت ما شاء الله حتى بُعث النبي ﷺ وبيني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه، وبلغني أنه خرج في مكة فهو يظهر مرة ويستخفي مرة، فقلت: هو هذا، وتخوّفت ما كان والدي حذّرني وخوفني من ذكر الكذابين، وجعلت أحبُّ أن أتبيّن وأثبت، فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه أتى المدينة، فقلت في نفسي: إنّي لأرجو أن يكون إياه، وجعلت ألتمس السبيل إليه، فلم يُقدّر لي حتى بلغني أنه توفي رسول الله ﷺ، فقلت في نفسي: لعلّه لم يكن الذي كنت أظن.

ثم بلغني أن خليفة قام مقامه، ثم لم ألبث إلّا قليلاً حتى جاءتنا جنودُه فقلت في نفسي: لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم أهم الذين كنت أرجو وأنتظر، وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم، وإلى ما تكون عاقبتهم.

فلم أزل أدفع ذلك وأؤخّره لأتبيّن وأثبت حتى قدّم علينا عمر بن الخطاب، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرّهم ووفاءهم بالعهد، وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذي كنت أنتظر، فحدّثت نفسي بالدخول في دين الإسلام، فوالله إني ذات ليلة فوق سطح لي إذا برجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۚ﴾ [النساء: ٤٧]،

فلما سمعت هذه الآية خشيت والله ألا أصبح حتى يحوّل وجهي في قفائي، فما كان شيء أحبّ إليّ من الصباح، فغدوتُ على عمر فأسلمت حين أصبحت.

وقال كعبٌ لعمر عند انصرافه إلى الشام: يا أمير المؤمنين إنه مكتوب في كتاب الله: إن هذه البلاد، التي كان فيها بنو إسرائيل، وكانوا أهلها؛ مفتوحةً على يد رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، سرّه مثل علانيته، وعلانيته مثل سرّه، وقوله لا يخالف فعله، والقريب والبعيد عنده في الحق سواء، وأتباعه رهبان بالليل أسدّ بالنهار، متراحمون متواصلون متباذلون.

فقال له عمر: ثكلتك أمك، أحقّ ما تقول؟ قال: إي والذي أنزل التوراة على موسى والذي يسمع ما نقول إنه لحق.

فقال عمر: الحمد لله الذي أعزّنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد ﷺ، وبرحمته التي وسعت كل شيء^(١).

ومن ذلك: كتاب فروة بن عمرو الجذامي إلى رسول الله ﷺ، وكان من ملوك العرب بالشام، فكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد رسول الله من فروة بن عمرو: إني مقرّ بالإسلام مصدّق، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وأنه الذي بشرّ به عيسى ابن مريم ﷺ»، فأخذه هرقل لما بلغه إسلامه وسجّنه فقال: والله لا أفارق دين محمد أبدًا

(١) أخرجه الواقدي في فتوح الشام (ص: ٢٣٣-٢٣٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦١/٥٠).

فإنك تعرف أنه النبي الذي بَشَّرَ به عيسى بن مريم، ولكنك حرصت على ملكك وأحببت بقاءه، فقال قيصر: صدق والإنجيل^(١).

ويشهد لهذا ما خرَّجه البخاري ومسلم من كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل، وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه ﷺ، فلما أخبر بها علم أنه رسول الله، وقال: إنه يملك موضع قدمي، ولو خلصت إليه لغسلت قدميه^(٢).

ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه - وهو عندنا بالإسناد - أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج زمان الجاهلية مع ناس من قريش في التجارة إلى الشام، قال: فإني لفي سوق من أسواقها إذا أنا ببطريقٍ قد قبض على عنقي، فذهبت أنازعه ف قيل لي: لا تفعل فإنه لا نَصَفَ لك منه، فأدخلني كنيسةً فإذا تراب عظيم ملقًى، فجاءني بزنبيل ومجرقة فقال لي: انقل ما هاهنا، فجعلت أنظرُ كيف أصنع، فلما كان من الهاجرة وافاني وعليه ثوبٌ أرى سائر جسده منه، فقال: أئنك على ما أرى ما نقلت شيئاً!، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغي، فقلت: واثكل أمك يا عمر، أبلغت ما أرى؟، ثم وثبت إلى المجرقة فضربت بها هامته فنشرت دماغه ثم واريته في التراب وخرجت على وجهي لا أدري أين أسير، فسرت بقية يومي وليلتي من الغد إلى الهاجرة فانتهيت إلى ديرٍ فاستظللت بفنائيه، فخرج إليَّ رجل منه فقال لي: يا عبد الله ما يُعِدُّك هنا؟ فقلت: أضللت أصحابي، فقال لي: ما أنت على طريقٍ وإنك لتتظر بعيني

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧٢/٤٨)، وابن الجوزي في المنتظم (٩/٤)

بمعناه، وذكره الكلاعي في «الاكتفاء» (٢٦/٢) بلفظه، وعزاه إلى الواقدي وأنه ذكره بإسناده، وقد ذكر الكلاعي في مقدمة كتابه أنه ينقل من كتاب المبعث للواقدي.

(٢) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

خائف!، فادخل فأصب من الطعام واسترخ، فدخلت فأتاني بطعام وشراب وأطعمني، ثم صعد في النظر وصوبه، فقال: قد علم والله أهل الكتاب أو الكتب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب أو بالكتب مني، وإني لأرى صفتك الصفة التي تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه، فقلت: يا هذا لقد ذهبت بي في غير مذهب!، فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: عمر بن الخطاب، فقال: أنت والله صاحبنا، فاكتب لي على ديري هذا وما فيه، فقلت: يا هذا إنك قد صنعت إليّ صنعة فلا تكدرها، فقال: إنما هو كتاب في رَقٍّ، فإن كنت صاحبنا فذلك، وإلا لم يضرّك شيء، فكتب^(١) له على ديره وما فيه، فأتاني بشباب ودراهم فدفعها إليّ ثم أوْكَفَ أتانًا فقال لي: أتراها؟ فقلت: نعم، قال: سرّ عليها، فإنك لا تمرّ بقوم إلّا سَقَوْها وعلفوها وأضافوك، فإذا بلغت مَأْمَنَكَ فاضرب وجهها مدبرة فإنهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إليّ، قال: فركبتها فكان كما قال، حتى لحقت بأصحابي وهم متوجهون إلى الحجاز، فضربتها مدبرةً وانطلقت معهم.

فلما وافى عمرُ الشام في زمان خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العرس، فلما رآه عرفه، فقال: قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه، ثم أقبل على أصحابه فحدّثهم بحديثه، فلما فرغ منه أقبل على الراهب فقال: هل عندكم من نفع للمسلمين؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: إن أضفتم المسلمين ومرضتموهم وأرشدتموهم فعلنا ذلك، قال: نعم يا أمير المؤمنين فوقّي له عمر رضي الله عنه ورحمه^(٢).

(١) في د: «فكتب».

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/٤٤)، (٢٨٩/٦٤).

وعن سيف^(١) يرفعه إلى سالم بن عبد الله قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال : السلام عليك يا فاروق أنت صاحب إيلياء ؛ والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء^(٢) .

ومن ذلك أن عمرو بن العاص قدم المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ قد أرسله إلى عُمان واليًّا عليها ، فجاءه يومًا يهودي من يهود عمان فقال له : أنشدك بالله ، مَنْ أرسلك إلينا؟ فقال له : رسول الله ﷺ ، فقال اليهودي : والله إنك لتعلم أنه رسول الله؟ ، قال عمرو : نعم ، فقال اليهودي : لئن كان حقًا ما تقول لقد مات اليوم .

فلما سمع عمرو ذلك جمع أصحابه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهوديُّ أن النبي ﷺ مات فيه ، ثم خرج فأخبر بموت النبي ﷺ وهو في الطريق ، ووجده قد مات في ذلك اليوم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم وبارك وشرف وكرم^(٣) .

ومن ذلك : أن وفد غسان قدموا على رسول الله ﷺ فلقيهم أبو بكر الصديق فقال لهم : من أنتم؟ قالوا : رهط من غسان قدمنا على محمد لنسمع

(١) هو سيف بن عمر التميمي الضبي ، صاحب كتاب «الردة والفتوح» وغيره . انظر : تاريخ الإسلام للذهبي (٦٤١/٤)

(٢) لعله ذكر هذا في كتابه الردّة والفتوح ، والمطبوع منه ناقص ، يبدأ من قصة استشهاد عمر رضي الله عنه وحديث الشورى ، وقد أورده ابن كثير في البداية والنهاية (١٦١/٧) عن سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم ، وأخرجه الطبري في تاريخه عن سالم بن عبد الله (٦٠٨/٣) .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥٨/٥) .

كلامه، فقال لهم: انزلوا حيث تنزل الوفود، ثم اتوا رسول الله ﷺ، فكلّموه، فقالوا: وهل نقدر على كلامه كما أردنا؟ فتبسّم أبو بكر وقال: إنه ليطوف بالأسواق، ويمشي وحده، ولا شرطة معه، ويرعب^(١) من يراه منه، فقالوا لأبي بكر: من أنت أيها الرجل؟ فقال: أنا أبو بكر ابن أبي قحافة، فقالوا: أنت تقوم بهذا الأمر بعده، فقال أبو بكر: الأمر إلى الله، فقال لهم: كيف تخذعون عن الإسلام وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته، وأنه آخر الأنبياء؟ ثم لقوا رسول الله ﷺ فأسلموا^(٢).

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ يحتمل أن يكون هذا:

من وصف النبي ﷺ في التوراة؛ فتكون الجملة في موضع الحال من ضمير المفعول في ﴿يَحْذَرُونَهُ﴾.
أو تفسير لما كُتِبَ من ذكره.

أو يكون استئناف وصف من الله تعالى غير مذكور في التوراة والإنجيل.
﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ مذهب مالك: أن الطيبات هي الحلال، وأن الخبائث هي الحرام.

ومذهب الشافعي: أن الطيبات هي المستلذات، إلا ما حرمه الشرع منها؛ كالخمر والخنزير، وأن الخبائث هي المستقذرات؛ كالخنافس والعقارب وغيرها.

(١) في أ، د: «ويرغب».

(٢) ذكره الكلاعي في الاكتفاء (٦١٧/١) عن الواقدي.

﴿وَيَصْنَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ هي مثل ما ^(١) كُلفوا في شرعهم من المشقَّات؛ كقتل الأنفس في التوبة ^(٢)؛ وقطع موضع النجاسة من الثوب.

وكذلك ﴿الْأَغْلَلِ﴾ عبارة عما منعت منه شريعتهم؛ كتحرим الشُّحوم، وتحریم العمل يوم السبت، وشبه ذلك.

﴿وَعَزَّزُوهُ﴾ أي: منعه بالنَّصر؛ حتى لا يقوى عليه عدوُّ.

﴿وَاتَّبَعُوا التَّوْرَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ هو القرآن، أو الشرع كله.

ومعنى ﴿مَعَهُ﴾: مع بعثه ورسالته.



(١) في ج، د: «هو مثل لما».

(٢) في أ، ب، هـ: «التوراة».

[﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٨﴾ وَ مِنْ قَوْرِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ
بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ
اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ آبَ صَرْبٍ يَعْصَاكَ الْحَجَرُ فَأَنْجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا
فَدَعَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَشْرِبُهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَنَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَ وَالسَّلَوى
كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
﴿٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفْعِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا
كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿٦٢﴾﴾].

﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ تفسيره: قوله ﷺ: «وكان كل نبي يبعث
إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»^(١).

فإعراب ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الضمير في ﴿إِلَيْكُمْ﴾.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نعت لله.

أو منصوب على المدح بإضمار فعل.

أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمرة.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ﴾ هي الكتب التي أنزلها الله عليه وعلى غيره من

الأنبياء.

(١) هو جزء من حديث: «نصرت بالرعب..» وقد تقدم تخريجه في ٥٨٤/١.

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم في عصر موسى .
(أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ في عصره) ^(١) .

﴿وَقَطَعْنَهُمْ﴾ أي : فرقناهم ^(٢) .

﴿أَسْبَاطًا﴾ السُّبُط في بني إسرائيل : كالقبيلة في العرب .

وانتصابه :

على البدل من ﴿أَثْنَتَى عَشْرَةَ﴾ ، لا على التمييز ؛ فإن تمييز ﴿أَثْنَتَى عَشْرَةَ﴾ لا يكون إلا بمفرد .

وقال الزمخشري : على التمييز ؛ لأن كل قبيلة أسباط لا سبط ^(٣) .

﴿فَأَنْبَجَسَتْ﴾ أي : انفجرت ؛ إلا أن الانبجاس أخف من الانفجار .

وقال الغزنوي : الانبجاس : أول الانفجار ^(٤) .

﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ وما بعده إلى قوله : ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ :
مذكور في «البقرة» ^(٥) .

تنبيهه : وقع اختلاف في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين ^(٦)

(١) سقط من أ ، ب ، ج ، هـ .

(٢) في أ ، ب : «مَرَّقْنَاهُمْ» .

(٣) انظر : الكشاف (٦ / ٦٢٠) .

(٤) انظر : عين المعاني «مخطوط» (ل : ٢٦٩) ، للغزنوي السجاوندي ، تقدمت ترجمته في ٩٢ / ١ .

(٥) انظر : ٣١٧ / ١ .

(٦) في أ ، ب ، هـ : «وفي» .

سورة «البقرة»؛ كقوله: ﴿فَأَنفَجَرَتْ﴾ و﴿فَأَنبَجَسَتْ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا
 أَذْخُلُوا﴾، ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ أَسْكُنُوا﴾، وقوله: ﴿وَكُلُوا﴾ و﴿فَكُلُوا﴾ بالفاء:
 فقال الزمخشري: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك
 تناقض^(١).

وعللها شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتاب: «ملاك التأويل»^(٢)
 وصاحبُ الدُّرة^(٣) بتعليلات؛ منها قوية وضعيفة فيها طول فتركناها؛
 لطولها.

(١) انظر: الكشاف (٦/٦٢٦).

(٢) انظر: ملك التأويل (١/٢٠٣) وما بعدها.

(٣) يعني به: أبا عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، المعروف بالخطيب الإسكافي،
 انظر كتابه «درة التنزيل وغرة التأويل» (١/٢٣٣) وما بعدها.

[وَسَأَلْنَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ إِعْدَابُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قَالُوا بَلْ نَحْنُ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ الْبِرَّ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٧﴾ فَلَمَّا سَأَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَبْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّرْعِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِصَمٍ بَعْضٍ بِبَعْضٍ يَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُفْسُقُونَ ﴿١٦٨﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبْكُ لِبَعْنٍ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَنْ يُسْأَلُ سَاءَ الْعَذَابُ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٠﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧١﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧٢﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٣﴾ وَإِذْ نَنْقُصُ الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَافِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٤﴾].

﴿وَسَأَلْنَهُمْ﴾ أي: أسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ.

﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ قيل: هي أيلة، وقيل: هي طبرية، وقيل: مدين.

﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قريبة منه، أو على شاطئه.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ أي: يتجاوزون حدَّ الله فيه؛ وهو اصطيادهم يوم السبت وقد نُهوا عنه.

وموضع ﴿إِذْ﴾ :

بدلٌ من ﴿الْقَرْيَةِ﴾ ؛ والمراد: أهلها، وهو بدل اشتمال.

أو منصوبٌ بـ ﴿كَانَتْ﴾ ، أو بـ ﴿حَاضِرَةً﴾ .

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا﴾ كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى تصل إلى بيوتهم ؛ ابتلاءٌ لهم ؛ إذ كان صيدها محرماً عليهم في السبت ، وتغيّب عنهم في سائر الأيام .

و﴿سَبْتِهِمْ﴾ مصدرٌ من قولك : سَبَتَ اليهودي يَسِبْتُ : إذا عَظُمَ يوم السبت .

ومعنى ﴿شُرَعًا﴾ : ظاهرةٌ قريّةٌ منهم ؛ يقال : شرع منا فلان : إذ دنا .

و﴿إِذْ﴾ في قوله : ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾ :

منصوبٌ بـ ﴿يَعْدُونَ﴾ .

أو بدلٌ من ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ .

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ الآية ؛ افرقت بنو إسرائيل ثلاث فرق :

فرقة عصت بالصيد يوم السبت .

وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت .

وفرقة سكنت واعتزلت ، فلم تنه ولم تعص .

وإن هذه الفرقة لما رأت مجاهرة الناهية وطغيان العاصية قالوا للفرقة الناهية : لم تعظون قوماً يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم ، فقالت الناهية :

ننهاهم معذرةً إلى الله ولعلهم يتقون .

فهلكت الفرقة العاصية، ونجت الناهية، واختلف في الثالثة: هل هلكت؛ لسكوتها؟ أو نجت؛ لاعتزالها وتركها العصيان؟ .

﴿بِعَذَابٍ يَبْسُ﴾ أي: شديد .

وقرئ بالهمز، وتركه، وقرئ على وزن «فَعِيل»، وعلى وزن «فَيْعَل»؛ وكلُّها من معنى البؤس .

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: لما تكبروا عن ما نهوا عنه .

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ذكر في «البقرة»^(١) .

والمعنى: أنهم عُذِّبُوا أولاً بعذاب شديد، فَعَتَوْا بذلك، فمُسِّخُوا قردة .

وقيل: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكرارٌ لقوله: ﴿فَلَمَّا سُوا﴾، والعذاب البيسُ: هو المسخ .

﴿تَأَذَّتْ رُءُوبُكَ﴾ عَزَمَ؛ وهو من الإيذان بمعنى الإعلام .

﴿لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ الآية؛ أي: يسلِّط عليهم، ومن ذلك: أخذ الجزية، وهوانهم في جميع البلاد .

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: فرَّقناهم في البلاد، ففي كل بلدة فرقة منهم، فليس لهم إقليم يملكونه .

(١) انظر (١/٣٢٣) .

﴿مَنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ هم من أسلم؛ كعبد الله بن سلام، أو ^(١) من كان صالحًا من المتقدمين منهم.

﴿بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي: بالنعم والنقم.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي: حدث بعدهم قومٌ سوءٌ.

والخلف بسكون اللام: ذمٌ، وبفتحها: مدحٌ.

والمراد: من حدث من اليهود بعد المذكورين.

وقيل: المراد: النصارى.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: عرض الدنيا.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ذلك اغترارٌ منهم وكذب.

﴿وَإِنْ يَأْنِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ مَا أَخَذُوا﴾ الواو للحال؛ أي: يرجون المغفرة وهم يعودون إلى مثل فعلهم.

﴿مِثْقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ إشارةٌ إلى كذبهم في قولهم: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾.

وإعراب ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا﴾:

عطفٌ بيانٍ على ﴿مِثْقُ الْكِتَابِ﴾.

أو تفسيرٌ له.

أو تكون «أن» حرف عبارة وتفسير.

(١) في أ، ب، هـ: «و».

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف ؛ وهما بمعنى واحد.

وإعراب ﴿الَّذِينَ﴾ :

عطفٌ على ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ .

أو مبتدأ وخبره : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ؛ وقام ذِكْرُ المصلحين مقامَ الضمير ؛ لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب .

﴿وَإِذْ نَنفَخْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي : اقتلعنا الجبل ورفعناه فوق بني إسرائيل وقلنا لهم : خذوا التوراة حين أبوا مِن أَخْذِهَا .

وقد تقدّم في «البقرة» تفسير الظلة^(١) ، و﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾^(٢) .



(١) انظر : (١/٤٢٧) .

(٢) انظر : (١/٣٢٣) .

[وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٦﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٧﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٨﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَارِضِينَ ﴿١٧٩﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٨٠﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلُمٍ ﴿١٨١﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِىٌّ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا وَلِيكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٨٢﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٨٣﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٤﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨٥﴾].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية؛ في معناها قولان:

أحدهما: أن الله لما خلق آدم أخرج ذُرِّيَّتَهُ من صلبه وهم مثل الذرِّ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربُّهم، فأقروا بذلك والتزموه.

روي هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة، وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم.

والثاني: أن ذلك من باب التمثيل، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم

في الدنيا ، وأما إشهداهم فمعناه : أن الله نَصَبَ لبني آدم الأدلة على ربوبيته ، وشهدت بها عقولهم ، فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم : أَلست بربكم وكأنهم قالوا^(١) بلسان الحال : بلى أنت ربُّنا .

والأول هو الصحيح ؛ لتواتر الأخبار به ، إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه مَنْ قال بالقول الآخر ، وإنما تُطابقه بتأويل ؛ وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم ، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرية من بني آدم ! .

والجمع بينهما : أنه ذكر بني آدم في الآية والمراد آدم ؛ كقوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] الآية ، على تأويل : لقد خلقنا أباكم آدم ثم صورناه .

وقال الزمخشري : إن المراد ببني آدم : أسلاف اليهود ، والمراد بذريتهم : من كان في عصر النبي ﷺ منهم^(٢) .

والصحيح المشهور : أن المراد جميع بني آدم حسبما ذكرنا .

﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ قولهم ﴿بَلَىٰ﴾ : إقرارٌ منهم بأن الله ربهم ؛ فإن تقديره : أنت ربنا ؛ فإن «بلى» بعد التقرير تقتضي الإثبات ، بخلاف «نعم» ؛ فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضي الإيجاب ، وإذا وردت بعد التقرير تقتضي النفي ، ولذلك قال ابن عباس في هذه الآية : لو قالوا : «نعم» لكفروا .

(١) في أ ، ج ، هـ : «وقالوا» .

(٢) انظر : الكشف (٦/٦٤٩) .

وأما قولهم: ﴿شَهِدْنَا﴾ فمعناه: شهدنا بربوبيتك؛ فهو تحقيقٌ لربوبية الله، وأداءٌ لشهادتهم بذلك عند الله.

وقيل: إن ﴿شَهِدْنَا﴾ من قول الله والملائكة؛ أي: شهدنا على بني آدم باعترافهم.

﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ في موضع مفعول من أجله؛ أي: فعلنا ذلك كراهةً أن تقولوا، فهو من قول الله، لا من قولهم.

وقرئ:

بالتاء؛ على الخطاب لبني آدم.

وبالياء؛ على الإخبار عنهم.

﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال ابن مسعود: هو رجل من بني إسرائيل، بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعيًا إلى الله، فرشاه الملك، وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل، وأضل الناس بذلك.

وقال ابن عباس: هو رجل من الكنعانيين اسمه بلعام، كان عنده اسم الله الأعظم، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين - وهم الجبارون - سألوا من بلعام أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى، فألحوا عليه حتى دعا عليه (أن لا يدخل المدينة، ودعا موسى عليه) (١).

(١) سقط من أ، ب، هـ.

فآليات التي أُعطيها :

على هذا القول : هي اسم الله الأعظم .

وعلى قول ابن مسعود : هي ما علّمه موسى من الشريعة .

وقيل : كان عنده من صحف إبراهيم .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : هو أمية بن أبي الصلت ، وكان قد أوتي علماً وحكمةً ، وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ، ثم رجع عن ذلك فمات كافراً ، وفيه قال النبي ﷺ : «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»^(١) .

فآليات على هذا : ما كان عنده من العلم .

والانسلاخ : عبارة عن البُعد والانفصال منها ، كالانسلاخ من الثياب والجلد .

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي : لرفعنا منزلته بالآيات التي كانت عنده .
 ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله .
 ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ أي : صِفَتُهُ كصفة الكلب ؛ وذلك غايةً في الخسّة والرداءة^(٢) .

﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ اللّهثُ : هو تنفّسٌ بسرعة ، وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان ، وأكثر ما يعتري ذلك الحيوانات

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤١) ، ومسلم (٢٢٥٦) .

(٢) في د : «والردالة» .

مع الحرِّ والتعب، وهي حالة دائمة للكلب.

ومعنى ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ : إن تفعل معه ما يشقُّ عليه من طرد أو غيره،
﴿أَوْ تَرُكْهُ﴾ دون أن تحملَ عليه : فهو يلهث على كل حال.

ووجه تشبيه ذلك الرجل به :

أنه إن وعظته فهو ضالٌّ، وإن لم تعظه فهو ضالٌّ، فضلالته على كل حال؛
كما أن لهث الكلب على كل حال.

وقيل : إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره، فصار مثل الكلب في
صورته ولهثه حقيقةً.

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي : صفة المكذبين كصفة الكلب
في لهثه، أو كصفة الرجل المشبه به ؛ لأنهم إن أنذروا لم يهتدوا، وإن تركوا
لم يهتدوا.

أو شبههم بالرجل في أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم، كما أن
الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات.

﴿سَاءَ مَثَلًا﴾ أي : مثلُ القوم.

﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ قدَّم هذا المفعول ؛ للاختصاص والحصر.

﴿كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ﴾ هم الذين علم الله أنهم يدخلون النار
بكفرهم، فأخبر أنه خلقهم لذلك، كما جاء في قوله : «هؤلاء إلى الجنة
ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي»^(١).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٦٦٠).

﴿لَا يُصِرُّونَ بِهَا﴾ ليس المعنى نفي الفهم والسمع والبصر جملةً؛ وإنما المعنى: نفيها عما ينفع في الدين.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة»^(١).

وسبب نزول الآية: أن أبا جهل سمع بعض الصحابة يقرأ، فيذكر الله مرةً، والرحمن أخرى، فقال: يزعم محمد أن الإله واحد وها هو يعبد آلهة كثيرة؛ فنزلت الآية مبينة أن تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمى واحد.

و﴿الْحُسْنَى﴾ مصدر وُصِفَ به، أو تأنيث «أحسن».

وحُسْنُ أسماء الله: هي أنها صفات مدحٍ وتعظيم وتمجيد^(٢).

﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي: سَمُّوهُ بأسمائه، وهذا إباحةٌ لإطلاق الأسماء على الله^(٣) تعالى:

فأما ما ورد منها في القرآن أو في الحديث: فيجوز إطلاقه على الله إجمالًا.

وأما ما لم يرد، وفيه مدحٌ لا تتعلّق به شبهة:

فأجاز أبو بكر ابن الطيب إطلاقه على الله.

ومنع ذلك أبو الحسن الأشعري وغيره، ورأوا أن أسماء الله موقوفةٌ على

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) في ب، هـ: «وتحميد».

(٣) في أ، هـ: «الإله».

ما ورد في القرآن والحديث .

وقد ورد في «كتاب الترمذي» عِدَّتْهَا ؛ أعني : تعيين التسعة والتسعين^(١) ،
واختلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبي ﷺ
أو موقوفة على أبي هريرة ؟ .

ولأنما الذي ورد في الصحيح كونها تسعة وتسعين من غير تعيين .
﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قيل : معنى «ذرُوا» : اتركوهم
لا تحاجوهم ولا تتعرضوا لهم ؛ فالآية -على هذا- منسوخة بالقتال .
وقيل : معنى «ذرُوا» : الوعيد والتهديد ؛ كقوله : ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾
[المزمل : ١١] ، وهو الأظهر ؛ لما بعده .

والحادهم في أسماء الله :

هو ما قال أبو جهل ، فنزلت الآية بسببه .

وقيل : تسميته بما لا يليق به .

وقيل : تسمية الأصنام باسمه ، كاشتقاقهم اللات من الله ، والعزى من
العزير .

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾ الآية ؛ روي أن النبي ﷺ قال : «هذه الآية لكم ، وقد
تقدم مثلها لقوم موسى»^(٢) .

(١) سنن الترمذي (٣٥٠٧) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٠٠/١٠) .

[﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٨٧ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ٨٨ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ٨٩ ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَاضِرُهُمْ بَعْدَ بُرُؤِهِمْ﴾ ٩٠ ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ٩١ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَافِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٩٢ ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٩٣].

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ الاستدراج: استفعالٌ من الدَّرَجَة؛ أي: نسوقهم إلى الهلاك شيئاً بعد شيء وهم لا يشعرون.
والإملاء: هو الإمهال مع إرادة العقوبة.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ سَمَّى فعله بهم كيداً؛ لأنه شبيه بالكيد في أن ظاهره إحسانٌ وباطنه خذلان^(١).

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ﴾ يعني بصاحبهم: النبي ﷺ، فنفي عنه ما نسب له المشركون من الجنون.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله «سَمَّى فعله بهم كيداً» إلخ، يتضمن أن ما يفعله الرب ﷻ بالكافرين من الاستدراج ليس بكيد حقيقة، بل مجرد تسلية، فهو كيد لفظاً لا معنى، وهذا خطأ؛ لأنه صرف للفظ عن ظاهره بلا موجب، كيف وقد أكد الله بالمصدر المؤكّد بقوله: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾؟! فهو تعالى يكيد الكافرين ويمكر بهم، جزاءً على كيدهم ومكرهم، جزاءً وفاقا.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾ :
معمولاً لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا﴾ فيُوصَلُ بِهِ ، والمعنى : أو لم يتفكروا
فيعلموا أنه ما بصاحبهم من جنة .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ قَدْ تَمَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا﴾ ، ثم ابتداء
إخباراً مستأنفاً بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾ .
والأول أحسن .

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ يعني : نظر استدلال .
﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ عطفٌ على الملكوت .
ويعني بقوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ : جميع المخلوقات ؛ إذ جميعها دليلٌ على
وحدانية خالقها .

﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ﴾ «أن» الأولى : مخففة من الثقيلة ، وهي
عطف على الملكوت .

و«أن» الثانية : مصدرية ؛ في موضع رفع بـ ﴿عَسَى﴾ .
و﴿إِلَيْهِمْ﴾ يعني : موتهم .

والمعنى : لعلمهم يموتون عن قريب ، فينبغي لهم أن يسارعوا إلى النظر
فيما يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل .

﴿فِي آيٍ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ الضمير للقرآن .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ السائلون : اليهود ، أو قریش .

وُسُمِّيتِ الْقِيَامَةُ سَاعَةً ؛ لسرعة حسابها ؛ كقوله: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ

إِلَّا كَلَّمَجِ الْبَصَرِ ﴿[النحل: ٧٧]﴾.

﴿أَيَّانَ مُرْسِنَهَا﴾ معنى ﴿أَيَّانَ﴾: متى.

و﴿مُرْسِنَهَا﴾: وقوعها وحدوثها، وهي من الإرساء؛ بمعنى الثبوت.

﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ أي: استأثر الله بعلم وقت وقوعها، ولم يطلع عليه أحد.

﴿لَا يُجَلِّيَهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ﴾ معنى ﴿يُجَلِّيَهَا﴾: يُظْهِرُهَا؛ فهو من الجلاء ضدّ الخفاء.

واللام في ﴿لَوْفَهَا﴾ ظرفية؛ أي: عند وقتها.

والمعنى: لا يُظْهِرُ السَّاعَةَ عند مجيء وقتها إِلَّا الله.

﴿ثَقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في معناه ثلاثة أقوال:

الأول: ثقلت على أهل السموات والأرض؛ لهيبتها عندهم، وخوفهم منها.

والثاني: ثقلت على^(١) السموات والأرض أنفسها؛ لتفطر السماء فيها، وتبديل الأرض.

والثالث: معنى ﴿ثَقُلْتُ﴾: ثقل علمها؛ أي: خفي.

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ الحفيُّ بالشيء: هو المُهْتَبِلُ به المعتبر به.

(١) في أ، ب، ج، هـ زيادة: «أهل»، والصواب عدم ذكرها كما في المحرر الوجيز (١٠٥/٤) وكما يقتضيه السياق.

والمعنى : يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بعلمها .

وقيل المعنى : يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم ؛ لقرابتك منهم .

﴿عَنْهَا﴾ - على هذين القولين - يتعلّق بـ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ .

وقيل المعنى : يسألونك كأنك حفيٌّ بالسؤال عنها .

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ براءةٌ من علم الغيب ، واستدلالٌ على عدم علمه .

﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ عطفتُ على : ﴿لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ ؛ أي : لو علمت الغيب لاستكثر من الخير ، واحترست من السوء^(١) ، ولكن لا أعلمه ؛ فيصيبني ما قدّر لي من الخير والشر .

وقيل : إن قوله : ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ استئنافٌ إخباريٌّ ؛ والسوء - على هذا - : هو الجنون .

وأتّصّاله بما قبله أحسن .

﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يجوز أن يتعلّق بـ ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ معاً ؛ أي : أبشر المؤمنين وأنذرهم .

وخصّ بهم البشارة والنذارة ؛ لأنهم الذين ينتفعون بهما .

ويجوز أن يتعلّق بالبشارة وحدها ، ويكون المتعلّق بـ ﴿نَذِيرٌ﴾ محذوف ؛ أي : نذير للكافرين .

والأول أحسن .

(١) في د : «الشر» .

[﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٦﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨٧﴾ أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٨٨﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٨٩﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩١﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٢﴾ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٣﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٤﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٥﴾﴾].

﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني : آدم .

﴿زَوْجَهَا﴾ يعني : حواء .

﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ يميل إليها ويستأنس بها .

﴿تَغَشَّاهَا﴾ كناية عن الجماع .

﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا﴾ أي : خفت عليها ، ولم تلق منه ما يلقي بعض الحبالى من حملهن من الأذى والكرب .

وقيل : الحمل الخفيف : المني في فرجها .

﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ قيل معناه : استمرت به إلى حين ميلاده .

وقيل : قامت وقعدت .

﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ أي : ثَقُلَ حملُها وصارت به ثَقِيلَةً .

﴿ لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَاحِبًا ﴾ أي : وَلَدًا صَالِحًا سَالِمًا فِي بدنِهِ .

﴿ فَلَمَّا ءَاتَيْنَاهَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شِرْكًَا فِيمَا ءَاتَيْنَاهُمَا ﴾ أي : لَمَّا آتَاهُمَا وَلَدًا صَالِحًا كَمَا طَلَبَا : جَعَلَ أَوْلَادُهُمَا لَهُ شِرْكَاءَ .

فالكلّام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وكذلك : ﴿ فِيمَا ءَاتَيْنَاهُمَا ﴾ ؛ أي : فِيمَا آتَى أَوْلَادَهُمَا وَذُرِّيَّتَهُمَا .

وقيل : إن حواء لما حملت جاءها إبليس فقال لها : إن أطعني وسميت ما في بطنك عبد الحارث فسأخلّصه لك - وكان اسم إبليس الحارث - ، وإن عصيتني في ذلك قتلته . فأخبرت بذلك آدم ، فقال لها : إنه عدوُّنا الذي أخرجنا من الجنة ، فلما ولدت مات الولد ، ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك ، فعصته فمات الولد ، ثم حملت مرة ثالثة فسمّياه عبد الحارث ؛ طمعًا في حياته .

فقوله : ﴿ جَعَلَا لَهُ شِرْكًَا فِيمَا ءَاتَيْنَاهُمَا ﴾ أي : فِي التَّسْمِيَةِ لَا غَيْرَ ، لَا فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ .

والقول الأول أصحُّ ؛ لِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ :

أحدها : أَنَّهُ يَقْتَضِي بَرَاءَةَ آدَمَ وَزَوْجِهِ مِنْ قَلِيلِ الشِّرْكِ وَكَثِيرِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ .

والثاني : أنه يدلُّ على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته : قوله ^(١) تعالى : ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بضمير الجمع .

والثالث : أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح ، وهو غير موجود في تلك القصة .

وقيل : ﴿مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ : هو قصي بن كلاب وزوجته ، و﴿جَعَلَا لَهُ شِرْكًا﴾ أي : سميا أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف .

وهذا القول بعيدٌ ؛ لوجهين :

أحدهما : أن الخطاب - على هذا - خاصٌّ بذرية قصيٍّ من قريش ، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم .

والآخر : قوله : ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ، فإن هذا يصح في حواء ؛ لأنها خلقت من ضِلَعِ آدم ، ولا يصحُّ في زوجة قصي .

﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ ^(١٩١) هذه الآية ردُّ على المشركين من بني آدم .

والمراد بقوله : ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ : الأصنامُ وغيرها مما عُبد من دون الله . والمعنى : أنها مخلوقة غير خالقة ، والله تعالى خالق غير مخلوق ؛ فهو الإله وحده .

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ^(١٩٢) المعنى : أن الأصنام لا ينصرون مَنْ عبدهم ، ولا ينصرون أنفسهم ؛ فهم في غاية العجز والدَّلة ،

(١) في د : «بدليل قوله» .

فكيف يكونون آلهة؟! .

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ المعنى: أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهدي، أو إلى أن تهدي^(١)؛ لأنها جمادات.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتَ صَمُوتٌ﴾ تأكيد وبيان لما قبلها.

فإن قيل: لم قال: ﴿أَمْ أَنْتَ صَمُوتٌ﴾؛ فوضع الجملة الاسمية موضع الجملة الفعلية؟ وهلا قال: أو صمتم؟.

فالجواب: أن صمّتهم عن دعاء الأصنام كانت حالة مستمرة، فعبر عنها بجملة اسمية؛ لتقتضي الاستمرار على ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمثَالِكُمْ﴾ ردّ على المشركين؛ فإن آلهتهم عباد، فكيف يُعبد العبد مع ربه؟! .

﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾ أمرٌ على جهة التعجيز.

﴿أَلَهُمْ أَزْجُلُ يَمْشُونَ يَبَاهًا﴾ وما بعده؛ معناه: أن الأصنام جماداتٌ عادمة للحسّ والجوارح والحياة، وما كان كذلك لا يكون إلهاً؛ فإنّ من وصف الإله: الإدراك والحياة والقدرة.

وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام؛ لأن المشركين مقرّون أن أصنامهم لا تمشي ولا تبطش ولا تبصر ولا تسمع؛ فلزمتهم الحجة.

والهمزة في قوله: ﴿أَلَهُمْ﴾ للاستفهام مع التوبيخ.

(١) في ب: «إذا دعيت أن تهدي أو إلى أن تهدي».

و﴿أَمْ﴾ في المواضع الثلاثة: تضمّنت معنى الهمزة ومعنى «بل»، وليست عاطفة.

﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ المعنى: استجدوا^(١) أصنامكم لمضرّتي والكيد عليّ، ولا تؤخّروني؛ فإنكم وأصنامكم لا تقدرون على مضرّتي.

ومقصود الآية: الردّ عليهم ببيان عجز أصنامهم، وعدم قدرتها على المضرة.

وفيها -أيضاً- إشارة إلى أن التوكل: على الله، والاعتصام به وحده، وأن غيره لا يقدر على شيء، ثم أفصح بذلك في قوله:

﴿إِنْ وَلِيَ اللَّهُ﴾ الآية؛ أي: هو ناصري وحافظي منكم، فلا تضروني، ولو حرصتم أنتم وآلهتكم على مضرّتي.

ثم وصف الله بأنه: ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾، وبأنه: ﴿يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، وفي هذين الوصفين استدلالٌ على صدق النبي ﷺ؛ بإنزال الكتاب عليه، وبأن الله تولى حفظه، ومن تولى الله حفظه فهو من الصالحين، والصالح لا بد أن يكون صادقاً في قوله؛ لا سيما فيما يقوله على الله.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ﴾ الآية؛ ردّ على المشركين، وقد تقدّم معناه.

(١) في د، ه: «استجدوا».

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا﴾ يَحْتَمِلُ :

أن يريد الأصنام؛ فيكون تحقيرًا لها، وردًا على من عبدها؛ فإنها جمادٌ مواتٌ لا تسمع شيئًا، فيكون المعنى كالذي تقدّم.

أو يريد الكفار، ووصفهم بأنهم لا يسمعون يعني: سمعًا ينتفعون به؛ لإفراط نفورهم، أو لأن الله طبع على قلوبهم.

﴿وَتَرَبَّيْهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ إن كان هذا من وصف الأصنام: فقلوبهم لا يسمعون، وقوله: ﴿يَنْظُرُونَ﴾ مجاز، وقوله: ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ حقيقة؛ لأن لهم صورة الأعين وهم لا يرون بها شيئًا.

وإن كان من وصف الكفار: ف﴿يَنْظُرُونَ﴾ حقيقة، و﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ مجاز على وجه المبالغة؛ كما وصفهم بأنهم لا يسمعون.



[﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٩٩) وَإِنَّمَا يَزْعُمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا قُلْ إِنَّمَا اتَّبِعُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾].

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى: خذ من الناس في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما تيسر لا ما يشق عليهم؛ لئلا ينفروا.

فالعفو - على هذا - بمعنى: السهل والسَّمَح عنهم^(١)، وهو ضد الجَهْد^(٢) والتكَلِّف^(٣)، كقول الشاعر:

خذي العَفْوَ مني تستديمي مودَّتِي^(٤)

والآخر: أن المعنى: خذ في الصَّدَقَاتِ ما سَهَّلَ على الناس في أموالهم،

(١) في أ، ب، هـ: «عندهم».

(٢) في ب، ج، هـ: «الجهل».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «والتكليف».

(٤) هذا صدر بيت لأسماء بن خارجة الفزاري، أحد الأجواد المعدودين، وهو في طبقة التابعين، وعجزه: «ولا تَنْطِقِي في سَوْرَتِي حين أغضبُ». انظر: فوات الوفيات (١/١٦٩).

أو ما فضّل لهم، وذلك قبل فرض الزكاة.

فالعفو - على هذا - بمعنى: السَّهْل، أو بمعنى الكثرة.

﴿وَأُمِّرُ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف؛ وهو أفعال الخير.

وقيل: العرف: الجاري بين الناس من العوائد.

واحتجَّ المالكية بذلك على الحكم بالعوائد.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا تكافئ السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم، واحلّم عنهم.

ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ جبريل عنها، فقال: لا أدري حتى أسأل، ثم رجع فقال: «يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»^(١).

وعن جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ فيها بمكارم الأخلاق^(٢).

وهي - على هذا - ثابتة الحكم؛ وهو الصحيح.

وقيل: كانت مداراةً للكفار، ثم نُسيخت بالقتال.

﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ نزغُ الشيطان: وسوسته بالتشكيك في الحق، والأمر بالمعاصي، أو تحريك الغضب.

فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك، كما ورد في الحديث: «أن رجلاً اشتد غضبه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به:

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٤٣/١٠).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣١٨/٤) عن جعفر الصادق بدون إسناد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»^(١).

﴿طَیِّفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ معناه: لِمَّة منه، كما جاء: «إن للشيطان لمة، وللملك لمة»^(٢).

ومن قرأ ﴿طَیِّفٌ﴾ - بالألف - : فهو اسم فاعل.

ومن قرأ ﴿طَیِّفٌ﴾ - بياء ساكنة - : فهو مصدر، أو تخفيف من طَیَّف المشدَّد؛ كَمِيتٌ ومِيتٌ.

﴿تَذَكَّرُوا﴾ حُذِفَ مفعوله ليعمَّ كلَّ ما يُتَذَكَّرُ من خوف عقاب الله، أو رجاء ثوابه، أو مراقبته، أو الحياء منه، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه، أو النظر والاعتبار وغير ذلك.

﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ هو من بصيرة القلب.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يُمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ الضمير في ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ لـ ﴿الشَّيْطَانِ﴾، وأريد بقوله: ﴿طَیِّفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ الجنس؛ فلذلك أعيد عليه ضمير الجماعة، و﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ هم الكفار.

ومعنى ﴿يُمُدُّونَهُمْ﴾: يكونون مددًا لهم؛ أي: يعضدونهم.

وضمير المفعول في ﴿يُمُدُّونَهُمْ﴾ للكفار، وضمير الفاعل لـ ﴿الشَّيْطَانِ﴾.

ويَحْتَمَلُ أن يريد بالإخوان: الشياطين، ويكون الضمير في ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ للكفار.

(١) أخرجه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)، والنسائي في الكبرى (٣٧/١٠).

والمعنى على الوجهين: أن الكفار يمدهم الشيطان.

وقرئ ﴿يُمِدُّوهُمْ﴾: بضم الياء، وفتحها؛ والمعنى واحد.

و﴿فِي الْفَلَكِ﴾: يتعلّق بـ ﴿يُمِدُّوهُمْ﴾.

وقيل: يتعلّق بـ ﴿إِخْوَانُهُمْ﴾؛ كما تقول: إخوة في الله، أو في الشيطان.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ أي: لا يُقْصِر الشياطين عن إمداد إخوانهم من الكفار.

أو: لا يُقْصِر الكفار عن غيِّهم.

وفي الآية من أدوات البيان: لزوم ما لا يلزم؛ لالتزام الصاد قبل الرء في

﴿مُبْصِرُونَ﴾ و﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِنَايَةٍ قَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَتْ هَاهُنَا آيَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ للکفار.

و﴿لَوْلَا﴾ هنا عرض.

وفي معنى ﴿أُنْزِلَتْ هَاهُنَا آيَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ قولان:

أحدهما: اخترعتها من قبل نفسك.

فالآية - على هذا - من القرآن، وكان النبي ﷺ يتأخّر عنه الوحي أحياناً،

فيقول الكفار: هلاً جئت بقرآن من قولك!

والآخر: أن معناها: طلبتها من الله، وتخيرتها عليه.

فالآية - على هذا - معجزة؛ أي: يقولون: اطلب المعجزة من الله.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ معناه:

لا اخترع القرآن؛ على القول الأول.

ولا أطلب آية من الله ؛ على القول الثاني .

﴿هَذَا بَصَائِرُ﴾ أي : علامات هدى ، والإشارة إلى القرآن .

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ فيها ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الإنصات المأمور به : هو لقراءة الإمام في الصلاة .

والثاني : أنه الإنصات للخطبة .

والثالث : أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق ، وهو الرجّاح ؛

لوجهين :

أحدهما : أن اللفظ عام ، ولا دليل على تخصيصه .

والثاني : أن الآية مكية ، والخطبة إنما شرعت بالمدينة .

﴿لَعَلَّكُمْ تُحْمَوْنَ﴾ قال بعضهم : الرّحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن ؛

لهذه الآية .

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يحتمل أن يريد :

الذكر بالقلب دون اللسان .

أو الذكر باللسان سرّاً .

فعلى الأول : يكون قوله : ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ عطفًا مغايرًا ؛ أي :

حالة أخرى .

وعلى الثاني : يكون بيانًا وتفسيرًا للأول .

﴿بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ أي : في الصباح والعشي .

و«الآصال»: جمع أُصِلْ؛ والأُصْل جمع أُصِيلَ.

وقيل: المراد: صلاة الصبح والعصر.

وقيل: صلاة المسلمين.

وقيل: فرض الخمس.

والأظهر الإطلاق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ هم الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وفي ذكْرهم تحريضٌ للمؤمنين وتعريضٌ بالكفار.

﴿وَلَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ قدّم المجرور لمعنى الحصر؛ أي: لا يسجدون إلا له

وحده.



﴿ سورة الأنفال ﴾

نزلت هذه السورة في غزوة بدر وغنائمها .

[﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ① إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ② الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ③ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ④ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَايَهُونَ ⑤ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ⑥ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ⑦ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ⑧ ﴾] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ، والسائلون : هم الصحابة .

و﴿ الْأَنْفَالِ ﴾ : هي الغنائم .

وذلك أن الصحابة كانوا يوم بدر ثلاث فرق :

فرقة مع النبي في العريش تحرسه وتؤنسه .

وفرقة اتبعوا المشركين فقتلوهم وأسروهم .

وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا .

فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأت كلُّ فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم، فنزلت الآية.

ومعناها: يسألونك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها.

وقيل: الأنفال هنا: ما ينقله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادةً على حظّه.

وقد اختلف الفقهاء هل يكون ذلك التّنفيل^(١) من الخمس - وهو قول مالك -؟ أو من الأربعة الأخماس؟ أو من رأس الغنيمة قبل إخراج الخمس؟.

﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي: الحكم فيها لله وللرسول، لا لكم.

﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: اتّفقوا وائتلفوا، ولا تنازعوا.

و﴿ذَاتَ﴾ هنا بمعنى: الأحوال؛ قاله الزمخشري^(٢).

وقال ابن عطية: يراد بها في هذا الموضع: نفسُ الشيء وحقيقته^(٣).

وقال الزُّبيدي^(٤): إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب^(٥).

(١) في أ، ب، هـ: «المتنقل».

(٢) انظر: الكشف (١٠/٧).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١٣٣/٤).

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي الأندلسي الإشبيلي النحوي، صاحب «مختصر

العين» و«طبقات النحويين»، و«لحن العوام» وغيرها من المصنفات، توفي سنة (٣٧٩هـ).

انظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢٥١٨/١)، وبغية الوعاة، للسيوطي (١/٨٤).

(٥) انظر: لحن العوام (ص: ١٢).

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يريد: في الحكم في الغنائم.

قال عبادة بن الصامت: نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فتنزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسوله ﷺ فقسّمها على السّواء، فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين^(١).
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية؛ أي: الكاملون بالإيمان، ف﴿إِنَّمَا﴾ هنا للتأكيد والمبالغة، لا للحصر^(٢).

﴿وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت، وقرأ أبي بن كعب: «فَرَعَتْ».
﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ أي: قوّي تصديقهم ويقينهم، خلافاً لمن قال: إن الإيمان لا يزد، وإن زيادته إنما هي بالعمل.
﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ يعني: في الجنة.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ فيه ثلاث تأويلات^(٣):

أحدها: أن تكون الكاف في موضع رفع؛ على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذه الحال كحال إخراجك؛ يعني: أن حالهم في كراهة تنفيل الغنائم كحالهم في كراهة^(٤) خروجك للحرب.

والثاني: أن يكون موضع الكاف نصباً؛ على أنه صفة لمصدر الفعل

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/١٤).

(٢) في أ، ب، هـ: «والحصر»، والمثبت الصواب كما في المحرر الوجيز (٤/١٣٥).

(٣) في ج، د: «ثلاثة أوجه».

(٤) في أ، ب، هـ: «حالة».

المقدّر في قوله: ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي: استقرّت الأنفال لله والرسول استقراراً مثل استقرار خروجك.

والثالث: أن تتعلّق الكاف بقوله: ﴿يُجَدِّدُ لَكَ﴾.

﴿مِنْ بَيْتِكَ﴾ يعني: مَسْكَنُهُ بالمدينة إذ أخرجه الله منه لغزوة^(١) بدر.

﴿وَإِنْ قَرِيبًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُوهْنَ﴾ أي: كرهوا قتال العدو، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها أموال عظيمة، ومعها أربعون راكباً، فأخبر بذلك جبريلُ النبي ﷺ، فخرج بالمسلمين، فسمع بذلك أهل مكة، فاجتمعوا وخرجوا في عدد كثير؛ ليمنعوا عيرهم، فنزل جبريل ﷺ فقال: يا محمد إن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين: إما العير وإما قريش، فاستشار النبي ﷺ أصحابه فقالوا: العير أحبُّ إلينا من لقاء العدو، فقال: إن العير قد مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل، فقال له سعد بن عباد: امض لما شئت فإنك متبعوك، وقال سعد بن معاذ: والذي بعثك بالحق لو خضت هذا البحر لخضناه معك؛ فسير بنا على بركة الله^(٢).

﴿يُجَدِّدُ لَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾ كان جدالهم في لقاء قريش؛ لإيثارهم لقاء العير؛ إذ كانت أكثر أموالاً وأقلّ رجالاً.

وتبيّن الحق: هو إعلام رسول الله ﷺ بأنهم يُنصرون.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ تشبيه لحالهم في إفراط جزعهم من لقاء قريش.

(١) في أ، ب، هـ: «بغزوة».

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣١-٣٥).

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ يعني : قريشاً أو غيرهم .

والعامل في «إذ» محذوف تقديره : اذكروا .

﴿أَنَّهُمَا لَكُمْ﴾ بدلٌ من ﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ .

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ الشَّوْكَةُ : عبارة عن السلاح سميت بذلك لحِدَّتِهَا .

والمعنى : تحبون أن تلقوا الطائفة التي لا سلاح لها ؛ وهي العير .

﴿أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ يعني : يُظهر الإسلام ؛ بقتل الكفار وهلاكهم يوم بدر .

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ متعلق بمحذوف تقديره : ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ، وليس تكراراً للأول ؛ لأن الأول مفعولٌ ﴿يُرِيدُ﴾ ، وهذا تعليلٌ لفعل الله تعالى .

ويحتمل أن يريد بـ ﴿الْحَقَّ﴾ الأول : الوعد بالنصرة ، وبـ ﴿الْحَقَّ﴾ الثاني :

الإسلام ؛ فيكون المعنى : أنه نصرهم ؛ ليظهر الإسلام ، ويؤيد هذا قوله : ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ أي : يبطل الكفر .



[إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبَدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَمُ

فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾].

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ ﴿إِذْ﴾ بدلٌ من ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾.

وقيل : تتعلق بقوله : ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾ ، أو بفعل مضمَر .

واستغاثتهم : دعاؤهم بالغوث والنصر .

﴿مُبَدِّكُمْ﴾ أي : مُكثِّركم .

﴿مُرَدِّينَ﴾ من قولك : رَدِّفه : إذا تَبَّعه ، وأرَدَفْتَهُ إياه : إذا أَتَبَعْتَهُ إياه .

والمعنى : يتبع بعضهم بعضًا .

فمن قرأه بفتح الدال : فهو اسم مفعول .

ومن قرأه بالكسر : فهو اسم فاعل .

وصحَّ معنى القراءتين ؛ لأن الملائكة المنزلين تَبَعَ بعضهم بعضًا ، فمنهم

تابعون ومتبعون .

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ الضمير عائد:

على الوعد.

أو على الإمداد بالملائكة.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ ﴿إِذْ﴾ بدلٌ من ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ﴾.

أو منصوبٌ: بـ ﴿النَّصْرُ﴾، أو بما في ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من معنى النصر، أو بإضمار فعل تقديره: اذكر.

ومن قرأ ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ -بضم الياء والتخفيف-: فهو من أغشى.

ومن قرأ بالضم والتشديد: فهو من غشى المشدد.

وكلاهما يتعدى إلى مفعولين؛ فنَضَبُ ﴿النُّعَاسِ﴾ على أنه المفعول الثاني.

والمعنى: يغطيكم به؛ فهو استعارةٌ من الغشاء.

ومن قرأ بفتح الياء والشين: فهو من غشي المتعدي إلى واحد؛ أي: ينزل عليكم النعاسُ.

﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أي: أماناً.

والضمير المجرور يعود على الله تعالى، وانتصاب ﴿أَمَنَةً﴾ على أنه مفعول من أجله.

قال ابن مسعود: النعاس عند حضور القتال علامة أَمْنٍ من العدو^(١).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/٥٩-٦٠).

﴿وَنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ تعديداً لنعمة أخرى؛ وذلك أنهم عَدِمُوا الماءَ في غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر -وقيل: بعد وصولهم-، فأنزل الله لهم المطر حتى سالت الأودية.

﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ كان منهم من أصابته جنابة فتطهَّرَ بماء المطر، وتوضأ به سائرهم، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للظهور^(١) ولا للوضوء.

﴿وَيَذْهَبَ عَنْكُمُ رِجْزُ الشَّيْطَانِ﴾ كان الشيطان قد ألقى في نفوس بعضهم وسوسةً بسبب عدمهم الماء، فقالوا: نحن أولياء الله وفينا رسوله فكيف نبقى بلا ماء؟، فأنزل الله المطر، وأزال عنهم وسوسة الشيطان.

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: يثبتها بزوال ما وسوس لها الشيطان، وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها.

﴿وَوُثِّتَ بِهِ الْأَقْدَامُ﴾ الضمير في ﴿بِهِ﴾ عائدٌ على الماء؛ وذلك أنهم كانوا في رَمَلَةٍ دَهْسَةٍ^(٢) لا يثبت بها قدم، فلما نزل المطر تلبَّدت وتَدَمَّثَ الطريق، وسهل للمشي والوقوف.

وروي: أن ذلك المطر بعينه صَعَّبَ الطريق على المشركين؛ فتبيَّن أن ذلك من لطف الله.

﴿إِذْ يُوحَى﴾ يحتمل أن يكون ذلك:

بدلاً من «إِذْ» المتقدمة، كما أنها بدل من التي قبلها.

(١) في أ، ب: «للطهر».

(٢) الدَّهْسَةُ: الأرض السهلة اللينة التي يثقل فيها المشي، وتغيب فيها القوائم. لسان العرب (٣٩٢/٧).

أو يكون العامل فيه ﴿يُثَبِّتُ﴾ .

﴿فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا) ^(١) التَّثْبِيتُ :

بقتال الملائكة مع المؤمنين .

أو بأقوال مُؤَنِّسَةٍ مَقْوِيَةٍ للقلب قالوها إذ تصوَّروا في صور بني آدم .

أو بإلقاء في نفوس المؤمنين .

﴿سَأَلْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ :

من خطاب الله للملائكة في شأن غزوة بدر؛ تكميلاً لتثبيت المؤمنين .

أو استئناف إخبار عما يفعله الله في المستقبل .

﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ يَحْتَمِلُ - أَيْضًا - أَنْ يَكُونَ : خطاباً للملائكة ،

أو للمؤمنين .

ومعنى ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ : أَعَالِي الْأَعْنَاقِ ؛ حيث المفصل بين الرأس

والعُنُق ؛ لأنه مَذْبَحٌ ، والضرب فيها يطير الرأس .

وقيل : المراد الرؤوس ؛ لأنها فوق الأعناق .

وقيل : المراد الأعناق ، و﴿فَوْقَ﴾ زائدةٌ .

﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ قيل : هي المفاصل .

وقيل : الأصابع ؛ وهو أشهر في اللغة .

(١) سقط من ب، ج، هـ .

وفائدة ذلك : أن المُقاتِل إذا ضُرِبَت أصابعه تعَطَّل من القتال فأمكن أسرُه وقتله .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الإشارة إلى ما أصاب الكفار يوم بدر، والباء للتعليل .

﴿شَاقُوا﴾ : من الشَّقَاق ؛ وهو العداوة والمقاطعة .

﴿ذَلِكَ﴾ فذُوْقُوهُ ﴿الخطاب -هنا- للكفار .

﴿ذَلِكَ﴾ مرفوع تقديره : ذلكم العقاب أو العذاب .

ويَحتمل أن يكون منصوبًا بقوله : ﴿فَذُوْقُوهُ﴾ ، كقولك : زيدًا فاضربه .

﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ﴾ عطفٌ على ﴿ذَلِكَ﴾ على تقدير رفعه ، أو نصبه .

أو : مفعول معه ، والواو بمعنى «مع» .



[يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَدَّ اللَّهُ جَهَنَّمَ وَيَتَسَكَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفِئِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾].

﴿زَحَفًا﴾ حالٌ من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أو من الفاعل في ﴿لَقِيتُمُ﴾.

ومعناه: متقابلِي الصفوف والأشخاص.

وأصل الزحف: الاندفاع.

﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ نهْيٌ عن الفرار، مقيدٌ بأن لا يكون ^(١) الكفار أكثر من مثلي المسلمين حسبما يُذكر في موضعه.

﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ اللقاء، في أي عصرٍ كان.

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ﴾ هو الكرُّ بعد الفر؛ لِيُرِيَ عدوه أنه منهزم، ثم يعطف عليه، وذلك من الخِدَاع في الحرب.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾ أي: منحازًا إلى جماعة من المسلمين.

فإن كانت الجماعة حاضرةً في الحرب: فالتحيزُ إليها جائز باتفاقٍ.

واختلف في التحيز إلى المدينة والإمام والجماعة إذا لم يكن شيءٌ من

(١) في أ، ب، د: «بأن يكون».

ذلك حاضرًا، ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: «أنا فئة لكل مسلم»^(١)، وهذا إباحة لذلك.

والفرار من الذنوب الكبائر.

وانتصب قوله: ﴿مُتَحَرِّفًا﴾:

على الاستثناء من قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ﴾.

وقال الزمخشري: انتصب على الحال، و«إِلَّا» لغو^(٢).

ووزن «متحيز»: مُتَفَاعِلٌ، ولو كان على متفعل لقال: «متحوز»، لأنه من حاز يحوز.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ أي: لم يكن قتلهم في قدرتكم؛ لأنهم أكثر منكم وأقوى، وَلَكِنْ أَلَّهَ قَتْلَهُمْ بتأييدكم عليهم وبالملائكة.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ كان رسول الله ﷺ قد أخذ يوم بدر قبضةً من تراب أو حصى ورمى بها وجوه الكفار فانهزموا.

فمعنى الآية: أن ذلك من الله في الحقيقة.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٨٠-٨١).

(٢) انظر: الكشف (٧/ ٥١)، وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٢٩٣): «ولا يريد الزمخشري بقوله «و(إلا) لغو» أنها زائدة، إنما يريد أن العامل الذي هو (يولهم) وصل إلى العمل فيما بعدها، كما قالوا في «لا» من قولهم: «جئتُ بلا زاد» إنها لغو، وفي الحقيقة هو استثناء من حالة محذوفة والتقدير: ومن يولهم ملتبسًا بأية حالة إلا في حال كذا».

﴿بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ يعني : الأجر والنصر والغنيمة .

﴿مُؤَهَّنٌ﴾ من الوَهْن ؛ وهو الضَّعْف .

وقرئ بالتشديد والتخفيف ؛ والمعنى واحدٌ .

﴿إِنْ تَسْتَغِيثُوا﴾ الآية ؛ خطاب لكفار قريش ، وذلك أنهم كانوا قد دعوا الله أن ينصر أحبَّ الطائفتين إليه - وروي أن الذي دعا بذلك أبو جهل - ، فنصر الله المؤمنين ، وفتح لهم .

ومعنى ﴿إِنْ تَسْتَغِيثُوا﴾ : تطلبوا الفتح .

ويَحْتَمِلُ الفتح الذي طلبوه أن يكون :

بمعنى النصر .

أو بمعنى الحُكْم .

وقيل : إن الخطاب للمؤمنين .

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ إن كان الخطاب للكفار : فالفتح هنا بمعنى الحكم ؛ أي : قد جاءكم الحكم الذي حَكَمَ الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسر .

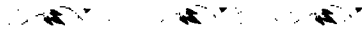
وإن كان الخطاب للمؤمنين : فالفتح هنا يَحْتَمِلُ أن يكون :

بمعنى الحكم ؛ لأن الله حكم لهم .

أو بمعنى النصر .

﴿وَإِنْ تَنْهَوْا﴾ أي: ترجعوا عن الكفر، وهذا يدلُّ على أن الخطاب للكفار.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا﴾ أي: إن تعودوا للاستفتاح أو للقتال نعدُّ لقتالكم والنصر عليكم.



[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿١٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَتَأْوِنَكُمْ وَآيَدَكُمْ يَنْصُرُهُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾].

﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ الضمير:

لِلرَّسُولِ ﷺ.

أو للأمر بالطاعة.

﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي: تسمعون القرآن والمواعظ.

﴿كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ هم الكفار؛ أي: سمعوا بأذانهم

دون قلوبهم، فسماعهم كلا سماع.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ أي: كل من يدب، والمقصود: أن الكفار شرُّ الخلق.

قال ابن قتيبة: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار؛ فإنهم جدُّوا في القتال

مع المشركين.

﴿لَمَّا يُحْيِكُمُ﴾ أي: للطاعة، وقيل: للجهاد؛ لأنه يُحيي^(١)؛ بالنصر.
 ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قيل: يُمِيتُهُ.

وقيل: يصرف قلبه كيف يشاء؛ فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان، وشبه ذلك.

﴿فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ أي: لا تصيب الظالمين وحدثهم، بل تصيب معهم من لم يغير المنكر ولم ينه عن الظلم؛ وإن كان لم يظلم.

وحكى الطبري أنها نزلت في علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وطلحة والزبير، وأن الفتنة: ما جرى لهم يوم الجمل^(٢).

ودخلت النون في ﴿تُصِيبَنَّ﴾؛ لأنه بمعنى النهي.

﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ الآية؛ أي: حين كانوا بمكة، و﴿فَأَوَّكَكُمْ﴾ بالمدينة، و﴿وَأَبَدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ في بدر وغيرها.

﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾ نزلت في قصة أبي لبابة، حين أشار إلى بني قريظة أن ليس عند رسول الله ﷺ إلا الذبح.

وقيل: المعنى: لا تخونوا بغلول الغنائم.

ولفظها عام.

﴿وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ﴾ عطف على ﴿لَا تَخُونُوا﴾، أو منصوب.

(١) في د: «يجي».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/١١٣).

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ثَلَاثَةٌ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ آيَاتُكَ فَاصْبِرْ عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ إِلَّا أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاهُ إِلَّا الْمُتَفَوِّنُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُونَهَا ثُمَّ كَانُوا عَلَيْهَا حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾] .

﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي : تفرقة بين الحق والباطل ؛ وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب ، وتشرح الصدر ، وتزيد في العلم والمعرفة .

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عطف على ﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ ، أو استئناف .

وهي إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدي . . الحديث بطوله ^(١) .

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي : يسجنوك .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٣٤) .

﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ قيل: نزلت في النضر بن الحارث؛ كان قد تعلم من أخبار فارس والروم، فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال: لو شئت لقلت مثل هذا.

وقيل: هي في سائر قريش.

﴿أَسْطَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أخبارهم المسطورة.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ﴾ الآية؛ قائلها^(١): النضر بن الحارث، أو سائر قريش؛ لما كذبوا النبي ﷺ دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق. والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل. رواه البخاري ومسلم في كتابيهما^(٢).

وانتصب ﴿الْحَقَّ﴾؛ لأنه خبر كان.

وقال الزمخشري: معنى كلامهم جحود؛ أي: إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقاباً، وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم، إنما مرادهم نفي العقوبة عن أنفسهم^(٣).

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ إكرام للنبي ﷺ.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: لو آمنوا واستغفروا فإن الاستغفار أمان من العذاب.

(١) في د: «قالها».

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٤٨)، ومسلم (٢٧٩٦).

(٣) انظر: الكشاف (٨٧/٧).

قال بعض السلف : كان لنا أمانان من العذاب ؛ وهما : وجود النبي ﷺ ، والاستغفار ، فلما مات النبي ﷺ ذهب الأمان الواحد ، وبقي الآخر ^(١) .

وقيل : الضمير في ﴿مُعَذِّبُهُمْ﴾ للكفار ، وفي ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم .

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ المعنى : أي شيء يمنع من عذابهم وهم يصدون المؤمنين من المسجد الحرام ! .

والجملة في موضع الحال ، وذلك هو ^(٢) الموجب لعذابهم .

﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ الضمير : للمسجد الحرام ، أو لله تعالى .

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ المكاء : التصفير بالفم ، والتصدية : التصفيق باليد ، وكانوا يفعلونهما إذ صلى المسلمون ؛ ليخلطوا عليهم صلاتهم .

﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ الآية ؛ نزلت في إنفاق قريش في غزوة أحد .

وقيل : إنها نزلت في أبي سفيان بن حرب ؛ فإنه استأجر ألفين من الأحابيش ^(٣) فقاتل بهم النبي ﷺ يوم أحد .

(١) أخرجه الطبري في تفسير (١/١٥١-١٥٣) من قول ابن عباس وأبي موسى الأشعري وأبي العلاء عليهم السلام .

(٢) في أ ، ب : «من» .

(٣) في أ : «الأحابش» ، وفي ب ، ج ، هـ : «الأحابش» ، وفي سيرة ابن هشام (١/٣٧٣) : «قال ابن إسحاق : والأحابيش : بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، والهؤن ابن خزيمة ابن مدركة ، وبنو المصطلق من خزاعة . قال ابن هشام : تحالفوا جميعا ، فسموا الأحابيش ؛ لأنهم تحالفوا بوادٍ يقال له الأخبش بأسفل مكة» .

﴿تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: يتأسفون على إنفاقها من غير فائدة،
أو يتأسفون في الآخرة.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ إخبار بالغيب.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ معنى ﴿لِيَمِيزَ﴾: يفرق بين الخبيث
والطيب.

والخبيث هنا: الكفار، والطيب: المؤمنون.

وقيل: الخبيث: ما أنفقه الكفار، والطيب: ما أنفقه المؤمنون.

واللام في ﴿لِيَمِيزَ﴾ - على هذا - تتعلق بـ ﴿يُغْلَبُونَ﴾.

وعلى الأول: بـ ﴿يُحْشَرُونَ﴾.

﴿فَيَرْكُمُهُ﴾ أي: يضمه ويجعل بعضه فوق بعض.



[﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٨) وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِذَا انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣٩) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرُ﴾ (٤٠) ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤١) إِذَا أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدِّينِ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوفِ وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَدِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤٢) إِذَا يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرْسَلْنَاهُمْ كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٤٣) وَإِذَا يُرِيكُهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلِيلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٤٤)].

﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ يعني: عن الكفر؛ لأن الإسلام يَجِبُ ما قبله، ولا تصح المغفرة إلا به.

﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ يعني: إلى القتال.

﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ تهديد بما جرى لهم يوم بدر، وبما جرى للأمم السالفة.

﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ الفتنة هنا: الكفر؛ فالمعنى: قاتلوهم حتى لا يبقى كفر، فهو كقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ لفظه عامٌ يراد به الخصوص ؛ لأن الأموال التي تؤخذ من الكفار :

منها ما يخمس ؛ وهو ما أُخذ على وجه الغلبة بعد القتال .
ومنها ما لا يخمس ، بل يكون جميعه لمن أخذه ؛ وهو ما أخذه من كان ببلاد الحرب من غير إيجابٍ ، وما طرحه العدو خوف الغرق .
ومنها ما يكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته ، ويصرف سائرَه في مصالح المسلمين ؛ وهو الفيةُ الذي لم يُوجَف عليه بخيل ولا ركاب .
﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ الآية ؛ اختلف في قَسَم الخُمس على هذه الأصناف :
فقال قوم : يصرف على ستة أسهم : سهم الله ^(١) في عمارة الكعبة ، وسهم النبي ^(٢) ﷺ في مصالح المسلمين - وقيل : للوالي ^(٣) بعده - ، وسهم لذوي القربى الذين لا تحلُّ لهم الصدقة ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل .

وقال الشافعي : على خمسة أسهم ، ولا يجعل لله سهماً مختصاً ، وإنما بدأ - عنده - بالله ؛ لأن الكلَّ مُلكه .

وقال أبو حنيفة : على ثلاثة أسهم : لليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل .
وقال مالك : الخمس إلى اجتهاد الإمام ، يأخذ منه كفايته ، ويصرف الباقي في المصالح .

(١) في أ ، ب : «الله» .

(٢) في أ ، ب : «للنبي» .

(٣) في أ ، ب ، ج ، هـ : «للموالي» .

﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ راجعٌ إلى ما تقدم، والمعنى: إن كنتم مؤمنين فاعلموا ما ذكر الله لكم من قسمة الخمس، واعملوا بحسب ذلك ولا تخالفوه.

﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ يعني: النبي ﷺ. والذي أنزل عليه: القرآن أو النصر.

﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أي: التفرقة بين الحق والباطل، وهو يوم بدر.

﴿الَّتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ يعني: المسلمين والكفار.

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿الَّتَقَى﴾.

والعدوة: شفير الوادي، وقرئ بالضم والكسر؛ وهما لغتان.

﴿الدُّنْيَا﴾: القرية من المدينة، و﴿الْقُصُوصِ﴾: البعيدة.

﴿وَالرَّكْبُ أَهْلَ مَنْكِبِكُمْ﴾ يعني: العير التي كان فيها أبو سفيان، وكان قد نكب عن الطريق؛ خوفاً من النبي ﷺ، وكان جمع قريش المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ أي: لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتهم وقلتكم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم.

أو: لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه.

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي: يموت من مات بيدٍ عن إظهار وإقامة حجة عليه، ويعيش من عاش بعد البيان له.

وقيل: ﴿لِيَهْلِكَ﴾: يكفر، ﴿وَيَحْيَى﴾: يؤمن.

وَقَرَأَ ﴿مَنْ حَيٍّ﴾ بِالْإِظْهَارِ وَالْإِدْغَامِ؛ وَهُمَا لَغَتَانِ.

﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ﴾ الْآيَةُ؛ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ رَأَى الْكُفَّارَ فِي نَوْمِهِ قَلِيلًا، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ فَقَوَّيْتُ أَنْفُسَهُمْ.

﴿لَفَسَلْتُمْ﴾ أَيِ: جَبَنْتُمْ عَنِ الْلِقَاءِ.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ الْآيَةُ؛ مَعْنَاهَا: أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ كُلَّ طَائِفَةٍ قَلِيلَةً فِي عَيْنِ الْأُخْرَى؛ لِيَقَعَ التَّجَاسُرُ عَلَى الْقِتَالِ.



[يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّوْا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي لَأَكُونُ لَكُمْ فُلْجَتَانٍ نَكْصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٩﴾].

﴿رِيحُكُمْ﴾ أي: قوتكم ونشاطكم؛ وذلك استعارة.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يعني: قريشًا الكفار حين خرجوا لبدر.

﴿بَطَرًا﴾ أي: اعتداء^(١) وتكبرًا.

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ الآية؛ لما خرجت قريش إلى بدر تصوّر لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك، فقال لهم: إني جار لكم من قومي -وكانوا قد خافوا من قومه-، ووعدهم النصر^(٢).

﴿نَكْصَ﴾ أي: رجع إلى وراء.

﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ رأى^(٣) الملائكة تقاتل.

(١) في هامش أ: «عتوا».

(٢) في أ، ب: «بالنصر».

(٣) في أ، ب، ج: «أي».

[إِذْ يَكْفُلُ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرْ هَتُولَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُفُّوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَّابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذْنُوبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُعْذِرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَذْنُوبُهُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالِ فِرْعَوْنَ وَكُلًّا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُضُونَ ﴿٥٦﴾ فَاِمَّا تَثَقَفَنَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَدَبْنَاهُمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾] .

﴿يَكْفُلُ الْمُتَنَفِقُونَ﴾ الذين كانوا بالمدينة .

وقيل : الذين كانوا مع الكفار ، وهم نفرٌ من قريش ؛ منهم : قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والحارث بن ربيعة بن الأسود ، وعلي بن أمية بن خلف ، والعاصي بن منبه بن الحجاج ؛ وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة .

﴿غَرْ هَتُولَاءِ دِينُهُمْ﴾ أي : اغترَّ المسلمون بدينهم ، فأدخلوا أنفسهم فما لا طاقة لهم به .

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ ذلك فيمن قُتِل يوم بدر .

﴿وَأَدْبَرَهُمْ﴾ أي : أَسْتَاهَهُمْ ، وقيل : ظهورهم .

﴿وَذُوقُوا﴾ هذا من قول الملائكة لهم ؛ تقديره : ويقولون لهم : ذوقوا .

والقول المحذوف ومعموله معطوف على ﴿يَضْرِبُونَ﴾ .

ويَحْتَمِلُ أن يكون ما بعده :

من قول الملائكة .

أو يكون مستأنفاً .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ﴾ تقديره عند سيبويه : الأمر ذلك ، والباء سببية .

والمعنى : أن الله لا يغيّر نعمةً على عبده حتى يغيروا هم بالكفر والمعاصي .

﴿كَذَّابٍ﴾ ذَكَرَ فِي «آل عمران»^(١) .

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ يريد : بني قريظة .

﴿فَشَرِدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾ أي : افعل بهم من النّعمة ما يَزْجُرُ غيرهم .

﴿وَإِنَّمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي : نقضاً للعهد .

﴿فَأَنبَذَ إِلَيْهِمْ﴾ أي : ردّ العهد الذي بينك وبينهم .

والمفعول محذوف ؛ تقديره : فأنبذ إليهم عهدهم .

﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي : على مُعْدَلَةٍ .

وقيل : معناه : أن تستوي معهم في العلم بنقض العهد .

[وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِصَرْحِهِ وَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَآلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾].

﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ أي: لا تظنَّ أنهم فاتوا ونجوا بأنفسهم.

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي: لا يفوتون في الدنيا، ولا في الآخرة.

﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ﴾ الضمير:

للذين يُنْبِذُ إِلَيْهِمُ العهد.

أو للذين لا يُعْجِزُونَ.

وحكمه عامٌ في جميع الكفار.

﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي»^(١).

﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الزمخشري: الرباط: اسم للخيل التي تربط في

سبيل الله^(٢).

(١) أخرجه مسلم (١٩١٧).

(٢) انظر: الكشاف (١٤١/٧).

ابن عطية: رباط الخيل: جمع رِبْط، أو مصدر^(١).

﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ يعني: الكفار.

﴿وَأَخْرَيْنَ﴾ يعني: المنافقين، وقيل: بني قريظة، وقيل: الجن؛ لأنها تنفر من صهيل الخيل، وقيل: فارس.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿مَرَدُّوْا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ مَخُنٌ نَّعْلَمُهُمْ﴾

[التوبة: ١٠١].

قال السهيلي: لا ينبغي أن يقال فيهم شيء؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَا نَعْلَمُونَهُمْ﴾، فكيف يعلمهم أحد!^(٢).

وهذا لا يلزم؛ لأن معنى قوله: ﴿لَا نَعْلَمُونَهُمْ﴾: لا تعرفونهم؛ أي: لا تعرفون آحادهم وأعيانهم، وقد يُعرف صنفهم من الناس، ألا ترى أنه قال مثل ذلك في المنافقين.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ السَّلَم هنا: المهادنة.

والآية منسوخة بآية^(٣) القتال في «براءة»؛ لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز.

﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قيل: المراد: بين قلوب الأوس والخزرج؛ إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/٢٢٧).

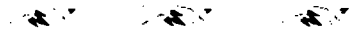
(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٢٠).

(٣) في ب، ج، هـ: «بآيات».

واللفظ عام.

﴿وَمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطفٌ على اسم الله.

وقال الزمخشري: مفعول معه، والواو بمعنى «مع»؛ أي: حسبك وحسب من اتبعك الله^(١).



(١) انظر: الكشاف (١٤٦/٧).

[يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِدُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْخِجَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ فَاكْلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾].

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِدُونَ﴾ الآية؛ إخبارٌ يتضمن:

وعداً، بشرط الصبر.

ووجوب ثبوت الواحد للعشرة، ثم نسخ بوجوب ثبوت^(١) الواحد لل اثنين.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: يقاتلون على غير دين ولا بصيرة؛

فلا يشنون.

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾ لما أخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر

بحياتهم، وأشار عمر بقتلهم، فنزلت الآية؛ عتاباً على استبقائهم.

﴿حَتَّى يَشْخِجَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يبالغ في القتل.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ عتابٌ لمن رغب في فداء الأسارى.

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ الكتاب:

ما قضاه الله في الأزل من العفو عنهم.

(١) في أ، ب: «ثبوت».

وقيل : ما قضاء من تحليل الغنائم لهم .

﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ يراد به : الأسارى ، أو فداؤهم .

ولما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ : «لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر»^(١) .

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ إباحة للغنائم ، ولفداء الأسارى .



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/٢٨٣) .

[يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبُ لَمَنَ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾].

﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ أي: إن علم في قلوبكم إيمانًا جبر عليكم ما أخذ منكم من الفدية.

قال العباس: في نزلت؛ وكان افتدى يوم بدر، ثم أعطاه رسول الله ﷺ من المال ما لم يقدر أن يحمله، فقال: قد أعطاني الله خيرًا مما أخذ مني، وأنا أرجو أن يغفر لي^(١).

﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ الآية؛ تهديد لهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلى آخر السورة؛ مقصدها: بيان منازل المهاجرين، والأنصار، والذين آمنوا ولم يهاجروا بعد الحديبية.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨٥/١١).

فبدأ أولاً بالمهاجرين، ثم ذكر الأنصار - وهم الذين آووا ونصروا - ، وأثبت الولاية بينهم، وهي ولاية التعاون والتناصر.

وقيل: هي ولاية الميراث، ثم نُسِخت بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.

﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ لما نفى الولاية بين المؤمنين الذين هاجروا وبين المؤمنين الذين لم يهاجروا: أمر بنصرهم إن استنصروا بالمؤمنين، إلا إذا استنصروا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد، فلا ينصرونهم عليهم. ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿إِلَّا﴾ هنا مركبة من «إن» الشرطية و«لا» النافية.

والضمير في ﴿تَفْعَلُوهُ﴾:

لولاية المؤمنين ومعاونتهم.

أو لحفظ الميثاق الذي في قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾.

أو للنصر الذي في قوله: ﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾.

والمعنى: إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ الآية؛ ثناء على المهاجرين والأنصار، ووعد لهم.

والرزق الكريم: في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾ يعني: الذين هاجروا بعد الحديبية وبيعة الرضوان.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ قيل: هي ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار.

وقال مالك: ليست في الميراث.

وقال أبو حنيفة: هي في الميراث؛ وأوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوي الأرحام.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في القرآن، وقيل: في اللوح المحفوظ.



﴿ سورة براءة ﴾

وتسمَّى : سورة التوبة، وتسمى - أيضًا - الفاضحة؛ لأنها كشفت أسرار المنافقين.

واتفقت المصاحف والقراء على إسقاط البسملة من أولها.

واختلف في سبب ذلك :

فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : أشبهت معانيها معاني «الأنفال»، وكانت تدعى ^(١) القريتين في زمان رسول الله ﷺ ؛ فلذلك قرنتُ بينهما ووضعتهما ^(٢) في السبع الطوال ^(٣).

وكان الصحابة قد اختلفوا : هل هما سورتان أو سورة واحدة؟ ففُتِرَت البسملةُ بينهما لذلك.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : البسملة أمان، و«براءة» نزلت بالسيف، فلذلك لم تبدأ بالأمان ^(٤).

(١) في هامش أ: «تدعيان».

(٢) في أ، د: «ووضعتهما» والمثبت موافق لما في الرواية.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٩)، وأبو داود (٧٨٦)، والترمذي (٣٠٨٦)، والنسائي في الكبرى (٢٥٣/٧).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٦٠/٢).

[﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ❶ فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ ❷ وَأَذِّنْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ إِن تَسْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ❸ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ❹ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ❺ وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ❻].

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المراد بالبراءة: التبرؤ من المشركين.

وارتفاع ﴿بَرَاءَةٌ﴾ على أنه: خبر ابتداء، أو مبتدأ.

﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تقدير الكلام: براءة واصله من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، ف«مِنَ» و«إِلَى» متعلقان بمحذوف لا بـ ﴿بَرَاءَةٌ﴾.

وإنما أسند العهد إلى المسلمين في قوله: ﴿عَاهَدْتُمْ﴾؛ لأن فعل الرسول ﷺ لازم للمسلمين، فكانهم هم الذين عاهدوا المشركين.

وكان النبي ﷺ قد عاهد المشركين إلى آجالٍ محدودة:

فمنهم من وقى، فأمر الله أن يَتِمَّ عهده إلى مدته.

ومنهم من نقض ، أو قارب النقض ، فجعل له أجلٌ أربعة أشهر ، وبعدها لا يكون له عهد .

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي : سيروا آمنين أربعة أشهر ، وهي الأجل الذي جعل لهم .

واختلف في وقتها :

ف قيل : هي شوال وذو قعدة وذو حجة والمحرم ؛ لأن السورة نزلت حينئذ ، وذلك عام تسعة .

وقيل : هي من عيد الأضحى إلى تمام العشر الأوّل من ربيع الآخر ؛ لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ ، وذلك أن رسول الله ﷺ بعث تلك السنة أبا بكر الصديق فحجّ بالناس ، ثم بعث بعده علي بن أبي طالب فقرأ على الناس سورة براءة : يوم عرفة ، وقيل : يوم النحر .

﴿غَيْرُ مُعْجِزٍ آلِهَةٍ﴾ أي : لا تفوتونه .

﴿وَأَذِّنْ﴾ أي : إعلام بتبرؤ الله تعالى ورسوله من المشركين .

﴿إِلَى النَّاسِ﴾ جعل البراءة مختصةً بالمعاهدين من المشركين^(١) ، وجعل الإعلام بالبراءة عامًا لجميع الناس ؛ من عاهد ، ومن لم يُعاهد ، وللمشركين وغيرهم .

﴿الْحَجَّ الْأَكْبَرِ﴾ هو يوم عرفة ، أو يوم النحر .

(١) سقط من أ ، ب ، ج ، هـ .

وقيل : أيام الموسم كلها ؛ وعبر عنها بيوم ؛ كقولك : يوم صفين والجمل وكانت أيامًا كثيرة .

﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ﴾ تقديره : أذان بأن الله بريء ، وحذفت الباء تخفيفًا .

وقرئ : ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ بالكسر ؛ لأن الأذان في معنى القول .

﴿وَرَسُولُهُ﴾ ارتفع :

بالعطف على الضمير في ﴿بَرِيءٌ﴾ .

أو بالعطف على موضع اسم ﴿أَنَّ﴾ .

أو بالابتداء ، وخبره محذوف .

وقرئ بالنصب ؛ عطفًا على اسم ﴿أَنَّ﴾ .

وأما الخفض :

فلا يجوز فيه العطف على ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ ؛ لأنه معنى فاسد .

ويجوز على الجوار ، أو على القسم ، وهو - مع ذلك - بعيد ، والقراءة به شاذة .

﴿فَإِنْ تَبُتُّمْ﴾ يعني : التوبة من الكفر .

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ يريد : الذين لم ينقضوا .

﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ يعني : الأشهر الأربعة التي جعلت لهم :

فمن قال : إنها شوال وذو قعدة وذو حجة والمحرم : فهي الحرم المعروفة زاد فيها شوال ، ونقص رجب ، وسميت حُرُمًا ؛ تغليبًا للأكثر .

ومن قال : إنها إلى ربيع الثاني : فسَمِيَتْ حرماً ؛ لحرمتها ومنع القتال فيها حينئذ .

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ ناسخة لكل موادة في القرآن .

وقيل : إنها نسخت أيضاً : ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤] .

وقيل : بل نسختها هي ؛ فيجوز المنُّ والفداء .

﴿وَحَذُّهُمْ﴾ معناه : الأسر ، والأخيد : هو الأسير .

﴿كُلَّ مَرَصِدٍ﴾ كلَّ طريق ، ونصبه على الظرفية .

﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ يريد : من الكفر ، ثم قرن بالإيمان الصلاة والزكاة ؛ فذلك

دليل على قتال تارك الصلاة والزكاة ، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

والآية في معنى قوله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، وقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة»^(١) .

﴿فَحَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ تأمينٌ لهم .

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ هو من الجوار ؛ أي : استأمنك

فأمنه حتى يسمع القرآن ؛ ليرى هل يُسلم أم لا .

﴿ثُمَّ أُنْذِرْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أي : إن لم يُسلم فردّه إلى موضعه .

وهذا الحُكم ثابت عند قوم ، وقال قوم : نُسخ بالقتال .

[كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا هُمُ الَّذِينَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)
كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى
قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) أَشْتَرُوا بِعَاقِبَةِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ
إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ
فَقَاتِلُوا أَلِئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) أَلَا تَقَاتِلُونَ
قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
اتَّخَذْتُمْ قُلُوبَهُمْ قَالَهُ أَهْوَى أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ
بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ صُدُورِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيَذْهَبْ
غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا
وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِجَهٍّ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)].

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ لفظه ^(١) استفهام، ومعناه: استنكار
واستبعاد.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل: المراد قريش، وقيل:
قبائل بني بكر.

﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا﴾ «ما» ظرفية.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «اللفظ».

﴿كَيْفَ﴾ تأكيدٌ للأولى، وحذف الفعل بعدها؛ للعلم به، تقديره: كيف يكون لهم عهد؟.

﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ أي: لا يراعوا.

﴿إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ﴾ الإل: القرابة؛ وقيل: الحلف. والذمة: العهد.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ استثنى^(١) من قضى له منهم بالإيمان.

﴿أَيُّمَّةَ الْكُفْرِ﴾ أي: رؤساء أهلِه؛ قيل: إنهم أبو جهل، وأمّية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو. حكى ذلك الطبري^(٢)، وهو ضعيف؛ لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة.

والأحسن أنها على العموم.

﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ أي: لا أيمان لهم يوفون بها.

وقرئ: ﴿لَا إِيْمَنَ﴾ بكسر الهمزة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾ يتعلق بـ ﴿فَقَاتِلُوا﴾.

﴿وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ قيل: يعني: إخراجه من المدينة حين قاتلوه بالخذق وأحد.

وقيل: يعني إخراجه من مكة إذ تشاوروا فيه بدار الندوة، ثم خرج هو بنفسه.

(١) في ب، ج، د: «استثناء».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/٣٦٣).

﴿وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أُولَٰئِكَ مَرَّةً﴾ يعني : إذايتهم للنبي ﷺ والمسلمين بمكة.
 ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يريد^(١) : بالقتل والأسر، وفي ذلك وعد
 للمسلمين بالظفر.

﴿قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قيل : إنهم خزاعة. والإطلاق أحسن.
 ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ استئناف إخبار بأن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفار
 فيسلم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ الآية؛ معناها : أن الله لا يتركهم دون تمحيصٍ يظهر فيه
 الطيب من الخبيث.

و﴿أَمْ﴾ هنا بمعنى : بل والهمزة.

و﴿يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ أي : يعلم ذلك موجودًا ؛ لتقوم به الحجة .

﴿وَلِيَجْزِيَ﴾ أي : بطانةً .

(١) في أ، ب، ج، هـ : «الله».

[مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَهْدِينَ ﴿٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿١١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرُسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤﴾].

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ أي: ليس لهم ذلك بالحق والواجب، وإن كانوا قد عمروها تغلباً^(١) وظلماً.

ومن قرأ ﴿مَسْجِدَ﴾ بالجمع: أراد جميع المساجد.

ومن قرأ بالتوحيد: أراد المسجد الحرام.

﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ أي: أن أحوالهم وأقوالهم تقتضي الإقرار بالكفر.

(١) في أ، ب، هـ: «تغليباً».

وقيل : الإشارة إلى قولهم في التلبية : « لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك » .
﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴾ الآية ؛ سببها : أن قومًا من قريش افتخروا بسقاية
الحاج ، وبعمارة المسجد الحرام ؛ فبين الله أن الجهاد أفضل من ذلك .

ونزلت الآية في علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وطلحة
ابن شيبه ، افتخروا ؛ فقال طلحة : أنا صاحب البيت وعندي مفاتيحه ،
وقال العباس : أنا صاحب السقاية ، وقال علي : لقد أسلمت قبل الناس ،
وجاهدت مع رسول الله ﷺ .

﴿ لَا تَتَّخِذُواْ آبَاءَكُمْ ﴾ الآية ؛ قيل : نزلت فيمن تثبّط عن الهجرة ، ولفظها
عام ، وكذلك حكمها .

﴿ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ وعيد لمن آثر أهله أو ماله أو مسكنه على الهجرة والجهاد .
﴿ بِأَمْرِئِهِ ﴾ قيل : يعني : فتح مكة ، وقيل : هو إشارة إلى عذاب أو عقوبة .

[لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدِيرِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٨﴾ قُلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٦٩﴾].

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ عطف على ﴿مَوَاطِنَ﴾.

أو منصوبٌ بفعل مضمر، وهذا أحسن؛ لوجهين:

أحدهما: أن قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ مختصٌ بحنين، ولا يصح في غيره من المواقن؛ فيضعف عطف (يوم حنين على المواقن؛ للاختلاف الذي بينهما في ذلك.

والآخر: أن ﴿مَوَاطِنَ﴾ ظرف مكان، و﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ ظرف زمان؛ فيضعف عطف^(١) أحدهما على الآخر، إلا أن يريد بالمواقن الأوقات. وحنين: اسم علم لموضع عُرف برجل اسمه حنين، وانصرف لأنه مذكّر. ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ كانوا يومئذ اثني عشر ألفاً، فقال بعضهم: لن

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

نُغَلِّبَ اليوم من قَلَّةٍ، فأراد الله إظهار عجزهم، ففرَّ الناس عن رسول الله ﷺ حتى بقي على بَغْلته في نفر قليل، ثم استنصر بالله، وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار وقال: «شاهت الوجوه»^(١)، ونادى بأصحابه^(٢) فرجعوا إليه، وهزم الله الكفار.

وقصة حنين مذكورة في السَّيَر.

﴿يَمَّا رَحِبَتْ﴾ أي: ضاقت على كثرة اتساعها، و«ما» هنا: مصدرية.

﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكة.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ﴾ إشارة إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين.

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قيل: إن نجاستهم بكفرهم، وقيل: بالجنابة.

﴿فَلَا يَفْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ نصٌّ على منع المشركين - وهم عبدة

الأوثان - من المسجد الحرام، فأجمع العلماء على ذلك.

وقاس مالك على المشركين: سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم،

وقاس على المسجد الحرام: سائر المساجد، فمنع جميع الكفار من جميع المساجد.

وجعلها الشافعي عامة في الكفار، خاصةً بالمسجد الحرام، (فمنع جميع

الكفار من دخول المسجد الحرام خاصة)^(٣)، وأباح لهم دخول غيره.

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٧).

(٢) في أ، ب، هـ: «أصحابه».

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

وقصرها أبو حنيفة على موضع النص؛ فمنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة، وأباح لهم دخول سائر المساجد، وأباح دخول أهل الكتاب في المسجد الحرام وغيره.

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ يريد: عام تسعة من الهجرة؛ حين حج أبو بكر بالناس، وقرأ عليهم عليّ سورة «براءة».

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي: فقراً.

كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة، فخاف الناس قلة القوت بها إذ مُنِعَ المشركون منها، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله، فأسلمت العرب كلها، وتمادى جلب الأطعمة إلى مكة ثم فتح الله للمسلمين^(١) سائر الأمصار.

﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَتُوبُونَ الْآخِرَ﴾ أمرٌ بقتال أهل الكتاب. ونفى عنهم الإيمان بالله؛ لقول اليهود: عزيز ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر؛ لأن اعتقادهم فيه فاسد، فإنهم لا يقولون بالمعاد الجسماني^(٢).

﴿وَلَا يَحْرِمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك.

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ أي: لا يدخلون في الإسلام.

(١) في أ، ب، هـ: «ثم فتح المسلمون».

(٢) في أ، ج، هـ: «الحسابي».

﴿مَنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بيان للذين أُمر بقتالهم ، وحين نزلت هذه الآية خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك ؛ لقتال النصارى .

﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ اتفق العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى ويلحق بهم المجوس ؛ لقوله ﷺ : «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»^(١) .

واختلفوا في قبولها من عبدة الأوثان والصابئين .

ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين .

وقدّرها عند مالك : أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعون درهماً على أهل الورق ، ويؤخذ ذلك من كل رأس .

﴿عَنْ يَدٍ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : دفع الذمّي لها بيده ، لا يبعثها مع أحد ولا يَمُطّل بها ؛ كقولك : يدًا بيد .

الثاني : عن استسلام وانقياد ؛ كقولك : ألقى فلان بيده .

﴿وَهُمْ صَغُرُونَ﴾ أي : أذلاء .

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٧٤٢) .

[وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْفَ يُؤْفِكُونَ ﴿٢٥﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٢٨﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُضْطَوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتِزُونَ ﴿٣٠﴾ إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَتْلُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ إِنَّمَا السَّبْتُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُكْرِمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس : إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود ؛ وهم : سلام بن مشكم ، ونعمان بن أوفى ، وشأس بن قيس ، ومالك بن الصيف .

وقيل : لم يقلها إلا فنحاص ، ونسب ذلك إلى جميعهم ؛ لأنهم متبعون لمن قالها .

والظاهر أن جماعتهم قالوها ؛ إذ لم ينكروها حين نُسبت إليهم .
وكان سبب قولهم ذلك : أنهم فقدوا التوراة ، فحفظها عزيز وحده ،
فعلّمها لهم ، فقالوا : ما علّم الله عزيزَ التوراة إلا أنه ابنه .

﴿عُزَيْرُ﴾ مبتدأ ، و﴿ابْنُ اللَّهِ﴾ خبره .

ومُنْع ﴿عُزَيْرُ﴾ التنوين ؛ لأنه أعجمي لا ينصرف .

وقيل : بل هو منصرف ، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وهذا ضعيف .
وأما من نَوَّنه فجعله عربياً .

﴿وَقَالَتِ الْنَصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ قال أبو المعالي : «أطبقت
النصارى على أن المسيح إله وابن إله»^(١) ، وذلك كفرٌ شنيع .

﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يتضمَّن معنيين :

أحدهما : إلزامهم هذه المقالة ، والتأكيد في ذلك .

والثاني : أنهم لا حجة لهم عليه ، وإنما هو مجرد^(٢) دعوى ؛ كقولك لمن
تكذبه : هذا قولك بلسانك .

﴿يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ معنى ﴿يُضَاهُونَ﴾ : يشابهون .

فإن كان الضمير لليهود والنصارى ؛ فالإشارة بقوله : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَبْلُ﴾ :

(١) الإرشاد ، لأبي المعالي الجويني (ص : ٥١) .

(٢) في ج ، د : «عن» .

للمشركين من العرب؛ إذ قالوا: الملائكة بنات الله، وهم أول كافر.
أو للصابئين.

أو لأمم متقدمة.

وإن كان الضمير للمعاصرين للنبي ﷺ من اليهود والنصارى؛ ف﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ هم أسلافهم المتقدمون.

﴿فَنَالَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم، وقيل: معناه: لعنهم الله.

﴿أَنْتَ يُؤْفَكُونَ﴾ تعجب كيف يُصرفون عن الحق والصواب!.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ أي: أطاعوهم كما يطاع الرب، وإن كانوا لم يعبدوهم.

﴿وَالْمَسِيحَ﴾ معطوف على الأحرار والرهبان.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَحَدًّا﴾ أي: أمرهم بذلك عيسى ومحمد ﷺ.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ أي: يريدون أن يطفئوا نبوة محمد ﷺ وما جاء به من عبادة الله وتوحيده.

﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ إشارة إلى أقوالهم، كقولهم: ساحر وشاعر^(١)، وفيه أيضًا إشارة إلى ضعف حيلتهم فيما أرادوا.

﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُفِرَ﴾ الضمير: للرسول ﷺ، أو للدين.

(١) في ب، هـ: «سحر وشعر».

واظهاره: جعله أعلى الأديان وأقواها حتى^(١) عمَّ المشارق والمغارب.
 وقيل: ذلك عند نزول عيسى بن مريم حين^(٢) لا يبقى دين إلا دين الإسلام.
 ﴿يَا كُلُّوْا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ هي^(٣): الرُّشَا على الأحكام وغير ذلك.
 ﴿وَالَّذِيْنَ يَكْتِزُوْنَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ ورد في الحديث أن: «كل ما أُدِّيَتْ زكاته فليس بكنز، وما لم تؤدَّ زكاته فهو كنز»^(٤).

وقال أبو ذرٍّ وجماعة من الزهاد: كلُّ ما فضل عن حاجة الإنسان فهو كنز.
 ﴿وَلَا يُفْقُوْنَهَا﴾ الضمير للأموال والكنوز التي يتضمَّنُها المعنى.
 وقيل: هو للفضة، واكتفى بذلك عن الذهب؛ إذ الحكم فيهما واحد.
 ﴿يَوْمَ يُحْمَى﴾ العامل في الظرف: ﴿أَلَسِرَ﴾، أو محذوف.
 ﴿عَلَيْهَا﴾ الضمير يعود على ما يعود عليه ضمير ﴿يُفْقُوْنَهَا﴾.
 ﴿أَشْأَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ هي الأشهر المعروفة؛ أولها: المحرم، وآخرها: ذو الحجة.

وكان الذي جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
 ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، وقيل: في القرآن.
 والأول أرجح؛ لقوله: ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

(١) في أ، ب، هـ: «حتى».

(٢) في ج، د: «حتى».

(٣) في أ، ب: «هنا».

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبير (١٣/٨).

﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ هي : رجب وذو قعدة وذو حجة والمحرم .
 ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ يعني : أن تحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم
 دين إبراهيم وإسماعيل ^(١) ، وكانت العرب قد تمسكت به حتى غير بعضهم .
 ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ الضمير في قوله : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ للأشهر الحرم
 تعظيماً لأمرها ، وتغليظاً للذنوب فيها ، وإن كان الظلم ممنوعاً في غيرها .
 وقيل : الضمير للاثني عشر شهراً ، وهي الزمان كله .

والأول أظهر .

﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ أي : قاتلوهم في الأشهر الحرم ؛ فهذا نسخ
 لتحريم القتال فيها .

﴿ كَافَّةً ﴾ حال من الفاعل ، أو المفعول .

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ ﴾ هو تأخير حرمة الشهر إلى الشهر الآخر ، وذلك أن العرب
 كانوا أصحاب حروب وإغارات ، وكانت محرمة عليهم في الأشهر الحرم ،
 فيشق عليهم تركها ، فيجعلونها في شهر حرام ويحرّمون شهراً آخر بدلاً منه ،
 وربما أحلوا المحرم وحرّموا صفرًا حتى يكملوا في العام أربعة أشهر
 محرمة .

﴿ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ﴾ أي : تارة يحلّون وتارة يحرمون ، ولم يرد
 العام حقيقة .

(١) لم يرد « وإسماعيل » في أ ، ب ، هـ .

﴿لِيُؤْطِفُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: ليوافقوا عدد الأشهر الحرم؛ وهو أربعة.

﴿فِيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ يعني: إحلالهم القتال في الأشهر الحرم.



[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا بِكَ اللَّهُ مَعًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْغُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾].

﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا﴾ عتاب^(١) لمن تخلف عن غزوة تبوك .
 ﴿أَتَأْقُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ عبارة عن تخلفهم ، وأصل ﴿أَتَأْقُلْتُمْ﴾ : تَأْقُلْتُمْ .
 ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ﴾ شرط وجزاء .
 وهذا العذاب : في الدنيا أو في الآخرة .
 ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ شرط وجواب ، والضمير لرسول الله ﷺ .
 فإن قيل : كيف ارتباط هذا الشرط مع جوابه^(٢) ؟

(١) في هـ : «خطاب» .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «و» .

فالجواب : أن المعنى : إن لم تنصروه أنتم فسينصره الله الذي نصره حين كان ثاني اثنين ، فدلّ بقوله : ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ على نصره في المستقبل .
 ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني : خروجه من مكة مهاجراً إلى المدينة ،
 وأسند إخراجهم إلى الكفار ؛ لأنهم فعلوا معه من الأذى ما اقتضى خروجه .
 ﴿ثَافِتٍ أَتَيْنِ﴾ هو وأبو بكر الصديق .

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ يعني : أبا بكر .
 ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يعني : بالنصر واللطف .
 ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ الضمير : للرسول ﷺ .
 وقيل : لأبي بكر ؛ لأن النبي ﷺ لم تزل معه السكينة ، ويضعف ذلك : بأن
 الضمائر بعدها للرسول ﷺ .

﴿وَأَيَّدُهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني : الملائكة يوم بدر وغيره .
 ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ يريد : بإذلالها ودخضها .
 ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ قيل : هي : لا إله إلا الله ، وقيل : الدين كله .
 ﴿أَنْفَرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أمرٌ بالنفير إلى الغزو .
 والخفة : استعارة لمن يمكنه السفر بسهولة ، والثقل : من يمكنه بصعوبة .
 وقال بعض العلماء : الخفيف : الغني ، والثقيل : الفقير .

وقيل : الخفيف : الشاب ، والثقيل : الشيخ .
 وقيل : الخفيف : النشيط ، والثقيل : الكسلان .

وهذه الأقوال أمثلة في الثقل والخفة .

وقيل : إن هذه الآية منسوخة بقوله : ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾
[التوبة : ٩١] الآية .

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ الآية ؛ نزلت هي وكثير مما بعدها في هذه السورة في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ؛ وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة ، وكانت في شدة الحر وطيب الثمار والظلال ، فثقلت عليهم ، فأخبر الله في هذه الآية أن السفر لو كان لعرض من الدنيا ، أو إلى مسافة قريبة لفعلوه .
﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ أي : الطريق والمسافة .

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إخبارٌ بغيب ؛ وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة ويحلفون .

﴿يُحْلِفُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي : يُوقِعُونَهَا فِي الْهَلَاكِ : بحلفهم الكاذب ، أو بتخلفهم عن الغزو .



[عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ
 الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَغْفِرُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا
 بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَغْفِرُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا
 الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ
 الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
 الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ
 وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ
 مَنْ يَقُولُ أَسْأَلُ اللَّهَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمُ لَمُحِيطَةٌ
 بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ
 أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
 اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى
 الْحُسَيْنَيْنِ وَتَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا
 فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾] .

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ﴾ الآية؛ كان بعض المنافقين قد استأذن
 النبي ﷺ في التخلف عن غزوة تبوك فأذن لهم، فعاتبه الله تعالى على إذنه
 لهم .

وقدَّم العفو على العتاب؛ إكراماً له ﷺ .

وقيل: إن قوله ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ ليس لذنوب ولا عتاب، ولكنه استفتاح
 كلام؛ كما تقول: أصلحك الله .

﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ كانوا قد قالوا: نستأذنه في القعود، فإن أذن لنا قعدنا، (وإن لم يأذن لنا قعدنا)^(١).

وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم؛ فحينئذ كان يقعد العاصي والمنافق، ويسافر المطيع.

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية؛ أي: لا يستأذنك في التخلف عن الغزو غير عذرٍ من يؤمن بالله واليوم الآخر.

﴿وَأَزَاتَبَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: شكَّت.

ونزلت الآية في عبد الله بن أبي بن سلول والجد بن قيس.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ الآية؛ أي: لو كانت لهم نية في الغزو لاستعدوا له قبل أوانه.

﴿أُنِيعَتْهُمْ﴾ أي: خروجهم.

﴿فَثَبَطَهُمْ﴾ أي: كسر عزيمتهم، وجعل في قلوبهم الكسل.

﴿وَقِيلَ أَفَعُدُّوا﴾ يحتمل أن يكون القائل لهم ﴿أَفَعُدُّوا﴾:

هو الله تعالى؛ وذلك عبارة عن قضائه عليهم بالقعود.

ويحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض.

﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ أي: مع النساء والصبيان وأهل الأعذار، وفي ذلك ذمٌ لهم لا اختلاطهم في القعود مع هؤلاء.

(١) سقط من ب، ج، هـ.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: شرًّا وفسادًا.

﴿وَلَا وَضَعُوا﴾ أي: أسرعوا السير، والإيضاع: سرعة السير، والمعنى: أنهم يسرعون بالفساد والنميمة.

﴿خَلَلَكُمْ﴾ أي: بينكم.

﴿يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ﴾ أي: يحاولون أن يفتنوكم.

﴿سَمِعُونَ لَهُمْ﴾ قيل: يسمعون كلامهم.

وقيل: يسمعون أخباركم وينقلونها إليهم.

﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: طلبوا الفساد، (وروي أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين)^(١).

﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي: دبروها من كل وجه، فأبطل الله سعيهم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ لما دعا النبي ﷺ إلى غزوة تبوك قال الجذ بن قيس - وكان من المنافقين - : ائذن لي في القعود ولا تفتني برؤية بنات الأصفر^(٢)؛ فإني لا أصبر عن النساء.

﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي: وقعوا في الفتنة التي فرُّوا منها.

﴿إِنْ تُصَبِّكَ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ﴾ الحسنة هنا: النصر والغنيمة وشبه ذلك.

﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ أي: قد حذرنا وتأهبنا من قبل.

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٢) في أ، ب، هـ: «بنات الأصفر».

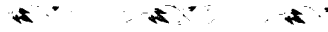
﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أي: ما قدر وقضى، وهذا ردُّ على المنافقين.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُوكُمْ إِنَّا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ أي: هل تنتظرون بنا إلا أحد أمرين: إما الظفر والنصر، وإما الموت في سبيل الله، وكل واحدة من الخصلتين حسنى.

﴿يُعَذَابُ مَنْ عِنْدَهُ﴾ المصائبُ وما ينزل من السماء، أو عذابُ الآخرة.

﴿أَوْ يَأْذِيْنَا﴾ يعني: القتل.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديدٌ.



[﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٥٦) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٥٧) فَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٥٨) وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِمَنْكُرٍ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ لَوْ يَحْذَرُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْحَدُونَ﴾ (٥٩) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (٦٠) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (٦١) إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٢)].

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ تضمن الأمر هنا معنى الشرط، فاحتاج إلى جواب.

والمعنى: لن يتقبل منكم سواء أنفقتم طوعاً أو كرهاً، والطوع والكره عموم في الإنفاق؛ أي: لن يتقبل على كل حال.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ تعليل لعدم قبول نفقاتهم بكفرهم.

ويحتمل أن يكون ﴿أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾:

فاعل ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ﴾.

أو في موضع المفعول من أجله، والفاعل الله.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾ قيل: عذابهم في الدنيا بالمصائب.

وقيل: ما ألزموا من أداء الزكاة.

﴿وَتَرَهَّقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ إخبارٌ بأنهم يموتون على الكفر.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أي: من المؤمنين.

﴿يَفَرُّونَ﴾ يخافون.

﴿لَوْ يَحْدُوثُ مَلَجًا﴾ أي: ما يلجؤون إليه من المواضع.

﴿أَوْ مَغْرَبٍ﴾ هي الغيران في الجبال.

﴿أَوْ مَدْخَلًا﴾ وزنه مُفْتَعَلٌ؛ من الدخول، ومعناه: نفقٌ أو سَرَبٌ في الأرض.

﴿يَجْمَحُونَ﴾ أي: يُسرِعُونَ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي: يعيبك على قسمتها.

والآية في المنافقين؛ كالتي قبلها وبعدها.

وقيل: هي في ذي الخويصرة الذي قال: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا﴾ الآية؛ ترغيبٌ لهم فيما هو خير لهم.

وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف؛ تقديره: لكان ذلك خيرًا لهم.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ الآية؛ ﴿إِنَّمَا﴾ هنا: تقتضي حصر

الصدقات - وهي الزكاة^(١) - في هذه الأصناف الثمانية، فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم.

(١) في ب، هـ: «الزكوات».

ومذهب مالك : أن تفريقها في هؤلاء الأصناف إلى اجتهاد الإمام ؛ فله أن يجعلها في بعضهم دون بعض .

ومذهب الشافعي : أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء .
واختلف العلماء هل الفقير أشدُّ حاجةً من المسكين أو بالعكس ؟
ف قيل : هما سواء .

وقيل : الفقير الذي يسأل ويُعلم حاله ، والمسكين ليس كذلك .

﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِ﴾ أي : الذين يقبضونها ويفرقونها .

﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ﴾ كفارٌ يعطون ترغيباً في الإسلام .

وقيل : هم مسلمون يعطون ليتمكّن إيمانهم .

واختلف هل بقي حكمهم ، أو سقط للاستغناء عنهم ؟ .

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ يعني : العبيد ؛ يُشْتَرُونَ وَيُعْتَقُونَ .

﴿وَالْغَرَمِينَ﴾ يعني : مَنْ عليه دين ، ويشترط أن يكون استدان في غير فساد ولا سرف^(١) .

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني : الجهاد ، فيعطى منها المجاهدون ويشترى منها آلات الحرب .

واختلف هل تصرف في بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل ؟ .

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ هو الغريب المحتاج .

(١) في أ ، ب : «ولا إسراف» .

﴿فَرِيضَةً﴾ أي: حقًا محدودًا، ونضُّبُهُ على المصدر.

فإن قيل: لم ذكر مصرف الزكاة في تضاعيف ذُكر المنافقين؟.

فالجواب: أنه حَصَرَ مصرف الزكاة في تلك الأصناف؛ ليقطَعَ طمع المنافقين فيها، فاتَّصَلَت هذه الآية في المعنى بقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية.



[وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١١) يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ١١٢) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَأَبَقَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ١١٣) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُّوهُ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ١١٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَلَعَبٌ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ١١٥) لَا تَعْذِرُوا فَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ١١٦)].

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ يعني : من المنافقين ، وإذايتهم له ﷺ : بالأقوال والأفعال .

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي : يسمع كل ما يقال له ويصدقه .

ويقال : إن قائل هذه المقالة هو نَبْتَل بن الحارث ، وكان من مرءة المنافقين ، وقيل : عَتَّاب بن قُشَيْر .

﴿قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي : هو يسمع الخير والحق .

﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : يصدقهم ؛ يقال : آمنت لك ؛ إذا صدقتك ؛ ولذلك تعدى هذا الفعل باللام ، وتعدى ﴿يُؤْمِنَ بِاللَّهِ﴾ بالباء .

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع ؛ عطف على ﴿أُذُنٌ خَيْرٌ﴾ .

وبالخفض ؛ عطف على ﴿خَيْرٌ﴾ .

﴿يَحْلِفُونَ﴾ يعني : المنافقين .

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ تقديره : والله أحق أن يرضوه ، ورسوله كذلك ؛ فهما جملتان حُذف الضمير من الثانية ؛ لدلالة الأولى عليها .

وقيل : إنما وحَّد الضمير لأن رضا الله ورسوله واحدٌ .

﴿مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ﴾ من يعادي ويخالف .

﴿فَأَبْ لَهُ﴾ «أَنَّ» هنا مكررة ؛ تأكيداً للأولى .

وقيل : بدل منها .

وقيل : التقدير : فواجب أن له ؛ فهي في موضع خبر مبتدأ محذوف .

﴿يَحْذَرُ الْمُتَنَفِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني : تُنْزَلُ في شأنهم سورة على النبي ﷺ ، والضمائر في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿نُنَبِّئُهُمْ﴾ و﴿قُلُوبِهِمْ﴾ تعود على المنافقين .

وقال الزمخشري : إن الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿نُنَبِّئُهُمْ﴾ للمؤمنين ، وفي ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ للمنافقين ^(١) .

والأول أظهر .

﴿قُلْ أَسْتَهْزِئُكُمْ﴾ تهديدٌ .

﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ صنع ذلك بهم في هذه السورة ؛ لأنها فضحتهم .

﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ نزلت في ودیعة بن ثابت ؛ بلغ النبي ﷺ أنه

(١) انظر : الكشف (٧/ ٢٩٢) .

قال : هذا يريد أن يفتح قصور الشام ! هيهات هيهات ! ، فسأله عن ذلك فقال : إنما كنا نخوض ونلعب .

﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾ كان منهم رجل اسمه مُحْشِن^(١) ، تاب ومات شهيداً .



(١) قال ابن هشام في السيرة (٢/ ٥٢٤) : «يُقال له : مُحْشِنُ بْنُ حُمَيْرٍ ، ويُقال : محشيٌّ» .

[﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَتِ وَالْكَفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١٨﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثُرَ أَمْوَالُهُمْ وَأُولَادُهُمْ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُنْفِقَتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٢﴾﴾].

﴿بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ نفى لأن يكونوا من المؤمنين .

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ كناية عن البخل .

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أي : غفلوا عن ذكره .

﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من رحمته وفضله .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ﴾ الأصل في الشر أن يقال : «أوعد»، وإنما يقال فيه «وعد» إذا صُرح بالشر .

﴿وَالْكَفَّارَ﴾ يعني : المجاهرين بالكفر .

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ خطابٌ للمنافقين، والكاف :
 في موضع نصبٍ ؛ والتقدير : فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم .
 أو في موضع خبر مبتدأ ؛ تقديره : أنتم كالذين من قبلكم .
 ﴿وَحُضُّمٌ﴾ أي : خلطتم ، وهو مستعارٌ من الخوض في الماء ، ولا يقال
 إلا في الباطل من الكلام .
 ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ تقديره : كالخوض الذي خاضوا .
 وقيل : كالذين خاضوا ؛ ف «الذي» هنا - على هذا - بمعنى الجمع .
 ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمُ﴾ الآية ؛ تهديدٌ لهم بما أصاب الأمم المتقدمة .
 ﴿وَالْمُؤَنَّفَكَتِ﴾ يعني : مدائن قوم لوط .
 ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي : بالمعجزات .
 ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في مقابلة قوله - في المنافقين - : ﴿بَعْضُهُمْ مِّنْ
 بَعْضٍ﴾ ، ولكنه خصَّ المؤمنين بالوصف بالولاية .
 ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ قيل : عدن : هي مدينة الجنة وأعظمها .
 وقال الزمخشري : هو اسم علم^(١) .
 ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي : رضوانٌ من الله أكبر من كلِّ ما ذُكر .
 وذلك معنى ما ذكر في الحديث : «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة :

(١) انظر : الكشاف (٧/ ٣٠٤) .

أتريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: يا ربنا أي شيء تزيّدنا؟ فيقول: رضواني
فلا أسخط عليكم أبداً»^(١).



(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

[يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمُ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾].

﴿جِهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين باللسان ما لم يظهر ما يدل على كفرهم، فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم حكم الزنديق، وقد اختلف هل يقتل أم لا؟.

﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ الغلظة ضد الرحمة والرفقة، وقد تكون بالقول والفعل وغير ذلك.

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ نزلت في الجلاس بن سويد؛ فإنه قال: إن كان ما يقول محمد حقًا فنحن شرٌّ من الحُمُر، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقرره عليه، فحلف أنه ما قاله.

﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ يعني: ما تقدّم من قول الجُلاس؛ لأن ذلك يقتضي التكذيب.

﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ لم يقل: «بعد إيمانهم»؛ لأنهم كانوا يقولون بالستهم: آمنا، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم.

﴿وَهُمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ هم الجُلاس بقتل مَنْ بَلَغَ تلك الكلمة عنه.

وقيل: هم بقتل النبي ﷺ.

وقيل: الآية نزلت في عبد الله بن أبيّ بن سلول، وكلمة الكفر التي قالها قوله: سَمَنْ كَلَبَكَ يَأْكُلُكَ، وهمُّه بما لم ينل: قوله: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي: ما عابوا إلا الغنى الذي كان حقّه أن يشكروا عليه، وذلك في الجُلاس، أو في عبد الله بن أبيّ.

﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ فتح الله لهم باب التوبة، فتاب الجُلاس وحسن حاله.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ الآية؛ نزلت في ثعلبة بن حاطب، وذلك أنه قال: يا رسول الله ادع الله أن يكثر مالي، فقال له رسول الله ﷺ: «قليلٌ تؤدي شكره خيرٌ من كثير لا تطيقه»، فأعاد عليه حتى دعا له، فكثر ماله، فتشاغل به حتى ترك الصلوات، ثم امتنع من أداء الزكاة، فنزلت فيه الآية، فجاء بركاته إلى النبي ﷺ، فأعرض عنه ولم يأخذها منه، وقال: «إن الله أمرني أن لا آخذ زكاتك»، ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان^(١).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/٥٧٨-٥٨٠).

﴿يَحْلُوا بِهِ﴾ إشارة إلى منعه الزكاة.

﴿فَأَعَقَبَهُمُ نِفَاقًا﴾ ذلك عقوبة على العصيان بما هو أشد منه.

﴿إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ﴾ حكم بوفاته على النفاق.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ نزلت في المنافقين؛ حين تصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا: ما هذا إلا رياء.

وأصل ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتطوعين، والمراد به هنا: من تصدق بكثير.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ هم الذين لا يقدرُونَ إلا على القليل فيتصدقون به.

نزلت في أبي عقيل؛ تصدق بصاع من تمر، فقال المنافقون: إن الله غني عن صدقة هذا.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخفون بهم.

﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب^(١).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: قول ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ: «تسمية للعقوبة باسم الذنب» أقول: معنى كلامه أن الله لا يسخر حقيقة بالمنافقين، بل هذا من تسمية العقوبة باسم الذنب الذي ارتكبه، وهو سخرتهم بالمؤمنين المتصدقين، وهذا معنى قول بعضهم: هذا من قبيل المشاكلة، أي اللفظية، كما قالوا مثل ذلك في المكر والاستهزاء والخداع، والصواب: أن الله يمكر حقيقة بالماكرين من الكافرين والمنافقين، ويخدع المخادعين، ويستهزئ بالمستهزئين، ومن ذلك إملاؤه تعالى للكافرين واستدراجهم، وإظهاره سبحانه قبول ما أظهره المنافقون من الإيمان، فيحسبون أنهم خدعوا الله بما أظهره من العمل، وهو تعالى محمود على ذلك؛ لأنه عدل.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ :

أحدهما : أن يكون لفظُ أمرٍ ، ومعناه الشرط ، بمعنى : إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، كما جاء في سورة «المنافقين» .

والآخر : أن يكون تخييراً ؛ كأنه قال : إن شئت فاستغفر ، وإن شئت فلا تستغفر لهم ، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم ، وهذا أرجح ؛ لقول رسول الله ﷺ : «إن الله خيرني فاخترت» ، وذلك حين قال عمر : أتصلي على عبد الله بن أبيّ وقد نهاك الله عن الصلاة عليه! ^(١) .

﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ ذَكَرَهَا عَلَى وَجْهِ التَّمَثِيلِ لِلْعَدَدِ الْكَثِيرِ .



= ومن مكر الله واستهزائه بالمنافقين يوم القيامة أنهم يكونون مع المؤمنين ، فيعطون أنواراً حتى يظنوا أنهم ناجون ، وليسوا بناجين ، كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمَ مِنْ ثَوْرِكُمْ﴾ الآيات ، ومن مكر الله بالكافرين ما ذكره في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ . والله أعلم .

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٦) ، ومسلم (٢٧٧٤) .

[فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْحَيَرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾] .

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ أي: الذين خلفهم الله عن الغزو وأقعدهم عنه، وفي هذا تحقير وذم لهم، ولذلك لم يقل: «المتخلفون».

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم.

﴿خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي: بعده حين خرج إلى تبوك، ف﴿خَلَفَ﴾ على هذا ظرف.

وقيل: هو مصدر من خالف؛ فهو على هذا مفعول من أجله.

﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ قال هذه المقالة رجل من بني سلمة ممن صعب عليه السفر إلى تبوك في الحر.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ أمرٌ بمعنى الخبر، فضحكهم القليل : في الدنيا مدة بقائهم فيها ، وبكاؤهم الكثير : في الآخرة .

وقيل : هو بمعنى الأمر ؛ أي : يجب أن يكونوا يضحكون قليلاً ويبكون كثيراً في الدنيا ؛ لما وقعوا فيه .

﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ إنما لم يقل : «إليهم» ؛ لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف .

﴿أَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ عقوبة لهم فيها خزي وتوبيخ .

﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني : في غزوة تبوك .

﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ﴾ أي : مع القاعدين ؛ وهم النساء والصبيان .

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ نزلت في شأن عبد الله بن أبي بن سلول وصلاة رسول الله ﷺ عليه حين مات .

فروي أنه صلى عليه فنزلت الآية بعد ذلك .

وروي أن رسول الله ﷺ لما تقدّم ليصلي عليه جاءه جبريل فجبذ بثوبه ، وتلا عليه : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ الآية ، فانصرف ﷺ ولم يصل عليه .

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ قيل : يعني براءة ، والأرجح أنه على الإطلاق .

﴿أَنْ ءَامِنُوا﴾ «أن» هنا مفسرة .

﴿أَسْتَعْدَنَّاكَ أَوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ أي : أولوا الغنى والمال الكثير .

﴿لَيْكِنَ الرَّسُولُ﴾ الآية؛ أي: إن تخلف هؤلاء فقد جاهد الرسول ومن

معه .

﴿الْخَيْرَاتُ﴾ تعمُّ منافع الدارين .

وقيل: هي الحور العين؛ لقوله: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] .

[وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يَنْفُقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِجَّ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَتُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرَنًا أَلَّا يَحْدُوثَ مَا يَنْفُقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِضْوَانًا يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِ وَالشَّهَادَةُ بَيْنَهُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ تَرْضَاؤَكُمْ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُرِّ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾].

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ هم : المعتذرون ؛ ثم أدغمت التاء في الذال ، ونقلت حركتها إلى العين ، واختلف هل كانوا في اعتذارهم صادقين أو كاذبين ؟ .
وقيل : هم المقصرون ؛ من عذّر في الأمر : إذا قصر فيه ولم يجد ؛ فوزنه على هذا : المفعّلون .

وروي أنها نزلت في قوم من غفار .
﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ هم قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم ؛ فكذبوا في دعواهم الإيمان .
﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ أي : من المعذرين .
﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ هذا رفعٌ للخرج عن أهل الأعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر إذا تركوا الغزو .
وقيل : إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان ، وهذا بعيد .
﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يَنْفُوثُ﴾ قيل : نزلت في بني مُقَرَّنٍ ، وهم ستة إخوة صحبوا النبي ﷺ .
وقيل : في عبد الله بن مغفل المزني .
﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ﴾ يعني : بنياتهم وأقوالهم ، وإن لم يخرجوا للغزو .
﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ وصفهم بالمحسنين ؛ لأنهم ^(١) نصحوا لله ورسوله ، ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم .
﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ قيل : هم بنو مُقَرَّنٍ .
وقيل : ابن مغفل .
وقيل : سبعة نفر من بطون شتى ؛ وهم البكَّاءون .
ومعنى ﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾ : على الإبل .

(١) في أ ، ب ، هـ : «أنهم» .

وجواب ﴿إِذَا﴾ يحتمل أن يكون: ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ﴾ أو ﴿تَوَلَّوْا﴾.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ يعني: من غزوة تبوك.

﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم.

﴿مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ نعتٌ لمحذوف هو المفعول الثاني؛ تقديره: قد نبأنا الله جملةً من أخباركم.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَفَقَاً﴾ هم أهل البوادي من العرب.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: أنهم أحقُّ أن لا يعلموا الشرائع؛ لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ أي: تثقل عليه الزكاة والنفقة في سبيل الله ثقل المغرم الذي ليس بحق عليه.

﴿وَيَتَرَبَّصُّ بَكُمْ الدَّوَائِرَ﴾ أي: ينتظر بكم مصائب الدنيا.

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ خبرٌ، أو دعاء.

﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ أي: دعواته لهم.

وهو عطفٌ على ﴿فُرِيتَ﴾؛ أي: يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله^(١) واغتنام دعاء الرسول لهم.

وقيل: نزلت في بني مكرن.

(١) في أ، ج، هـ: «إليه».

[وَالسَّاقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٥﴾ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٩﴾ وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِينَ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْشَكُّ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٠﴾ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢٢﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٢٣﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٢٥﴾].

﴿وَالسَّاقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ قيل : هم من صلى للقبلتين .

وقيل : من شهد بدرًا .

وقيل : من حضر بيعة الرضوان .

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ سائر الصحابة، ويدخل في ذلك التابعون ومن بعدهم إلى يوم القيامة؛ بشرط الإحسان.

﴿مَرَدُّوْاْ عَلَى الْنِّفَاقِ﴾ أي: اجترؤوا عليه، وقيل: أقاموا عليه.
﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ العذاب العظيم: هو عذاب النار.

وأما المَرَّتَانِ قبله:

فالثانية منهما: عذاب القبر.

والأولى: عذابهم بإقامة الحدود عليهم.

وقيل: فضيحتهم في النفاق.

﴿وَأَخْرَجُوا عَرِفْرَأً بِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية؛ قيل: إنها نزلت في أبي لبابة، فعمله الصالح: الجهاد، وعمله السيئ: نصيحته لبني قريظة.

وقيل: هي فيمن تخلف عن تبوك من المؤمنين، فعملهم الصالح: ما سبق لهم، وعملهم السيئ: تخلفهم عن تبوك، وروي أنهم ربطوا أنفسهم إلى سواري المسجد، وقالوا: لا نحُلُّ أنفسنا حتى يحلُّنا رسول الله ﷺ.

وقيل: هي عامة في الأمة إلى يوم القيامة.

قال بعضهم: ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ قيل: نزلت في المتخلفين الذين ربطوا أنفسهم؛ لما تاب الله عليهم قالوا: يا رسول الله إنا نريد أن نتصدق بأموالنا، فنزلت هذه الآية، وأخذ ثلث أموالهم.

وقيل : هي الزكاة المفروضة ؛ فالضمير على العموم لجميع المسلمين .
﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ خطاب للنبي ﷺ ، في موضع صفة لـ ﴿صَدَقَهُ﴾ .
أو حال من الضمير في ﴿خُذْ﴾ .

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي : ادعُ لهم .
﴿سَكَنُ لَهُمْ﴾ أي : تَسْكُنْ به نفوسهم ؛ فهو عبارة :
عن صحة الاعتقاد .

أو عن طُمَأْنِينَةِ نفوسهم إذ علموا أن الله تاب عليهم .
﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ الضمير في ﴿يَعْلَمُوا﴾ :
للتائبين من التخلف .

وقيل : للذين تخلفوا ولم يتوبوا .
وقيل : عام .

وفائدة الضمير المؤكِّد : تخصيص الله تعالى بقبول التوبة دون غيره .
﴿وَيَأْخُذْ الصَّدَقَاتِ﴾ قيل : معناه : يأمر بها .
وقيل : يقبلها من عباده .
﴿وَأَخْرُوجَ مُرْجَوْنَ لِلَّهِ﴾ قيل : هم الثلاثة الذين خُلِّفُوا قبل أن يتوب
الله عليهم .

وقيل : هم الذين بنَوْا مسجد الضَّرَّار .
وقرئ ﴿مُرْجَوْنَ﴾ بالهمز وتركه ، وهما لغتان ، ومعناه : التأخير .

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ قرئ ﴿الَّذِينَ﴾ بغير واو؛ صفة لقوله: ﴿وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ﴾، أو على تقدير: هم الذين، وهذه القراءة جارية على قول من قال في الـ ﴿مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾: هم أهل مسجد الضرار.

وقرئ ﴿وَالَّذِينَ﴾ بالواو؛ عطفًا على ﴿وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ﴾، وهذه القراءة جارية على قول من قال في المرجئين: إنهم الثلاثة الذين خلفوا.

﴿ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ كان بنو عمرو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء، وكان رسول الله ﷺ يأتيه ويصلي فيه، فحسدهم على ذلك قومهم بنو غنم بن عوف وبنو سالم بن عوف؛ فبنوا مسجدًا آخر مجاورًا له؛ ليقطعوا الناس عن الصلاة في مسجد قباء، وذلك هو الضرار الذي قصدوا، وسألوا من رسول الله ﷺ أن يأتيه، ويصلي لهم فيه، فنزلت عليه فيه هذه الآية.

﴿وَنَقَرِبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أرادوا أن يتفرق المؤمنون عن مسجد قباء.

﴿وَارْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: انتظارًا لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الراهب الذي سمّاه رسول الله ﷺ: الفاسق، وكان من أهل المدينة، فلما قدمها رسول الله ﷺ جاهر بالكفر والنفاق، ثم خرج إلى مكة فحزّب الأحزاب من المشركين، فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام، ليستنصر بقيصر فهلك هناك.

وكان أهل مسجد الضرار يقولون: إذا قدم أبو عامر المدينة يصلي في هذا المسجد.

والإشارة بقوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ إلى ما فعل مع الأحزاب.

﴿وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ﴾ أي: الخصلة الحسنی؛ وهي الصلاة وذكر الله، فأكذبهم الله في ذلك.

﴿لَا نَقُفُّ فِيهِ أَبَدًا﴾ نهى عن إتيانه والصلاة فيه، فكان رسول الله ﷺ لا يمرُّ بطريقه.

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ قيل: هو مسجد قباء.

وقيل: مسجد النبي ﷺ بالمدينة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ^(١).

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ كانوا يستنجون بالماء، ونزلت في الأنصار على قول من قال: إن المسجد الذي أُسِّس على التقوى هو مسجد المدينة.

ونزلت في بني عمرو بن عوف خاصة على قول من قال: إنه مسجد قباء.

﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَنُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَنُهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ الآية؛ استفهام بمعنى التقرير.

والذي أُسِّس على التقوى والرضوان: مسجد المدينة أو مسجد قباء، والذي أُسِّس على شفا جرف هار: هو مسجد الضرار.

وتأسيس البناء على التقوى والرضوان: هو بحسن النية فيه، وقصد وجه الله، وإظهار شرعه.

والتأسيس على شفا جرف هار: هو بفساد النية، وقصد الرياء، والتفريق بين المؤمنين؛ فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البديع.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/٦٨٣).

ومعنى ﴿شَفَا جُرْفٍ﴾ : طَرَفَهُ .

ومعنى ﴿هَارٍ﴾ : ساقِطٌ ، أو واهٍ ؛ بحيث أَشْفَى على السقوط ، وأصل «هَارٍ» : هَائِرٌ ؛ فهو من المقلوب ؛ لأن لامه جعلت في موضع العين .

﴿فَأَنهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي : طاح في جهنم ، وهذا ترشيحٌ للمجاز ؛ فإنه لما شُبِّهَ بالجرف وُصِفَ بالانهيار ؛ الذي هو من شأن الجرف .

وقيل : إن ذلك حقيقة ، وأنه سقط في نار جهنم وخرج الدخان من موضعه .

والصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بهدمه فهُدمَ .

﴿لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ أَلَّذِي بَنَوْا رَبِيَّةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي : لا يزال في قلوب أهل مسجد الضرار ريبَةٌ من بنيانه ؛ أي :

شكٌ في الإسلام بسبب بنيانه ؛ لا اعتقادهم صواب فعلهم .
أو غيظٌ بسبب هدمه .

﴿إِلَّا أَنْ تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي : إِلَّا أَنْ يَمُوتُوا .



[إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٧١﴾] التَّائِبُونَ الْعَمِدُونَ الْحَمْدُونَ السَّابِقُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْخَافِضُونَ لِحُكْمِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٧٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمُ مَا يَتَّخِذُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ بِهِمْ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٨﴾].

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ قيل: إنها نزلت في بيعة العقبة.

وحكمها عام في كل مؤمن مجاهد في سبيل الله إلى يوم القيامة.

قال بعضهم: ما أكرم الله!؛ فإن أنفسنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبها لنا، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالي، فإنها لصفة رابحة!

﴿يُقْنِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جملة في موضع الحال؛ بياناً للشراء.

﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِنَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ قال بعضهم: ناهيك من بيع البائع فيه ربُّ العلى، والثلث جنة المأوى، والواسطة محمد المصطفى ﷺ.

﴿الَّتَابِعُونَ﴾ وما بعده: أوصاف المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم؛ تقديره: هم التائبون.

﴿السَّائِحُونَ﴾ قيل: معناه الصائمون.

ويقال: ساح في الأرض: أي: ذهب.

﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ نزلت في شأن أبي طالب؛ فإنه لما امتنع أن يقول: «لا إله إلا الله» عند موته؛ قال له رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنه عنك»، فكان يستغفر حتى نزلت هذه الآية^(١).

وقيل: إن النبي ﷺ استأذن ربه أن يستغفر لأُمَّه؛ فنزلت الآية.

وقيل: إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لأبائهم المشركين؛ فنزلت.

﴿وَمَا كَانَتْ آسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾ المعنى: لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم لأبيه؛ فإن ذلك لم يكن إلا لوعده^(٢) تقدّم، وهو قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٧].

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

(٢) في أ، ب، هـ: «وعد».

﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ قيل : تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر.

وقيل : بأنه نُهي عن الاستغفار.

﴿لَاؤُهُ﴾ قيل : كثير الدعاء، وقيل : مُوقِنٌ، وقيل : فقيه، وقيل : كثير الذكر لله، وقيل : كثير التأوه من خوف الله.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ الآية ؛ نزلت في قوم من المسلمين ؛ استغفروا للمشركين من غير إذن، فخافوا على أنفسهم من ذلك، فنزلت الآية ؛ تأنيساً لهم ؛ أي : ما كان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبين لكم المنع من ذلك.

﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ يعني : حين محاولة غزوة تبوك.

والساعة هنا : بمعنى الحين والوقت، وإن كان مدةً.

و﴿الْعُسْرَةِ﴾ : الشدة وضيق الحال.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني : تزيغ :

عن الثبات على الإيمان.

أو عن الخروج في تلك الغزوة ؛ لِمَا رَأَوْا من الضيق والمشقة.

وفي ﴿كَادَ﴾ :

ضمير الأمر والشأن.

أو ترتفع بها القلوب.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: على هذا الفريق؛ أي: رجع بهم عما كادوا يفعلون فيه.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة ابن الربيع، تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولا قصدٍ للمخالفة، فلما رجع رسول الله ﷺ عتب عليهم، وأمر أن لا يكلمهم أحد، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم، فبقوا على ذلك مدةً إلى أن أنزل الله توبتهم، وقد وقع حديثهم في البخاري ومسلم^(١) والسير.

ومعنى ﴿خُلِفُوا﴾ هنا: عن الغزوة.

وقال كعب بن مالك: معناه: خُلفوا عن قبول العذر، وليس بالتخلف عن الغزو، ويقوي ذلك: كونه جعل ﴿إِذَا ضَاقَتْ﴾ غايةً للتخلف.

﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾ عبارة عما أصابهم من الغم والخوف من الله.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ أي: رجع بهم ليستقيموا على التوبة.

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

[يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ءَ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾].

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾: يحتمل أن يريد: صدق اللسان؛ إذ كان هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب، فنفعهم الله بذلك.

ويحتمل أن يريد: أعم من صدق اللسان، وهو الصدق في الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم.

والمراد بـ ﴿الصَّادِقِينَ﴾: المهاجرون؛ لقول الله في «الحشر»: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجْرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمْ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، وقد احتج بها أبو بكر الصديق على الأنصار يوم السقيفة، فقال: نحن الصادقون، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا؛ أي: تابعين لنا^(١).

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ الآية؛ عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب.

(١) أخرجه الواقدي في كتاب الردة (ص: ٣٦).

﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: لا يمتنعوا من اقتحام المشقات التي تحملها هو ﷺ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ تعليل لما يجب من عدم التخلف.

﴿ظَمًا﴾ أي: عطش.

﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب.

﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي: جوع.

﴿وَلَا يَظْثُوثُ﴾ بأرجلهم أو بدوابهم.

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا﴾ عموم في كل ما يصيب الكفار.

﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً﴾ ابن عباس: هذه الآية في البعوث إلى الغزو والسرايا؛ أي: لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله ﷺ بنفسه، ولذلك عاتبهم في الآية المتقدمة على التخلف عنه، فالآية الأولى: في الخروج معه ﷺ، وهذه: في السرايا التي كان يبعثها.

وقيل: هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع؛ فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين.

وقيل: هي في طلب العلم؛ ومعناها: أنه لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع، بل على البعض؛ لأنه فرض كفاية.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ تحضيض على نفير بعض المؤمنين للجهاد، أو لطلب العلم.

﴿لِسَفَقَهُوْا فِي الدِّينِ﴾ إن قلنا : إن الآية في الخروج إلى طلب العلم ؛ فالضمير في ﴿يَتَفَقَّهُوْا﴾ للفرقة التي (تنفر - أي : ترحل - ، وكذلك الضمير في ﴿يُنْذِرُوْا﴾ وفي ﴿رَجِعُوْا﴾ ؛ أي : يُعَلِّمون قومهم إذا رجعوا إليهم من الرحلة .

وإن قلنا : إن الآية في السرايا ؛ فالضمير في ﴿يَتَفَقَّهُوْا﴾ للفرقة التي ^(١) تقعد في المدينة ولا تخرج مع السرايا ، وكذلك الضمير في ﴿يُنْذِرُوْا﴾ ، وأما الضمير في ﴿رَجِعُوْا﴾ فهو للفرقة التي خرجت مع السرايا .

وقيل : إن التفقه يكون في حين خروجهم مع السرايا ؛ فعلى هذا تكون الضمائر كلها للفرقة التي خرجت مع السرايا .

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الضمير للقوم .

(١) سقط من أ ، ب ، ج ، هـ .

[يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَتَلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ
هَذِهِ ءِيمَنًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ ءِيمَنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ
﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ
انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ
﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾].

﴿قَتَلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أمرٌ بقتال الأقرب فالأقرب على
تدريج .

وقيل : إنها إشارة إلى قتال الروم بالشام ؛ لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى
أرض العرب ، وكانت أرض العرب قد عمها الإسلام ، وكانت العراق حينئذ
بعيدة .

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَنًا﴾ أي : من
المنافقين من يقول بعضهم لبعض : أيكم زادته هذه إيماناً؟ على وجه
الاستخفاف بالقرآن ؛ كأنهم يقولون : أيُّ عَجَبٍ في هذا؟ وأي دليل في هذا؟ .
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ ءِيمَنًا﴾ وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين
والأدلة عند نزول كل سورة .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ المرض :
عبارة عن الشك والنفاق .

ومعنى : ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ زادتهم كفرًا ونفاقًا إلى كفرهم
ونفاقهم .

﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾ قيل : ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي : يختبرون بالأمراض
والجوع .

وقيل : بالأمر بالجهاد .

واختار ابن عطية أن يكون المعنى : يفضحون بما يُكشَف من سرائرهم^(١) .
﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي : تغامزوا ، وأشار بعضهم إلى بعض ؛ على
وجه الاستخفاف بالقرآن ، ثم قال بعضهم لبعض : ﴿هَلْ يَرِنُكُمْ مِنْ
أَحَدٍ﴾ فيُنقل عنكم هذا الاستخفاف ؟ ، فقولهم : ﴿هَلْ يَرِنُكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾
كان بسبب خوفهم أن يُنقل عنهم ذلك .

وقيل : معنى ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ : على وجه التعجب مما ينزل في
القرآن ؛ من كشف أسرارهم ، ثم قال بعضهم لبعض : ﴿هَلْ يَرِنُكُمْ مِنْ
أَحَدٍ﴾ ؛ أي : هل رأى أحدٌ أحوالكم فنقلها عنكم ؟ أو علّمت من غير نقل ؟
فهذا أيضًا على وجه التعجب .

﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ يحتمل أن يريد :

الانصراف بالأبدان .

(١) انظر : المحرر الوجيز (٤/ ٤٣٩) .

أو الانصراف بالقلوب عن الهدى .

﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ دعاءً ، أو خبرٌ .

﴿يَأْنَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ تعليلٌ لصرف قلوبهم .

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني : النبي ﷺ ، والخطاب :

للعرب .

أو لقريش خاصة ؛ أي : من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقته وأمانته .

أو لبني آدم كلهم ؛ أي : من جنسكم .

وقرى : «مِنْ أَنفُسِكُمْ» بفتح الفاء ؛ أي : مِنْ أَشْرَفِكُمْ .

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي : يشقُّ عليه عنتُكم ، والعنت : هو ما يضرهم

في دينهم أو دنياهم .

و﴿عَزِيزٌ﴾ صفة للرسول ، و﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ فاعلٌ بـ﴿عَزِيزٌ﴾ ، و«ما» مصدرية .

أو ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ مصدر ، و﴿عَزِيزٌ﴾ خبر مقدَّم ، والجملة في موضع الصفة .

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي : حريص على إيمانكم وسعادتكم .

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سماه الله هنا باسمين من أسمائه .

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي : إن أعرضوا عن الإيمان بك فاستعن

بالله وتوكل عليه .

وقيل : إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة .

﴿سورة يونس﴾

[الرَّيَّةُ الْكَنْبِ الْحَكِيمِ ① أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ② قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ③ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ④ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ⑤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ⑥ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنِ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ⑦ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ⑧ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ⑨ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ⑩ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ⑪ دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْمُكَ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجَ دَعْوَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ⑫].

﴿الرَّ﴾ تكلّمنا في أول «البقرة» على حروف الهجاء التي في أوائل

السور^(١).

(١) انظر: ٢٦١/١.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ إشارة إلى ما تَضَمَّنَتْهُ السورة من الآيات،
و﴿الْكِتَابِ﴾ هنا : القرآن .

﴿الْحَكِيمِ﴾ من :

الحكمة .

أو من الحكم .

أو من الإحكام للأمر ؛ أي : أَحْكَمَهُ الله .

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ الهمزة للإنكار ،
و﴿عَجَبًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ ، و﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ اسمها ، و﴿أَنْ أَنْذِرِ﴾ تفسيرٌ
للولحي .

والمراد بالناس هنا : كفار قريش وغيرهم ، والرجل هنا : رسول الله ﷺ .

ومعنى الآية : الردُّ على من استبعدَ النبوة أو تعجَّبَ مِنْ أَنْ يبعثَ الله
رجلاً .

﴿قَدَّمَ صِدْقٍ﴾ أي : عملٌ صالحٌ قدَّموه .

وقال ابن عباس : السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ .

﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّكَ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يعنون : ما جاء به من القرآن .

وقرئ ﴿لَسِحْرٌ﴾ ؛ يعنون به : النبي ﷺ .

ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُمْ هَذَا :

تفسيرًا لما ذُكِرَ قَبْلُ مِنْ تعجبهم من النبوة .

أو يكون خبرًا مستأنفًا .

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ تعريفٌ بالله وصفاته ؛ ليعبدوه ولا يشركوا به ، وفيه ردٌّ على من أنكر النبوة ؛ كأنه يقول : إنما أدعوكم إلى عبادة ربكم الذي خلق السموات والأرض ، فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين؟! .

﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ أي : لا يشفع إليه أحدٌ إلا بعد أن يأذن له في الشفاعة ، وفي هذا ردٌّ على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم .
﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ نصبُ ﴿وَعَدَ﴾ على المصدر المؤكَّد للرجوع إلى الله ، ونصبُ ﴿حَقًّا﴾ على المصدر المؤكَّد لوعده الله .

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي : يبدؤه في الدنيا ويعيده في الآخرة ، والبدأة دليلٌ على العودة .

﴿لِيَجْزِيَ﴾ تعليلٌ للعودة ؛ وهي البعث ^(١) .

﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي : بعدله في جزائهم .

أو : بقسطهم في أعمالهم الصالحة .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ وصفُ أفعال الله وقدرته وحكمته .

والضياء أعظم من النور .

﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ الضمير للقمر ، والمعنى : قدر سيره في منازل .

(١) في أ، ب، ج، هـ : «البعثة» .

﴿وَالْحِسَابُ﴾ يعني : حساب الأوقات ؛ من الأشهر والأيام والليالي .
 ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي : ما خلقه عبثاً ، والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾
 إلى ما تقدّم من المخلوقات .

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ قيل : معنى ﴿يَرْجُونَ﴾ هنا : يخافون .

وقيل : لا يرجون حسن لقائنا ؛ فالرجاء على أصله .

وقيل : ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ : لا يتوقعونه أصلاً ، ولا يخطر ببالهم .

﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي : قنعوا أن تكون حظّهم ونصيبهم .

﴿وَأَطْمَأْنَوْا فِيهَا﴾ أي : سكنت نفوسهم عن ذكر الانتقال عنها .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ يحتمل :

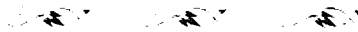
أن تكون هي الفرقة الأولى ؛ فيكون من عطف الصفات .

أو تكون غيرها .

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ أي : يسدّدهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة .

أو يهديهم في الآخرة إلى طريق الجنة ، وهو أرجح ؛ لما بعده .

﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا﴾ أي : دعاؤهم .



[﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِشُرَاءِنَا غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي بِنَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُشْرِكُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾].

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ أي :

لو يعجل الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعاً .

ونزلت الآية - عند قوم - : في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده .

وقيل : نزلت في الذين قالوا : ﴿إِنْ كَانَتْ هَذِهِ أَلْفًا مِنْ عِنْدِكَ فَأَمِطْ

عَلَيْنَا حِجَارَةٌ مِّنَ السَّمَاءِ ﴿٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ عتابٌ في ضمنه نهْيٌ لمن يدعو الله عند الضر، ويغفل عنه عند العافية.

﴿لَجْنِيهِ﴾ أي: مضطجعاً، وروي أنها نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة؛ لمرضٍ كان به.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ إخبارٌ في ضمنه وعيدٌ للكفار.

﴿لِنَنْظُرَ﴾ معناه: ليظهر في الوجود؛ فتقوم عليكم الحجة.

﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ﴾ يعني: على قریش.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ما تلوته إلا بمشيئة الله؛ لأنه من عنده وما هو من عندي.

﴿وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ﴾ أي: ولا أعلمكم به.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: بقيت بينكم أربعين سنة قبل البعث ما تكلمت في هذا حتى جاءني من عند الله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ تنصّل من الافتراء على الله، وبيان لبراءته ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب.

أو^(١) إشارة إلى كذبهم على الله في نسبة الشركاء له.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بيان لظلمهم في تكذيب رسول الله ﷺ.

(١) في د: «و».

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ الضمير في ﴿يَعْبُدُونَ﴾ لكفار العرب، و﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾: هي الأصنام.

﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم. ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ ردُّ عليهم في قولهم بشفاعة الأصنام، والمعنى: أن شفاعة الأصنام ليست بمعلومة لله الذي هو عالم بما في السموات والأرض، وكل ما ليس بمعلوم لله فهو عدَمٌ محضٌ، ليس بشيء؛ فقوله: ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾ تقرير لهم على وجه التوبيخ والتهكُّم؛ أي: كيف تعلمون الله بما لا يعلم؟.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ تقدَّم في «البقرة»^(١) في قوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣].

﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني: القضاء.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ كانوا يطلبون آية من الآيات التي اقترحوا، ولقد نزلت عليه آيات عظامٌ فما اعتدُّوا بها؛ لعنادهم وشدة ضلالهم.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، لا يطلع على ذلك أحد.

﴿فَانْتَظِرُوا﴾ أي: انتظروا نزول ما اقترحموه.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ أي: منتظرٌ لعقابكم على كفركم.

[وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكَ فِي الْبَرْ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكَ وَجَرَيْنَ بَيْنَ بَرِيحٍ طَبَقَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَيْنَ أَنْجَيْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجْلَحْتُمْ إِذَا هُمْ يَبْعَثُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ بِآيَاتِهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغِيكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمْ أَتَمَّهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قُرٌّ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَفْلَةٍ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَوْنَ كُلَّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفْتُمْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٠﴾].

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ﴾ هذه الآية في الكفار، وتتضمن النهي لمن كان كذلك من غيرهم، والمكر هنا: الطعن في آيات الله وترك شكره، ومكر الله الموصوف بالسرعة: هو عقابه لهم، سماه مكرًا؛ مشاكلةً لفعالهم

وتسمية للعقوبة باسم الذنب^(١).

﴿وَجَرَيْنَ بِهِمُ﴾ الضمير المؤنث في ﴿وَجَرَيْنَ﴾ للفلك، والضمير في ﴿بِهِمُ﴾ للناس، وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة، وهو الذي يسمى الالتفات.

وجواب ﴿إِذَا كُنْتُمْ﴾ قوله: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾.

وقوله: ﴿دَعُوا اللَّهَ﴾: قال الزمخشري: هو بدلٌ من ﴿وَطَنُوا﴾^(٢).

ومعناه: دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه.

﴿مَتَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ رفع على أنه:

خبر ابتداء مضمرة؛ تقديره: وذلك متاع.

أو يكون خبر ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾.

ويختلف الوقف باختلاف الإعراب.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ معنى الآية: تحقيرٌ للعالم

وبيان سرعة فنائها؛ فشبهها بالمطر الذي يخرج به النبات، ثم تصيب ذلك النبات آفة عند حسنه وكماله.

﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ كالزروع والفواكه.

﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ يعني: المرعى التي ترعاه من العشب وغيرها.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ٥٤٥/١، وصفيحة ٥١٢ من هذا الجزء.

(٢) انظر: الكشف (٤٥٨/٧).

﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ تمثيل بالعُروس إذا تزينت بالثياب والحلي .
 ﴿فَنَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي : متمكنون من الانتفاع بها .
 ﴿أَتْنَهَا أَمْرُنَا﴾ أي : بعض الجوائح ؛ كالريح ، والصَّرع ، وغير ذلك .
 ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي : جعلنا زرعها كالذي حُصِد وإن كان لم يُحصَد .
 ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنِ﴾ كأن لم تنعم .
 ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ أي : إلى الجنة ، وسميت دار السلام ؛ أي :
 دار السلامة من العناء والتعب .
 وقيل : السلام هنا : اسم الله ؛ أي : يدعو إلى داره .
 ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ذكر الدعوة إلى الجنة عامة مطلقة ، والهداية خاصة
 بمن يشاء .
 ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الحسنَى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى
 وجه الله .
 وقيل : الحسنَى : جزاء الحسنة بعشر أمثالها ، والزيادة : التضعيف فوق
 ذلك إلى سبع مئة .
 والأول أصح ؛ لوروده في الحديث^(١) ، وكثرة القائلين به .
 ﴿فَقَرَّ﴾ أي : غبار يغيّر الوجه .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/١٦١) .

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ مبتدأ :

على حذف مضاف ؛ تقديره : جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها .

أو على تقدير : لهم جزاء سيئة بمثلها .

أو معطوف على الذين أحسنوا ؛ ويكون : ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ﴾ مبتدأ ، وخبره ﴿بِمِثْلِهَا﴾ .

﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾ أي : لا يعصمهم أحد من عذاب الله .

﴿قِطْعًا مِنْ أَيْلٍ مُظْلِمًا﴾ من قرأ بفتح الطاء : فهو جمع قطعة ، وإعراب ﴿مُظْلِمًا﴾ على هذه القراءة : حال من ﴿أَيْلٍ﴾ .

ومن قرأ ﴿قِطْعًا﴾ بإسكان الطاء : فـ ﴿مُظْلِمًا﴾ : صفة له ، أو حال من ﴿أَيْلٍ﴾ .

﴿مَكَانَكُمْ﴾ تقديره : الزموا مكانكم ؛ أي : لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم .

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي : فرّقنا .

﴿بَلَّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ أي : تختبر ما قدّمت من الأعمال .

وقرى ﴿تَتْلُوا﴾ بتاءين ؛ بمعنى : تتبع ، أو تقرأ في الصحف .

[﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِيَ لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَالْكَوْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾].

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ الآية؛ احتجاجاً على الكفار بحجج كثيرة واضحة، لا محيص لهم عن الإقرار بها.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾ مذكور في «آل عمران»^(١).

﴿رَبُّكُمْ الْحَقُّ﴾ أي: الثابت الربوبية، بخلاف ما يعبدون من دونه.

﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ أي: عبادة غير الله ضلالٌ بعد وضوح الحق.

وتدل الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات؛ إذ الحق فيها في طرف واحد، بخلاف مسائل الفروع.

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ المعنى : كما حق الحق في الاعتقادات كذلك حقت كلمات ربك على الذين عتوا وتمردوا في كفرهم أنهم لا يؤمنون .

والكلمة يراد بها : القدر والقضاء .

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الآية ؛ احتجاج على الكفار .

فإن قيل : كيف يُحتج عليهم بإعادة الخلق ، وهم لا يعترفون بها؟ .

فالجواب : أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرُونَ على الابتداء ولا على الإعادة ؛ ففي ذلك إبطال لربوبيتهم ، وأيضاً فوضعت الإعادة هنا موضع المتفق عليه ؛ لظهور برهانها .

﴿أَمْنَ لَا يَهْدِي﴾ بتشديد الدال ؛ معناه : لا يهتدي في نفسه ، فكيف يهدي غيره؟ .

وقرئ بالتخفيف ؛ بمعنى : يهدي غيره .

والقراءة الأولى أبلغ في الاحتجاج .

﴿فَمَا لَكُمْ﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية معناها تقرير وتوبيخ ، و﴿لَكُمْ﴾ خبرها ، ويوقف عليه .

﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي : تحكمون بالباطل في عبادتكم لغير الله .

﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي : غير تحقيق ؛ لأنه لا يستند إلى برهان .

﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ ذلك في الاعتقادات ؛ إذ المطلوب فيها

اليقين ، بخلاف الفروع .

﴿تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مذكور في «البقرة»^(١).

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ «أم» هنا بمعنى: «بل» والهمزة.

﴿فَأَنذَرُوا بِسُورَةِ﴾ تعجيز لهم، وإقامة حجة عليهم.

﴿مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ﴾ يعني: من شركائكم وغيرهم من الجن والإنس.

﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غير الله.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي: سارَعوا إلى التكذيب بما لم يفهموه ولم يعلموا تفسيره.

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي: عِلْمُ تأويله.

أو يعني بتأويله: الوعيد الذي لهم فيه.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ الآية؛ فيها قولان:

أحدهما: إخبارٌ بما يكون منهم في المستقبل، وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى على الكفر.

والآخر: أنها إخبارٌ عن حالهم؛ أن منهم من هو مؤمن به ويكتم إيمانه، ومنهم من هو مكذب.

[وَأَن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّمَا تَرِيكَ بَعْضَ الَّذِينَ نَعَدْتُمْ أَوْ نَوَفَيْتَكَ فَإِنَّمَا مَرَجَعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن آتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتَعْرِ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَا لَكُنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْثِقُونَكَ أَحقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾].

﴿فَقُلْ لِي عَمَلِي﴾ الآية موادة، منسوخة بالقتال.

﴿مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يستمعون القرآن، وجمع الضمير بالحمل على

معنى «مَن».

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ﴾ المعنى: أتريد أن تسمع الصم؟ وذلك لا يكون؛ لا سيما إذا انضاف إلى الصَّمم عدم العقل.

﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ المعنى: أتريد أن تهدي العمي؟ وذلك لا يكون؛ لا سيما إذا انضاف إلى عمى ^(١) البصر عمى البصيرة.

(١) في أ: «عدم».

وَالصَّمَمَ وَالْعَمَى : عبارة عن قلة فهمهم .

﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً﴾ تقليلٌ لمدة بقائهم في الدنيا ، أو في القبور .

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني : يومَ الحشر ؛ فهو - على هذا - حال من الضمير في ﴿يَلْبَثُوا﴾ .

﴿وَأَمَّا نُزُيِّنَاكَ﴾ شرط ، جوابه : ﴿فَالْيَنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾ ، والمعنى : إن أريناك بعض عذابهم في الدنيا فذلك ، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا مرجعهم .

﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ ذكرت «ثم» لترتيب الإخبار ، لا لترتيب الأمر . قاله ابن عطية^(١) .

وقال الزمخشري : ذُكرت الشهادة والمراد مقتضاها ؛ وهو العقاب^(٢) .
فالترتيب على هذا صحيح .

﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ قيل : مجيئه في الآخرة للفضل .

وقيل : مجيئه في الدنيا ؛ وهو بعثه .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ كلامٌ فيه استبعاد واستخفاف .

﴿يَبْتَئُونَ أَيَّ﴾ بالليل .

﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ المعنى : أي شيء تستعجلون من العذاب وهو ما لا طاقة لكم به ! .

(١) انظر : المحرر الوجيز (٤/٤٨٨) .

(٢) انظر : الكشاف (٧/٤٩٨) .

وقوله: ﴿مَاذَا﴾ جواب ﴿إِنْ أَتَنكُمْ﴾، والجملة متعلقة بـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾.
 ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُكُمْ بِهِ﴾ دخلت همزة التقرير على «ثم» العاطفة،
 والمعنى: إذا وقع العذاب وعايتموه آمنتم به الآن؟!، وذلك لا ينفعكم؛
 لأنكم كنتم تستعجلون به مكذبين به.

﴿يَسْتَدِينُوكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ أي: يسألونك هل الوعيد حق؟.

أو: هل الشرع والدين حق؟.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾؛ أي: لا تقوتون من
 الوعيد.

﴿قُلْ إِي﴾ أي: نعم.



[﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ ءَلِلَّهِ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظُنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾].

﴿ظَلَمَتْ﴾ صفة لـ ﴿نَفْسٍ﴾؛ أي: لو ملك الظالم الدنيا لافتدى بها من عذاب الآخرة.

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم، وقيل: أظهروها.

﴿مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن.

﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: يشفي ما فيها من الجهل والشك.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ يتعلّق ﴿بِفَضْلِ﴾ بقوله: ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾، وكرّر الفاء في قوله: ﴿فَبِذَلِكَ﴾ تأكيداً، والمعنى: الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لا بغيرهما.

والفضل والرحمة: عموم.

وقد قيل: الفضل: الإسلام، والرحمة: القرآن.

﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ الآية؛ مخاطبة لكفار العرب الذي حرّموا البحيرة والسائبة وغير ذلك .

﴿قُلْ ءَإِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ ، وكرّر ﴿قُلْ﴾ للتأكيد، ولما قسّم الأمر إلى إذن الله لهم وافترائهم ثبت افتراؤهم؛ لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم في ذلك .

﴿وَمَا ظَنُّ﴾ وعيد للذين يفترون .

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ظرف منصوب بالظن، والمعنى: أي شيء يظنون أن يفعل بهم في ذلك اليوم؟! .



[وَمَا نَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾ وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَسْتَعِجِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْتَعِجُوا إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أْتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٠﴾].

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ الشأن: الأمر، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد: هو وجميع الخلق؛ ولذلك قال في آخرها: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ بمخاطبة الجماعة.

ومعنى الآية: إحاطة علم الله بكل شيء.

﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدم ذكره؛
للدلالة ما بعده عليه؛ كأنه قال: ما تتلو شيئاً من القرآن.

وقيل : يعود على الشأن.

والأول أرجح؛ لأن الإضمار قبل الذكر تفخيمٌ للشيء.

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يقال: أفاض الرجل في الأمر: إذا أخذ فيه بجِدٍّ.

﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ ما يغيب.

﴿مُنْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزنها، والذرة: صغار النمل.

قال الزمخشري: إن قلت: لم قُدِّمت الأرض على السماء بخلاف سورة «سبأ»؟

فالجواب: أن السماء قُدِّمت في «سبأ»؛ لأن حَقَّها التقديم، وقُدِّمت الأرض هنا؛ لَمَّا ذُكرت الشهادة على أهل الأرض^(١).

﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ من قرأهما بالفتح: فهو عطفٌ على لفظ ﴿مُنْقَالِ﴾.

ومن قرأهما بالرفع: عطفه على موضعه، أو رفع بالابتداء.

﴿أُولِيَاءَ اللَّهِ﴾ اختلف الناس في معنى الولي اختلافاً كثيراً، والحقُّ فيه ما فسَّره الله بعد هذا بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي.

وإعراب ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾:

صفةٌ للأولياء.

أو منصوبٌ على التخصيص.

(١) انظر: الكشاف (٥١٩/٧).

أو رفع بإضمار: هم الذين .

ولا يكون ابتداءً مستأنفاً ؛ لئلا ينقطع مما قبله .

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أما بشرى الآخرة : فهي الجنة اتفاقاً .

وأما بشرى الدنيا : فهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ، روي ذلك عن رسول الله ﷺ (١) .

وقيل : محبة الناس للرجل الصالح .

وقيل : ما بشر به في القرآن من الثواب .

﴿لَا بُدَّيْلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي : لا تغيير لأقواله ولا خُلف لمواعده .

وقد استدلل بها ابن عمر على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدله .

﴿وَلَا يُخْزِنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ يعني : ما يقوله الكفار من التكذيب .

﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ إخبار في ضمنه وعد للنبي ﷺ بالنصر ، وتسليّة له .

﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾

فيها وجهان :

أحدهما : أن تكون ﴿مَا﴾ نافيةً ، وأوجب بقوله : ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ ، وكرّر

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ تأكيداً ، والمعنى : ما يتبع الكفار إلا الظن .

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩) .

والوجه الثاني : أن تكون ﴿مَا﴾ استفهامية ، ويتم الكلام عند قوله : ﴿شُرَكَاءَ﴾ ، والمعنى : أي شيء يتبعون؟ على وجه التحقير لما يتبعونه ، ثم ابتداء الإخبار بقوله : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ .

والعامل في ﴿شُرَكَاءَ﴾ على الوجهين : ﴿يَدْعُونَ﴾ .

﴿لَسْكَنُوا فِيهِ﴾ من السكون ؛ وهو ضد الحركة .

﴿وَالنَّهَارُ مُبْصِرٌ﴾ أي : مُضيئاً تبصرون فيه الأشياء .

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ الضمير : للنصارى ، ولمن قال : إن الملائكة

بنات الله .

﴿هُوَ الْعَلِيُّ﴾ وصفٌ يقتضي نفى الولد ، والرد على من نسب له ؛ لأن الغني

المطلق لا يفتقر إلى اتخاذ ولد .

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بيان وتأكيد للغني ، وباقي الآية توبيخ

للكفار ووعيد لهم .

﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ تقديره : لهم متاع في الدنيا .



[﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَبْقَوْمُ إِن كَانِ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِشَايَةِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧٦﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِشَايِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَكِّرِينَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٩﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِشَايِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مِّمَّنْ ﴿٨١﴾ قَالَ مُوسَى أَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَزَماً وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَتَكُونُ لَكُمْ أَلِكِرْيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٧﴾].

﴿نُوحٍ﴾ روي أن اسمه عبد الغفار، وإنما سمي نوحًا؛ لكثرة تَوَجُّه على نفسه من خوف الله.

﴿كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: صعب وشق.

﴿مَقَامِي﴾ أي: قيامي لوعظكم والكلام معكم.

وقيل: معناه: مكاني؛ يعني: نفسه، كقولك: فعلت ذلك لمكان فلان.

﴿فَأَجْمِعُوا﴾ بقطع الهمزة؛ مِنْ أَجْمَعَ الْأَمْرَ: إذا عَزَمَ عليه.

وقرئ بآلف وصل؛ من الجمع.

﴿وَشُرَّاءَكُمْ﴾ أي: ما تعبدون من دون الله .

وإعرابه :

مفعول معه .

أو مفعول بفعل مضمر تقديره: ادعوا .

وهذا على القراءة بقطع الهمزة .

وأما على الوصل: فهو معطوف .

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَنْزَرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّةٌ﴾ أي: لا يكون قُصْدُكُمْ إلى إهلاكِ مستورًا ولكن مكشوفًا تجاهروني به ، وهو من قولك: غَمَّ الهلال: إذا لم يظهر .

والمراد بقوله: ﴿أَمَرُكُمْ﴾ في الموضعين: إهلاككم لنوح ﷺ؛ أي: لا تقصروا في إهلاكِ إن قدّرتُم على ذلك .

﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي: انفذوا فيما تريدون .

ومعنى الآية: أن نوحًا ﷺ قال لقومه: إن صعب عليكم دعائي لكم إلى الله فاصنعوا بي غاية ما تريدون؛ فإني لا أبالي بكم؛ لتوكلني على الله وثقتي به سبحانه .

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقَافَ﴾ أي: يخلفون من هلك بالغرق .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ يعني: هودًا وصالحًا وإبراهيم وغيرهم .

﴿أَسْحَرُ هَذَا﴾ قيل: إنه معمول ﴿أَقُولُونَ﴾؛ فهو من كلام قوم فرعون، وهذا ضعيف؛ لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر؛ لقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾، فكيف يستفهمون عنه؟ .

وقيل : إنه من كلام موسى تقريراً وتوبيخاً لهم ، فيوقف على قوله : ﴿ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ﴾ ، ويكون معمول ﴿ أَتَقُولُونَ ﴾ محذوفاً ؛ تقديره : أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر ، ويدلُّ على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ ، فلما تمَّ الكلام ابتداءً موسى يوبخهم ^(١) بقوله : ﴿ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ ، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير رحمه الله .

﴿ لَتَلْفِنَا ﴾ أي : لتصرفنا وتردنا عن دين آبائنا .

﴿ وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِرْبَاءَ ﴾ أي : الملك ، والخطاب لموسى وأخيه عليه السلام .

﴿ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ ﴾ ﴿ مَا ﴾ موصولة مرفوعة بالابتداء ، و﴿ السَّحْرُ ﴾ الخبر .

وقرئ ﴿ السَّحْرُ ﴾ بالاستفهام ؛ ف﴿ مَا ﴾ على هذا استفهامية ، و﴿ السَّحْرُ ﴾ خبر ابتداء مضمرة .

﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ ﴾ يحتمل أن يكون :

من كلام موسى .

أو إخباراً من الله تعالى .

(١) في ج ، د : «توبيخهم» .

[﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ ءَامَنُومٌ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٥) وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٨٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٧) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩) وَجَوَازُنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠) ءَالْكَنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِيَتَكُونَ لِمَن خَلَقَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَفِلُونَ﴾ (٩٢)] .

﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ الضمير عائد على موسى ، ومعنى الذرية : شُبانٌ وفتيان من بني إسرائيل آمنوا به على خوفهم من فرعون .

وقيل : إن الضمير عائد على فرعون ، فالذرية على هذا من قوم فرعون ، وروي في هذا أنها امرأة فرعون وخازنُهُ^(١) وامرأة خازنِه ، وهذا بعيد ؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية ، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور .

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ الضمير يعود على الذرية ؛ أي : آمنت الذرية من بني إسرائيل ؛ على خوف من فرعون وملا بني إسرائيل ؛ لأن

(١) في أ ، ب ، ج ، هـ : «وخازنته» .

الأكابر من بني إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من الإيمان؛ خوفاً من فرعون.

وقيل: يعود على فرعون؛ بمعنى: آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأترون له.

﴿أَنْ يَفْنَيْهُمْ﴾ بدلٌ من ﴿فِرْعَوْنَ﴾.

﴿لَعَالِ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: متكبرٌ قاهر.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تمكّنهم من عذابنا فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما عذبناهم، فيفتنون بذلك.

﴿أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ أي: اتّخذوا^(١) لهم بيوتاً للصلاة والعبادة.

وقيل: إنه أراد الإسكندرية.

﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: مساجد، وقيل: موجهة إلى جهة القبلة.

فإن قيل: لم خصّ موسى وهارون بالخطاب في قوله ﴿أَنْ تَبَوَّءَ﴾، ثم خوطب معهما بنو إسرائيل في قوله: ﴿وَأَجْعَلُوا﴾؟

فالجواب: أن قوله ﴿تَبَوَّءَ﴾ من الأمور التي يختصّ بها الأنبياء وأولوا الأمر.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أمرٌ لموسى عليه السلام، وقيل: لمحمد ﷺ.

﴿رَبَّنَا لِضَلَالِنَا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ دعاءٌ بلفظ الأمر.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «اتخذ».

وقيل : اللام لام كي ، وتتعلق بقوله : ﴿ءَاتَيْتَ﴾ .

﴿أَطْمَسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أي : أهلكها .

﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي : اجعلها شديدة القسوة .

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ جوابٌ للدعاء الذي هو ﴿وَأَشَدُّ﴾ .

أو دعاء بلفظ النفي .

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ الخطاب لموسى وهارون ؛ على أنه لم يذكر الدعاء إلى عن موسى وحده ، ولكن كان موسى يدعو ، وهارون يؤمن على دعائه .

﴿فَأَسْتَقِيمَا﴾ أي : اثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله .

﴿فَأَنبَهُمُ فِرْعَوْنُ﴾ أي : لحقهم ؛ يقال : تَبِعَهُ حَتَّى أَتْبَعَهُ ، هكذا قال الزمخشري^(١) .

وقال ابن عطية : أَتْبَعَ بِمَعْنَى تَبِعَ ، وَأَمَّا أَتْبَعَ - بالتشديد - فهو طَلَبُ الأثر ، سواءً أدرك أو لم يدرك^(٢) .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ﴾ يعني : الله ﷻ ، وفي لفظ فرعون مَجْهَلَةٌ وتَلَعُثُمْ ؛ لكونه لم يصرح باسم الله .

﴿ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ أي : قيل له : أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار؟ وذلك لا يُقبل منك .

(١) انظر : الكشاف (٧/ ٥٥٥) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز (٤/ ٥٢١) .

﴿تُنَجِّكَ﴾ أي: نُبْعِدُكَ مما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر.
 وقيل: نلقيك على نجوة من الأرض؛ أي: على موضع مرتفع.
 ﴿يَبْدِنِكَ﴾ أي: بجسدك جسداً بدون روح.
 وقيل: بدرعك، وكانت له درع من ذهب يعرف بها.
 والمجرور^(١) في موضع الحال، والباء للمصاحبة.
 ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ أي: لمن وراءك آية، وهم بنو إسرائيل.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾

(١) في أ، ب، ج، هـ: «والمحذوف»، والمثبت هو الصواب كما في الكشف (٧/ ٥٦٠).

[وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتٍ أَلَّفَ اللَّهُ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيبَةً ءَامَنْتَ فَتَنْفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ لِمَآ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَائِهِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَاَنْظُرُوا إِلَىٰ مَا مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُجِى رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾].

﴿مُبُوءًا صِدْقٍ﴾ منزلاً حسناً، وهو مصر والشام.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ قيل: يريد اختلافهم في دينهم.

وقيل: اختلافهم في أمر محمد ﷺ.

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ قيل: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره.

وقيل: ذلك كقول القائل لابنه: إن كنت ابني فبرني، مع أنه لا يشك أنه ابنه، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم، فأمره بسؤالهم، قال ابن عباس: لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل.

وقال الزمخشري: ذلك على وجه الفرض والتقدير؛ أي: إن فرضت أن تقع في شك فاسأل^(١).

﴿يَمَّا أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ﴾ قيل: يعني: القرآن والشرع بجملته، وهذا أظهر. وقيل: يعني ما تقدم من أن بني إسرائيل ما اختلفوا إلا من بعدما جاءهم الحق.

﴿فَسَلِّ الَّذِينَ يَفْرَوْنَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني: الذين يقرأون التوراة والإنجيل.

قال السهيلي: هم عبد الله بن سلام ومُخَيَّرِيق وَمَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَحْبَارِ^(٢). وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة، فحملُ الآية على الإطلاق أولى.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ والمراد غيره.

﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي: قضى أنهم لا يؤمنون.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ «لولا» هنا للتخصيص؛ بمعنى «هلاً»، وقرئ في الشاذ: «هلاً».

والمعنى: هلاً كانت قريةٌ من القرى المتقدمة آمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها!؛ إذ لا ينفع الإيمان بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون. ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناءٌ من القرى؛ لأن المراد أهلها، وهو استثناء

(١) انظر: الكشاف (٧/ ٥٦٤).

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٣٤).

منقطع، بمعنى: ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب.
ويجوز أن يكون متصلًا، والجملة في معنى النفي؛ كأنه قال: ما آمنت
قرية إلا قوم يونس.

وروي في قصصهم: أن يونس عليه السلام أنذرهم بالعذاب، فلما رأوه قد خرج
من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزل بهم، فتابوا وتضرعوا إلى الله تعالى،
فرفعه الله عنهم.

﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ يريد: إلى آجالهم المكتوبة في الأزل.
﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الهمزة للإنكار؛ أي: أتريد أنت
أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك؟ وليس ذلك
إليك، إنما هو بيد الله.

وقيل: المعنى: أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا؟، وكان هذا في
صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد، ثم نسخت بالسيف.

﴿انظُرُوا﴾ أمرٌ بالاعتبار والنظر في آيات الله.
﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: من قضى الله عليه أنه
لا يؤمن.

و«ما»: نافية، أو استفهامية يراد بها النفي.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ الآية؛ تهديد.

﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراضٌ بين العامل ومعموله، وهما: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ و﴿نُجِجَ﴾
المؤمنين.

[قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾ وَأَنْ أَقْدِرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٩﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١٠﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُفَّكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَافِينَ ﴿١١١﴾].

﴿وَأَنْ أَقْدِرَ وَجْهَكَ﴾ الوجه هنا بمعنى: القصد والدين.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ منسوخ بالقتال، وكذلك قوله: ﴿وَأَصْبِرْ﴾.

﴿حَتَّىٰ يَخُفَّكَ اللَّهُ﴾ وعد بالنصر والظهور على الكفار.



﴿سورة هود﴾

[﴿الرَّ كُتِبَ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْ نَّذِيرٍ وَبَشِيرٍ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَعَفُّوْا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ يُعْطِكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَّا إِنَّهُمْ يَأْتُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخَفُّوْا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَنْتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخْرَنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أَثَمَةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾﴾].

﴿كِتَبَ﴾ يعني: القرآن، وهو خبر ابتداء مضمر.

﴿أَحْكَمَتْ﴾ أي: أتقنت؛ فهو من الإحكام للشيء.

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ قيل: معناه: بُيِّنَتْ.

وقيل: قُطعت سورة سورة.

و﴿ثُمَّ﴾ هنا ليست للترتيب في الزمان، وإنما هي لترتيب الأحوال؛

كقولك : فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل .

﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ «أن» : مفسرة .

وقيل : مصدرية ؛ في موضع مفعول من أجله ، أو بدل من الآيات .

أو يكون كلامًا مستأنفًا ، منقطعًا عما قبله ، على لسان رسول الله ﷺ ، ويدل على ذلك قوله : ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ .

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي : استغفروه مما تقدّم من الشرك والمعاصي ، ثم ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها .

﴿يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ أي : ينفعكم^(١) في الدنيا بالأرزاق ، والنعم ، والخيرات .

وقيل : هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه ؛ لأنه الكافر قد يُمتّع في الدنيا بالأرزاق .

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني : إلى الموت .

﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ أي : يعطي في الآخرة كل ذي عمل جزاء عمله .

والضمير يحتمل أن يعود :

على الله تعالى .

أو على ﴿ذِي فَضْلٍ﴾ .

(١) في هـ : «يمتعكم» .

﴿وَإِنْ لَوْلَا﴾ خطاب للناس ، وهو فعل مستقبل حذفت منه إحدى التاءين .

﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يعني : يوم القيامة ، أو غيره كيوم بدر .

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتَوْنَ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ﴾ قيل : كان الكفار إذا لقيهم رسول الله ﷺ يريدون إليه ظهورهم ؛ لثلا يرونه من شدة البُغْضة والعداوة ، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ على هذا يعود إلى رسول الله ﷺ .

وقيل : إن ذلك عبارة عما تنطوي عليه صدورهم من البغض والغِلِّ .

وقيل : هو عبارة عن إعراضهم ؛ لأن مَنْ أَعْرَضَ عن شيء انشأ عنه وانحرف .

والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ على هذا يعود على الله تعالى ؛ أي : يريدون أن يستخفوا من الله تعالى ؛ فلا يُطْلَعُ رسوله والمؤمنين^(١) على ما في قلوبهم .
﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي : يجعلونها أَعْشِيَةً وَأَغْطِيَةً ؛ كراهيةً لاستماع القرآن ، والعامل في ﴿حِينَ﴾ : ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ﴾ .

وقيل : المعنى : يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم ، فيوقف عليه على هذا ، ويكون ﴿يَعْلَمُ﴾ استئنافاً .

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وعدٌ وضمنان صادق .

فإن قيل : كيف قال : ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بلفظ الوجوب ، وإنما هو تفضُّلٌ ؛ لأن الله لا يجب عليه شيء ؟ .

(١) في أ ، ب ، د ، هـ : «فلا يطلع رسوله والمؤمنون» .

فالجواب : أنه ذكره كذلك تأكيداً في الضمان ؛ ولأنه لما وعد به صار واقعاً لا محالة ؛ لأنه لا يخلف الميعاد .

﴿وَيَعْلَمُ مُسَقِّفَهَا وَمُسَوِّدَهَا﴾ المستقر : صلب الأب ، والمستودع : بطن المرأة .

وقيل : المستقر : المكان في الدنيا ، والمستودع : القبر .

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ دليل على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض .

﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ أي : ليختبركم اختباراً تقوم به الحجة عليكم ؛ لأنه كان عالماً بأعمالكم قبل خلقكم ، ويتعلق ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ بـ ﴿خَلَقَ﴾ .

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يحتمل أن يشيروا :

إلى القرآن .

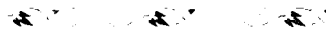
أو إلى القول بالبعث ؛ يعنون أنه باطل كبطلان السحر .

﴿وَلَيْنَ آخِرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ﴾ يحتمل أن يريد : عذاب الدنيا ، أو الآخرة .

﴿إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي : إلى وقت محدود .

﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ أي : أي شيء يمنع هذا العذاب الموعود به ؟

وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف .



[وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ ⑨
 وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرْأَةٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ
 ⑩ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ⑪ فَلَعَلَّكَ
 تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ أَوْ جَاءَ
 مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ⑫ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَنُوحُوا
 بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ⑬
 فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
 ⑭ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ
 ⑮ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑯].

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا﴾ الآية؛ ذم لمن يقنط عند الشدائد، ولمن يفخر ويتكبر عند
 النعم.

والرحمة هنا والنعماء: يراد بهما الخيرات الدنيوية.

والإنسان: عام يراد به الجنس، والاستثناء على هذا متصل.

وقيل: المراد بالإنسان الكافر، فالاستثناء على هذا منقطع.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ الآية؛ كان الكفار يقترحون على
 رسول الله ﷺ أن يأتي بكنز أو يأتي معه ملك، وكانوا يستهزئون بالقرآن،
 فقال الله تعالى له: لعلك تترك أن تلقني إليهم بعض ما أنزل إليك ويثقل
 عليك تبليغهم من أجل استهزائهم، أو لعلك يضيق صدرك من أجل أن
 يقولوا: لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك.

والمقصد بالآية: تسليته ﷺ عن قولهم حتى يبلغ الرسالة، ولا يبالي بهم.
وإنما قال ﴿وَضَآئِقُ﴾، ولم يقل «ضيق»؛ ليدلّ على اتساع صدره ﷺ وقلة ضيقه.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ أي: ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ، والله هو الوكيل الذي يقضي بما شاء من إيمانهم أو كفرهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَنْزِلُهُ﴾ «أم» هنا منقطعة بمعنى: «بل» والهمزة، والضمير في ﴿أَفَنَنْزِلُهُ﴾ لما يوحى إليه.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ﴾ تحدّاهم أولاً بعشر سور، فلما بان عجزهم عنها تحدّاهم بسورة واحدة فقال: ﴿فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨]، والمماثلة المطلوبة: في فصاحته وعلومه.

﴿مُفْتَرٍ﴾ صفة لـ ﴿عَشْرِ سُوْرٍ﴾، وذلك مقابلة لقولهم ﴿أَفَنَنْزِلُهُ﴾، وليست المماثلة في الافتراء.

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي: استعينوا بمن شئتم.

﴿فَالْتِهَاسُ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون مخاطبة من الله للنبي ﷺ وللمؤمنين؛ أي: إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتهم إليه من معارضة القرآن؛ فاعلموا أنه من عند الله، وهذا على معنى: دوموا على علمكم بذلك، أو زيدوا يقيناً به.

والثاني: أن يكون خطاباً من النبي ﷺ للكفار؛ أي: إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شيء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليه؛ فاعلموا

أنه من عند الله، وهذا أقوى من الأول؛ لقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .
ومعنى ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ :
بإذنه .

أو بما لا يعلمه إلا الله من الغيوب .

وقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: استدعاء إلى الإسلام، وإلزام للكفار أن يسلموا، لما قام الدليل على صحة الإسلام؛ لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن .

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الآية؛ نزلت في الكفار الذين يريدون الدنيا، ولا يريدون الآخرة؛ إذ هم لا يصدقون بها .

وقيل: نزلت في أهل الرياء من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا، حسبما ورد في الحديث -في القارئ، والمنفق، والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك- «إنهم أول من تسجر^(١) بهم النار»^(٢) .

والأول أرجح^(٣)؛ لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن، فإنما قصد بهذه الآية أولئك .

﴿نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا﴾ أي: نوف إليهم أجور أعمالهم بما نعطيهم في الدنيا من الصحة والرزق .

(١) في هامش أ: «خ: تسعر» وهو الموافق لما في الرواية.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٢)، والنسائي في الكبرى (٣٩٥/١٠).

(٣) في أ، ب: «أوضح».

والضمير في ﴿فِيهَا﴾ يعود على الدنيا ، والمجرور متعلق بقوله : ﴿نُوفٍ﴾
أو بـ ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ .

﴿وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ الضمير في ﴿فِيهَا﴾ هنا :
يعود على الآخرة إن تعلق المجرور بـ ﴿حِطَّ﴾ .
ويعود على الدنيا إن تعلق بـ ﴿صَنَعُوا﴾ .



[﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ قَالَتَارُ مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ يَضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخُسِرُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْنَى وَالْأَصَمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾﴾].

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ الآية؛ معادلة لما تقدّم، والمعنى: أَمِنْ كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه.

والمراد بمن كان على بينة من ربه: النبي ﷺ والمؤمنون؛ لقوله بعد ذلك: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

ومعنى البينة: البرهان العقلي والأمر الجلي.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الضمير في ﴿وَيَتْلُوهُ﴾:

للبرهان؛ وهو البينة.

أو لمن كان على بينة من ربه.

والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ للرب تعالى.

﴿وَتَتْلُوهُ﴾ هنا بمعنى : يتبع .

والشاهد يراد به : القرآن ؛ فالمعنى : يَتَّبِعُ ذلك البرهانَ شاهدٌ من الله وهو القرآن ، فيزيدُ وضوحه وتعظيمَ دلاليته^(١) .

وقيل : إن الشاهد المذكور هنا : هو علي بن أبي طالب .

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾ أي : ومن قبل ذلك الشاهد كتاب موسى ، وهو أيضًا دليل آخر متقدم .

وقد قيل أقوالٌ كثيرة في معنى هذه الآية ، وأرجحها ما ذكرنا .

﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ أي : من أهل مكة .

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد ، كأصحاب ، ويحتمل أن يكون :

من الشهادة ؛ فيراد به : الملائكة والأنبياء .

أو من الشهود بمعنى الحضور ؛ فيراد به : كلُّ من حضر الموقف .

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي : يطلبون اعوجاجها ، أو يصفونها بالاعوجاج .

﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ أي : لا يُفْلِتُونَ .

﴿يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ إخبارٌ عن تشديد عذابهم ، وليس بصفة لـ

﴿أُولَئِكَ﴾ .

﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ الآية ؛ «ما» نافية ، والضمير للكفار ، والمعنى :

(١) في ب : «وتعظم دلاليته» .

وَصُفُّهُمْ بَأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَبْصُرُونَ، كقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] الآية.

وقيل غير ذلك، وهو بعيد.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بد، ولا شك.

﴿وَأَخْبَتُوا﴾ خشعوا، وقيل: أنابوا.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين.

﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْرَ وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ﴾ شبه الكافر بالأعمى وبالأصم، وشبه المؤمن بالبصير وبالسميع، فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين، وتمثيل للكافرين بمثالين.

وقيل: التقدير كالأعمى الأصم، والبصير السميع، فالواو لعطف الصفات، فهو على هذا تمثيل للمؤمن بمثال واحد؛ وهو من جمع بين السمع والبصر، وتمثيل للكافر بمثال واحد؛ وهو من جمع بين العمى والصمم.

[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْثُكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْثُكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِكَ بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْبَغٍ مِنْ رَبِّي وَءَاثَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمُ الْأَنْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْبَغُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا نَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرِيءٌ مِمَّا تَجْحَرُونَ ﴿٣٥﴾] .

﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ وصفُ اليوم بالأليم على وجه المجاز؛ لوقوع الألم فيه .

﴿أَرَادُنَا﴾ جمع أَرَذَلٍ، وهم سَفِلَةُ الناس، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم؛ جهلاً منهم، واعتقاداً أن الشرف هو بالمال والجاه، وليس الأمر كما اعتقدوا، بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم في الدنيا .

وقيل : إنهم كانوا حاكّةً وحجّامين .

واختار ابن عطية أنهم أرادوا: أراذل في أفعالهم؛ لقول نوح: ﴿وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢] (١).

﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ أي: أول الرأي، من غير نظر ولا تدبر.

و﴿بَادِيَ﴾ منصوب على الظرفية، أصله: وقت حدوث أول رأيهم، والعامل فيه: ﴿اتَّبَعَكَ﴾ على أصح الأقوال، والمعنى: اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت.

وقيل: هو صفة لـ ﴿بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾؛ أي: غير مثبت في الرأي.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: من زيادة وشرف، والخطاب لنوح عليه السلام ومن معه.

﴿عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على برهان وأمر جلي، وكذلك في قصة صالح وشعيب.

﴿وَأَنبِئِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِي﴾ يعني: النبوة.

﴿فَعَمِيتَ عَلَيْكُمُ﴾ أي: خفيت عليكم، والفاعل: البينة، أو الرحمة.

﴿أَنزَلْنَاهُمْ مِّنْهَا﴾ أي: أنكرهمكم على قبولها قهراً؟، وهذا هو جواب ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾.

ومعنى الآية: أن نوحاً عليه السلام قال لقومه: أرايتم إن هداني الله وأضلکم أأجبركم على الهدى وأنتم له كارهون؟.

﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على التبليغ .
 ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يقتضي أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء .
 ﴿إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾ المعنى : أنه يجازيهم على إيمانهم .
 ﴿مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ أي : من يدفع عني عقاب الله إن ظلمتهم
 بالطرد .

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ الآية ؛ أي : لا أدعي ما ليس لي فتتكرون
 قولي .

﴿تَزِدْرِي﴾ أي : تحتقر ؛ من قولك : زريت على الرجل : إذا قصرت به .
 والمراد بالذين تزدري أعينهم : ضعفاء المؤمنين .

﴿إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي : إن قلت للمؤمنين : لن يؤتيهم الله خيراً .
 والخير هنا يحتمل أن يراد به : خير الدنيا ، أو الآخرة .

﴿جِدَلْنَا﴾ الجدل : هو المخاصمة والمراجعة في الحجة .
 ﴿فَأَيْنَا يَمَّا تَعِدُنَا﴾ أي : بالعذاب .

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ الآية ؛ جزاء قوله : ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ هو ما دلّ
 عليه قوله : ﴿نُصْحِي﴾ ، وجزاء قوله : ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ هو ما دلّ
 عليه قوله : ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ ، فتقديرها : إن أراد الله أن يغويكم لم
 ينفعكم نصحي إن نصحت لكم ، ثم استأنف قوله : ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ .
 ولا يجوز أن يكون ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ جواب الشرط .

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ الآية؛ الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لكفار قريش، وفي ﴿افْتَرَاهُ﴾ لمحمد ﷺ، هذا قول جميع المفسرين.

واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح ﷺ، فيكون الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لقوم نوح، وفي ﴿افْتَرَاهُ﴾ لنوح؛ لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها، وهذا بعيد^(١).

﴿إِجْرَامِي﴾ أي: ذنبي.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/٥٦٩).

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا نَبْتَئِسُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَبَصِّنْهُ الْفُلَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُوكَ مِنْ بَأْسِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِلٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَجْرُهَا وَمُرْسِنُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبْلَىٰ مَاءُكَ وَيَسْمَأُكُمْ أَقْلَىٰ وَيَغِيضُ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتْلَنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْتُوخُ أَهْطِ بِسَلَمٍ مِنَّا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمِّهِ فَمَنْ مَعَكَ وَأُمُّهُمْ سَمِعَتْهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ يَلَاكُ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ .

﴿فَلَا نَبْتَئِسُ﴾ أي: فلا تحزن.

﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: تحت نظرنا وحفظنا.

﴿وَوَحَيْنَا﴾ أي: وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك .
 ﴿وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: لا تشفع لي فيهم ؛ فإنني قد قضيت
 عليهم بالغرق .

﴿وَكُلَّمَا﴾ يحتمل أن يكون جوابها : ﴿سَخَرُوا مِنْهُ﴾ ، أو ﴿قَالَ إِنْ
 تَسَخَرُوا﴾ .

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد ، و﴿مَنْ يَأْتِيهِ﴾ منصوب بـ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ .
 ﴿عَذَابٌ يُخْرِيهِ﴾ هو الغرق ، والعذاب المقيم : عذاب النار .
 ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ غاية لقوله : ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ﴾ .
 ﴿وَفَارَ الْتُورُ﴾ أي : فار بالماء ، جعل الله تلك علامة لنوح ؛ ليركب حينئذ
 في السفينة .

والمراد : التنور^(١) الذي يُوقَد فيه عند ابن عباس وغيره ، ورُوي أنه كان
 تنور آدم خلص إلى نوح .
 وقيل : التنور : وجه الأرض .

﴿قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ المراد بالزوجين : الذكر والأنثى من
 الحيوان .

وقرئ ﴿مِنْ كُلِّ﴾ بغير تنوين ؛ فعمل ﴿أَحْمِلْ﴾ في ﴿اثْنَيْنِ﴾ .
 وقرئ بالتنوين ؛ فعمل ﴿أَحْمِلْ﴾ في ﴿زَوْجَيْنِ﴾ ، وجعل ﴿اثْنَيْنِ﴾ توكيداً .

(١) في د : «التنور» .

﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: قرابتك، وهو معطوف على ما عمل فيه ﴿أَحْمَلُ﴾ .
 ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: من قُضي عليه بالعذاب، فهو مستثنى من
 أهله، والمراد بذلك: ابنه الكافر وامرأته.

﴿وَمَنْ ءَامَنُ﴾ معطوف على ﴿وَأَهْلَكَ﴾؛ أي: احمل أهلك ومن آمن من
 غيرهم.

﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ثمانين، وقيل: عشرة، وقيل:
 ثمانية.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ لنوح، والخطاب لمن كان معه،
 والضمير في ﴿فِيهَا﴾ للسفينة.

وروي أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب، واستقرت على الجودي يوم
 عاشوراء.

﴿يَسْمِ اللَّهَ مُجْرَاهَا وَمُرْسِنَهَا﴾ اشتقاق ﴿مُجْرَاهَا﴾ من الجري، واشتقاق
 ﴿وَمُرْسِنَهَا﴾ من الإرساء، وهو الثبوت؛ أي^(١): وقوف السفينة.

ويمكن أن يكونا: ظَرْفَيْنِ للزمان أو للمكان، أو مصدرين.

ويحتمل الإعراب وجهين:

أحدهما: أن يكون ﴿يَسْمِ اللَّهَ﴾ في موضع الحال من الضمير في
 ﴿ارْكَبُوا﴾، والتقدير: اركبوا متبركين باسم الله، أو قائلين بسم الله،

(١) في أ، ب: «أو من».

فيكون ﴿مُجْرَاهَا وَمُرْسَهَا﴾ على هذا ظرفين للزمان، بمعنى: وقت إجرائها وإرسائها، أو ظرفين للمكان، ويكون العامل فيه ^(١) ما في قولك: «بسم الله» من معنى الفعل، ويكون قوله: ﴿يَسْمِ اللَّهَ﴾ متصلاً مع ما قبله، والجملة كلام واحد.

والوجه الثاني: أن يكون كلامين، فيوقف على ﴿أَرْكَبُوا فِيهَا﴾، ويكون ﴿يَسْمِ اللَّهَ﴾ في موضع خبر، و﴿مُجْرَاهَا وَمُرْسَهَا﴾ مبتدأ بمعنى المصدر؛ أي: إجرائها وإرسائها، ويكون ﴿يَسْمِ اللَّهَ﴾ على هذا مستأنفاً غير متصل بما قبله، ولكنه من كلام نوح حسبما روي أن نوحاً كان إذا أراد أن يجري بالسفينة قال: «بسم الله» فتجري، وإذا أراد وقوفها قال: «بسم الله» فتقف.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ روي أن الماء طبَّق ما بين السماء والأرض، فصار الكل كالبحر، قال ابن عطية: وهذا ضعيف، وأين كان الموج كالجبال على هذا؟ ^(٢).

وصوبه الزمخشري، وقال: كانت تجري في موج كالجبال قبل التطبيق، وقبل أن يغمر الماء الجبال ^(٣).

﴿وَنَادَى نُوحٌ أُمَّتَهُ﴾ كان اسمه: كُتْنَان، وقيل: يام، وكان له ثلاثة بنون ^(٤) سواه؛ وهم: سامٌ وحامٌ ويافثٌ، ومنهم تناسل الخلق.

(١) في د: «فيهما».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٥٨٠).

(٣) انظر: الكشف (٨٠/ ٨).

(٤) في د: «بنين».

﴿فِي مَعَزِلٍ﴾ في ناحية .

﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ﴾ يَحْتَمِلُ أَرْبَعَةً أَوْجِهَ :

أحدها: أن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ اسم فاعل ، و﴿مَنْ رَجَعُ﴾ كذلك بمعنى الراجع ، فالمعنى : لا عاصم إلا الراجع ؛ وهو الله تعالى .

والثاني: أن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ بمعنى : ذي عصمة ؛ أي : معصوم ، و﴿مَنْ رَجَعُ﴾ بمعنى مفعول ؛ أي : من رحمه الله ، فالمعنى : لا معصوم إلا من رحمه الله .

والاستثناء على هذين الوجهين متصل .

والثالث: أن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ اسم فاعل ، و﴿مَنْ رَجَعُ﴾ بمعنى المفعول والمعنى : لا عاصم من أمر الله ، لكن من رحمه الله فهو المعصوم .
والرابع: عكسه .

والاستثناء على هذين منقطع .

﴿أَبْلَغَى مَاءَكِ﴾ عبارة عن جفوف الأرض من الماء .

﴿أَقْلَعَى﴾ أي : أمسكي عن المطر ، ورؤي أنها أمطرت من كل موضع منها .

﴿وَوَغِضَ الْمَاءُ﴾ أي : نقص .

﴿وَوُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي : تمّ وكمل .

﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ أي : استقرت السفينة على الجودي ؛ وهو جبل بالموصل .

﴿وَقِيلَ بَعْدًا﴾ أي: هلاكًا، وانتصابه على المصدر.

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا النِّدَاءُ:

قبل الغرق؛ فيكون العطف من غير ترتيب.

أو يكون بعده.

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ أي: وقد^(١) وعدتني أن تنجي أهلي.

﴿قَالَ يَنْتُحِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم؛ لأنه كافر.

وقال الحسن: لم يكن ابنه، ولكن خاتنه امرأته، وكان لغير رشدة، وهذا ضعيف؛ لأن الأنبياء ﷺ قد عصمهم الله من أن يزني نساؤهم، ولقوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾.

﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات على قراءة الجمهور:

أحدها: أن يكون الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ لسؤال نوح نجاه ابنه.

والثاني: أن يكون الضمير لابن نوح، وحُذِفَ مضافٌ من الكلام؛ تقديره: إنه ذو عملٍ غير صالح.

والثالث: أن يكون الضمير لابن نوح، و﴿عَمَلٌ﴾ مصدر وصف به مبالغة، كقولك: رجل صوم.

وقرأ الكسائي: ﴿عَمِلَ﴾ بفعل ماضٍ ﴿غَيْرَ صَالِحٍ﴾ بالنصب، والضمير

(١) في أ، ب، ج، هـ: «قد» بلا واو.

على هذا لابن نوح بلا إشكال .

﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي : لا تطلب مني أمراً لا تعلم أصواباً هو أم غير صواب حتى تقف على كُنْهه .

فإن قيل : لم سمي نداؤه سؤالاً ، ولا سؤال فيه ؟ .

فالجواب : أنه تضمن السؤال وإن لم يصرح به .

﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ «أن» في موضع مفعول من أجله ؛ تقديره : أعظك ؛ كراهة أن تكون من الجاهلين ، وليس في ذلك وصف^(١) له بالجهل ، بل فيه ملاطفة وإكرام .

﴿أَهْبِطْ بِسَلَمٍ مِّنَّا﴾ أي : اهبط من السفينة بسلامة .

﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَّعَكَ﴾ أي : ممن معك في السفينة .

واختار الزمخشري أن يكون المعنى : من ذرية من معك ، ويعني به : المؤمنين إلى يوم القيامة ، ف «مِن» على هذا لا ابتداء الغاية ، والتقدير : على أمم ناشئة ممن معك^(٢) .

وعلى الأول : تكون «مِن» لبيان الجنس .

﴿وَأُمَمٌ سَتُغْنِيَهُمْ﴾ يعني : نمتعهم متاع الدنيا - وهم الكفار - إلى يوم القيامة .

(١) أ ، ب ، ج ، هـ : «وصفاً» .

(٢) انظر : الكشف (٨/ ٩٨) .

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ إشارة إلى القصة، وفي الآية دليلٌ على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم ذلك قبل الوحي.



[وَالِىَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوِرَ أَغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْرَوُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْفَوِرَ لَا اسْتُلْكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِى فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَنَفَوِرَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَبُرْذَكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوٍّ قَالَ إِنِّى أَشْهَدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوا أَنِّى بَرِىٌّ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِّنْ دُونِهِ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ مَا مِّنْ دَآئَةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِن رَّبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ءِلَيْكُمْ وَيَسْخِطُ رَّبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِن رَّبِّى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ءَادٌ جَحَدُوا بِكَآيَتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبَعُوا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ ءَالَا إِن ءَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ءَلَا بَعْدَ ءِلْعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾].

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْرَوُونَ﴾ يعني: في عبادتهم لغير الله.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ السماء هنا: المطر، و﴿مِدْرَارًا﴾ بناءً تكثير؛ من الدَّرِّ، يقال: دَرَّ المطر واللبن وغيره.

وفي الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار، ورؤي أن عادًا كان المطر قد حُبِسَ عنهم ثلاث سنين، فأمرهم بالتوبة والاستغفار، ووعدهم على ذلك بالمطر.

والمراد بالتوبة هنا: الرجوع عن الكفر، ثم عن الذنوب؛ لأن التوبة من الذنوب لا تصحُّ إلا بعد الإيمان.

﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بمعجزة، وذلك كذب منهم وجحود.
أو يكون معناه: بآية تضطربنا إلى الإيمان بك، وإن كان قد أتاهاهم بآية
نظرية.

﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: بسبب قولك.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرْنَاكَ بِبَعْضِ الْهَيْئَةِ سَوَاءٍ﴾ معناه: ما نقول إلا أن بعض آلهتنا
أصابتك بجنون لما سببناها ونهيتنا عن عبادتها.

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ هذا أمرٌ بمعنى التعجيز؛ أي: لا تقدر
أنتم ولا آلهتكم على شيء، ثم ذكر سبب قوته في نفسه وعدم مبالاته
بهم، فقال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾ الآية.

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: هي في قبضته وتحت قهره،
والأخذ بالناصية تمثيل لذلك، وهذه الجملة تعليل لقوة توكله على الله
وعدم مبالاته بالخلق.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يريد: أن أفعال الله جميلة، وقوله صدق،
ووعده حق، فالاستقامة تامة.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَغْلَبْتُمْ﴾ أصل ﴿تَوَلَّوْا﴾ هنا: تتولوا؛ لأنه فعل مستقبل
حذفت منه تاء المضارعة.

فإن قيل: كيف وقع الإبلاغ جواباً للشرط، وقد كان الإبلاغ قبل التولي؟.

فالجواب: أن المعنى إن تتولوا فلا عتب عليّ؛ لأنني قد أبلغتكم رسالة

﴿وَلَا تَصْرُوهُمْ شَيْئًا﴾ أي : لا تَنَقُصُونَهُ شَيْئًا إِذَا أَهْلَكَكُمْ وَاسْتَخْلَفَ غَيْرَكُمْ .
 ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ إِنْ قِيلَ : لَمْ قَالَ هُنَا وَفِي قِصَّةِ شَعِيبٍ ﴿وَلَمَّا﴾ بِالْوَاوِ وَقَالَ
 فِي قِصَّةِ صَالِحٍ وَلُوطٍ ﴿فَلَمَّا﴾ بِالْفَاءِ؟

فَالْجَوَابُ عَلَى مَا قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : أَنَّهُ وَقَعَ ذَلِكَ فِي قِصَّةِ صَالِحٍ وَلُوطٍ بَعْدَ
 الْوَعِيدِ ؛ فَجِئَءَ بِالْفَاءِ الَّتِي تَقْتَضِي التَّسْبِيبَ ، كَمَا تَقُولُ : وَعَدْتَهُ فَلَمَّا جَاءَ
 الْمِيعَادُ . . ، بِخِلَافِ قِصَّةِ هُودٍ وَشَعِيبٍ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ ذَلِكَ فِيهِمَا فَعَطَفَ
 بِالْوَاوِ (١) .

﴿وَيَحْيِيَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ عَذَابَ الْآخِرَةِ ؛ وَلِذَلِكَ عَطَفَهُ
 عَلَى النِّجَاةِ الْأُولَى الَّتِي أَرَادَ بِهَا النِّجَاةَ مِنَ الرِّيحِ .
 وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالثَّانِي أَيْضًا الرِّيحَ ، وَكُرِّرَ ؛ إِعْلَامًا بِأَنَّهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ ،
 وَتَعْدِيدًا لِلنِّعْمَةِ فِي نَجَاتِهِمْ .

﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ فِي جَمْعِ الرُّسُلِ هُنَا وَجِهَانِ :
 أَحَدُهُمَا : أَنْ مِنْ عَصَى رَسُولًا وَاحِدًا لَزَمَهُ عَصِيَانُ جَمِيعِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ
 مُتَّفَقُونَ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَعَلَى تَوْحِيدِهِ .
 وَالثَّانِي : أَنْ يَرَادَ الْجِنْسُ ؛ كَقَوْلِكَ : فَلَانِ يَرْكَبُ الْخَيْلَ ، وَإِنْ لَمْ يَرْكَبْ
 إِلَّا فَرَسًا وَاحِدًا .

﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ هَذَا تَشْنِيعٌ لِكُفْرِهِمْ ، وَتَهْوِيلٌ بِحَرْفِ التَّنْبِيهِ ،
 وَبِتَكَرُّارِ اسْمِ عَادَ .

﴿أَلَا بُعْدًا﴾ أي: هلاكًا، وهذا دعاء عليهم، وانتصابه بفعل مضمّر.
فإن قيل: كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هلّكوا؟
فالجواب: أن المراد: أنهم أهلٌ لذلك.
﴿لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ بيان؛ لأن عادًا اثنان؛ أحدهما: قوم هود، والآخر^(١):
إرم.

(١) في ج، هـ: «والأخرى».

[﴿١٠﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمِرْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿١١﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٢﴾ قَالَ يَتَقَوَّمِرْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يُضِلِّي مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿١٣﴾ وَيَتَقَوَّمِرْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿١٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿١٧﴾ كَانُوا يَمْنُونُ فِيهَا آلَا إِنْ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِثَمُودَ ﴿١٨﴾] .

﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ لأن آدم خلق من تراب .

﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي : جعلكم تعمرونها ؛ فهو من العمران للأرض .

وقيل : هو من العمر ؛ نحو : استبقاكم من البقاء .

﴿قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ أي : كنا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ما قلت .

وقيل : المعنى : كنا نرجو أن تدخل في ديننا .

﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أي : بلدكم .

﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ قيل : إنها الخميس والجمعة والسبت ؛ لأنهم عقروا الناقة

يوم الأربعاء ، وأخذهم العذاب يوم الأحد .

﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ معطوف على ﴿نَجَّيْنَا﴾ أي : نجيناهم من خزي يومئذ .

﴿جَثِمِينَ﴾ ذُكِرَ فِي «الأعراف»^(١).

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كَأَن لَمْ يَقِيمُوا فِيهَا، وَالضَّمِيرُ لِلدِّيارِ، وَكَذَلِكَ فِي
قِصَّةِ شَعِيبَ.



(١) انظر صفحة ٣٦٢.

[وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ
بِعِجْلٍ خَبِيرٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا
لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ
وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوْنِلَيَّْ أَلَدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْعَجِينَ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ
مُجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ لَعَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَذَكَّرُ لَكُمْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنِيبٌ
عَذَابٍ غَيْرِ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ مُضَاهٍ ذَرَعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ
عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَهْقُمُونَ
هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ
أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ
بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابُهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ
الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَابًا مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾].

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ الرسل هنا: الملائكة.

﴿بِالْبُشْرَى﴾ بشروه بالولد.

﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ نصب على المصدر، والعامل فيه فعل مضمر؛ تقديره: سلّمنا عليكم سلامًا.

﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ تقديره: عليكم سلام، أو سلام عليكم، وهذا على أن يكون

بمعنى التحية، وإنما رُفِعَ جوابه ؛ ليدلَّ على إثبات السلام، فيكون قد حيَّاهم بأحسن مما حيَّوه.

ويَحْتَمِلُ أن يكون السلام بمعنى السلامة، ونُصِبَ الأول ؛ لأنه في معنى الطلب، ورُفِعَ الثاني ؛ لأنه في معنى الخبر.

﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ﴾ أي : ما لبث مجيئه، بل عَجِلَ، و«ما» نافية، و﴿أَنْ جَاءَ﴾ فاعل بـ ﴿لَيْتَ﴾.

﴿يُعَجِّلُ خَبِيرٌ﴾ أي : مشويٌّ، وفعل هنا بمعنى مفعول.

﴿نَكَّرَهُمْ﴾ أي : أنكرهم ولم يعرفهم ؛ يقال : نَكَّرَ وأنكر بمعنى واحد.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قيل : إنه لم يعرفهم، فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه.

وقيل : عرف أنهم ملائكة، ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا بما يُخَافُ، فأَمَّنُوهُ بقولهم : ﴿لَا تَخَفْ﴾.

﴿وَأَمَرَأْتُهُ قَائِمَةً﴾ قيل : قائمة خلف سترٍ.

وقيل : قائمة في الصلاة.

وقيل : قائمة تخدم القوم، واسمها سارة.

﴿فَضَحَكَتْ﴾ قيل : معناه حاضت، وهو ضعيف.

وقال الجمهور : هو الضَّحْكُ المعروف، واختلفوا من أيِّ شيء ضحكت؟.

ف قيل : سرورًا بالولد الذي بُشِّرَ به ؛ ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير .

وقيل : سرورًا بالأمن بعد الخوف .

وقيل : سرورًا بهلاك قوم لوط .

﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ ﴾ أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى ؛ لأنها كانت بأمره .

﴿ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبُ ﴾ أي : من بعده ، وهو ولده .

وقيل : الوراثة ولد الولد .

و ﴿ يَعْقُوبُ ﴾ بالرفع : مبتدأ ، وبالفتح : معطوف على ﴿ إِسْحَقَ ﴾ .

﴿ قَالَتْ يَوْنُسَ ﴾ الألف فيه مبدلة من المتكلم ، كذلك في « يا لهفًا »

و « يا أسفًا » و « يا عجبًا » ، ومعناه : التعجب من الولادة ، وروي أنها كانت

حينئذ بنت تسع وتسعين سنة ، وإبراهيم ابن مئة سنة .

﴿ رَحِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ ﴾ يحتمل الدعاء والخبر .

﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ أي : أهل بيت إبراهيم ، وهو منصوب بفعل مضمر على

الاختصاص ، أو منادى .

﴿ حَمِيدٌ ﴾ أي : محمود .

﴿ مُجِيدٌ ﴾ من المجد ؛ وهو العلو والشرف .

﴿ يُجِدِلُنَا ﴾ هذا جواب ﴿ فَلَمَّا ﴾ ، على أن يكون المضارع في موضع

الماضي ، أو على تقدير : ظلَّ أو أخذ يجادلنا .

أو يكون ﴿ يُجِدِلُنَا ﴾ مستأنفًا ، والجواب محذوف .

ومعنى جداله : كلامه مع الملائكة في رفع العذاب عن قوم لوط .
وقد ذكر في «اللغات» ﴿حَلِيمٌ﴾^(١) ، وفي «براءة» ﴿أَوَّهٌ﴾^(٢) .
﴿يَتَأَنَّبَهُمْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ أي : قلنا : يا إبراهيم أعرض عن هذا ؛ يعني :
عن المجادلة فيهم ، فقد نفذ القضاء بعذابهم .
﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ﴾ الرسل هم الملائكة ، ومعنى ﴿سَيِّئًا
بِهِمْ﴾ أصابه سوء وضجر ؛ لما ظن أنهم من بني آدم ، وخاف عليهم من قومه .
﴿يَوْمَ عَصِيبٌ﴾ أي : شديد .
﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي : يُسرِّعون ، وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم
بنزول الأضياف عنده ، فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث .
﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي : كانت عاداتهم إتيان الفواحش في
الرجال .
﴿قَالَ يَفْقَهُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ المعنى : فتزوجوهنَّ ، وإنما قال ذلك ليقبي
أضيافه بناته .
وقيل : اسم بناته الواحدة ريثا^(٣) ، والأخرى غوثا^(٤) ، وأن اسم امرأته
الهالكة والهة ، واسم امرأة نوح والغة .

(١) انظر المادة (١٢٩) في اللغات .

(٢) انظر صفحة ٥٢٨ .

(٣) في ب ، ج ، هـ : «زينا» .

(٤) في ب ، ج ، هـ : «رغوثا» .

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أي: ما لنا فيهنَّ أربُّ.

﴿وَأِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ يعنون: نكاح الذكور.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ جواب «لو» محذوف؛ تقديره: لو كانت لي قدرة على دفعكم لفعلت.

ويَحتمل أن تكون «لو» للتمني.

﴿أَوْ ءَاوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ معنى ﴿ءَاوَىٰ﴾ أَلْجَأُ، والمراد بالركن الشديد: ما يلجأ إليه من عشيرة أو أنصار يحمونه من قومه، وكان رسول الله ﷺ يقول: «يرحم الله أخي لوطًا؛ لقد كان يأوي إلى ركن شديد»^(١) يعني: إلى الله وملائكته.

﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾ للملائكة، والضمير في ﴿لَنْ يَصِلُوا﴾ لقوم لوط، وذلك أن الله طمس على أعينهم حينئذٍ.

﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أي: اخرج بهم بالليل؛ فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن.

وقرئ ﴿فَاسْرِ﴾ بوصل الألف وقطعها، وهما لغتان؛ يقال: سَرَى وأسرى.

﴿يَقْطَعُ مِّنَ آلِيلٍ﴾ أي: قطعة منه.

﴿وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ نهوا عن الالتفات؛ لئلا تنفطر أكبادهم على قرينهم.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١).

وقيل: ﴿يَلْفَتْ﴾ معناه: يتلوى^(١).

﴿إِلَّا أَمْرًا نَّكَ﴾ قرئ بالنصب والرفع:

فالنصب: استثناء من قوله: ﴿فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ﴾، فيقتضي هذا أنه لم يُخرجها مع أهلها.

والرفع: بدل من ﴿وَلَا يَلْفَتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾، ورُوي على هذا أنه أخرجها معه، وأنها التفتت وقالت: يا قوماء!، فأصابها حجر فقتلها.

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ أي: وقت عذابهم الصبح.

﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ذُكر أنهم لما قالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ قال لهم لوط: هَلَّا عَذَّبُوا الْآنَ! فقالوا له: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ الضمير للمدائن، رُوي أن جبريل أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، واقتلعها فرفعها حتى سمع أهل السماء صُراخ الديكة ونباح الكلاب، ثم أرسلها مقلوبة.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ أي: على المدائن، والمراد أهلها، رُوي أنه من كان منهم خارج المدائن أصابته حجارة من السماء، وأما من كان في المدائن فهلك لما قُلبت.

﴿مَنْ سَجِيلٍ﴾ قيل: معناه من ماء وطين، وإنها كان مثل^(٢) الآجر المطبوخ.

(١) قال في المحرر الوجيز (٦٢٥/٤): «وقالت فرقة: هي من لَفَت الشيء يَلْفَتُهُ: إذا ثَنَاهُ ولَوَاهُ، فمعناها: ولا يَتَبَيَّنُّ».

(٢) في د: «من».

وقيل : مِنْ سَجَلِه : إذا أرسله .

وقيل : هو لفظ أعجمي .

﴿مَنْضُودٌ﴾ أي : مضموم بعضه فوق بعض .

﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ معناه : معلّمة بعلامة ، رُوي أنه كان فيها بياض وحمرة .

وقيل : كان في كل حجر اسم صاحبه .

﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾ الضمير للحجارة ، والمراد بـ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ كفار قريش ، فهذا تهديد لهم ؛ أي : ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم ؛ لأجل كفرهم .

وقيل : الضمير للمدائن ، فالمعنى : ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها ؛ كقوله : ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرُ السَّوءِ﴾ [الفرقان : ٤٠] .

وقيل : إن ﴿الظَّالِمِينَ﴾ على العموم .



[﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾] إِنَِّّي أَرْبُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقَوْمَ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ يَقَيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْنَا نَكُنَّا مِثْلَكَ تَأْمُرُنَا أَنْ نَنُتْرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَنْقَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَنْقَوْمَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَنْقَوْمَ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُّحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَنْقَوْمَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُّخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بِجَنَّتِنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بَعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾].

﴿إِنَِّّي أَرْبُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ يعني: رخص الأسعار، وكثرة الأرزاق.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ يوم القيامة، أو يوم عذابهم في الدنيا.

﴿يَقَيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: ما أبقاء الله لكم من رزقه ونعمته.

﴿أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ الصلاة: هي المعروفة، ونسب الأمر إليها مجازاً، كقوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .
والمعنى: أصلواتك تأمرك أن نترك عبادة الأوثان؟، وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء.

﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ يعنون: ما كانوا عليه من بخس المكيال والميزان.

و﴿أَنْ نَفْعَلَ﴾ عطف على ﴿أَنْ نَتْرُكَ﴾^(١).

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قيل: إنهم قالوا ذلك على وجه الاستهزاء والتهكم.

وقيل: معناه: الحليم الرشيد عند نفسك.

﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: سالمًا من الفساد الذي أدخلتم في أموالكم. وجواب ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ محذوف، يدل عليه المعنى، وتقديره: أرايتم إن كنت على بينة من ربي أيصح^(٢) لي ترك تبليغ رسالته؟.

﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ﴾ يقال: خالفني فلان إلى كذا: إذا

(١) كذا في جميع النسخ الخطية!، ولعل الصواب -كما في المحرر الوجيز-: أنها عطف على ﴿مَا يَبْدُو﴾ أي: أصلواتك تأمرك أن نترك عبادة الأوثان أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء!، قال في المحرر الوجيز (٥/٥): ﴿أَنْ﴾ الثانية عطف على ﴿مَا﴾، لا على ﴿أَنْ﴾ الأولى؛ لأن المعنى يصير: أصلواتك تأمرك أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟، وهذا قلب ما قصدوه، وانظر: حاشية الطيبي على الكشاف (١٦٧/٨).

(٢) في د: «أيصح».

قصده وأنت مؤل عنه، وخالفني عنه: إذا ولّى عنه وأنت قاصده.

﴿وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ أي:
لا تُكسِبْكُمْ عدواني أن يصيبكم مثل عذاب الأمم المتقدمة، و﴿شِقَاقِي﴾
فاعل، و﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ مفعول.

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ يعني: في الزمان؛ لأنهم كانوا أقرب
الأمم الهالكين إليهم.

ويحتمل أن يريد: في البلاد.

﴿مَا نَفَقَهُ﴾ أي: ما نفهّم.

﴿وَإِنَّا لَلرَّكَابِ فِيْنَا ضَعِيفًا﴾ أي: ضعيف الانتصار والقدرة، وقيل: نحيل
البدن، وقيل: أعمى.

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ الرَّهْط: القرابة، والرَّجْم: بالحجارة، أو
بالسب.

﴿أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ هذا توبيخ لهم.

فإن قيل: إنما وقع كلامهم فيه وفي رهطه وأنهم هم الأعزّة دونه، فكيف
طابق جوابه كلامهم؟

فالجواب: أن تهاونهم به وهو رسول الله تهاون بالله؛ فلذلك قال:
﴿أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾.

﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾ الضمير في ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ لله تعالى، أو لدينه
وأمره.

والظَّهْرِيُّ: ما يُطْرَح وراء الظهر ولا يُعْبَأُ به، وهو منسوب إلى الظهر بتغيير النسب.

﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ﴾ تهديد، ومعنى ﴿مَكَاتِكُمْ﴾ تمكُّنكم في الدنيا وعزَّتكم فيها.

﴿مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ عذاب الدنيا والآخرة.
﴿وَأَرْتَقِبُوا﴾ تهديد.



[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيُسَّ الْوَرْدُ الْمَرْوُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُسَّ الرِّقْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَفْضُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهِمْ أَلِيَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيرٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تُؤْخَرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُفَىٰ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلِيلَيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيلَيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَتُولَاءُ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾] .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ أي: بالمعجزات .

﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: برهان بين .

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ أي: يتقدم قدامهم للنار، كما كانوا في الدنيا يتبعونه على الضلال والكفر .

﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ الورود هنا بمعنى: الدخول، وذكره بلفظ الماضي؛ لتحقيق وقوعه .

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ عطف على ﴿فِي هَذِهِ﴾؛ فإن المراد به: في الدنيا .

﴿يُسْأَلُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ أي: العطية المعطاة.

﴿قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ باقٍ وداثرٌ.

﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ﴾ حجة على التوحيد ونفي الشرك.

﴿تَنْبِيْءٍ﴾ أي: تخسير.

﴿يَوْمَ تَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ﴾ أي: يُجْمَعُونَ فيه للحساب، والثواب والعقاب.

وإنما عبرَ باسم المفعول دون الفعل؛ ليدلَّ على ثبوت الجمع لذلك اليوم؛ لأن لفظ ﴿تَجْمَعُ﴾ أبلغ من لفظ «يُجْمَع».

﴿يَوْمَ مَشْهُودٌ﴾ أي: يحضره الأولون والآخرون.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ العامل في الظرف: ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾، أو مضمر.

وفاعل ﴿يَأْتِ﴾ ضمير:

يعود على ﴿يَوْمَ مَشْهُودٌ﴾.

وقال الزمخشري: يعود على الله تعالى؛ كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾

[الأنعام: ١٥٨]، ويعضده عَوْدُ الضمير عليه في قوله: ﴿يَاذُنُوءٍ﴾^(١).

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ الضمير يعود على أهل الموقف الذي دلَّ عليهم

قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾.

﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ الزفير: إخراج النفس، والشهيق: رده.

وقيل: الزفير: صوت المحزون، والشهيق: صوت الباكي.

(١) انظر: الكشاف (٨/ ١٩٥).

وقيل : الزفير من الحلق ، والشهيق من الصدر .

﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن يراد بها سماوات الآخرة وأرضها ، وهي دائمة أبداً .

والآخر : أن يكون عبارة عن التأييد ، كقول العرب : ما لاح كوكب ، وما ناح الحمام ، وشبه ذلك مما يقصد به الدوام .

﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ في هذا الاستثناء ثلاثة أقوال :

قيل : إنه على طريق التأدب مع الله ، كقولك : «إن شاء الله» وإن كان الأمر واجباً .

وقيل : المراد به : زمان خروج المذنبين من النار ، ويكون ﴿ الَّذِينَ شَقُّوا ﴾ على هذا يعمُّ الكفار والمذنبين .

وقيل : استثنى مدة كونهم في الدنيا وفي البرزخ .

وأما الاستثناء في أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث ، دون الثاني .

﴿ غَيْرَ مَجْدُوزٍ ﴾ أي : غير مقطوع .

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ ﴾ المرية : الشك ، والإشارة إلى عبدة الأصنام ؛ أي : لا تشك في فساد دين هؤلاء .

﴿ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ ﴾ أي : هم متبعون لآبائهم ، تقليداً من غير برهان .

﴿ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ ﴾ يعني : من العذاب .

[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٢﴾ وَإِنْ كُلًّا لَمَّا لِيُوفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٣﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٤﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٥﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٦﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٧﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٩﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٢٠﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٢١﴾ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢٣﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٥﴾].

﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني: القدر، وذلك أن الله قضى أن يفصل بينهم يوم القيامة، فلا يفصل في الدنيا.

﴿وَإِنْ كُلًّا﴾ قرئ: بتشديد ﴿إِنْ﴾، وبتخفيفها وإعمالها عمل الثقيلة.

والتنوين في ﴿كُلًّا﴾ عوض من المضاف إليه؛ يعني: كلهم.

واللام في ﴿لَمَّا﴾ موطئة للقسم، و«ما» زائدة، و﴿لِيُوفِيَنَّهُمْ﴾ خبر ﴿إِنْ﴾.

وقرئ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد؛ على أن تكون ﴿إِنْ﴾ نافية، و﴿لَمَّا﴾ بمعنى «إِلَّا».

﴿لِيُؤْفِقَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ يعني: جزاء أعمالهم.

﴿وَلَا تَزْكُوتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني: الكفار، وقيل: إنهم الظلمة من الولاة وغيرهم.

﴿ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ مستأنف غير معطوف، وإنما ذكر بـ ﴿ثُمَّ﴾ لبعده النصر.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ الآية؛ يراد بها الصلوات المفروضة، فالطرف الأول: الصبح، والطرف الثاني: الظهر والعصر، والزلف من الليل: المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ لفظه عام، وخصّصه أهل التأويل بأن الحسنات الصلوات الخمس، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل.

رُوي أن رجلاً قبل امرأة، ثم ندم، فذكر ذلك للنبي ﷺ، وصلى معه الصلاة، فنزلت الآية، فقال النبي ﷺ: «أين السائل؟»، فقال: ها أنا ذا، فقال: «قد غُفِرَ لك»، فقال الرجل: ألي خاصة أو للمسلمين عامة؟، فقال: «للمسلمين عامة»^(١)، والآية على هذا مدنية.

وقيل: إن الآية كانت قبل ذلك، وذكرها النبي ﷺ للرجل مستدلاً بها، والآية على هذا مكية كسائر السورة.

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣).

وإنما تُذهِبُ الحسناتُ - عند الجمهور - الصغائرَ إذا اجْتَنَبْتَ الكبائرَ .
﴿ذَلِكَ﴾ إشارة :

إلى الصلوات .

أو إلى كل ما تقدّم من وعظ ووعد ووعيد .

﴿فَلَوْلَا﴾ تحضيض بمعنى «هَلَّا» .

﴿أُولُوا بِقِيَّةٍ﴾ أي : أولو خير ودين بقي لهم دون غيرهم .

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء منقطع ، معناه : ولكنَّ قليلًا ممن أنجينا من القرون
ينهون عن الفساد في الأرض .

وقيل : هو متصل ، فإن الكلام الذي قبله في حكم النفي ؛ كأنه قال : ما
كان فيهم من ينهى عن الفساد في الأرض إلّا قليلًا ، على أن الوجه في مثل
هذا البدل ، ويجوز فيه النصب .

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني : الذين لم ينهوا عن الفساد .

﴿يُظْلَمُونَ﴾ هذا المجرور في موضع الحال من ﴿رَبِّكَ﴾ ، والمعنى : أنه
لا يهلك أهل القرى ظالمًا لهم ، تعالى الله عن ذلك .

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني : مؤمنة ، لا خلاف بينهم في
الإيمان .

﴿وَلَا يَرَالُونَ مُخْلِيفِينَ﴾ يعني : في الأديان ، والملل ، والمذاهب .

﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قيل : الإشارة إلى الاختلاف .

وقيل: إلى الرحمة.

وقيل: إليهما.

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ﴾ انتصب ﴿كُلًّا﴾ بـ ﴿نَقُصُّ﴾ ، و﴿مَا﴾ بدل من ﴿كُلًّا﴾ .

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ الإشارةُ إلى السورة.

﴿اعْمَلُوا﴾ ﴿وَانظُرُوا﴾ تهديدٌ.

سورة يوسف ﷺ

[الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقُصُّ رُءُوكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾] .

﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني : القرآن ، و﴿الْمُبِينِ﴾ يحتمل :

أن يكون بمعنى اليقين ، فيكون غير متعدي .

أو يكون متعدياً ، بمعنى أنه أبان الحق ؛ أي : أظهره .

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يتعلق بـ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ ، أو بـ ﴿عَرَبِيًّا﴾ .

﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يعني : قصة يوسف ، أو قصص الأنبياء على الإطلاق .

و﴿الْقَصَصِ﴾ يكون مصدرًا ، أو اسم مفعول ؛ بمعنى المقصوص .

فإن أريد به هنا المصدر فمفعول ﴿نَقُصُّ﴾ محذوف ؛ لأن ذكر القرآن يدلُّ

عليه .

﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ الضمير في ﴿قَبْلِهِ﴾ للقصاص؛ أي: من الغافلين عن معرفته، وفي هذا احتجاج على أنه من عند الله؛ لكونه جاء به من غير تعليم.

﴿إِذْ قَالَ﴾ العامل فيه: «اذكر» المضمرة، أو ﴿الْقَصَصِ﴾.

﴿يَتَأْتِ﴾ أي: يا أبي، والتاء للمبالغة.

وقيل: للتأنيث، وكُسِرَت دلالة على ياء المتكلم، والتاء عوض من ياء المتكلم.

﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِدِينَ﴾ كرّر الفعل لطول الكلام، وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء في ضمير الجماعة؛ لما وصفها بفعل مَنْ يعقل، وهو السجود.

وتأويل الكواكب في المنام: إخوته، والشمس والقمر: أبواه، وسجودهم له: تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو مَلِك.

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ إنما قال ذلك؛ لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته، فخاف عليه من الحسد.

﴿يَجْنِيكَ﴾ يختارك.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قيل: هي عبارة الرؤيا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿إِلَّا يَعْقُوبَ﴾ يعني: ذريته.

[﴿عَآيَةُ السَّآئِلِينَ﴾ ٧] إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْلُغَ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِيقُ وَنَرْكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْنِعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَى هَذَا غُلْمٌ وَآسْرُهُ بِضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾].

﴿عَآيَةُ السَّآئِلِينَ﴾ أي: لمن سأل عنها، روي أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، أو أمروا قريشًا أن يسألوه عنها، فهم السائلون على هذا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ هو بنيامين، وهو أصغر من يوسف، ويقال إنه شقيق يوسف، وكان أصغر أولاد يعقوب.

﴿وَمَحْنٌ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة نقدر على النفع والضرر بخلاف الصغيرين، والعصبة: العشرة فما فوقها إلى الأربعين.

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي : في خطأٍ وخروجٍ عن الصواب بإفراط حبة ليوسف وأخيه .

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي : لا يشارككم غيره في محبته لكم وإقباله عليكم .
﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أي : بالتوبة والاستقامة .

وقيل : هو صلاح حالهم مع أبيهم .

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ هو يهوذا ، وقيل : روبيل .

﴿غِيَابَاتٍ الْجُبِّ﴾ غُورُهُ ، وما غاب منه .

﴿السَّيَّارَةِ﴾ جمع سَيَّارٍ ، وهم القوم الذين يسرون في الأرض للتجارة ، وغيرها .

﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي : هذا هو الرأي إن فعلتموه .

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ أي : لم تخاف عليه منا؟ .

وقرأ السبعة ﴿تَأْمَنَّا﴾ بالإدغام والإشمام ؛ لأن أصله بضم النون الأولى .

﴿يَرْتَعِ﴾ مَنْ قرأه بكسر العين فهو من الرَّعْيِ :

أي : من رعى الإبل .

أو من رعى بعضهم لبعض ، وحراسته .

ومن قرأه بالإسكان ، فهو من الرَّتْعِ ؛ وهو الإقامة في الخصب والتنعم ، والتاء على هذا أصلية ، ووزن الفعل «يَفْعَلُ» .

ووزنه على الأول «يَفْتَعِلُ» .

ومن قرأ ﴿يَزْتَع وَيَلْعَب﴾ بالياء : فالضمير ليوسف .
ومن قرأ بالنون : فالضمير للمتكلمين ؛ وهم إخوته .
وإنما قالوا : ﴿نَلْعَب﴾ ؛ لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء ، أو كان اللعب من
المباح لتعلم القتال ، كالمسابقة بالخيول .
﴿وَأَجْمَعُوا﴾ أي : عزموا ، وجواب ﴿فَلَمَّا﴾ محذوف .
وقيل : إنه ﴿وَأَجْمَعُوا﴾ ، أو ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ على زيادة الواو .
﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ يحتمل أن يكون هذا الوحي : بواسطة ملك ، أو بإلهام .
والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ ليوسف ، وقيل : ليعقوب ، والأول هو الصحيح .
﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ في موضع الحال :
من ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾ ؛ أي : لا يشعرون حين تنبئهم ، فيكون خطاباً
ليوسف عليه السلام .
أو من ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ ؛ أي : لا يشعرون حين أوحينا إليه ، فيكون خطاباً
للمحمد ﷺ .
﴿نَسْتَبِقُ﴾ أي : نجري على أقدامنا لننظر أيُّنا يسبق .
﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي : بمصدقٍ لمقالتنا .
﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ أي : لا تصدقنا ولو كنا عندك من أهل الصدق ،
فكيف وأنت تتهمنا ! .

وقيل : معناه : لا تصدقنا وإن كنا صادقين في هذه المقالة ، فذلك على وجه المغالطة منهم .

والأول أظهر .

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي : ذي كذب ، أو وُصِفَ بالمصدر مبالغة .

وروي أنهم لَطَخُوا قَمِيصَهُ بِدَمٍ جَدِيٍّ ، وقالوا ليعقوب : هذا دمه في قميصه ، فقال لهم : ما بال الذئب أكله ولم يَخْرِقْ قَمِيصَهُ ؟ ، فاستدلَّ بذلك على كذبهم .

﴿سَوَّلَتْ﴾ زَيَّنَتْ .

﴿فَصَبَّرُ جَمِيلٌ﴾ وعد من نفسه بالصبر ، وارتفاحه على أنه :

مبتدأ ، تقديره : صبر جميل أمثل .

أو خبر مبتدأ ، تقديره : شأني صبر جميل .

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ رُوي أن هؤلاء^(١) السيارة من مَدِينٍ ، وقيل : هم أعراب .

﴿وَأَرَادَهُمْ﴾ الوارد : هو الذي يستقي الماء لجماعة ، ونقل السهيلي أن اسم هذا الوارد : مالك بن دُعْرٍ من العرب العاربة ، ولم يكن له ولد ، فسأل يوسف أن يدعو له بالولد فدعا له ، فرزقه الله اثني عشر ولداً ، أعقب كلُّ واحد منهم قبيلة^(٢) .

(١) في أ ، ب ، هـ : «هذه» .

(٢) انظر : التعريف والإعلام ، للسهيلي (١٤٤) .

﴿قَالَ يَبْشُرَايَ﴾ أي: نادى البُشرى، كقولك: يا حسرة، وأضافها إلى نفسه.

وقرئ: ﴿يَبْشُرَى﴾ بحذف ياء المتكلم، والمعنى كذلك.
 وقيل على هذه القراءة: نادى رجلاً منهم اسمه بشرى، وهذا بعيد.
 ولما أدلى الواردُ الحبلَ في الجب تعلّق به يوسف فحينئذ قال: ﴿يَبْشُرَايَ هَذَا غُلْمٌ﴾.

﴿وَأَسْرُوهُ بِضْعَةَ﴾ الضمير الفاعل للسيارة، والضمير المفعول ليوسف،
 أي: أخفوه من الرّققة، وقالوا لهم: دفعه لنا قوم لنبيعه لهم بمصر.
 ﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي: باعوه، والضمير أيضاً للذين أخذوه.
 وقيل: الضمير لإخوة يوسف، وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة: هذا عبدنا.

﴿يَتَمَنَّى بَخْسٍ﴾ أي: ناقصٍ عن قيمته.
 وقيل: البخس هنا: الظلم.
 ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عبارة عن قلّتها.
 ﴿وَكَاثُوا﴾ الضمير للذين أخذوه، أو لإخوته.

[وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَتْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَنَ رَبِّهِ ؓ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَذِبِكُمْ إِنَّ كَيْدَكُمُ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾].

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾ يعني: العزيز، وكان حاجب الملك وخازنه، وقال السهيلي: اسمه قُطْفِير^(١).

﴿مِنْ مِصْرَ﴾ هو البلد المعروف، ولذلك لم ينصرف.

وكان يوسف قد سبق إلى مصر، فنودي عليه في السوق حتى بلغ ثمنه وزنه ذهباً، وقيل: فضة، فاشتراه العزيز.

﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قد تقدّم.

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (١٤٤).

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ في عودة الضمير وجهان :

أحدهما : أن يعود على الله ؛ فالمعنى : أنه يفعل ما يشاء لا رادَّ لأمره .

والثاني : أنه يعود على يوسف ؛ أي : يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة .

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قيل : الأشدُّ البلوغ ، وقيل : ثمان عشرة سنة ، وقيل : ثلاث وثلاثون ، وقيل : أربعون .

﴿حُكْمًا﴾ هو الحكمة أو^(١) النبوة .

﴿وَزَوَّجْنَاهُ آلَتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي : طلبت منه ما يكون من الرجل إلى المرأة^(٢) ، وهي زليخا امرأة العزيز .

﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ روي أنها كانت سبعة أبواب .

﴿هَيْتَ لَكَ﴾ اسم فعل معناه : تعال وأقبل .

وقرئ بفتح الهاء وكسرهما ، وفتح التاء وكسرهما وضمهما ، والمعنى في ذلك كله واحد ، وحركات التاء للبناء .

وأما من قرأه بالهمز ؛ فهو فعل من تهيأتُ ، كقولك : جئت .

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدرية ، والمعنى : أعوذ بالله .

﴿إِنَّهُ رَافِعٌ﴾ يحتمل أن يكون الضمير :

لله تعالى .

(١) في ج : «و» .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «للمرأة» .

أو للذي اشتراه ؛ لأن السيد يقال له ربُّ ، فالمعنى لا ينبغي لي أن أخونه .
﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن ، ويحتمل ذلك في الأوّل .
﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ . وَهَمَّ بِهَا﴾ أكثر الناس الكلام في هذه الآية حتى ألفوا فيها
التوالييف ، فمنهم مُفَرِّط ومُفَرِّط .

وذلك أن منهم من جعل همَّ المرأة وهمَّ يوسف من حيث الفعل الذي
أرادته ، وذكروا في ذلك رواياتٍ من جلوسه بين رجلها ، وحلّه للتكة وغير
ذلك ، مما لا ينبغي أن يقال به ؛ لضعف نقله ، ولنزاهة الأنبياء عن مثله .
ومنهم من جعل أنها همَّت به لتضربه على امتناعه ، وهمَّ بها ليقتلها ،
أو يضربها ليدفعها ، وهو بعيدٌ ، يردّه قوله : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ .
ومنهم من جعل همَّها به من حيث مرادها ، وهمه بها ليدفعها ، وهذا أيضًا
بعيد ؛ لاختلاف سياق الكلام .

والصواب إن شاء الله : أنها همّت به من حيث مرادها ، وهمَّ بها كذلك ،
لكنه لم يعزم على ذلك ، ولم يبلغ إلى ما ذُكر من حلّ التكة وغيرها ، بل كان
همُّه خطرًا خطرت على قلبه لم يُطعها ، ولم يتابعها ، ولكنه بادر إلى التوبة
والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه ، ولا يَقْدَحُ
هذا في عصمة الأنبياء ؛ لأن الهمَّ بالذنب ليس بذنب ، ولا نقص عليه في
ذلك ؛ فإنه من همَّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة .

﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ جوابه محذوف ، تقديره : لولا أن رأى برهان ربه
لخالطها ، وإنما حذف ؛ لأن قوله ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ يدلُّ عليه .

وقد قيل: إن ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هو الجواب، وهذا ضعيف؛ لأن جواب «لولا» لا يتقدم عليها.

واختلف في البرهان الذي رآه:

فقيل: ناداه جبريل: يا يوسف تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء!.

وقيل: رأى يعقوب بينها.

وقيل: تفكر فاستبصر.

وقيل: رأى زليخا غطت وجه صنم لها حياءً منه، فقال: أنا أولى أن أستحيي من الله.

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ﴾ الكاف:

في موضع نصب، متعلقة بفعل مضمر، التقدير: ثبتناه مثل ذلك التثبيت. أو في موضع رفع، تقديره: الأمر مثل ذلك.

﴿السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ خيانة سيده، والوقوع في الزنا.

﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ قرئ بفتح اللام حيث وقع؛ أي: الذين أخلصهم الله لطاعته.

وبالكسر؛ أي: أخلصوا دينهم لله.

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ معناه: سابق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب، فقصد هو الخروج والهروب عنها، وقصدت هي أن تردّه.

فإن قيل : كيف قال هنا : ﴿أَبَاكَ﴾ بالإنفراد ، وقد قال بالجمع :
﴿وَعَلَّقْتَ الْأَبْوَابَ﴾ ؟

فالجواب : أن المراد هنا الباب البراني الذي هو المخرج من الدار .
﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ أي : قطعته من وراء ، وذلك أنها قبضت في
قميصه من خلفه لترده ، فتخرق القميص ، والقُدُّ : القطع بالطول ، والَقَطُّ :
بالعرض .

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ أي : وجدا زوجها عند الباب .
﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾ لما رأت الفضيحة
عكست القضية ، وادّعت أن يوسف راودها عن نفسها ، فذكرت جزاء كل من
فعل ذلك على العموم ، ولم تصرّح بذكر يوسف ؛ لدخوله في العموم ، وبناء
على أن الذنب ثابت عليه بدعواها .

﴿وَمَا جَزَاءُ﴾ يحتمل أن تكون «ما» : نافية ، أو استفهامية .
﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ برأ نفسه من دعواها .
﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ قيل : هو ابن عمها ، وقيل : كان طفلاً في المهد فتكلم .
وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف .
وكونه لم يتكلم قط ، ثم تكلم بذلك كرامةً ليوسف ﷺ .
والتقدير : شهد شاهد فقال ، أو ضمنت الشهادة معنى القول .

﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾ لأنها كانت تدافعه فتقذ قميصه
من قبل .

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ لأنها جَبَدَتْه إلى نفسها حين فَرَّ منها، فَقَدَّتْ^(١) قميصه من دبر.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾ فاعل ﴿رَأَى﴾: زوجها، أو الشاهد.

﴿إِنَّهُمْ مِنْ كَاذِبِينَ﴾ الضمير للأمر، أو لقولها: ﴿مَا جَزَاءُ﴾.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي: اكتمه ولا تحدّث به، و﴿يُوسُفُ﴾ منادى حذف منه حرف النداء؛ لأنه قريب، وفي حذف الحرف إشارة إلى تقريبه وملاطفته.

﴿وَأَسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ خطابٌ لها، وذلك من كلام زوجها، أو من كلام الشاهد.

﴿مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ جاء بلفظ التذكير، ولم يقل «من الخاطئات»؛ تغليبا للذكور.



(١) في أ، ب، هـ: «فقد».

[﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَمِائَةً كَلَّ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَوَسَّوْا لَهُ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ فَصَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾] .

﴿نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: في مصر، روى أنهن خمس نسوة: امرأة الساقى، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب.

﴿فَتَاهَا﴾ أي: خادمها، والفتى يقال بمعنى الشاب، وبمعنى الخادم.

﴿شَغَفَهَا﴾ بلغ شغاف قلبها وهو غلافه.

وقيل: السويداء منه.

وقيل: الشغاف: داء يصل إلى القلب.

﴿سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي: بقولهن، وسماء مكرًا؛ لأنه كان في خفية.

وقيل: كانت قد استكتمتهن سرًا فأفشيته عليها.

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا﴾ أي: أعتدت لهن ما يتركأ عليه من الفرش ونحوها.

وقيل: المتكأ: طعام.

وقرئ في الشاذ: «مُتَّكَا» بسكون التاء وتنوين الكاف، وهو الأتُّرُجُ.
وإعطاؤها السكاكين لهنَّ يدلُّ على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين
كالأترج، وقيل: كان لحمًا.

﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ أمرٌ ليوسف، وإنما أطاعها؛ لأنه كان مملوك زوجها.
﴿أَكْبَرَنَّهُ﴾ أي: عَظَّمَنَ شأنه وجماله.

وقيل: معنى أكبرن: حِضْن، والهاء للسكت، وهذا بعيد جدًا.
﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي اشتغلن بالنظر إليه، وبُهِتْنَ من جماله حتى قَطَّعن
أيديهن وهنَّ لا يشعرن كما يقطع الطعام.
﴿حَسَرَ لِلَّهِ﴾ معناه براءة وتنزيه؛ أي: تنزيهٌ لله وتعجب من قدرته على خلقه
مثله.

و«حاش» في باب الاستثناء تخفُّض على أنها حرف، وأجاز المبرد
النصب بها على أن تكون فعلاً.

وأما هنا: فقال أبو علي الفارسي: إنها فعل، والدليل على ذلك من
وجهين:

أحدهما: أنها دخلت على لام الخبر وهو اللام في قوله ﴿لِلَّهِ﴾،
ولا يدخل الحرف على حرف.

والآخر: أنها حذف منها الألف على قراءة الجماعة، والحروف
لا يحذف منها شيء، وقرأها أبو عمرو بالألف على الأصل، وإنما تحذف
من الأفعال كقولك: لم يك، ولا أدِر.

والفاعل ب ﴿حَشَّ﴾ ضمير يعود على يوسف، تقديره: بُعد يوسف عن الفاحشة لخوف الله.

وقال الزمخشري: إن ﴿حَشَّ﴾ وُضِعَ موضع المصدر، كأنه قال: «تنزيهاً»، ثم قال: «لله»؛ لبيان من ينزهه، قال: وإنما حذف منه التنوين مراعاةً لأصله من الحرفية^(١).

﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ أخرجته من البشر، وجعلته من الملائكة؛ مبالغة في وصفه بالحسن.

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ توبيخُ لهن على اللوم^(٢).

﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ أي: طلب العصمة، وامتنع مما أرادت منه.

﴿أَصْبُ إِلَيْنَ﴾ أي: أَمِلْ^(٣)، وكلامه هذا تضرُّعٌ إلى الله.

﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمُ﴾ أي: ظهر، والفاعل محذوف، تقديره: رأيي، والضمير في ﴿لَهُمُ﴾:

لزوجها وأهلها.

أو^(٤) من تشاور معه في ذلك.

﴿رَأَوْا آيَاتِنَا﴾ أي: الأدلة على براءته.

(١) انظر: الكشاف (٣١٧/٨).

(٢) سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «أَمِلْ».

(٤) في أ، ب، د، هـ: «و».

[وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعِصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي
 أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأَيْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
 ٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي
 رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ
 آبَائِي ابْرَهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ
 اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٣٨) يَصْحَجِي السِّجْنَ أَزْبَابٌ
 مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا
 أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
 ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٤٠) يَصْحَجِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا
 فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي
 فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ٤١) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ
 الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ ٤٢)] .

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ أي: شابان، وقبل هذا محذوف لا بد منه، وهو: فسجنوه.

وكان يوسف قد قال لأهل السجن: إني أعبرُ الرؤيا، فلذلك سأله الفتیان عن منامهما.

وقيل: إنهما استعملاهما ليُجرباه.

وقيل: رأيا ذلك حقًا.

﴿أَعِصِرُ خَمْرًا﴾ قيل فيه: سَمَى العنبَ خمرًا بما يؤول إليه.

وقيل: هي لغة.

﴿إِنَّا نَزَّلْنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قيل : معناه : في تأويل الرؤيا .

وقيل : إحسانه إلى أهل السجن .

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْزَقَانِهِ﴾ الآية ؛ تقتضي أنه وصف لهما نفسه بكثرة العلم ؛ ليجعل ذلك وُضْعَةً إلى دعائهما لتوحيد الله .

وفيه وجهان :

أحدهما : أنه قال : إنه يخبرهما بكل ما يأتيهما في الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما ، وذلك من الإخبار بالغيوب الذي هو معجزة للأنبياء .

والآخر : أنه قال : لا يأتيكما طعام في المنام إلا أخبركما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا .

﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ رُوي أنهما قالاه : من أين لك هذا العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم ؟ فقال : ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ .

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون هذا الكلام :

تعليلاً لما قبله من قوله : ﴿عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ .

أو يكون استئنافاً .

﴿يَصْصَجِي السَّجْنَ﴾ نسبهما إلى السجن :

إمّا لأنهما سكناه .

أو لأنهما صجّباه فيه ، فكأنه قال : يا صاحبي في السجن .

﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾ الآية ؛ دعاهما إلى توحيد الله ، وأقام عليهما

الحجة ؛ رغبةً في إيمانهما .

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ ﴾ أوقع الأسماء هنا موقع المسميات ،
والمعنى : سميت آلهة ما لا يستحق الإلهية ، ثم عبدتموها ^(١) .

﴿ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ أي : حجة وبرهان .

﴿ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾ يعني : الملك .

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا ﴾ الظن هنا يحتمل :

أن يكون بمعنى اليقين ؛ لأن قوله : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ يقتضي ذلك .

أو يكون على بابه ؛ لأنه عبارة الرؤيا ظن .

﴿ أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أي : عند الملك .

﴿ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ قيل : الضمير ليوسف ؛ أي : نسي في

ذلك الوقت أن يذكر الله ، ورجا غيره ، فعاقبه الله على ذلك بأن لبث في
السجن .

وقيل : الضمير للذي نجا منهما ، وهو السَّاقِي ؛ أي : نسي ذكْرَ يوسف عند
ربه ، فأضاف الذِّكر إلى ربه ؛ إذ هو عنده ، والرُّبُّ على هذا التأويل : الملك .

﴿ بِضْعِ سِنِينَ ﴾ البِضْعُ : من الثلاثة إلى العشرة ، وقيل : إلى التسعة .

وروي أن يوسف عليه السلام سُجِّنَ خمسَ سنين أولاً ، ثم سجن بعد قوله ذلك
سبعَ سنين .

(١) في ب : « تسميتهم آلهة ما لا يستحق الإلهية ، ثم عبدوها » .

[وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾].

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ هو ملك مصر الذي كان العزيز خادماً له ، واسمه رِيَّان بن الوليد ، وقيل : مصعب بن الرِّيان ، وكان من الفراعنة .

وقيل : إنه فرعون موسى ، عُمِّر أربع مئة سنة حتى أدركه موسى ، وهذا بعيد .

﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ﴾ يعني : في المنام .

﴿عِجَافٌ﴾ أي : ضِعَافٌ في غاية الهُزَال .

﴿يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ﴾ خطابٌ لجلسائه وأهل دولته .

﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي : تعرفون تأويلها ، يقال : عَبَرْتُ الرُّؤْيَا بتخفيف الباء ، وأنكر بعضهم التشديد ، وهو مسموعٌ من العرب .

وأدخلت اللام على المفعول به لَمَّا تقدَّم عن الفعل .

﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾ أي : تَخَالِيظُهَا وَأَبَاطِيلُهَا ، وما يكون منها من

حديث نفسي ووسوسة شيطانٍ بحيث لا يُعْبَرُ.

وأصل الأضغاث: ما جُمِعَ من أخلاط النبات، واحده: ضِغْثٌ.
فإن قيل: لم قال ﴿أَضْغَثُ أَحْلَمٍ﴾ بالجمع، وإنما كانت الرؤيا واحدة؟.
فالجواب: أن هذا كقولك: فلان يركب الخيل، وإن ركب فرسًا واحدًا.
﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ إمَّا أن يريدوا:
تأويل الأحلام الباطلة.

أو تأويل الأحلام على الإطلاق، وهو الأظهر.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ هو ساقى الملك.

﴿وَأَذْكُرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد حين.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ يُقَدَّرُ قبله محذوفٌ لا بد منه، وهو: فأرسلوه فقال:
يا يوسف.

وسمَّاه صديقًا؛ لأنه كان قد جَرَّبَ صِدْقَه في تعبير الرؤيا وغيرها،
والصديق مبالغة في الصّدق.

﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ أي: فيمن رأى سبع بقرات، وكان الملك قد رأى
سبع بقرات سمان أكلتهن سبع عجاف، فعجب كيف غلبتهن؟ وكيف وسعت
في بطونهن؟، ورأى سبع سنبلات خضر، وقد التفت بها سبعٌ يابسات، حتى
غَطَّتْ خضرتها.

﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ هذا تعبيرٌ للرؤيا، وذلك أنه عبر البقرات السّمان

بسبع سنين مخصبة، وعبر البقرات العجاف بسبع سنين مجدبة، وكذلك السنبلات الخضر واليابسة.

﴿دَابَّاءُ﴾ بسكون الهمزة وفتحها، مصدر دأب على العمل: إذا داوم عليه، وهو مصدر في موضع الحال.

﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ هذا رأيُ أرشدهم يوسف إليه، وذلك أن أرض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين، فعلمهم حيلةً يبقى بها من السنين المخصبة إلى السنين المجدبة، وهي أن يتركوه في سنبله غير مدروس^(١)، فإن الحبة إذا بقيت في غشائها انحفظت.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي: لا تدرسوا منه إلا ما يحتاج للأكل خاصة.

﴿سَبْعَ شِدَادٍ﴾ يعني: سبع سنين ذات شدة وجوع.

﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: تأكلون فيهنَّ ما اخترنتم من الطعام في سنبله، وأسند الأكل إلى السنين مجازًا.

﴿مِمَّا تُخْصِنُونَ﴾ أي: تُحَرِّزون^(٢) وتُخَبِّتون.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ هذا زيادة على ما تقتضيه الرؤيا، وهو الإخبار بالعام الثامن.

﴿يُعَاثُ النَّاسُ﴾ يحتمل أن يكون:

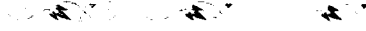
من الغيث؛ أي: يُمَطِّرون.

(١) درس الحنطة دِرَاسًا: إذا داسها. لسان العرب (٧/٣٨٢).

(٢) في د: «تخرنون».

أو من الغوث؛ أي: يفرّج الله عنهم.

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ أي: يعصرون الزيتون والعنب والسّمسم وغير ذلك مما يعصر.



[وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٩﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾ وَلَأَجْزُرُ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٦٢﴾].

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ؟﴾ قَبْلَ هَذَا مَحذُوفٌ، وَهُوَ: فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى الْمَلِكِ فَقَصَّ عَلَيْهِ مَقَالَهَ يَوْسُفَ، فَرَأَى عِلْمَهُ وَعَقْلَهُ، فَقَالَ: ﴿أَتُؤْنِي بِهِ؟﴾.

﴿قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ﴾ لَمَّا أَمَرَ الْمَلِكُ بِإِخْرَاجِ يَوْسُفَ مِنَ السِّجْنِ وَإِتْيَانِهِ إِلَيْهِ، أَرَادَ يَوْسُفُ أَنْ يَبْرِّئَ نَفْسَهُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ مَرَاوِدَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ عَنْ نَفْسِهَا، وَأَنْ يُعْلِمَ الْمَلِكَ وَغَيْرَهُ أَنَّهُ سُجِنَ ظُلْمًا، فَذَكَرَ طَرَفًا مِنْ قِصَّتِهِ لِيَنْظُرَ الْمَلِكُ فِيهَا فَيَتَبَيَّنَ لَهُ الْأَمْرُ، وَكَانَ هَذَا الْفِعْلُ مِنْ يَوْسُفَ صَبْرًا وَحِلْمًا، إِذَا لَمْ يُجِبْ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ السِّجْنِ سَاعَةً دُعِيَ إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ طَوِيلِ الْمَدَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ؛ رَغْبًا لِذِمَامِ زَوْجِهَا وَسِتْرًا لَهَا، بَلْ ذَكَرَ النِّسْوَةَ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ الْآيَةُ؛ جَمَعَ الْمَلِكُ النِّسْوَةَ وَامْرَأَةَ الْعَزِيزِ مَعَهُنَّ، فَسَأَلَهُنَّ عَنْ قِصَّةِ يَوْسُفَ، وَأَسْنَدَ الْمَرَاوِدَةَ إِلَى جَمِيعَهُنَّ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْدهُ عِلْمٌ بِأَنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ هِيَ الَّتِي رَاودَتْهُ وَحْدَهَا.

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ تبرئة ليوسف .

أو تبرئة لأنفسهن من مراودته ، وتكون تبرئة يوسف بقولهن : ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ .

﴿الَّذِينَ حَصَّصَ الْحَقُّ﴾ أي : تبين وظهر ، ثم اعترفت على نفسها بالحق .

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قيل : إنه من كلام امرأة العزيز متصلاً بما قبله ، والضمير في ﴿لِيَعْلَمَ﴾ و﴿أَخُنْهُ﴾ على هذا ليوسف ﷺ ؛ أي : ليعلم يوسف أنني لم أكذب عليه في حال غيبته ، والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى توبتها وإقرارها .

وقيل : إنه من كلام يوسف ﷺ ، فالضمير للعزيز ؛ أي : لم أخنه في زوجته في غيبته ، بل تعففت عنها ، والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى توقفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته .

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ اختلف أيضاً هل هو من كلام امرأة العزيز ، أو من كلام يوسف ؟ .

فإن كان من كلامها : فهو اعترافٌ بعد الاعتراف .

وإن كان من كلامه :

فهو اعترافٌ بما همَّ به على وجه خطوره على قلبه ، لا على وجه العزم والقصد .

أو قاله في عموم الأحوال على وجه التواضع .

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ النفس هنا للجنس ، والنفوس ثلاثة أنواع :

أماراة بالسوء، ولوامة؛ وهي التي تلوم صاحبها، ومطمئنة.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ استثناء من ﴿النَّفْس﴾؛ إذ هي بمعنى النفوس، أي: إلا النفس المرحومة وهي المطمئنة، ف«ما» على هذا بمعنى الذي.

ويحتمل أن تكون ظرفية؛ أي: إلا حين رحمة الله.

﴿أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ أي: أجعله خاصتي وخلاصتي، قال أولاً: ﴿أَتُونِي بِهِ﴾، فلما تبين له حاله قال: ﴿أَتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: لما رأى حسن كلامه وعرف وفور عقله وعلمه قال: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، والمكين: من التمكن، والأمين: من الأمانة.

﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ لما فهم يوسف من الملك أنه يريد تصريحه والاستعانة به قال له ذلك، وإنما طلب منه الولاية رغبة منه في العدل وإقامة الحق والإحسان، وكان هذا الملك كافراً.

ويُستدلُّ بذلك على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يُصلح بعض الأحوال.

وقيل: إن الملك أسلم.

وأراد بقوله: ﴿خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: أرض مصر؛ إذ لم يكن للملك غيرها، والخزائن: كل ما يختزن من طعام ومال وغير ذلك.

﴿إِنِّي حَافِظٌ عَلَيْهِ﴾ صفتان تعم^(١) وجوه المعرفة والضبط للخزائن.

(١) في هامش أ: «تعمان».

وقيل : حفيظٌ للحساب ، عليمٌ بالألسن ، واللفظ أعم من ذلك .
ويُستدلُّ بذلك أنه يجوز للرجل أن يعرفَ بنفسه ويمدحَ نفسه بالحق إذا
جهل أمره ، وإذا ^(١) كان في ذلك فائدة .

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ الإشارة بـ «ذلك» إلى ما تقدّم من
جميل صنع الله به .

ورُوي أن الملك ولّاه في موضع العزيز ، وأسند إليه جميع الأمور حتى
تغلّب على أمره ، وأن امرأة العزيز شاخت وافتقرت ، فتزوجها يوسف ودعا
الله ، فردّ عليها جمالها وشبابها ، وأنه باع من أهل مصر في أعوام القحط
الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى حتى لم يبق لهم شيء منها ، ثم
بالحلي ، ثم بالدواب ، ثم بالضّياح والعقار ، ثم برقابهم حتى تملّكهم
جميعاً ، ثم أعتقهم وردّ عليهم أملاكهم .

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ الرحمة هنا : يراد بها الدنيا ، وكذلك الأجر في
قوله : ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ؛ بدليل قوله بعد ذلك : ﴿وَلَا نُجْزِ الْأَخْرَةَ
خَيْرٌ﴾ ، فأخبر تعالى أن رحمته في الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر
ومطيع وعاص ، وأن المحسن لا بدّ له من أجره في الدنيا ، فالأول : في
المشيئة ، والثاني : واقع لا محالة ، ثم أخبر أن أجر الآخرة خيرٌ من ذلك كلّهُ
للذين آمنوا وكانوا يتقون .

وفي الآية إشارة إلى أن يوسف عليه السلام جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة .

(١) في أ ، هـ : «أو إذا» .

[وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَرَّوْدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَذَا مِنْكُمْ عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أُلْحِمَكُم إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَلَهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾].

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ كان سبب مجيئهم أنهم أصابتهم مجاعة في بلادهم فخرجوا إلى مصر ليشتروا بها من الطعام الذي أذخره يوسف .

﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ إنما أنكروه لبعد العهد به وتغير سنه ، أو لأنه كان مثلثاً .

وروي أنهم دخلوا عليه وهو على ^(١) هيئة عظيمة من الملك ، وأنه سألهم

(١) في د: «في».

عن أحوالهم، وأخبروه أنهم تركوا أخا لهم (عند أبيهم)^(١)، فحينئذ قال لهم: ﴿أَتُنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ﴾، وهو بنيامين شقيق يوسف.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ الجَهاز: ما يحتاج إليه المسافر من زاد وغيره، والمراد به هنا: الطعام الذي باع منهم.

﴿خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ أي: المضيفين.

﴿وَإِنَّا لَفَعْلُونَ﴾ أي: نفعل ذلك لا محالة.

﴿وَقَالَ لِفَتْنِهِ﴾ جمع فتى، وهو الخادم سواء كان حراً أو عبداً.

﴿أَجْعَلُوا بَضْعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ أمر أن يجعلوا البضاعة التي اشتروا منه بها الطعام في أوعيتهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ أي: لعلهم يعرفون اليد والكرامة في ردّ البضاعة إليهم، وليس الضمير للبضاعة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع، وقصد بردّ البضاعة إليهم مع الطعام استتلافهم بالإحسان إليهم.

﴿مُنِيعَ مِمَّا الْكَيْلُ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾، فهو خوف من المنع في المستقبل.

﴿نَكَيْلٌ﴾ وزنه نَفَعِل من الكيل.

﴿مَا نَبِغِي﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية، و﴿نَبِغِي﴾ بمعنى: نطلب، والمعنى: أي شيء نطلبه بعد هذه الكرامة، وهي ردّ البضاعة مع الطعام؟.

(١) لم ترد في أ، ج، هـ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ ﴿مَا﴾ نافية، و﴿بَغْيٍ﴾ من البغي؛ أي: لا نتعدى على أخينا ولا نكذب على الملك.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي: نسوق لهم الطعام.

﴿وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ﴾ يريدون بَعِيرَ أَخِيهِمْ؛ إذ كان يوسف لا يعطي إلا كيل بَعِيرٍ من الطعام لإنسان، فأعطاهم عشرة أبعرة، ومنعهم الحادي عشر؛ لغيبة صاحبه حتى يأتي، والبَعِير: الجمل.

﴿ذَلِكَ كَيْلٌ لِّسِيرٍ﴾ إن كانت الإشارة إلى الأحمال فالمعنى: أنها قليلة لا تكفيهم حتى يضاف إليها كيل بَعِيرٍ.

وإن كانت الإشارة إلى ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ فالمعنى: أنه يسيرٌ على يوسف؛ أي: قليل عنده أو سهلٌ عليه، فلا يمنعهم منه.

﴿حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أراد أن يحلفوا له، و﴿لَتَأْتُنِي﴾ جواب اليمين.

﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إِلَّا أَنْ تُغْلَبُوا، فلا تطيقون الإتيان به.

﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ خاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين؛ إذ كانوا أهل جمالٍ وهيئة.

﴿مَا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ جواب ﴿وَلَمَّا﴾، والمعنى: أن ذلك لا يدفع ما قضى الله.

﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ استثناء منقطع، والحاجة هنا: هي شفقتهم عليهم ووصيته لهم.

[وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا آلُ عِثْرٍ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَبْنَئُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عَنْهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٧٩﴾].

﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي: ضمه.

﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ أخبره بأنه أخوه، واستكتمه ذلك.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: لا تحزن؛ وهو من البؤس.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الضمير لإخوة يوسف، ويعني: ما فعلوا بيوسف وأخيه.

ويحتمل أن يكون لفتيانه؛ أي: لا تبالي بما تراه من تحلي في أخذك.

﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ السَّقَايَةُ هي الصُّوَاعُ، وهو إناء يشرب به

الملك، ويكال به الطعام، وكان من فضة، وقيل: من ذهب.

وقصد بجعله في رحل أخيه أن يحتال على إمساكه معه؛ إذ كان شرع يعقوب أن من سرق استعبده المسروق له.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي: نادى منادٍ.

﴿أَتَتْهَا أَلْعِيرُ﴾ أي: أيتها الرفقة.

﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ خطاب لأخوة يوسف، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة لما في ذلك من المصلحة من إمساك أخيه.

وقيل: إن حافظ السقاية نادى: إنكم لسارقون، بغير أمر يوسف، وهذا بعيد؛ لتفتيش الأوعية.

﴿وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أي: لمن وجده ورده حملُ بعير من طعام على وجه الجعل.

﴿وَأَنَّا بِهِ زَعِيمٌ﴾ أي: ضامنٌ لحمل البعير لمن ردَّ الصواع، وهذا من كلام المنادي.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ استشهدوا بعلمهم؛ لما ظهر لهم من ديانتهم في دخولهم أرضهم، حتى كانوا يجعلون الأكمة في أفواه إبلهم؛ لئلا تنال زروع الناس.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ أي: قال فتيان يوسف: ما جزاء آخذ الصواع إن كنتم كاذبين في قولكم: ﴿وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ﴾، فالضمير في قوله: ﴿جَزَاؤُهُ﴾ يعود على الآخذ المفهوم من الكلام.

﴿قَالُوا جَزَاءُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُ﴾ المعنى : أن إخوة يوسف أفتوا فيما سئلوا عنه فقالوا : جزاء السارق أن يُستعبد ، ويُؤخذ في السرقة .

وأما الإعراب فيحتمل وجهين :

الأول : أن يكون ﴿جَزَاءُ﴾ الأول مبتدأ ، و﴿مَنْ﴾ مبتدأ وهي شرطية أو موصولة ، وخبرها ﴿فَهُوَ جَزَاءُ﴾ ، والجملة خبر ﴿جَزَاءُ﴾ الأول .

والوجه الثاني : أن يكون ﴿مَنْ﴾ خبر المبتدأ الأول على حذف مضاف ، وتقديره : جزاؤه أخذ مَنْ وَجَدَ في رحله ، وتمَّ الكلام ، ثم قال : ﴿فَهُوَ جَزَاءُ﴾ ؛ أي : هذا الحكم جزاؤه .

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ من كلام إخوة يوسف ؛ أي : هذا حُكْمنا في السارق .

وقد كان هذا الحكم في أول الإسلام ، ثم نسخ بقطع الأيدي .

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ هذا تمكين للحيلة ، ورفعٌ للثمة .

﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ ليصحَّ له بذلك إمساكه معه ، وإنما أنث الصواع في هذا الموضع ؛ لأنه سقاية ، أو لأن الصواع يذكر ويؤنث .

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي : صنعنا له هذا الصُّنْع .

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي : في شرِّعه أو عادته ؛ لأنه إنما كان جزاء السارق عنده أن يُضْرَبَ وَيُضْعَفَ عليه الغرمُ ، ولكن حُكْم في هذه القضية بحكم آل يعقوب .

﴿نَزَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ يعني : الرِّفْعَة بالعلم ؛ بدليل ما بعده .

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أي: فوق كل عالم من هو أعلم منه من البشر، أو الله ﷻ.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾ لإخوة يوسف، وأشاروا إلى يوسف، ومعنى كلامهم: إن يسرق بنيامين فقد سرق أخوه يوسف من قبل؛ فهذا الأمر إنما صدر من ابني راحيل^(١)، لا منّا، وقصدوا بذلك رفع المعرّة عن أنفسهم، ورموا بها يوسف وشقيقه.

واختلف في السرقة التي رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال:

الأول: أن عمّته ربّته، فأراد والده أن يأخذه منها، وكانت تحبه ولا تصبر عنه، فجعلت عليه منطقة لها، ثم قالت: إنه أخذها، فاستعبده بذلك، وبقي عندها إلى أن ماتت.

والثاني: أنه أخذ صنماً لجده والد أمه فكسره.

والثالث: أنه كان يأخذ الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين.

﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ قال الزمخشري: الضمير للجملة التي بعد ذلك؛ وهي قوله: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾، والمعنى: قال في نفسه: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾^(٢).

وقال ابن عطية: الضمير للحزاة التي وجد في نفسه من قولهم: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، أسرّ كراهية مقاتلهم، ثم جاهرهم بقوله: ﴿أَنْتُمْ

(١) راحيل: اسم أم يوسف وبنيامين.

(٢) انظر: الكشاف (٨/٤٠١-٤٠٣).

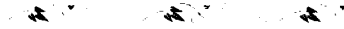
شَرُّ مَكَانًا ﴿١﴾ ؛ أي : لسوء أفعالكم ^(١).

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ إشارة إلى كذبهم فيما وصفوه به من السرقة .

﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ استعطاف ، وكانوا قد أعلموه بشدة محبة أبيه فيه .

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ على وجه : الضمان ، أو ^(٢) الاسترهان ، أو الاستعباد ، وهذا هو الأظهر ؛ لقوله : ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ﴾ .

﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي : أحسنت إلينا فيما فعلت معنا قبل ، أو على الإطلاق .



(١) انظر : المحرر الوجيز (١٢٦/٥) .

(٢) في ب : «و» .

[﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٥﴾ ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّكَ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨٦﴾ وَسَلِ الْقَرْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٧﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٨﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَاسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبِصُتْ عَيْنَاهُ مِنْ الْحَزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٩﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٩٠﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩١﴾ يَبْنَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٩٢﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَايَأُ الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِضِغَةِ مُرْجَةٍ فَآوَفْ لَنَا الْكَيْلَ وَنَصَدِّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٩٣﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَبَصِيرٍ فَإِنَّكَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَاكَ اللَّهُ عَلِيمًا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩٦﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٧﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٨﴾].

﴿اسْتَيْسَسُوا﴾ أي: يسسوا.

﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ أي: انفردوا عن غيرهم يناجي بعضهم بعضًا.

والنجي يكون: بمعنى المناجي، ومصدرًا.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ قيل : كبيرهم في السن ؛ وهو روبيل .

وقيل : كبيرهم في الرأي ؛ وهو شمعون .

وقيل : يهوذا .

﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ تَحْتَمِلُ ﴿مَا﴾ وجوهاً :

الأول : أن تكون زائدة .

والثاني : أن تكون مصدرية ، ومحلها الرفع بالابتداء ، تقديره وقع من قبل^(١) تفريطكم في يوسف .

والثالث : أن تكون موصولة ، ومحلها أيضاً الرفع كذلك .

والأول أظهر .

﴿فَلَنْ أُنَبِّئَكَ الْآرْضَ﴾ يريد : الموضع الذي وقعت فيه القصة .

﴿أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَبِيكُمْ﴾ من قول كبيرهم .

وقيل : من قول يوسف ، وهو بعيد .

﴿إِنَّكَ أَبْنَاكَ سَرَقَ﴾ قرأ الجمهور بفتح السين والراء .

وروي عن الكسائي «سَرَّقَ» بضم السين وكسر وتشديد الراء ؛ أي : نُسِبَتْ له السرقة .

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ أي : قولنا لك : ﴿إِنَّكَ أَبْنَاكَ سَرَقَ﴾ إنما هي شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى .

(١) في هامش ب زيادة «هذا» .

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ أي: لا نعلم الغيب هل ذلك حق في نفس الأمر، أم لا؛ إذ يمكن أن دُسَّ الصَّواع في رحله من غير علمه.

وقال الزمخشري: المعنى: ما شهدنا إلا بما علمنا من سرقة وتيقناه؛ لأن الصَّواع استُخرج من وعائه، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ أي: ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق^(١).

وقراءة ﴿سَرَقَ﴾ بالفتح تعضد قول الزمخشري، والقراءة بالضم تعضد القول الأول.

﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ﴾ تقديره: وأسأل أهل القرية، وكذلك: أهل العير؛ يعنون الرُّفقة، هذا قول الجمهور.

وقيل: المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها، ولا يبعد أن تخبره الجمادات؛ لأنه نبي.

والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز.

والقرية هنا: هي مصر.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ قبله محذوف تقديره: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام، فقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ الآية.

﴿بِهِمْ جَمِيعاً﴾ يعني: يوسف، وأخاه بنيامين، وأخاهم الكبير الذي قال: لن أبرح الأرض.

﴿وَتَوَكَّى عَنْهُمْ﴾ لما لم يصدِّقهم أعرض عنهم، ورجع إلى التأسف.

(١) انظر: الكشاف (٨/ ٤١٠).

﴿وَقَالَ يَتَأَسَّفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ تأسّف على يوسف، دون أخيه الثاني والثالث
الذاهبين؛ لأن حُزنه عليه كان أشدّ؛ لإفراط محبته، ولأن مصيبتَه كانت
السابقة.

﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ أي: من البكاء الذي هو ثمرة الحزن،
فقليل: إنه عمي، وقيل: إنه كان يدرك إدراكًا ضعيفًا.

وروي عن النبي ﷺ: أن يعقوب حزن حُزن سبعين ثكلى، وأُعطي أجر مئة
شهيد، وما ساء ظنه بالله قط^(١).

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ قيل: إنه فعيل بمعنى فاعل؛ أي: كاظم لحزنه لا يظهره
لأحد، ولا يشكو إلا إلى الله^(٢).

وقيل: بمعنى مفعول، كقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]؛ أي:
مملوء القلب بالحزن، أو بالغىظ على أولاده.

وقيل: الكظيم: الشديد الحُزن.

﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُا﴾ أي: لا تفتؤ، والمعنى: لا تزال، وحذف حرف النفي؛
لأنه لا يلتبس بالإثبات؛ لأنه لو كان إثباتًا لكان مؤكّدًا باللام والنون.

﴿حَرَضًا﴾ أي: مشفياً^(٣) على الهلاك.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ ردّ عليهم تفنيدهم له؛ أي: إنما

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٧/١٣-٣٠٨).

(٢) في أ، ب: «إلا لله».

(٣) في د: «مشفقًا».

أشكو إلى الله، لا إليكم ولا لغيركم.

والبتُّ: أشدَّ الحزن.

﴿وَأَعْلَمُ مِنْكَ اللَّهُ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم من لطفه ورأفته ورحمته ما يوجب حسن ظني به، وقوة رجائي فيه.

﴿يَبْقَى أَذْهَبُوا﴾ يعني: إلى الأرض التي تركتم بها أخويكم.

﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي: تعرّفوا خبرهما، والتحسّسُ: طلب الشيء بالحواس؛ السمع والبصر.

وإنما لم يذكر الولد الثالث؛ لأنه بقي هناك اختياراً منه، ولأن يوسف وأخاه كانا أحبَّ إليه.

﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ أي: من رحمة الله.

﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ إنما جعل اليأس من صفة الكافر؛ لأن سببه تكذيب الربوبية، أو جهلُ بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ أي: على يوسف، وقَبِلَ هذا محذوفٌ؛ تقديره: فرجعوا إلى مصر.

﴿الضَّرُّ﴾ يريدون به: المجاعة، أو الهمُّ على إخوانهم.

﴿يَبْضَعُونَ مَرْجَةً﴾ يعنون الدراهم التي جاؤوا بها لشراء الطعام، والمزجاة: القليلة، وقيل: الرديئة، وقيل: الناقصة.

وقيل: إن بضاعتهم كانت غروصاً؛ فلذلك قالوا هذا.

﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ قيل: يعنون بما بين الدراهم الجياد ودراهمهم .
وقيل: أوف لنا الكيل الذي هو حقنا، وزدنا على حقنا، وسموا الزيادة
صدقة، ويقتضي هذا أن الصدقة كانت حلالاً للأنبياء قبل محمد ﷺ .

وقيل: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ برّد أخينا إلينا .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ قال النقاش: هو من المعارض؛ وذلك أنهم
كانوا يعتقدون أنه كافر؛ لأنهم لم يعرفوه، فظنوا أنه على دين أهل مصر،
فلو قالوا: إن الله يجزيك بصدقتك كذبوا، فقالوا لفظاً يوهم أنهم أرادوه
وهم لم يريدوه .

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ لما شكوا إليه رَقَّ لهم وعرفهم
بنفسه .

وروي أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لثامٌ، ثم أزال اللثام ليعرفوه .
وأراد بقوله: ﴿مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ التفريق بينهما في الصغر،
ومضرتهم ليوسف، وإذاية أخيه من بعده؛ فإنهم كانوا يُذِلُّونه وَيَشْتِمُونَهُ .
﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ اعتذارٌ عنهم؛ فيحتمل أن يريد: الجهل بقبح ما
فعلوه، أو جهل الشباب .

﴿قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنَّ يُّوسُفَ﴾ قرئ بالاستفهام، والخبر .

فالخبر على أنهم عرفوه .

والاستفهام على أنهم توهموا أنه هو ولم يحققوه .

﴿مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ﴾ قيل: أراد مَنْ يتق في ترك المعصية، ويصبر على السجن.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿ءَاثَرَكَ اللَّهُ﴾ أي: فضلك.

﴿لَا تَطِيعُ﴾ أي: عاصين، وفي كلامهم استعطاف واعتراف.

﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ عفو جميل، والتثريب: التعنيف، أو العقوبة.

وقوله: ﴿الْيَوْمَ﴾ راجع إلى ما قبله فيوقف عليه، وهو يتعلق بالتثريب، أو بالمقدّر في ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من معنى الاستقرار.

وقيل: إنه يتعلق بـ ﴿يَغْفِرُ﴾، وذلك بعيد؛ لأنه تحكّم على الله؛ وإنما ﴿يَغْفِرُ﴾ دعاء، فكأنه أسقط حق نفسه بقوله: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، ثم دعا الله^(١) أن يغفر لهم حقه.

﴿أَذْهَبُوا بِمِصْرِي﴾ روي أن هذا قميص كان لإبراهيم، كساه الله له حين أخرج من النار، وكان من ثياب الجنة، ثم صار لإسحاق، ثم ليعقوب، ثم دفعه يعقوب ليوسف، وهذا يحتاج إلى سند يوثق به.

والظاهر: أنه كان قميص يوسف الذي بمنزلة قميص كل أحد.

﴿يَأْتِ بِصِيرَا﴾ الظاهر: أنه عَلِمَ ذلك بوحى من الله.

(١) في ب، د، هـ: «دعا إلى الله».

[وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾
 قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ
 بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَتَّبِعَانَا سَتَفَغِيرَ لَنَا
 ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
 ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ
 ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَّابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ
 جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ
 نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾
 ﴿١٠١﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ
 وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ
 نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ
 وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٥﴾].

﴿فَصَلَّتِ الْعِيرُ﴾ أي : خرجت من مصر متوجهة إلى يعقوب .

﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ كان يعقوب بيت المقدس ، ووجد
 ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة .

﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ أي : تلومونني أو تردون علي قولي .

وقيل : معناه : تقولون : ذهب عقلك ؛ لأن الفند هو الحرف .

﴿لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ أي : ذهابك عن الصواب ؛ بإفراط محبتك في
 يوسف قديماً .

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ روي أن البشير يهوذا ؛ لأنه كان جاء بقميص الدَّم ،

فقال لإخوته: إني ذهبت إليه بقميص التَّرحَة؛ فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ وعدهم بالاستغفار لهم، ف قيل: سَوْفَهم إلى السَّحَر؛ لأن الدعاء يستجاب فيه، وقيل: إلى ليلة الجمعة.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ هنا محذوفات يدلُّ عليها الكلام؛ وهي: فرحل يعقوب بأهله حتى بلغوا يوسف.

﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أي: ضمَّهما، أراد^(١) بالأبوين: أباه وأمه.

وقيل: أباه وخالته؛ لأن أمه كانت قد ماتت، وسمَّى^(٢) الخالة على هذا أمًا.

﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ راجعُ إلى الأمن الذي في قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: على سرير الملك.

﴿وَحَرَّوْا لَهُ سُجَّدًا﴾ كان السجود عندهم تحية وكرامة، لا عبادة.

﴿وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: حين رأى الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يسجدون له.

وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عامًا، وقيل: أربعون.

﴿أَحْسَنَ بِي﴾ يقال: أحسن به وإليه.

(١) في د: «وأراد».

(٢) في د: «وتسمَّى».

﴿أَخْرَجْنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ إنما لم يقل أخرجني من الجبِّ لوجهين :
أحدهما : أن في ذكر الجب خِزْيُ إخوته ، وتعريفُهم بما فعلوا ؛ فترك
ذكره ؛ توقيراً لهم .

والآخر : أنه خرج من الجب إلى الرقِّ ، ومن السجن إلى الملك ؛ فالنعمة
به أكثر .

﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ أي : من البادية ، وكانوا أصحاب إبل وغنم ، فعَدَّ
في النعم مجيئهم للحاضرة .

﴿نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾ أي : أفسد وأغوى .

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ أي : لطيفُ التدبير لما يشاء من الأمور .

﴿مِنَ الْمُلْكِ﴾ «مِنْ» للتبعض ؛ لأنه لم يعطه الله إلَّا بعض مُلك الدنيا ، بل
بعض ملك مصر .

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ لما عَدَّد النعم التي أنعم الله عليه اشتاق إلى لقاء ربه ولقاء
الصالحين من سلفه وغيرهم ، فدعا بالموت .

وقيل : ليس ذلك دعاءً بالموت ، وإنما دعا أن الله يتمَّ عليه النعم بالوفاة
على الإسلام إذا حان أجله .

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ احتجاجُ على صحة نبوة النبي ﷺ بإخباره بالغيوب .

﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ؛ تأكيداً لحجته ، والضمير لإخوة
يوسف .

﴿إِذْ أَجْمَعُوا﴾ أي : عزموا .

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ يعني : فغلهم بيوسف .

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ عمومٌ ؛ لأن الكفار أكثر من المؤمنين .

وقيل : أراد أهل مكة .

﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ اعتراضٌ ؛ أي : لا يؤمنون ، ولو حرصت على إيمانهم .

﴿وَمَا تَنْتَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي : لست تسألهم أجرًا على الإيمان ، فيثقل

عليهم بسبب ذلك .

وهكذا معناه حيث وقع .



[وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١١٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١١٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسَخَنَ ٱللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا لَّا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ ٱلْقَرْيَةِ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِّقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٢١﴾].

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ﴾ يعني: المخلوقات والحوادث الدالة على الله سبحانه.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ نزلت في كفار العرب الذي يُقرون بالله ويعبدون معه غيره.

وقيل: في أهل الكتاب؛ لقولهم: عزيز ابن الله، (والمسيح ابن الله) ^(١).

﴿غَشِيَةٌ﴾ هي ما يَغشى ويَغمر.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ إشارة إلى شريعة الإسلام.

﴿أَدْعُوا إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: أدعو الناس إلى عبادة الله، وأنا على

(١) سقط من أ، ب، هـ

بصيرة من أمري وحجة واضحة .

﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي﴾ : ﴿أَنَا﴾ تأكيد للضمير في ﴿أَدْعُوا﴾ ، و﴿وَمَنْ أَتَّبَعَنِي﴾ معطوف عليه ، و﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ في موضع الحال .

وقيل : ﴿أَنَا﴾ مبتدأ ، و﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ خبره ، فعلى هذا : يوقف على قوله : ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ ، وهذا ضعيف .

﴿وَسُبْحَنَ اللَّهِ﴾ تقديره : وأقول : سبحان الله .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ردُّ على من أنكر أن يكون النبي من البشر .

وقيل : فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولاً من النساء .

﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ أي : من أهل المدن ، لا من أهل البوادي ؛ فإن الله لم يبعث رسولاً من أهل البادية ؛ لجفائهم^(١) .

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْشَرَ الرَّسُلُ﴾ متصل في المعنى بقوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ إلى قوله : ﴿عَنْبَةَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ .

ويأْسُهم يحتمل أن يكون :

من إيمان قومهم .

أو من النصر .

والأول أحسن .

(١) في ب : «لجهالتهم» .

﴿وَطَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ قرئ بتشديد الذال وتخفيفها .

فأما التشديد: فالضمير في ﴿وَطَنُوا﴾ و﴿كُذِّبُوا﴾ للرسل .

والظن يحتمل أن يكون: على بابه، أو بمعنى اليقين؛ أي: علم الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيسؤوا من إيمانهم .

وأما التخفيف: فالضميران فيه للقوم المرسل إليهم؛ أي: ظنوا أن الرسل قد كذبوهم فيما ادَّعَوْا من الرسالة، أو من النصرة عليهم .

﴿فِي قَصَصِهِمْ﴾ الضمير: للرسل على الإطلاق، أو ليوسف وإخوته .

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ يعني: القرآن .

﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدّم معناه في «البقرة»^(١) .



﴿سورة الرعد﴾

[﴿الْمَرْ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَحِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِيدٍ وَتُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْمَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤) وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ أَلْفَايَ خَلَقَ جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٥) وَتَسْتَغْلِبُكَ بِالسَّيْئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٦) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٧)].

﴿تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ﴾ أي: آيات هذه السورة.

ويَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ: آيَاتِ الْكِتَابِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

ويَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ: الْقُرْآنَ، وَهَذَا بَعِيدٌ؛ لِتَكَرُّارِ ذِكْرِ الْقُرْآنِ بَعْدَ ذَلِكَ.

﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، وَإِعْرَابُهُ: مُبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهُ ﴿الْحَقُّ﴾.

﴿يَغَيِّرْ عَمَدٍ﴾ أي: بغير شيءٍ تقف عليه إلا قدرة الله.

﴿تَرَوْنَهَا﴾ قيل: الضمير للسَّمَوَاتِ، فـ ﴿تَرَوْنَهَا﴾ على هذا: في موضع الحال، أو استئناف.

وقيل: الضمير للعمَد؛ أي: ليس لها عمَدٌ مرئيةٌ، فيقتضي المفهوم: أن لها عمَدًا لا تُرى.

وقيل: إن عمَدَها هو جبل قاف المحيطُ بالدنيا.

وقال الجمهور: لا عمَد لها ألبتة، فالمراد: نفْيُ العمَدِ ونفْيُ رؤيتها.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ﴿ثُمَّ﴾ هنا لترتيب الإخبار، لا لترتيب وقوع الأمر؛ فإن العرش كان قبل خلق السموات. وتقدّم الكلام على الاستواء في «الأعراف»^(١).

﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ يعني: أمر الملكوت.

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ يعني آيات كتبه^(٢).

﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾ يقتضي أنها بسيطةٌ لا كورةٌ، وهو ظاهر الشريعة.

وقد يترتب لفظ البسط والمدُّ مع التَّكْوِيرِ؛ لأن كل قطعة من الأرض ممدودةٌ على حدِّتها، وإنما التَّكْوِيرُ لجُمْلَةِ الأرض.

﴿رَوَّسَى﴾ يعني: الجبال الثابتة.

(١) انظر صفحة ٣٤٩.

(٢) في د: «كتابه».

﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ يعني: صنفين من الثمر، كالأسود والأبيض، والحلو والحامض.

فإن قيل: تقتضي الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين، وقد خلق من كثير من الثمرات أصنافاً كثيرة!

فالجواب: أن ذلك زيادة في الاعتبار، وأعظم في الدلالة على القدرة، فذكر الاثنين؛ لأن دلالة غيرها^(١) من باب أولى.

وقيل: إن الكلام تم في قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ثم ابتداء بقوله: ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾ يعني الذكر والأنثى.

والأول أحسن.

﴿يُعْشَىٰ آلِيلَ النَّهَارِ﴾ أي: يلبسه إياه، فيصير له كالغشاء، وذلك تشبيه.

﴿قَطَعَ مُتَجَوِّرَتٌ﴾ يعني: قرى^(٢) متلاصقة، ومع تلاصقها فإن أرضها تتنوع إلى طيب ورديء، وصلب ورخو، وغير ذلك، وكل ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر.

﴿صِنَوَانٌ وَعَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ الصنوان: هي النخلات الكثيرة، ويكون أصلها واحداً، وغير الصنوان: المفترق فرداً فرداً، وواحد الصنوان: صِنُو.

﴿تُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ﴾ حجة وبرهان على أنه تعالى قدير مُريد؛ لأن اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء

(١) في د: «غيرهما».

(٢) في أ، ب: «قطعا».

الذي تسقى به دليلٌ على القدرة والإرادة، وفي ذلك ردٌّ على القائلين بالطبيعة.

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ أي: إن تعجب يا محمد فإن إنكارهم للبعث حقيقٌ أن يُتَعَجَّبَ منه؛ فإن الذي قَدَّرَ على إنشاء ما ذكرنا من السموات والأرض والثمار قادرٌ على إنشاء الخلق بعد موتهم.

﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ هذا هو قول الكفار المنكرين للبعث. واختلف القراء في هذا الموضع وفي سائر المواضع التي فيها استفهامان، وهي أحد عشر موضعًا، أولها: هذا، وفي «الإسراء» موضعان، وفي «المؤمنين» موضع، وفي «النمل» موضع، وفي «العنكبوت» موضع، وفي «آل عمران» «السجدة» موضع، وفي «الصافات» موضعان، وفي «الواقعة» موضع، وفي «النازعات» موضع:

فمنهم من قرأ بالاستفهام في الأول والثاني.

ومنهم من قرأ بالاستفهام في الأول فقط، وهو نافع.

ومنهم من قرأ بالاستفهام في الثاني فقط.

وأصل الاستفهام في المعنى إنما هو عن الثاني في مثل هذا الموضع؛ فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقًا جديدًا، ولم ينكروا أن يكونوا ترابًا.

فمن قرأ بالاستفهام في الثاني فقط: فهو على الأصل.

ومن قرأ بالاستفهام في الأول: فإنما القصد بالاستفهام الثاني.

ومن قرأ بالاستفهام فيهما : فذلك للتأكيد .

﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِيْ أَغْنَاقِهِمْ﴾ يحتمل :

أن يريد الأغلال في الآخرة ، فيكون حقيقة .

أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان ، كقوله : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَغْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ [يس : ٨] ، فيكون مجازاً يجري مجرى الطبع والختم على القلوب .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي : بالنقمة قبل العافية ، والمعنى : أنهم طلبوا العذاب على وجه الاستخفاف .

﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَنَّى﴾ جمع مثلة على وزن «سَمُرَةٌ» ، وهي العقوبة العظيمة التي تجعل الإنسان مثلاً ، والمعنى : كيف يطلبون العذاب وقد أصابت العقوبات الأمم الذين كانوا قبلهم ؟ أفلا يخافون مثل ذلك ؟ .
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ يريد : ستره وإمهاله في الدنيا للكفار والعصاة .

وقيل : يريد مغفرته لمن تاب .

والأول أظهر هنا .

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية ؛ اقترحوا نزول آية على النبي ﷺ ، من نزول ملك معه أو شبه ذلك ، ولم يعتبروا بالقرآن ولا بغيره من الآيات العظام التي جاء بها ، وذلك منهم معاندة .

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ أي : إنما عليك إنذارهم ، وليس عليك أن تأتيهم بآية ، إنما ذلك إلى الله .

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يراد بالهادي الله تعالى، فالمعنى: إنما عليك الإنذار والله هو الهادي لمن يشاء إذا شاء.

والوجه الثاني: أن يريد بالهادي النبي ﷺ، فالمعنى: إنما أنت نبيٌّ منذر، ولكل قوم هادٍ من الأنبياء ينذرهم، فليس أمرك ببذع ولا مستنكر.

الثالث: رُوي أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذر، وأنت يا عليُّ الهادي»^(١).



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٤٢-٤٤٣).

[﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (٨) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَمْ تُعْقِبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ، يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾ لَمْ دَعُوهُ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمَلَهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ يَقْدَرُهَا فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ لِلْهَادِثِينَ ﴿١٨﴾﴾].

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ﴾ كقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]،

وهي من الخمس التي لا يعلمها إلا الله، ويعني: يعلم هل هو ذكر أو أنثى، أو تأم أو مُخَدَّج، أو حسن أو قبيح، أو غير ذلك.

﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ معنى ﴿تَغِيضُ﴾: تنقص، ومعنى ﴿تَزْدَادُ﴾: من الزيادة.

وقيل: إن الإشارة لدم الحيض^(١)؛ فإنه يقل ويكثر.

وقيل: للولد، فالغيض: السقط، أو الولادة لأقل من تسعة أشهر، والزيادة: إبقاؤه أكثر من تسعة أشهر.

ويحتمل أن تكون «ما» في قوله: ﴿مَا تَحْمِلُ﴾، ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾:

موصولة.

أو مصدرية.

﴿سَوَاءٌ مِّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ المعنى: إن الله يسمع كل شيء، فالجهر والإسرار عنده سواء.

وفي هذا وما بعده تقسيم، وهو من أدوات البيان؛ فإنه ذكر أربعة أقسام، وفيه أيضًا مطابقة.

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ المعنى: سواء عند الله المستخفي بالليل وهو في غاية الاختفاء، مع السارب بالنهار، وهو في غاية الظهور. ومعنى السارب: المتصرف في سره - بالفتح -؛ أي: في طريقه ووجهه. والسارب والمستخفي اثنان، قصد التسوية بينهما في اطلاع الله عليهما، مع تباين حالهما.

(١) في أ: «إلى دم الحيض».

وقيل : إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار صفتان لموصوف واحد ، يستخفي بالليل ، ويظهر بالنهار ، ويعضد هذا كونه قال : ﴿وَسَارِبٌ﴾ ، فعطفه عطف الصفات ، ولم يقل : «ومن هو سارب» بتكرار «من» كما قال : ﴿مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ .

إلا أن جعلهما اثنين أرجح ؛ ليقابل ﴿مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ ، فيكمل التقسيم إلى أربعة على هذا ، ويكون قوله : ﴿وَسَارِبٌ﴾ عطفًا على الجملة وهي قوله : ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌ﴾ ، لا على ﴿مُسْتَخَفٌ﴾ وحده .

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ المعقبات هنا : جماعة الملائكة ، وسميت معقبات ؛ لأن بعضهم يعقب بعضًا ، والضمير في ﴿لَهُ﴾ يعود على «من» المتقدمة ، كأنه قال : لمن أسر ولمن جهر ولمن استخفى ولمن ظهر معقبات .

وقيل : يعود على الله ، وهو قول ضعيف ؛ لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق .

﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ صفة للمعقبات ، وهذا الحفظ يحتمل أن يراد به : حفظ أعماله .

أو حفظه وحراسته من الآفات .

﴿مَنْ أَمَرَ اللَّهُ﴾ صفة للمعقبات ؛ أي : معقبات من أجل أمر الله ؛ إذ أمرهم بحفظه ، وقرئ : «بأمر الله» ، وهذه القراءة تعضد ذلك ، ولا يتعلق ﴿مَنْ أَمَرَ اللَّهُ﴾ على هذا بـ ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ .

وقيل : يتعلق به ؛ على أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب ؛ بدعائهم له واستغفارهم .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ المعنى: إن الله لا يغير ما يقوم من العافية والنعم حتى يغيروا هم ما بأنفسهم بالمعاصي، فيقتضي ذلك: أن الله لا يسلب النعم، ولا يُنزل النقم إلا بالذنوب.

﴿يُرِيكُمْ أَهْلَ الْبَرْقِ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الخوف يكون من البرق من الصواعق والأمور الهائلة، والطمع في المطر الذي يكون معه.

﴿السَّحَابِ الثَّقَلِ﴾ وصفها بالثقل؛ لأنها تحمل الماء.

﴿وَيَسْبِغُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ الرعد: اسم ملك، وصوته المسموع تسبيح. وقد جاء في الأثر: أن صوته زجرٌ للسحاب^(١)، فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك.

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ قيل: إنها إشارة إلى الصاعقة التي نزلت على أريد الكافر وقتلته، حين همّ بقتل النبي ﷺ هو وأخوه عامر بن الطفيل. واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَهُمْ يُجْذَلُونَ فِي اللَّهِ﴾ يعني: الكفار، والواو: للاستئناف، أول الحال. ﴿شَدِيدُ اللَّحَالِ﴾ أي: شديد القوة، والمحال: مشتق من الحيلة، فالميم زائدة، ووزنه مِفْعَل.

وقيل: معناه: شديد المكر؛ من قولك: محلّ بالرجل: إذا مكر به، فالميم على هذا أصلية، ووزنه فَعَال، وتأويل المكر على هذا القول كتأويله

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٣٥٧-٣٦٠).

في المواضع التي ورد^(١) في القرآن^(٢).

﴿لَمْ دَعَوْهُ الْحَقُّ﴾ قيل : هي لا إله إلا الله ، والمعنى : أن دعوة العباد بالحق لله ، ودعوتهم بالباطل لغيره .

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ يعني بـ ﴿وَالَّذِينَ﴾ : ما عُبد من دون الله من الأصنام وغيرهم ، والضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ للكفار .
والمعنى : أن المعبودين لا يستجيبون لمن عبدَهم .

﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيُثْلَغَ فَأَوْ مَا هُوَ بِلَيْغِهِ﴾ شبه إجابة الأصنام لمن عبدَهم بإجابة الماء لمن بسط إليه كفَّيه ، وأشار إليه بالإقبال إلى فيه ، ولا يبلغ فمه على هذا أبداً ؛ لأن الماء جمادٍ لا يعقل المراد ، فكذاك الأصنام .

والضمير في قوله : ﴿وَمَا هُوَ﴾ للماء ، وفي ﴿يُلَيْغِهِ﴾ للنفم .
﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ «من» لا تقع إلا على من يعقل ، فهي هنا يراد بها : الملائكة والإنس والجن .

فإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لأمر الله وقضائه ؛ فهو عامٌ في الجميع ، من شاء منهم ، ومن أبى ، ويكون ﴿طَوْعًا﴾ لمن أسلم ، ﴿وَكَرْهًا﴾ لمن كره وسخط .

(١) في د : «وردت» .

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ١/ ٥٤٥ ، و صفحة ٤٢٢ ، ٥١٢ من هذا الجزء .

وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد، فيكون سجود الملائكة والمؤمنين من الإنس والجن طوعاً، وأما الكره؛ فهو سجود المنافق، أو^(١) سجود ظل الكافر.

﴿وَلَا تُطِئُوهُمْ﴾ معطوف على ﴿مَنْ﴾، والمعنى: أن الظلال تسجد غدوة وعشية، وسجودها: انقيادها للتصرف بمشيئة الله ﷻ.

وقيل: سجودها: فيها بالعشي.

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب عن السؤال المتقدم، وهو ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وإنما جاء الجواب والسؤال من جهة واحدة؛ لأنه أمر واضح لا يمكن جحده ولا المخالفة فيه، ولذلك أقام به الحجة على المشركين بقوله: ﴿أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ الأعمى تمثيل للكافر، والبصير تمثيل للمؤمن، و﴿الظَّالِمُونَ﴾ الكفر، ﴿وَالنَّورُ﴾ الإيمان، وذلك كله على وجه التشبيه والتمثيل.

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا بمعنى «بل» والهمزة، و﴿خَلَقُوا﴾ صفة لـ ﴿شُرَكَاءَ﴾، والمعنى: أن الله وقَّفه هل خلق شركائهم خلقاً كخلق الله فحملهم ذلك واشتباؤه بما خلق الله على أن جعلوا إلهاً غير الله؟، ثم أبطل ذلك بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فحصل الرد عليهم.

(١) في د، هـ: «و».

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ يَقْدَرُهَا﴾ الآية؛ هذا مثلٌ ضربه الله للحق وأهله، والباطل وحزبه، فمثل الحق وأهله:

بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية، وتتفع به الأرض.
وبالذهب والفضة والحديد والصُّفْر وغيرها من المعادن التي ينتفع بها الناس.

وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله:

بالزبد الذي يرمي به السيل.

وبزبد تلك المعادن التي يطفو فوقها إذا أذيت، وليس في الزبد منفعة، وليس له دوام.

﴿يَقْدَرُهَا﴾ يحتمل أن يريد:

ما قُدِّرَ لها من الماء.

ويحتمل أن يريد بقُدِّرَ ما تحتمله، على قُدِّرَ صغرها وكبرها.

﴿زَبَدًا رَابِيًا﴾ الزَّبْد: ما يحمله السيل من غُثَاءٍ ونحوه، والرَّابِي: المنتفخ الذي ربا، ومنه الربوة.

﴿وَمِمَّا تَوْفِدُونَ﴾ المجرور في موضع خبر مقدم، والمبتدأ ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾؛

أي: يَنشَأُ من الأشياء التي يوقَد عليها زبدٌ مثل زبد السيل.

﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ الذي يوقَد عليه ابتغاء الحِلْيَةِ: هو الذهب والفضة،

والذي يوقد عليه ابتغاء متاع: هو الحديد والرصاص والنحاس والصُّفْر وشبه ذلك.

ومعنى المتاع : ما يستمتع الناس به في مرافقهم وحوادثهم .

﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي : يضرب أمثال الحق والباطل .

﴿جُفَاءً﴾ يجفؤه السيل ؛ أي : يرمي به .

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد : الخالص من الماء ، ومن تلك الأحجار .

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾ الذين استجابوا : هم المؤمنون ، وهذا استئناف كلام ، والحسنى : الجنة ، وإعرابها : مبتدأ ، وخبرها : ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ مبتدأ ، وخبره : ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية ، فيوقف على ﴿الْأَمْثَالِ﴾ ، وعلى ﴿الْحُسْنَى﴾ .

وقيل : ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ يتعلق بـ ﴿يَضْرِبُ﴾ ، و﴿الْحُسْنَى﴾ مصدر من معنى ﴿اسْتَجَابُوا﴾ ؛ أي : استجابوا الاستجابة الحسنى ، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ معطوف على ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ ، والمعنى : يضرب الله الأمثال للطائفتين ، وعلى هذا إنما يوقف على : ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ .

﴿سُوءَ الْحِسَابِ﴾ أي : المناقشة والاستقصاء .



[﴿أَفَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١٩)
 الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
 وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)
 جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ
 بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ
 مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
 سُوءُ الدَّارِ (٢٥) اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي
 الْآخِرَةِ إِلَّا لَمْتَعٌ ﴿٢٦﴾].

﴿أَفَن يَعْلَمُ﴾ تقرير، والمعنى: أسوء من آمن ومن لم يؤمن؟.

والأعمى هنا: من لم يؤمن بالنبى ﷺ.

وقيل: إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب ﷺ، وأبي جهل لعنه الله.

﴿يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ القرابات وغيرها.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ قيل: يدفعون الشرك بقول: لا إله إلا الله.

وقيل: يدفعون من أساء إليهم بالتي هي أحسن.

والأظهر: يفعلون الحسنات؛ فيدرونها بها السيئات، كقوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وقيل: إن هذه الآية نزلت في الأنصار، ثم هي عامة في كل مؤمن اتصف
 بهذه الصفات.

﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ يعني: الجنة، ويَحْتَمِلُ أن يريد بالدار: الآخرة، وأضاف العقبي إليها؛ لأنها فيها.

ويَحْتَمِلُ أن يريد بالدار: الدنيا، وأضاف العقبي إليها؛ لأنها عاقبتها.

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ بدلٌ من ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾.

أو خبر ابتداء مضمر؛ تفسيراً لـ ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾.

﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ أي: مَنْ كان صالحاً.

﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يقولون لهم: سلام عليكم.

﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ يتعلّق بمحذوف تقديره: هذا بما صبرتم.

ويجوز أن يتعلّق بـ ﴿سَلَّمَ﴾؛ أي: نسلم^(١) عليكم بما صبرتم.

﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية؛ أوصافٌ مضادة لما تقدّم.

وقيل: إنها في الخوارج، والأظهر: أنها في الكفار.

﴿سُوءَ الدَّارِ﴾ يحتمل أن يراد بها: الدنيا، أو الآخرة^(٢).

﴿اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسّع على من يشاء، ويضيّق على

من يشاء، وهذا تفسيره حيث وقع.

﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إخبارٌ في ضمنه ذمٌ وتسفيه لمن فرح بالدنيا، ولذلك

حقرها بقوله: ﴿إِلَّا مَتَّعُ﴾؛ أي: قليلٌ بالنظر إلى الآخرة.

(١) في ج، هـ: «يسلم».

(٢) في أ، ب: «في الدنيا والآخرة».

[وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَصْلُحُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَتَابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ أَلْمُوتُ بَلِ اللَّهُ أَلَمُّ أَلَمِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾].

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَصْلُحُ مَنْ يَشَاءُ﴾ خرج به مخرج التعجب منهم لما طلبوا آيةً، أي: قد جاءكم محمد ﷺ بالقرآن وبآيات كثيرة فعميتم عنها، وطلبتم غيرها، وتماديتم على الكفر؛ لأن الله يضل من يشاء مع ظهور الآيات، وقد يهدي من يشاء دون ذلك.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ بدلٌ من ﴿مَنْ أُنَابَ﴾، أو خبر ابتداء مضمرة.

و﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بدل ثانٍ، أو مبتدأ.

﴿طُوبَى﴾ مصدر من: طاب، كبُشِرَى، ومعناها: أصبت خيراً وطيباً.

وقيل: هي شجرة في الجنة.

وإعرابها: مبتدأ.

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ الكاف تتعلّق بالمعنى الذي في قوله: ﴿يَصْلُحُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ قيل : إنها نزلت في أبي جهل .

وقيل : نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية ، فكتب الكاتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال قائلهم : نحن لا نعرف الرحمن ، وهذا ضعيف ؛ لأن الآية نزلت قبل ذلك ، ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط .

ومعنى الآية : أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم .

﴿مَتَابٍ﴾ مَفْعَلٌ من التوبة ، وهو اسم مصدر .

﴿وَلَوْ أَن قُرْآنًا سِيرَتِ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الآية ؛ جواب «لو» محذوف تقديره : لو أن قرآنًا على هذه الصفة من تسيير الجبال به ، وتقطيع الأرض ، وتكليم الموتى ؛ لم يؤمنوا به ، فالمعنى كقوله : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ ﴿[يونس : ٩٦ - ٩٧]﴾ .

وقيل : تقديره : لو أن قرآنًا على هذه الصفة لكان هذا القرآن الذي هو غاية في التذكير ، ونهاية في الإنذار ، كقوله : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ [الحشر : ٢١] .

وقيل : هو متعلق بما قبله ، والمعنى : وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال .

﴿أَفَلَمْ يَأْتِنِ﴾ معناه : أفلم يعلم ، وهي لغة هوازن ، وقرئ : «أو لم يَتَيْنِ» .

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني : كفار قريش والعرب .

﴿قَارِعَةٌ﴾ يعني : مصيبةٌ في أنفسهم وأولادهم وأموالهم ، أو غزوات المسلمين إليهم .

﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ الفاعل ضمير القارعة ، والمعنى : إما أن تصيبهم ، وإما أن تقرب منهم .

وقيل : التاء للخطاب ، والفاعل ضمير المخاطب ؛ وهو النبي ﷺ .

والأول أظهر .

﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ هو فتح مكة .

وقيل : قيام الساعة .



[وَلَقَدْ أَسْهَزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُمْ أَخَذْتُمُ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ ﴿٣٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَهَرُ مِنْ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُكْرَهُ بَعْضُهُمْ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ؕ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابٍ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾] .

﴿وَلَقَدْ أَسْهَزَيْتُمْ﴾ الآية ؛ مقصدها : تأنيس وتسليه للنبي ﷺ ، وهكذا حيث وقع .

﴿فَأَمَلَيْتُمْ﴾ أي : أمهلثهم .

﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ هو الله تعالى ؛ أي : حفيظ رقيب على عمل كل أحد .

والخبر محذوف تقديره : «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق أن يعبد أم غيره؟» ، ويدلُّ على ذلك قوله : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ .

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي : اذكروا أسماءهم .

﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ المعنى : أن الله لا يعلم لنفسه شركاء ، وإذا لم يعلمهم هو فليسوا بشيء ، فكيف تفترون الكذب في عبادتهم ،

وتعبدون الباطل؟، وذلك كقولك: قل لي من زيد؟، أم هو أقل من أن يعرف؛ فهو كالعدم.

﴿أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ المعنى: أتسمونهم شركاء بظاهر اللفظ من غير أن يكون لذلك حقيقة؟، كقوله: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ [النجم: ٢٣].

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: بالقتل والأسر والخوف وغير ذلك.
﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ هنا وفي «القتال»: أي: صفتها، وليس بضرب مثل لها.
والخبر:

عند سيبويه: محذوف مقدم تقديره: فيما يتلى عليكم: صفة الجنة.
وقال الفراء: الخبر مؤخر، وهو: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.
﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ﴾ يعني: ما يؤكل فيها من الثمرات وغيرها، والأكل - بضم الهمزة -: المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها، والأكل - بفتح الهمزة -: المصدر.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ الْكِتَابُ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: من أسلم من اليهود والنصارى، كعبد الله بن سلام والنجاشي وأصحابه.

وقيل: يعني: المؤمنين، و﴿الْكِتَابُ﴾ على هذا: القرآن.
﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ﴾ قيل: هم بنو أمية، وبنو المغيرة من قريش.
والأظهر: أنها في سائر كفار العرب.

وقيل : هم اليهود والنصارى ؛ لأنهم لا ينكرون القصاص والأشياء التي في كتبهم ، وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو مما حَرَّفُوهُ .

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ وجه اتصاله بما قبله : أنه جوابٌ للمنكرين ، وردُّ عليهم ، كأنه قال : إنما أمرت بعبادة الله وتوحيده ، فكيف تنكرون هذا؟ .

﴿مَتَابٍ﴾ مَفْعَلٌ مِنَ الْأَوْب ؛ وهو الرجوع ، أي : مرجعي في الآخرة ، أو مرجعي بالتوبة .



[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٢٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٢٩﴾ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٣٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَخُكُّكُمْ لَا مَعْصِيَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٣٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٣٣﴾].

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ ردُّ على من أنكر أن يكون الرسول من البشر، أو يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من النساء والذرية، فالمعنى: لست بيدع في ذلك، بل أنت كمن تقدَّم من الرسل.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ردُّ على الذين اقترحوا الآيات.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ قال الفراء: لكل كتاب أجل بالعكس.

وهذا لا يلزم، بل المعنى صحيح من غير عكس، أي: لكل أجل كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ قيل: يعني ينسخ ما يشاء من القرآن والأحكام، ويثبت منها ما يشاء.

وقيل: هي في آجال بني آدم، وذلك أن الله تعالى في ليلة القدر - وقيل: في ليلة النصف من شعبان - يكتب آجال من يموت في ذلك العام، فيُمحى^(١)

(١) في أ، ب: «فيمحوا».

من ديوان الأحياء، ويثبت من لا يموت في ذلك العام.

وقيل: إن المحو والإثبات على العموم في جميع الأشياء.

وهذا ترده القاعدة المتقررة: أن القضاء لا يتبدل، وأن علم الله لا يتغير، فقال بعضهم: المحو والإثبات في كل شيء إلا في السعادة والشقاوة الأخراوية، والآجال.

﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصل كل كتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها.

﴿وَإِنْ مَا نُرِيكَ﴾ «إن» شرط دخلت عليها «ما» المؤكدة، وجوابها: ﴿فَإِنَّمَا﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ الإتيان هنا: بالقدرة والأمر، والأرض: أرض الكفار، ونقصها: هو بما يفتح^(١) الله للمسلمين منها، والمعنى: أو لم يروا ذلك فيخافوا أن نمكنك منهم.

وقيل: الأرض: جنس، ونقصها: بموت الناس، وهلاك الثمرات، وخراب البلاد، وشبه ذلك.

﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ المعقب: الذي يكر على الشيء فيطله.

﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب^(٢).

(١) في أ، ب، د: «فتح».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ١/ ٥٤٥، وصفحة ٤٢٢، ٥١٢ من هذا الجزء.

﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ تهديدٌ، والمراد بالكافر: الجنس؛ بدليل قراءة ﴿الْكَفَرُ﴾ بالجمع.

و﴿عُقِيَ الدَّارِ﴾: الدنيا، أو ^(١) الآخرة.

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أمره الله أن يستشهد الله على صحة نبوته.

وشهادة الله له هي: علمه بذلك، أو ^(٢) إظهاره الآيات الدالة على ذلك.
﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ معطوفٌ على اسم الله؛ على وجه الاستشهاد به.
ف قيل: المراد عبد الله بن سلام ومَنْ أسلم من اليهود والنصارى الذين يعلمون صفته ﷺ من التوراة والإنجيل.

وقيل: المراد: المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن ودلالته على النبوة.
وقيل: المراد: الله تعالى؛ فهو الذي عنده علم الكتاب، ويضعف هذا،
لأنه عطفٌ صفةً على موصوف، ويقويه قراءة: «ومن عنده» بـ «من» الجارة
وخفض «عنده».

(١) في أ، ب، د: «و».

(٢) في ج، د: «و».

﴿ سورة إبراهيم عليه السلام ﴾

[الرَّ كِتَبٌ أَرْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾].

﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والظلمات: الكفر والجهل، والنور: الإيمان والعلم.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بأمره، (وهو إرساله) ^(١).

﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ بدل من إلى ﴿إِلَى النُّورِ﴾.

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

﴿اللَّهُ﴾ قرئ بالرفع: وهو مبتدأ، أو خبر مبتدئ مضمير.

وبالخفض: بدل.

﴿يَسْتَجِبُونَ﴾ أي: يؤثرون.

﴿وَيَعُونَهَا﴾ قد ذكر^(١).

﴿بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ أي: بلغتهم وكلامهم.

﴿أَنْ أَخْرَجَ﴾ «أن» مفسرة، أو مصدرية على تقدير: بأن.

﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ أي: عقوبته للأمم المتقدمة.

وقيل: إنعامه على بني إسرائيل.

واللفظ يعم النعم والنقم.

وعبر عنها بالأيام؛ لأنها كانت في أيام، وفي ذلك تعظيم لها، كقولهم: يوم كذا ويوم كذا.

﴿وَيَذِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ذكر هنا بالواو؛ ليدل على أن سوء العذاب:

غير الذبح.

أو أعم من ذلك، ثم جرد الذبح، كقوله: ﴿وَمَلَأْنَاهُ وَرُسُلَهُ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وذكر في «البقرة» بغير واو؛ تفسيرا للعذاب.

[وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَ عَلَىٰ مَا عَازَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾].

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ﴾ من كلام موسى، و﴿تَأَذَّتْ﴾ بمعنى: آذن؛ أي: أعلم، كقولك: توعد وأوعد، وإعلام الله مقترن بإنفاذ ما أعلم به.

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ هذا معمول ﴿تَأَذَّتْ﴾؛ لأنه يتضمن معنى «قال».

ويحتمل أن تكون الزيادة:

من خير الدنيا.

أو من الثواب في الآخرة.

أو منهما.

﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ يحتمل أن يريد:

كفر النعم .

أو الكفر بالإيمان .

والأول أرجح ؛ لمقابلته بالشكر .

﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ عبارة عن كثرتهم ، كقوله : ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾

[الفرقان : ٣٨] .

﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الضمائر لقوم الرسل ، والمعنى : أنهم ردُّوا أيديهم في أفواه أنفسهم :

غِيظًا من الرسل ، كقوله : ﴿عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْأَغْيَظِ﴾ [آل عمران : ١١٩] .

أو استهزاءً وضحكًا ، كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه .

والثاني : أن الضمائر لهم ، والمعنى : أنهم ردُّوا أيديهم في أفواه أنفسهم ؛ إشارةً على الأنبياء بالسكوت .

والثالث : أنهم ردُّوا أيديهم في أفواه الأنبياء تسكينًا لهم ، ودفعًا لقولهم .

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ المعنى : أفي وجود الله شك ، أو في إلهيته ؟ .

وقيل : في وحدانيته .

والهمزة للتقرير والتوبيخ ؛ لأنه لا يحتمل الشك ؛ لظهور الأدلة ، ولذلك

وصَّفه ^(١) بعدُ بقوله : ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

(١) في ج ، هـ : «وُصِفَ» .

﴿مَنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: إن «مِنْ» زائدة.

ومنع سبويه زيادتها في الواجب، وهي عنده للتبعض، ومعناه: أنه يغفر للكافر إذا أسلم ما تقدّم من ذنوبه قبل الإسلام، ويبقى ما يذنب بعده في المشيئة، فوقعت المغفرة للبعض.

ولم يأت في القرآن غفران بعض الذنوب إلا للكفار، كهذا الموضع، والذي في «الأحقاف» وسورة «نوح».

وجاء للمؤمنين بغير «مِنْ»، كالذي في «الصف».

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال الزمخشري وأهل مذهبه من المعتزلة: معناه: يؤخركم إن أمتتم إلى آجالكم، وإن لم تؤمنوا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت^(١).

وهذا بناء على قولهم بالأجلين، وأهل السنة يابّون هذا؛ فإن الأجل عندهم واحدٌ محتوم^(٢).

(١) انظر: الكشف (٨/٥٦٣).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: قول ابن جزي رحمه الله: «وهذا بناء على قولهم - أي المعتزلة - بالأجلين»، أقول: هذا صحيح عن المعتزلة؛ معناه أن المعتزلة يقولون: إن المقتول ومن يعاجل بالعقوبة له أجل متأخر لو لم يقتل أو يعاجل لانهى إليه، ولقتله أو تعجيل عقوبته أجل متقدم، وقال بعضهم عن المعتزلة: إن الأجل واحد، وهو الأجل المسمى، وأن المقتول مقطوع عليه أجله، وكذا من يعاجل بالعقوبة بسبب كفره، والحق أن الأجل الذي قدره الله في علمه وكتابه واحد، سواء كان متقدما أو متأخرا، ولا يقع إلا هو، فالمتقدم لا يتأخر، والمتأخر لا يتقدم، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَنْدِثُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا =

﴿قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ :

استبعادًا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة .

أو يكون إحالة لنبوة البشر .

والأول أظهر ؛ لطلبهم البرهان في قولهم : ﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ،
ولقول الرسل : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي : بالتفضيل بالنبوة .
﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ المعنى : أي : شيء يمنعنا من التوكل على
الله .

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إن قيل : لم كرّر الأمر بالتوكل ؟ .

فالجواب عندي : أن قوله : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ راجع إلى ما
تقدّم من طلب الكفار لسُلطان مبین ؛ أي : حجة ظاهرة ، فتوكل الرسل في
ورودها على الله ، وأما قوله : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ؛ فهو راجع إلى
قولهم : ﴿وَلَنُصَبِّرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا﴾ أي : نتوكل على الله في دفع أذاكم .
وقال الزمخشري : إن هذا الثاني بمعنى الثبوت على التوكل ^(١) .

= كَانَ لَيْفَيسَ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ، وهذا معنى ما أشار إليه المؤلف في

قوله : «وأهل السنة يأبون هذا ؛ فإن الأجل عندهم واحد محتوم» . والله أعلم .

(١) انظر : الكشف (٨ / ٥٦٥) .

[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَكِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَسَبِّحُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدَنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَكُمُ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾] .

﴿أَوْ لَتَعُوذَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ ﴿أَوْ﴾ هنا :

بمعنى «إِلَّا أَنْ» .

أو على أصلها ؛ لوقوع أحد الشيتين .

والعوذ هنا : بمعنى الصيرورة ، وهو كثير في كلام العرب ، ولا يقتضي أن الرسل كانوا في ملّة الكفار قبل ذلك .

﴿خَافَ مَقَامِي﴾ فيه ثلاثة أوجه هنا ، وفي ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ في «الرحمن» :

فالأول : أن معناه : مقام الحساب في القيامة .

والثاني : أن معناه : قيام الله على عباده بأعمالهم .

والثالث: أن معناه: خافني، وخاف ربه^(١)، على إقحام المقام، أو على التعبير به عن الذات.

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ الضمير للرسول؛ أي: استنصروا بالله، وأصله: طلب الفتح، وهو الحكم.

﴿جَبَّارٍ﴾ أي: قاهر، أو متكبر.

﴿عَنِيدٍ﴾ مخالف لا ينقاد.

﴿مِّنْ وَرَائِهِ﴾ في الموضوعين: ال وراء هنا: بمعنى ما يستقبل من الزمان.

وقيل: معناه هنا: أمامه، وهو بعيد.

﴿وَيُسْقَى﴾ معطوف على محذوف تقديره: من ورائه جهنم يلقي فيها ويسقى، وإنما ذكر هذا السقي تجريدًا بعد ذكر جهنم؛ لأنه من أشد عذابها.

﴿يَجْرَعُهُمْ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ﴾ أي: يتكلف جرعه، وتصعب عليه إساغته.

ونفي «كاد» يقتضي وقوع الإساعة بعد جهد.

ومعنى ﴿يُسِغُهُ﴾: يبتلعه.

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: يجد المأ مثل ألم الموت وكرباته من جميع الجهات.

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي: لا يراخ بالموت.

(١) قوله: «وخاف ربه» هذا تفسير لآية «الرحمن»: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مذهب سيبويه والفراء فيه كقولهما في: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ التي في «الرعد» و«القتال».

والخبر عند سيبويه: محذوف تقديره: فيما يتلى عليكم.

والخبر عند الفراء: الجملة التي بعد.

والمثل هنا بمعنى التشبيه.

﴿أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ شبهها بالرماد في ذهابها وتلاشيها.

﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ أي: شديد الريح، والعُصوف في الحقيقة من صفة الريح.

﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: لا يرون له منفعة.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ أي: ظهوروا، ومعنى الظهور هنا:

خروجهم من القبور.

وقيل: معناه صاروا بالبراز، وهي الأرض المتسعة.

﴿تَبَعًا﴾ جمع تابع، أو مصدر وصف به مبالغة، أو على حذف مضاف.

﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ «من» الأولى: للبيان، والثانية: للتبعيض.

ويجوز أن يكونا للتبعيض معًا. قاله الزمخشري^(١).

والأظهر: أن الأولى: للبيان، والثانية: زائدة، والمعنى: هل أنتم

(١) انظر: الكشاف (٨/٥٧٧).

دافعون أو متحمّلون عنا شيئًا من عذاب الله .

﴿مَحْيِصٍ﴾ أي: مهرب، حيث وقع، ويَحْتَمِلُ أن يكون: مصدرًا،
أو اسم مكان.



[وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٢﴾ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيِّئُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٧٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٧٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٧٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٧٧﴾].

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ يعني: إبليس الأقدم، روي أنه يقوم خطيباً بهذا الكلام:
يوم القيامة.

أو في النار يقوله لأهلها.

﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ إن كان كلام إبليس في القيامة: فمعنى ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾:
تعيين قومٍ للنار وقومٍ للجنة.

وإن كان في النار: فمعنى ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: حصل أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة.

﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ استثناء منقطع.

﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ أي: ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثين لي.

﴿يَمَّا أَشْرَكْتُمْ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: بإشراككم لي مع الله في الطاعة.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يتعلّق بـ ﴿أَشْرَكْتُمْ﴾.

ويَحْتَمِلُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بـ ﴿كَفَرْتُمْ﴾.

والأول أظهر وأرجح.

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ استئناف، من كلام الله تعالى.

ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حكايةً عن إبليس.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ يتعلّق بـ ﴿وَأَدْخَلَ﴾، أو بـ ﴿خَلَدِينَ﴾، والأول أحسن.

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ ابن عباس وغيره: هي: «لا إله إلا الله».

(وقيل: كلُّ كلمة حسنة)^(١).

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة في قول الجمهور.

واختار ابن عطية: أنها شجرة غير معينة، إلا أنها كلُّ ما اتصف بتلك الصفات^(٢).

﴿وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في الهواء، وذلك عبارة عن طولها.

﴿تُؤْتِي أَكْثَرَهَا كُلِّ حِينٍ﴾ الحين في اللغة: وقت غير محدود، وقد تقترب به

قرينة تحدّه؛ ف قيل في: ﴿كُلِّ حِينٍ﴾: كل سنة لأن النخلة تُطعم في كل سنة، وقيل غير ذلك.

(١) سقط من أ، ب، هـ.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥/٢٤٤).

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر، وقيل: كل كلمة قبيحة.
 ﴿كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ﴾ هي الحنظلة عند الجمهور، واختار ابن عطية: غير
 معينة^(١).

﴿أَجُنْتُ﴾ أي: اقتلعت، وحقيقة الاجتثاث: أخذ الجُثَّة، وهذا في
 مقابلة قوله: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾.

﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هو «لا إله إلا الله»، والإقرار بالنبوة.
 ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: إذا فُتِنُوا لم يَزِلُّوا.
 ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ هو عند السؤال في القبر عند الجمهور.



(١) انظر: المحرر الوجيز (٢٤٦/٥).

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ٧٨ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنسَوْنَ الْفَرَارِ﴾ ٧٩ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ٨٠ ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ ٨١ ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ﴾ ٨٢ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْآنْهَرَ﴾ ٨٣ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ٨٤ ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ٨٥].

﴿بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ نعمة الله هنا : هو محمد ﷺ ودينه ، أنعم الله به على قريش فكفروا النعمة ولم يقبلوها ، والتقدير : بدلوا شكر نعمة الله كُفْرًا .

﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾ أي : مَنْ أطاعهم واتبعهم .

﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ فسرها بقوله : ﴿جَهَنَّمَ﴾ .

﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا﴾ هي جواب شرط مقدر ، يتضمَّنه قوله : ﴿قُلْ﴾ ، تقديره : إن تقل لهم أقيموا يقيموا ، ومعمول القول على هذا محذوف .

وقيل : جُزم بإضمار لام الأمر ، تقديره : ليقيموا .

﴿وَلَا خِلَالٍ﴾ من الخُلَّة ، وهي المودة .

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ يريد الجنس .

[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَتَّكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا تُخْفِي عَلَيْنَا عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدَّلِيلُ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾].

﴿الْبَلَدَ آمِنًا﴾ ذكر في «البقرة»^(١).

﴿وَاجْنُبْنِي﴾ أي: امنعني، والماضي منه: جنَّب، يقال: جنَّب وجنَّب - بالتشديد - وأجنب بمعنى واحد.

﴿وَبَنِيَّ﴾ يعني: بنيه من صلبه، وفيهم أجيبت دعوته، وأما أعقاب بنيه فعبدوا الأصنام.

﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ يريد: من عصاه بغير الكفر، أو عصاه بالكفر ثم تاب منه، فهو الذي يصح أن يدعى له بالمغفرة، ولكنه ذكر اللفظ بالعموم؛ لِمَا كَانَ فِيهِ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لِلخَلْقِ وَحَسَنِ الْخَلْقِ.

﴿أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ يعني: ابنه إسماعيل عليه السلام، لما وَلَدَتْهُ أُمُّهُ هَاجِرٌ غَارَتْ بِهَا^(٢) سارة زوجة إبراهيم، فحمله مع أمه من الشام إلى مكة.

(١) انظر: ١/ ٣٦٢.

(٢) في د: «منه».

﴿بَوَادٍ﴾ يعني: مكة، والوادي: ما بين جبلين وإن لم يكن فيه ماء.

﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ يعني الكعبة:

فإما أن يكون البيت أقدم من إبراهيم على ما جاء في بعض الروايات.

وإما أن يكون إبراهيم قد علم أنه سيُنَى هناك بيت^(١).

﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ اللام يحتمل أن تكون:

لام الأمر بمعنى الدعاء.

أو لام «كي»، وتعلق بـ ﴿أَسْكَنْتُ﴾.

وجمُع الضمير يدل على أنه كان قد عَلِمَ أن ابنه يُعَقَّبُ هنالك نسلاً.

﴿تَهْوَى إِلَيْهِمْ﴾ أي: تسير بجِدِّ وإسراع، ولهذه الدعوة حَبَّبَ الله حج

البيت إلى الناس، على أنه قال ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ بالتبعية.

قال بعضهم: لو قال: «أفئدة الناس» لحجته فارس والروم.

﴿وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: ارزقهم في ذلك الوادي مع أنه غيرُ ذي زرع،

وأجاب الله دعوته فجعل مكة تُجَبَى^(٢) إليها ثمراتُ كل شيء.

﴿وَمَا يَخْفَى﴾ الآية؛ يحتمل أن تكون: من كلام الله تعالى، أو حكاية عن

إبراهيم.

﴿وَهَبْ لِي عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ روي: أنه ولد له إسماعيل وهو

(١) في ج: «سَيُنَى هناك بيتاً».

(٢) في أ، ب، هـ: «تجي».

ابن مئة وسبعة عشر عامًا ، وروي أقل من هذا ، وإسماعيل أسنُّ من إسحاق .
﴿رَبَّنَا وَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ إن أراد بالدعاء : الطلبَ والرغبة فمعنى القبول :
الاستجابة .

وإن أراد بالدعاء : العبادة ، فالقبول على حقيقته .
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ قيل : إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط
إسلامهما .
والصحيح : أنه دعا لهما قبل أن يتبين له أنه عدوُّ لله ، حسبما ورد في
«براءة» .

[وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدُكُمْ هَوَاءً ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِيَتْرُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَّابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾] .

﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً﴾ هذا وعيدٌ للظالمين ، وهم الكفار هنا على الأظهر .

فإن قيل : لمن هذا الخطاب هنا وفي قوله : ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ ؟

فالجواب : أنه يحتمل أن يكون خطاباً للنبي ﷺ ، أو لغيره .

فإن كان لغيره فلا إشكال .

وإن كان له فهو مشكل ؛ لأن النبي ﷺ لا يحسب أن الله غافل ، وتأويل

ذلك بوجهين :

أحدهما : أن المراد : الثبوت على علمه بأن الله غير غافل وغير مخلف

وعده .

والآخر: أن المراد: إعلامه بعقوبة الظالمين، فمقصد الكلام الوعيد لهم.

﴿شَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصَرُ﴾ أي: تُحَدُّ النظر من الخوف.

﴿مُتَظَيِّعٌ﴾ قيل: الإهطاع: الإسراع.

وقيل: شدة النظر من غير أن يَطْرِف.

﴿مُنْعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قيل: الإقناع هو رفع الرأس.

وقيل: خفضه من الذلة.

﴿لَا يَرْنَدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لا يَطْرِفون بعيونهم؛ من الحذر والجزع.

﴿وَأَفْنَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي: منخرقة، لا تعي شيئاً؛ من شدة الجزع، فشبهها بالهواء في تفرغه من الأشياء.

ويحتمل أن يريد مضطربة في صدورهم.

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يعني: يوم القيامة، وانتصاب ﴿يَوْمَ﴾ على أنه مفعول ثانٍ لـ ﴿أَنْذِرِ﴾، ولا يجوز أن يكون ظرفاً.

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا﴾ تقديره: يقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا﴾ الآية.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ هو المقسم عليه، ومعنى ﴿مِنْ زَوَالٍ﴾: أي: من الأرض بعد الموت؛ أي: حلفتكم أنكم لا تبعثون.

﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: جزاء مكرهم.

﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْحَبَالِ﴾ «إن» هنا نافية، واللام لام

الجحود، والجبال يراد بها : الشرائع والنبوات، شبهت بالجبال في ثبوتها، والمعنى : تحقيق مكرهم ؛ لأنه لا تزول منه تلك الجبال الثابتة الراسخة .

وقرأ الكسائي : ﴿لَتَزُولُ﴾ بفتح اللام ورفع ﴿تَزُولُ﴾ ، و«إن» - على هذه القراءة - مخففة من الثقيلة، واللام للتأكيد، والمعنى : تعظيم مكرهم ؛ أي : إن مكرهم من شدته بحيث تزول منه الجبال، ولكن الله عصم ووقى منه .
﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ يعني : الوعد بالنصر على الكفار .
فإن قيل : هلا قال : «مخلف رسوله وعده» ، ولم قدم المفعول الثاني على الأول ؟ .

فالجواب : أنه قدم الوعد ليُعلم أنه لا يُخلف الوعد أصلاً على الإطلاق، ثم قال : ﴿رُسُلَهُ﴾ ؛ ليُعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس ، فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه ؟ ، فقدم الوعد أولاً ؛ لقصد الإطلاق ، ثم ذكر الرسل ؛ لقصد التخصيص .

﴿يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ﴾ العامل في الظرف : ﴿ذُو أَنْقَامٍ﴾ ، أو محذوف .
وتبديل الأرض : بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي ، هكذا ورد في الحديث الصحيح^(١) .

﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾ تبديلها : بانشقاقها ، وانتثار كواكبها ، وخسوف شمسها وقمرها .

وقيل : تبدل أرضاً من فضة ، وسماء من ذهب ، وهذا ضعيف .

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠) .

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني : الكفار .

﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أي : مربوطين في الأغلال .

﴿سَرَابِلُهُمْ﴾ أي : قمصهم ، والسُّرْبَال : القميص .

﴿مِنْ قَطْرَانٍ﴾ هو الذي تُهَنَأُ به الإبل ، وللنار فيه اشتعالٌ شديد ، فلذلك جعل الله قمص أهل النار منه .

﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلقٌ بمحذوف ؛ أي : فعل الله ذلك ليجزي .

﴿هَذَا بَلَّغٌ﴾ إشارة : إلى القرآن ، أو إلى ما تَضَمَّنَتْه هذه السورة .

﴿وَلِيُنْذِرُوا﴾ معطوفٌ على محذوف تقديره : لِيُنْصَحُوا به وليُنْذِرُوا .



﴿ سورة الحجر ﴾

[﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ① رَبِّمَا يُوذِّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ② ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ③ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا وَهَذَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ④ مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ⑤ وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ⑥ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ⑦ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ⑧ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑨ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ⑩ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ⑪ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ⑫ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ⑬ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ⑭ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ⑮ ﴾].

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالْكِتَابِ: الْكِتَابَ الْمَتَقَدِّمَةَ، وَعُطِفَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا.

والظاهر: أَنَّهُ الْقُرْآنُ، وَعُطِفَ عَظْفُ الصِّفَاتِ.

﴿ رَبِّمَا ﴾ قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ، وَهُمَا لَغَتَانِ، وَ«مَا» حَرْفٌ، كَافَّةٌ لـ «رَبِّ».

ومعنى «رب»: التقليل، وقد تكون للتكثير.

وقيل : إن هذه منه .

وقيل : إنما عبّر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهكم ؛ كقوله : ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ [البقرة: ١٤٤] ، و﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤] .

وقيل : إن معنى التقليل في هذه : أنهم لو كانوا يودّون الإسلام مرةً واحدةً لوجب أن يسارعوا إليه ، فكيف وهم يودونه مرارًا كثيرةً ؟ .

ولا تدخل «رُبَّ» إلّا على الماضي ، وإنما دخلت هنا على المستقبل ؛ لأنه في التحقيق كالماضي .

﴿يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ قيل : إن ذلك عند الموت .

وقيل : في القيامة .

وقيل : إذا خرج عصاة المسلمين من النار ، وهذا هو الأرجح ؛ لحديث روي في ذلك ^(١) .

﴿ذَرَهُمْ﴾ وما بعده : تهديدٌ .

﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي : وقت محدود .

﴿وَقَالُوا يَتَأْتِيَهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿٦﴾ الضمير في ﴿وَقَالُوا﴾

لكفار قريش ، وقولهم : ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ ^(٢) على وجه الاستخفاف ؛ أي : بزعمك ودعواك .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/١٤) .

(٢) في هـ زيادة : «يعنون» .

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾ ﴿لَوْ مَا﴾ عَرْضٌ وَتَحْضِيضٌ، والمعنى: أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بالملائكة معه.

﴿مَا تَنْزَلُ الْمَلَكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ رَدُّ عَلَيْهِمْ فِيمَا اقترحوا، والمعنى: أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق؛ من الوحي والمصالح، التي يريدتها الله، لا باقتراح مقترح واختيار كافر معترض.

وقيل: الحق هنا: العذاب.

﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ ﴿إِذَا﴾ حرف جواب وجزاء، والمعنى: لو أنزل الملائكة لم يؤخر عذاب هؤلاء الكفار الذين اقترحوا نزولهم؛ لأن من عادة الله أن من اقترح آية فرأها ولم يؤمن أنه يعجل له العذاب، وقد علم الله أن هؤلاء القوم يؤمن كثير منهم، ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿١﴾ الذكر هنا: هو القرآن، وفي قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ رَدُّ لِنِكَارِهِمْ واستخفافهم في قولهم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ ولذلك أكد به ﴿نَحْنُ﴾، واحتج عليه بحفظه.

ومعنى حفظه: حراسته عن التبديل والتغيير، كما جرى في غيره من الكتب، فتولى الله حفظ القرآن، فلم يقدر أحدٌ على الزيادة فيه، ولا النقصان منه، ولا تبديله، بخلاف غيره من الكتب؛ فإن حفظها موكلٌ إلى أهلها؛ لقوله: ﴿يَمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ الشَّيْع: جمع شَيْعة، وهي الطائفة التي تشيع لمذهب أو رجل.

﴿كَذَلِكَ نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ معنى ﴿نَسْأَلُكَ﴾: ندخله.

والضمير في ﴿نَسْلُكُهُ﴾ يَحْتَمِلُ :

أن يكون للاستهزاء الذي دَلَّ عليه قوله : ﴿يَهْءِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ .

أو يكون للقرآن ؛ أي : نسلكه في قلوبهم مستهزءًا به ، ويكون قوله : ﴿كَذَلِكَ﴾ تشبيهاً للاستهزاء المتقدم ، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ تفسيرٌ لوجه إدخاله في قلوبهم ، والضمير في ﴿يَهْءِ﴾ للقرآن .

﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي : تقدّمت طريقتهم على هذه الحالة من الكفر والاستهزاء ، حتى هلكوا بسبب ذلك ، ففي الكلام تهديدٌ لقريش .

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَنْبَارُنَا﴾ الضمائر لكفار قريش المعاندين المحتوم عليهم بالكفر .

وقيل : الضمير في ﴿ظَلُّوا﴾ و﴿يَعْرُجُونَ﴾ للملائكة ، وفي ﴿قَالُوا﴾ للكفار .

ومعنى ﴿يَعْرُجُونَ﴾ : يَصْعَدُونَ .

والمعنى : أن هؤلاء الكفار لو رأوا أعظم آية لقالوا : إنها تخيل أو سحر .

وقرئ ﴿سُكَّرَتْ﴾ بالتشديد والتخفيف ، ويَحْتَمِلُ أن يكون مشتقًا :

من السُّكْر ، فيكون معناه : حُيرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته .

أو من السُّكْر ، وهو السَّد ، فيكون معناه : منعت أبصارنا من النظر .

[﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِقَهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ ١٦ ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ١٧ ﴿إِلَّا مِنْ أَسْرَفَ السَّمْعِ فَأَنْبَعُهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ ١٨ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ ١٩ ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَمْ يَرْزُقِينَ﴾ ٢٠ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ٢١ ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاثْرَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْفَقْنَا كُمُوهُ وَمَا أَنْسَمُ لَمْ يَخْرُجِينَ﴾ ٢٢ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ ٢٣ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ﴾ ٢٤ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٥﴾].

﴿بُرُوجًا﴾ يعني: المنازل الاثني عشر.

﴿إِلَّا مِنْ أَسْرَفَ السَّمْعِ﴾ استثناء من حفظ السموات، فهو في موضع نصب.
 ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ أي: مقدر بقصد وإرادة؛ فالوزن على هذا مستعار.
 وقيل: المراد: ما يوزن حقيقة كالذهب والأطعمة، والأول أعم وأحسن.
 ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَمْ يَرْزُقِينَ﴾ يعني: البهائم والحيوانات، و﴿مَنْ﴾ معطوف على ﴿مَعِيشَ﴾.

وقيل: على الضمير في ﴿لَكُمْ﴾، وهذا ضعيف في النحو؛ لأنه عطفت على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض، وهو قوي في المعنى؛ أي: جعلنا في الأرض معاش لكم وللحيوانات.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ قيل: يعني المطر، واللفظ أعم من ذلك.
 والخزائن: المواضع الخازنة، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت.

وقيل : ذلك تمثيل ، والمعنى : وإن من شيء إلا نحن قادرون على إيجادهِ وتكوينهِ .

﴿يَقْدَرُ مَعْلُومٍ﴾ أي : بمقدار محدود .

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ يقال : لَفَحَتِ الناقة والشجرة : إذا حَمَلَتْ فهي لاقحة ، وأَلْفَحَتِ الرِّيحُ الشجرَ فهي مُلْفِحَةٌ ، و﴿لَوْفِحَ﴾ : جمع لاقحة ؛ لأنها تحمل الماء .

أو جمع ملقحة ؛ على حذف الميم الزائدة .

﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ﴾ الآية ؛ يعني : الأولين والآخرين من الناس ، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذي ذُكر بعد ذلك في قوله : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ ؛ لأنه إذا أحاط بهم علماً لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم .

وقيل : يعني : مَنْ استقدم ولادةً وموتاً ، ومن تأخَّر .

وقيل : من تقدَّم إلى الإسلام ومن تأخَّر عنه .



[وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَتَّبِعُكَ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْفَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ جَهَنَّمُ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ﴾ الإنسان هنا هو: آدم عليه السلام، والصلصال: الطين اليابس الذي يصلصل؛ أي: يصوت، وهو غير مطبوخ، فإذا طُبِخ فهو فَحَّارٌ.

﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ الحمأ: الطين الأسود، والمسنون: المتغير المتن.

وقيل: إنه من أسن الماء: إذا تغير، والتَّصْرِيف يَرُدُّ هذا القول.

وموضع ﴿مِنْ حَمَإٍ﴾ صفة لـ ﴿صَلْصَلٍ﴾؛ أي: من صلصال كائن من حمأ.

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ﴾ يراد به: جنس الشياطين.

وقيل: إبليس الأول، وهذا أرجح؛ لقوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، وتنازلت الجن

من إبليس، وهو للجن كآدم للناس.

﴿السُّمُورِ﴾ شِدَّةُ الحرِّ .

﴿خَلَقُوا بِشْكْرًا﴾ يعني : آدم ﷺ .

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ يعني : الروح التي في الجسد ، وأضاف الله تعالى الروح إلى نفسه إضافة مُلْك إلى مالك ؛ أي : من الروح الذي هو لي ، وخلق من خلقي .

وتقدّم الكلام على سجود الملائكة في «البقرة»^(١) .

﴿فَأَخْرَجُ مِنْهَا﴾ أي : من الجنة ، أو من السماء .

﴿قَالَ رَبِّ﴾ يقتضي إقراره بالربوبية ، وأن كفره كان بوجه غير الجحود ، وهو اعتراضه على الله في أمره بالسجود لآدم .

﴿إِنِّي يَوْمَ أَلُوفٍ الْمَعْلُومِ﴾ (٢٨) اليوم الذي طلب إبليس أن يُنظرَ إليه : هو يوم القيامة .

ويوم الوقت المعلوم الذي أنظرَ إليه : هو يوم النفخ في الصور النفخة الأولى ؛ حين يموت من في السموات ومن في الأرض .

وكان سؤال إبليس الإنظار إلى يوم القيامة جهلاً منه ومغالطة ؛ إذ سأل ما لا سبيل إليه ؛ لأنه لو أعطي ما سأل لم يمت أبدًا ؛ لأنه لا يموت أحد بعد البعث ، فلما سأل ما لا سبيل إليه أعرض الله عنه ، وأعطاه الإنظار إلى النفخة الأولى .

﴿يَا أَعْوَيْنِي﴾ الباء للسببية ؛ أي : لأغوينهم بسبب إغوائك لي .

وقيل: للقسم؛ كأنه قال: بقُدْرَتِكَ على إغوائي لأغوينهم.

والضمير لذرية آدم.

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٤١) القائل لهذا هو الله تعالى، والإشارة بـ ﴿هَذَا﴾:

إلى نجاة المخلصين من إبليس، وأنه لا يقدر عليهم.

أو إلى تقسيم الناس إلى غويٍّ ومُخْلَصٍ.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يحتمل أن يريد بالعباد:

جميع الناس؛ فيكون قوله: ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ﴾ استثناءً متصلًا.

أو يريد بالعباد المخلصين؛ فيكون الاستثناء منقطعًا.

﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضمير للغاوين.

﴿لَمَّا سَبَعَهُ أَبُوبَ﴾ روي: أنها سبعة أطباق، في كل طبقة باب، فأعلاها:

للمذنبين من المسلمين، والثاني: لليهود، والثالث: للنصارى، والرابع:

للسابئين، والخامس: للمجوس، والسادس: للمشركين، والسابع:

للمنافقين.

[إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَعِثُونَ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَلِّبِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبَتْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا نَؤْجَلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونِ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بِشْرَتِكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَاتُهُ فَذَرْنَاهُ لِمَنْ أَلْفَرِيكَ ﴿٦٠﴾].

﴿ادْخُلُوهَا﴾ تقديره: يقال لهم: ادخلوها، والسلام هنا يحتمل أن يكون: التحية، أو السلامة.

﴿إِخْوَانًا﴾ يعني: أخوة المودة والإيمان.

﴿مُتَقَلِّبِينَ﴾ أي: يقابل بعضهم بعضاً على الأسيرة.

﴿نَصَبٌ﴾ أي: تعب.

﴿نَبَتْ عِبَادِي﴾ الآية؛ أعلمهم، والآية آية ترجية وتخويف.

﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿ضَيْفٌ﴾ هنا: واقع على جماعة، وهم الملائكة الذين جاؤوا إلى إبراهيم بالبشرى.

﴿وَجِلُونَ﴾ أي: خائفون، والوجل: الخوف.

﴿لَا نَؤْجَلُ﴾ أي: لا نخف.

﴿إِنَّا نَبْشُرُكَ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق .

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ المعنى : أبشروني بالولد مع أنني قد كبر سني ! .

وكان حينئذ ابن مئة سنة ، وقيل : أكثر .

﴿فِيمَ تُبْشِرُونَ﴾ قال ذلك :

على وجه التعجب من ولادته في كبره .

أو على وجه الاستبعاد لذلك .

وقرئ ﴿تُبْشِرُونَ﴾ :

بتشديد النون وكسرها ؛ على إدغام نون الجمع في نون الوقاية .

وبالكسر والتخفيف ؛ على حذف إحدى النونين .

وبالفتح ؛ وهي نون الجمع .

﴿قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أي : باليقين الثابت ، فلا تستبعده ولا تشك فيه .

﴿وَمَنْ يَفْطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ دليل على تحريم القنوط .

وقرئ ﴿يَفْطُ﴾ : بفتح النون وكسرها ، وهما لغتان .

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي : ما شأنكم ؟ ، وبأي شيء جئتم ؟ .

﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مَجْرُمِينَ﴾ يعنون : قوم لوط .

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ يحتمل :

أن يكون استثناء من ﴿قَوْمٍ﴾ ؛ فيكون منقطعاً ؛ لوصف القوم بالإجرام ،

ولم يكن آل لوط مجرمين .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿تَجْرِمُونَ﴾ ؛ فَيَكُونُ مُتَصِلًا ؛ كَأَنَّهُ قَالَ : إِلَى قَوْمٍ قَدْ أَجْرَمُوا كُلَّهُمْ إِلَّا آلَ لُوطٍ فَلَمْ يَجْرَمُوا .

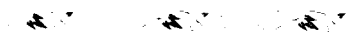
﴿إِلَّا أَمْرَانَهُ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ ، فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ اسْتِثْنَاءٍ .

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : إِنَّمَا هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ فِي قَوْلِهِ : ﴿لَمَنْجُوهُمْ﴾^(١) . وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الْمَعْنَى .

﴿فَدَرَرْنَا إِنْهَا لَمِنْ الْغَيْرِ﴾ الْغَابِرُ : يُقَالُ بِمَعْنَى الْبَاقِي ، وَبِمَعْنَى الْذَاهِبِ .

وَإِنَّمَا أَسْنَدَ الْمَلَائِكَةُ فِعْلَ التَّقْدِيرِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَهُوَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ؛ لِمَا لَهُمْ مِنَ الْقُرْبِ وَالِاخْتِصَاصِ بِاللَّهِ ، لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ ، كَمَا تَقُولُ خَاصَّةُ الْمَلِكِ لِلْمَلِكِ : دَبَّرْنَا كَذَا .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حِكَايَةً عَنِ اللَّهِ .



(١) انظر : الكشف (٤٦/٩) .

[﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْفِتْ مِنْكَ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَقْرَأُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَسْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَنَّا إِنْهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّا لَنَسْبِيلٌ مَّقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾].

﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: لا يعرفهم^(١).

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: جئناك بالعذاب لقومك.

ويعني ﴿يَمْتَرُونَ﴾: يشكّون فيه.

﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ أي: كن خلفهم وفي سآقتهم؛ حتى لا يبقى منهم أحد، وليكونوا قدّامه؛ (فلا يشتغل قلبه بهم لو كانوا وراءه؛ لخوفه عليهم)^(٢).

﴿وَلَا يَلْفِتْ مِنْكَ أَحَدٌ﴾ تقدّم في «هود»^(٣).

﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ قيل: هو مصر، وقيل: «حيث» هنا للزمان؛ إذ لم يُذكر مكان.

(١) في أ، ب: «قوم لا نعرفهم».

(٢) في أ، ب: «ولو كانوا وراءه لاشتغل بخوفه عليهم».

(٣) انظر صفحة ..

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ هو من القضاء والقدر، وإنما تعدى بـ «إلى»؛ لأنه ضَمَّنَ معنى: «أوحينا».

وقيل: معناه: أعلمناه بذلك الأمر.

﴿أَنْ دَايَرَ هَوَآءَ مَقْطُوعٍ﴾ هذا هو تفسير لـ ﴿ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾.

ودابر القوم: أصلهم، والإشارة إلى قوم لوط.

﴿مُضْجِينَ﴾ في الموضعين: أي: إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح.

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٧) المدينة هي سدُوم، واستبشار أهلها بالأضياف؛ طمعاً أن ينالوا منهم الفاحشة.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٠) كانوا قد نهوه أن يُضيف أحداً.

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ دعاهم إلى تزويج بناته؛ ليقى بذلك أضيافه.

﴿لَعَمْرُكَ﴾ قسم، والعمر: الحياة؛ ففي ذلك كرامة للنبي ﷺ، لأن الله أقسم بحياته.

وقيل: هو من قول الملائكة للوط.

وارتفاعه: بالابتداء، وخبره محذوف تقديره: لعمرك قسمي، واللام للتوطئة.

﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الضمير لقوم لوط، و﴿سَكْرَتِهِمْ﴾: ضلالهم وجهلهم، و﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي: يتحيرون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ أي: صيحة جبريل، وهي أخذتهم.

﴿مُشْرِقِينَ﴾ أي: داخلين في الشروق، وهو وقت بزوغ الشمس.

وقد تقدّم تفسير ما بعد هذا من قصتهم في «هود»^(١).

﴿الْمُتَوَسِّينَ﴾ أي: للمتفرّسين، ومنه: فِرَاسة المؤمن.

وقيل: للمعتبرين.

وحقيقة التوسّم: النظر إلى السّمة.

﴿وَلَا يَهْدِي لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ أي: بطريق ثابت يراه الناس، والضمير: للمدينة^(٢) المهلكة.

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ﴾ أصحاب الأيكة: قوم شعيب، والأيكة: الغنّضة من الشجر، لما كفروا أضرمها الله عليهم نارًا.

﴿وَأِنَّهُمَا لِيَأْمُرَ مُبِينٍ﴾ الضمير في ﴿وَأِنَّهُمَا﴾:

قيل: إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب، فالإمام على هذا: الطريق؛ أي: إنهما بطريق واضح يراه الناس.

وقيل: الضمير للوط وشعيب؛ أي: إنهما على طريق من الشّرع واضح والأول أظهر.

(١) انظر صفحة ٦٠٤.

(٢) في ج، هـ: «للمدائن».

[وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٥﴾ وَءَايَتْنَهُمْ ءَايَتُنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨٦﴾ وَكَانُوا يُنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٧﴾ فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٨﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيِنَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٩٢﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٩٤﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩٦﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٧﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٩﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٠٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّجِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٠٤﴾].

﴿أَصْحَابُ الْحَجَرِ﴾ هم ثمود قوم صالح، والحجر: واديهم، وهو بين المدينة والشام.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ ذكره بالجمع وإنما كذبوا واحداً، وفي ذلك تأويلان: أحدهما: أن من كذب واحداً من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع؛ لأنهم جاؤوا بأمر متفق من التوحيد.

والثاني: أنه أراد الجنس، كقولك: فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلا فرساً واحداً.

﴿وَءَايَتْنَهُمْ ءَايَتُنَا﴾ يعني: الناقة، وما كان فيها من العجائب.

﴿وَكَانُوا يُنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ النحر: النقر بالمعاويل وشبهها في الحجر

والعود وشبه ذلك ، وكانوا ينقرون بيوتهم في الجبال .

﴿ءَامِنِينَ﴾ يعني : آمنين من تهْدُم بيوتهم لوثاقتها ، وقيل : آمنين من عذاب الله .

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يعني : أنها لم تُخْلَق عبثاً .

﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ قيل : إن الصَّفْحَ الجميل هو الذي ليس معه عقاب ولا عتاب .

وفي الآية مهادنة للكفار منسوخة بالسيف .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ قيل : يعني : أم القرآن ؛ لأنها سبع آيات .

وقيل : يعني السُّور السبع الطُّوال ؛ وهي : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال مع براءة .

والأول أرجح ؛ لوروده في الحديث^(١) .

﴿وَالْمَثَانِي﴾ : مشتق من التثنية ، وهو التكرير ؛ لأن الفاتحة تُكْرَر قراءتها في الصلاة ، ولأن غيرها من السور تُكْرَر فيها القَصَص وغيرها .

وقيل : هي مشتقة من الثناء ؛ لأن فيها ثناءً على الله .

﴿مِّنْ﴾ تَحْتَمِل أن تكون : للتَّبْعِيض ، أو لبيان الجنس .

وعُظِف القرآن على السبع المثاني ؛ لأنه يعني ما سواها من القرآن ، فهو عموم بعد الخصوص .

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) .

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: لا تنظرُ إلى ما مَتَّعْنَاهُمْ به في الدنيا، ومعنى الآية: ترهيدٌ في الدنيا؛ كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم، فلا تنظر إلى الدنيا؛ فإن الذي أعطيناك أعظمُ منها.

﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ يعني: أصنافًا من الكفار.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتأسف لكفرهم.

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي: تواضع وِلْنِ للمؤمنين، والجَنَاح هنا: استعارة.

﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ (٩٠) الكاف من ﴿كَمَا﴾ متعلقة بقوله: ﴿أَنَا النَّذِيرُ﴾؛ أي: أنذِرُ قريشًا مثل العذاب الذي أنزل على المقتسمين. وقيل: تتعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ أي: أنزلنا عليك كتابًا كما أنزلنا على المقتسمين.

واختلف في المقتسمين:

ف قيل: هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه، فاقسموا إلى قسمين.

وقيل: هم قريش، اقساموا أبواب مكة في الموسم، فوقف كل واحد منهم على باب، يقول أحدهم: هو شاعر، ويقول الآخر: ساحر، وغير ذلك.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْآنَ عِضِينَ﴾ (٩١) أي: أجزاء، وقالوا فيه أقوالًا مختلفة، وواحد ﴿عِضِينَ﴾ عِضَةٌ.

وقيل: هو من العَضَةِ، وهو السَّحَر، والعاضه: الساحر، والمعنى على هذا: قالوا إنه سحر.

والكلمة محذوفة اللام، ولامها على القول الأول: واو، وعلى الثاني: هاء.

﴿فَوَرَبِّكَ لَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٦) ﴿إِنْ قِيلَ: كَيْفَ يُجْمَعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (٩٧)﴾ [الرحمن: ٣٩]؟

فالجواب: أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ، وأن السؤال المنفي هو على وجه الاستفهام المحض؛ لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها.

﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي: صرّح به وأنفذه.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ﴾ (٩٥) يعني قومًا من أهل مكة؛ أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعي النبي ﷺ، وكانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن عَظْلَة، وقصة هلاكهم مذكورة في السِّير.

وقيل: هم الذين قُتِلُوا ببدر؛ كأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وغيرهم.

والأول أرجح؛ لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة.

﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَصِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧) ﴿تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَتَأْنِيسٌ.

﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: الموت.

﴿ سورة النحل ﴾

[﴿أَنَّى أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُزِيلُ الْمَلٰٓئِكَةُ
 بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ
 السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ تُفْلَةٍ فَإِذَا
 هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
 ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ
 تَكُونُوا بَلَغِيهِ إِلَّا شِيقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
 وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا
 جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَنَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾].

﴿أَنَّى أَمَرَ اللَّهُ﴾ قيل: يعني القيامة.

وقيل: النصر على الكفار.

وقيل: عذاب الكفار في الدنيا.

ووضع الماضي موضع المستقبل؛ لتحقيق وقوع الأمر، ولقربه.

وروي أنها لما نزلت وثب رسول الله ﷺ قائماً فلما قال: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾
 سَكَنَ^(١).

(١) لم أقف عليه مسنداً، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٨٧) عن ابن عباس، =

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ أي: بالنبوة، وقيل: بالوحي.
 ﴿حَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي: من نطفة المني، والمراد: جنس
 الإنسان.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ فيه وجهان:
 أحدهما: أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه.
 والثاني: يخاصم في ربه ودينه، وهذا في الكفار.
 والأول أعم.

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ أي: ما يُدْفَأُ به، يعني: ما يُتَّخَذُ من جلود الأنعام
 وأصوافها من الثياب.

ويَحْتَمِلُ أن يكون قوله: ﴿لَكُمْ﴾ متعلق: بما قبله، أو بما بعده،
 ويختلف الوقف باختلاف ذلك.

﴿وَمَنْفَعٌ﴾ يعني: شرب ألبانها، والحرث بها، وغير ذلك.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يَحْتَمِلُ أن يريد بالمنافع:

ما عدا الأكل؛ فيكون الأكل أمراً زائداً عليها.

أو يريد بالمنافع: الأكل وغيره، ثم جَرَّدَ ذكر الأكل؛ لأنه أعظم المنافع.
 ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ الجمال: حسن المنظر،

= وفي الدر المنثور (٥/٩): «وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿أَنذَرُ
 اللَّهُ﴾ دُعِرَ أصحاب الرسول حتى نزلت ﴿فَلَا تَسْعَاجِدُوا﴾ فسكنوا».

﴿حَيْثُ تُرِيحُونَ﴾ : يعني : حين تردُّونها بالعشي إلى المنازل ، ﴿وَحِينَ سَرَّحُونَ﴾ : حين تردُّونها بالغداة إلى الرعي ، وإنما قدَّم ﴿تُرِيحُونَ﴾ على ﴿سَرَّحُونَ﴾ ؛ لأن جمال الأنعام بالعشي أكثر ؛ لأنها ترجع وبطونها مملأى وضروعها حافلة .

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ يعني : الأمتعة وغيرها ، وقيل : أجساد بني آدم .

﴿إِلَى بَلَدٍ﴾ أي : إلى أيِّ بلدٍ توجهتم ، وقيل : يعني مكة .

﴿يَشِقُّ الْإِنْفُسَ﴾ أي : بمشقة .

﴿لِتَرْكُوبَهَا وَزِينَةً﴾ استدللَّ بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير ؛ لكونه عللَّ خَلَقَهَا بالركوب والزينة دون الأكل .

﴿وَنَصَبُ زِينَةٍ﴾ على أنه مفعول من أجله ، وهو معطوف على موضع ﴿لِتَرْكُوبَهَا﴾ .

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عبارة على العموم ؛ أي : أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها .

وكلُّ مَنْ ذَكَرَ في هذه الآية شيئاً مخصوصاً فهو على وجه المثال .

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي : على الله تقويم طريق الهدى ، بنصب الأدلة وبعث الرسل .

والمراد بالسبيل هنا : الجنس ، ومعنى القصد : القاصد الموصِل ، وإضافته إلى السبيل من إضافة الصفة إلى الموصوف .

﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ يعود على السبيل؛ إذ المراد به :
الجنس، ومعنى الجائر: الخارج عن الصواب؛ أي: ومن الطريق جائر،
كطريق اليهود والنصارى وغيرهم.



[هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَ كَمَا يَبْرُكُ فِيهِ وَلَتَجْتَبِئُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَنبِتَ بِهِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ الْوَحْيَ وَالنَّجْمَ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾].

﴿مَاءً لَكُمْ﴾: يحتمل أن يتعلق ﴿لَكُمْ﴾ بـ ﴿أَنْزَلَ﴾.

أو يكون في موضع خبر لـ ﴿شَرَابٌ﴾.

أو صفة لـ ﴿مَاءً﴾.

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾: يعني: ما ينبت بالمطر^(١) من الشجر.

﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: أي: ترعون أنعامكم.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: يعني: الحيوان والأشجار والثمار وغير

ذلك.

(١) في أ، ب: «ما ينبت المطر».

﴿مُخْلِفًا لَّوْنَهُ﴾ أي: أصنافه وأشكاله.

﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: الحوت.

﴿حَلِيَّةٌ تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: الجواهر والمرجان.

﴿مَوَآخِرَ فِيهِ﴾ جمع ماخرة، يقال: مَحَرَّتِ السفينةُ، والمَحَرُّ: شقُّ الماء.

وقيل: صوت جري الفلك بالرياح.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني: في التجارة، وهو معطوف على ﴿لِتَأْكُلُوا﴾.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ﴾ الرواسي: الجبال، واللفظ مشتق من رسا إذا ثبت، و﴿أَنْ نَمِيدَ﴾ في موضع مفعول من أجله، والمعنى: أنه ألقى الجبال في الأرض لئلا تميد الأرض.

وروي أنه لما خلق الله الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة: لا يستقرُّ على ظهر هذه أحدٌ، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال.

﴿وَأَنهَرًا﴾ قال ابن عطية: ﴿وَأَنهَرًا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: وجعل أو خلق أنهارًا، قال: وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على أن ﴿وَأَلْقَى﴾ أخص من «جعل» و«خلق»، ولو كانت ﴿وَأَلْقَى﴾ بمعنى «خلق» لم يحتج إلى هذا الإضمار^(١).

﴿وَسُبُلًا﴾ يعني: الطرق.

﴿وَعَلَّمَنَّا﴾ يعني: ما يستدلُّ به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك، وهو معطوف على ﴿وَأَنهَرَا وَسُبُلَا﴾.

وقال ابن عطية: هو نصبٌ على المصدر؛ أي: لعلكم تعتبرون وعلامات أي: عبرة وإعلامًا^(١).

﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني: الاهتداء بالليل في الطرق، والنجم هنا: جنس.

وقيل: المراد الثريا والفرقدان.

فإن قيل: قوله: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ مُخْرَجٌ عَنْ سَنَنِ الْخَطَابِ، وَقَدْ م فِيهِ النِّجْمُ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: وَبِالنَّجْمِ خُصُوصًا هَؤُلَاءِ خُصُوصًا يَهْتَدُونَ، فَمِنْ الْمُرَادِ بِهِمْ؟

فالجواب: أَنَّهُ أَرَادَ قَرِيشًا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَهْمَ فِي الْإِهْتِدَاءِ بِالنَّجْمِ فِي سِيرِهِمْ عَلَّمٌ لَمْ يَكُنْ لغيرِهِمْ، وَكَانَ الْإِهْتِدَاءُ أَلْزَمَ لَهُمْ فَخُصَّصُوا. قَالَ ذَلِكَ الزَّمَخْشَرِيُّ^(٢).

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ تَقْرِيرٌ يَقْتَضِي الرَّدَّ عَلَى مَنْ عْبَدَ غَيْرَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنْهُمْ بِ«مَنْ»:

لأن فيهم مَنْ يعقل ومن لا يعقل.

أو مشاكلةً لقوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/٣٣٩).

(٢) انظر: الكشف (٩/٩٥-٩٦).

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعاً من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته ، ولذلك أعقبها بقوله : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ .

وفيها أيضاً تعداداً لنعمه على خلقه ؛ ولذلك أعقبها بقوله : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ ، ثم أعقب ذلك بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي : يغفر لكم التقصير في شكر نعمه .

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ نفى عن الأصنام صفات الربوبية ، وأثبت لهم أضدادها ، وهي أنهم مخلوقون غير خالقين ، وغير أحياء ، وغير عالمين بوقت البعث ، فلما قام البرهان على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده فقال : ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحْدٌ﴾ .

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ أي : لم تكن لهم حياة قط ولا تكون ، وذلك أغرق في موتها ممن تقدمت له حياة ثم مات ، ثم يعقب موته حياة .

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ الضمير في ﴿يَشْعُرُونَ﴾ للأصنام ، وفي ﴿يُبْعَثُونَ﴾ للكفار الذين عبدوهم .

وقيل : إن الضميرين للكفار .

[﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٣﴾ لَا جَرَمَ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ بِمَا يَسْرُوتُ وَمَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ فِيكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٥﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣٦﴾].

﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ أي: تنكر وحدانية الله تعالى وجل.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بد، ولا شك.

وقيل: إن ﴿لَا﴾ نفى لما تقدم، و﴿جَرَمَ﴾ معناه: وجب، أو حق، و﴿أَنْ﴾ فاعلة بـ ﴿جَرَمَ﴾.

﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سطره الأولون، وكان النضر بن الحارث قد اتخذ كتب^(١) تواريخ، وكان يقول: إنما يحدث محمد بأساطير الأولين، وحديثي أجمل من حديثه.

و﴿مَاذَا﴾ يجوز أن يكون:

اسماً واحداً مركباً من «ما» و«ذا»، ويكون منصوباً بـ ﴿أُنْزِلَ﴾.

أو أن تكون «ما» استفهامية في موضع رفع بالابتداء، و«ذا» بمعنى الذي، وفي ﴿أُنْزِلَ﴾ ضمير محذوف.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ اللام لام العاقبة والصيرورة؛ أي: قالوا أساطير الأولين، فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم.

(١) في أ، ب: «كتاب».

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِلأَمْرِ .

﴿يَغَيِّرُ عِلْمًا﴾ حال : من المفعول في ﴿يُصَلُّونَهُمْ﴾ ، أو من الفاعل .

• • • • •

[قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ
السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَنْتَهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ
الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمَى أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا
السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِيسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾] وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ
قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾].

﴿فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ الآية؛ قيل: المراد بالذين من قبلهم:
نمرود؛ فإنه بنى صرحاً ليصعد فيه إلى السماء بزعمه، فلما علا فيه فرسحين
هدمه الله وخر سقفه عليه.

وقيل: المراد بالذين من قبلهم: كل من كفر من الأمم المتقدمة، ونزلت به
عقوبة الله، فالبنيان والسقف والقواعد على هذا تمثيل.

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ توبيخ للمشركين، وأضاف الشركاء إلى نفسه؛
أي: على زعمكم ودعواكم، وفيه تهكم بهم.

﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ أي: تعادون من أجلهم.

فمن قرأ بكسر النون: فالمفعول ضمير المتكلم وهو الله ﷻ .
ومن قرأ بفتحها: فالمفعول محذوف تقديره: تعادون المؤمنين من أجلهم.

﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم الأنبياء والعلماء من كل أمة .

وقيل: يعني الملائكة .

واللفظ أعم من ذلك .

﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ حال من الضمير المفعول في ﴿تَوَفَّيْهُمْ﴾ .

﴿فَأَلْفَوْا السَّعَةَ﴾ أي: استسلموا للموت .

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ أي: قالوا ذلك، ويحتمل قولهم لذلك:

أن يكونوا قصدوا الكذب؛ اعتصامًا به، كقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

[الأنعام: ٢٣] .

أو يكونوا أخبروا على حسب اعتقادهم في أنفسهم، فلم يقصدوا الكذب ولكنه كذب في نفس الأمر .

﴿بِكُلٍّ﴾ من قول الملائكة للكفار؛ أي: قد كنتم تعملون السوء .

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ﴾ لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين؛ قابل ذلك بمقالة المؤمنين .

فإن قيل: لم نصب جواب المؤمنين، وهو قولهم: ﴿خَيْرٌ﴾، ورفع جواب

الكافرين وهو ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؟

فالجواب: أن قولهم ﴿حَيَّرًا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: أنزل خيرًا، ففي ذلك اعتراف بأن الله أنزله، وأما ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ فهو خبر ابتداء مضمر تقديره: هو أساطير الأولين، فلم يعترفوا بأن الله أنزله؛ فلا وجه لنصبه، ولو كان منصوبًا لكان الكلام متناقضًا؛ لأن قولهم: أساطير الأولين يقتضي التكذيب بأن الله أنزله، والنصب بفعل مضمر يقتضي التصديق بأن الله أنزله؛ لأن تقديره: أنزل.

فإن قيل: يلزم مثل هذا في الرفع؛ لأن تقديره: هو أساطير الأولين؛ فإنه غير مطابق للسؤال الذي هو: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكَ؟﴾

فالجواب: أنهم عدلوا بالجواب عن السؤال، فقالوا: هو أساطير الأولين، ولم ينزله الله.

﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ ارتفع ﴿حَسَنَةٌ﴾ بالابتداء، و﴿لَلَّذِينَ﴾ خبره.

والجملة بدلٌ من ﴿حَيَّرًا﴾، وتفسيرٌ للخير الذي قالوه.

وقيل: هي استئناف كلام الله تعالى، لا من كلام الذين قالوا خيرًا.

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ يحتمل أن يكون هو اسم الممدوح بـ ﴿يَعْمَ﴾، فيكون: مبتدأ وخبره فيما قبله.

أو خبر ابتداء مضمر.

ويحتمل أن يكون مبتدأ، وخبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، أو مضمر تقديره: لهم جنات عدن.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون، والضمير للكفار.
﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني: لقبض أرواحهم.
﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ يعني: قيام الساعة، أو العذاب في الدنيا.
﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: أصابهم جزاء سيئات ما عملوا.
﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: أحاط بهم العذاب الذين كانوا به يستهزئون، وهذا تفسيره حيث وقع.



[وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٧٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٧٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٠﴾].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم ؛ أي : إن فعلنا هو بمشيئة الله فهو صواب ، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه .

والرد عليهم : بأن الله نهى عن الشرك ولكنه قضاءه على من يشاء من عباده .
ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك في الآخرة على وجه التمني ؛ فإن «لو» تكون للتمني ، والمعنى على هذا : أنهم لما رأوا العذاب تمنوا أن يكونوا لم يعبدوا غيره ، ولم يحرموا ما أحلَّ الله من البحيرة وغيرها .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ قرئ بضم الياء من ﴿يُهْدَى﴾ وفتح الدال على البناء للمفعول ؛ أي : لا يهدي غير الله من يضلّه الله .

وقرئ ﴿يَهْدَى﴾ بفتح الياء وكسر الدال ، والمعنى على هذا : لا يهدي الله من قضى بإضلاله .

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ تَصْمِيرٍ﴾ الضمير عائد على ﴿مَنْ يُضِلُّ﴾ ؛ لأنه في معنى الجمع .

﴿بَلَى﴾ ردُّ على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت ؛ أي : أنه يبعث .
﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ اللام تتعلق بما دل عليه ﴿بَلَى﴾ ؛ أي :
يبعثهم ليبين لهم ، وهذا برهان على البعث ؛ فإن الناس مختلفون في أديانهم
ومذاهبهم ، فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه .
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ الآية ؛ برهانٌ أيضًا على البعث ؛ لأنه داخل تحت
قدرة الله تعالى .



[وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَسْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخِفَّ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُيبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَقُوا ظِلَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾] .

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ يعني: الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة؛ لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعد هذا.

وقيل: نزلت في أبي جندل بن سهيل وخبره مذكور في السير في قصة الحديدية، وهذا بعيد؛ لأن السورة نزلت قبل ذلك.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وعد أن ينزلهم بقعة حسنة، وهي المدينة التي استقرؤا بها.

وقيل: إن ﴿حَسَنَةً﴾ صفة لمصدر؛ أي: نبوتهم تبوءة حسنة.

وقرئ «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ» بالثاء؛ من الثواء.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ وصف للذين هاجروا، ويحتمل إعرابه أن يكون: نعتاً.

أو على تقدير: هم الذين، أو أمدح الذين.

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ ردُّ على من استبعد أن يكون الرسول من البشر .
 ﴿فَنَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني : أحبار اليهود والنصارى ؛ أي : لأن جميعهم
 يشهدون أن الرسول ^(١) من البشر .

﴿يَالْيَنِينَ وَالزُّبُرِ﴾ يتعلق :

بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ الذي في أول الآية على التقديم والتأخير في الكلام .
 أو بـ «أرسلنا» مضمراً .

أو بـ ﴿يُوحَى﴾ .

أو بـ ﴿تَعَامُونَ﴾ .

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ يعني : القرآن .

﴿لِتَبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يحتمل أن يريد :

لتبين القرآن بسرِّدك نصّه وتعليمه للناس .

أو لتبين معانيه ؛ بتفسير مشكله ، فيدخل في هذا ما بينته السنة من الشريعة .

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكْرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ يعني : كفار قريش عند جمهور المفسرين .

و﴿السَّيِّئَاتِ﴾ تحتمل وجهين :

أحدهما : أن يريد بها الأعمال السيئات ؛ أي : المعاصي ، فيكون

﴿مَكْرُوا﴾ يتضمن معنى : عملوا .

(١) في ج ، هـ : «الرسول» .

والآخر: أن يريد: المكرات السيئات؛ أي: مكرهم بالنبي ﷺ؛ فيكون المكر على بابه.

﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَغْلِهِمْ﴾ يعني: في أسفارهم.

﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بمفْلِتِينَ، حيث وقع.

﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه: على تنقُصٍ؛ أي: ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئاً بعد شيء حتى يهلكوا، من غير أن يُهلكهم جملة واحدة؛ ولهذا أشار بقوله: ﴿فَإِنْ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾؛ لأن الأخذ هكذا أخف من غيره، وقد كان عمر بن الخطاب أشكل عليه معنى التَخَوُّف في الآية، حتى قال له رجل من هذيل: التَخَوُّف التَنَقُّص في لغتنا^(١).

والوجه الثاني: أنه من الخوف؛ أي: يهلك قومًا قبلهم، فيتخوفوا هم ذلك، فيأخذهم بعد أن توقعوا العذاب وخافوه، وذلك خلاف قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَيُوا ظِلَّهٗ﴾ معنى الآية: اعتباراً بانتقال الظل، ويعني بقوله: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأجرام التي لها ظلال؛ من الجبال والشجر والحيوان وغير ذلك؛ وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلُّها إلى جهة، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة

(١) لم أقف عليه مسنداً، وذكر الثعلبي في تفسيره (١٩/٦) عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب، وأخرجه بنحوه الطبري في تفسيره (٢٣٦/١٤).

(٢) لعل مراده الآية السابقة: (من حيث لا يشعرون)!

أخرى، ثم يمتدُّ الظل ويعمُّ بالليل إلى طلوع الشمس.

وقوله: ﴿يَنْفَيْوُا﴾ من الفيء؛ وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غُدُوَّةً، وقال رُوبة بن العجاج: يقال بعد الزوال: ظل وفيء، ولا يقال قبله إلا: ظل، ففي لفظ: ﴿يَنْفَيْوُا﴾ هنا تجوُّزٌ ما؛ لوقوع الخصوص في موضع العموم؛ لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره، فوضع ﴿يَنْفَيْوُا﴾ موضع ينتقل أو يميل^(١).

والضمير في ﴿ظِلُّهُ﴾ يعود على: ﴿مَا﴾، أو على ﴿شَيْءٍ﴾.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ يعني: عن الجانبين؛ أي: يرجع الظل من جانب إلى جانب، و﴿الْيَمِينِ﴾ بمعنى الأيمان، واستعار هنا الأيمان والشمائيل للأجرام؛ فإن اليمين والشمال إنما هما في الحقيقة للإنسان. ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ حالٌ من الظلال.

وقال الزمخشري: حال من الضمير في ﴿ظِلُّهُ﴾، إذ هو بمعنى الجمع؛ لأنه يعود على قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢).

فعلى الأول: يكون السجود من صفة الظلال.

وعلى الثاني: يكون من صفة الأجرام.

(١) في أ، ب، ج هـ: «تنتقل أو تميل».

(٢) إعراب الزمخشري إنما هو لقوله تعالى: ﴿وَهُمْ دَخِرُونَ﴾، وليس لقوله: ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾، حيث قال في الكشاف (١٢٨/٩): «﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾: حالٌ من الظلال، ﴿وَهُمْ دَخِرُونَ﴾: حال من الضمير في ﴿ظِلُّهُ﴾»، قال الطيبي في حاشيته على الكشاف: «فالمعنى: ظلالهم ساجدة، وهم في أنفسهم متواضعون صاغرون، فيتفق الباطن مع الظاهر».

واختلّف في معنى هذا السجود:

ف قيل : عبّر به عن الخضوع والانقياد .

وقيل : هو سجود حقيقة .

﴿وَهُمْ ذَخِرُونَ﴾ أي : صاغرون ، وجمع بالواو ؛ لأن الدُّخُور من أوصاف العقلاء .

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ يحتمل أن يكون ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ :

بيانا لما في السموات وما في الأرض معاً ؛ لأن كل حيوان يصحُّ أن يوصف بأنه يدبُّ .

ويحتمل أن يكون بيانا لما في الأرض خاصة .

وإنما قال : ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ؛ ليعم العقلاء وغيرهم ، ولو قال : «من في السموات» لم يدخل في ذلك غير العقلاء . قاله الزمخشري^(١) .

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ إن كان قوله : ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ بيانا لما في السموات والأرض : فقد دخل الملائكة في ذلك ، وكرّر ذكرهم ؛ تخصيصاً لهم بالذكر وتشريفاً . وإن كان ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ لما في الأرض خاصة : فلم تدخل الملائكة في ذلك ، فعطفهم على ما قبلهم .

(١) انظر : الكشف (٩/ ١٣١) .

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ هذا إخبارٌ عن الملائكة، وهو بيان نفى الاستكبار.

ويَحْتَمِلُ أن يريد:

فوقية القدرة والعظمة.

أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها.

وقيل: معناه يخافون أن يُرسل عليهم عذابًا من فوقهم^(١).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: قول ابن جزي: «هذا إخبار عن الملائكة، وهو بيان نفى الاستكبار» إلخ، أقول: بيان نفى الاستكبار، يريد أن قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾ تفسير لقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ثم تردد - رحمه الله - وعفا عنا وعنه - في توجيه قوله تعالى: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ بين التفويض والتأويل، فقال: «ويحتمل أن يريد: فوقية القدرة والعظمة»، وهذا تأويل، وقال: «أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها»، وهذا تفويض، قال: «وقيل: معناه يخافون أن يرسل عليهم عذابًا من فوقهم»، وهذا تأويل؛ لأنه صرف للفظ عن ظاهره، وهو في الحقيقة تحريف؛ لأنه لا دليل يوجبه، ولجوء المؤلف في توجيه الآية إلى التفويض والتأويل، راجع إلى نفى الفوقية الحقيقية لله تعالى بذاته فوق جميع المخلوقات، وهو مذهب الأشاعرة، وعلى هذا فالمؤلف يذهب مذهبه، ومذهب أهل السنة أن الله بذاته فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه.

[﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونِ﴾ ٥١ ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ ٥٢ ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْشَرُونَ﴾ ٥٣ ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ٥٤ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانِسْتُمْ مِنْهُمْ فَتَمْتَعُوا بِسُوءِ تَقْلُومٍ﴾ ٥٥ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَقْتَرُونَ﴾ ٥٦ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ٥٧ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ٥٨ ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ٥٩ ﴿لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٦٠ ﴾] .

﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ وصف ﴿إِلَهَيْنِ﴾ بـ ﴿اثْنَيْنِ﴾ تأكيداً وبياناً

للمعنى .

وقيل : إن ﴿اثْنَيْنِ﴾ مفعول أول و﴿إِلَهَيْنِ﴾ مفعول ثاني ، فلا يكون في

الكلام تأكيد .

﴿فَإِنِّي فَارْهَبُونِ﴾ خرج من الغيبة إلى التكلم ؛ لأن الغائب هو المتكلم ،

و﴿فَإِنِّي﴾ مفعول بفعل مضمر ، ولا يعمل فيه ﴿فَارْهَبُونِ﴾ ؛ لأنه قد أخذ

معموله .

﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي : واجباً وثابتاً ، وقيل : دائماً .

وانتصابه : على الحال من ﴿الدِّينِ﴾ .

﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن تكون الواو :

للاستئناف .

أو للحال؛ فيكون الكلام متصلًا بما قبله؛ أي: كيف تتقون غير الله، وما بكم من نعمة فمنه وحده؟.

﴿فَالِئِنَّهٗ يَجْعُرُونَ﴾ أي: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ﴾ اللام: لام الأمر على وجه التهديد؛ لقوله بعدها: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، فعلى هذا يبتدئ بها.

وقيل: هي لام العاقبة؛ فعلى هذا توصل بما قبلها؛ لأنها في الأصل لام كي، وذلك بعيد في المعنى.

والكفر هنا يحتمل أن يريد به:

كفر النعم؛ لقوله: ﴿بِمَا ءَانَيْنَهُمْ﴾.

أو كفر الجحود والشرك؛ لقوله: ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ يريد التمتع في الدنيا، وذلك أمرٌ على وجه التهديد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيًّا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ الضمير في ﴿يَجْعَلُونَ﴾ لكفار العرب؛ فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيبًا من ذبائحهم وغيرها.

والمراد بقوله: ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأصنام، والضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للكفار؛ أي: لا يعلمون ربوبيتهم ببرهان ولا بحجة.

وقيل: الضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للأصنام؛ أي: لأشياء غير عالمية، وهذا بعيد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ إشارة إلى قول الكفار: إن الملائكة بنات الله، ثم

نَزَّهَ تَعَالَى نَفْسَهُ عَنِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَنَهُ﴾.

﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ المعنى: أنهم يجعلون لأنفسهم ما يشتهون؛ يعني بذلك: الذكور من الأولاد.

وأما الإعراب: فيجوز أن يكون ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾: مبتدأ، وخبره المجرور قبله.

وأن يكون مفعولاً بفعل مضمّر تقديره: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون.
وأن يكون معطوفاً على ﴿الْبَنَاتِ﴾؛ على أن هذا يمنع البصريون؛ لأنه من باب: «ضربتي»، وكان يلزم عندهم أن يقال: لأنفسهم.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ إخبار عن حال العرب في كراهتهم البنات.

﴿وَظَلَّ﴾ هنا يحتمل أن تكون: على بابها، أو بمعنى صار.

والسّواد: عبارة عن العبوس والغم، وقد يكون معه سواد حقيقة.

﴿كَظِيمٌ﴾ قد ذكر في «يوسف»^(١).

﴿يَنْزَوِي مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: يستخفي من أجل سوء ما بُشِّرَ به.

﴿أَيْمِسُكُم عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ﴾ المعنى: يدبر وينظر هل يمسك الأنثى التي بُشِّرَ بها على هوان وذُلٍّ لها، أو يدفنها في التراب حيّةً، وهي المؤودة، وهذا معنى: ﴿يَدُسُّ فِي التُّرَابِ﴾.

﴿مَثَلُ السَّوِّءِ﴾ أي: صفة السَّوِّءِ؛ من الحاجة إلى الأولاد وغير ذلك من صفات الافتقار والنقص.

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الوصف الأعلى؛ من الغنى عن كل شيء، والنزاهة عن صفات المخلوقين.



[﴿وَلَوْ يُوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١١) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جُرْمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ (١٢) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَليَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٣) وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٤) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (١٥)].

﴿وَلَوْ يُوَاحِدُ﴾ يعني: لو يعاقبهم في الدنيا.

﴿يُظْلِمُهُمْ﴾ أي: بكفرهم ومعاصيهم.

﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ الضمير للأرض.

﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ يعُمُّ^(١) بني آدم وغيرهم، وهذا يقتضي أن تهلك الحيوانات بذنوب بني آدم، وقد ورد ذلك في الأثر.

وقيل: يعني بني آدم خاصة.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ يعني: البنات.

﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿أَنَّ﴾ بدلٌ من ﴿الْكُذِبَ﴾.

و﴿الْحُسْنَىٰ﴾ هنا: قيل: هي الجنة، وقيل: ذكور الأولاد.

﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ بكسر الراء والتخفيف: من الإفراط؛ أي: متجاوزون الحد في المعاصي.

(١) في ج، د: «يعني».

وبفتح الراء والتخفيف : من الفرط أي معجلون إلى النار .

وبكسر الراء والتشديد : من التفريط .

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ يَوْمَ﴾ يحتمل أن يريد بـ ﴿الْيَوْمَ﴾ : وقت نزول الآية ، أو يوم القيامة .

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على موضع ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ ، وانتصبا على أنهما مفعولٌ من أجلهما ؛ أي : لأجل البيان والهدى والرحمة .



[وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ إِلَى الْفَلِإِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ الْإِزْدِلَ الْعُمُرَ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾].

﴿تَسْقِيكُمْ﴾ بفتح النون وضمها : لغتان، يقال : سقى وأسقى .

﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ الضمير للأنعام، وإنما ذُكِّرَ :

لأنه مفرد بمعنى الجمع، كقولهم : ثوبٌ أخلاقٌ^(١) .

أو لأنه اسم جنس .

وإذا أنث فهو جمع نَعَم .

﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ الفَرث : هو ما في الكَرش من القَدَر، والمعنى : أن الله يخلق اللبن متوسطًا بين الفَرث والدم يكتنفانه، ومع ذلك فلا يغيّران له لونا ولا طعما ولا رائحة .

و«مِنْ» في قوله : ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ للتبعيض، وفي قوله : ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ﴾ لا ابتداء الغاية .

(١) أخلاقٌ جمع خَلَقَ أي : بال، ضدّ الجديد، كذا في اللسان (٣٧٦/١١) ثم قال : «وقد يُقال : ثوبٌ أخلاقٌ يصفون به الواحد إذا كانت الخُلُوقَة فيه كلّ» .

﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ يعني: سهلاً للشرب، حتى قيل: لم يَغْصَّ أحدٌ قطُّ باللبن.

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره: نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب؛ أي: من عصيرها، ويدلُّ عليه ﴿شَفِيقُكُمْ﴾ الأول.

أو يكون ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ﴾ معطوفاً على ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾.

أو يتعلق ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ﴾ بـ ﴿تَتَخَذُونَ﴾، وكرّر ﴿مِنْهُ﴾ توكيداً.

أو يكون ﴿تَتَخَذُونَ﴾ صفةً لمحذوف تقديره: شيءٌ تتخذون.

﴿سَكْرًا﴾ يعني: الخمر، ونزل ذلك قبل تحريمها، فهي منسوخة بالتحريم.

وقيل: إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التي في الخمر، ولا تعرّض فيها لتحليل ولا تحريم، فلا نسخ.

وقيل: السَّكْر: المائع من هاتين الشجرتين كالخَلِّ والرُّبِّ.

والرزق الحسن: العنب والتمر والزبيب.

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ الوحي هنا: بمعنى الإلهام؛ فإن الوحي على ثلاثة أنواع: وحي كلام، ووحى منام، ووحى إلهام.

﴿أَنِ انْجِزِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿أَنْ﴾ مفسّرة للوحي الذي أُوحي إلى النحل، وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع؛ إما في

الجبـال وِكِوَاهَا^(١)، وإما في متجَوِّف الأشجار، وإما فيما يعرش بنو آدم من الأَجْبَاح^(٢) والحيطان ونحوها .

و«مِنْ» في المواضع الثلاثة للتبعض ؛ لأن النحل إنما تتخذ بيوتاً في بعض الجبال، وبعض الشجر، وبعض الأماكن .
وعَرَشَ : معناه : هَيَّأ أو بنى ، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأغصان والخشب .

﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ عطف ﴿كُلِي﴾ على ﴿اتَّخِذِي﴾ ، و«مِنْ» للتبعض ؛ وذلك إنها إنما تأكل النَّوَارَ^(٣) من الأشجار .

وقيل : المعنى : من كل الثمرات التي تشتهيها .
﴿فَاسْأَلِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ يعني : الطرق في الطيران^(٤) ، وأضافها إلى الرب ؛ لأنها مُلكه وخالقه .

﴿ذُلَّالًا﴾ أي : مطيعةً منقادةً ، ويحتمل أن يكون :
حَالًا من السبل ، قال مجاهد : لم يتوغَّرَ قُطٌّ على النحل طريق .
أو حَالًا من النحل ؛ أي : منقادةً لما أمرها الله به .

(١) في اللسان (٢٠/١٠١) : «والكَوُّ والكُوَّةُ : الخَرَقُ في الحائط والثَّقْبُ في البيت ونحوه . . وجمع الكوة كَوَى بالقصر نادرٌ وكِوَاءٌ بالمد ، والكاف مكسورة فيهما» .

(٢) الأجباح جمع جَبْح - مثلث الجيم - ، وهو خلية العسل . القاموس المحيط .

(٣) النوار على وزن رُفَّان : الزهر من الأشجار . القاموس المحيط .

(٤) في أ : «الغيران» .

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعني: العسل.

﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾ أي: منه أبيض وأصفر وأحمر.

﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ الضمير للعسل؛ لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل، كالمعاجين والأشربة النافعة من الأمراض، وكان ابن عمر يتداوى به من كل شيء؛ فكأنه أخذه على العموم، وعلى ذلك الحديث عن النبي ﷺ أن رجلاً جاء إليه، فقال: إن أخي يشتكى بطنه، فقال: «اسقه عسلاً»، فذهب ثم رجع فقال: فقد سقيته فما نفع، قال: «فاذهب فاسقه عسلاً؛ فقد صدق الله وكذب بطن أخيك»، فسقاه فشفاه الله ﷻ^(١).

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْعُرِّيَّ﴾ أي: إلى أخسّه وأحقره، وهو الهرم.

وقيل: حذّه خمسة وسبعون عامًا، وقيل: ثمانون، والصحيح: أنه لا ينحصر إلى مدة معينة، وأنه يختلف بحسب الناس.

﴿لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ اللام لام الصيرورة؛ أي: يصير إذا هَرِمَ لا يعلم شيئًا بعد أن كان يعلم قبل الهرم، وليس المراد نفي العلم بالكلية، بل ذلك عبارة عن قلة العلم؛ لغلبة النسيان.

وقيل: المعنى لثلا يعلم زيادةً على علمه شيئًا.

(١) أخرجه البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧).

[وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧٦﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٨﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨١﴾].

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ الآية؛ في معناها قولان:

أحدهما: أنها احتجاج على الوحداية؛ كأنه يقول: أنتم لا تسوون بين أنفسكم وبين ممالئكم في الرزق، ولا تجعلونهم شركاء لكم، فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي؟!.

والآخر: أنها عتاب وذم لمن لا يحسن إلى مملوكه؛ حتى يرد ما رزقه الله عليه، كما جاء في الحديث: «أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون»^(١).

والأول أرجح.

(١) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

﴿أَفِينِعْمَةَ اللَّهِ يَحْحَدُونَ﴾ الجحد هنا :

على المعنى الأول : إشارة إلى الإشراف بالله ، وعبادة غيره .

وعلى المعنى الثاني : إشارة إلى بخس^(١) الممالك فيما يجب لهم من الإنفاق .

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني : الزوجات .

و﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ يحتمل :

أن يريد : من نوعكم وعلى خلقتكم .

أو يريد : أن حواء خلقت من آدم ، وأسند ذلك إلى بني آدم لأنهم من ذريتهما .

﴿وَحَفَدَةً﴾ جمع حافِدٍ ، ابن عباس : هم أولاد البنين ، وقيل : الأصهار ، وقيل : الخدم ، وقيل : البنات ؛ لأن لفظ البنين المذكر لا يدل عليهن .
والحفد^(٢) في اللغة : الخِدمة .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية ؛ تويخ للكفار ، وردّ عليهم في عبادتهم للأصنام ، وهي لا تملك لهم رزقاً .

وانتصب ﴿رِزْقًا﴾ ؛ لأنه^(٣) مفعول بـ ﴿يَمْلِكُ﴾ ، ويحتمل أن يكون : مصدرًا ، أو اسمًا لما يُرزق .

(١) في ج ، د : «جنس» .

(٢) في أ ، ب ، د : «والحفدة» .

(٣) في ب ، د : «على أنه» .

فإن كان مصدرًا : فإعراب ﴿شَيْئًا﴾ مفعول به ؛ لأن المصدر ينصب المفعول .

وإن كان اسمًا : فإعراب ﴿شَيْئًا﴾ بدل منه .

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الضمير عائد على ﴿مَا﴾ ؛ لأن المراد به الآلهة .

ونفى الاستطاعة بعد نفي الملك ؛ لأن نفيها أبلغ في الذم .

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ الآية ؛ مثلٌ لله تعالى وللأصنام ، فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء ، والله تعالى له الملك ، ويده الرزق ، ويتصرف فيه كيف يشاء ، فكيف يسوى بينه وبين الأصنام؟! .

وإنما قال : ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ ؛ لأن بعض العبيد يقدرون على بعض الأمور كالمكاتب والمأذون له .

﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾ «مَنْ» هنا نكرة موصوفة ، والمراد بها : من هو حرٌّ قادرٌ ؛ كأنه قال : حرًّا رزقناه ؛ ليطابق ﴿عَبْدًا﴾ .

ويحتمل أن تكون موصولة .

﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي : هل يستوي العبيد والأحرار الذي ضرب بهم المثل؟! .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكرٌ لله على بيان هذا المثل ووضوح الحق .

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني : الكفار .

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ الآية ؛ مثلٌ لله تعالى وللأصنام ، كالذي قبله ، والمقصود منهما : إبطال مذاهب المشركين ،

وإثبات الوجدانية لله تعالى .

وقيل : إن الرجل الأبكم : أبو جهل ، والذي يأمر بالعدل : عمار بن ياسر .

والأظهر : عدم التعيين .

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ الكَلُّ : الثقل ؛ يعني : أنه عيالٌ على وليه أو سيده ، وهو مثالٌ للأصنام ، والذي يأمر بالعدل : هو الله تعالى .



[وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ
شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى
الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا
تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْقَالًا
إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا
وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ
نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾].

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ بيان لقدرة الله على
إقامتها، وأن ذلك يسير عليه؛ كقوله: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ
وَلَحْدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقيل: المراد سرعة إتيانها.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الأمهات: جمع أم، زيدت فيه الهاء؛
فرقاً بين من يعقل ومن لا يعقل.

وقرئ: بضم الهمزة، وبكسرهما؛ إتباعاً للكسرة قبلها.

﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ أي: في الهواء البعيد من الأرض.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ السكن: مصدر يوصف به.

وقيل: هو فَعَلَ بمعنى مفعول.

ومعناه: ما يسكن فيه كاليوت، أو يسكن إليه.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ يعني: بيوت^(١) الأدم من القباب وغيرها.
﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: تجدونها خفيفة.

﴿يَوْمَ طَعَنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ يعني: في السفر والحضر، واليوم هنا بمعنى الوقت، ويقال: طعن الرجل: إذا رحل.

وقرئ ﴿طَعَنَكُمْ﴾ بفتح العين، وإسكانها؛ تخفيفاً.

﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ الأصواف: للغنم، والأوبار: للإبل والأشعار: للمعز والبقر.

﴿أَثْنًا﴾ الأثاث: متاع البيت من البسط وغيرها.

وانتصابه: على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره: جعل.

﴿وَمَتَعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى وقت غير معين.

ويحتمل أن يريد: إلى أن تبلى وتنفى، أو إلى أن تموتوا.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ نعمة عدها الله عليهم بالظل؛ لأن الظل في بلادهم مطلوب محبوب؛ لشدة حرها، ويعني بما خلق: من الشجر وغيرها.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنَانًا﴾ الأكنان: جمع كن، وهو ما بقي من المطر والرياح وغير ذلك، ويعني بذلك الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال.

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، د.

﴿وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَِيلَ تَقِيَكُمْ اَلْحَرَ﴾ السرايل: هي الثياب من القمص وغيرها.

وذكر وقاية الحر ولم يذكر البرد؛ لأن وقاية الحر أهم عندهم؛ لحرارة بلادهم.

وقيل: لأن ذكر أحدهما يغني عن ذكر الآخر.

﴿وَسَرَِيلَ تَقِيَكُمْ بِأَسَكُمْ﴾ يعني: دروع^(١) الحديد.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اَللّٰهِ﴾ إشارة إلى ما ذكر من النعم من أول السورة إلى هنا.

والضمير في ﴿يَعْرِفُونَ﴾ للكفار، وإنكارهم لنعم الله: إشراكهم به وعبادة غيره.

وقيل: ﴿نِعْمَتَ اَللّٰهِ﴾ هنا: نبوة محمد ﷺ.



(١) في أ، ب، هـ: «درع».

[وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَاطَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: يشهد عليهم بإيمانهم أو كفرهم.
 ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا يؤذن لهم في الاعتذار.
 ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يسترضون، وهو من العتبي بمعنى الرضا.
 ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يحتمل أن يكون:
 بمعنى التأخير.

أو بمعنى النظر؛ أي لا ينظر الله إليهم.

﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الضمير في ﴿فَأَلْقَوْا﴾ للمعبودين،
 والمعنى: أنهم كذبوهم في قولهم إنهم كانوا يعبدونهم، كقولهم: ﴿مَا كُنْتُمْ
 إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨].

فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟.

فالجواب: أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم؛ فكأن عبادتهم لم تكن
 عبادة.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَكْذِيبُهُمْ لَهُمْ فِي تَسْمِيَتِهِمْ شُرَكَاءَ لِلَّهِ ، لَا فِي الْعِبَادَةِ .
﴿وَأَلْفَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَذِ السَّاعَةِ﴾ أَي : اسْتَسْلَمُوا لَهُ ^(١) وَانْقَادُوا .
﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ رُوي أَنَّ الزِّيَادَةَ فِي الْعَذَابِ هِيَ حَيَاتٍ
وَعَقَارِبَ كَالْبَغَالِ تَلْسَعُهُمْ .



(١) فِي أ ، ب ، هـ : «إِلَى اللَّهِ» .

[﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٩٥ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ، وَلِيَبْتَلِيَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَالِفُونَ ﴿٩٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشَّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠١﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٠٣﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٥﴾] .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ يعني بالعدل: فِعْلُ الْوَاجِبَاتِ، وبالإحسان: المندوبات، وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق المخلوقين .

قال ابن مسعود: هذه أجمع آية في كتاب الله تعالى ^(١) .

﴿وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الإيتاء: مصدر آتى بمعنى أعطى، وقد دخل ذلك

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٣٣٧).

في العدل والإحسان، ولكنه جرّده بالذكر؛ اهتماماً به.

﴿وَبَغَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ قيل: يعني الزنا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ هو أعم من الفحشاء؛ لأنه يعم جميع المعاصي.

﴿وَالْبَغْيِ﴾ يعني: الظلم.

﴿وَلَا نَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾ هذا في الأيمان التي في الوفاء بها خيرٌ، وأما ما كان تركه أولى فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير منه، كما جاء في الحديث^(١).

أو تكون الأيمان هنا: ما يحلفه الإنسان في حق غيره، أو معاهدةً لغيره.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي: رقيباً ومتكفلاً بوفائكم بالعهد.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في بيعة النبي ﷺ.

وقيل: فيما كان بين العرب من حلفٍ في الجاهلية.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا﴾ شبه الله من يحلف ولا يفي بيمينه بالمرأة التي تغزل غزلاً قوياً ثم تنقضه.

ويروى أنه كان بمكة امرأة حمقاء تسمى رَيْطَةَ بنت سعد، كانت تفعل ذلك، وبها وقع التشبيه.

وقيل: إنما شبه بالمرأة غير معينة.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢٢)، ومسلم (١٦٥٢).

﴿أَنْكَثَ﴾ جمع نَكَثٍ، وهو ما يُنكَثُ؛ أي: ينقض، وانتصابه على الحال.

﴿نَنْجِذُوكَ أَيْمَنُكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ الدَّخَلَ: الدَّغَلَ، وهو قَصْدُ الخديعة.
﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ ﴿أَنْ﴾ في موضع المفعول من أجله؛
أي: بسبب أن تكون أمة.

ومعنى ﴿أَرْبَى﴾: أكثر عددًا، أو أقوى.

ونزلت الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى، فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت الأولى وحالفت الثانية.

وقيل: الإشارة بالأربي هنا^(١): إلى كفار قريش؛ إذ كانوا حينئذ أكثر من المسلمين.

﴿إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ الضمير:

للأمر بالوفاء.

أو لكون أمة أربى من أمة؛ فإن بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أو لا.

﴿فَنَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ بُرُوتِهَا﴾ استعارة في الرجوع عن الخير إلى الشر، وإنما أفرد القدم ونكرها؛ لاستعظام الزلل في قدم واحدة، فكيف في أقدام كثيرة؟!.

﴿وَتَذُقُوا أَلْسُوًا﴾ يعني: في الدنيا.

﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يدلُّ على أن الآية فيمن بايع النبي ﷺ.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «منها».

﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: في الآخرة.

﴿وَلَا تَشْرَوْا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الثمن القليل: عرض الدنيا، وهذا نهى لمن بايع النبي ﷺ أن ينكث لأجل ضعف الإسلام حينئذ وقوة الكفار، ورجائه الانتفاع في الدنيا إن رجع عن البيعة.

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَفْقَدُ﴾ أي: يفتنى.

﴿فَلَنُخَيِّبَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ يعني: في الدنيا؛ فقال ابن عباس: هي الرزق الحلال، وقيل: هي القناعة.

وقيل: هي حياة الآخرة.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ظاهر اللفظ: أن يستعاذ بعد القراءة؛ لأن الفاء تقتضي الترتيب، وقد شدَّ قومٌ فأخذوا بذلك.

وجمهور الأمة: على أن الاستعاذة قبل القراءة، وتأويل الآية: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ، أو إذا أخذت في قراءة القرآن فاستعذ بالله.

﴿إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ليس له عليهم سبيل، ولا يقدر على إضلالهم.

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ أي: يتخذونه وليًا.

﴿بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ الضمير لإبليس، والباء سببية.



[﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ
آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٧٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ
لِلسَاتِّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيْ وَهَذَا لِسَانُ عَرَبٍ مُبِينٍ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٧٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ
إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ
غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى
قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٨﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا
ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٠﴾].

﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ التبديل هنا : النسخ ، كان الكفار إذا
نُسِخت آية ، يقولون : هذا افتراء ، ولو كان من عند الله لم يبدل .

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ﴾ جملة اعتراض بين الشرط وجوابه ، وفيها ردٌّ
على الكفار ؛ أي : الله أعلم بما يصلح للعباد في وقت ، ثم ما يصلح لهم بعد
ذلك .

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني : جبريل .

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي : مع الحق في أوامره ونواهيه وأخباره .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿بِالْحَقِّ﴾: بمعنى حقًّا، أو بمعنى أنه واجب النزول.

﴿أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ كان بمكة غلام أعجمي اسمه يعيش، وقيل: كانا غلامين اسم أحدهما جبر والآخر يسار، فكان النبي ﷺ يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام، فقالت قريش: هذان يعلمان محمدًا.

﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ اللسان هنا: بمعنى اللغة والكلام.

﴿يُلْحِدُونَ﴾ من ألحد: إذا مال، وقرئ بفتح الياء، من لحد، وهما بمعنى.

وهذا ردُّ عليهم بأن الشخص الذي أشاروا إليه أنه يعلمه أعجمي اللسان؛ وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة فلا يمكن أن يأتي به أعجمي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ هذا في حق من علم الله منه أنه لا يؤمن، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦]، فاللفظ عام يراد به الخصوص، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٦] الآية.

وقال ابن عطية: المعنى: إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بالله، ولكنه قدَّم في هذا الترتيب وأخر؛ تهمًُّا بتقبيح أفعالهم^(١).

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ردُّ على قولهم: ﴿إِنَّمَا

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/٤١٠).

أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴿١٠﴾ ؛ يعني : إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن ؛ لأنه لا يخاف الله ، وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه .

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله ؛ أي : هم الذين عادتهم الكذب ؛ لأنهم لا يبالون بالوقوع في المعاصي .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْكَذِبُ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهِمْ قَوْلُهُمْ : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ .

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ الآية ؛ «مَنْ» شرطية في موضع رفع بالابتداء ، وكذلك «مَنْ» في قوله : ﴿مَنْ شَرَحَ﴾ ؛ لأنه تخصيص من الأول .

وقوله : ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ :

جواب على الأولى والثانية ؛ لأنهما بمعنى واحد .

أو يكون جواباً للثانية ، وجواب الأولى محذوف يدل عليه جواب الثانية .

وقيل : ﴿مَنْ كَفَرَ﴾ بدل :

من ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

أو من المبتدأ في قوله : ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ .

أو من الخبر .

﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ استثناء من قوله : ﴿مَنْ كَفَرَ﴾ وذلك أن قوماً ارتدوا عن الإسلام ، فنزلت فيهم الآية ، وكان فيهم مَنْ أَكْرَهَ على الكفر فنطق بكلمة الكفر وهو يعتقد الإيمان ؛ منهم : عمار بن ياسر ، وصهيب ، وبلال ؛ فعذرهم الله ، روي : أن عمار بن ياسر شكاً إلى رسول الله ﷺ ما صُنِعَ به من العذاب وما سامح به من القول ، فقال له رسول الله ﷺ : «كيف تجد قلبك؟»

قال: أجدّه مطمئنًا بالإيمان، قال: «فأجبهم بلسانك؛ فإنه لا يضرّك»^(١).

وهذا الحكم فيمن أكره بالنطق على الكفر.

وأما الإكراه على فعلٍ هو كفر، كالسجود للصنم؛ فاختلف هل تجوز الإجابة إليه أم لا؟.

فأجازه الجمهور.

ومنعه قوم.

وكذلك قال مالك: لا يلزم المكره يمينٌ، ولا طلاق، ولا عتق، ولا شيء فيما بينه وبين الله، ويلزمه ما كان من حقوق الناس، ولا تجوز له الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد أو أخذ ماله.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الإشارة إلى العذاب، والباء للتعليل، فعُلِّلَ عذابهم بعلتين:

إحداهما: إثارهم الحياة الدنيا.

والأخرى: أن الله لا يهديهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ قراءة الجمهور ﴿فُتِنُوا﴾ بضم الفاء؛ أي: عُدِّبُوا، فالآية -على هذا- في عمارٍ وشبهه من المعدِّبين على الإسلام.

وقرأ ابن عامر بفتح الفاء؛ أي: عُدِّبُوا المسلمين؛ فالآية على هذا فيمن

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٤/١٤).

عَذَّبَ المسلمين، ثم هاجر وجاهد، كالحضرمي^(١) وأشباهه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾ كَرَّرَ ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ تأكيداً، والضمير في ﴿بَعْدِهَا﴾ يعود على الأفعال المذكورة؛ وهي: الهجرة، والجهاد، والصبر.



(١) هو عامر بن الحضرمي، وكان يعذب غلامه جبراً ويكرمه على الكفر، وهو الغلام الأعجمي النصراني الذي كانوا يزعمون أنه يعلم محمداً ﷺ، ثم أسلم الحضرمي. انظر: الكشف (٢٠٦/٩)، والإصابة (٤٩٧/٥).

[يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَّا فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوَاءَ يَجْعَلُ لَهُمُ تَابًا مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾].

﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَتَعَلَّقَ :

بـ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

أو بمحذوف تقديره : اذكر ، وهذا أظهر .

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ النفس هنا : بمعنى الجملة ؛ كقولك : إنسان .

والنفس في قوله ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ بمعنى الذات المعينة التي نَقِيضُهَا الْغَيْرُ ؛ أي : تجادل عن ذاتها لا عن غيرها ، كقولك : جاء زيدٌ نفسه وعينه .

﴿تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ أي : تحتج وتعتذر .

فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فِعْزَ ذُرُونٍ ﴿ ٣٦ ﴾ [المرسلات : ٣٥ - ٣٦] ؟

فالجواب : أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص .
 ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾ الآية ؛ قيل : إن القرية المذكورة مكة ، كانت بهذه الصفة التي ذكرها الله ، ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ يعني : بنبوة محمد ﷺ ، فأصابهم الجذب والخوف من غزو النبي ﷺ إليهم .
 وقيل : إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك ، فضرب الله بها مثلاً لمكة^(١) ، وهذا أظهر ؛ لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم .
 والضمائر في قوله : ﴿ فَكَفَرَتْ ﴾ و ﴿ فَأَذَقَهَا ﴾ يراد بها أهل القرية ؛ بدليل قوله : ﴿ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

﴿ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ الإذاقة واللّباس هنا مستعاران .
 أما الإذاقة فقد كثر استعمالها في البلايا حتى صارت كالحقيقة .
 وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف ؛ لاشتغالهما على اللابس ، ومباشرتهما له كمباشرة الثوب .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ ﴾ إن كان المراد بالقرية مكة : فالرسول هنا : محمد ﷺ ، والعذاب الذي أخذهم : القحط وغيره .
 وإن كانت القرية غير معينة : فالرسول : من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما ، والعذاب : ما أصابهم من الهلاك .

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ ، ب ، هـ .

﴿فَكُلُوا﴾ وما بعده مذكور في «البقرة»^(١).

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ هذه الآية مخاطبة للعرب الذين أحلوا أشياء وحرموا أشياء كالبحيرة وغيرها مما ذكر في سورة «المائدة» و«الأنعام»، ثم يدخل فيها كل من قال: هذا حلال أو حرام بغير علم.

وانتصب ﴿الْكَذِبَ﴾ بـ ﴿لَا تَقُولُوا﴾، ويكون قوله: ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ بدلاً من ﴿الْكَذِبَ﴾، و«ما» في قوله: ﴿لِمَا تَصِفُ﴾ موصولة.

ويجوز أن ينتصب ﴿الْكَذِبَ﴾ بقوله: ﴿تَصِفُ﴾، وتكون «ما» على هذا مصدرية، ويكون قوله: ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ معمول^(٢) بـ ﴿لَا تَقُولُوا﴾.

﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ يعني: عيشهم في الدنيا، وانتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحرير.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني قوله في «الأنعام»: ﴿حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] إلى آخر الآية، فذكر ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود؛ ليُعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراء على الله، كما فعلت العرب.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّنَا لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ هذه الآية تأنيس لجميع الناس وفتح باب التوبة^(٣).

(١) انظر: ٣٩٤/١.

(٢) في هـ: «مفعول».

(٣) في ج: «للتوبة».

[﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢١ ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَحْبَبَهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ١٢٢ ﴿وَأَتَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَّ الصَّالِحِينَ﴾ ١٢٣ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢٤ ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١٢٥ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ١٢٦ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ ١٢٧ ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَبْرِ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ١٢٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ١٢٩].

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه كان وحده أمةً من الأمم؛ لكمالهِ وجمعه لصفات الخير،
كقول الشاعر:

وليس لله^(١) بمستكرٍ أن يجمع العالم في واحد^(٢)

والآخر: أن يكون أمة بمعنى إمام، كقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، قال ابن مسعود: والأمة معلّم الناس الخير.
وقد ذكر معنى القانت^(٣) والحنيف^(٤).

(١) في ب، ج، د، هـ: «وليس على الله»، والمبثت موافق لما في الديوان.

(٢) البيت لأبي نواس الحسن بن هانئ، كما في ديوانه (ص: ٢١٨).

(٣) انظر: المقدمة في اللغات مادة (٤٦٠).

(٤) انظر: المقدمة في اللغات مادة (١٣١).

﴿وَأَتَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يعني: لسان الصدق، وأن جميع الأمم متفقون عليه.

وقيل: يعني المال والأولاد.

﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: من أهل الجنة.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفى عنه الشرك؛ لقصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون إليه.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أمر موسى بني إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصاً للعبادة، فرضي بعضهم بذلك، وقال أكثرهم: بل يكون يوم السبت، فالزمهم الله يوم السبت، فاختلافهم فيه: هو ما ذكر، والسبت على هذا: هو اليوم.

وقيل: اختلافهم فيه: هو أن منهم من حرّم الصيد فيه، ومنهم من أحله، فعاقبهم الله بالمسخ قردة، فالمعنى: إنما جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه، والسبت على هذا: مصدرٌ من سَبَتَ: إذا عَظَّمَ يوم السبت. قاله الزمخشري^(١).

وتقتضي الآية: أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عليه السلام.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ المراد بالسبيل هنا: الإسلام.

(١) انظر: الكشاف (٩/٢٢٣).

والحكمة: هي الكلام الذي يظهر صوابه.

والموعظة: هي الترغيب والترهيب.

والجدال: هو الردُّ على المخالف.

وهذه الأشياء الثلاثة يسميها أهل العلوم العقلية بالبرهان والخطابة والجدل^(١).

وهذا الآية تقتضي مهادنةً نُسخَت بالسيف.

وقيل: إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطف والرفق غير منسوخ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملاطفة من الكفار.

وأما العصاة فهي في حقهم مُحْكَمَةٌ إلى يوم القيامة باتفاق.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ المعنى: إن صُنِعَ بكم صنيع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية، وسميت الأولى عقوبةً لمشاكلة اللفظ.

ويَحْتَمَلُ أن يكون ﴿عَاقَبْتُمْ﴾، بمعنى: أصبتم عُقْبَى؛ كقوله في «الممتحنة»: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ [الممتحنة: ١١]، بمعنى: غَنِمْتُمْ، فيكون في الكلام تجنيسٌ.

وقال الجمهور: إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب، لما بَقَرُ المشركون بطنه يوم أحد قال النبي ﷺ: «والله لئن أظفرنني الله بهم لأمثلن

(١) في أ، ب: «والجدال».

بسبعين منهم»، فنزلت الآية، فكفر النبي ﷺ عن يمينه، وترك ما أراد من المثلة^(١).

ولا خلاف أن المثلة حرام، وقد وردت الأحاديث بذلك؛ ويقتضي ذلك أنها مدنية.

ويحتمل أن تكون الآية عامة، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال، وتكون على هذا مكية كسائر السورة.

واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في مال ثم اتّمن الظالم المظلوم على مال، هل يجوز له خيانتة في القدر الذي ظلمه؟.

فأجاز ذلك قوم؛ لظاهر الآية.

ومنعه مالك؛ لقوله ﷺ: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»^(٢).

﴿وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ هذا ندبٌ إلى الصبر وترك عقوبة من أساء إليك؛ فإن العقوبة مباحة، وتركها أفضل، والضمير راجع إلى الصبر.

ويحتمل أن يراد بالصابرين هنا:

العموم.

أو يراد به المخاطبون؛ كأنه قال: خير لكم.

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ هذا عزمٌ على النبي ﷺ في خاصّته

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٠٢/١٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤).

على الصبر، ويروى أنه قال لأصحابه: «أما أنا فأصبرُ كما أُمِرتُ، فماذا تصنعون؟» قالوا: نصبر كما نُدبنا^(١). ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بمعونة الله. وقد قيل: إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف، وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التي فُعل مثلها بحمزة فذلك غير منسوخ.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتأسف لكفرهم.
 ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا يضيق^(٢) صدرك بمكرهم، والضيق - بفتح الضاد - تخفيف من ضيق، كميت وميت.
 وقرئ بالكسر، وهو مصدر.

ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدرين.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يريد أنه معهم بمعونته ونصره.
 ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ الإحسان هنا: يحتمل أن يراد به:
 فعل الحسنات.

أو المعنى الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه»^(٣) وهذا هو الأظهر؛ لأنه رتبة فوق التقوى.

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢٨٨/٣).

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «لا يضيق»

(٣) تقدم تخريجه ١٥٥/١.

﴿ سورة الإسراء ﴾

[سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْمَانِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَهُمْ أَحْسَنُ لِنَفْسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾] .

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ معنى ﴿سُبْحَنَ﴾ تنزيهه، وهو مصدر غير متصرف .

وأسرى وسرى: لغتان، وهو فعل غير متعد .

واختار ابن عطية أن يكون ﴿أَسْرَى﴾ هنا متعديًا ؛ أي : أسرى الملائكة بعبد^(١)، وهذا بعيد .

والعبد هنا : هو نبينا محمد ﷺ ، وإنما وصفه بالعبودية ؛ تشريفًا له وتقريبًا .

﴿لَيْلًا﴾ إن قيل : ما فائدة قوله : ﴿لَيْلًا﴾ مع أن السرى هو السير بالليل ؟ .
فالجواب : أنه أراد بقوله : ﴿لَيْلًا﴾ بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء ، وأنه أسرى به في بعض الليل مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أبلغ في الأعجوبة .
﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ يعني بالمسجد الحرام : مسجد مكة المحيط بالكعبة ، وقد روي في الحديث أنه ﷺ قال : «بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل . . .»^(٢) .

وقيل : كان النبي ﷺ ليلة الإسراء في بيته ، فالمسجد الحرام على هذا : مكة ؛ أي : بلد المسجد الحرام .

وأما المسجد الأقصى : فهو بيت المقدس الذي بإيلياء ، وسُمِّيَ الأقصى ؛ لأنه لم يكن وراءه حينئذ مسجد .

ويَحْتَمِلُ أن يريد بـ ﴿الْأَقْصَا﴾ : الأبعد ؛ فيكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا الموضع البعيد في ليلة .

(١) انظر : المحرر الوجيز (٥/٤٣٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (١٦٤) .

واختلف العلماء في كيفية الإسراء :

فقال الجمهور : كان بجسد النبي ﷺ وروحه .

وقال قوم : كان بروحه خاصة وكانت رؤيا نوم حق .

فحجة الجمهور : أنه لو كان مناماً لم تنكره قريش ، ولم يكن في ذلك ما يكذب به الكفار ، ألا ترى قول أم هانئ له : لا تخبر بذلك فيكذبك قومك ؟ .

وحجة من قال : إن الإسراء كان مناماً : قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ﴾ [الإسراء : ٦٠] ، وإنما يقال الرؤيا في المنام ، ويقال فيما يُرى بالعين : رؤية ، وفي الحديث أنه ﷺ قال : « بينما أنا بين النائم واليقظان . . »^(١) وذكر الإسراء ، وقال في آخر الحديث : « فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام . . » .

وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال : إن الإسراء كان مرتين : إحداهما : بالجسد ، والأخرى : بالروح ، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس ، وهو الذي أنكرته قريش ، وأن الإسراء بالروح كان إلى السموات السبع ، ليلة فرضت الصلوات الخمس ، ولقي الأنبياء في السموات .

﴿ الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ صفة للمسجد الأقصى ، والبركة حوله بوجهين :

أحدهما : ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء .

والآخر : كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خصَّ الله بها الشام .

﴿ لَنُرِيَهُ مِنْ عَيْنِنَا ﴾ أي : لنري محمداً ﷺ تلك الليلة من العجائب ، فإنه

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (١٦٤) .

رأى السموات والجنة والنار وسدرة المنتهى والملائكة والأنبياء، وكلمه الله تعالى حسبما ورد في أحاديث الإسراء، وهي في مصنفات الحديث فأغنى ذلك عن ذكرها هنا.

﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ الضمير: عَلَى ﴿الْكِتَابِ﴾، أَوْ عَلَى ﴿مُوسَى﴾.

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ أَي: رَبًّا تَكِلُونِ إِلَيْهِ أَمْرَكُم.

و«أَنْ» يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ: مُصَدَّرَةً، أَوْ مَفْسُورَةً.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ مَنَادَى، وَفِي نَدَائِهِمْ بِذَلِكَ تَلَطَّفٌ وَتَذْكِيرٌ بِنِعْمَةٍ.

وَقِيلَ: هُوَ مَفْعُولٌ ﴿نَتَّخِذُوا﴾.

وَيَتَعَيَّنُ مَعْنَى ذَلِكَ عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ﴿يَتَّخِذُوا﴾ بِالْيَاءِ.

وَيَعْنِي بـ ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: أَوْلَادُهُ الثَّلَاثَةُ؛ وَهُمْ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثٌ، وَنِسَاءُهُمْ، وَمِنْهُمْ تَنَاسَلُ النَّاسُ بَعْدَ الطُّوفَانِ.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ أَي: كَثِيرَ الشُّكْرِ، كَانَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَهَذَا تَعْلِيلٌ لِمَا تَقَدَّمَ؛ أَي: كُونُوا شَاكِرِينَ كَمَا كَانَ أَبُوكُمْ نُوحٌ.

﴿وَفَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ قِيلَ: إِنْ ﴿فَضَيْنَا﴾ هُنَا بِمَعْنَى: أَعْلَمْنَا وَأَخْبَرْنَا، كَمَا قِيلَ فِي: ﴿وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]، وَالْكِتَابُ عَلَى هَذَا: التَّوْرَةُ.

وَقِيلَ: قَضَيْنَا إِلَيْهِ: مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَالْكِتَابُ عَلَى هَذَا: اللُّوحُ

المحفوظ الذي كُتبت فيه مقادير الأشياء، و«إلى» بمعنى على.

﴿لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ هذه الجملة بيانٌ للمقضي، وهي في موضع جواب ﴿قَضَيْنَا﴾ إذا كان من القضاء والقدر؛ لأنه جرى مجرى القسم.

وإن كان بمعنى أعلمنا: فهو جواب قسم محذوف، تقديره: والله لنفسدن، والجملة في موضع معمول ﴿قَضَيْنَا﴾.

والمرتان المشار إليهما: إحداهما: قتل زكريا، والأخرى: قتل يحيى عليه السلام.

﴿وَلَنَعْلَنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ من العلو وهو الكبر^(١) والتجبر.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ معناه: أنهم إذا أفسدوا في المرة الأولى بعث الله عليهم عبادًا له؛ لينتقم منهم على أيديهم.

واختلف في هؤلاء العبيد:

ف قيل: جالوت وجنوده.

وقيل: بُحْتُ نَصْرَ^(٢) ملك بابل.

﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ أي: تردّدوا بينها بالفساد، روي أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المساجد وسبّوا منهم سبعين ألفًا.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الدولة والغلبة على الذين بُعثوا

(١) في ب: «التكبر».

(٢) انظر التعليق في ١/ ٤٨٠.

عليكم، ويعني: رجوع الملك إلى بني إسرائيل، واستنقاذ أسراهم، وقتل بخت نصر.

وقيل: قتل داود لجالوت.

﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: أكثر عددًا، وهو:

مصدر من قولك: نفر الرجل: إذا خرج مسرعًا.

أو جمع نفرٍ.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ ﴿أَحْسَنْتُمْ﴾ الأول: بمعنى: فعل الحسنات، والثاني: بمعنى الإحسان، كقولك: أحسنتُ إلى فلان، ففيه تجنيسٌ، واللام فيه بمعنى «إلى»، وكذلك اللام في قوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئِلُوا نُجُوهَكُمْ﴾ يعني: إذا أفسدوا في المرة الآخرة، بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم، ف ﴿الْآخِرَةُ﴾ صفة للمرة.

ومعنى ﴿لِيَسُئِلُوا نُجُوهَكُمْ﴾: يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والشرّاء كقوله: ﴿سَيَعَتُ نُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: ٢٧].

واللام: لام كي، وهي تتعلّق بـ «بعثنا» المحذوف؛ لدلالة الأول عليه. وقيل: هي لام الأمر.

﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ يعني: بيت المقدس.

﴿وَلِيُسْئِرُوا﴾ من التّبار، وهو الإهلاك وشدة الفساد.

﴿مَا عَلَوْا﴾ ﴿مَا﴾ مفعول ﴿يُتَبَّرُوا﴾ ؛ أي : يُهْلِكُوا ما غلبوا عليه من البلاد .

وقيل : إن ﴿مَا﴾ ظرفية ؛ أي : يفسدوا مدة غلوهم .

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ خطابٌ لبني إسرائيل ، ومعناه : ترجيةٌ لهم بالرحمة إن تابوا بعد المرة الثانية .

﴿وَإِن عُدْتُمْ عَدْنَا﴾ خطاب - أيضًا - لبني إسرائيل ؛ أي : إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى عقابكم ، وقد عادوا ؛ فبعث الله عليهم محمدًا ﷺ وأمته يقتلونهم ويذلونهم إلى يوم القيامة .

﴿حَصِيرًا﴾ أي : سجنًا ، وهو من الحَصْر .

وقيل : أراد به ما يفرش ويبسط ، كالحصير المعروف .

﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي : الطريقة والحالة التي هي أقوم .

وقيل : يعني لا إله إلا الله .

واللفظ أعم من ذلك .



[وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَزَمْتَهُ طَبْعُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نَّمُذُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِن عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾].

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ المعنى : ذم وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ، وأنهم يدعون بالشر في ذلك الوقت كما يدعون بالخير وفي وقت الثبوت^(١).

وقيل : إن الآية نزلت في النضر بن الحارث حين قال : ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية ، وقد تقدّم أن الصحيح في قائلها أنه أبو جهل^(٢).

(١) في ب ، هـ : «الثبوت».

(٢) انظر صفحة ٤٥٥.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْهُولًا﴾ الإنسان هنا وفي الذي قبله : اسم جنس .

وقيل : يعني هنا آدم ، وهو بعيد .

﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما ، فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار كقولك : مسجد الجامع ؛ أي : الآية التي هي الليل ، والآية التي هي النهار ، ومحوُ آية الليل على هذا : كونه مظلماً .

والوجه الثاني : أن يراد بآية الليل القمر ، وآية النهار الشمس ، ومحوُ آية الليل على هذا : كون القمر لم يُجعل له ضوء كضوء الشمس .

﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ يحتمل أن يريد : النهار بنفسه ، أو الشمس .

ومعنى ﴿مُبْصِرَةً﴾ تُبَصِّرُ فيها الأشياء .

﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي : لتتوصلوا بضوء النهار إلى التصرُّف في معاشكم ، ولتعلموا - باختلاف الليل والنهار ، أو بمسير الشمس والقمر - : عدد السنين وحساب الأشهر والأيام .

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ انتصب ﴿وَكُلَّ﴾ بفعل مضمر ، والتفصيل : البيان .

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ انتصب ﴿وَكُلَّ﴾ بفعل مضمر ، والطائر هنا : العمل ، والمعنى : أن عمله لازمٌ له .

وقيل : ﴿طَائِرُهُ﴾ ما قُدِّرَ عليه وله من خير وشر ، والمعنى على هذا : أن كل ما يلقي الإنسان قد سبق به القضاء ، وإنما عبَّر عن ذلك بالطائر ؛ لأن العرب

كانت عاداتها التيمُّن والتشاءم بالطير .

وقوله : ﴿ فِي عُنُقِهِ ﴾ أي : هو كالقِلادة أو العُلّ ، لا ينفكُّ عنه .

﴿ كَتَبْنَا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ يعني : صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات .

﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ ﴾ تقديره : يقال له : اقرأ .

﴿ حَسِيبًا ﴾ أي : محاسبًا ، أو من الحساب ؛ بمعنى العدد .

﴿ وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى ﴾ معناه حيث وقع : لا يؤاخذ أحدٌ بذنب أحد ،

والوزر في اللغة : الثقل والحِمل ، ويراد به هنا : الذنوب .

ومعنى ﴿ نَزِرُ ﴾ تحمل ، و﴿ وَزَرَ أُخْرَى ﴾ أي : وزر نفس أخرى .

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ قيل : إن هذا في حكم الدنيا ؛ أي : أن

الله لا يهلك أمةً إلّا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم .

وقيل : هو عام في الدنيا والآخرة ، وأن الله لا يعذب في الآخرة قومًا

إلّا وقد أرسل إليهم رسولًا فكفروا به وعصوه ، ويدلُّ على ذلك قوله : ﴿ كَلَّمَآ

أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَى ۝٩ [الملك : ٨ - ٩] ، ومن هذا

يؤخذ حكم أهل الفترات .

واستدلَّ أهل السنة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلّا من

الشرع ، لا من مجرد العقل .

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ في تأويل ﴿ أَمَرْنَا ﴾ هنا ثلاثة

أوجه :

أحدهما : أن يكون في الكلام حذف تقديره : أمرنا مترفيها بالخير

والطاعة فعصوا وفسقوا .

والثاني : أن يكون ﴿أَمْرَنَا﴾ عبارة عن القضاء عليهم بالفسق ؛ أي : قضينا عليهم ففسقوا .

والثالث : أن يكون ﴿أَمْرَنَا﴾ بمعنى كثرنا ، واختاره أبو علي الفارسي .
وأما على قراءة ﴿أَمْرَنَا﴾ بمدّ الهمزة فهو بمعنى كثرنا .
وأما على قراءة ﴿أَمْرَنَا﴾ بتشديد الميم فهو من الإمارة ؛ أي : جعلناهم أمراء ففسقوا .

والمتَرَف : الغني المتنعم بالدنيا .

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ﴾ أي : القضاء الذي قضاه الله .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ القرن : مئة سنة ، وقيل : أربعون .

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ الآية في الكفار الذين يريدون الدنيا ، ولا يؤمنون بالآخرة ، على أن لفظها أعم من ذلك .

والمعنى : أنهم يعجل الله لهم حظًا من الدنيا بقيدين :

أحدهما : تقييد المقدار المعجل بمشيئة الله .

والآخر : تقييد الشخص المعجل له بإرادة الله ، و﴿لِمَنْ تُرِيدُ﴾ بدلٌ من ﴿لَهُ﴾ ، وهو بدل بعض من كل .

﴿مَذْهُورًا﴾ أي : مبعَّدًا ، أو مهانًا .

﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي : عمل لها عملها .

﴿كُلَّا نُمِدُّ﴾ انتصب ﴿كُلَّا﴾ بـ ﴿نُمِدُّ﴾ ، وهو من المَدَد، ومعناه : نزيدهم من عطائنا .

﴿هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ﴾ بدلٌ من ﴿كُلَّا﴾ ، والإشارة إلى الفريقين المتقدمين .
﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ يعني : رزق الدنيا .

وقيل : من الطاعات لمن أراد الآخرة ، ومن المعاصي لمن أراد الدنيا .
والأول أظهر .

﴿مَحْظُورًا﴾ أي : ممنوعًا .

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني : في رزق الدنيا .

﴿لَا تَجْعَلْ﴾ خطابٌ لواحد ، والمراد به جميع الخلق ؛ لأن المخاطب غير معين .

﴿مَذْمُومًا﴾ أي : يذمه الله وخيار عباده .

﴿مَخْذُولًا﴾ أي : غير منصور .



[﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تَرَىٰ غُصَّةً عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا تَكُونُ تُرْتَفَهُمْ وَإِنَّا كُنَّا مِنْهُمْ خَطِئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقُلُوبُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي: حَكَمَ وَالزَّمَّ وَأَوْجَبَ.

أو أمر، ويدلُّ على ذلك ما في مصحف ابن مسعود: «وَوَضَىٰ رَبُّكَ».

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ «أن» مفسرة، أو مصدرية على تقدير: بأن لا تعبدوا.

﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾ هي «إن» الشرطية دخلت عليها «ما» المؤكدة، وجوابها: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ﴾.

والمعنى: الوصية ببر الوالدين إذا كبرا، أو كبر أحدهما، وإنما خصَّ حاله الكبر؛ لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بمؤنتهما؛ لضعفهما. ومعنى ﴿عِنْدَكَ﴾ أي: في بيتك وتحت كنَفِكَ.

﴿أَفٍ﴾ حيث وقعت: اسم فعل، معناها: قولٌ مكروه يقال عند الضجر ونحوه، وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين، فأولى وأحرى أن لا يقال لهما ما فوق ذلك.

ويجوز في «أف» الكسر والفتح والضم، وهي حركات بناء، وأما تنوينها فهو للتكثير.

﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ من الانتهاز؛ وهو الإغلاظ في القول.

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ استعارة في معنى التواضع لهما والرفق بهما، فهو كقوله: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وأضافه إلى الذل مبالغة في المعنى؛ كأنه قال: الجناح الذليل.

و«من» في قوله: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ للتعليل؛ أي: من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما.

﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾ قيل: معناه الصالحين، وقيل: المسبِّحين، وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع؛ فحقيقته: الراجعين إلى الله.

﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ خطابٌ لجميع الناس لصلّة قرابتهم والإحسان إليهم.

وقيل: هو خطاب خاص بالنبي ﷺ أن يؤتي قرابته حقهم من بيت المال.

والأول أرجح.

﴿وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ الآية؛ معناها: إن أعرضت عن ذوي القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيههم؛ فقل لهم كلامًا حسنًا، وكان النبي ﷺ إذا سأله أحد فلم يكن عنده ما يعطيه أعرض عنه، حياءً منه، فأمر بحسن القول مع ذلك، وهو أن يقول: رزقكم الله وأعطاكم الله وشبه ذلك.

والميسور: مشتق من اليسر.

﴿أَتَبْتَغَاءَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ مفعول من أجله، يحتمل:

أن يتعلق بقوله: ﴿وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾ والمعنى على هذا: أنه يعرض عنهم انتظارًا للرزق يأتيه، فيعطيه إياهم، فالرحمة على هذا: هو ما يرتجيه من الرزق.

أو يتعلق بقوله: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾؛ أي: ابتغ رحمة ربك بقول ميسور، والرحمة على هذا: هي الأجر والثواب.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ استعارة في معنى: غاية البخل؛ كأن البخيل حبست يده عن الإعطاء^(١)، وشُدَّتْ إلى عنقه.

(١) في ب: «العطاء».

﴿وَلَا يَبْسُطُهَا كُلُّ الْبَسِطِ﴾ استعارة في معنى: غاية الجود، فنهى الله عن الطرفين، وأمر بالتوسط بينهما، كقوله: ﴿إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧].

﴿مَلُومًا﴾ أي: يلومك صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك.

أو يلومك من يستحق العطاء؛ لأنك لم تترك ما تعطيه.

أو يلومك سائر الناس على التبذير في العطاء.

﴿تَحْسُورًا﴾ أي: منقطعاً بك لا شيء عندك، وهو من قولهم: حَسَرَ السفرُ البعير: إذا أتعبه حتى لم تَبَقَ له قوة^(١).

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء؛ فلا تهتم بما تراه من ذلك؛ فإن الله أعلم بمصالح عباده.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ ذكر في «الأنعام»^(٢).

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الحقُّ الموجب لقتل النفس: هو ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس أخرى»^(٣).

وتتصل^(٤) بهذه الأشياء أشياء أخرى؛ لأنها في معناها، كالحراية،

(١) في ب، هـ: «يُبَقِّ له قوة».

(٢) انظر صفحة ٣٢٠.

(٣) تقدم تخريجه في صفحة ٣٢٠.

(٤) في أ، ب، هـ: «ويتصل».

وترك الصلاة، ومنع الزكاة.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَهُ سُلْطَانًا﴾ المظلوم هنا: مَنْ قُتِلَ بغير حق .
والولي: هو ولي المقتول وسائر العَصَبَة، وليس النساء من الأولياء عند مالك .

والسلطان الذي جعل الله له: هو القصاص، أو تخييره^(١) بين العفو والقصاص .

﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ نهى عن أن يسرف وليُّ المقتول؛ بأن يقتل غير قاتل وليه، أو يقتل اثنين بواحد، أو غير ذلك من وجوه التعدي .

وقرئ ﴿فَلَا تُسْرِفُ﴾ بالتاء؛ خطاباً للقاتل، أو لوليِّ المقتول .

﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ الضمير: للمقتول، أو لوليّه، ونصره: هو القصاص .

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ ذكر في «الأنعام»^(٢) .

قال بعضهم^(٣): ﴿لَا تَقْرَبُوا﴾ و﴿لَا تَقْتُلُوا﴾ معطوفات على ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾^(٤) .

والظاهر: أنها مجزومات بالنهاي؛ بدليل قوله بعدها: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ و﴿وَلَا تَمْشِ﴾ .

(١) في أ، ب، هـ: «وتخييره» .

(٢) انظر صفحة ٣٢١ .

(٣) قاله الطبري في تفسيره (٥٧٧/١٤) .

(٤) في ج زيادة: «وذلك خطأ»، ولم ترد في شيء من النسخ الأخرى، ويظهر أنها زيادة مقحمة؛ بدليل أنه أن ابن جزيّ وجّه هذا الإعراب كما سيأتي قريباً .

ويصحُّ أن تكون معطوفات إذا جعلنا ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ مجزوماً على النهي، و«أن» مفسّرة.

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ عامٌّ في العهود مع الله، ومع الناس.

﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من معنى ^(١)الطلب؛ أي: يُطَلَب الوفاء به.

والثاني: أن يكون المعنى: يُسأل عنه يوم القيامة، هل وفّى به أم لا.

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾ قيل: القسطاس الميزان، وقيل: العدل.

وقرئ بكسر القاف، وهي لغة.

﴿وَأَحْسِنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: أحسن عاقبة ومآلاً، وهو من آل: إذا رجع.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ المعنى: لا تقل ما لا تعلم من ذمّ الناس وشبه ذلك، واللفظ مشتق من قَفَوْتُهُ: إذا اتبعته.

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد، وإنما عاملها معاملة العقلاء في الإشارة بـ ﴿أُولَئِكَ﴾؛ لأنها حواسُّ لها إدراك.

والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على ﴿كُلُّ﴾، ويتعلّق ﴿عَنْهُ﴾ بـ ﴿مَسْئُولًا﴾ والمعنى: أن الإنسان يُسأل عن سمعه وبصره وفؤاده.

وقيل: الضمير يعود على: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، والمعنى على هذا: أن السمع والبصر والفؤاد هي التي تُسأل عما ليس لها به علم، وهذا بعيد.

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ المَرَح: الخيلاء والكِبَر في المشية.

وقيل: هو إفراط السرور بالدنيا.

وإعرابه: مصدر في موضع الحال.

﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ أي: لن تجعل فيها خَرْقًا بمشيك عليها، والخَرْق هو: القطع.

وقيل: معناه: لا تقدر أن تستوفي جميعها بالمشي.

والمراد بذلك: تعليل النهي عن الكبر والخيلاء؛ أي: إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض، ولا على مطاولة الجبال؛ فكيف تتكبر وتختال في مشيك؟!، وإنما الواجب عليك التواضع.

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات، والمكروه هنا: بمعنى الحرام، لا على اصطلاح الفقهاء في أن المكروه دون الحرام.

وإعراب ﴿مَكْرُوهًا﴾: نعت لـ ﴿سَيِّئَةً﴾، أو بدلٌ منها، أو خبر ثان لـ ﴿كَانَ﴾.

﴿أَفَأَصْفَنَاكُمْ رَبُّكُم بِأَلْبَيْنَ﴾ خطابٌ على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، والمعنى: كيف يجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات؟!.

ومعنى ﴿أَفَأَصْفَنَاكُمْ﴾: خصَّكم.

﴿فَوَلَّا عَظِيمًا﴾ أي: عظيم النكر والشناعة.

[وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا وَمَا يُزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُغْيَا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَيُّذَا كُنَّا عِظَمًا وَرُفْنًا أَيُّذَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَنْظُنُّونَ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾].

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذَا لَا بُغْيَا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ هذا احتجاج على الوجدانية، وفي معناه قولان:

أحدهما: أن المعنى: لو كان مع الله آلهة لا بتغوا سبيلا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته، فيكون من جملة عباده.

والآخر: لا بتغوا سبيلا إلى إفساد مُلكه ومعاندته في قدرته، ومعلوم أن ذلك لم يكن؛ فلا إله إلا هو.

﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾ الآية؛ اختلف في كيفية هذا التسبيح:

ف قيل: هو تسبيح بلسان الحال؛ أي: بما تدلُّ عليه صنعته من قدرة وحكمة.

وقيل : إنه تسييح حقيقة ، وهذا أرجح ؛ لقوله : ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ﴾ .
 ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ في معناه قولان :
 أحدهما : أن الله أخبر نبيه ﷺ أنه يستره من الكفار إذا أرادوا به شرًا ،
 ويحميه ^(١) منهم .

والآخر : أنه يحجب ^(٢) الكفار عن فهم القرآن ، وهذا أرجح ؛ لما بعده .
 والمستور هنا :

قيل : معناه مستور عن أعين الخلق ؛ لأنه من لطف الله وكفايته ، فهو من
 المغيبات .

وقيل : معناه ساترًا .

﴿أَكِنَّةٌ﴾ جمع كِنَانٍ ؛ وهو الغطاء ، و﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ مفعول من أجله
 تقديره : كراهة أن يفقهوه ، وهذه كلها استعارات في إضلالهم .

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ الآية ؛ معناها : إذا ذكرت في القرآن
 وحدانية الله تعالى فرَّ المشركون عن ذلك ؛ لما فيه من رفض آلهم وذمها .
 و﴿نُفُورًا﴾ مصدر في موضع الحال .

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء ،
 والضمير في ﴿بِهِ﴾ عائذ على «ما» ؛ أي : نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء .

(١) في ج ، د : «ويحجبه» .

(٢) في ب ، هـ : «حجب» .

﴿وَإِذْ هُمْ نَجَوْنَ﴾ جماعة يتناجون، أو هم ذو نجوى، والنجوى: كلام السرّ.

﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ قيل: معناه جُنَّ فُسُجِرَ.

وقيل: معناه ساحر.

وقيل: هو من السّحر - بفتح السين -؛ وهو الرئة؛ أي: بشرًا ذا سحر مثلكم، وهذا بعيد.

﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي: مثلك بالساحر، والشاعر، والمجنون.

﴿فَصَلُّوا﴾ عن الحق.

﴿فَلَا يَسْطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى الهدى؛ ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة، وأصحابه من الكفار.

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا﴾ الآية؛ معناها: إنكارهم للبعث، واستبعادهم أن يخلقهم الله خلقًا جديدًا بعد فنائهم.

والرُّفات: الذي بلي حتى صار غبارًا وفتاتًا.

وقد ذكر في «الرعد» اختلاف القراء في الاستفهامين^(١).

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ المعنى: لو كنتم حجارة أو حديدًا لقدّرنا على بعثكم وإحيائكم، مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن

(١) انظر صفحة ٦٦٩.

الرطوبة التي في الحياة؛ فأولى وأحرى أن نبعث أجسادكم ونحيي عظامكم البالية، فذكر الحجارة والحديد تنبيهًا بهما على ما هو أسهل في الحياة منهما.

ومعنى قوله: ﴿كُونُوا﴾ أي: كونوا في الوهم والتقدير، وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم في ذلك.

﴿أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ قيل: يعني السموات والأرض والجال.

وقيل: بل أحال على فكرتهم عمومًا في كل ما هو كبير عندهم؛ أي: لو كنتم حجارة أو حديدًا أو شيئًا أكبر عندكم من ذلك وأبعد عن الحياة؛ لقدّرنا على بعثكم.

﴿فَيَنْفُضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يحركونها تحريك المستبعد للشيء، أو المستهزئ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ أي: متى يكون البعث.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ بِحَمْدِهِ﴾ الدعاء هنا: عبارة عن البعث بالنفخ في الصور.

والاستجابة: عبارة عن قيامهم من القبور طائعين منقادين.

و﴿بِحَمْدِهِ﴾ في موضع الحال؛ أي: حامدين له.

وقيل: معنى ﴿بِحَمْدِهِ﴾: بأمره.

﴿وَتُظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: لبثتم في الدنيا، أو في القبور.

[﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسَاءَ يَرْحَمَكُمْ أَوْ إِنَّ يَسَاءَ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ مِنْ قَرَبٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفَيْصَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّئَايَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾].

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العباد هنا : المؤمنون ؛ أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلامًا لينا طيبًا .

وقيل : أن يقولوه للمشركين ، ثم نسخ بالسيف .

وإعراب ﴿يَقُولُوا﴾ كقوله : ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم : ٣١] في «إبراهيم» ، وقد ذكر^(١) .

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ قيل : يعني الملائكة .

وقيل : عيسى وأمه وعُزَيْرًا^(١).

وقيل : نفرٌ من الجن كان العرب يعبدونهم.

والمعنى : أنهم لا يقدرّون على كشف الضرّ عنكم ، فكيف تعبدونهم؟! .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ المعنى : أن أولئك الآلهة الذين تدعون من دون الله يبتغون القرّبة إلى الله ، ويرجونّه ، ويخافونه ، فكيف تعبدونهم معه؟! .

وإعراب ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ ، و﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ صفة له ، و﴿يَبْتَغُونَ﴾ خبره ، والفاعل في ﴿يَدْعُونَ﴾ ضميرٌ للكفار^(٢) ، وفي ﴿يَبْتَغُونَ﴾ للآلهة^(٣) المعبودين .

وقيل : إن الضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ و﴿يَبْتَغُونَ﴾ للأنبياء المذكورين قبل في قوله : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ .

و﴿الْوَسِيلَةَ﴾ هي ما يُتوسَّل به ويُتقرب .

﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدلٌ من الضمير في ﴿يَبْتَغُونَ﴾ ؛ أي : يبتغي الوسيلة من هو أقرب منهم ، فكيف بغيره؟ .

أو ضمّن معنى «يَحْرِصُونَ» ؛ فكأنه قال : يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله بالاجتهاد في طاعته .

(١) في ج ، د : «وعزير» بالمنع من الصرف ، وهو مختلف في صرفه ومنعه من الصرف ، كما سبق كلام ابن جزى عنه في سورة التوبة ، صفحة ٤٨٨ .

(٢) في ج ، د : «الكفار» بدون لفظة «ضمير» .

(٣) في ب ، ج : «الآلهة» .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : أَنَّهُمْ يَتَوَسَّلُونَ بِأَيُّهُمْ أَقْرَبَ .

﴿مَحْذُورًا﴾ من الحذر ؛ وهو الخوف .

﴿وَإِنْ مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفَيْكَةِ﴾ يَحْتَمِلُ هَذَا الْكَلَامُ وَجْهَيْنِ :

أحدهما : أَنْ يَكُونَ بِالْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ الَّذِي لَا بَدَّ مِنْهُ .

والآخر : أَنْ يَكُونَ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ يَأْخُذُ^(١) الْمَدِينَةَ دَفْعَةً فَيَهْلِكُهَا ، وَهَذَا أَظْهَرُ ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ مَعْلُومٌ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى الْإِخْبَارِ بِهِ .

وَالْهَلَاكُ وَالتَّعْذِيبُ الْمَذْكُورَانِ فِي الْآيَةِ هُمَا فِي الْحَقِيقَةِ لِأَهْلِ الْقُرَى ؛ أَيِ : مُهْلِكُو أَهْلِهَا أَوْ مُعَذِّبُوهُمْ .

وَرَوَى : أَنَّ هَلَاكَ مَكَّةَ بِالْحَبْشَةِ ، وَالْمَدِينَةَ بِالْجَوْعِ ، وَالْكُوفَةَ بِالتَّرْكِ ، وَالْأَنْدَلُسَ بِالْخَيْلِ .

وَسَأَلَ الْأُسْتَاذَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ عَنْ غَرْنَاطَةِ ، فَقَالَ : أَصَابَهَا الْعَذَابُ يَوْمَ قَتْلِ الْمُوَحِّدِينَ بِهَا فِي ثَوْرَةِ ابْنِ هُودٍ ، وَأَمَّا هَلَاكُ قَرْطَبَةَ وَإِشْبِيلِيَّةَ وَطَلِيْطَلَةَ وَغَيْرَهَا فَأَخَذَ الرُّومُ لَهَا .

﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يَعْنِي : فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ .

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ الْآيَاتُ هُنَا يُرَادُ بِهَا : الَّتِي يَقْتَرِحُهَا الْكُفَّارُ ، فَإِذَا رَأَوْهَا وَلَمْ يُؤْمِنُوا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ .

(١) فِي أ ، ب ، ج ، هـ : «بِأَخْذٍ» .

وسبب الآية: أن قريشاً اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذبوا فيهلكوا، وعبر بالمنع عن ترك ذلك.

﴿وَأَن تُرْسِلَ﴾ في موضع نصب، و﴿أَن كَذَّبَ﴾ في موضع رفع.
ثم ذكر ناقة ثمود تنبيهاً على ذلك؛ لأنهم اقترحوها فكانت^(١) سبب هلاكهم.

ومعنى ﴿مُبْصِرَةً﴾: بينة واضحة الدلالة.

﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ إن أراد بالآيات هنا المقترحة: فالمعنى: أنه يرسل بها تخويفاً من العذاب العاجل وهو الإهلاك.
وإن أراد المعجزات غير المقترحة: فالمعنى: أنه يرسل بها تخويفاً من عذاب الآخرة؛ ليراها الكافر فيؤمن.

وقيل: المراد بالآيات هنا الزلازل والرعَد والكسوف وغير ذلك من المخاوف.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ المعنى: اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش؛ يعني: بشرناك بقتلهم يوم بدر، وذلك قوله: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، وإنما قال: ﴿أَحَاطَ﴾ بلفظ الماضي وهو لم يقع؛ لتحقيقه^(٢) وصحة وقوعه بعد.

(١) في أ، ب، هـ: «وكانت».

(٢) في ب: «لتحققه».

وقيل : المعنى : أحاط بالناس في منعك وحياطتك منهم ، كقوله : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] .

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ اختُلف في هذه الرؤيا :

ف قيل : إنها الإسراء :

فمن قال إنه كان في اليقظة : فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين .

ومن قال إنه كان في المنام : فالرؤيا منامية^(١) .

والفتنة على هذا : تكذيب الكفار بذلك ، وارتداد بعض المسلمين حينئذ .

وقيل : إنها رؤيا النبي ﷺ في منامه هزيمة الكفار وقتلهم ببدر ، والفتنة على هذا : تكذيب قريش بذلك وسخريتهم به .

وقيل : إنها رؤياه أنه يدخل مكة ، فعجل في سنة الحديبية فرد عنها ، فافتتن بعض المسلمين بذلك .

وقيل : رأى في المنام أن بني أمية يصعدون على منبره ؛ فاغتم بذلك^(٢) .

﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ يعني : شجرة الزقوم ، وهي معطوفة على ﴿الرُّؤْيَا﴾ ؛ أي : جعل الرؤيا والشجرة فتنة للناس ؛ وذلك أن قريشاً لما سمعوا أن في جهنم شجرة زقوم سخروا من ذلك وقالوا : كيف تكون شجرة في النار والنار تحرق الشجر؟ وقال أبو جهل : ما أعرف الزقوم إلا التمر بالزبد .

(١) في ب ، ج ، هـ : «منامة» ، وفي د : «منامه» .

(٢) في ج ، د : «لذلك» .

فإن قيل : أين لُعنت شجرة الزقوم في القرآن؟
فالجواب : أن المراد : لعنةُ آكلِها .
وقيل : اللعنة بمعنى الإبعاد ؛ لأنها في أصل الجحيم .
﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ الضمير لكفار قريش .



[وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿١١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿١٣﴾ وَاسْتَغْفِرُ مَنْ أَسْطَغَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بَخِيلِكَ وَرَجَلَيْكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْأَفْلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا فُجِّعْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿١٧﴾ أَفَأَمْسَرْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿١٨﴾ أَمْ أَمْسَرْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٢٠﴾] .

﴿طِينًا﴾ تمييزٌ، أو حالٌ من ﴿مَنْ﴾، أو من مفعول ﴿خَلَقْتَ﴾ .

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ الكاف من ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ للخطاب، لا موضع لها من الإعراب، و﴿هَذَا﴾ مفعول بـ «أرأيت»، والمعنى: أخبرني عن هذا الذي كَرَّمْتَهُ علي - أي: فَضَّلْتَهُ - ؛ لم فضَّلْتَهُ وأنا خير منه؟، فاختصر الكلام بحذف^(١) ذلك.

وقال ابن عطية: ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ هنا بمعنى: أَتَأَمَّلْتُ ونحوه، لا بمعنى أخبرني^(٢).

(١) في ج: «فحذف».

(٢) المحرر الوجيز (٥/٥٠٦).

﴿لَاخْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ﴾ معناه: لأُمْلئَنَّهُم وأقودهم، وهو مأخوذ من: تحنيك الدابة؛ وهو أن يشدَّ على حنكها بحبلٍ فتنقاد.
 ﴿قَالَ أَذْهَبَ﴾ قال ابن عطية: ﴿أَذْهَبَ﴾ وما بعده من الأوامر: صيغة أمر على وجه التهديد^(١).

وقال الزمخشري: ليس المراد الذهاب الذي هو ضدُّ المجيء، وإنما معناه: امض لشأنك الذي اخترته؛ خذلاً لنا له وتخلية^(٢).

ويحتمل عندي: أن يكون معناه: الطرد والإبعاد.

﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَرَّاءُ كُفْرُ﴾ كان الأصل أن يقال: «جزاؤهم» بضمير الغيبة؛ ليرجع إلى ﴿مَنْ تَبِعَكَ﴾، ولكنه ذكره بلفظ الخطاب؛ تغليبا للمخاطب على الغائب، وليدخل إبليس معهم.

﴿جَزَاءٌ مَوْفُورًا﴾ مصدر في موضع الحال، والموفور: المكمل.

﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾ أي: اخدع واستخف.

﴿بِصَوْتِكَ﴾ قيل: يعني الغناء والمزامير.

وقيل: الدعاء إلى المعاصي.

﴿وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: هَوَّل، وهو من الجلبة، وهو الصياح.

﴿بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ الخيل هنا يراد به^(٣): الفرسان الراكبون على خيل،

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/٥٠٨).

(٢) انظر: الكشف (٩/٣٣٠).

(٣) في أ، د، هـ: «بها».

والرَّجُلُ : جمع راجل ؛ وهو الذي على رجله :

فَقِيلَ : هو مجاز واستعارة بمعنى : افعل جَهْدَكَ .

وقيل : إن له من الشياطين خيالاً ورجلاً .

وقيل : المراد : فرسان الناس ورجالهم المتصرفون في الشر .

﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ مشاركته في الأموال : هي بكسبها بالربا ، وإنفاقها في المعاصي وغير ذلك .

ومشاركته في الأولاد : هي بالاستيلاد بالزنا ، وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك .

﴿وَعَدُهُمْ﴾ يعني : المواعد الكاذبة ؛ من شفاعة الأصنام وشبه ذلك .

﴿إِنْ عِبَادِي﴾ يعني : المؤمنين الذين يتوكلون على الله ؛ بدليل قوله بعد ذلك : ﴿وَكَفَىٰ بَرِيكَ وَكِيلًا﴾ ، ونحوه : ﴿إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل : ٩٩] .

﴿يُزْجِي لَكُمْ أَلْفَاكًا﴾ أي : يجريها ويسيرها ، والفلك هنا : جمع ، وابتغاء الفضل : في التجارة وغيرها .

﴿الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ يعني : خوف الغرق .

﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ضلَّ هنا : بمعنى تَلَفَ وفُقدَ ؛ أي : تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلا الله وحده ، فلجأتم إليه حينئذ دون غيره ، فكيف تعبدون غيره وأنتم لا تجدون في تلك الشدة إلا إياه؟! .

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ أي : كفورًا بالنعم ، والإنسان هنا : جنس .

﴿أَفَأَمِنْتُ﴾ الهمزة للتوبيخ، والفاء للعطف؛ أي: أنجوتم من البحر فأمتم الخسف في البر؟! .

﴿حَاصِبًا﴾ يعني: حجارة، أو ريحًا شديدة ترمي بالحصباء .

﴿وَكَيْلًا﴾ أي: قائمًا بأموركم، وناصرًا لكم .

﴿قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ يعني: الذي يقصف ما يلقي؛ أي: يكسره .

﴿يَبِيعًا﴾ أي: مطالبًا بئاركم؛ أي: لا تجدون من ينتصر لكم منا، كقوله:

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٥] .

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ يعني: فضَّلهم على الجن وعلى سائر الحيوان، ولم يفضلهم على الملائكة؛ ولذلك قال: ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾، وأنواع التفضيل كثيرة لا تحصى، وقد ذكر المفسرون منها: كون الإنسان يأكل بيده، وكونه منتصب القامة، وهذه أمثلة .

[يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾].

﴿يَا إِمِّيهِمْ﴾ قيل: يعني بنبيهم؛ يقال: يا أمة فلان.

وقيل: يعني: كتابهم الذي نزل عليهم.

وقيل: كتابهم الذي فيه أعمالهم.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ الفتيل: هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، والمعنى: أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلاً ولا كثيراً، فعبر بأقل الأشياء؛ تنبيهاً على الأكثر.

﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ الإشارة بـ ﴿هَذِهِ﴾ إلى الدنيا.

والعمى يراد به: عمى القلب؛ أي: من كان في الدنيا أعمى عن الهدى^(١) والصواب فهو في يوم القيامة أعمى؛ أي: حيران يائس من الخير. ويحتمل أن يريد بالعمى في الآخرة: عمى البصر؛ كقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

(١) في ب: «الهداية».

وإنما جعل الأعمى في الآخرة أضل سبيلاً ؛ لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء.

ويعجز في ﴿أَعْمَى﴾ الثاني :

أن يكون صفة كالأول .

وأن يكون من «أفعل» التي للتفضيل ، وهذا أقوى ؛ لقوله ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾
فعطف ﴿وَأَضَلُّ﴾ الذي هو من «أفعل من كذا» على ما هو شبهه .

وقال سيويه : لا يجوز أن يقال : هو أعمى من كذا .

ولكن إنما يمتنع ذلك في عمى البصر ، لا في عمى القلب .

﴿وَأَن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ الآية ؛ سببها : أن قريشاً
قالوا للنبي ﷺ : اقبل^(١) بعض أمرنا ونقبل على بعض أمرك .

وقيل : إن ثقيفا طلبوا من النبي ﷺ أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون
فيها اللات والعزى ، والآية على هذا القول مدنية .

﴿لِفَتْرَى عَلَيْنَا غَيْرُهُ﴾ الافتراء هنا يراد به : مخالفة ما أوحى إليه في القرآن
أو في غيره .

﴿وَإِذَا لَاتَخَذُوا خَلِيلًا﴾ أي : لو فعلت ما أرادوا منك لاتخذوك خليلاً .

﴿وَلَوْلَا أَن تَبْنَتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَبًّا قَلِيلًا﴾ ﴿٧٤﴾ «لولا» تدل على
امتناع شيء لوجود غيره ، فدللت هنا على امتناع مقاربة النبي ﷺ الركون
إليهم ؛ لأجل تثبيت الله له وعصمته .

(١) في دزيادة : «على» .

﴿ كِدَتْ ﴾ تقتضي -أيضاً- نفى الركون ؛ لأن معنى كاد فلان يفعل كذا : أنه لم يفعله ؛ فانتفى الركون إليهم ومقاربته ، فليس في ذلك غصٌّ من جانب النبي ﷺ ؛ لأن الثبوت منعه من مقاربة الركون إليهم ، ولو لم يثبت الله لكانت مقاربته للركون إليهم شيئاً قليلاً ، وأما مع الثبوت فلم يركن قليلاً ولا كثيراً ، ولا قارب ذلك .

﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ أي : ضعف عذابهما لو فعل ذلك .

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ الضمير لقريش ، كانوا قد همُّوا أن يخرجوا النبي ﷺ من مكة ، وذلك قبل الهجرة ، فالأرض هنا يراد بها : مكة ؛ لأنها بلده .

﴿ وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي : لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك من مكة إلا قليلاً ، فلما خرج النبي ﷺ مهاجراً من مكة إلى المدينة ، لأجل إذاية قريش له ولأصحابه ، لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلاً ، وقتلوا يوم بدر .

﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ انتصب ﴿ سُنَّةَ ﴾ على المصدر ، ومعناه : العادة ؛ أي : هذه عادة الله مع رسله .

[﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾].

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة:

فدلوك الشمس: زوالها، والإشارة إلى الظهر والعصر.

وغسق الليل: ظلمته، وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء.

وقرآن الفجر: صلاة الصبح.

وانتصب ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾:

بالعطف على موضع اللام في قوله: ﴿لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾؛ فإن اللام فيه ظرفية بمعنى «عند».

وقيل: هو عطف على ﴿الصَّلَاةِ﴾.

وقيل: مفعول بفعل مضمر تقديره: اقرأ قرآن الفجر.

وإنما عبّر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر؛ لأن القرآن فيها أكثر من غيرها؛ لأنها تصلى بسورتين طويلتين.

﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي: تشهده ملائكة الليل والنهار، فيجتمعون فيه؛ إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار.

﴿وَمَنْ أَلِيلٍ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل. و﴿مِنْ﴾ للتبعيض، والضمير في ﴿بِهِ﴾ للقرآن.

والتهجد: السهر؛ وهو ترك الهجود، ومعنى الهجود: النوم؛ فالتفعل هنا: للخروج عن الشيء، كالترحُّج والتأثم في الخروج عن الإثم والحرَج. ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ يعني: الشفاعة يوم القيامة، وانتصب ﴿مَقَامًا﴾ على الظرف.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية؛ المدخل: دخوله إلى المدينة، والمخرج: خروجه من مكة.

وقيل: المدخل: في القبر، والمخرج: إلى البعث.

واختار ابن عطية أن يكون على العموم في جميع الأمور^(١).

﴿سُلْطَنًا نَّصِيرًا﴾ قيل: معناه: حجة تنصرني بها وتُظهر^(٢) بها صدقي.

وقيل: قوة ورياسة تنصرني بها على الأعداء، وهذا أظهر.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ الحق: الإيمان، والباطل: الكفر.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ ﴿مِنْ﴾: لبيان الجنس، أو للتبعيض.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/٥٣٠).

(٢) في أ، ب: «يُظْهِر».

والمراد بالشفاء: أنه يَشْفِي القلوب من الريب^(١) والجهل.
 وَيَحْتَمِلُ أن يريد: نفعه من الأمراض؛ بالرُّقى به والتعويد.
 ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَنِ﴾ الآية؛ المراد بالإنسان هنا: الجنس؛ لأن ذلك
 من سجيّة الإنسان.

وقيل: إنما يراد الكافر؛ لأنه هو الذي يُعْرِضُ عن الله.
 ﴿وَنَّا بِحَانِهِ﴾ أي: بُعد، وذلك تأكيدٌ وبيانٌ للإعراض.
 وقرئ ﴿نَاءً﴾، وهو بمعنى واحد.
 ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ﴾ أي: مذهبه وطريقته التي تشاكله.

(١) في أ، ب: «الريبة».

[وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَأَنْتَ عَلَيْهِ كَعِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ فِئْلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾].

﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ السائلون: اليهود، وقيل: قريش بإشارة اليهود.

والروح هنا:

عند الجمهور: هو الذي في الجسم، وقد يقال فيه: النفس.

وقيل: الروح هنا جبريل.

وقيل: القرآن.

والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك.

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: من الأمور التي استأثر الله بها، ولم يُطلع عليها خلقه.

وكانت اليهود قد قالت لقريش: اسألوه عن الروح، فإن لم يجبكم فيه بشيء فهو نبي، وذلك أنه كان عندهم في التوراة: أن الروح مما انفرد الله بعلمه.

وقال ابن بريدة: لقد مضى النبي ﷺ وما يعرف الروح^(١).

ولقد كثر اختلاف الناس في النفس والروح، وليس في أقوالهم في ذلك ما يعول عليه.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ خطاب عام لجميع الناس؛ لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله.

وقيل: خطاب لليهود خاصة.

والأول أظهر؛ لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح.
﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَ بِالَّذِي أُوحِينَا إِلَيْكَ﴾ أي: إن شئنا ذهبنا بالقرآن، فمحوناه من الصدور والمصاحف.

وهذه الآية متصلة المعنى بقوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: في قدرتنا أن نذهب بالذي أوحينا^(٢) إليك فلا يبقى عندكم شيء من العلم.
﴿وَكَيْلًا﴾ أي: من يتوكل برده وإعادته بعد ذهابه.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون:

استثناء متصلًا؛ بمعنى: أن رحمة ربك ترد القرآن بعد ذهابه لو ذهب.

أو استثناء منقطعًا؛ بمعنى: أن رحمة ربك تمسكه عن الذهاب.

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ﴾
عجز الخلق عن الإتيان بالقرآن؛ لما تضمنه من العلوم الإلهية، والبراهين

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصهباني بإسناده إلى عبد الله بن بريدة في كتاب العظمة (٣/ ٨٦٧).

(٢) في أ، ب، هـ: «أوحي».

الواضحة، والمعاني العجيبة التي لم يكن الناس يعلمونها، ولا يصلون إليها، ثم جاءت فيه على الكمال.

وقال أكثر الناس: إنهم عجزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه.

ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا في غير هذا منها خمسة عشر وجهًا^(١).
﴿ظَهَرَ﴾ أي: معينًا.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بينا لهم كل شيء من العلوم النافعة، والبراهين القائمة، والحجج الواضحة.

وهذا يدل على إن إعجاز القرآن بما فيه من المعاني والعلوم كما ذكرنا.
﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الكفور: الجحود، وانتصب بقوله:
﴿أَبَى﴾؛ لأنه في معنى النفي.

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ الذين قالوا هذا القول: هم أشراف قريش، طلبوا من النبي ﷺ أنواعًا من خوارق العادات، وهي التي ذكرها الله في هذه الآية.

وقيل: إن الذي قاله عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، وكان ابن عمه النبي ﷺ، ثم أسلم بعد ذلك.

والينبوع: العين، قالوا له: إن مكة قليلة الماء ففجّر لنا فيها عينًا من الماء.

(١) ذكر في المقدمة في الباب الحادي عشر عشرة أوجه من الإعجاز، وذكر هذه الأوجه العشرة أيضًا في كتابه «النور المبين في قواعد عقائد الدين» (ص: ٦٧).

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ﴾ إشارة إلى قوله تعالى : ﴿إِنْ نَشَأْ نُخِيفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سبا: ٩].

﴿كِسْفًا﴾ بفتح السين : جمع كِسْفَةٍ ؛ وهي القطعة .

وقرئ بالإسكان ؛ أي : قِطْعًا واحدًا .

﴿قَبِيلًا﴾ قيل : معناه مقابلة ومعاينة .

وقيل : ضامنًا شاهدًا بصدقك ، والقَبَالَة في اللغة : الضمان .

﴿بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ﴾ أي : من ذهب .

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَّ﴾ تعجبٌ من اقتراحاتهم ، و^(١) تنزيهٌ لله عن قولهم : ﴿تَأْتِي بِاللَّهِ﴾ ، وعن أن يَطْلُبَ منه هذه الأشياء التي طلبها الكفار ؛ لأن ذلك سوءُ أدبٍ .

﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ أي : إنما أنا بشر ؛ فليس في قدرتي شيءٌ مما طلبتم ، وأنا رسول ؛ فليس علي إلا التبليغ .



(١) في ج : «أو» .

[وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنِ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾] .

﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ المعنى : أن الذي منع الناس من الإيمان هو إنكارهم لبعث الرسل ^(١) من البشر .

﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ﴾ الآية ؛ معناها : أنه لو كان أهل الأرض ملائكةً لكان الرسول إليهم ملكًا ، ولكنهم بشر ؛ فالرسول إليهم بشر من جنسهم .

ومعنى ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ : ساكنين في الأرض .

﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ذكر في «الأنعام» ^(٢) .

﴿عُمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ قيل : هي استعارات بمعنى أنهم يوم القيامة حيارى .

(١) في أ ، د ، هـ : «الرسول» .

(٢) انظر صفحة ٢٤٩ .

وقيل: هي حقائق، وأنهم يكونون عمياً وبكماً وصماً حين قيامهم من قبورهم.

﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ معناه في اللغة: سكن لهما، والمراد هنا: كلما أكلت لحومهم فسكن لهما بدّلوا أجساداً أُخَرَ، ثم صارت ملتبهة أكثر مما كانت. ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا﴾ استبعادٌ للحشر، وقد تقدّم معنى الرفات^(١)، والكلام في الاستفهامين^(٢).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ﴾ الآية؛ احتجاج على الحشر؛ فإن السموات والأرض أكبر من الإنسان، فكما قدّر الله على خلقتها؛ فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فناءه. والرؤية في الآية رؤية قلب.

﴿أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ القيامة، أو أجل الموت.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ «لو» حرف امتناع، ولا يليها إلا الفعلُ ظاهراً أو مضمرّاً، فلا بد من فعل يقدر هنا بعدها تقديره: لو تملكون، ثم فسّره بـ ﴿تَمْلِكُونَ﴾ الظاهر، و﴿أَنْتُمْ﴾ تأكيد للضمير الذي في «تملكون» المضمر. ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ أي: الأموال والأرزاق.

﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ أي: لو ملكتم الخزائن لأمسكنكم عن الإعطاء خشية الفقر، فالمراد بالإنفاق: عاقبة الإنفاق؛ وهو الفقر.

(١) انظر صفحة ٨١٠.

(٢) انظر سور الرعد صفحة ٦٦٩.

ومفعول ﴿لَأَمْسَكُنَّكُمْ﴾ : محذوفٌ .

وقال الزمخشري : لا مفعول له ؛ لأن معناه : بَخِلْتُمْ ؛ من قولهم للبخیل : ممسك^(١) .

ومعنى الآية : وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر ، بخلاف وصف الله تعالى بالجلود والغنى .

(١) انظر : الكشف (٣٨٦/٩) .

[وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّ لِىَ إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٦١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ بِفِرْعَوْنِ مَشْبُورًا ﴿١٦٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٦٣﴾ وَقُلْنَا مِى بَعْدِهِ لِبَنِّ إِسْرَءِيلَ أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٦٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٦٥﴾ وَفَرَأَيْنَا فَتْنَةً لِّقُرْآنِهِ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيرًا ﴿١٦٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّا الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلَّذِينَ سَجَدَا ﴿١٦٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٦٨﴾ وَيَجْرُونَ لِلَّذِينَ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٦٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَر بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٧٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا تَكْبِيرًا ﴿١٧١﴾].

﴿تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ الخمس منها: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والأربع: انقلاب عصاه حية، وإخراج يده بيضاء، وحلُّ العُقْدَةِ من لسانه، وفلق البحر.

وقد عُدَّ فيها: رفع الطور فوقهم، وانفجار الماء من الحجر، على أن يسقط اثنان من الآخر.

وقد عُدَّ فيها -أيضًا-: السنون، والنقص من الثمرات.

وروي أن بعض اليهود سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «هي ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى سلطان ليقته، ولا تسحروا،

ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تفروا يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت»^(١).

﴿فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى؛ لتزداد يقيناً، والآية - على هذا - خطاب لمحمد ﷺ.

وقال الزمخشري: إن المعنى: قلنا لموسى: أسأل بني إسرائيل من فرعون؛ أي: اطلب منه أن يرسلهم معك، فهو كقوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، فالأمر في قوله ﴿فَسَلَّ﴾ لموسى على إضمار القول. وقال - أيضاً - : يَحْتَمِلُ أن يكون المعنى: أسأل بني إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك^(٢).

وهذا أيضاً على أن يكون الخطاب لموسى.
والأول أظهر.

﴿إِذْ جَاءَهُمُ﴾ الضمير لبني إسرائيل، والمراد: آباؤهم الأقدمون. والعامل في ﴿إِذْ﴾:

على القول الأول: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾، أو فعل مضمّر.

والعامل فيه على قول الزمخشري: القول المحذوف.

﴿مَسْحُورًا﴾ هنا وفي «الفرقان»: أي: سُحِرَتْ فاختلط عقلك.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٠٩٢)، والترمذي (٢٧٣٣)، (٣١٤٤)، والنسائي في الكبرى (٤٤٩/٣)، (٤٣/٨).

(٢) انظر: الكشف (٣٨٨/٩).

وقيل : معناه : ساحر .

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ - بفتح التاء - خطاب لفرعون ، والمعنى : أنه علم أن الله أنزل الآيات ، ولكنه كفر بها ^(١) عنادًا ، كقوله : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل : ١٤] .

والإشارة بـ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ إلى الآيات .

﴿مُجْرِبًا﴾ أي : مُهلِكًا ، وقيل : مغلوبًا ، وقيل : مصروفًا عن الخير .
قابل موسى قول فرعون : ﴿لَأُظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ بقوله : ﴿وَإِنِّي لَأُظُنُّكَ بِفِرْعَوْنٍ مُّجْرِبًا﴾ .

﴿فَارَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ يعني : أرض مصر .

﴿أَسْكَنُوا الْأَرْضَ﴾ يعني : أرض الشام .

﴿لَفِيفًا﴾ أي : جميعًا مختلطين .

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ﴾ الضمير للقرآن ، و﴿بِالْحَقِّ﴾ معناه في الموضوعين : بالواجب من المصلحة والسداد .

وقيل : معنى الأول كذلك ، ومعنى الثاني : ضد الباطل ؛ أي : بالحق في أخباره وأوامره ونواهيه .

﴿وَفَرَّأْنَا فَرَقَّتُهُ﴾ انتصب بفعل مضمر يدل عليه ﴿فَرَقَّتُهُ﴾ ، ومعناه : بيناه وأوضحناه .

(١) في ج ، هـ : «كذبها» .

﴿عَلَىٰ مَكِّثٍ﴾ قيل : معناه على تمهلٍ وترتيل في قراءته .

وقيل : على طول مدة نزوله شيئًا فشيئًا من حين بعث النبي ﷺ إلى وفاته ، وذلك عشرون سنة ، وقيل : ثلاث وعشرون .

﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أمرٌ باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم ، كأنه يقول : سواء آمنتم أو لم تؤمنوا ؛ لأنكم لستم بحجة ، وإنما الحجة أهل العلم من قبله ، وهم المؤمنون من أهل الكتاب .

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ يعني : المؤمنين من أهل الكتاب .

وقيل : الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة ؛ كزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل .

والأول أظهر .

وهذه الجملة تعليلٌ لما تقدّم ، والمعنى : إن لم تؤمنوا به أنتم ، فقد آمن به من هو أعلم منكم .

﴿يَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي : لناحية الأذقان ، كقولهم : خرّ لليدين وللنم .

والأذقان : جمع ذَقْنٍ ، وهو أسفل الوجه حيث اللحية .

وإنما كرّر ﴿يَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ ؛ لأن الأول للسجود ، والثاني للبكاء .

﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ سببها : أن الكفار سمعوا رسول الله ﷺ

يدعو : «يا الله يا رحمن» ، فقالوا : كان محمد يأمرنا بدعاء إله واحد ، وها هو يدعو إليهن ! ، فنزلت الآية مبينة أن قوله : «الله أو الرحمن» اسمان لمسمى واحد ، وأنه مخيرٌ في الدعاء بأيّ الاسمين شاء .

والدعاء في الآية بمعنى التسمية ؛ كقولك : دعوت ولدي زيداً ، لا بمعنى النداء .

﴿أَيُّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿أَيُّ﴾ اسم شرط منصوب بـ ﴿تَدْعُوا﴾ ، والتنوين فيه عوضٌ من المضاف إليه ، و﴿مَا﴾ زائدة للتأكيد ، والضمير في ﴿لَهُ﴾ لله تعالى ، وهو المسمى ، لا الاسم .

والمعنى : أي هذين الاسمين تدعو فحسنٌ ؛ لأن الله له الأسماء الحسنى فوضع قوله : ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ موضع الجواب ، وهو في المعنى تعليل للجواب ؛ لأنه إذا حُنت أسماؤه كلها حُسن هذان الاسمان .

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ المخافته : هي الإسرار .

وسبب الآية : أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن في الصلاة ، فسمعه المشركون ، فسبوا القرآن ومن أنزله ، فأمر رسول الله ﷺ بالتوسط بين الإسرار والجهر ؛ لئسمع أصحابه الذين يصلون معه ، ولا يُسمع المشركين .

وقيل : المعنى : لا تجهر بصلاتك كلها ، ولا تخافت بها كلها ، واجعل منها سرّاً وجهراً ، حسبما أحكمته السنة .

وقيل : الصلاة هنا الدعاء .

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ أي : ليس له ناصر يمنعه من الذل ؛ لأنه تعالى عزيز ، فلا يفتقر إلى وليٍّ يحميه ، فنفى الولاية على هذا المعنى ؛ لأنه غني عنها ، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده .

وحكى الطبري أن قوله : ﴿لَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا﴾ ردُّ على النصارى واليهود ، الذين

نسبوا لله ولداً ، وقوله : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ﴾ ردُّ على المشركين ، وقوله : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ ردُّ على الصابئين في قولهم : لولا أولياء الله لذلَّ الله ، تعالى الله عن قولهم^(١) .

﴿وَكِبَرَهُ﴾ معطوف على ﴿قُلْ﴾ ، ويَحتمل هذا التكبير :

أن يكون بالقلب ؛ وهو التعظيم .

أو باللسان ؛ وهو أن يقول : «الله أكبر» مع قوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْخِذْ وَلَدًا﴾ الآية .

(١) انظر : تفسير الطبري (١٣٩/١٥) .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
﴿ سورة النساء ﴾	٥
﴿ سورة المائدة ﴾	١٣٨
﴿ سورة الأنعام ﴾	٢٤٠
﴿ سورة الأعراف ﴾	٣٢٩
﴿ سورة الأنفال ﴾	٤٣٨
﴿ سورة براءة ﴾	٤٧٣
﴿ سورة يونس <small>عليه السلام</small> ﴾	٥٣٦
﴿ سورة هود <small>عليه السلام</small> ﴾	٥٧٠
﴿ سورة يوسف <small>عليه السلام</small> ﴾	٦١٧
﴿ سورة الرعد ﴾	٦٦٦
﴿ سورة إبراهيم <small>عليه السلام</small> ﴾	٦٩١
﴿ سورة الحجر ﴾	٧١٢
﴿ سورة النحل ﴾	٧٣١
﴿ سورة الإسراء ﴾	٧٨٩

التَّسْهِيلُ لِمَعْلُومِ التَّنْزِيلِ

تَأْلِيفُ الْعَلَامَةِ الْمُفَسِّرِ أَبِي الْفَاسِي
مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جُرَيْجٍ السَّكَلِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْفِرْنَاطِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَقَبَّلَهُ فِي الشُّهُدَاءِ (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وَمَعَهُ تَفَرُّدَاتُ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَكَ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِمِ
عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمَشْكُوكَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالسُّلُوكِ

مُخَيِّقُ

عَلِيِّ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّبَّاحِيِّ
عُضُوهُنَا الْفَرِيدِينَ بِمَجْلَعِ الْفُرْقَانِ

المجلد الثالث
من الكف إلى المؤمن



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | صنع بطنجيه

التَّسْهِيلُ لِمَا لَمْ يَسْهَلْهُ الْعُلُومُ مِنَ التَّنْزِيلِ

تَأْلِيفُ الْعَلَامَةِ الْمُفَسِّرِ أَبِي الْفَاسِي
مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جُرَيْجٍ الْكَلْبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْغُرَنَاطِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَقَبَّلْهُ فِي الشُّهُدَاءِ - (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وَمَعَهُ تَقْرِيرَاتُ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَكَ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِهِ
عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمَشْكُوكَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالسَّلَوُكِ
تَحْقِيقُ

عَلِيٌّ بْنُ حَمْدٍ الصَّبَّاحِيِّ
عُضْوٌ مَهْنَرٌ النَّادِيَنِ بِجَامِعِ الْغُرَنَاطِيِّ

المجلد الثالث
مَرَّ الكَمَفِ إِلَى الْوُفِينِ



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم يرفع به

حقوق الطب مع محفوظات

الطبعة الأولى
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

0125562986 | yyy.01@hotmail.com



dar.taibaa



@dar.tg



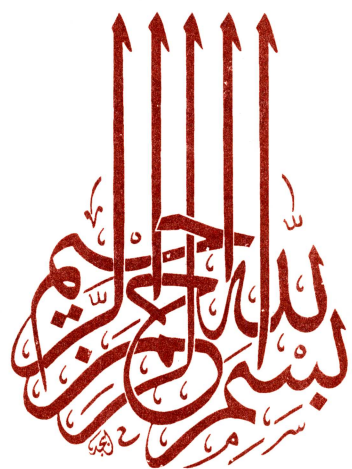
dar.taibagreen123



dar.taiba

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

0503568771 | 0550428992 | yyy.01@hotmail.com | 0125562986



﴿ سورة الكهف ﴾

[﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ﴿١﴾ فَيَمَّا لِيُذِيرَ بَأْسًا
شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ﴿٢﴾
مَتَكِّثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۖ ﴿٣﴾ وَيُذِيرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ
وَلَا لِأَبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بِخُجُ
نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُوْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۖ ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ
زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۖ ﴿٨﴾ أَمْ
حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ۖ ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى
الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۖ ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى
ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۖ ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا
أَمَدًا ۖ ﴿١٢﴾] .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ العبد هنا : هو النبي ﷺ ، ووصفه
بالعبودية تشريفًا له ، وإعلامًا باختصاصه وقربه .

والكتاب : القرآن .

﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ العوج بكسر العين : في المعاني التي لا تُحسُّ .

وبالفتح : في الأشخاص ، كالعصا ونحوها .

ومعناه: عدم الاستقامة، وقيل فيه هنا: معناه: لا تناقض فيه ولا خلل فيه.

وقيل: لم يجعله مخلوقاً.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿فَيَمَّا﴾ أي: مستقيماً.

وقيل: قيماً على الخلق بأمر الله تعالى.

وقيل: قيماً على سائر الكتب بتصديقها.

وانتصابه على الحال من ﴿الْكِتَابِ﴾، والعامل فيه ﴿أَنْزَلَ﴾.

ومنع الزمخشري ذلك؛ للفصل بين الحال وذي الحال، واختار أن العامل فيه فعل مضمر، تقديره: جعله قيماً^(١).

﴿لِيُنْذِرَ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾، أو بـ ﴿فَيَمَّا﴾، والفاعل به: ضمير الكتاب أو النبي ﷺ.

وبالأس: العذاب.

وحذف المفعول الثاني^(٢) - وهو الناس -، كما حذف المفعول الآخر من قوله: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ﴾...؛ لدلالة المعنى على المحذوف.

(١) انظر: الكشاف (٩/٤٠٤).

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية، ولعل صواب العبارة: «وحذف المفعول الأول»؛ إذ المفعول الثاني مذكور وهو (بأساً). انظر: المحرر الوجيز (٥/٥٦٣)، وحاشية الطيبي على الكشاف (٩/٤٠٧).

﴿مِنْ لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده، والضمير عائد على الله تعالى.

﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ يعني: الجنة.

﴿مَكْنِيَتٍ فِيهِ﴾ أي: دائمين، وانتصابه على الحال من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾.

﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ هم النصارى؛ بقولهم ^(١) في عيسى، واليهود في عزيز، وبعض العرب في الملائكة.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ الضمير عائد: على قولهم، أو على الولد.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ انتصب على التمييز، وقيل: على الحال.

ويعني بالكلمة قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، وعلى هذا يعود الضمير في ﴿كَبُرَتْ﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ﴾ أي: قاتلها بالحزن والأسف، والمعنى: تسلية النبي ﷺ عن عدم إيمانهم.

﴿عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ استعارةٌ فصيحة؛ كأنهم مِنْ فَرَطٍ إدبارهم قد بُعدوا، فهو يتبع آثارهم؛ تأسفاً عليهم.

وانتصب ﴿أَسْفًا﴾ على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه: ﴿بَخِيعٌ نَفْسِكَ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ يعني: ما يصلح للتزيين، كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك.

(١) في د: «لقولهم».

﴿لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي : لنختبرهم أيهم أزهد في زينة الدنيا .
 ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ المعنى : إخباراً بفناء الدنيا وزينتها .
 والصعيد : هو التراب ، والجُرُز : الأرض التي لا نبات فيها ؛ أي : سنُفني
 ما على الأرض من الزينة ، حتى تبقى كالأرض التي لا نبات فيها ، بعد أن
 كانت خضراء بهجة^(١) .

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ ﴿٩﴾ ﴿أَمْ﴾
 هنا استفهام ، والمعنى : أحسبت أنهم عَجَبٌ؟ ، بل سائر آياتنا أعظم منها
 وأعجب .

والكهف : الغار الواسع .

والرقيم : اسم كلبهم .

وقيل : هو لوح رُقِمت فيه أسماؤهم على باب الكهف .

وقيل : كتاب فيه شرعهم ودينهم .

وقيل : هو القرية التي كانت بإزاء الكهف .

وقيل : الجبل الذي فيه الكهف .

وقال ابن عباس : لا أدري ما الرقيم ! .

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ نذكر من قِصَّتْهم على وجه الاختصار ما
 لا غنى عنه ؛ إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة في كثير مما نقلوا :

(١) في د : «مبهجة» .

وذلك أنهم كانوا قومًا مؤمنين ، وكان ملكٌ بلادهم كافرًا يقتل كل مؤمن ، ففروا بدينهم ، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه ، ويختفوا من الملك وقومه ، فأمر الملك باتباعهم ، فانتهى المتبعون لهم إلى الغار فوجدوهم ، وعرفوا الملك بذلك ، فوقف عليه في جنده ، وأمر بالدخول إليهم ، فهاب الرجال ذلك وقالوا له : دعهم يموتوا جوعًا وعطشًا ، وكان الله قد ألقى عليهم نومًا ثقیلاً ، فبقوا على ذلك مدةً طويلةً ثم أيقظهم الله ، وظنوا أنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم ، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعامًا بدراهم كانت لهم ، فعجب منها البائع وقال : هذه الدراهم من عهد فلان الملك في قديم الزمان من أي جاءتك؟ ، وشاع الكلام بذلك في الناس ، وقال الرجل : إنما خرجت أنا وأصحابي بالأمس فأوينا إلى الكهف ، فقال : هؤلاء الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم ، فمشوا إليهم فوجدوهم موتى .

وأما موضع كهفهم :

فقليل : إنه بمقربة من فلسطين .

وقال قوم : إنه الكهف الذي بالأندلس بمقربة من لَوْشَة من جهة غرناطة ، وفيه موتى ومعهم كلب ، وقد ذكر ابن عطية ذلك ، وقال : إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد ، وقريب منهم بناء يقال له الرَّقِيم قد بقي بعض جُدُرَاتِهِ^(١) ، وروي أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دقيوس ، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها : مدينة دَقْيُوس ، والله أعلم .

(١) انظر : المحرر الوجيز (٥/ ٥٩٥) ، وقال بعد إيراد ذلك : «وإنما استسهلتُ ذكرَ هذا مع بُعْده ؛ لأنه عَجَبٌ يتخلَّد ذكره ما شاء الله ﷻ» .

ومما يُبعد ذلك : ما روي أن معاوية مرَّ عليهم وأراد الدخول إليهم ، ولم يدخل معاوية الأندلس قط ، وأيضًا فإن الموتى الذين في غار لُؤشَةَ يراهم الناس ، ولم يدرك أحدًا الرعب الذي ذكر الله في أصحاب الكهف .

﴿فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ﴾ عبارةٌ عن إلقاء النوم عليهم .

وقال الزمخشري : المعنى : ضربنا على آذانهم حجابًا ، ثم حذف هذا المفعول ^(١) .

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي : كثيرةٌ .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي : أيقظناهم من نومهم .

﴿لَنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لِسُوا أَمَدًا﴾ أي : لنعلم علمًا يظهر في الوجود ؛ لأن الله قد كان علم ذلك .

والمراد بالحزبين : الذين اختلفوا في الكهف في مدة لبثهم ، فالحزب الواحد : أصحاب الكهف ، والحزب الآخر : القوم الذين بعث الله أصحاب الكهف في مدتهم .

وقيل : إن الحزبين معًا أصحاب الكهف ؛ إذ كان بعضهم قد قال : ﴿لَيْسَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ، وقال بعضهم : ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُنَا﴾ .

و﴿أَحْصَىٰ﴾ فعل ماضٍ ، و﴿أَمَدًا﴾ مفعول به .

وقيل : ﴿أَحْصَىٰ﴾ اسم للتفضيل ، و﴿أَمَدًا﴾ تمييز ، وهذا ضعيف ؛ لأن «أفعلَ مِن» التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي ، إلا في الشاذ .

(١) انظر : الكشف (٩/٤١٦) .

[نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْسُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ الْفَهْمَ وَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾].

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: قوينا عزمهم، وألهمناهم الصبر.

﴿إِذْ قَامُوا﴾ يحتمل أن يريد:

قيامهم من النوم.

أو قيامهم بين يدي الملك الكافر، لما آمنوا ولم يبالوا به.

﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ أي: لو دعونا من دونه إلها لقلنا قولاً شططاً، والشطط: الجور والتعدي.

﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ تحضيض بمعنى التعجيز؛ أي: أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطابٌ من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ عطفٌ على المفعول في ﴿اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: تركتموهم وتركتم ما يعبدون.

﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: ما يعبدون من دون الله، و﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى «غير»، وهذا استثناء:

متصل إن كان قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره.

ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله.

وفي مصحف ابن مسعود: «وما يعبدون من دون الله».

﴿فَأَوْرَأَ إِلَى الْكَهْفِ﴾ هذا الفعل هو العامل في ﴿وَإِذِ اعْرَظْتُمْهُمْ﴾، والمعنى: أن بعضهم قال لبعض: إذ^(١) فارقنا الكفار فلنجعل الكهف لنا مأوى، وننتكل على الله؛ فإنه يرحمنا ويرفق بنا.

﴿مَرْفِقًا﴾ بفتح الميم وكسرها: ما يرفق به ويُنْتَفَع.

﴿وَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ﴾ قبل هذا الكلام^(٢) محذوف تقديره: فأوى القوم إلى الكهف، ومكنوا فيه، وضرب الله على آذانهم.

ومعنى ﴿تَزَاوَرُ﴾: تميل وتروغ.

ومعنى ﴿تَقَرَّبُ مِنْهُمْ﴾: تقطعهم؛ أي: تبعد عنهم، وهو من القرض بمعنى القطع.

وذاة اليمين والشمال^(٣): أي: جهته.

(١) في ب، ج، د، هـ: «إذا»، والمثبت أصوب، وموافق لما في المحرر الوجيز (٥/٥٧٧).

(٢) في هـ: «كلام».

(٣) في ب: «وذاة الشمال».

ومعنى الآية: أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها، ولا عند غروبها؛
لئلا يحترقوا بحرّها.

ف قيل: إن ذلك كرامةُ الله لهم، وخرقُ عادةٍ.

وقيل: كان باب الكهف شمالياً يستقبل بنات نعش^(١)، فلذلك لا تصيبهم
الشمس.

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾.

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أي: في موضع واسع، وذلك مُفْتَحٌ لإصابة
الشمس^(٢)، ومع ذلك حجبها الله عنهم.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرقُ
عادةٍ.

وإن كان لكون بابهم إلى الشمال؛ فالإشارة إلى أمرهم بجملته.



(١) بنات نعش: من الكواكب الشامية القريبة نجم القطب، وهي سبعة أنجم، أربعة منها
نعش؛ لأنها مربعة، قيل: شُبّهت بحمّلة النعش في تربيعها، وثلاثة بنات نعش.

انظر: كتاب الأنواء، لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، وتاج العروس (١٧/٤١٨).

(٢) عبارة الكشف (٩/٤٢٦): «مع أنهم كانوا في مكان واسع مُفْتَحٍ مُعَرَّضٍ لإصابة
الشمس».

[وَنَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالَ لَيْسَ إِلَّا يَوْمٌ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعَزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾].

﴿وَنَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أَيْقَاطًا: جمع يَقِيطُ، وهو المُنْتَبَه، كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون، فيحسبهم من يراهم أَيْقَاطًا.

وفي قوله: ﴿أَيْقَاطًا﴾ و﴿رُقُودٌ﴾ مطابقة، وهي من أدوات البيان.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي: نقليهم من جانب إلى جانب، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض، وكان هذا التقلب من فعل الله وملائكته، وهم لا ينتبهون من نومهم.

وروي أنهم كانوا يقبلون مرتين في السنة، وقيل: من سبع سنين إلى مثلها.

﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ قيل: إنه كان كلبًا لأحدهم يصيد به.

وقيل: كان كلبًا لراع، فمروا عليه فصحبهم، وتبعه كلبه.

وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي؛ لأنه حكاية حال.

﴿بِالْوَيْدِ﴾ أي: بباب الكهف، وقيل: عَتَبَتْه، وقيل: الفناء.

﴿وَلَمُلِّتْ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة.

وقيل: لطول أظافرهم وشعورهم، وعِظَم أجرامهم.

وقيل: لوحشة مكانهم.

وعن معاوية أنه غزا الروم فمرَّ بالكهف، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس: لا تستطيع ذلك، قد قال الله لمن هو خير منك: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، فبعث ناسًا إليهم، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحًا فأحرقتهم.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ أي: كما أنماهم كذلك بعثناهم؛ ليسأل بعضهم بعضًا، واللام في ﴿لِيَتَسَاءَلُوا﴾ لام الصيرورة.

﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسْتُمْ﴾ هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة، فأنكر على من قال: ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ولكنه لم يعلم مقدارها؛ فأسند علمها إلى الله.

﴿فَاذْكُرُوا أَهْلَكُمْ بِرِزْقِكُمْ﴾ الورد: الفضة، وكانت دراهم تزودها حين خروجهم إلى الكهف.

ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه.

ويستدل ببعث أحدهم على جواز الوكالة.

فإن قيل: كيف اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم؟

فالجواب : أنهم كأنهم قالوا : ربكم أعلم بما لبثتم ، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك ، فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم ، فابعثوا أحدكم .

﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ قيل : إنها طَرَسُوسُ .

﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾ قيل : أكثر ، وقيل : أحلُّ .

وروي : أنه أراد شراء زبيب ، وقيل : تمر .

﴿وَلَيْسَ لَطْفٌ﴾ أي : في اختفائه وتحيله .

﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي : إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة .

وقيل : معنى ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ : بالقول .

والأول أظهر .

﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي : كما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم .

﴿لِيَعْلَمُوا﴾ الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف ؛ أي : أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة ؛ ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور .

﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ : ﴿أَغْتَرْنَا﴾ ، أو مضمرة تقديره : اذكر .

والمتنازعون : هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف ، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء ؟ .

وقيل : تنازعوا هل تحشر الأجساد، أو الأرواح بالأجساد؟، فأراهم الله حال أصحاب الكهف؛ ليعلموا أن الأجساد تحشر.

﴿فَقَالُوا أَبْنَاؤُا عَلَيْهِمُ بَنِينًا﴾ أي : على باب كهفهم ، إما ليطمس أثرهم ^(١) ، وإما ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخذ تربتهم تبرُّكا .
وإما ليكون علما على كهفهم يعرف ^(٢) به .

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ قيل : يعني الولاة .

وقيل : يعني المسلمين ؛ لأنهم كانوا أحقَّ بهم من الكفار ، فبنوا على باب الكهف مسجدا لعبادة الله .

﴿سَيَقُولُونَ﴾ الضمير لمن كان في زمان النبي ﷺ من اليهود ، أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف .

﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي : ظنا ، وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمي .

﴿سَبْعَةٌ وَاتَمَّنتُ مِنْهُمْ كَلِمَةً﴾ قال قوم : إن الواو واو الثمانية ؛ لدخولها هنا ، وفي قوله : ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة : ٧] ، وفي قوله في أهل الجنة : ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر : ٧٣] ، وفي قوله في «براءة» : ﴿وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة : ١١٢] .

وقال البصريون : لا تثبت واو الثمانية ، وإنما الواو هنا كقوله : جاء زيد وفي يده سيف .

(١) في ج : «آثارهم» .

(٢) في د : «ليُعرف» .

قال الزمخشري: وفائدتها التوكيد، والدلالة على أن الذين قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ صدقوا وأخبروا بحق، بخلاف الذين قالوا: ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، والذين قالوا: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾^(١).

وقال ابن عطية: دخلت الواو في آخر إخبار عن عددهم؛ لتدل على أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصحَّ الكلام^(٢).

وكذلك دخلت السين في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ﴾ الأول، ولم تدخل في الثاني والثالث؛ استغناء بدخولها في الأول.

﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: لا يعلم عدَّتَهُمْ إِلَّا قليل من الناس، وهم من أهل الكتاب.

وقال ابن عباس: «أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم»^(٣)؛ لأنه قال في الثلاثة والخمسة: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، ولم يقل ذلك في ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهَرًا﴾ ﴿فَلَا تُمَارِ﴾: من المراء؛ وهو الجدل والمخالفة والاحتجاج.

ومعنى الآية: لا تمار أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف إِلَّا مراء ظاهراً؛ أي: غير متعمق فيه، من غير مبالغة ولا تعنيف في الرد عليهم.

(١) انظر: الكشف (٩/ ٤٤٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥٨٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٠).

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي : لا تسأل أحداً من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف ؛ لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يغنيك عن السؤال .



[وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً ۖ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۖ (٢٤) وَلِئِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۖ (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِئِثُوا لَهُمْ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ (٢٦) وَأَنْذِرْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۖ (٢٧) وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَظِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۖ (٢٨) وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۖ (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَذْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمُ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۖ (٣١)] .

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً ۖ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ سببها : أن قريشاً سألوا اليهود عن أمر رسول الله ﷺ، فقالوا لهم : أسألوهم عن فتية ذهبوا في الزمان الأول، وهم أصحاب الكهف، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وهو ذو القرنين، وعن الروح؛ فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي، فسألوهم فقال : «عَدَاً أخبركم»، ولم يقل : «إن شاء الله»، فأمسك عنه الله الوحي خمسة عشر يوماً، فأوجف به كفار قريش وتكلموا في ذلك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ثم جاءه جبريل بسورة الكهف، فقص

عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذوي القرنين^(١)، وأنزل عليه هذه الآية؛ تأديباً له وتعليماً، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل.

وقوله: ﴿غَدَاً﴾ يريد به الزمان المستقبل، لا اليوم الذي بعد يومه خاصة.

وفي الكلام حذف يقتضيه المعنى، وتقديره: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن تقول: «إن شاء الله»، أو تقول: «إلا أن يشاء الله». والمعنى: أن يعلّق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته، ويبرأ هو من الحول والقوة.

وقيل: إن قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يتعلّق بقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾، والمعنى: لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله؛ بأن يأذن لك فيه، فالمشيئة - على هذا - راجعة إلى القول، لا إلى الفعل، ومعناها: إباحة القول بالإذن فيه، حكى هذا الزمخشري^(٢)، وحكاه ابن عطية، وقال: إنه من الفساد بحيث كان الواجب أن لا يُحكى^(٣).

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال ابن عباس: الإشارة بذلك إلى الاستثناء؛ أي: استثنى بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولاً، وذلك على مذهبه في أن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٣/١٥).

(٢) انظر: الكشف (٤٤٩/٩).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٥٩٠/٥).

وأما مذهب مالك والشافعي : فإنه لا ينفع إلا إن كان متصلاً باليمين .

وقيل : معنى الآية : اذكر ربك إذا غضبت .

وقيل : اذكره إذا نسيت شيئاً ؛ ليذكرك ما نسيت .

والظاهر : أن المعنى : اذكر ربك إذا نسيت ذكره ؛ أي : ارجع إلى الذكر متى غفلت عنه ، واذكره في كل حال ، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه »^(١) .

﴿ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ هذا كلامُ أمر النبي ﷺ أن يقوله ، والإشارة بـ ﴿ هَذَا ﴾ إلى خبر أصحاب الكهف ؛ أي : عسى أن يؤتيني الله من الآيات والحجج ما هو أعظم في الدلالة على نبوتي من خبر أصحاب الكهف .

واللفظ يقتضي أن المعنى : عسى أن يوفقني^(٢) الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خبر أصحاب الكهف وأقرب إلى الله .

وقيل : إن الإشارة بـ ﴿ هَذَا ﴾ إلى المنسي ؛ أي : إذا نسيت شيئاً فقل : عسى أن يهديني الله إلى شيء آخر هو أرشد من المنسي .

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ في هذا قولان :

أحدهما : أنه حكاية عن أهل الكتاب ؛ يدل على ذلك ما في قراءة ابن مسعود : « وقالوا لبثوا في كهفهم » ، وهو معطوف على ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً ﴾ ،

(١) أخرجه مسلم (٣٧٣) .

(٢) في د : « يؤتيني » .

فقلوه : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُثُو﴾ رَدُّ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْعَدَدِ الْمُحَكِّي عَنْهُمْ .

القول الثاني : أنه من كلام الله تعالى ، وأنه بيان لما أجمل في قوله : ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ، ومعنى قوله : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُثُو﴾ - على هذا - : أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم ، وقد أخبر بمدة لبثهم ، فأخبره هو الحق ؛ لأنه أعلم من الناس ، فكأن قوله : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ احتجاج على صحة ذلك الإخبار .

وانتصب ﴿سِنِينَ﴾ :

على البدل من ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ ، أو عطف البيان .

أو على التمييز .

وذلك على قراءة التنوين في ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ .

وقرئ بغير تنوين : على الإضافة ، ووضع الجمع موضع المفرد .

﴿أَبْصُرْ بِهِ، وَأَسْمَعْ﴾ أي : ما أبصره وما أسمعته ؛ لأن الله يدرك الخفيات كما يدرك الجليات .

﴿مَا لَهُمْ﴾ الضمير : لجميع الخلق ، أو للمعاصرين للنبي ﷺ .

﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ هو خبر ؛ على القراءة بالياء والرفع .

وقرئ بالتاء والجزم ؛ على النهي .

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِالْكَلِمَاتِ هُنَا :

القرآن ؛ فالمعنى : لا يبدِّل أحد القرآن ولا غيره .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالْكَلِمَاتِ : الْقَضَاءُ وَالْقَدْرُ .

﴿مُلْتَحَاً﴾ أي : ملجأً تميل إليه .

﴿وَأَصِيرَ نَفْسَكَ﴾ أي : احبسها صابراً .

﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ هم فقراء المسلمين ، كبلال وصهيب وخباب ، وكان الكفار قد قالوا له : اطرده هؤلاء نجالسك نحن ، فنزلت الآية .

﴿بِالْفَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ﴾ قيل : المراد الصلوات الخمس .

وقيل : الدعاء على الإطلاق .

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي : لا تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا ، قال الزمخشري : يقال عداه : إذا جاوزه ، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف ، وإنما تعدى هنا بـ «عن» ؛ لأنه تضمن معنى : نَبَتْ عينه عن الرجل : إذا احتقره^(١) .

﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ جملة في موضع الحال ، فهي متصلة بما قبلها ، وهي في معنى تعليل لفعل المنهي عنه في قوله : ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ ؛ أي : لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا .

﴿أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُ﴾ أي : جعلناه غافلاً ، أو وجدناه غافلاً .

وقيل : إنه يعني عيينة بن حصن الفزاري ، والأظهر : أنها مطلقة من غير تعيين .

(١) انظر : الكشف (٩/ ٤٦٠) .

﴿فُرُطًا﴾ من التَّفْرِيط والتضييع، أو من الإفراط والإسراف.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: هذا هو الحق.

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾ لفظه: أمرٌ وتخيير، ومعناه: أن الحق قد ظهر، فيختارُ كل إنسان لنفسه؛ إما الحق الذي ينجيهِ، أو الباطل الذي يهلكه، ففي ضمن ذلك تهديدٌ.

﴿سُرَادِقُهَا﴾ السُّرداق في اللغة: ما أحاط بالشيء، كالسُّور والجدار.

وأما سرادق جهنم: فقليل: حائط من نار، وقيل: دخان.

﴿كَالْمُهْلِ﴾ هو دُرْدِيُّ الزيت إذا انتهى حرُّه، روي ذلك عن النبي ﷺ^(١).

وقيل: ما أذيب من الرِّصاص وشبهه.

﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي: شيئًا يرتفق به؛ فهو من الرِّفْق^(٢).

وقيل: يُرْتَفَق عليه؛ فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضٌ.

ويجوز أن يكونا خبرين.

أو يكون ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ الخبر، و﴿أُولَئِكَ﴾ كلام مستأنف، ويقوم العموم في قوله: ﴿مَنْ أَحْسَنَ﴾ مقام الضمير الرابط، أو يقدر: من أحسن عملاً منهم.

(١) أخرجه أحمد (١١٦٧١)، والترمذي (٢٥٨١).

(٢) في أ، ب، هـ زيادة: «به»، والمثبت موافق لما في تفسير الطبري (٢٥٣/١٥).

وروي أن النبي ﷺ قال: «إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ﷺ»^(١).

﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع أسوار، أو سوار، وهو ما يجعل في الذراع.

وقيل: أساور جمع أسورة، وأسورة جمع سوار.

﴿مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: الغليظ منه.

﴿الْأَرَايِكَ﴾ الأسرة والفرش.



(١) أخرج أبو جعفر النحاس بإسناده في معاني القرآن (٢٣٥): «عن البراء بن عازب قال: قدم أعرابي إلى رسول الله ﷺ في حجة الوداع والنبي واقف بعرفات على ناقته الصهباء، فقال: إني رجل متعلم فأخبرني عن قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾؟ قال النبي ﷺ: «يا أعرابي ما أنت منهم ببعيد وما هم منك ببعيد هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف معي، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فأعلم قومك أن هذا الآية نزلت في هؤلاء الأربعة»، وذكره السهيلي بإسناده إلى أبي جعفر النحاس في التعريف والإعلام (ص: ١٨٤).

[﴿٢٧﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٢٨﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَاقَهُمَا نَهْرًا ﴿٢٩﴾ وَكَانَ لَمْ شَرٌّ فَقَالَ لِمَصْحَبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٠﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣١﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٢﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٣﴾ لَّيْسَ أَهْوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٤﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٥﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٣٦﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٣٧﴾ وَأُحِيط بِشَرِّهِ فَاَصْبَحَ يَبْلُغُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٣٩﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٠﴾] .

﴿وَأَضْرِبْ لَهُم﴾ الضمير: للكفار الذين قالوا: اطردهم فقراء المسلمين، وللفقراء الذين أرادوا طردهم؛ أي: مثل هؤلاء وهؤلاء كمثلي هذين الرجلين. وهما أخوان من بني إسرائيل، أحدهما مؤمن، والآخر كافر، ورثا مالا عن أبيهما، فاشترى الكافر بماله جنتين، وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى افتقر، فعيّره الكافر بفقره، فأهلك الله مال الكافر.

وروي أن اسم المؤمن تملیخا، واسم الكافر فوطس.

وقيل: كانا شريكين اقتسما المال، فاشترى أحدهما بماله جنتين، وتصدق الآخر بماله.

﴿أَكْلَهَا﴾ بضم الهمزة: اسم المأكول، ويجوز ضم الكاف وإسكانها.
 ﴿وَلَمْ تَظَلِمِ﴾ أي: لم تنقص.

﴿وَكَاثَ لَمْ تُثْمِرْ﴾ بضم الثاء والميم: أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، قاله ابن عباس وقتادة.
 وقيل: هو الذهب والفضة خاصة.

وهو من ثمر ماله: إذا كثره، ويجوز إسكان الميم تخفيفاً.
 وأما بفتح الثاء والميم: فهو المأكول من الشجر، ويحتمل المعنى الآخر.

﴿يُحَاوِرُهُ﴾ أي: يراجعه في الكلام.
 ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني: الأنصار والخدم.
 ﴿وَدَخَلَ جَنَّتُهُ﴾ أفرد الجنة هنا؛ لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين؛ إذ لا يمكن دخول الجنتين معاً في دفعة واحدة.
 ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ إما بكفره، أو بمقالته لأخيه؛ فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه.

﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ يحتمل أن تكون الإشارة:
 إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات، فيكون قائلاً ببقاء هذا الوجود، كافرًا بالآخرة.

أو تكون الإشارة إلى جنته، فيكون قوله إفراطاً في الاغترار وقلة التحصيل.

﴿وَلَيْنُزِيدَتْ إِلَىٰ رَبِّي﴾ أي: إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير، كما يزعم أخي، لأجدن في الآخرة خيراً من جنتي في الدنيا.

وقرئ ﴿خَيْرًا مِّنْهُمَا﴾ بضمير الاثنين للجنيتين، وبضمير الواحد للجنة.

﴿مُقَلَّبًا﴾ أي: مرجعاً.

﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي: خلق منه أباك آدم، وإنما جعله كافراً بالله؛ لشكّه في البعث.

﴿سَوَّكَ رَجُلًا﴾ كما تقول سَوَّكَ إنساناً.

ويحتمل أن قَصَدَ الرجولية على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أنثى.

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ الجمهور بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل، والأصل على هذا: «لكن أنا»، ثم أُلقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفت، ثم أدغمت النون في النون.

وقرأ ابن عامر بإثبات الألف في الوصل والوقف، ويتوجه ذلك: بأن تكون «لكن» لحقتها نون الجماعة التي في «خرجنا» و«ضربنا»، ثم أدغمت النون في النون.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ﴾ الآية؛ وصية من المؤمن للكافر، و«لولا» تحضيض.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ يحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة.

﴿حُسْبَانًا﴾ أي: أمراً مهلكاً، كالحرّ والبرد ونحو ذلك.

﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الصعيد: وجه الأرض، والزَلَق: الذي لا يثبت فيه قدم،
يعني: أنه تذهب أشجاره ونباته.

﴿غَوْرًا﴾ أي: غائرًا ذاهبًا، وهو مصدر وصف به.

﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ عبارة عن هلاكها^(١).

﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ يريد: أن السُّقُف وقعت وهي العروش، ثم
تهدّمت الحيطان عليها، فالحيطان على العروش.

وقيل: إن كرومها المعروشة سقطت عروشها، ثم سقطت الكروم عليها.

﴿وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَشْرِكُ﴾ قال ذلك:

على وجه التمني لِمَا هَلَكَ بستانه.

أو على وجه التوبة من الشرك.

﴿هُنَالِكَ﴾ ظرفٌ يحتمل:

أن يكون العامل فيه ﴿مُنْصَرًّا﴾.

أو يكون في موضع خبر ﴿الْوَلِيَّةُ﴾.

﴿الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ﴾ بكسر الواو: بمعنى الرياسة والملك، وبفتحها: من
الموالاتة والمودة.

﴿وَحَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: عاقبة.

(١) في ب: «إهلاكها».

[﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا ﴿٤٩﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ تُسْجَرُ السُّجُرُودُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ يَعْلَمُوا مَنْهُمْ أَحَدًا ﴿٥٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٥٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوبِلُنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٦١﴾﴾].

﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ الباء سببية، والمعنى: صار به النبات مختلطاً؛ أي: ملتقاً بعضه ببعض من شدة تكاثفه.

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ أي: متفتتاً، و﴿أَصْبَحَ﴾ هنا بمعنى «صار».

﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ أي: تفرقه، ومعنى المثل: تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزرع في فنائها بعد خضرته.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ الآية؛ هذا من الجمع بين شيئين في خبر واحد، وذلك من أدوات البيان.

وقرئ: «زينا» بالثنية؛ لأنه خبر عن اثنين، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة؛ لأنها مصدر.

﴿وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ﴾ هي: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» هذا قول الجمهور، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ^(١).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/٦٩٤)، (١/٧٢٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٨٨).

وقيل : الصلوات الخمس .

وقيل : الأعمال الصالحات على الإطلاق .

﴿نُسِرَ الْجِبَالُ﴾ أي : نحملها ، ومنه قوله : ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل : ٨٨]
وبعد ذلك تصير هباءً .

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي : ظاهرة ؛ لزوال الجبال عنها .

﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ قال الزمخشري : إنما جاء ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ بلفظ الماضي بعد
قوله : ﴿نُسِرَ﴾ ؛ للدلالة على أن حشرهم قبل تسيير الجبال ؛ ليعاينوا تلك
الأحوال ^(١) .

﴿فَلَمْ تُغَادِرْ﴾ أي : لم تترك .

﴿صَفًّا﴾ أي : صفوفًا ، فهو أفراد تَنَزَّلَ منزلة الجمع ، وقد جاء في
الحديث : «إن أهل الجنة مئة وعشرون صفًا ، أنتم منها ثمانون صفًا» ^(٢) .

﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ .

﴿وَكَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي : حفاة عراة عُرُلًا .

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني : صحائف الأعمال ، ف ﴿الْكِتَابُ﴾ اسم جنس .

(١) انظر : الكشف (٩/ ٤٩٠) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٢٨) .

[وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَلَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥١﴾ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥٢﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٣﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٤﴾].

﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ كلام مستأنف، جرى مجرى التعليل لإبابة إبليس عن السجود، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إبليس لم يكن من الملائكة، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع؛ فإن الجن صنف غير الملائكة.

وقد يجيب عن ذلك من قال: إنه كان من الملائكة:

بأنَّ ﴿كَانَ﴾ هنا بمعنى «صار»؛ أي: خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن.

أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن، وهم الذين خُلِقُوا من نار. ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عما أمره^(١) به، والفسق في اللغة: الخروج.

﴿أَفَلَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ هذا توبيخ ووعظ، وذرية إبليس: هم الشياطين، واتخاذهم أولياء: بطاعتهم في عصيان الله والكفر به.

﴿مَا أَشْهَدُهُمْ﴾ الضمير:

للشياطين على وجه التحقير لهم.

(١) في أ، ب: «أمر».

أو للكفار.

أو لجميع الخلق، فيكون فيه ردٌّ على المنجِّمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرِّصة.

﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي: مُعِينًا، ومعنى ﴿الْمُضِلِّينَ﴾: الذين يُضِلُّون العباد، وذلك يقوِّي أن المراد الشياطين.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم، وقد بيَّن هذا بقوله: ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾.

﴿مَوْبِقًا﴾ أي: مَهْلِكًا، وهو اسم موضع، أو مصدر من: وَبَقَ الرجل: إذا هَلَكَ.

وقد قيل: إنه وادٍ من أودية جهنم.

والضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾: للمشركين وشركائهم.

﴿فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَافِعُوهَا﴾ الظنُّ هنا بمعنى اليقين.

﴿مَصْرَفًا﴾ أي: مَعْدِلًا ينصرفون إليه.



[وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَجَعَلْنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْبِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾].

﴿جَدَلًا﴾ أي: مخاصمة ومدافعة بالقول، ويقتضي سياق الكلام ذمَّ الجدل.

وسببها فيما قيل: مجادلة النضر بن الحارث، على أن الإنسان^(١) يراد به الجنس.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ الآية؛ معناها: أن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة، وهي الإهلاك في الدنيا، أو يأتيهم العذاب؛ يعني: عذاب الآخرة. ومعنى ﴿قُبُلًا﴾: معاينة.

وقرئ بضميتين، وهو جمع قبيل؛ أي: أنواعًا من العذاب.

(١) في دزيادة: «هنا».

﴿لِيَذْحِصُوا﴾ أي: يبطلوا.

﴿وَمَا أَنْذِرُوا﴾ يعني: العذاب.

و«ما»: موصولة، والضمير محذوف تقديره: أنذروه، أو مصدرية.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ هذه عقوبة على الإعراض المحكي عنهم، أو تعليل له.

والأكنة: جمع كنان وهو الغطاء، والوقر: الصمم، وهما على وجه الاستعارة في قلة فهمهم للقرآن، وعدم استجابتهم للإيمان.

﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا﴾ يراد به: من قضى الله أنه لا يؤمن.

﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمُ﴾ الضمير: لكفار قريش، أو لسائر الناس، كقوله: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾ [النحل: ٦١]، والجملة خبر المبتدأ، و﴿الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر؛ توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذه. ويحتمل أن يكون ﴿الْغَفُورُ﴾ هو الخبر، و﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمُ﴾ بيان لمغفرته ورحمته.

والأول أظهر.

﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ قيل: هو الموت، وقيل: عذاب الآخرة، وقيل: يوم بدر.

﴿مَوْبِلًا﴾ أي: منجى، يقال: وأل الرجل: إذا نجى^(١).

(١) في أ: «أي: ملجأ». لجأ: وهما بمعنى واحد. تفسير الطبري (١٥٣٠٤/١)، والكشاف (٥٠٣/٩).

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ يعني: عادًا وثمودًا وغيرهم من المتقدمين.

والمراد: أهل القرى؛ ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾.

وفي ضمن هذا الإخبار تهديدًا لكفار قريش.

﴿وَجَعَلْنَا لِمُهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ أي: وقتًا معلومًا، والمُهْلِكُ هنا - بضم الميم وفتح اللام - اسم مصدر من «أهلك»، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول؛ لأن الفعل متعدّد.

وقرئ بفتح الميم، من «هَلَك»، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل.



[وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلُهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْنَهُ إِنَّا غَدَاؤُنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾] .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ﴾ هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر، وهو موسى بن عمران نبي الله .

وقال قوم: هو موسى آخر، وذلك باطل، رده ابن عباس وغيره، ويدل الحديث على بطلانه .

وفناه: هو يوشع بن نون، وهو ابن أخت موسى، وهو من ذرية يوسف عليه السلام، والفتى هنا: بمعنى الخديم .

وسبب القصة فيما روي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: أن موسى عليه السلام خطب يوماً في بني إسرائيل، ف قيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال: لا، فأوحى الله إليه بل ^(١) عبدنا الخضر أعلم منك، فقال: يا رب دلني على السبيل إلى لقائه، فأوحى الله إليه أن يحمل حوتاً في مكتل ويسير بطول سيف

(١) في ب، د: «بلى».

البحر حتى يبلغ مجمع البحرين ، فإذا فقد الحوت فإن الخضر هناك ، ففعل موسى ذلك حتى لقيه^(١) .

﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ قال موسى هذا الكلام وهو سائر أي : لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين ، فحذف خبر ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ اختصاراً ؛ لدلالة المعنى عليه .

ومعنى ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ هنا : لا أزال ؛ لأن حقيقة «لا أبرح» تقتضي الإقامة في الموضع ، وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة .

﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ : عند طَنْجَة ، حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه ، وهو بحر الأندلس .

وقيل : هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق .

﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي : زماناً طويلاً ، والحُقْب - بضم القاف وإسكانها - ثمانون سنة .

وقيل : زمان غير محدود .

وقيل : هو جمع حُقْبَة ، وهي السنة .

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ الضمير في ﴿بَلَغَا﴾ لموسى وفتاه ، والضمير في ﴿بَيْنَهُمَا﴾ للبحرين .

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسب النسيان إليهما ، وإنما كان النسيان من الفتى وحده ، كما تقول : فعل بنو فلان كذا : إذا فعله واحد منهم .

(١) أخرجه البخاري (١٢٢) ، ومسلم (٢٣٨٠) .

وقيل: نسي الفتى أن يقدمه، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء.

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ فاعل ﴿اتَّخَذَ﴾: الحوت، والمعنى: أنه سار في البحر:

ف قيل: إن الحوت كان ميتًا مملوحًا، ثم صار حيًا بإذن الله، ووقع في الماء فسار فيه، وقال ابن عباس: إنما حيي الحوت؛ لأنه مسّه ماء عين يقال لها: عين الحياة، ما مست قط شيئًا إلا حيي، وفي الحديث: أن الله أمسك جرّية الماء عن الحوت فصار مثل السّرْب^(١)، وهو المسلك في جوف الأرض، وذلك معجزة لموسى عليه السلام.

وقيل: اتخذ الحوت سبيله في البر سرَبًا حتى وصل إلى البحر، فعام على العادة. ويردّ هذا ما ورد في الحديث.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي: جاوزا الموضع الذي وصف له، وهو الصخرة التي نام عندها فسار^(٢) الحوت في البحر بينما كان موسى نائمًا، وكان ذهاب الحوت أمانة لقائه للخضر، فلما استيقظ موسى أصابه الجوع، فقال لفتاه: ﴿ءَاَيْنَا غَدَاءَنَا﴾.

﴿نَضَبًا﴾ أي: تعبًا.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ قال الزمخشري: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ هنا بمعنى: أخبرني، ثم قال: فإن قلت: ما وجه التثام هذا الكلام؛ فإن كل واحد من ﴿أَرَأَيْتَ﴾ و﴿إِذْ أَوَيْنَا﴾ و﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ لا متعلق له؟.

(١) أخرجه البخاري (٧٤)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) في ب، ج، د: «فصار».

فالجواب : أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه ، وما اعتراه ومن نسيانه فذهش ، فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك ، فكأنه قال : رأيت ما دهاني إذ أويينا إلى الصخرة ، فإني نسيت الحوت ، فحذف بعض الكلام^(١) .

﴿نَسِيتُ الْحَوْتَ﴾ أي : نسيتُ أن أذكر لك ما رأيت من ذهابه في البحر ، فتقديره : نسيتُ ذكرَ الحوت .

﴿أَنْ أَذْكُرُ﴾ بدلٌ من الهاء في ﴿أَنْسَانِيهِ﴾ ، وهو بدل اشتمال .

﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ يحتمل أن يكون هذا : من كلام يوشع ، أي : اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا للناس . أو يكون إخبارًا من الله تعالى :

أي : اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا للناس .

أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبًا ؛ أي : تعجب هو منه .

وإعراب ﴿عَجَبًا﴾ : مفعول ثانٍ لـ ﴿اتَّخَذَ﴾ ، مثل ﴿سَرِيًّا﴾ .

وقيل : إن الكلام تمَّ عند قوله : ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ ، ثم ابتدأ التعجب فقال : ﴿عَجَبًا﴾ ، وذلك بعيد .

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ أي : فقد الحوت هو ما كنا نطلب ؛ لأنه أمارَةٌ على وجدان الرجل .

﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي : رجعا في طريقهما يقصّان أثرهما

(١) انظر : الكشف (٩/ ٥١١ - ٥١٢) .

الأول؛ لثلا يخرجنا عن الطريق.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ هو الخضر.

﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾ يعني النبوة على قول من قال: إن الخضر نبيٌّ.

وقيل: إنه ليس بنبيٍّ، ولكنه وليٌّ.

وتظهر نبوته من هذه القصة؛ لأنه فعل أشياء لا يعملها إلا بوحي.

واختلف أيضًا هل مات أو هو حيٌّ إلى الآن؟ ويذكر كثيرٌ من الصُّلحاء أنهم يرونه ويكلمهم.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ في الحديث: أن موسى وجد الخضر مسجى بثوبه فقال: السلام عليك، فرفع رأسه وقال: وأنتى بأرضك السلام؟، قال له: من أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أو لم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا؟ قال: بلى، ولكنني أحببت لقاءك وأن أتعلّم منك، قال: إني على علم من علم الله علّمنيّه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علّمكهُ لا أعلمه أنا^(١).

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ الآية؛ مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع، وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلّم منه.

﴿رُشْدًا﴾ قرئ: بضم الراء وإسكان الشين، وبفتحهما، والمعنى واحد.

وانتصب على أنه: مفعول ثانٍ بـ ﴿تُعَلِّمَن﴾، أو حال من الضمير في ﴿أَتَّبِعُكَ﴾.

(١) أخرجه البخاري (٧٤)، ومسلم (٢٣٨٠).

[فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا ثَكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِجْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٧﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَاذْبَأْنَا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْنَا لَنَخَذَتْ عَلَيْهِ آجْرًا ﴿٧٨﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٩﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٨٠﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨١﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨٢﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٣﴾].

﴿فَانْطَلَقَا﴾ الضمير لموسى والخضر.

وفي الحديث: «أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر، حتى مرت بهما سفينة، فعرفها الخضر فحُمِلَا فيها بغير نَوَلٍ^(١)؛ أي: بغير أجرة^(٢)».

﴿خَرَقَهَا﴾ روي أن الخضر أزال لوحين من ألواحها.

﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عظيمًا، وقيل: منكرًا.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في القاموس المحيط من معاني التَّوَل: أجرة السفينة خاصة.

﴿فَانْطَلَقَا﴾ يعني: بعد نزولهما من السفينة، فمراً بغلمان يلعبون، وفيهم غلام وضيء الصورة، فاقتلع الخضر رأسه.
وقيل: ذبحه.

وقيل: أخذ صخرة فضرب بها رأسه.

والأول هو الصحيح؛ لوروده في الحديث الصحيح^(١).

وروي أن اسم الغلام جَيْسُور - بالجيم -، وقيل: بالحاء المهملة.

قال الزمخشري: إن قلت: لم قال: ﴿خَرَقَهَا﴾ بغير فاء، وقال: ﴿فَقَتَلَهُ﴾ بالفاء؟.

فالجواب: أن ﴿خَرَقَهَا﴾ جواب الشرط، و﴿قَتَلَهُ﴾ من جملة الشرط معطوف عليه، والجزاء: ﴿قَالَ أَقْتَلْتَ﴾.

فإن قلت: لم خولف بينهما؟

فالجواب: أن خَرَقَ السفينة لم يتعقَّب الركوب، وقد تعقَّب القتلُ لقاء الغلام^(٢).

﴿نَفْسًا زَاكِيَةً﴾ قيل: إنه كان لم يبلغ، فمعنى ﴿زَاكِيَةً﴾ ليس له ذنب.

وقيل: إنه كان بالغاً، ولكنه لم ير له الخضر ذنباً.

﴿بِعَايِرِ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان قد قتل نفساً لم يكن بقتله بأسٌ على وجه

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: الكشف (٩/ ٥٢٢).

القصاص، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغاً؛ فإن غير البالغ لا يُقتل وإن قتل نفساً.

﴿شَيْئًا نُّكَرًا﴾ أي: منكرًا، وهو أبلغ من قوله: ﴿إِمْرًا﴾، ويجوز ضم الكاف وإسكانها.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ﴾ بزيادة ﴿لَّكَ﴾، فيه من الزجر والإغلاط ما ليس في قوله أولاً: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿بَعْدَهَا﴾ الضمير للقصة، وإن لم يتقدم لها ذكرٌ، ولكن سياق الكلام يدل عليها.

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: قد أعذرت إليّ، فأنت معذور عندي.

وفي الحديث: «كانت الأولى من موسى نسياناً»^(١).

﴿أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قيل: هي أنطاكية.

وقيل: برقة.

وقال أبو هريرة وغيره: هي بالأندلس، ويذكر أنها الجزيرة الخضراء، وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة.

﴿أَسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا﴾ أي: طلبا منهم طعاماً.

﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ أي: يسقط، وإسناده الإرادة إلى الجدار مجاز، ومثل ذلك كثير في كلام العرب، وحقيقته: أنه قارب أن ينقض.

(١) تقدم تخريجه.

ووزن ﴿يَنْقُضُ﴾ يَنْفَعِلُ ، وقيل : يَفْعَلُ - بالتشديد - كِيَحْمَرُ .

﴿فَأَقَامَهُ﴾ قيل : إنه هدمه ثم بناه ، وقيل : مسح بيده وأقامه فقام .

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي : قال موسى للخضر : لو شئت لاتخذت عليه أجراً ؛ أي : طعاماً نأكله .

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ إنما قال له هذا ؛ لأجل شرطه في قوله : ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْنِئْهُ﴾ ، على أن قوله : ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ليس بسؤال ، ولكن في ضمنه أمرٌ بأخذ الأجرة عليه ؛ لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام .

والْبَيْنُ هنا : ليس بظرف ، وإنما معناه : الوُضْلة والقُرْب .

وقال الزمخشري : الأصل : «هذا فراق بيني وبينك» بتنوين «فراق» ونصب «بين» على الظرفية ، ثم أضيف المصدر إلى الظرف^(١) .

والإشارة بقوله : ﴿هَذَا﴾ إلى السؤال الثالث ، الذي أوجب الفراق .

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينَ﴾ قيل : إنهم تجار ، ولكنه قال فيهم : «مساكين» على وجه الإشفاق عليهم ؛ لكونهم كانوا يُغَصَّبُونَ سفينتهم ، أو لكونهم في لجج البحر .

وقيل : كانوا عشرة إخوة ، منهم خمسة عاملون بالسفينة ، وخمسة ذوو عاهات لا قدرة لهم .

وقرئ : «مساكين» بتشديد السين ؛ أي : يمسكون السفينة .

(١) انظر : الكشف (٩/ ٥٣٢) .

﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ قيل : معناه : قدامهم ، وقرأ ابن عباس : «أمامهم» .
 وقال ابن عطية : إن ﴿وَراءَهُمْ﴾ على بابه ، ولكن روعي به الزمان ، فالوراء هو المستقبل ، والأمام هو الماضي ^(١) .
 ﴿كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ عموم معناه ^(٢) الخصوص في الجياد الصّحاح من السفن ، ولذلك قرأ ابن مسعود : «يأخذ كل سفينة صالحة» .
 وقيل : إن اسم هذا الملك هُذُ بن بُدَد ، وهذا يفتقر إلى نقل صحيح .
 وفي الكلام تقديم وتأخير ؛ لأن قوله : ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مؤخّر في المعنى عن ذكر غَضَبِها ؛ لأن خوف الغضب سبب في أنه عابها ، وإنما قُدِّمَ للعناية به .
 ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ﴾ روي أنه كان كافراً ، وروي أنه كان يفسد في الأرض .
 ﴿فَخَشِيْنَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ المتكلم بذلك هو الخضر .
 وقيل : إنه من كلام الله ، وتأويله على هذا : «فكرهنا» .
 وقال ابن عطية : إنه من نحو ما وقع في القرآن من «عسى» و«لعل» ، وإنما هو في حق المخاطبين ^(٣) .
 ومعنى : ﴿يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ : يكلّفهما ذلك ، والمعنى : أن يحملهما حبه على اتباعه ، أو يضرّ بهما مخالطته ^(٤) مع مخالفته لهما .

(١) انظر : المحرر الوجيز (٦٤٧/٥) .

(٢) في ج ، هـ : «يراد به» .

(٣) انظر : المحرر الوجيز (٦٤٩/٥) .

(٤) في د : «بمخالطته» .

﴿خَيْرًا مِنْهُ﴾ أي: غلامًا آخر خيرًا من الغلام المذكور المقتول.

﴿زَكَاةً﴾ أي: طهارةً وفضيلةً في دينه.

﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: رحمةً وشفقةً؛ فقليل: المعنى أن يرحمها، وقيل: يرحمها.

﴿لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ اليتيم: من فقد أبويه قبل البلوغ.

وروي أن اسم الغلامين: أَضْرَمَ وَصَرِيمَ، واسم أبيهما: كاشع، وهذا يفتقر إلى صحة نقل.

﴿كَثْرٌ لَهُمَا﴾ قيل: مال عظيم.

وقيل: كان عِلْمًا في صحف مدفونة.

والأول أظهر.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قيل: إنه الأب السابع.

وظاهر اللفظ: أنه الأقرب.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ أسند الإرادة هنا إلى الله؛ لأنها في أمرٍ مُغَيَّبٍ مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله، وأسندها الخضرُ إلى نفسه في قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾؛ لأنها لفظة^(١) عيب، فتأدّب بأن لا يُسندَها إلى الله، وذلك كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، فأسند المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله؛ تأدّبًا.

(١) في أ، ب: «لفظ».

واختلف في قوله: ﴿فَارْزُقْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾ هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله؟.

﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ﴾ هذا ^(١) دليل على نبوة الخضر؛ لأن المعنى أنه فعل ما فعل بأمر الله؛ أي: بوحيه.



(١) في ج: «في هذا».

[وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُفَوِّضُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِرًّا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَا جُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَقْعٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمَاعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ السائلون: اليهود، أو قریش بإشارة اليهود.

وذو القرنين: هو الإسكندر الملك، وهو يوناني - وقيل: رومي -، وكان رجلاً صالحاً.

وقيل: كان نبياً.

وقيل: كان ملكاً - بفتح اللام -.

والصحيح أنه ملك - بكسر اللام -.

واختلف لم سمي ذا القرنين؟

فقيل : كان له صَفِيرَتَانِ من شَعَرٍ هما قَرْنَاهُ، فسمي بذلك .

وقيل : لأنه بلغ المشرق والمغرب ؛ فكأنه حاز قَرْنِي الدنيا .

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ التمكين له : أنه ملك الدنيا ، ودانت له الملوك كلُّهم .

﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ أي : علمًا وفهمًا ، يتوصل به إلى معرفة الأشياء .

والسبب : ما يتوصل به إلى المقصود من علم ، أو قدرة ، أو غير ذلك .

﴿ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴾ أي : طريقًا يوصله .

﴿ وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ قرئ بالهمز ، على وزن «فَعْلَةٌ» ؛ أي : ذات حَمَاءٍ^(١) .

وقرئ بالياء ، على وزن «فاعلة» .

وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس ، فقال ابن عباس : «حمئة» ، وقال معاوية : «حامية» ، فبعثنا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر ، فقال : أمَّا العربية فأنتم أعلم بها مني ، ولكني أجد في التواراة أنها تغرب في ماء وطين ، فوافق ذلك قراءة ابن عباس^(٢) .

ومعنى : ﴿ حَامِيَةٍ ﴾ : حارة .

(١) في اللسان (١/ ٥٤) : «الحمأة : الطين الأسود المتن» .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٧٥) .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى حَمِيَّةٍ، وَلَكِنْ سَهَلَتْ هَمْزَتُهُ، فَيَتَّفِقُ مَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ.

وقد قيل: يمكن أن يكون فيها حَمَاءً، وتكون حَارَّةً لحرارة الشمس، فتكون جامعةً للوصفين، ويجتمع معنى القراءتين.

﴿قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ استدلالٌ بهذا من قال: إن ذا القرنين نبي؛ لأن هذا القول وحي.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِإِلْهَامٍ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ.

﴿إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَنْخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ كانوا كفارًا، فخيرهم الله بين أن يعذبهم بالقتل، أو يدعوهم إلى الإسلام، فيحسن إليهم.

وقيل: الحُسْنُ هنا: هو الأُسْرُ، وجعله حُسْنًا؛ بالنظر إلى القتل.

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ﴾ اختار أن يدعوهم إلى الإسلام، فمن تمادى على الكفر قتله، ومن أسلم أحسن إليه.

والظلم هنا: الكفر، والعذاب: القتل.

وأراد بقوله: ﴿عَذَابًا نُكَرًا﴾: عذاب الآخرة.

﴿فَلَهُمْ جَزَاءُ الْخُسْنِ﴾ المراد بالحسنى: الجنة، أو الأعمال الحسنة.

﴿وَسَنَقُولُ لَهُمْ مِنْ أَمْرٍ أَسْرًا﴾ وعدهم بأن ييسر عليهم.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِرًّا﴾ هؤلاء القوم هم الزنج،

وهم أهل الهند ومن وراءهم.

ومعنى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ﴾ الآية: أنهم ليس لهم بنيان؛ إذ لا تحتمل^(١) أرضهم البناء، وإنما يدخلون من حرّ الشمس في أسرابٍ تحت الأرض. وقال ابن عطية: الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم^(٢).

وقيل: السّتر: اللباس، فكانوا - على هذا - لا يلبسون الثياب. ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: أمُرُذي القرنين كذلك؛ أي: كما وصفناه؛ تعظيمًا لأمره. وقيل: إن ﴿كَذَلِكَ﴾ راجع لما قبله؛ أي: لم نجعل لهم سترًا كما جعلنا لكم من المباني والثياب.

وقيل: المعنى: وجَدَ عندها قومًا كذلك؛ أي: مثل القوم الذين وجد عند مغرب الشمس، وفعل معهم مثل فعله.

﴿بَيْنَ السُّدَيْنِ﴾ أي: الجبلين، وهما جبلان في طرف الأرض.

وقرئ بالضم والفتح، وهما بمعنى.

وقيل: ما كان من خَلْقَةِ الله فهو مضموم، وما كان من فعل الناس فهو مفتوح.

﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ قيل: هم التُّرك.

﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس، فهم لا يفقهون القول إلّا بالإشارة أو نحوها.

(١) في ج: «تحمل».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦٥٧/٥).

﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ قبيلتان من بني آدم، في خَلْقَتَهُمْ^(١) تشويه، منهم مُفْرِطُ الطول ومفراط القِصر.

﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ إفسادهم: بالقتل والظلم وسائر وجوه الشرِّ.

وقيل: كانوا يأكلون بني آدم.

﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدًّا﴾ «هل» استفهام في ضمنه عرض ورغبة.

والخَرْجُ: الجباية، ويقال فيه: خَرَّاج، وقد قرئ بهما.

فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالاً ليقيم بها السُّدَّ.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: ما بسط الله لي من الملك خير من خرجكم؛ فلا حاجة لي به، ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي.

﴿رَدْمًا﴾ أي: حاجزاً حصيناً، والرَّدْمُ أعظم من السد.

﴿سَاوَيْنَا بَيْنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: بين الجبلين.

﴿قَالَ أَنْفُخُوا﴾ يريد نفخ الكير؛ أي: أوقدوا النار على الحديد.

﴿قَطَرًا﴾ أي: نحاساً مذاباً، وقيل: هو الرصاص.

وروي أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء، ثم جعل البنيان من زُبْرِ الحديد، حتى ملأ به ما بين الجبلين، ثم أفرغ عليه النحاس المذاب.

﴿فَمَا أَصْطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أصل ﴿أَصْطَعُوا﴾: استطاعوا، وحذفت التاء تخفيفاً.

(١) في هـ: «خلقتهم».

والضمير في ﴿يُظْهِرُوهُ﴾ للسَّدُّ، ومعنى ﴿يُظْهِرُوهُ﴾: يعلوه ويصعدوا على ظهره، فالمعنى: أن يأجوج ومأجوج لا يقدر أن يصعدوا على السَّدِّ؛ لارتفاعه، ولا ينقبوه؛ لقوّته.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي﴾ القائل ذو القرنين، وأشار إلى الرّدم.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يعني: القيامة.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي: مبسوطاً مسوّى بالأرض.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ﴾ الضمير في ﴿وَتَرَكْنَا﴾ لله ﷻ.

و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يحتمل:

أن يريد به: يوم القيامة؛ لأنه قد تقدّم ذكره، فالضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ - على هذا - لجميع الناس.

أو يريد بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم كمال السَّدِّ، والضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ - على هذا - ليأجوج ومأجوج.

والأول أرجح؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، فيتصل الكلام.

و﴿يَمُوجٌ﴾ عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الصُّور: هو القرن الذي يُنْفَخ فيه يوم القيامة حسبما جاء في الحديث^(١)، يُنْفَخ فيه إسرافيل نفختين، إحداهما للصعق، والأخرى للقيام من القبور.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦٥٠٧)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠).

﴿وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها.

﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾ عبارة عن عمى بصائرهم وقلوبهم، وكذلك
﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾.



[﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾
 ﴿١١٦﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١١٧﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
 يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُخِطُوا أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١١٩﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا عَائِدَتِي وَرُسُلِي هُزُوا ﴿١٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٢٢﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا
 ﴿١٢٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ
 عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أُفٍّ لَكُمْ ﴿١٢٤﴾].

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: أنهم لا يكونون
 لهم أولياء، كما حكى عنهم أنهم يقولون: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبا: ٤١].
 والعباد هنا: مَنْ عُبِدَ مع الله ممن لا يريد ذلك، كالملائكة وعيسى بن
 مريم.

﴿أَعْتَدْنَا﴾ أي: يَسْرُنَا.

﴿نُزُلًا﴾ ما يسر^(١) للضيف والقادم عند نزوله، والمعنى: أن جهنم لهم
 بدل النزل، كما أن الجنة نزل في قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.
 ويحتمل أن يكون النزل موضع النزول.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الآية في كفار العرب؛ لقوله: ﴿كَفَرُوا
 بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾.

(١) في أ، هـ: «ما يتيسر»، وفي ب: «تيسر».

وقيل: في الرهبان؛ لأنهم يتعبّدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم، وهي لا تقبل منهم.

وفي قوله: ﴿يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ تجنيس الخط، وهو الذي يسمى تجنيس التصحيف.

﴿فَلَا نُقِمْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ أي: ليس لهم حسنة توزن؛ لأن أعمالهم قد حبطت.

﴿جَنَّتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هي أعلى الجنة حسبما ورد في الحديث^(١)، ولفظ الفردوس أعجمي معرب.

﴿حَوْلًا﴾ أي: تحوّلًا وانتقالًا.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِي رَبِّي﴾ الآية؛ إخبار عن اتّساع علم الله تعالى.

والكلمات: هي المعاني القائمة بالنفس، وهي المعلومات، فمعنى الآية: لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفد علم الله، وكذلك لو جيء ببحر آخر مثله؛ وذلك لأن البحر متناه وعلم الله غير متناه^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول ابن جزي رحمه الله: «إخبار عن اتّساع علم الله تعالى» إلخ، أقول: هذا صريح بتأويل كلام الله بعلمه، فالآية عند المؤلف إخبار عن سعة علم الله، لا عن دوام كلامه، وقد بنى هذا التأويل على قول الأشاعرة في كلام الله بأنه معنى نفسي غير مسموع منه، وذلك في قوله: «والكلمات: هي المعاني القائمة بالنفس»، وهذا ظاهر في أنه يقرر القول بالمعنى النفسي، وقول الأشاعرة في كلام الله قول باطل مناقض لدلالة العقل والشرع، فهو عندهم معنى نفسي ليس بصوت ولا حرف، واحد لا يتعدد، قديم لا تتعلق به مشيئة الله، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة من السلف ومن تبعهم، فكلام الله عند أهل السنة كلام مسموع، كما سمع موسى كلام =

﴿يُمِثِّلُهُ مَدَدًا﴾ أي: زيادة، والمدد: هو ما يُمدُّ به الشيء أي: يُكثَّر.
 ﴿فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ إن كان الرجاء هنا على بابه: فالمعنى: يرجو
 حُسْنَ لقاءِ ربه، وأن يلقاه لقاءً رضا وقبول.

وإن كان الرجاء بمعنى الخوف: فالمعنى: يخاف سوء لقاء ربه.

﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ يحتمل:

أن يريد الشرك بالله، وهو عبادة غيره؛ فيكون راجعاً إلى قوله: ﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ
 أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾.

أو يريد الرياء؛ لأنه الشرك الأصغر.

واللفظ يحتمل الوجهين، ولا يبعد أن يحمل على العموم في المعنيين.

(كمل تفسير سورة الكهف، وبتمامها تمَّ جميع النصف من البقرة
 من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
 آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين
 يتلوه إن شاء الله تفسير سورة مريم عليها السلام)^(١).

= الله من الله، أي: بلا واسطة، وهو متعدد، فهو حروف وكلمات، وسور وآيات، وهو
 سبحانه يتكلم بما شاء، إذا شاء، كيف شاء، كما أخبر أنه قال، ويقول، ونادى،
 وينادي، كما دلَّت على ذلك الآيات. والله أعلم.

(١) كذا في ب، وورد في أ هكذا: «كمل الجزء الأول من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل،
 ويتلوه الثاني إن شاء الله، ومن الله أرجو العون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
 العظيم».

وورد في ج هكذا: «كمل تفسير سورة الكهف، والحمد لله، وبتمامها تم السفر الأول،
 ويتلوه في الثاني إن شاء الله تعالى سورة مريم عليها السلام، وصلى الله على محمد».
 ولم يرد في د، هـ.

(١) ﴿سورة مريم عليها السلام﴾

[﴿كَهَيْعَصَ ١﴾ ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦﴾ بَنَزَكِرْنَا إِنَّا نَبُشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١١﴾ يَتَّبِعُونَ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحَكَمَ صَبِيًّا ١٢﴾ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالَدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ١٥﴾] .

﴿كَهَيْعَصَ ١﴾ ﴿قد تكلمنا في «البقرة» على حروف الهجاء (٢) .

وقيل في هذا: إن الكاف من «كريم» أو «كبير» أو «كافٍ»، والهاء من

(١) في ب، ج هنا زيادة: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا».

(٢) انظر (١/٢٦١).

«هادي»، والياء من «علي»، والعين من «عزيز» أو «عليم»، والصاد من «صادق».

وكان علي بن أبي طالب يقول في دعائه: «يا كهيعص»^(١) فيَحْتَمِلُ:
أن تكون الجملة عنده اسمًا من أسماء الله تعالى.
أو ينادي بالأسماء التي اقتطعت منها هذه الحروف.
﴿ذَكُرْ﴾ تقديره: هذا ذكر.

﴿عَبْدُ زَكْرِيَّا﴾ وصفه بالعبودية تشريفًا له، وإعلامًا باختصاصه وتقريبه.
ونصب ﴿عَبْدُ﴾ على أنه مفعول لـ ﴿رَحِمْتَ﴾؛ فإنها مصدرٌ أُضيف إلى
الفاعل، ونُصِبَ المفعول.

وقيل: هو مفعول بفعلٍ مضمر، تقديره: رَجِمَ عبده، وعلى هذا يوقف
على ما قبله، وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه،
وقطعُ العامل عن العمل بعد تهيئته له.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ يعني: دعاه.

﴿يَدَّاءٌ خَفِيًّا﴾ أخفاه:

لأن الله يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى
الإخلاص، وأبعد من الرياء.

أو لئلا يلومه الناس على طلب الولد.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٥١/١٥).

﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ أي: ضعف.

﴿وَأَشْتَعَلَ﴾ استعارة للشيب، من اشتعال النار.

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: قد سعدتُ بدعائي لك فيما تقدّم، فاستجب لي في هذا، فتوسّل إلى الله بإحسانه القديم إليه.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْتِ﴾ يعني: الأقارب:

قيل: خاف أن يرثوه دون نسله.

وقيل: خاف أن يضيّعوا الدين من بعده.

﴿مِنْ وَرَاءِي﴾ أي: من بعدي.

﴿عَاقِرًا﴾ أي: عقيمًا.

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ يعني: وارثًا.

﴿يَرِثُنِي﴾ قيل: يعني وراثته المال.

وقيل: وراثته العلم والنبوة، وهذا أرجح؛ لقوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»^(١).

وكذلك يرث من آل يعقوب العلم والنبوة، وقيل: الملك.

ويعقوب هنا: هو يعقوب بن إسحاق على الأصح.

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده (٩٩٧٢)، والنسائي في الكبرى (٩٨/٦)، وهو في الصحيحين بلفظ: «لا نورث، ما تركناه صدقة» أخرجه البخاري (٤٠٣٥)، ومسلم (١٧٥٨).

﴿رَضِيًّا﴾ أي: مرضي^(١)، فهو فعيل بمعنى مفعول.

﴿سَمِيًّا﴾ يعني مَنْ سُمِّيَ باسمه.

وقيل: مثيلاً ونظيراً.

والأوّل أحسن هنا.

﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ﴾ تعجّب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعُقم امرأته، فسأل ذلك أولاً؛ لعلّمه بقدرة الله عليه، وتعجّب منه؛ لأنه نادر في العادة.

وقيل: سأله وهو في سنٍّ من يرجوه، وأُجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ.

﴿عِتِيًّا﴾ قيل: يُبَسّا في الأعضاء والمفاصل.

وقيل: مبالغة في الكبر.

﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف في موضع رفع؛ أي: الأمر كذلك؛ تصديقاً له فيما ذكر من كبره وعُقم امرأته، وعلى هذا يوقف على قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾، ثم يبتدأ: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾.

وقيل: إن الكاف في موضع نصب بـ ﴿قَالَ﴾، و﴿كَذَلِكَ﴾ إشارة إلى مبهم يفسّره: ﴿هُوَ عَلَىٰ هَٰئِنٍ﴾.

﴿أَجْعَلْ لِّي ءَايَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأته.

﴿سَوِيًّا﴾ أي: سليماً غير أخرس، وانتصابه على الحال من الضمير في

(١) في د: «مرضياً».

﴿تُكَلِّمُ﴾، والمعنى: أنه لا يكلمُ الناس مع أنه سليم من الخرس.

وقيل: إن ﴿سَوِيًّا﴾ يرجع إلى الليالي؛ أي: مستويات.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أشار.

وقيل: كتبه في التراب؛ إذ كان لا يقدر على الكلام.

﴿أَن سَیْحُوا﴾ قيل: معناه: صلُّوا، والسُّبْحَةُ في اللغة: الصلاة.

وقيل: قولوا^(١): سبحان الله.

﴿بَيِّنَیْ﴾ التقدير: قال الله ليحيى بعد ولادته: يا يحيى.

﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة.

﴿يَقُوَّةَ﴾ أي: في العلم به، والعمل به.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قيل: الحكم: معرفة الأحكام.

وقيل: الحكمة.

وقيل: النبوة.

﴿وَحَنَانًا﴾ قيل: معناه: رحمة.

وقال ابن عباس: لا أدري ما الحنان!^(٢).

﴿وَرَزَقُوهُ﴾ أي: طهارة.

وقيل: ثناء، كما يزكى الشاهد.

(١) في أ، ب: «قوله».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٧٧/١٥).

[وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١١﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٢﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٤﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿١٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لُكُومًا لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿١٦﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿١٧﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿١٨﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿١٩﴾ وَهَزَيْتِ إِلَيْكِ الْجِذْعَ النَّخْلَةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٠﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢١﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٢﴾ يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٣﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ﴿٢٤﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٢٥﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٢٦﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢٩﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٠﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَنْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾].

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ، والكتاب: القرآن.

﴿إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي: اعتزلت منهم، وانفردت.

﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: إلى جهة الشرق^(١)، ولذلك يصليّ النصارى إلى المشرق.

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني: جبريل.

وقيل: عيسى.

والأول هو الصحيح؛ لأن جبريل هو الذي تمثّل لها باتفاق.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ﴿٧﴾ لما رأت الملك الذي تمثّل لها في صورة البشر قد دخل عليها؛ خافت أن يكون من بني آدم، فقالت له هذا الكلام، ومعناه: إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني؛ فإني أعوذ بالله منك.

وقيل: إن ﴿تَقِيًّا﴾ اسم رجل معروف بالشرّ عندهم، وهذا ضعيف بعيد.

﴿لِيَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾: هو عيسى عليه السلام.

وقرئ: ﴿لِيَهَبَ﴾ بالياء، والفاعل فيه هو ضمير الربّ عز وجل.

وقرئ بهمزة المتكلم، وهو جبريل، وإنما نسب الهبة إلى نفسه:

لأنه هو الذي أرسله الله بها.

أو يكون قال ذلك حكايةً عن الله تعالى.

﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ البغي: هي المرأة المجاهرة بالزنا، ووزن بغي: فعول.

(١) في ب: «المشرق».

﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً﴾ الضمير للولد، واللام تتعلق بمحذوف تقديره: لنجعله آيةً فعلنا ذلك.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني: في بطنها، وكانت مدة حملها ثمانية أشهر.

وقال ابن عباس: حملته وولده من ساعته^(١).

﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: بعيدًا، وإنما بُعِدَتْ حياءً من قومها أن يظنوا بها الشرَّ.

﴿فَأَجَّأَهَا﴾ معناه: ألجأها، وهو منقول من «جاء» بهمزة التعديّة.

﴿الْمَخَاضُ﴾ أي: النفاس.

﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ رُوي أنها احتضنت الجذع؛ لشدة وجع النفاس.

﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ﴾ إنما تَمَنَّتْ الموت خوفاً من إنكار قومها، وظنهم بها

الشرَّ، ووقوعهم في ذمِّها، وتَمَنَّى الموت جائزاً في مثل هذا، وليس هذا من تمنّي الموت لضرّ نزل بالبدن؛ فإنه منهيٌّ عنه.

﴿وَكَنتُ نَسِيًّا﴾ النسي: الشيء الحقير الذي لا يُؤبّه له^(٢)، ويقال بفتح

النون وكسرها.

﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ قرئ «من» بفتح الميم وكسرها، وقد اختلف على كلتا

القراءتين: هل هو جبريل أو عيسى؟.

وعلى أنه جبريل:

قيل: إنه كان تحتها كالقابلة.

(١) في أ: «ساعة».

(٢) في ج، د، هـ: «به».

وقيل: كان في مكانٍ أسفلَ من مكانها.

﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ تفسيرٌ للنداء، فـ «أَنْ» مفسّرة.

﴿سَرِيًّا﴾ يعني: جدولاً، وهو ساقيةٌ من ماء كان قريباً من جذع النخلة، وروي أن النبي ﷺ فسّره بذلك^(١).

وقيل: يعني عيسى؛ فإن السريَّ الرجلُ الكريم.

﴿وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ مِجْنَعَ النَخْلَةِ﴾ كان جذعاً يابساً، فخلق الله فيه الرطب؛ كرامةً لها وتأنيساً.

وقد استدللَّ بعض الناس بهذه الآية أن الإنسان ينبغي له أن يتسبّب في طلب الرزق؛ لأن الله أمر مريم بهزّ النخلة.

والباء في ﴿مِجْنَعَ﴾ زائدة، كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿تَسْقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ الفاعل به ﴿تَسْقُطُ﴾ النخلة.

وقرئ بالياء؛ والفاعل - على ذلك - الجذع.

و﴿رُطْبًا﴾ تمييز.

والجنيُّ معناه: الذي طاب وصلاح لأن يُجتنى.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾ أي: كلي من الرطب، واشربي من ماء الجدول، وهو السري.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٢٤٢/١) من حديث البراء مرفوعاً، ورواه الطبري في تفسيره عن البراء موقوفاً (٥٠٦/١٥).

﴿وَفَرَىٰ عَيْنًا﴾ أي: طيبي نفسًا بما فعل^(١) الله لك من ولادة نبي كريم، أو من تيسير المأكل والمشروب.

﴿فَإِمَّا تَرَيَنَّ﴾ هي «إن» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة للتأكيد، و﴿تَرَيَنَّ﴾ فعل خوطبت به المرأة، ودخلت عليه النون الثقيلة؛ للتأكيد.

﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتًا عن الكلام.

وقيل: تعني: الصيام؛ لأن من شرطه في شريعتهم الصمت.

وإنما أُمرت بالصمت؛ صيانةً لها عن الكلام مع المتهمين لها، و^(٢)لأن عيسى تكلم عنها.

وإخبارها^(٣) بأنها نذرت الصمت^(٤) كان بهذا الكلام.

وقيل: بالإشارة.

ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا﴾ لما رأت الآيات علمت أن الله سيبين عذرها، فجاءت به من المكان القصي إلى قومها.

﴿شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي: شنيعًا، وهو من الفرية.

(١) في ج، د: «جعل».

(٢) في د: «أو».

(٣) في ب، هـ: «فإخبارها».

(٤) في هـ: «الصوم».

﴿يَتَأَخَتْ هَرُونَ﴾ كان هارون عابداً من ^(١) بني إسرائيل ، شُبِّهَتْ به مريم في كثرة العبادة ؛ فقليل لها : أخته ، بمعنى : أنها تشبَّهه .

وقيل : كان أخاها من أبيها ، وكان رجلاً صالحاً .

وقيل : هو هارون النبي أخو موسى ، وكانت من ذريته ، فـ «أخت» على هذا كقولك : «أخو بني فلان» ؛ أي : واحد منهم .

ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من النسب حقيقة ؛ فإن بين زمانهما دهرًا طويلاً .

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي : إلى ولدها ليتكلم ، وصممت هي كما أمرت .

﴿كَانَ فِي الْمَهْدِ﴾ «كان» بمعنى : يكون ، والمهد : هو المعروف .

وقيل : المهد هنا : حجرها .

﴿ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ﴾ يعني : الإنجيل ، أو التوراة والإنجيل .

﴿مُبَارَكًا﴾ من البركة .

وقيل : نفاع .

وقيل : معلّم للخير .

واللفظ أعم من ذلك .

﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ هما المشروعتان .

وقيل : الصلاة هنا : الدعاء ، والزكاة : التطهير من العيوب .

(١) في دهر : «في» .

﴿وَبَرًّا﴾ معطوف على ﴿مُبَارَكًا﴾ ، روي أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو في المهد، ثم عاد إلى حالة الأطفال، على عادة البشر.

وفي كلامه هذا ردُّ على النصارى؛ لأنه اعترف أنه عبد الله، وردَّ على اليهود؛ لقوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ أدخل لام التعريف هنا؛ لتقدُّم السلام المنكَّر في قصة يحيى، فهو كقولك: رأيت رجلاً فأكرمت الرجل.

وقال الزمخشري: الصحيح أن هذا التعريف تعريضٌ بلعنة من اتَّهم مريم؛ كأنه قال: السلام كلُّه عليَّ لا عليكم، بل عليكم ضده^(١).

﴿قَوْلُ الْحَقِّ﴾ بالرفع: خبر مبتدأ تقديره: هذا قول الحق، أو بدلٌ، أو خبرٌ بعد خبر.

وبالنصب: منصوب على المدح بفعل مضمر، أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدم.

﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يختلفون؛ فهو من المراء.

أو: يشكُّون؛ فهو من المِرية.

والضمير لليهود والنصارى.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ من كلام عيسى.

وقرئ بفتح الهمزة: تقديره: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه.

(١) انظر: الكشاف (١٧/١٠).

وبكسرهما : لا ابتداء الكلام .

وقيل : هو من كلام النبي ﷺ ، والمعنى : يا محمد ! ، قل لهم : ذلك عيسى بن مريم ، وإن الله ربي وربكم .

والأول أظهر .

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ هذا ابتداء إخبار ، والأحزاب : اليهود والنصارى ؛ لأنهم اختلفوا في أمر عيسى اختلافاً شديداً ، فكذبته اليهود وعبدته النصارى ، والحق خلاف أقوالهم كلها .

﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ معناه : من تلقائهم ، ومن أنفسهم ، وأن الاختلاف لم يخرج عنهم .

﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني : يوم القيامة .

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا﴾ أي : ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة ! ، على أنهم في الدنيا في ضلال مبين .

﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ، يا أهل النار خلود لا موت .

وقيل : هو يوم القيامة .

وانتصاب ﴿يَوْمٍ﴾ على المفعولية ، لا على الظرفية .

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ يعني : في الدنيا ، فهو متعلق^(١) بقوله : ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ، أو بـ ﴿وَأَنْذَرَهُمْ﴾ .

(١) في ب ، هـ : «يتعلق» .

[﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ١١] إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَت لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١٢﴾ يَتَابَتَ إِلَيَّ قَدْ جَاءَ مِنِّي الْعِلْمُ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿١٣﴾ يَتَابَتَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿١٤﴾ يَتَابَتَ إِلَيَّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿١٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِتِي يَتَّبِعُهُمُ الْبَنَاءُ لَمْ تَنَنْتَهُمْ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿١٦﴾ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿١٧﴾ وَأَعْتَزِّلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَفِيًّا ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَغْتَرَّهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿١٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٢٠﴾].

﴿صِدِّيقًا﴾ بناءً مبالغةً من الصدق، أو من التصديق، ووصفه بأنه صديق قبل الوحي، نبِّي بعده.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ جَمَعَ ^(١) الْوَصْفَيْنِ.

﴿مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ يعني: الأصنام.

﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ أي: قويمًا.

﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قيل: يعني: الرجم بالحجارة.

وقيل: الشتم.

﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أي: حينًا طويلاً، وعطف ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ على محذوف،

(١) في ج زيادة «بين».

تقديره: احذر رجمي لك.

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ هو وداعٌ ومفارقة.

وقيل: مسالمة، لا تحية؛ لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾ وعدٌ، وهو الذي أُشير إليه في قوله: ﴿عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

قال ابن عطية: معناه: سأدعو الله أن يهديك فيغفر لك بإيمانك؛ وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز^(١).

وقيل: وعده أن يستغفر له مع كفره؛ ولعله كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه الله بذلك، ويقوّي هذا القول قوله: ﴿وَأَغْفِرْ لَأَيُّبَ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]، ومثل هذا قول النبي ﷺ لأبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»^(٢).

﴿حَفِيًّا﴾ أي: بارًا متلطّفًا.

﴿وَأَعَزَّ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تعبدون.

﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هما ابنه وابن ابنه، وهبهما الله عوضًا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم.

﴿مَنْ رَحِمْنَا﴾ النبوة.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

وقيل : المال والولد .

واللفظ أعم من ذلك .

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ يعني : الشئ الباقي عليهم إلى آخر الدهر .



[وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَذَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ
الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْنَاهُ يَحْيَىٰ ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ
إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ بِأَمْرٍ أَهْلُهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ
عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا
﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبْتُنَا إِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾
﴿٥٩﴾ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٦٠﴾ إِلَّا مَنْ
تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦١﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي
وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦٢﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ
رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٣﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٤﴾ وَمَا نُنَزِّلُ
إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ وَمَا هُمْ بِبِئْسَ خَلِيفَتَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٥﴾ رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٦﴾].

﴿مُخْلَصًا﴾ بكسر اللام: أي: أخلص نفسه وأعماله لله.

وبفتحها: أي: أخلصه الله للنبوة والتقريب.

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ النبي أعم من الرسول؛ لأن النبي كل من أوحى الله إليه،
ولا يكون رسولاً حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة، فكل رسول نبي،
وليس كل نبي رسولاً.

﴿وَنَذَيْتُهُ﴾ هو تكليم الله له.

﴿الطُّورِ﴾ هو الجبل المشهور بالشام.

﴿الْأَيْمَنِ﴾ صفة للجانب، وكان على يمين موسى حين وقف عليه.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْيُمْنِ .

﴿نَجِيًّا﴾ النجى : فعيل ، وهو المنفرد بالمناجاة .

وقيل : هو من النجاة .

والأول أصح .

﴿مَنْ رَحِمْنَا﴾ «من» : سببية ، أو للتبويض .

و﴿أَخَاهُ﴾ :

على الأول : مفعول .

وعلى الثاني : بدل .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ روي أنه وعد رجلاً إلى مكان ، فانتظره فيه سنة .

وقيل : الإشارة إلى صدق وعده في قصة الذبيح في قوله : ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ

اللَّهُ مِنْ الْقَصِيرِينَ﴾ [الصفات : ١٠٢] ، وهذا يدلُّ على قول من قال : إن الذبيح هو إسماعيل .

﴿إِذْ رُسِّقَ﴾ هو أول نبيِّ بعث إلى أهل الأرض بعد آدم ، وهو أول من خط

بالقلم ، ونظر في علم النجوم ، وخاط الثياب ، وهو من أجداد نوح عليه السلام .

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال ابن عباس : رفعه الله إلى السماء ، وهناك

مات ، وفي حديث الإسراء : أنه في السماء الرابعة^(١) .

وقيل : يعني : رفعة النبوة وتشريف منزلته .

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (١٦٤) .

والأول أشهر، ويرجّحه الحديث.

﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى كل مَنْ ذكر في هذه السورة، من زكرياء إلى إدريس.

﴿مِنَ النَّبِيِّنَ﴾ «مِنْ» هنا للبيان، والتي بعدها للتبويض.

﴿مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ يعني: نوحًا وإدريس.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ يعني: إبراهيم.

﴿وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: إسماعيل وإسحاق ويعقوب.

﴿وَأِسْرَءِيلَ﴾ يعني: أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا

ويحيى.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يَحْتَمِلُ العطفَ على «مِن» الأولى، أو الثانية.

﴿وَبُكِّيًّا﴾ جمع بك، ووزنه فُعُول.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ يقال في عَقِبِ الخير: خَلَفَ - بفتح اللام -،

وفي عقب الشر: خَلَفَ - بالسكون - وهو المعنيُّ هنا.

واختلف فيمن المراد بذلك؟

ف قيل: النصارى؛ لأنهم خلفوا اليهود.

وقيل: كلُّ من كفر وعصى من بعد بني إسرائيل.

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ قيل: تركوها، وقيل: أخرجوها عن أوقاتها.

﴿يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ الغيُّ: الخسران.

وقد يكون بمعنى الضلال ؛ فيكون على حذف مضاف تقديره : يلقون جزاء غيٍّ .

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ استثناءٌ يَحْتَمِلُ الاتصالَ والانقطاعَ .

﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي : أخبرهم من ذلك ^(١) بما غاب عنهم .

﴿مَأْتِيًا﴾ وزنه مفعول ؛ فقيل : إنه بمعنى فاعل ؛ لأن الوعد هو الذي يأتي .

وقيل : إنه على بابه ؛ لأن الوعد هو الجنة ، وهم يأتونها .

﴿لَفَوًّا﴾ يعني : ساقط الكلام .

﴿إِلَّا سَلَمًا﴾ استثناءٌ منقطع .

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قيل : المعنى : أن زمانهم يُقَدَّرُ بالأيام والليالي ؛ إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل .

وقيل : المعنى : أن الرزق يأتيهم في كل حين يحتاجون إليه ، وعبر عن ذلك بالبُكرة والعشي ؛ على عادة الناس في أكلهم ^(٢) .

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي ﷺ فقال له : «أبطأت عني واشتقت إليك» ، فقال : «إني كنت أشوق ، ولكنني عبدٌ مأمور ؛ إذا بُعثت نزلت وإذا حُبست احتبست» ، ونزلت هذه الآية ^(٣) .

﴿لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي : له ما قُدَّامنا وما خلفنا ،

(١) في ب ، ج : «بذلك» .

(٢) في هـ : «في كلامهم» .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤١٤/٧) .

وما نحن فيها^(١) من الجهات والأماكن؛ فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: ما بين النفختين.

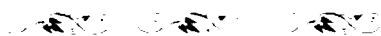
وقيل: ما مضى من أعمارنا، وما بقي منها، والحال التي نحن فيها. والأول أكثر مناسبة لسبب الآية.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول. وقيل: بمعنى الترك.

والأول أظهر.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لِمَ سَمِيًّا﴾ أي: مثيلاً ونظيراً، فهو من المسامي والمضاهي.

وقيل: مَنْ يُسَمَّى باسمه؛ لأنه لم يتسم بالله غيره تعالى.



(١) في ج، هـ: «فيه».

[وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَسْجِي الَّذِينَ أَنْقَرُوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَءْيَا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَبِزِيدِ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ أَهْتَدَوْا هُدًى وَابْتَلَيْتُ الصَّالِحِينَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾].

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور.

والإنسان هنا : جنس يراد به الكفار.

وقيل : إن القائل لذلك أبي بن خلف ، وقيل : أمية بن خلف .

والهمزة التي دخلت على ﴿أَإِذَا مَا مِثُّ﴾ للإنكار والاستبعاد .

واللام في قوله : ﴿لَسَوْفَ﴾ سبقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى .

والإخراج يراد به : البعث .

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِن قَبْلُ﴾ احتجاج على صحة البعث، وردّ على من أنكره؛ لأن النشأة الأولى دليل على الثانية.

﴿لَنَحْشُرَنَّهُم وَالشَّيَاطِينَ﴾ يعني: قُرَاءَهُم من الشياطين الذين أضلّوهم.

والواو:

للعطف.

أو بمعنى «مع»؛ فيكون ﴿الشَّيَاطِينَ﴾ مفعولاً معه.

﴿جُثِيًّا﴾ جمع جاثٍ، ووزنه فُعُول، من قولك: جثا الرجل: إذا جلس جلسة الذليل الخائف.

﴿ثُمَّ لَنَزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الشيعة: الطائفة من الناس التي تتفق على مذهب، أو أتباع إنسان.

ومعنى الآية: أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها، فيقدّمه إلى النار.

وقال بعضهم: المعنى: نبدأ بالأكبر جُرماً فالأكبر جُرماً.

﴿أَيُّهُمْ﴾ اختلف في إعرابه:

فقال سيبويه: هو مبني على الضم؛ لأنه حُذِفَ العائدُ عليه من الصلّة - وكان التقدير: «أَيُّهُمْ هو أشدُّ» - فوجب البناء.

وقال الخليل: هو مرفوع على الحكاية، تقديره: الذي يقال له أشدُّ.

وقال يونس: عُلقَ عنها الفعل، وارتفعت بالابتداء.

﴿أَوَّلَىٰ بِهَا صُلًى﴾ الصُّلَى: مصدر: صلي النار، ومعنى الآية: أن الله يعلم

من هو أولى بأن يُصلى العذاب .

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ خطابٌ لجميع الناس عند الجمهور .

فأما المؤمنون فيدخلونها ، ولكنها تَحْمَدُ فلا تضرُّهم ، فالورود على هذا بمعنى ^(١) : الدخول ، كقوله : ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٨] و﴿فَأُورِدَهُمُ النَّارَ﴾ [مود : ٩٨] .

وقيل : الورد بمعنى القدوم عليها ، كقوله : ﴿وَرَدَّ مَاءَ مَذْيَبٍ﴾ [القصص : ٢٣] والمراد بذلك : جواز الصراط .

وقيل : الخطاب للكفار ؛ فلا إشكال .

﴿حَتَّمَا﴾ أي : أمراً لا بدَّ منه .

﴿ثُمَّ تُنَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إن كان الورد بمعنى الدخول : فنجاة الذين اتقوا بكون النارِ عليهم برِّداً وسلاماً ، ثم بالخروج منها .

وإن كان بمعنى المرور على الصراط : فنجاتهم بالجواز ، والسلامة من الوقوع فيها .

﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ الفريقان : هم المؤمنون والكفار .

والمقام : اسم مكان من قام .

وقرئ بالضم ؛ من أقام .

والندي : المجلس .

(١) في أ ، ب ، هـ : «المعنى» .

ومعنى الآية : أن الكفار قالوا للمؤمنين : نحن خير منكم مقامًا ؛ أي : أحسن حالًا في الدنيا ، وأجمل مجلسًا ؛ فنحن أكرم على الله منكم .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ﴾ ﴿كَمْ﴾ مفعول بـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾ .

ومعنى الآية : ردُّ على الكفار في قولهم المذكور ؛ أي : ليس حُسْنُ الحال في الدنيا دليلًا على الكرامة عند الله ؛ لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالًا منكم في الدنيا .

﴿هُم أَحْسَنُ﴾ قال الزمخشري : هذه الجملة في موضع نصب صفة لـ ﴿كَمْ﴾ ^(١) .

﴿أَتْنَأ﴾ أي : متاع البيت .

وقال ابن عطية : هو اسمٌ عام في المال ؛ العين والعَرَض ^(٢) والحيوان ^(٣) . وهو اسم جمع .

وقيل : هو جمع ، واحده أئانة .

﴿وَرِيَاءَ﴾ بهمزة ساكنة قبل الياء ، معناه : منظر حسن ، وهو من الرؤية ، والرَّيُّ : اسم المرئي .

وقرئ بتشديد الياء من غير همز ، وهو تخفيف من الهمز ، فالمعنى متفِقٌ .
وقيل : هو من رِيَّ الشارب ؛ أي : التنعم بالمشارب والمآكل .

(١) انظر : الكشف (٨٣/١٠) .

(٢) في د : «والعروض» .

(٣) انظر : المحرر الوجيز (٦٠/٦) .

وقرأ ابن عباس : «زَيًّا» بالزاي .

﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ أي : يمهلّه ويُملي له ، واختُلف هل هذا الفعل دعاء ، أو خبر سيق بلفظ الأمر تأكيداً ؟ .

﴿حَتَّى﴾ هنا : غاية للمدّ في الضلال .

﴿إِنَّمَا الْعَذَابُ﴾ يعني : عذاب الدنيا .

﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ في مقابلة قولهم : ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ .

﴿وَالْبَقِيَّةُ الْفَاحِشَةُ﴾ ذكر في «الكهف»^(١) .

﴿وَحَيْرٌ مَرْدًا﴾ أي : مرجعاً وعاقبة .

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ هو العاصي بن وائل .

﴿وَقَالَ لِأَوْنَتِكَ مَا لَا وَلَدًا﴾ كان قد قال : لئن بُعثت كما يزعم محمد ليكوننّ لي هناك مال وولد .

﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾ الهمزة للإنكار ، والردّ على العاصي في قوله .

﴿كَلَّا﴾ ردّع له عن كلامه .

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ إنما جعله مستقبلاً ؛ لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل .

﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي : نزيد له فيه .

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ أي: نرث الأشياء التي قال إنه يؤتاها في الآخرة، وهي المال والولد.

ووراثتها: هي بأن يهلك العاصي ويتركها، وقد أسلم ولداه هشام وعمر بن الخطاب.

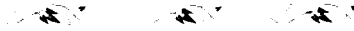
﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي: بلا مال، ولا ولد، ولا ولي، ولا نصير.

﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ قيل: إن الضمير في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ للكفار، وفي ﴿عِبَادَتِهِمْ﴾ للمعبودين، فالمعنى كقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقيل: إن الضمير في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ للمعبودين، وفي ﴿عِبَادَتِهِمْ﴾ للكفار، فالمعنى كقولهم: ﴿مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨].

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا﴾ معناه: يكون لهم خلاف ما أمّلوه منهم، فيصير العزُّ الذي أمّلوه ذلّة.

وقيل: معناه: أعداء.



[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا﴾ (٨٢) ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ (٨٣) ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٤) ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ (٨٥) ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٨٦) ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٧) ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ (٨٨) ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا﴾ (٨٩) ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (٩٠) ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (٩١) ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٩٢) ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (٩٣) ﴿وَكُلُّهُمْ عَائِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ (٩٤) ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٩٥) ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (٩٦) ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (٩٧) ﴿﴾].

﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ تضمَّن معنى: «سَلَطْنَا»، ولذلك تعدَّى بـ «على».

﴿تَوَزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي: تُزعجهم إلى الكفر والمعاصي.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تستبطن عذابهم وتطلب تعجيله.

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ أي: نعدُّ مدَّة بقائهم في الدنيا.

وقيل: نعدُّ أنفاسهم.

﴿وَفْدًا﴾ قيل: معناه: ركباً^(١)، ومعنى الوفد لغة: القادمون، وعادتهم الركوب؛ فلذلك قيل ذلك.

وقيل: مُكْرَمُونَ؛ لأن العادة إكرام الوفود.

(١) في د: «ركبانا».

﴿وَرَدًا﴾ معناه: عطاش^(١)؛ لأن من يرد الماء لا يرده إلا للعطش.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ﴾ الضمير يحتمل:

أن يكون للكفار، والمعنى: لا يملكون أن يشفع لهم، ويكون ﴿مَنْ أَخَذَ﴾ استثناءً منقطعاً، بمعنى «لكن».

أو يكون الضمير للمتقين، فالاستثناء متصل، والمعنى:

لا يملكون أن يشفعوا إلا لمن اتخذ عهداً.

أو لا يملكون أن يشفع منهم إلا من اتخذ عهداً.

أو يكون الضمير للفريقين؛ إذ قد ذكروا قبل ذلك؛ فالاستثناء - أيضاً - متصل، و﴿مَنْ أَخَذَ﴾: يحتمل أن يراد به الشافع، أو المشفوع له.

﴿عَهْدًا﴾ يريد به: الإيمان والأعمال الصالحة.

ويحتمل أن يريد به: الإذن في الشفاعة، وهذا أرجح؛ لقوله: ﴿لَا نَنْفَعُ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [طه: ١٠٩].

والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها، ويقول غيره من الأنبياء: «نفسى نفسى»^(٢).

﴿شَيْئًا إِذَا﴾ أي: شيئاً صعباً.

﴿يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ﴾ أي: يتشققن من قول الكفار: اتخذ الله ولداً.

(١) في د: «عطاشاً».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

﴿هَذَا﴾ أي : انهدامًا .

﴿أَنْ دَعَوْا﴾ أي : من أجل أن دعوا للرحمن وَلَدًا .

وقرئ ﴿وَلَدًا﴾ بضم الواو وإسكان اللام ، وهي لغة .

﴿إِنْ كُنْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ردُّ على مقالة الكفار ، والمعنى : أن الكل عبيده ؛ فكيف يكون أحد منهم وَلَدًا له ؟ ! .

و﴿إِنْ﴾ نافية ، و﴿كُنْ﴾ مبتدأ ، وخبره : ﴿إِنِّي الرَّحْمَنُ﴾ .

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ هو المحبة والقبول الذي يجعله الله في القلوب لمن شاء من عباده .

وقيل : إنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام .

﴿يَسْرَرْنَهُ﴾ الضمير للقرآن ، و﴿يَلْسَانُكَ﴾ أي : بلغتك .

﴿قَوْمًا لَدْنَا﴾ جمع ألد ، وهو الشديد الخصومة والمجادلة ، والمراد بذلك : قريش .

وقيل : معناه : فُجَّارًا .

﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا﴾ هو الصوت الخفي ، والمعنى : أنهم لم يبق منهم أثر ، وفي ذلك تهديد لقريش .

﴿سورة طه﴾

[طه ١] مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٢ إِلَّا نَذِيرَةً لِّمَن يَخْشَى ٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ
 خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ٤ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ٥ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
 فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ٦ وَإِن يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ٧
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ٨ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ٩ إِذْ رَأَى
 نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى
 ١٠ فَلَمَّا أَنهَا تُودِي يَمُوسَى ١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ
 طُوًى ١٢ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ١٣ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ
 الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ١٤ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ١٥
 فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ١٦ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَى ١٧
 قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَارِبُ أُخْرَى ١٨
 قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ١٩ فَالْقَنَاقِطُ إِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا
 سِيرَتَهَا الْأُولَى ٢١ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِثْلِ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ٢٢
 لِّزَيْكَ مِنَ الْآيَاتِنَا الْكُبْرَى ٢٣ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ٢٤]

قيل في ﴿طه ١﴾ : إنه من أسماء النبي ﷺ .

وقيل : معناه : يا رجل .

وانظر الكلام على حروف الهجاء في أول «البقرة»^(١) .

﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ❶ قيل: إن النبي ﷺ قام في الصلاة حتى تورّمت قدماه، فنزلت الآية؛ تخفيفاً عنه، فالشقاء على هذا: إفراط التعب في العبادة.

وقيل: المراد به: التأسف على كفر الكفار.

واللفظ عام في ذلك كله، والمعنى: أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة؛ لأنه أنزل^(١) عليه القرآن الذي هو سبب السعادة.

﴿إِلَّا لَذِكْرَةٍ﴾ نصبٌ على الاستثناء المنقطع.

وأجاز ابن عطية أن يكون بدلاً من موضع ﴿لِتَشْقَى﴾؛ إذ هو في موضع مفعول من أجله^(٢)، ومنع ذلك الزمخشري؛ لاختلاف الجنس^(٣).

ويصح أن ينصب بفعل مضمر تقديره: أنزلناه تذكراً.

﴿تَنْزِيلًا﴾ نصبٌ على المصدرية، والعامل فيه: مضمر، أو ﴿مَا أُنزِلْنَا﴾.

وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله: ﴿مَا أُنزِلْنَا﴾، ثم رجع إلى الغيبة في قوله: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ الآية، وذلك هو الالتفات.

﴿وَالسَّيِّئَاتِ الْعُلَى﴾ جمع عُلَيَا.

﴿عَلَى الْعَرْشِ أَسْوَى﴾ تكلمنا عليه في «الأعراف»^(٤).

(١) في ج: «نزل».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٧٩/٦).

(٣) انظر: الكشاف (١٢٤/١٠).

(٤) انظر (٣٤٩/٢).

﴿الْأَرْضِ﴾ هو في اللغة: التراب الندي، والمراد به هنا: الأرض.

﴿وَأِنْ تَجَهَّرْ﴾ مطابقة هذا الشرط لجوابه كأنه يقول: إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك؛ لأنه يعلم السر وأخفى.

﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ السر: الكلام الخفي، والأخفى: ما في النفس.

وقيل: السر: ما في نفوس البشر، والأخفى: ما انفرد الله بعلمه.

﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ تكلمنا عليها في «الأعراف»^(١).

﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾ لفظه استفهام، والمراد به: التنبيه.

﴿إِذْ رَأَى﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿حَدِيثٌ﴾؛ لأن فيه معنى الفعل.

وكان من قصة موسى: أنه رحل بأهله من مدين يريد مصر، فسار بالليل واحتاج إلى نار، فقدحه بزنده^(٢) فلم ينقدح، فرأى ناراً فقصد إليها فناداه الله، وأرسله إلى فرعون.

﴿ءَأَسَّتُ نَارًا﴾ أي: رأيت.

﴿يَقْبَسِ﴾ هو الجذوة من النار تكون على رأس العود والقصبه ونحوها.

﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ يعني: هدى إلى الطريق من دليل أو غيره.

﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ﴾ قيل: إنما أمر بخلع نعليه؛ لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بخلع النجاسة.

(١) انظر (٢/ ٤٢٠).

(٢) في ج: «بزنده».

واختار ابن عطية : أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب ، ويعظّم البقعة المباركة ويتواضع في مقام مناجاة الله ^(١) ، وهذا أحسن .

﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أي : المطهر .

﴿طَوًى﴾ في معناه قولان :

أحدهما : أنه اسم للوادي ^(٢) ، وإعرابه على هذا : بدل ، ويجوز تنوينه ؛ على أنه مكان ، وترك صرفه ؛ على أنه بقعة .

والثاني : أن معناه : مرتين ، فإعرابه على هذا : مصدر ؛ أي : قدّس الوادي مرةً بعد مرة ، أو نُودي موسى مرةً بعد مرة .

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ قيل : المعنى : لتذكّرني فيها .

وقيل : لأذكرك بها .

فالمصدر :

على الأول : مضاف للمفعول .

وعلى الثاني : مضاف للفاعل .

وقيل : معنى ﴿لِذِكْرِي﴾ : عند ذكري ، كقوله : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

الشَّمْسِ ﴿[الإسراء : ٧٨] أي : عند دلوك الشمس ، وهذا أرجح ؛ لأن النبي ﷺ

(١) انظر : المحرر الوجيز (٦/ ٨٢) .

(٢) في ب : «الوادي» .

استدل بالآية على وجوب الصلاة على الناس إذا ذكرها^(١).

﴿أَكَادُ أَخْفِيَا﴾ اضطرب الناس في معناه:

ف قيل: ﴿أَخْفِيَا﴾ بمعنى أظهرها، وأخفيت - على هذا - من الأضداد.

وقال ابن عطية: هذا قول مختل^(٢)؛ وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال: أخفى بالألف، من الإخفاء، وخفى بغير ألف بمعنى: أظهر، فلو كان بمعنى الظهور لقال: «أخفيها» بفتح همزة المضارع، وقد قرئ بذلك في الشاذ.

وقال الزمخشري: قد جاء في بعض اللغات أخفى بمعنى خفى^(٣)؛ أي: أظهر، فلا يكون هذا القول مختلاً على هذه اللغة.

وقيل: ﴿أَكَادُ﴾ بمعنى «أريد»، فالمعنى: أريد إخفاءها.

وقيل: المعنى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ﴾، وتمّ هنا الكلام، بمعنى: أكاد أنفيها؛ لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال: ﴿أَخْفِيَا﴾.

وقيل: المعنى: أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم؟!.

وهذه الأقوال ضعيفة.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧) ومسلم (٦٨٤) من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك» ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٨٥/٦).

(٣) انظر: الكشف (١٤٧/١٠).

وإنما الصحيح أن المعنى : أن الله أبهم وقت الساعة فلم يُطْلِع عليه أحداً^(١) ؛ حتى إنه كاد أن يُخْفِيَ وقوعها ؛ لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها ؛ إذ أخبر بوقوعها ، فالإخفاء على معناه المعروف في اللغة ، و«كاد» على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه ، وهذا المعنى هو اختيار المحققين .

﴿لِتُجْزَى﴾ يتعلّق بـ ﴿ءَاثِيَةً﴾ .

﴿بِمَا تَسْعَى﴾ أي : بما تعمل .

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ الضمير للساعة ، أي : لا يصدّك عن الإيمان بها والاستعداد لها .

وقيل : الضمير للصلاة ، وهو بعيد .

والخطاب لموسى عليه السلام .

وقيل : لمحمد ﷺ ، وذلك بعيد .

﴿فَتَرَدَّى﴾ معناه : تهلك ، والرّدَى : هو الهلاك ، وهذا الفعل منصوب في جواب : ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ .

﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَى﴾ (٧) إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حياة ، فمعنى السؤال : تقرير على أنها عصا ؛ ليتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن يقلبها .

وقيل : إنما سأله ليؤنسه وييسّطه بالكلام .

(١) في ب ، هـ : «أحد» .

﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ معناه: أضرب بها الشجر؛ ليتثر^(١) الورق للغنم.

﴿مَثَارِبُ﴾ أي: حوائج.

﴿حَيْثُ تَسْعَى﴾ أي: تمشي.

﴿سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ يعني: أنها لما أخذها عادت كما كانت أول مرة.

وانتصب ﴿سِيرَتَهَا﴾ على أنه: ظرف، أو مفعول بإسقاط حرف الجر.

﴿وَأَضْمَمُ بِكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ الجناح هنا: الجنب؛ أي: تحت الإبط، وهو استعارة من جناح الطائر.

﴿تَخْرُجُ بَيَّضَاءَ﴾ روي أن يده خرجت وهي بيضاء كالشمس.

﴿مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ يريد من غير برص ولا عاهة.

﴿لِزُيْكَ مِنْ ءَايَتِنَا الْكُبْرَى﴾ ﴿٣٣﴾ يحتمل أن تكون ﴿الْكُبْرَى﴾:

مفعول ﴿لِزُيْكَ﴾.

وأن تكون صفةً للآيات.

ويختلف المعنى على ذلك.



(١) في ج: «ليتثر».

[﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ١٥ ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ ١٦ ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ ١٧ ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ ١٨ ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ ١٩ ﴿هَؤُلَاءِ أَخِي﴾ ٢٠ ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ ٢١ ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ ٢٢ ﴿كُنْ نَسِيحًا كَثِيرًا﴾ ٢٣ ﴿وَنَذِيرًا كَثِيرًا﴾ ٢٤ ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ ٢٥ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ ٢٦ ﴿وَلَقَدْ مَتَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ ٢٧ ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُوكَ مَا يُوْحِي﴾ ٢٨ ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ ٢٩ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ٣٠ ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ﴾ ٣١ ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمُوكَ كَى نَقَرَّ عَنْهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ ٣٢ ﴿وَقُلْنَا نَفْسًا فَجِيعًاكَ مِنَ الْعَمَلِ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ ٣٣ ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى﴾ ٣٤ ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي﴾ ٣٥ ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَتِي وَلَا نَبِيَّاءَ فِي ذِكْرِي﴾ ٣٦ ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ٣٧ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ٣٨ ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ ٣٩ ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ٤٠ ﴿فَأَنبَأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِيبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى﴾ ٤١ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ ٤٢ ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾ ٤٣ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ٤٤ ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ ٤٥ ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ٤٦ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ ٤٧ ﴿كُلُوا وَارْزَعُوا أُنْعِمْنَاكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ٤٨ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ٤٩].

﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ : إن قيل : لم قال ﴿اشْرَحْ لِي﴾ ، ﴿وَيَسِّرْ لِي﴾ ، مع أن المعنى يصح دون قوله : «لي» ؟

فالجواب : أن ذلك تأكيد وتحقيق للرغبة .

﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ ﴿٧﴾ العُقْدَةُ: هي التي اعترته بالجمره حين جعلها في فيه ^(١) وهو صغير، حين أراد فرعون أن يجربه ^(٢).

وإنما قال: ﴿عُقْدَةً﴾ بالتنكير؛ لأنه طلب حلَّ بعضها؛ ليفقهوا قوله، ولم يطلب الفصاحة الكاملة.

﴿وَزِيرًا﴾ أي: مُعِينًا، وإعراب ﴿هَكَرُونَ﴾: بدل.

أو مفعول أول.

﴿أَزْرَى﴾ أي: ظهري، والمراد: القوة، ومنه: ﴿فَنَازَرُهُ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: قَوَّاه.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ أي: قد أعطيناك كلَّ ما طلبت من الأشياء المذكورة. إذ أَوْحَيْنَا إِلَى أَمْكَ ﴿يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ﴾: وحي كلام بواسطة ملك.

أو وحي إلهام، كقوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

﴿مَا يُوحَى﴾ إبهام، يراد به تعظيم الأمر.

﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ الضمير الأول: لموسى.

والثاني: للتابوت، أو لموسى.

(١) في د، هـ: «فمه».

(٢) في ج: «يذبحه».

وَالْيَمُّ: البحر، والمراد به هنا: النيل.

وكان فرعون قد ذُكر له أن هلاكه وخراب مُلكه على يد غلام من بني إسرائيل، فأمر بذبح كل ولد ذَكَر يولد لهم، فأوحى الله إلى أم موسى أن تُلقِيه في التابوت وتُلقِي التابوت في البحر، ففعلت ذلك، وكان فرعون في موضع يُشْرِف على النيل، فرأى التابوت فأمر به فسيق إليه، وامرأته معه^(١) ففتَح فأشفقت عليه امرأته، وطلبت أن تتخذه ولداً فأباح لها ذلك.

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ هو فرعون.

﴿مَحَبَّةً مِنِّي﴾ أي: أحبتك.

وقيل: أراد: محبة الناس فيه؛ إذ كان لا يراه أحدٌ إلاَّ أحبه.

وقيل: أراد: محبة امرأة فرعون ورحمتها له.

وقوله: ﴿مِنِّي﴾ يحتمل:

أن يتعلق بقوله: ﴿وَالْقَيْتُ﴾.

أو يكون صفة لـ ﴿مَحَبَّةً﴾ فيتعلق بمحذوف^(٢).

﴿وَلِئَلْصَّنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ أي: تُرَبِّي ويُحَسِّن إليك بمرأى مني وحفظ^(٣).

(١) في ج: «حوله».

(٢) قال في الكشف (١٠/ ١٧٠): «وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لـ ﴿مَحَبَّةً﴾؛ أي: محبة حاصلة أو واقعة مني».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «تُرَبِّي ويحسن إليك»، أقول: هذا صحيح، وهو الذي يقتضيه السياق وتدل عليه الجملة، فقوله: «تُرَبِّي»، هو معنى تُصْنَع، وقوله: «بمرأى مني» يدل له قوله تعالى: ﴿عَلَيَّ عَيْنِي﴾، فدللت الآية على إثبات العين لله =

والعامل في ﴿وَلِصْنَعٍ﴾ محذوفٌ .

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ :
﴿تُصْنَعُ﴾ .

أو ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ .

أو فعل مضمَر تقديره : ومنَّا عليك .

﴿فَقُولْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ كان لا يقبل ثدي امرأة، فطلبوا له
مرضعة، فقالت أخته ذلك ؛ ليردَّ إلى أمِّه .

﴿وَقُلْتَ نَفْسًا﴾ يعني : القبطي الذي وكزه فقصى عليه .

﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ يعني : الخوف من أن يُطلب بثأر المقتول .

﴿وَفَنَّاكَ فُتُونًا﴾ أي : اختبرناك اختبارًا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوَّة
والرسالة .

وقيل : خلَّصناك من محنة بعد محنة ؛ لأنه خلَّصه من الذبح ، ثم من البحر ،
ثم من القصاص بالقتل .

والفتون يحتمل أن يكون : مصدرًا ، أو جمع فتنة .

﴿فَلَيْتَ سِينِينَ﴾ يعني : الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب .

= بلا كيف ، كما تفيدُه الإضافة ، وعلى أن الله يرى ، كما قال تعالى : ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَّ وَارٍ﴾ ، وذكر الرؤية يقتضي الحفظ من كل شر ، ولم يتعرض المؤلف لإثبات العين
أو نفيها ، فلعلة أثر الإمساك على طريقة أهل التفويض من النفاة لحقائق الصفات .
وهو الغالب عليه ﷻ ، حسبما تقدم . والله أعلم .

﴿جِئْتُ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: بميقات محدود قَدَره الله ^(١) لنبتوك.

﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ^(٢) عبارة عن الكرامة والتقريب؛ أي: استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني ^(٣).

﴿وَلَا نَيْنَا﴾ أي: لا تضعفا ولا تُقْصِرا، والونى: هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها.

﴿أَنْ يَفْطُرَ﴾ أي: يَعْجَل بالشر.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: سَرِّحهم، وكانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله، وبتسريح بني إسرائيل.

﴿وَلَا نُعَذِّبُهُمْ﴾ كان يعذبهم بذبح أبنائهم، وتسخيرهم في خدمته، وإذلالهم.

﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتَةٍ﴾ يعني: قَلْبَ العصا حية، وإخراج اليد بيضاء، وإنما وحدَّها وهما آيتان؛ لأنه أراد إقامة البرهان، وهو معنى واحد.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى﴾ يحتمل أن يريد: التحية، أو السلامة.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾ ^(٤) أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه؛ لأنه

(١) في ب: «وقدرة الله».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله في قوله تعالى: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ^(١) عبارة عن الكرامة والتقريب، إلخ، صحيح، وقوله: عبارة، أي: الاصطناع عبارة عن الكرامة والتقريب، أي: معناه الكرامة والتقريب، فاصطنعتك أي: استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني، وقوله تعالى: ﴿لِنَفْسِي﴾ أي: جعلتك من خاصتي، كقوله تعالى عن الملك: ﴿أَتَتُونِي بِوَيْءٍ﴾ يعني يوسف ﴿أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي﴾.

الأصل في النبوة، وأخوه تابع له.

﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ المعنى: أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه، ف ﴿خَلَقَهُ﴾ على هذا بمعنى^(١) المخلوقين، وإعرابه: مفعول أول، و ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: مفعول ثان.

وقيل: المعنى: أعطى كل شيء خلقته وصورته؛ أي: أكمل ذلك وأتقنه، فالخلق على هذا بمعنى: الخلق، وإعرابه: مفعول ثان، و ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: مفعول أول.

والمعنى الأول أحسن.

﴿ثُمَّ هَدَى﴾ أي: هدى خلقه إلى التوصل لما أعطاهم، وعلمهم كيف ينتفعون به.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى: محاجةً ومناقضة لموسى؛ أي: ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى؟ أو ما بالها لم تكن على دين موسى؟ أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى في قوله: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعاً للكلام الأول، وروغاناً عنه وحيدة؛ لما رأى أنه مغلوب بالحجة، ولذلك أضرب موسى عن الكلام في شأنها، فقال: ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، ثم عاد إلى وصف الله؛ رجوعاً إلى الكلام الأول.

﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

(١) في أ، ب: «على هذا المعنى».

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ أي: فراشاً.

وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتَّصف بها، لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز، ولو قال له: هو القادر أو الرازق أو شبه ذلك؛ لأمكن فرعون أن يغالط^(١) ويدعي ذلك لنفسه.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: أنهج^(٢) لكم فيها طرقاً^(٣) تمشون فيها.

﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى، على تقدير: يقول الله ﷻ: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾.

ويحتمل أن يكون كلام موسى تمَّ عند قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، ثم ابتدأ كلام الله.

﴿أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ أي: أصنافاً مختلفة.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ المعنى: أنها تصلح لأن تؤكل وترعاها الأنعام، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر؛ لأنه أذن في ذلك، فكانه أمر به.

﴿لِأَوَّلِي النَّهْيِ﴾ أي: العقول، واحداً نهيته.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الضمير للأرض، يريد: خلقة^(٤) آدم من تراب.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يعني: بالدفن عند الموت.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يعني: عند البعث.

(١) في ج، د: «يغالطه».

(٢) في ج، د: «أنهج»، وهما بمعنى واحد.

(٣) في ب، ج، د: «طريقاً».

(٤) في ج: «خلقه».

[وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجْتِنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأَيِّنَّاكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحَىٰ ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَا لَسِحْرُنْ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعَلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِآءَهُمْ وَعِصِيَّتُهُمْ تُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلِنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْفِكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾] .

﴿أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني : الآيات التي رآها فرعون ، وهي تسع آيات ، وليس يريد جميع آيات الله على العموم ؛ فالإضافة في قوله : ﴿ءَايَاتِنَا﴾ تجري مجرى التعريف بالعهد ؛ أي : آياتنا التي أعطينا موسى كلها ، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفا لها .

﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَوْعِدُ : اسْمُ مَصْدَرٍ ، أَوْ اسْمُ زَمَانٍ ، أَوْ اسْمُ مَكَانٍ .

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ مَكَانٍ : قَوْلُهُ : ﴿مَكَانًا سِوَى﴾ ، وَلَكِنْ يَضْعَفُ بِقَوْلِهِ : ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ ؛ لِأَنَّهُ أَجَابَ بِظَرْفِ الزَّمَانِ .

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَوْعِدَ اسْمُ زَمَانٍ : قَوْلُهُ : ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ ، وَلَكِنْ يَضْعَفُ بِقَوْلِهِ : ﴿مَكَانًا سِوَى﴾ .

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ مَصْدَرٍ بِمَعْنَى الْوَعْدِ : قَوْلُهُ : ﴿لَا تُخْلِفُهُ﴾ ؛ لِأَنَّ الْإِخْلَافَ إِنَّمَا يَوْصَفُ بِهِ الْوَعْدُ ، لَا الزَّمَانُ وَلَا الْمَكَانُ ، وَلَكِنْ يَضْعَفُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿مَكَانًا﴾ وَبِقَوْلِهِ : ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ .

فَلَا بَدَّ عَلَى كُلِّ وَجْهِ مِنْ تَأْوِيلٍ ، أَوْ إِضْمَارٍ .

وَيَخْتَلِفُ إِعْرَابُ ^(١) قَوْلِهِ : ﴿مَكَانًا﴾ بِاخْتِلَافِ تِلْكَ الْوُجُوهِ :

فَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَوْعِدُ اسْمَ مَكَانٍ : فَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿مَوْعِدًا﴾ وَ﴿مَكَانًا﴾ مَفْعُولَيْنِ لِقَوْلِهِ ^(٢) : ﴿اجْعَلْ﴾ ، وَيَطَابِقُهُ قَوْلُهُ : ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى لَا مِنَ اللَّفْظِ ، وَذَلِكَ أَنَّ ^(٣) الْاجْتِمَاعَ فِي الْمَكَانِ يَقْتَضِي الزَّمَانَ ضَرُورَةً .

وَإِنْ كَانَ الْمَوْعِدُ اسْمَ زَمَانٍ : فَيَنْتَسِبُ قَوْلُهُ : ﴿مَكَانًا﴾ عَلَى أَنَّهُ ظَرْفُ مَكَانٍ ، وَالتَّقْدِيرُ : مَوْعِدًا كَائِنًا فِي مَكَانٍ .

(١) سَقَطَتْ مِنْ أ ، ب ، هـ .

(٢) فِي ب : «بِقَوْلِهِ» .

(٣) فِي ب : «لِأَنَّ» .

وإن كان الموعد اسم مصدر: فينتصب ﴿مَكَانًا﴾ على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد، أو بفعل من معناه، ويطابقه قوله: ﴿يَوْمُ الزَّيْنَةِ﴾ على حذف مضاف تقديره: موعدكم وغد يوم الزينة.

وقرأ الحسن: «يوم الزينة» بالنصب، وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف.

﴿مَكَانًا سَوًى﴾ معناه: مستوٍ في القرب منا ومنكم.

وقيل: معناه: مستوٍ في الأرض^(١)، ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع.

وقرئ بكسر السين وضمها، والمعنى متفق.

﴿يَوْمُ الزَّيْنَةِ﴾ يوم عيد لهم.

وقيل: يوم عاشوراء.

﴿وَأَنْ يُخَشَّرَ﴾ عطفٌ على ﴿الزَّيْنَةِ﴾، فهو في موضع خفض.

أو عطف على اليوم، فهو في موضع رفع.

وقصد موسى أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤوس الأشهاد؛

لتظهر معجزته ويتبين الحق للناس.

﴿فَيَسْحَتُكُمْ﴾ معناه: يهلككم، ويقال: سَحَتِ وَأَسَحَتِ، وقد قرئ بفتح

الياء وضمها، والمعنى متفق.

﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَجِرَتَيْنِ﴾ قرئ: ﴿إِنَّ هَٰذَيْنِ﴾ بالياء، ولا إشكال في ذلك.

(١) في أ: «مستوي الأرض».

وقرئ بتخفيف ﴿إِنَّ﴾ ، وهي مخففة من الثقيلة ، وارتفع بعدها ﴿هَذَا﴾ بالابتداء .

وأما ^(١) قراءة نافع وغيره بتشديد ﴿إِنَّ﴾ ورفع ﴿هَذَا﴾ :

ف قيل : ﴿إِنَّ﴾ هنا بمعنى : «نعم» ، فلا تنصب ، ومنه ما روي في الحديث : «إِنَّ الحمد لله» بالرفع ^(٢) .

وقيل : اسم ﴿إِنَّ﴾ ضمير الأمر والشأن ، تقديره : إِنَّ الأمر ، و﴿هَذَا﴾ لَسِحْرَيْنِ مبتدأ وخبر في موضع خبر ﴿إِنَّ﴾ .

وقيل : جاء القرآن في هذه الآية ببلغة بني الحارث بن كعب ، وهي إبقاء التثنية بالألف في حال النصب والخفض .

وقالت عائشة رضي الله عنها : هذا مما لحن فيه كتاب ^(٣) المصحف ^(٤) .

﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتَى﴾ أي : يذهبا ^(٥) بسيرتكم الحسنة .

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي : اعزموا ، وأنفذوه .

﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ استدلل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخيل لا حقيقة .

(١) في أ ، ب زيادة : «على» .

(٢) أخرجه أبو جعفر النحاس بإسناده في إعراب القرآن (٣/ ٣١) .

(٣) في أ ، ب ، هـ : «كاتب» .

(٤) انظر التعليق في (٢/ ١٣٢) .

(٥) في أ ، ب : «يذهب» .

وقال بعضهم: إن حيلة السَّحرة في سعي الحبال والعصي هي أنهم حشَّوها بالزُّبُّق، وأوقدوا تحتها نارًا، وغطَّوا النار؛ لئلا يراها الناس، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيَّهم.

وقيل: جعلوها للشمس، فلما أحسَّ الزُّبُّق بحرَّ النار أو الشمس سال، وهو في حشو الحبال والعصي فحملها، فتخيَّل الناس أنها تمشي، فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانًا فابتلعتها.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ﴾ «ما» هنا موصولة، وهي اسم «إِنَّ»، و﴿كَيْدٌ﴾ خبرها.

﴿ءَاَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ قدَّم هنا ^(١) ﴿هَارُونَ﴾؛ لتعتدل ^(٢) رؤوس الآي وتكون على الألف.

﴿مِنْ خَلْفٍ﴾ أي: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى.

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ معطوفٌ على ﴿مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ﴾.

وقيل: هي واو القسم.

﴿هَذِهِ الْحَيَاةُ﴾ نصبٌ على الظرفية؛ أي: إنما قضاؤك في هذه الدنيا.

﴿إِنَّكُمْ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ قيل: إن هذا وما بعده من كلام السحرة لفرعون؛ على وجه الموعظة.

وقيل: هو من كلام الله.

(١) زيادة من ج، د.

(٢) في ب، ج: «لتعتدل».

[وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَالْبَعْثُ لِمَنْ يَبْعَثُ اللَّهُ فَبَعَثْنَا فِرْعَوْنَ بِحُجُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أُنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَك عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسَفًا قَالَ يَقُومُ آلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾].

﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ يعني: بني إسرائيل، وأضافهم إلى نفسه؛ تشریفاً لهم، وكانوا - فيما قيل - ست مئة ألف.

﴿يَبَسًا﴾ أي: يابساً، وهو مصدر وصف به.

﴿لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ أي: لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه، ولا تخشى الغرق في البحر.

﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ إبهام؛ لقصد التهويل.

﴿وَمَا هَدَى﴾ إن قيل: إن قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ يعني عن قوله: ﴿وَمَا هَدَى﴾!

فالجواب: أنه مبالغة وتأکید.

وقال الزمخشري: هو تهكم بفرعون في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] ^(١).

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ خطاب لهم بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون.

وقيل: هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ.

والأول أظهر.

﴿وَوَعَدْنَكُمْ الْجَنبَ الطُّورِ الْآيْمَنَ﴾ لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبني ^(٢) إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء؛ ليكلّم فيه ربه.

والطور: هو الجبل، واختُلف: هل هذا الطور هو الذي رأى فيه موسى النار في أول نبوّته؟ أو ^(٣) هو غيره؟.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوى﴾ ذكر في «البقرة» ^(٤).

﴿فَقَدْ هَوَى﴾ أي: هلك، وهو استعارة من السقوط من علٍ إلى سُفلٍ.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بدّ، والمغفرة للمؤمن الذي لم يتب في مشيئة الله عند أهل السنة.

(١) انظر: الكشاف (١٠/٢١٤).

(٢) في ب، د: «بني» بلا واو، والمثبت هو الموافق لما في المحرر الوجيز (٦/١١٧)؛ فالأمر هو الله تعالى.

(٣) في ب، ج زيادة «هل».

(٤) بل ذكر في اللغات مادة (٣٠٥).

وقالت المعتزلة: لا يغفر إلا لمن تاب^(١).

﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ أي: استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح.
ويحتمل أن يكون الهدى هنا: عبارة عن نور وعلم، يجعله الله في قلب من تاب وآمن وعمل صالحاً.

﴿وَمَا أَغْجَلَكْ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ قصص هذه الآية: أن موسى عليه السلام، لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور، تقدّم هو وحده؛ مبادرةً إلى أمر الله، وطلباً لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده، واستخلف عليهم أخاه هارون، فأمرهم السامري حينئذ بعبادة العجل، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى: ﴿وَمَا أَغْجَلَكْ عَنْ قَوْمِكَ﴾؟. وإنما سأل الله موسى عن سبب استعجاله دون قومه؛ ليخبره موسى بأنهم يأتون على أثره، فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل.

وقيل: إنما سأل على وجه الإنكار لتقدمه وحده دون قومه، فاعتذر موسى بعذرين:

أحدهما: أن قومه على أثره؛ أي: قريب منه، فلم يتقدّم عليهم بكثير يوجب العتاب.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد» إلخ، صحيح؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُمْ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، وهذه الآية لمن تاب، أما من لم يتب فما دون الشرك فمغفرته مقيدة بالمشيئة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وقول المعتزلة: «لا يغفر إلا لمن تاب» بنوا عليه القول بتخليد أهل الكبائر في النار.

والثاني: أنه إنما تقدّم طلباً لرضا الله .

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ كان السامريُّ رجلاً من بني إسرائيل ، ويقال ^(١) : إنه ابن خال موسى .

وقيل : لم يكن منهم ، وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها : سامرة .
وكان ساحراً منافقاً .

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾ يعني : رجع من الطور ، بعد كمال ^(٢) الأربعين يوماً التي كلمه الله فيها .

﴿أَيْقَا﴾ ذكر في «الأعراف» ^(٣) .

﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ يعني : ما وعدهم من الوصول إلى الطور .

﴿أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾ يعني : المدة ، وهذا الكلام توبيخ لهم .

﴿بِمَلِكِنَا﴾ قرئ بالفتح والضم والكسر ، ومعناه : ما أخلفنا موعدك بأن
ملكنا أمرنا ، ولكن غلبنا بكيد السامري ، فيحتمل :

أنهم اعتذروا بقلّة قدرتهم وطاقتهم ، ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم .

أو اعتذروا بقلّة ملكهم لأنفسهم في النظر ، وعدم توفيقهم للرأي السديد ،
ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر .

(١) في ج : «يقال» .

(٢) في ج : «إكمال» .

(٣) انظر (٢/٣٨٩) .

﴿حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ الأوزار هنا: الأحمال، سُمِّيت أَوْزَارًا؛ لِثِقَلِهَا، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار؛ أي: الذنوب.

وزينة القوم: هي حُلِيِّ القبط قوم فرعون، كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم، وقيل: أخذوه بعد هلاكهم، فقال لهم السامريُّ: اجمعوا هذا الحُلِيَّ في حفرة حتى يحكم الله فيه، ففعلوا ذلك، وأوقد السامريُّ نارًا على الحليِّ، وصاغ منه عجلاً.

وقيل: بل خلق الله منه العجل، من غير أن يصنعه السامري، ولذلك قال لموسى: ﴿فَدَفَّ فَنَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾.

﴿فَقَدَفْتَهَا﴾ أي: قذفنا أحمال الحُلِيَّ في الحفرة.

﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ كان السامريُّ قد رأى جبريل عليه السلام، فأخذ من موطئ^(١) فرسه قبضةً من تراب، وألقى الله في نفسه أنه إذا جعلها على شيء مَوَاتٍ صار حيواناً، فألقاها على العجل، فخار العجل؛ أي: صاح صياح العجول.

فالمعنى: أنهم قالوا: كما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامريُّ قبضةً التراب.

﴿جَسَدًا﴾ أي: جسمًا بلا روح، والخَوَار: صوت البقر.

﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾ أي: قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض.

(١) في هـ: «وطء».

﴿فَنَسِيَ﴾ يَحْتَمِل وجهين :

أحدهما : أن يكون من كلام بني إسرائيل ، والفاعل : موسى ؛ أي : نسي موسى إلهه هنا ، وذهب يطلبه في الطور ، والنسيان على هذا بمعنى^(١) :
الذهول .

والوجه الثاني : أن يكون من كلام الله تعالى ، والفاعل : السامري ؛ أي : نسي دينه وطريق الحق ، والنسيان على هذا بمعنى : الترك .
﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ معناه : لا يردُّ عليهم كلامًا إذا كلموه ، وذلك ردُّ عليهم في دعوى^(٢) الربوبية له .

وقرئ ﴿يَرْجِعُ﴾ :

بالرفع ، و«أن» مخففة من الثقيلة .
وبالنصب ، وهي مصدرية .



(١) في أ ، ب ، هـ : «المعنى» .

(٢) في ب : «دعواهم» .

[وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيَ ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَاتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْفُقْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُنِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُفْخِ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَخْخَفُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾].

﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ «لا» زائدة للتأكيد،

والمعنى:

ما منعك أن تتبعني في المشي إلى الطور؟.

أو تتبعني في الغضب لله، وشدة الزجر لمن عبد العجل، وقتالهم بمن لم يعبد؟.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ﴾ ذكر في «الأعراف»^(١).

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحَاتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من

شدة غضبه، لَمَّا وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل .

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: لو قاتلت^(١) مَنْ عبد العجل منهم بمن لم يعبد له لقلت: فَرَّقْتَ جماعتهم، وأدخلت العداوة بينهم، وهذا على أن يكون معنى قوله: ﴿تَتَّبِعَنِ﴾ في الزجر والقتال .

أو: لو اتبعتك في المشي إلى الطور لا تتبعني بعضهم دون بعض، فتفرقت جماعتهم، وهذا على أن يكون معنى ﴿تَتَّبِعَنِ﴾ في المشي إلى الطور .

﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ يعني: قوله^(٢): ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] .

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمُرُ﴾ أي: قال موسى ما شأنك؟، ولفظ الخَطْب يقتضي انتهازاً؛ لأنه مستعمل في المكاره .

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ أي: رأيت ما لم يروه، يعني: جبريل عليه السلام وفرسه .

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي: قبضت قبضة من ترابٍ من أثرِ فرس الرسول وهو جبريل، وقرأ ابن مسعود: «من أثر فرس الرسول» .

وإنما سَمَّى جبريلَ بالرسول؛ لأن الله أرسله إلى موسى .

والقبضة: مصدر قَبَضَ، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كـ«ضرب الأمير» .

ويقال: قبض بالضاد المعجمة: إذا أخذ بأصابعه وكفه، وبالصاد

(١) في أ، ب، هـ: «قتلت» .

(٢) في د، هـ زيادة «له» .

المهملة: إذا أخذ بأطراف الأصابع، وقد قرئ كذلك في الشاذ.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها على الحلي، فصار عَجَلًا، أو على العجل فصار له حوار.

﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ عاقب موسى ﷺ السامري؛ بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ومكالمته، وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته: لا مساس؛ أي: لا مماسّة ولا إذاية.

وروي أنه كان إذا مسّه أحدٌ أصابت الحمى له وللذي مسه، فصار هو يبعد عن الناس و صار الناس يبعدون عنه.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ يعني: العذاب في الآخرة، وهذا تهديدٌ ووعدٌ. ﴿ظَلَلْتَ﴾ أصله ظَلِلْتُ، حذفت إحدى اللامين، والأصل في معنى ظل: أقام بالنهار، ثم استعمل في الدُّؤوب على الشيء^(١) ليلاً ونهاراً. ﴿لَنَحْرِقَنَّهُ﴾ من الإحراق بالنار.

وقرئ بفتح النون وضم الراء، بمعنى: نُبرِّده بالمِبرِدِ. وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى؛ لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار، والصحيح: أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته، فيصحُّ حمل قراءة الجماعة على ذلك.

﴿ثُمَّ لَنَسْفَعْنَهُ فِي أَلْيَمٍ نَّسْفًا﴾ أي: نُلقيه في البحر، والنسف: تفريق الغبار ونحوه.

(١) في ب، ج: «المشي».

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾ الآية؛ من كلام موسى لبني إسرائيل .
 ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ مخاطبة من الله تعالى لمحمد ، و﴿أَنْبِيََاءَ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ :
 أخبار المتقدمين .

﴿ذِكْرًا﴾ يعني : القرآن .

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يعني : إعراض تكذيب به .

﴿وِزْرًا﴾ الوزر في اللغة : الثقل ، ويعني هنا :

العذاب ؛ لقوله : ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ .

أو الذنوب ؛ لأنها سبب العذاب .

﴿وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْفَيْصَةِ حِمْلًا﴾ شبه الوزر بحمل ؛ لثقله .

قال الزمخشري : «ساء» تجري مجرى «بئس» ، ففاعلها مضمَر يفسره :
 ﴿حِمْلًا﴾^(١) .

وقال غيره : فاعلها مضمَر يعود على الوزر .

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي : ينفخ الملك في القرن .

وقرئ : ﴿نَنْفُخُ﴾ بالنون ؛ أي : بأمرنا .

﴿زُرْقًا﴾ قيل : زرق الألوان كالسواد .

وقيل : زرق العيون من العمى .

(١) انظر : الكشاف (١٠/٢٣٩) .

﴿يَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ ﴿١١٦﴾ أي: يقول بعضهم لبعض في السر: إن لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال، وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا.

وقيل: يعنون لبثهم^(١) في القبور.

﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ أي: يقول أعلمهم بالأمر - بالإضافة إليهم - : إن لبثتم إلا يومًا واحدًا، فاستقلَّ المدة أشدَّ^(٢) مما استقلَّها غيره.



(١) في أ، ب: «لبثتم».

(٢) في هـ: «أكثر».

[﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٥٦﴾﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٥٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٥٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٥٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا ﴿١٦٠﴾﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١٦١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١٦٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١٦٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٦٤﴾﴾].

﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي﴾ أي: يجعلها كالغبار، ثم يفرّقها.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٥٦﴾﴾ الضمير في ﴿فَيَذَرُهَا﴾ للجبال، والمراد: مواضعها من الأرض، والقاع الصفصف: المستوي من الأرض الذي لا ارتفاع فيه.

﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ المعروف في اللغة: أن العِوَج بالكسر: في المعاني، وبالفتح: في الأشخاص، والأرض شخص؛ فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح، وإنما قاله بالكسر مبالغة في نفيه؛ فإن الذي في المعاني أدق من الذي في الأشخاص، فنفاه؛ ليكون غايةً في نفي العِوَج من كل وجه.

﴿وَلَا أَمْتًا﴾ الأمت: هو الارتفاع اليسير.

﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ يعني: الذي يدعو الخلق إلى الحشر.

﴿لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾ أي: لا يعوجُّ أحدٌ عن اتباعه والمشي نحو صوته.

أو لا عوج لدعوته؛ لأنها حق.

﴿هَمَسًا﴾ هو الصوت الخفي.

﴿لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ يحتمل أن يكون الاستثناء متصلًا ، و﴿مَنْ﴾ في موضع نصب بـ ﴿نَنْفَعُ﴾ ، وهي واقعة على المشفوع له ، فالمعنى : لا تنفع الشفاعة أحدًا إلا من أذن له الرحمن في أن يُشفع له .
أو أن يكون الاستثناء منقطعًا ، و﴿مَنْ﴾ واقعة على الشافع ، والمعنى : لكن من أذن له الرحمن يشفع .

﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ إن أريد بـ ﴿مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ المشفوع فيه ، فاللام في ﴿لَهُ﴾ بمعنى : لأجله ؛ أي : رضي قول الشافع لأجل المشفوع فيه .
وإن أريد الشافع فالمعنى : رضي قوله في الشفاعة .
﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران لجميع الخلق ^(١) ، والمعنى ذكر في آية الكرسي ^(٢) .

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ قيل : المعنى : لا يحيطون بمعلوماته ، كقوله :
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

والصحيح عندي : أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته ؛ إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله ، ولو أراد المعنى الأول لقال : ولا يحيطون بعلمه ، ولذلك استثنى ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ هناك ، ولم يستثن هنا .
﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ أي : ذلت يوم القيامة .

(١) في أ ، ب ، هـ : «الضمير للخلق» .

(٢) انظر (١/٤٧٦) .

﴿وَلَا هَضْمًا﴾ أي: بخسًا ونقصًا لحسناته.

﴿أَوْ يُحْدِثْ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي: تذكيرًا.

وقيل: شرفًا، وهو هنا بعيد.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي: إذ أقرأك جبريل القرآن^(١) فاستمع إليه، واصبر حتى يفرغ، وحينئذ تقرأه أنت، فالآية كقوله: ﴿تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦].

وقيل: كان النبي ﷺ إذا أوحى إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين، فأمر أن يتأنى حتى تفسر له المعاني.

والأول أشهر.



(١) لم ترد في أ، ب، هـ.

[وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُحْدِ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَتَّخِذُكَ مِنْ هَذَا عَدُوًّا لَكَ وَلَزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوْسَوْسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُكَ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾].

﴿عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾ أي: وصَّيناه أن لا يأكل من الشجرة.

﴿فَنَسَى﴾ يحتمل:

أن يريد النسيان الذي هو ضدُّ الذِّكْر، فيكون ذلك عذراً لآدم.

أو يريد الترك، وقال ابن عطية: لا يمكن غيره؛ لأن الناسي لا عقاب عليه^(١).

وقد تقدّم الكلام على قصة آدم وإبليس في «البقرة»^(٢).

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/١٣٧).

(٢) انظر (١/٣٠٠).

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ أي: لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة، فجعل المسبب موضع السبب.

وخصَّ آدم بقوله: ﴿فَتَشْقَى﴾؛ لأنه كان المخاطب أولاً والمقصود بالكلام.

وقيل: لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختص بالرجال.

﴿لَا تَطْمَؤُنَا فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ الظمأ: هو العطش، والضحيّ^(١): هو البروز للشمس.

﴿يَخْصِفَانِ﴾ ذكر في «الأعراف»^(٢)، وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك في «البقرة»^(٣).

﴿أَهْبِطَا﴾ خطاب لآدم وحواء.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي﴾ هي «إن» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة، وجوابها ﴿فَمَنْ أَتَّبَعْ﴾.

﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ أي: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي: ضيقة؛ فليل: إن ذلك في الدنيا؛ فإن الكافر ضيق المعيشة؛ لشدة حرصه، وإن كان واسع الحال، وقد قال بعض الصوفية: لا يُعرض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقته وتكرر عليه عيشه.

(١) في أ، ب: «والضحاء».

(٢) انظر (٢/٣٣٥).

(٣) انظر (١/٣٠١).

وقيل : ذلك في البرزخ .

وقيل : في جهنم بأكل الزقوم ، وهذا ضعيف ؛ لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة .

﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ يعني : أعمى البصر .

﴿ فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْشِئُ ﴾ من الترك ، لا من الذهول .

﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ أي : عذاب جهنم أشدُّ وأبقى من المعيشة الضنك ، ومن الحشر أعمى .

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ معناه : ألم يتبين لهم ، والضمير لقريش ، والفاعل به ﴿ يَهْدِي ﴾ مقدر ، تقديره : ألم يهد لهم الهدى ، أو الأمر .

وقال الزمخشري : الفاعل الجملة التي بعده ^(١) .

وقيل : الفاعل ضمير الله ﷻ ، ويدل عليه قراءة : « أفلم نهدي بالنون .

وقال الكوفيون : الفاعل ﴿ كُمْ ﴾ .

﴿ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ ﴾ يريد : أن قريشاً يمشون في مساكن عاد وثمود ، ويعاينون آثار هلاكهم .

﴿ لِأُولَى الْأُنْهَى ﴾ أي : ذوي العقول .



(١) انظر : الكشاف (١٠/٢٦٩) .

[﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (١٢٦) فَأَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٢٧) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٢٨) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٢٩) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَأَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٣٠) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (١٣١) قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (١٣٢)﴾].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ الكلمة هنا: القضاء السابق، والمعنى: لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لازماً؛ أي: واقعاً بهم.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾؛ أي: لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لازماً، وإنما أخره لتعتدل رؤوس الآي.

والمراد بالأجل المسمى: يوم بدر، وبذلك ورد تفسيره في البخاري^(١).

وقيل: المراد به: أجل الموت.

وقيل: القيامة.

﴿وَسَبِّحْ﴾ يحتمل أن يريد بالتسبيح:

الصلاة.

(١) الذي في البخاري (٤٧٧٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه فسر ﴿لِزَامًا﴾ بيوم بدر، وليس بالأجل المسمى!.

أو قول: «سبحان الله»، وهو ظاهر اللفظ.

﴿يَحْمَدُ رَبِّكَ﴾ في موضع الحال؛ أي: وأنت حامد لربك على أن وفَّقك للتسبيح.

ويَحْتَمِلُ أن يكون المعنى: سَبَّحَ تسبيحًا مقرونًا بحمد ربك، فيكون أمرًا بالجمع بين قول: «سبحان الله» وقول: «الحمد لله»، وقد قال رسول الله ﷺ: «وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض»^(١).

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال: إن معنى ﴿وَسَبِّحْ﴾: الصلاة، فالتى قبل طلوع الشمس: الصبح، والتي قبل غروبها: الظهر والعصر، ومن آناء الليل: العشاء الآخرة^(٢)، وأطراف النهار: المغرب والصبح.

وكرر الصبح في ذلك؛ تأكيدًا للأمر بها.

وسمى الطرفين أطرافًا لأحد وجهين:

إما على نحو: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤].

وإما أن يجعل النهار للجنس، فلكل يوم طرف.

وآناء الليل: ساعاته، واحدها: أني.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ ذكر في «الحجر»^(٣)، ومدَّ العينين: هو تطويل النظر،

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٢) في أ، ب، هـ: «المغرب والعشاء الآخرة».

(٣) انظر (٧٢٩/٢).

ففي ذلك دليل^(١) أن النظر غير الطويل معفو عنه .

﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ شبه نعيم الدنيا بالزهر وهو^(٢) النُّوَّار؛ لأن الزهر له منظر حسن، ثم يذبل ويضمحل .

وفي نصب ﴿زَهْرَةَ﴾ خمسة أوجه :

[١-] أن ينتصب بفعل مضمر على الذم .

[٢-] أو يضمن ﴿مَتَّعْنَا﴾ معنى : أعطينا ، ويكون ﴿زَهْرَةَ﴾ مفعولاً ثانياً له .

[٣-] أو يكون بدلاً من موضع الجار والمجرور .

[٤-] أو يكون بدلاً من ﴿أَزْوَاجًا﴾ ، على تقدير : ذوي زهرة .

[٥-] أو ينتصب على الحال .

﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ أي : نختبرهم .

﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ أي : لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ، فتفرغ أنت وأهلك للصلاة؛ فنحن^(٣) نرزقك .

وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال : «قوموا فصلوا؛ بهذا أمركم الله» ، ويتلو هذه الآية^(٤) .

﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ البينة هنا : البرهان ، والصحف

(١) في ب ، د زيادة «على» .

(٢) في أ ، ب : «وهي» .

(٣) في أ ، هـ : «نحن» .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (٢٦٧/٦) عن بكر بن عبد الله المزني .

الأولى : هي التوراة والإنجيل وغيرهما^(١) من كتب الله .

والضمير في ﴿وَقَالُوا﴾ وفي ﴿أَوَلَمْ نَأْتِهِمْ﴾ لقريش ، لما اقترحوا على وجه العناد والتعنت أجابهم الله بهذا الجواب ، والمعنى : قد جاءكم برهان ما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد ﷺ ، فلائى شيء تطلبون آية أخرى ؟ .

ويحتمل أن يكون المعنى : قد جاءكم القرآن ، وفيه من العلوم والقصص ما في الصحف الأولى ، فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله .

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ الآية ؛ معناها : لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد ﷺ لا احتجوا على الله بأن يقولوا : ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ ، و«لولا» هنا : عَرْضٌ ، فقامت عليهم الحجة ببعثه ﷺ .
﴿قُلْ كُلُّ مَرْيَئٍ﴾ أي : قل كل واحد منا ومنكم منتظر لما يكون من هذا الأمر .

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديدٌ .

﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ المستقيم .



(١) في أ ، ب ، هـ : «وغيرها» .

﴿سورة الأنبياء﴾

[﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ① مَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ
 مِّن رَّبِّهِمْ يُخَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ② لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ
 ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَصِيرُونَ ③ قَالَ رَبِّ
 يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ④ بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمَ بَلِ
 أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِئْنَا نَبَايَةً كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ ⑤ مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِّنْ
 قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ⑥ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَتَنَلُوا
 أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ⑦ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا
 كَانُوا خَالِدِينَ ⑧ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ⑨
 لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ⑩﴾].

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ الناس: لفظٌ ^(١) عام.

وقال ابن عباس: المراد به هنا: المشركون من قريش؛ بدليل ما بعد ذلك؛ فإنه من صفاتهم.

وإنما أخبر عن الساعة بالقرب؛ لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقي لها، ولأن كل آتٍ قريب.

(١) في أ، هـ: «اللفظه».

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّبٍ﴾ يعني بالذكر: القرآن، و﴿تُخَدَّبُ﴾ أي: محدث النزول^(١).

﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الواو في ﴿أَسْرُوا﴾ ضمير فاعل، يعود على ما قبله، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بدل من الضمير.

وقيل: إن الفاعل هو ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وجاء ذلك على لغة من قال: «أكلوني البراغيث»، وهي لغة بني الحارث بن كعب، وقال سيويه: لم تأت هذه اللغة في القرآن.

ويحتمل أن يكون ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:

منصوباً بفعل مضمَر على الذم.

أو خبر ابتداء مضمَر.

والأول أحسن.

﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ هذا الكلام في موضع نصب؛ بدلاً من ﴿النَّجْوَى﴾؛ لأنه هو الكلام الذي تناجوا به، والبشر المذكور في الآية: هو محمد ﷺ.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «قوله: (يعني بالذكر: القرآن، و(محدث) أي: محدث النزول) لا إشكال فيه؛ فالذكر من أسماء القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾»، وقوله: «أي: محدث النزول» موافق لما نقله ابن جرير عن أهل التأويل، فإنه قال: «ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس»، وأسندته إلى قتادة، وهذا موافق لبعض أجوبة الإمام أحمد رحمته الله حين احتجت المعتزلة بهذه الآية على أن القرآن مخلوق. والله أعلم.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ إخباراً بأنه سمع ما تناجوا به على أنهم أسروه .
 فإن قيل : هلاً قال : «يعلم السر» ؛ مناسبة لقوله : ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ ؟
 فالجواب : أن القول يشمل السرَّ والجهر ؛ فحصل به ذكر السرِّ وزيادة .
 ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾ أي : أخلاط منامات ، وحكى عنهم هذه
 الأقوال الكثيرة ؛ ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم .
 ﴿كَمَا أَرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي : كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا
 محمد بآية ، فالتشبيه في الإتيان بالمعجزات .

﴿مَاءَ أَمْنٍ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ لما قالوا : ﴿فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أخبرهم
 الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات ، فلما رأوها ولم يؤمنوا هلكوا ، ثم
 قال : ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي : إن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال من
 قبلهم .

ويحتمل أن يكون المعنى : أن كل قرية هلكت لم تؤمن ، فهؤلاء كذلك ،
 ولا يكون - على هذا - جواباً لقولهم : ﴿فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ ، بل يكون إخباراً
 مستأنفاً على وجه التهديد .

و﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ في موضع الصفة لـ ﴿قَرْيَةٍ﴾ ، والمراد : أهل القرية .
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ردُّ على قولهم : ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
 مِثْلُكُمْ﴾ ؛ والمعنى : أن الرسل المتقدمين رجالاً من البشر ؛ فكيف
 تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولاً؟! .

﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني : أحبار أهل الكتاب .

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ أي : ما جعلنا الرسل أجسادًا غيرَ طاعمين ، ووَحَّدَ الجسد لإرادة الجنس ، و﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ صفة لـ ﴿جَسَدًا﴾ .

وفي الآية ردٌّ على قولهم : ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان : ٧] .
 ﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾ يعني : المؤمنين .
 ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي : شرفكم .
 وقيل : تذكيركم .



[وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يُونُسَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَآتَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحِيرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾].

﴿قَصَمْنَا﴾ أي: أهلكنا، وأصله من: قَضَمَ الظهر أي: كسره.

﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ يريد: أهل القرية.

قال ابن عباس: هي قرية باليمن يقال لها: حَضُور، بعث الله إليهم نبيًا فقتلوه، فسَلَطَ الله عليهم بُخْتَ نَصْر^(١) ملك بابل، فأهلكهم الله بالقتل.

(١) انظر (١/ ٤٨٠).

وظاهر اللفظ أنه على العموم؛ لأن «كم» للتكثير، فلا يريد قرية معينة.

﴿يَرْكُضُونَ﴾ عبارة عن فرارهم، فيَحْتَمِلُ:

أن يكونوا ركبوا الدواب، وركضوها؛ لتسرع الجري.

أو شَبَّهُوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة.

﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ أي: قيل لهم: ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾، والقائل لذلك:

هم الملائكة، قالوه تهكمًا بهم.

أو رجال بختٍ نصرٍ إن كانت القرية المعينة، قالوا ذلك لهم خداعًا؛ ليرجعوا فيقتلوهم.

﴿مَا أَتَرَفْتُمْ﴾ أي: نُعِمْتُمْ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُشْتَلُونَ﴾ تهكُّمٌ بهم وتوبيخ؛ أي: ارجعوا إلى نعيمكم^(١) ومساكنكم؛ لعلكم تسألون عما جرى عليكم.

ويَحْتَمِلُ أن يكون ﴿تُشْتَلُونَ﴾ بمعنى: يطلب لكم الناس معروفكم، وهذا أيضًا تهكُّمٌ.

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا﴾ الآية؛ اعترافٌ وندم حين لم ينفعهم.

﴿حَصِيدًا خَمِدِينَ﴾ شَبَّهُوا في هلاكهم بالزرع المحصود، ومعنى

﴿خَمِدِينَ﴾: موتى، وهو تشبيهٌ بخمود النار.

﴿لَعِينٍ﴾ حال منفية؛ أي: ما خلقنا السموات والأرض لأجل اللعب،

(١) في أ، ب، هـ: «نِعَمكم».

بل للاعتبار بها، والاستدلال على صانعها.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَا تَخَذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ اللّهُ في لغة اليَمَن : الولد، وقيل : المرأة، و﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ أي : من ^(١) الملائكة، فالمعنى على هذا : لو أردنا أن نتخذ ولدًا لاتخذناه من الملائكة، لا من بني آدم، فهو ردُّ على من قال : المسيح ابن الله وعزيز ابن الله.

والظاهر أن اللّهُ بمعنى اللعب؛ لاتصاله بقوله : ﴿لَعِينٍ﴾.

وقال الزمخشري : المعنى على هذا : لو أردنا أن نتخذ لهم لكان ذلك في قدرتنا، ولكن ذلك لا يليق بنا؛ لأنه مناقض للحكمة ^(٢).

وفي كلا القولين نظرٌ.

﴿إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ يحتمل أن تكون ﴿إِنْ﴾ :

شرطية، وجوابها فيما قبلها.

أو نافية.

والأول أظهر.

﴿نَقَذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الحق : عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، والباطل : عام في أضداد ذلك.

﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي : يقمعه ويُبطله، وأصله من إصابة الدماغ.

(١) لم ترد في ب، ج.

(٢) انظر : الكشف (٣٠٦/١٠).

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني: الملائكة.

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي: لا يَعْيُونَ^(١)، ولا يَمَلُّونَ.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ «أم» هنا: للإضرابِ عما قبلها، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها.
و﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ يتعلّق بـ﴿يُنْشِرُونَ﴾.

والمعنى: أن الآلهة التي اتخذها المشركون لا يقدرّون أن يُنْشِروا الموتى من الأرض، فليست بآلهة في الحقيقة؛ لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ هذا برهان على وحدانية الله تعالى، والضمير في قوله: ﴿فِيهِمَا﴾ للسَّمَوَاتِ والأَرْضِ، و﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ صفة لـ﴿إِلَٰهَةٌ﴾، و﴿إِلَّا﴾ بمعنى «غير».

فاقتضى الكلام أمرين:

أحدهما: نفي كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحداً.

والأمر الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودلّ على ذلك قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾.

وأما الأوّل فكانت الآية تدلّ عليه لو لم تذكر هذه الكلمة.

وقال كثير من الناس في معنى الآية: إنها دليلُ التَّمَانِعِ الذي أورده

(١) في ب: «لا يلعبون».

الأصوليون، وذلك أننا لو فرضنا إلهين، فأراد أحدهما شيئاً وأراد الآخر نقيضه، فإما أن تَنفُذَ إرادة كل واحد منهما، وذلك محال؛ لأن النقيضين لا يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحدٍ منهما، وذلك أيضاً محال؛ لأن النقيضين لا يرتفعان معاً، ولأن ذلك يؤدِّي إلى عجزهما وقصورهما، فلا يكونان إلهين، وإما أن تنفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذي تنفذ إرادته هو الإله، والذي لا تنفذ إرادته ليس بإله، فالإله واحد.

وهذا الدليل إن سلّمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا؛ لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان بمدينة^(١) واحدة، ولا وليان^(٢) لخطّة^(٣) واحدة.

﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه مالك كل شيء، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولأنه حكيم؛ فأفعاله كلها جارية على الحكمة.

﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ لفقد العلتين.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ كرّر هذا الإنكار؛ استعظاماً للشرك، ومبالغة في تقبيحه؛ لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده، وليناط به

(١) في ج: «المدينة».

(٢) في أ، ج، د: «وليان».

(٣) في ب: «بخطّة».

ما ذكر بعده من تعجيز^(١) المشركين، وأنهم ليس لهم على الشرك برهان؛ لا من جهة العقل، ولا من جهة الشرائع.

﴿هَآئُوا بُرْهَنَكُمْ﴾ تعجيزٌ لهم. وقد تكلمنا على ﴿هَآئُوا﴾ في «البقرة»^(٢).

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَىٰ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ ردُّ على المشركين، والمعنى^(٣): هذا الكتاب الذي معي، والكتب التي من قبلي ليس فيها ما يقتضي الإشراف بالله، بل كلها متفقة على التوحيد.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ الآية؛ ردُّ على المشركين، والمعنى: أن كل رسول إنما أتى بـ «لا إله إلا الله».

﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ يعني الملائكة، وهم الذي قال فيهم بعض الكفار: إنهم بنات الله، فوصفهم بالعبودية؛ لأنها تناقض البنوة، ووصفهم بالكرامة؛ لأن ذلك هو الذي غرَّ الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا.

﴿لَا يَسْقُونَهُ بِأَلْقَوْلٍ﴾ أي: لا يتكلمون حتى يتكلم هو؛ تأدُّباً معه.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ أي: لمن ارتضى أن يُشفع له.

ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة:

في الآخرة.

(١) في أ، هـ: «تعجيزهم»!

(٢) انظر (٣٤٩/١).

(٣) في ج زيادة: «أن».

أو في الدنيا ، وهي استغفارهم لمن في الأرض .

﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون .

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الآية على فرض أن لو قالوا ذلك ، ولكنهم لا يقولونه ، وإنما مقصود^(١) الآية الردُّ على المشركين .

وقيل : إن الذي قال : «إني إله» : هو إبليس لعنه الله .



(١) في ب : «مقصد» .

﴿كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ الرَّتْقُ: مصدرٌ وُصِفَ به، ومعناه: الملتصق بعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح، والفتق: الفتح:

ف قيل: كانت السماء مُلصقة^(١) بالأرض ففتقهما^(٢) الله بالهواء.

وقيل: كانت السماوات^(٣) ملصقةً بعضها ببعض، والأرضون^(٤) كذلك،

(٤) فى ب، ج: «والأرض».

ففتقهما^(١) الله سبعا سبعا .

والرؤية في قوله : ﴿أَوَّلَرَ يَرَ﴾ على هذا : رؤية قلب .

وقيل : فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات ، والرؤية على هذا : رؤية عين .

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي : خلقنا من الماء كل حيوان ، ويعني بالماء : المني .

وقيل : الماء الذي يُشرب ؛ لأنه سببُ لحياة الحيوان ، ويدخل في ذلك النبات باستعارة .

﴿رَوَّسَى﴾ يعني : الجبال .

﴿أَن تَمِيدَ﴾ تقديره : كراهة أن تميد .

﴿فَجَاوَا﴾ يعني : الطرق الكبار .

وإعرابه عند الزمخشري : حال من السُّبُل ؛ لأنه صفةٌ تقدّمت على النكرة^(٢) .

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني : في طريقهم وتصرفاتهم .

﴿سَقَفًا مَّحْفُوظًا﴾ أي : حُفِظَ من السُّقُوط ، ومن الشياطين .

﴿عَنْ عَائِنِهَا مُعْرِضُونَ﴾ يعني : الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك .

(١) في هـ : «ففتقهما» .

(٢) انظر : الكشف (١٠/٣٣٩) .

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ التنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوضٌ عن الإضافة؛ أي: كلهم في فلك يسبحون، يعني: الشمس والقمر، دون الليل والنهار؛ إذ لا يوصف الليل والنهار بالسَّبح في الفلك، فالجملة: في موضع حال من ﴿الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾. أو مستأنفة^(١).

فإن قيل: لفظ ﴿كُلٌّ﴾ و﴿يَسْبَحُونَ﴾ جمعٌ، فكيف يعني الشمس والقمر وهما اثنان؟

فالجواب: أنه أراد جنس مطالعهما^(٢) كل يوم وليلة، وهي كثيرة. قاله الزمخشري^(٣).

وقال العزّزوني: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة. وعبرَ عنها بضمير الجماعة^(٤) العقلاء في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾؛ لأنه وصفهم بفعل العقلاء، وهو السَّبح.

فإن قيل: كيف قال: ﴿فِي فَلَكٍ﴾ وهي أفلاك كثيرة؟
فالجواب: أنه أراد: كل واحد يسبح في فلكه^(٥)، وذلك كقولك^(٦):

(١) في أ، ب: «مستأنف».

(٢) في ج: «مطالعهما».

(٣) انظر: الكشف (١٠/٣٤٢).

(٤) في هـ: «جماعة»، ولم ترد في ب.

(٥) في أ، هـ: «فلك».

(٦) في أ، ج: «كقولك».

«كساهم الأمير حُلَّة»؛ أي: كسا كلَّ واحد منهم حلة.

ومعنى الفلك: جسم مستدير.

وقال بعض المفسرين: إنه من موج، وذلك بعيد.

والحق: أنه لا تُعلم صفته وكيفيته إلا بإخبارٍ صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود.

ومعنى ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَجْرُونَ، أو يدورون، وهو مستعارٌ من السَّبْح بمعنى العوم في الماء.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ أَلْحُدَّ﴾ سببها: أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت.

وقيل: إنهم تمنَّوا موته؛ لِيَشْمَتُوا به، وهذا أنسب لما بعده.

﴿أَفَايُنْ مَتَّ فَهُمْ أَلْخَلِدُونَ﴾ موضع دخول الهمزة ﴿فَهُمْ أَلْخَلِدُونَ﴾ وقُدِّمت^(١)؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: كلُّ نفسٍ مخلوقة لا بدَّ لها أن تذوق الموت. والدُّوق هنا استعارة.

﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ أي: نخبركم بالفقر والغنى، والمرض والصحة وغير ذلك من أحوال الدنيا؛ ليظهر الصبر على الشر، والشكر على

(١) في ج: «وتقدمت».

الخير، أو خلاف ذلك .

﴿فَتَنَّةٌ مَّصْدَرٌ مِنْ مَعْنَى ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ .

﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُتَكُمْ﴾ أي : يذكرهم بالذم ، دلّت على ذلك قرينة الحال ؛ فإن الذكر قد يكون بدم أو مدح .

والجملة تفسير للهزة ؛ أي : يقولون : أهذا الذي .. .

﴿وَهُمْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾ الجملة في موضع الحال ؛ أي : كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن ، فهم أحق بالملامة .

وقيل : معنى ﴿يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ﴾ : تسميته بهذا الاسم ؛ لأنهم أنكروها .
والأول أغرق في ضلالهم .

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي : خلق شديد الاستعجال ، وجاءت هذه العبارة للمبالغة ، كقولك : خُلِقَ حاتم من جُود .

والإنسان هنا : جنس .

وسبب الآية : أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها ، والعذاب الذي طلبوه ، فذكر الله هذا توطئة لقوله : ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ .

وقيل : المراد هنا : آدم ؛ لأنه لما وصل الروح إلى صدره أراد أن يقوم . وهذا ضعيف .

وقيل : ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ أي : من طين ، وهذا أضعف .

﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ وعيدٌ، وجوابٌ على ما^(١) طلبوه من التعجيل.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ الآية؛ تفسيرٌ لاستعجالهم.

﴿الْوَعْدُ﴾ القيامة، أو نزول العذاب بهم.

﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾ جواب «لو» محذوف.

﴿حِينَ﴾ مفعول به لـ ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا.

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ الضمير الفاعل: للنار،

وقيل: للساعة.

﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي: تفجؤهم.

﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: لا يؤخرون عن العذاب.

﴿وَلَقَدْ أَسْنَهَيْ﴾ الآية؛ تسليّة بالتأسي.

﴿فَحَاقَ﴾ أي: أحاط.



(١) في ب: «لما»، وفي أ: «ما» بدون «على».

[﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾
 ﴿٤٦﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا
 يُصْحَبُونَ ﴿٤٧﴾ بَلْ مَنَعَنَا هَؤُلَاءَ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا
 نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ
 وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ
 لَيَقُولُنَّ يُوَيْسِلُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ
 نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٥١﴾
 وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُنْقِصِينَ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
 بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٥٣﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾].

﴿مَنْ يَكْلُؤُكُمْ﴾ أي: من يحفظكم من أمر الله؟، و«مَنْ» استفهامية.

والمعنى: تهديد، وإقامة حجة؛ لأنهم لو أجابوا على هذا السؤال
 لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ، ثم جاء قوله: ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ
 رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ بمعنى: أنهم إذا سئلوا ذلك السؤال لم يجيبوا عنه؛ لأنه
 تقوم عليهم الحجة إن أجابوا، ولكنهم يعرضون عن ذكر الله؛ أي: عن
 الجواب الذي فيه ذكر الله.

وقال الزمخشري: معنى الإضراب هنا: أنهم معرضون عن ذكره، فضلاً
 عن أن يخافوا بأسه^(١).

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ أي: تمنعهم من العذاب، و﴿أَمْ﴾ هنا
 للاستفهام، والمعنى: الإنكار والنفي، وذلك أنه لما سألهم عن يكلؤهم

(١) انظر: الكشاف (١٠/٣٥١).

أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم، ثم احتجَّ عن ذلك بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾، فإن من لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره. ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ الضمير للكفار؛ أي: لا يُصْحَبُونَ منا بنصرٍ ولا حفظ.

﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ أي: متعناهم بالنعمة والعافية في الدنيا، فطغوا بذلك ونسوا عقاب الله.

والإضراب بـ «بل» عن معنى الكلام المتقدم؛ أي: لم يحملهم على الكفر والاستهزاء نصرٌ ولا حفظ، بل حملهم على ذلك أنا متعناهم وآباءهم. ﴿تَنْقُصَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ذكر في «الرعد»^(١).

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّرُ الدُّعَاءَ﴾ إشارة إلى الكفار، والصَّم استعارة في إفراط إعراضهم.

﴿نَفْحَةٌ﴾ أي: خطرة، وفيها تقليل العذاب.

والمعنى: أنهم لو رأوا أقلَّ شيء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ أي: العدل، وإنما أفرد القسط، وهو صفة للجمع:

لأنه مصدرٌ وصِف به، كعدُلٍ ورضًا.

أو على تقدير: ذوات القسط.

ومذهب أهل السنة: أن الميزان يوم القيامة حقيقة، له كِفَتَانِ ولسانٌ وعمودٌ توزن فيه الأعمال، والخِفَّةُ والثَّقْلُ متعلقة بأجسام؛ إما صحف الأعمال، أو ما شاء الله.

وقالت المعتزلة: إن الميزان عبارة عن العدل في الجزاء.

﴿لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ قال ابن عطية: تقديره: لحساب يوم القيامة، أو لحكمه فهو على حذف مضاف^(١).

وقال الزمخشري: هو كقولك: كتبت الكتاب لستُ خَلَوْنَ من الشهر^(٢).
﴿مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ أي: وزنها، والرفع على أنَّ «كان» تامة، والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمَر.

﴿الْفُرْقَانُ﴾ هنا: التوراة.

وقيل: التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ﴾ يعني: القرآن.



(١) انظر: المحرر الوجيز (١٧٣/٦).

(٢) انظر: الكشاف (٣٥٧/١٠).

[وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا آجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ تُكْسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخِزِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبِثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾].

﴿رُشْدَهُ﴾ يعني: إرشاده إلى توحيد الله، وكسر الأصنام، وغير ذلك.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل موسى وهارون.

وقيل: آتيناه رشده قبل النبوة.

﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي : عَلِمْنَا^(١) أنه يستحق ذلك .

﴿التَّمَاثِيلُ﴾ يعني : الأصنام ، وكانت على صور بني آدم .

﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ اعتراف بالتقليد من غير دليل .

﴿قَالُوا أَحِثِّتَنَا بِالحَقِّ﴾ أي : هل^(٢) هذا الذي تقول جِدُّ أو^(٣) مزاحٌ؟! .

وانظر كيف عَبَّرُوا^(٤) عن الحق بالفعل ، وعن اللَّعِبِ بالجملة الاسمية ؛ لأنه أثبت عندهم .

﴿فَطَرَهُمْ﴾ أي : خلقهم ، والضمير للسموات والأرض ، والتماثيل^(٥) وهذا^(٦) أليق بالرد عليهم .

﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾ يعني : خروجهم إلى عيدهم .

﴿جُذَذًا﴾ أي : فُتَاتًا ، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح ، وهو من الجذِّ بمعنى القطع .

(١) في أ : «علمناه» .

(٢) لم ترد في أ ، هـ .

(٣) في ج ، د : «أم» .

(٤) في ج ، د : «عبر» .

(٥) كذا في جميع النسخ الخطية ! ، ولعل صواب العبارة : «أو للتماثيل» ؛ ليستقيم الكلام مع ما بعده وهو قوله : «وهو أليق بالرد عليهم» ؛ أي : كون الضمير للتماثيل أليق من كونه للسموات والأرض ، وهذا هو الموافق لعبارة الكشف (٣٦٥ / ١٠) حيث قال : «الضمير في ﴿فَطَرَهُمْ﴾ للسموات والأرض ، أو للتماثيل ، وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم ، وأثبت للاحتجاج عليهم» .

(٦) في ج ، د : «وهو» .

﴿إِلَّا كَيْدًا لَهُمْ﴾ تَرَكَ الصنم الكبير لم يكسره، وعلّق القدم على يده^(١).
 ﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ الضمير للصنم الكبير؛ أي: يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء.

وقيل: الضمير لإبراهيم عليه السلام، أي: يرجعون إليه فيبين لهم الحق.
 ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا﴾ قبله محذوف تقديره: فرجعوا من عيدهم فأروا الأصنام مكسورة، ف﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا﴾.

﴿فَتَى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يذكرهم بالذم، ويقوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾.
 ﴿يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ﴾ قيل: إن إعراب ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ منادى.

وقيل: خبر ابتداء مضمّر.

وقال الأعمش^(٢): هو رفع على الإهمال^(٣).

والصحيح أنه مفعول لم يسم فاعله بـ ﴿يُقَالُ﴾؛ لأن المراد الاسم

(١) في أ، ب، ج، هـ: «من يده»!

(٢) هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشَّتْمَرِي الأَشْيَلِي، النحوي، ولد سنة (٤١٠هـ)، كان عالماً بالعربية واللغة واسع الحفظ للأشعار ومعانيها، جيد الضبط كثير العناية بهذا الشأن، فكانت الرحلة إليه في وقته. لُقّب بالأعلم؛ لأنه كان مشقوق الشفة العليا شقاً واسعاً، وتوفي بأشبيلية سنة (٤٧٦هـ). أنظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢٨٤٨/٦).

(٣) قال ابن عطية في توضيح مراده: «لما رأى وجوه الرفع كلها لا توضّح المعنى الذي قصدوه؛ ذهب إلى رفعه بغير شيء، كما قد يرفع التجرد والعرو عن العوامل الابتداء» المحرر الوجيز (١٧٦/٦).

لا المسمّى . وهذا اختيار ابن عطية^(١) والزمخشري^(٢) .

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي : يشهدون عليه بما فعل ، أو يحضرون عقوبتنا له .
 ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبكيته وإقامة
 الحجة عليهم ، كأنه يقول : إن كان إلهاً فهو قادر على أن يفعل ، وإن لم
 يقدر فليس بإله ، ولم يقصد الإخبار المحض ؛ لأنه كَذِبٌ .

فإن قيل : فقد جاء في الحديث : «إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات ،
 إحداها»^(٣) قوله : ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾^(٤) ؟

فالجواب : أن معنى ذلك : أنه قال قولاً ظاهره الكذب ، وإن كان القصد به
 معنى آخر ، ويدل على ذلك قوله : ﴿فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ؛ لأنه
 أراد به أيضاً تبكيتهم وبيان ضلالهم .

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي : رجعوا إليها بالفكرة والنظر ، أو رجعوا إليها
 بالملامة .

﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي : الظالمون لأنفسكم في عبادتكم ما
 لا ينطق ولا يقدر على شيء .

أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه : ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، وفي تعنيفه
 على أعين الناس .

(١) انظر : المحرر الوجيز (١٧٦/٦) .

(٢) انظر : الكشف (٣٧٠/١٠) .

(٣) في د : «أحدها» .

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٥٧) ، ومسلم (٢٣٧١) .

﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟!، فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون، وهم مع ذلك يعبدونهم، فهذه غاية الضلال في فعلهم، وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم.

ويَحْتَمِلُ أن يكون ﴿نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ بمعنى رجوعهم عن^(١) المجادلة إلى الانقطاع؛ فإن قولهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ اعتراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة.

ويَحْتَمِلُ على هذا أن يكون ﴿نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ حقيقة؛ أي: أطفأوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة.

﴿أَفِ لَكُمْ﴾ تقدّم الكلام على ﴿أَفِ﴾ في «الإسراء»^(٢).

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه^(٣) بالظلم.

﴿قُلْنَا يَنَازُكُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي: ذات برد وسلام، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة.

واختلف كيف بردت النار؟

فقيل: أزال الله عنها ما فيها من الحرّ والإحراق.

(١) في أ: «من».

(٢) انظر (٢/٨٠٢).

(٣) لم ترد هذه الكلمة في ج، د.

وقيل: دَفَعَ عن جسم إبراهيم حرَّها وإحراقها، مع ترك ذلك فيها.

وقيل: خَلَقَ بينه وبينها حائلاً.

ومعنى السلام هنا: السلامة، وقد روي أنه لو لم يقل: ﴿وَسَلَّمَ﴾ لَهْلَكَ إبراهيم بالبرد^(١).

وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم؛ لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه.

﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام، خرج إليها من العراق.

وبركَّتها: بخَصَّها، وكثرة الأنبياء فيها^(٢).

﴿نَافِلَةً﴾ أي: عطية، والتنفيل^(٣): العطاء.

وقيل: سماه نافلة؛ لأنه عطاءٌ بغير سؤال؛ فكأنه تبرُّع.

وقيل: الهبة: إسحاق، والنافلة: يعقوب؛ لأنه سأل إسحاق بقوله:

﴿هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، فأُعطي يعقوب؛ زيادةً على ما سأل.

واختار بعضهم على هذا الوقف على ﴿إِسْحَاقَ﴾؛ لبيان المعنى، وهذا ضعيف؛ لأنه معطوفٌ على كلِّ قولٍ.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يرشدون الناس بإذنا.

(١) في هـ: «من البرد».

(٢) «فيها» زيادة من ج، د.

(٣) في ب، ج: «والتفيل».

﴿وَلُوطًا﴾ قيل : إنه انتصب بفعل مضمر يفسره ﴿ءَايَاتُهُ﴾ .
والأظهر أنه انتصب بالعطف على ﴿مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ، أو ^(١) ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ .
وانتصب ﴿نُوحًا﴾ و﴿دَاوُدَ وَسَلِيمَانَ﴾ وما بعدهم بالعطف أيضًا .
وقيل : بفعل مضمر تقديره : اذكر .
﴿ءَايَاتُهُ حُكْمًا﴾ أي : حكمًا بين الناس ، أو حكمة .
﴿مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ هي سدوم ^(٢) من أرض الشام .
﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي : في الجنة ، أو في أهل رحمتنا ^(٣) .



(١) في ، د : «و» .

(٢) في ب : «سدام» .

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : كل من التفسيرين صحيح ، وإن كان الأول هو الجاري على الظاهر ، ويدل لصحة التفسيرين قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٧٧﴾ أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْتَبَةً ﴿١٧٨﴾ فَأَدْخِلْ فِي عِبْدِي ﴿١٧٩﴾ وَأَدْخِلْ جَنِّي﴾ ، وقوله : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْطَغَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ، وقوله سبحانه عن سليمان عليه السلام : ﴿وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ، وقال الله في الحديث القدسي للجنة : «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء» . والله أعلم .

[وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَسَلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَفْغُصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ: أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصْحِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَانَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَجْعُونَ ﴿٩٣﴾].

﴿نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: دعا قبل إبراهيم ولوط.

﴿مِنَ الْكَرْبِ﴾ يعني: الغرق.

﴿وَنَصَرْتُهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ تعدَّى ﴿وَنَصَرْتُهُ﴾ بـ ﴿مِنْ﴾ :

لأنه مطاوع «انتصر» المتعدّي بـ «مِنْ».

أو تضمَّن^(١) معنى : نجّياه، أو أجرناه.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ كان داود نبياً ملكاً، وكان ابنه سليمان حينئذ ابن^(٢) أحد عشر عاماً.

﴿فِي الْحَرْثِ﴾ قيل : زرع، وقيل : كَرْم، والحرث يقال فيهما.

﴿إِذْ نَفَسَتْ﴾ رَعَتْ فيه بالليل.

﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ الضمير لداود وسليمان والمتخاصمين.

وقيل : لداود وسليمان خاصة؛ على أن يكون أقلُّ الجمع اثنين.

﴿فَفَهَمْنَهَا سُلَيْمَانَ﴾ تخاصم إلى داود رجلاً، دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته، ففضى داود بأن يأخذ صاحب^(٣) الزرع الغنم، ووجه هذا الحكم : أن قيمة^(٤) الزرع^(٥) مثل قيمة الغنم، فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب، فأخبراه بما حكم به أبوه، فدخل عليه فقال : يا نبي الله لو حكمتَ بغير هذا كان^(٦) أرفق للجميع !، قال : وما هو؟ قال :

(١) في ج : «أو ضَمَّن»، وسقطت من ب.

(٢) في أ، ب، ج، هـ : «مِنْ» !.

(٣) في ب : «رَبُّ».

(٤) في ب زيادة «هذا».

(٥) في د زيادة : «كانت».

(٦) في ب، د : «الكان».

يأخذ صاحب الغنم الأرض؛ ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم ينتفع بألبانها وصوفها ونسلها، فإذا كمل الزرع رُدَّت الغنم إلى صاحبها، والأرض بزرعها إلى ربِّها، فقال له داود: وَفَّقْتَ يَا بَنِي، وقضى بينهما بذلك، ووجه حكم سليمان: أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان.

ويَحْتَمَلُ أن يكون ذلك إصلاحًا، لا حكمًا.

واخْتَلَفَ الناس: هل كان حكمهما باجتهادٍ أو وحي؟

فمن قال: كان باجتهاد: أجاز الاجتهاد للأنبياء، وروي أن داود رجع عن حكمه لَمَّا تبين له أن الصواب خلافه.

وقد اختلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء.

وعلى القول بالجواز اختلف: هل وقع أم لا؟

وظاهر قوله: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ﴾ أنه كان باجتهادٍ، خصَّ الله سليمان فيه بفهم القضية.

ومن قال: كان بوحي: جعل حكم سليمان ناسخًا لحكم داود.

وأما حكم إفساد المواشي للزرع^(١) في شرعنا:

فقال مالك والشافعي: يضمن أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون

(١) في ج: «الزرع».

النهار؛ للحديث الوارد في ذلك^(١)، وعلى هذا يدلُّ حكم داود وسليمان؛ لأنَّ النَّفْس لا يكون إلَّا بالليل.

وقال أبو حنيفة: لا يَضمَن ما أَفسدت بالليل ولا بالنهار؛ لقوله ﷺ: «العجماء جرحها جَبَارٌ»^(٢).

﴿وَكَلَّا ءَايِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قيل: يعني في هذه النازلة، وأنَّ داود لم يخطئ فيها، ولكنه رجع إلى ما هو أرجح، ويدلُّ هذا القول على أنَّ كلَّ مجتهد مصيبٌ.

وقيل: بل يعني: حكمًا وعلماً في غير هذه النازلة، وهذا على القول بأنه أخطأ فيها، وأنَّ المصيب واحد من المجتهدين.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كان هذا التسبيح قول: «سبحان الله».

وقيل: الصلاة معه إذا صَلَّى.

وقدَّم الجبال على الطير؛ لأنَّ تسبيحها أغرب؛ إذ هي جمادٌ.

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل هذا.

(١) وهو ما أخرجه أحمد في مسنده (١٨٦٠٦) وأبو داود (٣٥٦٩)، والنسائي في الكبرى (٣٣٤/٥) وابن ماجه (٢٣٣٢): عن حرام بن محيصة عن أبيه أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدته، فقاضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٢)، ومسلم (١٧١٠).

وقال ابن عطية : معناه : كان ذلك في حقه ؛ لأجل أن داود استوجب ذلك منا^(١) .

﴿صَنَعَةَ لَبُوسٍ﴾ يعني : دروع^(٢) الحديد ، وأول من صنعها داود عليه السلام ، قال ابن عطية : اللبوس في اللغة : السلاح^(٣) .

وقال الزمخشري : اللبوس : اللباس^(٤) .

﴿لِيُحَصِّنْكُمْ مِّنْ بِأْسِكُمْ﴾ أي : لتفقيكم في القتال .

وقرئ بالياء والتاء والنون :

فالنون : لله تعالى .

والتاء : للصنعة .

والياء : لداود ، أو لللبوس .

﴿فَهَلْ أُنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ لفظه استفهام ، ومعناه : استدعاء إلى الشكر .

﴿وَلَسُلَيْمَنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ عطف ﴿الرِّيحَ﴾ على ﴿الْجِبَالَ﴾ ، والعاصفة : هي الشديدة .

فإن قيل : كيف يقال ﴿عَاصِفَةً﴾ وقال في «ص» : ﴿رُخَاءً﴾ [ص : ٣٦] أي : ليئنة ؟

(١) المحرر الوجيز (٦/ ١٨٨) .

(٢) في أ ، ب : «درع» .

(٣) المحرر الوجيز (٦/ ١٨٩) .

(٤) الكشف (١٠/ ٣٨٥) .

فالجواب: أنها كانت في نفسها لينةً طيبة، وكانت تسرع في جريها كالعاصف، فجُمعت الوصفين.

وقيل: كانت رخاءً في ذهابه، وعاصفةً في رجوعه إلى وطنه؛ لأن عادة المسافرين الإسراعُ في الرجوع.

وقيل: كانت تشتدُّ إذا رَفعت البساط، وتلين إذا حملته.

﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ يعني: أرض الشام، وكانت مسكنه وموضع^(١) ملكه، فخصَّ في الآية الرجوع إليها؛ لأنه^(٢) يدلُّ على الانتقال منها. ﴿يَعْوُصُونَ لَهُ﴾ أي: يدخلون في الماء؛ ليستخرجوا له الجوهر من البحار.

﴿عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أقلُّ من العوص، كالبنيان والخدمة.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾ أي: نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه.

وقيل: معناه عالمين بعددهم.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ كان أيوب عليه السلام نبيًّا من الروم، وقيل: من بني إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير، فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك^(٣) الأولاد فصبر، ثم سلَّط البلاء على جسمه فصبر إلى أن مرَّ به قوم فشمتوا

(١) في ج، د: «وأرض».

(٢) في أ، ب: «فإنه».

(٣) في ج: «هلك».

به ، فحينئذٍ دعا إلى الله ^(١) تعالى .

على أن قوله : ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ليس تصريحًا بالدعاء ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ، ووصف ربّه بغاية الرحمة ؛ ليرحمه ، فكان في ذلك من حسن التلطّف ما ليس في التصريح بالطلب .

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ لما استجاب الله له أنبع ^(٢) له عينًا من ماء ، فشرّب منه واغتسل ، فبرئ من المرض والبلاء .

﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ روي أنّ الله أحيا أولاده الموتى ^(٣) ، ورزقه مثلهم معهم في الدنيا .

وقيل : في الآخرة .

وقيل : ولدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى ، ومثلهم معهم .

وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله .

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ أي : رحمةً لأيوب ، وذكرى لغيره من العابدين ؛ ليصبروا كما صبر .

ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معًا للعبدين .

﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ قيل : هو إلياس ، وقيل : زكريا ، وقيل : نبيُّ بُعث إلى رجل

(١) في د : «دعا الله» .

(٢) في هـ : «فتح»

(٣) هذه الكلمة زيادة من ج ، د .

واحد^(١)، وقيل: رجل صالح غير نبي.

وسُمِّي ذا الكفل أي: ذا الحظ من الله.

وقيل: لأنه تكفل لليسع بالقيام بالأمر^(٢) من بعده.

﴿وَذَا النُّونِ﴾ هو يونس عليه السلام، والنون: هو الحوت، نُسب إليه؛ لأنه التقمه.

﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾ أي: مغاضبًا لقومه؛ إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون، حتى أدركه ضجرٌ منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْمَوْتِ﴾ [القلم: ٤٨].

ولا يصح قول من قال: مغاضبًا لربه.

﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظن أن لن نضيق عليه، فهو من معنى قوله: ﴿فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: ١٦].

وقيل: هو من القدر والقضاء؛ أي ظن أن لن نقدر عليه بعقوبة.

ولا يصح قول من قال: إنه من القدرة.

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ قبل هذا الكلام محذوف؛ لبيانه في غير هذه الآية، وهو: أنه لما خرج ركب السفينة فرمى في البحر، فالتقمه الحوت، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾، وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت.

(١) في ب: «وحده».

(٢) في ب، هـ: «بأمره».

وَيَحْتَمِلُ أَنْ عَبَّرَ بِالظُّلُمَاتِ عَنْ بَطْنِ الْحَوْتِ؛ لَشِدَّةِ ظُلُمَتِهِ، كَقَوْلِهِ:
﴿وَرَكَّهْمَ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٧].

﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿أَنْ﴾ مفسرة،
أو مصدرية على تقدير: نادى بأن.

والظلم الذي اعترف به: كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم.
﴿وَجَنَّتْهُ مِنَ الْعَذَابِ﴾ يعني: من بطن الحوت، وأخرجه إلى البر.
﴿وَكَذَلِكَ نُشِجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل:
أن يكون مطلقاً.

أو يكون لمن دعا بدعاء يونس، ولذلك^(١) قال رسول الله ﷺ: «دعوة
أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا استجيب له»^(٢).

﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد ولا وارث.
﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: إن لم ترزقني وارثاً فأنت خير الوارثين، فهو
استسلام لله.

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ يعني: ولدت بعد أن كانت عقيماً، واسم
زوجته: أشياع، قاله السهيلي^(٣).

﴿يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الضمير للأنبياء المذكورين.

(١) في أ، هـ: «وكذلك».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٦٣)، والترمذي (٣٥٠٥)، النسائي في الكبرى (٢٤٣/٩)

(٣) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٢١١).

﴿رَعْبًا وَرَهْبًا﴾ الرَّعْبُ: الرجاء، والرَّهْبُ: الخوف.

وقيل: الرغب: أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي، والرهب: أن ترفع ظهورها^(١).

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ هي مريم بنت عمران، ومعنى ﴿أَحْصَنَتْ﴾: من العفة؛ أي: أعفته عن^(٢) الحرام والحلال، كقولها: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧].

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل في جيب درعها، ونسب الله النفخ إلى نفسه؛ لأنه كان بأمره. والروح هنا: هو الذي في الجسد، وأضاف الله الروح إلى نفسه؛ للتشريف، أو للملك.

﴿ءَايَةً﴾ أي: دلالة، ولذلك لم يشن.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ أي: ملئتكم ملة واحدة، وهو خطاب للناس كافة، أو للمعاصرين لمحمد ﷺ؛ أي: إنما بُعث الأنبياء المذكورون بما أُمِرتُم به من الدين؛ لأن جميع الرسل متفقون في أصول العقائد. ﴿وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي: اختلفوا فيه، وهو استعارةٌ مِنْ جَعَلَ الشَّيْءَ قِطْعًا.

والضمير للمخاطبين قبل، فالأصل: تقطعتم.

(١) في ج، د: «ظهورهما».

(٢) في أ، ب، هـ: «من».

[فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ، وَإِنَّا لَهُ كَنُيُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَّمَ عَلَىٰ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقُولُونَ لَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقْنَاهُمْ مِّلَّةَ يَوْمِكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾].

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ﴾ أي: لا يبطال لثواب عمله.

﴿وَإِنَّا لَهُ كَنُيُونَ﴾ أي: نكتب عمله في صحيفته.

﴿وَحَرَّمَ عَلَىٰ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ قرئ ﴿جِزْمٌ﴾ بكسر

الحاء، وهو بمعنى حرام.

واختلف في معنى الآية :

ف قيل : حرام بمعنى : ممتنع :

(أي : ممتنع^(١)) على قرية (أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة .

أو ممتنع على قرية)^(٢) قد أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا .

﴿لَا﴾ زائدة في الوجهين .

وقيل : حرام بمعنى : حتم واقع لا محالة ، ويُتصور فيه الوجهان ، وتكون

﴿لَا﴾ نافية فيهما :

أي : حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة .

أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا .

وقيل : المعنى : ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في

الآخرة ، و﴿لَا﴾ على هذا نافية أيضًا ، ففيه ردُّ على من أنكر البعث .

﴿حَقَّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ ﴿حَقَّ﴾ هنا :

حرف ابتداء .

أو غاية متعلِّقة بـ ﴿يَرْجِعُونَ﴾ .

وجواب ﴿إِذَا﴾ : ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ .

وقيل : الجواب : ﴿يَوَلَّيْنَا﴾ ؛ لأن تقديره : يقولون يا ويلنا .

(١) سقط من ب ، ج ، هـ .

(٢) سقط من أ ، ب ، هـ .

﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي: فُتِحَ سُدُّهَا، فحذف المضاف.
 ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ الحدب: المرتفع من الأرض،
 ﴿يَنْسِلُونَ﴾: أي يسرعون.

والضمير ليأجوج ومأجوج؛ أي: يخرجون من^(١) كل طريق؛ لكثرتهم.
 وقيل: لجميع الناس.

﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ يعني: ^(٢) القيامة.

﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ «إذا» هنا للمفاجأة، والضمير:

عند سيويه: ضمير القصة.

وعند الفراء: للأبصار.

﴿شَاخِصَةٌ﴾ من الشخوص، وهو إحداد النظر من الخوف.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ هذا خطابٌ
 للمشركين.

والحصب: ما توقد به النار، كالحطب، وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه:
 «حطب جهنم».

والمراد بـ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: الأصنام وغيرها، تُحرق في النار؛ توبيخاً لمن
 عبدها.

(١) في ب: «على».

(٢) في ج زيادة: «يوم».

﴿وَرُدُّوْنَ﴾ الورود هنا: دخول^(١).

﴿زَفِيرٌ﴾ ذكر في «هود»^(٢).

﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ قيل: يُجعلون في تواييت من نار، فلا يسمعون شيئاً.

وقيل: يُصمُّهم الله كما يُعميهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ ﴿سَبَقَتْ﴾ أي: قُضيت في الأزل،

و﴿الْحُسْنَى﴾: السعادة.

ونزلت الآية لما اعترض ابن الزُّبَيْرِ على قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾، فقال: إن عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا.

فالمعنى: إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد، واللفظ مع ذلك على عمومته في

كل مَنْ سبقت له السعادة.

﴿حَاسِبَهَا﴾ أي: صوتها.

﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ أهوال القيامة على الجملة.

وقيل: ذبح الموت.

وقيل: النفخة الأولى في الصور؛ لقوله: ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي

الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧].

﴿كُتِبَ السَّجِلَ لِلْكِتَابِ﴾ السَّجِلُ: الصحيفة، والكتاب: مصدر؛

(١) في هـ: «الدخول».

(٢) انظر (٢/٦١١).

أي: كما يُطَوَّى السجل ليكتب فيه، أو ليصان الكتاب الذي فيه.

وقيل: السجل: رجل كاتب، وهذا ضعيف.

وقيل: هو ملك في السماء الثانية، ترفع إليه الأعمال، وهذا أيضًا ضعيف.

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾ أي: كما قَدَرْنَا على البَدْءِ نَقْدِرُ على الإعادة، فهو كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

وقيل: المعنى: نعيدهم على الصورة التي بدأناهم^(١) كما جاء في الحديث: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلًا»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾^(٢).

والكاف متعلّقة بقوله: ﴿نُعِيدُهُمْ﴾.

﴿فَتَعْلَمُونَ﴾ تأكيدٌ لوقوع البعث.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ في الزبور هنا قولان:

أحدهما: أنه كتاب داود، والذكر هنا على هذا: التوراة التي أنزل الله على موسى، أو ما في الزبور من ذكر الله تعالى.

والقول الثاني: أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء، والذكر على هذا: هو اللوح المحفوظ؛ أي: كتب الله هذا في

(١) في أ، ب، هـ: «بدأناهم».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٥٩).

الكتاب الذي أفرد له، بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها.

والأول أرجح؛ لأن إطلاق الزبور على كتاب داود أظهر وأكثر استعمالاً ولأن الزبور مفردٌ، فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع، ولأن النصّ قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها^(١) الصالحون.

﴿أَنْتَ الْأَرْضُ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأرض هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها.

وقيل: الأرض المقدسة.

وقيل: أرض الجنة.

والأول أظهر.

والعباد الصالحون: أمة محمد ﷺ، ففي الآية ثناءٌ عليهم، وإخبارٌ بغيبٍ ظهر^(٢) مصداقه في الوجود؛ إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ هذا خطاب لمحمد ﷺ، وفيه تشريف عظيم.

وانتصاب ﴿رَحْمَةً﴾ على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول، والمعنى على هذا: أن النبي ﷺ هو الرحمة.

(١) في ج زيادة: «عبادي».

(٢) في أ، ب: «وإخبار بظهور غيب»!

وَيَحْتَمِلُ :

أن يكون مصدرًا في موضع الحال من ضمير الفاعل ، تقديره : أرسلناك راحمين للعالمين .

أو يكون مفعولًا من أجله .

والمعنى على كل وجه : أن الله رحم العالمين بإرسال محمد ﷺ ؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى ، والنجاة من الشقاوة العظيمة ، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى ، وعلمهم بعد الجهالة ، وهداهم بعد الضلالة .

فإن قيل : ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ عمومٌ ، والكفار لم يُرحموا به ؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنهم كانوا معرّضين للرحمة به لو آمنوا ، فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم .

والآخر : أنهم رُحِموا به ؛ لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك .

﴿أَذْنُكُم عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي : أعلمتكم بالحق على استواء في الإعلام ، وتبليغ إلى جميعكم لم يختص به واحد دون^(١) آخر .

﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ «إن» هنا وفي الموضع الآخر نافيةٌ ، و﴿أَدْرَىٰ﴾ فعل عُلق عن معموله ؛ لأنه من أفعال القلوب ، وما بعده

(١) في أ ، ب زيادة : «واحد» .

في موضع المعمول من طريق المعنى ؛ فيجب وصله معه ، والهمزة في قوله : ﴿أَقْرَبُ﴾ للتسوية ، لا لمجرد الاستفهام .

وقيل : يوقف على ﴿وَلِإِنْ أَدْرَى﴾ في الموضعين ، ويبدأ بما بعده ، وهذا خطأ ؛ لأنه يطلب ما بعده .

﴿لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ﴾ الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم .

﴿وَمَنْعُ إِلَى حِينٍ﴾ أي : إلى الموت ، أو القيامة .

﴿الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي : أستعين به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب .



﴿ سورة الحج ﴾

[يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْوَفُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾].

﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ تكلّمنا على التقوى في أول «البقرة»^(١).

﴿إِن زُلْزَلَتِ السَّاعَةُ﴾ أي: شدَّتْها وهَوْلُها^(١)، كقوله: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤]، أو تحريك الأرض حيثُذ، كقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

والجملة تعليلٌ للأمر بالتقوى.

واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك:

في الدنيا بين يدي القيامة؟

أو بعد أن تقوم القيامة؟.

والأرجح: أن ذلك قبل القيامة؛ لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل، لا بعد القيامة.

﴿يَوْمَ تَرْوَنَهَا﴾ العامل في الظرف ﴿تَذْهَلُ﴾.

والضمير للزلزلة.

وقيل: للساعة، وذلك ضعيف؛ لما ذكرنا، إلا أن يريد ابتداء أمرها.

﴿تَذْهَلُ﴾ الذهول: هو الذهاب عن الشيء مع دهشة.

﴿مُرْضِعَةٌ﴾ إنما لم يقل «مرضع»؛ لأن المرضعة هي التي في حال الإرضاع مُلْقِمَةٌ ثديها للصبى، والمرضع: التي شأنها أن تُرْضِعَ، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقال: ﴿مُرْضِعَةٌ﴾؛ ليكون ذلك أعظم في الذهول؛ إذ تنزع ثديها من فم الصبي حيثُذ.

(١) في أ، ب، هـ: «وهو هولها».

﴿وَرَى النَّاسَ سُكَرَى﴾ تشبيهه بالسكارى؛ لشدة الغم.

﴿وَمَا هُمْ بِسُكَرَى﴾ نفى لحقيقة السكر.

وقرئ ﴿سَكْرَى﴾، والمعنى متفق^(١).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ نزلت في النضر بن الحارث، وقيل: في أبي جهل.

وهي تتناول كلَّ مَنْ اتصف بذلك.

﴿شَيطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ أي: شديد الإغواء، ويحتمل أن يريد: شيطان الجن، أو الإنس.

﴿كُتِبَ﴾ تمثيلٌ لثبوت الأمر، كأنه مكتوب.

ويحتمل أن يكون بمعنى: قُضي، كقوله: كُتب الله.

﴿أَنَّهُ﴾ في موضع المفعول الذي لم يسمَّ فاعله، و﴿فَأَنَّهُ﴾ عطفٌ عليه، وقيل: تأكيد.

﴿مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ أي: تبعه، أو اتخذه وليًّا.

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾، وفي ﴿أَنَّهُ﴾ في الموضعين، وفي ﴿تَوَلَّاهُ﴾: للشيطان.

وفي ﴿يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾: للمتولِّي له.

ويحتمل أن تكون تلك الضمائر أولًا لـ ﴿مَنْ يُجَادِلُ﴾.

(١) في ج زيادة «عليه».

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ الآية؛ معناها: إن شككتكم في البعث الأخر اوي فزوال ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء خَلَقْتُمْ؛ فتعلموا أن الذي قَدَّرَ على خَلَقْتُمْ أول مرة، قادرٌ على أن يعيدكم ثاني مرة، وأن الذي قَدَّرَ على إخراج النبات من الأرض بعد موتها، قادر على أن يخرجكم من قبوركم.

﴿خَلَقْتَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ إشارة إلى خلق آدم، وأسند ذلك إلى الناس؛ لأنهم من ذريته، وهو أصلهم.

﴿مِّنْ عَلَقَةٍ﴾ العلقه: قطعة من دم جامدة.

﴿مِّنْ مَّضْغَةٍ﴾ أي: قطعة من لحم.

﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ التامة الخلقة، وغير المخلقة: غير التامة، كالسَّقَط.

وقيل: المخلقة: المسوأة السالمة من نقصان.

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ اللام تتعلق بمحذوف تقديره: ذكرنا ذلك لنبين لكم قدرتنا على البعث.

﴿وَنُقَرِّرُ﴾ فعلٌ مستأنف.

﴿إِلَّا أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: وقت وضع الحمل، وهو مختلفٌ، أقله ستة أشهر إلى ما فوق ذلك.

﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أفرده: لأنه أراد الجنس، أو أراد: نخرج كل واحد منكم طفلاً.

﴿لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ هو كمال القوّة والعقل والتميز، وقد اختلف فيه من ثمان عشرة سنة إلى خمس وأربعين.

﴿أَزْدِلِ الْعُمُرِ﴾ ذكر في «النحل»^(١).

﴿هَامِدَةً﴾ يعني: لا نبات فيها.

﴿أَهْتَزَّتْ﴾ تحرّكت بالنبات، وتخلخلت أجزاؤها لما دخلها الماء.

﴿وَرَبَّتْ﴾ انتفخت.

﴿زَوْجَ بَهِيحٍ﴾ أي: صنف عجيب.

﴿ذَلِكَ يَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: ذلك المذكور، من أمر الإنسان والنبات، حاصل بأن^(٢) الله هو الحق. هكذا قدره الزمخشري^(٣)، والباء على هذا سببية، وبهذا المعنى أيضًا فسرها ابن عطية^(٤).

ويلزم على هذا أن لا يكون قوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ معطوفاً على ذلك؛ لأنه ليس بسبب لما ذكر؛ فقال ابن عطية: قوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ ليس بسبب لما ذكر؛ ولكن المعنى: أن الأمر مرتبطٌ بعبءه ببعض، أو على تقدير: والأمر أن الساعة^(٥).

(١) انظر (٢/٧٦٢).

(٢) في هـ: «لأن».

(٣) الكشاف (١٠/٤٤٥).

(٤) المحرر الوجيز (٦/٢١٨).

(٥) المحرر الوجيز (٦/٢١٨).

وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان.

أما قوله: «إن الأمر مرتبط بعبه ببعض»، فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف، والعطف لا يصح.

وأما قوله: «على تقدير: الأمر: أن الساعة»؛ فذلك استئناف، وقطع للكلام الأول، ولا شك أن المقصود من الكلام الأول هو إثبات الساعة؛ فكيف يجعل ذكرها مقطوعاً مما قبله؟!.

والذي يظهر لي: أن الباء ليست بسببية، وإنما يُقدَّر لها فعلٌ تتعلق به ويقتضيه المعنى، وذلك أن يكون التقدير: ذلك الذي تقدَّم من خَلْقَةِ الإنسان والنبات شاهد^(١) بأن الله هو الحق، وبأنه يحيي^(٢) الموتى، وبأن الساعة آتية، فيصح عطف: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ على ما قبله بهذا التقدير، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ مما استدلَّ عليها بخَلْقَةِ الإنسان والنبات.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلت فيمن نزلت الأولى، وقيل: في الأخنس بن شريق.

﴿ثَانِي عَظْفِهِ﴾ كناية عن المتكبر المعرض.

﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ إن كانت في النضر بن الحارث: فالخزي: أسرُه ثم قلته، وكذلك قتل أبي جهل.

(١) في د: «تشهد».

(٢) في ج: «محيي».

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ أي : يقال له : ذلك بما فعلت ، وبعذل الله ؛ لأنه لا يظلم العباد .



[وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِمْ لَيْسَ لِّلْمَوْتِ وَلَيْسَ لِّلْعَشِيرِ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ يَتْلُو بِهَا الْقُرْآنُ وَمَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ مِنْهُنَّ يُؤْمِنُ بِهِ لَئِن مِّنْ فَتْنَةٍ أَفْلَحَتِ فَلَإِنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٧﴾ هَذَانِ حَصَمَانِ أُخْصِمُوا فِي رَيْبِهِمُ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٨﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٩﴾ وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِّنْ حديدٍ ﴿٢٠﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢١﴾].

﴿مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ نزلت في قوم من الأعراب، كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال: هذا دين حسن، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاءم به، وارتد عن الإسلام.

فالحرف هنا: كناية عن المقصد، وأصله:

من الانحراف عن الشيء.

أو من الحرف بمعنى الطرف؛ أي: أنه في طرفٍ من الدين لا في وسطه.
﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ خسارة الدنيا: بما جرى عليه فيها، وخسارة
الآخرة: بارتداده، وسوء اعتقاده.

﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ يعني: الأصنام، و﴿يَدْعُوا﴾ بمعنى: يعبد (في
الموضعين)^(١).

﴿يَدْعُوا لِمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ فيها إشكالان:

الأول: في المعنى، وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم
وصفها بأنَّ ضَرَّها أكثر من نفعها، فنفي الضرِّ ثم أثبتة!

والجواب: أن الضر المنفي أوَّلاً يراد به ما يكون مِنْ فِعْلِها، وهي لا تفعل
شيئاً، والضر الثاني يراد به: ما يكون بسببها من العذاب وغيره.

والإشكال الثاني: دخول اللام على «من»، وهي في الظاهر مفعول،
واللام لا تدخل على المفعول!

وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه:

أحدها: أن اللام مقدَّمة على موضعها، كأنَّ الأصل أن يقال: يدعو مَنْ
لضرِّه أقرب من نفعه، فموضعها الدخول على المبتدأ.

وثانيها: أنَّ ﴿يَدْعُوا﴾ هنا كُرِّر تأكيداً لـ ﴿يَدْعُوا﴾ الأول، وتمَّ الكلام
عنده، ثم ابتدأ قوله: ﴿لِمَن ضَرُّهُ﴾، ف«من» مبتدأ، وخبره ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾.

(١) لم ترد في ج، د، هـ.

وثالثها: أن معنى ﴿يَدْعُوا﴾: يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرّة الأصنام، فدخلت اللام على مبتدأ في أول الكلام.

﴿الْمَوْلَى﴾ هنا: بمعنى الولي.

﴿الْعَشِيرُ﴾ الصاحب؛ فهو من العِشْرة^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية؛ لما ذكر أن الأصنام لا تنفع من عبدها؛ قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع، وهو دخول الجنة.

﴿فَلْيَمْدُدْ سَبَبٌ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ السبب هنا: الجبل، والسماء هنا: سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تُعَلَّقُ^(٢) منها الجبال.

والقطع هنا يراد به: الاختناق بالجبل، يقال: قَطَعَ الرجلُ: إذا اختنق. ويَحْتَمِلُ أن يراد به: قَطْعُ الرَّجُلِ من الأرض بعد ربط الجبل في العنق، وربطه في السقف.

والمراد بالاختناق هنا: ما يفعله من اشتدَّ غيظه وحسرتة، أو طمِع فيما لا يصل إليه، كقولك للحسود: مُتْ كمدًا، أو اختنق؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك.

وفي معنى الآية قولان:

الأول: أن الضمير في ﴿يَنْصُرُهُ﴾ لمحمد ﷺ، والمعنى على هذا: من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمدًا فليختنق بحبل؛ فإن الله

(١) في أ، ب، هـ: «العشيرة»!

(٢) في ج، د، هـ: «يعلق».

ناصره ولا بدّ؛ على غيظ الكفار.

فموجب الاختناق: هو الغيظ من نصره محمد ﷺ.

والقول الثاني: أن الضمير في ﴿يَنْصُرُهُ﴾ عائِدٌ على ﴿مَنْ﴾، والمعنى على هذا: مَنْ ظَنَّ بسبب ضيق صدره وكثرة غمّه أن لن ينصره الله فليختنق، وليمت بغيظه؛ فإنه لا يَقْدِر على غير ذلك.

فموجب الاختناق على هذا: القنوط، والتسخط من القضاء، وسوء الظنّ بالله حتى يئس^(١) من نصره، ولذلك فسّر بعضهم ﴿أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ بمعنى: أن لن يرزقه.

وهذا القول أرجح من الأول لوجهين:

أحدهما: أن هذا القول مناسبٌ لمن يعبد الله على حرف؛ لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط، حتى ظنَّ أن الله لا ينصره^(٢)، فيكون هذا الكلام متصلاً بما قبله، ويدلُّ عليه^(٣) قوله قبل هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: الأمور بيد الله؛ فلا ينبغي لأحد أن يتسخط من قضاء الله، ولا ينقلب إذا أصابته فتنة.

والوجه الثاني: أن الضمير في ﴿يَنْصُرُهُ﴾ على هذا القول يعود على ما تقدّم^(٤)، وأما في القول الأول فلا يعود على مذكورٍ قبله؛ لأن النبي ﷺ لم

(١) في ج: «يئأس».

(٢) في أ، ب: «أن لن ينصره».

(٣) في د: «على ذلك».

(٤) في ج، هـ: «تقدمه».

يُذَكِّرُ قَبْلَ ذَلِكَ بِحَيْثُ يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَيْهِ، وَلَا يَدُلُّ سِيَاقُ الْكَلَامِ عَلَيْهِ دَلَالَةً ظَاهِرَةً.

﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ الكيد هنا يراد به: اختناقه، وَسُمِّيَ كَيْدًا؛ لِأَنَّهُ وَضَعَهُ مَوْضِعَ الْكَيْدِ؛ إِذْ هُوَ غَايَةُ حِيلَتِهِ.

والمعنى: إِذَا خَنَقَ نَفْسَهُ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبُ ذَلِكَ مَا يَغِيظُهُ مِنَ الْأَمْرِ؟، أَي: لَيْسَ يُذْهِبُهُ.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن؛ أَي: مِثْلَ هَذَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ كُلَّهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: «أَنَّ» فِي مَوْضِعِ خَبَرِ الْإِبْتِدَاءِ، وَالتَّقْدِيرُ: الْأَمْرُ أَنَّ اللَّهَ (١)، وَهَذَا ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ فِيهِ تَكْلُفٌ إِضْمَارٌ، وَقِطْعًا لِلْكَلَامِ عَنِ الْمَعْنَى الَّتِي قَبْلَهُ.

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: التَّقْدِيرُ: لِأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَرِيدُ أَنْزَلْنَاهُ كَذَلِكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (٢)، فَجَعَلَ «أَنَّ» تَعْلِيلًا لِلْإِنْزَالِ، وَهَذَا ضَعِيفٌ؛ لِلْفَصْلِ بَيْنَهُمَا بِالْوَاوِ.

وَالصَّحِيحُ عِنْدِي: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾؛ لِأَنَّهُ مُقَدَّرٌ بِالمصدر، فَالتَّقْدِيرُ: أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَهَدَى لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ.

﴿وَالصَّائِينَ﴾ ذُكِرَ فِي «البقرة» (٣)، وَكَذَلِكَ ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾.

(١) المحرر الوجيز (٦/٢٢٤).

(٢) الكشف (١٠/٤٥٦).

(٣) انظر (١/٣٢٢)، والمادة (٣٧٦) في اللغات.

﴿وَالْمَجُوسَ﴾ هم الذين يعبدون النار، ويقولون: إن الخير من النور والشر من الظلمة.

﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم.
﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ هذه الجملة هي خبر ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية، وكُرِّرَتْ ﴿إِنَّ﴾ مع الخبر للتأكيد.

وفَضَّلُ الله بَيْنَهُمْ: بأن يبين لهم أَنَّ الإيمان هو الحق، وسائر الأديان باطلة، وبأن يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار.

﴿يَسْجُدُ لَهُمْ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ دخل في هذا: مَنْ فِي السَّمَوَاتِ مِنَ الملائكة، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الملائكة والجنّ، ولم يدخل الناس في ذلك؛ لأنه ذكّرهم في آخر الآية، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَكَرَهُمْ فِي آخَرِهَا عَلَى وَجْهِ التجريد.

وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف؛ لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما، وإنما المراد به: الانقياد، ثم إن الانقياد يكون على وجهين:

أحدهما: الانقياد لطاعة الله طوعًا.

والآخر: الانقياد لما يُجْزِي الله على المخلوقات من أفعاله وتدبيره، شاؤوا أو أبوا.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد للطاعة؛ فيكون ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ معطوفًا على ما قبله من الأشياء التي تسجد، ويكون

قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ مستأنفاً يراد به من لا ينقاد للطاعة، ويؤقف على قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾، وهذا القول هو الصحيح.

وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدييره؛ فلا يصح تفصيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد؛ لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى.

فقل^(١): إن قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ معطوف على ما قبله، ثم عطف عليه ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾، فالجميع على هذا يسجد، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ يقتضي ظاهره: أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود.

وتأوله الزمخشري على هذا المعنى: بأن أعرب ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ فاعلاً بفعل مضمّر تقديره: يسجد سجود طاعة، أو مرفوعاً بالابتداء، وخبره محذوف تقديره: مثاب^(٢). وهذا تكلف بعيد.

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم، ويدلّ على ذلك: ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم، وهو قول ابن عباس^(٣).

(١) في ج، د: «وقيل».

(٢) الكشاف (٤٥٩/١٠).

(٣) في نسبة هذا القول إلى ابن عباس نظر!، فابن عباس يقول بأنها في المؤمنين وأهل الكتاب، لا عموم الكفار، وأما القول بأنها في المؤمنين والكفار على العموم، فهو قول مجاهد وعطاء والحسن البصري وعاصم والكلبي. انظر: تفسير الطبري (٤٩١/١٦)، والمححر الوجيز (٢٢٨/٦).

وقيل: نزلت في علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث، حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات.

والْحَصْمُ يقع على الواحد والاثنين والجماعة، والمراد به هنا: جماعة. والإشارة بـ ﴿هَٰذَا﴾ إلى الفريقين.

﴿أَخْصَمُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾ أي: في دينه وفي صفاته، والضمير في ﴿أَخْصَمُوا﴾ لجماعة الفريقين.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية؛ حَكَمَ بين الفريقين، بأن جعل للكفار النار، وللؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا.

﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ﴾ أي: فصلت على قدر أجسادهم، وهو مستعار من تفصيل الثياب.

﴿الْحَمِيمُ﴾ الماء الحار.

﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: يُذاب، وذلك أن الحميم إذا صُبَّ على رؤوسهم وصل حره إلى بطونهم، فأذاب ما فيها.

وقيل: معنى ﴿يُصْهَرُ﴾: يُنْضَج.

﴿مَقْمِعٌ﴾ جمع مَقْمَعَةٍ؛ أي: مِقْرَعَةٌ من حديد يُضْرَبُونَ بها.

وقيل: هي السَّيَاط.

﴿مِنْ غَيْرٍ﴾ بدل من المجرور قبله.

﴿وَذُوقُوا﴾ التقدير: يقال لهم: ذوقوا.

[﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (٢٢) وَهَدُّوْا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوْا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظْلَمِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ (٢٤)].

﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ ﴿مِنْ﴾ لبيان الجنس، أو التبعض.

وفسرنا الأساور في «الكهف»^(١).

﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب:

مفعول بفعل مضمر؛ أي: يُعْطَوْنَ لُؤْلُؤًا.

أو معطوف على موضع ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾؛ إذ هو مفعول.

وبالخفض: معطوف:

على ﴿أَسَاوِرَ﴾.

أو على ﴿ذَهَبٍ﴾.

﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قيل: هو «لا إله إلا الله».

واللفظ أعم من ذلك.

﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي: صراط الله، فالحميد اسم الله.

ويحتمل أن يريد: الصراط الحميد، وأضاف الصفة إلى الموصوف

كقولك : مسجد الجامع .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ خبره محذوف ، يدلُّ عليه قوله : ﴿نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ .

وقيل : الخبر ﴿يَصُدُّونَ﴾ على زيادة الواو ، وهذا ضعيف .

وإنما قال : ﴿يَصُدُّونَ﴾ بلفظ المضارع ؛ ليدلَّ على الاستمرار على الفعل .

﴿سَوَاءٌ﴾ بالرفع : مبتدأ ، أو خبر مقدم ، والجملة في موضع المفعول الثاني لـ «جعلنا» .

وقرئ بالنصب ؛ على أنه المفعول الثاني ، و﴿الْعَاكِفُ﴾ فاعل به .

﴿الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ العاكف : المقيم في البلد ، والبادي : القادم عليه من غيره ، والمعنى : أن الناس سواءٌ في المسجد الحرام ، لا يختصُّ به أحد دون أحد^(١) ، وذلك إجماعٌ .

وقال أبو حنيفة : حكم سائر مكة في ذلك كالمسجد الحرام ، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء ، وليس لأحد فيها ملك ، والمراد عنده بالمسجد الحرام : جميع مكة .

وقال مالك وغيره : ليست الدور في ذلك كالمسجد ، بل هي متملّكة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الإلحاد : الميل عن الصواب .

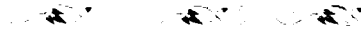
(١) في ج ، هـ : «دون آخر» .

والظلم هنا : عام في المعاصي من الكفر إلى الصغائر ؛ لأن الذنوب بمكة أشدُّ منها في غيرها .

وقيل : هو استحلال الحرام^(١) .

ومفعول ﴿يُرَدُّ﴾ محذوف ، تقديره : مَنْ يُرَدُّ أَحَدًا ، أو مَنْ يرد شيئًا ، و﴿يُحْكَمُ بِظُلْمٍ﴾ : حالان مترادفان .

وقيل : المفعول قوله : ﴿يُحْكَمُ﴾ على زيادة الباء .



(١) في ب ، ج : «الحرم» .

[وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ
 لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ
 اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَيْهِيمَةٍ الْأَنْعَمِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْبَاسِ
 الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ
 ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ
 الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ
 الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ
 الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبَرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ
 تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ﴾ العامل في «إِذ» مضمَر، تقديره:

اذكر.

و﴿بَوَّأْنَا﴾ أصله: بَاءَ بمعنى رَجَعَ، ثم ضوعف ليتعدَّى، واستعمل
 بمعنى: أنزلنا في الموضع، كقوله: ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢١].

إِلَّا أَنْ هَذَا الْمَعْنَى يَشْكُلُ هُنَا؛ لِقَوْلِهِ: ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾؛ فَتَعَدَّى الْفِعْلُ بِاللَّامِ
 وَهُوَ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، حَتَّى قِيلَ: اللَّامُ زَائِدَةٌ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: هَيَّأْنَا، وَقِيلَ:
 جَعَلْنَا.

و﴿الْبَيْتِ﴾ هُنَا: الْكَعْبَةُ، وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ آدَمُ يَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ، ثُمَّ دَرَسَ
 بِالطُّوفَانِ، فَدَلَّ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ عَلَى مَكَانِهِ، وَأَمَرَهُ بِنِيَانِهِ.

﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ﴾: مَفْسَّرَةٌ، وَالْخَطَابُ لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَإِنَّمَا

فُسِّرَتْ تَبَوُّةُ الْبَيْتِ بِالنَّهْيِ عَنِ الْإِشْرَاقِ وَالْأَمْرِ بِالتَّطْهِيرِ؛ لِأَنَّ التَّبَوُّةَ إِنَّمَا قُصِدَتْ لِأَجْلِ الْعِبَادَةِ الَّتِي تَقْتَضِي ذَلِكَ.

﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ عَامٌّ فِي التَّطْهِيرِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَنْجَاسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَالْفَائِزِينَ﴾ يَعْنِي: الْمَصْلِينَ.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ خُطَابُ لِإِبْرَاهِيمَ.

وَقِيلَ: لِمُحَمَّدٍ ﷺ.

وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ.

رَوَى ^(١) أَنَّهُ لَمَّا أُمِرَ بِالْأَذَانِ بِالْحَجِّ صَعِدَ عَلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ، وَنَادَى: أَيُّهَا النَّاسُ!، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَكُمْ بِحَجِّ هَذَا الْبَيْتِ فَحُجُّوا، فَسَمِعَهُ كُلٌّ مِنْ يَحْجُجُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَأَجَابَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ جَمَادٍ وَغَيْرِهِ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ»، فَجَرَّتِ التَّلْبِيَةُ عَلَى ذَلِكَ.

﴿يَأْتُونَكَ رِجَالًا﴾ جَمَعَ رَاجِلٍ؛ أَي: مَاشِيًا عَلَى رِجْلَيْهِ.

﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الضَّامِرُ يَرَادُ بِهِ: مَا يُرْكَبُ مِنْ فَرَسٍ وَنَاقَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَوَصَفَهُ بِالضُّمُورِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى الْبَيْتِ إِلَّا بَعْدَ ضُمُورِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ حَالٌ مَعْطُوفٌ عَلَى حَالٍ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: رِجَالًا وَرِكْبَانًا.

(١) فِي ب، د: «وَرَوَى».

واستدلّ بعضهم بتقديم الرّجال في الآية على أن المشي^(١) إلى الحج أفضل من الركوب^(٢).

واستدلّ بعضهم بسقوط ذكر البحر من هذه الآية على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر.

﴿يَأْتِينَ﴾ صفة لـ ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾ ؛ لأنه في معنى الجمع.

﴿مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي : طريق بعيد.

﴿مَنْفَعٍ لَهُمْ﴾ التجارة.

وقيل : أعمال الحج وثوابه.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ يعني : التسمية عند ذبح البهائم ونحرها في الضحايا والهدايا^(٣).

وقيل : يعني الذّكر على الإطلاق.

وإنما قال : ﴿اسْمَ اللَّهِ﴾ ؛ لأن الذّاكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء.

﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هي عند مالك : يوم النحر وثانيه وثالثه خاصة ؛ لأن هذه هي أيام الضحايا عنده ، ولم يُجزْ ذبحها بالليل ؛ لقوله : ﴿فِي أَيَّامٍ﴾.

(١) في أ ، ب : «الماشي».

(٢) في أ : «الراكب».

(٣) في أ : «والهدي».

وقيل : الأيام المعلومات : عشر ذي الحجة ، ويوم النحر ، والثلاثة^(١) بعده .

وقيل : عشر ذي الحجة خاصة .

وأما الأيام المعدودات ؛ فهي الثلاثة بعد يوم النحر .

فيوم النحر من المعلومات ، لا من المعدودات .

واليومان بعده من المعلومات والمعدودات .

ورابع النحر من المعدودات ، لا من المعلومات .

﴿ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ ندبٌ ، أو إباحة .

ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا ، ويتصدق بالأكثر .

﴿ الْبَاسِ ﴾ الذي أصابه البؤس .

وقيل : هو المتكفف .

وقيل : الذي يظهر عليه أثر الجوع .

﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ التَّفَثُ في اللغة : الوسخ ، فالمعنى : ليقضوا إزالة

تفثهم بقصّ الأظفار ، والاستحداد ، وسائر خصال الفطرة ، والتنظف بعد أن يَحِلُّوا من الحج .

وقيل : التفث : أعمال الحج .

(١) في أ : « والثلاثة » ، وفي ب : « وثلاثة » .

وقرئ بكسر اللام وإسكانها، وهي لام الأمر، وكذلك ﴿وَلْيُؤْفُوا﴾
﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ المراد هنا: طواف الإفاضة عند جميع المفسرين، وهو
الطواف الواجب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس.

وقيل: العتيق: الكريم، كقولهم: فرس عتيق.

وقيل: أعتق من الجبابة؛ أي: منع منهم.

وقيل: العتيق: أي: لم يملكه أحد^(١) قط.

﴿ذَلِكَ﴾ هنا، وفي الموضع الثاني: مرفوعٌ على تقدير: الأمر ذلك، كما
يقدم الكاتبُ جملةً من كتابه، ثم يقول: «هذا؛ وقد كان كذا».

وأجاز بعضهم الوقف على قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ في ثلاثة مواضع من هذه
السورة، وهي:

[١-] هذا.

[٢-] و﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبَرٍ أَلَّهِ﴾^(٢).

لأنها جملة مستقلة؛ إذ هو خبر ابتداء مضمّر.

(١) في ج زيادة: «منهم».

(٢) في جميع النسخ ما عدا هـ زيادة: «و(ذلك ومن يشرك بالله) باعتبارها الموضع الثالث!، وهذا وهم؛ فليست هناك آية بهذا النظم لا في سورة الحج ولا في غيرها، فلعل مراده أن الموضع الثالث هو الموضع الآتي، وهو ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾.

والأحسن: وصلُّها بما بعدها عند شيخنا أبي جعفر ابن الزبير؛ لأن ما بعدها ليس كلاماً أجنبيّاً.

ومثلها:

[٣-] ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ [الحج: ٦٠].

و﴿ذَلِكَ كُمْ فَذُوقُوا﴾ [الأنفال: ١٤] في «الأنفال».

و﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّغْيَنَ﴾ [ص: ٥٥] في «ص».

﴿حُرِّمَتْ أَلَلَهُ﴾ جمع حُرْمَة، وهو ما لا يحلُّ هَتَكه من جميع الشريعة، فيَحْتَمَل أن يكون هنا:

على العموم.

أو يكون خاصّاً بما يتعلق بالحج؛ لأن الآية فيه.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهِ﴾ أي: التعظيم للحرّمات خير.

﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ يعني: ما حرّمه في غير هذا الموضع، كالميتة.

﴿الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ ﴿مِنْ﴾ لبيان الجنس؛ كأنه قال: الرّجس الذي هو الأوثان.

والمراد: النهي عن عبادتها، أو عن الذبح تقرّباً إليها، كما كانت العرب تفعل.

﴿قَوْلِكَ الزُّورِ﴾ أي: الكذب.

وقيل: شهادة الزور.

﴿فَكَانَ خَرًّا مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية؛ تمثيلٌ للمشرك بمن أهلك نفسه أشدَّ الهلاك.

﴿سَجِقَ﴾ أي: بعيد.

﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ قيل: هي الهدايا في الحج، وتعظيمُها: بأن تُختار سِمَانًا عِظَامًا غالية الأثمان.

وقيل: مواضع الحج، كعرفة ومنى والمزدلفة، وتعظيمُها: إجلالها وتوقيرها والقصد إليها.

وقيل: الشعائر: أمور الدين على الإطلاق، وتعظيمُها: القيام بها وإجلالها.

﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الضمير عائد على الفِعْلة التي يتضمَّنُها الكلام، وهي مصدر ﴿يُعْظَمُ﴾.

وقال الزمخشري: التقدير: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات^(١).

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من قال: إن شعائر الله هي الهدايا: فالمنافع بها: شرب لبنها، وركوبها لمن اضطر إليها، والأجل المسمى: نحرها.

ومن قال: إن شعائر الله مواضع الحج، فالمنافع: التجارة فيها، أو الأجر، والأجل المسمى: الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة.

(١) الكشاف (١٠/٤٨٣).

﴿ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ من قال: إن الشعائر الهدايا فمحلُّها: موضع نحرها، وهو^(١) منى ومكة، وخصَّ البيت بالذكر؛ لأنه أشرف الحرم، وهو المقصود بالهدي.

و﴿ثُمَّ﴾ على هذا القول ليست للترتيب في الزمان؛ لأن محلَّها قبل نحرها، وإنما هي لترتيب الجمل.

ومن قال: إن الشعائر مواضع الحج، فمحلُّها: مأخوذ من إحلال المحرم؛ أي: آخر ذلك كلُّه الطواف بالبيت، يعني: طواف الإفاضة؛ إذ به يحلُّ المحرم من إحرامه.

ومن قال: إن الشعائر أمور الدين على الإطلاق؛ فذلك لا يستقيم مع قوله: ﴿مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ﴾.

(١) في ج، هـ: «وهي».

[وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۚ فَإِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَلَهُ اسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَنَاعَ ۚ وَالْمَعَزَّ كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ۚ كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۚ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢٧﴾] .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ أي : لكل أمة مؤمنة .

والمنسك : اسم مكان ؛ أي : موضعاً ^(١) لعبادتهم .

ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ مَصْدَرٍ بِمَعْنَى : عِبَادَةٌ ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ : الذَّبَائِح ؛ لِقَوْلِهِ : ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ بِخِلَافِ مَا يَفْعَلُهُ الْكَفَّارُ مِنَ الذَّبْحِ تَقَرُّبًا إِلَى الْأَصْنَامِ .

﴿فَالِإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحْدٌ﴾ فِي وَجْهِ اتِّصَالِهِ بِمَا قَبْلَهُ وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْأُمَمُ الْمَتَقَدِّمَةَ خَاطِبُنَا بِقَوْلِهِ : ﴿فَالِإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحْدٌ﴾ أَي : هُوَ الَّذِي شَرَعَ الْمَنَاسِكَ لَكُمْ ، وَلَمَنْ تَقَدَّمَ قَبْلَكُمْ .

وَالثَّانِي : أَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى الذَّبَائِح ؛ أَي : إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ؛ فَلَا تَذْبَحُوا تَقَرُّبًا لْغَيْرِهِ .

﴿الْمُخْبِتِينَ﴾ الْخَاشِعِينَ .

(١) فِي أ ، ب : «مَوْضِعُهَا» .

وقيل : المتواضعين .

وقيل : نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وكذلك قوله بعد ذلك :
﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

واللفظ فيهما أعم من ذلك .

﴿وَجِلَّتْ﴾ خافت .

﴿وَالْبُدْنَ﴾ جمع بَدَنَة ، وهو ما أُشْعِرَ من الإبل ، واختلف هل يقال للبقرة بدنة ؟ .

وانتصابه بفعل مضمر .

﴿مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ واحدها شعيرة ، و﴿مِّنْ﴾ للتبعيض ، وبذلك استدَلَّ من قال : إن شعائر الله المذكورة أوَّلًا على العموم في أمور الدين .

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قيل : الخير هنا : المنافع المذكورة قبلُ .

وقيل : الثواب .

والصواب : العموم في خير الدنيا والآخرة .

﴿صَوَافٍ﴾ معناه : قائماتٍ قد صَفَّقْنَ أيديهن وأرجلهن .

وهو منصوب على الحال من الضمير المجرور ، ووزنه فواعل ، وواحد صاقّة .

﴿وَجَبَتْ جُنُوبَهَا﴾ أي : سقطت إلى الأرض عند موتها ، يقال : وجب الحائط وغيره : إذا سقط .

﴿الْفَائِغَ﴾ معناه: السائل، وهو من قولك: قَنَعَ الرجل -بفتح النون-: إذا سأل.

وقيل: معناه: المتعفف عن السؤال، فهو -على هذا- من قولك: قَنِعَ -بالكسر-: إذا رضي بالقليل.

﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ المعترض بغير سؤال، ووزنه مُفْتَعِل، يقال: اعتررت القوم^(١): إذا تعرّضت لهم.

فالمعنى: أطعموا مَنْ سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله.

أو أطعموا من تعفف عن السؤال بالكلية، ومن تعرّض للعطاء.

﴿كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ﴾ أي: كما أمرناكم بهذا كله سَخَرْنَاهَا لكم.

وقال الزمخشري: التقدير: مثل التسخير الذي عَلِمْتُمْ سَخَرْنَاهَا لكم^(٢).

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ المعنى: لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء، وإنما تصلون إليه بالتقوى؛ أي: بالإخلاص لله، وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا، فعبر عن هذا المعنى بلفظ: ﴿يَنَالَ﴾ مبالغةً وتأكيداً^(٣)، كأنه قال: لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله، وإنما يصل إليه التقوى منكم؛ فإن ذلك هو الذي طلب منكم، وعليه يحصل لكم الثواب.

(١) في ج، د: «بالقوم».

(٢) الكشف (١٠/٤٩٠).

(٣) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

وقيل : كان أهل الجاهلية يضربون البيت بالدماء ، فأراد المسلمون فعل ذلك ، فنهوا عنه ، ونزلت الآية .

﴿ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴿ كُرِّرْ ﴾ تَأْكِدًا .

﴿ لَتُكَبِّرُوا اللَّهَ ﴾ قيل : يعني قول الذابح : « بسم الله والله أكبر » .
واللفظ أعم من ذلك .



[إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُوذِنَ لِلَّذِينَ
يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
وَمَنْ فِيهِنَّ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ
إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَقِيبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ
فَقَدْ كَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ
مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ
قَرِيبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِىٰ مُعْتَلَةٌ وَقَصْرِ
مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَنَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ
يُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ
قَرِيبَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة،
فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرهم وأذاهم.

وحذف مفعول ﴿يَدْفَعُ﴾؛ ليكون أعظم وأعم.

وقرىء ﴿يَدْفَعُ﴾ بالالف، و﴿يَدْفَعُ﴾ بسكون الدال من غير ألف، وهما
بمعنى واحد؛ أجريت «فاعل» مُجْرَى «فعل»، كقولك: عاقبت اللص.

وقال الزمخشري: ﴿يَدْفَعُ﴾ معناه: يبالغ في الدفع عنهم؛ لأنه للمبالغة،

وفعل المغالب أقوى^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ الخَوَّان: مبالغة في خائن، والكفور: مبالغة في كافر.

قال الزمخشري: هذه الآية علة لما قبلها^(٢).

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ﴾ هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال، ونُسخت المواعدة مع الكفار، وكان نزولها عند الهجرة. وقرئ ﴿أُذِنَ﴾:

بضم الهمزة؛ على البناء لما لم يسم فاعله،

وبالفتح؛ على البناء للفاعل، وهو الله تعالى.

والمعنى: أُذِنَ لهم في القتال، فحذف المأذون فيه؛ لدلالة ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ عليه.

وقرئ ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ بفتح التاء وكسرها.

﴿يَأْنَهُمْ ظُلُمُوا﴾ أي: بسبب أنهم ظلموا.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يعني: الصحابة؛ فإن الكفار آذوهم وأضرُّوا بهم، حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة، فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة، ومنهم من هاجر إلى المدينة، ونسب الإخراج إلى الكفار؛ لأن الكلام في معرض إلزامهم الذنب، ووصفهم بالظلم.

(١) الكشاف (١٠/٤٩٢).

(٢) الكشاف (١٠/٤٩٢).

﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ قال ابن عطية: هو استثناء منقطع، لا يجوز فيه البديل عند سيبويه^(١).

وقال الزمخشري: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ في محل الجر على الإبدال من ﴿حَقَّ﴾^(٢).

﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ الآية؛ تقوية للإذن في القتال، وإظهار للمصلحة التي فيه، كأنه يقول: لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين، وذهب الدين.

وقيل: المعنى: لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة.
والأول أليق بسياق الآية.

وقرئ: ﴿دِفَاعُ﴾ بالألف: مصدر دافع، وبغير ألف: مصدر دفع.
﴿لَهْدِمَتْ﴾ قرئ بالتخفيف، والتشديد؛ للمبالغة.

﴿صَوِّمُ﴾ جمع صَوْمَعَة - بفتح الميم -، وهي موضع العبادة، وكانت للصائين ولرهبان النصارى، ثم سُمِّي بها في الإسلام موضع الأذان.
والْبَيْع: جمع بَيْعَة - بكسر الباء -، وهي كنائس النصارى.

والصَّلَوَات: شنائع^(٣) اليهود.

(١) المحرر الوجيز (٦/٢٥٣).

(٢) الكشف (١٠/٤٩٤).

(٣) جاء في تكملة المعاجم العربية (٦/٣٦٥): «شُنُوعَة: كنيس، معبد اليهود، وجمعه: شُنَائِع»، وهذه الكلمة مأنوسة، مألوفة الاستعمال عند أهل المغرب والأندلس، فقد استعملها ابن عطية في المحرر الوجيز عند تفسير هذه الآية، واستعملها ابن سهل الأندلسي الجبائي المالكي في كتابه الإعلام بنوازل الأحكام (ص: ٧٧٣)، وتجمع شُنُوعَة على شُنَائِع وشُنُوعَات.

وقيل : هي مشتركة لكل أمة ، والمراد بها : مواضع الصلوات .

والمساجد : للمسلمين .

فالمعنى : لولا دفاع الله ؛ لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة في أزمانهم ، ولاستولى المشركون على هذه الأمة ، فهدموا مواضع عبادتهم .

﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ﴾ الضمير لجميع ما تقدّم من المتعبّادات .

وقيل : للمساجد خاصة .

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي : مَنْ ينصر دينه وأوليائه ، وهو وعد تضمّن الحضرّ على القتال .

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ الآية ؛ قيل : يعني أمة محمد ﷺ .

وقيل : الصحابة .

وقيل : الخلفاء الأربعة ؛ لأنهم الذين مكّنوا في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به .

﴿وَأِنْ يَكْذِبُواكَ﴾ الآية ؛ ضمير الفاعل لقريش ، والخطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له ، والوعيد لهم .

﴿نَكِيرٍ﴾ مصدر بمعنى الإنكار .

﴿عَلَى عُرُوشِهِمَا﴾ العروش^(١) : السُّفُف ، فإن تعلّق الجار بـ ﴿خَاوِيَةً﴾ فالمعنى : أن العروش سقطت ، ثم سقطت^(٢) الحيطان عليها ، فهي فوقها .

(١) في أ ، ب ، هـ : «العرش» .

(٢) في ب : «العرش سقط ثم سقط» .

وإن كان الجار والمجرور في موضع الحال فالمعنى : أنها خاوية مع بقاء عروشها .

﴿وَيَبِثُّ مَعْطَلَةً﴾ أي : لا يُسْتَقَى الماء منها ؛ لهلاك أهلها .
ورُوي أن هذه البئر هي الرُّسُ ، وكانت بعدنٍ لأمة من بقايا ثمود .
والأظهر أنه لم يرد التعيين ؛ لقوله : ﴿فَكَأَنَّ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ ، وهذا اللفظ^(١) يراد به الكثير .

﴿وَقَصِرَ مَشِيدٌ﴾ أي : مبنيٌّ بالشَّيدِ ، وهو الجِصُّ .
وقيل : المشيد : المرفوع البنيان^(٢) .
﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ دليلٌ على أن العقل في القلب ، خلافاً للفلاسفة في قولهم : إنه في الدماغ .

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ أي : لا تعمى الأبصار عمى يُعتدُّ به ، وإنما العمى الذي يعتدُّ به عمى القلوب .

أو إن^(٣) هؤلاء القوم ما عميت أبصارهم ؛ ولكن عميت قلوبهم .

فالمعنى الأول : لقصد المبالغة .

والثاني : خاصٌّ بهؤلاء القوم .

﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ مبالغة ، كقوله : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٦٧] .

(١) في ب ، هـ : «لفظ» .

(٢) في ج : «البناء» .

(٣) في أ ، ج : «وأن» .

﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير لكفار قريش .

﴿وَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إخبارٌ يتضمَّن الوعيد بالعذاب ، وسماء وعدًا ؛ لأن المراد به مفهوم .

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ المعنى : إن يومًا من أيام الآخرة مقداره ^(١) ألف سنة من أعوام الدنيا ، ولذلك قال ﷺ : «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلك خمس مئة سنة» ^(٢) .

وقيل : المعنى : إن يومًا واحدًا من أيام العذاب كألف سنة ؛ لطول العذاب ؛ فإن أيام البؤس طويلة ، وإن كانت في الحقيقة قصيرة .

وفي كل واحد من الوجهين تهديدٌ للذين استعجلوا العذاب ، إلا أن الأول أرجح ؛ لأن الألف سنة فيه حقيقة .

وقيل : إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض .

﴿وَكَأَنِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ ذكر أولًا القرى التي أهلكتها بغير إملاء ، وذكر هنا التي أهلكتها بعد الإملاء .

والإملاء : هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد .

وعطف هذه الجملة بالواو على الجملة ^(٣) المعطوفة قبلها بالواو ، وقال في الأولى : ﴿فَكَأَنِّنْ﴾ ؛ لأنه بدلٌ من قوله : ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ .

(١) في ب : «مقدار» .

(٢) أخرجه أحمد (١٠٦٥٤) ، والترمذي (٢٣٥٣) ، وابن ماجه (٤١٢٢) .

(٣) في أ ، د ، هـ : «الجميل» .

[﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٤٨) ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٥١) ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (٥١) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٢) ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٣) ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٤) ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ (٥٥) ﴿الْمَلَأُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٥٦) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٥٧)﴾].

﴿سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ أي: سعوا فيها بالطعن عليها، وهو من قولك: سعى في الأمر إذا جدَّ^(١) فيه؛ لقصد إصلاحه أو إفساده.

﴿مُعْجِزِينَ﴾ بالألف أي: مغالين؛ كأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي عجزهم، فصارت مفاعلة.

وقرئ بالتشديد من غير ألف؛ ومعناه: أنهم يُعْجِزُونَ الناس عن الإسلام؛ أي: يثبِّطونهم عنه.

﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ النبيُّ أعم من الرسول، فكل رسول نبيٌّ وليس كل نبيٍّ رسولاً، فقدَّم الرسول؛ لمناسبته لقوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾، وأخَّر النبي؛

(١) في أ: «أكَّد»، وفي ج: «أخذ».

لتحصيل العموم؛ لأنه لو اقتصر على ﴿رَسُولٌ﴾ لم يدخل في ذلك من كان نبياً غير رسول.

﴿إِذَا تَمَنَّيَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ سبب هذه الآية: أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين، فلما بلغ إلى قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿١٩﴾ وَمَنَوَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] ألقى الشيطان: «تلك الغرانة العلى، منها الشفاعة ترتجى»، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به، وقالوا: هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد.

واختلف في كيفية إلقاء الشيطان:

ف قيل: إن الشيطان هو الذي تكلم بذلك، وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به؛ لأنه قَرَّبَ صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر. وقيل: إن النبي ﷺ هو الذي تكلم بذلك على وجه الغلط والسهو؛ لأن الشيطان أنساه ووسوس في قلبه، حتى خرجت تلك الكلمات على لسانه من غير قصد.

والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة.

والقول الأول أرجح؛ لأن النبي ﷺ معصومٌ في التبليغ.

فمعنى الآية: أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان.

واختلف في معنى ﴿تَمَنَّيَ﴾ و﴿أُمْنِيَّتِهِ﴾ في هذه الآية:

ف قيل: تمنى بمعنى: تلا، والأمنية: التلاوة؛ أي: إذا قرأ

الكتاب^(١) ألقى الشيطان من عنده في تلاوته .

وقيل : هو من التمني ؛ بمعنى : حب^(٢) الشيء .

وهذا المعنى أشهر في اللفظة ؛ أي : تمنى النبي ﷺ مقارنة قومه واستئلافهم ، فألقى الشيطان ذلك الكلام في هذه الأمانة ؛ ليعجبهم ذلك .
﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي : يبطله ، كقولك : نسخت الشمس الظل .

﴿لِيَجْعَلَ﴾ متعلق بقوله : ﴿فَيَنْسَخُ﴾ و﴿يُحْكِمُ﴾ .

﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أهل الشك ، ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ المكذبون .

وقيل : الذين في قلوبهم مرض : عامة الكفار ، ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ : أشدهم كفراً وعتواً ، كأبي جهل .

﴿وَأَنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ يعني بـ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ : المذكورين قبل ، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمرة ؛ ليقضي عليهم بالظلم .

والشِّقاق : العداوة ، ووصفه بـ ﴿بَعِيدٍ﴾ ؛ لأنه في غاية الضلال والبعد عن الخير .

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قيل : يعني الصحابة .

واللفظ أعم من ذلك .

﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير عائد على القرآن .

(١) في أ ، ب ، هـ : «الكتب» .

(٢) في د : «أحب» .

وقال الزمخشري: هو لتمكين الشيطان من الإلقاء^(١).

﴿فَتُخِيتَ﴾ أي: تخشع.

﴿فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ﴾ الضمير: للقرآن، أو للنبي ﷺ، أو إلقاء الشيطان.

﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يعني: يوم بدر، ووصفه بالعقيم^(٢)؛ لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم؛ لأنهم يُقتلون فيه.

وقيل: هو يوم القيامة، والساعة مقدّماته، ويقوّي ذلك قوله: ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾، ثم تقسيم^(٣) الناس إلى أصحاب الجحيم، وأصحاب النعيم.



(١) الكشف (٥١٤/١٠).

(٢) في أ، ب، هـ: «بالعقم».

(٣) في أ، ب، هـ: «قسم».

[وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يَرْضُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾].

﴿قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ روي أن قوما قالوا: يا رسول الله قد علمنا^(١) ما أعطى الله من قُتِلَ من الخير، فما لمن مات معك؟، فنزلت الآية معلمة أن الله يرزق من قتل ومن مات معاً، ولا يقتضي ذلك المساواة بينهم؛ لأن تفضيل الشهداء ثابت.

﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ يحتمل أن يريد به:

الرزق في الجنة بعد يوم القيامة.

أو رزق الشهداء في البرزخ.

والأول أرجح؛ لأنه يعلم الشهداء والموتى.

﴿مَدْخَلًا﴾ يعني: الجنة.

﴿ذَلِكَ﴾ تقديره هنا: الأمر ذلك، كما يقول الكاتب: «هذا وقد كان

(١) في أ، ب، هـ: «أعلمنا الله».

كذا . . . » إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر .

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ سَمَّى الابتداء عقوبةً باسم الجزاء عليها تجوزًا ، كما تُسَمَّى العقوبة أيضًا باسم الذنب ، ووعد بالنصر لمن بُغِيَ عليه .
﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ إن قيل : ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن في ذكر هذين الوصفين إشعارًا بأن العفو أفضل من المعاقبة^(١) ، فكأنه حضُّ على العفو .

والثاني : أن في ذكرهما إعلامًا بعفو الله عن المعاقب حين عاقب ، ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى .

﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ يُولِجُ﴾ أي : ذلك النصر بسبب أن الله قادر ، ومن آيات قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل .

ومعنى الإيلاج هنا : أنه يُدْخِلُ ظلمة هذا مكان ضوء هذا ، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا .

وقيل : الإيلاج هو ما ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر .

﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي : ذلك الوصف الذي وُصِفَ الله به هو بسبب أنه الحق .

﴿فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ تصبح هنا : بمعنى تصير .

(١) في هـ : «العقوبة» .

وفهم بعضهم أنه أراد: صبيحة ليلة المطر، فقال: لا تصبح الأرض
مخضرة إلا بمكة، والبلاد الحارة.

وأما على معنى تصير؛ فذلك عام في كل بلد.

والفاء للعطف، وليست بجواب، ولو كانت جواباً لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾
لنصبت الفعل، وكان المعنى نفي خضرتها، وذلك خلاف المقصود.
وإنما قال ﴿تُصْبِحُ﴾ بلفظ المضارع؛ ليفيد بقاءها كذلك مدة.



[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلُواكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَخُكِّمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِسْمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ نَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ دَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَرٌ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾].

﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك.

﴿أَنْ تَقَعَ﴾ في موضع مفعول، على تقدير: عن أن تقع.

وقال الزمخشري: كراهة أن تقع؛ فهو مفعول من أجله^(١).

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يحتمل:

أن يريد يوم القيامة، فجعل^(٢) طيَّ السماء كوقوعها.

أو يريد بإذنه لو شاء متى شاء.

﴿أَحْيَاكُمْ﴾ أي: أوجدكم بعد العدم، وعبر عن ذلك بالحياة؛ لأن

(١) الكشف (١٠/٥٢٣).

(٢) في ب، هـ: «يجعل».

الإنسان قبل ذلك تراب، فهو جماد بلا روح، ثم أحياء بنفخ الروح.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ يعني: الموت المعروف.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يعني: البعث.

﴿لَكُمْ فُورٌ﴾ أي: جُحُودٌ للنعم.

﴿مَنْسَكًا﴾ هنا: اسم مصدر؛ لقوله: ﴿نَاسِكُونَ﴾، ولو كان اسم مكان لقال: «ناسكون فيه».

﴿فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ﴾ ضمير الفاعل للكفار، والمعنى: أنه لا ينبغي لهم منازعة النبي ﷺ؛ لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع^(١) النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي، والمراد غير النهي.

وقيل: المعنى: لا تنازعهم^(٢) فينازعوكم، فحذف الأول؛ لدلالة الثاني عليه.

ويحتمل أن يكون نهياً لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ.

﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: في الدين والشريعة، أو في الذبائح.

﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: ادع الناس إلى عبادة ربك.

﴿وَأِنْ جَدَلُوكَ﴾ الآية تقتضي موادةً منسوخة بالقتال.

﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾

(١) في ج، د: «لا يُسمع».

(٢) في أ، ب، هـ: «لا تنازعوهم».

إلى معلومات الله^(١).

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة:

إلى كُتِبَ المعلومات في الكتاب.

أو إلى الحكم في الاختلاف.

والأول أظهر.

﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يعني: الأصنام، والسلطان هنا: الحجة والبرهان.

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ قيل: إنه يعني: ما ليس لهم به علم ضروري، فنفي أو لا البرهان النظري، ثم العلم الضروري.

وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى، بل الأحسن نفي العلم الضروري والنظري معاً.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ أي: الإنكار لما يسمعون، فـ ﴿الْمُنْكَرُ﴾ مصدر، كالمُكْرَم بمعنى الإكرام.

ويعرف ذلك في وجوههم: بعبوسها^(٢) وإعراضها.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «يعني: اللوح المحفوظ» صحيح، وكذلك قوله:

«والإشارة بـ(ذلك) إلى معلومات الله» صحيح أيضاً، ومعلومات الله المشار إليها هي ما

تضمنه الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾،

فكل ما في السماء والأرض معلوم لله، ومكتوب في أم الكتاب اللوح المحفوظ، والآية

دالة على مرتبتي الإيمان بالقدر، وهما مرتبتا العلم والكتابة، والله أعلم.

(٢) في أ: «لعبوسها».

﴿يَسْطُورُ﴾ من السَّطْوَة، وهي سرعة البطش.

﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ يَحْتَمِلُ :

أن تكون ﴿النَّارُ﴾ مبتدأ، و﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ خبره.

أو يكون ﴿النَّارُ﴾ خبر ابتداء مضمّر^(١)، كأنَّ قائلًا قال: ما هو؟، ف قيل:

هو النار، ويكون ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ استئنافًا، وهذا أظهر.



[يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٦﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٧﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٨﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٨٠﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٨١﴾] .

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ أي: ضربه الله؛ لإقامة الحجة على المشركين.

﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى.

والمعنى: أن الأصنام التي تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره، فكيف تُعبد من دون الله الذي خلق كل شيء؟!، ثم أوضح عجزهم بقوله: ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي: لو تعاونوا على خلق الذباب لم يقدرُوا عليه.

﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ﴾ بيان أيضًا لعجز الأصنام؛ بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئًا لم يقدرُوا على استنقاذه منه على حال ضعفه.

وقد قيل: إن المراد بما يسلب الذباب منهم: الطيب الذي كانت العرب تجعل على الأصنام.

واللفظ أعم من ذلك .

﴿زَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ المراد بالطالب : الأصنام ، وبالمطلوب :
الذباب ؛ لأن الأصنام تَطْلُب من الذباب ما ^(١) سلبته منها .

وقيل : الطالب : الكفار ، والمطلوب : الأصنام ؛ لأن الكفار يطلبون
الخير منهم .

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي : ما عَظَّموه حق تعظيمه .

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ ردُّ على من أنكر أن
يكون الرسول من البشر .

﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره ؛
للحديث الصحيح الوارد في ذلك ^(٢) ، خلافاً للمالكية .

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ عمومٌ في العبادات بعد ذكر الصلاة التي عبَّر عنها
بالركوع والسجود ، وإنما قَدَّمها ؛ لأنها أهم العبادات .

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ قيل : المراد صلة الرحم .

وقال ابن عطية : هي في النذب فيما ^(٣) عدا الواجبات .

واللفظ أعم من ذلك كله .

(١) في أ ، ب ، هـ : «بما» .

(٢) وهو حديث قال : قلت : يا رسول الله ، أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجديتين ؟
قال : «نعم ، فمن لم يسجدهما ، فلا يقرأهما» أخرجه أحمد (١٧٣٦٤) ، وأبو داود
(١٤٠٢) ، والترمذي (٥٧٨)

(٣) في أ ، ب ، هـ : «مما» .

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ :

جِهَادُ الْكُفَّارِ .

أَوْ جِهَادُ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالْهَوَى .

أَوْ الْعُمُومُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ .

﴿حَقَّ جِهَادِيَّ﴾ قِيلَ : إِنَّهُ مَنْسُوخٌ ، كُنْسخُ ﴿حَقَّ تَقَالِيهِ﴾ [آل عمران : ١٠٢] بقوله : ﴿مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن : ١٦] ، وَفِي ذَلِكَ نَظَرٌ .

وإنما أضاف الجهاد إلى الله ؛ ليعين بذلك فضله واختصاصه بالله .

﴿أَجْتَبَيْكُمْ﴾ أي : اختاركم من بين الأمم .

﴿مِنْ حَرْجٍ﴾ أي : مشقة ، وأصل الحرج : الضيق .

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ انتصب ﴿مِلَّةَ﴾ بفعل مضمر ، تقديره : أعني بالدين ملة إبراهيم ، أو : التزموا ملة إبراهيم .

وقال الفراء : انتصب على تقدير حذف الكاف ، كأنه قال : «كَمِلَّةٍ^(١)» .

وقال الزمخشري : انتصب بمضمون ما تقدّم ، كأنه قال : وسّع عليكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم ، ثم حذف المضاف^(٢) .

فإن قيل : لم يكن إبراهيم أباً للمسلمين كلهم ؟!

فالجواب : أنه أبو رسول الله ﷺ ، وكان أباً للأُمَّة ؛ لأن أمة الرسول في

(١) في هـ زيادة «إبراهيم» .

(٢) الكشف (٥٣/١٠) .

حكم أولاده؛ ولذلك قرىء: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ أَهْلَهُمْ﴾ وهو أب لهم ﴿[الأحزاب: ٦]﴾. وأيضًا؛ فإن قريشًا وأكثر العرب من ذرية إبراهيم، وهم أكثر الأمة، فاعتبرهم دون غيرهم.

﴿هُوَ سَمَنُكُمْ﴾ الضمير لله تعالى، ومعنى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: في الكتب المتقدمة، ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: في القرآن.

وقيل: الضمير لإبراهيم، والإشارة إلى قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ومعنى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ على هذا: من قبل وجودكم، وهنا يتم الكلام على هذا القول، ويكون قوله: ﴿وَفِي هَذَا﴾ مستأنفًا؛ أي: وفي هذا بلاغ.

والقول الأول أرجح، وأقلُّ تكلفًا، ويدلُّ عليه قراءة أبي بن كعب: «الله سماكم المسلمين».

﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ تقدّم معنى هذه الشهادة في «البقرة»^(١).

﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ﴾ الظاهر أنها المكتوبة؛ لا اقترانها مع الزكاة.

﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ معناه هنا: وليكم وناصركم؛ بدلالة ما بعد ذلك.



(١) انظر (١/٣٦٩).

﴿سورة المؤمنين﴾

[﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑪﴾].

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ②﴾ الخشوع: حالة في القلب، من الخوف والمراقبة والتدلل لعظمة المولى ﷺ، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح، بالسكون والإقبال على الصلاة، وعدم الالتفات، وبالبكاء والتضرع.

وقد عدّ بعض الفقهاء الخشوع في فرائض الصلاة؛ لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث: «لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها»^(١).

والصواب: أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب؛ فقد يحضر القلب ولا يخشع.

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/١١٦): «لم أجده مرفوعاً.. ولا ابن المبارك في الزهد موقوفاً على عمار: «لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه».

﴿عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ اللغو هنا : الساقط من الكلام ، كالسبِّ واللَّهْوِ ، والكلامُ بما لا يعني .

وعددُ أنواع المنهَى عنه من الكلام عشرون نوعاً^(١) .

ومعنى الإعراض عنه : عدم الاستماع إليه ، والدخول فيه .

ويحتمل أن يريد : أنهم لا يتكلمون به ، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى .

﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي : مؤدّون .

فإن قيل : لم قال ﴿فَاعِلُونَ﴾ ولم يقل : «مؤدّون»؟

فالجواب : أن الزكاة لها معنيان :

أحدهما : الفعل الذي يفعله المزكي ؛ أي : أداء ما يجب على المال .

والآخر : المقدار المخرج من المال ، كقولك : هذا زكاة مالي .

والمراد هنا : الفعل ؛ لقوله : ﴿فَاعِلُونَ﴾ .

(١) عدّها ابن جزّي وتكلم عن تفاصيلها في كتابه «القوانين الفقهية» (ص: ٧٠٦)، وهي إجمالاً : (١) الغيبة، (٢) والبهتان، (٣) والكذب، (٤) واليمين الغموس، (٥) وشهادة الزور، (٦) والنميمة، (٧) والاستهزاء، (٨) وإطلاق ما لا يحل إطلاقه على الله أو رسوله أو الملائكة أو الأنبياء أو الصحابة، (٩) وكلام العوام في دقائق علم الكلام مما لا يعلمون، (١٠) والسحر، (١١) والفحش من الكلام، (١٢) والشعر والغناء، (١٣) والمدح، (١٤) وكلام أي الوجهين، (١٥) وتزكية الإنسان لنفسه، (١٦) وإفشاء السر، (١٧) والكذب في الوعد، (١٨) والجدال والخصام، (١٩) وذم الأشياء، (٢٠) والكلام فيما لا يعني .

ويصح المعنى الآخر على حذف؛ تقديره: هم لأداء الزكاة فاعلون.

﴿عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله: ﴿غَيْرُ مُلْكَيْنَ﴾ أي: لا يُلَاْمُونَ على أزواجهم.

ويمكن أن يتعلق بقوله: ﴿حَافِظُونَ﴾ على أن يكون ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى «عن».

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يعني: النساء المملوكات.

قال الزمخشري: إنما قال ﴿مَا مَلَكَتْ﴾ ولم يقل «من»؛ لأن الإناث يجرين مجرى غير العقلاء^(١).

﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ يعني: ما سوى الزوجات والمملوكات.

﴿لَا مَنَنْتَهُمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد:

أمانات الناس وعهدهم،

أو أمانة الله وعهده:

في دينه.

أو العموم.

والأمانة أعم من العهد؛ لأنها قد تكون بعهد، وبغير عهد متقدم.

﴿رَاعُونَ﴾ أي: حافظون لها، قائمون بها.

﴿عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ المحافظة عليها: هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها.

فإن قيل : كيف كرّر ذكر الصلوات أوّلاً وآخرًا؟

فالجواب : أنه ليس بتكرار ؛ لأنه قد^(١) ذكر أوّلاً الخشوع فيها ، وذكر هنا المحافظة عليها ، فهما مختلفان .

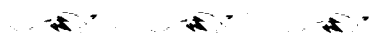
وأضاف الصلاة في الموضعين إليهم ؛ دلالة على ثبوت فعلهم لها .

﴿الْوَرِثُونَ﴾ أي : المحصّلون^(٢) للجنة ، فالميراث استعارة .

وقيل : إن الله جعل لكل إنسان مسكنًا في الجنة ومسكنًا في النار ، فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة .

﴿الْفَرْدَوْسَ﴾ مدينة الجنة ، وهي جنة الأعناب .

وأعاد الضمير عليها مؤنثًا ؛ على معنى الجنة .



(١) لم ترد في أ ، هـ .

(٢) كذا في هامش أ ، وفي بقية النسخ : «المخلصون» ، والمثبت هو الأصوب ، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز (٦ / ٢٨٠) .

[﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ١٣ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ ١٤ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ١٥ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعَثُونا لَمَبِيتٍ﴾ ١٦ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ ١٧ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ ١٨ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِمْ لَقَادِرُونَ﴾ ١٩ ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّجِيلٍ وَأَعْنَبْ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ٢٠ ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّائِكِينَ﴾ ٢١ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقِيَهُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ٢٢ ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تَحْمَلُونَّ﴾ ٢٣].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ اختلف هل يعني آدم؟، أو جنس بني آدم؟.

﴿مِّن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ السُّلَالَةُ: هي ما يُسَلُّ من الشيء؛ أي: ما يستخرج منه، ولذلك قيل إنها الخلاصة، والمراد بها هنا: القطعة التي أخذت من الطين وخلق منها آدم.

فإن أراد بالإنسان آدم: فالمعنى: أنه خُلِقَ من تلك السلالة المأخوذة من الطين، ولكن قوله بعد هذا: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ لا بد أن يراد به ابن آدم؛ فيكون الضمير يعود على غير من ذكر أولاً، ولكن يفسره سياق الكلام.

وإن أراد بالإنسان ابن آدم: فيستقيم عَوْدُ الضمير عليه، ويكون معنى خَلَقَهُ من سلالة من طين: أي: خَلَقَ أَصْلَهُ، وهو أبوه آدم.

ويَحْتَمِلُ عندي أن يراد بالإنسان الجنس الذي يعمُّ آدم وذريته، فأجمل ذكر الإنسان أولاً، ثم فصله بعد ذلك إلى الخِلْقَةِ الْمُخْتَصَّةِ بآدم، وهي من طين،

والى الخِلْقَة المختَصَّة بذريته، وهى النطفة.

فإن قيل : ما الفرق بين ﴿مِنْ﴾ و﴿مِّنْ﴾؟

فالجواب - على ما قال الزمخشري - : أن الأول للابتداء، والثاني لليان، كقوله : ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحج : ٣٠] ^(١).

﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعنى : رَجَمَ الأُمَّ.

ومعنى ﴿مَّكِينٍ﴾ : متمكَّن، وذلك فى الحقيقة من صفة النطفة المستقرَّة، لا من صفة المحلِّ المستقرِّ فيه، ولكنه كقولك : «طريق سائر» أى : يسير الناس فيه .

وقد تقدَّم تفسير النطفة والمضغة والعلة فى أول «الحج» ^(٢).

﴿خَلَقْنَا آخَرَ﴾ قيل : هو نفخ الروح فيه .

وقيل : خروجه إلى الدنيا .

وقيل : استواء الشباب .

وقيل : على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته .

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ هو مشتقٌّ من البركة .

وقيل : معناه : تقدَّس .

﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أى : أحسن الخالقين خلقًا، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه .

(١) انظر : الكشف (٥٥٦/١٠).

(٢) انظر صفحة ١٧٨.

وفسر بعضهم ﴿الْخَلْقَيْنِ﴾ بالمقدرين؛ فراراً من وصف المخلوق بأنه خالق.

ولا يجب أن يُنفى عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع، كقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٠]، وإنما الذي يجب أن يُنفى عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم، فهذا هو الذي انفرد الله به^(١).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: الخلق في اللغة يأتي بمعنى الإيجاد بعد عدم، ويأتي بمعنى التقدير، ومنه قول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعضُ القوم يخلق ثم لا يفري
وقد جاء المعنيان في القرآن فيما يضاف إلى الله، ولكن المعنى الأول هو الأكثر، وشواهد بصاريف مادته لا تحصر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، ومن الخلق بمعنى التقدير قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ فالخالق هو المقدر لما يريد إيجاده، والبارئ هو المخرج لما قدره إلى الوجود، ويحتمل المعنيين قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. ولم يأت في القرآن الخلق مضافاً إلى غير الله إلا ما جاء في الخبر عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾، والأظهر أن الخلق هنا بمعنى التقدير، فهو لا يوجد طيراً، وإنما يخلق ما هو كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وبذا يعلم أنه لم يأت الخلق بمعنى الإيجاد في القرآن مضافاً لغير الله مطلقاً، ولا يكاد يستعمل في لسان المسلمين إضافة الخلق لغير الله، بل نفى الخلق عن كل ما يعبد المشركون: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، حتى ما ينحته المشركون من الأصنام أضاف الله خلقها إليه، قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجُبُونَ﴾ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وعلى هذا فلا يجوز إضافة خلق مصنوعات البشر إلى صانعيها، بل الله خالقها بالأسباب التي خلقها وقدرها، وعلى هذا فتعقب المؤلف لمن قال: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أحسن المقدرين، ضعيف.

﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ يعني: السموات، وسماها طرائق؛ لأن بعضها طُورِقَ^(١) فوق بعض كمطارقة النعل^(٢).

وقيل: يعني الأفلاك؛ لأنها طرق للكواكب.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ يحتمل أن يريد بالخلق: المخلوقين، أو المصدر.

﴿مَاءٌ يَقْدَرُ﴾ يعني: المطر الذي ينزل من السماء، فتكون منه العيون والأنهار في الأرض.

وقيل: يعني: أربعة أنهار، وهي النيل، والفرات، ودجلة، وسيحان. ولا دليل على هذا التخصيص.

ومعنى ﴿يَقْدَرُ﴾: بمقدار معلوم لا يزيد عليه^(٣) ولا ينقص منه.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يعني: الزيتون.

وإنما خصَّ النخيل والأعناب والزيتون بالذكر؛ لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع.

﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾: جبل بالشام، وهو الذي كلّم الله عليه موسى ﷺ، ونُسب الزيتون إليه؛ لأنها فيه كثيرة.

(١) في ب: «طرائق»، وفي ج: «طروق» والمثبت هو الصواب وهو الموافق لعبارة الكشف (٥٦٣/١٠).

(٢) طارِقُ النعل: إذا وضع بعضها على بعض، وركب بعضها على بعض. انظر: لسان العرب (١٢/٨٩).

(٣) في أ، ب، هـ: «عليها».

و﴿سَيْنَاء﴾ اسم الجبل، أضافه إليه، كقولك^(١): جبل أحد.

وقرئ بفتح السين، ولم ينصرف للتأنيث اللازم.

وقرئ بالكسر، ولم ينصرف للْعُجْمَة، أو للتأنيث مع التعريف؛ لأن «فِعْلَاء» بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث.

وقيل: معناه: مبارك.

وقيل^(٢): ذو شجر.

ويلزم على ذلك صَرْفُهُ.

﴿تَبَّتْ بِالذُّهْنِ﴾ يعني: الزيت.

وقرئ ﴿تَبَّتْ﴾ بفتح التاء، فالمجرور على هذا في موضع الحال، كقولك: جاء زيد بسلاحه.

وقرئ بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن أنبت بمعنى نبت.

والثاني: حذف المفعول، تقديره: تُنبت ثمرتها بالدهن.

والثالث: زيادة الباء.

﴿وَصَبِغَ لِلْأَكْلِينَ﴾ الصَّبِغ: الغمس في الإدام.

﴿فِي الْأَنْعَامِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، والمقصود بالذكر: الإبل؛

(١) في ج، د: «كقوله».

(٢) سقطت هذه الكلمة من أ، ب، هـ.

لقوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾.

وقد تقدّم في «النحل» ذكرُ المنافع التي فيها^(١)، وتذكيرها وتأييدها^(٢).



(١) انظر (٢/٧٣٢).

(٢) انظر (٢/٧٥٩).

[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقُورُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَضُّوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾] .

﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ﴾ استبعدوا أن تكون النبوة لبشر ؛ فيا عجباً منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر ! .

﴿يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ﴾ أي : يطلب الفضل والرياسة عليكم .

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ أي : بمثل ما دعاهم إليه من عبادة الله .

أو : بمثل الكلام الذي قال لهم .

وهذا يدلُّ على أنه كان قبلَ نوح فترةً طويلة .

﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي : جنون .

فانظر اختلاف قولهم فيه ؛ فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة ، وتارة إلى الجنون .

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي : إلى وقت لم يعيَّنوه ، ولكن أرادوا : وقتَ زوال جنونه

على قولهم، أو وقت موته.

﴿أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾ تَضَمَّنَ هَذَا دَعَاءً عَلَيْهِمْ؛ لِأَن نَصْرَتَهُ إِنَّمَا هِيَ بِإِهْلَاكِهِمْ.

وقد تقدَّم في «هود» تفسير ﴿يَاغِيثُنَا وَوَحِّينَا﴾، و﴿وَفَارَ التَّوَرُّ﴾، و﴿وَلَا تَخْطِبْنِي﴾^(١).

﴿فَأَسْأَلُكَ فِيهَا﴾ أَي: أَدْخِلْ فِيهَا.

وقد تقدَّم تفسير ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾^(٢).

﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ «إِنْ» مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، و﴿مُبْتَلِينَ﴾: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ ابْتَلَى، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ:

بِمَعْنَى^(٣) الْإِخْتِبَارِ.

أو إِنْزَالِ الْبَلَاءِ.

﴿قَرْنَاْءَآخَرِينَ﴾ قِيلَ: إِنَّهُمْ عَادٌ، وَرَسُولُهُمْ هُودٌ؛ لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ يَلُون قَوْمَ نُوحٍ.

وقيل: إِنَّهُمْ ثَمُودٌ، وَرَسُولُهُمْ صَالِحٌ، وَهَذَا أَصَحُّ^(٤)؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾، وَثَمُودُ هُمُ الَّذِينَ هَلَكُوا بِالصَّيْحَةِ، وَأَمَّا عَادٌ فَهَلَكُوا بِالرَّيْحِ.

(١) انظر (٥٨٦/٢).

(٢) انظر (٥٨٦/٢).

(٣) فِي ب، د: «مِنْ».

(٤) فِي أ، ب، هـ: «أَصْلَحْ».

[فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَنْقُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ
 الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ ۖ وَاتَّرفَتْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
 مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٨﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا
 لَخَاسِرُونَ ﴿٣٩﴾ أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا ۖ أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٤٠﴾ هِيَ هَاتِ
 هَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حِكْمَانَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٤٢﴾
 إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا
 كَذَّبُونِ ﴿٤٤﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٥﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ
 غُثَاءً فَبَعْدًا لِلسَّعِيرِ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ۖ آخِرَتِ ﴿٤٧﴾ مَا تَسْقِي مِنْ
 أَمَةِ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا نُوحًا تَرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذِبُهُ فَاتَّبَعَنَا
 بِعَظْمِهِمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٩﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ
 بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٥٠﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٥١﴾ فَقَالُوا
 أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿٥٢﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ
 آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٥٤﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ۖ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ
 ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٥﴾].

﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾: قَدَّمَ هَذَا الْمَجْرُورَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ لثَلَاثِهِمْ
 أَنَّهُ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بِخِلَافِ قَوْلِهِ: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ قَوْمِهِ﴾: فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ^(١).

﴿وَاتَّرفَتْهُمْ﴾: أَي: نَعَمَّانَاهُمْ.

(١) انظر: درة التنزيل للإسكافي ص: ٩٣٥، وملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير

﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ قَالُوا ذَلِكَ :

لإنكارهم أن يكون نبي^(١) من البشر.

أو قالوه أنفةً من أتباع بشر مثلهم.

وكذلك قول قوم نوح.

﴿أَعِدُّكُمْ﴾ استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد.

﴿أَنْكُمْ تُخْرِجُونَ﴾ كَرَّرَ «أَنَّ» توكيداً^(٢) للأولى؛ و﴿تُخْرِجُونَ﴾ خبرٌ عن الأولى.

﴿هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ هذا من حكاية كلامهم.

و﴿هِيَاتَ﴾ : اسم فعل بمعنى : بَعُدَ.

وقال الغزنوي : هي للتأسف والتأوه^(٣).

ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان.

وتارةً يجيء فاعله دون لام، كقوله :

فهيئات هيئات العقيق وأهله^(٤)

.....

(١) في د، هـ : «النبى».

(٢) في د : «تأكيداً».

(٣) انظر : عين المعاني ..

(٤) هذا صدر بيت لجبرير بن عطية، كما في ديوانه (ص : ٣٨٥)، وروي البيت هكذا

«فهيئات هيئات..»، وروي «فأيها أيها..» بالهمزة، وهما لغتان، والعرب تبدل

الهمزة هاءً وبالعكس. انظر : تحفة المجد الصريح شرح كتاب الفصيح، لأبي جعفر

اللبلي (١/ ٢٤٢).

وتارةً يجيء باللام، كهذه الآية.

قال الزَّجَّاج في تفسيره: البعد لما توعدون^(١)؛ فنزله منزلة المصدر.

قال الزمخشري: وفيه وجه آخر؛ وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو، بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] لبيان المهيَّت به^(٢).

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: ما الحياة إلَّا حياتنا الدنيا، فوضع ﴿هِيَ﴾ موضع الحياة؛ لدلالة الخبر عليها.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعض ويولد بعض، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر، ومرادهم: إنكار البعث.

﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ «ما» زائدة، و﴿قَلِيلٍ﴾^(٣) صفة للزمان، والتقدير: عن زمانٍ قليل يندمون.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ يعني: هالكين كالغثاء، والغثاء: ما يحمله السيل من الورق وغيرها مما يبلى ويسود، فشبه به الهالكين.

﴿فَبَعْدًا﴾ مصدرٌ وُضع موضع الفعل بمعنى: بَعِدُوا؛ أي: هَلِكُوا، والعامل فيه مضمَرٌ لا يظهر.

﴿تَنَزَّاهُ﴾ مصدرٌ وزنه: فَعَلَى، ومعناه التواتر والتتابع، وهو موضوعٌ موضع

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (١٣/٤).

(٢) انظر: الكشاف (٥٨٢/١٠).

(٣) في أ، ب، ج: «وقيل»، وهو تصحيف، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (٥٨٤/١٠).

الحال؛ أي: متواترين واحداً بعد واحد.

فمن قرأه بالتنوين: فألفه للإلحاق.

ومن قرأه بغير تنوين: فألفه للتأنيث فلم ينصرف، وتأنيثه لأن الرسل جماعة.

والتاء الأولى فيه بدلٌ من واو هي فاء الكلمة.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: يتحدث الناس بما جرى عليهم، ويحتمل أن يكون:

جمع حديث.

أو جمع أحوثة، وهذا أليق؛ لأنها تقال في الشر.

﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: متكبرين.

﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾ أي: خادمون^(١) متذللون.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الضمير لبني إسرائيل، لا لقوم فرعون؛ لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة.

﴿وَأَوَّيْتُهُمَا إِلَى رُبُوبَةٍ﴾ الربوة: الموضع المرتفع، ويجوز فيها فتح الرء وضمُّها وكسرها.

واختلف في موضع هذه الربوة:

ف قيل: بيت المقدس.

(١) في د: «خادمون».

وقيل : بغوطة دمشق .

وقيل : بفلسطين^(١) .

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ القرار : المستوي من الأرض ، فمعناه : أنها بسيطة
يتمكّن فيها الحرث والغراسة .

وقيل : القرار هنا : الثمارُ والحبوب .

والمعين : الماء الجاري :

ف قيل : إنه مشتقٌّ من قولك : مَعَنَ الماءُ : إذا كثر ؛ فالميم على هذا أصلية ،
ووزنه فَعِيل .

وقيل : إنه مشتق من العين ؛ فالميم زائدة ، ووزنه مفعول .



(١) في أ ، ب ، هـ : «فلسطين» .

[يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرُّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُثَدِّهِمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِثَابِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكُلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْهَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ ﴿٦٥﴾ فَذَكَرْتُ عَائِيتِي نَتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى آعْقَابِكُمْ أَنْقَبِكُمْ أَنْقَبِكُمْ نَنْكَبُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَعَمًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَذَرُّوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكَرَهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَتْلُوهُمْ خَرَجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَابُونَ ﴿٧٤﴾ ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْصَرِعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسِئُونَ﴾.]

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ هذا النداء ليس على ظاهره؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرقة، وإنما المعنى: أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك.

وقيل: الخطاب لمحمد ﷺ، وأقامه مقام الجماعة، وهذا بعيد.

﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب.

أو من المستلذات، فالأمر للإباحة.

﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قرئ ﴿وَأَنَّ﴾:

بالكسر على الاستئناف.

وبالفتح على معنى: لِأَنَّ، وهي متعلّقة بقوله آخِرًا: ﴿فَأَنْقُوتِ﴾.

وقيل: تتعلّق بفعل مضمّر تقديره: واعلموا.

والأمة هنا: الدين، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي: افرقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل

المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿زُبُرًا﴾ جمع زبور، وهو الكتاب^(١)، والمعنى:

أنهم افرقوا في اتباع الكتب، فاتبعت طائفة التوراة، وطائفة الإنجيل، وغير ذلك.

أو وضعوا كتبًا^(٢) من عند أنفسهم.

﴿فَذَرُّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ الضمير لقريش، والغمرة: الجهل والضلال،

وأصلها من غَمَرَة الماء^(٣).

(١) في أ، هـ: «الكتب».

(٢) في ب، ج: «كتابًا».

(٣) قال في الكشف (١٠/٥٩٣): «الغَمرة: الماء الذي يغمر القامة، فُضِرْتُ مثلاً لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمائيتهم، أو شُبِّهُوا باللاعبيين في غمرة الماء؛ لما هم عليه من الباطل».

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هنا : يوم بدر ، أو يوم موتهم .

﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ الآية ؛ ردُّ عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خيرٌ لهم وأنها بسبب رضا الله عنهم^(١) .

﴿تُسَارِعُ لَهُمْ﴾ هذا خبر «أنَّ» ، والضمير الرابط محذوفٌ ، تقديره : نسارع به .

﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي : لا يشعرون أن ذلك استدراجٌ لهم ، ففيه معنى التهديد .

﴿يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا﴾ قيل : معناه يُعْطُونَ ما أعطوا من الزكوات^(٢) والصدقات .

وقيل : إنه عامٌّ في جميع أفعال البرِّ ؛ أي : يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم ، وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي ﷺ^(٣) ، إلا أنها قرأت : «يأتون ما أتوا» بالقصر ، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيراً لهذه القراءة .

وقيل : إنه عامٌّ في الحسنات والسيئات ؛ أي : يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله .

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ «أنَّ» :

في موضع المفعول من أجله .

أو في موضع المفعول بـ ﴿وَجِلَّةٌ﴾ ؛ إذ هي في معنى : خائفة .

﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ فيه معنيان :

أحدهما : أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات .

(١) في أ : «ولسبب رضا الله عنهم» ، وفي ب : «وبسببها رضي الله عنهم» .

(٢) في أ ، د : «الزكاة» .

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٢٦٣) ، والترمذي (٣١٧٥) ، وابن ماجه (٤١٩٩) .

والآخر: أنهم يتعجلون ثواب الخيرات، وهذا مطابق للآية المتقدمة^(١)؛ لأنه أثبت فيه ما نُفي عن الكفار من المسارعة^(٢).

﴿وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ﴾ فيه المعنيان المذكوران في ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾.

وقيل: معناه: سبقت لهم السعادة في الأزل.

﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني: أن هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج عن الوسع والطاقة.

وقد تقدّم الكلام على تكليف ما لا يطاق في «البقرة»^(٣).

﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ يعني: صحائف الأعمال، ففي الكلام تهديد، وتأمين من الظلم والحيف.

﴿فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ أي: في غفلة من الدين بجلمته.

وقيل: من القرآن.

وقيل: من الكتاب المذكور.

وقيل: من الأعمال التي وصف بها المؤمنين.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: لهم أعمال سيئة دون الغمرة التي هم فيها،

فالمعنى: أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال، والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾

(١) الآية المتقدمة قوله تعالى في الكفار: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ۖ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْفَعِيلَاتِ﴾.

(٢) انظر: الكشاف وتعليق الطيبي (٥٩٧/١٠).

(٣) انظر (٥١٠/١).

-على هذا- إلى الغمرة، وإنما أشار إليها بالتذكير^(١)؛ لأنها في معنى الكفر.
وقيل: الإشارة إلى قوله: ﴿مَنْ هَذَا﴾؛ أي: لهم أعمال سيئة غير (ذلك
المعنى)^(٢) المشار إليه حسبما اختلف فيه.

﴿هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾ قيل: هو إخبار عن أعمالهم في الحال.

وقيل: عن الاستقبال.

وقيل: المعنى: أنهم يتمادون على عملها حتى يأخذهم الله، فجعل
﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ غايةً لقوله: ﴿عَمِلُونَ﴾.

﴿مُتْرَفِيهِمْ﴾ أي: أغنياءهم^(٣) وكبراءهم.

﴿إِذَا هُمْ يَخْرُوتُ﴾ أي: يستغيثون ويصيحون.

فإن أراد بالعذاب قتل^(٤) المترفين يوم بدر: فالضمير في ﴿يَخْرُوتُ﴾ لسائر
قريش؛ أي: ناحوا وصاحوا^(٥) على القتلى.

وإن أراد بالعذاب شدائد الدنيا أو عذاب الآخرة: فالضمير لجميعهم.

﴿لَا يَخْرُوتُ الْيَوْمَ﴾ تقديره: يقال لهم يوم العذاب: لا تجأروا، ويحتمل:

أن يكون هذا القول حقيقة.

(١) في أ، ب، هـ: «بالتأكيد».

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

(٣) في أ، ب، هـ: «أعيانهم».

(٤) في أ، هـ: «قتال».

(٥) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

أو^(١) يكون بلسان الحال .

ولفظه نهْيٌ ، ومعناه : أن الجُؤار لا ينفعهم .

﴿عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ نَنكِصُونَ﴾ أي : ترجعون إلى وراء ، وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات ، وهي القرآن .

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ قيل : إن الضمير عائدٌ على المسجد الحرام ، أو على الحرم وإن لم يُذكر ؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام ، والمعنى : أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام ؛ لأنهم أهله وولاته .

وقيل : إنه عائد على القرآن ؛ من حيث ذُكرت الآيات ، والمعنى على هذا : أن القرآن يحدث لهم عتواً وكِبْراً^(٢) .

وقيل : إنه يعود على النبي ﷺ ، وهو على هذا متعلقٌ بـ ﴿سَمِرًا﴾ .

﴿سَمِرًا﴾ مشتقٌّ من السَّمر ، وهو الجلوس بالليل للحديث ، وكانت قريش تجتمع^(٣) بالليل في المسجد ، فيتحدثون ، وكان أكثر حديثهم سبَّ النبي ﷺ ، و﴿سَمِرًا﴾ مفرد بمعنى الجمع ، وهو منصوب على الحال ، فمن جعل الضمير في ﴿بِهِ﴾ للنبي ﷺ ، فالمعنى : أنهم سامرون بذكره وسبّه .

﴿تُهَجِّرُونَ﴾ من قرأ بضم التاء وكسر الجيم فمعناه : تقولون الهُجْر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام .

(١) في ج ، د : «وأن» .

(٢) في د : «وتكبراً» .

(٣) في ب : «يجتمعون» .

ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم : فهو من الهَجْر - بفتح الهاء - ؛ أي : تهجرون الإسلام ، والنبي ﷺ ، والمؤمنين .

أو من قولك : هَجَر المريض : إذا هَذَى ؛ أي : تقولون اللغو من القول .
﴿أَفَلَمْ يَذَبُّوا أَلْقَوْلَ﴾ يعني : القرآن ، وهذا توبيخٌ لهم .

﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ معناه : أن النبوة ليست ببدعٍ فينكرونها بل قد جاءت آباءهم الأولين ، فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم .

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ المعنى : ألم يعرفوا محمداً ﷺ ، ويعلموا أنه أشرفهم حسَباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانةً ، وأرجحهم عقلاً ؛ فكيف ينسبونه إلى الكذب أو إلى الجنون أو غير ذلك من النقائص ؟ ، مع أنه جاءهم بالحق الذي لا يخفى على كل ذي عقل سليم أنه عين الصواب .

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ الاتِّباع هنا : استعارة ، والحق هنا يراد به : الصواب والأمر المستقيم ، فالمعنى : لو كان الأمر على ما تقتضي أهوائهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض ، كقوله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

وقيل : إن الحق في الآية هو الله تعالى ، وهذا بعيد في المعنى ، وإنما حمَّله عليه أن جعل الاتِّباع حقيقةً ولم يفهم فيه الاستعارة ، وإنما الحق هنا هو المذكورة في قوله : ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونٌ﴾ .

﴿بَلْ أَيْنَتْهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ :

بتذكيرهم ووعظهم .

أو بفخرهم وشرفهم ، وهذا أظهر .

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ الْخَرْجُ : هو الأجرة ، ويقال فيه : خَرَجَ ، والمعنى واحد ، وقد قرئ^(١) بالوجهين في الموضعين ، فهو كقوله : ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الطور : ٤٠ ، الفلم : ٤٦] ؛ أي : لست تسألهم أجراً فيثقل عليهم اتباعك .

﴿فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي : رزق ربك خير من أموالهم ؛ فهو يرزقك ويغنيك عنهم .

﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكْبِتُ﴾ أي : عادلون ومعرضون^(٢) عن الصراط المستقيم المذكور .

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ﴾ الآية ؛ قال الأكثرون : نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله ﷺ على قريش بالقحط فنالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها ، فالمعنى : لو رحمناهم بالخُصْبِ ، وكشفنا ما بهم من ضرِّ القحط والجوع ؛ لتمادوا على طغيانهم .

وفي هذا عندي نظر ؛ فإنَّ الآية مكية باتفاق ، وإنما دعا النبي ﷺ على قريش بعد الهجرة حسَبَما ورد في الحديث .

وقيل : المعنى : لو رحمناهم بالردِّ إلى الدنيا بعد موتهم لعادوا لما نهوا عنه .

(١) في أ ، ب : «وقد روي» .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «ويعرضون» .

وهذا القول لا يلزم عليه ما لزم على الآخر، ولكنه خارج عن معنى الآية .
﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ قيل : إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط ، وإن
الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا : يوم بدر .
وهذا مردود بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر .
وقيل : إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر ، والباب المتوعد به هو
القحط .

وقيل : الباب ذو العذاب الشديد : عذاب الآخرة ، وهذا أرجح ، ولذلك
وصفه بالشدة ؛ لأنه أشد من عذاب الدنيا ، وقال : إنهم فيه مبلسون ؛ أي
يائسون^(١) من الخير ، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة ، كقوله : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم : ١٢] .

﴿فَمَا اسْتَكَاثُوا﴾ أي : ما تذللوا لله ﷻ .

وقد تقدّم الكلام على هذه الكلمة في «آل عمران»^(٢) .

﴿وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾ إن قيل : هلاً قال : «فما استكانوا وما تضرعوا» ، أو «فما
يستكينون وما يتضرعون» باتّفاق الفعلين في الماضي أو في الاستقبال؟
فالجواب : أن ﴿فَمَا اسْتَكَاثُوا﴾ عند العذاب الذي أصابهم ، و﴿وَمَا
يَضُرُّعُونَ﴾ حتى يفتح عليهم باب عذاب شديد ، فنفى الاستكانة فيما مضى ،
ونفى التضرع في الحال والاستقبال^(٣) .

(١) في ب : «آيسون» .

(٢) انظر (١/٥٨٢) .

(٣) انظر : الكشف (١٠/٦١٥) .

[وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَلْعَبُوتُ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِئُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾].

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» زائدة، و﴿قَلِيلًا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: شكرًا قليلًا تشكرون.

وذكر السمع والبصر والأفئدة - وهي القلوب - ؛ لعظيم^(١) المنافع التي فيها ؛ فيجب شكر خالقها، ومن شكره: توحيده واتباع رسوله ﷺ، ففي ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجة.

﴿ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نشركم فيها.

﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: هو فاعله ومختص به، فاللام للاختصاص.

(١) في ج: «العظم».

وقد ذكر في «البقرة» معنى اختلاف الليل والنهار^(١).

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ (٨١) أي: قالت قريش مثل قول الأمم المتقدمة، ثم فسّر قولهم بإنكارهم للبعث، وإليه الإشارة بقولهم: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا﴾.

وقد ذكر الاستفهامان في «الرعد»^(٢).

و﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ في «الأنعام»^(٣).

﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ هذه الآيات^(٤) توقيف لهم على أمور لا يمكنهم إلا الإقرار بها، وإذا أقرّوا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرئ في الأول ﴿لِلَّهِ﴾ باللام بإجماع؛ جواباً لقوله: ﴿لِمَنِ الْأَرْضُ﴾، وكذلك قرأ الجمهور الثاني والثالث، وذلك على المعنى؛ لأن قوله: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ في معنى: «لمن هي».

وقرأ أبو عمرو الثاني والثالث بالرفع على اللفظ.

﴿مَلَكُوتَ﴾ مصدر في بنائه مبالغة.

﴿يُحْزِرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ الإجارة: المنع من الإنسان^(٥)، يقال: أجزت

(١) انظر (١/٣٨٧).

(٢) انظر (٢/٦٦٩).

(٣) انظر (٢/٢٥٤).

(٤) في أ، ب، د: «الآية».

(٥) في أ، ب، هـ: «الإهان» كذا!، والمثبت موافق لعبارة المحرر الوجيز (٦/٣١٦).

فلاناً على فلان : إذا منعتَه من مضرّته وإهانتِه ، فالمعنى : أن الله تعالى يُغيث من شاء ممن شاء ، ولا يغيث أحداً منه أحداً .

﴿ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾ أي : تُخدعون عن الحق ، والخادعُ لهم الشيطان ، وذلك تشبيهٌ بالسحر في التخليط والوقوع في الباطل .

ورُتبت هذه التوبيخات الثلاثة بالتدرّج ، فقال أولاً : ﴿ أَفَلَا نَذْكُرُونَ ﴾ ، ثم قال ثانياً : ﴿ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴾ ، وذلك أبلغ ؛ لأن فيه زيادةً تخويف ، ثم قال ثالثاً : ﴿ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾ ، وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره .

﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ يعني : فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد ، ولذلك ردّ عليهم بنفي ذلك .

﴿ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ هذا برهان على الوحدانية ، وبيانه أن يقال : لو كان مع الله إله آخرٌ لا نفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر ، واستبدّ كل واحد منهما بمُلْكِه ، وطلب غلبة الآخر والعلوَّ عليه ، كما ترى ^(١) حال ملوك الدنيا ، ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كأن العالم كلّهُ كُرَّةٌ واحدة : علمنا أن مالكة ومدبّره واحد ، لا إله غيره .

وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية ^(٢) وغيره ، بل هو دليل آخر .

(١) في ج ، د : «نرى» .

(٢) انظر : المحرر الوجيز (٨/٣١٧) .

فإن قيل : «إِذَا» لا تدخل إلا على كلام هو جزاءٌ وجواب ، فكيف دخلت هنا ولم يتقدّم قبلها شرط ولا سؤال سائل؟

فالجواب : أن الشرط محذوفٌ تقديره : لو كان معه آلهة ، وإنما حُذِفَ لدلالة قوله : ﴿وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهِ﴾ ، وهو جواب للكفار الذين وقع الردُّ عليهم^(١).

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ بالرفع : خبر ابتداء ، وبالنخفص : صفة لله .



(١) انظر : الكشاف (١٠/٦٢٢).

[قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ أَدْفَعْ بِأَلَنِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتَنبِئُنِي عَلَىٰ عِلْمِكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالُوا أَخَشَوْنَا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُوا رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾].

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ الآية؛ معناها: أن الله أمر نبيه ﷺ أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قُضي أن يرى ذلك، وفيها تهديد للظالمين وهم الكفار.

و«إن» شرطية، و«ما» زائدة، وجواب الشرط: ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾، وكرر قوله: ﴿رَبِّ﴾ مبالغة في الدعاء والتضرع.

﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ قيل: التي هي أحسن: لا إله إلا الله، والسيئة: الشرك.

والأظهر أنه أمرٌ بالصَّفح والاحتمال وحسن الخلق، فهو مُحَكَّمٌ غير منسوخ، وإنما نُسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار.

﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ يعني: نَزَغَاتِهِ وَوَسْوَاسِهِ^(١).

وقيل: يعني الجنون.

واللفظ أعمُّ من ذلك.

﴿أَنْ يَحْضُرُونَ﴾ معناه: أن يكونوا معه.

وقيل: يعني: حضورهم^(٢) عند الموت.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ قال ابن عطية: ﴿حَتَّىٰ﴾ هنا حرف ابتداء^(٣)؛ أي ليست غاية لما قبلها.

وقال الزمخشري: ﴿حَتَّىٰ﴾ تتعلّق بـ ﴿يَصِفُونَ﴾؛ أي: لا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت^(٤).

(١) في ب، ج: «ووساوسه».

(٢) في أ، ب: «بحضورهم».

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٦/٣٢٠).

(٤) انظر: الكشاف (١٠/٦٢٥).

﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ يعني: الرجوع إلى الدنيا، وخاطب ربّه مخاطبة الجماعة للتعظيم، قال ذلك الزمخشري^(١) وغيره، ومثله قول الشاعر:

ألا فارحموني يا إله محمد^(٢)

وقيل: إنه نادى ربّه ثم خاطب الملائكة.

﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قيل: يعني فيما تركت من المال.

وقيل: فيما تركت من الإيمان؛ فهو كقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرٌ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والمعنى: أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا؛ ليؤمن ويعمل صالحاً في الإيمان الذي تركه أوّل مرة.

﴿كَلَّا﴾ ردّع له عما طلب.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يعني: قوله: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ فسمّى هذا الكلام كلمة، وفي تأويل معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يقول هذه الكلمة لا محالة؛ لإفراط ندمه وحسرتة، فهو إخبار بقوله.

والثاني: أن المعنى: أنها كلمة يقولها، ولا تنفعه ولا تغني عنه شيئاً.

والثالث: أن يكون المعنى: أنه يقولها كاذباً فيها، ولو رجع إلى الدنيا لم يعمل صالحاً.

(١) انظر: الكشاف (١٠/٦٢٦).

(٢) هذا صدر بيت وتماه: «فإن لم أكن أهلاً فأنت له أهل»، أورده الزمخشري في الكشاف (١٠/٦٢٦)، ولم أقف على قائله.

﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أي فيما يستقبلون من الزمان .

والضمير للجماعة المذكورين في قوله : ﴿جَاءَ أَحَدَهُمْ﴾ .

﴿بَرْزُخٌ﴾ يعني : المدة التي بين ^(١) الموت والقيامة ، وهي تحُولُ بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا .

وأصل البرزخ : الحاجز بين شيئين .

﴿فَلَا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ المعنى : أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة ؛ لاشتغال كل أحد بنفسه ، كقوله : ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) وَأُمِّيهِ وَأَبِيهِ (٣٥) [عبس : ٣٤ - ٣٥] ، فتكون الأنساب كأنها معدومة .

﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي : لا يسأل بعضهم بعضاً ؛ لاشتغال كل أحد بنفسه .

فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾

[الصفات : ٢٧ ، الطور : ٢٥] ؟

فالجواب : أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ، ثم يتساءلون بعد ذلك ؛ فإن يوم القيامة يومٌ طويل فيه مواقف مختلفة ^(٢) .

﴿تَلَفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ أي : تصيبهم بالإحراق .

﴿كُلِّحُونَ﴾ الكلوح : انكشاف الشفتين عن الأسنان ، وكثيراً ما يجري ذلك للكلاب ، وقد يجري ^(٣) للكباش إذا شويت رؤوسها ، وفي الحديث :

(١) في أ ، ب ، هـ : «بعد» .

(٢) انظر : الكشف (١٠/٦٢٩) .

(٣) في أ ، ب ، هـ : «تجري» .

«إِنَّ شَفَةَ الْكَافِرِ تَرْتَفِعُ فِي النَّارِ»^(١) حَتَّى تَبْلُغَ وَسْطَ رَأْسِهِ»^(٢)، وَفِي ذَلِكَ عَذَابٌ وَتَشْوِيهِ .

﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أَي: مَا قُدِّرَ عَلَيْنَا^(٣) مِنَ الشَّقَاءِ .

وَقَرِئَ: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .

﴿قَالَ أَخْسَرُوا فِيهَا﴾ كَلِمَةً تَسْتَعْمَلُ فِي زَجْرِ الْكَلَابِ، فَفِيهَا إِهَانَةٌ وَإِبْعَادٌ .

﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ أَي: لَا تَكَلِّمُونِ فِي رَفْعِ الْعَذَابِ، فَحِينَئِذٍ يَأْسُونَ مِنْ ذَلِكَ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ .

﴿سُخْرِيًّا﴾ بَضْمُ السَّيْنِ مِنَ السُّخْرَةِ بِمَعْنَى التَّخْدِيمِ .

وَبِالْكَسْرِ: مِنَ السَّخَرِ بِمَعْنَى الْاسْتَهْزَاءِ، وَقَدْ يُقَالُ هَذَا بِالضَّمِّ .

وَقَرِئَ هُنَا بِالْوَجْهِينِ؛ لِاحْتِمَالِ الْمَعْنِيَيْنِ، عَلَى أَنْ مَعْنَى الْاسْتَهْزَاءِ هُنَا أَلِيقُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ .

﴿كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يَعْنِي: فِي جَوْفِ الْأَرْضِ أَمْوَاتًا .

وَقِيلَ: أَحْيَاءٌ فِي الدُّنْيَا .

فَأَجَابُوا بِأَنَّهُمْ لَبِثُوا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ؛ لِاسْتِقْصَارِ^(٤) الْمَدَّةِ، وَلَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ بِحَيْثُ لَا يَعْدُونَ شَيْئًا .

(١) فِي أ، ب، هـ: «بِالنَّارِ» .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١١٨٣٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٥٨٧) .

(٣) فِي أ: «مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِمْ» .

(٤) فِي ج، د: «لِاسْتِقْصَارِهِمْ» .

﴿فَسْئَلِ الْعَادِّينَ﴾ أي: اسأل من يقدر على أن يعدّ، وهو:

مَنْ عُوْفِي مِمَّا ابْتَلَوْا بِهِ .

أو يعنون الملائكة .

﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ معناه: أنه قليلٌ بالنسبة إلى بقائهم في جهنم خالدين^(١) أبدًا .

﴿عَبَثًا﴾ أي: باطلاً، والمعنى: إقامة حجة على الحشر للشواب والعقاب .

﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ أي: لا حجة ولا دليل، والجملة صفة لقوله: ﴿إِنَّهَا آخِرٌ﴾، وجواب الشرط: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ .

﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن .

وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين؛ ليبين البون^(٢) بين الفريقين، والله أعلم .



(١) في ج، د زيادة: «فيها» .

(٢) في د، هـ: «الفرق» .

﴿سورة النور﴾

[﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَنْتَبِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ
لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ
يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ
وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾
وَالْخَمِيسَةُ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ
شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذَّابِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ
﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾].

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ السورة:

خبر ابتداء مضمرة.

أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: فيما أنزل عليكم سورة.

و﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ صفة للسورة.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي: فرضنا الأحكام التي فيها.

وقرئ بالتشديد للمبالغة .

﴿ءَايَاتٍ بَيَّنَّتِ﴾ يعني : ما فيها من المواعظ والأحكام والأمثال .

وقيل : معنى ﴿بَيَّنَّتِ﴾ هنا : ليس فيها مُشْكَل .

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ : يراد بهما الجنس ، وقدم الزانية ؛ لأن الزنا كان حينئذ في النساء أكثر ؛ فإنه كان منهنَّ إماء وبغايا يجاهرن^(١) بذلك .

وإعراب ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ كإعراب : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة : ٣٨] ، وقد ذكر في «المائدة»^(٢) .

وهذه الآية ناسخة بإجماع لما في سورة «النساء» من الإمساك في البيوت في الآية الواحدة ، ومن الأذى في الأخرى^(٣) .

ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومه ؛ فإنَّ جلد المئة إنما هو حدُّ الزانية والزاني إذا كانا مسلمين حُرَّين^(٤) غير محصنين .

فيخرج منها الكفار ؛ فيُرَدُّون إلى أهل دينهم .

ويخرج منها العبد والأمة والمحصن والمحصنة .

فأما العبد والأمة : فحدُّهما خمسون جلدةً ، سواء كان محصنين أو غير محصنين .

(١) في أ ، ب ، ج ، هـ : «يجاهرون» .

(٢) انظر (١٧٦/٢) .

(٣) انظر (٢٦/٢) .

(٤) في ب زيادة : «بالغين» .

وأما المحصنان الحرَّان فحدُّهما الرجم .

هذا على مذهب مالك .

وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب :

فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهره العموم في المسلمين والكافرين ، وفي الأحرار والعبيد والإماء ، وفي المحصن وغير المحصن ، ثم إن العلماء خصَّصوا من هذا العموم أشياء ؛ منها باتفاق ، ومنها باختلاف .

فأما الكفار :

فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدَّهم جلدٌ مئة ؛ أخصَّصوا أو لم يُخصَّصوا ؛ أخذًا بعموم الآية .

ورأى الشافعي أن حدَّهم كحدِّ المسلمين ؛ الجلدُ إن لم يُخصَّصوا ، والرجم إن أخصَّصوا ؛ أخذًا بالآية ، وبرجم النبي ﷺ لليهودي واليهودية إذا زنيا .

ورأى مالك أن يُردُّوا إلى أهل دينهم ؛ لقوله في سورة «النساء» : ﴿وَأَلَّتِي يَأْنِيكَ الْفَحْشَاءُ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء : ١٥] ، فخصَّ نساء المسلمين ؛ على أنها قد نسختها هذه ، ولكن بقيت في محلها .

وأما العبد والأمة :

فرأى أهل الظاهر أن حدَّ الأمة خمسون جلدة ؛ لقوله تعالى : ﴿فَعَلَّيْنِ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء : ٢٥] ، وأن حدَّ العبد الجلدُ مئة ؛ لعموم الآية .

وقال غيرهم: يُجلّد العبد خمسين؛ بالقياس على الأمة؛ إذا لا فرق بينهما.

وأما المحصن:

فقال الجمهور: حكمه الرجم، فهو مخصوص من هذه الآية، وبعضهم يسمي هذا التخصيص نسخاً، ثم اختلفوا في المخصص أو الناسخ:

ف قيل: الآية التي ارتفع لفظها وبقي حكمها، وهي قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فاراجموهما ألّبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»^(١).

وقيل: الناسخ لها السنة الثابتة في الرجم.

وقال أهل الظاهر وعلي بن أبي طالب: يُجلّد المحصن بالآية، ثم يُرجم بالسنة، فجمعوا عليه الحدّين، ولم يجعلوا الآية منسوخةً بالرجم^(٢)، ولا مخصّصةً.

وقال الخوارج: لا رجم أصلاً؛ فإن الرجم ليس في كتاب الله.

ولا يُعتدُّ بقولهم.

وظاهر الآية الجلد دون تغريب، وبذلك قال أبو حنيفة.

وقال مالك بالجلد والتغريب سنة؛ للحديث، وهو قوله ﷺ: «البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام»^(٣).

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٨٥)، وأحمد في مسنده (٢١٢٠٧)، (٢١٥٩٦)، وابن ماجه (٢٥٥٣).

(٢) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٣) أخرجه مسلم (١٦٩٠).

ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك .

وصفة الجلد :

عند مالك : في الظهر ، والمجلود جالس .

وقال الشافعي : يفرّق على جميع الأعضاء ، والمجلود قائم .

وتُسْتَر المرأة بثوب لا يقيها الضرب .

ويجرّد الرجل عند مالك .

وقال قوم : يجلد على قميص .

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قيل : يعني : في إسقاط الحدّ ؛ أي : أقيموه ولا بدّ .

وقيل : في تخفيف الضرب .

وقيل : في الوجهين .

فعلى القول الأول : يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير مبرّح ، وهو مذهب مالك والشافعي .

وعلى القول الثاني والثالث : يكون الضرب في الزنا أشدّ .

واختلف : هل يجوز أن تُجمَع مئة سوط ويضرب بها مرة واحدة ؟

فمنعه مالك .

وأجازه أبو حنيفة ؛ لما ورد في قصة أيوب عليه السلام .

وأجازه الشافعي للمريض ؛ لورود ذلك في الحديث .

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد بذلك: توبيخ الزناة، والغلظة عليهم.

واختلف في أقل ما يجزئ من الطائفة؟

ف قيل: أربعة؛ اعتباراً بشهادة الزنا^(١)، وهو قول ابن أبي زيد.

وقيل: عشرة.

وقيل: اثنان^(٢)، وهو مشهور مذهب مالك.

وقيل: واحد.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية؛ معناها: ذم الزناة، وتشنيع الزنا، وأنه لا يقع فيه إلا زانٍ أو مشرك، ولا يوافق عليه من النساء إلا زانية أو مشركة، و﴿يَنْكِحُ﴾ على هذا بمعنى: يجامع.

وقيل: معناها: لا يحل لزاني أن يتزوج إلا زانية أو مشركة، ولا يحل لزانية أن تتزوج إلا زانياً أو مشركاً، ثم نسخ هذا الحكم، وأبيح لهما التزويج ممن شاء^(٣).

والأول هو الصحيح.

﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾:

إلى الزنا؛ أي: حرم الزنا على المؤمنين.

(١) في أ، ب: «الزناة».

(٢) في أ، ب، ج: «اثنين».

(٣) في د: «شاؤوا».

وقيل: الإشارة إلى تزوج المؤمن غير الزاني لزانية؛ فإن قوماً منعوا أن يتزوجها، وهذا على القول الثاني في الآية قبلها، وهو بعيد.

وأجاز تزوجها مالك وغيره، وروي عنه كراهته.

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ هذا حدُّ القذف، وهو الفرية التي عبّر الله عنها هنا بالرمي.

و﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ هنا يراد به: العفاف من النساء، وخصَّهن بالذكر؛ لأن قذفهن أكثر وأشنع من قذف الرجال، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى؛ إذ لا فرق بينهم، وأجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحد.

وقيل: إن المعنى: يرمون الأنفس المحصنات؛ فيعمُّ اللفظ - على هذا - النساء والرجال.

ويحتاج هنا إلى الكلام في القذف، والقاذف، والمقذوف، والشهادة في ذلك:

فأما القذف: فهو الرمي بالزنا؛ اتفاقاً.

أو بفعل قوم لوط عند مالك والشافعي؛ لعموم لفظ الرمي في الآية، خلافاً لأبي حنيفة.

أو النفي من النسب.

ومذهب مالك أن التعريض بذلك كله كال تصريح، خلافاً للشافعي وأبي حنيفة.

وأما القاذف :

فيُحدُّ؛ سواءً كان مسلمًا أو كافرًا؛ لعموم الآية، وسواءً كان حرًّا أو عبدًا .
إلا أن العبد والأمة إنما يحدَّان^(١) أربعين عند الجمهور، فنصَّفوا حدَّهما
قياسًا على تنصيفه في الزنا، خلافًا للظاهرية .
ولا يحدُّ الصبي ولا المجنون؛ لكونهما غيرَ مكلفين .

وأما المقدوف :

فمذهب مالك : أنه يشترط فيه : الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة
عما رُمي به ، والتمكُّن من الوطء؛ تحرُّزًا من المجبوب وشبهه ، فلا يحدُّ
عنده مَنْ قذف صبيًّا أو كافرًا أو مجنونًا أو عبدًا أو مَنْ لا يمكنه الوطء .

وقد قيل : يحدُّ مَنْ قذف واحدًا منهم ؛ لعموم الآية .

وأتفقَ على اشتراط البراءة مما رُمي به .

وأما الشهادة التي تُسقط حدَّ القذف :

فهي أن يشهد شاهدان عدلان بأن المقدوف عبدٌ أو كافرٌ^(٢) ، أو يشهد
أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قُذِفَ به كالمِرْوَدِّ في المُكْحَلَةِ ،
ويؤدُّون الشهادة مجتمعين .

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ تقدَّم قبل هذا الاستثناء ثلاثة أحكام ؛ وهي الحدُّ، وردُّ
شهادة القاذف ، وتفسيره .

(١) في ب : «يجلد» .

(٢) في ب ، ج ، د : «عبدًا أو كافرًا» .

فَاتَّفَقَ عَلَى أَنْ الِاسْتِثْنَاءَ رَاجِعٌ إِلَى التَّفْسِيقِ ، وَأَنْ ذَلِكَ يَزُولُ عَنْهُ بِالتَّوْبَةِ .
وَاتَّفَقَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَى الْحَدِّ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْقُطُ عَنْهُ بِالتَّوْبَةِ .

وَاخْتَلَفَ هَلْ يَرْجِعُ إِلَى رَدِّ الشَّهَادَةِ أَمْ لَا ؟

فَقَالَ مَالِكٌ : إِذَا تَابَ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ .

خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ .

وَتَوْبَتُهُ : هُوَ صَلَاحُ حَالِهِ فِي دِينِهِ .

وَقِيلَ : إِكْذَابُ نَفْسِهِ .

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَذْفِ الرَّجُلِ
لَا مَرَأَتَهُ ؛ فَيَجِبُ اللَّعَانُ بِذَلِكَ .

وَسَبِّهَا : أَنْ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : الرَّجُلُ يَجِدُ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا ؛ أَيَقْتُلُهُ
فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ ؟ ، فَسَكَتَ عَنْهُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ عَادَ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَدْ أُنْزِلَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ ، فَاتْنِي ^(١) بِهَا » فَتَلَاعَنَّا ،
وَفَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمَا ^(٢) .

وَمَوْجِبُ اللَّعَانِ عِنْدَ مَالِكٍ شَيْئَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنْ يَدَّعِيَ الزَّوْجُ أَنَّهُ رَأَى امْرَأَتَهُ تَزْنِي .

وَالْآخَرُ : أَنْ يَنْفِي حَمْلَهَا وَيَدَّعِي الِاسْتِبْرَاءَ قَبْلَهُ .

(١) فِي أ ، ب ، هـ : « فَاتْنِي » .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٣٠٨) ، مُسْلِمٌ (١٤٩٢) .

فإذا تلاعن الزوج تعلّقت به ثلاثة أحكام :

[١-] نفي حدّ القذف عنه .

[٢-] وانتفاء سبب الولد منه .

[٣-] ووجوب حدّ الزنا عليها إن لم تلاعن ، فإن تلاعن سقط الحدّ عنها .

ولفظ الآية عامّ في الزوجات ؛ الحرائر والمماليك ، والمسلمات والكافرات ، والعدول وغيرهم ، وبذلك أخذ مالك .

واشترط مالك في الزوج : الإسلام .

واشترط أبو حنيفة : أن يكونا مُسلمين حرّين عدلين .

﴿ فَشَهِدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعٌ شَهِدَتِ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴾ أي : يقول الزوج أربع مرّات : «أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني» ، أو «أشهد بالله ما هذا الحمل مني ، ولقد زنت ، وإني في ذلك لمن الصادقين» ، ثم يقول في الخامسة : «لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين» .

وزاد أشهب : أن يقول : «أشهد بالله الذي لا إله إلا هو» .

وانتصب : ﴿ أَرْبَعٌ شَهِدَتِ بِاللَّهِ ﴾ على المصدرية ، والعامل فيه : ﴿ فَشَهِدَةُ أَحَدِهِمْ ﴾ .

وقرئ بالرفع ، وهو خبر ﴿ فَشَهِدَةُ أَحَدِهِمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ بِاللَّهِ ﴾ و﴿ إِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴾ من صلة ﴿ أَرْبَعٌ شَهِدَتِ ﴾ ،

أو من صلة^(١) ﴿فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ .

﴿وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعْنْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ قرئ بنصب ﴿وَالْخَمْسَةُ﴾ هنا وفي الموضع الثاني، وانتصب :

بفعل مضمّر تقديره : ويشهد الشهادة^(٢) الخامسة .

أو بالعطف على ﴿أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ﴾ على قراءة النصب .
وقرئ بالرفع :

على الابتداء .

أو عطف على ﴿أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ﴾ بقراءة الرفع .
وقرئ ﴿أَنْ لَعْنْتُ﴾ ، و ﴿أَنْ غَضِبَ﴾ :
بتشديد ﴿أَنَّ﴾ ، ونصب اسمها .

وتخفيفها ، ورفع اللعنة والغضب على الابتداء .

﴿وَيَذَرُوهَا الْعَذَابُ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٨﴾ العذاب هنا : حدُّ الزنا ؛ أي : يدفعه التّبعان المرأة ، وهو^(٣) أن تقول أربع مرات : «أشهد بالله ما زنت ، وإنه في ذلك لمن الكاذبين» ، ثم تقول في الخامسة : «غضب الله عليها إن كان من الصادقين» .

(١) في ج : «لا من صلة» .

(٢) سقطت هذه الكلمة من أ ، ب .

(٣) في أ ، ب ، هـ : «وهي» .

ويتعلق بالتعانيها ثلاثة أحكام:

[١-] دفع الحد عنها.

[٢-] والتفريق بينها وبين زوجها.

[٣-] وتأبيد التحريم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ جواب «لولا» محذوف هنا وفي الموضع الآخر، تقديره: «لولا فضل الله عليكم لو أخذكم»^(١)، أو نحو هذا.



(١) كذا رُسمت في النسخ المخطوطة بالواو، قال في «المصباح المنير» في مادة (أ خ ذ): «أخذه بذنبه: عاقبه عليه، وأخذه بالمد مؤاخذه كذلك، والأمر منه أَخَذَ بمد الهمزة، وتبدل واوًا في لغة اليمن فيقال: واخذه مؤاخذه، وقرأ بعض السبعة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ بالواو على هذه اللغة».

[إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسْتُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوهُ بِاللَّيْلِ لَمَّا يَأْتُوا بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾].

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ الإفك: أشد الكذب.

ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ست عشرة آية في شأن عائشة رضي الله عنها وبراءتها مما رماها به أهل الإفك، وذلك أن الله برأ أربعة بأربعة:

- [١-] برأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها.
- [٢-] وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه.
- [٣-] وبرأ مريم بكلام ولدها في حجرها.
- [٤-] وبرأ عائشة من الإفك بإنزال ^(١) القرآن في شأنها.

(١) في أ، ب: «فأنزل».

ولقد تَضَمَّنَتْ هذه الآيات الغايةَ العظمى في الاعتناء بها، والكرامة لها، والتَّشديد على من قذفها.

وقد خَرَجَ حديثُ الإفك البخاري ومسلم وغيرهما^(١)، واختصاره: أن عائشة خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فضاع لها عِقْدٌ، فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل، فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ما بال رجال رموا أهلي؟، والله ما علمت على أهلي إِلَّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إِلَّا خيراً»، وسأل جارية عائشة، فقالت: والله ما أعلم عليها إِلَّا ما يعلمه الصَّائغ على تبر الذهب الأحمر».

والعصبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين، ولم يُذكَر في الحديث من أهل الإفك إِلَّا أربعة، وهم: عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين، وحَمْنَةُ بنت جحش، ومِسْطَح بن أثاثه، وحسان بن ثابت.

وقيل: إن حَسَانَ لم يكن منهم.

وارتفاع ﴿عُصْبَةٌ﴾ لأنه خبر ﴿إِنَّ﴾.

واختار ابن عطية أن يكون ﴿عُصْبَةٌ﴾ بدلاً من الضمير في ﴿جَاءُوا﴾، ويكون الخبر: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾؛ على تقدير: إن حديث الذين جاؤوا بالإفك^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/٣٥٣).

والأول أظهر .

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للمسلمين ، والخير في ذلك من خمسة أوجه :

[١-] تبرئة أم المؤمنين .

[٢-] وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها .

[٣-] والأجر الجزيل لها في الفرية^(١) عليها .

[٤-] وموعظة المؤمنين .

[٥-] والانتقام من المفترين .

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ هو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق .

وقيل : الذي بدأ بهذه الفرية ، وهو غير معين .

والعذاب العظيم هنا : يحتمل أن يراد به :

الحد .

أو عذاب الآخرة .

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هنا : عرض ،

والمعنى : أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم ؛ فإن كان ذلك يبعد في حقهم فهو في حق عائشة أبعد ؛ لفضلها .

وروي أن هذا النظر وقع لأبي أيوب الأنصاري ، فقال لزوجته : أكنت أنت تفعلين ذلك؟ ، قالت : لا والله! ، قال : فعائشة أفضل منك ، قالت :

نعم .

(١) في ب : «بالفرية» .

فإن قيل : لم قال : ﴿ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ بلفظ الخطاب ، ثم عدل إلى لفظ الغيبة في قوله : ﴿ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، ولم يقل : « ظننتم » ؟

فالجواب : أن ذلك التفتُّ ، قُصِدَ به المبالغة ، والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدِّق المؤمن على المؤمن شراً^(١) .

﴿ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ ﴿ لَوْلَا ﴾ هنا عَرَضٌ ، والضمير في ﴿ جَاءُوا ﴾ لأهل الإفك ، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء .

﴿ أَفْضَتُمْ فِيهِ ﴾ يقال : أفاض في الحديث وخاض فيه : إذا أكثر الكلام فيه .

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ العامل في ﴿ إِذْ ﴾ : ﴿ لَسْتُمْ ﴾ أو ﴿ أَفْضَتُمْ ﴾ .

ومعنى ﴿ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ : يأخذه بعضكم من بعض .

وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتابٌ لهم على خوضهم في حديث الإفك ، وإن كانوا لم يصدقوه ؛ فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والتركُّ له بالكلية ، فعاتبهم على ثلاثة أشياء ، وهي :

تلقَّيه بالألسنة ؛ أي : السؤال عنه وأخذه من المسؤول .

والثاني : قولهم ذلك .

والثالث : أنهم حسبوه هيئاً وهو عند الله عظيم .

وفائدة قوله : ﴿ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ و ﴿ بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾ : الإشارة إلى أن ذلك الحديث

كان باللسان دون القلب ؛ إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم .

(١) انظر : الكشف (١١ / ٣٤) .

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ أي: كان الواجب أن تبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعكم^(١) له.

و﴿لَوْلَا﴾ أيضًا في هذه الآية عَرْضٌ، وكان حَقُّها أن يليها الفعل من غير فاصل بينهما، ولكنه فصل بينهما بقوله: ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾؛ لأن الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، والقصد بتقديم هذا الظرف: الاعتناء به، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلى إنكار ذلك الكلام في أول وقت سماعه^(٢).

ومعنى ﴿مَا يَكُونُ لَنَا﴾: ما ينبغي لنا ولا يحلُّ لنا أن نتكلم بهذا. ﴿سُبْحَنَكَ﴾ تنزيهٌ لله عن أن تكون زوجة رسوله ﷺ على ما قال أهل الإفك.

وقال الزمخشري: هو بمعنى التعجب من عَظَم الأمر، والاستبعاد له، والأصل في ذلك أن يَسْبَحَ الله عند رؤية العجائب^(٣).

﴿يَهْتَنُّ عَظِيمٌ﴾ البهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغيبة: أن يقال ما فيه.

﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾ تقديره: يعظكم كراهة أن تعودوا، ثم عَظَم الأمر وأكَّده بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين

(١) في أ، ب: «أن يبادروا.. سماعهم».

(٢) في ج: «سمعتهم».

(٣) انظر: الكشاف (٤١/١١).

أحبُّوا أن يَشيعَ حديث الإفك، ثم هو عامٌّ في غيرهم ممن اتصف بصفاتهم .
والعذاب في الدنيا الحدُّ .

وأما عذاب الآخرة؛ فقد ورد في الحديث أن من عوقب في الدنيا على
ذنب لم يعذب^(١) عليه في الآخرة^(٢)، فأشكل اجتماع الحدِّ مع عذاب
الآخرة في هذا الموضع، فيَحتمل:

أن يكون القاذف يعذب في الآخرة، ولا يُسقط الحدُّ عنه عذاب الآخرة،
بخلاف سائر الحدود .

أو يكون هذا مختصًّا بمن قذف عائشة؛ فإنه روي عن ابن عباس أنه قال:
من أذنب ذنبًا ثم تاب منه قُبِلَت توبته إلا من خاض في أمر عائشة^(٣) .
أو يكون^(٤) لمن مات مصرًّا غير تائب .
أو يكون للمنافقين .



(١) في د: «يعاقب».

(٢) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢٨/١٥).

(٤) في أ، ب: «تكون».

[﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَذِ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيِّثُونَ لِلْحَيِّثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾] .

﴿خُطُوبَ الشَّيْطَانِ﴾ ذُكِرَ فِي «البقرة»^(١) .

﴿بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ ذُكِرَ فِي «النحل»^(٢) .

﴿زَكَا﴾ أَي : تَطَهَّرَ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَصَلَحَ دِينُهُ^(٣) .

﴿وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾ مَعْنَى ﴿يَأْتِلُ﴾ :
يَحْلِفُ ؛ فَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ : أَلَيْتُ : إِذَا حَلَفْتَ .

وَقِيلَ : مَعْنَاهُ : يُقْصَرُ ؛ فَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ : أَلَوْتُ أَي : قَصَّرْتُ ؛ وَمِنْهُ :
﴿لَا يَأْلُوَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران : ١١٨] .

(١) انظر (١/٣٩٢) .

(٢) انظر (٢/٧٧٣) .

(٣) فِي د : «حاله» .

﴿الْفَضْل﴾ هنا : يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ :

الفضلَ في الدين .

أو الفضل في المال ؛ وهو أَنْ يَفْضُلَ لَهُ عَنْ مَقْدَارٍ مَا يَكْفِيهِ .

﴿وَالسَّعَةِ﴾ : هي اتساع المال .

ونزلت الآية بسبب أَنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه حلف أَنْ لَا يُنْفِقَ عَلَى مِسْطَحَ ، لَمَّا تَكَلَّمَ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ ، وَكَانَ يَنْفِقُ عَلَيْهِ لِمَسْكَنَتِهِ ، وَلَأَنَّهُ قَرِيبُهُ ، وَكَانَ ابْنُ بَنَتِ خَالَتِهِ ^(١) ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ رَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النِّفْقَةِ وَالْإِحْسَانِ ، وَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِهِ .

قال بعضهم : هذه أرجى آية في القرآن ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَوْصَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْقَاضِفِ .

ثم إن لفظ الآية على عمومها في أَنْ لَا يَحْلِفَ أَحَدٌ عَلَى تَرْكِ عَمَلٍ صَالِحٍ .
﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي : كما تحبون أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ؛ كَذَلِكَ اغْفِرُوا أَنْتُمْ لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ .

ولما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه : «إني لأحبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي» ، ثُمَّ رَدَّ النِّفْقَةَ إِلَى مِسْطَحَ .

﴿الْمُحْصَنَاتِ الْغُفْلَاتِ﴾ معنى ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ هنا : العفائف ذواتُ الصَّوْنِ .
ومعنى ﴿الْغُفْلَاتِ﴾ : السَّليَمَاتِ الصُّدُورِ ؛ فَهُوَ مِنَ الْغَفْلَةِ عَنِ الشَّرِّ .

(١) في أ ، ب ، ج : «ابن خالته» ، والمثبت هو الصواب كما في الإصابة لابن حجر (١٣٩/١٠) .

﴿لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ هذا الوعيد للقاذفين لعائشة، ولذلك لم يذكر فيه توبة، قال ^(١) ابن عباس: كلُّ مذنب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض في حديث عائشة.

وقيل: الوعيد لكل قاذف، والعذاب العظيم يحتمل أن يراد به: الحدُّ أو عذاب الآخرة.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ الْعَامِلُ فِيهِ: ﴿يُؤْفِكُمْ﴾، وَكَرَّرَ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تَأْكِيدًا.

وقيل: العامل فيه ﴿عَذَابٌ﴾، أو فعل مضمر.

﴿دِينَهُمُ الْحَقُّ﴾ أي: جزاءهم الواجب لهم.

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ هذه الآية تدلُّ على أن ما قبلها في المنافقين؛ لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين. ومعنى ﴿الْمُبِينُ﴾: الظاهر الذي لا شك فيه.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية؛ معناها: أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال؛ ففي ذلك ردٌّ على أهل الإفك؛ لأن النبي ﷺ هو أطيب الطيبين؛ فزوجته ^(٢) أطيب الطيبات.

وقيل: ^(٣) المعنى: أن الخبيثات ^(٤) من الأعمال للخبيثين من الناس،

(١) في ب، ج، د، هـ: «فقال».

(٢) في أ، ب، هـ: «وزوجته».

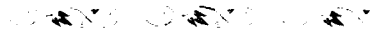
(٣) في أ، ب، هـ زيادة: «إن».

(٤) في ب: «الخبائث».

والطَّيِّبَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ لِلطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ؛ ففيه أيضًا ردٌّ على أهل الإفك؛ لأن عائشة لا يليق بها إلا الطيبات من الأعمال، بخلاف ما قاله أهل الإفك.

وقيل: المعنى: أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك؛ أي: أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا خبيث مثلهم.

﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ الإشارة بـ ﴿أُولَئِكَ﴾ إلى الطيبين والطيبات والضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ للخبيثات والخبيثين، والمراد: تبرئة عائشة رضي الله عنها مما رميت به.



[يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنْ أَلَّهِ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدَنْ تَحَصُّنًا لِنَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾]

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ هذه الآية أمرٌ بالاستئذان في غير بيت الداخل، فيعمُّ بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء في الحديث الأمر بالاستئذان على الأُمَّ؛ خيفة أن يراها عُريانة.

ومعنى ﴿تَسْتَأْذِنُوا﴾: تستأذنون، وهو مأخوذ من قولك: آنست الشيء: إذا علمته؛ فالاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟.

وقيل: هو مأخوذ من الأنس ضد الوحشة.

وقرأ ابن عباس: «حتى تستأذنوا».

والاستئذان واجب، وأما السلام فلا ينتهي إلى الوجوب.

واختلف أيهما يقدم؟

فقيل: يقدم السلام، ثم يستأذن؛ فيقول: «السلام عليكم»، ثم يقول: «أأدخل؟».

وقيل: يقدم الاستئذان؛ لتقديمه في الآية.

وليس في الآية عدد الاستئذان، وجاء في الحديث أن يستأذن ثلاث مرات^(١)، وهو تفسير للآية.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ﴾ سبب هذه الآية: أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمق قوم؛ فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون، فأباح هذه الآية دخولها بغير استئذان.

واختلف في البيوت غير المسكونة المذكورة في هذه الآية؟

فقيل: هي الفنادق التي في الطرق، ولا يسكنها أحد، بل هي موقوفة ليأوي إليها كل ابن سبيل.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٥)، ومسلم (٢١٥٣).

والمتاع على هذا : التمتع بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك .

وقيل : هي الخرب التي تُدخَل للبول والغائط .

والمتاع على هذا : حاجة الإنسان .

وقيل : هي حوانيت القيسارية^(١) .

والمتاع على هذا : الثياب والبسط وشبهها .

وهذا القول خطأ ؛ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع .

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ إعرابها كإعراب ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣١] في «إبراهيم» ، وقد ذُكر^(٢) .

و﴿مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ للتبعض .

والمراد : غضُّ البصر عما يحرم ، والاقتصار به على ما يحل .

وقيل : معنى التبعض فيه : أن النظرة الأولى لا حرج فيها ، ويُمنع ما بعدها .

وأجاز الأخفش أن تكون ﴿مِنْ﴾ زائدة .

وقيل : هي لا ابتداء الغاية ؛ لأن البصر مفتاح القلب .

والغضُّ المأمور به : هو عن النظر إلى العورات ، أو إلى ما لا يحلُّ من

(١) جاء في تكملة المعاجم العربية (٨/ ٤٣٥) : «قيسارية : . . ميدان عام يقام فيه سوق ، أو هي بالأحرى : بناية مربعة في شكل رواق الدير ، فيها حجرات ومخازن وحوانيت للتجار» .

(٢) انظر (٢/ ٧٠٤) .

النساء، أو إلى كتاب الغير وشبه ذلك مما يُستَر.

وحفظ الفروج المأمور به : هو عن الزنا .

وقيل : أراد ستر العورة .

والأظهر أن الجميع مراد .

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ تؤمر المرأة بغضّ بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعاً .

واختلف هل يجب عليها غضّ بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا ؟ وعن سائر جسد المرأة أم لا ؟

فعلى القول بذلك : تشتمل الآية عليه .

والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال .

﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ نهى عن إظهار الزينة بالجملة ، ثم استثنى الظاهر منها ، وهو ما لا بدّ من النظر إليه عند حركتها ، أو إصلاح شأنها ، وشبه ذلك .

فقيل : ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني : الثياب ؛ فعلى هذا : يجب ستر جميع جسدها .

(وقيل : الثياب والوجه) ^(١) .

(١) سقط من أ ، ج ، د . ومثبت في ب ، هـ ، وهو قول في تفسير الآية كما في المحرر الوجيز (٣٧٤ / ٦) .

وقيل: الثياب والوجه والكفان، وهو مذهب مالك؛ لأنه أباح كشف وجهها وكفيها في الصلاة.

وزاد أبو حنيفة: القدمين.

﴿وَلْيَضْرِبَنَّ يَحْمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ الجيوب: هي التي يقول لها العامة: أطواق.

وسببها: أن النساء كنَّ في ذلك الزمان يلبسن ثياباً واسعة^(١) الجيوب يظهر منها صدورهنَّ، وكنَّ إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة سدلتها من وراء الظهر، فيبقى الصدر والعنق والأذنان لا ستر عليها، فأمرهنَّ الله بلبس الأخمرة على الجيوب؛ ليستر جميع ذلك.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ الآية؛ المراد بالزينة هنا: الباطنة، فلما ذكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذي المحرم من الزينة الظاهرة؛ ذكر في هذه ما أباح أن يراه الزوج وذو المحارم^(٢) من الزينة الباطنة. وبدأ بالبُعولة - وهم الأزواج -؛ لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا، ثم ثنى بذوي المحارم، وسوى بينهم في إبداء الزينة، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب.

والمراد بالآباء: كل من له ولادة من والدٍ وجدٍّ، وبالأبناء: كل من عليه ولادة من ولد وولد ولد.

(١) في ج: «واسعات».

(٢) في هـ: «المحرم».

ولم يذكر في هذه الآية من ذوي المحارم: العمّ والخال:
ومذهب جمهور العلماء: جواز رؤيتهما للمرأة؛ لأنهما من ذوي
المحارم.

وكره ذلك قوم.

وقال الشعبي^(١): إنما لم يذكر العمّ والخال؛ لئلا يصفّا زينة المرأة
لأولادهما.

﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ يعني^(٢): جميع المؤمنات؛ فكأنه قال: أو صنفهن،
ويخرج عن ذلك: نساء الكفار.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يدخل في ذلك: الإماء المسلمات والكتايبات.
وأما العبيد: ففيهم ثلاثة أقوال:

منع رؤيتهم لسيدتهم، وهو قول الشافعي.

والجواز، وهو قول ابن عباس وعائشة.

والجواز بشرط أن يكون العبد وغداً^(٣)، وهو مذهب مالك، وإنما أخذ
جوازه من قوله: ﴿أَوْ التَّائِبِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ﴾.

(١) في أ، ج: «الشافعي» وهو خطأ، الصواب أنه الشعبي، كما في تفسير الطبري
(١٧٣/١٩).

(٢) في ب: «يدخل».

(٣) المراد بالغدا: القبيح المنظر (شرح مختصر خليل للخرشي (٣/٢٢١)، وفي المدونة
(٥٢/٤) سأل ابن القاسم الإمام مالكا عن الوغد فقال: «الذي لا منظر له ولا حُطْب
فذلك الوغد».

واختلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبي أم لا؟ على قولين .
﴿أَوِ التَّبَعِ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ شرط في رؤية غير ذوي المحارم
شرطين :

أحدهما : أن يكونوا^(١) تابعين ، ومعناه : أن يتبع لشيء يعطاه كالوكيل
والمتصرف ، ولذلك قال بعضهم : هو الذي يتبعك وهمته بطنه .
والآخر : أن لا يكون لهم إربة في النساء ، كالخصي والمخنث والشيخ
الهرم والأحمق .

فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين .
وقيل : بأحدهما .

ومعنى ﴿الْإِرْبَةِ﴾ : الحاجة إلى الوطء .
﴿أَوِ الطِّفْلِ الذِّي لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾ أراد بـ ﴿الطِّفْلِ﴾ :
الجنس ، ولذلك وصفه بالجمع ، ويقال : طفل : ما لم يراهق الحلم .
و﴿يَطْهَرُوا﴾ معناه : يطلعون بالوطء على عورات النساء ، فمعناه : الذين
لم يطؤوا النساء .

وقيل : الذي لا يدرون ما عورات النساء . وهذا أحسن .
﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ روي أن امرأة كان لها
خلخالان ، فكانت تضرب بهما ؛ فيسمعهما الرجال ، فنهى الله ﷻ عن ذلك .

(١) في أ : «يكونا» !.

قال الزجاج: إسماع صوت الزينة أشدَّ تحريكًا للشهوة من إبدائها^(١).
﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة واجبة على كل مكلف؛
بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وفرائضها ثلاثة :

[١-] الندم على الذنب؛ من حيث عُصِي به ذو الجلال^(٢)، لا من حيث
أضرَّ بيدن أو مال.

[٢-] والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان، من غير تأخير
ولا توانٍ.

[٣-] والعزم أن لا يعود إليها أبدًا، ومهما قُضِيَ عليه بالَعُود أحدث عزمًا
مجددًا.

وآدابها ثلاثة :

[١-] الاعتراف بالذنب مقرونًا بالانكسار.

[٢-] والإكثار من التضرع والاستغفار.

[٣-] والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدَّم من السيئات.

ومراتبها سبع :

[١-] فتوبة الكفار: من الكفر.

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٤٠).

(٢) في ب، د: «عصى به ذا الجلال».

[٢-] وتوبة المخلّطين^(١): من الذنوب الكبائر^(٢).

[٣-] وتوبة العدول: من الصغائر.

[٤-] وتوبة العابدين: من الفترات.

[٥-] وتوبة السالكين: من علل القلوب والآفات.

[٦-] وتوبة أهل الورع: من الشبهات.

[٧-] وتوبة أهل المشاهدة: من العفلات.

والبواعث على التوبة سبعة:

[١-] خوف العقاب.

[٢-] ورجاء الثواب.

[٣-] والخجل من الحساب.

[٤-] ومحبة الحبيب.

[٥-] ومراقبة الرقيب القريب.

[٦-] وتعظيم المقام.

[٧-] وشكر الإنعام.

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾ الأيامي: جمع أيم، ومعناه: الذين لا أزواج لهم رجالاً كانوا أو نساء، أبكاراً أو ثيبات.

(١) في ج، د: «المخلصين».

(٢) في أ، ب: «الكبار».

والخطاب هنا : للأولياء والحكام ؛ أمرهم الله بتزويج الأيامي ، فاقضى ذلك النهي عن عضلهنَّ من التزويج .

وفي الآية دليلٌ على عدم استقلال النساء بالإنكاح ، واشتراط الولاية فيه ، وهو مذهب مالك والشافعي ، خلافاً لأبي حنيفة .

﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ يعني : الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناتهم .

وقال الزمخشري : ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ بمعنى : الصلاح في الدين ، قال : وإنما خصهم الله بالذكر ؛ ليحفظ عليهم صلاحهم^(١) .
والمخاطبون هنا ساداتهم^(٢) .

ومذهب الشافعي : أن السيد يُجبر على تزويج عبيده ؛ لهذه الآية ، خلافاً لمالك .

ومذهب مالك : أن السيد يُجبر عبده وأُمته على النكاح ، خلافاً للشافعي .
﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وعد الله بالغنَى للفقراء الذين يتزوّجون لطلب رضا الله ، ولذلك قال ابن مسعود : التمسوا الغنى في النكاح .

﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أمرٌ بالاستغفار ، وهو الاجتهاد في طلب العَقَّة من الحرام لمن لا يقدر على التزوّج .

(١) انظر : الكشاف (٧٣/١١-٧٥) .

(٢) في ج ، د ، هـ : «سادتهم» .

فقوله: ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ معناه:

لا يجدون استطاعة على التزوّج بأيّ وجهٍ تعذر التزوج.

وقيل: معناه: لا يجدون صداقاً للنكاح.

والمعنى الأول أعم، والثاني أليق بقوله: ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ ﴿الْكِتَابَ﴾ هنا: مصدرٌ بمعنى الكتابة، وهي مقاطعة العبد على مال مُنَجَّم، فإذا أدّاه خرج حراً، وإن عجز بقي رقيقاً.

وقيل: إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزى، سأل^(١) مولاه أن يكاّته فأبى عليه.

وحكمها مع ذلك عامٌّ؛ فأمر الله سادات العبيد أن يكاّتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور.

وقال الظاهرية وغيرهم: هو على الوجوب، وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنس بن مالك حين سأله مملوكه سيرين الكتابة، فتلقأ أنس، فقال له عمر: لتكاّتبته أو لأوجعنك بالدرّة^(٢).

وإنما حمّله مالك على الندب؛ لأن الكتابة كالبيع، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها.

(١) كذا وردت الكلمة في جميع النسخ الخطية!، والصواب: «سأله مولاه»، وحويطب من سادات قریش وليس من العبيد، ومولاه الذي سأل الكتابة اسمه صبيح. انظر: الإصابة لابن حجر (٢/٦٥٦، ٥/٢١٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/٢٧٦).

واختلف هل يُجبر السيد عبده على الكتابة أم لا؟ على قولين في المذهب .

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ الخير هنا : القوة على أداء الكتابة بأيّ وجه كان .

وقيل : هو المال الذي يؤدّي منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس .

وقيل : هو الصلاح في الدين .

﴿وَأَنَّهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ هذا أمرٌ بإعانة المكاتب على كتابته ،

واختلف فيمن المخاطب بذلك؟

ف قيل : هو خطاب للناس أجمعين .

وقيل : للولاة .

والأمر على هذين القولين : للندب .

وقيل : هو خطاب لسادات المكاتبين ، وهو على هذا القول :

ندب عند مالك .

ووجوب عند الشافعي .

فإن كان الأمر للناس : فالمعنى : أن يعطوهم صدقات ^(١) من أموالهم .

وإن كان للولاة : فيعطوهم من الزكوات ^(٢) .

وإن كان للسادات ^(٣) : فيحطّوا عنهم من كتابتهم .

(١) في د، هـ : «صدقة» .

(٢) في أ، د : «الزكاة» .

(٣) في أ، ب : «للسادة» .

وقيل : يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة .

وعلى القول بالحط من الكتابة ؛ اختلف في مقدار ما يُحطُّ ؟

فقيل : الربع ، وروي ذلك عن رسول الله ﷺ .

وقيل : الثلث .

وقال مالك والشافعي : لا حد في ذلك ، بل أقل ما ينطلق عليه ^(١) شيء ،

إلا أن الشافعي يُجبره على ذلك ، ولا يُجبره مالك .

وزمان الحط عنه : في آخر الكتابة عند مالك .

وقيل : في أول نجم .

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ﴾ معنى ﴿الْبَغَاءِ﴾ : الزنا ، نهى الله المسلمين أن يُجبروا مملوكاتهم على ذلك .

وسبب الآية : أن عبد الله بن أبي بن سلول المنافق كان له جارتان ، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة ، ويضربهما على ذلك ، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله .

﴿إِنْ أَرَدَنَ تَحَصُّنًا﴾ هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا ؛ إذ لا يتصور إكراههن إلا إذا أردن التحصن ، وهو التعفف .

وقيل : هو راجع إلى قوله : ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ﴾ . وذلك بعيد .

﴿لَتَبْنَعُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني : ما تكسبه الأمة بفرجها ، وما تلده من

الزنا .

(١) في زيادة : «اسم» .

وَيَتَعَلَّقُ ﴿لَتَبْتَغُوا﴾ بقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا﴾.

﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المعنى: غفورٌ لهم رحيمٌ بهم، لا يؤاخذهم بالزنا؛ لأنهم أُكْرِهوا عليه.

ويَحْتَمِلُ أن يكون المعنى: غفور رحيم للسيد الذي يُكْرِهْهُمْ إذا تاب من ذلك.

﴿ءَايَاتٍ مُبَيَّنَاتٍ﴾ بفتح الياء: أي بَيَّنَّها الله.

وبالكسر: مَبَيَّنَاتٍ للأحكام والحلال والحرام.

﴿وَمَثَلًا﴾ يعني: ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا؛ لأنه كان حراماً في كل ملة.

أو في براءة عائشة، كما برأ يوسف ومريم.



[﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيُّءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلَيْهِ ﴿٢٥﴾﴾ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْإَصَالِ ﴿٢٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٢٧﴾﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٨﴾﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَمَرَابٍ يَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٩﴾﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَيْلٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدِرْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٣٠﴾﴾].

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور يطلق حقيقةً: على الضوء الذي يدرك بالأبصار، ومجازاً: على المعاني التي تدرك بالقلوب، والله ليس كمثله شيء؛ فتأويل الآية: الله ذو نور السموات والأرض.

أو وصف نفسه بأنه نور، كما تقول: زيدٌ كَرَمٌ: إذا أردت المبالغة في أنه كريم.

فإن أراد بالنور المدرك بالأبصار: فمعنى ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم.

أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت به، كما تظهر الأشياء بالضوء.

ومن هذا المعنى قرأ علي بن أبي طالب: «الله نَوَّرَ السماوات والأرض»
بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو؛ أي: جعل فيهما النور.

وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب: فمعنى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:
جاعل النور في قلوب أهل السموات والأرض، ولهذا قال ابن عباس:
معناه: هادي أهل السموات والأرض^(١).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور
يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرك بالابصار، ومجازا على المعاني التي تدرك
بالقلوب؛ إلخ، أقول: ما ذكره المصنف من أن النور نوعان حسي ومعنوي، هو صحيح
ومعلوم، وهذا يقتضي أن معنى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: منورهما بالنور
الحسي، وهو ما خلقه فيهما من الأنوار، كالشمس والقمر، وبالنور المعنوي، وهو
هداه الذي يجعله في قلوب أنبيائه وأوليائه وملائكته، وقد سَمَّى الله وحيه الذي بعث به
رسله نورا وهدى، قال تعالى: ﴿فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾، وقال في الوحي:
﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾، ونظائر هذا متعددة. وهذا معنى ما جاء عن
ابن عباس، قال: «نور السموات والأرض، أي: هادي أهل السموات والأرض»، كما
ذكره المصنف ﷺ. وقد جاء في السنة نظير ما في آية النور، قال ﷺ: «ولك الحمد أنت
نور السماوات والأرض»، وإذا كان الله منوِّرَ السماوات والأرض، والنور كمال فهو
أحق أن يكون النور وصفه؛ إذ كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، ومعطي الكمال
أحق به، ولم يثبت أن النور اسم من أسمائه تعالى؛ بل الاسم الذي نطق به الكتاب
والسنة: نور السماوات والأرض، فيُدعى بهذا الاسم كما دعا به الرسول ﷺ.
وأما قول المؤلف: «أو وصف نفسه بأنه نور»؛ فهذا لا يصح؛ لأن لفظ النور في الآية
مقيّد بالإضافة إلى السماوات والأرض، فلم يقل تعالى: الله نور، بل قال: نور
السماوات والأرض، وتقدم معنى نور السماوات والأرض، وهذا الاسم ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ نظير: رب السماوات والأرض، وقيوم السماوات والأرض، لكن (قيوم) جاء
في القرآن معرّفا غير مضاف، وفي السنة جاء مضافا وغير مضاف. والله أعلم.

﴿مَثَلُ نُورٍ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ﴾ المشكاة: هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة.

وقيل: المشكاة: العمود الذي يكون المصباح على رأسه.
والأول أصح وأشهر.

والمعنى: صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح، على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة.

وإنما شبهه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه.

وقيل: الضمير في ﴿نُورٍ﴾ عائذ على محمد ﷺ.

وقيل: على القرآن.

وقيل: على المؤمن.

وهذه الأقوال ضعيفة؛ لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير.

فإن قيل: كيف يصح أن يقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النور إليه في قوله: ﴿مَثَلُ نُورٍ﴾، والمضاف غير المضاف إليه؟

فالجواب: أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدّمناه؛ أي: الله ذو نور السموات والأرض.

أو كما تقول: زيدٌ كرمٌ، ثم تقول: ينعم الناس بكرمه^(١).

(١) أي: يرفعهم من الفقر إلى الغنى. انظر: شرح الفصيح لابن درستويه (ص: ٨٣).

﴿الْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ المصباح: هو القليل بناره، والمعنى: أنه في قنديل من زجاج؛ لأن الضوء فيه أزهى، لأنه جسم شفاف.

﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ شبه الزجاج في إنارتها بكونه كوكب دري، وذلك يحتمل معنيين:

إما أن يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها.

وإما أن يريد أنها في نفسها شديدة الضوء؛ لصفائها ورقة جواهرها، وهذا أبلغ؛ لاجتماع نورها مع نور المصباح.

والمراد بالكوكب الدرّي: أحد الدراري المضيئة؛ كالمشتري، والزُّهرة وسهيل، ونحوها.

وقيل: أراد الزهرة.

ولا دليل على هذا التخصيص.

وقرأ نافع ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضم الدال وبشدة الياء من غير همز، ولهذه القراءة وجهان:

إما أن ينسب الكوكب إلى الدرّ لبياضه وصفائه.

أو يكون مسهلاً من الهمز.

وقرئ بالهمز وكسر الدال، وبالهمز وضم الدال، وهو مشتق من الدرّ بمعنى الدفع.

﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ من قرأ ﴿يُوقَدُ﴾ بالياء، أو ﴿تَوْقَدُ﴾ بالفعل الماضي: فالفعل مسند إلى المصباح.

ومن قرأ ﴿تُوقَدُ﴾ بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاجاة .

والمعنى : يوقد من زيت شجرة مباركة ، ووصفها بالبركة :

لكثرة منافعها .

أو لأنها تنبت في الأرض المباركة ، وهي الشام .

﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قيل : يعني : أنها بالشام ، فليست من شرق الأرض

ولا من غربها ، وأجود الزيتون زيتون الشام .

وقيل : هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار ، فليست خالصة للشرق

فتسمى شرقية ، ولا للغرب فتسمى غربية ، بل هي غربية شرقية ؛ لأن الشمس

تستدير عليها من الشرق والغرب .

وقيل : إنها في وسط دَوْحَة ، فهي لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في

جهة الغرب .

وقيل : إنها من شجر الجنة ، ولو كانت في الدنيا لكانت شرقيةً أو غربية .

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ مبالغة في وصف صفائه وحسنه .

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعني : اجتماع نور المصباح وحسن الزجاجاة وطيب

الزيت ، والمراد بذلك : كمال النور الممثل به .

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي : يوفق الله من يشاء لإصابة الحق .

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يعني : المساجد .

وقيل : بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن .

والأول أصح .

والجارُّ يتعلّق بما قبله ؛ أي : كمشكاة في بيوت ، أو تُوقَد في بيوت .

وقيل : بما بعده ، وهو ﴿يُسَبِّحُ﴾ ، وكرر الجارَّ بعد ذلك تأكيداً .

وقيل : بمحذوف ؛ أي : سَبَّحُوا في بيوت .

﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ المراد بالإذن : الأمرُ .

ورفعها : بناؤها .

وقيل : تعظيمها .

﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أي : غُدُوَّة وعَشِيَّة^(١) .

وقيل : أراد الصبح والعصر .

وقيل : صلاة الضحى والعصر .

﴿رَجَالٌ﴾ فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ على القراءة بكسر الباء .

وأما على القراءة بالفتح : فهو مرفوع بفعل مضمر يدلُّ عليه الأول .

﴿لَا نُلْهِمِهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي : لا تشغلهم .

ونزلت الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كلَّ

شغل وبادروا إليها .

والبيع من التجارة ، ولكنه خصّه بالذكر تجريداً ؛ كقوله : ﴿فَكَهْةٌ وَنَخْلٌ

وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن : ٦٨] .

(١) في ج : «وعشيّاً» .

أو أراد بالتجارة الشراء .

﴿نَقَلَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ أي : تضطرب من شدة الهول والخوف .

وقيل : تفقه القلوب وتُبَصِّرَ الأبصار بعد العمى ؛ لأن الحقائق تنكشف حينئذ .

والأول أصح ؛ كقوله : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾

[الأحزاب : ١٠] .

وفي قوله : ﴿نَقَلَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ﴾ تجنيس .

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ متعلق : بما قبله ، أو بفعل من معنى ما قبله .

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ تقديره : جزاء أحسن ما عملوا .

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ يعني : زيادةً على ثواب أعمالهم .

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ذكر في «البقرة»^(١) .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ لما ذكر الله حال المؤمنين ؛ أعقب

ذلك بمثالين لأعمال الكفار :

الأول : يقتضي حال أعمالهم في الآخرة ، وأنها لا تنفعهم ، بل يضمحلُّ

ثوابها كما يضمحل السراب .

والثاني : يقتضي حال أعمالهم في الدنيا ، وأنها في غاية الفساد

والضلال كالظلمات التي بعضها فوق بعض .

والسَّرَاب: هو ما يرى في الفلوات من ضوء الشمس في الهَجيرة حتى يظهر كأنه ماءٌ يجري على وجه الأرض.

والقِيعَة: جمع قاع، وهو المنبسط من الأرض.

وقيل: القِيعَة بمعنى القاع، وليس بجمع.

﴿يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾ الظَّمَان: العطشان؛ أي: يظن العطشان أن السراب ماء، فيأتيه ليشربه، فإذا جاء خاب ما أمّل، وبطل ما ظنّ، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهي كالسراب.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ ضمير الفاعل: للظمان، وضمير المفعول: للسراب، أو لموضع السراب.

أو يكون ضمير الفاعل: للكافر، وضمير المفعول: لعمله.

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ أي: شيئًا يُنتفع به، أو شيئًا موجودًا على العموم؛ لأنه معدوم.

ويَحتمل أن يكون:

ضمير الفاعل: للظمان، وضمير المفعول للسراب.

أو ضمير الفاعل: للكافر، وضمير المفعول: لعمله.

﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ ضمير الفاعل في ﴿وَجَدَ﴾ للكافر، والضمير في ﴿عِنْدَهُ﴾ لعمله.

والمعنى : وجد الله عنده بالجزاء ، أو وجد زبانية الله ^{(١)(٢)} .

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ هذا هو المثل الثاني ، وهو عطف على قوله : ﴿كَرَّابٍ﴾ .

والمشبه بالظلمات : أعمال الكفار ؛ أي : هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب .

﴿فِي بَحْرٍ لَّيْجٍ﴾ منسوب إلى اللجج ، وهو معظم الماء .

وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثل ^(٣) قوبلت به أجزاء الممثل به ؛ فالظلمات : أعمال الكافر ، والبحر اللجي : صدره ، والموج : جهله ، والسحاب : الغطاء الذي على قلبه .

وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة .

وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة ، كما أن في وصف النور المذكور قبلها مبالغة .

﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدِرْنَهَا﴾ المعنى : مبالغة في وصف الظلمة ، والضمير في ﴿أَخْرَجَ﴾ وما بعده للرجل الذي وقع في الظلمات الموصوفة .

(١) في أ ، ب : «زُبْنِيَّةُ الله» وهو مفرد الزبانية ، وفي ج : «زبانيته» .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف ﷺ : «وجد الله عنده بالجزاء» أي : وجد جزاء عمله الذي أعده الله له ، أقول : هذا معنى صحيح ؛ ولا ينبغي أن يكون من معنى الآية أن الكافر يجد الله يوم القيامة ، أي : يلقاه ، فيوبخه على كفره ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُقْعَوْنَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ . والله أعلم .

(٣) في ج ، د : «المثل» .

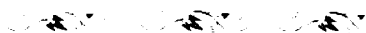
واختلف في تأويل الكلام:

ف قيل : المعنى : إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها ، فنفي الرؤية ومقاربتها .
وقيل : بل رآها بعد عسر وشدة ؛ لأنَّ كاد إذا نُفيت تقتضي الإيجاب ، وإذا أُوجبت تقتضي النفي .

وقال ابن عطية : إنما ذلك إذا دخل حرف النفي على الفعل الذي بعدها ،
فأما إذا دخل حرف النفي على «كاد» كقوله : ﴿لَمْ يَكَدْ﴾ فإنه يحتمل النفي
والإيجاب^(١) .

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ أي : من لم يهده الله لم يهتد ، فالنور كناية عن
الهدى والإيمان في الدنيا .

وقيل : أراد : في الآخرة ؛ أي : من لم يرحمه الله فلا رحمة له .
والأول أليق بما قبله .



(١) انظر : المحرر الوجيز (٣/ ٣٩٥) .

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدَّكَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزَّلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنًا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍّ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الرؤية هنا بمعنى : العلم .

والتسبيح : التنزيه والتعظيم ، وهو من العقلاء بالنطق ، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل :

فقال الجمهور : إنه حقيقي ، ولا يبعد أن يلهمها الله التسبيح ، كما يلهمها الأمور الدقيقة التي لا يهتدي إليها العقلاء .

وقيل : تسبيحه ظهور الحكمة فيه .

﴿صَفَّاتٍ﴾ يَصِفْنَ أَجْنَحَتَهُنَّ فِي الْهَوَاءِ .

﴿كُلِّ قَدْ عَلِمَ﴾ الضمير في ﴿عَلِمَ﴾ : لله ، أو لـ ﴿كُلِّ﴾ .

والضمير في ﴿صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾ : لـ ﴿كُلِّ﴾ .

﴿يُزَجَّى﴾ معناه: يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سَوْقِ كل ثَقِيلٍ، كالسحاب.

﴿رُكَّامًا﴾ متكاثفًا، بعضه فوق بعض.

﴿الْوَدَفَ﴾ المطر.

﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي: من بينه، وهو جمع خَلَلٍ، كجبل وجبال.

﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ قيل: إن الجبال هنا حقيقةً، وإن الله جعل في السماء جبالًا من بَرَدٍ.

وقيل: إنه مجاز، كقولك: عند فلان جبالٌ من مالٍ أو علمٍ؛ أي: هي في الكثرة مثل الجبال.

و﴿مِنْ﴾:

في قوله: ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾: لا ابتداء الغاية.

وفي قوله: ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ كذلك، وهي بدلٌ من الأولى، أو تكون للتبعية فتكون مفعول ﴿يُنَزَّلُ﴾.

و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾: لبيان الجنس، أو للتبعية؛ فتكون مفعول ﴿وَيُنَزَّلُ﴾.

وقال الأخفش: هي زائدة. وذلك ضعيف.

وقوله: ﴿فِيهَا﴾ صفة للجبال، والضمير يعود على السماء.

﴿سَنًا بَرَقَ﴾ السَّنَا بالقصر: الضوء، وبالمَدِّ: المجد والشرف.

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ الْآيِلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بهذا بعد هذا .
 ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ يعني: بني آدم والبهائم والطيور؛ لأن ذلك كله يدب .
 ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ يعني: المنى .
 وقيل: الماء الذي في الطين الذي خُلِقَ منه آدم وغيره .
 ﴿عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات والحوت .
 ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا﴾ الآية؛ نزلت في المنافقين، وسببها: أن رجلاً من
 المنافقين كانت بينه وبين يهودي خصومة، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ
 فأعرض عنه، ودعاه إلى كعب بن الأشرف .
 ﴿مُذْعِنِينَ﴾ أي: منقادين طائعين؛ لقصد الوصول إلى حقوقهم .
 ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ توقيف يراد به التوبيخ، وكذلك ما بعده .
 ﴿أَنْ يَحِيفَ﴾ معناه: أن يجور، والحييف: الميل، وأسنده إلى الله؛ لأن
 الرسول إنما يحكم بأمر^(١) الله وشرعه .

~~~~~

(١) في أ: «بما أمر».

[إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُمرَهُمْ لِيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا أَوْثَنُهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾] .

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية ؛ معناها : إنما الواجب أن يقول المؤمنون : «سمعنا وأطعنا» إذا دعوا إلى الله ورسوله .

وجعل الدعاء إلى الله ؛ من حيث هو إلى شرعه .

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية ؛ قال ابن عباس : معناها : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ : في فرائضه ، ﴿وَرَسُولَهُ﴾ : في سننه <sup>(١)</sup> ، ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ : فيما مضى من ذنوبه ، ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ : فيما يستقبل .

وسأل بعض الملوك عن آية كافية جامعة ، فذكرت له هذه الآية .

وسمعها بعض بطارقة الروم فأسلم ، وقال : إنها جمعت كل ما في التوراة والإنجيل .

(١) في ج ، د : «سنته» .

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: حلفوا، والضمير للمنافقين.

﴿جَهَدَ أَيْمَنَهُمْ﴾ أي: بالغوا في اليمين وأكدوها.

﴿لِيَخْرُجُنَّ﴾ يعني: إلى الغزو.

﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا﴾ نهى عن اليمين الكاذبة؛ لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل.

﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ مبتدأ وخبره محذوف؛ أي: طاعة معروفة أمثل وأولى بكم.

أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: المطلوب منكم طاعة معروفة لا يُشكُّ فيها.

﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ يعني: تبليغ الرسالة.

﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ يعني: السمع والطاعة واتباع الشريعة.

﴿لَيْسَتَ خَلْقْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وعدٌ ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة.

وقيل: إن المراد بالآية: خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ رضي الله عنهم؛ لقول رسول الله ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»<sup>(١)</sup>، وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة عليٍّ.

فإن قيل: أين القسم الذي جاء قوله: ﴿لَيْسَتَ خَلْقْنَهُمْ﴾ جواباً له؟

فالجواب: أنه محذوف، تقديره: وعدهم الله وأقسم.

أو جعل الوعد بمنزلة القسم؛ لتحقيقه.

(١) أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦).



[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَزِدْنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفُوتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَزِدُوا كَمَا اسْتَزَدَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَفَاحِمُهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾].

﴿لِيَسْتَزِدْنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ قيل : المراد بـ ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ :

الرجال خاصة .

وقيل : النساء خاصة ؛ لأن الرجال يستأذنون في كل وقت .

وقيل : الرجال والنساء .

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ يعني : الأطفال غير البالغين .

﴿تِلْكَ مَرْثَىٰ﴾ نصب على الظرفية لأنهم أمروا<sup>(١)</sup> بالاستئذان في ثلاثة مواطن.

فمعنى الآية: أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان في ثلاثة أوقات وهي: قبل الصبح، وحين القائلة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء الآخرة؛ لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجردين للنوم في غالب أمرهم. وهذه الآية محكمة.

وقال ابن عباس: ترك الناس العمل بها. وحملها بعضهم على النذب.

﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ يعني: تتجردون.

﴿الظَّهْرِ﴾ وسط النهار.

﴿تِلْكَ عَوْرَتِي﴾ جمع عورة؛ من الانكشاف، كقوله: ﴿يُوتِنَا عَوْرَةً﴾

[الأحزاب: ١٣].

ومن رفع ﴿تِلْكَ﴾ فهو خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذه الأوقات ثلاث عورات لكم؛ أي: تنكشفون فيها.

ومن نصبه فهو بدل من ﴿تِلْكَ مَرْثَىٰ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة؛ أي: ليس عليكم ولا على المماليك والأطفال جناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة.

(١) في ج: «لأنه أمر».

﴿طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ﴾ تقديره: المماليك والأطفال طوافون عليكم؛ فلا أجل ذلك لم يؤمروا بالاستئذان<sup>(١)</sup> في كل وقت.

﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بدلٌ من ﴿طَوَّفُونَ﴾؛ أي: بعضهم يطوف على بعض.

وقال الزمخشري: هو مبتدأ؛ أي: بعضهم طائفٌ<sup>(٢)</sup> على بعض، أو فاعل بفعل مضمر<sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ لما أمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها؛ أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ جمع قاعد، وهي العجوز:

فقليل: هي التي قعدت عن الولد.

وقيل: التي قعدت عن التصرف.

وقيل: التي إذا رأيتها استقدرتها.

﴿فَلْيَسْكُنْ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يُبح لغيرهن من وضع الثياب.

(١) في أ، ب، هـ: «فلا أجل ذلك يؤمر بالاستئذان»، والمثبت هو الصواب الذي يستقيم به المعنى. انظر: المحرر الوجيز (٦/٤٠٧)، والكشاف (١١/١٤١).

(٢) في أ، ب، د: «يطوف»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف.

(٣) انظر: الكشاف (١١/١٤٥)، وتقدير الفعل المضمر: «يطوف».

قال ابن مسعود: إنما أبيع لهنّ وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء.

وقال بعضهم: إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيه ذوو محارمها.

﴿عَبْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ إنما أباح الله لهنّ وضع الثياب، بشرط أن لا يقصِدْنَ إظهار زينة، والتبرُّج: هو الظهور.

﴿وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ المعنى: أن استغفأهِنَّ عن وضع الثياب المذكورة خيرٌ لهنّ من وضعها، والأولى لهنّ أن يلتزم ما يلتزم شباب النساء من السّتر.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية؛ اختلف في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض في هذه الآية:

ف قيل: هو في الغزو؛ أي: لا حرج عليهم في تأخيرهم<sup>(١)</sup> عنه، وقوله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ مقطوعٌ من الذي قبله على هذا القول؛ كأنه قال: ليس على هؤلاء الثلاثة حرجٌ في ترك الغزو، ولا عليكم حرج في الأكل.

وقيل: الآية كلّها في معنى الأكل، واختلف الذاهبون إلى ذلك:

ف قيل: إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنّبون الأكل مع الناس؛ لئلا يتقدّرهم<sup>(٢)</sup> الناس، فنزلت الآية مبيحةً لهم الأكل مع الناس.

وقيل: إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو، وخلفوا أهل هذه الأعذار

(١) في ب، ج، هـ: «تأخيرهم».

(٢) في أ، ب، هـ: «يستقدرهم».

في بيوتهم؛ كانوا<sup>(١)</sup> يتجنبون أكل مال الغائب، فنزلت الآية في ذلك .  
 وقيل: إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذراً، فنزلت الآية، وهذا  
 ضعيف؛ لأن رفع الحرج عن أهل الأعدار لا عن غيرهم .  
 وقيل: إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم<sup>(٢)</sup> منه أعذارهم  
 من الجهاد وغيره .

﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أباح الله تعالى الإنسان الأكل من  
 هذه البيوت المذكورة في الآية، فبدأ ببيت الرجل نفسه، ثم ذكر القرابة على  
 ترتيبهم .

ولم يذكر فيهم الابن؛ لأنه دخل في قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾؛ لأن بيت ابن  
 الرجل بيته؛ لقوله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك»<sup>(٣)</sup> .

واختلف العلماء فيما ذكر في هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة:  
 فذهب قوم إلى أنه منسوخ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلا بإذنه،  
 والناسخ قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقوله ﷺ:  
 «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه»<sup>(٤)</sup> .

وقيل: الآية محكمة، ومعناها: إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا في  
 ذلك .

(١) في أ، هـ: «فكانوا» .

(٢) في أ، ب، هـ: «يمنعهم» .

(٣) أخرجه أحمد (٦٩٠٢)، وأبو داود (٣٥٣٠)، وابن ماجه (٢٢٩١) .

(٤) أخرجه أحمد (٢٠٦٩٥) .

وقيل : بإذن وبغير إذن .

﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحَهُ﴾ يعني : الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتيح مخازن أموال ساداتهم ، فأبيح <sup>(١)</sup> لهم الأكل منها .

وقيل : المراد : ما ملك الإنسان من مفاتيح نفسه . وهذا ضعيف .

﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾ الصديق يقع على الواحد والجماعة ، كالعدو ، والمراد به هنا : جمعٌ ليناسب ما ذكر قبله من الجموع في قوله : ﴿ءَابَائِكُمْ﴾ و﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وغير ذلك .

وقرن الله الصديق بالقرابة ؛ لقرب مودته ، وقال ابن عباس : الصديق أوكد من القرابة .

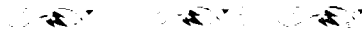
﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ إباحةٌ للأكل في حال الاجتماع والانفراد ؛ لأنَّ بعض العرب كان لا يأكل وحده أصلاً ؛ خيفةً من البخل ، فأباح لهم الله ذلك .

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي : إذا دخلتم بيوتاً مسكونةً فسلموا على من فيها من الناس ، وإنما قال : ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ بمعنى : صنفكم ؛ كقوله : ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات : ١١] .

وقيل : المعنى : إذا دخلتم بيوتاً خاليةً فسلموا على أنفسكم ؛ بأن يقول الرجل : «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» .

(١) في ج : «فأباح الله» .

وقيل : يعني بالبيوت : المساجد ، فأمر<sup>(١)</sup> بالسلام على من فيها ، فإن لم يكن فيها أحدٌ فليسلم على النبي ﷺ وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين .



---

(١) في ج : «وأمر»، وفي د : «أمر»، وفي هـ : «والأمر».

[﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَازِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٧) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٨) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٩)].

﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ الآية؛ الأمر الجامع: هو الذي يجمع له الناس؛ للمشورة فيه، أو للتعاون عليه.

ونزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق بالمدينة؛ فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة، وكان المنافقون يذهبون من غير استئذان.

﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي: لبعض حوائجهم.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ في معناها ثلاثة أقوال:

الأول: أن الدعاء هنا يراد به: دعاء النبي ﷺ إياهم؛ ليجتمعوا إليه في أمرٍ جامع، أو في قتال وشبه ذلك؛ فالمعنى: أن إجابتهم له إذا دعاكم<sup>(١)</sup> واجبة عليكم، بخلاف إذا دعا بعضكم بعضًا، فهو كقوله تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

(١) في ج، د: «إجابتهم له إذا دعاهم».



ويقوي هذا القول: مناسبتُهُ لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع.

**والقول الثاني:** أن المعنى: لا تدعوا الرسول ﷺ باسمه، كما يدعو بعضكم بعضًا باسمه؛ بل قولوا له: «يا رسول الله» أو «يا نبي الله»؛ تعظيمًا له ودعاءً بأشرف أسمائه.

**وقيل:** المعنى: لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض؛ أي: دعاؤه عليكم مجابٌ فاحذروه.

ولفظ الآية بعيدٌ من هذا المعنى على أن المعنى صحيح.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ يعني: الذي ينصرفون عن حفر الخندق.

**واللواذ:** الرِّوْغان والمخالفة.

**وقيل:** الانصراف في خفية.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ الضمير لله أو <sup>(١)</sup> لرسوله ﷺ.

واختلف في ﴿عَنْ﴾ هنا:

**ف قيل:** إنها زائدة، وذلك ضعيف.

وقال ابن عطية: معناه: يقع خلافهم بعد أمره، كما تقول: كان المطر عن ريح <sup>(٢)</sup>.

(١) في أ، ب، هـ: «و»، والمثبت موافق لما في الكشاف (١١/١٦٤)..  
 (٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/٤١٥).

وقال الزمخشري: يقال: خالفه إلى الأمر: إذا ذهب إليه دونه، وخالفه عن الأمر: إذا صد الناس عنه؛ فمعنى ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾: يصدون الناس عنه؛ فحذف المفعول؛ لأن الغرض ذكر المخالف<sup>(١)</sup>.

﴿فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الفتنة: في الدنيا؛ بالرزايا، أو بالفضيحة، أو القتل.

والعذاب: في الآخرة.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ دخلت ﴿قَدْ﴾ للتأكيد، وفي الكلام معنى الوعيد.

وقيل: معناها: التقليل على وجه التهكم.

والخطاب: لجميع الخلق، أو للمنافقين خاصة.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يعني: المنافقين.

والعامل في الظرف: ﴿فَيُنْزِلُهُمْ﴾.



(١) انظر: الكشاف (١١/١٦١).

## ﴿سورة الفرقان﴾

[﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ① الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ ② وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوةً وَلَا نُشُورًا﴾ ③ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ ④ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ⑤ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانَ عَافُونَ رَجِيمًا﴾ ⑥ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشَى فِي الْأَنْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُودُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ ⑦ أَوْ يُنْفَخْ إِلَيْهِ كَافُرٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ⑧ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ⑨].

﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة، وهو فعل مختص بالله تعالى لم يُنطق له بمضارع.

﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ، وذلك على وجه التَّشْرِيف له

والاختصاص.

﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الضمير:

لمحمد ﷺ.

أو للفرقان .

والأول أظهر .

وقوله : ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ عمومٌ يشمل الإنس والجن ممن كان في عصره ،  
وممن يأتي بعده إلى يوم القيامة .

وتضمن صدرُ هذه الآية إثبات النبوة والتوحيد ، والردُّ على من خالف في ذلك .

﴿فَقَدَرَهُ قَدِيرًا﴾ ﴿خَلَقَ﴾ : عبارة عن الإيجاد بعد العدم ، والتقدير :  
عبارة عن إتقان الصُّنعة ، وتخصيص كل مخلوق بمقداره وصفته وزمانه  
ومكانه ومصلحته وأجله ، وغير ذلك .

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى .

﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ﴾ يعنون : قومًا من العبيد ، منهم : عدَّاسٌ ويسارٌ  
وأبو فُكَيْهَةَ الرُّومِيُّ .

﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ أي : ظلموا النبي ﷺ فيما نسبوا إليه ، وكذبوا في ذلك عليه .

﴿وَقَالُوا أَسْطِطِعُ الْأُولَى﴾ أي : ما سطره الأولون في كتبهم ، وكان الذي  
يقول هذه المقالة النضر بن الحارث .

﴿اَكْتَتَبَهَا﴾ أي كتبها له كاتبٌ ، ثم صارت تملأ عليه ليحفظها ، وهذا  
حكاية كلام الكفار .

وقال الحسن : إنه من قول الله على وجه الردِّ عليهم .

ولو كان ذلك لقال: «أَكْتَتَبَهَا» بفتح الهمزة لمعنى<sup>(١)</sup> الإنكار، وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا.

وينبغي على قول الحسن أن يوقف على ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.  
﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ردُّ على الكفار في قولهم، ويعني<sup>(٢)</sup> بالسر: ما أسرَّه الكفار من أقوالهم.

أو يكون ذلك على معنى التنصّل والبراءة مما نسبته الكفار إليه من الافتراء؛ أي: أن الله يعلم سرّي؛ فهو العالم بأني ما افتريت عليه، بل هو أنزله عليّ.  
فإن قيل: ما مناسبة قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لما قبله؟

فالجواب: أنه لما ذكر أقوال الكفار: أعقبها بذلك؛ ليبين أنه غفور رحيم في كونه لم يعجل عليهم بالعقوبة بل أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ الآية، قال هذا الكلام قريش؛ طعنًا على النبي ﷺ، وقد ردّ<sup>(٣)</sup> الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].  
وقولهم: ﴿هَذَا الرَّسُولُ﴾:

على وجه التهكم، كقوله فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾

[الشعراء: ٢٧].

(١) في د: «بمعنى».

(٢) في أ، ب: «يعني» بدون واو.

(٣) في ج: «رده».

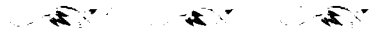
أو يعنون: الرسول بزعمه .

ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ﴾ وما بعده، ثم وصفهم بالظلم .

وقد ذكرنا معنى ﴿مَسْحُورًا﴾ في «سبحان»<sup>(١)</sup> .

﴿صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال .

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يقدرّون على الوصول إلى الحق؛ لبعدهم عنه، وإفراط جهلهم .



[تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١١﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ﴿١٣﴾ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٤﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٥﴾ قُلْ أَدْرَاكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴿١٦﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٧﴾ وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٩﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢١﴾].

﴿خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ الإشارة إلى ما ذكره الكفار من الكثر والجنة في الدنيا.

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يعني: جنات الآخرة وقصورها.

وقيل: يعني: جنات وقصورًا في الدنيا، ولذلك قال: ﴿إِنْ شَاءَ﴾.

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ أي: إذا رأتهم جهنم، وهذه الرؤية يحتمل أن تكون:

حقيقة.

أو مجازًا؛ بمعنى: صارت منهم بقدر ما يرى على البعد.

﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾ التغيط لا يسمع، وإنما المسموع أصوات دالة عليه، ففي لفظه تجوُّز.

والزفير: صوتٌ ممدودٌ كصوت الحمار.

﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ تُضَيِّقُ عَلَيْهِمْ زِيَادَةَ فِي عَذَابِهِمْ.

﴿مُقَرَّنِينَ﴾ أي مربوطٌ بعضهم إلى بعض، ورُوي أن ذلك بسلاسلٍ من نار.

﴿دَعُوا هَٰذَا لَكَ ثُبُورًا﴾ الثبور: الويل، وقيل: الهلاك.

ومعنى دعائهم ثبورًا: أنهم يقولون: يا ثبوراها!، كقول القائل: واحسرتى! واأسفى!

﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ تقديره: يقال لهم ذلك.

أو يكون حالهم يقتضي ذلك، وإن لم يكن ثمَّ قول.

وإنما دعوا ثبورًا كثيرًا؛ لأن عذابهم دائمٌ، فالثبور يتجدد عليهم في كل حين.

﴿قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار؛

لأن الكلام توقيفٌ وتوبيخٌ، وإنما يُمنع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنى إذا كان الكلام خبرًا.

﴿وَعَدًا مَّسْئُولًا﴾ أي سأله المؤمنون، أو الملائكة في قولهم: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ

جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾.

وقيل: معناه: وعدًا واجب الوقوع؛ لأنه قد حتمه.

﴿فَيَقُولُ ۖ أَأَنْتَ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ﴾ القائل لذلك هو الله ﷻ.



والمخاطب<sup>(١)</sup> هم :

المعبودون مع الله على العموم .

وقيل : الأصنام خاصّة .

والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنَّا كُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠] ، وقوله : ﴿وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٩] .

﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا معادلة لما قبلها ، والمعنى : أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين : أنتم أظللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلُّوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تُضِلُّوهم أنتم؟ ، ولأجل ذلك بيّن هذا المعنى بقوله : ﴿هُمْ﴾ ؛ لِيُحَقِّقَ<sup>(٢)</sup> إسناد الضلال إليهم .

وإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمر؛ ليوبّخ الكفار الذين عبدوهم .

﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُنْبِئُ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ القائل لهذا : هم المعبدون ؛ قالوه على وجه التبرّي ممن عبدهم كقولهم : ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبأ: ٤١] ، والمراد بذلك : توبيخ الكفار يومئذ ، وإقامة الحجة عليهم .

﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَأَهُمْ﴾ معناه : أن إمتاعهم بالنعم في الدنيا كان سبب

(١) في ب ، د : «والمخاطبون» .

(٢) في أ ، ب : «لِيُحَقِّقَ» .

نسيانهم لذكر الله وعبادته .

﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي : هالكين ، وهو من البوار بمعنى : الهلاك .

واختلف : هل هو جمع بائر؟ أو مصدرٌ وُصِفَ به ؛ ولذلك يقع على الواحد والجماعة ؟ .

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ هذا خطابٌ خاطب الله به المشركين يوم القيامة ؛ أي : قد كذبكم <sup>(١)</sup> آلهتكم التي عبدتم من دون الله ، وتبرؤوا منكم .  
وقيل : هو خطاب للمعبودين ؛ أي : كذبكم في هذه المقالة لما عبدوكم في الدنيا .

وقيل : هو خطاب للمسلمين ؛ أي : قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشرعة .

وقرئ ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ بالياء من أسفل .

والباء في قوله : ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ :

على القراءة بالتاء : بدلٌ من الضمير في ﴿كَذَّبُوكُمْ﴾ .

وعلى القراءة بالياء كقولك : كتبتُ بالقلم ؛ أي : كذبكم بقولهم .

﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قرئ ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء من فوق ، ويحتمل على هذا :

أن يكون الخطاب : للمشركين أو للمعبودين ، والصَّرف على هذين

(١) في د : «كذبكم» .

الوجهين: صرّف العذاب عنهم.

أو يكون الخطاب: للمسلمين، والصرف على هذا: ردُّ التكذيب.  
وقرئ بالياء، وهو مسندٌ إلى المعبودين أو المشركين، والصرف: صرف  
العذاب.

﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مَنكُمُ﴾ خطاب للكفار.

وقيل: للمؤمنين.

وقيل: على العموم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ تقديره: وما أرسلنا رسلاً أو رجالاً  
قبلك، وعلى هذا المفعول المحذوف يعود الضمير في قوله: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ  
لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾.

وهذه الآية ردٌّ على الكفار في استبعادهم بعث رسولٍ يأكل الطعام ويمشي  
في الأسواق.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ هذا خطابٌ لجميع الناس؛ لاختلاف  
أحوالهم، فالغني فتنةٌ للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره  
ممن يحسده ويكفر به.

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ تقديره: لننظر<sup>(١)</sup> هل تصبرون.

(١) في ب، هـ: «لينظر».

[﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِيْٓ أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ (٦١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰٓئِكَةَ لَا بُشْرٰٓى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (٦٢) وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٦٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٦٤) وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنُزِّلَ الْمَلٰٓئِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ (٦٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمٰٓنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ (٦٦) وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ بَلِّغْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٦٧) يَوٰٓلَيْتُ لَوِ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ أَتَّخِذُ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (٦٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطٰٓنُ لِلْإِنسٰٓنِ خَدُوْلًا﴾ (٦٩) وَقَالَ الرَّسُوْلُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ (٧٠) وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هٰدِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٧١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (٧٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٧٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوْهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٧٤)].

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ قيل : معناه لا يخافون .

والصحيح : أنه على بابه ؛ لأن لقاء الله يُرجى ويُخاف .

﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله ، وحينئذ يؤمنون<sup>(١)</sup> ، فردّ الله عليهم بقوله : ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ الآية ؛ أي : طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه .

وقوله : ﴿فِيْٓ أَنْفُسِهِمْ﴾ :

كما تقول : فلان عظيم في نفسه ، أي : عند نفسه .

(١) في أ ، ب ، هـ : «يؤمنوا» .

أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر<sup>(١)</sup> في أنفسهم .

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم ، فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾ : معنى ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ ، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل .

﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ :

إن كان للملائكة : فالمعنى أنهم يقولون للمجرمين : حجراً محجوراً ؛ أي : حراماً عليكم الجنة أو البشـرى .

وإن كان الضمير للمجرمين : فالمعنى أنهم يقولون : حجراً ؛ بمعنى عَوْذاً ؛ لأن العرب كانت تتعوذ بهذه الكلمة إذا رأت ما تكره<sup>(٢)</sup> .

وانتصابه بفعل متروكٍ إظهاره ؛ نحو : معاذ الله .

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا﴾ أي : قَصَدْنَا إلى أعمالهم ؛ فلفظ القـدوم مجازٌ .

وقيل : هو قدوم الملائكة ، أسنده الله إلى نفسه ؛ لأنه عن أمره<sup>(٣)</sup> .

(١) في أ ، ب ، هـ : «الكبر» ، وعـبارة الكشاف (٢٠٨/١١) : «معناه : أضـمروا الاستكبار

عن الحق ؛ وهو الكفر والعناد في قلوبهم» .

(٢) في ج ، د : «تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره» .

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف ﷻ : «قَصَدْنَا إلى أعمالهم» ، فلفظ القـدوم

مجازٌ «أقول : قوله : «قَدِمْنَا أي : قَصَدْنَا» ، هو معنى ما جاء عن السلف ؛ إذ قالوا في

تفسير الآية : قَدِمْنَا أي : عَمَدْنَا ، والمقتضي لهذا التفسير هو تعدية الفعل بالـى ؛ فقَدِمَ

مُضْمَنٌ معنى قَصَدَ أو عَمَدَ ، والفعل المضمَّن لمعنى فعل آخر يفيد معنى الفعلين ، كما

هو معلوم ، وعليه : فقوله تعالى : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا﴾ يفيد معنى (قَدِمَ) الذي فيه معنى

أتى أو جاء ، ومعنى عَمَدَ وَقَصَدَ ، وعلى هذا فليس في الآية مجاز ، بل في الآية تضمين =

﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ عبارة عن عدم قبول ما عملوا من الحسنات، كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لا تنفعهم؛ لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال.

والهباء: هي الأجرام الدقيقة<sup>(١)</sup> من الغبار التي لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالكوّة.  
والمنثور: المتفرق<sup>(٢)</sup>.

﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن هذا مستقرٌ وهذا مستقرٌ.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ هو مَفْعِلٌ من النوم في القائلة، وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة.

= الفعل معنى فعل آخر، كما تقدم. وعلم مما تقدم أنه يمكن أن يستدل بالآية على إثبات المجيء لله، لكن إضافة الفعل إلى صيغة الجمع تفيد مجيء الملائكة أيضا، كما جاء الخبر عن الأمرين - مجيء الله ومجيء ملائكته - في غير موضع، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾، ولهذا يشير قول المؤلف: «وقيل: هو قدوم الملائكة»، أي: مجيئهم، والقائل بذلك الأشبه أنه من نفاة الصفات الفعلية عن الله، كالمجيء والإتيان، والحق أنه تعالى يجيء كما يشاء، كما أخبر عن نفسه في عدد من الآيات، والأظهر أن منها هذه الآية: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾.

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٢) في ج، د، هـ: «المفترق».

وقيل : إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار ، فيَقِيل أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار .

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾ هو يوم القيامة ، وانشقاق السماء : انفطارها .

ومعنى ﴿بِالْغَمَمِ﴾ : أي : يخرج منها الغمام ، وهو سحبٌ رقيق أبيض ، وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض .

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ عَصُ اليدين : كناية عن الندم والحسرة .

والظالم هنا : عقبة بن أبي معيط .

وقيل : كل ظالم .

والظلم هنا : بمعنى الكفر .

﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾ هو محمد ﷺ ، أو اسم جنس على العموم .

﴿لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ روي : أن عقبة جَنَحَ إلى الإسلام فنهاه أبي بن

خلف ، أو أمية بن خلف ؛ فهو فلان .

وقيل : إن عقبة نهى أبي بن خلف عن الإسلام ، فالظالم على هذا : أبي ،

وفلان : عقبة .

وإن كان الظالم على العموم : فـ ﴿فلانا﴾ على العموم ؛ أي : خليل كل

كافر .

﴿وَكَاكَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ يَحْتَمِلُ أن يكون هذا :

من قول الظالم .

أو ابتداء إخبار ؛ من قول الله تعالى .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِالشَّيْطَانِ: إبليس، أو الخليل المذكور.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ قيل: إن هذا حكاية قوله ﷺ في الدنيا.

وقيل: في الآخرة.

﴿مَهْجُورًا﴾ من الهجر؛ بمعنى: البُعد والترك.

وقيل: من الهُجر - بضم الهاء -؛ أي: قالوا فيه الهُجر حين قالوا: إنه شعر

وسحر.

والأول أظهر.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ العدو هنا جمع، والمراد: تسلية النبي ﷺ بالتأسي بغيره من الأنبياء.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ وعدٌ لمحمد ﷺ بالهدى والنصرة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ هذا من اعتراضات قريش؛ لأنهم قالوا: لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل.

﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ هذا جوابٌ لهم تقديره: أنزلناه كذلك مفرقًا؛ لنثبت به فؤاد محمد ﷺ؛ بحفظه، ولو نزل جملة واحدة لتعذر عليه حفظه؛ لأنه أُمِّيٌّ لا يقرأ، فحفظ المفروق عليه أسهل.

وأيضًا؛ فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل كلُّ جزءٍ منه عند<sup>(١)</sup> حدوث سببه.

(١) في أ، ب، هـ: «على».



وأيضاً؛ منه ناسخ ومنسوخ، ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملةً واحدةً.

﴿وَرَزَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: فرقناه تفريقاً، فإنه نزل بطول عشرين سنة.

وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدّر الذي يتعلّق به ﴿كَذَلِكَ﴾، وبه يتعلّق ﴿لَنُنَبِّئَنَّ﴾.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ الآية؛ معناها: لا يوردون عليك سؤالاً أو اعتراضاً إلاّ أتيناك في جوابه بالحقّ والتفسير الحسن الذي يُذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يعني: الكفار، وحشُرهم على وجوههم حقيقة؛ لأنه جاء في الحديث: قيل يا رسول الله: كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادراً على أن يُمشيه في الآخرة على وجهه؟!»<sup>(١)</sup>.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يحتمل أن يريد بالمكان:

المنزلة والشرف.

أو الدار والمسكن في الآخرة.



(١) أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرَ السَّوَاءِ أَقْلَمُ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾].

﴿وَزِيرًا﴾ أي: مُعينًا.

﴿إِلَى الْقَوْمِ﴾ يعني: فرعون وقومه.

وفي الكلام حذف تقديره: فذهب إليهم فكذبوهما فدمرناهم.

﴿كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ تأويله كما ذكر في قوله في «هود»: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ [هود: ٥٩] (١).

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يريد بالظالمين:

من تقدّم، ووَضَعَ هذا الاسم الظاهر موضع المضمَر؛ لقصد وصفهم بالظلم.

أو يريد الظالمين على العموم .

﴿وَأَصْحَبَ الرِّسِّ﴾ معنى الرِّسِّ في اللغة : البئر ، واختلف في أصحاب الرس :

ف قيل : هم من بقية ثمود .

وقيل : من أهل اليمامة .

وقيل : من أهل أنطاكية ، وهم أصحاب ياسين .

واختلف في قصتهم :

ف قيل : بُعِثَ إليهم نبيٌّ ، فرموه في بئر فأهلكهم الله .

وقيل : كانوا حول بئر لهم ، فانهارت بهم فهلكوا .

﴿وَفُرُونا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ يقتضي التكثير والإبهام ، والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى المذكور قبل من الأمم .

﴿لَهُ الْأَمْثَلُ﴾ أي : يَبْنَاهُ .

﴿تَبَرَّنا﴾ أي : أهلكنا .

﴿وَلَقَدْ أَنْوَأَ عَلَى الْقَرْيَةِ الضَّمِيرُ فِي﴾ أَنْوَأَ لقريش وغيرهم من الكفار .

والقرية : قرية قوم لوط .

﴿وَمَطَرَ السَّوءَ﴾ : الحجارة .

ثم وقفهم على رؤيتهم لها ؛ لأنها في طريقهم إلى الشام ، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كُفْرهم بالتشور .

و﴿يَرْجُونَ﴾ كقوله: ﴿يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، وقد ذُكر<sup>(١)</sup>.

﴿أَهَذَا الَّذِي﴾ حكاية قولهم على وجه الاستهزاء، فالجمله في موضع معمول<sup>(٢)</sup> لقول محذوف يدل عليه ﴿هَؤُلَاءِ﴾.

وقوله: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾ استئناف جملة أخرى، وتم كلامهم، واستأنف كلام الله تعالى في قوله: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الآية؛ على وجه التهديد لهم.

﴿أَتَخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ أي: أطاع هواه حتى صار<sup>(٣)</sup> كأنه إله.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام ليس لها عقول، وهؤلاء لهم عقول ضيعوها.

أو لأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب، ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب.



(١) انظر صفحة ٣٣٢.

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «مفعول».

(٣) في زيادة: «له».

[أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُخْشِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَبْنًى وَنُشْفِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأَنَاسًا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْهِجَافِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي: إلى صنع ربك وقدرته.

﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾ قيل: مَدَّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ لأن الظل حينئذ على الأرض كلها.

واعترضه ابن عطية بأن ذلك الوقت من الليل، ولا يقال «ظِلٌّ» بالليل، واختار أن مَدَّ الظل ما بين أول الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/٤٤٢).

وقيل: <sup>(١)</sup> ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾: أي: جعله يمتدُّ وينبسط.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: ثابتًا غيرَ زائل لكنه جعله يزول بالشمس.

وقيل: معنى ساكن: غير منبسط على الأرض، بل يلتصق <sup>(٢)</sup> بأصل الحائط أو الشجرة ونحوها.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ قيل: معناه: أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في سيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض، ومتى يزول عن مكان إلى آخر، فيبنون على ذلك انتفاعهم به وجلو سَهم فيه.

وقيل: معناه: لولا الشمس لم يُعرَف أن الظل شيء؛ لأن الأشياء إنما تُعرَف بأضدادها.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ <sup>(٣)</sup> قَبْضُهُ: نَسْخُهُ وزواله بالشمس.

ومعنى ﴿يَسِيرًا﴾: شيئًا بعد شيء، لا دفعةً واحدة.

فإن قيل: ما معنى «ثم» في هذه المواضع الثلاثة؟

فالجواب: أنه يحتمل:

أن تكون للترتيب في الزمان، أي: جعل الله هذه الأحوال حالًا بعد حال.

أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال، وأن <sup>(٣)</sup> الثاني أعظم من

(١) في ج، د زيادة: «معنى».

(٢) في ج، د: «ملتصق».

(٣) في ج، د: «بأن كان».

الأول، والثالث أعظم من الثاني.

﴿الْبَلَّ لِبَاسًا﴾ شبه ظلام الليل باللباس؛ لأنه يستر كل شيء كاللباس.

﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ قيل: راحة.

وقيل: موتًا؛ لقوله: ﴿يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ويدل عليه مقابله بالنشور.

﴿الرَّيْحَ نُشْرًا﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(١)</sup>.

﴿مَاءَ طَهُورًا﴾ مبالغة في طاهر.

وقيل: معناه: مطهر للناس في الوضوء وغيره، وبهذا المعنى يقول الفقهاء: ماء طهور؛ أي: مطهر، وكل مطهر طاهر، وليس كل طاهر مطهرًا.

﴿وَأَناسِيَّ﴾ قيل: جمع إنسي.

وقيل: جمع إنسان.

والأول أصح.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن.

وقيل: للمطر، وهو بعيد.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعْثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ (٥١) أي: لو شئنا لخففنا عنك أثقال الرسالة ببعث جماعة من الرسل، ولكننا خصصناك بها كرامة لك؛ فاصبر عليها.

(١) انظر (٣٥٣/٢).

﴿وَجَهْدُهُمْ بِهِ﴾ الضمير: للقرآن، أو لما دلَّ عليه الكلام المتقدم<sup>(١)</sup>.  
 ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ اضطرب الناس في هذه الآية؛ لأنه لا يُعْلَم في الدنيا بحرٌ  
 مِلْحٌ وبحرٌ عَذْبٌ، وإنما البحار المعروفة ماؤها مِلْحٌ:

فقال ابن عباس: أراد بالبحر المِلْحِ الأجاج: بحر الأرض، وبالبحر  
 العذبِ الفرات: بحر السحاب.

وقيل: البحر المِلْح: البحر المعروف، والبحر العذب: مياه الأرض.  
 (وقيل: البحر المِلْح: جميع الماء المِلْح من الآبار وغيرها، والبحر  
 العذب: هو مياه الأرض)<sup>(٢)</sup> من الأنهار والعيون.

ومعنى الفرات: البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والأجاج:  
 نقيضه.

واختلف في معنى مَرَجَهُمَا:

فقيل: جعلهما متجاورين متلاصقين.

وقيل: أسال أحدهما في الآخر.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي: فاصلاً يفصل بينهما، وهو ما بينهما  
 من الأرض بحيث لا يختلطان.

وقيل: هذا البرزخ يعلمه الله، ولا يراه البشر.

(١) أي: جاهدتهم بسبب كونك نذير كافة القرى. الكشاف (١١/٢٦٢).

(٢) سقط من أ، ب، هـ.



﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ إن أراد بالبشر آدم: فالمراد بالماء: الماء الذي خُلِطَ مع التراب فصار طينًا .

وإن أراد بالبشر بني آدم: فالمراد بالماء: المنى الذي يُخْلَقُونَ منه .

﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ النسب والصهر يَعْمَانُ كل قريبى؛ فالنسب: أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم، قُرْبُ ذلك أو بَعْدُ، والصهر: هو الاختلاط بالتناكح .

وقيل: أراد بالنسب: الذكور؛ أي: ذوي<sup>(١)</sup> نسب يُنْتَسَبُ إليهم، وأراد بالصهر: الإناث؛ أي ذوات صهر يُصَاهَرُ بهنَّ، فهو كقوله: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [القيامة: ٣٩] .

﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ الكافر هنا: الجنس .

وقيل: المراد أبو جهل .

والظهير: المعين؛ أي: يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك .

ولفظه يقع للواحد والجماعة، كقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] .

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أسألكم على الإيمان أجرة ولا منفعة لنفسي .

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ معناه: إنما أسألكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلًا بالتقرب إليه وعبادته، فلا استثناء منقطع .

(١) في ب، د: «ذو» .

وقيل : المعنى : إلا أن تتخذوا إلى ربكم سبيلاً بالصدقة ، فالاستثناء على هذا متصل .

والأول أظهر .

وفي الكلام محذوف تقديره : إلا سؤال من شاء ، أو ما أشبه ذلك .  
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ قرأ هذه الآية بعض السلف فقال : لا ينبغي لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق ؛ فإنه يموت .  
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي قل : «سبحان الله وبحمده» ، والتسبيح التنزيه عن كل ما لا يليق به .

ومعنى ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي : بحمده أقول ذلك .  
ويحتمل أن يكون المعنى : سَبِّحْهُ مُلْتَبِسًا<sup>(١)</sup> بحمده ، فهو أمرٌ بأن يجمع بين التسبيح والحمد .

﴿وَكَفَى بِهِ ذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ يحتمل أن يكون المراد بهذا : بيان حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم .  
أو يكون المراد : تهديد العباد ؛ لعلم<sup>(٢)</sup> الله بذنوبهم .  
﴿ثُمَّ أَسْوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(٣)</sup> .

(١) في أ ، ب ، د : «ملتبسًا» .

(٢) في د : «بعلم» .

(٣) انظر (٣٤٨/٢) .

﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبر ابتداء مضمّر، أو بدلٌ من الضمير في ﴿أَسْتَوَى﴾ .

﴿فَسَلَّ بِهِ خَيْرًا﴾ فيه معنيان :

أحدهما - وهو الأظهر - : أن المراد : أسأل عنه من هو خيرٌ عارفٌ به ،  
فانتصب ﴿خَيْرًا﴾ على المفعولية ، وهذا الخبر المسؤول : هو جبريل عليه السلام  
و<sup>(١)</sup> العلماء ، وأهل الكتاب .

والباء في قوله : ﴿بِهِ﴾ : يحتمل :

أن تتعلق بـ ﴿خَيْرًا﴾ .

أو تتعلق بالسؤال ، ويكون معناها على هذا معنى «عن» .

والمعنى الثاني : أن المراد : أسأل بسؤاله خيرًا ؛ أي : إن سأله تعالى  
تجده خيرًا بكل شيء ، فانتصب ﴿خَيْرًا﴾ على الحال ، وهو كقولك :  
«لو رأيت فلانًا رأيت به أسدًا» أي : رأيت برؤيته أسدًا .

﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ لما ذكر الرحمن في القرآن أنكرته قريش ، وقالوا :  
لا نعرف الرحمن ، وكان مُسيلمة الكذاب قد تسمّى بالرحمن ، فقالوا على  
وجه المغالطة : إنما الرحمن الرجل الذي باليمامة .

﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ تقديره : لما تأمرنا أن نسجد له .

﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ الضمير الفاعل<sup>(٢)</sup> في زادهم يعود على المقول وهو  
﴿أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ .

(١) في ج ، د : «أو» .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «المفعول» .

[نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿١٧﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٢٠﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٢٣﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٥﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنْفِقِينَ إِمَامًا ﴿٢٩﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٣٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٣١﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٣٢﴾].

﴿بُرُوجًا﴾ يعني: المنازل الاثني عشر.

وقيل: الكواكب العظام.

﴿سِرَاجًا﴾ يعني: الشمس.

وَقُرَى بضم السين والراء على الجمع، يعني: جميع الأنوار، ثم خصَّ القمر بالذكر تشريفًا.

﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف هذا هذا.

وقيل: هو من الاختلاف؛ لأن هذا أبيض وهذا أسود، والخلفة اسم الهيئة<sup>(١)</sup>، كالركبة والجلسة، والأصل: جعلهما ذوي خلفة.

﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾ قيل: معناه: يعتبر في المصنوعات.

وقيل: يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه بالنهار، أو فاته بالنهار فيستدركه<sup>(٢)</sup> بالليل، وهذا قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ أي: عباده المرضيئون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة.

و﴿عِبَادُ﴾ مبتدأ، وخبره:

﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾.

أو قوله في آخر السورة: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: رفقا ولينا بحلم ووقار، ويحتمل أن يكون ذلك:

وصف مشيهم على الأرض.

أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعبر بالمشي على الأرض عن جميع تصرفهم مدة حياتهم.

(١) في ج، د: «الهيئة».

(٢) في أ: «فيستدركه».

﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: قالوا قولاً سديداً؛ ليدفع الجاهل برفق.

وقيل: معناه: قالوا للجاهل: «سلاماً»؛ أي: هذا اللفظ بعينه، بمعنى: سلمنا منكم.

قال بعضهم: هذه الآية منسوخة بالسيف.

وإنما يصح النسخ في حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والجلم عنهم فمستحسنٌ غير منسوخ.

﴿إِنَّكَ عَذَابُهُكَ﴾ وما بعده: يحتمل أن يكون: من كلامهم، أو من كلام الله ﷻ.

﴿كَانَ غَرَامًا﴾ أي: هلاكاً وخسراناً.

وقيل: ملازماً.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ الاقتار: هو التضيق في النفقة والشح، وضده: الإسراف، فنهى عن الطرفين، وأمر بالتوسط بينهما، وهو القوام، وذلك في الإنفاق في المباحات وفي الطاعات، وأما الإنفاق في المعاصي فهو إسراف، وإن قلَّ.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: عقاباً.

وقيل: الأثام: الإثم؛ فمعناه: يلق جزاء أثام.

وقيل: الأثام: واد في جهنم.

والإشارة بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إلى ما ذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا.

﴿وَيَحْلَدُ فِيهِ مُهَكَّنًا﴾ قيل : نزلت في الكفار لأنهم المخلدون في النار بإجماع ، فكأنه قال : الذين يجمعون بين الشرك<sup>(١)</sup> والقتل والزنا .

وقيل : نزلت في المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون .

فأما على مذهب المعتزلة : فالخلود على بابه .

وأما على مذهب أهل السنة : فالخلود عبارة عن طول المدة .

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ إن قلنا : الآية في الكفار فلا إشكال فيها ؛ لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا .

وإن قلنا : إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح ، واختلف : هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا ؟

﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قيل : يوفقهم الله لفعل الحسنات بدلاً مما<sup>(٢)</sup> علموا من السيئات .

وقيل : إن هذا التبديل في الآخرة ، أي : يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات .

﴿يَنْوِبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي : متابًا مقبولًا مرضيًا عند الله ، كما تقول : لقد قلت يا فلان قولًا ، أي : قولًا حسنًا .

﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي : لا يشهدون بالزور ، وهو الكذب ؛ فهو من الشهادة .

(١) في ج ، د : «الإشراك» .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «عما» .

وقيل : معناه : لا يحضرون مجالس الزور واللغو ، فهو على هذا من المشاهدة والحضور .

والأول أظهر .

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ اللغو : هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه .

ومعنى ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ أعرضوا عنه واستحيوا ، ولم يدخلوا مع أهله ؛ تنزيهاً لأنفسهم عن ذلك .

﴿لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا ضُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي : لم يُعرضوا عن آيات الله ، بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم ، فالنفي للضم والعمى ، لا للخروج عليها .

﴿فُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ قيل : معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لله .

وقيل : أدخلهم معنا الجنة .

واللفظ أعم من ذلك .

﴿وَلَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي : قدوةً يقتدي بنا المتقون ، فـ «إمام» : مفرد يراد به الجنس .

وقيل : هو جمع أم ؛ أي : متبع .

﴿الْعُرْفَةَ﴾ يعني : غرفة الجنة ؛ فهي اسم الجنس .

﴿قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ نافية أو استفهامية .



وفي معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال :

**الأول :** أن المعنى : لا يبالى الله بكم لولا عبادتكم له ، فالدعاء بمعنى العبادة ، وهذا قريب من معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات : ٥٦] .

**الثاني :** أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال ، والمعنى : لا يبالى الله بكم ، ولكنه <sup>(١)</sup> يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه .

ويكون على هذين القولين :

خطاباً لجميع الناس من المؤمنين والكافرين ؛ لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه .

أو خطاباً للمؤمنين خاصة ؛ لأنهم هم الذين يدعون الله ويعبدونه ، ولكن يضعف هذا بقوله : ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ .

**الثالث :** أنه خطاب للكفار خاصة ، والمعنى على هذا : ما يعبا بكم ربي لولا أن يدعوكم إلى دينه ، والدعاء على هذا بمعنى : الأمر بالدخول في الدين ، وهو مصدر مضاف إلى المفعول .

وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل .

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ هذا خطابٌ لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين .

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي سوف يكون العذاب لزاماً (أي : لازماً) <sup>(٢)</sup> ثابتاً .

(١) في أ، ب، هـ : «ولكن» .

(٢) لم ترد في أ، ب، هـ .

وأضمر العذاب وهو اسم كان؛ لأنه جزاء التكذيب المتقدم.  
واختلف: هل يُراد بالعذاب هنا: القتل يوم بدر، أو عذاب الآخرة؟



## ﴿ سورة الشعراء ﴾

[﴿طسّر﴾ ١] تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ شَأْنُنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا بِأَلْيِهِمْ مِنْ ذِكْرِ مَنْ الرِّحْمَنِ مُخَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾].

﴿طسّر﴾ ١ ﴿﴾ تكلّمنا على حروف الهجاء في أول «البقرة»<sup>(١)</sup>.

ويختصّ<sup>(٢)</sup> هذا : أنه قيل : الطاء من «ذي الطول» ، والسين من «السميع» أو «السلام» ، والميم من «الرحيم» أو «المنعم» .  
﴿بنيع﴾ ذكر في «الكهف»<sup>(٣)</sup> .

﴿ظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ﴾ الأعناق : جمع عُنُق ، وهي الجارحة المعروفة .  
وإنما جمع ﴿خَضِيعِينَ﴾ جمع العقلاء :  
لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء .

(١) انظر (١/٢٦١) .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «ويخص» .

(٣) انظر صفحة ٧ .

أو<sup>(١)</sup> لأنه وصفها بفعل لا يكون إلّا من العقلاء.

وقيل : الأعناق : الرؤساء من الناس شُبَّهوا بالأعناق كما يقال لهم : رؤوسٌ وصدور.

وقيل : هم الجماعات من الناس.

فلا يحتاج جمع ﴿خَضِعِينَ﴾ إلى تأويل.

﴿مُحَدَّثٌ﴾ يعني به : محدث الإتيان<sup>(٢)</sup>.

﴿فَسَيَاتِيهِمْ﴾ الآية ؛ تهديدٌ.

﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي : من كلّ صنفٍ من النبات ، فيعمُّ ذلك الأقوات والفواكه والأدوية والمرعى.

ووصفه بالكرم ؛ لما فيه من الحسن والمنافع.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ الإشارة إلى ما تقدّم من النبات ، وإنما ذكره بلفظ الإفراد ؛ لأنه أراد : إنّ في كل واحد آيةً.

أو أشار إلى مصدر قوله : ﴿أَنْبَتْنَا﴾.



(١) في ج ، د : «و».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك (٣/١٣١٩).

[وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْغَلَامُ الْغَلِيلُ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَنْقُوتُ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِأَهْلَيْكُمَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَاتَّبَعَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبْدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ بَشِيرٌ مُبِينٌ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾].

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ بالرفع :

عطفٌ على ﴿أَخَافُ﴾ .

أو استئناف .

وقرئ بالنصب ؛ عطفًا على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾ .

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ أي : اجعله معي رسولاً أستعين به .

﴿وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ﴾ يعني : قَتَلَهُ لِلْقَبْطِيِّ .

﴿قَالَ كَلَّا﴾ أي : لا تخف أن يقتلوك .

﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ خطابٌ لموسى وأخيه ومن كان معهما .

أو على جعل الاثنين جماعةً .

﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ لفظه جمعٌ ، وورد مورد تعظيم الله تعالى .

ويَحتمل أن تكون الملائكة هي التي تستمع بأمر الله ؛ لأن الله لا يوصف بالاستماع ، وإنما يوصف بالسمع<sup>(١)</sup> .

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف ﷺ : «(مستمعون) لفظه جمعٌ ، وورد مورد تعظيم الله تعالى» إلخ ، أقول : قوله : «ورد مورد تعظيم الله» معناه : أن الله ذكر نفسه بصيغة الجمع وهو واحد للدلالة على عظمته تعالى ، وهذا معنى صحيح ؛ فإنه تعالى يذكر نفسه بصيغة المفرد مظهرًا أو مضمراً ، للدلالة على التوحيد ، ويذكر نفسه بصيغة الجمع مظهرًا أو مضمراً للدلالة على عظمته لكثرة أسمائه وصفاته ، وكثرة عبيده وجنوده ، وشواهدُ هذا في القرآن كثيرة ؛ كما في هذه الآية : ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَمُؤْمِنُونَ﴾ ، وقوله : ﴿فَنِعْمَ الْمَشْهُودُونَ﴾ ، وقوله : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ، وقوله تبارك اسمه : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ، وقوله : ﴿وَمَا عَمِلْتَ آيَاتِنَا﴾ ، وقد يراد بهذه الصيغة الملائكة كقوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْبَرْ فَؤَادَكَ﴾ ، فالمراد قراءة جبريل ، وقوله سبحانه : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ، والمراد قرب الملائكة الحافظين الكاتبين لعمل العبد ، وقد تدل هذه الصيغة على الأمرين معا ؛ على التعظيم وعلى إرادة الملائكة ، ومن ذلك هذه الآية : ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ، فالله يستمع ، والملائكة يستمعون ، كما قال : ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ، وقال سبحانه : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ، وقول المصنف : «إن الله لا يوصف بالاستماع ، وإنما يوصف بالسمع» ، هذا غلطٌ منه ﷺ منشؤه نفي الأفعال الاختيارية عن الله ، وهي التي تكون بمشيئته تعالى ، وهو المعروف من مذهب الأشاعرة ، كيف وقد أخبر تعالى عن نفسه في هذه الآية بصيغة الجمع بأنه مستمع ؟! ويشهد لذلك ما جاء في السنة ، وهو قوله ﷺ : «ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن ، بجهره» ، وقوله : (ما أذن) أي : ما استمع ، والأذن - بالتحريك - الاستماع =

والأول أحسن، وتأويله: أن في الاستماع اعتناءً واهتمامًا بالأمر ليست في صيغة «سامعون».

والخطاب في قوله: ﴿مَعَكُمْ﴾ لموسى وهارون وفرعون وقومه.

وقيل: لموسى وهارون خاصة؛ على معاملة الاثنين معاملة الجماعة، وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان.

﴿إِنَّا رَسُولٌ﴾ إن قيل: لم أفرده وهما اثنان؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن التقدير: كل واحدٍ منا رسول.

الثاني: أنهما جُعِلَا كشخص واحد؛ لاتفاقهما في الشريعة، ولأنهما أخوان؛ فكانهما واحد.

الثالث: أن ﴿رَسُولٌ﴾ هنا مصدرٌ وُصِفَ به، فلذلك يُطْلَقُ<sup>(١)</sup> على الواحد والاثنين والجماعة، فإنه يقال: رسولٌ: بمعنى رسالة، بخلاف قوله: ﴿إِنَّا رَسُولًا﴾ [طه: ٤٧]؛ فإنه بمعنى: المرسل.

﴿أَن أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أطلقهم.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ قصد فرعون بهذا الكلام المنّ على موسى، والاحتقار له.

= فالاستماع فعل من الله يكون بمشيئته، فهو تعالى يسمع جميع الأصوات، ويستمع لما شاء منها، ومن ذلك ما جاء في الآية والحديث، فالاستماع أخص من السماع، فكل استماع متضمن للسماع دون العكس. والله أعلم.

(١) في ج، د: «أطلق».

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩) قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام .

ويعني بالفعللة : قتلَه للقبطي .

والواو في قوله : ﴿وَأَنْتَ﴾ :

إن كانت للحال فقوله : ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ معناه : كافرٌ بهذا الدين الذي جئتُ به ؛ لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة ، وقد كان قبل ذلك مؤمناً ، ولم يعلم بذلك فرعون .

وقيل : معناه من الكافرين بنعمتي .

وإن كانت الواو للاستئناف : فيَحتمل أن يريد :

من الكافرين بديني .

أو من الكافرين بنعمتي .

﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (٢٠) القائل هنا : هو موسى عليه السلام ، والضمير في قوله : ﴿فَعَلْنَاهَا﴾ لقتله القبطي .

واختلف في معنى قوله : ﴿مِنَ الضَّالِّينَ﴾ :

ف قيل : معناه : من الجاهلين بأن وكُرتي تقتله .

وقيل : معناه : من الناسين ، فهو كقوله : ﴿أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وقوله : ﴿إِذَا﴾ صلةٌ في الكلام ، وكأنها بمعنى حينئذٍ . قال ذلك ابن عطية (١) .

(١) المحرر الوجيز (٦/ ٤٧٥) .



﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ﴾ أي : من فرعون وقومه ، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفردته في قوله : ﴿تَنْهَى عَلَى أَنْ عَبَّدْتُ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَنْهَى عَلَى أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ معنى ﴿عَبَّدْتُ﴾ : ذَلَّلْتُ واتخذتهم عبيداً ، فمعنى هذا الكلام : أنك عددت نعمة عليّ تبيد بني إسرائيل ، وليست في الحقيقة بنعمة ، إنما كانت نقمة ؛ لأنك كنت تذبح أبناءهم ، ولذلك وصلتُ أنا إليك فربيتني .

فالإشارة بقوله : ﴿تِلْكَ﴾ إلى التربية .

و﴿أَنْ عَبَّدْتُ﴾ :

في موضع رفع عطْفُ بيان على ﴿تِلْكَ﴾ .

أو في موضع نصبٍ على أنه مفعول من أجله .

وقيل : معنى الكلام : تربيتك نعمة عليّ ؛ لأنك عبَّدت بني إسرائيل وتركتني .

فهي في المعنى الأول : إنكارٌ لنعمته .

وفي الثاني : اعترافٌ بها .

﴿قَالَ لَيْنِ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾<sup>(٢)</sup> لما أظهر فرعون الجهل بالله فقال : ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ؟ أجابه موسى بقوله : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، فقال : ﴿أَلَا تَسْتَعُونَ﴾ ؟ تعجباً من جوابه ، فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله : ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ؛ لأن وجود الإنسان وآبائه أظهرُ

(١) هذه الآية ﴿تَنْهَى عَلَى﴾ بعد ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ﴾ وليست قبلها ، فلو قال : «جمع ضمير الخطاب مع إفراده في قوله . . .» لاستقامت العبارة ، كما هي عبارة الكشاف (١١/ ٣٣٩)

الأدلة<sup>(١)</sup> عند العقلاء وأعظم البراهين؛ فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلون<sup>(٢)</sup> بها على وجود خالقهم، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها، ونسب موسى إلى الجنون مغالطة منه، وأبدى الازدراء والتهكُّم في قوله: ﴿رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾؛ لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحداً جحدُها، ولا أن يدعيها لغير الله، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمرود، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فهَدَّده بالسجن، فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة، وذكرها له بتلطُّف؛ طمعاً في إيمانه، فقال: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام، وتقديره: أتفعل بي ذلك ولو جئتكَ بشيء مبين؟.

وقد تقدَّم في «الأعراف»<sup>(٣)</sup> ذكر العصا واليد، و﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ و﴿أَرْجِهْ﴾ و﴿حَشِرِينَ﴾.

فإن قيل: كيف قال أولاً: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾، ثم قال آخرًا: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾؟

فالجواب: أنه لا يَنُ أَوَّلًا طمعاً في إيمانهم، فلما رأى منهم العناد والمغالطة وبَّخهم بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾، وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون: ﴿إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

(١) في ب، ج، د، هـ: «دلالة».

(٢) في أ، ب، هـ: «يستدلون».

(٣) انظر (٢/ ٣٧١، ٣٧٣).

[﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ  
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَتَّبِعْ فِي الدِّينِ حَشِيرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ  
سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ  
﴿٣٩﴾ لَعَلَّآ نَبْعُ السَّحَرَةِ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا  
لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا  
مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾  
فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَامَنَّا  
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامِنْتُمْ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَكَاِبِرُكُمْ  
الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ  
﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَرَرَ إِيَّاكَ إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾].

﴿لِمِيقَاتِ يَوْمٍ﴾ هو يوم الزينة.

﴿نَبْعُ السَّحَرَةِ﴾ أي: نتبعهم في نصرة ديننا، لا في عمل السحر.

﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ قسم أقسموا به.

وقد تقدّم في «الأعراف»<sup>(١)</sup> تفسير ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾، وما بعد ذلك.

﴿لَا ضَرَرَ﴾ أي: لا يضرنا ذلك؛ لأننا ننقلب إلى الله.

~~~~~

[﴿٥٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَرْسَلْنَا فِي الْمَدْيَنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشُرُذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٦١﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٦٢﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٦٣﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦٤﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٨﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٩﴾ وَأَبْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٣﴾] .

﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ يعني : بني إسرائيل .

﴿إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ إخبارٌ باتباع فرعون .

﴿الشُّرُذِمَةُ قَلِيلُونَ﴾ الشُّرُذِمَةُ : الطائفة من الناس ، وفي هذا احتقارٌ لهم على أنه رُوي أنهم كانوا ستّ مئة ألف ، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير .

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٥٧﴾ يعني : التي بمصر .

والعيون : الخُلجان الخارجة من النيل ، و^(١) كانت ثمّ عيون في ذلك الزمان .

وقيل : يعني الذهب والفضة وهو بعيد .

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجالس الأمراء والحكّام .

وقيل : المنابر .

(١) في أ ، ب ، د : «أو» .

وقيل : المساكن الحسان .

﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع خفضٍ ؛ صفةٌ لـ ﴿وَمَقَامٍ﴾ .

أو في موضع نصبٍ ، على تقدير : أخرجناهم مثل ذلك الإخراج .

أو في موضع رفعٍ ، أنه خبر ابتداء تقديره : الأمر كذلك .

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي : أورثهم الله مواضع فرعون بمصر .

على أن التواريخ لم يُذكر فيها مُلك بني إسرائيل لمصر ، وإنما المعروف أنهم مَلَكُوا الشام ، فتأويله على هذا : أورثهم مثل ذلك بالشام .

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ أي : لحقوهم ، وضمير الفاعل لفرعون وقومه ، وضمير المفعول لبني إسرائيل .

﴿مُشْرِقِينَ﴾ معناه : داخلين في وقت الشروق ، وهو طلوع الشمس .

وقيل : معناه : نحو المشرق .

وانتصابه على الحال .

﴿تَرَىَٰ الْجَمْعَانِ﴾ وزن ﴿تَرَىَٰ﴾ تفاعل ، وهو مشتقٌّ من الرؤية ، والجمعان : جمع موسى وجمع فرعون ، أي : رأى بعضهم بعضًا .

﴿فَانْفَلَقَ﴾ تقدير الكلام : ف ضرب موسى البحر فانفلق .

﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي : كل جزء منه ، والطود : الجبل .

ورُوي : أنه صار في البحر اثنا عشر طريقًا ، لكل سبط من بني إسرائيل طريقٌ .

﴿وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ﴾ (١٤) يعني بـ ﴿الْآخِرِينَ﴾ : فرعون وقومه ، ومعنى :
﴿وَأَزَلَفْنَا﴾ : قَرَّبْنَاهُمْ مِنَ الْبَحْرِ لِيَغْرَقُوا .
و﴿ثُمَّ﴾ ظرفٌ يراد به هنا : حيث انفلق البحر ، وهو بحر القلزم .



[وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَظِيمِينَ ﴿٨١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٨٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٨٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٨٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٨٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٨٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٨٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٩٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٩١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٩٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ﴿٩٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٩٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٩٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَيِّئِ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٩٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٩٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٩٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٩٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٠٠﴾ وَبُرُزِبَ الْجَحِيمُ لِلْفَاوِينَ ﴿١٠١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَنْزِلُوا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٠٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿١٠٣﴾ فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوُونَ ﴿١٠٤﴾ وَخُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿١٠٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٠٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْأَعْمَجُومُونَ ﴿١٠٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١١٠﴾ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ ﴿١١١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَحِيمٌ ﴿١١٤﴾].

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام؛ ليعين لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء، وبقیم عليهم الحجة.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ إن قيل: لم صرّحوا بقولهم ﴿نَعْبُدُ﴾، مع أن السؤال - وهو قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ - يغني عن التصريح بذلك، وقياسٌ مثل هذا: الاستغناء بدلالة السؤال كقوله: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠]؟.

فالجواب: أنهم صرّحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة

الأصنام، ثم زادوا قولهم: ﴿فَنَظَّلْهُمَا عَنكِيفٍ﴾ مبالغة في ذلك.

﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ اعتراف بالتقليد المحض.

﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ استثناء منقطع.

وقيل: متصل؛ لأن في آبائهم من عبد الله تعالى.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٩) أسند المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله؛ تأدباً مع الله.

﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ قيل: أراد كذباته (١) الثلاثة الواردة في الحديث (٢)، وهي قوله في سارة زوجته: «هي أختي»، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

وقيل: أراد الجنس على الإطلاق؛ لأن هذه الثلاثة من المعارض فلا إثم فيها.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء جميلاً.

﴿لَا يَنْفَعُ﴾ وما بعده: منقطع عن كلام إبراهيم، وهو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون أيضاً من كلام إبراهيم.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٩٠) قيل: سليم من الشرك والمعاصي.

وقيل: الذي يلقي ربه وليس في قلبه شيء غيره.

(١) في ج، د: «كلماته».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١).

وقيل : بقلب لديغ من خشية الله ، والسَّليم : هو اللديغ لغة .
وقال الزمخشري : هذا من بدع^(١) التفاسير^(٢) .
وهذا الاستثناء :

يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُتَصِلًا ، فَيَكُونُ : ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ مفعولًا ، بقوله : ﴿لَا يَنْفَعُ﴾
والمعنى على هذا : أن المال لا ينفع إلا من أنفقه في طاعة الله ، وأن البنين
لا ينفعون إلا من علّمهم الدين وأوصاهم بالحق .

وَيَحْتَمَلُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ مُتَصِلًا ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ بدلًا من
قوله : ﴿مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ على حذف مضاف تقديره : إلا مالٌ من أتى الله وبنوه .
ويحتمل أن يكون منقطعًا بمعنى : «لكن» .
﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ﴾ أي : قُرِبَتْ .

﴿وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾^(٩١) يعني : المشركين ؛ بدلالة ما بعده .
﴿فَنُكِّبُوا فِيهَا﴾ كُتِبُوا : مضاعف من «كَبَّ»^(٣) كُرِّرَتْ حروفه ؛ دلالة على
تكرير معناه ، أي : كَبَّهَمُ الله في النار مرة بعد مرة .
والضمير للأصنام ، و﴿وَالْغَاوُونَ﴾ هم المشركون .
وقيل : الضمير للمشركين ، و﴿وَالْغَاوُونَ﴾ هم الشياطين .
﴿سُؤْيِكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي : نجعلكم سواءً معه .

(١) في أ ، ب ، د ، هـ : «بديع» ، والمثبت موافق لعبارة الكشف .

(٢) الكشف (١١ / ٣٨١) .

(٣) في ب ، ج : «مضاعف مركب» ! .

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٩٩) يعني: كبراءهم، وأهل الجُرم والجُرأة منهم.

﴿حَمِيمٌ﴾ أي: خالص الودّ.

قال الزمخشري: جمع الشفعاء ووحد الصديق؛ لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة الأصدقاء^(١).



(١) الكشف (٣٨٦/١١).

[كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِوُكُمْ ﴿١٥٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٥٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٥٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٠﴾ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١٦١﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٦٥﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٦٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١٦٧﴾ فَأَفْلَحَ بَنِي وَيْسَ فَتَحًا وَنَجَّى وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١٦٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٧٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٢﴾].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ أسند الفعل إلى القوم وفيه علامة التأنيث؛ لأن القوم في معنى الجماعة والأمة.

فإن قيل: كيف قال: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ بالجمع وإنما كذبوا نوحًا وحده؟
فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد الجنس، كقولك: «فلان يركب الخيل» وإنما لم يركب إلا فرسًا واحدًا.

والآخر: أن من كذب نبيًا واحدًا فقد كذب جميع الأنبياء ﷺ؛ لأن قولهم واحد ودعوتهم سواء.

وكذلك الجواب في: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ وغيره.

﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ جمع أَرَذَلَ، وقد تقدّم الكلام عليه في قوله: ﴿أَرَادُنَا﴾ [هود: ٢٧] في «هود»^(١).

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: الذين سمّوهم أرذلين، فإنّ الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم، كما أرادت قريش من رسول الله ﷺ أن يطرد عمار بن ياسر وصهيبًا وبلالاً وأشباههم من الضعفاء.

﴿الْمَرْجُومِينَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ الرِّجْمَ:

بالحجارة.

أو بالقول، وهو الشتم.

﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾ أي: احكم بيننا.

﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي: المملوء.



[كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نَنْقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَنْتَبِنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَايَةً تَبْشُرُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّتْ وَعْيُونُ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿١٣٩﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤١﴾]

﴿بِكُلِّ رِيحٍ﴾ الرِّيحُ : المكان المرتفع .

وقيل : الطريق .

﴿ءَايَةً﴾ يعني : المباني الطَّوَال .

وقيل : أبراج الحمام .

﴿مَصَانِعَ﴾ جمع مَصْنَع ، وهو ما أُتْقِنَ صُنْعُهُ من المباني .

وقيل : مآخذ الماء .

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الآية ؛ تفسير لقوله : ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ فَأَبْهَمَ أَوَّلًا ، ثم فسَّره .

﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ بضم الخاء واللام : أي : عاداتهم ، والمعنى : أنهم قالوا : ما هذا الذي نحن عليه من ديننا ومبانينا ^(١) إِلَّا عادة الناس الأولين .

(١) سقطت هذه الكلمة من أ ، ب ، هـ .

وقرئ بفتح الخاء وإسكان اللام، ويَحتمل على هذا وجهين :
أحدهما : أنه بمعنى الخُلقة، والمعنى : ما هذه الخلقة التي نحن عليها
إِلَّا خُلقة الأولين .
والآخر : أنها من الاختلاق بمعنى الكذب، والمعنى : ما هذا الذي جئت
به إِلَّا كذب الأولين .



[كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٤٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٠﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا ههنا ءَامِنِينَ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَتَنَحُّتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿٥٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٥٥﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿٥٨﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٩﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ ههنا شَرِبَ وَلَكِنَّ شَرِبَ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٦٠﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٦١﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿٦٢﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٤﴾] .

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ تخويفٌ لهم، معناه: أطمعون أن تُتركوا في النعم على كفركم.

﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطَّلَع: عنقود التمر في أول نباته قبل أن يخرج من الكِمْ، والهَضِيم: اللين الرطْب، فالمعنى: أن طَلْعَهَا يَتَمُّ وَيَرْتَب.

وقيل: هو الرَّخْص^(١) أول ما يخرج.

وقيل: الذي ليس فيه نوى.

فإن قيل: لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات، والجنات تحتوي على النخل؟

فالجواب: أن ذلك تجريدٌ، كقوله: ﴿فَنَكِهُهُ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

ويَحْتَمِلُ أنه أراد: الجنات التي ليس فيها نخل، ثم عطف عليها النخل.

(١) الرَّخْص: الشيء الناعم. كما في القاموس المحيط.

﴿وَنَنْجُوْنَ﴾ ذكر في «الأعراف»^(١).

﴿فَرِهَيْنَ﴾ قرئ بألف وبغير ألف، وهو منصوب على الحال من الفاعل في ﴿نَنْجُوْنَ﴾.

وهو مشتق من الفَراهة وهي النشاط والكَيْس.

وقيل: معناه: أقوياء.

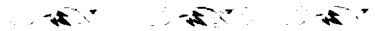
وقيل: أشيرين بطرين.

﴿مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ مبالغة في المسحورين، وهو من السَّحَر - بكسر السين -.

وقيل: من السَّحَر - بفتح السين - وهي الرُّة، والمعنى على هذا: إنما أنت بشر.

﴿هَلَّا شَرِبْتُ﴾ أي: حظ من الماء.

﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ لما تغيرت ألوانهم حسبما أخبرهم صالح عليه السلام ندموا حين لم تنفعهم الندامة، فأخذتهم الصيحة التي ماتوا منها، وهي العذاب المذكور هنا.



[﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١١٠ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١١١ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ١١٢ فَانْفِقُوا إِلَهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١١٣ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١١٤ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ١١٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْوُسِجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ ١١٦ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ ١١٧ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ ١١٨ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ١١٩ فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ١٢٠ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ﴾ ١٢١ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ ١٢٢ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ١٢٣ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٢٤ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ١٢٥].

﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ أي: من المبيغضين.

وفي قوله: ﴿قَالَ﴾، و﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ ضربٌ من ضروب التجنيس.

﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: نجني من عقوبة عملهم.

أو اعصمني من عملهم.

والأول أرجح.

﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني: امرأة لوط.

﴿فِي الْغَدِيرِ﴾ ذكر في «الأعراف»^(١)، وكذلك ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾.



[﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمُّ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١٧٧ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ١٧٨ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٧٩ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٨٠ ﴿أَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ١٨١ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ ١٨٢ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ١٨٣ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأُولَى﴾ ١٨٤ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ ١٨٥ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ١٨٦ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ١٨٧ قَالَ رَبِّ أَعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٨٨ فَكَذَّبُوهُ فَآخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٨٩ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾].

﴿أَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ قرئ بالهمز وخفض التاء، مثل الذي في «الحجر» و«ق»، ومعناه: الغيضة من الشجر.

وقرئ هنا وفي «ص» بفتح اللام والتاء:

فقليل: إنه مسهلٌ من الهمز.

وقيل: إنه اسم بلد، ويقوي هذا القول بأنه -على هذه القراءة بفتح التاء- غير منصرف، فدل^(١) ذلك على أنه اسمٌ عَلَمٌ.

وضَعَفَ ذلك الزمخشري، وقال: إن «لَيْكَةَ» اسمٌ لا يُعرف^(٢).

﴿إِذْ قَالَ لَهُمُّ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل هنا «أخوهم» كما قال في قصة نوح وغيره!:

فقليل: إن شعيباً بعث إلى مدين، وكان من قبيلتهم، فلذلك قال: ﴿وَإِلَى

(١) في ج، د: «يدل».

(٢) الكشف (١١/٤١١).

مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴿٨٥﴾ [الأعراف: ٨٥]، وبعث أيضًا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم، فلذلك لم يقل «أخوهم»، فكان شعيبٌ على هذا مبعوثًا إلى قبيلتين^(١).

وقيل: إن أصحاب الأيكة هم مدين، ولكنه قيل^(٢) «أخوهم» حين ذكرهم باسم قبيلتهم، ولم يقل «أخوهم» حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها؛ تنزيهاً^(٣) لشعيبٍ عن النسبة إليها.

﴿مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أي: من الناقصين للكيل والوزن.

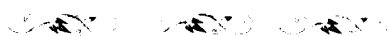
﴿بِالْقُسْطَاسِ﴾ الميزان المعتدل.

﴿وَالْجِلَّةِ﴾ يعني: القرون والأمم المتقدمة.

﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ هي سحابة^(٤) من نار أحرقتهم، فأهلك الله مدين بالصيحة، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة.

فإن قيل: لم كرّر قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ مع كل قصة؟

فالجواب: أن ذلك أبلغ في الاعتبار، وأشدُّ تنبيهًا للقلوب، وأيضًا فإن كل قصة منها كأنها كلامٌ قائمٌ مستقلٌ بنفسه، فحُتِمت بما حُتِمت به صاحبها.



(١) في أ، ب: «القبيلتين».

(٢) في د: «قال».

(٣) في ج: «تشریفًا».

(٤) في ج، د: «سحابٌ».

[وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٨﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٩﴾ وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠٠﴾ أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٠١﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٢٠٢﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٣﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٤﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠٥﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٦﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٧﴾ أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٨﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٩﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢١٠﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنِعُونَ ﴿٢١١﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢١٢﴾ ذَكَرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢١٣﴾ وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٢١٤﴾ وَمَا يَلْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٥﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُوُونَ ﴿٢١٦﴾ فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٧﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٨﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٩﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢٠﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٢١﴾ الَّذِي يَرِنَاكَ مِنْ تَحْتِ الْقَوْمِ ﴿٢٢٢﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجَدِينَ ﴿٢٢٣﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٤﴾ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢٥﴾ نَزَلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٦﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهم كَذِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٩﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٣٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعَعَهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٣١﴾].

﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ الضمير للقرآن.

﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ يعني: جبريل عليه السلام.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ إشارة إلى حفظه إياه؛ لأن القلب هو الذي يحفظ.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ يعني: كلام العرب، وهو متعلق بـ ﴿نَزَلَ﴾، أو ﴿الْمُنذِرِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ المعنى : أن القرآن مذكورٌ في كتب المتقدمين ، ففي ذلك دليلٌ على صحته ، ثم أقام الحجة على قريش بقوله : ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُؤُا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ﴾ والمعنى : أنَّ عِلْمَ بني إسرائيل بأنه من عند الله آيةٌ لكم وبرهان ، والمراد : مَنْ أسلم مِنْ بني إسرائيل ، كعبد الله بن سلام .

وقيل : الذين كانوا يبشرون بمبعثه ﷺ .

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ الآية ؛ ﴿الْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم ، وهو الذي لا يتكلم ، سواءً كان إنساناً أو بهيمةً أو جماداً .

والأعجميُّ : المنسوب إلى العَجَم ، وقيل : هو بمعنى الأعجم .

ومعنى الآية : أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم ، ثم قرأه عليهم لم يؤمنوا ؛ لإفراط عنادهم ، ففي الآية ^(١) تسليةٌ للنبي ﷺ عن كفرهم به مع وضوح برهانه .

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ معنى ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ : أدخلناه .

والضمير :

للتكذيب الذي دلَّ عليه ما تقدَّم من الكلام .

أو للقرآن ، أي : سلكناه في قلوبهم مكذباً به .

وتقدير قوله : ﴿كَذَٰلِكَ﴾ : مثل هذا السِّلْك سلكناه .

(١) في ج ، د ، هـ : «ذلك» .

و﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ يحتمل أن يريد به : قريشاً ، أو الكفار المتقدمين .

و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ : تفسيرٌ للسَّلَك الذي سَلَكَ ^(١) في قلوبهم .

﴿فَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ ﴿٢٠٦﴾ ﴿تَمْنُوا أَنْ يُؤْخَرُوا حِينَ لَمْ يَنْفَعَهُمُ التَّمَنِي .

﴿أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٢٠٧﴾ توبيخٌ لقريش على استعجالهم بالعذاب في قولهم : ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْكَ حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال : ٣٢] وشبه ذلك .

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ ﴿٢٠٨﴾ المعنى : أن مدَّة إِمهالهم لا تغني مع نزول العذاب بعدها ، وإن طالت مدَّة سنين ؛ لأن كل ما هو آتٍ قريبٌ .

قال بعضهم : ﴿سِنِينَ﴾ يراد ^(٢) به عمر الدنيا .

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ ﴿٢٠٩﴾ المعنى : أن الله لم يهلك قوماً إلا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولاً فأنذرهم فكذبوه .

﴿ذِكْرَى﴾ منصوبٌ :

على المصدر من معنى الإنذار .

أو على الحال من الضمير من ﴿مُنْذِرُونَ﴾ .

أو على المفعول من أجله .

أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمرة .

﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿٢١٠﴾ الضمير للقرآن ، وهذا ردُّ على من قال : إنه

(١) في ج : «سلكه» .

(٢) في ج ، د : «يريد» .

كهانة نزلت^(١) بها الشياطين على محمد ﷺ.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: ما يمكنهم ذلك ولا يقدرُونَ عليه.
ولفظ «ما ينبغي» تارة يستعمل بمعنى: لا يمكن، و^(٢)بمعنى: لا يليق.
﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ تعليلُ لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة؛
لأنهم مُنعوا من استراق السمع منذ بعث محمد ﷺ، وقد كان أمر الكهان
كثيراً منتشراً قبل ذلك.

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ عشيرة الرجل: هم قرابته الأدنُون، ولما
نزلت هذه الآية أُنذر النبي ﷺ أقاربه فقال: «يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من
النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار»، ثم نادى كذلك ابنته
فاطمة وعمته صفية^(٣).

قال الزمخشري: في معناها قولان:

أحدهما: أنه أمر بأن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس.
والآخر: أنه أمر أن لا يأخذه ما يأخذُ القريبَ من الرأفة بقريبه،
ولا يُحاييهم بالإنذار^(٤).

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ عبارةٌ عن لين الجانب والرفق وعن التواضع.
﴿الَّذِي يَرْنِكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: حين تقوم في الصلاة.

(١) في ج: «تنزلت».

(٢) في د: «وتارة».

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٤).

(٤) الكشف (١١/٤٣٠).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ: سائر التصرفات .

﴿وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ (٣١٩) معطوفٌ على الضمير المفعول في قوله :
﴿يَرِيكَ﴾ ، والمعنى : أنه يراك حين تقوم وحين تسجد .

وقيل : معناه : يرى صلاتك مع المصلين ، ففي ذلك إشارةٌ إلى الصلاة في (١) الجماعة .

وقيل : يرى تقلُّبَ بصرِكَ في المصلين خلفك ؛ لأنه ﷺ كان يراهم من وراء ظهره .

﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (٣٢٠) هذا جواب السؤال المتقدم وهو قوله : ﴿هَلْ أَنبَشَكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ، والأفَّاك : الكذاب ، والأثيم : الفاعل للإثم ، يعني بذلك الكهان .

وفي هذا ردٌّ على من قال : إن الشياطين تنزلت على محمد ﷺ بالكهانة ؛ لأنها لا تنزل إلا على أفَّاكٍ أَثِيمٍ ، وكان ﷺ في غاية الصدق والبرِّ .

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ معناه : يستمعون ، والضمير يحتمل :

أن يكون للشياطين ؛ بمعنى : أنهم يستمعون إلى الملائكة .

أو يكون للكهان ؛ بمعنى : أنهم يستمعون إلى الشياطين .

وقيل : ﴿يُلْقُونَ﴾ بمعنى : يلقون المسموع ، والضمير يحتمل أيضًا على هذا :

أن يكون للشياطين ؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان .

(١) في ج ، د : «مع» .

أو يكون للكهان ؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الناس .

﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ يعني :

الشياطين .

أو الكهان ؛ لأنهم يَكْذِبُونَ فيما يخبرون به عن الشياطين .

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ﴿١٢٤﴾ لما ذُكر الكهان ذكر الشعراء ؛ لبيان أن القرآن ليس بكهانة ولا شعر لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة .

وأراد : الشعراء الذين يُلْقُونَ من الشعر ما لا ينبغي ، كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك .

وقيل : أراد شعراء الجاهلية .

وقيل : شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم .

و﴿الْغَاوُونَ﴾ قيل : هم رواة الشعر .

وقيل : هم سفهاء الناس الذي تعجبهم الأشعار ؛ لما فيها من اللغو والباطل .

وقيل : هم الشياطين .

﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ استعارة وتمثيل ؛ أي : يذهبون في كل وجه من الكلام الحق والباطل ، ويُفْرِطُونَ في التجوُّز حتى يَخْرُجُونَ^(١) إلى الكذب .

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية ؛ استثناء من الشعراء يعني به : شعراء المسلمين ؛ كحسان بن ثابت وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف .

(١) في أ ، ب ، د ، هـ : «يخرجوا» .

وقيل : إن هذه الآية مدنية .

﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ﴾ قيل : معناه : ذكروا الله في أشعارهم .

وقيل : يعني الذكر على الإطلاق .

﴿وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ إشارة إلى ما قاله حسان بن ثابت وغيره من الشعر في هجو الكفار بعد أن هجا الكفار النبي ﷺ والمسلمين .

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ وعيدٌ للذين ظلموا ، والظلم هنا : بمعنى الاعتداء على الناس ؛ لقوله : ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ .

وَعَمِلَ ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾ في ﴿أَيَّ﴾ لتأخره .

وقيل : إن العامل في ﴿أَيَّ﴾ : ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾ .



﴿ سورة النمل ﴾

[﴿ طَسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بَخْبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِسِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَى عَصَاهُ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سَبْعِ ءَايَتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَفْتَنَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾].

﴿ تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴾ عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض ، وإن كان الموصوف واحدًا .

﴿ هُدًى وَبُشْرَى ﴾ في موضع نصبٍ على المصدر .

أو في موضع رفعٍ على أنه خبر ابتداء مضمرة .

﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ تحتمل هذه الجملة :

أن تكون معطوفة، فتكون بقية صلة ﴿الَّذِينَ﴾ .
أو تكون مستأنفة وتَمَّت الصلاة قبلها . ورَجَّح الزمخشري هذا^(١) .
﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتَحَيَّرُونَ .
﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ يعني : في الدنيا وهو القتل يوم بدر .
ويَحْتَمِل أن يريد عذاب الآخرة .
والأول أرجح ؛ لأنه ذكر الآية بعد ذلك .
﴿لَنُلَقِيَ الْقُرْآنَ﴾ أي : نُعْطَاه .
﴿ءَأَنَسْتُ﴾ ذكر في «طه»^(٢) ، وكذلك ﴿قَبَسِ﴾ .
والشهاب : النجم ، شَبَّ القبس به .
وقرئ :
بإضافة ﴿بِشَّهَابٍ﴾ إلى ﴿قَبَسِ﴾ .
وبالتنوين ، على البدل أو الصفة .
فإن قيل : كيف قال هنا : ﴿سَنَاتِكُمْ﴾ وفي الموضع الآخر : ﴿لَعَلِّيْٓءَانِيَكُمْ﴾
[طه : ١٠] ؛ والفرق بين الترجي والتسوية : أن التسوية متيقن الوقوع بخلاف
الترجي ؟
فالجواب : أنه قد يقول الراجي : «سيكون كذا» إذا قوي رجاءه .

(١) الكشف (١١/ ٤٥٤) .

(٢) انظر صفحة ٩٢ .

﴿تَصْطَلُونَ﴾ معناه: تستدفئون بالنار من البرد، ووزنه تفتعلون، وهو مشتقٌ من صَلِيَ بالنار، والطاء بدل من التاء.

﴿أَنْ بُرِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ﴿أَنْ﴾ مفسرة، و﴿بُورِكَ﴾ من البركة، و﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾: يعني مَنْ في مكان النار، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: مَنْ حول مكانها: يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام.

وقال الزمخشري: والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض، وفي ذلك الوادي وما حوله من أرض الشام^(١).

﴿وَسُبَّحَنَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يكون:

مما قيل في النداء لموسى عليه السلام.

أو يكون مستأنفاً.

وعلى كلا الوجهين قصد به: تنزيه الله مما عسى أن يخطر ببال السامع في معنى النداء، و^(٢) في قوله: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾؛ إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه^(٣).

(١) الكشف (١١/٤٦٤).

(٢) في أ، ج: «أو».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: ﴿وَسُبَّحَنَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يكون مما قيل في النداء لموسى عليه السلام، إلخ، أقول: الأظهر أن ذلك من جملة ما قيل لموسى عليه السلام في النداء، وهو مع ذلك دالٌّ على تنزيه الله عن كل نقص، والتنزيه هو مدلول الكلمة في كل موارد، وفي هذا تعليم لموسى ما يستحقه الرب من التنزيه، كما علمه تعالى ما يستحقه من الإلهية والربوبية والتنزيه عن الشرك في قوله: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ﴿٤﴾، وقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ =

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ هذه الجملة معطوفة على قوله: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾؛ لأن المعنى: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك؛ فكلاهما تفسير للنداء.

﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾ الجان: الحية.

وقيل: الحية الصغيرة، وعلى هذا يشكل قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ﴾ [الأعراف: ١٠٧]!

والجواب: أنها ثعبان في جرمها، جانٌّ في سرعة حركتها.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع، أو لم يلتفت.

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ استثناء منقطع، تقديره: لكن من ظلم من سائر

= وأما قول المصنف «أو يكون مستأنفاً، وعلى كلا الوجهين: قُصِدَ به تنزيه الله» هذا القدر من عبارته صحيح، ولا إشكال فيه، ولكنه - عفا الله عنه - قَيَّدَ التنزيه بقوله: «مما عسى أن يخطر ببال السامع في معنى النداء» إلخ، وقد أجمل وأبهم ما عسى أن يخطر ببال السامع من معنى النداء، وكذا لم يوضح ما قاله بعض الناس في الآية مما يجب تنزيه الله عنه، ولهذا صار كلامه غامضاً لا يفيد السامع معنى محدداً، ولا يفهم مراده إلا من يعرف مذهبه في كلام الله، وإذ قد عُلم مما تقدم أن المؤلف على طريقة الأشاعرة، ومذهب الأشاعرة في كلام الله أنه معنى نفسي قديم، ليس بصوت ولا حرف، ولا يكون بمشيئته، فالذي يحذره المؤلف أن يفهم من لفظ النداء أن كلامه تعالى بصوت؛ لأن النداء هو الخطاب بصوت رفيع مسموع، ومذهب أهل السنة أن كلام الله يكون بصوت، مناداةً ومناجاةً، فالله نادى موسى وناجاه، وأما قوله: «قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه»، فلعله يريد قول من قال: المراد بمن في النار هو الله، وهذا القول يستعظمه من لم يعرف مراد من قال ذلك من السلف، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَنَّ بُورِكَ﴾ أن قُدُس، وأن النار هي نور، وبمعرفة ذلك يزول الإشكال.

الناس، لا من المرسلين.

وقيل: إنه متصل؛ على القول بتجوز الذنوب على الأنبياء، وهذا بعيد؛ لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب، وأيضاً فإن تسميتهم ظالمين شنيع على القول بتجوز الذنوب عليهم.

﴿بَدَلْ حُسْنًا﴾ أي: عمل عملاً صالحاً.

﴿فِي جَيْبِكَ﴾ ذكر في «طه»^(١).

﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ متصل بقوله: ﴿أَلْقِ﴾ و﴿أَدْخِلْ﴾، تقديره: نيسر لك ذلك في جملة تسع آيات.

وقد ذكرت الآيات التسع في «الإسراء»^(٢).

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره: اذهب بالآيات التسع إلى فرعون.

﴿مُبْصِرَةً﴾ أي: ظاهرة واضحة الدلالة، أسند الإبصار لها مجازاً، وهو في الحقيقة لمتأملها.

﴿وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ يعني: أنهم جحدوا بها مع أنهم تيقنوا أنها الحق، فكفروهم عناداً، ولذلك قال فيه: ﴿ظُلُمًا﴾، والواو فيه واو الحال، وأضمرت بعدها «قد».

﴿وَعُلُوًّا﴾ يعني: تكبراً.

(١) انظر صفحة ٩٦، ولم يذكر هناك معنى الجيب هناك، وإنما ذكر تفسير بقية الآية، وذكر تفسير الجيب في سورة القصص.

(٢) انظر (٢/٨٣٥).

[وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْחَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحِشْرَ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبَسَ صَاحِبُكَ مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَا يُفِينُ ۖ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٥﴾ قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهٗ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَتْ يَتَىُّهَا الْمَلَأُوا إِيَّيَ الْفَىٰ إِلَيَّ كِتَابُ كَرِيمٍ ﴿٢٨﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٩﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأُتُوْنِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٠﴾].

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أي: ورث عنه النبوة والعلم والملك.

﴿عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾ أي: فُهِمْنَا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها.

﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عمومٌ معناه الخصوص، والمراد بهذا اللفظ التكثير

كقولك : فلان يقصده كل أحد .

وقوله : ﴿عُلِمْنَا﴾ ﴿وَأُوتِينَا﴾ يحتمل أن يريد :

نفسه وأباه .

أو نفسه خاصةً على وجه التعظيم ؛ لأنه كان ملكًا .

﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ﴾ اختلف الناس في عدد جنود سليمان اختلافًا شديدًا ، تركنا ذكره ؛ لعدم صحته .

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي : يُكْفَوْنَ ويردُّ أولهم إلى آخرهم ، ولا بدَّ لكل ملك أو حاكم من وَزَعَةٍ يدفعون الناس .

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ ظاهر هذا : أن سليمان وجنوده كانوا مشاةً بالأرض أو ركبانًا ، حتى خافت منهم النملة .

ويحتمل أنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح ، وأحسَّت النملة بنزولهم في وادي النمل .

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ النمل حيوان فِطْنٌ ، قويُّ الحِسِّ ، يدَّخِرُ قُوَّتَهٗ ، ويقسم الحبة بقسمين ؛ لثلاث تنبت ، ويقسم حبة الكزْبُرِ بأربع قطع ؛ لأنها تنبت إذا قمست على اثنين ، وإفراط إدراكها قالت هذا القول ، ورُوي أن سليمان سمعه ، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال ، وذلك لا يسمعه البشر إلا من خصَّه الله بذلك .

﴿أَدْخَلُوهَا﴾ خاطبتهم مخاطبة العقلاء ؛ لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء .

﴿لَا يَخْطِبَنَّكُمْ﴾ يحتمل أن يكون :

جوابًا للأمر .

أو نهياً بدلاً من الأمر؛ لتقارب المعنى .

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الضمير لسليمان وجنوده، والمعنى : اعتذار عنهم لو حَطَمُوا النمل ؛ أي : لو شعروا بهم لم يَحْطِمُوهم .

﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا﴾ تَبَسَّمَ لأحد أمرين :

أحدهما : سروره بما أعطاه الله .

والآخر : ثناء النملة عليه وعلى جنوده، فإن قولها : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وصف لهم بالتقوى والتحفظ من مضرة الحيوان .

﴿وَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ اختلف الناس في معنى تفقده للطير؟

ف قيل : ذلك عناية بأمور ملكه .

وقيل : لأن الطير كانت تُظِلُّه ، فغاب الهدهد فدخلت الشمس عليه من موضعه .

﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة ؛ فإنه نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره ، ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾ أي : لا أراه ولعله حاضراً وستره ساتر ، ثم علم أنه غائب فأخبر بذلك .

﴿لَاَعْدِبَنَّهُ﴾ روي أن تعذيبه للطير كان بتنف ريشه .

﴿يَسْطَلْنِ مُبِينٍ﴾ أي حجة بينة .

﴿فَمَكَّتْ﴾ أي : أقام ، ويجوز فتح الكاف وضمها ، وبالفتح قرأ عاصم .

والفعل يَحْتَمِلُ أن يكون مسندًا :

إلى سليمان عليه السلام .

أو إلى الهدهد، وهو أظهر .

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يعني : زمانًا قريبًا .

﴿أَحْطْتُ﴾ أي : أحطت علمًا بما لم تعلمه .

﴿مِنْ سَبَأٍ﴾ هي ^(١) قبيلة من العرب، وجدّهم الذي يُعرفون به : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وَمَنْ صَرَفَهُ أَرَادَ الْحَيَّ أَوِ الْأَبَ، ومن لم يصرفه أَرَادَ الْقَبِيلَةَ أَوِ الْبَلَدَةَ .

وَقَرَأَ بِالتَّسْكِينِ ؛ لِتَوَالِي الْحَرَكَاتِ .

وعلى القراءة بالتثنية يكون في قوله : ﴿مِنْ سَبَأٍ بَنِيًّا﴾ ضربٌ من أدوات البيان، وهو التسجيع ^(٢) .

﴿وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ﴾ المرأة : بلقيس بنت شراحيل ، كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها ، فغلبت بعده على الملك .

والضمير في ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ يعود على سبأ ، وهم قومها .

﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص فيما يحتاجه المَلِكُ .

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يعني : سرير ملكها .

(١) في ج ، د : «يعني» .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «التجسيم» ، وانظر الباب العاشر من المقدمة الأولى (١/١١٢) .

ووقف بعضهم على ﴿عَرْشٌ﴾، ثم ابتداء ﴿عَظِيمٌ﴾ ﴿٣٣﴾ وَجَدْتُهَا على تقدير: عَظِيمٌ أَنْ وَجَدْتُهَا وقومها يسجدون للشمس. وهذا خطأ، وإنما حمّله عليه الفرار من وصف عرشها بالعظمة.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ من كلام الهدد، أو من كلام الله.

وقراه الجمهور بالتشديد، و«أَنَّ»:

في موضع نصبٍ على البدل من ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾.

أو في موضع خفض على البدل من ﴿السَّبِيلِ﴾.

أو يكون التقدير: «لا يهتدون لأن يسجدوا» فحذف اللام، وزاد «لا».

وقرئ بالتخفيف على أن تكون «أَلَّا» حرف تنبيه، وأن تكون الياء

للنداء^(١)، فيوقف عليها بالألف على تقدير: «يا قوم» ثم يبتدئ: «اسجدوا».

﴿يُخْرِجُ الْخَبَّ﴾ الخبء في اللغة: الخفي:

فقليل: معناه هنا: الغيب.

وقيل: يخرج النبات من الأرض.

واللفظ يعُمُّ كل خفيٍّ، وبه فسرّه ابن عباس.

﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي: تنحَّ إلى مكان قريب؛ لتسمع ما يقولون، وروي أنه

دخل عليها من كَوَّة فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكوة.

(١) في ج، د: «تكون ياء النداء».

وقيل: إن التقدير: انظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم، فهو من المقلوب.
والمعنى الأول أحسن.

﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ من قوله: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [سبأ: ٣١].
﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ قبل هذا الكلام محذوف، تقديره: فألقى الهدهد إليها
الكتاب فقرأته، ثم جمعت^(١) أهل ملكها فقالت لهم: يا أيها الملأ.

﴿كُنْتُ كَرِيمٌ﴾ وصفته بالكرم:

لأنه من عند سليمان.

أو لأن فيه اسم الله.

أو لأنه مختوم، كما جاء في الحديث: «كرم الكتاب ختمه»^(٢).

﴿مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ يحتمل أن يكون هذا:

نص الكتاب بدأ فيه بالعنوان.

وأن يكون من كلامها؛ أخبرتهم أن الكتاب من سليمان.

﴿وَأَتَوْنِي مُسْلِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون:

من الانقياد؛ بمعنى: مستسلمين.

أو يكون من الدخول في الإسلام.



(١) في أ، ب، هـ: «فجمعت».

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٠٦/٧)، والقضاعي في مسند الشهاب (٥٨/١).

[قَالَتْ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُوْنَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوَّلُوا قُوَّةً وَأَوَّلُوا بَأْسَ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُوْنَ ﴿٣٨﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِيتُوهَنِي يَمَالٍ فَمَا ءَاتَنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُوْنَ ﴿٤٠﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيُّبُهُمْ يُجَنُّوْنَ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٤١﴾ قَالِ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُوْا أَنْتُمْ يَأْتِيَنِ بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ قَالِ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَائِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٤٣﴾ قَالِ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَائِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٤﴾ قَالِ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٥﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالِ إِنَّهُمْ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾].

﴿أَوَّلُوا قُوَّةً﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ:

قوة الأجساد.

أو قوة الملك والعُدَد والعَدَد^(١).

﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من كلام الله تعالى ؛ تصديقاً لقولها ، فيوقف على ما

قبله .

(١) هذه الكلمة سقطت من أ ، ج ، د .

أو من كلام بلقيس :

تأكيداً للمعنى الذي أرادته .

أو تعني : كذلك يفعل هؤلاء بنا .

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ قالت لقومها : إني أجرب^(١) هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال ، فإن كان ملكاً دنيائياً : أرضاه المال ، وإن كان نبياً لم يرضه المال ، وإنما يرضيه دخولنا في دينه ، فبعثت إليه هدية عظيمة وصفها الناس ، واختصرنا وصفها ؛ لعدم صحته .

﴿أَتُتَدُونَنِي بِمَالٍ﴾ إنكارٌ للهدية ؛ لأن الله أغناه عنها بما أعطاه .

﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي : أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها ، وأنا لست كذلك .

﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ خطابٌ للرسول .

وقيل : للهدد .

والأول أرجح ؛ لأن قوله : ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ﴾ مسندٌ إلى الرسول .

﴿لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ أي : لا طاقة لهم بها .

﴿قَالَ يَتَابِعُهَا الْمَلَأُ أَتَيْتَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ القائل : سليمان ، والملأ : جمعه من الجن والإنس .

وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ؛ لأنه وُصف له بعظمة ، فأراد أخذه

(١) في أ ، ب ، هـ : «مجربة» .

قبل أن يُسلموا فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم، ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على هذا: من الدخول في دين الإسلام.

وقيل: إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه؛ ليُظهر لهم قوّته، ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على هذا: بمعنى منقادين.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ روي عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت: الكودن. ﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ قبل أن تقوم من مجلس الحكم، وكان يجلس من غُدُوَّةٍ^(١) إلى الظهر.

وقيل: معناه: قبل أن تستوي من جلوسك قائماً.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ هو آصف، وكان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم.

وقيل: هو الخضر.

وقيل: هو جبريل.

والأول أشهر.

وقيل: هو سليمان، وهذا بعيد.

﴿إِنِّيكَ بِهِ﴾ في الموضعين: يحتمل أن يكون: فعلاً مستقلاً، أو اسم فاعل.

﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الطرف: العين، فالمعنى على هذا: قبل أن

(١) في د: «من الصبح».

تُغْمِضُ بَصْرَكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ .

وقيل : الطرف : تحريك الأجفان إذا نظرت .

﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ قبل هذا محذوفٌ ، تقديره : فجاء الذي عنده علمٌ من الكتاب بعرشها .

ومعنى ﴿مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ : حاصلاً عنده ، وليس هذا بـ «مستقرٌّ» الذي يقدر النحويون تعلق المجرورات به ، خلافاً لمن فهم ذلك .

﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي : منفعة الشكر لنفسه .

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ تنكيره : تغيير وصفه وستر بعضه .

وقيل : الزيادة فيه والنقص منه .

وقصد بذلك اختبار عقلها وفهمها .

﴿أَنَّهُدَى﴾ يحتمل أن يريد تهدي :

لمعرفة عرشها .

أو للجواب عنه إذا سئلت .

أو للإيمان .

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾ كان عرشها قد وصل إلى سليمان قبلها ، فأمر بتنكيره ، وأن يقال لها : ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾ أي : أمثل^(١) هذا عرشك ؟ (ولم

(١) في ب ، ج : «مثل» .

يقول لها : «أهذا عرشك؟»^(١) ؛ لئلا تَفْظَن أنه هو ، فأجابت بقولها : ﴿كَانَهُ هُوَ﴾ جواباً على نحو السؤال ، ولم تقل : «هو هو» ؛ تحرُّزاً من الكذب ، أو من التَّحْقِيق في محل الاحتمال .

﴿وَأَوْتَيْنَا آلِإِسْرَءِيلَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ هذا من كلام سليمان وقومه ، لما رأوها قد آمنت قالوا ذلك ؛ اعترافاً بنعمة الله عليهم في أن آتاهم العلم قبل بلقيس ، وهداهم للإسلام قبلها .

والجملة معطوفة على كلام محذوف تقديره : قد أسلمت هي وعلمت وحدانية الله وصحة النبوة وأوتينا نحن العلم قبلها .

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ هذا يحتمل أن يكون :

من كلام سليمان وقومه .

أو من كلام الله تعالى .

ويحتمل أن يكون ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ﴾ : فاعلاً ، أو مفعولاً .

فإن كان فاعلاً : فالمعنى : صَدَّهَا ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول في الإسلام حتى إلى هذا الوقت .

وإن كان مفعولاً : فهو على إسقاط حرف الجر ، والمعنى : صَدَّهَا الله أو سليمان عمّا كانت تعبد من دون الله ، فدخلت في الإسلام .

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾ الصَّرْح في اللغة : القصر .

(١) سقط من ب ، هـ .

وقيل : صحن الدار .

وروي أن سليمان أمر قبل قدومها ، فُبْنِي^(١) له على طريقها قصرٌ من زجاج أبيض ، وأجرى الماء من تحته ، وألقى فيه دوابَّ البحر من السمك وغيره ، ووضع سريره في صدره فجلس عليه ، فلما رآته حسبته لجةً ، واللجة : الماء المجتمع كالبحر ، فكشفت عن ساقها ؛ لتدخله لما أمرت بدخوله .

وروي أن الجن كرهوا تزوّج سليمان لها ، فقالوا له : إن عقلها مخبولٌ ، وإن رجلها كحافر الحمار ، فاختر عقلها بتنكير العرش فوجدتها عاقلة ، واختبر ساقها بالصرح ، فلما كشفت عن ساقها وجدتها أحسن الناس ساقاً ، فتزوجها وأقرّها على ملكها باليمن ، وكان يأتيها مرة في كل شهر .

وقيل : أسكنها معه بالشام .

﴿قَالَ إِنَّهُ صَرَخٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾^(٢) لما ظنّت أن الصرح لجة ماء فكشفت^(٢) عن ساقها لتدخل الماء ؛ قال لها سليمان : إنه صرخٌ .

والممرّد : الأملس ، وقيل : الطويل .

والقوارير : جمع قارورة ، وهي الزجاجاة .

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ تعني : بكفرتها فيما تقدّم .

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ هذا ضربٌ من ضروب التجنيس .



(١) في د : «أن يبنى» .

(٢) في ج ، د : «وكشفت» .

[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٢﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَطِيزَنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَبِّئْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْسِنُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ قَالُوا نَقَاسُمُ بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٦﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْرِهِمْ إِنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٨﴾ فَبِئْسَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴿٤٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥١﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٢﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴿٥٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْهُ أَلْ لُوطِ مَنْ قَرَبَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْطَهَرُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنْ الْغَايِبِ ﴿٥٥﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٦﴾].

﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ الفريقان : من آمن ومن كفر ، واختصامهم : اختلافهم وجدالهم في الدين .

﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي : لم تطلبون العذاب قبل الرحمة ، أو المعصية قبل الطاعة .

﴿قَالُوا أَطِيزَنَا بِكَ﴾ أي : تشاء منا بك ، وكانوا قد أصابهم القحط .

﴿قَالَ طَبِّئْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي : السبب الذي يحدث عنه خيركم أو شركم هو عند الله ، وهو قضاؤه وقدره ، وذلك ردُّ عليهم في تطيُّرهم ، ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح ﴿صالح﴾ .

﴿وَكَاكَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني : مدينة ثمود .

﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل : إنهم كانوا يُقرضون الدنانير والدراهم .

ولفظ الفساد أعمُّ من ذلك .

﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي : احلفوا ^(١) به .

وقيل : إنه فعل ماضٍ ، وذلك ضعيف ، والصحيح : أنه فعل أمرٍ ، قاله بعضهم لبعض ، وتعاقدوا عليه .

﴿لَنَبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي : لنقتلنه وأهله بالليل ، وهذا هو الفعل الذي تحالفوا عليه .

﴿لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلَكَ أَهْلَهُ﴾ أي : نتبرأ من دمه إن طلبنا به وليه .

﴿وَمَهْلَكَ﴾ يحتمل أن يكون : اسم مصدرٍ ، أو زمانٍ ، أو مكانٍ .

فإن قيل : إن قولهم : ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلَكَ أَهْلَهُ﴾ يقتضي التبري من دم أهله ، دون التبري من دمه .

فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأول : أنهم أرادوا : ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله ، وحذف مهلكه ؛ لدلالة قولهم : ﴿لَنَبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ .

والثاني : أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم ؛ لقوله : ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني : فرعون وقومه .

(١) في أ ، ب ، هـ : «حلفوا» .

الثالث: أنهم قالوا: ﴿مُهْلَكَ أَهْلِهِ﴾ خاصة؛ ليكونوا صادقين، فإنهم^(١) شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا، وأرادوا التعريض في كلامهم؛ لئلا يكذبوا.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾:

مغالطة، مع اعتقادهم أنهم كاذبون.

ويَحْتَمِلُ أنهم قصدوا وجهًا من التعريض؛ ليخرجوا به عن الكذب، وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن ﴿مُهْلَكَ أَهْلِهِ﴾، وهو أنهم قصدوا أن يقتلوا صالحًا وأهله معًا، ثم يقولون: ما شهدنا مهلك أهله وحدهم، وإننا لصادقون في ذلك،^(٢) يعنون: لأنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا، وعلى ذلك حملة الزمخشري^(٣).

﴿أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾ روي أن الرهط الذين تقاسموا على قتل صالح اختفوا ليلاً في غارٍ قريباً من داره؛ ليخرجوا منه^(٤) إلى داره بالليل، فوقعت عليهم صخرةٌ أهلكتهم، ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض، ونجا صالح ومن آمن به.

﴿وَأَنْتُمْ بُصُورٌ﴾ قيل: معناه تبصرون بقلوبكم أنها معصية.

(١) في أ، ب، هـ: «بأنهم».

(٢) في أ، ب، ج زيادة: «بل»!

(٣) الكشف (١١/٥٤٣).

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «منها».

وقيل : تبصرون بأبصاركم ؛ لأنهم كانوا ينكشفون بفعل^(١) ذلك ولا يستتر بعضهم من بعض .

وقيل : تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب .

﴿يَطْهَرُونَ﴾ و﴿الْغَيْرِينَ﴾ و﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ قد ذُكِرَ^(٢) .



(١) في ج ، د : «لفعل» .

(٢) انظر (٣٦٣/٢) .

[﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ ٥٩] اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌ هَانُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلٌ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾].

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ أمر الله رسوله ﷺ أن يتلو الآيات المذكورة بعد هذا ؛ لأنها براهين على وحدانيته وقدرته ، وأن يستفتح ذلك بحمده ، والسلام على من اصطفاه من عباده ، كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك ، تيمُّناً بذكر الله .

قال ابن عباس : يعني بـ ﴿عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ : الصحابة .

واللفظ يعُمُّ الملائكة والأنبياء والصحابة وجميع الصالحين .

﴿لَهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هذا على وجه الردِّ على المشركين ، فدخلت ﴿خَيْرٌ﴾ التي يراد بها التفضيل ؛ لتبكيهم وتعنيفهم ، مع أنه معلوم أنه لا خير فيما أشركوه أصلاً ، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذي خلق السموات

والأرض، وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات، وأعقب كل برهان منها بقوله: ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ على وجه التقرير لهم، على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله وحده، فقامت الحجة عليهم بذلك، وفيها أيضًا نَعَمٌ يجب شكرها، فقامت (الحجة عليهم)^(١) بذلك أيضًا.

و«أم» في قوله: ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ متصلة عاطفة، و«أم» في المواضع التي بعده منقطعة، بمعنى: بل والهمزة.

﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يعدلون عن الحق والصواب.

أو يعدلون بالله غيره؛ أي: يجعلون له عديلاً ومثيلاً.

﴿رُؤَسَى﴾ يعني: الجبال.

﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في «الفرقان»^(٢).

﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ قيل: هو المجهود.

وقيل: الذي لا حول له ولا قوة.

واللفظ مشتقٌ:

من الضَّرَر؛ أي: الذي أصابه الضَّر.

أو من الضرورة؛ أي: الذي ألجأته الضرورة إلى الدعاء.

﴿خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلفاء فيها يتوارثون^(٣) سكنها.

(١) سقطت من أ، ب.

(٢) انظر صفحة ٣٤٤.

(٣) في د: «تتوارثون».

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ يعني : الهداية بالنجوم والطرقات .

﴿نُشْرًا﴾ ذُكِرَ فِي «الأعراف»^(١) .

﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الرزق من السماء : المطر ، ومن الأرض : النبات .

﴿هَآتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيزٌ للمشركين .

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هذه الآية تقتضي انفراد

الله تعالى بعلم الغيب ، وأنه لا يعلمه سواه ، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها : «من زعم أن محمدًا يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله» ، ثم قرأت هذه الآية^(٢) .

فإن قيل : فقد كان النبي ﷺ يخبر بالغيوب ، وذلك معدود في معجزاته .

فالجواب : أنه ﷺ قال : «إني لا أعلم^(٣) إِلَّا ما علمني الله»^(٤) .

فإن قيل : كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكُفَّان والمنجِّمين ، وأشباههم بالأمور المغيبة؟

فالجواب : أن إخبارهم بذلك عن ظنٍّ ضعيفٍ أو عن وهمٍ لا عن علمٍ ، وإنما اقتضت الآية نفْي العلم .

وقد قيل : إن الغيب في هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة ؛ لأن سبب

(١) انظر (٣٥٣/٢) .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧) .

(٣) في أ ، ب زيادة : «الغيب» ، ولم ترد في الحديث .

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢٣٢/٥) .

نزولها أنهم سألوا عن ذلك، ولذلك قال: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، فعلى هذا: يندفع السؤال الأول والثاني؛ لأن علم الساعة انفرد به الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ولقوله ﷺ: «في خمس لا يعلمها إلا الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] إلى آخر السورة»^(١).

فإن قيل: كيف قال: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ بالرفع على البدل، والبدل لا يصح إلا إذا كان الاستثناء متصلًا، ويكون ما بعد «إلا» من جنس ما قبلها؟، والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق؛ فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السموات والأرض، والقائلين بنفي الجهة يقولون: إنه تعالى ليس فيهما ولا فوقهما، ولا داخلًا فيهما، ولا خارجًا عنهما؛ فهو على هذا استثناء منقطع، فكان يجب أن يكون منصوبًا؟

فالجواب: من أربعة أوجه:

الأول: أن البدل هنا جاء على لغة بني تميم في البدل؛ وإن كان منقطعًا، كقولهم: «ما في الدار أحدٌ إلا حمارٌ» بالرفع، والحمار ليس من الأحدين، وهذا ضعيف؛ لأن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز، لا بلغة بني تميم.

والثاني: أن الله في السموات والأرض بعلمه كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يعني: بعلمه، فجاء البدل على هذا المعنى، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقعت فيه لفظة «في» الظرفية الحقيقية، وهي في حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية، ولا يجوز

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحققين .

الجواب الثالث: أن قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يراد به: كل موجود، فكأنه قال: «من في الوجود»، فيكون الاستثناء على هذا متصلًا، فيصح الرفع على البدل، وإنما قال: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جريًا على منهاج كلام العرب، فهو لفظ خاص يراد به ما هو أعم منه .

الجواب الرابع: أن يكون الاستثناء متصلًا، على أن يتأول ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ في حق الله كما يتأول قوله: ﴿هَؤُلَاءِ أَمِنْتُكُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] وحديث السوداء^(١) وشبه ذلك^(٢) .

(١) أخرجه أحمد (٧٩٠٦) من حديث أبي هريرة أن رجلا أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية، فقال: يا رسول الله، إن علي عتق رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء بإصبعها السبابة، فقال لها: «من أنا؟» فأشارت بإصبعها إلى رسول الله وإلى السماء، أي: أنت رسول الله، فقال: «أعتقها»، وأخرجه مسلم (٥٣٧) في ضمن حديث طويل من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله تعالى: «والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق» إلخ، أقول: بنى المؤلف على قوله: (إن الله ليس ممن في السماوات باتفاق) أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ منقطع، وهو يقتضي نصب الاسم الشريف، والقراءة بالرفع، وذكر عن هذا الإشكال أربعة أجوبة، وليس مقصودنا في هذه التعليقات التعقبات اللغوية، بل التعقبات العقدية، لكن قوله في الجواب الأول من الأجوبة الأربعة: «إن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز لا بلغة بني تميم» لا يسلم له على الإطلاق، بل هذا باعتبار الأغلب، ومما جاء في القرآن على لغة تميم إدغام المضعف المجزوم في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾، كما نقله السيوطي في الإتقان عن ابن مالك، وعلى لغة تميم أيضًا قوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ ثَمَلٌ عَلَيْهِ﴾، من أملى لا من أملى، كما في التفسير البسيط للواحدي وغيره .

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا يشعر من في السموات والأرض متى يبعثون؛ لأنَّ عِلْمَ الساعة مما انفرد به الله .

وروي أن سبب نزول الآية أن قريشاً سألوا النبي ﷺ متى الساعة؟
﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وزن ﴿أَدْرَكَ﴾: تَفَاعَلَ، ثم سُكِّنَت التاء وأدغمت الدال واجتلبت ألف الوصل .

والمعنى: تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها .
أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها .

= والذي يهمنا هنا قوله: «والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق»، يريد باتفاق المثبتين للعلو والنافين له، وهم من عبَّر عنهم بالمثبتين للجهة والنافين؛ فإنهم جميعاً يقولون: إنه تعالى ليس داخل العالم، فالمثبتون للعلو يقولون: إنه تعالى فوق العالم على العرش، ونفاة العلو يقولون: إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارج العالم، وهم من عبَّر عنهم بنفاة الجهة، يقول: «والقائلون بنفي الجهة يقولون: إنه تعالى ليس فيهما ولا فوقهما، ولا داخل فيهما، ولا خارجاً عنهما»، فعلى كلا القولين: فالله ليس في السماء ولا في الأرض، وهذا معنى قوله «باتفاق». والحق أنه تعالى فوق سماواته على عرشه، وهو ما دلَّ عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة، ويقابل ذلك قولان باطلان:

أحدهما: أنه تعالى داخل في المخلوقات، أي: إنه تعالى حالٌّ فيها، فهو في كل مكان. الثاني: أنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، وكلا القولين باطل، والثاني أبطل؛ فإنه مع مناقضته للسمع مناقضٌ للعقل أظهر مناقضة؛ فإن من الممتنع أن يكون موجودٌ لا داخل العالم ولا خارجه، فإن ذلك من سلب النقيضين الذي لا يصح إلا في المعدوم، فإذا أضيف إلى ذلك أنه موجود تضمن أنه موجودٌ معدومٌ، وهذا جمعٌ بين النقيضين، الذي هو أحد الممتنعات، والقول بنفي الجهة وما تفرع عنه هو المشهور من مذهب الأشاعرة.

وقرئ ﴿أَذْرَكَ﴾ بهمزة قطع على وزن: أَفْعَلَ، والمعنى على هذا: يُذْرِكُ علمُهم في الآخرة؛ أي: يعلمون فيها الحق؛ لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق.

فقوله: ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾:

على هذا: ظرفٌ.

وعلى القراءة الأولى: بمعنى الباء.

﴿عَمُونَ﴾ جمع عَمٍ، وهو من عمى القلوب.



[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَبْنَاءَ لَمُخْرَجُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٨٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٨٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الضُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٩١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٩٢﴾].

﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ أي: تَبَعَكُمْ، واللام زائدة.

أو ضَمَّنَ معنى «قَرَّبَ»؛ فتعدَّى باللام.

ومعنى الآية: أنهم استعجلوا العذاب بقولهم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾، فقيل لهم: عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذي تستعجلون، وهو قتلهم يوم بدر.

﴿غَائِبَةٍ﴾ الهاء فيه للمبالغة؛ أي: ما من شيء في غاية الخفاء، إلا وهو عند الله في كتاب.

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ شبه من لا يسمع ولا يعقل بالموتى؛ في أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء، ثم شبههم بالصُّم وبالعُمي؛ وإن كانوا صِحاح الحواس، وأكد عدم سماعهم بقوله: ﴿إِذَا وَلَوْ أَمْذَبِينَ﴾؛ لأن الأصم إذا أدبر وبعُد عن الداعي زاد صممه وعدم سماعه بالكلية.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إذا حان وقت عذابهم الذي تضمَّنه القول الأزلي من الله في ذلك وهو قضاؤه^(١)، والمعنى: إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «إذا حان وقت عذابهم» إلخ، أقول: في تفسير وقوع القول بقرب وقت العذاب نظر؛ والأظهر أن قوله: ﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حق القول عليهم، وهو حكم الله بأنهم لا يؤمنون، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٧)، ولا ريب أن ما حق عليهم من القول بأنهم لا يؤمنون هي كلمته تعالى القدريّة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١١) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِِبَادِنَا الْفَرَسَيْنِ﴾ (١٧) إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧) وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِيُونَ (١٧)، فمعنى وقع القول عليهم، أي: وقع عليهم موجب كلمته تعالى السابقة في الحكم بأنهم لا يؤمنون، فهذه كلماته الكونية سبقت لقوم في الشقاوة ولقوم بالسعادة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (١١)، وقال سبحانه: ﴿وَوَكَّمْتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِِبَادِنَا الْفَرَسَيْنِ﴾ (١٧) الآيةين.

وقول المؤلف «القول الأزلي من الله» الأزلي هو الذي لا بداية له، وهذا يجري على قول الأشاعرة إن كلام الله قديم بقدمه سبحانه؛ لأن كلام الله عندهم لا تتعلق به المشيئة، ولا ريب أن كلماته القدريّة صادرة عن إرادته تعالى، وما كان بإرادة يمتنع أن يكون أزليًا، وكلماته تعالى التي أخبر أنها سبقت يحتمل أن تكون عند كتابة المقادير في أم الكتاب، والله أعلم.

وخروج الدابة من أشراط الساعة، وروى أنها تخرج من المسجد الحرام، وقيل: من الصفا.

وأن طولها ستون ذراعًا.

وقيل: هي الجساسة التي وردت في الحديث^(١).

﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قيل: تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام.

وقيل: تقول: «ألا لعنة الله على الظالمين».

وروي أنها تسم^(٢) الكافر وتخطم^(٣) أنفه وتسود وجهه، وتبيض وجه المؤمن.

﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ من قرأ بكسر الهمزة: فهو ابتداء كلام.

ومن قرأ بالفتح:

فهو معمول ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾؛ أي: تقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون.

أو مفعول من أجله تقديره: تكلمهم؛ لأن الناس لا يوقنون، ثم حذفت اللام.

(١) حديث الجساسة أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) في ج، د: «تستم».

(٣) تخطم أنف الكافر: أي: تسمه، من خطمت البعير، إذا كويته خطًا من الأنف إلى أحد خدييه، وتسمى تلك السمة الخطام. النهاية لابن الأثير (٣/١٢٠٨).

وَيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ: ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾:

(أي: لا يوقنون)^(١) بخروج الدابة.

أو لا يوقنون بالآخرة وأمور الدين، وهذا أظهر.



(١) سقطت من أ، ب، ج، هـ

[وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَازًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٧﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ الْفِرْعَوْنَ نِبَاتًا لِّئَلَّاسِيَّاتُ الْعِلْمِ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ ﴿٩٠﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبُّكَ هَذِهِ الْبَلَدَةُ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٥﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَّرَكُمْ بِإِذْنِهِ فَمَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾].

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يساقون بعنف.

﴿أَمَازًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «أم» استفهامية، والمعنى: إقامة الحجة عليهم، كأنه قيل^(١) لهم: إن كان لكم عمل أو حجة فها توها.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حقَّ العذاب عليهم، أو قامت الحجة عليهم.

﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ إنما يسكتون؛ لأن الحجة قد قامت عليهم.

وهذا في بعض مواطن القيامة^(٢)، وقد جاء أنهم يتكلمون في مواطن أُخَر^(٣).

(١) في د: «قال».

(٢) في ه زيادة: «دون بعض».

(٣) هذه الكلمة لم ترد في أ، ب، هـ.

﴿لَيْسَكُنُوا فِيهِ﴾ ذُكِرَ فِي «يُونُس»^(١) .

﴿يُفْنَعُ فِي الصُّورِ﴾ ذُكِرَ فِي «الْكَهْف»^(٢) .

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قِيلَ : هم الشهداء .

وقيل : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت .

﴿دَاخِرِينَ﴾ صَاغِرِينَ مُتَذَلِّلِينَ .

﴿تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ أَي : قَائِمَةٌ ثَابِتَةٌ .

﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ يَكُونُ مَرُورُهَا فِي أَوَّلِ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَنْسِفُهَا اللَّهُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ فَتَكُونُ كَالْعِهْنِ ، ثُمَّ تَصِيرُ هَبَاءً مُنْبَثًا .

﴿صُنَعَ اللَّهُ﴾ مُصَدَّرٌ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ مَحْذُوفٌ .

وقيل : هو منصوب على الإغراء : أَي : انظروا صنع الله .

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ قِيلَ : إِنْ الْحَسَنَةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» .

واللفظ عام .

ومعنى : ﴿خَيْرٌ مِنْهَا﴾ : أَنْ لَهُ بِالْحَسَنَةِ الْوَاحِدَةِ عَشْرًا .

﴿مِنْ فَرْعٍ يَوْمِئِذٍ﴾ مَنْ نَوَّنَ ﴿فَرْعٍ﴾ : فَتَحَ الْمِيمَ مِنْ ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ .

وَمَنْ أَسْقَطَ التَّنْوِينَ لِلإِضَافَةِ قَرَأَ :

بِفَتْحِ الْمِيمِ عَلَى الْبِنَاءِ .

(١) انظر (٢/٥٨٨) .

(٢) انظر صفحة ٥٥ .

أو بكسرهما على الإعراب.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسِّنَةِ﴾ السيئة هنا: الكفر، والمعاصي التي قضى الله بتعذيب فاعلها.

﴿هَذِهِ الْبَلَدَةَ﴾ يعني: مكة.

﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي: جعلها حرماً آمناً، لا يُقاتلها أحدٌ، ولا تُنتهك حرمتها.

ونسب تحريمها هنا إلى الله؛ لأنه بقضائه وأمره، ونسبه النبي ﷺ إلى إبراهيم عليه السلام في قوله: «إن إبراهيم حرم مكة»^(١)؛ لأن إبراهيم هو الذي أعلم الناس بتحريمها، فليس بين الآية والحديث تعارض، وقد جاء في حديث آخر: «إن مكة حرّمها الله يوم خلق السموات والأرض»^(٢).

﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ أي: إنما عليّ الإنذار والتبليغ.

﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ وعيدٌ بالعذاب الذي يضطرهم إلى معرفة آيات الله، إما في الدنيا أو في الآخرة.



(١) أخرجه البخاري (٢١٢٩)، ومسلم (١٣٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤).

﴿سورة القصص﴾

[﴿طسّم ١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ فَاكْلِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقَطْعَةُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي وَلَئِكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَنَعْلَمَ أَنْتَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾].

﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تكبر وطغا.

﴿شِيْعًا﴾ أي: فرقا مختلفين، فجعل فرعون القبط ملوكا وبني إسرائيل

خُدَّامًا لَهُمْ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفَهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ
وَيَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً؛ أَي: وَلَاة فِي الْأَرْضِ، وَيُورِثَهُمْ أَرْضَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.
﴿وَهَمَّنَ﴾ هُوَ وَزِيرُ فِرْعَوْنَ.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَمْرِ مُوسَىٰ﴾ اخْتَلَفَ هَلْ كَانَ هَذَا الْوَحْيُ:

بِالْهَامِ؟

أَوْ مَنَامٍ؟

أَوْ كَلَامٍ بِوَاسِطَةِ مَلَكٍ؟، وَهَذَا أَظْهَرَ؛ لِثَقَّتْهَا بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهَا وَامْتَثَلَهَا مَا
أُمِرَتْ بِهِ.

﴿فَإِذَا خِفتَ عَلَيْهِ﴾ أَي: إِذَا خِفتَ عَلَيْهِ أَنْ يَذْبَحَهُ فِرْعَوْنَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَذْبَحُ
أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمَّا أَخْبَرَهُ الْكَهَانُ أَنْ هَلَكَ عَلَىٰ يَدَيْ غَلَامٍ مِنْهُمْ.

﴿فَالنَّقْطَةُ﴾ أَيْ فِرْعَوْنُ ﴿الْإِلْتِقَاطُ﴾: الْإِلْقَاءُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، رُوي أَنَّ آسِيَةَ
امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ رَأَتْ التَّابُوتَ فِي الْبَحْرِ، وَهُوَ النَّيْلُ، فَأَمَرَتْ أَنْ يُسَاقَ لَهَا،
فَفَتَحَتْهُ فَوَجَدَتْ فِيهِ صَبِيًّا فَأَحَبَّتْهُ، وَقَالَتْ لِفِرْعَوْنَ: هَذَا قَرَّةٌ عَيْنٍ لِي وَلَكَ.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ اللَّامُ الْعَاقِبَةُ، وَتُسَمَّى أَيْضًا لَامَ الصَّيْرُورَةِ.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ رُوي: أَنَّ فِرْعَوْنَ هَمَّ بِذْبَحِهِ؛ إِذْ تَوَسَّسَ^(١) أَنَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: لَا تَقْتُلُوهُ.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَي: لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ هَلَكَتْهُمْ عَلَىٰ يَدَيْهِ.

(١) فِي ج، د: «تَوْهَّم».

والضمير الفاعل لفرعون وقومه .

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوسَىٰ فَزَعًا﴾ أي : ذاهلاً لا عقل معها .

وقيل : فارغاً من الصبر .

وقيل : فارغاً من كل شيء إلا من هم موسى .

وقيل : فارغاً من وعد الله ؛ أي : نسيته ما أوحى إليها .

وقيل : فارغاً من الحزن ؛ إذ لم يغرق ، وهذا بعيد ؛ لما بعده .

وقرئ «فَزَعًا»^(١) - بالزاي - ، من الفَزَع .

﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ أي : تظهر أمره ، وفي الحديث : «كادت

أُم موسى أن تقول : «وَا ابْنَاهُ!» ، وتخرج صائحة على وجهها»^(٢) .

﴿رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي : رزقناها الصبر .

﴿لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : من المصدقين بالوعد الذي وعدها الله .

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أي : اتبعيه ، والقَصُّ : طلب الأثر ، فخرجت

أخته تبحث عنه في خفية .

﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ أي : رآته من بعيد ، لم تقرب منه ؛ لئلا يعلموا أنها

أخته .

وقيل : معنى ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ : عن شوقٍ إليه .

(١) في ج ، د : «فازعاً» .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨ / ١٧٠) ، وابن أبي حاتم (٩ / ٢٩٤٧) والثعلبي في تفسيره (٧ / ٢٣٨) موقوفاً على ابن عباس ، وليس فيه : «وتخرج صائحة على وجهها» .

وقيل : معناه : أنها نظرت إليه ، كأنها لا تريده .

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي : لا يشعرون أنها أخته .

﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ أي : مُنِعَ منها ؛ بأن بَعْضَها الله له .

و﴿الْمَرَاضِعَ﴾ :

جمع مُرْضِع ، وهي المرأة التي تُرْضِع .

أو جمع مَرَضِع -بفتح الميم والضاد- ، وهو موضع الرِّضَاع ، يعني : الثدي .

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي : من أول مرة .

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ القائلة : أخته تخاطب آل فرعون .

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ لما منعه الله من المراضع وقالت أخته : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ الآية ، جاءت بأمه ، فَقَبِلَ ثُدْيَهَا ، فقال لها فرعون : ومن أنت منه ؛ فما قَبِلَ ثدي امرأة إِلَّا ثديكَ؟ (فقالت : إني)^(١) امرأة طيبة اللبن ، فذهبت به إلى بيتها ، وقرَّت عينُها بذلك ، وعلمت أن وعد الله حقٌّ في قوله : ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾ .



(١) في ج : «أنت» .

[﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ٤٦] وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُمْ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿٤٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُمْ هُمُ الْغَافِقُونَ الرَّجِيمُ ﴿٤٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٩﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ فَلَمَّا أَنِ ارَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمْوَسَّىٰ أَرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قُتِلَتْ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٥١﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَّىٰ ابْنَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٥٢﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٣﴾] .

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ذكر في «يوسف»^(١) .

﴿وَاسْتَوَىٰ﴾ أي : كمل عقله ، وذلك مع الأربعين سنة .

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ يعني : مصر .

وقيل : قرية حولها .

والأول أشهر .

﴿عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ﴾ قيل : في القائلة .

وقيل : بين العشاءين .

وقيل : يوم عيد .

وقيل : كان قد جفا فرعون وخاف على نفسه فدخل مختفياً متخوفاً .

﴿ هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ ﴾ الذي من شيعته : من بني إسرائيل ، والذي من عدوّه : من القبط .

﴿ فَوَكَّرَهُ مُوسَى ﴾ أي : ضربه ، والوَكَز : الدفع بأطراف الأصابع .

وقيل : بجمع ^(١) الكفّ .

﴿ فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ أي : قتله ، ولم يرد أن يقتله ، ولكن وافقت وكُتِبَتْهُ الأجل ، فندم وقال : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ أي : إن الغضب الذي أوجب ذلك كان من الشيطان ، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له .

فإن قيل : كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافراً ؟

فالجواب : أنه لم يؤذَن له في قتله ، ولذلك يقول يوم القيامة : «إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها» .

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(٧) الظهير : المعين ، والباء سببية ، والمعنى : بسبب إنعامك عليّ لا أكون ظهيراً للمجرمين ، فهي معاهدة عاهد موسى عليها ربه .

وقيل : الباء باء القسم ، وهذا ضعيف ؛ لأن قوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ﴾ لا يصلح ^(٢) لجواب القسم .

(١) في ج ، د ، هـ : «بجميع» ، والمثبت موافق لما في الكشاف (١٢/ ٢٤) .

(٢) في ب ، ج : «لا يصح» .

وقيل : جواب القسم محذوف ، تقديره : وحق نعمتك لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين .

وقيل : الباء للتحليف ؛ أي : اعصمني بحق نعمتك عليّ فلن أكون ظهيرا للمجرمين .

ويُحتج بهذه الآية على المنع من صحبة ولاية الجور .

﴿يَرْقُبُ﴾ في الموضوعين : أي : يتحسس هل يطلبه أحد .

﴿يَسْتَصْرِحُهُ﴾ أي : يستغيث به ، لقي موسى الإسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلا آخر من القبط ، فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس ، فعظم ذلك على موسى وقال له : ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ .

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ الضمير في ﴿أَرَادَ﴾ وفي ﴿يَبْطِشَ﴾ : لموسى ، وفي ﴿قَالَ﴾ : للإسرائيلي .

والمعنى : لما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له وللإسرائيلي ظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به ؛ إذ قال له : ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ ، فقال الإسرائيلي لموسى : ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ ؟

وقيل : الضمير في ﴿أَرَادَ﴾ للإسرائيلي ، والمعنى : فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش موسى بالقبطي ، ولم يفعل موسى ذلك ؛ لندامته على قتله للآخر بالأمس = فضحه الإسرائيلي ؛ فقال له : أتريد أن تقتلني ؟ ، فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون .

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ قيل : إنه مؤمن آل فرعون .

وقيل : غيره .

﴿يَسْعَى﴾ أي : يسرع في مشيه ؛ لِيُدرِكَ موسى فينصحه .

﴿إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون .

وقيل : يأمر بعضهم بعضًا بقتلك ، كما قتلت القبطي .



[﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَبَى يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَّابِعِ اسْتَفْجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرُ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحِكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (٢٨)].

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: قصد بوجهه ناحية مدين، وهي مدينة شعيب عليه السلام.

﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: وسط الطريق، يعني: طريق مدين؛ إذ كان قد خرج فاراً بنفسه، وكان لا يعرف الطريق، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام.

وقيل: أراد: سبيل الهدى.

وهذا أظهر.

ويدلُّ كلامه هذا على أنه كان عارفاً بالله قبل نبوته.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: وصل إليه، وكان بئراً.

﴿يَسْقُونَ﴾ أي: يسقون مواشيهم.

﴿أَمْرَاتَيْنِ﴾ روي: أن اسمهما: ليا وصُفُورِيا .

وقيل: صفراء وصُفِيرَاء .

﴿تَذُودَانِ﴾ أي: تمنعان الناس عن غنمهما .

وقيل: تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقي^(١) الناس، وهذا أظهر؛ لقولهما: ﴿لَا تَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي: كانت عادتهما أن لا يسقيا غنمهما إلا بعد الناس؛ لقوة الناس وضعفهما، أو لكراهتهما التزاحم^(٢) مع الناس .

﴿يُصْدِرُ﴾ بضم الياء وكسر الدال: فعل متعدّد، والمفعول محذوف، تقديره: حتى يُصْدِرَ الرعاء مواشيهم .

وقرئ بفتح الياء وضم الدال، أي: ينصرفون عن الماء .

﴿شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي: لا يستطيع أن يباشر سقي غنمه، وهذا الشيخ: هو شعيب عليه السلام في قول الجمهور .

وقيل: ابن أخيه .

وقيل: رجل صالح ليس من شعيب بنسب .

﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ أدركته شفقة عليهما فسقى غنمهما .

وروي أنه كان على فم البئر صخرة لا يرفعها إلا ثلاثون رجلاً، فرفعها وحده .

(١) في أ، ب، هـ: «يسقوا» .

(٢) في أ، ب، هـ: «للتزاحم» .

﴿تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ أي: جلس في الظل، وروي أنه كان ظلَّ سُمْرَةٍ.
 ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتُ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ طلب من الله ما يأكله، وكان قد اشتدَّ عليه الجوع.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ قَبْلَ هذا الكلام محذوف تقديره: فذهبتا إلى أبيهما سريعتين، وكانت عادتهما الإبطاء في السقي، فأخبرتا بما كان من سقي الرجل لهما، فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته، واختلف هل التي جاءته الصغرى أو الكبرى؟

﴿عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ﴾ رُوي: أنها سترت وجهها بكمِّ دِرْعِهَا.
 والمجرور يتعلق بما قبله.

وقيل: بما بعده، وهو ضعيف.

﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي: ذكر له قصته.

﴿لَا تَخَفْ﴾ أي: قد نجوت من فرعون وقومه؛ لأن بلد مدين لم يكن من ملك فرعون.

﴿أَسْتَجِرُّهُ﴾ أي: اجعله أجيرًا لك.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ هذا الكلام حكمة جامعة بليغة، وروي أن أباهما قال لها: من أين عرفت قوته وأمانته؟، قالت: أما قوته: ففي رفعه الحجر من فم البئر، وأما أمانته: فإنه لم ينظر إليها.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ﴾ زَوْجَه التي دعت، واختلف هل زَوْجَه الكبرى أو الصغرى؟

واسم التي زوّجه صَفُورَة، وقيل: صفوريا.

ومِن لَفْظِ شَعِيبٍ حَسَنٌ أَن يُقَالَ فِي عَقُودِ الْأَنْكَحَةِ: «أَنْكَحَهُ إِيَّاهَا» أَكْثَرَ مِنْ أَن يُقَالَ: «أَنْكَحَهَا إِيَّاهُ».

﴿عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِطٌ﴾ أَي: أُزَوِّجُكَ بِنْتِي عَلَى أَن تَخْدُمَنِي ثَمَانِيَةِ أَعْوَامٍ.

قال مكِّي: في هذه الآية خصائصُ في النكاح، منها: أنه لم يَعيِّن الزوجة، ولا حَدَّ أَوَّلِ الأمد، وجعل المهر إجارة^(١).

قلت: فأما التَّعْيِينُ فيَحْتَمِلُ أَن يَكُونَ عِنْدَ عَقْدِ النكاحِ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَاوِضَةِ، وَقَدْ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: إِنْ كَلَامُهُ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ عَقْدُ نِكَاحٍ، وَإِنَّمَا كَانَ مُوَاعِدَةً^(٢).

وأما ذكر أول الأمد؛ فالظاهر أنه من حين العقد.

وأما النكاح بالإجارة؛ فظاهرٌ من الآية، وقد قرَّره شرعنا حسبما ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ للرجل: «قد زوجتُكها على ما معك من القرآن»^(٣)؛ أَي: على أَن تَعْلَمَهَا مَا عِنْدَكَ^(٤) مِنَ الْقُرْآنِ.

وقد أجاز النكاح بالإجارة: الشافعي، وابن حنبل، وابن حبيب؛ للآية والحديث.

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي (٥٥٢٢/٨).

(٢) الكشف (٤٠/١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٢٩)، ومسلم (١٤٢٥).

(٤) في أ، ب: «معك».

ومنه مالك .

﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ جعل الأعوام الثمانية شرطًا ، ووكل العامَّين إلى مروءة موسى ، فوقَّي له العشر .

وقيل : وقَّي العشر وعشرًا بعدها ، وهذا ضعيف ؛ لقوله : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ﴾ أي : الأجل المذكور .



[فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَأَنهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرَّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَانْحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَلِكَ بُرْهَانُ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ بِآيَاتِهَا أَلَمْلَأْ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنَ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمُنُّ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطْعَمُ إِلَٰهَ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَطَنُوا أَنَّهُمْ إِلٰهِنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُذَكِّرُ إِلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾].

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ الأهل هنا : الزوجة ، مشى بها إلى مصر .

﴿جَذْوَةٍ﴾ أي : قطعة ، ويجوز كسر الجيم وفتحها وضمها .

وقد ذُكر ﴿ءَأَسَى﴾ ، و﴿الْطُّورِ﴾ ، و﴿تَصْطَلُونَ﴾^(١) .

﴿شَطِطِي الْوَادِ﴾ جانبه ، و﴿الْأَيْمَنِ﴾ صفةٌ للشاطئ ، وهو جانبه اليمين .

ويَحتمل أن يكون من اليُمْن ؛ فيكون صفةً للوادي .

﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ روي : أنها كانت عَوْسجة .

﴿جَانُّ﴾ ذُكر في «النمل»^(٢) .

﴿أَسْلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي : أدخلها فيه ، والجيب : هو فتح الجُبَّة من حيث يُخرج الإنسان رأسه .

﴿وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ الجناح : اليد ، أو الإبط و^(٣) العَضْد .

أمره الله لما خاف من الحية أن يضمَّه إلى جنبه ليخفَّ بذلك خوفه ؛ فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك في وقت فزعه أن يخفَّ خوفه .

وقيل : ذلك على وجه المجاز ، وأن المعنى : أنه أمرٌ بالعزم على ما أمر به ؛ كقولهم : «اشدُّ حيازيمك ، واربطْ جأشك» .

﴿مِنَ الرَّهَبِ﴾ أي : من أجل الرَّهَب ؛ وهو الخوف .

وفيه ثلاثة لغات : فتح الراء والهاء ، وفتح الراء وإسكان الهاء ، وضم الراء وإسكان الهاء .

﴿فَلَا يَنُكُّ بُرْهَانِ﴾ أي : حُجَّتَان ، والإشارة إلى العصا واليد .

(١) انظر الصفحات ٧٦ ، ٩٢ ، ٣٨٩ .

(٢) انظر صفحة ٣٩٠ .

(٣) في د : «و» .

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ يتعلّق بفعل محذوف يقتضيه الكلام.

﴿رِدًّا﴾ أي: مُعِينًا، وقرئ:

بالهمز.

وبغير همز:

على التسهيل من المهموز.

أو يكون من: أَرَدَيْتُ؛ أي: زدْتُ.

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ استعارة في المعونة.

﴿بِإِثْنَيْنَا﴾ يحتمل أن يتعلّق:

بقوله: ﴿وَنَجْعَلُ﴾.

أو بـ ﴿فَلَا يَصِلُونَ﴾.

أو بـ ﴿الْفَلِيلُونَ﴾.

﴿فَأَوْفَدَ لِي يَنْهَمُنُّ عَلَى الطِّينِ﴾ أي: اصنع الآجُرَّ؛ لبنان الصرح الذي رام

أن يصعد منه إلى السماء.

وروي أنه أول من عمل الآجُرَّ، وكان هامان وزير فرعون.

وانظر^(١) ضعف عقولهما وعقول قومهما، وجهلهم بالله تعالى في كونهم

طمعوا أن يصلوا إلى السماء بينان الصرح.

(١) في ج زيادة: «كيف».

وقد روي أنه عمله وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع إليه^(١) مخضوباً^(٢) بدم، وذلك فتنة له ولقومه وتهكُّم بهم.

ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ يعني: في دعوى الرسالة، والظن هنا يحتمل: أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين.

﴿أَيُّمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ﴾ أي: كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار.

﴿مِنَ الْمُقْبُوحِينَ﴾ أي: من المطرودين المبعدين.

وقيل: قُبِحَتْ وجوههم.

وقيل: قُبِحَ ما يفعل بهم وما يقال لهم.



(١) في أ، ب، هـ: «السهم».

(٢) في ج: «مخضَّباً».

[وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ لَفَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتَّبِعُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾] .

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ، والمراد به : إقامة حجة؛ لإخباره بحال موسى، وهو لم يحضره.

و﴿الْغَرْبِيِّ﴾ : المكان الذي في غرب الطور، وهو الذي كلم الله فيه موسى.

والأمرُ المقضيُّ إلى موسى هو النبوة.

و﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ معناه : من الحاضرين هنالك .

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ المعنى : لم تحضريا محمد على هذه الغيوب التي تخبر بها، ولكنها صارت إليك بوحينا، فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك، ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها، فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم، فكفروا بك .

وقيل : المعنى : لكننا أنشأنا قرونًا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر ، وطالت الفترة فأرسلناك على فترة من الرسل .

﴿ثَاوِيًا﴾ أي : مقيمًا .

﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ يعني : تكليم موسى ، والمراد بذلك : إقامة حجة محمد ﷺ ؛ لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرًا حينئذ .

﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً﴾ انتصب :

على المصدر .

أو على أنه مفعول من أجله ، والتقدير : ولكن أرسلناك رحمةً منا لك ^(١) و ^(٢) رحمةً للخلق بك .

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ «لولا» هنا : حرف امتناع ، و«لولا» الثانية : عَرَضٌ وَتَحْضِيضٌ .

والمعنى : لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل ، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار إليهم ، وإقامة الحجة عليهم ؛ لئلا يقولوا : ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني : القرآن ونبوة محمد ﷺ .

﴿قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أُوفِيَٰ مُوسَىٰ﴾ يعنون : إنزال الكتاب عليه من السماء جملةً واحدة ، وَقَلْبَ العصا حية ، وَقَلْقَ البحر ، وشبه ذلك .

(١) في أ ، ب ، هـ : «بك» .

(٢) في د : «أو» .

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ هذا ردُّ عليهم فيما طلبوه، والمعنى : أنهم كفروا بما أُوتِيَ موسى ؛ فلو آتينا محمداً مثل ذلك لكفروا به ، و﴿مِنْ قَبْلُ﴾ على هذا يتعلّق بقوله : ﴿أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ .

ويَحتمل أن يتعلّق بقوله : ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾ إن كانت الآية في بني إسرائيل .
والأول أحسن .

﴿قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ نَازِعٌ﴾ يعنون : موسى وهارون ، أو موسى ومحمداً ﷺ .

والضمير في ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾ وفي ﴿قَالُوا﴾ : لكفار قريش .

وقيل : لأبائهم .

وقيل : لليهود .

والأول أصح ؛ لأنهم المقصودون بالردِّ عليهم .

﴿فَأَتَوْا بِكِتَابٍ﴾ أمرٌ على وجه التعجيز لهم .

﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب محمد ﷺ .

﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ قد علم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبداً ، ولكنه ذكره بحرف «إِنْ» مبالغة في إقامة الحجة عليهم ، كقوله : ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة : ٢٤] .

﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُبْعِثُ أَهْوَاءُ هُمُ﴾ المعنى : إن لم يأتوا بكتابٍ فاعلم أن كفرهم عنادٌ واتباعٌ لأهوائهم ، لا بحجة ولا برهان .

[﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ ءَانْتَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا يُنْذِرُ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلَسَيِّئَةً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي الْجَنَاحِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٦٠﴾ وَقَالُوا إِن نَّبْتَغِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أََرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئِي إِلَيْهِ تَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٦٢﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْذِرُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٤﴾] .

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الضمير لكفار قريش .

وقيل : لليهود .

والأول أظهر ؛ لأن الكلام من أوله معهم .

و﴿الْقَوْلَ﴾ هنا : القرآن ، و﴿وَصَّلْنَا لَهُمُ﴾ :

أبلغناه^(١) لهم ؛ ليتذكروا به .

أو جعلناه موصولاً ببعضه ببعض .

﴿الَّذِينَ ءَانْتَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ يعني : مَنْ أسلم من اليهود .

(١) في أ، ب، هـ : «بلغناه» .

وقيل : النجاشي وقومه .

وقيل : نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ بمكة ، وهم
عشرون رجلاً ، فأمنوا به .

والضمير في ﴿قَبْلَهُ﴾ للقرآن .

وقولهم : ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ تعليلٌ لإيمانهم .

وقولهم : ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ بيانٌ لأن إسلامهم قديم ؛ لأنهم وجدوا
ذكر محمد ﷺ في كتبهم قبل أن يُبعث .

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة يُؤْتون أجرهم
مرتين : رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ ، ورجلٌ مملوكٌ
أدى حقَّ الله وحقَّ مواليه ، ورجلٌ كانت له أمةٌ فأعتقها وتزوّجها»^(١) .

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ يعني : صَبَرَهُمْ على إذاية قومهم لهم لما أسلموا ، أو غير
ذلك من أنواع الصبر .

﴿وَيَذَرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ أي : يدفعون .

ويَحْتَمَلُ أن يريد بالسيئة : ما يقال لهم من الكلام القبيح ، وبالحسنة : ما
يجابون به من الكلام الحسن .

أو يريد : سيئات أعمالهم وحسانتها^(٢) ، كقوله : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ
السَّيِّئَاتِ﴾ [مرد : ١١٤] .

(١) أخرجه البخاري (٣٠١١) ، ومسلم (١٥٤) .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «وحسانتهم» .

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ يعني : ساقط الكلام .

﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ هذا على وجه التبرّي والبعد من القائلين للغو .

﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ معناه هنا : المتاركة والمباعدة ، لا التحية .

أو كأنه سلام الانصراف والبعد .

﴿لَا تَنْبَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي : لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام .

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في أبي طالب ؛ إذ دعاه النبي ﷺ أن يقول عند موته : «لا إله إلا الله» ، فقال : «لولا أن يعيّرني بها قريش لأقررتُ بها عينك»^(١) ، ومات على الكفر ، ولفظ الآية مع ذلك على عمومه .

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ لفظ عام .

وقيل : أراد به : العباس بن عبد المطلب .

﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ القائلون لذلك : قريش ، وروى أن الذي قالها منهم : الحارث بن عامر بن نوفل .

﴿وَالْهُدَىٰ﴾ هو الإسلام ، ومعناه : الهدى على زعمك .

وقيل : إنهم قالوا : قد عَلِمْنَا أَنَّ الذي تقول حقٌّ ، ولكن إن اتبعناك تخطفتنا^(٢) العرب ؛ أي : أهلكونا بالقتال ؛ لمخالفة دينهم .

﴿أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ هذا ردٌّ عليهم فيما اعتذروا به من تخطف الناس لهم ، والمعنى : أن الحرم لا تعرّض له العرب بقتال ، ولا يمكن الله

(١) أخرجه مسلم (٢٥) .

(٢) في ب ، ج ، د : «تخطفنا» .

أحدًا من إهلاك^(١) أهله، فقد كانت العرب يُغيّر بعضهم على بعض، وأهل الحرم آمنون من ذلك.

﴿تُجَبِّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تُجلب إليه الأرزاق مع أنه وادٍ غير ذي زرع.

﴿بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ معنى ﴿بَطَرَتْ﴾: طغت وسفّحت.

و﴿مَعِيشَتَهَا﴾: نصبٌ:

على التفسير، مثل: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

أو على إسقاط حرف الجرّ، تقديره: بطرت في معيشتها.

أو يتضمّن ﴿بَطَرَتْ﴾ معنى: كفرت.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: قليلًا من السُّكنى، أو قليلًا من السّاكنين، أي: لم يسكنها بعد إهلاكها إلّا مارًا^(٢) على الطريق ساعة.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا﴾ أمّ القرى: مكة؛ لأنها أول ما خُلِق من الأرض، ولأن فيها بيت الله.

والمعنى: أن الله أقام الحجة على أهل القرى؛ بأن بعث محمدًا ﷺ في أم القرى، فإن كفروا أهلّكهم بظلمهم بعد البيان لهم، وإقامة الحجة عليهم.

﴿وَمَا أَوْتِنَهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية؛ تحقيرٌ للدنيا، وتزهيد فيها، وترغيب في الآخرة.

(١) في أ، ب: «هلاك».

(٢) في ب، ج «مارًا».

[﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَنَفِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (١١) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿١٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿١٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥﴾ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿١٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَظْلَامٍ فَتَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَظْلَامٍ تُصْرَبُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٥﴾].

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ﴾ الآية؛ إيضاح لما قبلها من البون^(١) بين الدنيا والآخرة.

والمراد بـ ﴿مَنْ وَعَدْنَاهُ﴾: المؤمنون، وبـ ﴿مَنْ مَنَعْنَاهُ﴾: الكافرون.

وقيل: محمد ﷺ وأبو جهل.

وقيل: حمزة وأبو جهل.

والعموم أحسن لفظاً ومعنى .

﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أي : من المحضرين في العذاب .

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ العامل في الظرف مضمر ، وفاعل ينادي : الله تعالى .

ويحتمل أن يكون نداؤه : بواسطة ، أو بغير واسطة^(١) .

والمفعول به : المشركون .

﴿أَيْنَ شُرَكَائِكَ﴾ توبيخٌ للمشركين ، ونسبهم إلى نفسه على زعمهم ؛ ولذلك قال : ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ، فحذف المفعول ، تقديره : تزعمون أنهم شركاء لي ، أو تزعمون أنهم شفعاء لكم .

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ معنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ : وجب عليهم العذاب ، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبرائهم .

والإشارة بقولهم : ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ إلى أتباعهم من الضعفاء .

فإن قيل : كيف الجمع بين قولهم : ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ وبين قولهم : ﴿تَبَرَّأْنَا

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراء حفظه الله : قول المصنف رحمه الله : + ويحتمل أن يكون نداؤه بواسطة أو بغير واسطة .

أقول : في هذا التردد نظر ؛ والصواب أنه ناداهم بغير واسطة ، وذلك لوجهين :
 ١- أنه إذا كان بغير واسطة كان حقيقة ، وإذا كان بواسطة كان مجازاً ، والأصل الحقيقة .
 ٢- أن تكليمه تعالى أو ندائه لمن شاء بلا واسطة ممكن ، ليس بممتنع ؛ بدليل أن الله تعالى كلم موسى بلا واسطة ، فقال : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فأكد الفعل بالمصدر للدلالة على الحقيقة . وأيضا : لو أراد أنه كلمه بواسطة لقيد ذلك ، مثل : كلمه بأن أرسل رسولا . ويؤيد ذلك ، أن تكليم موسى بواسطة ينافي اختصاص موسى بالتكليم ، فكلُّ الرسل كلمهم الله بواسطة الرسول من الملائكة . والله أعلم .

إِلَيْكَ ﴿١﴾ ؛ فَإِنَّهُمْ اعْتَرَفُوا بِإِغْوَائِهِمْ ، وَتَبَرَّؤُوا مَعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ؟

فالجواب : أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك .

والمعنى : أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه ، ولكن لم يكونوا يعبدوننا ، إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها ، ف تبرأنا إليك من عبادتهم لنا .

فتحصّل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا^(١) الضعفاء ، وتبرأوا من أن يكونوا هم آلهتهم ، فلا تناقض في الكلام ، وقد قيل في معنى الآية غير ذلك مما هو تكلفٌ بعيد .

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ فيه أربعة أوجه :

الأول : أن المعنى : لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا الأصنام .

والثاني : لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذبوا .

والثالث : لو أنهم كانوا يهتدون في الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب لفعلوها .

ف ﴿لَوْ﴾ على هذه الأقوال حرف امتناع ، وجوابها محذوف .

والرابع : أن يكون ﴿لَوْ﴾ للتمني ، أي : تمنّوا لو كانوا مهتدين .

﴿مَاذَا أَجَبْتُمْ﴾ أي : هل صدّقتم المرسلين أو كذّبتموهم ؟ .

﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ ﴿عَمِيَّتْ﴾ عبارة عن حيرتهم .

(١) في د : «أغروا» .

﴿الْأَنْبَاءُ﴾: الأخبار، أي: أظلمت عليهم الأمور؛ فلم يعرفوا ما يقولون.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضًا عن الأنباء؛ لأنهم قد تساؤوا في الحيرة والعجز عن الجواب.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ قيل: إن سببها استغراب قريش لاختصاص محمد ﷺ بالنبوة، فالمعنى: أن الله يخلق ما يشاء، ويختار لرسالته من يشاء من عباده.

ولفظها^(١) أعم من ذلك، والأحسن حمله على عمومته؛ أي: يختار ما يشاء من الأمور على الإطلاق، ويفعل ما يريد.

﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ الْخِيَرَةُ﴾ ﴿مَا﴾ نافية، والمعنى: ما كان للعباد اختيار؛ إنما الاختيار والإرادة لله وحده، فالوقف على قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾.

وقيل: إن ﴿مَا﴾ مفعولة بـ ﴿وَيَخْتَارُ﴾، ومعنى ﴿الْخِيَرَةُ﴾ على هذا: الخير والمصلحة، وهذا يجري على قول المعتزلة.

وذلك ضعيف؛ لرفع ﴿الْخِيَرَةُ﴾ على أنها اسم ﴿كَانَ﴾، ولو كانت ﴿مَا﴾ مفعولة لكان اسم ﴿كَانَ﴾ مضمراً يعود على ﴿مَا﴾، وكانت ﴿الْخِيَرَةُ﴾ منصوبة على أنها خبر ﴿كَانَ﴾.

وقد اعتذر عن هذا من قال: إن ﴿مَا﴾ مفعولة؛ بأن قال: تقدير الكلام:

(١) في أ، ب: «واللفظ».

يختار ما كان لهم الخيرة فيه، ثم حذف الجار والمجرور، وهذا ضعيف^(١).
وقال ابن عطية: يتجه أن تكون ﴿مَا﴾ مفعولة إذا قَدَرْنَا ﴿كَانَ﴾ تامةً،
ويوقف على قوله: ﴿مَا كَانَ﴾؛ أي: يختار كل كائن، ويكون ﴿لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾
جملةً مستأنفة^(٢). وهذا بعيد جدًا.

﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تخفيه قلوبهم، وعبر عن القلب
بالصدر؛ لأنه يحتوي عليه.

﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ قيل: إن الحمد في الآخرة: قولهم:
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤]، و^(٣) قولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

وفي ذكر ﴿الْأُولَى﴾ مع ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ مطابقة.

﴿سَرْمَدًا﴾ أي: دائماً.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف كَتَبَهُ: «(ما) نافية، والمعنى: ما كان للعباد
اختيار» إلخ، أقول: أصاب المؤلف في ترجيح أن (ما) نافية، وتضعيف القول بأنها
موصولة، وما أورده على القول الثاني من جهة إعراب (ما كان لهم الخيرة) صحيح،
وكذا ما يرد عليه من جهة المعنى، وهو أنه يلزم أن يكون المعنى: يختار ما فيه الخيرة
للعباد، وبهذا تمسك بعض المعتزلة في قولهم بوجوب فعل الأصلح على الله، كما أشار
إليه المؤلف، وقد اختار القول الأول كثير من المفسرين، وهو الصواب، وقد رجحه ابن
القيم من وجوه، فانظرها في زاد المعاد. والله أعلم.

(٢) المحرر الوجيز (٦/٦٠٦)، وقال: «معناها: تعديد النعمة عليهم في اختيار الله تعالى
لهم، لو قبلوا وفهموا».

(٣) في ج، د: «أو».

والمراد بهذه الآيات : إثبات الوحداية وإبطال الشرك .

فإن قيل : كيف قال : ﴿يَأْتِيَكُم بِضْيَاءٌ﴾ ، وهلا قال : «يأتيكم بنهار» في مقابلة قوله : ﴿يَأْتِيَكُم لَيْلٌ﴾ ؟

فالجواب : أنه ذكر الضياء ؛ لكثرة ما فيه من المنافع والعبر .

﴿لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي : في الليل ، ﴿وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار ، ففي الآية لفٌّ ونشْرٌ .

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي : أخرجنا من كل أمة شهيدا منهم يشهد عليهم بأعمالهم ، وهو نبيُّهم ؛ لأن كلَّ نبي يشهد على أمته .

﴿هَآؤُوا بُرْهَنَكُم﴾ أي : هاتوا حججكم على ما كنتم عليه من الكفر ، وذلك إعداؤُ لهم وتوبيخ وتعجيز .



[﴿٧٦﴾ إِنَّ قُلُوبَ كَاتٍ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَءَايَاتُهُ مِنْ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغَ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِينَ ﴿٧٧﴾] قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَآكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّتْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُلُوبُ ۖ إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظِيظٌ عَظِيمٌ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَاثُرُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾] .

﴿إِنَّ قُلُوبَ كَاتٍ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ أي: من بني إسرائيل، وكان ابن عم

موسى .

وقيل: ابن عمته .

وقيل: ابن خالته .

﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ أي: تكبر وطغى، ومن ذلك كفره بموسى ﷺ .

﴿وَأَيَاتُهُ مِنْ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ المفتح: هي التي يفتح

بها .

وقيل : هي الخزائن .

والأول أظهر .

والعصبة : جماعة الرجال من العشرة إلى الأربعين .

﴿لَنَنْوَأُ﴾ : معناه : تثقل ؛ يقال : ناء به الحِمل : إذا أثقله .

وقيل : معنى ﴿لَنَنْوَأُ﴾ : تنهض بتحامل وتكَلُّف ، والوجه على هذا أن يقال : إن العصبة تنوء بالمفاتح ، لكنه قُلِبَ ؛ كما جاء قُلِبُ الكلام عن العرب كثيراً .

ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول .

﴿لَا تَفْرَحْ﴾ الفرح هنا : الذي يقود إلى الإعجاب والطَّغيان ؛ ولذلك قال :
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ .

وقيل : إنه السُّرور بالدنيا ؛ لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن الآخرة ، ويدلُّ على هذا قوله : ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَيْنَاكُمْ﴾ [الحديد : ٢٣] .

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي : اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال ، وذلك بفعل الحسنات والصدقات .

﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي : لا تضيِّع حظَّك من دنياك ، وتمتَّع بها مع عملك للآخرة .

وقيل : معناه : لا تضيِّع عمرك بترك الأعمال الصالحات ، فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو ما يعمل فيها من الخير ، فالكلام على هذا : وعظ .

وعلى الأول : إباحة للتمتع بالدنيا ؛ لئلا ينفر عن قبول الموعظة .

﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى .

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ لما وعظه قومه أجابهم بهذا الجواب على وجه الرد عليهم ، والروغان عما ألزموه من الموعظة .

والمعنى: أن هذا المال إنما أعطاه الله لي بالاستحقاق له ؛ بسبب علم عندي استوجبته به .

واختلف في هذا العلم :

ف قيل : إنه علم الكيمياء .

وقيل : التجارب للأموال والمعرفة بالمكاسب .

وقيل : حفظه التوراة ، وهذا بعيد ؛ لأنه كان كافراً .

وقيل : المعنى : إنما أوتيته على علم من الله وتخصيص حصني به ، ثم جعل قوله : ﴿عِنْدِي﴾ كما تقول : في ظني واعتقادي .

﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ﴾ هذا رد عليه في اغتراره بالدنيا .

﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ يعني : جمعاً للمال .

أو جمعاً للخدام .

والأول أظهر .

﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ في معناه قولان :

أحدهما : أنه متصل بما قبله ، والضمير في ﴿ذُنُوبِهِمُ﴾ يعود على القرون

المتقدمة، و﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: مَنْ بعدهم؛ أي: لا يُسأل المجرمون عن ذنوب مَنْ تقدّمهم من الأمم الهالكة؛ لأن كل أحدٍ إنما يُسأل عن ذنوبه خاصة.

والثاني: أنه إخبارٌ عن حال المجرمين في الآخرة، وأنهم لا يُسألون عن ذنوبهم؛ لكونهم يدخلون النار من غير حساب.

والصحيح: أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويُسألون عنها لقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٦) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[الحجر: ٩٢ - ٩٣]؛ وإنما هذا السؤال المنفي: السؤال على وجه الاستخبار وطلب التعريف؛ لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه؛ لكن يُسألون على وجه التوبيخ.

وحيثما ورد في القرآن إثبات السؤال في الآخرة: فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ، وحيثما ورد نفيه: فهو على وجه الاستخبار والتعريف؛ ومنه قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (٣٩) [الرحمن: ٣٩].

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قيل: في ثياب حُمْرٍ.

وقيل: في عبيده وحاشيته.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَيَلْعَنُكُمْ﴾ زجرٌ للذين تمنوا مثل حال قارون.

﴿وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْاضْمِرُونَ﴾ الضمير عائد:

على الخصال التي دلّ عليها الكلام المتقدم، وهي الإيمان والعمل الصالح.

وقيل : على الكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم ؛ أي : لا تصدر الكلمة إلا عن الصابرين .

والصبر هنا : هو إمساك النفس عن الدنيا وزينتها .

﴿ فَحَسَفْنَا بِهٖ وَبِدَارِهٖ الْأَرْضَ ﴾ روي أن قارون لما بغى على بني إسرائيل وآذى موسى دعا موسى ﷺ عليه ، فأوحى الله إليه : قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه وفي أتباعه ، فقال موسى : «يا أرض خذهم» ، فأخذتهم إلى الرُّكْب فاستغاثوا بموسى فقال : «يا أرض خذهم» حتى تمَّ بهم الخسف .
﴿ مَكَانَهُمْ ﴾ أي : منزلته في المال والعزَّة .

﴿ بِالْأَمْسِ ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِهِ :

اليوم الذي قبل ذلك اليوم .

أو ما تقدَّم من الزمان القريب .

﴿ وَيَكَاذِبُ ﴾ مذهب سيبويه أَنَّ «وَيَ» حرفُ تنبيه ، ثم ذكرت بعدها «كَأَنَّ» والمعنى على هذا : أنهم تنبهوا لخطئهم في قولهم : ﴿ يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ ، ثم قالوا : «كَأَنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر» ؛ أي : ما أشبه الحال بهذا .

وقال الكوفيون : «ويك» هي : «ويلك» ، حذفت منها اللام ؛ لكثرة الاستعمال ، ثم ذكرت بعدها «أَنَّ» ، والمعنى : ألم تعلم أن الله .

وقيل : ﴿ وَيَكَاذِبُ ﴾ كلمة واحدة معناها : ألم تعلم .

﴿ عَلَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : تكبروا وطغياناً ، لا رفعة المنزلة ؛ فإن إرادتها جائزة .

[مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونْ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾].

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أنزله عليك وأثبتته.

وقيل: معناه: أعطاك القرآن.

والمعنى متقارب.

وقيل: فرض عليك أحكام القرآن، فهو على حذف مضاف.

﴿لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ المعاد: الموضع الذي يعاد إليه:

ف قيل: يعني مكة، ونزلت الآية حين الهجرة، ففيها وعدُّ بالرجوع إلى مكة وفتحها.

وقيل: يعني الآخرة؛ فمعناها: إعلامٌ بالحشر.

وقيل: يعني الجنة.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: ما كنت تطمع أن تنال النبوة، ولا أن ينزل عليك الكتاب، ولكن الله رحمك بذلك، أو رحم الناس بنبوتك.

والاستثناء بمعنى: «لكن»؛ فهو منقطع.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا ؛ والمعنى : ما أنزل عليك الكتاب إلا رحمةً من ربك لك أو للناس .

و﴿رَحْمَةً﴾ على هذا : مفعول من أجله ، أو حال .

وعلى الأول : منصوب على الاستثناء .

﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ :

من الدعاء بمعنى الرغبة .

أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله ؛ فالمفعول محذوفٌ على هذا ، تقديره : ادع الناس .

﴿وَلَا تَدْعُ﴾ أي : لا تعبد مع الله إلهاً آخر .

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ الآية ؛ أي : إلا إياه ، والوجه هنا عبارة عن الذات^(١) .



(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك في (١/٣٥٢) .

﴿سورة العنكبوت﴾

[الْعَمَّ ١] أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۚ ٢ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ ٣ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ ٤ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ٥ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ٦ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٧ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ٨ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ٩ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ١٠ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١١ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ١٢ ﴿الْعَمَّ ١٣﴾

﴿الْعَمَّ ١٣﴾ ذِكْرٌ فِي «البقرة» (١).

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ نزلت في قوم من المؤمنين، كانوا بمكة

مستضعفين، منهم عمار بن ياسر وغيره، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، فضاقت صدورهم بذلك، فأنسهم الله بهذه الآية، ووعظهم، وأخبرهم أن ذلك اختبار؛ ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى، والثبوت على الإيمان، وأعلمهم تعالى أن تلك سيرته في عباده، يُسلط الكفار على المؤمنين؛ ليمحّصهم^(١) بذلك، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب.

ولفظها مع ذلك عامٌ، فحكمها على العموم في كل من أصابته فتنة؛ من مصيبة أو مضرّة في النفس والمال وغير ذلك.

ومعنى ﴿حَسِبَ﴾ : ظَنَّ، و﴿أَنْ يُتْرَكُوا﴾ مفعولها، والهمزة للإنكار، ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ : في موضع الحال من الضمير في ﴿يُتْرَكُوا﴾ تقديره: غير مفتونين.

و﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ : تعليلٌ في موضع المفعول من أجله.

﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي: يعلم صدقهم علماً ظاهراً في الوجود، وقد كان علمه في الأزل.

والصدق والكذب في الآية يعني بهما: صحة الإيمان والثبوت عليه، أو ضد ذلك.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُونَا﴾ ﴿أَمْ﴾ معادلة لقوله: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ﴾.

(١) في د: «ليمتحنهم».

والمراد بـ ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ : الكفار الذي يعذبون المؤمنين .

ولفظها مع ذلك عامٌ في كل كافر وعاصٍ .

ومعنى ﴿يَسْقُونَا﴾ : يَفُوتُونَ عقابنا وَيُعْجِزُونَا .

فمعنى الكلام : نفى سبقهم ، كما أن معنى الآية قبلها : نفى ترك المؤمنين بغير فتنة .

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ الآية ؛ تسليّة للمؤمنين ، ووعدهم بالخير في الآخرة .

والرجاء هنا : على بابه .

وقيل : هو بمعنى الخوف .

و﴿أَجَلَ اللَّهِ﴾ الموت ، ومعنى ﴿لَأَتَّ﴾ قريب الإتيان ؛ فإن كل ما هو آتٍ قريب .

ومعنى الآية : من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا حتى يلقي الله فيجزيه ؛ فإن لقاء الله قريب .

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي : منفعة جهاده إنما هي لنفسه ؛ فإن الله لا تنفعه طاعة العباد .

والجهاد هنا يَحْتَمِلُ أن يراد به :

القتال .

أو جهاد النفس .

﴿حُسْنًا﴾ منصوبٌ بفعلٍ مضمَرٍ تقديره: وصينا الإنسان يفعل^(١) بوالديه حسناً.

أو مصدرٌ من معنى ﴿وَصَيْنَا﴾ أي: وصيةً حسنةً.

﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ الآية؛ نزلت في سعد بن أبي وقاص؛ فإنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظلَّ بظلِّ حتى يكفر.

وقيل: نزلت في غيره ممن جرى له مثل ذلك، فأمرهم الله بالثبوت على الإسلام، وأن لا يطيعوا الوالدين إذا أمروهم بالكفر. وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغةً.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ نزلت في قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم، فإذا عذبهم الكفار رجعوا عن الإيمان، فإذا نصر الله المسلمين قالوا: إنا كنا معكم.

فمعنى ﴿أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾: أُوذِيَ بسبب إيمانه بالله.

﴿وَفِتْنَةَ النَّاسِ﴾: تعذيبهم.

وقيل: نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخى أبي جهل لأمه.

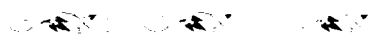
﴿أَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ أي: قال الكفار للمؤمنين: اكفروا كما كفرنا، ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان.

وروي: أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة. حكاه المهدوي^(٢).

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٢) انظر: التحصيل لفوائد كتاب التفصيل، لأبي العباس المهدوي (٥/١٨١).

وقولهم: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ﴾: جزاء قولهم: ﴿أَتَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر؛ للمبالغة، ولما كان معناه الخبر صحّ تكذيبهم فيه، فأخبر الله أنهم كاذبون؛ أي: لا يحملون أوزار هؤلاء، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفار.



[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٥﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْفِقُوا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا أَنشَأَ بِمُعْجِزَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَكْفُرُونَ بِرَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَنُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ فَتَأْمَنَ لَّهُمْ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرًا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾].

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ الظاهر : أنه لبث هذه المدة بعد

بعثه .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ وَلادته .

وروي أنه بعث وهو ابن أربعين سنة، وأنه عُمِّرَ بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة.

فإن قيل: لم قال ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾، ثم قال: ﴿خَمْسِينَ عَامًا﴾؛ فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟

فالجواب: أن ذلك كراهةٌ لتكرار لفظ السنة، فإن التكرار مكروه^(١) إلا إذا قُصِدَ به تفخيمٌ أو تهويلٌ.

﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾ يحتمل أن يعود الضمير:

على السفينة.

أو على النجاة.

أو على القصة بكمالها.

﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ﴾ هو من الخِلْقَة؛ يريد به: نَحَتَ الأصنام، فسماه خِلْقَةً على وجه التجوُّز.

وقيل: هو من اختلاق الكذب.

﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ الآية؛ احتجاجٌ على الوحدانية ونفي الشركاء.

فإن قيل: لم نكّر الرزق أوّلاً، ثم عرّفه في قوله: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾؟

فالجواب: أنه نكّره في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾؛ لقصد العموم في النفي، فإن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم، ثم عرّفه بعد ذلك لقصد

(١) في أ، ب، هـ: «يكروه».

العموم في طلب الرزق كله من الله ؛ لأنه لا يُقتضى العموم في سياق الإثبات إلا مع التعريف ؛ فكأنه قال : ابتغوا الرزق كله عند الله .

﴿وَلِنْ تُكَذِّبُوا﴾ الآية ؛ يحتمل أن تكون :

من كلام إبراهيم .

أو من كلام الله تعالى .

ويحتمل مع ذلك أن يراد به :

وعيد الكفار وتهديدهم .

أو يراد به تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له ؛ بالتأسي بغيره من الأنبياء ، الذين كذبهم قومهم .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ يقال : بدأ الله الخلق وأبدأه بمعنى واحد ، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة .

والمعنى : أولم ير الكفار أن الله خلق الخلق ؛ فيستدلون بالخلقة الأولى على الإعادة في الحشر؟ .

فقوله : ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ليس بمعطوف على ﴿يُبْدِئُ﴾ ؛ لأن المعنى فيهما مختلف ؛ لأن رؤية البداية بالمشاهدة ، بخلاف الإعادة ؛ فإنها تعلم بالنظر والاستدلال ، وإنما هو معطوف على الجملة كلها .

وقد قيل : إنه يريد إعادة النبات وإبدائه ، وعلى هذا يكون ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ عطفاً على ﴿يُبْدِئُ﴾ ؛ لاتفاق المعنى .

والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام .

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني : إعادة الخلق ، وهي حشرهم .
ثم أمرهم بالسير في الأرض ؛ ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته
على حشرهم ، ولذلك ختمها بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .
﴿وَالَّذِينَ تَقُولُونَ﴾ أي : ترجعون .
﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي : لا تقوتون من عذاب الله ، وليس لكم مهرب
في الأرض ولا في السماء .
﴿أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾ يحتمل :
أن يأسوا في الآخرة .
أو يكون وصفًا لحالهم في الدنيا ؛ لأن الكافر يائس^(١) من رحمة الله ،
والمؤمن راجٍ خائف .
وهذا الكلام من قوله : ﴿أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ﴾ إلى هنا :
يحتمل أن يكون خطابًا لمحمد ﷺ معترضًا بين قصة إبراهيم .
ويحتمل أن يكون خطابًا لإبراهيم ، وبعد ذلك ذكر جواب قومه له .
﴿مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ﴾ نصبُ المودة على أنها :
مفعولٌ من أجله .
أو مفعول ثانٍ لـ ﴿أَتَّخِذُكُمْ﴾ .

(١) في أ ، ب ، هـ : «يئس» .

ورفعُها على أنها :

خبر ابتداء مضمّر .

أو خبر «إنَّ»، وتكون «ما» موصولة .

ونصبُ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ : على الظرفية .

وخفضه : بالإضافة .

﴿فَقَامَنَ لَمْ لُوطٌ﴾ تَضَمَّنَ ﴿ءَامَنَ﴾ معنى : انقاد، ولذلك تعدَّى باللام .

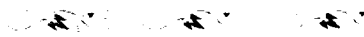
﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ القائل لذلك : إبراهيم .

وقيل : لوط .

وهاجرا من بلادهما بأرض بابل إلى الشام .

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ أكثرُ الأنبياء من ذرية إبراهيم، وعلى

ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والزيور والفرقان .



[﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتُونَ الْفَاحِشَةُ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٨] أَيْكُمْ لَأَنْتُونَ الرِّجَالُ وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَنْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِتًّا بِهِمْ وَضَافَكَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾].

﴿وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ﴾ قيل: أراد قطع الطرق ^(١) للسلب والقتل.

وقيل: أراد قطع سبيل النسل؛ بترك النساء وإتيان الرجال.

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ النادي: المجلس الذي يجتمع فيه الناس.

والمنكر: فعلهم بالرجال.

وقيل: إذايتهم للناس.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ الرسل هنا: الملائكة.

(١) في ج، د: «الطريق».

والبشرى:

بشارة إبراهيم بالولد، وهو وقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].
أو بشارته بنصر^(١) لوط.

والأول أظهر.

﴿أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ هي^(٢) قرية لوط.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ ليس إخبارًا بأنه فيها، وإنما قصد نجاة لوط من العذاب الذي يصيب أهل القرية، وبراءته من الظلم الذي وُصفوا به، فكأنه قال: كيف تهلكون أهل القرية وفيهم^(٣) لوط؟ وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط؟

﴿مِنَ الْغَافِرِينَ﴾ قد ذكر^(٤).

وكذلك ﴿سَيَاءَ يَوْمٍ﴾^(٥).

﴿رَجَزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: عذابًا.

(١) في ج، هـ: «بنصرة».

(٢) في أ، ب، هـ: «يعني».

(٣) في أ، ب، هـ: «وفيها».

(٤) انظر (٣٦٣/٢).

(٥) انظر (٦٠٢/٢).

[وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ
وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جُثَمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُرُوتَ وَفِرْعَوْنَ
وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَافِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ
وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ
الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾].

﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ قيل: الرجاء هنا: بمعنى الخوف.

وقيل: هو على بابه.

﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يعني: نفّسهم المكيال والميزان.

﴿الرَّجْفَةُ﴾ هي الصيحة.

﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ﴾ أي: أن آثار مساكنهم باقية، تدل على

ما أصابهم.

﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ قيل: معناه: لهم بصيرة في كفرهم وإعجاب به.

وقيل: لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا عنادًا.

وقيل : معنى : ﴿مُسْتَبْصِرِينَ﴾ عقلاء متمكّنين من النظر والاستدلال ، ولكنهم لم يفعلوا .

﴿وَمَا كَانُوا سَافِكِينَ﴾ أي : لم يَفُوتوا .

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ الحاصب : الحجارة .

والحاصب أيضًا : الريح الشديدة .

فَيَحْتَمِلُ عِنْدِي أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْمَعْنِيِّينَ ؛ لِأَنَّ قَوْمَ لُوطَ أَهْلَكُوا بِالْحِجَارَةِ ، وَعَادًا أَهْلَكُوا بِالرِّيحِ ، وَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ نَقَصَ ذِكْرَ الْآخَرِ ، وَقَدْ أَجَازَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ اسْتِعْمَالَ اللَّفْظِ الْوَاحِدِ فِي مَعْنِيَيْنِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، وَيَقْوَى ذَلِكَ هُنَا ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ ذِكْرُ عَمُومِ أَخَذِ أَصْنَافِ الْكُفَّارِ .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ يعني : ثمود ومدين .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني : قارون .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني : قوم نوح ، وفرعون وقومه .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾
شَبَّهَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ لِلْأَصْنَامِ بِالْعَنَكَبُوتِ فِي بِنَائِهَا بَيْتًا ضَعِيفًا ، فَكَمَا أَنَّ مَا اعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ الْعَنَكَبُوتُ مِنْ بَيْتِهَا لَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ كَذَلِكَ مَا اعْتَمَدَ^(١) عَلَيْهِ الْكُفَّارُ مِنْ آلِهَتِهِمْ لَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ .

﴿أَوْهَكَ الْبُيُوتَ﴾ أي : أضعفها .

(١) في ب ، د : «اعتمدت» .

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿مَا﴾ موصولة بمعنى: «الذي»، مفعولة للفعل الذي قبلها.

وقيل: هي نافية، والفعل معلق عنها، والمعنى على هذا: لستم تدعون من دون الله شيئاً له بال فيصلح أن يسمى شيئاً.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، لا على وجه العبث واللعب.



[﴿أَنْتُمْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٨﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَلِلَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَا كُنْتَ تَسْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزَبَ السَّعْطُ عَنْهُ لِيَنْتَ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾].

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ إذا كان المصلي خاشعاً في صلاته، متذكراً لعظمة من وقف بين يديه: حمّله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر؛ فكان الصلاة ناهيةً عن ذلك.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قيل فيه ثلاثة معانٍ:

الأول: أن المعنى: إن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها بذكر الله؛ لأن ذكر الله أعظم ما فيها، وكأنه أشار بذلك إلى تعليل نهياها عن الفحشاء والمنكر؛ لأن ذكر الله فيها هو الذي ينهي عن الفحشاء والمنكر.

الثاني: أن ذكر الله على الدوام أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة؛ لأنها في بعض الأوقات دون بعض.

الثالث: أن ذكر الله أكبر أجرًا من الصلاة ومن سائر الطاعات، كما ورد في الحديث: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم؟» قالوا: بلى قال: «ذكر الله»^(١).
﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم في الدين إلا بالتي هي أحسن، لا بضرب ولا قتال.

وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد، ثم نُسِخ بالسيف.
ومعنى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الذين ظلموكم، أو^(٢) صرّحوا بإذاية نبيكم ﷺ.
وقيل: معنى الآية: لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدّثوكم به من الأخبار إلا بالتي هي أحسن، ومعنى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ على هذا: من بقي منهم على كفره.
والمعنى الأول أظهر.

﴿وَقُولُوا آمَنَّا﴾ هذا وما بعده: يقتضي موادةً ومسالمة، وهي ومنسوخة بالسيف.

ويقتضي أيضًا: الأعراض عن مكالمتهم، وفي الحديث: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، فإن كان باطلاً لم تصدّقوهم، وإن كان حقاً لم تكذبوهم»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٢١٧٠٢)، (٢٢٠٧٩)، (٢٧٥٢٥)، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩١).

(٢) في ب، هـ: «و».

(٣) أخرجه أحمد (١٧٢٢٥) وأبو داود (٣٦٤٤)، وأخرجه البخاري (٤٤٨٥) بلفظ: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية».

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: كما أنزلنا الكتاب على من قبلك أنزلناه عليك.

﴿فَالَّذِينَ ءَايَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: عبد الله بن سلام وأمثاله ممن أسلم من اليهود والنصارى.

﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أراد بالذين أوتوا الكتاب: أهل التوراة والإنجيل، وأراد بقوله: ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ كفار قريش.

وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب: المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل، وأراد بـ ﴿هَؤُلَاءِ﴾: المعاصرين لمحمد ﷺ منهم، كعبد الله بن سلام.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاء بالقرآن.

فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿يَسْمِينَا﴾؟

فالجواب: أن ذلك تأكيد للكلام، وتصوير للمعنى المراد.

﴿إِذَا لَازَ تَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرق الشك إلى الكفار، فكانوا^(١) يقولون: لعله تعلم هذا الكتاب أو قرأه.

وقيل: وجه الاحتجاج: أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفاً للصفة التي وصفه الله بها عندهم.

والمذهب الصحيح: أن رسول الله ﷺ لم يقرأ قط ولا كتب.

(١) في ج، د: «وكانوا».

وقال الباجي^(١) وغيره: إنه كتب؛ لظاهر حديث الحديبية، وهذا القول ضعيف.

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ﴾ الضمير للقرآن، والإضراب بـ ﴿بَلْ﴾ عن كلام محذوف تقديره: ليس الأمر كما حَسِبَ المبطلون والظالمون.

﴿أُولَئِكَ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أُنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ المعنى: كيف يطلبون آيةً والقرآن الكريم أعظم الآيات، وأوضحها دلالة على صحة النبوة؛ فهلاً اكتفوا به عن طلب الآيات!.



(١) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٩٤هـ)، وله رسالة في هذه المسألة أسماها «تحقيق المذهب من أن النبي ﷺ قد كتب»، وجرت له في ذلك قصة، انظرها في: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٥٤٠)، الديباج المذهب لابن فرحون (١/٣٨٠).

[﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَأِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ
وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَبْعَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾] .

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ ذكر معناه في «الرعد»^(١)، وفي «الأنعام»^(٢) .

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير للكفار، يعني: قولهم: ﴿أَتَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا﴾
[الأعراف: ٧٧]، وقولهم: ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وشبه
ذلك .

﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لولا أن الله قدّر لعذابهم أجلاً مسمى
لعاجلهم^(٣) به حين طلبوه .

(١) انظر (٢/ ٦٩٠) .

(٢) انظر (٢/ ٢٤٩) .

(٣) في أ، ب: «الفاجاهم» .

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ:

القتلَ الذي أصابهم يوم بدر.

أو الجوع الذي أصابهم بتوالي القحط.

أو يريد عذاب الآخرة، وهذا أظهر؛ لقوله: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾ أي: يحيط بهم.

والعامل في الظرف: محذوف، أو ﴿لَمُحِيطَةٌ﴾.

﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ تحريضٌ على الهجرة من مكة؛ إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفار، وترغيبٌ في غيرها من أرض الله، فحينئذ هاجروا إلى أرض الحبشة، ثم إلى المدينة.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ أي: ننزلهم.

وقرئ: ﴿نُؤْوِنَهُمْ﴾ بالثاء المثلثة من الثَّوَاء^(١) وهو الإقامة في المنزل.

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي: كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها، ولكن الله يرزقها مع ضعفها.

والقصد بالآية: تقوية لقلوب المؤمنين؛ إذ خافوا الجوع والفقر في الهجرة إلى بلاد الناس، أي: كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتكم من بلدكم^(٢).

(١) في ج، د: «الثوى».

(٢) في د، هـ: «بلادكم».

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ في الموضوعين : إقامة حجة عليهم .

﴿فَأَنَّا يُؤْفَكُونَ﴾ أي : كيف يُصَرَفُونَ عن الحق .

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد الله على ظهور الحجة .

أو يكون المعنى : إلزامهم أن يحمداوا الله لما اعترفوا أنه خلق السموات والأرض .

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إضرابٌ عن كلام محذوف تقديره : يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به ؛ ولكنهم لا يعقلون .



[﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوَ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ٦٤ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ ٦٥ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٦٦ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَبُخْطَفُ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَا لِنَطِلَ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ ٦٧ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ ٦٨ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٦٩﴾].

﴿لَهِىَ الْحَيَوَانُ﴾ أي: الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ ﴿الْحَيَوَانُ﴾ مصدرٌ، كالحياء.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ﴾ الآية؛ إقامة حجة عليهم بدعائهم لله حين الشدائد، ثم يشركون به في حال الرخاء.

﴿لِيَكْفُرُوا﴾ أمرٌ:

على وجه التهديد.

أو على وجه الخذلان والتخلية، كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحك: «اعمل ما شئت».

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ الضمير لكفار قريش، والحرم الآمن: مكة؛ لأنها كانت لا تُغَيَّر عليها العرب كما تغير على سائر البلاد، ولا ينتهك أحد حرمتها.

﴿وَبُخْطَفُ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتل وأخذ الأموال.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ يعني : جهاد الأنفس من الصبر على إذابة الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك .

وقيل يعني : القتال ، وذلك ضعيف ؛ لأن القتال لم يكن مأمورًا به حين نزول الآية .

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي : لنوفقنهم لسُبل^(١) الخير .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المعنى : إنه معهم بإعانتة ونصره .



(١) في أ : «لسيل» .

﴿سورة الروم﴾

[﴿الْم ١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَىٰ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾] .

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾﴾ أي : هُزِمَ كَسْرَى ملكُ الفرس جيشَ ملكِ الروم .

وسُمِّيَتِ الروم باسمِ جدِّهم ، وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم .

﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ قيل : هي الجزيرة ، وهي بين الشام والعراق ، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس .

وقيل : في أدنى أرض العرب منهم ، وهي أطراف الشام .

﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ إخبارٌ بأن الروم سيغلبون الفرس (بعد أن غلبهم الفرس)^(١).

﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ البضع: ما بين الثلاث إلى التسع.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ رُوي: أن غَلَبَ الروم لفراس^(٢) وقع يوم بدر، وقيل: يوم الحديبية؛ ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش. وقيل: فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس؛ لأن الروم أهل كتاب، فهم أقرب إلى الإسلام، وكذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم؛ لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب، فهم أقرب إلى كفار قريش.

وروي أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: إن نبينا ﷺ قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون، وراهنهم على عشرة قِلاص إلى ثلاث سنين، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له رسول الله ﷺ: «زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل»، فجعل القلاص مئة، والأجل تسعة أعوام، وجعل معه أبي بن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر الله به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبي بن خلف؛ إذ كان قد مات، وجاء بها إلى النبي ﷺ فقال له: «تصدق بها»^(٣).

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدرٌ مؤكَّد، كقولك: «له علي ألف درهم عُرقًا»؛ لأن

(١) سقط من أ، ب.

(٢) في د: «للفرس».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٥١/١٨).

معناه: اعترفت^(١) له بها اعترافاً .

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾ قيل: معناه: يعلمون ما يُدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول؛ فهم في ذلك مثل البهائم .

وقيل: الظاهر: ما يُعلم بأوائل العقول، والباطن: ما يُعلم بالدليل والنظر .

وقيل: هو من^(٢) الظهور بمعنى: العلو في الدنيا .

وقيل: ظاهرٌ بمعنى: زائلٌ ذاهبٌ .

والأظهر أنه أراد بالظاهر: المعرفة بأموال الدنيا ومصالحها؛ لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضي عدم معرفتهم بها .

وانظر كيف نفى العلم عنهم أولاً، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة .

وقال بعض أهل البيان: إن هذا من المطابقة؛ لاجتماع النفي والإثبات .

وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم؛ لقلّة منفعته، فهو على هذا بيانٌ للنفي .

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن تكون النفس ظرفاً للفكرة في خلق السموات والأرض؛

كأنه قال: أولم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السموات والأرض إلاّ بالحق .

(١) في د، هـ: «أعترف» .

(٢) في أ، ب: «بمعنى» .

والثاني : أن يكون المعنى : أولم يتفكروا في ذواتهم وخلقهم ؛ ليستدلوا بذلك على الخالق ، ويكون قوله : ﴿ مَا خَلَقَ ﴾ الآية استئناف كلام .
والمعنى الأول أظهر .

﴿ وَأَنَارُوا الْأَرْضَ ﴾ أي : حرثوها .
﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَ ﴾ معنى ﴿ السُّوْءَ ﴾ : هلاك الكفار .
ولفظ ﴿ السُّوْءَ ﴾ تأنيث الأسوأ ، كما أن الحسنى تأنيث الأحسن .
وقرئ ﴿ عَاقِبَةُ ﴾ :

بالرفع على أنه اسم ﴿ كَانَ ﴾ ، و﴿ السُّوْءَ ﴾ خبرها .
وقرئ بنصب ﴿ عَاقِبَةُ ﴾ على أنها خبر ﴿ كَانَ ﴾ ، و﴿ السُّوْءَ ﴾ اسمها .
و﴿ أَن كَذَّبُوا ﴾ مفعول من أجله .
ويحتمل أن تكون ﴿ السُّوْءَ ﴾ مصدر : ﴿ اسْتَوُوا ﴾^(١) .



(١) في أ، ب، هـ : «أساء».

[﴿اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾].

﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾: الإبلas: الكون في شرٍّ مع اليأس من الخير.

﴿يُنْفِرُونَ﴾: معناه: في المنازل والجزاء.

﴿يُحْبَرُونَ﴾: يُنْعَمُونَ^(١)؛ من الحبور، وهو السرور والنعيم.

وقيل: يكرمون.

﴿فَسَبِّحْنَ اللَّهَ﴾: هذا تعليمٌ للعباد؛ أي: قولوا «سبحان الله» حين تمسون وحين تصبحون، وعشيًّا وحين تُظْهِرون؛ أي: حين تدخلون في وقت الظهيرة وهو وسط النهار.

وقوله: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: اعتراضٌ بين المعطوفات.

وقيل: أراد بذلك الصلوات الخمس، ف﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: الصبح، ﴿وَعَشِيًّا﴾: العصر، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: الظهر.

(١) في أ، ب، هـ: «يتنعمون».

﴿يُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ ذُكِرَ فِي «آلِ عِمْرَانَ»^(١).

﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ﴾ أَي: يُنْبِتُ فِيهَا النَّبَاتَ.

﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ﴾ أَي: كَمَا يَخْرِجُ اللَّهُ النَّبَاتَ مِنَ الْأَرْضِ، كَذَلِكَ
يَخْرِجُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ لِلْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.



(١) انظر (١/٥٢٧).

[وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلْقَ الْإِنسَانِ وَالْوَنَكْرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَإِنِاعَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ لَّهُ قَلْبٌ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾].

﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ أي: تتصرفون^(١) في الدنيا.

﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: من صنفكم وجنسكم.

وقيل: أراد خَلْقَ حواء من ضِلَعِ آدم، وخاطب الناس بذلك؛ لأنهم ذرية آدم.

﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ قيل: المودة: الجماع، والرحمة: الولد.

والعموم أحسن وأبلغ.

﴿وَأَخْلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي: لُغَاتكم.

﴿وَالْوَنَكْرَ﴾ يعني: البياض والسواد.

(١) في د: «تصرفون».

وقيل : يعني : أصنافكم .

والأول أظهر .

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ذكر في «الرعد»^(١) .

﴿أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ معناه : تثبت أو يقوم تدبيرها^(٢) .

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿إِذَا﴾ :

الأولى : شرطية .

والثانية : فجائية ، وهي جواب الأولى .

والدعوة في هذه الآية :

قوله للموتى : قوموا .

أو النفخة الثانية في الصور .

و﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ يتعلق :

بقوله : ﴿تَخْرُجُونَ﴾ .

أو بقوله : ﴿دَعَاكُمْ﴾ ؛ على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعو ؛ كقولك :

«دعوتك من الجبل» إذا كان المدعو في الجبل .

﴿فَلْيَنبُؤْاْ﴾ ذكر في «البقرة»^(٣) .

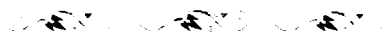
(١) انظر (٢/٦٧٥) .

(٢) في ج ، د : «تدبرها» ! .

(٣) انظر (١/٣٥٣) .

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلق الأولي، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث؛ فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثاني مرة، ولكن الأمور كلها متساوية عند الله؛ فإن كل شيء على الله يسير^(١).

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الوصف الأعلى الذي يصفه به أهل السموات والأرض.



(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ: قول المصنف ﷺ: «هذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث» إلخ، أقول: يريد أن أفعال التفضيل ليس على حقيقته؛ فليس المعنى أن الإعادة أيسر على الله من البدء - الخلق الأول - لأن قدرته تعالى على الأشياء واحدة، والأشياء بالنسبة لقدرته تعالى سواء، فليس شيء منها أيسر على الله من شيء، وإنما ذكر أفعال التفضيل تقريبا للمخاطبين؛ لأن المستقر في عقولهم أن الإعادة أهون من البدء، وهذا توجيه صحيح، وفي الآية توجيه آخر صحيح أيضا؛ وهو أن أفعال التفضيل على غير بابه، أي: ليس المقصود منه المفاضلة بين شيئين، بل المراد إثبات الوصف، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: هيّن عليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. والله أعلم.

[﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَن تَر فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٨) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (٢٩) فَأَقْهَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) مِّنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣٢) وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُّبِينًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٤) أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٥) وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سِنَةٌ أَوْ بَدَتِ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (٣٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٧) فَتَابَ ذَا الْقُرْنَىٰ حَقًّا وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ حَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٨) وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّتَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيئُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (٣٩) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾].

﴿هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ﴾ هذا هو المثل المضروب، ومعناه: أنكم أيها الناس لا يشارككم عبيدكم في أموالكم، ولا يستوون معكم في أحوالكم، فكَذَلِكَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يشارك عبده في ملكه، ولا يماثله أحد في ربوبيته، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفي، ودخل في النفي قوله: ﴿فَأَن تَر فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لستم في

أموالكم سواءً مع عبيدكم، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم؛ لأن العبيد عندكم أقلُّ وأذلُّ من ذلك.

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ الإضراب بـ ﴿بَلِ﴾ عما تَضَمَّنَه معنى الآية المتقدمة، كأنه يقول: ليس لهم حجة في إشراكهم بالله؛ بل اتبعوا في ذلك أهواءهم بغير علم.

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ هو دين الإسلام.

وإقامة الوجه في الموضعين من السورة: عبارة عن الإقبال عليه والإخلاص فيه.

وفي قوله: ﴿فَأَقْمْ﴾، و﴿الْقِيَمِ﴾ ضربٌ من ضروب التَّجَنُّسِ.

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ منصوبٌ على المصدر: كقوله: ﴿صَبَغَةَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٨].

أو مفعولٌ بفعل مضمر تقديره: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله.

ومعناه: خلقة الله، والمراد به: دين الإسلام؛ لأن الله خلق الخلق عليه، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة، وإنما كفر من كفر لعارضيٍّ أخرجه عن أصل فطرته، كما قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه..»^(١).

﴿لَا بَدِيلَ لِمَخْلَقِ اللَّهِ﴾ يعني بـ ﴿لِمَخْلَقِ اللَّهِ﴾: الفطرة التي فطر الناس عليها من الإيمان.

ومعنى أن الله لا يبدلها: أنه لا يخلق الناس على غيرها، ولكن يبدلها

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

شياطين الإنس والجن بعد الخَلْقَة الأولى .

أو يكون المعنى : أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدّلوها ؛ فالنفي على هذا حكمٌ لا خبر .

وقيل : إنه على الخصوص^(١) في المؤمنين ؛ أي : لا تبديل لفطرة الله في حق مَنْ قضى الله أنه يثبت على إيمانه .

وقيل : إنه نهى عن تبديل خلقه الله ، كخِصَاء الفحول من الحيوان ، وقطع آذانها وشبه ذلك .

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ منصوبٌ على الحال من قوله : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ وَجْهَكَ﴾ ؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ ، والمراد : هو وأمته ، ولذلك جمعهم في قوله : ﴿مُنِيبِينَ﴾ .

وقيل : هو حال من ضمير الفاعل المستتر في : «الزموا فطرة الله» .

وقيل : هو حال من قوله : ﴿فَطَرَ النَّاسَ﴾ ، وهذا بعيد .

﴿وَأَتَّقُوهُ﴾ وما بعده : معطوفٌ :

على ﴿أَفَرَأَيْتُمْ وَجْهَكَ﴾ .

أو على العامل في ﴿فَطَرَ اللَّهُ﴾ ، وهو «الزموا» المضمّر .

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ المجرور بدلٌ من المجرور قبله .

ومعنى ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ : جعلوه فِرَقًا ؛ أي : اختلفوا فيه .

(١) في ج ، د : «إنه خصوص» .

وقرى: ﴿فَارْقُوا﴾ من المفارقة؛ أي: تركوه.

والمراد بالمشركين هنا: أصناف الكفار.

وقيل: هم المسلمون الذي تفرّقوا فِرَقًا مختلفة، ففي لفظ ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ هنا تجوُّزٌ بعيد، ولعلَّ قائل هذا القول إنما قاله في قول الله في «الأنعام»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾؛ فإنه ليس هناك ذكر المشركين.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ﴾ الآية؛ إنحاءً على المشركين؛ لأنهم يدعون الله في الشدائد ويشركون به في الرخاء.

﴿لِيَكْفُرُوا﴾ ذكر في «العنكبوت»^(١).

﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعةٌ بمعنى: «بل» والهمزة.

والسلطان: الحجة، وكلامه مجازٌ، كما تقول: نطق الكتاب بكذا، والمعنى: ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ إنحاءً على مَنْ يفرح ويبطر إذا أصابه الخير، ويقنط إذا أصابه الشر.

وانظر كيف قال هنا ﴿وَإِذَا﴾، وقال في الشر: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ لأن «إذا» للقطع بوقوع الشرط، بخلاف «إن»؛ فإنها للشك في وقوعه، ففي ذلك إشارة إلى أن الخير الذي يصيب به عباده أكثر من الشر.

﴿بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ المعنى: أن ما يصيب الناس من المصائب فإنه بسبب ذنوبهم.

﴿فَكَاتِذَا الْفَرَقَيْنِ حَقَّقُ﴾ يعني: صلة رحم القرابة؛ بالإحسان والموادة، ولو بالكلام الطيب.

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّتَرْبُوْا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ الآية؛ معناها كقوله: ﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتُ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، أي: ما أعطيتكم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله، وما آتيتكم من الصدقات فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به.

وقيل: المراد: أن يهب الرجل للرجل أو يهدي له ليعوضه أكثر من ذلك، فهذا وإن كان جائزاً فإنه لا ثواب فيه.

وقرئ: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا﴾:

بالمد: بمعنى أعطيتكم.

وبالقصر: يعني: جئتم به؛ أي: فعلتموه.

وقرئ: ﴿لِّتَرْبُوْا﴾ بالتاء المضمومة، و﴿لِّتَرْبُوْا﴾ بالياء مفتوحة ونصب الواو.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ المضعِف: ذو الإضعاف من الحسنات.

وفي هذه الجملة التفات؛ لخروجه من الخطاب إلى الغيبة، وكان الأصل أن يقال: «وما آتيتكم من زكاة فأنتم المضعفون».

وفيها أيضاً حذف؛ لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى «ما»، وتقديره: «المضعفون به»، أو: «فمؤتوه هم المضعفون».

[ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي
عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلَ كَانَ
أَكْثُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَنِينِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ
يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَنْ ءَايَنَاهُ أَنْ
يُرْسِلَ الرِّيحَ مُمْسِكَتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْزِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَءَاءَوْهُمْ بِالْإِيتِنِ فَلَانْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ
أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ
فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْسِيتٍ
﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ
الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾].

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ قيل: البر: البلاد البعيدة من البحر،
والبحر: هو البلاد التي على ساحل البحر.

وقيل: البر: اللسان، والبحر: القلب، وهذا بعيد.

والصحيح: أن البر والبحر هما المعروفان، وظهور الفساد في البر:
بالقحط والفتن وشبه ذلك، وظهور الفساد في البحر: بالغرق وقلة الصيد
وكساد التجارات وشبه ذلك، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر
والعصيان.

﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي: لا رجوع له، ولا بد من وقوعه.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق:

بقوله: ﴿يَأْتِي﴾.

أو بقوله: ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي: لا يرده الله.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ من الصَّدْعِ، وهو الفُرْقَةُ؛ أي: يتفرون فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿فَلَا أَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يُوطَّئون، وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه.

والمعنى: أنهم يعملون ما ينتفعون به في الآخرة.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق:

بـ ﴿يَمْهَدُونَ﴾.

أو ﴿يَصْدَعُونَ﴾.

أو بمحذوف.

﴿مُبَشِّرٍ﴾ أي: تبشّر بالمطر.

﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ عطف على ﴿مُبَشِّرٍ﴾؛ كأنه قال: لِيُبَشِّرَكُمْ وليذيقكم.

ويحتمل أن يتعلق بمحذوف تقديره: لِيُذِيقَكُمْ من رحمته أرسلها.

﴿وَكَاكَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ انتصب ﴿حَقًّا﴾ لأنه خبر «كان»، واسمها ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقيل : اسمها مضمير يعود على مصدر ﴿أَنْقَمْنَا﴾ ، أي : وكان الانتقام حقًا ، فعلى هذا : يوقف على ﴿حَقًّا﴾ ، ويكون ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مبتدأ ، وهذا ضعيف .

﴿فَثِيرٌ سَحَابًا﴾ أي : تحرّكها وتنشرها .

﴿كِسَفًا﴾ أي : قِطْعًا ، وقرئ بإسكان السين ، وهما بناءان للجمع .

وقيل : معنى الإسكان : أن السحاب قطعة واحدة .

﴿الْوَدَفُ﴾ هو المطر .

﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ الخلال : الشّقاق التي بين بعضه وبعض ؛ لأنه متخلّل الأجزاء ، والضمير يعود على السحاب .

﴿مَنْ قَبْلِهِ﴾ كرر للتأكيد ، ليفيد سرعة تقلّب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار .

﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ أي : قانطين ، كقوله : ﴿يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوهُ﴾ [الشورى : ٢٨] .

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ الضمير للنبات الذي ينبته الله بالمطر .

والمعنى : لئن أرسل الله ريحًا فاصفرّ بها النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله .

وقيل : الضمير للريح .

وقيل : للسحاب .

والأول أحسن في المعنى .

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ الآية ؛ استعارة في عدم سَمْع الكفار للمواعظ والبراهين ، فشبه الكفار بالموتى في عدم إحساسهم .



[﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥٤) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِثَّتْهُمْ بَايَةٌ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٦٠)].

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ الضعف الأول: كون الإنسان من ماء مهين، وكونه ضعيفاً في حال الطفولية.

والضعف الأخير: هو الهرم.

وقرئ بفتح الضاد وضمها، وهما لغتان.

﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه: أنهم يحلفون أنهم ما لبثوا في القبور تحت التراب إلا ساعة.

أو: ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة، وذلك لاستقصارهم تلك المدة.

﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي: مثل هذا الصرف كانوا يُصرفون في الدنيا عن الصدق والتحقيق؛ حتى يروا الأشياء على ما هي عليه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون، ردوا مقالة الكفار التي حلفوا عليها.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يعني: اللوح المحفوظ أو علم الله، والمجرور على هذا يتعلق بقوله: ﴿لَيَنْتُنَّ﴾.

وقيل: يعني: القرآن، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله: ﴿أَوْتُوا الْعِلْمَ﴾، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره على هذا: قال الذين أتوا العلم في كتاب الله؛ أي: العلماء بكتاب الله.

وقولهم: ﴿لَقَدْ لَيَنَّتُمْ﴾ خطابٌ للكفار.

وقولهم: ﴿فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ﴾ تقريرٌ لهم، وهو في المعنى جوابٌ لشرط مقدر تقديره: إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العُتْبَى: بمعنى الرضا؛ أي: لا يُرْضَوْنَ، وليست «استفعل» هنا للطلب.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني: ما وعد من النصر على الكفار.

﴿وَلَا يَسْخَفَنَّكَ﴾ من الخِفَّة؛ أي: لا تضطرب لكلامهم.

﴿ سورة لقمان ﴾

[﴿الْم ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاطٌ فَجَسَدُ بَعْدَ أَلْسِمِ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَن تَعِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾].

﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ذِكْرٌ فِي «يونس»^(١).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ هو الغناء، وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال: «شراء المغنيات وبيعهن حرام»، وقرأ هذه الآية^(٢).

وقيل: نزلت في قريشيٍّ اشترى جارية مغنية تغني بهجاء رسول الله ﷺ، فالشراء على هذا: على حقيقته.

(١) انظر (٢/٥٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢١٦٩)، والترمذي (١٢٨٢)، وابن ماجه (٢١٦٨).

وقيل : نزلت في النضر بن الحارث ، وكان قد تعلّم أخبار فارس ، فذلك هو لهو الحديث ، وشراء لهو الحديث : استحبابه وقوله وسماعه ، فالشراء على هذا : مجاز .

وقيل : ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾ : الطّيل .

وقيل : الشرك .

ومعنى اللفظ يعم ذلك كلّهُ .

وظاهر الآية : أنه لهو مضاف إلى كفر واستخفاف بالدين ؛ لقوله : ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية ، وأن المراد شخص معين ؛ لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف .

﴿يَغْيِرُ عَمَدٍ تَرْوَنَهَا﴾ ذكر في «الرعد»^(١) .

﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ أي : لثلا تميد .

(١) انظر (٢/٦٦٧) .

[وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٧﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَىٰ الْوَصِيرِ ﴿١٩﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَنَزَّلَ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾ يَبْنَىٰ أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٢٤﴾].

﴿لُقْمَانُ﴾ رجلٌ ينطق بالحكمة، واختلف هل هو نبيٌّ أم لا؟

وفي الحديث: «لم يكن لقمان نبياً، ولكن عبداً حسن اليقين، أحبَّ الله فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة»^(١).

وروي أنه كان ابن أخت أيوب أو ابن خالته.

وروي أنه كان قاضي^(٢) بني إسرائيل.

(١) لم أقف على إسناده، وذكره الثعلبي (٣١٩/٤) وابن عطية (٤٤/٧) في تفسيرهما،

وقالا: «وقال ابن عمر رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لم يكن لقمان نبياً... إلخ».

(٢) في ب: «قاضياً في».

واختلف في صناعته :

فقليل : نجارٌ .

وقيل : خياط .

وقيل : راعي غنم .

وكان ابنه كافراً فما زال يوصيه حتى أسلم .

وروي أن اسم ابنه ثاران .

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هذه الآية والتي بعدها اعتراضٌ في أثناء وصية لقمان لابنه ؛ على وجه التأكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بالله . ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص وأمه ؛ حسبما ذكرنا في «العنكبوت»^(١) .

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي : ضعفاً على ضعف ؛ لأن الحمل كلما عظم ازدادت الحامل به ضعفاً .

وانتصاب ﴿وَهْنًا﴾ بفعل مضمر تقديره : تَهْنُ وَهْنًا .

﴿وَفِصْلُهُ﴾ أي فطامه ، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرضاع .

﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾ تفسيرٌ للوصية واعتراضٌ بينها وبين تفسيرها بقوله : ﴿وَفِصْلُهُ﴾ في عامين ؛ ليبين ما تكابده الأم بالولد ؛ مما يوجب عظيم حقها ، ولذلك كان حقها أعظم من حق الأب .

(١) انظر صفحة ٤٦٢ .

﴿يَبْنِي﴾ الآية؛ رَجَعَ إلى كلام لقمان، والتقدير: وقال لقمان يا بني.
 ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: وزنها، والمراد بذلك: أن الله يأتي بالقليل والكثير من أعمال العباد؛ فعَبَّر بحبة الخردل ليدلَّ على ما هو أكثر.
 ﴿فِي صَخْرَةٍ﴾ قيل: المراد: الصخرة التي عليها الأرض، وهذا ضعيف.
 وإنما معنى الكلام: أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء ولو^(١) كانت في أخفى موضع كجوف صخرة: فإن الله يأتي بها يوم القيامة، وكذلك لو كانت في السموات أو في الأرض.

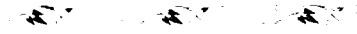
﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ أمرٌ بالصبر على المصائب عموماً.
 وقيل: المعنى: ما يصيب من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر.
 ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ يَحْتَمِلُ أن يريد:
 مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب.
 أو من مكارم الأخلاق التي يعزم عليها أهل الحزم والجِدِّ.
 ولفظ العزم مصدرٌ يراد به المفعول؛ أي: من معزومات الأمور.
 ﴿وَلَا تُصَاعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ الصَّعَرَ في اللغة: الميل؛ أي: لا تولِّ الناس خَدَّكَ، وتعرض عنهم تكبراً عليهم.
 ﴿مَرَحًا﴾ ذكر في «الإسراء»^(٢).

(١) في أ، هـ: «لو».

(٢) انظر (٨٠٧/٢).

﴿مُخَالٍ﴾ من الخيلاء.

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: اعتدل فيه، فلا تُسرع^(١) إسراعًا يدلُّ على الطيش، والخِفَّةَ، ولا تبطئ^(٢) إبطاءً يدلُّ على النُّخوة والكبر.



(١) في أ، ب زيادة: «فيه».

(٢) في ب زيادة: «فيه».

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ٢٠] وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُو كَان الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمْنُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾].

﴿نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ الظاهرة: الصحة والمال وغير ذلك، والباطنة: النعم التي لا يطلع عليها الناس، ومنها: ستر قبيح الأعمال.
وقيل: الظاهرة: نعم الدنيا، والباطنة: نعم العقبى.
واللفظ أعم من ذلك كله.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأمثاله.
﴿أَوَّلُو كَان الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ معناه: أتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار؟!.

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ﴿يُسَلِّمْ﴾ أي: يخلص، أو يستسلم وينقاد.
والوجه هنا عبارة عن المقصد^(١).

﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ ذكر في «البقرة»^(٢).

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وما بعده ذكر في العنكبوت.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ الآية؛ إخبار بكثرة كلمات الله،
والمراد: اتساع علمه.

ومعنى الآية: أن شجر الأرض لو كانت أقلاماً، والبحر لو كان مداداً
يصب فيه سبعة أبحر صباً دائماً، وكُتبت بذلك كلمات الله: لَنَفِدَتِ الْأَشْجَارُ
وَالْبَحَارُ وَلَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُ اللَّهِ؛ لأن الأشجار والبحار متناهية، وكلمات الله
غير متناهية.

فإن قيل: لم لم يقل: «والبحر مداد» كما قال في «الكهف»: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ
الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩]؟

فالجواب: أنه أغنى عن ذلك قوله: ﴿يَمْدُدُّ﴾؛ لأنه من قولك: مَدَّ الدَّوَاةَ
وأمدّها.

فإن قيل: لم قال: ﴿مِنْ شَجَرَةٍ﴾ ولم يقل: «من شجر» باسم الجنس الذي
يقتضي العموم؟

(١) في أ: «القصد».

(٢) انظر (١/٤٧٧).

فالجواب : أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرة شجرة ؛ حتى لا يبقى منها واحدة .

فإن قيل : لم قال ﴿ كَلِمَتُ اللَّهِ ﴾ ولم يقل : «كَلِمُ الله» بجمع الكثرة ؟
فالجواب : أن هذا أبلغ ؛ لأنه إذا لم تَنفَدِ الكلمات مع أنها جمع قلة ، فكيف ينفد الجمع الكثير .

وروي أن سبب الآية : أن اليهود قالوا : قد أوتينا التوراة وفيها العلم كله ، فنزلت الآية ؛ لتدل أن ما عندهم قليلٌ من كثير ، والآية على هذا مدنية .
وقيل : إن سببها : أن قريشاً قالوا : إن القرآن سَيَفْذُ .

﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنٍ وَحِدَةٍ ﴾ بيان لقدرة الله على بعث الناس ، وردُّ على من استبعد ذلك .

﴿ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ أي : يُدْخِلُ كُلَّ واحدٍ منهما في الآخر ؛ بما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر .

أو بإدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل .

﴿ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يعني : يوم القيامة .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ ﴾ يحتمل أن تكون الباء :

سببية .

أو يكون المعنى : ذلك شاهدٌ بأن الله هو الحق .

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٣٢) يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُوعًا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤)].

﴿بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد بذلك :

ما تحمله السفن من الطعام والتجارات ، فتكون الباء : للإلصاق أو للمصاحبة .

أو يريد الريح ، فتكون الباء سببية .

﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ مبالغة في صابرٍ وشاكر .

﴿كَالظُّلُلِ﴾ جمع ظُلة ، وهو ما يعلوك من فوق ، وشبه الموح بذلك إذا ارتفع وعظم حتى علا فوق الإنسان .

﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ المقتصد : المتوسط في الأمر ، فيحتمل أن يريد :

كافراً متوسطاً في كفره لم يسرف فيه .

أو مؤمناً متوسطاً في إيمانه ؛ لأن الإخلاص الذي كان عليه في البحر يزول عنه .

وقيل : معنى ﴿مُقْتَصِدٌ﴾ : مؤمنٌ ثبت في البرِّ على ما عاهد الله عليه في البحر .

﴿خَتَارٍ﴾ أي: غدار شديد الغدر، وذلك أن جَحَدَ نعمة الله غدرٌ.
 ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ أي: لا يقضي^(١) عنه شيئاً، والمعنى: أنه لا ينفعه، ولا يدفع عنه مضرةً.
 ﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ أي: ولدٌ، فكما لا يقدر الولد لوالده على شيء، كذلك لا يقدر الوالد لولده على شيء.
 ﴿الْعَرُورُ﴾ الشيطان.
 وقيل: الأمل والتسويق.
 ﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: متى تكون الساعة^(٢)؛ فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه، ولذلك جاء في الحديث: «مفاتيح الغيب خمس» وتلا هذه الآية^(٣).
 ﴿مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ يعني: من خيرٍ أو شرٍ، أو مالٍ أو ولدٍ، أو غير ذلك.



(١) في ب: «لا يغني».

(٢) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٣٩)، ومسلم (١٠).

﴿سورة السجدة﴾

[﴿الْم ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ
بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا
لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ
يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ
جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي
خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾].

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ يعني: القرآن.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك أنه من عند الله ﷻ.

ونفي الريب على اعتقاد أهل الحق، وعلى ما هو الأمر في نفسه، لا على
اعتقاد أهل الباطل.

﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يتعلق بـ ﴿تَنْزِيلُ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ الضمير لقريش و﴿أَمْ﴾ بمعنى : «بل» والهمزة.

﴿لِنُنْذِرَ﴾ يتعلق :

بما قبله .

أو بمحذوف .

﴿مَا أَنْتَهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعني : في الفترة من زمان عيسى ، وقد جاء الرسلُ قبل ذلك ، كإبراهيم وغيره ، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا ينذرهم ؛ ليقيم الحجة عليهم .

﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد ذكر في «الأعراف»^(١) .

﴿مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِّن وَلِيٍّ وَلَا مُشَفِّعٍ﴾ نفى الشفاعة على وجهين :

أحدها : الشفاعة للكفار ، وهي معدومة على الإطلاق .

والآخر : أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلا بإذن الله ، كقوله : ﴿مَا مِّن شَفِيعٍ إِلَّا مِّنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس : ٣] .

﴿يُذِيرُ الْأَمْرَ﴾ أي : واحد الأمور .

وقيل : المأمور به من الطاعات .

والأول أصح .

﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي : ينزل ما دبره^(٢) وقضاه من السماء إلى الأرض .

(١) انظر (٢/٣٤٩) .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «يدبره» .

﴿ثُمَّ يَرْجُحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس : المعنى : يُنْفِذُ الله قضاءه من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا ، مقداره لو سِيرَ فيه السِيرُ المعروف من البشر ألف سنة ؛ لأن ما بين السماء والأرض خمس مئة عام ، فالألف : ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء .

وقيل : إن الله يُلقِي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر ، وهو يوم من أيام الله ، فإذا فَرَّغَتْ أَلْقَى إِلَيْهِمْ مثلها ، فالمعنى : أن الأمور تَنْفُذُ عنده لهذه المدة ، ثم تصير إليه آخِرًا ؛ لأن عاقبة الأمور إليه ، فالعروج على هذا : عبارة عن مصير الأمور إليه .

﴿عَلَيْهِمُ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ﴾ الغيب : ما غاب عن المخلوقين ، والشهادة : ما شاهدوه .

﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أي : أتقن جميع المخلوقات .

وقرئ ﴿خَلَقَكُمْ﴾ - بإسكان اللام - على البدل .

﴿وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ﴾ يعني : آدم عليه السلام .

﴿نَسْلُهُ﴾ يعني : ذريته .

﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ يعني : المني ، والسلالة : مشتقة من سَلَّ يُسَلُّ ؛ فكان الماء يُسَلُّ من الإنسان .

والمهين : الضعيف .

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي : قوّمه .

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ عبارة عن إيجاد الحياة فيه .

وإضافة الروح إلى الله إضافة ملكٍ إلى مالك .

وقد يراد بها الاختصاص ؛ لأن الروح لا يعلم كُنْهه إلا الله^(١) .

﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي : تَلَفْنَا وصرنا ترابًا .

ومعنى هذا الكلام المحكي عن الكفار : استبعادٌ للبعث .

والعامل في ﴿إِذَا﴾ : معنى قولهم : ﴿أَوْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ؛ تقديره : نُبْعَثُ؟ .

﴿يَتَوَقَّنُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ اسمه : عزرائيل ، وتحت يده ملائكة .



(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف ﷻ : ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ عبارة عن إيجاد الحياة فيه ، إلخ ، أقول : يريد المصنف أن النفخ في آدم من الروح عبارة عن إيجاد الحياة فيه ، وهذا تأويلٌ للنفخ ، فيظهر منه أنه لا يُثبت إضافة النفخ إلى الله ، ولا موجب للعدول عن ظاهر القرآن ؛ فالله تعالى أضاف نفخ الروح في آدم إلى نفسه المقدسة في ثلاثة مواضع ؛ في سورة الحجر ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ ١٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ ﴿١٩﴾ ، وقال في سورة ص : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ ٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ، وقال في السجدة : ﴿ثُمَّ سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ ، أي : الإنسان الذي بدأه من طين ، وهو آدم ، كما في آيتي الحجر وص ، وعليه فالنفخ من أفعال الله تعالى التي تكون بمشيئته سبحانه ؛ فهو تعالى ينفخ فيما شاء ما شاء كيف شاء . والله أعلم .

[﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (٧) ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣) ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَكُمُ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤) ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) ﴿نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨) ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٠) ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢١) ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ (٢٢)].

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يحتمل أن تكون «لو»:

للتمني، وتأويله في حق الله كتأويل الترجي، وقد ذكر^(١).

أو تكون للامتناع، وجوابها محذوف تقديره: لو ترى حال المجرمين في الآخرة لرأيت أمراً مهولاً.

﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ عبارة عن الذل والغم والندم.

﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ تقديره: يقولون: ربنا قد عملنا الحقائق.

(١) انظر المادة (٢٩٨) في اللغات.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ يعني: أنه لو أراد أن يهدي جميع الخلق لفعل؛ فإنه قادرٌ على ذلك، بأن يجعل الإيمان في قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات، ولكن يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء.

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا، والنسيان هنا: بمعنى الترك.

﴿نَسَجَافٍ جُتُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أي: ترتفع، والمعنى: يتركون مضاجعهم بالليل؛ من كثرة صلاتهم للنوافل.

ومن صلى العشاء والصبح في جماعة فقد أخذ بحظه^(١) من هذا.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ يعني: أنه لا يعلم أحدٌ مقدار ما يُعطيهم الله من النعيم.

وقرئ ﴿أُخْفِيَ﴾ بإسكان الياء، على أن يكون فعل المتكلم، وهو الله تعالى.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ الآية؛ يعني: المؤمنين والفاستقين على العموم.

وقيل: يعني: علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط.

﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿الَّتِي﴾ نعتٌ للعذاب، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكر في قوله: ﴿بِهِ﴾.

فإن قيل: لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير، ووصف في «سبأ» النار وأعاد عليها الضمير، فقال: ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: ٤٢]؟

(١) في ب، هـ: «بحظه».

فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه خصَّ العذاب في السجدة بالوصف اعتناءً به ، لما تكرر ذكره في قوله : ﴿ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ .

الثاني : أنه تقدَّم في «السجدة» ذكرُ النار ، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير ، لكنه جعل الظاهر مكان المضمّر ، فكما لا يوصف المضمّر لم يوصف ما قام مقامه وهو النار ، فوصف العذاب ولم يصف النار .

الثالث : - وهو الأقوى - : أنه امتنع في السجدة وصفُ النار ؛ فوصف العذاب ، وإنما امتنع وصفها ؛ لتقدُّم ذكرها ، فإنك إذا ذكرت شيئاً ثم كرّرت ذكره لم يجز وصفه ، كقولك : «رأيت رجلاً فأكرمت الرجل» ، فلا يجوز وصفه ؛ لئلا يُفهم أنه غيره .

﴿ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ ﴾ يعني : الجوع ومصائب الدنيا .

وقيل : القتل يوم بدر .

وقيل : عذاب القبر ، وهذا بعيد ؛ لقوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾ هذا وعيدٌ لمن ذكّر بآيات ربه فأعرض عنها .

وكان الأصل أن يقول : «إنا منه منتقمون» ، ولكنه وضع ﴿ الْمُجْرِمِينَ ﴾ موضع المضمّر ؛ ليصفهم بالإجرام .

وقدّم المجرور على ﴿ مُنْقِمُونَ ﴾ للمبالغة .

[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُوا مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾].

﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾: المرية: الشك، والضمير لموسى؛ أي: لا تشك في لقاءك موسى ليلة الإسراء.

وقيل: المعنى: لا تشك في لقاء موسى للكتاب^(١) الذي أنزل عليه، والكتاب على هذا: التوراة.

وقيل: الكتاب هنا: جنس، والمعنى: لقد آتينا موسى الكتاب، فلا تشك أنت في لقاءك للكتاب^(٢) الذي أنزل عليك، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب، كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَلْفَقَى الْفُرَاتِ﴾ [النمل: ٦].

﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾: الضمير: لجميع الخلق.

وقيل: لبني إسرائيل خاصة.

(١) في أ، ب، هـ: «الكتاب».

(٢) في أ، ب، هـ: «الكتاب».

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ ذكر في «طه»^(١).

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ الضمير في ﴿يَمْشُونَ﴾ لأهل مكة؛ أي: يمشون في مساكن القوم المهلكين، كقوله: ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

وقيل: الضمير للمهلكين؛ أي: أهلكناهم وهم يمشون في مساكنهم. والأول أحسن؛ لأن فيه حجة على أهل مكة.

﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ يعني: التي لا نبات فيها من شدة العطش.

﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحِ﴾ أي: الحكم بين المسلمين والكفار في الآخرة.

وقيل: يعني: فتح مكة، وهذا بعيد؛ لقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾ وذلك في الآخرة^(٢)؛ لأن من آمن يوم فتح مكة نفعه إيمانه. ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف.

﴿وَأَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ أي: انتظر هلاكهم إنهم ينتظرون^(٣) هلاكك، وهذا^(٤) تهديد لهم.

(١) انظر (١٢٥/٣).

(٢) في أ، ب زيادة: «وقيل: يعني: فتح مكة» وهي زيادة مقحمة لا معنى لها.

(٣) في ب، د، هـ: «منتظرون».

(٤) في أ، ب، هـ: «وفي هذا».

﴿ سورة الأحزاب ﴾

[﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ أَنَّ اللَّهَ وَلَا تُطِيعَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ①﴾ وَأَتَّبِعَ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ②﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ③﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الَّتِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ④﴾ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ⑤﴾ الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ مِنْ بَعْضِهِمْ أُولَىٰ بَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ⑥﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ⑦﴾ لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ⑧﴾].

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ﴾ نداء فيه تكريم له ؛ لأنه ناداه بالنبوة ، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم .

﴿أَتَىٰ اللَّهَ﴾ أي : دُم على التقوى ، وزد منه .

﴿وَلَا تُطِيعَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي : لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة .

ويعني بـ ﴿الْكَافِرِينَ﴾ : المظهرين للكفر، وبـ ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ : الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر.

وروي أن ﴿الْكَافِرِينَ﴾ هنا : أبيُّ بن خلف، و﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ هنا : عبد الله ابن أبي بن سلول.

والعموم أظهر.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ قال ابن عباس : كان في قريش رجل يقال له : ذو القلبين ؛ لشدة فهمه ، فنزلت الآية نفيًا لذلك .

ويقال : إنه ابن خطلٍ .

وقيل : جميل بن معمر .

وقيل : إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفي ؛ أي : كما لم يجعل الله لرجلٍ من ^(١) قلبيين في جوفه ، كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أديعاءكم أبناءكم .

﴿الَّتِي تَطَّهَّرُونَ مِنْهُنَّ﴾ أي : تقولون للزوجة : «أنتِ عليّ كظهر أمي» ، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم ، وسيأتي حكمه في «المجادلة» .

وإنما تعدَّى هذا الفعل بـ «مِنْ» لأنه تَضَمَّنَ ^(٢) معنى : يتباعدون ^(٣) مِنْهُنَّ .

(١) لم ترد في ج ، د ، هـ .

(٢) في أ ، ب : «يتضمن» .

(٣) في هـ : «تباعدون» .

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ الأَدْعِيَاءُ جمع دَعِيَ، وهو الذي يُدْعَى ولدَ فلان وليس بولده.

وسببها: أَمْرُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وذلك أَنَّهُ كَانَ فَتًى مِنْ كَلْبٍ، فَسَبَّاهُ بَعْضُ الْعَرَبِ وَبَاعَهُ مِنْ خَدِيجَةَ، فَوَهَبَتْهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَتَبَنَّاهُ؛ فَكَانَ يُقَالُ لَهُ: «زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ» حَتَّى أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ﴾ الإِشَارَةُ:

إِلَى نِسْبَةِ الدَّعِيِّ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ.

أَوْ إِلَى كُلِّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْمَنْفِيَّاتِ.

وقوله: ﴿يَأْفَوَاهُكُمْ﴾ تَأْكِيدٌ لِبَطْلَانِ الْقَوْلِ.

﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ الضَّمِيرُ لِلأَدْعِيَاءِ، أَي: انْسُبُوهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ الَّذِينَ وَلَدُوهُمْ.

﴿الَّذِينَ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يَقْتَضِي: أَنْ يُحِبُّوه ﷺ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَأَنْ يَنْصُرُوا دِينَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْصُرُونَ أَنْفُسَهُمْ.

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ حُرْمَةَ الْأُمّهَاتِ؛ فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِهِنَّ وَوُجُوبِ مَبْرَئَتِهِنَّ، وَلَكِنْ أَوْجِبَ حُجْبَهُنَّ عَنِ الرِّجَالِ.

﴿وَأَوَّلُوا الْأَزْوَاجَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ هَذَا نَسْخٌ لِمَا كَانَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ مِنَ التَّوَارِثِ بِأَخَوَةِ الْإِسْلَامِ وَبِالْهَجْرَةِ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهَا فِي «الْأَنْفَالِ»^(١).

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ: الْقُرْآنَ، أَوِ اللُّوْحَ الْمَحْفُوظَ.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ:

بَيَانًا لِأُولَى الْأَرْحَامِ.

أَوْ يَتَعَلَّقُ بـ ﴿أُولَى﴾؛ أَي: أُولُوا الْأَرْحَامِ أُولَى بِالْمِيرَاثِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَيْسُوا بِذَوِي أَرْحَامِ.

﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا﴾ يَرِيدُ: الْإِحْسَانَ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِقَرَابَةِ، وَنَفَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ، وَالْوَصِيَّةَ لَهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ؛ فَذَلِكَ جَائِزٌ، وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا قَرَابَةِ، وَأَمَّا الْمِيرَاثُ فَلِلْقَرَابَةِ خَاصَّةٌ.

وَاخْتَلَفَ: هَلْ يَعْنِي الْأَوْلِيَاءُ الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً، أَوِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ؟

﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، أَوِ اللُّوْحَ الْمَحْفُوظَ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ هُوَ الْمِيثَاقُ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالْقِيَامِ بِالشَّرَائِعِ.

وَقِيلَ: هُوَ الْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ حِينَ أَخْرَجَ بَنِي آدَمَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ كَالذَّرِّ.

وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَخْتَصُّ بِالْأَنْبِيَاءِ.

﴿وَمِنَاكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ قَدْ دَخَلَ هَؤُلَاءِ فِي جُمْلَةِ النَّبِيِّينَ، وَلَكِنَّهُ خَصَّصَهُمْ^(١)

بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا لَهُمْ، وَقَدَّمَ مُحَمَّدًا ﷺ تَفْضِيلًا لَهُ.

﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ يَعْنِي: الْمِيثَاقَ الْمَذْكُورَ، وَإِنَّمَا كَرَّرَهُ: تَأْكِيدًا، وَلِيَصِفَهُ

(١) فِي ج، د: «خَصَّصَهُم».

بأنه غليظٌ؛ أي: وثيق ثابت يجب الوفاء به.

﴿لَيْسَ لَ الصَّدِيقِينَ﴾ اللام تحتمل أن تكون لام «كي»، أو لام الصيرورة.

والصدق هنا يحتمل أن يكون:

الصدق في الأقوال.

أو الصدق في الأفعال والعزائم.

ويحتمل أن يريد بـ ﴿الصَّدِيقِينَ﴾: الأنبياء، أو غيرهم من المؤمنين.



[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَّاهَلُ بِرَبِّ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا ذُبُرًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَةِ جَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾].

﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة غزوة الخندق.

والجنود المذكورة: هم قريش ومن كان معهم من الكفار، وسماهم الله في هذه السورة الأحزاب، وكانوا نحو عشرة آلاف، حصروا المدينة، وحفر رسول الله ﷺ الخندق حولها؛ ليمنعهم من دخولها.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ أرسل الله عليهم ريح الصَّبا، فأطفأت نيرانهم وأكفأت^(١) قدورهم، ولم يُمكنهم معها قرارًا، فانصرفوا خائبين.

﴿وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكة.

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي: حصروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها.

وقيل: معنى ﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ أهل نجد؛ لأن أرضهم فوق المدينة، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أهل مكة وسائر تهمامة.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: مالت عن مواضعها، وذلك عبارة عن شدة الخوف.

﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حَنْجَرَةٍ: وهي الحلق، وبلوغ القلب^(٢) إليها مجازٌ وعبارة عن شدة الخوف.

وقيل: بل هو حقيقة؛ لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف، فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة.

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾ أي: تظنون أن الكفار يغلبونكم، وقد وعدكم الله بالنصر عليهم.

فأما المنافقون فظنوا ظن السوء وصرَّحوا به.

وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خواطر مما لا يمكن للبشر دفعها،

(١) في ب: «وَأَكْبَتْ».

(٢) في أ، هـ: «القلوب».

ثم استبصروا ووثقوا بوعد الله .

وقرأ نافع ﴿الْظُّنُونَا﴾ و﴿الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: ٦٦] ، و﴿السَّيْلَا﴾ [الأحزاب: ٦٧] بالألف في الوصل وفي الوقف .

وقرئ بإسقاطها في الوصل والوقف ، وبإثباتها في الوقف دون الوصل .
فأما إسقاطها : فهو الأصل .

وأما إثباتها : فلتعديل رؤوس الآي ؛ لأنها كالقوافي ، وتقتضي هذه العلة أن تثبت في الوقف خاصة .

وأما من أثبتها في الحالين : فإنه أجرى الوصل مُجَرَى الوقف .

﴿هَٰذَاكَ أَتَى الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي : اختبروا ، أو أصابهم بلاء .

والعامل في الظرف : ﴿أَتَى﴾ .

وقيل : ما قبله .

﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أصل الزلزلة : شدة التحريك ، وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب .

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ روي أنه يعني : مُعْتَب بن قُشَيْر .

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ قال السهيلي : الطائفة تقع على الواحد فما فوقه ، والمراد هنا : أوس بن قيطي^(١) .

﴿يَتَأْهَلْ يَثْرَبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ يثرب : اسم المدينة .

(١) التعريف والإعلام ، للسهيلي (ص : ٢٥٥) .

وقيل: اسم البقعة التي المدينة في طرف منها.
﴿مَقَامٌ﴾ اسم مَوْضِع من القيام؛ أي: لا قرار لكم هنا، يعنون مَوْضِع القتال.

وقرئ بالضم، وهو اسم موضع من الإقامة.
وقولهم: ﴿فَارْجِعُوا﴾ أي: إلى منازلكم بالمدينة، ودعوا القتال.
﴿وَيَسْتَفِذْنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّيَّ﴾ أي: يستأذنه^(١) في الانصراف.
والمستأذن: أوس بن قضي وعشيرته.
وقيل: بنو حارثة.

﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي: منكشفة للعدو.
وقيل: خالية للسراق.
فكذبهم الله في ذلك.
﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: لو دُخِلَتْ عليهم المدينة من جهاتها.
﴿ثُمَّ سِيلُوا الْفِتْنَةَ﴾ يريد بالفتنة: الكفر أو قتال المسلمين.
﴿لَا تَوَّهَا﴾ قرئ بالقصر بمعنى: جاؤوا إليها.
وبالمد بمعنى: أعطوها من أنفسهم.
﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ الضمير للمدينة.
﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ دخلت «قد» على الفعل المضارع لمعنى التهديد.

(١) في ب: «يستأذنه».

وقيل : للتقليل على وجه التهكم .

﴿الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ أي : الذين يعوقون الناس عن الجهاد ، ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم .

﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ هم المنافقون الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد ، كانوا يقولون لقرابتهم أو للمنافقين مثلهم : «هلمَّ إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك^(١) القتال» .

وقد ذكر ﴿هَلُمَّ﴾ في «الأنعام»^(٢) .

﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ البأس : القتال .

و﴿قَلِيلًا﴾ :

صفة لمصدر محذوف تقديره : إِلَّا إِتْيَانًا قَلِيلًا .

أو مستثنى من فاعل ﴿يَأْتُونَ﴾ ، أي : إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ .

﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ ﴿أَشْحَةً﴾ جمع شحيح :

فقليل : معناه : يَشْحُونُ بأنفسهم فلا يقاتلون .

وقيل : يشحون بأموالهم .

وقيل : معناه أشحة عليكم في وقت الحرب ، أي : يشفقون عليكم أن تُقْتَلُوا^(٣) .

(١) في د : «واتركوا» .

(٢) انظر (٣١٧/٢) .

(٣) في أ ، ب : «يقتلوا» .

وَنَضُبُّ ﴿أَشِحَّةً﴾ :

على الحال من ﴿وَالْقَائِلِينَ﴾ ، أو ﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾ ، أو من الضمير في ﴿يَأْتُونَ﴾ .
أو نضُبُّ على الذم .

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي : إذا اشتدَّ الخوف من الأعداء .
نظر إليك هؤلاء في تلك الحالة ولاذوا بك من شدة خوفهم .

﴿تَدَوَّرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ عبارة عن شدة خوفهم .
﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِاللِّسَنَةِ حِدَادٍ﴾ السَّلْقُ بالألسنة : عبارة عن الكلام بكلام مستكره^(١) .

ومعنى ﴿حِدَادٍ﴾ : فصحاء قادرين على الكلام ؛ أي : إذا نصركم الله فزال الخوف رجع المنافقون إلى إذايتكم بالسبِّ وتنقص الشريعة .

وقيل : إذا غنمتم طلبوا من الغنائم .

﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي : يَشْحُون بفعل الخير .

وقيل : يشحون بالمغانم .

وانتصابه هنا على الحال من الفاعل في ﴿سَلَفُوكُمْ﴾ .

﴿لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها ، وإنما المعنى : أنها لم تقبل ؛ لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال .
وقيل : إنهم نافقوا بعد أن آمنوا ، فالإحباط على هذا حقيقة .

(١) في ب : «مستنكر» .

﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ الأحزاب هنا : هم كفار قريش ومن معهم .

والمعنى : أن المنافقين من شدة جزعهم يظنون الأحزاب لم ينصرفوا عن المدينة ، وهم قد انصرفوا .

﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ معنى ﴿يَوَدُّوا﴾ : يتمنوا ، و﴿بَادُونَ﴾ : خارجون في البادية ، و﴿الْأَعْرَابِ﴾ : هم أهل البوادي من العرب .

فمعنى الآية : أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى ؛ تمنى هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب ، وأن لا يكونوا في المدينة ، بل غائبين عنها يسألون من ورد عليهم عن أنبائكم .

[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالُ وَكَانَ اللَّهُ فَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعَمُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوة تقتدون به ﷺ في اليقين والصبر وسائر الفضائل.

وقرئ ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضم الهمزة، والمعنى واحد.

﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ قيل: إن هذا الوعد ما أعلمهم به رسول الله ﷺ حين أمر بحفر الخندق؛ من أن الكفار ينزلون عليهم، وأنهم ينصرفون خائبين.

وقيل: إنه قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية، فعلموا أنهم يبتلون ثم يُنصرون^(١).

(١) كذا في نسخة خزانة القرويين، وفي بقية النسخ: «ينصرفون»!، والمثبت هو الأصوب والأنسب للسياق، وانظر الكشاف (١٢/٤٠٤).

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ يعني: من قُتل شهيدًا، قال أنس بن مالك: يعني: عمي أنس بن النضر.

وقيل: يعني: حمزة بن عبد المطلب.

وقضاء النحب عبارة عن الموت عند ابن عباس وغيره.

وقيل: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾: وفى العهد الذي عاهد الله عليه، ويدلُّ على هذا: ما ورد أن رسول الله ﷺ قال: «طلحة ممن قضى نحبه»^(١) وهو لم يُقتل يومئذ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ المفعول محذوف؛ أي: ينتظر أن يقضى نحبه:

أي: ينتظر الشهادة في سبيل الله على قول ابن عباس.

أو ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاصِيهِمْ﴾ الصياصي: هي الحصون.

ونزلت الآية في يهود بني قريظة، وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله ﷺ فنقضوا عهده وصاروا مع قريش، فلما انصرف قريش عن المدينة حصر رسول الله ﷺ بني قريظة، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ؛ فحكم بأن يُقتل رجالهم وتُسبى نساؤهم وذريتهم.

﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ يعني: الرجال، وقُتل منهم يومئذ كل من أنبت، وكانوا بين ثمان مئة والتسع مئة.

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٠٢)، وابن ماجه (١٢٧).

﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يعني: النساء والذرية.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ يعني: أرض بني قريظة، قَسَمَهَا رسول الله ﷺ بين المهاجرين.

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا﴾ هذا وعدٌ بفتح أرض لم يكن المسلمين قد وطئوها حينئذ، وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراءها إلى أقصى المغرب والمشرق.

ويحتمل عندي أن يريد به: أرض بني قريظة؛ لأنه قال: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ﴾ بالفعل الماضي، وهي التي كانوا قد أخذوها حينئذ، وأمّا غيرها من الأَرْضِينَ، فإنما أخذوها بعد ذلك، فلو أرادها لقال: «يورثكم»، وإنما كَرَّرَهَا بالعطف؛ ليصفها بقوله: ﴿لَّمْ تَطْعُوهَا﴾: أي: لم تدخلوها قبل ذلك.

[يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْكُمْ أُمْتِعْكُمْ وَأُسْرِخْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُم بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنْكُم بِلِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَفَرَنَ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُبْتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية؛ سببها: أن أزواج رسول الله ﷺ تغايرن حتى غمه ذلك.

وقيل: طلبن منه ملابس ونفقات كثيرة.

وكان أزواجه يومئذ تسع نسوة؛ خمس من قريش، وهن: عائشة بن أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وأربع من غير قريش، وهن: ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي من بني إسرائيل، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق.

﴿فَتَعَالَيْكُمْ أُمْتِعْكُمْ وَأُسْرِخْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أصل «تعال»: أن يقوله من كان في موضع مرتفع لمن في موضع منخفض، ثم استعملت بمعنى: «أقبل»

في جميع الأمكنة.

﴿أُمْتِعْكَ﴾ : من المتعة، وهي الإحسان إلى المرأة إذا طلقت.

والسراح: الطلاق.

فمعنى الآية: أن الله أمر رسوله ﷺ أن يخير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أردنَ زينة الدنيا، وبين البقاء في عصمته إن أردنَ الآخرة، فبدأ ﷺ بعائشة فاخترت البقاء في عصمته، ثم تبعها سائرهنَّ في ذلك، لم يقع طلاقٌ.

قالت عائشة: خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، ولم يعدَّ^(١) ذلك طلاقاً.

وإذا اختارت المخيرة الطلاق:

فمذهب مالك: أنه ثلاث.

وقيل: طلقة بائنة.

وقيل: طلقة رجعية.

ووصفُ السَّراح بالجميل يَحتمل:

أن يريد: أنه دون الثلاث.

أو يريد أنه ثلاث، وجماله: حسن الرَّغْبِي والثناء وحفظ العهد.

﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ﴾ «من» للبيان، لا للتبويض؛ لأن جميعهنَّ محسنات.

﴿بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ﴾ قيل: يعني: الزنا.

(١) في ج، د: «نعد».

وقيل : يعني : عصيانَ زوجهن ﷺ ، أو تكليفه ما يشقُّ عليه .

وقيل : عمومٌ في المعاصي .

﴿يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي : يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين ، وإنما ذلك لعلو رُتبتهن^(١) ؛ لأن كلَّ أحد يطالب على مقدار^(٢) حاله .

وقرئ ﴿يُضَعَفُ﴾ :

بالياء ورفع ﴿الْعَذَابُ﴾ ، على البناء للمفعول .

وبالنون ونصب ﴿الْعَذَابُ﴾ ، على البناء للفاعل .

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرئ :

بالياء ؛ حملاً على لفظ «مَنْ» .

وبالتاء ؛ حملاً على المعنى .

وكذلك ﴿وَتَعْمَلْ﴾ .

والقنوت هنا : بمعنى الطاعة .

﴿تُؤْزَجُ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي : يضاعف^(٣) لهن ثواب الحسنات .

﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ يعني : في الجنة .

(١) في هـ : «مرتبتهن» .

(٢) في ج ، د : «قدر» .

(٣) في ب ، د : «نضاعف» .

وقيل: في الدنيا.

والأول هو الصحيح.

﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ فضّلهن الله على النساء بشرط التقوى، وقد حصل لهن التقوى فحصل التّفضيل على جميع النساء، إلا أنه يخرج من هذا العموم: فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون؛ لشهادة رسول الله ﷺ لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ نهى عن الكلام اللّين الذي يُعجِب الرجال ويُميلهم إلى النساء.

﴿فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي: فجورٌ وميلٌ للنساء.

وقيل: هو النفاق، وهذا بعيد في هذا الموضع.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ هو الصواب من الكلام.

أو^(١) الذي ليس فيه شيء مما نهى عنه.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرئ بكسر القاف، ويَحتمل وجهين:

أن يكون من الوقار.

أو من القرار في الموضع، ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في «ظَلْتُ».

(١) في ب، ج: «و».

وأما القراءة بالفتح :

فمن القرار في الموضع ، على لغة من يقول : قَرِرت - بالكسر - أَقَرُّ - بالفتح - ، والمشهور في اللغة عكس ذلك .

وقيل : هي من : قار يقار : إذا اجتمع .

ومعنى القرار أرجح ؛ لأن سودة رضي الله عنها قيل لها : لم لا تحجّين؟ فقالت : أمرنا الله أن نَقَرَّ في بيوتنا .

وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكي على خروجها أيام الجمل ، وحينئذ قال لها عمار : إن الله أمرك أن تَقْرِي في بيتك .

﴿وَلَا تَبَرَّجْ﴾ التبرُّج : إظهار الزينة .

﴿تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى﴾ أي : مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن ، من الانكشاف والتعرُّض للنظر .

وجعلها أولى ؛ بالنظر إلى حال الإسلام .

وقيل : الجاهلية الأولى : ما بين آدم ونوح .

وقيل : ما بين موسى وعيسى .

﴿الرَّجَسَ﴾ أصله : النجس ، والمراد به هنا : النقائص والعيوب .

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ منادى ، أو منصوبٌ على التخصيص .

وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله هم : أزواجه ، وذريته ، وأقاربه ، كالعباس وعليّ ، وكل من حُرِّمَتْ عليه الصدقة .

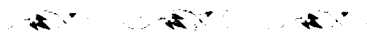
وقيل : المراد هنا : أزواجه خاصة ، والبيت على هذا : المسكن ، وهذا ضعيف ؛ لأن الخطاب بالتذكير ، ولو أراد ذلك لقال : «عنكن» .

وروي أن النبي ﷺ قال : «نزلت هذه الآية في خمسة : فيّ وفي عليّ وفاطمة والحسن والحسين»^(١) .

﴿وَأَذْكُرَنَّ﴾ خطابٌ لأزواج النبي ﷺ ، خصّهن به بعد دخولهن مع أهل البيت .

وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة ، أو التذكُّر بالقلب .

﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ : هي القرآن ، ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ : هي السنة .



(١) أخرجه أحمد (١٦٩٨٨) ، والترمذي (٣٢٠٥) ، والنسائي في الكبرى (٤١٠/٧) .

[إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٦﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٢٧﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٢٨﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٢٩﴾ الَّذِيكَ يُبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٠﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣١﴾].

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية؛ سببها: أن بعض النساء قلن: ذَكَرَ اللَّهُ الرجال ولم يذكرنا!، فنزل فيها ذكر النساء.

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الإسلام: هو الانقياد، والإيمان: هو التصديق. ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه:

باختلاف المعنى، كقوله: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

وبالاتفاق؛ لاجتماعهما، كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

[الذاريات: ٣٥] الآية.

وبالعموم، فيكون الإسلام أعم؛ لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان

أَخْصَّ لَأَنَّهُ بِالْقَلْبِ خَاصَّةً، وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

﴿وَالْفَٰئِزِينَ وَالْفَٰئِزَاتِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ: بِمَعْنَى الْعِبَادَةِ، أَوْ الطَّاعَةِ .

﴿وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَاتِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ:

من صدق القول .

أو من صدق العزم .

أو العهد .

﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ﴾ الْآيَةُ؛ مَعْنَاهَا: أَنَّهُ لَيْسَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ اخْتِيَارٌ

مَعَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِمُ التَّسْلِيمُ وَالْإِنْقِيَادُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ رَاجِعٌ إِلَى الْجَمْعِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ:

﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ الْعُمُومُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .

وهذه الآية توطئة^(١) للقصة المذكورة بعدها .

وقيل: سببها: أن رسول الله ﷺ خطب امرأة ليزوجها^(٢) لمولاه زيد بن

حارثة، فكرهت هي وأهلها ذلك، فلما نزلت الآية قالوا: رضينا يا رسول الله .

واختلف هل هذه المخطوبة زينب بنت جحش أو غيرها؟

وقد قيل: إنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط .

(١) في أ، ب، هـ: «موطئة».

(٢) في أ، هـ: «فزوجها».

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ هو زيد بن حارثة الكلبى، وإنعام الله عليه: بالإسلام وغيره، وإنعام النبي ﷺ: بالعتق.

وكانت عند زيد زينب بنت جحش وهي بنت أميمة عمة النبي ﷺ، فشكا زيد إلى رسول الله ﷺ سوء معاشرتها وتعاظمها عليه، وأراد أن يطلقها، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ يعني: فيما وصفها به من سوء المعاشرة.

أو: اتق الله ولا تطلقها، فيكون نهياً عن الطلاق على وجه التنزيه، كما قال ﷺ: «أبغض المباح إلى الله الطلاق»^(١).

﴿وَنُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الذي أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه أمرٌ جائز مباح لا إثم فيه ولا عتب^(٢)، ولكنه خاف أن يسلط الناس عليه ألسنتهم وينالوا منه، فأخفاه حياءً وحشمة وصيانة لعرضه، وذلك أنه روي أن النبي ﷺ كان حريصاً على أن يطلق زيد زينب ليتزوجها هو ﷺ لقرابتها منه ولحسنها، فقال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهو يخفي الحرص عليها؛ خوفاً من كلام الناس، لئلا يقولوا: تزوج امرأة ابنه؛ إذ كان قد تبناه، فالذي أخفاه ﷺ: وهو إرادة تزوجها، فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوجها.

قالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتباً شيئاً من الوحي لكتبت هذه الآية؛ لشدتها عليه.

وقيل: إن الله كان قد أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق

(١) أخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨).

(٢) في أ، ب، هـ: «عيب».

زيد، فالذي أخفاه رسول الله ﷺ: هو ما أعلمه الله به من ذلك.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ لم يذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة.

والوטר: الحاجة.

قال ابن عطية: ويراد به هنا: الجماع^(١).

والأحسن أن يكون أعم من ذلك، أي: لما لم يبقَ لزيد فيها حاجة زوّجها الله من نبيه ﷺ.

وأسند الله تزويجها إليه تشريعاً له^(٢)، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبي ﷺ وتقول: «إن الله زوجني نبيه من فوق سبع سموات».

واستدل بعضهم بقوله: ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾ على أن الأولى: أن يقال في كتاب الصّدّاق: «أنكحه إياها» بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما في الآية.

﴿لِيَكُنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ المعنى: أن الله زوج زينب امرأة زيد من رسول الله ﷺ؛ ليعلم المؤمنون أن تزوّج نساء أَدْعِيَائِهِمْ حلالٌ لهم، فإن الأَدْعِيَاءَ ليسوا بأبناء حقيقة.

﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ المعنى: أن تزوّج النبي ﷺ زينب بعد زيد حلالٌ لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب، وفي ذلك ردٌّ على

(١) المحرر الوجيز (٧/١٢٣).

(٢) في د: «لها».

من تكلم في ذلك من المنافقين .

و﴿فَرَضَ﴾ هنا بمعنى : قسم الله له .

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ أي : عادة الله في الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحله الله لهم .

وقيل : إن الإشارة بذلك إلى دواد في تزوجه للمرأة التي جرى له فيها ما جرى .

والعموم أحسن .

ونصبُ ﴿سُنَّةَ﴾ :

على المصدر .

أو على إضمار فعل .

أو على الإغراء .

﴿الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ صفة لـ ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ ، وهم الأنبياء .

أو رفعٌ على إضمار مبتدأ .

أو نصبٌ بإضمار فعل .

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ هذا ردُّ على من قال في زيد بن حارثة :

زيد بن محمد ، فاعترض على النبي ﷺ تزوج امرأة زيد .

وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين ؛ لأنه ﷺ ليس

أباً لهما في الحقيقة ؛ لأنهما ليسا من صلبه ، وإنما كانا ابني بته ، وأما ذكور

أولاده فماتوا صغاراً؛ فليسوا من الرجال.

﴿وَحَاتِمَ النَّيِّبِ﴾ أي: آخرهم فلا نبي بعده ﷺ.

وقرئ:

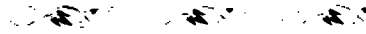
بكسر التاء: بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم.

وبالفتح بمعنى أنهم ختموا به، فهو كالخاتم والطابع لهم.

فإن قيل: إن عيسى ينزل في آخر الزمان فيكون بعده ﷺ؟

فالجواب: أن النبوة أتت^(١) عيسى قبله ﷺ، وأيضاً فإن عيسى يكون إذا

نزل على شريعته ﷺ، فكأنه واحد من أمته.



(١) في ج، د: «أوتيت».

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ④١ وَسِيحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ④٢] هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ④٣ تَعَيَّنَتْهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ④٤ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ④٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ④٦ وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ④٧ وَلَا نَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَّ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ④٨ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِذَةٍ تَعُدُّوهنَّ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ④٩ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَلَائِكَ النَّبِيُّ هَاجِرٌ مَعَكَ وَامْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ⑤٠

❖ تُرْجَى مَن نَّشَاءُ مِنْهُمْ وَتُنَوَّى إِلَيْكَ مَن نَّشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَكَ بِمَا ءَالَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ⑤١ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ⑤٢].

﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ شرط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به، بخلاف سائر الأعمال.

والذكر يكون بالقلب وباللسان، وهو على أنواع كثيرة، من التهليل، والتسبيح، والحمد، والتكبير، وذكر أسماء الله تعالى^(١).

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ٣٧٧/١.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قيل: إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر. والأظهر أنه أمرٌ بالتسبيح في أول النهار وآخره.

وقال ابن عطية: أراد: في كل الأوقات، فحدّ النهار بطرفيه^(١).

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمُ﴾ هذا خطابٌ للمؤمنين، وصلاة الله عليهم: رحمته لهم، وصلاة الملائكة عليهم: دعاؤهم لهم، فاستعمل لفظ ﴿يُصَلِّي﴾ في المعنيين على اختلافها.

وقيل: إنه على حذفٍ تقديره: «وملائكته يصلون».

﴿وَنَجِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ قيل: يعني: يوم القيامة.

وقيل: في الجنة، وهو الأرجح لقوله: ﴿وَنَجِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠]. ويحتمل أن يريد:

تسليم بعضهم على بعض.

أو قول الملائكة لهم: «سلامٌ عليكم».

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ أي: يشهد على أمته.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أي: بأمره وإرساله.

﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ استعارةٌ للنور الذي تضمّنه الدين.

﴿وَدَعَا أَذُنَهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا تؤذهم، فالمصدر على هذا: مضاف إلى المفعول، ونُسِخ

(١) المحرر الوجيز (١٢٦/٧).

من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف .

والآخر : احتمال إذايتهم لك ، وأعرض عن أقوالهم ، فالمصدر على هذا : مضاف للفاعل .

﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ ﴾ الآية ؛ معناها : سقوط العدة عن المطلقة قبل الدخول .

فالنكاح في الآية : هو العقد ، والمس : هو الجماع ، و﴿ تَعْدُونَهَا ﴾ : من العدد .

﴿ فَمَتَّعُوهُنَّ ﴾ هذا يقتضي متعة المطلقة قبل الدخول ، سواءً فرض لها أو لم يفرض لها صداق ، وقوله تعالى في « البقرة » : ﴿ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٣٧] يقتضي أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها : يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها .

وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو منسوخة بها ؟

ويمكن الجمع بينهما : بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه ، ومخصصة لعمومها .

﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ عَائِلَاتٍ أَجُورَهُنَّ ﴾ في معناها قولان :

أحدهما : أن المراد : أزواجه اللاتي في عصمته حينئذ ، كعائشة وغيرها ، وكان قد أعطاهن مهرهن .

والآخر : أن المراد : جميع النساء ، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطي مهرها ، وهذا أوسع من الأول .

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أباح الله له مع الأزواج السَّراري بِمِلْكِ اليمين .

ويعني بقوله : ﴿أَفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ : الغنائم .

﴿وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾ يعني : قرابته من جهة أبيه ومن جهة أمه ، وكان له ﷺ أعمام وعمات إخوة لأبيه ، ولم يكن لأمه ﷺ أخ ولا أخت ، فإنما ^(١) يعني بخاله وخالته : عشيرة أمه وهم بنو زهرة ، ولذلك كانوا يقولون : نحن أخوال رسول الله ﷺ .

فمن قال : إن المراد بقوله : ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ : مَنْ كانت في عصمته : فهذا عطفٌ عليهن ، وإباحةٌ لأن يتزوج قرابته زيادةً إلى مَنْ كان في عصمته .
ومن قال : إن المراد : جميع النساء ، فهذا تجريدٌ منهنَّ ؛ على وجه التشریف بعد دخول هؤلاء في العموم .

﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ تخصيصٌ تحرَّز به ممن لم يهاجر ، كالطُّلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة .

﴿وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أباح الله له ﷺ مَنْ وَهبت له نفسها من النساء ، واختلف هل وقع ذلك أم لا ؟

فقال ابن عباس : لم تكن عند النبي ﷺ امرأة إلا بِنكاح أو ملك يمين ، لا بهبة نفسها ، ويؤيد هذا : قراءة الجمهور : ﴿إِنْ وَهَبَتْ﴾ - بكسر الهمزة - أي : إن وقع ذلك .

وقيل : قد وقع ذلك ، وعلى هذا قرئ : ﴿أَنْ وَهَبَتْ﴾ - بفتح الهمزة - ،

(١) في ج ، د : «وانما» .

واختلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها؟

ف قيل : ميمونة بنت الحارث .

وقيل : زينب بنت خزيمة أم المساكين .

وقيل : أم شريك الأنصارية .

وقيل : أم شريك العامرية .

﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : هبة المرأة نفسها مزية خاصة ^(١) بالنبي ﷺ دون غيره .

وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب ؛ ليخصَّ المخاطب وحده .

وقيل : إن ﴿ خَالِصَةً ﴾ يرجع إلى كل ما تقدَّم ، من النساء المباحات له ﷺ ؛ لأن سائر المؤمنين قُصروا على أربع نسوة ، وأُبيح له ﷺ أكثر من ذلك .

ومذهب مالك : أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد ، خلافاً لأبي حنيفة .

وإعراب ﴿ خَالِصَةً ﴾ : مصدر ، أو حال ، أو صفة لـ ﴿ وَأَمْرَةً ﴾ .

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ ﴾ يعني : أحكام النكاح ؛ من الصِّداق والوليِّ والاقتصار على أربع وغير ذلك .

﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ يتعلَّق بالآية التي قبله ^(٢) أي : قد بينَّا أحكام النكاح ؛ لئلا يكون عليك حرج ، أو لئلا يُظنَّ بك أنك فعلت ما لا يجوز .

(١) في أ، هـ : «خالصة» .

(٢) في ب، ج، د : «قبلها» .

وقال الزمخشري: يتعلّق بقوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾^(١).

﴿تُرْجَى مَن نَّشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُتَوَى إِلَيْكَ مَن نَّشَاءُ﴾ معنى ﴿تُرْجَى﴾: تؤخّر وتُبعد، ومعنى: ﴿وَتُتَوَى﴾: تضمّ وتقرّب.

واختلف في المراد بهذا الإرجاء والإيواء؟

فقيل: إن ذلك في القسمة بينهما؛ أي: تكثر لمن شئت، وتقلّ لمن شئت.

وقيل: إنه في الطلاق؛ أي: تمسك من شئت وتطلق من شئت.

وقيل: معناه: تتزوج من شئت، وتترك من شئت.

والمعنى على كل قول: توسعة على النبي ﷺ، وإباحة له أن يفعل ما شاء، وقد اتفق الناقلون على أنه ﷺ كان يعدل في القسمة بين نسائه؛ أخذاً منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له.

والضمير في قوله: ﴿مِنْهُنَّ﴾ يعود: على أزواجه ﷺ خاصة، أو على كل ما أحل له؛ على حسب الخلاف المتقدم.

﴿وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: مَنْ كنت عزلته من نساءك فلا جناح عليك في ردّه بعد عزله.

والآخر: مَنْ ابتغيت ومن عزلت سواءً في إباحة ذلك.

فـ «مِنْ»:

للتبويض على القول الأول.

وأما على الثاني فنحو قولك: «مَنْ لَقِيكَ مِنْ لَمْ يَلْقَكَ سِوَاءً».

﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أي: إذا عَلِمْنَ أن هذا حَكْمُ الله قَرَّتْ به أَعْيُنُهُنَّ ورضين به، وزال ما كان بهنَّ من الغيرة، فإن سبب نزول هذه الآيات ما وقع لأزواج النبي ﷺ من غيرة بعضهن على بعض.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يحل لك النساء غير اللاتي في عصمتك الآن ولا تزيد^(١) عليهن.

قال ابن عباس: لما خيرهنَّ رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله جازاهن الله على ذلك، بأن حرَّم عليه غيرهنَّ^(٢) من النساء؛ كرامةً لهنَّ.

والقول الثاني: لا يحلُّ لك النساء غير الأصناف التي سَمَّيْتُ، والخلاف هنا يجري على الخلاف في المراد بقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ أي: لا يحل لك غير مَنْ ذَكَرَ حَسَبًا تَقَدَّمَ.

وقيل: معنى ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾: لا يحلُّ لك اليهوديات ولا النصرانيات من بعد المسلمات المذكورات، وهذا بعيد.

واختُلف في حكم هذه الآية؟

فقيل: إنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ على القول بأن المراد به: جميع النساء.

(١) في د: «ولا تزدد».

(٢) من هنا يبدأ سقط ورقة من نسخة ب.

وقيل: إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد: من كان في عصمته، وهذا هو الأظهر؛ لما ذكرنا عن ابن عباس، ولأن التسع في حقه ﷺ كالأربع في حق أمته.

﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجَ﴾ معناه: لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلاً منها.

وقيل: معناه: ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء، بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر له عن زوجته، وهذا ضعيف.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ في هذا دليل على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ المعنى: أن الله أباح له الإمام.

والاستثناء:

في موضع رفع على البدل من ﴿النِّسَاءِ﴾.

أو في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في ﴿حُسْنُهُنَّ﴾.



[يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفُّوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٧﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٨﴾ إِنْ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٦١﴾].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾
سبب هذه الآية على ما رواه أنس: أن رسول الله ﷺ، لما تزوج زينب بنت جحش، أولم عليها، فدعا الناس، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت، فثقل ذلك على رسول الله ﷺ، فخرج ليخرجوا بخروجه، ومر على حُجْر نِسائه، ثم عاد فوجدهم في مكانهم، فانصرف، فخرجوا عن ذلك.

وقال ابن عباس: نزلت في قوم كانوا يتحینون طعام النبي ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يُطْبَخَ^(١)، ثم يأكلون ولا يخرجون، فأمرُوا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا.

(١) في ج: «ينضج».

قلت: والقول الأول أشهر، وقول ابن عباس أليق بما^(١) في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، فلعل^(٢) قول ابن عباس: في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل؛ فإن الآية تَضَمَّنَت الحكمين.

﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾ أي: غير منتظرين لوقت الطعام، والإتي: هو الوقت. وقيل: إني الطعام: نُضِجُهُ وإدراكه، يقال: أَنَى يَأْنِي إِنَى. ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ أمرٌ بالدخول بعد الدعوة، وفي ذلك تأكيدٌ للنهي عن الدخول قبلها.

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ أي: انصرفوا، قال بعضهم: هذا أدَّبُ أدَّبَ الله به الثُّقَلَاءَ.

وقالت عائشة رضي الله عنها: حَسْبُكَ من الثُّقَلَاءَ أن الله لم يَحْتَمِلْهُمْ!. ﴿وَلَا مُسْتَغْنِينَ لِحَدِيثٍ﴾ معطوفٌ على ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ﴾. أو تقديره: «ولا تدخلوها مستأنسين».

ومعناه النهي عن:

أن يطلبوا الجلوس للأنس بحديث بعضهم مع بعض.

أو يستأنسوا حديث أهل البيت، واستأنسه: تسمُّعه وتجلسه.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ يعني: جلوسهم للحديث، أو دخولهم بغير إذن.

(١) في أ، هـ: «لما».

(٢) في أ، ج، هـ: «فعلى»!.

﴿فَيَسْتَنِيءُ مِنْكُمْ﴾ تقديره: يستحيي من إخراجكم؛ بدليل قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَنِيءُ مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني: إن إخراجكم حق لا يتركه الله. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ المتاع: الحاجة من الأثاث وغيره.

وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبي ﷺ، وسببها: ما رواه أنس من قعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب.

وقيل: سببها: أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله ﷺ بأن يحجب نساءه، فنزلت الآية موافقة لقول عمر.

قال بعضهم: لما نزل في أمهات المؤمنين ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كنَّ لا يجوز للناس كلامهن إلا من وراء حجاب، ولا يجوز أن يروهن متنقيات ولا غير متنقيات، خُصِّصْنَ^(١) بذلك دون سائر النساء. ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يريد: أنقى من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال.

﴿وَلَا أَنْ تَنَكِّحُوا أَزْوَاجَهُمْ﴾ سببها: أن بعض الناس قال: لو مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة، فحرم الله على الناس تزوج نسائه بعده؛ كرامة له ﷺ. ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ﴾ الآية؛ لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظهور لذوي محارمهن من القرابة، وهم: الآباء، والأبناء، والإخوة، وأولادهم، وأولاد الأخوات.

(١) في ج: «خصصهن».

﴿وَلَا يَسْأَلُهُنَّ﴾ قيل: يريد: النساء^(١) القرابة والمتصرّفات لهن.

وقيل: يريد نساء جميع المؤمنات.

ويقوي الأول: تخصيص النساء بالإضافة إليهن.

ويقوي الثاني: أنهن كن لا يحتجبن من النساء على الإطلاق.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ اختلف فيمن أبيع لهن الظهور له من ملك

اليمين؟

فقيل: الإماء دون العبيد.

وقيل: الإماء والعبيد، وهذا أولى بلفظ الآية، ثم اختلف من ذهب إلى

هذا:

فقال قوم: من ملكته^(٢) من العبيد دون من ملكه غيرهن، وهذا هو الظاهر من لفظ الآية.

وقال قوم: بل جميع العبيد، كان في ملكهن أو في ملك غيرهن^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ هذه الآية تشريف للنبي ﷺ.

وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة في قوله: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ

وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الصلاة على النبي ﷺ فرض إسلامي،

(١) في أ: «في النساء».

(٢) في ج، د، هـ «ملكته».

(٣) في ج: «أو في غير ملكهن».

فالأمر به محمولٌ على الوجوب، وأقلُّه مرةٌ في العمر.

وأما حكمها في الصلاة:

فمذهب الشافعي: أنها فرض تبطل الصلاة بتركه.

ومذهب مالك: أنها سنة.

وصفتها: ما ورد في الحديث الصحيح: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على^(١) إبراهيم إنك حميد مجيد»^(٢).

وقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافاً كثيراً.

وأما السلام على النبي ﷺ فيحتمل أن يريد:

السلام عليه في التشهد في الصلاة.

أو السلام عليه حين لقائه.

وأما السلام عليه بعد موته: فقد قال ﷺ: «من سلم عليّ قريباً سمعته، ومن سلم عليّ بعيداً بلغته»^(٣)؛ فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»^(٤).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إذاً الله: هي بالإشراك به، ونسبة الصاحبة والولد به.

(١) في أ زيادة: «آل».

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٩٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٣) في د: «بلغني».

(٤) هذان حديثان، فقلوه: «فإن الله حرم . . .» إلخ أخرجه أحمد (١٦١٦٢)، وأبو داود =

وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى؛ لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء.

وقيل: إنها على حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله.

والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث: «يقول الله تعالى: يَشْتِمُنِي ابْنُ آدَمَ وليس له أن يشتمني، ويكذبني وليس له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقوله: إن لي صاحبةً ولولداً، وأما تكذيبه إياي فقوله: لا يعيدني كما بدأني».

وأما إذاية رسول الله ﷺ: فهي التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال.

وقال ابن عباس: نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ^(١) صفية بنت حُيَيٍّ.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ الآية في البهتان، وهو ذكر الإنسان بما ليس فيه، وهو أشدُّ من الغيبة، مع أن الغيبة محرمة، وهي ذكره بما فيه مما يكره.



= (١٠٤٧)، والنسائي في الكبرى (٢/٢٦٢)، وابن ماجه (١٠٨٥) في ضمن حديث، وقوله: «من سلم عليّ قريباً.. إلخ وجدته بهذا اللفظ: «من صلّى عليّ عند قبري سمعته..»، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/١٤٠)، والعُقيلي في الضعفاء الكبير (٤/١٣٦)، وقال: «لا أصل له.. وليس بمحفوظ»، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/٣٠٣)، وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزبيعي (٣/١٣٥).

(١) في أ، ج: «أخذ».

[يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَنْهُنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ آدَتُهُ أَنْ يَعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتْلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَنْهُنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾
كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء، وكان ذلك داعيًا إلى نظر الرجال إليهن، فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن، ويقع الفرق بن الحرائر والإماء.

والجلابيب: جمع جلباب، وهو ثوب أكبر من الخمار.

وقيل: هو الرداء.

وصورة إدناؤه:

عند ابن عباس: أن تلويه على وجهها حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها.

وقيل: أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها.

وقيل: أن تغطي نصف وجهها.

﴿ذَلِكَ أَتَى أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤْذِنُ﴾ أي: ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإماء، فإذا عُرف أن المرأة حرة لم تُعارض بما تعارض به الأمة.

وليس المعنى: أن تُعرف المرأة حتى يُعلم من هي، إنما المراد: أن يُفَرَّق بينها وبين الأمة؛ لأنه كان بالمدينة إماء يُعرفن بالسوء، وربما تعرّض لهن السفهاء.

﴿لَنْ يَنْفَعَهُ الْمُنفِقُونَ﴾ الآية؛ تَضَمَّنَتْ وعيد هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا.

ف قيل: إنهم لم ينتهوا، ولم يُنفذ الوعيد عليهم، ففي ذلك دليل على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة.

وقيل: إنهم انتهوا وسَترُوا أمرهم، فكفَّ عنهم إنفاذ الوعيد.

﴿الْمُنْفِقُونَ﴾: هم الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر.

﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: قومٌ كان فيهم ضعف إيمان، وقلة ثبات عليه.

وقيل: هم الزناة؛ كقوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] -.

﴿وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: قومٌ كانوا يُشيعون أخبار السوء ويخوفون^(١) المسلمين.

فَيَحْتَمِلُ أن تكون هذه الأصناف:
متفرقة.

(١) في أ، هـ: «ويخيفون».

أو تكون داخلة في جملة المنافقين، ثم جرّدها بالذكر.
﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: نسلّطك عليهم، وهذا هو الوعيد.
﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾ ذلك لأنه ينفيهم أو يقتلهم، والضمير المجرور:
للمدينة.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يحتمل أن يريد:

إلا جوارًا قليلًا.

أو وقتًا قليلًا.

أو عددًا^(١) قليلًا منهم.

والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات، ف﴿قَلِيلًا﴾:

على الاحتمال الأول: مصدر.

وعلى الثاني: ظرف.

وعلى الثالث: منصوب على الاستثناء.

﴿مَلْعُونِينَ﴾ نصبٌ:

على الذم.

أو بدلٌ من ﴿قَلِيلًا﴾ على الوجه الثالث.

أو حالٌ من ضمير الفاعل في ﴿يُجَاوِرُونَكَ﴾ تقديره: سَيُنْفَوْنَ ملعونين.

(١) في أ، ج، هـ: «وعدًا»!

﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا أُخِذُوا﴾ أي: حيثما ظفّر بهم أسروا، والأخذ: الأسر.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: عادته، ونصبه على المصدر.

﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: عادته في المنافقين من الأمم المتقدمة.

وقيل: يعني: كفار بدر؛ لأنهم أسروا وقتلوا.

﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾ إنما قال ﴿قَرِيبًا﴾ بالتذكير، والساعة مؤنثة:

على تقدير: شيئًا قريبًا، أو زمانًا قريبًا.

أو لأن تأنيثها غير حقيقي.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾:

قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾.

أو: ﴿لَا يَحْدُونَ﴾.

أو محذوف.

وتقلب وجوههم:

تصريفها في جهات النار، كما تدور البضعة^(١) في القدر إذا غلت من جهة

إلى جهة.

أو تغييرها^(٢) عن أحوالها.



(١) البضعة: القطعة من اللحم. القاموس المحيط.

(٢) في أ: «تغيّرها».

[يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿١٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٢٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٢٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾].

﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى﴾ هم قوم من بني إسرائيل، وإذابتهم لهم: ما ورد في الحديث: أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراةً، وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل، فقالوا: إنه آدر^(١)، فاغتسل موسى يوماً وحده وجعل ثيابه على حجر، ففرَّ الحجر بثيابه، وأتبعه موسى وهو يقول: «ثوبي حجر!، ثوبي حجر!»، فمرَّ في اتباعه على ملا من بني إسرائيل فرأوه سليماً ما قالوا، فذلك قوله: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾^(٢).

وقيل: إذابتهم له: أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون، فبعث الله ملائكةً فحملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثر، فبرأ الله موسى.

وروي أنه حَبِي فَأخبرهم ببراءة موسى.

والقول الأول هو الصحيح؛ لوروده في الحديث الصحيح.

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قيل: يعني: لا إله إلا الله.

(١) الآدر: الرجل الذي به انتفاخ في الخصية. النهاية لابن الأثير (١/ ٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).

واللفظ أعم من ذلك .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ الأمانة : هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي .

وقيل : هي الأمانة في الأموال .

وقيل : غُسل الجنابة .

والصحيح العموم في التكاليف .

وَعَرَضُهَا عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ :

أحدهما : أن يكون الله خلق لها إدراكًا ، فعرضت عليها الأمانة حقيقةً ، فأشفقت منها ، وامتنعت من حملها .

والثاني : أن تكون على وجه المجاز ، والمراد : تعظيم شأن الأمانة ، وأنها من الثقل بحيث إنها لو عُرِضَتْ عَلَى السَّمَوَاتِ ^(١) وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ، لَأَبَيْنَ مِنْ حَمْلِهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ، فهذا ضربٌ من المجاز كقولهم : « عرضتُ الحِمْلَ العظيم على الدابة فأبت أن تحمله » ، والمراد أنها لا تقدر على حمله .

﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ أي : التزم الإنسان القيامَ بالتكاليف مع شدة ذلك ، وصعوبته على الأجرام التي هي أعظم منه ، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول .

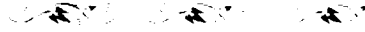
﴿ وَالْإِنْسَانُ ﴾ هنا : جنس .

(١) هنا انتهى سقط الورقة من ب .

وقيل : يعني : آدم .

وقيل : قاييل الذي قتل أخاه .

﴿لِعَذَابِ﴾ اللام للصيرورة؛ فإن حَمَلَ الأمانة كان سببَ تعذيبِ المنافقين
والمشركين، ورحمةٌ للمؤمنين .



﴿سورة سبأ﴾

[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ
 الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا
 يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي
 لَتَأْتِيََنَّكُمْ عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ
 مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ
 أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
 رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ
 عَلَى رَجُلٍ يُنَشِّكُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّمَّزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ
 كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّبِينٍ ﴿٩﴾].

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْحَمْدُ الْأَوَّلُ: فِي الدُّنْيَا،
 وَالثَّانِي: فِي الْآخِرَةِ. وَعَلَى هَذَا حَمَلُهُ الزَّمَخْشَرِيُّ^(١).

وَيَحْتَمِلُ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ الْحَمْدُ الْأَوَّلُ لِلْعُمُومِ وَالْاِسْتِغْرَاقِ، فَيَجْمَعُ

(١) الْكَشَافُ (١٢/٤٩٧).

الحمد في الدنيا والآخرة، ثم جرد منه الحمد في الآخرة، كقوله: ﴿فَكِهَةٌ
وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

ثم إن الحمد في الآخرة يحتمل:
أن يريد به الجنس.

أو يريد به قوله: ﴿وَأَخْرَجُوا لَهُمُ الْغُفَّاءَ﴾ [يونس: ١٠]،
أو ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤].

﴿مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يدخل فيها من المطر والأموات^(١) وغير ذلك،
﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من المطر
والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: يصعد
ويرتفع من الأعمال وغيرها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ روي: أن قائل هذه المقالة هو
أبو سفيان ابن حرب.

﴿لَا يَعْزُبُ﴾ أي: لا يغيب ولا يخفى.

﴿وَلَا أَصْغَرُ﴾ معطوف على ﴿مِنْقَالُ﴾.

وقال الزمخشري: هو مبتدأ؛ لأن حرف الاستثناء يمنع من العطف^(٢).

ولا خلاف بين القراء السبعة في رفع ﴿أَصْغَرُ﴾ و﴿أَكْبَرُ﴾ في هذا
الموضع.

(١) في أ، ب، هـ: «والأقوات»، والمثبت موافق لعبارة الكشف (١٢/٤٩٨).

(٢) الكشف (١٢/٥٠٤).

وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة^(١)، وإنما الخلاف في «يونس».

﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ يتعلق:

بقوله: ﴿لَنَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

أو بقوله: ﴿لَا يَغُزُّ﴾.

أو بمعنى قوله: ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ مبتدأ، وخبره الجملة بعده.

وقال ابن عطية: هو معطوف على ﴿الَّذِينَ﴾ الأول^(٢).

وقد ذكر في «الحج» معنى ﴿سَعَوْا﴾، و﴿مُعْجِزِينَ﴾^(٣).

﴿أَلِيمٍ﴾ بالرفع: صفة لـ ﴿عَذَابٍ﴾.

وبالخفض: صفة لـ ﴿يَجْزِي﴾.

﴿وَيَرَى﴾ معطوف على ﴿لِيَجْزِيَ﴾.

أو مستأنف، وهذا أظهر.

﴿الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ﴾ هم:

الصحابة.

(١) المحرر الوجيز (١٥٧/٧).

(٢) المحرر الوجيز (١٥٧/٧).

(٣) انظر (٢١١/٣).

أو من أسلم من أهل الكتاب.

أو على العموم.

﴿الْحَقَّ﴾ مفعول ثاني لـ ﴿يَرَى﴾؛ لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم، والضمير فصلٌ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون: محمدًا ﷺ.

﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرِّقَتِ كُلُّ مُمْرِقَةٍ لَكُمْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معنى ﴿مُرِّقَةٍ﴾ أي: بليتيم في القبور، وتقطعت أوصالكم، و﴿كُلُّ مُمْرِقَةٍ﴾: مصدر.

والخلق الجديد: هو الحشر في القيامة.

والعامل في ﴿إِذَا﴾: معنى ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأن معناه: تُبعثون إذا مرقتم.

وقيل: العامل فيه: فعل مضمر مقدّر قبلها، وذلك ضعيف.

و﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معمولٌ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾، وكسرت «إِنَّ»؛ للام التي في خبرها.

ومعنى الآية: أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتيم في الأرض، ومرادهم: استبعاد الحشر.

﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَىٰ اللَّهِ﴾ هذا من جملة كلام الكفار، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحة غير ممدودة.

﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ﴾ هذا ردُّ عليهم، أي: أنه لم يفتقر على الله كذبًا، وليس به جنة، بل هؤلاء الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالْعَذَابِ:

عَذَابَ الْآخِرَةِ.

أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق، ومحاولة ظهور الباطل.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الضمير في ﴿يَرَوْا﴾ للكفار المنكرين للبعث.

وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم؛ لأنهما محيطتان بهم.

والمعنى: ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلموا^(١) أن الذي خلقهما قادرٌ على بعث الناس بعد موتهم؟.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى تَهْدِيدًا لَهُمْ، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ شَاءَ نَخْشِفْ بِهِنَّ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم، فيعملوا^(٢) أنهم لا مهرب لهم من الله؟.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ الإشارة:

إلى إحاطة السماء والأرض بهم.

أو إلى عظمة خَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ فَإِنْ فِيهَا آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْبَعْثِ.

(١) في أ، ب، هـ: «فيعلمون».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «فيعلمون».

[﴿١٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوِيٍّ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١١﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَ نَجَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢﴾ وَلَسَلَيْنَا الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمَنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٣﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَمَنْبِيلٍ وَجَفَّانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٥﴾] .

﴿يَجِبَالُ أَوِيٍّ مَعَهُ﴾ تقديره: قلنا يا جبال، والجملة تفسير للفضل.

ومعنى ﴿أَوِيٍّ﴾: سبّحي، وأصله من التأويب، وهو الترجيع؛ لأن كان يرجع التسييح فترجّعه معه.

وقيل: هو من التأويب بمعنى: السير بالنهار.

وقيل: كان ينوح، فتُسعده^(١) الجبال بصداها، والطير بأصواتها.

﴿وَالطَّيْرُ﴾ بالنصب:

عطفت على موضع: ﴿يَجِبَالُ﴾.

وقيل: مفعول معه.

وقيل: معطوف على ﴿فَضْلًا﴾.

وقرئ بالرفع عطفاً على لفظ: ﴿يَجِبَالُ﴾.

(١) في ج: «فتساعده» والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٢/٥١٧).

﴿وَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ أي : جعلناه له لِيُنَّا بغير نار ، كالطين والعجين .

وقيل : لان له الحديد ؛ لشدة قوته .

﴿سَيِّغَتْ﴾ هي الدروع الكاسية .

﴿وَقَدِرَ فِي السَّرْدِ﴾ معنى ﴿السَّرْدِ﴾ هنا : نَسْجُ الدروع ، وتقديرها : أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف ، ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها .

وقيل : لا تجعل المسمار رقيقاً ولا غليظاً .

﴿وَأَعْمَلُوا صَدِاحًا﴾ خطابٌ لداود وأهله .

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ بالنصب : على تقدير : وسخرنا .

وقرى بالرفع : على الابتداء .

﴿غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ﴾ أي : كانت تسير به بالغداة^(١) مسيرة شهر ، وبالعشي مسيرة شهر ، فكان يجلس على سريره وكان من خشب ، يحمل فيما روي أربعة آلاف فارس ، فترفعه الريح ثم تحمله .

﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُمُ عَيْنَ الْقَظْرِ﴾ قال ابن عباس : كانت تسيل له باليمن عين من نحاس ، يصنع منها ما أحب ، والقِظَر : النحاس .

وقيل : القِظَر : الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك ، كان يسيل له منه عيون .

وقيل : المعنى : أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود .

(١) في أ ، ب ، هـ : «بالغدوة» .

﴿نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني : نار الآخرة .

وقيل : كان معه ملك يضربهم بسوط نار^(١) .

﴿تَحَرَّبَ﴾ هي القصور .

وقيل : المساجد .

﴿وَتَمَثَّلَ﴾ قيل : إنها كانت على غير صور الحيوان .

وقيل : على صور الحيوان ، وكان ذلك جائزاً عندهم .

﴿كَالْجَوَابِ﴾ جمع جابية ، وهي البركة التي يجتمع فيها الماء .

﴿رَأْسَيْتَ﴾ أي : ثابتات في مواضعها ، لا يستطيع أحد أن ينقلها لعظمتها^(٢) .

﴿أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ حكاية ما قيل لآل داود .

وانتصب ﴿شُكْرًا﴾ على أنه :

مفعول من أجله .

أو مصدر في موضع الحال ، تقديره : شاكرين .

أو مصدر من المعنى ؛ لأن العمل شكرٌ ، تقديره : اشكروا شكرًا .

أو مفعول به .

﴿وَقِيلَ مَنْ عِبَادِيَ الشَّاكُورُ﴾ يحتمل أن يكون : مخاطبة لآل داود ،

(١) في ج : « بسوط من نار » .

(٢) في د : « لعظمتها » .

أو مخاطبة لمحمد ﷺ.

﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ﴾ المنساة: هي العصا، وقرئت بالهمز وبغير همز.

ودابة الأرض: هي الأرضة، وهي السوسة التي تأكل الخشب وغيره.
وَقَصُّ الْآيَةِ: أن سليمان عليه السلام دخل قبة من قوارير، وقام يصلي متكئاً على عصاه، فقُبِضَ روحه وهو متكئ عليها، فبقي كذلك سنة، لم يعلم أحد بموته، حتى وقعت العصا فخرَّ إلى الأرض. واختصرنا كثيراً مما ذكره الناس في هذه القصة؛ لعدم صحته.

﴿تَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ مِنْ تَيَّنَ الشَّيْءُ: إذا ظهر، وما بعدها بدل من ﴿الْجِنُّ﴾، والمعنى: ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب.

وقيل: ﴿تَيَّنَتِ﴾ بمعنى: علمت، و﴿أَنَّ﴾ وما بعدها: مفعول به على هذا، والمعنى:

علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وتحققوا ذلك بعد التباس الأمر عليهم.

أو علمت الجن أن كبارهم لا يعلمون الغيب، وأنهم كاذبون في دعوة ذلك.
﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ يعني: الخدمة التي كانوا يخدمون سليمان، وتسخيرَه لهم في أنواع الأعمال، والمعنى: لو كانت الجن تعلم الغيب ما خفي عليهم^(١) موت سليمان.

(١) في ج، د: «عليها».

[لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ
وَأَشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَبِيبٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ
بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا
كَفَرُوا وَهَلْ تُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى
ظَاهِرَةً وَفَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ
أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾
وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ
وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ ﴿٢١﴾].

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِينِهِمْ آيَةٌ﴾ سبأ : قبيلة من العرب سميت باسم أبيها
الذي تناسلت منه .

وقيل : باسم أمها .

وقيل : باسم موضعها .

والأول أشهر ؛ لأنه ورد في الحديث .

وكانت مساكنهم بين الشام واليمن .

﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كان لهم وادٍ ، وكانت الجنات عن يمينه
وشماله .

و﴿جَنَّتَانِ﴾ :

بدل من ﴿آيَةٌ﴾ .

أو مبتدأ .

أو خبر مبتدأ محذوف .

﴿كُلُوا﴾ تقديره : قيل لهم : كلوا من رزق ربكم ، قالت لهم ذلك الأنبياء .

وروي أنهم بُعث لهم ثلاثة عشر نبياً فكذبوهم .

﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي : كثيرة الأرزاق ، طيبة الهواء ، سليمة من الهوام .

﴿فَاعْرَضُوا﴾ أي : أعرضوا عن شكر الله ، أو عن طاعة الأنبياء .

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ كان لهم سدٌّ يُمَسِّكُ الماء ؛ ليرتفع فتُسقى به

الجنات ، فأرسل الله على السد الجُرْدَ ، وهي دويبة خربتته فيبست الجنات .

وقيل : لما خرب السدَّ حمل السيل الجنات وكثيراً من الناس .

واختلف في معنى العرم ؟

ف قيل : هو السد .

وقيل : هو اسم ذلك الوادي بعينه .

وقيل : معناه : الشديد ، فكأنه صفة للسيل ، من العرامة .

وقيل : هو الجرذ الذي خرب السدَّ .

وقيل : المطر الشديد .

﴿أَكْلٍ خَطٍ وَأَثَلٍ وَشَقٍّ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الأكل - بضم الهمزة - :

المأكول .

والخمت : شجر الأراك .

وقيل: كل شجرة ذات شوك^(١).

والأثل: شجر يشبه الطّرفاء.

والسدر: شجر معروف.

وإعراب ﴿خَمَطٍ﴾:

بدلٌ من ﴿أُكُلٍ﴾.

أو عطف بيان.

وقرئ بالإضافة.

﴿وَأَثَلٍ﴾ عطفٌ على ﴿أُكُلٍ﴾ لا على ﴿خَمَطٍ﴾؛ لأن الأثل لا أُكِلَ له.

والمعنى: أنهم لما هلكت الجنتان المذكورتان قبلُ أبدلهم الله منهما^(٢) جنتين بضد وصفهما في الحسن والأرزاق.

﴿وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ معناه: لا يُناقش ويُجازى بمثل فعله إلا الكفور؛ لأن المؤمن قد يسمح الله له، ويتجاوز عنه.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ هذه الآية وما بعدها وصفٌ حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم.

ويعني بـ ﴿الْقُرَىٰ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾: الشام، والقرى الظاهرة: قرى متصلة من بلادهم إلى الشام.

(١) في زيادة: «هي الخمط».

(٢) في ب، ج، هـ: «منها».

ومعنى ﴿ظَاهِرَةً﴾ : يظهر بعضها من بعض ؛ لاتصالها .

وقيل : مرتفعة في الآكام .

وقال ابن عطية : معناه : خارجة عن المدن ، كما تقول : بظاهر المدينة أي : خارجها^(١) .

﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي : قسمنا مراحل السفر ، وكانت القرى متصلة ، فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى ، ولا يخاف جوعاً ولا عطشاً ، ولا يحتاج إلى حمل زاد ، ولا يخاف من أحد .

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرئ ﴿بَعِدَ﴾ و﴿بَعْدَ﴾ بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب .

والمعنى : أنهم يَطْرُوا النعمة وملأوا العافية ، فطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ؛ ليمشوا في المفاوز ويتزودوا للأسفار^(٢) ، فعجل الله إجابتهم .

وقرئ ﴿بَاعَدَ﴾ بفتح العين على الخبر ، والمعنى : أنهم قالوا : إن الله باعد بين قراهم ، وذلك كذبٌ وجحدٌ للنعم .

﴿وَزَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني :

بقولهم : ﴿بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ .

أو بذنوبهم على الإطلاق .

(١) المحرر الوجيز (٧/١٧٨) .

(٢) في د : «لأسفارهم» .

﴿وَمَرَقْنَهُمْ كُلَّ مَرْقٍ﴾ أي: فرّقناهم في البلاد، حتى ضُرب المثل بفرقتهم
فقليل: «تفرقوا أيدي^(١) سبأ».

وفي الحديث: «إن سبأ أبو عشرة من القبائل، فلما جاء السيل على
بلادهم تفرقوا فتيا من منهم ستة ونشأ من أربعة»^(٢).

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أي: وجد ظنه فيهم صادقاً، يعني: قوله:
﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص: ٨٢]، وقوله: ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].



(١) في د: «أيادي».

(٢) أخرجه أحمد (٥٢٨/٣٩)، وأبو داود (٣٩٨٨)، والترمذي (٣٢٢٢).

[﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٢٣) ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِبْنَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٤) ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْشَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ﴾ (٢٥) ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (٢٦) ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ۚ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٧) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٩) ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْفِهُونَ﴾ (٣٠)﴾].

﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ تعجيزٌ للمشركين وإقامة حجة عليهم.

ويعني بـ ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: آلهتهم.

ومفعول ﴿زَعَمْتُمْ﴾ محذوف؛ أي: زعمتهم أنهم آلهة، أو زعمتهم أنهم شفعاء.

وروي أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشاً.

﴿مِنْ شِرْكٍَ﴾ أي: نصيب.

والظهير: المعين.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ المعنى: لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله له أن يشفع؛ فإنه لا يشفع أحدٌ إلا بإذنه.

وقيل : المعنى : لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن الله أن يُشَفَّع فيه .

والمراد : أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلا بإذن الله ، ففي ذلك ردٌّ على المشركين الذين كانوا يقولون : ﴿ هَؤُلَاءِ شَفَعْتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] .
﴿ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن هذه الآية في الملائكة عليه السلام ؛ فإنهم ^(١) إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يَفَزَعُونَ لذلك فزعاً عظيماً ، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض : ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ ؟ فيقولون : « قال الحق » .

ومعنى ﴿ فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ : زال عنها الفزع .

والضمير في ﴿ قُلُوبِهِمْ ﴾ وفي ﴿ قَالُوا ﴾ : للملائكة .

فإن قيل : كيف ذلك ولم يتقدَّم لهم ذكرُّ يعود الضمير عليه ؟

فالجواب : أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ ؛ لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة ، ويقولون : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ، فذكرُ الشفاعة يقتضي ذكرَ الشافعين ، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دلَّ عليهم لفظ الشفاعة .

فإن قيل : بم اتصل قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ ، ولأي شيء وقعت ﴿ حَتَّى ﴾ غاية ؟

فالجواب : أنه اتصل بما فهم من الكلام ؛ من أن ثَمَّ انتظارا للإذن ، وفزعاً وتوقفاً حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة ، ويَقْرُبُ هذا في المعنى من

(١) في أ ، ب ، هـ : «أنهم» .

قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [النبا: ٣٨].

ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الآية بما قبلها، فاضطربوا فيها، حتى قال بعضهم: هي في الكفار بعد الموت، ومعنى ﴿فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾: رأوا الحقيقة، فقيل لهم: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؟ فيقولون: «قال الحق»، فيقرؤون حيث لا ينفعهم الإقرار.

والصحيح: أنها في الملائكة؛ لورود ذلك في الحديث، ولأن القصد الردُّ على الكفار الذين عبدوا الملائكة، بذكر شدة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ سؤالٌ قُصِدَ به: إقامة الحجة على المشركين.

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جوابٌ عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه، فلذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة.

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ هذه ملاطفة وتنزُّل في المجادلة إلى غاية الإنصاف، كقولك: «الله يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل»، ولا تُعَيَّن بالتصريح أحدهما، ولكن تنبّه الخصم على النظر؛ حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل.

والمقصود من الآية: أن المؤمنين على هدى، وأن الكفار في ضلال مبين.

﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ إخبارٌ يقتضي مسالمة نسخها السيف.

﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي: يحكم، و﴿الْفَتْحُ﴾: الحاكم.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ إقامة حجة على المشركين .
والرؤية هنا رؤية قلب ، ف ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعولٌ ثالث ، والمعنى : أروني
بالدليل والحجة مَنْ هم له شركاء عندكم كيف ^(١) وجه الشُّركة ؟ .

وقيل : هي رؤية بصر ، و ﴿شُرَكَاءَ﴾ حال من المفعول في ﴿أَلْحَقْتُمْ﴾ ؛
كأنه قال : أين الذين تعبدون من دونه ؟

وفي قوله : ﴿أَرُونِي﴾ تحقيرٌ للشركاء وازدراءٌ بهم ، وتعجيزٌ للمشركين .
وفي قوله : ﴿كَلَّا﴾ ردُّعٌ لهم عن الإِشراك .
وفي وصف الله بالعزیز الحكيم ردُّ عليهم ؛ لأن شركاءهم ليسوا كذلك .
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ المعنى : أن الله أرسل محمداً ﷺ إلى
جميع الناس ، وهذه إحدى الخصال التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء .
وإعراب ﴿كَافَّةً﴾ : حالٌ من «الناس» ، قُدِّمت للاهتمام ، هكذا قال
ابن عطية ^(٢) .

وقال الزمخشري : ذلك خطأ ؛ لأن تقدُّم حال المجرور عليه لا يجوز ،
وتقديره عنده : وما أرسلناك إِلَّا رسالةً عامة للناس ^(٣) ، ف ﴿كَافَّةً﴾ صفةٌ
للمصدر المحذوف .

وقال الزجاج : المعنى : أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والتبشير ^(٤) ،

(١) في د : «وكيف» .

(٢) المحرر الوجيز (١٨٦/٧) .

(٣) الكشف (٥٥٦/١٢) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ، لأبي إسحاق الزجاج (٢٥٤/٤) .

فجعله حالاً من الكافّ، والتاء على هذا: للمبالغة، كالتاء في «راوية» و«علامة».

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ يعني: يوم القيامة.

أو: نزول العذاب بهم في الدنيا.

وهو الذي سألوا عنه على وجه الاستخفاف فقالوا: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾.



[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُؤْمِنَ بِهِذَا الْقُرْآنَ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ أَتَتْهُمْ أَسْطُفَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَكُمْ عَنْ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْتَلِ فِي أَغْنَايِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾].

﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هي : الكتب المتقدمة ، كالتوراة والإنجيل .

وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد ﷺ .

وقيل : الذي بين يديه : يوم القيامة ، وهذا خطأ وعكس ؛ لأن الذي بين يدي الشيء هو ما يتقدم عليه .

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ جواب «لو» محذوف ، تقديره : لرأيت أمراً عظيماً .

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ أي : يتكلمون ويجب بعضهم بعضاً .

﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ أي : كفرتم باختياركم ، لا بأمرنا .

﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ المعنى : أن المستضعفين قالوا للمستكبرين :

بل مكركم بنا في الليل والنهار سبب كفرنا ، فأعراب ﴿مَكْرُ﴾ :

مبتدأ، وخبره محذوف.

أو خبر ابتداء مضمّر.

وأضاف ﴿مَكْرُ﴾ إلى ﴿الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ على وجه الاتساع.

ويحتمل أن يكون أضافه:

إلى المفعول.

أو إلى الفاعل على وجه المجاز، كقولهم: «نهاره صائم، وليله قائم»، أي: يُصام فيه ويُقام.

ودلّت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار.

فإن قيل: لم أثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين كفروا؟

فالجواب: أنه قد تقدّم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك، فعطف عليه كلامهم الثاني، ولم يتقدّم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه.

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم.

وقيل: أظهروها، فهو من الأضداد.

والضمير يجمع^(١) المستضعفين والمستكبرين.

﴿مُتَرَفُوها﴾ يعني: أهل الغنى والتنعم في الدنيا، وهم الذين يبادرون إلى

تكذيب الأنبياء.

والقصد بالآية: تسليّة النبي ﷺ على تكذيب أكابر قريش له.

(١) في أ، هـ: «لجميع».

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ الضمير: لقريش، أو للمترفين المتقدمين.

قاسُوا أمر الدنيا على الآخرة، وظنُّوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا لا يعذبهم في الآخرة.

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ إخبارٌ يتضمَّن الردَّ عليهم بأن^(١) بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلقٌ بمشيئة الله، فقد يوسع الله على الكافر والعاصي، ويضيِّق على المؤمن والمطيع، وبالعكس؛ فليس في الدنيا^(٢) دليل على أمر الآخرة.



(١) في أ، ب، هـ: «فإن».

(٢) في أ، ب، هـ: «ذلك».

[وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَةِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنْ رَأَىٰ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِيَأْكُلُوا مِنَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَابِنَا يَتَلَدَّى قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا ءَانَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا ءَانَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾] .

﴿زُلْفَى﴾ مصدرٌ بمعنى القُرب، كأنه قال: تقربكم قربي .

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ استثناءٌ من المفعول في ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾ ، والمعنى: أن الأموال لا تقرب إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله .

وقيل: الاستثناء منقطع .

والأول أحسن .

﴿جَزَاءُ الضَّعِيفِ﴾ يعني: تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك .

﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾ الآية؛ كررت هنا لا اختلاف القصد، فإن القصد بالأول: ردُّ على الكفار، والقصد هنا: ترغيبُ للمؤمنين^(١) بالإنفاق .

(١) في ج: «المؤمنين» .

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ الخَلَفَ قد يكون بالمال، أو بالثواب .
 ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ براءة من أن يكون لهم رضا بعبادة المشركين لهم ،
 وليس في ذلك نفْيٌ لعبادتهم لهم .
 ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ عبادتهم للجن : طاعتهم لهم في الكفر والعصيان .
 وقيل : كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيُعبدون لعبادتها .
 ويحتمل أن يكون قومٌ قد عبدوا الجن ؛ لقوله : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾
 [الأنعام : ١٠٠] .

﴿وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ الآية ؛ معناها يحتمل وجهين :
 أحدهما : ليس عندهم كتبٌ تدلُّ على صحة أقوالهم ، ولا جاءهم نذيرٌ
 يشهد بما قالوه ، فأقوالهم باطلة ؛ إذ لا حجة لهم عليها ، فالقصد على هذا :
 ردُّ عليهم .

والآخر : أنهم ليس عندهم كتب ، ولا جاءهم نذير ، فيهم محتاجون إلى
 من يعلمهم ويُنذرهم ؛ فلذلك بعث الله إليهم محمداً ﷺ ، فالقصد على هذا :
 إثبات نبوة محمد ﷺ .

﴿وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ المعشار : العشر .

وقيل : عشر العشر .

والأول أصح .

والضمير في ﴿بَلَّغُوا﴾ : لكفار قريش ، وفي ﴿ءَاتَيْنَهُمْ﴾ : للكفار

المتقدمين؛ أي: إن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين^(١) من القوة والأموال.

وقيل: الضمير في ﴿بَلَّغُوا﴾: للمتقدمين، وفي ﴿ءَاتَيْنَهُمْ﴾: لقريش؛ أي: ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة. والأول أصح، وهو نظير قوله: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الروم: ٩].

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري، يعني: عقوبة الكفار المتقدمين، وفي ذلك تهديد لقريش.



(١) في ج، د: «للمتقدمين».

[﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفَرَدَىٰ ثُمَّ تَنفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤٧) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ﴾ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (٥٠) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٥١) وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاسُتُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٣) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ (٥٤)].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾ أي: بقضية واحدة؛ تقريباً عليكم.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ هذا تفسير القضية الواحدة ف ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾:

بدل.

أو عطف بيان.

أو خبر ابتداء مضمرة.

ومعناه: أن تقوموا للنظر في أمر محمد ﷺ قياماً خالصاً لله تعالى، ليس فيه اتباع هوى ولا ميل.

وليس المراد بالقيام هنا: القيام على الرجلين؛ وإنما المراد: القيام بالأمر والجِدُّ فيه.

﴿مَشْنَىٰ وَفَرَدَىٰ﴾ حال من الضمير في ﴿تَقُومُوا﴾، والمعنى: أن تقوموا اثنين اثنين؛ للمناظرة في الأمر وطلب التحقيق، وتقوموا واحداً واحداً؛

لإحضار الذهن واستجماع الفكرة، ثم تفكروا في أمر محمد ﷺ فتعلموا أن ما به من جِنَّة؛ لأنه جاء بالحق الواضح، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدلُّ على رجاحة عقله ومثانة علمه، وأنه بلغ في الحكمة مبلغًا عظيمًا، فبدل ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفترٍ على الله.

﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّن جِنَّةٍ﴾ متصل بما قبله على الأصح؛ أي: تفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة.

وقيل: هو استئناف.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ هذا كما يقول الرجل لصاحبه: «إن أعطيتني شيئًا فخذ»، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئًا، ولكنه يريد البراءة من عطائه، فكذلك معنى هذا، فهو كقوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧، ص: ٨٦].

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي بِقَذْفٍ بِالْحَقِّ﴾ القذف: الرمي، ويستعار للإلقاء، فالمعنى: يلقي الحق إلى أنبيائه.

أو يرمي الباطل بالحق فيذهب.

﴿عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ خبر ابتداء مضمّر.

أو بدل:

من الضمير في ﴿يَقْذِفُ﴾.

أو من اسم ﴿إِنَّ﴾، على الموضع.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يعني: الإسلام.

﴿وَمَا يَبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ الباطل : الكفر، ونفي الإبداء والإعادة :

عبارة عن أنه لا يفعل شيئاً ولا يكون له ظهورٌ.

أو عبارة عن ذهابه ، كقوله : ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء : ٨١] .

وقيل : الباطل : الشيطان .

﴿إِنَّهُمْ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يعني : قربَه تعالى بعلمه وإحاطته^(١) .

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾ جواب «لو» محذوفٌ ، تقديره : «لرأيت أمراً عظيماً» .

ومعنى ﴿فَرَغُوا﴾ : أسرعوا الهروب^(٢) ، والفعل ماضٍ بمعنى الاستقبال ، وكذلك ما بعده من الأفعال .

ووقت الفرع : البعث .

وقيل : الموت .

وقيل : يوم بدر .

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف ﷻ : ﴿إِنَّهُمْ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يعني : قربَه تعالى بعلمه وإحاطته ، أقول : قوله : قربَه بعلمه وإحاطته ، معناه إثبات القرب العام ؛ كالمعية العامة المقتضية للعلم ، فيؤول المعنى أنه تعالى قريب من كل أحد ، ومن كل شيء ، ومع كل أحد ، بعلمه وإحاطته ، وما ذهب إليه المؤلف من إثبات القرب العام الراجع إلى العلم هو المناسب لمذهب الأشاعرة ؛ فإنهم لا يثبتون لله قرباً خاصاً من بعض العباد ؛ كالملائكة الذين عنده ، فليس أحدٌ من العباد أقرب إليه من بعض ، وذلك لقولهم : إنه تعالى في كل مكان ، كما تقدم ذكر ذلك عنهم ، وسبق التعليق عليه عند كلام المصنف على قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ . والله أعلم .

(٢) في أ ، هـ : «إلى الهروب» .

﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ أي: لا يقوتون الله إذا هربوا.

﴿وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني: من الموقف إلى النار إذا بُعثوا.

أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا.

أو من أرض بدر إلى القلب.

والمراد على كل قول: سرعة أخذهم.

﴿وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ﴾ أي: قالوا ذلك عند أخذهم.

والضمير المجرور: لله تعالى، أو للنبي ﷺ، أو للقرآن، أو للإسلام.

﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ التناوش - بالواو - : التناول، إلا أن التناوش تناول قريب سهل لشيء قريب.

وقرئ بهمز الواو، فيحتمل:

أن يكون المعنى واحداً.

أو يكون المهموز بمعنى الطلب.

ومعنى الآية: استبعاد وصولهم إلى مرادهم.

والمكان البعيد: عبارة عن تعذر مقصودهم؛ فإنهم يطلبون ما لا يكون، أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون، وهو رجوعهم إلى الدنيا، أو^(١) انتفاعهم بالإيمان حينئذ.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه في قولهم: ﴿ءَأَمَّنَّا بِهِ﴾.

(١) في ج، د: «و».

﴿وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿وَيَقْدِفُونَ﴾ فعل ماضٍ في المعنى معطوف على ﴿كَفَرُوا﴾.

ومعناه: أنهم يرمون بظنونهم في الأمور المغيبة فيقولون: لا بعث ولا جنة ولا نار، ويقولون في الرسول ﷺ: إنه ساحر أو شاعر.

والمكان البعيد هنا: عبارة عن بطلان ظنونهم، وبُعد أقوالهم عن الحق.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: حيل بينهم وبين دخول الجنة.

وقيل: حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ.

وقيل: حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: الكفار المتقدمين، وجعلهم أشياءهم؛ لاتفاقهم في مذاهبهم.

و﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يحتمل أن يتعلق:

بـ ﴿فُعِلَ﴾.

أو بـ ﴿أَشْيَاعِهِمْ﴾.

على حسب معنى ما قبله^(١).

﴿فِي شَكِّ مُرِيْبٍ﴾ هو أقوى الشك وأشدُّ إظلامًا^(٢).

(١) أي: على حسب الاختلاف في وقت الفزع، هل هو يوم القيامة فيتعلق بـ ﴿أَشْيَاعِهِمْ﴾، أو هو يوم بدر فيتعلق بـ ﴿فُعِلَ﴾. انظر: المحرر الوجيز (١٩٩/٧).

(٢) في ج، د: «ظلامًا».

﴿ سورة فاطر ﴾

[﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرُبَّعٌ يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْفَ تُؤْفَكُونَ﴾ (٣) وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٤) يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧)].

﴿جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا﴾ أي: وسائط بين الله وبين الأنبياء، ومتصرفين في أمر الله.

﴿مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرُبَّعٌ﴾ صفات لـ ﴿أَجْنَحَةٍ﴾، ولم ينصرف للعدل والوصف.

والمعنى: أن الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة.

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قيل: يعني: حُسن الصوت.

وقيل: حسن الوجه.

وقيل : حسن الخط .

والأظهر :

أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة .

أو يكون على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين .

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ الفتح : عبارة عن العطاء ^(١) ،
والإمساك : عبارة عن المنع .

والإرسال : الإطلاق بعد المنع .

والرحمة : كل ما يَمُنُّ الله به على عباده من خير الدنيا والآخرة .

فمعنى الآية : لا مانع لما أعطى الله ، ولا مُعطي لما منع الله .

فإن قيل : لم أنث الضمير في قوله : ﴿ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ وذكره في قوله :
﴿ فَلَا مُرْسِلَ لَهَا ﴾ وكلاهما يعود على ﴿ مَا ﴾ الشرطية ؟

فالجواب : أنه لما فسر الأول بقوله : ﴿ مِنْ رَحْمَةٍ ﴾ أنه ؛ لتأنيث الرحمة ،
وترك الآخر على الأصل من التذكير .

﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي : من بعد إمساكه .

﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾ رَفُعُ ﴿ غَيْرُ ﴾ : على الصفة لـ ﴿ خَلْقٍ ﴾ على
الموضع .

وخفضه : صفة على اللفظ .

(١) في د : « الإعطاء » .

ورزق السماء: المطر، ورزق الأرض: النبات.

والمعنى: تذكيرٌ بنعم الله، وإقامة حجة على المشركين، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية؛ تسليّة للنبي ﷺ على تكذيب قومه له، كأنه يقول: إن يكذبوك^(١) فلا تحزن لذلك؛ فإن الله سينصرك عليهم، كما كُذِّبَ رسل من قبلك فنصرهم الله.

﴿الْعُرُوزُ﴾: الشيطان.

وقيل: التسويف.

﴿وَالْعُرُوزُ﴾: الشيطان.

(١) في أ، هـ: «كذبوك».

[﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ أَلَّفَ اللَّهُ يَصِلُ مِنْ شَاءٍ وَيَهْدَى مِنْ شَاءٍ فَلَا نَذَابَ نَفْسِكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٨) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فُسِقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورُثُ﴾ (١٠) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١) وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازٍ لِنَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢) يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رُبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكَكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (١٤)].

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ توقيف، وجوابه محذوف، تقديره: «أفمن زُيِّنَ له سوء عمله كمن لم يُزَيَّنْ له؟»، ثم بنى على ذلك ما بعده.

فالذي زُيِّنَ له سوء عمله: هو الذي أضله الله، والذي لم يُزَيَّنْ له سوء عمله: هو الذي هداه الله.

﴿فَلَا نَذَابَ نَفْسِكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾ تسلية للنبي ﷺ عن حُزْنِهِ لِعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ؛ لأن ذلك بيد الله.

﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي الحشر، والمعنى: كما يحيي الله الأرض بالنبات

كذلك يحيي الموتى .

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ الآية؛ تحتمل ثلاثة معان:

أحدها - وهو الأظهر - : من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله؛ فإن العزة كلها لله .

والثاني : من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فلله العزة جميعاً ، فالمغالبة له مغلوب .

والثالث : من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعاً .

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ قيل : يعني : لا إله إلا الله .

واللفظ يعلم ذلك وغيره من الذكر ، والدعاء ، وتلاوة القرآن ، وتعليم العلم ، فالعموم أولى .

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن ضمير الفاعل في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ لله ، وضمير المفعول : للعمل الصالح ، فالمعنى : أن الله يرفع العمل الصالح ؛ أي : يتقبله ويثيب عليه .

والثاني : أن ضمير الفاعل : للكلم الطيب ، وضمير المفعول : للعمل الصالح ، والمعنى على هذا : أنه لا يقبل عملٌ صالح إلا ممن له كلمٌ طيب .

وهذا يصح إن قلنا : إن الكلم الطيب : «لا إله إلا الله» ؛ لأنه لا يقبل العمل إلا من موحد .

والثالث : أن ضمير الفاعل : للعمل الصالح ، وضمير المفعول : للكلم الطيب ، والمعنى على هذا : أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب ،

فلا يُقبل الكلمُ إلا ممن له عمل صالح.

روي هذا المعنى عن ابن عباس، واستبعده ابن عطية^(١)، وقال: لم يصح عنه؛ لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبل من كل مسلم، قال: وقد يستقيم بأن يُتأَوَّل: أن الله يزيد في رفعه وحسن موقعه.

﴿يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ لا يتعدى «مكر»؛ فتأويله:

«يمكرون المكرات السيئات»، فتكون ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ مصدرًا.

أو تَضَمَّنَ^(٢) ﴿يَمْكُرُونَ﴾ معنى: يكتسبون، فتكون ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ مفعولًا.

والإشارة هنا: إلى مكر قريش برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة، وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يُخرجوه.

﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ البوار: الهلاك أو^(٣) الكساد، ومعناه هنا: أن مكرهم يَبْطُل ولا ينفعهم.

﴿ثُمَّ جَعَلْكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: أصنافًا.

وقيل: ذُكرنا وإناثًا، وهذا أظهر.

﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ التعمير: طول العمر، والنقص: قَصْره، والكتاب: اللوح المحفوظ.

(١) المحرر الوجيز (٢٠٦/٧).

(٢) في أ، هـ: «يُضَمَّن».

(٣) في د: «و».

فإن قيل : إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد، فكيف أعاد الضمير في قوله : ﴿وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ على الشخص المعمّر؟
فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأول - وهو الصحيح - : أن المعنى : ما يعمّر من أحد ولا ينقص من عمره إلّا في كتاب، فوضع ﴿مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ في موضع : «من أحد»، وليس المراد شخصًا واحدًا، وإنما ذلك كقولك : «لا يعاقب الله عبدًا ولا يشبهه إلّا بحق».

والثاني : أن المعنى : لا يُزاد في عمر إنسانٍ ولا يُنْقَصُ من عمره إلّا في كتاب، وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانًا إن تصدّق فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون، وهذا ظاهر قول رسول الله ﷺ : «صلة الرحم تزيد في العمر»^(١)، إلّا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين، وليس مذهب الأشعرية، وقد قال كعبٌ حين طعن عمر : «لو دعا الله لَزَادَ في أجله»، فأنكر الناس ذلك عليه، فاحتجّ بهذه الآية^(٢).

والثالث : أن التعمير هو : كَتَبُ ما يُسْتَقْبَل من العمر، والنقص هو : كَتَبُ

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) بلفظ : «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه».

(٢) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٥١) : «رواه إسحاق بن راهويه في مسنده : أخبرنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري عن سعيد بن المسيب، قال : قال كعب . . .»، ورواه أيضًا عن عبد الرزاق معمر بن راشد كما في جامعه الملحق بالمصنف (٢٢٤/ ١١)، ورواه أيضًا الفريابي في كتاب القدر (ص : ٢٨١) عن عباس العنبري عن عبد الرزاق.

ما مضى منه في اللوح المحفوظ، وذلك في حق كل شخص^(١).

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ قد فسرنا البحرين والفرات والأجاج في «الفرقان»^(٢)، و﴿سَائِغٌ﴾ في «النحل»^(٣).

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمته في الوجه الثاني من وجوه مرجع الضمير في قوله: ﴿وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ﴾ أن المراد من يعمر بسبب كالصدقة، أو ينقص من عمره لعدم ذلك، فمن تصدق أو وصل رحمه زيد في عمره، بخلاف من ليس كذلك، واعترض رحمته على هذا الوجه بأنه يوافق قول المعتزلة القائلين بالأجلين، وأنه خلاف قول الأشاعرة، ولا شك أن قول المعتزلة بأن للإنسان أجلين مكتوبين؛ أحدهما معلق على سبب، وهذا السبب غير معلوم لله، وغير مكتوب، ولا ريب أن هذا القول باطل، وأهل السنة يقولون بما دلت عليه السنة؛ بأن طول العمر قد يكون بسبب من قبل العبد؛ كالبر والصلة، فمن عمر بهذا السبب، فالسبب والمسبب قد سبق بهما علم الله وكتابه؛ بمعنى أن الله قد علم وكتب أن هذا يطول عمره بذلك السبب، ويعلم سبحانه أنه لو لم يكن منه ذلك السبب لكان عمره دون ذلك، فهما أجلان؛ أجل معلوم مكتوب فلا يقع سواه، وأجل معلوم أنه لا يقع، فهو غير مكتوب، فعلم الله شامل لما كان وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف يكون. وبذلك يعلم أنه لا تغير في علم الله ولا في كتابه، ويمتنع أن يحدث ما يوجب ذلك؛ أي: التغير في علم الله وكتابه. وأما المعتزلة فقولهم بالأجلين معناه - على ما ذكره أبو منصور الماتريدي في تفسيره (١/٤٩١) - أن الله تعالى يجعل لكل أحد أجلين، فإذا وصل رحمه أماته في أبعد الأجلين، وإذا لم يصل جعل أجله الأول، قال أبو منصور متعباً: «فهذا أمر من يجهل العواقب، فأما من كان عالماً بالعواقب فلا؛ لأنه بدو ورجوع عما تقدم من الأمر» اهـ. ومن فروع قول المعتزلة: إن أفعال العباد غير مخلوقة لهم ولا مقدرة، من فروع ذلك: أن المقتول مقطوع عليه أجله، وأهل السنة يقولون: إن المقتول ميت بأجله.

(٢) انظر صفحة ٣٤٤.

(٣) انظر (٢/٧٦٠).

والقصد بالآية: التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده.

وقال الزمخشري: المعنى: أن الله ضرب البحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر^(١)، وهذا بعيد.

﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: الحوت.

﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: الجواهر والمرجان.

فإن قيل: إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب؛ فكيف قال: ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾ أي: من كل واحد منهما؟
فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن ذلك تجوُّز في العبارة، كما قال: ﴿يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ الْفَرْيَاتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] والرسول إنما هي من الإنسان.

الثاني: أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح حيث تنصبُّ أنهار الماء العذب، أو ينزل المطر، فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تنصبُّ^(٢) في البحر الملح: كان الإخراج منهما جميعاً.

الثالث: زعم قوم أنه قد يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب، وهذا قول يبطله الحس.

﴿مَوَاحِرَ﴾ ذكر في «النحل»^(٣).

(١) الكشف (١٢/٦٢٥).

(٢) في ج، د: «نصب».

(٣) انظر (٢/٧٣٦).

﴿يُولِجُ﴾ ذكر في «لقمان»^(١).

﴿قَطْمِيرٍ﴾ هو القشر الرقيق الأبيض الذي على نوى التمر، والمعنى: أن الأصنام لا يملكون أقلّ الأشياء فكيف أكثرها؟.

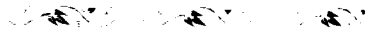
﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: بإشراككم، فالمصدر مضاف للفاعل.

وكُفّر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون:

بكلام يخلقه الله عندها.

أو بقرينة الحال.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: لا يخبرك بالأمر مُخْبِرٌ مثل مخبرٍ عالمٍ به، يعني: نفسه تعالى في إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدتهم.



[﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِيلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٠﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿٢١﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٢﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢٣﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٤﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٥﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ وَالزُّبُرِ ۖ وَالْكِتَابِ ۖ الْأَمِينِ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٨﴾] .

﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ خطابٌ لجميع الناس ، وإنما عرّف ﴿الْفُقَرَاءَ﴾ بالالف واللام ؛ ليدلّ على اختصاص الفقر بجنس الناس ، وإن كان غيرهم فقراء ، ولكن فقر^(١) الناس أعظم ، ثم وصف نفسه بأنه الغني في مقابلة وصفهم بالفقر .

ووصفّه بأنه الحميد ؛ ليدلّ على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمده عباده .

﴿وَلَا تَزِرُ﴾ ذكر في «سبحان»^(٢) .

﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِيلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ الحِمل : عبارة عن الذنوب .
والمثقلة : الثقيلة الحِمل ؛ أي : النفس الكثيرة الذنوب .

(١) في ج ، د : «فقراء» .

(٢) انظر (٧٩٨/٢) .

والمعنى : أنها لو دعت أحداً إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها .
وحذف مفعول ﴿وَأِنْ تَدْعُ﴾ ؛ لدلالة المعنى ، وقصد العموم .
وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله : ﴿وَلَا تُزْرُ وَأُزِرُّ وَزَرَ أُخْرَى﴾ .
﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ المعنى : ولو كان المدعو ذا قرى ممن دعاه إلى حمل
ذنوبه لم يحمل عنه شيئاً ؛ لأن كل أحد يقول : نفسي نفسي .
﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ المعنى : أن الإنذار لا ينفع إلا الذين
يخشون ربهم ، وليس المعنى : اختصاصهم بالإنذار .
﴿بِالْغَيْبِ﴾ في موضع حال من الفاعل في ﴿يَخْشَوْنَ﴾ ؛ أي : يخشون
ربهم ، وهم غائبون عن عذابه ، أو غائبون عن الناس ، فخشيتهم حق لا رياء .
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ تمثيل للكافر والمؤمن .
﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾﴾ تمثيل للكفر والإيمان .
﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ تمثيل للثواب والعقاب .
وقيل : ﴿الظُّلُّ﴾ : الجنة ، و﴿الْحَرُورُ﴾ : النار .
(والحرور في اللغة : شدة الحر بالنهار والليل ، والسَّموم : بالنهار
خاصة)^(١) .
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ تمثيل لمن آمن فهو كالحى ، ومن لم يؤمن
فهو كالميت .

(١) سقط من أ ، ب ، هـ .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ عبارة عن هداية الله لمن يشاء .

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ عبارة عن عدم سمع الكفار للبراهين والمواعظ ، فشبههم بالموتى في عدم إحساسهم .

وقيل : المعنى : أن أهل القبور - وهم الموتى حقيقة - لا يسمعون ، فليس عليك أن تسمعهم ، وإنما بعثت إلى الأحياء .

وقد استدلت عائشة بالآية على أن الموتى لا يسمعون ، وأنكرت ما ورد من خطاب النبي ﷺ لقتلى بدر حين جعلوا في القلب .

ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث : بأن الموتى في القبور إذا رُدَّتْ إليهم أرواحهم سمعوا ، وإن لم تردَّ إلى أجسادهم لم يسمعوا .

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ معناه : أن الله قد بعث إلى كل أمة نبياً يقيم عليهم الحجة .

فإن قيل : كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فتراتٌ وأزمنة طويلة؟ ألا ترى أن بين عيسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم ست مئة سنة لم يبعث فيها نبي؟
فالجواب : أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة .

فإن قيل : كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله : ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [السجدة : ٣]؟

فالجواب : أنهم لم يأتهم نذيرٌ معاصر لهم ، فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم ، وأيضاً فإن المراد بقوله : ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أن نبوة

محمد ﷺ ليست ببِدْع، فلا ينبغي أن تنكر؛ لأن الله أرسله كما أرسل من قبله، والمراد بقوله: ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أنهم محتاجون إلى الإنذار؛ لكونهم لم يتقدم من يُنذَرهم، فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية؛ تسليّة بالتأسي.

﴿نَكِيرٍ﴾ ذكر في «سبأ»^(١).



[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيُّ سُودٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٤﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿١٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿١٧﴾].

﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ يريد: الصفرة والحمرة وغير ذلك من الألوان.

وقيل: يريد الأنواع.

والأول أظهر؛ لذكره البيض والحمرة والسود بعد ذلك.

وفي الوجهين دليل على أن الله تعالى فاعل مختار، يخلق ما يشاء ويختار.

وفيه ردُّ على الطبائعين؛ لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلا نوع واحد.

﴿جُدُدٌ﴾ جمع جُدَّة، وهي الخطط والطرائق في الجبال.

﴿وَعَرِيبٌ﴾ جمع غَرِيب، وهو الشديد السواد.

وقدَّم الوصف الأبلغ، وكان حقه أن يتأخَّر؛ لقصد التأكيد، ولأن^(١) ذلك كثيراً ما يأتي في كلام العرب.

﴿كَذَلِكَ﴾ يتعلَّق بما قبله فيتمُّ الوقف عليه، والمعنى: أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه، مثل الجبال المختلفة ألوانها، والثمرات المختلفة ألوانها، وذلك كله استدلالٌ على قدرة الله وإرادته.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يعني: العلماء بالله وصفاته وشرائعه علماً يوجب لهم الخشية من عذابه، وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدكم له خشية»^(٢)؛ لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه، وإذا لم يعرفه لم يخف منه؛ فلذلك خصَّ العلماء بالخشية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي: يقرؤون القرآن.

وقيل: معنى ﴿يَتْلُونَ﴾: يتبعون.

والأول أظهر.

(١) في أ، ب، هـ: «لأن» بدون واو.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ١٣٩):

لم أجده هكذا، وفي الصحيح: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية».

والخير :

﴿يَرْجُونَ نَجْرَةً﴾ .

أو محذوف .

﴿لَنْ تَكْبُورَ﴾ أي : لن تكسُد ، ويعني بالتجارة : طلب الثواب .

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ توفية الأجور : هي ما يستحقه المطيع من الثواب ،
والزيادة : التضعيف فوق ذلك .

وقيل : الزيادة : النظر إلى وجه الله .

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذكر في «البقرة»^(١) .

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا﴾ يعني : أمة محمد ﷺ ، والتورث :
عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم .

﴿فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قال عمر
وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين : هذه الأصناف
الثلاثة في أمة محمد ﷺ ، فالظالم لنفسه : العاصي ، والسابق : التقى^(٢) ،
والمقتصد : بينهما .

وقال الحسن : السابق : من رجحت حسناته على سيئاته ، والظالم لنفسه :
من رجحت سيئاته (على حسناته)^(٣) ، والمقتصد : من استوت حسناته

(١) انظر (١/٣٠٨) .

(٢) في ج : «المتقي» .

(٣) زيادة من د ، وهامش ب .

وسَيئاته ، وجميعهم يدخلون الجنة .

وروي أن رسول الله ﷺ قال : «سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له»^(١) .

وقيل : الظالم : الكافر ، والمقتصد : المؤمن العاصي ، والسابق : التقي .
فالضمير في ﴿مَنْهُمْ﴾ على هذا : يعود على العباد .

وأما على القول الأول : فيعود على ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا﴾ ، وهو أرجح وأصح ؛ لوروده في الحديث ، وجلالة القائلين به .

فإن قيل : لم قَدَّم الظالم ووسَّط المقتصد وأخَّر السابق ؟

فالجواب : أنه قَدَّم الظالم لنفسه رفقا به ؛ لثلاث يئس ، وأخَّر السابق لثلاث يُعَجَّب بنفسه .

وقال الزمخشري : قَدَّم الظالم لكثرة الظالمين ، وأخَّر السابق لقلَّة السابقين^(٢) .

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الإشارة إلى الاصطفاء .

﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾ بدلٌ من ﴿الْفَضْلُ﴾ .

أو خبر مبتدأ تقديره : «ثوابهم»^(٣) جنات عدن .

أو مبتدأ تقديره : «لهم جنات عدن» .

(١) أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور (ص : ٦٠) .

(٢) الكشف (١٢/٦٥٩) .

(٣) في د : «مناهم» .

﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ضمير الفاعل يعود على الظالم، والمقتصد، والسابق، على القول بأن الآية في هذه الأمة.

وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة.

وقال الزمخشري: إنه يعود على السابق خاصة^(١)، وذلك على قول المعتزلة في الوعيد.

﴿أَسَاوِرَ﴾ ذكر في «الحج»^(٢).

﴿أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ قيل: هو عذاب النار.

وقيل: أهوال القيامة.

وقيل: الموت.

وقيل: هموم الدنيا.

والصواب: العموم في ذلك كله.

﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ هي الجنة، و﴿الْمُقَامَةِ﴾: هي الإقامة في الموضع، وإنما سُميت الجنة دار المقامة؛ لأنهم يقيمون فيها، ولا يخرجون منها.

﴿نَصَبٌ﴾ النصب: تعب البدن، واللغوب: تعب النفس اللازم عن تعب البدن.

(١) الكشف (١٢/٦٥٨).

(٢) بل ذكر في «الكهف» (٣/٢٦).

﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يَفْتَعِلُونَ من الصُّرَاخ؛ أي: يستغيثون فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾.

وفي قولهم: ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ اعتراف^(١) بسوء عملهم وتندم عليه.
﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾ الآية؛ توبيخ لهم وحجة عليهم.
وقيل إن مدة التذكير: ستون سنة.

وقيل: أربعون.

وقيل: البلوغ.

والأول أرجح؛ لقول رسول الله ﷺ: «من عمَّره الله ستين فقد أعذر إليه في العمر»^(٢).

﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ يعني: النبي ﷺ.

وقيل: يعني: الشيب؛ لأنه نذير بالموت.

والأول أظهر^(٣).



(١) في أ، هـ: «اعترافهم».

(٢) أخرجه أحمد (٩٣٩٤)، والنسائي في الكبرى (٣٩٥/١٠)، وأخرجه البخاري

(٦٤١٩) بلفظ: «أعذر الله إلى امرئ آخر أجله، حتى بلغه ستين سنة».

(٣) في ب: «أرجح وأظهر».

[إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾].

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما تُضمّره الصدور وتعتقده.

قال الزمخشري: «ذات» هنا: تأنيث «ذو» بمعنى صاحب؛ لأن المضمّرات تصحب الصدور^(١).

﴿خَلَائِفَ﴾ ذكر في «الأنعام»^(٢).

(١) الكشاف (١٢/٦٦٥-٦٦٦).

(٢) انظر ٢/٣٢٧.

﴿مَقْنًا﴾ المقت: احتقارك^(١) الإنسان وبغضه من أجل عيوبه أو ذنوبه .
 ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾ الآية؛ احتجاج على المشركين وإبطالاً لمذهبهم .
 ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي: نصيبٌ .

﴿عَلَى يَنَنَّتِ﴾ أي: على أمر جلِّي .
 والضمير في ﴿ءَاتَيْنَهُمْ﴾ يحتمل أن يكون:
 للأصنام .

أو للمشركين، وهذا أظهر في المعنى .
 والأول أليق بما قبله من الضمائر .
 ﴿أَنْ تَزُولَا﴾ في موضع مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن تزولا .
 أو مفعول به؛ لأن ﴿يُمْسِكَ﴾ بمعنى: يمنع .
 ﴿وَلَكِنْ زَالَتَا﴾ أي: لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحدٌ .
 وقيل: أراد: زوالهما يوم القيامة عند طي السماء وتبديل الأرض ونسف
 الجبال .

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد ترك^(٢) الإمساك .
 ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ الضمير لقريش، وذلك أنهم قالوا: لعن الله اليهود

(١) في ج، د: «احتقار» .

(٢) في أ، ب، هـ: «تركه» .

والنصارى ؛ جاءتهم الرسل فكذبوهم ، والله لئن جاءنا رسول لنكوننَّ أهدى منهم .

﴿إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يعني : اليهود والنصارى .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني : محمداً ﷺ .

﴿أَسْكَبَارًا﴾ بدلٌ من ﴿نُفُورًا﴾ .

أو مفعولٌ من أجله .

﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف^(١) ، كقولك : «مسجدُ الجامع» ، و«جانبُ الغربي» ، والأصل أن يقال : المكر السيئ .

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي : لا يُحيط وبأل المكر السيئ إلا بمن مكره ودبره .

وقال كعب لابن عباس : إن في التوراة : «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها» ، فقال ابن عباس : أنا أجد هذا^(٢) في كتاب الله : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ .

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي : هل ينتظرون إلا عادة الأمم المتقدمة في أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيب الرسل .

(١) كذا وردت العبارة في جميع النسخ الخطية ، والعبارة فيها قلبٌ ولعل صوابها : «من

إضافة الموصوف إلى الصفة» ، كذا قال مكي في «مشكل إعراب القرآن» (٥٩٦/٢) ،

فالموصوف - وهو ﴿مَكْرَ﴾ - أضيف إلى صفته - وهي ﴿السَّيِّئِ﴾ ، وليس العكس .

(٢) في أ ، هـ : «أجدها» .

﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي : لا يَقُوتُهُ شَيْءٌ ، ولا يصعب عليه .
﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ الضمير للأرض ، والدابة : عمومٌ في كل ما يَدِبُّ .

وقيل : أراد بني آدم خاصة .

﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني : يوم القيامة .

وباقى الآية وعدٌ ووعد .



﴿سورة يس﴾

[﴿يس ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِنُذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدُمُوا وَءَاتَاهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾] .

قد تكلمنا في «البقرة»^(١) على حروف الهجاء .

وقيل : في ﴿يس﴾ إنه من أسماء النبي ﷺ .

وقيل : معناه : «يا إنسان» .

﴿تنزيل﴾ بالرفع خبر ابتداء مضمرة .

وبالنصب :

مصدر .

أو مفعول بفعل مضمرة .

(١) انظر (١/ ٢٦١) .

﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا﴾ هم قريش، ويَحْتَمِلُ أَنْ يَدْخُلَ مَعَهُمْ سَائِرُ الْعَرَبِ وَسَائِرِ النَّاسِ.

﴿مَا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ﴾ ﴿مَا﴾ نَافِيَةٌ، وَالْمَعْنَى: لَمْ يَرْسَلْ إِلَيْهِمْ وَلَا لِآبَائِهِمْ رَسُولٌ يَنْذِرُهُمْ.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى: لَتُنْذِرَ قَوْمًا مِثْلَ مَا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ، فـ ﴿مَا﴾ عَلَى هَذَا: مَوْصُولَةٌ بِمَعْنَى «الَّذِي»، أَوْ مُصَدَّرِيَّةٌ.

وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَهُمْ غَفِلُونَ﴾، يَعْنِي: أَنَّ غَفْلَتَهُمْ بِسَبَبِ عَدَمِ إِنْذَارِهِمْ، وَيَكُونُ ^(١) بِمَعْنَى قَوْلِهِمْ: ﴿مَا أُنْذِرُهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [السجدة: ٣] وَلَا يَعَارِضُ هَذَا بَعَثُ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ؛ فَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَمْ يَدْرِكُوهُمْ هُمْ ^(٢) وَلَا آبَاؤُهُمُ الْأَقْرَبُونَ.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ أَي: سَبَقَ الْقَضَاءُ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ الْآيَةُ؛ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ تَمَادِيهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَمَنْعِ اللَّهِ لَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، فَشَبَّهَهُمْ بِمَنْ جُعِلَ فِي عُنُقِهِ غُلٌّ يَمْنَعُهُ مِنَ الْإِلْتِفَاتِ، وَغُطِّيَ عَلَى بَصَرِهِ فَصَارَ لَا يَرَى.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ كَفُّهُمْ عَنْ إِذَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ أَرَادَ أَبُو جَهْلٍ أَنْ يَرْمِيَهُ بِحَجَرٍ، فَرَجَعَ عَنْهُ فَرَعًا مَرْعُوبًا.

(١) فِي أ، ب، هـ: «وَتَكُونُ».

(٢) لَمْ تَرُدْ فِي أ، ب، د، هـ.

والثالث: أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم .

والأول أظهر وأرجح؛ لقوله قبلها: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله بعدها ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ .

﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ الذَّقْنُ: هو طرف الوجه حيث تنبت اللحية .

والضمير للأغلال، وذلك أن الغُلَّ حَلَقَةٌ في العنق، فإذا كان واسعاً عريضاً وصل إلى الذَّقْن فكان أشدَّ على المغلول .

وقيل: الضمير للأيدي، على أنها لم يتقدَّم لها ذكرٌ، ولكنها تفهم من سياق الكلام؛ لأن المغلول تضم يده^(١) في الغل إلى عنقه، وفي مصحف ابن مسعود: «إنا جعلنا في أيديهم أغلالاً فهي إلى الأذقان»، وهذه القراءة تدل على هذا المعنى، وقد أنكره الزمخشري^(٢) .

﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ يقال: قَمَحَ البعيرُ: إذا رفع رأسه، وأقمحه غيره: إذا فعل به ذلك .

والمعنى: أنهم لما اشتدَّت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رؤوسهم إلى الارتفاع .

وقيل: معنى ﴿مُقْمَحُونَ﴾: ممنوعون من كل خير .

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا﴾ الآية؛ السُّدُّ: الحائل بين الشيئين، وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان .

(١) في أ، ب، هـ: «يده» .

(٢) الكشاف (١٣/١٣-١٤) .

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي: غطينا على أبصارهم، وذلك أيضًا مجازًا يراد به: إضلالهم.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية؛ ذكرنا معناها وإعرابها في «البقرة»^(١).

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ المعنى: أن الإنذار لا ينفع إلا من اتبع الذكر، وهو القرآن.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ معناه كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨]، وقد ذكرناه في «فاطر»^(٢).

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي: نبعثهم يوم القيامة.

وقيل: إحيائهم: إخراجهم من الشرك إلى الإيمان.

والأول أظهر.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ أي: ما قَدَّمُوا من أعمالهم، وما تركوه بعدهم، كعلم علموه أو تحيس حيسوه.

وقيل: الآثار هنا: الخطأ إلى المساجد، وجاء ذلك في الحديث^(٣).

(١) انظر (٢٦٩/١).

(٢) انظر صفحة ٢١٦.

(٣) أخرج البخاري (٦٥٥) من حديث أنس، ومسلم (٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله: قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد»، قالوا: نعم، يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم».

﴿إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في كتابٍ، وهو اللوح المحفوظ، أو صحائف الأعمال.



[وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوِرُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يَرِدْني الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذَا لَفَى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنْ أَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدُنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾] .

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾ الضمير لقريش، و﴿مَثَلًا﴾ و﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ مفعولان بـ ﴿أَضْرِبْ﴾ على القول بأنها تتعدى إلى مفعولين، وهو الصحيح.
والقرية: أنطاكية.

﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام يدعو الناس إلى عبادة الله.

وقيل: بل هم رسل أرسلهم الله، ويدل على هذا: قول قومهم: ﴿مَا أَنْتُمْ

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴿١﴾ ، فَإِنْ هَذَا إِنَّمَا يُقَالُ لِمَنْ ادَّعَى أَنْ اللَّهَ أَرْسَلَهُ .

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي : قَوَّيْنَا الْاِثْنَيْنِ بِرَسُولٍ ثَالِثٍ ، وَقِيلَ : اسْمُهُ شَمْعُونُ .

﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ إِنَّمَا أَكْثَدُوا الْخَبَرَ هُنَا بِاللَّامِ ؛ لِأَنَّهُ جَوَابٌ لِلْمُنْكَرِينَ ، بِخِلَافِ الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ ؛ فَإِنَّهُ إِخْبَارٌ مُجَرَّدٌ .

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي : تَشَاءَمْنَا ، وَأَصْلُ اللَّفْظَةِ : مِنْ زَجَرِ الطَّيْرِ ؛ لَيْسَتْ دَلَّ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، وَإِنَّمَا تَشَاءَمُوا بِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ جَاءُوا بِدِينٍ غَيْرِ دِينِهِمْ .

وَقِيلَ : وَقَعَ فِيهِمُ الْجُذَامُ لَمَّا كَفَرُوا .

وَقِيلَ : قَحِطُوا .

﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي : قَالَ الرِّسْلُ لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ : شُؤْمُكُمْ مَعَكُمْ ؛ أَيِ : إِنَّمَا الشُّؤْمُ الَّذِي أَصَابَكُمْ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ ، لَا بِسَبَبِنَا .

﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ دَخَلَتْ هَمْزَةُ الْاسْتِفْهَامِ عَلَى حَرْفِ الشَّرْطِ ، وَفِي الْكَلَامِ حَذْفُ تَقْدِيرِهِ : أَتَتَطَيَّرُونَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ ؟ .

﴿يَسْعَى﴾ أي : يَسْرِعُ ؛ لِجِدَّةِ ^(١) وَنَصِيحَتِهِ .

وَقِيلَ : اسْمُهُ : حَبِيبُ النِّجَارِ .

﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُنْتَدُونَ﴾ أي : هَؤُلَاءِ الْمُرْسَلُونَ لَا يَسْأَلُونَكُمْ أَجْرَةً عَلَى الْإِيمَانِ ، فَلَا تَخْسَرُونَ مَعَهُمْ شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكُمْ ،

(١) فِي ج : «بِجِدَّة» .

وتربحون معهم الاهتداء في دينكم .

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ المعنى : أي شيء يمنعني من عبادة ربي؟ ، وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه ، ولذلك قال : ﴿وَالْيَهُ تَرْجِعُونَ﴾ فخاطبهم .

﴿إِنْ يُرِدِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ﴾ هذا وصف للآلهة ، والمعنى : كيف أتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ، ولا ينقذونني من الضر .
﴿إِنِّي إِذًا لَنِي ضَلَّلٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٤) أي : إن اتخذت آلهة غير الله فإني لفي ضلال مبين .

﴿إِنِّي لَأَمْتٌ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ (٢٥) خطاب لقومه ؛ أي : اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي .

وقيل : خطاب للرسل ؛ ليشهدوا له .

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ قبل هذا محذوف يدل عليه الكلام ، وروي في الأثر ؛ وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه ، فلما مات قيل له : ادخل الجنة .

واختلف هل دخلها حين موته كالشهداء؟ أو هل ذلك بمعنى البشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها؟

﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) بما عفر لي ربي ﴿تَمَنَّى أَنْ يَعْلَمَ قَوْمَهُ بِغُفْرَانِ اللَّهِ لَهُ عَلَى إِيمَانِهِ فَيُؤْمِنُوا ، ولذلك ورد في الحديث : «أَنَّهُ نَصَحَ لَهُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا»^(١) .
وقيل : أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه ، ويحزنهم ذلك .

(١) قال الزبيلي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٦٣) : «رواه ابن مردويه في تفسيره» .

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المعنى : أن الله أهلكتهم بصيحة صاحها جبريل ، ولم يحتج في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء ؛ لأنهم أهون من ذلك .

وقيل : المعنى : ما أنزل الله على قومه ملائكة رسلاً كما قالت قريش : ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان : ٧] .

ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول ، وكذلك ذُكر الصيحة بعد ذلك .

﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ ما كنا لنُنزل جنداً من السماء على أحد .

﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ أي : ساكنون لا يتحركون ولا ينطقون .

﴿يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ نداء للحسرة ، كأنه قيل ^(١) : «يا حسرة احضري فهذا وقتك» ، وهذا التفجع عليهم استعارة في معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسل .

ويحتمل أن يكون من كلام : الملائكة ، أو المؤمنين من الناس .

وقيل : المعنى : يا حسرة العباد على أنفسهم .

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ الضمير : لقريش ، أو للعباد على الإطلاق ، والرؤية هنا : بمعنى العلم .

﴿وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ قرئ ﴿لَمَّا﴾ بالتخفيف ، وهي لام التأكيد دخلت على «ما» الزائدة ، و﴿إِنْ﴾ على هذا : مخففة من الثقيلة .

وقرئ بالتشديد ، وهي بمعنى «إلا» ، و﴿إِنْ﴾ على هذا نافية .

(١) في ب ، د ، هـ : «قال» .

[وَأَيُّهُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ
ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا
تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَيُّهُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ
فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ
﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ
تُذَرَكَ الْقَمَرَ وَلَا الْبَلُّ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَيُّهُ لَهُمُ آنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ
فِي الْفَلَكَ الْمَسْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمُ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ شَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ
لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ
أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْنِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
أَنْظِعُوا مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾].

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿مَا﴾ معطوفة على ﴿ثَمَرِهِ﴾؛ أي: لياكلوا من
الثمر ومما^(١) عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة.

وقيل: ﴿مَا﴾ نافية.

وقرئ ﴿مَا عَمِلْتُ﴾ بغير هاء و﴿مَا﴾ على هذا: معطوفة.

﴿الْأَزْوَاجَ﴾ يعني: أصناف المخلوقات، ثم فسرها بقوله: ﴿مِمَّا تُنْبِتُ﴾

(١) في ب، ج، د: «وما».

الْأَرْضُ ﴿ وَمَا بَعْدَهُ ، ف « مِنْ » فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ لِلْيَإِن .
 ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يَعْنِي : أَشْيَاءٌ لَا يَعْلَمُهَا بَنُو آدَمَ كَقَوْلِهِ : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا
 تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨] .

﴿ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ أَنْ نَجْرُدَهُ مِنْهُ ، وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ .
 ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ أَي : لِحَدِّ مَوْقِعٍ تَنْتَهِي إِلَيْهِ مِنْ فَلَكِهَا ،
 وَهِيَ نَهَايَةُ جَرِّيْهَا إِلَى أَنْ تَرْجِعَ فِي الْمُنْقَلَبَيْنِ : الشَّتْوِي وَالصَّيْفِي .
 وَقِيلَ : مُسْتَقَرُّهَا : وَقُوفُهَا كُلَّ يَوْمٍ وَقْتَ الزَّوَالِ ، بِدَلِيلِ وَقُوفِ الظِّلِّ
 حِينَئِذٍ .

وَقِيلَ : مُسْتَقَرُّهَا : يَوْمُ الْقِيَامَةِ حِينَ تَكُونُ .
 وَفِي الْحَدِيثِ : « مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ تَسْجُدُ فِيهِ كُلُّ لَيْلَةٍ بَعْدَ غُرُوبِهَا » (١)
 وَهَذَا أَصَحُّ الْأَقْوَالِ ؛ لَوُرُودِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ .
 وَقُرِئَ ﴿ لَا مُسْتَقَرٌّ لَهَا ﴾ ؛ أَي : لَا تَسْتَقِرُّ عَنْ جَرِّيْهَا .
 ﴿ وَالْقَمَرُ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ ﴾ قُرِئَ بِالرَّفْعِ :
 عَلَى الْإِبْتِدَاءِ .
 أَوْ عَطَفَ عَلَى ﴿ أَلَيْلُ ﴾ .
 وَبِالنَّصْبِ : عَلَى إِضْمَارِ فَعْلٍ .
 وَلَا بَدَّ فِي ﴿ قَدَرْتَهُ ﴾ مِنْ حَذْفٍ ، تَقْدِيرُهُ : قَدَرْنَا سِيرَهُ مَنَازِلَ .

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩).

ومنازل القمر ثمانية وعشرون، ينزل القمر كلّ ليلة واحدة منها من أول الشهر، ثم يستتر^(١) في آخر الشهر ليلةً أو ليلتين.

قال الزمخشري: «وهذه المنازل هي مواقع النجوم؛ وهي: الشَّرطان^(٢)، البُطَيْن، الشريا، الدَّبْران، الهَقَّعة، الهَنْعَة، الذَّرَاع، النَّثْرة، الطَّرْف، الجَبْهة، الرُّبْرة، الصَّرْفَة، العَوّا، السَّمَاك، العَفْر، الرُّبَانَى، الإكْلِيل، القلب، السَّوْلَة، النَّعائم، البَلْدَة، سَعْدُ الذَّابِح، سَعْدُ بُلْع، سَعْدُ السَّعُود، سَعْدُ الْأَحْيَاءِ، فَرُغُ الدَّلْوِ الْمَقْدَّم، فَرُغُ الدَّلْوِ الْمُؤَخَّر، الرَّشَاءُ^(٣)»^(٤).

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ العرجون: هو غصن النخلة، شبه القمر به إذا تناهى في نقصانه.

والتشبيه في ثلاثة أوصاف؛ وهي: الرِّقَّة، والانحناء، والصُّفْرة.

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: «يَسْتَسِرُّ»، قال ابن سيده في المحكم (٤٠٨/٨) «وَأَسْتَسِرَّ الْهَلَالُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ: خَفِيَ، لَا يُلْفِظُ بِهِ إِلَّا مَزِيدًا. . وَالسَّرَرُ وَالسَّرَرُ وَالسَّرَارُ وَالسَّرَارُ كُلُّهُ: اللَّيْلَةُ الَّتِي يَسْتَسِرُّ فِيهَا الْقَمَرُ»، وهي الموافقة لما في الكشف (١١٩٠/٢) ط: كلكتا.

(٢) في ب، ج، د: «السرطان» بالسين، والمثبت هو الصواب فالشرطان -بالشين- هو الذي يعدُّ من منازل القمر الثمانية والعشرين، وأما السرطان -بالسين- فهو من البروج الاثني عشر. انظر: الأنواء لابن قتيبة (ص: ١٧، ١٢٠). وفي أ، هـ: «النَّطَح»، وهو اسم لمنزلة الشَّرطان أيضًا، والمثبت موافق لما في الكشف (٥١/١٣).

(٣) في ب: «بطن الحوت»، وهو من أسماء هذه المنزلة كما في الأنواء لابن قتيبة (ص: ٨٥) والمثبت موافق لما في الكشف.

(٤) الكشف (٥١-٥٥/١٣).

ووصفه بالقديم؛ لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ المعنى: لا يمكن الشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره، هكذا قال بعضهم.

ويحتمل أن يريد: أن سير الشمس في الفلك بطيء، فإنها تقطع الفلك في سنة، وسير القمر سريع، فإنه يقطع الفلك في شهر، والبطيء لا يدرك السريع.

﴿وَلَا أَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يعني: أن كل واحد منهما جعل الله له وقتاً موقتاً، وحداً معلوماً لا يتعداه، فلا يأتي الليل حتى ينفصل النهار، كما لا يأتي النهار حتى ينفصل الليل.

ويحتمل أن يريد: أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية النهار وهي الشمس؛ أي: لا تجتمع معه، فيكون المعنى كالذي قيل^(١) في قوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فحصل من ذلك: أن الشمس لا تجتمع مع القمر، وأن القمر لا يجتمع مع الشمس.

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ذكر في «الأنبياء»^(٢).

﴿وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ معنى ﴿الْمَشْحُونِ﴾: المملوء.

(١) في ب، ج، هـ: «قبل».

(٢) انظر (١٤٣/٣).

﴿الْفَلَكِ﴾ هنا يحتمل أن يريد به :

جنس السفن .

أو سفينة نوح ﷺ .

وأما الذرية : فقليل : إنه يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح ﷺ ،
وسمى الآباء ذرية ؛ لأن الذرية تناسلت ^(١) منهم ، وأنكر ابن عطية ذلك ^(٢) .

وقيل : يعني : النساء ، وذلك بعيد .

والأظهر : أنه إن أراد بالفلك جنس السفن : فيعني جنس بني آدم ، وإنما
خصّ ذريتهم بالذكر ؛ لأنه أبلغ في الامتنان عليهم ، ولأن فيه إشارة إلى حمل
أعقابهم إلى يوم القيامة .

وإن أراد بالفلك سفينة نوح : فيعني بالذرية : من كان في السفينة ،
وسمّاهم ذرية ؛ لأنهم ذرية آدم ونوح ، فالضمير في ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ على
هذا : لنوع ^(٣) بني آدم ، كأنه يقول : الذرية منهم .

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ ^(٤١) : إن أراد بالفلك سفينة نوح : فيعني
بقوله : ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ سائر السفن التي يركبها الناس .

وإن أراد بالفلك جنس السفن : فيعني بقوله : ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ الإبل وسائر
المركوبات ، فتكون المماثلة على هذا في أنه مركوب لا غيرُ .

(١) في أ ، هـ : «متناسلة» .

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٥٠) .

(٣) في ب ، ج ، هـ : «النوع» .

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿وَلِنْ نَّشَأَ نَفَرُهُمْ﴾، ولا يُتصوّر هذا في المركوبات غير السفن.

﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ أي: لا مغيث، ولا مُنقذ لهم من الغرق.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ قال الكسائي: نصب ﴿رَحْمَةً﴾ على الاستثناء، كأنه قال: إلا أن نرحمهم.

وقال الزجاج: نصب ﴿رَحْمَةً﴾ على المفعول من أجله، كأنه قال: إلا لأجل رحمتنا إيّاهم.

﴿وَمَتَعْنَا إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني: آجالهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْقِذُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ الضمير لقريش، وجواب ﴿وَإِذَا﴾ محذوف، تقديره: «أعرضوا»، ويدلّ عليه: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم: ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة.

وقيل: ما بين أيديهم: عذاب الأمم المتقدمة، وما خلفهم: عذاب الآخرة.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعِم مِّنْ لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ كان النبي ﷺ والمؤمنون يحضّون على الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب، وفي معناه قولان:

أحدهما: أنهم قالوا: كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم، فمنذ حرّمهم الله نحرمهم نحن، وهذا كقولهم: «كن مع الله على المدير».

والآخر: أن قولهم ردُّ على المؤمنين، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون: الأمور كلها بيد الله، فكان الكفارُ يقولون لهم: لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء؛ فما بالكم تطلبون إطعامهم منا؟.

ومقصدهم^(١) في الوجهين: احتجاجٌ لبخلهم ومنعهم الصدقات، واستهزاء بمن حَضَّهم على الصدقة^(٢).

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يحتمل أن يكون:

من بقية كلامهم خطاباً للمؤمنين.

أو يكون من كلام الله خطاباً للكافرين.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون: يوم القيامة، أو نزول العذاب بهم.

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة، يعني: النفخة الأولى في الصور، وهي نفخة الصَّعَق.

﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي: تأخذهم بغتة وهم يختصمون؛ أي: يتكلمون في أمورهم.

وأصل ﴿يَخِصِّمُونَ﴾: يختصمون، ثم أدغم.

وقرئ بفتح الخاء، وبكسرهما، واختلاس حركتها.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً﴾ أي: لا يقدرُونَ أن يوصوا بما لهم وما عليهم؛ لسرعة الأمر.

(١) في ب، د: «ومقصودهم».

(٢) في ب: «بمن يعطي الصدقة».

﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم؛
لسرعة الأمر.



[وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا
 مِنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ
 إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا
 وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ ﴿٥٥﴾
 هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾
 سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَتْيَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ
 إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا
 صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِثًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ
 جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ
 عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ
 لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْتَ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ
 عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نَعْمِرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي
 الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾].

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ هذه النفخة
 الثانية، وهي نفخة القيام من القبور.

﴿وَالْأَجْدَاثِ﴾ : هي القبور.

﴿يَنسِلُونَ﴾ : يسرعون المشي.

وقيل : يخرجون.

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا﴾ الويل : منادى، أو مصدر.

﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنًا﴾ المرقد: يحتمل أن يكون: اسم مصدر، أو اسم مكان.

قال أبي بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومة قبل الحشر.

قال ابن عطية: وهذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه في معنى قولهم: ﴿مِنْ مَّرْقَدِنًا﴾ أنها استعارة وتشبيه به^(١)، يعني: أن قبورهم شبّهت بالمضاجع، لكونهم فيها على هيئة الراقد^(٢)، وإن لم يكن رقاد^(٣) في الحقيقة.

﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿هَذَا﴾: مبتدأ، وما بعده: خبره.

وقيل: إن ﴿هَذَا﴾ صفة لـ ﴿مَّرْقَدِنًا﴾، و﴿مَا وَعَدَ﴾ مبتدأ محذوف الخبر، وهذا ضعيف.

ويحتمل أن يكون هذا الكلام: من بقية كلامهم.

أو يكون من كلام الله تعالى.

أو من كلام الملائكة.

أو المؤمنين، يقولونها^(٤) للكفار على وجه التقرّيع.

(١) المحرر الوجيز (٧/٢٥٦).

(٢) في ب: «الراقدين».

(٣) في ج، د: «راقدا».

(٤) في ب: «يقولونه».

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيَّحَةً وَجِدَةً﴾ يعني: النفخة الثانية، وهي نفخة القيام.

﴿إِنْ أَصْحَبَ الْجَنَّةَ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾ قيل: هو افتضاض الأبقار.

وقيل: سماع الأوتار.

والأظهر: أنه عام في الاشتغال بالنعيم^(١) واللذات.

﴿فَكَهُونٌ﴾ قرئ:

بالألف، ومعناه: أصحاب فاكهة.

وبغير ألف، وهو في الفكاكة بمعنى الراحة والسرور.

﴿فِي ظِلِّلٍ﴾ جمع ظِلٌّ.

وقرئ بالضم، جمع طُلَّةٍ.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة، وهي السرير.

﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ أي: ما يتمنون.

وقيل: معناه: أن ما يدعون به يأتيهم.

﴿سَلَامٌ﴾ مبتدأ.

وقيل: بدل من ﴿مَا يَدْعُونَ﴾.

﴿قَوْلًا﴾ مصدر مؤكّد، والمعنى: أن السلام عليهم قول من الله، بواسطة

الملائكة، أو بغير واسطة.

(١) في ب: «بالنعم».

﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَنَّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة.

﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ الجِبِلُّ: الأمة العظيمة.

وقال الضحاك: أقلها عشرة آلاف ولا نهاية لأكثرها.
وقرئ:

بكسر الجيم والباء وتشديد اللام.

وبضمهما مع التخفيف.

وبضم الجيم وإسكان الباء.

وهي لغات بمعنى واحد.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: نمنعهم من الكلام، فتنطق أعضاؤهم يوم القيامة.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ هذا تهديد لقريش.

والطمس على الأعين: هو العمى، و﴿الصِّرَاطَ﴾: الطريق، و﴿أَنَّى﴾: استفهام يراد به النفي.

فمعنى الآية: لو نشاء لأعميناهم؛ فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه.

وقيل: يعني: عمى البصائر؛ أي: لو نشاء لختمنا على قلوبهم، والطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ هذا تهديدٌ بالمسخ.

ف قيل : معناه : المسخ قردةً وخنازير ، أو حجارة .

وقيل : معناه : لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطلين لا يستطيعون تصرفاً .

وقيل : إن هذا التهديد كله بما ^(١) يكون يوم القيامة .

والأظهر أنه في الدنيا .

﴿عَلَىٰ مَكَاتِهِمْ﴾ المكانة : المكان ، والمعنى : لو نشاء لمسخناهم مسخاً يُقْعِدُهُمْ في مكانهم .

﴿فَمَا أَسْتَظْعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي : إذا مُسَخُوا في مكانهم لم يَقْدِرُوا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا .

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ أي : نحول خِلقته من القوة إلى الضعف ، ومن الفهم إلى البله ، وشبه ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم : ٥٤] .

وإنما قصد بذكر ذلك هنا : الاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار ، كما قَدَّر على تنكيس الإنسان إذا هَرَمَ .



(١) في أ ، ب ، هـ : «إنما» .

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْحَضُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ الضميران^(١) لمحمد ﷺ، وذلك ردُّ على الكفار في قولهم: إنه شاعر، وكان ﷺ لا يَنْظُم الشعر ولا يزنه، وإذا ذكر بيت شعر كسر وزنه.

فإن قيل: قد روي عنه ﷺ أنه قال:

أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطلب
وروي عنه أيضًا ﷺ:

هل أنت إلا إصبع دُميت
وفي سبيل الله ما لقيت
وهذا كلامٌ على وزن الشعر.

(١) في ج، د: «الضمير».

فالجواب: أنه ليس بشعر؛ لأنه^(١) لم يقصد به الشعر، وإنما جاء موزوناً بالاتفاق لا بالقصد، فهو كالكلام المنثور، ومثل هذا يقال فيما جاء في القرآن من الكلام الموزون.

ويقتضي قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ تنزيه النبي ﷺ عن الشعر؛ لما فيه من الأباطيل وإفراط التجوُّز^(٢)، حتى يقال: «إن الشعر أطيُّه أكذبُه»، وليس كلُّ الشعر كذلك؛ فقد قال ﷺ: «إن من الشعر لحكمة»^(٣).

وقد أكثر الناس في ذم الشعر ومدحه، وإنما الإنصاف قول الشافعي: الشعر كلامٌ، والكلام منه حسنٌ ومنه قبيح.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ الضمير للقرآن؛ يعني: أنه ذكرٌ لله.

أو تذكير للناس.

أو شرفٌ لهم.

﴿لَتُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أي: حيَّ القلب والبصيرة.

﴿وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: يجب عليهم العذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ مقصد الآية: تعديدُ نعمة^(٤) وإقامة حجة.

(١) في ج، د: «وأنه».

(٢) في ب، ج: «التجاوز».

(٣) أخرجه البخاري (٦١٤٥).

(٤) في أ، ه: «نعمة الله».

والأيدي هنا :

عند أهل التأويل : عبارة عن القدرة .

وهي عند أهل التسليم : من المتشابه الذي يجب الإيمان به ، وعلمه عند الله^(١) .

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الركوب - بفتح الراء - : هو المركوب .

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ يعني : الأكل منها والحمل عليها ، والانتفاع بالجلود والصوف وغيره .

﴿وَمَشَارِبٌ﴾ يعني : الألبان .

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الضمير في ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ للأصنام ، وفي ﴿نَصْرَهُمْ﴾ للمشركين .

ويحتمل العكس .

ولكن الأول أرجح ؛ فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لعلمهم يُنصرون : أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم ، فخاب أملهم .

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ﴾ الضمير الأول : للمشركين ، والثاني : للأصنام يعني : أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم ؛ حتى إنهم لهم كالجند .

وقيل : بالعكس ؛ بمعنى : أن الأصنام جندٌ محضرون لعذاب المشركين في الآخرة .

(١) انظر (١٩٥/٢)

والأول أرجح؛ لأنه تقييحٌ لحال المشركين.

﴿فَلَا يُحْزِنَكَ قَوْلُهُمْ﴾ تسليّةٌ للنبي ﷺ، معلّلةٌ بما بعدها.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهينٌ على الحشر يوم القيامة، وردّ على من أنكر ذلك.

والنطفة: هي نقطة^(١) المنيّ التي خلق الإنسان منها، ولا شك أن الإله الذي قدّر على خلقه من نطفة قادرٌ على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث. وسبب الآية: أن العاصي بن وائل جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال: يا محمد من يحيي هذا؟

وقيل: إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف.

وقيل: أبي بن خلف.

فقال له رسول الله ﷺ: «الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم»^(٢). ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ أي: متكلمٌ قادر على الخصام، يُبين ما في نفسه بلسانه.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ إشارةٌ إلى قول الكافر: من يحيي هذا العظم؟.

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي: نسي الاستدلالَ بخلقه الأولى على بعثه.

والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول، أو الترك.

(١) انظر (١٩٥/٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٦٦/٢) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية متفتّنة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ استدلالٌ بالخلقة الأولى على البعث.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم كيف يخلق كل شيء، فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها.

والخلق هنا يحتمل أن يكون مصدرًا، أو بمعنى المخلوق.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ هذا دليل آخر على إمكان البعث، وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبائعين قالوا: طُبِعَ الموت يضادُّ طبع الحياة فكيف تصير العظام حية؟ فأقام الله عليهم الدليل بخروج النار من الشجر الأخضر الممتلئ ماء، مع مضادة طبع الماء للنار.

وعني بـ ﴿الشَّجَرِ﴾: زناد العرب، وهو شجر المرخ والعفار، فإنه يُقطع من كل واحد منهما غصنًا أخضر يقطر منه الماء، فيُسحق المرخ على العفار، فينقدح^(١) النار بينهما.

قال ابن عباس: ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العنّاب، ولكنه في المرخ والعفار أكثر.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ هذا دليل آخر على البعث، فإن الإله الذي قَدَّر على خِلقة السموات والأرض على عظمتها وكِبَرِ أجرامها^(٢) قادرٌ على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها.

(١) في ب، ج: «فيقدح».

(٢) في د: «عظمتها وكبر أجرامها».

والضمير في ﴿مِثْلَهُمْ﴾ يعود على الناس .

﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ في ذكر هذه الاسمين أيضًا استدلالٌ على البعث، وكذلك في قوله : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٧) ؛ لأن هذه ^(١) عبارة عن قدرته على جميع الأشياء، ولا شك أن الخلاق العليم القدير ^(٢) لا يصعب عليه إعادة الأجساد .

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في هذا استدلالٌ على البعث، وتنزيهٌ لله عما نسبته ^(٣) الكفار إليه من العجز عن البعث، وإنهم ^(٤) ما قدروا الله حق قدره، وكلُّ من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه .



(١) في د: «هذا».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «القادر».

(٣) في ب، ج: «ينسبه».

(٤) في د: «فإنهم».

﴿ سورة الصافات ﴾

[﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ① ۖ فَالَّذِينَ يَزْعُرْنَ زَجْرًا ② ۖ فَالَّتِيَلَيْبُ ذِكْرًا ③ ۚ إِنَّ إِلَهَهُمْ لَوَاحِدٌ ④ ۚ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ⑤ ۚ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِرِيَّةٍ الْكَوَكِبِ ⑥ ۚ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ⑦ ۚ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ⑧ ۚ دُخْرًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ⑨ ۖ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ⑩ ۚ فَاسْتَفْتَيْهِمْ أَهْمَ أَشَدَّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ۖ إِنَّا خَلَقْنَهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ⑪ ۚ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ⑫ ۚ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ⑬ ۚ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ⑭ ۚ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ⑮ ۚ أَوَلَا مِنَّا نُرَابًا وَعَظْمًا ۖ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ⑯ ۚ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ⑰ ۚ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ⑱ ۚ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ⑲ ۚ وَقَالُوا يَوْنُنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ⑳ ۚ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ㉑ ۚ]

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ① ﴾ تقديره: والجماعات الصافات.

ثم اختلف فيها:

ف قيل: هي الملائكة التي تصف في السماء صفوفًا لعبادة الله.

وقيل: هي مَنْ يصف من بني آدم في الصلوات والجهاد.

والأول أرجح؛ لقوله حكاية عن الملائكة: ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ①﴾.

﴿ فَالَّذِينَ يَزْعُرْنَ زَجْرًا ② ﴾ هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها.

وقيل : الزاجرون بالمواعظ من بني آدم .

وقيل : هي آيات القرآن المتضمنة الزجر عن المعاصي .

﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾ ١ هي الملائكة تتلو القرآن والذكر .

وقيل : هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم .

وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد .

﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ يعني : مشارق الشمس ، وهي ثلاث مئة وستون مَشْرِقًا ، وكذلك المغارب فإنها تَشْرُقُ كلَّ يوم من أيام السنة في مَشْرِقٍ منها ، وتَغْرِبُ في مغرب .

واستغنى بذكر المشارق عن ذكر المغارب ؛ لأنها مُعَادِلَةٌ لها ، فَتُفْهَمُ مِنْ ذِكْرِهَا .

﴿بَرِيْنَةِ الْكَوْكَبِ﴾ قرئ بإضافة الزينة إلى الكواكب ، والزينة تكون : مصدرًا واسمًا لما يُزَانُ به .

فإن كان مصدرًا فهو :

مضافٌ إلى الفاعل ، تقديره : «بأن زَيَّنَتْ الكواكبُ السماء» .

أو مضاف إلى المفعول ، تقديره : «بأن زَيَّنَّا الكواكبَ» .

وإن كانت اسمًا : فالإضافة بيانٌ للزينة .

وقرئ بتنوين ﴿بَرِيْنَةٍ﴾ :

وخفض ﴿الْكَوْكَبِ﴾ : على البدل .

وينصب ﴿الْكَاكِبِ﴾ : على أنها :

مفعولٌ بـ ﴿زِينَةٍ﴾ .

أو بدلٌ من موضع ﴿زِينَةٍ﴾ .

﴿وَحِفْظًا﴾ منصوبٌ :

على المصدر، تقديره : وحفظناها حفظًا .

أو مفعولٌ من أجله ، والواو زائدة .

أو محمول على المعنى ؛ لأن المعنى : إنا جعلنا الكواكبَ زينةً للسماء وحفظًا .

﴿مَّارِدٍ﴾ أي : شديد الشرِّ .

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ الْأَعْلَى﴾ الضمير في ﴿يَسْمَعُونَ﴾ للشياطين ، و﴿الْمَلَأَ الْأَعْلَى﴾ هم الملائكة الذين يسكنون في السماء .

والمعنى : أن الشياطين مُنعت من سَمْع أحاديث الملائكة .

وقرئ ﴿يَسْمَعُونَ﴾ بتشديد السين والميم ، ووزنه يَتَفَعَّلُونَ ، والتَّسْمُعُ : طلب السماع .

فنفى السَّماع على القراءة الأولى ، ونفى طلبه على القراءة بالتشديد .

والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء : ٢١٢] ، ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون ، لكنه لا يسمعون شيئًا منذ بعث محمد ﷺ ؛ لأنهم يُرْمَوْنَ بالكواكب .

﴿وَيَقْدُفُونَ﴾ أي: يُرْجَمُونَ، يعني: بالكواكب، وهي التي يراها الناس تنقضُّ.

قال النقاش ومكي: ليست الكواكبُ الراجمةُ للشياطين بالكواكب الجارية في السماء؛ لأن تلك لا تُرى حركتها، وهذه الراجمة تُرى حركتها؛ لقربها منا^(١).

قال ابن عطية: وفي هذا نظر^(٢).

﴿دُحُورًا﴾ أي: طَرْدًا وإبعادًا وإهانةً؛ لأن الدَّحْر: الدفعُ بعنف. وإعرابه:

مفعول من أجله.

أو مصدر من ﴿وَيَقْدُفُونَ﴾ على المعنى.

أو مصدر في موضع الحال، تقديره: مدحورين.

﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: دائم؛ لأنهم يُرْجَمُونَ بالنجوم في الدنيا، ثم يعذبون بجهنم.

﴿إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ﴾ ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع، بدلٌ من الضمير في ﴿قُو﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾.

والمعنى: لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلا الشيطان الذي خطف الخطفة.

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٦٠٨٦)

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٧٣).

﴿شَهَابٌ نَّاقِبٌ﴾ أي: شديد الإضاءة.

﴿فَاسْتَفِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ الضمير لكفار قريش، والاستفتاء: نوع من السؤال، وكأنه سؤال من يُعتبر قوله ويُجعل حجة؛ لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم عليهم به الحجة.

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا﴾ يراد به: ما تقدّم ذكره من الملائكة والسموات والأرض والمشارك والكواكب.

وقيل: يراد به: من تقدّم من الأمم.

والأول أرجح؛ لقراءة ابن مسعود: «أَمْ مَنْ عَدَدْنَا».

ومقصد الآية: إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعث في الآخرة، كأنه يقول: هذه المخلوقات أشدّ خلقاً منكم، فكما قدرنا على خَلْقَتِهِمْ^(١) كذلك نقدر على إعادتكم بعد فنائكم.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ اللازب: اللازم؛ أي: يلزم ما جاوره ويلصق به، ووصفه بذلك يراد به ضعف خَلْقِهِ بَنِي آدَمَ.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ أي: عجبْتَ يا محمد من ضلالهم^(٢) وإعراضهم عن الحق.

أو عجبْتَ من قدرة الله على هذه المخلوقات العظام المذكورة.

وقرئ ﴿عَجِبْتُ﴾ بضم التاء، وأشكل ذلك على من يقول: إن التعجب

(١) في أ، ب، هـ: «خلقكم»، وفي ج: «خلقتكم».

(٢) في ب، ج، د: «ضالّتهم».

مستحيلٌ على الله فتأولُه^(١) بمعنى : أنه جعله على حالٍ تعجَّب منها^(٢) الناس .

وقيل : تقديره : «قل يا محمد : عجبتُ» .

وقد جاء التعجُّب من الله في القرآن والحديث ، كقوله ﷺ : «يعجب ربك من الشاب ليس له صبوة»^(٣) ، وهو صفة فعل ، وإنما جعلوه مستحيلاً على الله ؛ لأنهم قالوا إن التعجُّب استعظامٌ خفي سببه ، والصواب : أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب ، بل هو لمجرد الاستعظام ؛ فعلى هذا : لا يستحيل على الله^(٤) .

(١) في د ، هـ : «فتأولوه» .

(٢) في ب ، ج : «ليعجب منه» ، وفي د : «يتعجب منها»

(٣) أخرجه أحمد (١٧٣٧٠) .

(٤) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف رحمه الله ، «وأشكل ذلك» إلخ أي : نسبة العجب إلى الله ، كما في القراءة المشار إليها ، وهي قراءة سبعية ، أي : أشكل ذلك على نفاة العجب عن الله ، وهم كل من ينفي قيام الصفات الفعلية بالله ؛ كالشاعرة والكلاية والماتريدية ، وهم الذين عناهم المؤلف بقوله : إنهم يقولون : إن التعجب مستحيلٌ على الله ؛ لأنه استعظام شيء خفي سببه ، وقد خالفهم المؤلف في تفسير التعجب ، فجوّزه على الله ، واستشهد له ببعض ما جاء في السنة ، وقد أصاب في ذلك ، والذين نفوا العجب عن الله أولوا ما جاء في القرآن والسنة مما يدل على إثبات العجب بتأويلات ، منها ما أورده المؤلف ، فجمعوا بين التعطيل بنفي الصفات ، والتحريف بتأويل الآيات ، والجاري على مذهب أهل السنة والجماعة إثبات العجب من الله ، كغيره من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة ، كالغضب والرضا والمحبة والكراهة ، وليس شيء من ذلك يشبه صفات المخلوقين ، فليس عجب الله كعجب المخلوق ، ولا حبه كحبه ، ولا رضاه كرضاه . وهذا هو الحق الذي قامت عليه الأدلة من الكتاب والسنة .

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ تقديره: وهم يسخرون منك، أو من العرش.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ الآية هنا: العلامة، كانشقاق القمر ونحوه.

وروي أنها نزلت في مشرك اسمه رُكَّانة، أراه النبي ﷺ آيات فلم يؤمن.

﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ معناه: يسخرون، فيكون «فَعَلَ» و«اسْتَفْعَلَ» بمعنى واحد.

وقيل: معناه: يستدعي بعضهم بعضًا لأن يسخر.

وقيل: يبالغون في السخرية.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ الآية؛ معناها: استبعادهم للبعث.

وقد تقدّم الكلام على الاستفهامين في «الرعد»^(١).

﴿أَوْ ءَابَاؤُنَا﴾ بفتح الواو، دخلت^(٢) همزة الإنكار على واو العطف.

وقرئ بالإسكان عطفًا بـ «أو».

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي: قل: تبعثون. والداخر: الصّاغر الذليل.

﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هي النفخة في الصور للقيام من القبور.

﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ يحتمل أن يكون:

من النظر بالأبصار.

أو من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يفعل بهم.

(١) انظر (٢/٦٦٩).

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «ودخلت».

﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ:

من كلامهم، مثل الذي قبله.

أو مما يقال لهم، مثل الذي بعده.



[أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ
الْحَجِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مُتَسَلِّمُونَ ﴿٢٦﴾
وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَان لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا
لَذَٰئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا
لَنَارِكُوا ءَالَهُتِنَا لِشَاعِرٍ تَجْنُومِ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَٰئِقُوا الْعَذَابِ
الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مَلَكُومٌ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ
عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾
وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهِيَ نَكَّ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَمْ إِذَا
مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَمْ إِنَّا لِمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطْلَعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ
الْحَجِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٥٧﴾ أَمَّا
نَحْنُ بِمَبِيتَيْنِ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفُورُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ تُرْجَا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْحَجِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئَاسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾
فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا الْبُظُورُ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ
إِنْ مَرَجَعَهُمْ لِآلِ الْحَجِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ ءَاتِرِهِمْ هَارِعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾]

﴿أَخْشَرُوا﴾ الآية؛ خطابٌ للملائكة، خاطبهم به الله تعالى، أو خاطب به بعضهم بعضاً.

﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ يعني: نساءهم المشركات.

وقيل: يعني: أصنافهم وقرناءهم من الجن والإنس.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ يعني: الأصنام والآدميين الذي كانوا يرضون بذلك.

﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي: دلوهم على طريق^(١) جهنم ليدخلوها.

﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ يعني: إنهم يُسألون عن أعمالهم، توبيخاً لهم.

وقيل: يسألون عن قول: «لا إله إلا الله».

والأول أرجح؛ لأنه أعم.

ويحتمل أن يُسألوا عن عدم تناصرهم، على وجه التهكم بهم، فيكون ﴿مَسْئُولُونَ﴾ عاملاً فيما بعده، والتقدير: يقال لهم: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً وقد كنتم في الدنيا تقولون: نحن جميع منتصر؟

﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أي: منقادون عاجزون عن الانتصار.

﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾:

للضعفاء من الكفار خاطبوا الكبراء منهم في جهنم.

أو للإنس خاطبوا الجن.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «صراط».

﴿أَلَيْمِينَ﴾ هنا يحتمل ثلاثة معانٍ :

الأول : أن يراد بها : طريق الخير والصواب ، وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين ، كما أن العبارة عن الشر بالشمال ، والمعنى : أنهم قالوا لهم : إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدُّوننا عنه .

والثاني : أن يراد بها : القوة ، والمعنى على هذا : إنكم كنتم تأتوننا بقوةكم وسلطانكم فتأمرونا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان .

والثالث : أن يراد بها : اليمين التي يُحْلَفُ بها ؛ أي : كنتم تأتوننا بأنْ تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدِّقكم في ذلك ونَتَّبِعْكُمْ .

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾ :

للكبراء من الكفار .

أو للشياطين .

والمعنى : أنهم قالوا لأتباعهم : ليس الأمر كما ذكرتم ، بل كفرتم باختياركم .

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ ﴿٣١﴾ أي : وجب العذاب علينا وعليكم .

و﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ معمول القول ، وحذف معمول ﴿لَذَائِقُونَ﴾ تقديره : وجب القول بأننا ذائقون العذاب .

﴿فَأَعْوَبْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ أي : دعوناكم إلى الغي ؛ لأننا كنا على غي .

﴿فَاتَّهَمُ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ أي : إن المتبوعين والأتباع مشتركون في عذاب النار .

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَينَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ (٦٦) الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لكفار قريش، ويعنون بـ ﴿شَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾: محمداً ﷺ، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ أي: جاء بالتوحيد والإسلام، وهو الحق، ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين قبله؛ لأنه جاء بمثل ما جاؤوا به.

ويَحتمل أن يكون صدقهم؛ لأنهم أخبروا بنبوته فظهر صدقهم لما بُعث ﷺ.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٦٧) استثناء منقطع بمعنى «لكن».

وقرئ ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام وكسرهما في كل موضع، وقد تقدَّم تفسيره^(١).

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ السُّرُر: جمع سرير، وتقابلهم في بعض الأحيان؛ للسرور بالأنس، وفي بعض الأحيان ينفرد كل واحد في قصره^(٢).

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ (٦٨) الذين يطوفون عليهم: الولدان، حسبما ورد في الآية الأخرى^(٣).

والكأس: الإناء الذي فيه خمر. قاله ابن عباس.

وقيل: الكأس: إناء واسع الفم، ليس له مِقْبَض، سواء كان فيه خمر أم لا.

(١) انظر (٢/٦٢٧).

(٢) في ب، ج، د: «بقصره».

(٣) يعني قوله تعالى في الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُّخْلِذُونَ﴾ (٦٨).

والمعين: الجاري الكثير؛ ووزنه فَعِيل، والميم فيه أصلية.

وقيل: هو مشتق من العين، فالميم زائدة، ووزنه: مفعول.

﴿لَذَّةٌ﴾ أي: ذات لذة، فوصفها بالمصدر اتساعاً.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الغول: اسم عام في الأذى والضّر، ومنه يقال: غاله يغوله: إذا أهلكه.

وقيل: الغول: وجع في البطن.

وقيل: صداع في الرأس.

وإنما قدّم المجرور هنا؛ تعريضاً بخمر^(١) الدنيا لأن الغول فيها.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ أي: لا يسكرون من خمر الجنة، ومنه التّزيف، وهو السكران.

و«عن» هنا سببية، كقولك: «فعلته عن أمرك»، أي: لا يُنْزَفُونَ بسبب شربها.

﴿قَصِرَتْ الظُّرُفُ﴾ معناه: أنهم قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم.

﴿عَيْنٌ﴾ جمع عَيْنَاء، وهي الكبيرة العينين في جمالٍ.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ ﴿٢٩﴾ قيل: شَبَّهْن في اللون ببيض النعام؛ لأنه

(١) في أ، ب، ج، هـ: «الخمر».

بياض خالطه^(١) صفرة حسنة، ولذلك قال امرؤ القيس:

كِبْكِرِ مُقَانَاةِ الْبِياضِ بَصْفَرَةٍ^(٢)

وقيل: إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلي الرقيق، وهو المكنون المصون تحت القشر الأول^(٣).

وقيل: أراد الجوهر المصون.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥١) ﴿هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ تَحَدُّثِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

قال الزمخشري: هذه الجملة معطوفة على ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾، والمعنى: أنهم يشربون فيتحدثون على الشراب بما جرى لهم في الدنيا^(٤).

﴿إِنِّي كَانُ لِي قَرِينٌ﴾ قيل: إن هذا القائل وقريته من البشر، مؤمن وكافر.

وقيل: كان قريته من الجن.

﴿يَقُولُ أَأَنْتَ لَيْنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ (٥٢) معناه: أنه كان يقول له على وجه الإنكار:

أتصدق بالدين والآخرة؟

﴿لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجازون ومحاسبون على الأعمال، ووزنه: مفعول،

وهو من الدين، بمعنى الجزاء والحساب.

(١) في ب: «خالله»، وفي ج، هـ: «خالطته».

(٢) هذا صدر بيت من معلقته الشهيرة، وعجزه: «غذاها نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرَ مُحَلَّلٍ»، والبكر: أول بيضة تبيضها النعامة، والمقانة: المخالطة، التي قُونِي بياضها بصفرة؛ أي: خلط بياضها بصفرة. انظر: شرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر الأنباري (ص: ٧٠-٧١).

(٣) في ب، هـ: «القشرة الأولى».

(٤) الكشف (١٣/١٤٧).

﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ أي: قال ذلك القائل لرفقائه في الجنة، أو للملائكة، أو لخدّامه: هل أنتم مَطَّلِعُونَ على النار لأريكم ذلك القرين فيها؟ وروي أن في الجنة كُوى ينظرُ منها أهلُها إلى النار.

﴿فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾ أي: في وسطها.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتَزِيدِينَ﴾ (٥٦) أي: تهلكني بإغوائك، والرّدى: الهلاك، وهذا خطابٌ خاطب به المؤمن قرينه الذي في النار.

﴿الْمُحْضَرِينَ﴾ أي: من المحضرين في العذاب.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ﴾ (٥٨) هذا من كلام المؤمن:

خطاباً لقرينه.

أو خطاباً لرفقائه في الجنة، ولهذا قال: ﴿نَحْنُ﴾، فأخبر عن نفسه وعنهم.

ويَحْتَمَلُ أن يكون من كلامه وكلامهم جميعاً.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٠) يَحْتَمَلُ أن يكون:

من كلام المؤمن.

أو من كلامه وكلام رفقائه في الجنة.

أو من كلام الله تعالى.

وكذلك يَحْتَمَلُ^(١) هذه الوجوه في قوله: ﴿لِيُمِثِلَ هَذَا فليَعْمَلَ الْعَمِلُونَ﴾.

(١) في د، هـ: «تَحْتَمَلُ».

والأرجح فيه : أن يكون من كلام الله تعالى ؛ لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلاً به ، ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقةً في الدنيا ففيه تحريضٌ على العمل الصالح .

﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (١٦٦) الإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى نعيم الجنة وكل ما ذكر من وصفها .

وقال الزمخشري : الإشارة إلى قوله : ﴿رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ (١) .

والنُّزْل : الضيافة .

وقيل : الرزق الكثير .

وجاء التفضيل هنا بين شيئين ليس بينهما اشتراك ؛ لأن الكلام تقريرٌ وتوبيخ .

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (١٦٦) قيل (٢) : سببها : أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم ، قالوا : كيف يكون في النار شجرة ، والنار تحرق الشجر؟

فالفتنة على هذا : الابتلاء في الدنيا .

وقيل : معناه : عذاب الظالمين في الآخرة .

والمراد بالظالمين هنا : الكفار .

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي : تنبت في قعر جهنم ، وترتفع

(١) الكشف (١٣/١٥٤) .

(٢) لم ترد في أ ، ب ، ج ، هـ .

أغصانها إلى دركاتها .

﴿طَلَعَهَا كَأَنَّ رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ﴾ (٦٥) الطلع : ثمر النخلة ، فاستُعير لشجرة الزقوم ، وشُبّه برؤوس الشياطين ؛ مبالغة في قبحه وكراهته ؛ لأنه قد تقرر في نفوس الناس كراهتها وإن لم يروها ، ولذلك يقال للقيح المنظر : وجه شيطان .

وقيل : رؤوس الشياطين : شجرة معروفة باليمن .

وقيل : هو صنف من الحيات .

﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي : مزاجًا من ماء حار .

فإن قيل : لم عطف هذه الجملة بـ ﴿ثُمَّ﴾ ؟

فالجواب : من وجهين :

أحدهما : أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان ، فالمعنى : أنهم يملؤون البطون من شجرة الزقوم ، وبعد ذلك يشربون الحميم .

والثاني : أنه لترتيب مضاعفة العذاب ، فالمعنى : أن شربهم للحميم أشد مما ذكر قبله .

﴿يُهْرَعُونَ﴾ الإهراع : الإسراع الشديد .

[وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمْ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَاتَّكَفَى مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفِيكَاءَ آلِهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ اتَّعَبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا اتَّبِعْنَا لِمَ بُنِيَئًا فَلَقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَتَّبِعُنِي أَنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُكَ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٤﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٥﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ هَذَا لَهُو الْبَلَاءُ الْمُبْتَلَىٰ ﴿١٠٧﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٠﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٤﴾].

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ أي : دعانا ، يعني : دعاءه بإهلاك قومه ونصرته عليهم.

﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني : الغرق.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ أهل الأرض كلهم من ذرية نوح ؛ لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة ، تناسل الناس من أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث .

﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٧٨) معناه: أبقينا له ثناءً جميلاً في الناس إلى يوم القيامة.

﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩) هذا تسليمٌ من الله على نوح عليه السلام. وقيل: إن هذه الجملة هي مفعول ﴿وَرَكْنَا﴾، وهي محكية؛ أي: تركنا هذه الكلمة يقال له، يعني: أن الخلق يسلمون عليه. فيبتدأ بـ ﴿سَلَّمَ﴾ على القول الأول، لا على الثاني. والأول أظهر.

ومعنى ﴿فِي الْعَالَمِينَ﴾: على القول الأول: تخصيصه بالسلام عليه من بين العالمين، كما تقول: أحبُّ فلاناً في الناس، أي: أحبه خصوصاً من بين الناس. ومعناه على القول الثاني: أن السلام عليه ثابتٌ في العالمين. وهذا الخلاف يجري حيثما ذُكر ذلك في هذه السورة.

﴿وَإِن مِّن شَيْعَةٍ إِلَّا زَهِيمٌ﴾ الشَّيْعَةُ: الصنف المتفوق، فمعنى ﴿مِّن شَيْعَةٍ﴾: على دينه في التوحيد.

والضمير يعود: على نوح.

وقيل: على محمد ﷺ.

والأول أظهر.

﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ﴾ عبارة عن إخلاصه، وإقباله بكلِّيته على الله تعالى، وليس

المراد المجيء بالجسد .

﴿يَقْلِبْ سَلِيمٍ﴾ أي : سليم من الشرك والشك وجميع العيوب .

﴿أَيْفَكَا إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (٨٦) الإفك : الباطل ، وإعرا به هنا : مفعول من أجله ، و﴿إِلَهَةً﴾ : مفعول به .

وقيل : ﴿أَيْفَكَا﴾ : مفعول به ، و﴿إِلَهَةً﴾ : بدل منه .

وقيل : ﴿أَيْفَكَا﴾ : مصدر في موضع الحال ، تقديره : «آفكين» ؛ أي : كاذبين .

والأول أحسن .

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٧) المعنى : أي شيء تظنون برب العالمين أن يعاقبكم به ، وقد عبدتم غيره؟

أو أي : شيء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره؟ ، كما تقول : «ما ظنك بفلان؟» إذا قصدت تعظيمه .

فالمقصد على المعنى الأول : تهديد ، وعلى الثاني : تعظيم لله وتوبيخ لهم .

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ روي أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه ، فدعوه إلى الخروج معهم ، فحينئذ قال : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ؛ ليمتنع عن الخروج معهم ، فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم .

وفي تأويل ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : أنها كانت تأخذه الحمى في وقت معلوم ، فنظر في النجوم ليرى

وقت الحمى ، واعتذر عن الخروج بأنه سقيم من الحمى .

والثاني: أن قومه كانوا منجّمين وكان هو يعلم أحكام النجوم ، فأوهمهم أنه استدلّ بالنظر في علم النجوم أنه يسقم ، فاعتذر بما يخاف من السقم عن الخروج معهم .

والثالث: أن معنى نظر في النجوم: أنه نظر وفكّر فيما يكون من أمره معهم فقال: إني سقيم ، والنجوم على هذا: ما يتّجّم من حاله معهم ، وليست نجوم السماء ، وهذا بعيد .

وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ على حسب هذه الأقوال:

[أ-] يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ حَقًّا لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا تَجَوُّزَ أَصْلًا ، ويعارض هذا ما ورد عن النبي ﷺ: «أن إبراهيم كَذَبَ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، أَحَدَهَا^(١): قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾»^(٢).

[ب-] ويحتمل أن يكون كَذِبًا صُرَاحًا ، وجاز له ذلك على هذا الاحتمال ؛ لأنه فَعَلَ ذلك من أجل الله ؛ إذ قصد كسر الأصنام .

[ج-] ويحتمل أن يكون من المعارض:

فأراد أنه سقيم فيما يُستقبل ؛ لأن كل إنسان لا بدّ أن يمرض .

أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له .

وهذا التأويل أولى ؛ لأن نفي الكذب بالجملة يُعارض الحديث ، والكذب

(١) في أ، هـ: «إحداها».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١).

الصراح لا يجوز على الأنبياء، عند أهل التحقيق، أما المعارض فهي جائزة.

﴿فَقُولُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (٩٦) أي: تركوه إعراضاً عنه، وخرجوا إلى عيدهم.

وقيل: إنه أراد بالسُّقْم الطاعون وهو داءٌ يعدي، فخافوا منه وتباعداً عنه؛ مخافة العدوى.

﴿فَرَاغَ﴾ أي: مال.

﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام.

﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: يمينى يديه.

وقيل: بالقوة.

وقيل: بالحلف، وهو قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

والأول أظهر وأليق بالضرب.

و﴿ضَرْبًا﴾ مصدر في موضع الحال.

﴿يَزِفُونَ﴾ أي: يسرعون.

﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ (٩٥) أي: تَنْجِرُونَ، والنحت: النجارة، إشارة

إلى صنعهم^(١) للأصنام من الحجارة أو الخشب.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٦) ذهب قوم إلى ﴿مَا﴾ مصدرية، والمعنى:

(١) في أ، هـ: «صنعتهم».

الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد.
 وقيل: إنها موصولة بمعنى «الذي»، والمعنى: الله خلقكم وخلق
 أصنامكم التي تعملونها، وهذا أليق بسياق الكلام، وأقوى في قصد
 الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام.

وقيل: إنها نافية.

وقيل: إنها استفهامية.

وكلاهما باطل.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا﴾ قيل: البنيان: في موضع النار.

وقيل: بل كان للمنجنيق، الذي رُمي عنه.

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يعني: حرقه بالنار.

﴿جَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: المغلوبين.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ قيل: إنه قال هذا بعد خروجه من

النار، وأراد: أنه ذاهب؛ أي: مهاجر إلى الله، فهاجر إلى أرض الشام.

وقيل: إنه قال ذلك قبل أن يُطرح في النار، وأراد: أنه ذاهب إلى ربه

بالموت؛ لأنه ظن أن النار تحرقه.

﴿سَيِّدِينَ﴾:

على القول الأول: يعني الهدى إلى صلاح^(١) الدين والدنيا.

(١) في أ، ج: «إصلاح».

وعلى القول الثاني : إلى الجنة .

وقالت المتصوفة : معناه : إني ذاهب إلى ربي بقلبي ، أي : مقبلٌ على الله بكليته ، تاركٌ لما سواه .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ يعني : ولدًا من الصالحين .

﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلِّمٍ حَلِيمٍ ﴾ أي : عاقل .

واختلف الناس في هذا الغلام المبشَّر به في هذا الموضع وهو الذبيح ، هل هو إسماعيل أو إسحاق ؟

فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين : هو إسماعيل ، وحجتهم من ثلاثة أوجه :

الأول : أن رسول الله ﷺ قال : «أنا ابن الذبيحين» ^(١) يعني : إسماعيلُ عليه السلام ، ووالده عبد الله ، حين نذر والده عبد المطلب أن ينحره إن يسَّر الله له أمر زمزم ، ففداه بمئة من الإبل .

والثاني : أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح : ﴿ وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ ﴾ ، فدلَّ ذلك على أن الذبيح غيره .

والثالث : أنه روي أنه إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة ، وإنما كان معه بمكة إسماعيل .

وذهب عليُّ بن أبي طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين : إلى أن

(١) لم أقف على إسناد له .

الذبيح إسحاق، وحجتهم من وجهين:

الأول: أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالولد إنما كانت بإسحاق؛ لقوله: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

والثاني: أنه روي أن يعقوب كان يكتب: من يعقوب إسرائيل^(١) ابن إسحاق ذبيح الله.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ يريد بالسعي هنا: العمل والعبادة.

وقيل: المشي، وكان حينئذ ابن ثلاث عشرة سنة.

﴿قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ قال إني أرى في المنام أني أذبحك، يحتمل أن يكون:

رأى في المنام الذبح، وهو الفعل.

أو أمر في المنام أن يذبحه.

والأول أظهر في اللفظ هنا، والثاني أظهر في قوله: ﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.

ورؤيا الأنبياء وحي، فوجب^(٢) عليهم الامتثال على الوجهين.

(١) في أ، ب، د، هـ: «إسرائيل الله» بزيادة اسم الله، وقال الشيخ أحمد شاكر تعليقاً على هذا المروي في تفسير الطبري (٢٠١/١٦): «في التاريخ [يعني: تاريخ الطبري]: «إسرائيل الله»، وكان الذي في التفسير [أي: بدون زيادة اسم الله] هو الصواب، لأن «إيل» بمعنى «الله»، و«إسرا» يضاف إليه، وكان «إسرا»، بمعنى: «سري»، وهو بمعنى المختار، كأنه: «صفي الله» الذي اصطفاه. وفي تفسير ذلك اختلاف كثير.

(٢) في ب، ج: «يوجب».

﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ إن قيل : لم شاوره في أمرٍ هو محتمٌّ^(١) من الله؟
 فالجواب : أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه
 ويوطن نفسه على الصبر ، فأجابه بأحسن جواب .
 ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ أي : استسلما وانقادا لأمر الله .
 ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي : صرعه بالأرض على جبينه ، وللإنسان جبينان حول
 الجبهة .

وجواب ﴿فَلَمَّا﴾ :

محذوفٌ عند البصريين ، تقديره : فلما أسلما كان ما كان من الأمر
 العظيم .

وقال الكوفيون : جوابها : ﴿تَلَّهُ﴾ والواو زائدة .

وقال بعضهم : جوابها : ﴿تَدَيَّنُهُ﴾ والواو زائدة .

﴿قَدْ صَدَّقَ الرُّيَا﴾ يحتمل أنه يريد :

بقلبك ، أي : كانت عندك رؤيا صادقةً فعملت بحسبها .

ويحتمل أن يريد : بعملك ؛ أي : وقَّيت حقها من العمل .

فإن قيل : إنه أمر بالذبح ولم يذبح ، فكيف قيل له : ﴿صَدَّقَ الرُّيَا﴾ ؟

فالجواب : أنه قد بذل جهده ؛ إذ عزم على الذبح ولو لم يقده الله لذبحه ،
 ولكن الله هو الذي منعه من ذبحه لما فداه ، فامتناعُ ذبح الولد إنما كان من
 الله وبأمر الله ، وقد قضى إبراهيم ما عليه .

(١) في أ، هـ : «حتمٌّ» .

﴿أَلَبَّتْهُنَّ الْمِيْنُ﴾ أي الاختبار البين، الذي تظهر^(١) به طاعة الله.

أو المحنة البينة الصعوبة.

﴿وَقَدَّيْنَهُ يَذْبَحُ عَظِيمٍ﴾ (١٧) الذَّبْحُ: اسم لما يذبح، وأراد به هنا: الكبش الذي فداه به، وروي أنه من كباش الجنة.

وقيل: إنه الكبش الذي قَرَّبَ به ولد آدم، ووصفه بـ ﴿عَظِيمٍ﴾ لذلك، أو لأنه من عند الله، أو لأنه متقبَّل.

وروي في القَصص: أن الذبيح قال لإبراهيم: «اشدد رباطي لئلا أضطرب واصرف بصرك عني لئلا ترحمني»، وأنه أمر الشفرة على حلقه فلم تقطع، فحينئذ جاءه الكبش من عند الله.

وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية، وتركناه لعدم صحته.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إن قيل: لم قال هنا في قصة إبراهيم ﴿كَذَلِكَ﴾ دون قوله: «إِنَّا»، وقال في غيرها: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾؟

فالجواب: أنه قد تقدَّم في قصة إبراهيم نفسها: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ فأغنى عن تكرار «إِنَّا» هنا.



(١) في ب، ج، د: «يظهر».

[وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمُ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴿١١٩﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرَبِ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنْ لَوْطَا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ جَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرَبَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنُورُونَ عَلَيْهِمْ مُصْهِرِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْبَلَاءِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾].

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ يعني: بالنبوة وغير ذلك.

﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني: الغرق، أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم.

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما.

وقيل: على موسى وهارون خاصة، وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم، وهذا ضعيف.

﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ ﴿١١٧﴾ يعني: التوراة، ومعنى ﴿الْمُسْتَبِينَ﴾: البين.

وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع^(١).

(١) انظر المقدمة (١/١١٧).

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾ إلیاس : من ذریة هارون .

وقیل : إنه إدريس .

وقد أخطأ من قال : إنه إلیاس المذكور في أجداد النبي ﷺ .

﴿أَنذَعُونَ بَعْلًا﴾ البعل : الربُّ بلغة الیمن .

وقیل : بعل : اسم صنم كان لهم یقال له : بعلبك .

﴿سَلَّمْ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾ ءَالٍ هنا - على هذه القراءة - : بمعنى أهل ، و﴿يَاسِينَ﴾ اسم لإلیاس .

وقیل : لأبيه .

وقیل : اسم لمحمد ﷺ .

وقرئ ﴿إِلَ يَاسِينَ﴾ بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة ، وهو على هذا جمع إلیاسي ؛ أي : منسوب لإلیاس ، حذف منه الياء كما حذف من «أعجمين» .

وقیل : سَمَّى كل واحد من آل إلیاس بإلیاس ، ثم جمعهم .

وقیل : هي لغة في «إلیاس» .

﴿عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾ قد ذُكر^(١) .



[وَلِإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٤﴾ إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٨٥﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٨٦﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٨٧﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٨٨﴾ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٨٩﴾ فَبَدَّدَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٩٠﴾ وَأَبَلَسْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٩١﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدٍ وَكَ ﴿١٩٢﴾ فَتَأَمَّنُوا فَتَعَنَّاهُمْ إِلَى جَبَلٍ ﴿١٩٣﴾ فَاسْتَفْتَاهُ أَلَيْكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُتُونَ ﴿١٩٤﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْسَانًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٩٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكَهُمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٩٦﴾ وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٩٧﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٩٨﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٩٩﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٠٠﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿٢٠١﴾ فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٠٢﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢٠٤﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٠٥﴾ فَإِذْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ ﴿٢٠٧﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿٢٠٨﴾ وَمَا مَنَا إِلَّا لَهُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿٢٠٩﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿٢١٠﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿٢١١﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿٢١٢﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢١٣﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢١٤﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٢١٥﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١٦﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٢١٧﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٢١٨﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿٢١٩﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿٢٢٠﴾ أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٢١﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِبِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٢٢٢﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿٢٢٣﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿٢٢٤﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٢٦﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٢٧﴾].

﴿وَلِإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قد ذكرنا قصته في «يونس»^(١) و«الأنبياء»^(٢).

﴿إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي: هرب إلى السفينة، والفلك هنا: واحد، و﴿الْمَشْحُونِ﴾: المملوء.

(١) انظر (٢/٥٦٧).

(٢) انظر صفحة ١٦٤.

وسبب هروبه : غضبه على قومه حين لم يؤمنوا .

وقيل : إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معين حسبما أعلمه الله ، فلما رأى قومه مخايل العذاب آمنوا ، فرفع الله عنهم العذاب ، فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب .

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ معنى ﴿سَاهَمَ﴾ : ضرب القرعة ، والسُّهْمَةُ : هي القرعة ، والمدحض : المغلوب في القرعة والمحااجة .

وسبب مقارعته ^(١) : أنه لما ركب السفينة ، وقفت ولم تجر ، فقالوا : إنما وقفت من حدث أحدثه أحدنا ، فنقترع لنرى على من تخرج القرعة فنطرحه ، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه في البحر فالتقمه الحوت .
﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي : فعل ما يلام عليه ، وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج .

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ ^(١٤٢) تسبيحه : هو قوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، حسبما حكى الله عنه في «الأنبياء» .

وقيل : هو قوله : «سبحان الله» .

وقيل : هو الصلاة ، واختلف على هذا : هل يعني صلاته في بطن الحوت ، أو قبل ذلك .

(١) في د : «قرعته» ..

واختلف في مدة بقائه في بطن الحوت :

ف قيل : ساعة .

وقيل : ثلاثة أيام .

وقيل : سبعة أيام .

وقيل : أربعون يومًا .

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ العراء : الأرض الفضاء التي لا شجر فيها ، ولا ظل .

وقيل : يعني : الساحل .

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ روي أنه كان كالطفل المولود بضعة لحم .

﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ (١٤٦) أي : أنبتناها فوقه ؛ لُتْظَلَّه وتقيّه حرَّ

الشمس .

واليقطين : القرع ، وإنما خصّه الله به ؛ لأنه يجمع برد الظل ، ولين الملمس ، وكبر الورق ، وأن الذباب لا يقربه ؛ فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب .

وقيل : اليقطين : كل شجرة لا ساق لها ، كالبقول ، والقرع ، والبطيخ .

والأول أشهر .

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ﴾ يعني : رسالته الأولى التي أبق بعدها .

وقيل : هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت .

والأول أشهر .

﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قيل : ﴿أَوْ﴾ هنا : بمعنى «بل»، وقرأ ابن عباس : «بل يزيدون» .

وقيل : هي بمعنى الواو .

وقيل : هي للإبهام .

وقيل : المعنى : أن البشر إذا نظر إليهم يتردد فيقول : هم مائة ألف أو يزيدون .

واختلف في عددهم :

ف قيل : مئة وعشرون ألفاً .

وقيل : مئة وثلاثون ألفاً .

وقيل : مئة وأربعون ألفاً .

وقيل : مئة وسبعون ألفاً .

﴿فَتَأْمُرُوا فِتْنَتَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ روي أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم ، وفرقوا بينها^(١) وبين الأمهات ، وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا ، ورفع الله العذاب عنهم .

و﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني : إلى آجالهم^(٢) .

وقد ذكر الناس في قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها ؛ لضعف صحتها .

(١) في ب ، ج : «بينهما» .

(٢) في أ ، هـ : «أجلهم» .

﴿فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ قال الزمخشري: إن هذا معطوف على قوله: ﴿فَاسْتَفْتِهِمُ﴾ الذي في أول السورة وإن تباعد ما بينهما^(١).

والضمير المفعول: لقريش وسائر الكفار، أي: أسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله، فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور، وتلك قسمة ضيزى، ثم قرّره على ما زعموا من أن الملائكة إناث^(٢) وردّ عليهم بقوله: ﴿وَهُمُ شَهِدُونَ﴾.

ويحتمل أن يكون:

بمعنى الشهادة.

أو بمعنى الحضور؛ أي: أنهم لم يحضروا على ذلك ولم يعلموه. ثم أخبر عن كذبهم في قولهم: ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾، ثم قرّره على ما زعموا من أن الله اصطفي لنفسه البنات، وذلك كله ردّ عليهم وتوبيخ لهم، تعالى الله عن أقوالهم علواً كبيراً.

﴿أَصْطَفَى﴾ دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل.

﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهامية معناها: التوبيخ، وهي في موضع رفع بالابتداء، والمجرور بعدها خبرها، فينبغي الوقف على قوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾.

(١) الكشاف (٢٠٦/١٣).

(٢) في ب، ج: «بنات».

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِيْنٌ ۖ﴾ أي: برهان بيِّن.

﴿فَأَنۢتُمۡ بِكَيۡدِكُمۡ﴾ تعجيزٌ لهم؛ لأنهم ليس لهم كتاب يحتجُّون به.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُوا﴾ لكفار العرب، وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أن الجنة هنا: الملائكة، وسميت بهذا الاسم؛ لأنه مشتقُّ من الاجتنان وهو الاستتار، والملائكة مستورون عن أعين بني آدم كالجن، والنسب الذين جعلوا بين الله وبينهم: قولهم: إنهم بنات الله.

والقول الثاني: أن الجن هنا الشياطين^(١)، وفي النسب الذي جعلوا بينه وبينهم قولان:

أحدهما: أن بعض الكفار قالوا: إن الله والشيطان^(٢) أخوان، تعالى الله عن ذلك.

والآخر: أن بعضهم قال: إن الله نكح في الجن فولدت له الملائكة عليهم السلام عما يقول الظالمون علواً كبيراً

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ من قال: إن الجن الملائكة: فالضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ يعود على الكفار؛ أي: قد علمت الملائكة أن الكفار محضرون في العذاب.

ومن قال: إن الجن الشياطين: فالضمير يعود عليهم؛ أي: قد علمت

(١) في أ، ج، هـ: «الشيطان».

(٢) في أ، د، هـ: «والشياطين».

الشياطين إنهم محضرون في العذاب.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٠) استثناء منقطع: من المحضرين، أو من الفاعل في ﴿يَصِفُونَ﴾.

والمعنى:

لكن عباد الله المخلصين لا يحضرون في العذاب.

أو لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ مَّا تَعْبُدُونَ﴾ (١١) مَّا أَنتَرُ عَلَيْهِ يَفْتَنِينَ (١٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ (١٣) هذا خطاب للكفار والمراد بـ ﴿مَّا تَعْبُدُونَ﴾: الأصنام وغيرها.

و﴿مَّا تَعْبُدُونَ﴾ عطف على الضمير في ﴿إِنَّكُمْ﴾، ويجوز أن تكون الواو بمعنى «مع».

ومعنى ﴿فَلْتَنِينَ﴾: مُضِلِّينَ.

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على ﴿مَّا تَعْبُدُونَ﴾، و«على» سببية معناها التعليل، و﴿مَنْ هُوَ﴾: مفعول بـ ﴿فَلْتَنِينَ﴾.

والمعنى: إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه لا تضلون أحداً إلا من قضى الله أن يصلى الجحيم؛ أي: لا تقدر على إغواء الناس إلا بقضاء الله.

وقال الزمخشري: الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على الله تعالى (١).

(١) الكشف (٢١٢/١٣)، وقال: «فإن قلت: كيف يفتنونهم على الله؟ قلت: يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهوائهم، من قولك: فتن فلان على فلان امرأته، كما تقول: أفسدها عليه وخبيها عليه».

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ﴿١٦٦﴾ هذا حكاية كلام الملائكة ﷺ ، وتقديره :
ما منا ملك إلا وله مقام معلوم ، فحذف الموصوف لفهم الكلام .

والمقام المعلوم :

يحتمل أن يراد به الموضع الذي يقومون فيه ؛ لأن منهم من هو في السماء
الدنيا وفي الثانية وفي السموات وحيث شاء الله .

ويحتمل أن يراد به : المنزل من العبادة والتقريب والتشريف .

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ ﴿١٦٧﴾ أي : الواقفون صفوفًا في العبادة ، ولذلك أمر
المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم ؛ ليقعدوا بالملائكة ، وليس أحدٌ من
أهل الملل يصلُّون صفوفًا إلا المسلمون .

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ السَّيِّحُونَ﴾ ﴿١٦٨﴾ قيل : معناه : المصلون ؛ لأن الصلاة يقال لها :
تسييحٌ .

وقيل : معناه : القائلون «سبحان الله» .

وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة ردٌّ على من قال : إنهم بنات الله
أو شركاء له ؛ لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له .

ويدلُّ هذا الكلام أيضًا على أن المراد بالجن قبلَ هذا : الملائكة .

وقيل : إن هذا كله من كلام محمد ﷺ وكلام المسلمين .

والأول أشهر .

﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧٠﴾ الضمير : لكفار قريش
وسائر العرب .

والمعنى : أنهم كانوا قبل بعث محمد ﷺ يقولون : لو أرسل الله إلينا رسولا أو أنزل علينا كتابا لكانا عباد الله المخلصين .

﴿فَكْفَرُوا بِهِ﴾ الضمير :

للذكر .

أو لمحمد ﷺ ؛ لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره .

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديدٌ ووعدٌ على كفرهم .

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَمُتَّصِرُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ المعنى : سبق

القضاء بأن المرسلين منصورون على أعدائهم ، وأن جند الله غالبون .

وهذا النصر والغلبة : بظهور الحجة والبرهان ، وبهزيمة الأعداء في القتال ، وبالسعادة في الآخرة .

﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٣﴾﴾ أي : أعرض عنهم ، وذلك موادةً منسوخة

بالسيف .

والحين هنا يراد به : يوم بدر .

وقيل : حضور آجالهم ^(١) .

وقيل : يوم القيامة .

﴿وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ هذا وعدٌ للنبي ﷺ ، ووعد لهم .

﴿أَفِعْدَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ إشارةٌ إلى قولهم : «متى هذا الوعد؟» و«أمطر

(١) في أ ، هـ : «أجلهم» .

علينا حجارة من السماء»، وشبه ذلك .

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِهِمُ﴾ السَّاحَةُ : الفناء حول الدار ، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محذور .

وسوء الصباح : مستعمل في ورود الغارات والرزايا .

ومقصد الآية : التهديد بعذابٍ يحُلُّ بهم بعد أن أنذروا فلم ينفعهم الإنذار ، وذلك تمثيلٌ بقوم أنذرهم ناصحٌ بأن جيشًا يحُلُّ بهم فلم يقبلوا نصحه ، حتى جاءهم الجيش فأهلكهم .

﴿وَأَبْصِرْ﴾ كَرَّرَ الأمرَ بالتولي عنهم والوعد والوعيدَ على وجه التأكيد .
وقيل : أراد بالوعيد الأول : عذاب الدنيا ، وبالثاني : عذاب الآخرة .
فإن قيل : لم قال أولًا ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ ، وقال هنا : ﴿وَأَبْصِرْ﴾ ، فحذف الضمير المفعول ؟

فالجواب : من وجهين :

أحدهما : أنه اكتفى بذكره أولًا عن ذكره ثانيًا ، فحذفه اختصارًا .
والآخر : أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدّم وغيرهم ، كأنه قال : «أبصر جميع الكفار» ، بخلاف الأول ، فإنه في قريش خاصة .

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨﴾ نَزَّهَ اللهُ تعالى نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به ، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالًا كثيرةً شنيعةً .

و﴿الْعِزَّةُ﴾ :

إن أراد بها : عزة الله فمعنى ﴿رَبِّ الْعِزَّةُ﴾ : ذو العزة ، وأضافها إليه لاختصاصه بها .

وإن أراد بها : عزة الأنبياء والمؤمنين فمعنى ﴿رَبِّ الْعِزَّةُ﴾ : مالكها وخالقها .

ومن هذا قال محمد بن سُحنون^(١) : من حلف بعزة الله ؛ فإن أراد صفة الله فهي يمين ، وإن أراد العزة التي أعطى عباده فليست بيمين^(٢) .

ثم ختم الله هذه السورة بالسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

فأما السلام على المرسلين : فيحتمل أن يريد به :
التحية .

أو سلامتهم من أعدائهم ، ويكون ذلك تكميلاً لقوله : ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ .

وأما الحمد فيحتمل أن يريد به :

الحمد على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك .

(١) محمد بن سُحنون - واسمه عبد السلام - بن سعيد التنوخي ، ابن الفقيه المالكي

المعروف ، تفقه بأبيه ، وتوفي سنة (٢٥٦هـ) . الديباج المذهب (٢/١٦٩) .

(٢) انظر : النوادر والزيادات ، لابن أبي زيد القيرواني (٤/١٥) .

ويحتمل أن يريد الحمد على الإطلاق^(١).

(١) جاء في ب هنا: «كامل تفسير «والصافات»، وبتمامها تم جميع الربع من «كهيعص» من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، والحمد لله، ثم يتلو هذه سورة «ص»، رزقنا الله العون والقوة إنه حلیم كريم قوي معين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً مباركاً فيه».

وجاء في ج هكذا: «كامل تفسير سورة «والصافات»، وبتمامها تم جميع الربع من «كهيعص» من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته والتابعين من بعده وسلم تسليماً، والحمد لله، ثم يتلو هذه سورة «ص»، رزقنا الله العون والقوة إنه حلیم كريم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

﴿سورة داود﴾^(١)

[﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ ① بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ② كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحْنِ مَنَاصٍ ③ وَنَجَّيْنَا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ④ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِنهَآ وَحْدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ⑤ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا وَأَصْبَرُوا عَلَى ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ⑥ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا آخِلِقٌ ⑦ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابٍ ⑧ أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ⑨ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَنْزِقُوا فِي الْأَسْبَابِ ⑩ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْرَابِ ⑪ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ⑫ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْرَابُ ⑬ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ﴾].

﴿صَّ﴾ تكلمنا في حروف الهجاء في «البقرة»^(٢).

ويختصُّ بهذا أنه قيل فيه : معناه : «صدق محمد».

وقيل : هو حرف من اسم الله : «الصمد» ، أو «صادق الوعد» ، أو «صانع المصنوعات».

(١) قال السخاوي في «جمال القراء وكمال الإقراء» (ص : ٩١) : «سورة ص» ، وتسمى

سورة داود ﴿١﴾.

(٢) انظر (١/ ٢٦١).

﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ هذا قَسَمٌ، جوابه محذوفٌ تقديره: إن القرآن من عند الله، أو إن محمدًا ﷺ لصادقٌ وشبه ذلك.

وقيل: جوابه في قوله ﴿صَّ﴾؛ إذ هو بمعنى: صدق محمد.

وقيل: جوابه: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ﴾، وهذا بعيد.

وقيل: جوابه: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ وهذا أبعد.

ومعنى ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾:

ذو الشرف.

أو الذكري بمعنى الموعظة.

أو ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: قريشًا، و﴿بَلِ﴾ للإضراب عن كلام محذوف، وهو جواب القسم، أي: إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشقاق.

والعزة هي: التكبر، والشقاق: العداوة وقصد المخالفة، وتنكيرهما للدلالة على شدتهما، وتفاقم الكفار فيهما.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ إخبارٌ يتضمن تهديدًا لقريش.

﴿فَنَادَوْا وَلَا تَجِئْ مِنَّا بِسُورَةٍ﴾ المعنى: أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك.

و﴿لَاتَ﴾ بمعنى: ليس، وهي «لا» النافية زيدت عليها علامة التأنيث،

كما زيدت في «رُبَّتْ» و«ثَمَّتْ»، ولا تدخل «لات» إلا على الأزمان، واسمها مضمر، و﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ خبرها، والتقدير: وليس الحين الذين دعوا فيه حين مناص.

والمناصُ: المفرُّ والنجاة، من قولك: ناص ينوص إذا فرَّ.
﴿وَعِجُّوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ الضمير لقريش، والمنذر: محمد ﷺ؛ أي: استبعدوا أن بعث الله رسولا منهم.

ويَحْتَمِلُ:

أن يريد من قبيلتهم.

أو يريد من البشر مثلهم.

﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ كان الأصل: «وقالوا»، ولكن وضع هذا الظاهر موضع المضمرة؛ إظهاراً للغضب، وقصدًا لوصفهم بالكفر.
﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ هذا إنكارٌ منهم للتوحيد.

وسبب نزول هذه الآيات: أن قريشًا اجتمعوا وقالوا لأبي طالب: كُفَّ ابن أخيك عنا، فإنه يعيب ديننا ويذمُّ آلهتنا، ويُسَفِّه أحلامنا، فكلَّمه أبو طالب في ذلك، فقال: ﷺ: «إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتدين لهم بها العرب»، فقالوا: نعم، وعشر كلمات معها. فقال: «قولوا لا إله إلا الله»، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلها واحداً^(١).

(١) أخرجه أحمد (٣٤١٨)، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائي في الكبرى (٩٠/٨).

﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا﴾ ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ﴾ : عبارة عن خروجهم عن أبي طالب.

وقيل : عبارة عن تفرقهم في طرق مكة وإشاعتهم للكفر.

﴿وَأَنْ آمَسُوا﴾ معناه : يقول بعضهم لبعض : امشوا واصبروا على عبادة آلهم ، ولا تطيعوا محمداً فيما يدعوا إليه من عبادة الله وحده .

﴿إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ هذا أيضاً مما حكى الله من كلام قريش ، وفي معناه وجهان :

أحدهما : إن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد ؛ أي : إن هذا التوحيد شيء يراد به الانقياد إليه .

والآخر : أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهم ؛ أي :

إن هذا شيء ينبغي أن يراد ويُتمسك به .

أو إن هذا شيء يريد به الله منا لما قضى علينا به .

والأول أرجح ؛ لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه ، فيكون الكلام على نسق واحد .

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِ الْمَلَةِ الْآخِرَةِ﴾ هذا أيضاً مما حكى من كلامهم ، أي : ما سمعنا بالتوحيد في الملة الآخرة .

والمراد بـ ﴿آلِ الْمَلَةِ الْآخِرَةِ﴾ : ملة النصارى ؛ لأنها بعد ملة موسى وغيره ، وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد .

وقيل : المراد : ملة قريش ؛ أي : ما سمعنا بهذا في الملة التي أدرَكنا عليها آباءنا .

وقيل : المراد : الملة المنتظرة ؛ إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكُهَّان أن رسولاً يبعث يكون آخر الأنبياء .

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْلَقُ﴾ هذا أيضًا مما حُكي من كلامهم ، والإشارة إلى التوحيد والإسلام .

ومعنى الاختلاق : الكذب .

﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ الهمزة للإنكار ، والمعنى : أنهم أنكروا أن يخصَّ الله محمدًا ﷺ بإنزال القرآن عليه دونهم .

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ هذا ردُّ عليهم ، والمعنى : أنهم ليست لهم حجة ولا برهان ، بل هم في شكٍّ من معرفة الله وتوحيده ، فلذلك كفروا .

ويَحتمل أن يريد بـ ﴿ذِكْرِي﴾ : القرآن .

﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ هذا وعيدٌ لهم وتهديد ، والمعنى : أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب ، فإذا ذاقوه زال عنهم الشكُّ ، وأذعنوا للحق .

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ هذا ردُّ عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوة .

والمعنى : أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاؤوا ويمنعوها ممن شاؤوا ، بل يعطيها الله لمن يشاء .

ثم وصف نفسه بـ ﴿الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ﴾ ؛ لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهاب يُنعم على من يشاء، فلا حجة لهم فيما أنكروا .

﴿أَمَ لَهُم مِّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا أيضًا ردُّ عليهم، والمعنى : أم لهم الملك فيتصرفوا فيه كيف شاؤوا؟ ، بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء .

و﴿أَمْ﴾ الأولى : منقطعة بمعنى «بل» وهمزة الإنكار .

وأما الثانية : فيحتمل :

أن تكون كذلك .

أو تكون عاطفةً معادلة لما قبلها .

﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ هذا تعجيزٌ لهم، وتهكُّمٌ بهم .

ومعنى ﴿يَرْتَقُوا﴾ يَصْعَدُوا، و﴿الْأَسْبَابِ﴾ هنا : السلالم^(١) والطرق، وشبه ذلك مما يوصل به إلى العلو .

وقيل : هي أبواب السماء .

والمعنى : إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبُّروا الملك .

﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ ﴿١١﴾ هذا وعيدٌ بهزيمتهم في القتال، وقد هُزِمُوا يوم بدر وغيره .

(١) في أ، هـ : «السلالم» وهما جمعان صحيحان للكلمة .

و﴿مَا﴾ هنا : صفة لـ ﴿جُنْدٌ﴾ ، وفيها معنى التحقير لهم .
والإشارة بـ ﴿هُنَالِكَ﴾ : إلى حيث وضعوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء .
وقيل : الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب ، وهذا بعيد .
وقيل : الإشارة إلى موضع بدر .
و﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ معناه : من جملة الأحزاب الذين تعصَّبوا للباطل
فهلَكوا .
﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ قال ابن عباس : كانت له أوتادٌ وخشب يلعب بها
وعليها .
وقيل : كان له أوتاد يُسمِّرها في الناس لقتلهم .
وقيل : أراد المباني العظام الثابتة ، ورجحه ابن عطية^(١) .
وقال الزمخشري : إن ذلك استعارة في ثبات الملك كقول القائل :
..... في ظلِّ مُلْكٍ ثابتٍ الأوتادِ^(٢)
﴿وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ﴾ قد ذُكر^(٣) .



(١) المحرر الوجيز (٧/٣٢٨) .

(٢) الكشف (١٣/٢٤٣) ، وهذا عجز بيت للأسود بن يَعْفُرِ النهشلي كما في ديوانه
(ص : ٢٧) ، وصدر البيت : «ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة» .

(٣) انظر صفحة ٣٧٨ .

[﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ ١٥] وَقَالُوا رَبَّنَا مَجْلٌ لَنَا قُتْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصَمَانِ بَعَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً وَلِيَ نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْعِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَتْهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّثَابٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾].

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ ﴿يَنْظُرُ﴾ هنا بمعنى: ينتظر، و﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعني: قريشا.

والصيحة الواحدة: النفخة في الصور، وهي نفخة الصعق.

وقيل: الصيحة: عبارة عما أصابهم من قتل وشدائد.

والأول أظهر، وقد روي تفسيرها بذلك عن النبي ﷺ^(١).

﴿مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: ما لها من رجوع؛ أي: لا يرجعون بعدها إلى الدنيا، وهو على

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣/٢٠).

هذا مشتق من الإفاقة .

الثاني: ما لها من تردد؛ أي: إنما هي واحدة لا ثانية لها .

الثالث: ما لها من تأخير ولا توقّف مقدار فُواقِ ناقةٍ، وهي ما بين حَلْبَتَي اللبن .

وهذا القول الثالث إنما يجري على قراءة ﴿فُواقٍ﴾ بالضم؛ لأن فُواق الناقة بالضم، والقولان الأولان على الفتح والضم .

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنًا﴾ القِطُّ في اللغة له معنيان :

أحدها: الكتاب .

والآخر: النصيب .

وفي معناه هنا ثلاثة أقوال :

أحدهما: نصيبنا من الخير؛ أي: دعوا أن يعجّله الله لهم في الدنيا .

والآخر: نصيبهم من العذاب، فهو كقولهم: «أمطر علينا حجارة من السماء» .

والثالث: صحائف أعمالنا .

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٧٧) ﴿الْأَيْدِ: القوة،

وكان داود جمع قوة البدن والقوة في الدين، والملك والجنود .

والأَوَّاب: الرجّاع إلى الله .

فإن قيل: ما المناسبة بين أمر الله لمحمد ﷺ بالصبر على أقوال الكفار

وبين أمره له بذكر داود؟

فالجواب عندي: أن ذُكر داود ومن ذُكر بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه تسليّة للنبي ﷺ عن أقوال الكفار، ووعدّ له بالنصر وتفريج الكرب، وإعانة له على ما أمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال، وشدة ملكه، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب، فكأنه ^(١) يقول: يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم؛ كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم، وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء.

والمقصد: ذكر الإنعام عليهم؛ لتقوية قلب النبي ﷺ.

وأيضاً فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرّجها الله عنهم، وأعقبها بالخير العظيم، فأمر محمداً ﷺ بذكرهم؛ ليُعلم أنه يفرّج عنه ما يلقي من إذاية قومه، ويُعقبها بالنصر والظهور عليهم، فالمناسبة في ذلك ظاهرة.

وقال ابن عطية: المعنى: واذكر داود ذا الأيد في الدين؛ فتأسَّ به وتأيدَ كما تأيدَ ^(٢).

وأجاب الزمخشري عن السؤال بأن قال: كأن الله قال لنبيه ﷺ: اصبر على ما يقولون، وعظّم أمر المعصية في أعين الكفار بذكر قصة داود،

(١) في ب، ج: «فإنه».

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٣٣٠).

وذلك أنه نبيّ كريم عند الله ثم زلَّ زلة فوبَّخه الله عليها فاستغفر وأناب ، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم؟^(١).

وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام ؛ حيث جعله مثلاً يهدّد الله به الكفار ، وصرّح بأنه زلَّ وأن الله وبَّخه على زلته ، ومعاذ الله مِنْ ذِكْرِ الأنبياء بمثل هذا ! .

﴿وَالْإِشْرَاقُ﴾ يعني : وقتَ الإشرَاق وهو حينُ تشرق الشمس ؛ أي : تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى ، وأما شروقها : فطلوعها .
﴿مَحْشُورَةٌ﴾ أي : مجموعة .

﴿كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ﴾ أي : كلُّ مسبِّحٍ لأجل تسبيح داود .
ويَحتمل أن يكون ﴿أَوَّابٌ﴾ هنا بمعنى : رجّاع ؛ أي : يَرجع إلى أمره .
﴿وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ﴾ قيل : يعني : النبوة .
وقيل : العلم والفهم .
وقيل : الزبور .

﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ ابن عباس : هو فصل القضاء بين الناس بالحق .
عليّ بن أبي طالب : هو إيجاب اليمين على المدّعى عليه ، والبيّنة على المدّعي .

وقيل : أراد قول : «أما بعد» فإنه أول من قالها .

وقال الزمخشري: معنى فصل الخطاب: البين من الكلام الذي يفهمه من يُخاطَب به^(١).

وهذا المعنى اختار^(٢) ابن عطية، وجعله من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: ١٣]^(٣).

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَارُوا إِلَى الْحَرَابِ﴾ جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام؛ تنبيهاً للمخاطب ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة، التي ينبغي أن يُلقَى البال لها.

والخصم: يقع على الواحد والاثنين والجماعة، كقولك: عدل وزور. واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروي أنهما جبريل وميكائيل، بعثهم الله؛ ليضرب بهم المثل لداود في نازلة وقع هو في مثلها، فأفتى بفتيا هي واقعة عليه في نازلته، ولما شعر وفهم المراد أناب واستغفر، وسنذكر القصة بعد هذا.

ومعنى ﴿سَارُوا إِلَى الْحَرَابِ﴾ علوا على سوره ودخلوه.

والمحراب: الموضع الأرفع من القصر، أو المسجد، وهو موضع التعبد.

ويحتمل أن يكون المتسور للمحراب اثنين فقط؛ لأن نفس الخصومة

(١) الكشاف (١٣/٢٥٣).

(٢) في ج، د، هـ: «اختيار».

(٣) المحرر الوجيز (٧/٣٣٢).

إنما كانت بين اثنين، فتجىء الضمائر في ﴿سَوَّرُوا﴾، و﴿دَخَلُوا﴾، و﴿فَرَعَ﴾ منهم: على وجه التجويز والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائز على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان.

ويحتمل أنه جاءه مع كل واحد من الخصمين جماعة فيقع على جميعهم خصمٌ، وتجيء الضمائر المجموعة حقيقةً، وعلى هذا عوّل الزمخشري^(١).

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزَعَ مِنْهُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ هنا: ﴿سَوَّرُوا﴾.

وقيل: هي بدلٌ من الأولى.

وأما ﴿إِذْ﴾ الأولى: فالعامل فيها: ﴿أَتَاكَ﴾، أو ﴿نَبَأُ﴾.

وردّ الزمخشري ذلك، وقال: إن العامل فيها محذوفٌ، تقديره: هل أتاك نبأٌ تحاكم الخصم إذ تسوروا^(٢).

وإنما فزع داود منهم؛ لأنهم دخلوا عليه بغير إذن، ودخلوا من غير الباب.

وقيل: إن ذلك كان ليلاً.

﴿خَصَمَانِ بَغَى بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ﴾ تقديره: نحن خصمان، ومعنى ﴿بَغَى﴾: تعدّى.

﴿وَلَا تَسْطِطْ﴾ أي: لا تجز علينا في الحكم، يقال: أسطّ الحاكم: إذا جارَ

وقرئ في الشاذ: ﴿لَا تَسْطِطْ﴾ بفتح التاء؛ أي: لا تبعد عن الحق، يقال: سَطَّ إذا بُعد.

(١) الكشاف (٢٥٨/١٣).

(٢) الكشاف (٢٥٩/١٣).

﴿سَوَاءٌ أَلْصَرَطُ﴾ أي: وسط الطريق، ويعني: القصد والحق الواضح.
 ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾
 هذا حكاية كلام أحد الخصمين، والأخوة هنا: أخوة الدين.

والنجعة في اللغة: تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن، وهي هنا عبارة عن المرأة، ومعنى ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾: ملّكها لي، وأصله: اجعلها في كفّالتي.

وقيل: اجعلها كفّلي؛ أي: نصيبي.

ومعنى ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي: غلبني في الكلام والمحاورة، يقال: عزّ فلان فلاناً: إذا غلبه.

وهذا الكلام تمثيلٌ للقصة التي وقع داود فيها، وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديماً وحديثاً، حتى قال عليُّ بن أبي طالب عليه السلام: «من حدّث بما يقول هؤلاء القُصّاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدّين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله».

ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه^(١) داود عليه السلام.

روي أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبه، وكانت^(٢) لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة

(١) في ب، ج: «تبرئة».

(٢) في ب، ج: «وكان».

رجل فأعجبته ، فسأله النزول عنها ففعل ، وتزوَّجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام ، وكان لداود تسع وتسعون امرأة ، فبعث الله إليه الملائكة مثالا لقصته ، فقال أحدهما : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَةً ﴾ إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود ، ﴿ وَلِي نَجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة ، ﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا ﴾ إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته .

فأجابهم داود عليه السلام بقوله : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾ ، فقامت الحجة عليه بذلك ، فتبسّم المَلَكُان عند ذلك وذهبا ولم يرهما ، فشعر أن ذلك عتابٌ من الله له على ما وقع فيه ، ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبِّي وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ .

ولا تقتضي هذه القصة على هذه الراوية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعاً ، وإنما عوتب على أمر جائز ، كان ينبغي له أن يتنزه عنه ؛ لعلو مرتبته ومثانة دينه ، فإنه قد يُعَاتَب الفضلاء على ما لا يُعَاتَب عليه غيرهم ، كما قيل : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

وأيضاً ؛ فإنه كان له تسع وتسعون امرأة ، كان غنياً عن هذه المرأة ، فوق العتاب على الاستكثار من النساء ، وإن كان جائزاً .

وروي هذا الخبر على وجه آخر ، وهو أن داود عليه السلام انفرد يوماً في محرابه للتعبد ، فدخل عليه طائرٌ من كَوَّةٍ ، فوقع بين يديه فأعجبه ، فمدَّ يده ليأخذه فطار على الكوة ، فصعد داود ليأخذه ، فرأى من الكوة امرأةً تغتسل عريانة فأعجبته ، ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده ، وأنه خرج للجهاد مع الجند ، فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدم ذلك الرجل

يقاتل عند التابوت ، وهو موضع قلما يخلص أحد منه ، فتقدم ذلك الرجل فقاتل^(١) حتى قتل شهيداً ، فتزوج داود امرأته بعده ، فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل ، وتزوج امرأته بعده ، مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها .

وقيل : إن داود همّ بذلك كله ولم يفعله ، وإنما وقعت المعاتبة على همّه بذلك .

وروي أن السبب فيما جرى له مثل ذلك : أنه أعجب بعلمه^(٢) ، وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ، ففتن بتلك القصة .

وروي أيضاً أن السبب في ذلك : أنه تمنى منزلة آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، والتزم أن يبتلى كما ابتلوا ، فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة .

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسُؤَالِ نَعْيِكَ إِلَيَّ نَعَايَةٍ﴾ ﴿سُؤَالٍ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول ، وإنما تعدى بـ «إلى» ؛ لأنه تضمن معنى الإضافة ، كأنه قال : بسؤال نعجتك مضافة أو مضمومة إلى نعاجه .

فإن قيل : كيف قال له داود : ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قبل أن يثبت عنده ذلك ؟ فالجواب : أنه روي أن الآخر اعترف بذلك ، وحذف ذكر اعترافه اختصاراً .

(١) في أ : «يقاتل» .

(٢) في أ ، هـ : «بعلمه» .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ عَلَى تَقْدِيرِ صَحَّةِ قَوْلِهِ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنْ قَوْلُهُ لِأَحَدِ الْخَصْمَيْنِ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ حُجَّةَ الْآخَرِ كَانَتْ خَطِيئَتُهُ الَّتِي اسْتَغْفَرَ مِنْهَا وَأَنَابَ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الْخُلَطَاءُ: هُمُ الشَّرَكَاءُ فِي الْأَمْوَالِ، وَلَكِنَّ الْخُلُطَةَ أَعْمٌ مِنَ الشَّرَكَةِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْخُلُطَةَ فِي الْمَوَاشِي لَيْسَتْ بِشَرَكَةٍ فِي رِقَابِهَا.

وَقَصَّدَ دَاوُدُ بِهَذَا الْكَلَامِ الْوَعْظَ لِلْخَصْمِ الَّذِي بَغَى، وَالتَّسْلِيَةَ بِالتَّأْسِي لِلْخَصْمِ الَّذِي بُغِيَ عَلَيْهِ.

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ﴿مَّا﴾ زَائِدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ.

﴿وَوَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ ظَنَّ هُنَا: بِمَعْنَى شَعَرَ بِالْأَمْرِ.

وَقِيلَ: بِمَعْنَى أَيْقَنَ.

﴿وَفَتَنَّاهُ﴾ مَعْنَاهُ: اخْتَبَرْنَاهُ.

﴿وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ مَعْنَى ﴿حَرَّ﴾: أَلْقَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ ذَلِكَ فِي السُّجُودِ:

فَقِيلَ: إِنْ الرُّكُوعَ هُنَا: بِمَعْنَى السُّجُودِ.

وَقِيلَ: حَرَّ مِنْ رُكُوعِهِ سَاجِدًا بَعْدَ أَنْ رَكَعَ.

وَمَعْنَى ﴿أَنَابَ﴾: تَابَ.

وَرَوَى أَنَّهُ بَقِيَ سَاجِدًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَبْكِي حَتَّى نَبَتَ الْبَقْلُ مِنْ دُمُوعِهِ.

وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك، خلافاً للشافعي، إلا أنه اختلف في مذهب مالك هل يسجد عند قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾، أو عند قوله: ﴿وَحُسْنَ مَنَآبٍ﴾؟.

﴿وَإِنَّ لِمَ عِندَنَا لُزْلَفَىٰ وَحُسْنَ مَنَآبٍ﴾ الزُّلْفَى: القُرْبَة والمكانة الرفيعة.

والمَنَآب: المرجع في الآخرة.

﴿يَندَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تقديره: قال الله يا داود.

وخلافة داود: بالنبوة والملك.

قال ابن عطية: لا يقال «خليفة الله» إلا لنبي، وأما الملوك والخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذي قبله، وقول الناس فيهم: «خليفة الله» تجوُّزٌ^(١).



[﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٧٧﴾ أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٧٨﴾ كَتَبَ أَرْزُلُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكٌ لِيَذَبُوا ءِثْمَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٨٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّفِيْنَتُ الْجَادُ ﴿٨١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٨٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فُطِفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٨٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٨٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨٥﴾ فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٨٦﴾ وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ﴿٨٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٨٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٨٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾].

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ أي: عبثًا، بل خلقها الله بالحق؛ للاعتبار بها والاستدلال على خالقها.

﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المعنى: أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خِلْقَةُ السموات والأرض عندهم باطلاً لغير الحكمة؛ فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء الأخراوي^(١).

﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا استفهامية يراد بها الإنكار، أي: إن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار، بل يجازي كل أحد بعمله؛ لتظهر حكمة الله في الجزاء، ففي ذلك استدلالٌ على الحشر والجزاء، وفيه أيضًا وعد^(٢) ووعد.

(١) في ب، هـ: «الأخروي».

(٢) في ب، ج: «وعظ».

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيفَتُ الْخِيَادُ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿الصَّفِيفَتُ﴾ : جمع صافن، وهو الفرس الذي يرفع إحدى يديه أو رجله، ويقف على طرف الأخرى.

وقيل : الصافن : هو الذي يسوي يديه .

والصّفن علامة على فراهة الفرس .

و﴿الْخِيَادُ﴾ : السريعة الجري .

واختلف الناس في قصص هذه الآية :

فقال الجمهور : إن سليمان عليه السلام عرضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه ، وقيل : أخرجتها له الشياطين من البحر ، وكانت ذوات أجنحة ، وكانت ألف فرس ، وقيل : أكثر ، فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشي ، وقيل : العصر ، فأسيف لذلك ، وقال : ردوا عليّ الخيل ، فطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتى عقرها ؛ لما كانت سبب فوت الصلاة ، ولم يترك منها إلّا اليسير ، فأبدله الله أسرع منها ، وهي الريح .

وأنكر بعض العلماء هذه الرواية ، وقال : تفويت الصلاة ذنبٌ لا يفعله سليمان ، وعقرُ الخيل لغير فائدة لا يجوز ، فكيف يفعله سليمان عليه السلام ؟ وأيُّ ذنبٍ للخيل في تفويت الصلاة .

فقال بعضهم : إنما عقرها ليأكلها الناس ، وكان زمانهم زمان مجاعة ، فعقرها تقرّباً إلى الله .

وقال بعضهم : لم تفته صلاة ، ولا عقر الخيل ، بل كان يصلي فعرضت عليه الخيل ، فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها ، فلما فرغ من الصلاة قال : «ردّوها عليّ» فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة .

وقيل : إن المسح عليها كان وُسْمًا في سُوقِهَا وَأَعْنَاقِهَا بوسم : «حَبَسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» .

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ معنى هذا يختلف على حسب الاختلاف في القصة :

فأما الذين قالوا : إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة : فاختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الخير هنا : يراد به الخيل ، وزعموا أنه يقال للخيل خيرٌ ، و﴿أَحْبَبْتُ﴾ بمعنى : آثرتُ ، أو بمعنى فعلٍ يتعدى بـ «عن» ؛ كأنه قال : آثرت حب الخيل فشغلتني عن ذكر ربي .

والآخر : أن الخير هنا : يراد به المال ؛ لأن الخيل وغيرها مالٌ ، فهو كقوله تعالى : ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة : ١٨٠] أي : مالا .

والثالث : أن المفعول محذوفٌ ، و﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ مصدرٌ ، والتقدير : أحببت هذه الخيل مثل حب الخير ، فشغلتني عن ذكر ربي .

وأما الذين قالوا : كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها ؛ فالمعنى : أنه قال : إني أحببت حب الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي ، فشغلتني ذلك عن النظر إلى الخيل .

﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها ، ولكنها تفهم من سياق الكلام ، وذكر العشي يقتضيها ، والمعنى : حتى غابت الشمس . وقيل : الضمير للخيل ، ومعنى ﴿تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ : دخلت اصطبلاتها .

والأول أشهر وأظهر.

﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ أي: قال سليمان: ردوا عليّ الخيل.

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ السُّوق: جمع ساق، يعني: سوق الخيل وأعناقها؛ أي: جعل يمسحها مسحًا.

وهذا المسح مختلفٌ على حسب الاختلاف المتقدم: هل هو قَطْعُهَا وعقرها؟ أو مَسْحُهَا باليد محبةً لها؟، أو وَسْمُهَا بالتحجيس^(١).

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصّتها، وفي ذلك أربعة أقوال:

الأول: أن سليمان كان له خاتَمٌ مُلْكِهِ، وكان فيه اسم الله^(٢)، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء؛ توقيراً لاسم الله تعالى، فنزعه يوماً ودفعه إلى جاريته، فتمثّل لها جنّيٌّ في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له، وروي أن اسمه صخر، فقعّد على كرسيّ سليمان يأمر وينهى، والناس يظنون أنه سليمان، وخرج سليمان فارّاً بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتاً ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه، وكان الجنّيُّ قد رماه في البحر، فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه.

ففتنة سليمان على هذا: هي ما جرى له من سلب ملكه.

والجسد الذي أُلقي على كرسيه: هو الجنّيُّ الذي قعد عليه، وسماه

(١) في ب، ج: «للتحجيس».

(٢) في هامش ب زيادة: «الأعظم».

جسدًا ؛ لأنه تصوّر في صورة إنسان .

ومعنى ﴿أَنَابَ﴾ :

رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء .

أو رجع إلى ملكه .

والقول الثاني : أن سليمان كانت له امرأة يحبها ، وكان أبوها ملكًا كافرًا قد قتله سليمان ، فسألته أن يصنع لها صورة أبيها ، فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواريتها ، وصار صنمًا معبودًا في داره ، وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يومًا ، فلما علم به كسره .

فالفتنه على هذا : عمل الصورة .

والجسد : هو الصورة .

والقول الثالث : أن سليمان كان له ولد ، وكان يحبه حبًا شديدًا ، فقالت الجن : إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السُّخرة أبدًا ، فلم يشعر إلّا وولده ميت على كرسيه .

فالفتنه على هذا : حبه في الولد .

والجسد : هو الولد لما مات ، وسمي جسدًا ؛ لأنه جسد بلا روح .

والقول الرابع : أنه قال : « لأطوفن الليلة على مئة امرأة ، تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله » ، ولم يقل : « إن شاء الله » ، فلم تحمل واحدة منهن إلّا واحدة جاءت بشقّ إنسان .

فالفتنه على هذا : كونه لم يقل : « إن شاء الله » .

والجسد: هو شِقُّ الإنسان الذي وُلِدَ له .

فأما القول الأول: فضِعِفَ من طريق النقل ، مع أنه يَبْعَدُ ما ذُكِرَ فيه من سلب الملك عن سليمان وتسليط الشياطين عليه .

وأما القول الثاني: فضِعِفَ أيضًا ، مع أنه يَبْعَدُ أن يُعْبَدَ صنمٌ في بيت نبيٍّ ، أو يأمر نبي بعمل صنم .

وأما القول الثالث: فضِعِفَ أيضًا .

وأما القول الرابع: فقد روي في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ^(١) لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير لمعنى الآية .

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ قَدَّمَ الاستغفار على طلب الملك ؛ لأن أمور الدين كانت عنده أهم من الدنيا ، فقدم الأولى والأهم .

فإن قيل: لأي شيء قال: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ ، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحجاج: إنه كان حسودًا^(٢) ؟

فالجواب: من وجهين :

أحدهما: أنه إنما قال ذلك لئلا يجري عليه مثل ما جرى من أخذ الجني لملكه ، فقصد أن لا يُسَلَبَ ملكه عنه في حياته ويصير إلى غيره .

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٦٥٤).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣٤٩/٧): «وروي في مثالب الحجاج بن يوسف أنه لما قرأ هذه الآية قال: «لقد كان حسودًا»، وهذا من فسق الحجاج».

والآخر: أنه طلب ذلك لتكون^(١) معجزة، دلالة على نبوته.

﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾ ﴿٣٦﴾ معنى ﴿رُحَاءَ﴾: لينة طيبة. وقيل: مطيعة^(٢) له.

وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١] في «الأنبياء»^(٣).

و﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصد وأراد.

﴿وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿الشَّيْطِينَ﴾ معطوف على ﴿الرِّيحَ﴾، و﴿كُلَّ بَنَّاءٍ﴾ بدل من ﴿الشَّيْطِينَ﴾.

أي: سخرنا له الريح والشياطين من يبني منهم ومن يغوص في البحر. ﴿وَبَآخَرِينَ مُفْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿٣٨﴾ أي: آخرين من الجنّ مؤثّقين في القيود والأغلال.

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ الإشارة إلى الملك الذي أعطاه الله، والمعنى: أن الله قال له: أعط من شئت وامنع من شئت.

وقيل: المعنى: امنن على من شئت من الجنّ بالإطلاق^(٤) من القيود، وأمسك من شئت منهم في القيود.

(١) في أ، هـ: «ليكون».

(٢) في أ: «طائعة»، وفي هـ: «طيّعة».

(٣) انظر صفحة ١٦١.

(٤) في أ، هـ: «بإطلاق».

والأول أحسن، وهو قول ابن عباس.

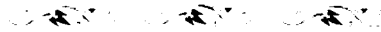
﴿بَغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ:

أحدها: أنه لا يُحَاسَبُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى مَا فَعَلَ.

والآخر: بغير تضيقٍ عليه^(١) في الملك.

والثالث: بغير حساب ولا عدد، بل خارج عن الحضر.

﴿وَإِنَّ لَهُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ قَدْ ذُكِرَ فِي قِصَّةِ دَاوُدَ.



(١) فِي د: «عَلَيْكَ».

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ﴾ (٤١) أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۚ﴾ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَاهُ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ۚ﴾ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ ۖ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۚ﴾ (٤٤) وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۚ﴾ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرْنَاهُ الْدَارِ ۚ﴾ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ۚ﴾ (٤٧) وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ۚ﴾ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۚ﴾ (٤٩) جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَعَةٍ لَّهُمُ الْأُيُوبُ ۚ﴾ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهْفٍ ۚ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۚ﴾ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَصْرِاتُ الطَّرْفِ أَنْزَابٌ ۚ﴾ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۚ﴾ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَمْ يَنْفَادِ ۚ﴾ (٥٤) هَذَا وَإِنَّ لِلطَّالِفِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ۚ﴾ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ اللَّهُ إِلَيْهَا ۚ﴾ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ۚ﴾ (٥٧) وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۚ﴾ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ أَنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۚ﴾ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَنْسِفُ اللَّهُ الْقَرَارَ ۚ﴾ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۚ﴾ (٦١) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۚ﴾ (٦٢) أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ۚ﴾ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ۚ﴾ (٦٤).

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ﴾ (٤١) قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام في «الأنبياء» (١).

والتَّصْبُ: يقال بضم النون وإسكان الصاد، ويفتح النون وإسكان الصاد، وبضم النون والصاد، ويفتحهما، ومعناه واحد: وهو المشقة.

فإن قيل: لم نسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان؟

فالجواب : من أربعة أوجه :

أحدها : أن سبب ذلك كان من الشيطان ، فإنه روي أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكراً فلم يغيّره .

وقيل : إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها ، وكان له جار جائع فلم يعط جاره منها شيئاً .

والثاني : أنه أراد : ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكراهة البلاء ، فدعا إلى الله أن يدفع^(١) عنه وسوسة الشيطان بذلك .

والثالث : أنه روي أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه ، فأهلك ماله فصبر ، وأهلك أولاده فصبر ، وأصابه الجذام والمرض الشديد فصبر ، فنسب ذلك إلى الشيطان ؛ لتسليط الشيطان عليه .

والرابع : روي أن الشيطان لقي امرأته فقال لها : قولي لزوجك إن سجد لي سجدة أذهب ما به من المرض ، فذكرت المرأة ذلك لأيوب ، فقال لها : «ذلك عدو الله الشيطان» ، وحينئذ دعا .

﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ التقدير : «قلنا له : اركض برجلك» ، فضرَب الأرض برجله فنبعت له عين ماء صافية باردة ، فشرب منها فذهب^(٢) كل مرض كان داخل جسده ، واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده . وروي أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان ، فشرب من أحدهما ،

(١) في أ ، ب ، هـ : «يرفع» .

(٢) في ب : «فأذهب الله» .

واغتسل من الأخرى .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ ذكر في «الأنبياء»^(١) .

﴿وَخَذَ يَدُكَ ضَعْفًا فَأَضْرَبَ بِهِ وَلَا تَحْنُتُ﴾ الضَّعْفُ : القبضة من القُضبان .

وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته مئة سوط إذا برئ من مرضه ، وكان سبب ذلك ما ذكرته له من لقاء الشيطان وقوله لها : إن سجد لي زوجك أذهبت ما به ، فأمره الله أن يأخذ ضَعْفًا فيه مئة قضيب فيضربها بها ضربة واحدة فيبر في يمينه .

وقد ورد مثل هذا عن نبينا ﷺ في حدّ رجل زنى ، وكان مريضًا ، فأمر رسول الله ﷺ بعَذْقِ نخلة فيه شماريخ مئة ، فضرب به ضربة واحدة ، ذكر ذلك أبو داود والنسائي^(٢) .

وأخذ به بعض العلماء ، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه .

﴿أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرِ﴾ ﴿الْأَيْدَى﴾ جمع يدٍ ، وذلك عبارة عن قوتهم في الأعمال الصالحة ، وإنما عبّر عن ذلك بالأيدي ؛ لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي .

وأما ﴿الْأَبْصَرِ﴾ فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم ، من قولك : أبصر الرجل : إذا تبَيَّنَتْ له الأمور .

وقيل : ﴿الْأَيْدَى﴾ جمع يدٍ بمعنى النعمة ، ومعناه : أولوا النعم التي

(١) انظر صفحة ١٦٣ .

(٢) أخرجه أحمد (٢١٩٣٥) ، أبو داود (٤٤٧٢) ، والنسائي في الكبرى (٤٧٣/٦) .

أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة، وهذا ضعيف؛ لأن اليد بمعنى النعمة أكثر ما تجمع^(١) على أيادي.

وقرأ ابن مسعود: «أولوا الأيد»، بغير ياء، فيحتمل:

أن تكون «الأيدي» محذوفة الياء.

أو يكون الأيد بمعنى القوة، كقوله: ﴿دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾.

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ (٤٦) معنى ﴿أَخْلَصْنَاهُمْ﴾:

جعلناهم خالصين لنا.

أو خصصناهم^(٢) دون غيرهم.

و﴿خَالِصَةٍ﴾ صفةٌ حذف موصوفها، تقديره: بخِصلةٍ خالصةٍ.

وأما الباء في قوله: ﴿بِخَالِصَةٍ﴾:

فإن كان ﴿أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ بمعنى: جعلناهم خالصين: فالباء سببية للتعليل.

وإن كان ﴿أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ بمعنى خصصناهم: فالباء لتعذية الفعل.

وقرأ نافع بإضافة ﴿خَالِصَةٍ﴾ إلى ﴿ذِكْرَى﴾ من غير تنوين.

وقرأ غيره بالتنوين، على أن تكون ﴿ذِكْرَى﴾ بدلاً من ﴿خَالِصَةٍ﴾ على وجه البيان والتفسير لها.

و﴿الدَّارِ﴾ يحتمل أن يريد به: الآخرة أو الدنيا.

(١) في ب، ج، هـ: «يجمع».

(٢) في أ، هـ: «أخلصناهم».

فإن أراد به الآخرة: ففي المعنى ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾ يعني به: ذَكَرَهُم لِلْآخِرَةِ وَحَبَّهَم فِيهَا.

والآخر: أن معناه: تذكيرهم للناس بالآخرة، وترغيبهم للناس فيما عند الله.

والثالث: أن معناه: ثواب الآخرة؛ أي: أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة.

والأول أظهر.

وإن أراد بالدار الدنيا: فالمعنى: حُسْنُ الثَّناء والذِّكر الجميل في الدنيا، كقوله: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [الشعراء: ٨٤].

﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خَيْرٍ بتشديد الياء، أو خَيْرٍ المخفف من خَيْرٍ، كَمِيتٌ مخفَّفٌ من مِيتٍ.

﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ ذكر في «الأنبياء»^(١).

﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ الإشارةُ إلى ما تقدَّم في هذه السورة من ذكر الأنبياء.

وقيل: الإشارة إلى القرآن بجملته.

والأول أظهر.

وكأن قوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ ختامٌ للكلام المتقدم، ثم شرع بعده في كلام آخر، كما يُنمُّ المؤلف بابًا ثم يقول: «فهذا باب»، ثم يشرع في آخر.

(١) انظر صفحة ١٦٣.

﴿قَصَرْتُ الْأَظْفَرِ﴾ ذكر في «الصفات»^(١).

﴿أَرَابُ﴾ يعني: أسنانهنَّ سواء، يقال: فلان يَرُبُّ فلان: إذا كان مثله في السن.

وقيل: يعني: أن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواء.

﴿مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ أي: ماله من فناء ولا انقضاء.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَنَاقِبٍ﴾ تقديره: «الامر هذا»، لما أتم ذكر أهل الجنة ختمه بقوله: ﴿هَذَا﴾، ثم ابتداء وصف أهل النار. ويعني بالطَّالِبِينَ: الكفار.

﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ ﴿هَذَا﴾ مبتدأ، وخبره ﴿حَمِيمٌ﴾، و﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾: اعتراض بينهما.

والحميم: الماء الحار.

والغساق: قرئ بتخفيف السين وتشديدها، وهو صديد أهل النار.

وقيل: ما يسيل من عيونهم.

وقيل: هو عذاب لا يعلمه الله.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجَ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿أَخْرَجْنَا﴾ معطوف على ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾، تقديره: وعذاب آخر، قيل: يعني: الزَّمَّهْرِيرُ.

ومعنى ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾: من مثله ونوعه؛ أي: من مثل العذاب المذكور.

و﴿أَزْوَاجٌ﴾ معناه: أصناف، وهو صفة للحميم والغساق والعذاب الآخر.

والمعنى: أنها أصناف من العذاب.

وقال ابن عطية: ﴿ءَاخِرُ﴾ مبتدأ، واختلف في خبره؛ ف قيل: تقديره: ولهم عذاب آخر^(١).

وقيل: ﴿أَزْوَاجٌ﴾ مبتدأ، و﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ خبر ﴿أَزْوَاجٌ﴾، والجملة خبر ﴿ءَاخِرُ﴾.

وقيل: ﴿أَزْوَاجٌ﴾ خبر ﴿ءَاخِرُ﴾، و﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ في موضع الصفة. وقرئ ﴿أَخْرُ﴾ بالجمع، وهو أليق أن يكون ﴿أَزْوَاجٌ﴾ خبره؛ لأنه جمعٌ مثله.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ الفوج: جماعة من الناس.

والمقتحم: الداخل في زحامٍ وشدة.

وهذا من كلام خزنة النار، خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولًا، ثم دخل بعدهم أتباعهم، وهم الفوج المشار إليه.

وقيل: هو كلام أهل النار بعضهم لبعض.

والأول أظهر.

﴿لَا مَرْجَأَ لَهُمْ﴾ أي: لا يلقون رُحْبًا ولا خيرًا، وهو دعاء من كلام رؤساء

(١) المحرر الوجيز (٧/٣٥٨).

الكفار؛ أي: لا مرحبًا بالفوج الذين هم أتباع لهم.

﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ هذا حكاية كلام الأتباع للرؤساء، لما قالوا لهم: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أجابوهم بقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾.

﴿أَنْتُمْ قَدْ مَتَّوْهُ لَنَا﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع خطابًا للرؤساء، وهو تعليل لقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾.

والضمير في ﴿قَدْ مَتَّوْهُ﴾ للعذاب، ومعنى ﴿قَدْ مَتَّوْهُ﴾: أوجبتموه لنا بما قدَّمتم في الدنيا من إغوائنا، وأمركم لنا بالكفر.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع، دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب، فهو كقولهم: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

والضَّعف: زيادة المثل.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ الضمير في ﴿وَقَالُوا﴾ للرؤساء الكفار.

وقيل: للطَّاغين.

والرجال: هم ضعفاء المؤمنين.

ف قيل: إن القائلين لذلك هم: أبو جهل، وأمّية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأمثالهم، وإن الرجال المذكورين هم: عمّار، وبلال، وصهيب، وأمثالهم.

واللفظ أعم من ذلك.

والمعنى: أنهم قالوا في جهنم: ما لنا لا نرى في النار رجالاً كنا في الدنيا نعدُّهم من الأشرار.

﴿أَتَّخَذْنَهُمْ سُخْرِيًّا﴾ قرئ ﴿أَتَّخَذْنَهُمْ﴾ بهمزة قطع، ومعناها: توبيخ أنفسهم على اتخاذهم المؤمنين سُخْرِيًّا.

وقرئ بألف وصل، على أن تكون الجملة صفة للرجال.
وقرئ ﴿سُخْرِيًّا﴾:

بضم السين: من التَّسخير؛ بمعنى الخدمة.

وبالكسر: من معنى الاستهزاء.

﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَرُ﴾ هذا يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون معادلاً لقولهم: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا﴾، والمعنى: ما لنا لا نراهم في جهنم؟ فهم ليسوا فيها؟ أم هم فيها ولكن زاغت عنه أبصارنا؟ ومعنى ﴿زَاغَتْ عَنْهُمْ﴾: مالت فلم ترهم^(١).

الثاني: أن يكون معادلاً لقولهم: ﴿أَتَّخَذْنَهُمْ سُخْرِيًّا﴾، والمعنى: اتخذناهم سُخْرِيًّا أم زاغت عنهم أبصارنا في الدنيا؟

ومعنى زاغت الأبصار على هذا: مالت عن النظر إليهم؛ احتقاراً لهم.

(١) في أ، هـ: «نرهم».

الثالث: أن تكون «أم» منقطعةً بمعنى «بل» والهمزة، فلا تعادل شيئاً ما قبلها.

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ الإشارةُ إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار، ثم فسّره بقوله: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

وإعراب ﴿تَخَاصُمُ﴾:

بدلٌ من ﴿لَحَقٌّ﴾.

أو خبر مبتدأ مضمّر.



﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿١٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنْمَأ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ مِنْ بَشَرٍ مِّن طِينٍ ﴿٢١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَجِدِينَ ﴿٢٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ يَبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٢٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَإِن عَلَيْكَ لعَنْتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٣٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٣٨﴾ .

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧) : النبأ : الخبر ، ويعني به : ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة .

وقيل : يعني : القرآن .

وقيل : يوم القيامة .

والأول أعم وأرجح .

﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (١٩) : الملائكة : هم الملائكة .

ومقصد الآية : الاحتجاج على نبوة محمد ﷺ ؛ لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمها قبل ذلك .

والضمير في ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ للملأ الأعلى، واختصامهم: هو في قصة آدم حين قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] حسبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن، وفي الحديث: «أن رسول الله ﷺ رأى ربه فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟»، فقال: لا أدري، قال: في الكفارات، وهي: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد» الحديث بطوله^(١).

وقيل: الضمير في ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ للكفار؛ أي: يختصمون في الملأ الأعلى فيقول بعضهم: هم بنات الله، ويقول آخرون: هم آلهة تعبد. وهذا بعيد. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ ﴿٧١﴾ ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدلٌ من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

وقد ذكرنا في «البقرة» معنى سجود الملائكة لآدم، ومعنى كفر إبليس^(٢). وذكرنا في «الحجر» معنى قوله تعالى: ﴿مِنْ رُّوحِي﴾^(٣).

﴿قَالَ يَإِإِبْلِيسُ مَا مَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ لله ﷻ، و﴿بِإِيْدِي﴾: من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به، وتسليمُ عِلْمِ حقيقته إلى الله.

وقال المتأولون: هو عبارةٌ عن القدرة^(٤).

(١) أخرجه أحمد (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣).

(٢) انظر (١/٣٠٠).

(٣) انظر (٢/٧١٩).

(٤) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ١٩٥/٢.

وقال القاضي أبو بكر ابن الطيب: إن اليد والعين والوجه صفات ذات زائدة على الصفات المتقررة.

قال ابن عطية: وهذا قول مرغوب عنه^(١).

وحكى الزمخشري: أن معنى ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾: خلقت بغير واسطة^(٢).

﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ﴾ دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل، و﴿أَمْ﴾ هنا معادلة.

والمعنى: أستكبرت الآن أم كنت قديماً ممن يعلو ويستكبر؟، وهذا على جهة التوبيخ له.

﴿رَجِمْ﴾ أي: لعين مطرود.

﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ يعني: القيامة، وقد تقدّم الكلام على ذلك في «الحجر»^(٣).

﴿قَالَ فِيعَزِّكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الباء للقسمة، أي: أقسم إبليس بعزة الله أن يُغوي بني آدم.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿الضمير في ﴿قَالَ﴾ هنا: لله تعالى.

(١) المحرر الوجيز (٧/٣٦٤).

(٢) الكشف (١٣/٣٢٤).

(٣) انظر (٢/٧١٩).

﴿الْحَقُّ﴾ الأول: مُقَسَّمٌ^(١) به، وهو منصوب بفعل مضمر، كقولك: «الله لأفعلن»، وجوابه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾.

وقرئ بالرفع، وهو مبتدأ، أو خبر مبتدأ مضمر تقديره: الحقُّ يميني.

وأما ﴿الْحَقُّ﴾ الثاني: فهو مفعولٌ بـ ﴿أَقُولُ﴾.

وقوله: ﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ جملة اعتراض بين القسم وجوابه، على وجه التأكيد للقسم.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُكْذِبِينَ﴾ أي: الذين يتصنعون ويتحلّون بما ليسوا من أهله.

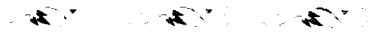
﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ﴾ هذا وعيد؛ أي: لتعلمنَّ صدق خبره بعد حين.

والحينُ:

يوم القيامة.

أو موتهم.

أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره.



(١) في ب، ج: «المقسم».

﴿سورة الزمر﴾

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ①﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ② أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ③ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا
لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ④ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ⑤ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أزْوَاجًا يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ⑥ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفَىٰ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ
تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑦ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ
إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نِسَىٰ مَا كَانَ يُدْعَوُا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
قُلْ تَمَنَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ⑧ أَمَنْ هُوَ قَتَيْتُ عَائِةً أَيْلًا سَاجِدًا وَقَائِمًا
يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُو الْأَلْبَابِ ⑨]

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ ﴿تَنْزِيلٌ﴾ مبتدأ ، وخبره : ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ .

أو خبر ابتداء مضمّر تقديره: «هذا تنزيل»، و﴿مِنَ اللَّهِ﴾ على هذا الوجه:
يتعلق بـ﴿تَنْزِيلُ﴾.

أو يكون خبرًا بعد خبر.

أو خبر مبتدأ آخر محذوف.

و﴿الْكِتَابِ﴾ هنا: القرآن، أو السورة.

واختار ابن عطية أن يراد به: جنس الكتب المنزلة^(١).

وأما ﴿الْكِتَابِ﴾ الثاني: فهو القرآن باتفاق.

﴿بِالْحَقِّ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون معناه: متضمّن الحق.

والثاني: أن يكون معناه: بالاستحقاق والوجوب.

﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ أي: لا يكون فيه شرك أكبر ولا شرك أصغر وهو
الرياء.

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ قيل: معناه: من حقّه ومن واجبه أن يكون له الدين
الخالص.

ويحتمل أن يكون معناه: أن الدين الخالص هو دين الله وهو^(٢) الإسلام،
الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره.

(١) المحرر الوجيز (٧/٣٦٩).

(٢) من هنا يبدأ سقط ورقة من ج.

معنى ﴿الْخَالِصُ﴾ : الصافي عن شوائب الشرك .

وقال قتادة : الدين الخالص : شهادة أن لا إله إلا الله .

وقال الحسن : هو الإسلام ، وهذا أرجح ؛ لعمومه .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يريد بالأولياء : الشركاء المعبودين .

ويحتمل أن يريد بـ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ :

الكفار العابدين لهم .

أو الشركاء المعبودين .

والأول أظهر ؛ لأنه يُحتاج على الثاني إلى حذف الضمير العائد على

﴿الَّذِينَ﴾ تقديره : الذين اتخذوهم ، ويكون ضمير الفاعل في ﴿اتَّخَذُوا﴾

عائداً على غير مذكور .

وارتفاع ﴿الَّذِينَ﴾ على الوجهين بالابتداء ، وخبره :

إما قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ .

أو المحذوف المقدّر قبل قوله : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ ؛ لأن تقديره : «يقولون ما

نعبدهم» .

والأول أرجح ؛ لأن المعنى به أكمل .

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ هذه الجملة في موضع معمولٍ قولٍ

محذوف ، والقول في موضع الحال ، أو في موضع بدل من صلة ﴿الَّذِينَ﴾ .

وقرأ ابن مسعود : «قالوا ما نعبدهم» بإظهار القول .

أي: يقول الكفار: ما نعبد هذه الآلهة إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده، ويعني بذلك: الكفار الذين عبدوا الملائكة.

أو الذين عبدوا الأصنام.

أو الذين عبدوا عيسى أو عزيزاً.

فإن جميعهم قالوا هذه المقالة.

ومعنى ﴿زُلْفَى﴾: قربي، فهو مصدرٌ من ﴿يُقَرَّبُونَا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ إشارة إلى كذبهم في قولهم: ﴿لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿لَا يَهْدِي﴾ في تأويله وجهان:

أحدهما: لا يهديه في حال كفره.

والثاني: أن ذلك مختصٌ بمن قضى عليه بالموت على الكفر.

وهذا تأويل: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ و﴿الْكَافِرِينَ﴾ حيثما وقع.

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ الولد يكون على

وجهين:

أحدهما: بالولادة الحقيقية، وهذا محالٌ على الله تعالى، لا يجوز في

العقل.

والثاني: التبني، بمعنى الاختصاص والتقريب، كما يتخذ الإنسان ولد

غيره ولداً؛ لإفراط محبته له، وذلك ممتنع على الله بإخبار الشرع، فإن قوله:

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ﴿٩٢﴾ [مريم: ٩٢] يعمُ نفْيُ الوجهين.

فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية^(١): لو أراد الله أن يتخذ ولدًا على وجه التبني لاصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته، ولكنه لم يُرد ذلك ولا فعله.

وقال الزمخشري: معناه: لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك، ولكنه يصطفي من عباده من يشاء على وجه الاختصاص والتقريب، لا على وجه اتخاذه ولدًا، فاصطفى الملائكة وشرفهم بالتقريب، فحَسِبَ الكفار أنهم أولادُه، ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثًا، فأفراطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته^(٢).

﴿سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ نَزَّهَ الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد؛ لأن الْوَاحِدَانِيَّةَ تنافي اتخاذ الولد؛ لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه، ولا جنسَ له؛ لأنه واحد.

ووصف نفسه بالقهار؛ ليدلَّ على نفي الشركاء والأنداد؛ لأن كل شيء مقهورٌ تحت قهره تعالى، فكيف يكون شريكًا له؟

ثم أتبع ذلك بما ذكره من خَلْقِ السموات والأرض وغيرهما؛ لتدلَّ على وحدانيته وقدرته وعظمته.

﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ التَّكْوِيرُ: اللَّفُّ وَاللَّيُّ، ومنه: كَوَّرُ العمامة التي يلتوي بعضها على بعض، وهو هنا استعارة.

ومعناه على ما قال ابن عطية: يعيد من هذا على هذا، فكأن الذي يطول

(١) المحرر الوجيز (٧/٣٧١).

(٢) الكشف (١٣/٣٣٨-٣٣٩).

من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزء فيستره، وكأن الذي يقصر يدخل في الذي يطول فيستر فيه^(١).

ويحتمل أن يكون المعنى: أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه، فشبه في ستره له بثوب يلف على آخر.

﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: آدم عليه السلام.

﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء، خلقها من ضلع آدم.

فإن قيل: كيف عطف قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْ﴾ على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بـ ﴿ثُمَّ﴾ التي تقتضي الترتيب والمهلة، ولا شك أن خلقه حواء كانت قبل خلقه بني آدم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول - وهو المختار - : أن العطف إنما هو على معنى قوله: ﴿وَاحِدَةٍ﴾ لا على ﴿خَلَقَكُمْ﴾، كأنه قال: خلقكم من نفس كانت واحدة، ثم خلق منها زوجها بعد وحدثها.

الثاني: أن «ثم» لترتيب الإخبار، لا لترتيب الوجود.

الثالث: أنه يعني بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ إخراج بني آدم من صلب أبيهم كالذر، وكان ذلك قبل خلقه حواء.

﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَزْوَاجٍ﴾ يعني: المذكورة^(٢) في «الأنعام»:

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٧٢).

(٢) في أ، هـ: «المذكورين».

﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وسماها أزواجاً؛ لأن الذكر زوج الأنثى^(١) والأنثى زوج الذكر^(٢).

وأما لفظ ﴿وَأَنْزَلَ﴾ ففيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها إلى الأرض.

الثاني: أن معنى ﴿وَأَنْزَلَ﴾: قضى وقسم، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه.

الثالث: أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات، فتعيش منه هذه الأنعام، فعبر بإنزالها عن إنزال رزقها، وهذا بعيد.

﴿خَلَقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقِ﴾ يعني: أن الإنسان يكون نطفةً، ثم علقه، ثم مضغة، إلى أن يتم خلقه، ثم ينفخ فيه الروح.

﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي: البطن والرحم والمشيمة.

وقيل: صلب الأب والرحم والمشيمة.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿بُطُونٌ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ ولم يذكر الصلب.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنَىٰ عَنْكُمْ﴾ أي: لا يضره كفركم.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ تأوّل الأشعرية هذه الآية على وجهين:

أحدهما: أن الرضا بمعنى الإرادة، ويعني بـ ﴿عِبَادِهِ﴾ من قضى الله

(١) في ب، د: «للأنثى».

(٢) في ب، د: «للذكر».

له بالإيمان والوفاء عليه ، فهو كقوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] .

والآخر : أن الرضا غير الإرادة ، والعباد على هذا : على العموم ، أي : لا يرضى الكفر لأحد من البشر ، وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم ، فهو لم يرضه ديناً ولا شرعاً ، وأراده وقوعاً ووجوداً .

وأما المعتزلة : فالرضا عندهم : بمعنى الإرادة ، والعباد على العموم ؛ جرياً على قاعدتهم في القدر وأفعال العباد^(١) .

﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ هذا عمومٌ ، والشكر الحقيقي يتضمّن الإيمان .
﴿ وَلَا يُزِرُّ وَازِرَةً ﴾ ذكر في «الإسراء»^(٢) .

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ ﴾ الآية ؛ يراد بالإنسان هنا : الكافر ؛ بدليل قوله :
﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ .

والقصد بهذه الآية : عتاب وإقامة حجة ، فالعتاب : على الكفر وترك دعاء الله ، وإقامة الحجة : على الإنسان بدعائه إلى الله في الشدائد .

فإن قيل : لم قال هنا : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ﴾ بالواو وقال بعد هذا : ﴿ فَإِذَا مَسَّ ﴾ بالفاء ؟

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : ذكر المصنف الوجهين عن الأشاعرة ، ولم يرجح ، والصواب هو القول الثاني ، وهو أن الرضا غير الإرادة ، وأنه لا تلازم بين الرضا والإرادة الكونية ، وعلى هذا فالله لا يرضى الكفر لأحد من عباده ، وإن كان قد يشاؤه من بعضهم ، فالكافر قد شاء الله منه الكفر ، وإن كان لا يرضاه ، وهذا يوافق قول أهل السنة .
(٢) انظر (٧٩٨/٢) .

فالجواب: أن الذي بالفاء مسببٌ عن قوله: ﴿أَشْمَارَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فجاء بفاء السببية^(١). قاله الزمخشري^(٢)، وهو بعيد.
﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ معنى ﴿خَوَّلَهُ﴾: أعطاه.

والنعمة هنا: يحتمل أن يريد بها:

كشف الضر المذكور.

أو أيّ نعمة كانت.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَا﴾:

مصدرية؛ أي: نسي دعاءه.

أو تكون بمعنى «الذي»، والمراد بها: الله تعالى.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ بتخفيف الميم، على إدخال همزة الاستفهام على «مَنْ».

وقيل: هي همزة النداء.

والأول أظهر.

وقرئ بتشديدها، على إدخال «أم» على «مَنْ» و«مَنْ» مبتدأ، وخبره محذوف، وهو المعادل للاستفهام، تقديره: «أَمَّنْ هو قانتٌ كغيره»، وإنما حذف لدلالة الكلام عليه، وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده من قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾.

(١) في ب، ه: «التسبب»، وفي د: «التسبب».

(٢) الكشف (١٣/٤٠٤).

والقنوت هنا : بمعنى الطاعة ، أو الصلاة بالليل .

﴿وَأَنَّا أَتَيْنَاكَ : ساعاته .



[﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٢) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادُ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾].

﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية؛ نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة.

ومعناها: التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يحتمل أن يتعلق ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾:

بـ ﴿أَحْسَنُوا﴾، والمعنى: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة.

أو يتعلق بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾، والحسنة على هذا: حُسن الحال والعافية^(١) في الدنيا.

(١) في ب، د: «والعاقبة» والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٣/٣٥٣).

والأول أرجح.

﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ يراد بها: البلاد المجاورة للأرض التي هاجروا منها.
والمقصد من ذلك: حضُّ على الهجرة.

﴿إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هذا يحتمل وجهين:
أحدهما: أن الصابر يؤتى أجره، ولا يحاسب على أعماله، فهو من
الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

الثاني: أن أجر الصابرين بغير حضرٍ بل أكثر من أن يحصر^(١) بعددٍ
أو وزن، وهذا قول الجمهور.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ اللام هنا يجوز أن تكون:
زائدة.

أو للتعليل، ويكون المفعول على هذا محذوفاً.

فإن قيل: كيف عطف ﴿أُمِرْتُ﴾ على ﴿أُمِرْتُ﴾ والمعنى واحد؟
فالجواب: أن الأول أمرٌ بالعبادة والإخلاص، والثاني أمرٌ بالسَّبق إلى
الإسلام، فهما معنيان اثنان.

وكذلك قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ﴾ ليس تكراراً لقوله: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾؛
لأن الأول إخبارٌ بأنه مأمور بالعبادة، والثاني إخبارٌ بأنه يفعل العبادة.
وقدَّم اسم الله تعالى؛ للحصر واختصاص^(٢) العبادة به وحده.

(١) في أ: «ينحصر»، وفي ب: «يحصى».

(٢) هنا ينتهي سقط الورقة من ج.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ هذا تهديدٌ، ومبالغة في الخذلان والتَّخْلِيَة لهم على ما هم عليه.

﴿ظُلُلٌ﴾ جمع ظُلة - بالضم -، وهو ما غَشِيَ من فوق، كالسقف، فقوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ بَيِّنٌ، وأما: ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ﴾ فسماء ظُلة؛ لأنه سقفٌ لمن تحتهم؛ فإن جهنم طبقات.

وقيل: سماء ظُلة؛ لأنه يلتهب ويصعد^(١) من أسفلهم إلى فوقهم.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ قيل: إنها نزلت في عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وطلحة، والزبير؛ إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فآمنوا.

وقيل: نزلت في أبي ذرٍّ، وسلمان، وهذا ضعيف؛ لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة، والآية مكية.

والأظهر: أنها عامة.

والطاغوت هنا: كلُّ ما عُبد من دون الله.

وقيل: الشياطين.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قيل: معناه: يستمعون القول على العموم، فيتَّبِعون القرآن؛ لأنه أحسن الكلام.

وقيل: يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار، وشبه ذلك.

(١) في ب، ج: «ويتعقد»!

وقيل : هو الذي يسمع حديثاً فيه حسنٌ وقبيحٌ ، فيحدث بالحسن ويكفُّ عما سواه ، وهذا قول ابن عباس ، وهو الأظهر .

وقال ابن عطية : هو عام في جميع الأقوال ؛ والقصد الثناء على هؤلاء ببصائرٍ ونظيرٍ سديدٍ يفرِّقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ ، فيتبعون الأحسن من ذلك^(١) .

وقال الزمخشري مثل هذا المعنى^(٢) .

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾^(١٩) فيه وجهان : أحدهما : أن يكون الكلام جملةً واحدة تقديره : أفمن^(٣) حقت^(٤) عليه كلمة العذاب أنت^(٥) تنقذه ؟ فوضع ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ موضع المضمَر . والهمزة في قوله : ﴿أَفَأَنْتَ﴾ هي الهمزة التي في قوله : ﴿أَفَمَنْ﴾ وهي همزة الإنكار ؛ كُرِّرَت للتأكيد .

والثاني : أن يكون التقدير : أفمن حق عليه العذاب تتأسَّفُ عليه ؟ ، فحذف الخبر ، ثم استأنف قوله : ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ ؟ وعلى هذا يوقف على ﴿الْعَذَابِ﴾ .

والأول أرجح ؛ لعدم الإضمار .

(١) المحرر الوجيز (٧/٣٨٣) .

(٢) الكشف (١٣/٣٦٢-٣٦٣) .

(٣) من هنا يبدأ سقط ورقة من هـ .

(٤) في أ : «حق» .

(٥) في ب ، ج : «أفأنت» .

﴿فَسَلَكَهُ يَنبَيْعَ فِي الْأَرْضِ﴾ معنى ﴿سَلَكَهُ﴾ : أدخله وأجراه .

والينابيع : جمع ينبوع ، وهو العين .

وفي هذا دليلٌ على أن ماء العيون من المطر .

﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنَهُ﴾ أي : أصنافه ، كالقمح والأرز والبقول وغير ذلك .

وقيل : ﴿أَلْوَنَهُ﴾ : الخضرة والحمرة وشبه ذلك .

وفي الوجهين دليلٌ على الفاعل المختار ، وَرَدَّ على أهل الطبائع .



[أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِّلْفَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَدِّدًا مَّتَافِي نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِٓ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَبْقَىٰ وَجْهُهُ سَوَاءً الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَاذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخَصُمُونَ ﴿٣١﴾].

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ تقديره: أفمن شرح الله صدره كالقاسي القلب؟

وروي أن المراد بمن شرح الله صدره للإسلام: علي بن أبي طالب، وحمزة، والمراد بالقاسية قلوبهم: أبو لهب، وأولاده. واللفظ أعم من ذلك.

﴿مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال الزمخشري: ﴿مِّن﴾ هنا: سببية؛ أي: قلوبهم قاسية من أجل ذكر الله^(١)، وهذا المعنى بعيد.

ويحتمل عندي: أن يكون «قاسية» تضمّن معنى: خالية، فلذلك تعدى بـ «من»، والمعنى: أن قلوبهم خالية من ذكر الله.

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن.

﴿كِتَابًا﴾ بدل من ﴿أَحْسَنَ﴾، أو حال منه.

﴿مُتَشَبِّهًا﴾ معناه هنا: أنه يشبه بعضه بعضًا في الفصاحة والنطق بالحق، وأنه ليس فيه تناقض ولا اختلاف.

﴿مَثَانِي﴾ جمع مُثْنِي؛ أي: ثنّى فيه القصص وتكرّر^(١).

ويحتمل أن يكون مشتقًا من الثناء؛ لأنه يُثنى فيه على الله.

فإن قيل: ﴿مَثَانِي﴾ جمع؛ فكيف وُصِفَ به المفرد؟

فالجواب: أن القرآن ينقسم^(٢) إلى سور وآيات كثيرة فهو جمع بهذا الاعتبار.

ويجوز أن يكون كقولهم: «بُرْمَةٌ أعشار»، و«ثوبٌ أخلاق».

أو يكون تمييزًا من ﴿مُتَشَبِّهًا﴾، كقولك: «حسنٌ شمائل».

﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إن قيل: كيف تعدّى ﴿تَلَيْنُ﴾ بـ «إلى»؟

فالجواب: أنه تضمّن معنى فعلٍ تعدّى بـ «إلى»، كأنه قال: تميل أو تسكن

(١) في أ: «ينثى.. ويكرر».

(٢) في أ زيادة: «فيه».

أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله .

فإن قيل : لم ذكرت الجلود أولاً وحدها ، ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها ؟

فالجواب : أنه لما قال أولاً ﴿ نَقْشَعْرُ ﴾ ذكر الجلود وحدها ؛ لأن القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها ، ولما قال ثانياً : ﴿ تَلِينُ ﴾ ذكر الجلود والقلوب ؛ لأن اللين توصف به القلوب والجلود ، أما لين القلوب : فهو ضد قسوتها ، وأما لين الجلود : فهو ضد قشعريرتها ، فاقشعرت أولاً من الخوف ، ثم لانت بالرجاء .

﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة :

إلى القرآن .

أو إلى الخشية واقشعرار الجلد .

﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ الخبر محذوف كما تقدم في نظائره ، تقديره : أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب ؟

ومعنى ﴿ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ ﴾ : يلقى النار بوجهه ؛ ليكفها عن نفسه ، وذلك أن الإنسان إذا لقي شيئاً من المخاوف استقبله بيديه ، وأيدي هؤلاء مغلوله ، فاتَّقوا النار بوجوههم .

﴿ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ أي : ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان .

﴿قَرَأْنَا عَرَبِيًّا﴾ نصب^(١):

على الحال.

أو بفعلٍ مضمر على المدح.

﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: ليس فيه تضادٌ ولا اختلاف، ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر.

وقيل: معناه: غير مخلوق.

وقيل: غير ذي لحن.

فإن قيل: لم قال: ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ ولم يقل: «غير مُعَوَّجٍ»؟

فالجواب: أن قوله: ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أبلغ في نفي العوج عنه، كأنه قال: ليس فيه شيء من العوج أصلاً.

﴿رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ أي: متنازعون متظالمون.

وقيل: متشاحون.

وأصله من قولك: رجلٌ شَكِسٌ: إذا كان ضيقَ الصدر.

ومعنى ضرب هذا المثل: بيانُ حال من يشرك بالله ومن يوحدّه، فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه، والمملوك بينهم في أسوأ حال، وشبه من يوحد الله بمملوك لرجلٍ واحد.

فمعنى قوله: ﴿سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ أي: خالصاً له.

(١) في ب: «نصبهما»، وفي ج: «نصبها».

وقرئ ﴿سَلَمًا﴾ بغير ألف، و﴿سَالِمًا﴾ بألف، والمعنى: واحد.
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ في هذا وعدٌ للنبي ﷺ، ووعدٌ للكفار،
فإنهم إذا ماتوا جميعًا وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلك من
كان على الباطل.

وفيه أيضًا إخبارٌ بأنه ﷺ سيموت؛ لثلاثاً^(١) يختلف الناس في موته كما
اختلفت الأمم في غيره، وقد جاء أنه لما مات ﷺ أنكر عمر بن الخطاب
ﷺ موته، حتى احتجَّ عليه أبو بكر الصديق ﷺ بهذه الآية، فرجع إليها.
﴿تَخَصُّمُونَ﴾ قيل: يعني: الاختصام في الدماء.

وقيل: في الحقوق.

والأظهر أنه اختصامُ النبي ﷺ مع الكفار في تكذيبهم له، فيكون من تمام
ما قبله.

ويحتمل أن يكون على العموم في اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم
وغيرها.

(١) في ب، ج: «فلا».

[فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ؛ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ؛ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ المعنى : لا أحد أظلم ممن كذب على الله .

ويريد بالكذب على الله هنا : ما نسبوا له ^(١) من الشركاء والأولاد .

﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ أي : كذب بالإسلام والشرعية .

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ قيل : الذي جاء بالصدق : محمد ﷺ ، وهو الذي صدَّق به .

وقيل : الذي جاء بالصدق : محمد ﷺ ، والذي صدَّق به : أبو بكر .

(١) في أ : «إليه» .

وقيل : الذي جاء بالصدق : جبريل ، والذي صدَّق به : محمد ﷺ .

وقيل : الذي جاء بالصدق : الأنبياء ، والذي صدَّق به : المؤمنون .

واختار ابن عطية أن يكون على العموم ، وجعل ﴿الَّذِي﴾ للجنس ، كأنه قال : «الفريق الذي . . .» ؛ لأنه في مقابلة من كَذَب على الله وكَذَّب بالصدق ، والمراد به العموم^(١) .

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ تقوية لقلب محمد ﷺ ، وإزالة للخوف الذي كان الكفار يخوفونه .

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمُ﴾ الآية ؛ احتجاج على التوحيد ، وردُّ على المشركين .
﴿هَلْ هُنَّ كَشَفَتْ ضُرَّهٖ﴾ الآية ؛ ردُّ على المشركين ، وبرهان على الوجدانية .

وروي أن سببها : أن المشركين خَوْفُوا رسول الله ﷺ من آلهتهم ، فنزلت الآية مبينة أنهم لا يقدرُونَ على شيء .

فإن قيل : كيف قال : ﴿كَشَفَتْ﴾ و﴿مُمَسِّكَتْ﴾ بالتأنيث؟

فالجواب : أنها لا تعقل ، فعاملها معاملة المؤنثة ، وأيضاً ففي تأنيثها تحقير لها وتهكُّم بمن عبدها .

﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ﴾ تهديدٌ ومسالمةٌ منسوخة بالسيف .

﴿بِالْحَقِّ﴾ ذكر في أول السورة^(٢) .

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٩٤) .

(٢) انظر صفحة ٧٣٥ .

[﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ﴾ أَلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفْعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٧﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٩﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٥١﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥٢﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَلْتُهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٥﴾ أُولَٰئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾].

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ هذه الآية (١)

اعتباراً، ومعناها: أن الله يتوفى النفوس على وجهين:

أحدهما: وفاة كاملة حقيقية، وهي الموت.

والآخر: وفاة النوم؛ لأن النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع، ومنه قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وتقديرها: ويتوفى

الأنفس التي لم تمت في منامها .

﴿فَيَمْسِكُ إِلَيْ قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ أي : يمسك الأنفس التي قضى عليها الموت الحقيقي .

ومعنى إمساكها : أنه لا يردها إلى الدنيا .

﴿وَيُرْسِلُ الْآخِرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي : يرسل الأنفس النائمة .

وإرسالها : هو ردها إلى الدنيا .

والأجل المسمى : هو أجل الموت الحقيقي .

وقد تكلم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق ، والصحيح أن هذا مما استأثر بعلمه الله لقوله : ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء : ٨٥] .

﴿أَمْ أَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا : بمعنى «بل» وهمزة الإنكار .

والشُّفَعَاءُ : هم الأصنام وغيرها ، لقولهم : ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾

[يونس : ١٨] .

﴿قُلِ أُولَئِكَ أَكَانُوا﴾ دخلت همزة الاستفهام على واو الحال ، وتقديره : أيشفعون وهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ؟ .

﴿قُلِ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ أي : هو مالکها ، فلا يشفع أحدٌ إليه إلا بإذنه ، وفي هذا ردٌّ على الكفار في قولهم : إن الأصنام تشفع لهم .

﴿وَإِذَا دُكِّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ الآية ؛ معناها : أن الكفار يكرهون توحيد الله ويحبُّون الإشراك به .

ومعنى ﴿أَشْمَأَزَّتْ﴾: انقبضت من شدة الكراهة.

وروي أن هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله ﷺ سورة «النجم»، فألقى الشيطان في أمنيته حسبما ذكرنا في «الحج»^(١)، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزوا.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ أي: ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا يظنون؛ لأنهم كانوا يظنون ظنوناً كاذبة.

وقال الزمخشري: إن المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم، أي: ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]^(٢).

وقيل: معناها: عملوا أعمالاً حسبوها حسنات، فإذا هي سيئات.

وقال الحسن: ويل لأهل الرياء من هذه الآية.

وهذا على أنها في المسلمين، والظاهر أنها في الكفار.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ معنى ﴿وَحَاقَ﴾: حلّ ونزل.

وقال ابن عطية: وغيره: إن هذا على حذف مضاف تقديره: حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزئون^(٣).

(١) انظر صفحة ٢١٢.

(٢) الكشف (١٣/٤٠٢-٤٠٣).

(٣) المحرر الوجيز (٧/٤٠١).

ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف، وهو أحسن، ومعناه: حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون؛ لأنهم كانوا في الدنيا يستهزئون إذا خوَّفوا بعذاب الله، ويقولون: متى هذا الوعد؟

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد: على علم مني بالمكاسب والمنافع.

والآخر: على علم الله باستحقاقه لذلك.

و﴿إِنَّمَا﴾ هنا تحتمل وجهين:

أحدهما - وهو الأظهر - : أن تكون «ما» كافة، و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في موضع الحال.

والآخر: أن تكون «ما» اسم «إن» و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ خبرها.

وإنما قال: ﴿أُوتِيتُهُ﴾ بالضمير المذكر وهو عائد على النعمة؛ للحمل على المعنى.

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ ردُّ على الذي قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: قارون وغيره.

[قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جُنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِيقَاتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾].

﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ قال علي بن أبي طالب، وابن مسعود: هذه أرجى آية في القرآن.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «ما أحبُّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية»^(١).

واختلف في سببها:

ف قيل: نزلت في وحشي قاتل حمزة، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة.

وقيل: نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا، ففُتِنُوا فافتتنوا، ثم ندموا وظنوا

أنهم لا توبة لهم، وهذا قول عمر بن الخطاب، وقد كتب بها إلى هشام بن العاصي لما جرى له ذلك.

وقيل: نزلت في قوم من أهل الجاهلية، قالوا: ما ينفعنا الإسلام وقد زينا، وقتلنا النفوس؟، فنزلت الآية فيهم.

ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره، وذلك أن ﴿الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾:

إن أراد به الكفار: فقد أجمعت^(١) الأمة على أنهم إذا أسلموا غُفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم؛ لقوله ﷺ: «الإسلام يَجُبُّ ما قبله»^(٢)، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم، بل يخلدُهم في النار.

وإن أراد به العصاة من المسلمين: فإن العاصي إذا تاب غفر الله ذنوبه، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

فالمغفرة المذكورة في هذه الآية يحتمل أن يريد بها:

المغفرة للكفار إذا أسلموا.

أو للعصاة إذا تابوا.

أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة.

والظاهر: أنها نزلت في الكفار، وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا

(١) في ب، ج: «اجتمعت».

(٢) أخرجه أحمد بهذا اللفظ (١٧٧٧٧)، وأخرجه مسلم (١٢١) بلفظ: «الإسلام يهدم ما كان قبله».

أسلموا، والدليل على أنها في الكفار: ما ذكر بعدها إلى قوله: ﴿فَدَّ جَاءَتْكَ
ءَاتِيَتْ فَكَذَّبَتْ بِهَا وَأَسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: اتبعوا القرآن، وليس
المعنى: أن بعض القرآن أحسن من بعض؛ لأنه حسن كله، وإنما المعنى:
أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر، ويجتنبوا ما فيه من النواهي، فالتفضيل
الذي يقتضيه ﴿أَحْسَنَ﴾ إنما هو في الاتباع.

وقيل: يعني: الناسخ دون المنسوخ، وهذا بعيد.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره: كراهة أن تقول نفس.
وإنما نكر النفس؛ لأن المراد بها بعض الأنفس، وهي نفوس الكفار.
﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: في حق الله.

وقيل: في أمر الله.

وأصله: من الجنب بمعنى الجانب، ثم استعير لهذا المعنى.

﴿السَّخِرِينَ﴾ أي: المستهزين.

﴿بَلَى﴾ جواب للنفس التي حكي كلامها، ولا يجاب^(١) بـ «بلى»
إلا النفي.

وهي هنا جواب لقوله: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾؛ لأنه
في معنى النفي؛ لأن «لو» حرف امتناع، وتقدير الجواب: بل قد جاءك

(١) في د: «ولا يجاب».

الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب.

وقال ابن عطية: هي جواب لقوله: ﴿لَوْ أَن لِّ كَرَّةٍ﴾؛ فإن معناه يقتضي أن العمر لم يتسع للنظر فقليل له: ﴿بَكَّى﴾ على وجه الرد عليه^(١).
والأول أليق بسياق^(٢) الكلام؛ لأن قوله: ﴿قَدْ جَاءَكَ ءَايَاتِي﴾ تفسير لما تضمنته ﴿بَكَّى﴾.

﴿وَجُوهُهُمْ مُّسْوَدَّةٌ﴾ يحتمل أن يريد:

سواد اللون حقيقة.

أو يكون عبارة عن شدة الكرب.

﴿يَمْفَازِيهِمْ﴾ أصله: من الفوز، والتقدير: بسبب فوزهم.

وقيل: معناه بحسناتهم.

وقيل: بفضائلهم.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: قائم بتدبير كل شيء.

﴿مَقَالِيدُ﴾ مفاتيح.

وقيل: خزائن.

واحدها: مَقْلِيد.

وقيل: إقليد.

(١) المحرر الوجيز (٧/٤٠٧).

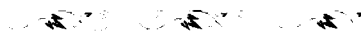
(٢) في ب، ج: «لسياق».

وقيل: لا واحد لها من لفظها، وأصلها كلمة فارسية.

وقال عثمان بن عفان: سألت رسول الله ﷺ عن مقاليد السموات والأرض فقال: «هي لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير»^(١).

وإن صح هذا الحديث فمعناه: أن من قال هذه الكلمات صادقاً مخلصاً نال الخيرات والبركات من السماء^(٢) والأرض؛ لأن هذه الكلمات تُوصِل إلى ذلك، فكانها مفاتيح^(٣) له.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، قال الزمخشري: إنها متصلة بقوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ وما بينهما من الكلام اعتراض^(٤).



(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٥٤/١٠).

(٢) هنا ينتهي السقط من هـ.

(٣) في ج: «مفاتيح»، وفي د: «مفتاح».

(٤) الكشف (٤٢٣/١٣).

[﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ٧٦٥ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٧٦٥ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ٧٦٦ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٧٦٧ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ٧٦٨ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ٧٦٩ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ٧٧٠].

﴿أَغَيْرَ اللَّهِ﴾ منصوب بـ ﴿أَعْبُدُ﴾.

﴿تَأْمُرُونِي﴾ حذفت إحدى النونين تخفيفاً.

وقرى بنونين على الأصل.

وقرى بإدغام إحدى النونين في الأخرى.

﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ دليل على إحباط أعمال المرتد مطلقاً، خلافاً للشافعي في قوله: لا يحبط عمله إلا إذا مات على الكفر.

فإن قيل: الموحى إليهم جماعة، والخطاب بقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ﴾ لواحد؟

فالجواب: أن المعنى: أنه أوحى ذلك إلى كل واحد منهم على حدته.

فإن قيل: كيف خوطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك؟

فالجواب: أن ذلك على وجه الفرض والتقدير؛ أي: لو وقع منهم شرك

لحبطت أعمالهم ، لكنهم لم يقع منهم شركٌ بسبب العصمة .
ويحتمل أن يكون المراد غيرهم وخوطبوا هم ؛ ليدلّ المعنى على غيرهم
بالطريق الأولى .

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي : ما عَظَموه حقَّ تعظيمه ، ولا وصفوه بما
يجب له ، ولا نزهوه عما لا يليق به .
والضمير في ﴿قَدَرُوا﴾ : لقريش .

وقيل : لليهود .

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾
المقصود بهذا : تعظيم جلال الله ، والردُّ على الكفار الذين ما قدروا الله
حق قدره .

ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات :
فقال المتأولّة : إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة .

وقال ابن الطيب : إنها صفات زائدة على صفات الذات .

وأما السلف الصالح فسَلَّموا عِلْمَ ذلك إلى الله ، ورأوا أن هذا من
المتشابه الذي لا يَعْلَم حقيقته إِلَّا الله^(١) .

وقد قال ابن عباس ما معناه : إن الأرض في قبضته والسموات مطوياتٌ ،
كلُّ ذلك بيمينه .

وقال ابن عمر ما معناه: أن الأرض في قبضة اليد الواحدة، والسموات مطويات باليمين الأخرى؛ لأن كلتا يديه يمين.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هو القرن الذين ينفخ فيه إسرافيل، وهذه النفخة نفخة الصعق، وهو الموت، وقد قيل: إن قبلها نفخة الفرع، ولم تذكر في هذه الآية.

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: يعني: جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت، ثم يميتهم بعد ذلك.

وقيل: استثنى الأنبياء.

وقيل: الشهداء.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ هي نفخة القيام.

﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ قيل: إنه من النظر.

وقيل: من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني: صحائف الأعمال، وإنما وحّدها؛ لأنه أراد الجنس.

وقيل: هو اللوح المحفوظ.

﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ ليشهدوا على قومهم.

﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ يحتمل أن يكون:

جمع شاهد.

أو جمع شهيد في سبيل الله .

والأول أرجح ؛ لأن فيه معنى الوعيد ، ولأنه أليق بذكر الأنبياء
الشَّاهدين ، والمراد على هذا : أمة محمد ﷺ ؛ لأنهم يشهدون على الناس .

وقيل : يعني : الملائكة الحَفَظَة .

﴿ وَفُضِيَ بَيْنَهُم ﴾ الضمير لجميع الخلق .

❦ ❦ ❦

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَمَنْ مَتَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٧﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿زُمَرًا﴾ في الموضعين : جمع زُمرة، وهي الجماعة من الناس، وقال ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على مثل أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل»^(١).

﴿خَزَنَتُهَا﴾ جمع خازن حيث وقع.

﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ يعني: القضاء السابق بعذابهم.

﴿وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ إنما قال في الجنة ﴿وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ بالواو وقال في النار بغير واو؛ لأن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل مجيء أهلها، فالمعنى: حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتوحة، فالواو واو الحال، وجواب ﴿إِذَا﴾ على هذا محذوف، وأما أبواب النار فإنما فتحت حين جاؤوها، فوقع قوله: ﴿فُتِّحَتْ﴾ جوابًا للشرط، فكان بغير واو.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤) واللفظ له.

وقال الكوفيون: الواو في أبواب الجنة واو الثمانية؛ لأن أبواب الجنة ثمانية.

وقيل: الواو زائدة، و﴿فُتِّحَتْ﴾ هو الجواب.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ﴾ يعني: أرض الجنة، والوراثة هنا: استعارة؛ كأنهم ورثوا موضع^(١) من لم يدخل الجنة.

﴿نَبَّأُوا﴾ أي: نزل من الجنة حيث نشاء ونَتَّخَذَهُ مَسْكَنًا.

﴿حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ أي: مُحْدِقِينَ بِهِ، دائرين حوله.

﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُمُ﴾ الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول.

ويحتمل هنا أن يكون للملائكة.

والقضاء بينهم: توفية أجورهم على حسب منازلهم.

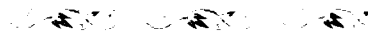
﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يحتمل أن يكون القائل لذلك:

الملائكة.

أو جميع الخلق.

أو أهل الجنة؛ لقوله: ﴿وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[يونس: ١٠].



(١) في أ، هـ: «مواضع».

﴿ سورة المؤمن ﴾

[﴿حَمَّ ١﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ٣﴾ مَا يُجَدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُزُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ٤﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ لِرَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٦﴾ الَّذِينَ يَمْجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩﴾].

﴿حَمَّ ١﴾ تقدّم الكلام في حروف الهجاء^(١).

ويختص^(٢) ﴿حَمَّ ١﴾ بأنها قيل: معناها: «حم الأمر»، أي قضي.

وقال ابن عباس: «ألر» و«حم» و«ن» هي حروف الرحمن.

(١) انظر (١/ ٢٦١).

(٢) في ب، ج، د: «وتختص».

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ ذكر في «الزمر»^(١).

﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ أي: ذي الفضل والإنعام.

وقيل: الطَّوْل: الغنى والسَّعة.

﴿فَلَا يَغْرُوكَ فَغْلَبَهُمْ فِي اللَّيْلِ﴾ جعل ﴿فَلَا يَغْرُوكَ﴾ بمعنى: لا يحزنك، ففيه تسليّة للنبي ﷺ، ووعدٌ للكفار.

﴿وَالْأَحْزَابِ﴾ يراد به: عاد وثمود وغيرهم.

﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي: ليقتلوه.

﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي: يبطلوا به الحق.

﴿حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي: وجب قضاؤه.

﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ عطفت على ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ﴾.

﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ إن قيل: ما فائدة قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله مؤمنون بالله؟

فالجواب: أن ذلك إظهارٌ لفضيلة الإيمان وشرفه، قال ذلك الزمخشري، وقال: إن فيه فائدةً أخرى وهي: أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق، لا بالرؤية^(٢).

وهذه نزعة^(٣) إلى مذهب المعتزلة في استحالة رؤية الله.

(١) انظر صفحة ٧٣٤.

(٢) الكشف (١٣/٤٦٤-٤٦٥).

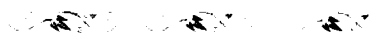
(٣) في أ، ب، ج، هـ: «نزعة» بالغين.

﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةٌ وَعِلْمًا﴾ أصل الكلام: وسعت رحمته وعلمك كل شيء، فالسعة في المعنى مسندة إلى الرحمة والعلم، وإنما أُسْنِدَتَا في اللفظ إلى الله تعالى؛ لقصد المبالغة في وصف الله تعالى بهما، كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء.

﴿وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ يحتمل:

أن يكون المعنى: قِهم السيئات نفسها، بحيث لا يفعلونها.

أو يكون المعنى: قِهم جزاء السيئات، فلا تؤاخذهم بها.



[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا أَتْنَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ بِمَا أَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٨﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٩﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٢١﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿٢٣﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٥﴾].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

المقت: البغض الذي يوجهه ذنب أو عيب.

وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار؛ فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم، أي: مقت بعضهم بعضاً، ويحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه، فتناديهم الملائكة وتقول لهم: مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم.

فقوله: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ مصدر مضاف إلى الفاعل، وحذف المفعول لدلالة مفعول ﴿مَقْتِكُمْ﴾ عليه.

وقوله: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ ظرف، العامل فيه: ﴿مَقْتُ اللَّهِ﴾ من طريق

المعنى، ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو؛ لأن ﴿مَقْتُ الله﴾ مصدرٌ؛ فلا يجوز أن يُفصل بينه وبين بعض صلته، فيُحتاج أن يُقدَّر للظرف عامل، وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله: ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾، والابتداء بالظرف، وهذا ضعيف؛ لأن المراعى المعنى.

وقد جعل الزمخشري ﴿مَقْتُ الله﴾ عاملاً في الظرف، ولم يعتبر الفصل^(١).

﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ هذه الآية كقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَكُمُ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]:

فالموتة الأولى: عبارة عن كونهم عدماً، أو كونهم في الأصاب، أو في الأرحام، والموتة الثانية: الموت المعروف، والحياة الأولى: حياة الدنيا، والحياة الثانية: حياة البعث في القيامة.

وقيل: الحياة الأولى: حياة الدنيا، والثانية: الحياة في القبر، والموتة الأولى: الموت المعروف، والموتة الثانية: بعد حياة القبر، وهذا قول فاسد؛ لأنه لا بدَّ من الحياة للبعث فتجيء الحياة ثلاثة مرات.

فإن قيل: كيف اتَّصال^(٢) قولهم: ﴿آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ بما قبله؟

فالجواب: أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث، فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك، فأقروا به حينئذ؛ ليرضوا الله بإقرارهم حينئذ، فقولهم: ﴿آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ إقرار بالبعث على أكمل الوجوه؛ طمعاً منهم أن

(١) الكشف (١٣/٤٧١).

(٢) في أ: «اتصل».

يخرجوا عن المقت الذي مقتهم الله ؛ إذ كانوا يُدعون إلى الإيمان فيكفرون .

﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ الفاء هنا رابطة معناها التَّسْيِيب .

فإن قيل : كيف يكون قولهم : ﴿أَمَنَّا أَشْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ سبباً لاعترافهم بالذنوب ؟

فالجواب : أنهم كانوا كافرين بالبعث ، فلمَّا رأوا الإمامة والإحياء قد تكررًا عليهم علموا أن الله قادرٌ على البعث فاعترفوا بذنوبهم ، وهي إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصي ، فإن من لا يؤمن بالآخرة لا يبالي بالوقوع في المعاصي .

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ الباء : سببية للتعليل .

والإشارة بـ ﴿ذَلِكُمْ﴾ تحتمل أن تكون :

إلى العذاب الذي هم فيه .

أو إلى مقت الله لهم .

أو مقتهم لأنفسهم .

والأحسن : أن تكون إشارةً إلى ما يقتضيه سياق الكلام ، وذلك أنهم لما قالوا : ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ كأنهم قيل لهم : « لا سبيل إلى الخروج » ، فالإشارة بقوله : ﴿ذَلِكُمْ﴾ إلى عدم خروجهم من النار .

﴿يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ يعني : العلامات الدالة عليه ؛ من مخلوقاته ومعجزات رسله .

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّن السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ يعني : المطر .

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ يحتمل أن يكون المعنى :

مرتفع الدرجات ، فيكون بمعنى العلي^(١) .

أو رافع درجات عبادَه في الجنة^(٢) وفي الدنيا .

﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ يعني : الوحي .

﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ يحتمل أن يريد :

الأمر الذي هو واحد الأمور .

أو الأمر بالخير .

فعلى الأول : تكون ﴿مِنْ﴾ للتبعيض ، أو لابتداء الغاية .

وعلى الثاني : تكون لابتداء الغاية ، أو بمعنى الباء .

﴿يَوْمَ النَّالِقِ﴾ يعني : يوم القيامة .

وسمّي بذلك ؛ لأن الخلائق يلتقون فيه .

وقيل : لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض .

وقيل : لأنه يلتقي الخلق^(٣) مع ربهم .

والفاعل بـ ﴿لِيُنْذِرَ﴾ : ضمير يعود على ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ، أو على ﴿الرُّوحَ﴾ ،
أو على الله .

(١) في ب ، ج : «العلو» .

(٢) في ب : «الآخرة» .

(٣) في د ، هـ زيادة : «فيه» .

﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ هذا من كلام الله تعالى ؛ تقريرًا للخلق يوم القيامة ؛ فيجيئونه ويقولون : ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ .

وقيل : بل هو الذي يجيب نفسه ؛ لأن الخلق يسكتون هيبةً له .

وقيل : إن القائل ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ : ملكٌ .

﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ يعني : القيامة ، ومعناه : القربة .

﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ معناه : أن القلوب قد صعدت من الصدور^(١) ؛ لشدة الخوف حتى بلغت إلى الحناجر ، فيحتمل أن يكون ذلك : حقيقةً .

أو مجازًا عبَّر به عن شدة الخوف .

والحناجر : جمع حَنْجَرَةٍ ، وهي الحلق .

﴿كَظِيمٍ﴾ أي : محزونين حُزنًا شديدًا كقوله : ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾

[يوسف : ٨٤] .

وقيل : معناه يكظمون حزنهم ؛ أي : يطمعون أن يخفوه ، والحال تغلبهم .

وانتصابه على الحال :

من أصحاب القلوب ؛ لأن معناه : قلوب الناس .

أو من المفعول في ﴿وَأَنْذَرَهُمْ﴾ .

(١) في أ ، ب ، ج ، هـ : «الصدر» .

أَوْ مِنْ ﴿الْقُلُوبِ﴾ ، وَجَمَعَهَا جَمْعُ الْمَذْكُرِ ؛ لِمَا وَصَفَهَا بِالْكُظْمِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَفْعَالِ الْعُقْلَاءِ .

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍّ﴾ أَي : صَدِيقٍ مَشْفُقٍ .

﴿وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ :

نَفَى الشَّفَاعَةِ وَطَاعَةِ الشَّفِيعِ .

أَوْ نَفَى طَاعَةِ خَاصَّةٍ ، كَقَوْلِكَ : «مَا جَاءَنِي رَجُلٌ صَالِحٌ» فَنفيت الصلاح ، وَإِنْ كَانَ قَدْ جَاءَكَ رَجُلٌ غَيْرُ صَالِحٍ .

وَالأَوَّلُ أَحْسَنُ ؛ لِأَنَّ الْكُفَّارَ لَيْسَ لَهُمْ مَنْ يَشْفَعُ ^(١) فِيهِمْ .

﴿يَعْلَمُ خَايَةَ الْأَعْيُنِ﴾ أَي : اسْتِرَاقَ النَّظَرِ .

وَالْخَائِنَةُ :

مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْخِيَانَةِ .

أَوْ وَصَفٌ لِلنَّظَرَةِ .

وَهَذَا الْكَلَامُ مُتَّصِلٌ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَاعْتَرَضَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ بِوصفِ الْقِيَامَةِ لِمَا اسْتَطَرَدَ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿لِنُنْذِرَ يَوْمَ النَّارِ﴾ .



(١) فِي ب ، هـ : «مِنْ شَفِيعٍ» .

[أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾].

﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: حجة ظاهرة، وهي المعجزات.

﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ هذا القتل غير القتل الذي كانوا يقتلون أولاً قبل ميلاد موسى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ المعنى: أنه لا يبالي بدعاء موسى لربه، ولا يخاف من ذلك إن قتله.

ويظهر من قوله: ﴿ذَرُونِي﴾ أنه كان في الناس من ينازعه في قتل موسى، وذلك يدل على أن فرعون كان قد اضطرب أمره بظهور معجزات موسى.

﴿وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ يعني: فساد أحوالهم في الدنيا.

وقرئ ﴿وَأَنْ يُظْهِرَ﴾:

بالواو فقط، وب﴿أَوْ﴾.

و﴿يُظْهِرُ﴾:

[أ-] بفتح الياء، ورفع ﴿الْفَسَادُ﴾ على الفاعلية.

[ب-] وبضم الياء، ونصب ﴿الْفَسَادَ﴾ على المفعولية.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ﴾ الآية؛ لما سمع موسى ما همَّ به فرعون من قتله، استعاذ بالله فعصمه الله منه.

وقال: ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ ليشمل فرعون وغيره، وليكون فيه وصف لفرعون بذلك الوصف القبيح.

[وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُضَيِّبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٣٨﴾ يَنْقَوْمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٤٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ ﴿٤١﴾ وَيَنْقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مَذْرِبِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنَّهُمْ كَبُرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْعُمُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ ﴿٤٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُوعُ الْأَسْبَبَ ﴿٤٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٤٧﴾].

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل : إن اسم هذا المؤمن حبيب .

وقيل : حَرْقِيل .

وقيل : شمعان بالشين المعجمة .

وروي أن هذا المؤمن كان ابن عم فرعون ، فقوله : ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ صفة للمؤمن .

وقيل : كان من بني إسرائيل ، فقله : ﴿مَنْ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ على هذا يتعلّق بقوله : ﴿يَكْفُرُ إِيمَنُهُ﴾ .

والأول أرجح ؛ لأنه لا يُحتاج فيه إلى تقديم وتأخير ، ولقله : ﴿فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَاسِ اللَّهِ﴾ لأن هذا كلامٌ قريبٌ شفيق ، ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء ، بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل ذلك الكلام .

﴿أَنْ يَقُولَ﴾ في موضع المفعول من أجله ، تقديره : أقتلونه من أجل أن يقول ربي الله .

﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ أي : إن كان موسى كاذباً في دعوى الرسالة فلا يضركم كذبه ، فلاي شيء تقتلونه ؟ .

فإن قيل : كيف قال : ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا﴾ بعد أن كان قد آمن به ؟

فالجواب : أنه لم يقل ذلك على وجه التّكذيب له ، وإنما قاله على وجه الفرض والتقدير ، وقصد بذلك المحاجة لقومه ، فقسّم أمر موسى إلى قسمين ؛ ليقيم عليهم الحجة في ترك قتله على كل وجهٍ من القسمين .

﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ قيل : إن ﴿بَعْضُ﴾ هنا بمعنى : «كل» ، وذلك بعيد .

وإنما قال ﴿بَعْضُ﴾ ولم يقل «كل» مع أن الذي يصيبهم هو كل ما بعدهم ؛ ليلاطفهم في الكلام ، وببَعْدَ عن التعصّب لموسى ، ويظهر النصيحة لقومه ، فيرتجي إجابتهم للحق .

﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ﴾ هو المؤمن المذكور أولاً .

وقيل: هو موسى عليه السلام، وهذا بعيد، وإنما توهموا ذلك لأنه صرح هنا بالإيمان، وكان كلام المؤمن أولاً غير صريح؛ بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه؛ إذ كان يكتُم إيمانه.

والجواب: أنه كتم إيمانه في أول الأمر، ثم صرح به بعد ذلك، وجاهرهم مجاهرة ظاهرة؛ لما وثق بالله حسبما حكى الله من كلامه إلى قوله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾.

﴿يَوْمَ النَّادِ﴾ يعني: يوم القيامة، وسمي بذلك لأن المنادي ينادي الناس، وذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاسٍ﴾ [الإسراء: ٧١].

وقيل: لأن بعضهم ينادي بعضاً؛ أي ينادي أهل الجنة: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] وينادي أهل النار: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ [الأعراف: ٥٠].

﴿يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ أي: منطلقين إلى النار.

وقيل: هارين من النار.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ هو يوسف بن يعقوب.

وقيل: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب.

والبيّنات التي جاء بها يوسف: لم تعين لنا.

واختلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله؟؛ لأن كل من ملك مصر يقال له: «فرعون».

﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ كلام هذا لا يدل على أنهم مؤمنون

برسالة يوسف، وإنما مرادهم: لن يأتِي أَحَدٌ يدَّعي الرسالة بعد يوسف، قاله ابن عطية^(١).

وقال الزمخشري: إنما هو تكذيبٌ لرسالة مَنْ بعده مضمومٌ إلى تكذيب رسالته^(٢).

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ بدلٌ من ﴿مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾، وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد؛ لأنه في معنى الجمع، كأنه قال: كلُّ مسرفٍ. ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ فاعل ﴿كَبُرَ﴾: مصدرٌ ﴿يُجَادِلُونَ﴾^(٣). وقال الزمخشري: الفاعل ضمير ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾^(٤). ﴿الْأَسْبَبَ﴾ هنا: الطريق.

وقيل: الأبواب.

وكررهما؛ للتفخيم وللبيان.

﴿فَأَظْلَعُ﴾ بالرفع: عطفٌ على ﴿أَبْلُغُ﴾.

وبالنصب: بإضمار «أَنْ» في جواب ﴿لَعَلِّي﴾؛ لأن الترجي غير واجب، فهو كالتمني في انتصاب جوابه، ولا نقول: إن «لعل» أُشْرِبت معنى «ليت» كما قال بعض النحاة.

(١) المحرر الوجيز (٤٤٢/٧).

(٢) الكشف (٥٠٩/١٣).

(٣) أي: كَبُرَ جِدَالُهُمْ مَقْتًا. المحرر الوجيز (٤٤٢/٧).

(٤) الكشف (٥١٠/١٣).

﴿تَبَابٍ﴾ أي: خسران.

[﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَؤُصْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِقَالٍ فِرْعَوْنُ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتٍ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾].

﴿مَتَّعٌ﴾ أي: يُتَمَتَّعُ بِهِ قَلِيلًا.

فإن قيل: لم كرر المؤمن نداء قومه مرارًا؟

فالجواب: أن ذلك لقصد التنبيه لهم، وإظهار الملاطفة والنصيحة.

فإن قيل: لم جاء بالواو في قوله: ﴿وَيَقَوْمِ﴾ في الثالث دون الثاني؟

فالجواب: أن الثاني بيانٌ للأول وتفسير، فلم يصحَّ عطفه عليه، بخلاف الثالث، فإنه كلام آخر فصَحَّ عطفه.

﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: ليس لي علم بربوبيته، والمراد بنفي العلم: نفيُ المعلوم، كأنه قال: «وأشرك به ما ليس بإله»، وإذا لم يكن إلهاً لم يصحَّ علمُ ربوبيته.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بدَّ، ولا شكَّ.

﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ قال ابن عطية: المعنى: ليس له قدرٌ ولا حقٌّ يجب أن يُدعى إليه أحدٌ، كأنه قال: تدعونني إلى عبادة ما لا خطر له في الدنيا ولا في الآخرة^(١).

ويحتمل اللفظ أن يكون معناه: ليس له دعوة قائمة، أي: لا يُدعى أحدٌ^(٢) إلى عبادته.

﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ دليلٌ على أن مَنْ فَوَّضَ أمره إلى الله ﷻ كان الله معه.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ ﴿النَّارُ﴾ بدلٌ من ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾.

أو مبتدأ.

أو خبر مبتدأ مضمَر.

وعَرَّضَهُمْ عليها: من حين موتهم إلى يوم القيامة، وذلك مدَّة البرزخ،

(١) المحرر الوجيز (٧/٤٤٦).

(٢) في أ، ب، هـ: «يُدعى»، وفي ج: «يدعو».

بدليل قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

واستدل أهل السنة بذلك على صحة ما ورد من عذاب القبر.

وروي أن أرواحهم في أجواف طيرٍ سود تروح بهم^(١) وتغدو إلى النار.

﴿عُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قيل: معناه: في كل غُدْوَةٍ وَعَشِيَّةٍ من أيام الدنيا.

وقيل: المعنى: على تقدير ما بين الغدوة والعشية؛ لأن الآخرة لا غدوة فيها ولا عشية.

﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ إن قيل: هَلَّا قال: «الذين في النار لخزنتها»؟ فلم صرَّح باسمها؟

فالجواب: أن في ذكر جهنم تهويلاً ليس في ذكر الضمير.

﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ يحتمل أن يكون:

من كلام خزنة جهنم، فيكون متصلاً بقولهم: ﴿فَادْعُوا﴾.

أو أن يكون من كلام الله تعالى استئنافاً.

(١) في ب، ج: «بها».

[إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانُ أَتْلَهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْفِيهِ فَاسْتَغْزِبُوا بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾].

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ قيل: إن هذا خاصٌ فيمن أظهره الله على الكفار، وليس بعام؛ لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكرياء ويحيى.

والصحيح أنه عام، والجواب عما ذكره: أن زكرياء ويحيى لم يكونا من الرسل، وإنما كانا من الأنبياء الذي ليسوا بمرسلين، وإنما ضمن الله نصر الرسل خاصة، لا نصر الأنبياء كلهم.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ يعني: يوم القيامة.

و﴿الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد، أو شهيد.

ويَحْتَمَلُ أن يكون بمعنى:

الحضور.

أو الشهادة على الناس .

أو الشهادة في سبيل الله .

والأظهر : أنه بمعنى الشهادة على الناس ؛ لقوله : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء : ٤١] .

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرُهُمْ﴾ : يحتمل :

أنهم لا يعتذرون .

أو يعتذرون ، ولكن لا تنفعهم معذرتهم .

والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (٣٦) [المرسلات : ٣٦] فنفي الاعتذار والانتفاع به .

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني : وعده لمحمد ﷺ بالنصر والظهور على أعدائه .

﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ قيل : العشي : صلاة العصر ، والإبكار : صلاة الصبح .

وقيل : العشي : بعد العصر إلى الغروب ، والإبكار : من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني : كفار قريش .

﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي : تكبر وتعاظم يمنعهم من أن يتبعوك أو ينقادوا إليك .

وقيل : كبرهم : أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم ، ورأوا أنهم أحق بها .

والأول أظهر؛ لأن إرادتهم النبوة لأنفسهم حسدٌ، والأول هو الكبرُ.
﴿مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ أي: لا يبلغون ما يقتضيه كبرُهم من الظهور عليك،
أو من نيل النبوة.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي: استعذ من شرِّهم؛ لأنهم أعداءُ لك.

أو استعذ من مثل حالهم في الكبر والحسد.

أو استعذ بالله في جميع أمورك على الإطلاق.

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ الخلق هنا: مصدر
مضاف إلى المفعول.

والمراد بهذا^(١): الاستدلال على البعث؛ لأن الإله الذي خلق السموات
والأرض على كبرها قادرٌ على إعادة الأجسام بعد فنائها.

وقيل: المراد: توبيخ الكفار المتكبرين، كأنه قال: خلق السموات
والأرض أكبر من خلق الناس، فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم
من أصغر مخلوقاته وأحقّهم؟.

والأول أرجح؛ لوروده في مواضع من القرآن، ولأنه قال بعده: ﴿إِنَّ
السَّاعَةَ لَأَيُّمَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فقدّم الدليل، ثم ذكر المدلول.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الدعاء هنا: هو الطلب والرغبة،
وهذا وعدٌ مقيّد بالمشيئة، وهي موافقة القدر لمن أراد الله أن يستجيب له.

(١) في أ، هـ: «به».

وقيل: ﴿أَدْعُوْنِي﴾ هنا: بمعنى اعبدونني؛ بدليل قوله بعده: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِيْ﴾، وقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا الآية^(١)، ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ على هذا القول بمعنى: أغفر لكم وأعطيكم أجوركم.

والأول أظهر، ويكون قوله: ﴿يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِيْ﴾ بمعنى: يستكبرون عن الرغبة إليّ، كما قال ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»^(٢).

وأما قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» فمعناه: أن الدعاء والرغبة إلى الله هي العبادة؛ لأن الدعاء يظهر فيه افتقارُ العبد وتضرُّعه إلى الله.

﴿دَخِرِينَ﴾ أي: صاغرين.

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، والنسائي في

الكبرى (٢٤٤/١٠)، وابن ماجه (٣٨٢٧).

(٢) أخرجه أحمد (٩٧٠١)، والترمذي (٣٣٧٣).

[اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١١٦﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١١٧﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١١٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٩﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَتَّكِنُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ وَلِيَبْلُغُوا أَجْلًا مُّسَمًّى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٢٢﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٢٣﴾].

﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ ذكر في «يونس»^(١).

﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني: المستلذات؛ لأنه إذا جاء ذكر الطيبات في معرض الإنعام فيراد به المستلذات، وإذا جاء في معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا متصل بما قبله، قال ذلك ابن عطية^(٢) والزمخشري^(٣)، وتقديره: ادعوه مخلصين قائلين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) انظر (٢/٥٥٨).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٤٥٤).

(٣) الكشف (١٣/٥٤٠).

الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ، ولذلك قال ابن عباس : من قال : « لا إله إلا الله » فليقل : « الحمد لله رب العالمين » .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ استثناءً .

﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أراد الجنس ، ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة .

﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ ذِكْرُ الْأَشُدِّ فِي سُورَةِ «يُوسُفَ» ^(١) .

واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره : ثم يبقاكم لتبلغوا .

وكذلك ﴿لِتَكُونُوا﴾ .

وأما ﴿وَلَتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ فمتعلقٌ بمحذوف آخر تقديره : فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلاً مسمى ، وهو الموت ، أو يوم القيامة .



[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصْرِفُونَهَا﴾ ٧٩ ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّْا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٨٠ ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ ٨١ ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ ٨٢ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ﴾ ٨٣ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ ٨٤ ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّْا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ٨٥ ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُكَذِّبِينَ﴾ ٨٦ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ﴾ ٨٧ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ٨٨].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ يعني : كفار قريش .

وقيل : هم أهل الأهواء ، كالقدرية وغيرهم ، وهذا مردود بقوله : ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ﴾ ، إلا إن جعلته منقطعاً مما قبله ، وذلك بعيد .

﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ : ﴿يَعْلَمُونَ﴾ .

وجعل الظرف الماضي موضع المستقبل ؛ لتحقيق الأمر .

﴿يُسْحَبُونَ﴾ ٨١ ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ أي : يُجْرُونَ ، والحميم : الماء الشديد الحرارة .

﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ هذا من قولك : سَجَرْتُ الشَّوْر : إذا ملأته بالنار ،

فالمعنى : أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التنور ، ولذلك قال مجاهد في تفسيره : توقد بهم النار .

﴿تَمْرَحُونَ﴾ من المرح ، وهو الأشر والبطر .

وقيل: الفخر والخيلاء.

﴿فَبَشِّرْهُ بِمَوْتٍ أَلَمٍّ﴾ إن قيل: قياس النظم أن يقول: «بئس مدخل الكافرين»؛ لأنه تقدّم قوله: ﴿أَدْخُلُوا؟﴾.

فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء.

﴿فَكَيْفَ تَتَرَىٰ بُرْهَانَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أصل ﴿وَأَيُّ نُرْيَاكَ﴾: «إِنْ نُرِكَ»^(١) ودخلت «ما» الزائدة بعد «إِنْ» الشرطية.

وجواب الشرط محذوف، تقديره: إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب قرأت عينك بذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون، فننتقم منهم أشد الانتقام.

﴿مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ روي عن النبي ﷺ: «أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول»^(٢)، وفي حديث آخر: «أربعة آلاف»^(٣)، وفي حديث أبي ذر: «إن الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وأن الرسل منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر»^(٤)؛ فذكر الله بعضهم في القرآن، فهم الذين قصّ عليه، ولم يذكر سائرهم فهم الذين لم يقصص عليه.

(١) في النسخ الخطية هكذا: «إِنْ نُرِكَ» بإثبات الياء، والمثبت هو الصواب نحويًا، وهو موافق لعبارة الكشاف (١٣/٥٤٧)؛ لأن الفعل مجزومٌ بأداة الشرط، وهو معتلٌّ فيحذف منه حرف العلة في حالة الجزم.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/٣٦٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/٣٦٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٢٨٨).

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ قال الزمخشري: أمر الله: القيامة^(١).

وقال ابن عطية: المعنى: إذا أراد الله إرسال رسول قضى ذلك^(٢).

ويحتمل أن يريد بأمر الله: إهلاك المكذبين للرسول لقوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿هُنَالِكَ﴾ في الموضعين: يراد به الوقت والزمان، وأصله ظرف مكان ثم وضع موضع ظرف الزمان.



(١) الكشف (١٣/٥٥٠).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٤٥٨).

[﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمَلُونَ﴾ (٨٠) وَتُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (٨١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتِ اللَّهُ إِلَيْنِ قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٥)].

﴿الْأَنْعَامُ﴾ هي الإبل والبقر والضأن والمعز.

فقوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ يعني: الإبل، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: اللحوم، والمنافع: اللبن والصوف وغير ذلك، ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً﴾ يعني: قطع المسافات البعيدة، وحمل الأثقال على الإبل.

و﴿تَحْمَلُونَ﴾ يريد: الركوب عليها، وإنما كرّره بعد قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾؛ لأنه أراد بالركوب الأول: المتعارف في القرى والبلدان، وبالحمل عليها: الأسفار البعيدة، قاله ابن عطية^(١).

﴿وَتُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ هذا عمومٌ بعد ما قدّم من الآيات المخصوصة، ولذلك وبّخهم بقوله: ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾.

﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الضمير يعود على الأمم المكذبين^(٢).

(١) المحرر الوجيز (٧/٤٥٩).

(٢) في ب، ج: «المذكورين».

وفي تفسير علمهم وجوه:

أحدها: أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون.

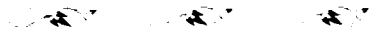
والثاني: أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها.

والثالث: أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع.

وقيل: الضمير يعود على الرسل؛ أي: فرحوا بما أعطاهم الله من العلم وشرائعه، أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من كذبهم.

وأما الضمير في: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ فيعود على الكفار باتفاق، ولذلك ترجح^(١) أن يكون الضمير في ﴿فَوَحُوا﴾ يعود عليهم؛ ليتسق الكلام.

﴿سُئِلَ اللَّهُ﴾ نَضُبُّ عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ.

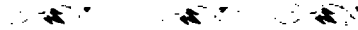


(١) في د: «وذلك يرجح».

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
﴿ سورة الكهف ﴾	٥
﴿ سورة مريم عليها السلام ﴾	٦٠
﴿ سورة طه ﴾	٩٠
﴿ سورة الأنبياء ﷺ ﴾	١٣٠
﴿ سورة الحج ﴾	١٧٥
﴿ سورة المؤمنين ﴾	٢٢٦
﴿ سورة النور ﴾	٢٦٢
﴿ سورة الفرقان ﴾	٣٢٣
﴿ سورة الشعراء ﴾	٣٥٥
﴿ سورة النمل ﴾	٣٨٧
﴿ سورة القصص ﴾	٤٢٢
﴿ سورة العنكبوت ﴾	٤٥٩
﴿ سورة الروم ﴾	٤٨٣
﴿ سورة لقمان ﴾	٥٠٣
﴿ سورة السجدة ﴾	٥١٤

- ﴿ سورة الأحزاب ﴾ ٥٢٣
- ﴿ سورة سبأ ﴾ ٥٧١
- ﴿ سورة فاطر ﴾ ٦٠١
- ﴿ سورة يس ﴾ ٦٢٥
- ﴿ سورة الصافات ﴾ ٦٥٣
- ﴿ سورة داود ﷺ ﴾ ٦٩٤
- ﴿ سورة الزمر ﴾ ٧٣٤
- ﴿ سورة المؤمن ﴾ ٧٧١
- فهرس الموضوعات ٨٠١



النَّسْهِيَّةُ الْعُلُومِ النَّزِيلُ

تَأَلَّفَ الْعَلَامَةُ الْمُفَسِّرُ أَبُو الْقَاسِمِ
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُرَيْجٍ الْكَلْبِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْفَرَنْجِيُّ
رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَقَبَّلَهُ فِي الشَّهْرِ . (٦٩٣ - ٥٧٤١)

وَمَعَهُ تَقْرِيرَاتُ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَكَ
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَتَقَبَّلَهُ
عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمَشْكُوكَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالسَّائِغِ

مُحَقِّقُ

عَلِي بْنُ حَمْدٍ الصَّبَّاحِيُّ
عُضُوهُ هَيْئَةِ الدَّلَالَةِ بِمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

الْمَجْلَدُ الرَّابِعُ
رَفَعْتُكَ إِلَى النَّاسِ



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينفع به

حُفُو الطَّبْعُ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم يرفع به

0125562986 | yyy.01@hotmail.com



dar.taibaa



@dar_tg



dar.taibagreen123



dar.taiba

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

0503568771 | 0550428992 | yyy.01@hotmail.com | 0125562986

التَّسْهِيلُ لِلْعُلُومِ وَالْتَنْزِيلُ

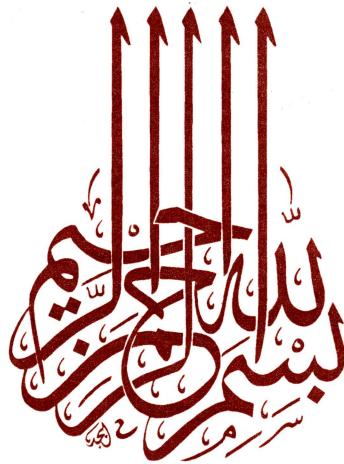
تَأليفُ العلامةِ المفسِّرِ أبي الفَاسِي
مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَزَيْ الصَّكَلِيِّ الأندلسِيِّ الغرناطِيِّ
رحمَهُ اللهُ وتَقَبَّلَهُ في الشُّهُدَاءِ - (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وَمَعَهُ تَفَرُّاتٌ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَّاكِ
حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى وَفَعَّ بِهٖ
عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمَشْكُوكَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالسُّلُوكِ
تَحْقِيقُ

عَلِيٌّ بْنُ حَمْدٍ الصَّهَّاحِي
عُصُوهُنَا النَّدَائِيْنَ بِجَامِعِ الْوُفْرِ الْفَرِيِّ

المجلد الرابع
مِنْ فَصَّلِكَ إِلَى النَّاسِ


دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم يرفع به



﴿سورة حم السجدة﴾

[﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢﴾ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ ءَايَتَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا مَا عَمِلُونَ ٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَىٰ اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَبِلَىٰ لِلْمُشْرِكِينَ ٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨﴾].

﴿فُصِّلْتُ ءَايَتُهُ﴾ أي: بُيِّنَتْ.

وقيل: قُطِّعَتْ إِلَى سُوْرٍ وَأَيَّاتٍ.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوبٌ بفعل مضمر على التخصيص.

أو حال.

أو مصدر.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ معناه: يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها، وذلك هو العلم الذي يوجب التكليف.

وقيل: معناه: يعلمون الحق، وهو الإيمان.

فالأول عام، وهذا خاص، والأول أولى؛ لقوله: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾؛

لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين .

وقيل : يعلمون لسان العرب فيفهمون القرآن ؛ إذ هو بلغتهم .

وقوله : ﴿لِقَوْمٍ﴾ يتعلّق بـ ﴿نَزِيلٌ﴾ ، أو بـ ﴿فُصِّلَتْ﴾ .

والأحسن أن يكون صفة لـ ﴿كِتَابٌ﴾ .

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي : لا يقبلون ولا يطيعون ، وعبر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة .

﴿فِي أَكْثَرِ﴾ جمع كِنَانٍ ، وهو الغطاء .

﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ عبارة عن بُعْدِهِم عن الإسلام .

﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ قيل : معناه : اعمل على دينك ؛ إننا عاملون على ديننا ، فهو مُتَارِكَةٌ .

وقيل : اعمل في إبطال أمرنا ؛ إننا عاملون في إبطال أمرك ، فهو تهديدٌ .

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ هي زكاة المال ، وإنما خصّها بالذكر ؛ لصعوبتها على الناس ، ولأنها من أركان الإسلام .

وقيل : يعني بالزكاة : التوحيد ، وهذا بعيدٌ ، وإنما حمّله على ذلك أن الآية مكيةٌ ، ولم تُفرض الزكاة إلا بالمدينة .

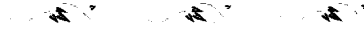
والجواب : أن المراد : النفقة في طاعة الله مطلقًا ، وقد كانت مأمورًا بها بمكة .

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي : غير مقطوع ، من قولك : مننتُ الحبل : إذا قطعته .

وقيل : غير منقوص .

وقيل : غير محصور .

وقيل : لا يُمَنُّ عليهم به ؛ لأنَّ المَنَّ يُكَدَّر الإحسان .



[قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ طَائِعِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَابٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجِّنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾].

﴿أَنْدَادًا﴾ أي: أمثالا وأشباها من الأصنام وغيرها.

﴿رُوسَى﴾ يعني: الجبال.

﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ أكثر خيراتها.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي: أرزاق أهلها ومعاشهم^(١).

وقيل: يعني: أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التي بها قوام الأرض.

والأول أظهر.

(١) في ج: «ومعاشهم».

﴿فَازْبِغَةَ أَيَّامٍ﴾ يريد: أن الأربعة كُملت باليومين الأولين، فخلق الأرض في يومين، وجعل فيها ما ذكر في يومين، فتلك أربعة أيام، وخلق السموات في يومين فتلك ستة أيام، حسبما ذكر في مواضع كثيرة من القرآن، ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة^(١) على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام، بخلاف ما ذكر في المواضع الكثيرة.

﴿سَوَاءٌ﴾ بالنصب: مصدرٌ، تقديره: استوت استواءً. قاله الزمخشري^(٢). وقال ابن عطية: انتصب على الحال^(٣).

﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ قيل: معناه: لمن سأل عن أمرها.

وقيل: معناه: للظالمين لها، ويعني بالطلب على هذا: حاجة الخلق إليها.

وحرف الجر:

يتعلق بمحذوف على القول الأول، تقديره: يبين ذلك لمن سأل عنه. ويتعلق بـ ﴿وَقَدَّرَ﴾ على القول الثاني.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصد إليها.

ويقتضي هذا الترتيب: أن الأرض خلقت قبل السماء.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ﴿٣٠﴾

[النازعات: ٣٠]؟

(١) في ب: «زائدة».

(٢) الكشف (١٣/٥٧٣).

(٣) المحرر الوجيز (٧/٤٦٦).

فالجواب : أنها خلقت قبل السماء ، ثم دُحِيت بعد ذلك .

﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ روي : أنه كان العرش على الماء ، فأخرج الله من الماء دخاناً ، فارتفع فوق الماء ، فأبیس الماء فصار أرضاً ، ثم خلق السماء من الدخان المرتفع .

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ هذه عبارة عن لزوم طاعتهما ، كما يقول الملك لمن تحت يده : «افعل كذا شئت أو أبيت» ، أي : لا بد لك من فعله .

وقيل : تقديره : ائتيا طوعاً وإلاً أئتما كرهاً .

ومعنى هذا الإتيان : تصوّرهما على الكيفية التي أرادها الله .

وقوله لهما : ﴿اُئْتِيَا﴾ مجازٌ ، وهو عبارة عن تكوينه لهما .

وكذلك قولهما : ﴿اُئْتِيَا طَائِعِينَ﴾ عبارة عن أنهما لم تمتنعا^(١) عليه حين أراد تكوينهما .

وقيل : بل ذلك كلامٌ حقيقةً ، وأنطق الله الأرض والسماء بقولهما : ﴿اُئْتِيَا طَائِعِينَ﴾ .

وإنما جمع ﴿طَائِعِينَ﴾ جمع العقلاء ؛ لوصفهما بأوصاف العقلاء .

﴿فَقَضَّهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أي : صنعهنّ ، والضمير للسّموات السبع ، وانتصابها على التمييز ؛ تفسيراً للضمير .

(١) في أ ، ب ، هـ : «يمتنعا» .

وأعاد عليها هنا ضمير الجماعة المؤنثة ؛ لأنها لا تعقل ، فهو كقولك :
«الجدوعُ انكسرن» .

وجمعهما جمع المذكر العاقل في قوله : ﴿طَائِعِينَ﴾ ؛ لأنه وصفها ^(١)
بالطَّوع ، وهو فعل العقلاء ، فعاملها ^(٢) معاملتهم ، فهو كقوله : ﴿رَأَيْنُهُمْ لِي
سَجْدِينَ﴾ [يوسف : ٤] .

وأعاد ضمير التثنية في قوله : ﴿قَالَتَا﴾ ؛ لأنه جعل الأرض فرقةً والسماء
أخرى ^(٣) .

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أي : أوحى إلى سُكَّانِهَا من الملائكة ، وإليها
هي نفسها ^(٤) ما شاء من الأمور ، التي بها قوامها وصلاحها .
وأضاف الأمر إليها ؛ لأنه فيها .

﴿وَرَبِّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ يعني : الشمس والقمر والنجوم ، وهي زينةٌ
للسماء الدنيا ، سواءً كانت فيها أو فيما فوقها من السموات .
﴿وَحِفْظًا﴾ تقديره : وحفظناها حفظًا .

ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله على المعنى ، كأنه قال : وخلقنا
المصابيح زينةً وحفظًا .

(١) في أ ، ب ، هـ : «وصفهما» .

(٢) في أ ، ب ، هـ : «فعاملهما» .

(٣) في ب ، ج : «فرقة» .

(٤) في ب ، ج : «بعينها» .

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ الضمير لقريش .

﴿صَعَقَةً﴾ يعني : وقعة وأخذة^(١) شديدة ، وهي مستعارة من صاعقة النار .

وقرىء ﴿صَعَقَةً﴾ بإسكان العين ، وهي الوقعة ، من قولك : صَعَقَ الرجلُ .

﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ معنى ما بين الأيدي : المتقدم ، ومعنى ما خلف : المتأخر .

فمعنى الآية : أن الرسل جاؤوهم في الزمان المتقدم ، واتصلت نذارتهم إلى زمان عاد وثمود ، حتى قامت عليهم الحجة ، فذلك ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ ، ثم جاءتهم رسل آخرون عند اكتمال أعمارهم ، فذلك ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ، قاله ابن عطية^(٢) .

وقال الزمخشري : معناه : أتوهم من كل جانب ، فهو عبارة عن اجتهادهم في التبليغ إليهم^(٣) .

وقيل : أخبروهم بما أصاب مَنْ قبلهم ، فذلك ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ ، وأنذروهم ما يجري عليهم في الزمان المستقبل وفي الآخرة فذلك ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ .

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ «أَنْ» :

حرفُ عبارة وتفسير .

(١) في أ ، ب ، ج ، هـ : «واحدة» .

(٢) المحرر الوجيز (٧/٤٦٩-٤٧٠) .

(٣) الكشف (١٣/٥٨٣) .

أو مصدرية، على تقدير: بأن لا تعبدوا إلا الله.

﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ليس فيه اعتراف الكفار بالرسالة، وإنما معناه: بما أرسلتم على قولكم ودعواكم، وفيه تهكم.

﴿رِيحًا صَرَّصًا﴾ قيل: إنه من الصَّرَّ وهو شدة البرد، فمعناه: باردة.

وقيل: إنه من قولك: صَرَّ يَصِرُّ: إذا صَوَّت، فمعناه: لها صوت هائل.

﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ معناه: من النَّحْس، وهو ضد السَّعْد.

وقيل: شديدة البرد.

وقيل: متتابعة.

والأول أرجح.

وروي أنها كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء.

وقرئ ﴿نَّحْسَاتٍ﴾ بإسكان الحاء وكسرها:

فأما الكسر: فجمع نَحْسٍ، وهو صفة.

وأما الإسكان: فتحفيف من الكسر، أو صفة على وزن فَعْلٍ، أو وصف

بالمصدر.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ﴾ أي: بينا لهم، فهو بمعنى البيان، لا بمعنى الإرشاد.

[وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَكُمْ وَلَنْ يَسْتَعِينُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَصِينَ ﴿٢٤﴾] وَقَفَّضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ.]

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُدْفَعُونَ بعنفٍ.

﴿وَجُلُودُهُمْ﴾ يعني: الجلود المعروفة.

وقيل: هي كناية عن الفروج.

والأول أظهر.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآية؛ يحتمل أن يكون: من كلام الجلود، أو من كلام الله تعالى، أو الملائكة.

وفي معناه وجهان:

أحدهما: لم تقدروا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنها ملازمة لكم، فلم يمكنكم احتراستكم من ذلك، فشهدت عليكم.

والآخر: لم تتحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنكم لم تبالوا بشهادتها، ولم تظنوا أنها تشهد عليكم، وإنما استترتم لأنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون، وهذا أرجح؛ لأنساق ما بعده معه، ولما جاء

في الحديث الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : «اجتمع ثلاثة نفر قرشيان^(١) وثقفي، أو ثقفيان وقرشي^(٢)، قليلٌ فقهٌ قلوبهم، كثيرٌ شحمٌ بطونهم، فتحدثوا بحديثٍ، فقال أحدهم: أترى الله يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا، فقال الآخر: إن كان يسمع منا شيئاً فإنه يسمعه كله، فنزلت الآية»^(٣).

﴿أَزْدَنُكُمْ﴾ أي: أهلككم؛ من الرَّدَى بمعنى الهلاك.

﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ هو من العُتْبَى بمعنى الرضا؛ أي: إن طلبوا العُتْبَى ليس فيهم من يُعطاها.

﴿وَقِضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا﴾ أي: يسرنا لهم قرناً سوء؛ من الشياطين وغُواة الإنس.

﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ : ما تقدّم من أعمالهم، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ : ما هم عازمون عليه.

أو ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، والتكذيب بها.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: سبق القضاء بعذابهم.

﴿فِي أَمْرٍ﴾ أي: في جملة أمم.

وقيل: ﴿فِي﴾ بمعنى: «مع».

(١) في ج، د، هـ: «قرشيان» والمثبت موافق لما في الرواية.

(٢) في أ، ج، د، هـ: «وقرشي» والمثبت موافق لما في الرواية.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥).

[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٦٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ اضْطَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٧٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٧١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٧٢﴾].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ روي أن قائل هذه المقالة أبو جهل لعنه الله .

﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ المعنى : لا تسمعوا إليه ، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات ، وإنشاد الشعر ، وشبه ذلك ؛ حتى لا يسمعه أحد .
وقيل : معناه : قعوا فيه وعيروه .

﴿أَرْنَا الَّذِينَ اضْطَلَّانَا﴾ يقولون هذا إذا دخلوا جهنم ، فقولهم مستقبلٌ ذِكْر بلفظ الماضي ؛ لتحققه .

ومعنى ﴿الَّذِينَ اضْطَلَّانَا﴾ : كلُّ من أغوانا من الجن والإنس .
وقيل : المراد : ولد آدم الذي سنَّ القتل ، وإبليس الذي أمر بالكفر والعصيان ، وهذا باطل ؛ لأن ولد آدم مؤمنٌ عاصٍ ، وإنما طلب هؤلاء من أضلَّهم بالكفر .

﴿تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أي : في أسفل طبقة من النار .

﴿ثُمَّ اسْتَغْفِرُوا﴾ قال أبو بكر الصديق: المعنى: استقاموا على قولهم: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، فصَحَّ إيمانهم، ودام توحيدهم.

وقال عمر بن الخطاب: المعنى: استقاموا على الطاعة وترك المعاصي. وقول عمر أكمل وأحوط، وقول أبي بكر أرجح؛ لما روى أنس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال: «قد قالها قوم ثم كفروا، فمن مات عليها فهو ممن استقام»^(١).

وقال بعض الصوفية: معنى ﴿اسْتَغْفِرُوا﴾: أعرضوا عما سوى الله، وهذه حالة الكمال، على أن اللفظ لا يقتضيها.

﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني: عند الموت.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ الضمير للآخرة.

﴿مَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تطلبون.

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٥٠).

[وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي بِآمِنَاتٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاثِبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أحسن قولاً منه، ويدخل في ذلك: كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم.

وقيل: المراد محمد ﷺ.

وقيل: المؤذنون، وهذا بعيد؛ لأنها مكية، وإنما شرع الأذان بالمدينة ولكن المؤذنون يدخلون في العموم.

﴿وَمَا يُلْقِنَهَا﴾ الضمير يعود على الخلق الجميل الذي يتضمنه قوله :
﴿أَدْفَعْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .

﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي : حظ من العقل والفضل .

وقيل : حظ عظيم في الجنة .

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾ «إِنْ» شرطية دخلت عليها «ما» الزائدة .

ونَزَغُ الشيطان : وساوسه وأمره بالسوء .

﴿الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر ؛ لأن جماعة ما لا يعقل كجماعة المؤنث ، أو كالواحدة المؤنثة^(١) .

وقيل : إنما يعود على الشمس والقمر ، وجمعهما ؛ لأن الاثنين جمعٌ ، وهذا بعيد .

﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني : الملائكة .

﴿لَا يَسْمُونَ﴾ أي : لا يملون .

﴿الْأَرْضَ خَشِعَةً﴾ عبارة عن قلة النبات .

﴿أَهْتَزَّتْ﴾ ذكر في «الحج»^(٢) .

﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِيّ الْمَوْتِ﴾ تمثيل واحتجاج على صحة البعث .

(١) فيقال : خلقهن ، أو خلقها ، كما يقال : الأعلام بريتها وبريتهن . انظر : الكشف (٦١٠ / ١٣) .

(٢) انظر (١٧٩ / ٣) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ أي: يطعنون عليها، وهذا الإلحاد هو بالتكذيب.

وقيل: باللغو فيه، حسبما تقدم في السورة.

﴿أَمْ مَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ الآية؛ قيل: إن المراد بالذي يُلقى في النار: أبو جهل، وبالذي يأتي آمناً: عثمان بن عفان.

وقيل: عمار بن ياسر.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ تهديد، لا إباحة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ الذكر هنا: القرآن باتفاق.

وخبر ﴿إِنْ﴾ محذوف، تقديره: ضلُّوا، أو هلكوا.

وقيل: خبرها: ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾، وذلك بعيد.

﴿وَأَنَّهُ لَكِنَّتُ عَزِيزٌ﴾ أي: كريم على الله.

وقيل: منيع من الشيطان.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ أي: ليس فيما تقدمه ما يبطله، ولا يأتي بعده ما يبطله.

والمراد على الجملة: أنه لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات.

﴿مَا يَقُولُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: ما يقول الله لك من الوحي والشرائع إلا مثل ما قال للرسول من قبلك.

والآخر: ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا مثل ما قال الأمم المتقدمون لرسولهم، فالمراد على هذا: تسلية النبي ﷺ بالتأسي .
والمراد على القول الأول: أنه ﷺ^(١) أتى بما جاءت به الرسل، فلا تُنكر رسالته .

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ يحتمل :

أن يكون مستأنفاً .

أو يكون هو المقول في الآية المتقدمة .

وذلك على القول الأول^(٢) .

وأما على القول الثاني : فهو مستأنف منقطع مما قبله .

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ الأعجمي : الذي لا يفصح

ولا يبين كلامه ، سواء كان من العرب أو من العجم .

والعجمي : الذي ليس من العرب ، فصيحاً كان أو غير فصيح .

ونزلت الآية بسبب طعن قريش في القرآن .

فالمعنى : أنه لو كان أعجمياً لطعنوا فيه وقالوا : هلاً كان مُبيناً؟ ، فظهر

أنهم يطعنون فيه على أي وجه كان .

﴿أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ هذا من تمام كلامهم ، والهمزة للإنكار .

(١) في زيادة: «إنما» .

(٢) أي : هذا الاحتمال إنما يجيء على القول الأول من القولين الواردين في معنى :
﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ .. الآية .

والمعنى : أنه لو كان القرآن أعجمياً لقالوا : أقرآن أعجمي ، ورسول عربي ، أو مُرْسَلٌ إليه عربي ؟

وقيل : إنما طعنوا فيه ؛ لما فيه من الكلمات العَجَمِيَّة ، كسَجَّين وإِسْتَبْرَق ، فقالوا : أقرآن عَجَمِيٌّ وعَرَبِيٌّ ؟ ، أي : مختلط من كلام العرب والعجم ، وهذا يجري على قراءة ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ بفتح العين .

﴿فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانَ﴾ عبارة عن إعراضهم عن القرآن ، فكأنهم صَمُّ لا يسمعون .

وكذلك ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ عبارة عن قلة فهمهم له .

﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فيه قولان :

أحدهما : عبارة عن قلة فهمهم ، فشَبَّههم بمن يُنَادَى من مكان بعيد ، فهو يَسْمَع الصوت ولا يَفْقَه ما يُقَال .

والثاني : أنه حَقِيقَةٌ في يوم القيامة ؛ أي : ينادون من مكان بعيد ؛ ليسمع أهل الموقف توبيخهم .

والأوَّل أليق بالكنايات التي قبلها .

[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَعَدْتَنَا مَا مَنَّا مِنْ شَيْدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْتُمْ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَدْقَتْهُ رَحْمَةٌ مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَطُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بَاجَانِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَرُّهُمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾].

﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني: القدر.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: علم زمان وقوعها، فإذا سئل أحدٌ عن ذلك قال: الله هو الذي يعلمها.

﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ جمع كِمٍّ - بكسر الكاف -، وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ محذوف والمراد به: يوم القيامة، والضمير للمشركين، وقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ توبيخٌ لهم.

وأضاف الشركاء إلى نفسه على زعم المشركين ، كأنه قال : الشركاء الذين جعلتم لي .

﴿قَالُوا ءَآذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ المعنى : أنهم قالوا : أعلمناك ما منا من يشهد^(١) اليوم بأن لك شريكًا ؛ لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم .

﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ أي : ضلَّ عنهم شركاؤهم ، بمعنى : أنهم لم يروهم حينئذ ، ف ﴿مَا﴾ على هذا موصولة .

أو : ضلَّ عنهم قولهم الذي كانوا يقولون من الشرك ، ف ﴿مَا﴾ على هذا مصدرية .

﴿وَطَنُّوْا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ الظنُّ هنا : بمعنى اليقين ، والمحيص : المهرب ، أي : علموا أنهم لا مهرب لهم من العذاب .

وقيل : يوقف على ﴿وَطَنُّوْا﴾ ، ويكون ﴿مَا لَهُم﴾ استثناءً ، وذلك ضعيف .

﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أي : لا يملُ من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك .

ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة .

وقيل : في غيره من الكفار .

واللفظ أعم من ذلك .

(١) في ب ، ج ، د : «مِن شَهِيدٍ» .

﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: هذا حقِّي الواجبُ لي وليس تفضُّلاً من الله، ولا يقول هذا إلا كافر، ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾. وقوله: ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ معناه: إن بُعثت تكون لي الجنة، وهذا تخرُّصٌ وتكبيرٌ.

وروي أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة.

﴿وَنَّا بِحَاجَتِهِ﴾ ذكر في «الإسراء»^(١).

﴿دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ أي: كثير.

وذكر الله هذه الأخلاق على وجه الذمِّ لها^(٢).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الآية؛ معناها: أخبروني إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به؛ أستم في شقاق بعيد؟ فوضع قوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ موضع الخطاب لهم.

﴿سَتُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الضمير لقريش، وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الآيات في الأفاق: هي فتح الأقطار للمسلمين، والآيات في أنفسهم: هي فتح مكة، فجميع ذلك وعدٌ للمسلمين بالظهور، وتهديدٌ للكفار، واحتجاج^(٣) عليهم بظهور الحق وخمول^(٤) الباطل.

(١) انظر ٨٢٧/٢.

(٢) في ب، ج: «لهم».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «فجمع ذلك وعداً للمسلمين بالظهور وتهديداً للكفار واحتجاجاً».

(٤) في د: «وخمود».

والثاني: أن الآيات في الآفاق: هي ما أصاب الأمم المتقدمين من الهلاك، وفي أنفسهم: يوم بدر.

والثالث: أن الآيات في الآفاق: هي خلق السماء وما فيها من العبر والآيات، وفي أنفسهم: خَلْقَةُ بني آدم، وهذا ضعيف؛ لأنه قال: ﴿سَرُّهُمْ﴾ بسين الاستقبال، وقد كانت السماء وخلقُ بني آدم مرئيةً. والأول هو الراجح.

﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير للقرآن و^(١)الإسلام.

﴿مُحِيطٌ﴾ أي: محيطٌ بعلمه وقدرته وسلطانه.



(١) في أ: «أو».

﴿ سورة الشورى ﴾

[﴿حَمْدٌ ۝١ عَسَقٌ ۝٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣﴾
لَمْ يَلَمَّْا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ
فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظْتُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ ۝٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَلِنُنْذِرَ يَوْمَ
الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾].

﴿عَسَقٌ﴾ الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسبما تقدّم في «البقرة»^(١).

وحكى الطبري أن رجلاً سأل ابن عباس عن ﴿حَمْدٌ ۝١ عَسَقٌ ۝٢﴾،
فأعرض عنه، فقال حذيفة: إنما كرهها ابن عباس؛ لأنها نزلت في رجلٍ من
أهل بيته اسمه عبد الله يبنى مدينةً على نهر من أنهار المشرق، ثم يخسف الله
بها في آخر الزمان^(٢). والرجل على هذا أبو جعفر المنصور، والمدينة

(١) انظر (١/٢٦١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/٤٦٤).

بغداد، وقد ورد في الحديث الصحيح أنها يُخسف بها^(١).

﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ الكاف: نعتٌ لمصدر محذوف، والإشارة بـ ﴿كَذَلِكَ﴾ إلى ما تَضَمَّنَه القرآن أو^(٢) السورة.

وقيل: الإشارة لقوله: ﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَقَ ﴿٢﴾﴾؛ فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كتاب أنزله، وفي صحة هذا نظرٌ.

﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ اسم ﴿اللَّهُ﴾ فاعلٌ بـ ﴿يُوحَىٰ﴾.

وأما على قراءة ﴿يُوحَىٰ﴾ بالفتح فهو فاعلٌ بفعل مضمَر، دلَّ عليه ﴿يُوحَىٰ﴾، كأنَّ قائلًا قال: «من الذي أوحى؟» فقيل: «الله».

﴿يَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ أي: يتشققن من خوف الله وتعظيم جلاله.

وقيل: من قول الكفار: «اتخذ الله ولدًا»، فهي كآلية التي في «مريم».

قال ابن عطية: وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثَّقَل ونحوه مردودٌ؛ لأن الله تعالى لا يوصف به^(٣).

﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ الضمير للسَّمَوَاتِ، والمعنى: يتشققن من أعلاهن، وذلك مبالغةٌ في التهويل.

وقيل: الضمير للأَرْضِينَ، وهذا بعيد.

(١) لعله يقصد الحديث الذي عند مسلم (٢٩٠١): «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب...» الحديث.

(٢) في ب، ج: «و».

(٣) المحرر الوجيز (٥٠٠/٧).

وقيل: الضمير للكفار، كأنه قال: من فوق الجماعات الكافرة التي من أجل أقوالها تكاد السموات يتفطرن، وهذا أيضًا بعيد.

﴿وَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص؛ لأن الملائكة إنما تستغفر^(١) للمؤمنين من أهل الأرض، فهي كقوله: ﴿وَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧].

وقيل: إن ﴿وَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نسخ هذه الآية، وهذا باطل؛ لأن النسخ لا يدخل في الأخبار.

ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلبَ الجَلَمِ عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم، ومعناه: الإمهال لهم، وأن لا يُعاجَلُوا بالعقوبة، فيكون عامًا.

فإن قيل: ما وجه اتصال قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾ الآية بما قبلها؟ فالجواب: أنا إن فسرنا تفطّر السموات بأنه من عظمة الله؛ فيكون تسبيح الملائكة أيضًا تعظيمًا له، فينتظم الكلام، وإن فسرنا تفطّرَها بأنه من كفر بني آدم؛ فيكون تسبيح الملائكة تنزيهاً لله تعالى عن كفر بني آدم، وعن أقوالهم القبيحة.

﴿أُمُّ الْقُرَى﴾ هي مكة، والمراد: أهلها، ولذلك عطف عليه ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يعني: من الناس.

﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يعني: يوم القيامة، وسمي بذلك؛ لأن الخلائق يجتمعون فيه. ﴿أَمْرٌ اتَّخَذُوا﴾ منقطع، والأولياء هنا: المعبودون من دون الله.

(١) في أ، هـ: «يستغفرون».

[وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
 أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا
 يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ
 الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ
 أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ
 يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٤﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ
 وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ
 مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٥﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ
 أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
 لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾
 وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ جُمُوعُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ
 وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٧﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ
 السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٨﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا
 وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَكَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٩﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ
 بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٢٠﴾].

﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي : ما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه
 إلى الله ؛ بأن يعاقب المبطل ويثيب المحق .

أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبي ﷺ ، كقوله :

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء : ٥٩].

﴿مَنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني: الإناث.

﴿وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ يحتمل أن يريد: الإناث، أو الأصناف.

﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ معنى ﴿يَذَرُوكُمْ﴾: يخلقكم نسلًا بعد نسل، وقرنًا بعد قرن.

وقيل: يكثركم.

والضمير المجرور يعود على الجعل الذي تضمنه قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾، وهذا كما تقول: كلمتُ زيدًا كلامًا أكرمه فيه.

وقيل: الضمير للتزويج الذي دلَّ عليه قوله: ﴿أَزْوَاجًا﴾.

وقال الزمخشري: تقديره: يذرؤكم في هذا التدبير، وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجًا^(١).

والضمير في ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ خطابٌ للناس والأنعام، غلب فيه العقل على غيرهم.

فإن قيل: لم قال ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ وهلا قال: «يذرؤكم به»؟

فالجواب: أن هذا التدبير جعل كالمنبع والمعدن للبت والتكثير. قاله الزمخشري^(٢).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تنزيهٌ لله تعالى عن مشابهة المخلوقين.

(١) الكشف (٢١/١٤).

(٢) الكشف (٢١/١٤).

قال كثيرٌ من الناس : الكاف زائدة للتأكيد ، والمعنى : ليس مثله شيء .
وقال الطبري وغيره : ليست بزائدة ، ولكن وضع ﴿مِثْلَهُ﴾ موضع «هو» ،
والمعنى : ليس كهو شيء^(١) .

قال الزمخشري : وهذا كما تقول : «مثلك لا يبخل» ، والمراد : أنت
لا تبخل ، فنفى البخل عن مثله والمراد نفيه عن ذاته^(٢) .
﴿مَقَالِدُ﴾ قد ذكر^(٣) .

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ اتفق دين محمد ﷺ مع جميع الأنبياء
في أصول الاعتقادات ، وذلك هو المراد هنا ، ولذلك فسره بقوله : ﴿أَنَّ أَقِيمُوا
الَّذِينَ﴾ يعني : إقامة الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته ، والإيمان برسله
وكتبه وبالدار الآخرة .

وأما الأحكام الفروعية ؛ فاختلفت فيها الشرائع ، فليست تراد هنا .

﴿أَنَّ أَقِيمُوا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ ﴿أَنَّ﴾ :

في موضع نصب ، بدلًا من قوله : ﴿مَا وَصَّى﴾ .

أو في موضع خفض ، بدلًا من ﴿بِهِ﴾ .

أو في موضع رفع على خبر ابتداء مضمرة .

أو تكون مفسرة لا موضع لها من الإعراب .

(١) تفسير الطبري (٢٠/٤٧٦) .

(٢) الكشف (١٤/٢٣) .

(٣) انظر (٣/٧٦٣) .

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي : صَعَبَ الإسلامُ على المشركين .
 ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ : يعود على الله تعالى .
 وقيل : على الدين .

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني : أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم .

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ يعني : القضاء السابق بأن لا يُفصل بينهم في الدنيا .

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ أُرِثُوا أَلَكِتَابَ﴾ يعني : المعاصرين لمحمد ﷺ من اليهود والنصارى .

وقيل : يعني : العرب ، و﴿أَلَكِتَابَ﴾ على هذا : هو القرآن .
 ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ الضمير : للكتاب ، أو للدين ، أو لمحمد ﷺ .
 ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ أي : إلى ذلك الذي شرع الله ادعُ الناسَ ، فاللام بمعنى «إلى» .

والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ :

إلى قوله : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ .

أو إلى قوله : ﴿مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ .

وقيل : إن اللام بمعنى : «من أجل» ، والإشارة إلى التفرُّق والاختلاف ؛
 أي : لأجل ما حدث من التفرُّق ادعُ إلى الله .

وعلى هذا: يكون قوله: ﴿وَأَسْتَقِمَّ﴾ معطوفاً.

وعلى الأول: يكون مستأنفاً، فيوقف على ﴿فَادْعُ﴾.

﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ﴾ أي: دُم على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الضمير للكفار، و﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: ما كانوا يحبون من الكفر والباطل كله.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ قيل: يعني: العدل في الأحكام إذا تخاصموا إليه. ويحتمل أن يريد العدل في دعائهم إلى دين الإسلام، أي: أمرت أن أحملكم على الحق.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي: لا جدال ولا مناظرة؛ فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّوكَ فِي اللَّهِ﴾ أي: يجادلون المؤمنين في دين الله. ويعني: كفار قريش.

وقيل: اليهود.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَسْجَبَ لَهُ﴾ الضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾؛ أي: من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا في دينه.

وقيل: يعود على الدين.

وقيل: على محمد ﷺ.

والأول أحسن وأظهر.

﴿جُنُوهٌ دَاحِضَةٌ﴾ أي: زاهقة باطلة.

﴿أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ يعني: جنس الكتب^(١).

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، أو متضمناً الحق.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾ ابن عباس وغيره: يعني: العدل، ومعنى إنزال العدل: إنزال الأمر به في الكتب المنزلة.

وقيل: يعني: الميزان المعروف.

فإن قيل: ما وجه اتصال ذِكر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟

فالجواب: أن الساعة يوم الجزاء والحساب، فكأنه قال: اعدلوا وافعلوا الصواب قبل اليوم الذي تحاسبون فيه على أعمالكم.

﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ جاء ﴿قَرِيبٌ﴾ بالتذكير؛ لأن تأنيث الساعة غير حقيقي، ولأن المراد به وقت الساعة.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ أي: يطلبون تعجيلها؛ استهزاءً بها، وتعجيزاً للمؤمنين.

﴿يُمَارُونَ﴾ أي: يجادلون ويخالفون.

﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني: الرزق الزائد على المضمون لكل حيوان في قوله:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [مود: ٦] أي: ما تقوم به الحياة، فإن هذا على العموم لكل حيوانٍ طول عمره، والزائد خاصٌّ بمن شاء الله.

(١) في ب، هـ: «الكتاب».

[مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرَّفْ حَسَنَتُهُ نَزَدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَوِّدُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفْعُلُونَ ﴿٢٥﴾ وَسَتَجِدُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يُزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَنَىٰ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾].

﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ عبارة عن العمل لها، وكذلك ﴿حَرْثَ الدُّنْيَا﴾.

وهو مستعار من حرث الأرض؛ لأن الحارث^(١) يعمل وينتظر المنفعة مما^(٢) عمل.

﴿نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ عبارة عن تضعيف الثواب.

(١) في أ: «الحراث».

(٢) في أ، د: «بما».

﴿نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي: نؤتيه منها ما قُدِّر له؛ لأن كل أحدٍ لا بد أن يصل إلى ما قُسم له.

﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ هذا ^(١) للكفار، أو لمن كان يريد الدنيا خاصةً، ولا رغبة له في الآخرة.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة للإنكار والتوبيخ.
والشركاء: الأصنام وغيرها.

وقيل: الشياطين.

﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ الضمير في ﴿شَرَعُوا﴾: للشركاء وفي ﴿لَهُمْ﴾: للكفار.

وقيل: بالعكس.

والأول أظهر.

﴿لَمْ يَأْذَنْ﴾ بمعنى: لم يأمر.

والمراد: ما شرعوا من البواطل ^(٢) في الاعتقادات، وفي الأعمال، كالبحيرة والوصيلة وغير ذلك.

﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي: لولا القضاء السابق بأن لا يُقضى بينهم في الدنيا لقضى بينهم فيها.

(١) في ب، ج: «تهديد».

(٢) في ب، ج، هـ: «الباطل».

﴿تَرَى الْقَلِيلِينَ﴾ يعني: في الآخرة.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ تقديره: يبشر به، وحذف الجار والمجرور.

﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أن ﴿الْقُرْبَى﴾ بمعنى القرابة، و﴿فِي﴾ بمعنى: «من أجل»، والمعنى: لا أسألكم عليه أجرًا إلا أن تودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم.

فالقصد على هذا: استعطاف قريش، ولم يكن فيهم بطنٌ إلا وبينه وبين النبي ﷺ قرابة.

الثاني: أن ﴿الْقُرْبَى﴾ بمعنى الأقارب؛ أي: ذوي القربى، والمعنى: إلا أن تودوا^(١) أقاربي وتحفظوني فيهم. والقصد على هذا: وصيةٌ بأهل البيت.

الثالث: أن ﴿الْقُرْبَى﴾ قرابةُ الناس بعضهم من بعض، والمعنى: أن تودوا أقاربكم.

والقصد على هذا: وصيةٌ بصلة الأرحام.

الرابع: أن ﴿الْقُرْبَى﴾ التقربُ إلى الله، والمعنى: إلا أن تتقربوا إلى الله بطاعته.

والاستثناء على القول الثالث والرابع: منقطعٌ.

(١) في ب: «أن لا تودوا».

وأما على الأول والثاني :

فَيَحْتَمِلُ الانْقِطَاعُ ؛ لِأَنَّ الْمَوَدَّةَ لَيْسَتْ بِأَجْرٍ^(١) .

وَيَحْتَمِلُ الْإِتِّصَالَ عَلَى الْمَجَازِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ ، فَجَعَلَ الْمَوَدَّةَ كَالْأَجْرِ^(٢) .

﴿يَقْرِفَ﴾ أي : يكتسب .

﴿زَرَدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ يعني : مضاعفة الثواب .

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة للإنكار والتوبيخ .

﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ في المقصد بها^(٣) قولان :

أحدهما : أَنَّهُ رَدُّ عَلَى الْكُفَّارِ فِي قَوْلِهِمْ : ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ، أي : لو افتريت على الله كذبًا لختم على قلبك ، لكنك لم تفتّر على الله كذبًا ؛ فقد هداك وسددك .

والآخر : أَنِ الْمُرَادَ : إِنْ يَشَأْ اللَّهُ يَخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ بِالصَّبْرِ عَلَى أَقْوَالِ الْكُفَّارِ ، وَاحْتِمَالِ أَذَاهُمْ .

﴿وَسَمَحَ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ هذا فعل مستأنف غير معطوف على ما قبله ؛ لِأَنَّ الَّذِي قَبْلَهُ مَجْزُومٌ ، وَهَذَا مَرْفُوعٌ ؛ فَيُوقَفُ عَلَى مَا قَبْلَهُ وَيَبْتَدَأُ بِهِ .

(١) في أ : «بأجرة» .

(٢) في أ : «كالأجرة» .

(٣) في ب ، ج ، د : «بهذا» .

وفي المراد به وجهان :

أحدهما : أنه من تمام ما قبله ، أي : لو افترت على الله كذبًا لختم على قلبك ومحا الباطل الذي كنت تفتريه لو افترت .

والآخر : أنه وعدٌ لرسول الله ﷺ بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر ، ويحقِّق الحق وهو الإسلام .

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿عَنْ﴾ هنا : بمعنى «من» ، وكأنه قال : التوبة الصادرة عن عباده .

وقبول التوبة على ثلاثة أوجه :

أحدها : التوبة من الكفر ، فهي مقبولة قطعًا .

والثاني : التوبة من مظالم العباد ، فهي غير مقبولة حتى يردَّ المظالم أو يستحلَّ منها .

والثالث : التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله ، فالصحيح : أنها مقبولة ؛ بدليل هذه الآية .

وقيل : هي في المشيئة .

﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ العفو مع التوبة : على حسب ما ذكرنا .

وأما العفو دون التوبة : فهو على أربعة أقسام :

الأول : العفو عن الكفر ، وهو لا يكون أصلًا .

والثاني : العفو عن مظالم العباد ، وهو كذلك .

والثالث: العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر، وهو حاصل باتفاق.

والرابع: العفو عن الكبائر:

فمذهب أهل السنة: أنه في المشيئة.

ومذهب المعتزلة: أنها لا تغفر إلا بالتوبة.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معنى ﴿يَسْتَجِيبُ﴾: يجيب، و﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، أي: يُجِيبُهُمْ فيما يطلبون منه.

وقال الزمخشري: أصله: «يستجيب للذين آمنوا» فحذف اللام^(١).

والثاني: أن معناه: يجيب، و﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فاعل؛ أي: يستجيب المؤمنون لربهم باتِّباع دينه.

والثالث: أن معناه: يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم، و«استفعل» على هذا: على بابه من الطلب.

والأول أرجح؛ لدلالة قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾؛ ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل.

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ أي: يزيدهم ما لم يطلبوا زيادةً على الاستجابة

فيما طلبوا، وهذه الزيادة روي عن النبي ﷺ أنها الشفاعة والرضوان^(١).
﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بغى بعضهم على بعض
وطعوا؛ لأن الغنى يوجب الطغيان.

وقال بعض الصحابة: فينا نزلت؛ لأننا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنييناها.
﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ قيل لعمر رضي الله عنه: اشتد القحط
وقنط الناس، فقال: «الآن يُمطرون»^(٢)، وأخذ ذلك من هذه الآية، ومنه
قوله ﷺ: «اشتدي أزمة تنفرجي»^(٣).

﴿وَيَبْسُرُ رَحْمَتَهُ﴾ قيل: يعني: المطر، فهو تكررٌ للمعنى الأول بلفظ آخر.
وقيل: يعني: الشمس.

وقيل بالعموم.

﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ لا إشكال أن الدواب في الأرض، وأما في
السماء:

فقليل: يعني: الملائكة.

(١) ذكر ابن عطية في تفسيره (٥١٦/٧) قال: «وروي عن النبي ﷺ أنه قال: هي الشفاعات
في المؤمنين والرضوان». ولم أقف على إسناد له.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥١١/٢٠).

(٣) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ١١٦): «حديث: اشتدي أزمة تنفرجي:
العسكري في الأمثال، والديلمي، والقضاعي، كلهم من حديث أمية بن خالد حدثنا
الحسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده عن علي، قال: كان رسول الله ﷺ
يقول، وذكره، والحسين كذاب».

وقيل: يمكن أن يكون في السماء دوابٌ لا نعلمها نحن.

وقيل: المعنى: أنه بثٌّ في أحدهما، فذكر الاثنين، كما تقول: «في بني فلان كذا» وإنما هو في بعضهم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ يريد: جمع الخلق للحشر يوم القيامة.



[وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُؤَفِّقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ بَعْضَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاؤُا سِنَتْهُ سِنَتْهُ مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾].

﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ المعنى : أن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب، قال رسول الله ﷺ : « لا يصيب ابن آدم خدشٌ عودٍ أو عشرةٌ قدم ولا اختلاجٌ عرقٍ إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر »^(١).

وقرئ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بغير فاء، على أن يكون ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ﴾ بمعنى : «الذي».

وقرئ بالفاء على أن يكون ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ﴾ شرطاً.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥١٣/٢٠).

﴿يُمَجِّزِينَ﴾ قد ذُكر^(١).

﴿الْجَوَارِ﴾ جمع جارية، وهي السفينة.

﴿كَالْأَعْلَمِ﴾ جمع علم، وهو الجبل.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ الضمير في ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ للجواري، وفي ﴿ظَهْرِهِ﴾ للبحر؛ أي: لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر.

فالمقصد: تعديد النعمة في إرسال الرياح، أو تهديد بإسكانه.

﴿أَوْ يُوقِعَهُنَّ يَمًا كَسْبًا﴾ عطف على ﴿يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾، ومعنى ﴿يُوقِعَهُنَّ﴾: يهلكهن بالغرق من شدة الرياح العاصفة، والضمير فيه للسفن، وفي ﴿كَسْبًا﴾ لركابها من الناس.

والمعنى: أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُحْدِلُونَ فِيْءِ بَيْنِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ﴾ أي: يعلمون أنهم لا مهرب لهم من الله.

وقرى ﴿وَيَعْلَمَ﴾:

بالرفع: على الاستئناف.

وبالنصب، واختلف في إعرابه على قولين:

أحدهما: أنه نصب بإضمار «أَنْ» بعد الواو؛ لما وقعت بعد الشرط والجزاء؛ لأنه غير واجب.

وأنكر ذلك الزمخشري وقال: إنه شاذ؛ فلا ينبغي أن يُحمَل القرآن عليه^(١).

والثاني قول الزمخشري: إنه معطوف على تعليلٍ محذوف تقديره: «لَيَنْتَقِمَ منهم ويعلم»، قال: ونحوه من المعطوف على التعليل المحذوف كثير في القرآن، ومنه قوله: ﴿وَلَنَجْجَعَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١]^(٢).

﴿كَثِيرَ الْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في «النساء»^(٣).

وقيل: كبائر الإثم: هو الشرك، والفواحش: هو^(٤) الزنا.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ قيل: يعني: الأنصار؛ لأنهم استجابوا لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان.

ويظهر لي أن هذه الآيات إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين ﷺ؛ لأنه بدأ أولاً بصفات أبي بكر الصديق، ثم صفات عمر بن الخطاب، ثم صفات عثمان بن عفان، ثم صفات علي بن أبي طالب، فكونه جمَعَ هذه الأوصاف، وربَّها على هذا الترتيب يدلُّ على أنه قصد بها مَنْ اتَّصف بذلك.

فأما صفات أبي بكر: فقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وإنما

(١) الكشاف (٧١-٧٠/١٤).

(٢) الكشاف (٧٠-٦٩).

(٣) انظر (٤٦/٢).

(٤) في أ: «هي».

جعلنا هذا صفة أبي بكر وإن كان جميعهم متصفاً بها ؛ لأن أبا بكر كانت له فيها مزية لم تكن لغيره ، قال رسول الله ﷺ : «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح^(١)»^(٢) ، وقال ﷺ : «أنا مدينة الإيمان ، وأبو بكر بابها»^(٣) ، وقال أبو بكر : «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»^(٤) ، والتوكل إنما يقوى بقوة الإيمان .

وأما صفات عمر : فقوله : ﴿وَالَّذِينَ يَخْنَبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ ؛ لأن ذلك هو التقوى ، وقد قال ﷺ : «أنا مدينة التقوى ، وعمر بابها»^(٥) ، وقوله : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الباقية : ١٤] نزلت في عمر .

وأما صفات عثمان : فقوله : ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ ؛ لأن عثمان لما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام تبعه ، وبادر إلى الإسلام وقوله : ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ ؛ لأن عثمان كان كثير الصلاة بالليل ، وفيه نزلت : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ [الزمر : ٩] الآية . وروي أنه كان يحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن كله ، وقوله : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ ؛ لأن عثمان ولي الخلافة بالشورى ، وقوله : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ؛ لأن عثمان كان كثير النفقة في سبيل الله ،

(١) في ب ، ج : «لرجحهم» .

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣٣٥ / ٥) مرفوعاً ، وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٤١٨ / ١) من قول عمر بن الخطاب ؓ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) لم أقف عليه .

ويكفيك أنه جهّز جيش العسرة.

وأما صفات عليّ: فقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (٢٩)؛ لأنه لما قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصاراً للحق، وانظر كيف سمّى رسول الله ﷺ المقاتلين لعليّ بالفئة الباغية، حسبما ورد في الحديث الصحيح أنه قال لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية»^(١)، فذلك هو البغي الذي أصابه.

وقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ إشارة إلى فعل الحسن بن عليّ حين بايع معاوية، وأسقط حق نفسه ليُصلح أحوال المسلمين، ويحقن دماءهم، قال رسول الله ﷺ في الحسن: «إن ابني هذا سيّد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٢).

وقوله: ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤١)، إشارة إلى انتصار الحسين بعد موت الحسن، وطلبه للخلافة وانتصاره من بني أمية.

وقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ إشارة إلى بني أمية، فإنهم استطالوا على الناس كما جاء في الحديث عنهم: «أنهم جعلوا عباد الله حَوَلًا، ومال الله دُولًا»^(٣)، ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون علي ابن أبي طالب على منابرهم.

وقوله: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ الآية؛ إشارة إلى صبر أهل بيت النبي ﷺ على ما نالهم من الضرّ والذلّ طول مدّة بني أمية.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧)، ومسلم (٢٩١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أحمد (١١٧٥٨).

﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سَمَّى العقوبة باسم الذنب ، وجعلها مثله ^(١) ؛
تحرُّزًا من الزيادة عليه ^(٢) .

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ هذا يدلُّ على أن العفو عن المظلَّمة أفضل
من الانتصار ؛ لأنه ضَمِنَ الأجر في العفو ، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في
قوله : ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾ ^(٣) .

وقيل : إن الانتصار أفضل .

والأول أصح .

فإن قيل : كيف ذكّر الانتصار في صفات المدح في قوله : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ
الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ﴾ ^(٤) والمباح لا مدح فيه ولا ذم ؟

فالجواب من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن المباح قد يُمدح ؛ لأنه قيامٌ بحق لا يبطل .

والثاني : أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرُّزًا ممن بدأ بالظلم ،
فكان المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم .

والثالث : أنه إن كانت الإشارة بذلك إلى علي بن أبي طالب حسبما ذكرنا
فانتصاره ممدوح ^(٥) ؛ لأن قتال أهل البغي واجب ؛ لقوله تعالى : ﴿فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي
نَبِيِّ﴾ [الحجرات : ٩] .

(١) في أ ، ب ، ج : «مثلها» .

(٢) في أ : «عليه» .

(٣) في ب ، ج ، د : «محمود» .

[وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اُسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبًا وَإِنْ نَضِيبُهُمْ سَيِّئَةً يَمَا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنَّ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾].

﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النار.

﴿خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِيلِ﴾ عبارة عن الذل والكآبة.

﴿مِّنَ الدَّلِيلِ﴾ يتعلق:

بـ ﴿خَشِيعِينَ﴾.

أو بـ ﴿يَنْظُرُونَ﴾، وعلى هذا عوّل الزمخشري^(١).

﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه عبارة عن الذلّ ؛ لأنّ نظر الدليل بمهانة واستكانة .

والآخر : أنهم يحشرون عُميًّا فلا ينظرون بأبصارهم ، وإنما ينظرون بقلوبهم ، واستبعد هذا ابن عطية^(١) والزمخشري^(٢) .

والتَّطَرُّفُ يَحْتَمِلُ :

أن يريد به : العين .

أو يكون مصدرًا .

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يتعلّق بـ ﴿قَالَ﴾ ، أو بـ ﴿خَسِرُوا﴾ .

﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون :

من كلام الذين آمنوا .

أو مستأنفًا من كلام الله تعالى .

﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ ذكر في «الروم»^(٣) .

﴿مَنْ نَكِرٍ﴾ أي : إنكارٍ ، يعني : لا تنكرون أعمالكم .

﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً﴾ قدّم الإناء اعتناءً بهنّ ، وتأنيساً لمن وهبهنّ^(٤) له .

(١) المحرر الوجيز (٧/٥٢٧) .

(٢) الكشاف (١٤/٨٢) .

(٣) انظر (٣/٤٩٨) .

(٤) في ب : «وُهِبْنَ» .

قال واثلة بن الأسقع: مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةُ تَبْكِيْرُهَا بِأَنْثَى قَبْلَ الذَّكَرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ بَدَأَ بِالْإِنَاثِ.

وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأنبياء ﷺ، فشعيب ولوط كان لهما إناثٌ دون ذكور، وإبراهيم كان له ذكور دون إناث، ومحمد ﷺ جَمَعَ الْإِنَاثَ وَالذَّكَورَ، وَيَحْيَى كَانَ عَقِيمًا.

والظاهر: أنها على العموم في جميع الناس؛ إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذُكِرَ.

وفي هذه الآية من أدوات البيان: التقسيم.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآية؛ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا كَلَامَهُ لِعِبَادِهِ، وَجَعَلَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

أحدها: الوحي المذكور أولاً، وهو الذي يكون بإلهام أو بمنام.

والآخر: بَأَن يُسْمِعَهُ كَلَامَهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.

والثالث: الوحي بواسطة الملك، وهو قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا﴾ يعني: مَلَكًا، ﴿فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ إِلَى النَّبِيِّ، وَهَذَا خَاصٌّ بِالْأَنْبِيَاءِ.

والثاني خاصٌّ بموسى، وبمحمد صلى الله عليهما وسلم؛ إذ كَلَّمَهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ.

وأما الأول؛ فيكون للأنبياء والأولياء كثيرًا، وقد يكون لسائر الخلق، ومنه ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، ومنه: منامات الناس.

﴿أَوْ يُرْسِلْ رَسُولًا﴾ قرئ ﴿يُرْسِلْ﴾ و﴿يُوحِي﴾ :

بالرفع : على تقدير : أو هو يرسل .

وبالنصب : عطفاً على ﴿وَحْيًا﴾ ؛ لأن تقديره : «أن يوحى» فعطفت «أن» على «أن» المقدرة .

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الروح هنا : القرآن ، والمعنى : مثل هذا الوحي ، وهو بإرسال ملك ، أوحينا إليك القرآن .

والأمر هنا يحتمل :

أن يكون واحد الأمور .

أو يكون من الأمر بالشيء .

﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾ المقصد بهذا شيان :

أحدهما : تعداد النعمة عليه ﷺ ، بأن علّمه الله ما لم يكن يعلم .

والآخر : احتجاج على نبوته ؛ لكونه أتى بما لم يكن يعلمه ، ولا تعلّمه من أحد .

فإن قيل : أمّا كونه لم يكن يدري الكتاب فلا إشكال فيه ، وأمّا الإيمان ففيه إشكال ؛ لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم ^(١) ؟

فالجواب : أن الإيمان يحتوي على معارف كثيرة ، وإنما كُمل له معرفتها

(١) في د : «بعثهم» .

بعد بعثه ، وقد كان مؤمناً بالله قبل ذلك ، فالإيمان هنا يعني به : كمال المعرفة وهي التي حصلت ^(١) له بالنبوة .

﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ الضمير للقرآن .

(١) في ب ، ج : «جُعلت».

﴿ سورة الزخرف ﴾

[﴿حَمَّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣﴾
وإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ
كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ
إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ٨﴾ وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ٩﴾ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ
كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الظَّالِمِ الْأَنْعَامَ مَا تَرْكَبُونَ ١٢﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ
رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ ١٣﴾
وإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾].

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ يعني : القرآن .

و﴿الْمُبِينِ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى :

البين .

أو المبين لغيره .

﴿وإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ ﴿أُمِّ الْكِتَابِ﴾ : اللوح المحفوظ .

والمعنى : أن القرآن وُصِفَ في اللوح بأنه عليّ حكيم .

وقيل : المعنى : أن القرآن نُسخَ بجملته في اللوح المحفوظ ، ومنه كان جبريل ينقله ، فوصفه الله بأنه عليّ حكيم ؛ لكونه مكتوباً في اللوح المحفوظ .

والأول أظهر وأشهر .

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ الهمزة للإنكار ، والمعنى : أنمسك عنكم الذكر ؟ .

و﴿ نَضْرِبُ ﴾ من قولك : أضربتُ عن كذا : إذا تركته .

و﴿ الذِّكْرَ ﴾ يحتمل أن يريد به : القرآن ، أو التذكير والوعظ .

و﴿ صَفْحًا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه بمعنى الإعراض ، تقول : صفحتُ عنه : إذا عرضتُ عنه ، فكأنه قال : أنترك تذكيركم إعراضاً عنكم ؟

وإعراب ﴿ صَفْحًا ﴾ على هذا :

مصدرٌ من المعنى .

أو مفعول من أجله .

أو مصدر في موضع الحال .

والآخر : أن يكون بمعنى العفو والغفران ، فكأنه يقول : أنمسك عنكم

الذكر عفوًا عنكم وغفرانًا لذنوبكم ؟

وإعراب ﴿ صَفْحًا ﴾ على هذا :

مفعول من أجله .

أو مصدر في موضع الحال.

﴿إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ قرئ:

بكسر الهمزة: على الشرط، والجواب في الكلام الذي قبله.

وقرئ بالفتح: على أنه مفعول من أجله.

﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ الضمير لقريش، وهم المخاطبون بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾.

فإن قيل: كيف قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ على الشرط بحرف «إِنْ» التي معناها الشك، ومعلوم أنهم كانوا مسرفين؟

فالجواب: أن في ذلك إشارة إلى توبيخهم على الإسراف، وتجهيلهم في ارتكابه، فكأنه شيء لا يقع من عاقل، فلذلك وضع حرف التوقع في موضع الواقع.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: تقدّم في القرآن ذكر حال الأولين وكيفية هلاكهم لما كفروا.

﴿وَلَيْنَ سَاءَ لَتْهُمْ﴾ الآية؛ احتجاج على قريش؛ لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره.

ومقتضى جوابهم أن يقولوا: «خلقهن الله»، فلما ذكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بـ ﴿الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾؛ لأن اعترافهم بأنه خلق السموات والأرض يقتضي أن يعترفوا بأنه عزيز عليم.

وأما قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ فهو من كلام الله، لا من كلامهم.

﴿مِهَادًا﴾ أي: فراشًا، على وجه التشبيه.

﴿سُبُلًا﴾ أي: طرقًا تمشون فيها.

﴿مَاءٌ يَقْدَرُ﴾ أي: بمقدار ووزن معلوم.

وقيل: معناه: بقضاء.

﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ تمثيلٌ للخروج من القبور؛ بخروج النبات من الأرض.

﴿الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ يعني: أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك.

﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ الضمير يعود على ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾.

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الذكر: بالقلب، أو باللسان.

ويحتمل أن يريد:

النعمة في تسخير هذا المركوب.

أو النعمة على الإطلاق.

وكان بعض السلف إذا ركب قال: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ثم

يقول: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾.

﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أي: مُطِيقِينَ وغالِبِينَ.

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ اعترافٌ بالحشر.

فإن قيل: ما مناسبة هذا للركوب؟

فالجواب : أن راكب السفينة أو الدابة متعرّضٌ للهلاك بما يخاف من غرق السفينة ، أو سقوطه عن الدابة ، فأمر بذكر الحشر ؛ ليكون مستعدًّا للموت الذي قد تعرّض له .

وقيل : يذكر عند الركوب ركوبَ الجِنازة .



[وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ أَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مِنْ يُلْقُوا فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكُنُّنَّ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَالَيْتُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولُواْ حِشْرِكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾].

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُوا﴾ لكفار العرب، وفي ﴿لَهُ﴾ لله تعالى.

وهذا الكلام متصل بقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمُ﴾ الآية.

والمعنى: أنهم جعلوا الملائكة بناتٍ الله، فكأنهم جعلوا جزءًا من عباده نصيبًا له وحظًا دون سائر عباده.

وقال الزمخشري: معناه: أنهم جعلوا الملائكة جزءًا منه وبعضًا منه، كما يكون الولد بضعةً من والده وجزءًا منه^(١).

وقال بعض اللغويين: الجزء في اللغة: الإناث، واستشهد على ذلك بيت شعر.

قال الزمخشري: وذلك كذبٌ على العرب، والبيت موضوع^(١).
﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ ﴿أَمْ﴾ للإنكار والردُّ على الذين قالوا: إن
الملائكة بنات الله.

ومعنى ﴿وَأَصْفَنَكُمْ﴾: خصَّكم؛ أي: كيف يتخذ لنفسه البنات وهنَّ^(٢)
أدنى، وأصفاكم بالبنين وهم أعلى.
﴿وَلِإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي: إذا بُشِّرَ بالأنثى.
وقد ذكر المعنى في «النحل»^(٣).

والمراد: أنهم يكرهون البنات؛ فيكف ينسبونها إلى الله؟ تعالى الله عن
قولهم.

﴿أَوَمَنْ يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ المراد بـ ﴿مَنْ يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ﴾: النساء.
والحلية: هي الحليُّ من الذهب والفضة، وشبه ذلك.
ومعنى يُنَشِّئُ فيها: يكبر وينبت في استعمالها.
وقرئ ﴿يُنَشِّئُونَ﴾ بضم الياء وتشديد الشين: بمعنى يُربِّي فيها.

والمقصد: الردُّ على الذين قالوا: الملائكة بنات الله، كأنه قال: أ جعلتم
لله من يُنشئ في الحلية؟، وتلك صفة النقص، ثم أتبعها بصفة نقص أخرى،

(١) الكشاف (١٤/١١٠).

(٢) في ب، ج: «وهذا».

(٣) انظر (٢/٧٥٥).

وهي قوله: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ يعني: أن الأنثى إذا خاصمت أو^(١) تكلمت لم تقدر أن تُبين حجتها؛ لنقص عقلها، وقلما تجد امرأة إلا تُفسد الكلام وتخلط المعاني، فكيف يُنسب لله من يتصف بهذه النقائص؟

وإعراب ﴿مَنْ يَنْشَأُ﴾:

مفعولٌ بفعل مضمر تقديره: أ جعلتم لله من يَنشَأُ.

أو مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: أَوْ مَنْ يَنْشَأُ في الحلية خصصتم به الله.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُوا﴾ لكفار

العرب، فحكى عنهم ثلاثة أقوال شنيعة:

أحدها: أنهم نسبوا إلى الله الولد.

والآخر: أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين.

والثالث: أنهم جعلوا الملائكة المكرميين إناثًا.

وقرئ ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾ بالنون، والمراد به: قرب الملائكة وتشريفهم

كقوله: ﴿الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقرئ ﴿عِبَادٌ﴾ بالباء جمع عبد، والمراد به أيضًا: الاختصاص والتشريف.

﴿أَوْ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ هذا ردٌّ على العرب في قولهم: إن الملائكة إناثٌ.

والمعنى: أنهم لم يشهدوا خلق الملائكة، فكيف يقولون ما ليس لهم به

علم؟

(١) في أ، د، هـ: «و».

﴿سَتَكُنُّبُ شَهِدَتْهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ أي: تكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة، ويسألون عنها يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾: للكفار.

وفي ﴿عَبَدْنَاهُمْ﴾: للملائكة.

وقال ابن عطية: للأصنام^(١).

والأول أظهر وأشهر.

والمعنى: احتجاجُ احتجَّ به الذين عبدوا الملائكة، وذلك أنهم قالوا: لو أراد الله أن لا نعبدهم ما عبدناهم، فكونه يمهلنا وينعم علينا دليلٌ على أنه يرضى عبادتنا لهم، ثم ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني: أن قولهم بغير دليل وحجة، وإنما هو تخرُّصٌ منهم.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل القرآن.

وهذا أيضًا ردٌّ عليهم؛ لكونهم ليس لهم كتاب يستمسكون^(٢) به.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ أي: على دين وطريقة.

والمعنى: أنهم ليس لهم حجة، وإنما هم يقلدون آباءهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ الآية؛ معناها: كما اتبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجة؛ كذلك اتبع كل من قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة، بل بمجرد التقليد المذموم.

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٥٤٠).

(٢) في ب، د: «يتمسكون».

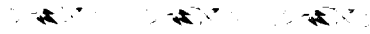
﴿قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءُكُمْ﴾ هذا ردُّ على الذين اتبعوا آباءهم .

والمعنى : أتبعونهم ولو حجتكم بدين أهدى ^(١) من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم .

وقرئ : ﴿قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ﴾ ، والفاعل ضمير يعود على النذير المتقدم .
وأما قراءة ﴿قُلْ﴾ بالأمر فهو خطابٌ لمحمد ﷺ ، أمره الله أن يقول ذلك لقريش .

وقيل : هو للنذير المتقدم ، أمره الله أن يقول ذلك لقومه .

والأول أظهر ، وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضاً بين قصة المتقدمين فإن قوله : ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ حكاية عن الكفار المتقدمين ، وكذلك قوله : ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ يعني : من المتقدمين .



(١) في ب، ج : «بأهدى» .

[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٨﴾ بَلْ مَنَعْتُ هَؤُلَاءَ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٣٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٤٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٤٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٥﴾].

﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾ أي: بريء، وبراء في الأصل: مصدر، ثم استعمل صفة، ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة، كَعَدْلٍ وشبهه.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يحتمل:

أن يكون استثناء منقطعاً، وذلك إن كانوا لا يعبدون الله.

أو يكون متصلاً، إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، وإعراجه على هذا:

بدلٌ من ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، فهو في موضع خفض.

أو منصوب على الاستثناء، فهو في موضع نصب.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ قال هنا: ﴿سَيَهْدِينِ﴾، وقال مرة أخرى: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾

[الشعراء: ٧٨] ليدل على أن الهداية في الحال والاستقبال.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ ضمير الفاعل في ﴿جَعَلَهَا﴾ يعود على إبراهيم عليه السلام .

وقيل : على الله تعالى .

والأول أظهر .

والضمير المؤنث المفعول يعود : على الكلمة التي قالها ، وهي : ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ، ومعناها : التوحيد ولذلك قيل : يعود على الإسلام لقوله : ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج : ٧٨] .

وقيل : يعود على «لا إله إلا الله» .

والمعنى متقارب ، أي : جعل إبراهيم تلك الكلمة باقية في ذريته ؛ لعل من أشرك منهم يرجع إلى التوحيد .

والعقبُ : هو الولد وولد الولد ما تناسلوا أبداً .

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ﴾ الإشارة بـ ﴿هَؤُلَاءَ﴾ إلى قريش .

وهذا الكلام متصل بما قبله ؛ لأن قريشاً من عقب إبراهيم عليه السلام .

فالمعنى : لكن هؤلاء ليسوا ممن بقيت الكلمة فيهم ، بل مَتَّعْتُهُمْ بالنعم والعافية ، فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ، وهو محمد ﷺ .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الضمير في ﴿وَقَالُوا﴾

لقريش .

والقريتان : مكة والطائف .

﴿مِنَ الْقَرِيبَيْنِ﴾ معناها : من إحدى القريتين ، كقوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] ؛ أي : من أحدهما .

وقيل : معناه : على رجلٍ من رجلين من القريتين :

فالرجل الذي من مكة : الوليد بن المغيرة ، وقيل : عتبة بن ربيعة .

والرجل الذي من الطائف : عروة بن مسعود ، وقيل : حبيب بن عمير^(١) .

ومعنى الآية : أن قريشاً استبعدوا نزول القرآن على محمد ﷺ ، واقتربوا أن ينزل على أحد هؤلاء ، ووصفوه بالعظمة يعنون الرئاسة في قومه وكثرة ماله ، فردّ الله عليهم بقوله : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني : أن الله يخصّ بالنبوة من شاء من عباده ؛ على ما تقتضيه حكمته وإرادته ، وليس ذلك بتدبير المخلوقين ، ولا بإرادتهم ، ثم أوضح ذلك بقوله : ﴿لَنَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي : كما قسّمنا المعاش في الدنيا كذلك قسّمنا المواهب الدينية ، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية الحقيرة ، فأولى وأحرى أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية .

﴿لَيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ هو من التسخير في الخدمة ؛ أي : رفعنا بعضهم فوق بعض ليعلم بعضهم بعضاً .

﴿وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ هذا تحقيرٌ للعالم .

والمراد بـ ﴿رَحِمَتْ رَبِّكَ﴾ هنا : النبوة .

(١) في د : «حبيب بن عمر» ، والذي في تفسير الطبري (٢٠/٥٨٠) : «حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي» .

وقيل : الجنة .

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ الآية ؛ تحقيرُ أيضًا للدنيا .

ومعناها : لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار سُقُفًا من فضة ، وذلك لِهَوَانِ الدنيا على الله ، كما قال رسول الله ﷺ : « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ^(١) ماء » ^(٢) .

﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ المعارج : الأدراج والسلالم ^(٣) .

ومعنى ﴿يَظْهَرُونَ﴾ : يرتفعون ، ومنه : ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾

[الكهف : ٩٧] .

والسُرر : جمع سرير .

والزخرف : الذهب .

وقيل : أثاث البيت من الستور والنمازق ، وشبه ذلك .

وقيل : هو التزييق والنقش وشبه ذلك من التزيين ؛ كقوله : ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ [يونس : ٢٤] .



(١) في ج : «جرعة» .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠) ، وابن ماجه (٤١١٠) .

(٣) ف أ ، د ، هـ : «والسلالم» .

[وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَصَادُونَ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَاِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الْآلِىَ وَعَذَتُهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾].

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ ﴿يَعِشْ﴾ من قولك : عَشَى الرجل : إذا أظلم بصره ، والمراد به هنا : ظلمة القلب والبصيرة .

وقال الزمخشري : يَعِشَى بفتح الشين : إذا حصلت الآفة في عينه ، ويعشُو بضم الشين : إذا نظر نظرة الأعشى ، وليس به آفة ^(١) ، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك : عَمِيَ وتعامى .

فمعنى القراءة بالضم : يتجاهل ويجحد معرفته بالحق .

والأظهر أن ذلك عبارة عن الغفلة وإهمال النظر .

و﴿ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ : قال الزمخشري : يريد به القرآن ^(٢) .

وقال ابن عطية : يريد به : ما ذكّر الله به عباده من المواعظ ، فالمصدر

(١) الكشف (١٤/١٣٩) .

(٢) الكشف (١٤/١٤٠) .

مضاف إلى الفاعل^(١).

ويحتمل عندي: أن يريد ذكّر العبد لله.

ومعنى الآية: أن من غفل عن ذكر الله يسّر الله له شيطاناً يكون له قريناً، فتلك عقوبة على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان، كما أن من دام على الذكر^(٢) تباعد عنه الشيطان.

﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ للشيطان^(٣)، وضمير المفعول في ﴿يَصُدُّوهُمْ﴾ لـ ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾، وجمع الضميرين لأن المراد جمع.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أُنَا﴾ قرئ ﴿جَاءَ أُنَا﴾ بضمير الاثنين، وهما: من يعشو وشيطانه.

وقرئ بغير ألف على أنه ضمير واحد، وهو من يعشو.

والضمير في ﴿قَالَ﴾: لمن يعشو، وقيل: للشيطان.

﴿بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه يعني: المشرق والمغرب، وغلب أحدهما في الثنية، كما قيل: القمران.

(١) المحرر الوجيز (٧/٥٤٧).

(٢) في د: «كما أن من تمارى على الذكر ودام عليه».

(٣) في ب، ج، د، هـ: «للشياطين».

والآخر: أنه يعني: المشرقين والمغربين، وحذف «المغربين»؛ لدلالة ﴿الْمَشْرِقَيْنِ﴾ عليه.

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُرَ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ هذا كلام يقال للكفار في الآخرة، ومعناه: أنه لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب، ولا يجدون راحة التأسّي التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه.

والفاعل بـ ﴿يَنْفَعُكُمْ﴾: قوله: ﴿أَنْكُرَ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾، و﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾: تعليلٌ معناه: بسبب ظلمكم.

وقيل: الفاعل مضمر، وهو التبرؤ^(١) الذي يقتضيه قوله: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ و﴿أَنْكُرَ﴾ على هذا تعليل.

والأول أرجح.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ الآية؛ خطابٌ للنبي ﷺ.

والمراد بالصُّم والعُمي: الكفار؛ إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام. ﴿فَأِمَّا نَذْهَبَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿إِمَّا﴾ مركبة من «إن» الشرطية و«ما» الزائدة.

ومقصد الآية: وعيدٌ للكفار.

والمعنى: إن عجلنا وفاتك قبل الانتقام منهم فإننا سننتقم منهم بعد وفاتك، وإن أخرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإننا عليهم مقتدرون.

(١) في ب، د: «التبري».

وهذا الانتقام يحتمل :

أن يريد به قتلهم يوم بدر ، وفتح مكة وشبه ذلك من الانتقام^(١) في الدنيا .
أو يريد به عذاب الآخرة .

وقيل : إن الضمير في ﴿ مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ للمسلمين ، وأن معنى ذلك : أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد ، وأنه أكرم نبيه ﷺ بأن توفاه قبل أن يرى الانتقام من أمته .

والأول أظهر وأشهر .

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوِيكَ ﴾ الضمير في ﴿ إِنَّهُ ﴾ : للقرآن أو للإسلام .

والذكر هنا : بمعنى الشرف ، وقوم النبي ﷺ : هم قريش ثم سائر العرب ؛ فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة ، ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها ، وصارت فيهم الخلافة والملك ، وورد عن ابن عباس : أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله ﷺ أن الأمر بعده لقريش .

ويحتمل أن يريد بالذكر : التذكير والموعظة ، فقومه على هذا : أمته كلهم وكل من بُعث إليهم .

﴿ وَسَوْفَ يُسْأَلُونَ ﴾ أي : تسألون عن العمل بالقرآن ، وعن شكر الله عليه .

﴿ وَسُئِلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ إن قيل : كيف أمر النبي ﷺ أن يسأل الرسل المتقدمين وهو لم يدركهم ؟

(١) في أ، هـ : « بالانتقام » .

فالجواب أن فيه ثلاثة أقوال :

الأول : أنه رآهم ليلة الإسراء .

الثاني : أن المعنى : اسأل أمة من أرسلنا قبلك .

والثالث : أنه لم يُردَّ سؤالهم حقيقةً ، وإنما المعنى : أن شرائعهم متفقةٌ على توحيد الله ، بحيث لو سئلوا : هل مع الله آلهة يعبدون؟ ؛ لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد .



[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَصْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورِ آلِيْسَ لِي مَلِكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقَرَّرِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أُنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾].

﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ الآيات هنا : المعجزات ؛ كقلب العصا حية ، وإخراج اليد بيضاء .

وقيل : البراهين والحجج العقلية .

والأول أظهر .

ومعنى ﴿أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ : أنها في غاية الكبر والظهور ، ولم يُرد تفضيلها على غيرها من آياته ، إنما المعنى : أنها إذا نُظِرَتْ وُجِدَتْ كبيرة ، وإذا نُظِرَ غيرها وُجِدَتْ كبيرة ، فهو كقول الشاعر :

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقْلًا : لَا قَيْثُ سَيِّدِهِمْ ^(١)

(١) هذا صدر بين للعرندس أحد بني أبي بكر بن كلاب ، أورده أبو تمام في حماسته (ص ٤١٥) ، وتمام البيت : «مثل النجوم التي يسري بها الساري» .

هكذا قال الزمخشري^(١).

وَيَحْتَمِلُ عِنْدِي أَنْ يَرِيدَ: مَا نَرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِمَّا تَقَدَّمَهَا،
فَالْمُرَادُ: أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا الْمَتَقَدِّمَةِ عَلَيْهَا.

﴿وَقَالُوا يَتَّيِّبُهُ السَّاحِرُ أَذْغُ لَنَا رَبِّكَ﴾ ظاهر كلامهم هذا التناقض؛ فإن
قولهم: ﴿يَتَّيِّبُهُ السَّاحِرُ﴾ يقتضي تكذيبهم له، وقولهم: ﴿أَذْغُ لَنَا رَبِّكَ﴾
يقتضي تصديقه؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن القائلين لذلك كانوا مكذِّبين، وقولهم: ﴿أَذْغُ لَنَا رَبِّكَ﴾
يريدون على قولك وبزعمك، وقولهم: ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ وَعَدُّنَاوَا إِخْلَافَهُ.
والآخر: أنهم كانوا مصدِّقين، وقولهم: ﴿يَتَّيِّبُهُ السَّاحِرُ﴾:

إما أن يكون عندهم غير مذموم؛ لأن السحر كان عِلْمَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ،
وَكَانَهُمْ قَالُوا: يَا أَيُّهَا الْعَالَمُ.

وإما أن يكون ذلك اسْمًا قَدْ أَلْفُوا تَسْمِيَةَ مُوسَى بِهِ مِنْ أَوَّلِ مَا جَاءَهُمْ،
فَنَطَقُوا بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ مَعْنَاهُ.

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ يحتمل: أن ناداهم بنفسه، أو أمر منادياً ينادي
فيهم.

﴿قَالَ يَبْقَوْمِ آلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ قصْدُ بَذْلِكَ الْإِفْتِخَارِ عَلَى مُوسَى.

﴿مَصْرَ﴾ هي البلد المعروف وما يرجع إليه، ومنتهى ذلك: من نهر إسكندرية إلى أسوان بطول النيل.

﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ﴾ يعني: الخُلجان الكبار الخارجة من النيل، كانت تجري تحت قصوره، وأعظمها أربعة أنهار: نهر الإسكندرية، وتينس، وديمياط، ونهر طولون.

﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ (٣١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴿مذهب سيبويه: أن ﴿أَمْ﴾ هنا متصلة معادلة، والمعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون؟، ثم وضع قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ موضع «تبصرون»؛ لأنهم إذا قالوا له: «أنت خير» فهم عنده بُصراء، وهذا من وضع السبب موضع المسبب.

وقيل: الأصل أن يقول: «أفلا تبصرون أم تبصرون»، ثم اقتصر على «أَمْ»، وحذف الفعل الذي بعدها، واستأنف قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ على وجه الإخبار، ويوقف على هذا القول على ﴿أَمْ﴾، وهذا ضعيف.

وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى: «بل»، فهي منقطعة.

﴿مَهِينٌ﴾ أي ضعيف حقير، قاله الزمخشري^(١) وغيره.

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ إشارة إلى ما بقي في لسان موسى من أثر الجمرة، وذلك أنها كانت قد أحدثت في لسانه عقدة، فلما دعا أن تُحَلَّ أجيبته دعوته وبقي منها أثرٌ كان معه لَكَنٌ.

وقيل: يعني: العي في الكلام.

وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يقتضي أنه كان يُبين؛ لأن «كاد» إذا نُفِيت تقتضي الإثبات.

﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ يريد: لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوته؟

والأساور: جمع سوار وإسوار، وهو ما يُجعل في الذراع من الحلي، وكان الرجال حينئذ يجعلونه.

﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ أي: مقترنين به لا يفارقونه.

أو متقارنين^(١) بعضهم مع بعض؛ ليشهدوا له، ويقوموا بحجته.

﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ﴾ أي: طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم.

﴿ءَاسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ السلف بفتح السين واللام: جمع سالف.

وقرئ بضمهما: جمع سليف، ومعناه: متقدم؛ أي: تقدّم قبل الكفار؛ ليكون موعظة لهم، ومثلاً يعتبرون به؛ لئلا يصيبهم مثل ذلك.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «متقارنون».

[﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (٥٧) وَقَالُوا ءِإِلَهُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ (٦٥) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُمْ لَكُومٌ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٢) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (٦٣) إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ (٦٥) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦٦) الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧)].

﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ روي عن ابن عباس وغيره في تفسيره هذه الآية : أنه لما نزل في القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه ، قالت قريش : ما يريد محمد إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى ؛ فهذا كان صدودهم من ضربِه مثلاً ، حكى ذلك ابن عطية^(١).

والذي ضَرَبَ المثل على هذا : هو الله في القرآن .

و﴿يَصِدُّونَ﴾ بمعنى : يُعرضون .

وقال الزمخشري : لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء : ٩٨] امتعضوا من ذلك ، فقال عبد الله بن الزبَعْرَى : أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم ؟ فقال ﷺ : «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم» ، فقال : خصمتك ورب الكعبة ! ، أأنت

تزعّم أن عيسى بن مريم نبيّ وتثنى عليه خيراً، وقد علمت أن النصارى عبدوه؟، فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، ففرحت قريش بذلك وضحكوا، وسكت النبي ﷺ، فأُنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ونزلت هذه الآية^(١)، فالمعنى على هذا: لما ضرب ابن الزبّعى عيسى مثلاً، وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إيّاه، إذا قريش من هذا المثل يصدّون أي: يَضِجُون^(٢) ويصيحون من الفرح^(٣).

وهذا المعنى إنما يجري على قراءة ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد؛ بمعنى الضّجيج والصّياح.

﴿وَقَالُوا ءَالِهَتَنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعنون بـ ﴿هُوَ﴾ عيسى، والمعنى: أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى؟، فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه؛ لأنه خير من آلهتنا.

وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكر الزمخشري في تفسير الآية التي قبله.

وأما على ما ذكر ابن عطية: فهذا^(٤) ابتداء معنى^(٥) آخر.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤١٧/١٦).

(٢) في ب، ج: «يضحكون».

(٣) الكشف (١٦٠/١٤).

(٤) في د، هـ: «فهو».

(٥) في د: «خبر».

وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولاً آخر: وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا: نحن أهدي من النصارى؛ لأنهم عبدوا آدمياً ونحن عبدنا الملائكة، وقالوا: ﴿ءَالِهَتُنَا﴾ وهم الملائكة ﴿خَيْرُ أَمْرٍ﴾ عيسى؟^(١)، فقصدُهم: تفضيل آلهتهم على عيسى.

وقيل: إن قولهم ﴿أَمْرٌ هُوَ﴾ يعنون به: محمداً ﷺ، فإنهم لما قالوا: إنما يريد محمد أن نعبد كما عبدت النصارى عيسى قالوا: ﴿ءَالِهَتُنَا خَيْرُ أَمْرٍ هُوَ﴾؟ يريدون تفضيل آلهتهم على محمد.

والأظهر: أن المراد بـ ﴿هُوَ﴾: عيسى، وهو قول الجمهور، ويدل على ذلك تقدُّم ذكره.

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما ضربوا لك هذا المثل إلا على وجه الجدل، وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب مَنْ يناظره، سواءً غلبه بحقٍّ أو بباطل، فإن ابن الزُّبَيْرِ وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، ولكنهم أرادوا المغالطة، فوصفهم الله بأنهم ﴿قَوْمٌ حَصِصُونَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ يعني: عيسى، والإنعامُ عليه: بالنبوة والمعجزات، وغير ذلك.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾^(١٦) في معناها قولان: أحدهما: لو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يسكنون الأرض، ويخلفون

(١) الكشف (١٤/١٦٤).

فيها بني آدم، فقلوه ﴿مِنْكُمْ﴾ يتعلّق: بـ «بدلاً» المحذوف، أو بـ ﴿يَخْلُقُونَ﴾ .
والآخر: لو نشاء لجعلنا منكم ؛ أي: لَوْلَدْنَا مِنْكُمْ أَوْلَادًا مَلَائِكَةً
يَخْلُقُونَكُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا يَخْلُقُكُمْ أَوْلَادُكُمْ ؛ فإنّا قادرون على أن نخلق
من أولاد الناس ملائكةً، فلا تنكروا أنْ خَلَقْنَا عِيسَى مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ . حكى
ذلك الزمخشري ^(١) .

﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ الضمير: لعيسى .

وقيل: لمحمد ﷺ .

وقيل: للقرآن .

فأما على القول بأنه لعيسى أو لمحمد: فالمعنى: أنه شرّط من أشرط
الساعة، يوجب العلمَ بها، فسَمَّى الشَّرْطَ عِلْمًا ؛ لحصول العلم به،
ولذلك قرئ ﴿لَعَلَّمَ﴾ بفتح العين واللام ؛ أي: علامة .

وأما على القول بأنه للقرآن: فالمعنى: أنه يُعَلِّمُكم بالساعة .

﴿وَلَا يَبَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ﴾ إنما بيّن البعض دون الكل ؛ لأن
الأنبياء إنما يبيّنون أمور الدين لا أمور الدنيا .

وقيل: ﴿بَعْضَ﴾ بمعنى: «كلّ»، وهو ضعيف .

﴿فَاخْلَفَ الْأَخْرَابَ﴾ ذكر في «مريم» ^(٢) .

(١) الكشاف (١٤/١٦٨) .

(٢) انظر (٣/٧٢) .

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أي: ينتظرون، والضمير: لقريش، أو للأحزاب.

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ﴿الْأَخِلَاءُ﴾: جمع خليل وهو الصديق، وإنما يعادي الخليل خليله يوم القيامة؛ لأن الضرر دخل عليه من صحبته، ولذلك استثنى المتقين؛ لأن النفع دخل على بعضهم من بعض.

[يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٨٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْإِنْسُ وَتِلْكَ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٣﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِمٍّ خَالِدُونَ ﴿٨٤﴾ لَا يُفَرِّجُهُمْ اللَّهُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَا ظَنَنْتُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ وَنَادَا يَمْلِكُ لِيَفْضَحْنَاهُ رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مِّنْكُمْ مَّنْ كُنْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٨٧﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٨٨﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٩﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٩٠﴾ مُّبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٩٢﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٩٣﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٩٤﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٩٦﴾ وَقِيلَ لَهُ بَرَبِّ إِنَّا هَتُولَاءُ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٧﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٨﴾].

﴿يَعْبَادِ﴾ الآية؛ تقديرها: يقول الله للمتقين يوم القيامة: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٧٨﴾.

﴿تُحْبَرُونَ﴾ أي: تُنعمون وتُسرون^(١).

﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي: يائسون من الخير.

(١) في ب: «وتبشرون».

﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ المعنى: أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من العذاب.

وروي أن مالكا يبقى بعد ذلك ألف سنة، وحينئذ يقول لهم: ﴿إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ أي: دائمون في النار.

﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ﴾ الآية؛ من كلام الله تعالى لأهل النار.

أو من كلام الله لقريش في الدنيا.

﴿أَمْ أَمْرًا أَمَرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ (٧٩) الضمير لكفار قريش، والمعنى: أم أحكموا كيذا للنبي ﷺ؛ فإننا مُحْكَمُونَ نصره وحمايته.

﴿أَمْ يَحْسِبُونَ﴾ الآية؛ روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث، اجتماعا وقال الأخنس: أترى الله يسمع سررنا؟ فقال الآخر: يسمع نجوانا ولا يسمع سررنا.

﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ السر: ما حدث الإنسان به نفسه أو غيره في خفية، والنجوى: ما تكلموا به فيما بينهم.

﴿بَلَى﴾ أي: نسمع، ورسلنا مع ذلك تكتب ما يقولون.

والرسل هنا: الملائكة الحافظون للأعمال.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ﴾ (٨١) في تأويل الآية أربعة أقوال:

الأول: أنها احتجاج ورد على الكفار، على تقدير قولهم، ومعناها: لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفار لكنت أنا أول من يعبد ذلك الولد؛

كما يعظّم خَديم^(١) المَلِك ولَدَ المَلِك لتعظيم أبيه ، ولكن ليس للرحمن ولد؛
فلست بعباد إلا الله وحده .

وهذا نوع من الأدلة يسمى دليل التلازم؛ لأنه علّق عبادة الولد بوجوده،
ووجوده محالٌ؛ فعبادته محال .

ونظير هذا : أن يقول المالكي إذا قصد الردّ على الحنفي في تحليل النبيذ :
إن كان النبيذ غير مسكر فهو حلال ، لكنه مسكر ؛ فهو حرام .

القول الثاني : أن المعنى : إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله
ووَحدَه وكذبكم في قولكم : إن له ولداً .

﴿الْعَبِيدِ﴾ على هذين القولين : بمعنى العبادة .

القول الثالث : أن العابدين بمعنى المنكرين ، يقال عَبَدَ الرجلُ : إذا
أنف^(٢) وأنكر الشيء ، والمعنى : إن زعمتم أن للرحمن ولداً فأنا أول
المنكرين لذلك .

﴿إِنْ﴾ على هذه الأقوال الثلاثة : شرطية .

القول الرابع : قال قتادة وابن زيد : ﴿إِنْ﴾ هنا نافيةٌ ، بمعنى : «ما كان
للرحمن ولدٌ» ، وتمّ الكلام ، ثم ابتداءً قوله : ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ .

والأول هو الصحيح ؛ لأنه طريقة معروفة في البراهين والأدلة ، وهو الذي
عوّل عليه الزمخشري^(٣) .

(١) في د : «خدام» .

(٢) في د : «نفر» .

(٣) الكشف (١٤/١٧٩-١٨١) .

وقال الطبري: هو ملاطفة في الخطاب، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا: ٢٤] (١).

وقال ابن عطية: منه قوله تعالى في مخاطبة الكفار: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِكَ﴾ (٢)، يعني: شركائي على قولكم.

﴿فَذَرَهُمْ﴾ الآية؛ موادعة منسوخة بالسيف.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ أي: هو إله أهل الأرض وأهل السماء.

والمجرور يتعلق بـ ﴿إِلَهٌُ﴾؛ لأن فيه معنى الوصفية.

﴿وَعِنْدُهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: علم زمان وقوعها.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ﴾ أي: لا يملك كل من عبد من دون الله أن يشفع عند الله؛ لأن الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه؛ فهو المالك للشفاعة وحده.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ اختلف هل يعني: بـ ﴿مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ الشافع أو المشفوع فيه؟

[أ-] فإن أراد المشفوع فيه: فالاستثناء منقطع، والمعنى: لا يملك المعبودون شفاعة؛ لكن من شهد بالحق وهو عالم به فهو الذي يُشَفَّع فيه، ويَحْتَمِل على هذا أن يكون ﴿مَن شَهِدَ﴾ مفعولاً بـ ﴿الشَّفَعَةَ﴾ على

(١) تفسير الطبري (٢٠/٦٥٧).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٥٦٤).

إسقاط حرف الجر، تقديره: الشفاعة فيمن شهد بالحق.

[ب-] وإن أراد بـ ﴿مَنْ شَهِدَ﴾ الشافع: فيحتمل أن يكون الاستثناء: منقطعاً.

وأن يكون متصلًا؛ لأن فيمن عُبد: عيسى والملائكة. والمعنى على هذا: لا يملك المعبودون شفاعة إلا مَنْ شهد منهم بالحق. ﴿وَقِيلَهُ يَرْبِ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ القيل: مصدر كالقول، والضمير يعود على النبي ﷺ.

وقرئ: ﴿وَقِيلَهُ﴾ بالنصب والخفض، وقرئ في غير السبع بالرفع. [أ-] فأما النصب:

ف قيل: هو معطوف على ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾. وقيل: معطوف على موضع ﴿السَّاعَةِ﴾؛ لأنها مفعول أضيف إلى المصدر^(١).

وقيل: معطوف على مفعول ﴿يَكْتُبُونَ﴾، وهو محذوف، تقديره: يكتبون أقوالهم وقيله.

[ب-] وأما الخفض:

ف قيل: إنه معطوف على لفظ ﴿السَّاعَةِ﴾. ويحتمل أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾.

(١) فيكون التقدير: عنده علم الساعة وعلم قيله. الكشاف (١٨٦/١٤).

[ج-] وأما الرفع : فقليل : إنه مبتدأ ، وخبره ما بعده .

وضَعَفَ الزمخشري ذلك كله ، وقال : إنه من باب القسم :

فالنصب والخفض : على إضمار حرف القسم كقولك : «اللَّهُ لَأُضْرِبَنَّ زَيْدًا»^(١) .

والرفع : كقولهم : «أَيْمُنُ اللَّهُ» و«لَعَمْرُكَ» .

وجواب القسم : قوله : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، كأنه قال : أَقْسِمُ بِقَبِيلِهِ
إِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ .

﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ منسوخٌ بالسيف .

﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ تقديره : أمري سلام ؛ أي : مسالمة .

وقيل : «سلامٌ عليكم» على جهة المودعة .

وهو منسوخٌ على الوجهين .

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديدٌ .

(١) عبارة الكشاف (١٤/١٨٦) : «الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه» ، وقال
البيضاوي في تفسيره (٣/٢٥٨) : «منصوبٌ بحذف الجار ، أو مجرورٌ بإضماره» فعبارة
البيضاوي فيها توضيح لعبارة الزمخشري ، فقوله : «اللَّهُ لَأُضْرِبَنَّ زَيْدًا» مجرورٌ بحرف
جرٍّ مضمَر (مقدَّر) ، وقوله : «اللَّهُ لَأُضْرِبَنَّ زَيْدًا» منصوبٌ على حذف حرف الجر ، حُذِفَ
الجارُ فانتصب المجرور ، فيتبين بهذا أن عبارة ابن جزيٍّ فيها شيء من الاختزال .

﴿ سورة الدخان ﴾

[﴿حَم ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣﴾
 فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٥﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٧﴾ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ٩﴾
 فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ١٠﴾ يَغْشى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١﴾ رَبَّنَا
 اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا
 عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ
 الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ١٦﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ
 ١٧﴾ أَنْ أَدْوَأْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ
 مُبِينٍ ١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ
 هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ٢٢﴾ فَأَسْرَعَ بَعَادَى لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ٢٣﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ
 جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ ٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا
 فِيهَا فَكَاهِينَ ٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْزَيْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا
 كَانُوا مُنظَرِينَ ٢٩﴾].

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ ذكر في «الزخرف» (١).

وهو قَسَمٌ جوابه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ .

وقيل: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ ، وهو بعيد.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ يعني: ليلة القدر من رمضان.

وكيفية إنزاله فيها: أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ شيئاً بعد شيء.

وقيل: معناه أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر.

وقيل: يعني بالليلة المباركة: ليلة النصف من شعبان وذلك باطل؛ لقوله:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] مع قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [١] معنى ﴿يُفْرَقُ﴾: يُفَصَّلُ وَيُخَلَّصُ.

والأمر الحكيم: أرزاق العباد وآجالهم، وجميع أمورهم في ذلك العام، تُنسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر؛ ليمثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة.

وقد قيل: إن هذا يكون ليلة النصف من شعبان، وهو باطل؛ لما قدمنا.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ مفعول بفعل مضمر على الاختصاص، قاله الزمخشري^(١).

وقال ابن عطية: نصب على المصدر^(٢).

(١) الكشف (١٤/١٩٤).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٥٧٠).

وقيل : على الحال .

﴿مُرْسِلِينَ﴾ من إرسال الرسل ﷺ .

وقيل : من إرسال الرحمة .

والأول أظهر .

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٦) فيه قولان :

أحدهما : قول علي بن أبي طالب وابن عباس : أن الدخان يكون قبل يوم القيامة ، يصيب المؤمن منه مثل الزكام ، ويُنْضِجُ رؤوس الكافرين والمنافقين ، وهو من أشراط الساعة ، وَرَوَى حذيفة أن رسول الله ﷺ قال : «إن أول آيات (١) الساعة الدخان» (٢) .

والثاني : قول ابن مسعود : إن الدخان عبارة عما أصاب قريشاً حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بالجذب ، فكان الرجل يرى دخاناً بينه وبين السماء من شدة الجوع ، قال ابن مسعود : خمسٌ قد مَضَيْنَ : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والرُّوم (٣) .

﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يكون :

من قول الله تعالى .

أو من قول الناس لما أصابهم الدخان ، وهذا أظهر ؛ لأن ما بعده من

(١) في أ ، هـ : «أشراط» .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/٢١) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٢٥) ، ومسلم (٢٧٩٨) .

كلامهم باتفاق فيكون الكلام متناسقًا .

﴿أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ هذا من كلام الله تعالى ، ومعناه : استبعاد تذکر الكفار مع تكذيبهم للنبي ﷺ .

والواو في قوله : ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ واو الحال .

﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ يعني : محمدًا ﷺ .

﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ أي : يُعَلِّمُهُ بشر .

﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ ابن عباس : هي يوم القيامة .

ابن مسعود : هي يوم بدر .

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ فعلنا معهم فعل المختبر ؛ ليظهر منهم ما سبق في علمنا^(١) .

﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ يعني : موسى ﷺ .

﴿أَن أَدُؤَا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ﴾ ﴿أَنَّ﴾ هنا مفسرة نابت مناب القول ، و﴿أَدُؤَا﴾ فعل

أمر من الأداء ، و﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ مفعول به ، وهم بنو إسرائيل .

والمعنى : أرسلوا بني إسرائيل كما قال في «طه» : ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي

إِسْرَءِيلَ﴾ [طه : ٤٧] .

وقيل : ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ منادى ، والمعنى : أدؤا إليَّ الطاعة والإيمان يا عباد

الله .

والأول أظهر .

(١) سقط من أ ، ب ، ج ، هـ .

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا﴾ أي: لا تتكبروا.

﴿بِسُلْطَانٍ﴾ أي: حجة وبرهان.

﴿تَرْجُمُونَ﴾ اختلف هل معناه: الرجم بالحجارة أو السب؟، والأول أظهر.

﴿فَاعْزِلُونِ﴾ أي: اتركوني، وخلّوا سبيلي.

﴿فَاسْرِ بِعَادِي﴾ هذا أمرٌ من الله لموسى عليه السلام، والعباد هنا: بنو إسرائيل
أي: اخرج بهم بالليل.

﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ إخبارٌ أن فرعون وجنوده يتبعونهم.

﴿وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا﴾ أي: ساكنًا على هيئته.

وقيل: يابسًا.

وروي أن موسى لما جاوز^(١) البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق، كما
ضربه فانفلق، فقال الله له: اتركه كما هو؛ ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا.

وقيل: معنى ﴿رَهَوًّا﴾: سهلاً.

وقيل: منفرجًا.

﴿وَعُيُونٍ﴾ يحتمل أن يريد:

الخلجان الخارجة من النيل.

أو كانت ثمَّ عيون في ذلك الزمان.

(١) في د: «جاز».

وقيل : يعني : الذهب والفضة ، وهو بعيد .

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان :

المنابر .

والمساكن الحسان .

﴿وَنَعْمَةٍ﴾ من التَّعْمُ بِالْأَرْزَاقِ وغيرها .

﴿فَنَكِيهٍ﴾ أي : متنعمين .

وقيل : فرحين^(١) .

وقيل : أصحاب فاكهة .

﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع نصب ؛ أي : مثل ذلك الإخراج أخرجناهم .

أو في موضع رفع ؛ تقديره : الأمر كذلك .

﴿وَأَوْرَثْنَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ يعني : بني إسرائيل ، حكاه الزمخشري^(٢)

والماوردي^(٣) ، وضعفه ابن عطية ، قال : لأنه لم يُرَوْ في مشهور التواريخ أن

بني إسرائيل رجعوا إلى مصر في ذلك الزمان^(٤) .

وقد قال الحسن : إنهم رجعوا إليها .

(١) في أ ، ج : «فارحين» .

(٢) الكشف (٢١٢/١٤) .

(٣) النكت والعيون للماوردي (٢٥٢/٥) .

(٤) المحرر الوجيز (٥٧٧/٧) .

ويدلُّ على أن المراد بنو إسرائيل قوله في الشعراء: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾
[الشعراء: ٥٩].

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه عبارة عن تحقيرهم، وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيمه: «بكت عليه السماء والأرض» على وجه المجاز والمبالغة، فالمعنى: أن هؤلاء ليسوا كذلك؛ لأنهم أحقر من أن يُبالى بهم.

الثاني: قيل: إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته، ومن السماء موضع صعود عمله، فالمعنى: أن هؤلاء ليسوا كذلك؛ لأنهم كفارٌ ليس لهم عمل صالح.

الثالث: أن المعنى: ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض.

والأول أفصح، وهو منزعٌ معروفٌ في كلام العرب.

﴿كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ أي: مؤخَّرين.

[وَلَقَدْ بَعَثْنَا نَبِيَّ إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٥﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ وَءَايَيْنَاهُمْ مِنَ الْأَيَّاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٣٩﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَنذَرْنَا غَايِبًا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ ﴿٤٣﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٧﴾].

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ بدلٌ من ﴿الْعَذَابِ﴾.

﴿عَالِيًّا﴾ أي: متكبرًا.

﴿أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: كنّا عالمين بأنهم مستحقّون لذلك.

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: على أهل زمانهم.

﴿بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ أي: اختبارٌ.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ﴾ يعني: كفار قريش.

﴿فَأَنذَرْنَا غَايِبًا﴾ خاطبت قريش بذلك النبي ﷺ وأصحابه على وجه التعجيز.

وروي أنهم طلبوا أن يُحْيِيَ لهم قصي بن كلاب؛ ليسألوه عن الآخرة.

﴿أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ كان تبع ملكًا من حمير كان مؤمنًا وقومه كفارًا، فذمّ الله قومه ولم يذمه.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أدري أكان تبع نبياً أو غير نبى»^(١).
ومعنى الآية: أقریشُ أشدُّ وأقوى أم قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار؟
وقد أهلكنا قوم تبع وغيرهم لما كفروا؛ فكَذلك نُهلك هؤلاء، فمقصود
الكلام^(٢) تهديدٌ.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطفٌ على ﴿قَوْمُ تَبَعٍ﴾.

وقيل: هو مبتدأ، فيوقف قبله.

والأول أصح.

﴿لَعِينَ﴾ حالٌ منفية، ذكرت في «الأنبياء»^(٣).

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى﴾ المولى هنا: يعم الولي والقريب وغير ذلك من
الموالي.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ استثناء:

منقطع: إن أراد بقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصرون﴾ الكفار.

ومتصل: إن أراد بذلك جميع الناس.

❦ ❦ ❦

(١) لم اقف عليه بهذا اللفظ، وفي سنن أبي داود (٤٦٧٤) ورد هكذا: «ما أدري تبعٌ ألعينٌ
هو أم لا».

(٢) في د: «فمقصد الآية».

(٣) انظر (٣/١٣٥).

[إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ آمِينٍ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابِ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَتَرْنَهُ بِلِسَانِكَ لِغَلْهُمْ يَتَدَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾].

﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ أي: الفاجر، وهو من الإثم.

وقيل: يعني: أبا جهل، فالألف واللام للعهد.

والأظهر أنها للجنس؛ فتعمُّ أبا جهل وغيره.

﴿كَالْمُهْلِ﴾ هو دُرْدِيُّ الزيت.

وقيل: ما يذوب^(١) من الرصاص وغيره.

﴿فَاَعْتَلُوهُ﴾ أي: سوقوه بتعنيفٍ.

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ المصبوب في الحقيقة إنما

هو الحميم، وهو الماء الحار، ولكن جعل المصبوب هنا العذاب المضاف إلى الحميم مجازاً؛ لأن ذلك أبلغ وأشدُّ تهويلاً، وقد جاء الأصل في قوله:

﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

(١) في أ، هـ: «ما يُذاب».

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ٤٩ ﴿يقال للكافر هذا على وجه التوبيخ والتهكم به ؛ أي : كنت العزيز الكريم عند نفسك .

وروي أن أبا جهل قال : ما بين جبلَيْها أعزُّ مني ولا أكرم ، فنزلت الآية .
﴿تَمَتُّوْنَ﴾ تَفْتَعِلُونَ من المربة ، وهو الشك .

﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ قرئ :

بضم الميم ؛ أي : موضع إقامة .

وبفتحها ؛ أي : موضع قيام .

والمراد به : الجنة .

والأمين : من الأمن ؛ أي : مأمون فيه .

وقيل : من الأمانة ، وصف به المكان مجازاً .

﴿مِّنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس : الرقيق من الديباج ، والإستبرق : الغليظ

منه .

﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع رفع ؛ أي : الأمر كذلك .

أو في موضع نصب ؛ أي : مثل ذلك زوجناهم .

﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ أي : يدعون خُدَّامَهُمْ .

﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ استثناء منقطع ، والمعنى : لا يذوقون فيها الموت ،

لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك ، ولولا قوله : ﴿فِيهَا﴾ لكان

متصلاً ؛ لعموم لفظ الموت .

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى: بَعْدَ، وذلك ضعيف.

﴿يَسَّرْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن.

﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بِلُغَتِكَ، وهي لسان العرب.

﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ (٥٩) أي: ارتقب نصرنا لك؛ إنهم مرتقبون ضدَّ

ذلك، ففيه وعدُّ له ووعدٌ لهم.



﴿ سورة الجاثية ﴾

[﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤﴾ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ٦﴾ وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرَةً لِّعَذَابٍ أَلِيمٍ ٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هُزُوًّا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٩﴾ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠﴾ هَذَا هُدًى وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجَزٍ أَلِيمٌ ١١﴾].

﴿تَنْزِيلٌ﴾ ذكر في «الزمر» (١).

وما بعد ذلك تنبيه على الاعتبار بالموجودات ، وقد ذكر معناه في مواضع .

﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الأفاك : مبالغة من الإفك ، وهو الكذب ، والأثيم :

من الإثم .

وقيل : إنها نزلت في النضر بن الحارث .

ولفظها على العموم .

﴿يُضِرُّ﴾ أي: يدوم على حاله من الكفر.

وإنما عطفه بـ ﴿ثُمَّ﴾؛ لاستعظام الإصرار على الكفر؛ بعد سماع آيات الله، واستبعاد ذلك في العقل والطبع.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ أي: إذا بلغه شيء منها، ولم يُرد العلم الحقيقي.

﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ كقوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وقد ذُكر في «إبراهيم»^(١).

(١) انظر (٢/٦٩٨).

[اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَسْتَفْتُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٨﴾ قُلِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٩﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَنَّا مِنَ الْأَمْرِ مِمَّا اخْتَلَفُوا ۚ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤﴾ هَٰذَا بَصِيرَةُ النَّاسِ ۖ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٥﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَّجْيَهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾].

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: الشمس والقمر والملائكة وبنی آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك.

﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي: كلُّ نعمة فمن الله تعالى.

والمجرور:

في موضع الحال.

أو خبر ابتداء مضمرة.

وقرأ ابن عباس: «مِنَّة».

﴿قُلِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أمر الله المؤمنين أن

يتجاوزوا عن الكفار، وأن لا يؤاخذوهم إذا آذوهم، وكان ذلك في صدر الإسلام.

ف قيل : إنها منسوخة بالسيف .

وقيل : ليست بمنسوخة ؛ لأن احتمال الأذى مندوبٌ إليه على كل حال ، وأما القتال على الإسلام فليس من ذلك .

وروي : أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب ، شتمه رجل من الكفار فأراد عمر أن يبطش به .

و﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾ هي نِعْمُهُ ^(١) ، ف﴿يَرْجُونَ﴾ على أصله .

وقيل : ﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾ عبارةٌ عن عقابه ، فالرجاء بمعنى الخوف .

و﴿يَغْفِرُوا﴾ مجزومٌ في جواب شرط مقدّر ، دلّ عليه : ﴿قُلْ﴾ ^(٢) .

قال الزمخشري : حذف معمول القول ، والمعنى : قل لهم اغفروا يغفروا ^(٣) .

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الفاعل بـ﴿يَجْزِي﴾ ضميرٌ يعود على الله .

وقرئ بنون المتكلم .

وقال ابن عطية : إن الآية وعيدٌ ^(٤) ، فالقوم على هذا : هم الذين لا يرجون

(١) في المحرر الوجيز (٥٩٤/٧) : «أيام إنعامه ونصره وتنعيمه في الجنة وغير ذلك» .

(٢) تقديره : «قل اغفروا ، فإن يجيبوا يغفروا» المحرر الوجيز (٥٩٤/٧) .

(٣) الكشف (٢٤٦/١٤) .

(٤) المحرر الوجيز (٥٩٥/٧) .

أيام الله، و﴿يَكْسِبُونَ﴾ يعني: السيئات.

وقال الزمخشري: القوم: هم الذين آمنوا، وجزاؤهم: الثواب؛ ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بكظم الغيظ واحتمال المكروه^(١).

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذكر في «البقرة»^(٢).

﴿يَنْتَ مِنْ الْأَمْرِ﴾ أي: معجزات من أمر الدين.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ أي: على ملّة ودين.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
﴿أَمْ﴾ هنا للإنكار، و﴿أَجْرَحُوا﴾ اكتسبوا.

والمراد بـ﴿الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾: الكفار؛ لمقابلته بالذين آمنوا، ولأن الآية مكية، وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين، ولذلك يُذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يردّها ويبكي طول الليل، ويقول لنفسه: من أيّ الفريقين أنت؟!

ومعناها: إنكار ما حَسِبَهُ الكفار من أن يكونوا هم والمؤمنون سواء في المحيا والممات.

وفي تأويلها مع ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد: ليس المؤمنون سواء مع الكفار، لا في المحيا ولا في الممات؛ فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة، والكافرين

(١) الكشاف (١٤/٢٤٧-٢٤٨).

(٢) انظر (١/٣١٢).

عاشوا على الكفر والمعصية، وكذلك مما تُهم ليس سواء.

والقول الآخر: أنهم إن استووا في المحيا؛ أي: في أمور الدنيا من الصحة والرزق؛ فلا يستوون في الممات، بل يسعد المؤمنون ويشقى الكافرون، فالمراد بها: إثبات الجزاء في الآخرة، وتفضيل المؤمنين على الكفار في الآخرة، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح، فيكون معنى الآية كقوله: ﴿أَفَجَعَلُ الْمُتْلِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القم: ٣٥]، ﴿أَمْ جَعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

﴿سَوَاءٌ مَخِيَّهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ هذه الجملة بدلٌ من الكاف في قوله: ﴿كَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وهي مفسرةٌ للتشبيه، وهي داخلةٌ فيما أنكره الله مما حسبه الكفار.

وقيل: هي كلام مستأنف؛ والمعنى على هذا: أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء، وأن محيا الكفار ومماتهم سواء؛ لأن كل أحد يموت على ما عاش عليه، وهذا المعنى بعيد، والصحيح: أنها من تمام ما قبلها، على المعنى الذي اخترناه.

وأما إعرابها:

فمن قرأ ﴿سَوَاءٌ﴾ بالرفع: فهو مبتدأ، وخبره ﴿مَخِيَّهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾، والجملة بدلٌ من الجار والمجرور الواقع مفعولاً ثانياً لـ ﴿يَجْعَلُ﴾.

ومن قرأ ﴿سَوَاءٌ﴾ بالنصب: فهو حالٌ، أو مفعول ثانٍ لـ ﴿يَجْعَلُ﴾، و﴿مَخِيَّهُمْ﴾ فاعلٌ بـ ﴿سَوَاءٌ﴾؛ لأنه في معنى: مستوٍ.

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ساء حكمهم في تسويتهم بين أنفسهم وبين

المؤمنين.

[﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٢) أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢٤) وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا آبَاءَنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾].

﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ معطوف:

على قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ لأن فيه معنى التعليل.

أو على تعليل محذوف تقديره: خلق الله السموات والأرض؛ ليدلّ بهما على قدرته، ولتُجْزَى كل نفس بما كسبت.

﴿اُخْتَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: أطاعه حتى صار له كإله^(١).

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: على علم من الله سابق.

وقيل: على علم من هذا الضالّ بأنه على ضلال، ولكنه يتبع الضلال معاندةً.

﴿وَخَتَمَ﴾ ذكر في «البقرة»^(٢).

﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ قال ابن عطية: فيه حذف مضافٍ تقديره: من

(١) في د: «كالإله».

(٢) انظر (١/ ٢٧٠).

بعد إضلال الله إيَّاه^(١).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ: فَمَنْ يَهْدِيهِ غَيْرَ اللَّهِ.

﴿وَقَالُوا﴾ الضمير: لِمَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، أَوْ لِقَرِيشٍ.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ فِيهِ أَرْبَعُ تَأْوِيلَاتٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ أَرَادُوا: يَمُوتُ مِمَّا قَوْمٌ وَيَحْيَا قَوْمٌ.

وَالْآخَرُ: نَمُوتُ نَحْنُ وَيَحْيَا أَوْلَادُنَا.

وَالثَّالِثُ: نَمُوتُ حِينَ كُنَّا عَدَمًا أَوْ نُظْفًا، وَنَحْيَا فِي الدُّنْيَا.

وَالرَّابِعُ: نَمُوتُ الْمَوْتَ الْمَعْرُوفَ، وَنَحْيَا قَبْلَهُ فِي الدُّنْيَا، فَوْقَ فِي الْفَرْقِ
تَقْدِيمَ وَتَأْخِيرَ.

وَمَقْصُودُهُمْ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ: إِنْكَارَ الْآخِرَةِ.

وَيُظْهِرُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مَذْهَبِ الدَّهْرِيَّةِ؛ لِقَوْلِهِمْ: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾،
فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ الْآيَةَ.

﴿قَالُوا أَنتُمْ بِنَابِنَا﴾ ذَكَرَ فِي «الدُّخَانِ»^(٢).

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ الْآيَةَ؛ رَدُّ عَلَى الْمُنْكَرِينَ لِلْحَشْرِ، وَاسْتِدْلَالٌ عَلَى وَقُوعِهِ
بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ.

(١) المحرر الوجيز (٧/٦٠١).

(٢) انظر صفحة ٩٦.

[وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمَبْطُلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَنُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ هُزُوعًا وَعَرَّكُوهَا دُنْيَاً فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾].

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ أي: تجشو على الركب، وتلك هيئة الخائف الذليل.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ أي: إلى صحائف أعمالها.

وقيل: الكتاب المنزل عليها.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ الآية.

فإن قيل: كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى؟

فالجواب: أنه أضافه إليهم؛ لأن أعمالهم ثابتة فيه، وأضافه إلى الله؛ لأنه تعالى مالكة، وهو الذي أمر الملائكة أن يكتبوه.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمر الملائكة الحافظين بكتابة أعمالكم.

وقيل : إن الله يأمر الحَفَظَةَ أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ ، ثم
يمسكونه عندهم ، فتأتي أفعال العباد على نحو ذلك فتكتبها أيضًا الملائكة ،
فذلك هو الاستنساخ ، وكان ابن عباس يحتجُّ على ذلك بأن يقول : لا يكون
الاستنساخ إلا من أصل .

﴿أَفَلَمْ تَكُنْ﴾ تقديره : يقال لهم ذلك .

﴿وَحَاقَ﴾ دُكر مرارًا^(١) .

﴿الْيَوْمَ نَنْسِكُ﴾ النسيان هنا بمعنى : التَّرك .

وأما في قوله : ﴿كَانَ نَسِيًّا﴾ فيحتمل أن يكون : بمعنى التَّرك ، أو الذُّهول .

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العُتْبَى ، وهي الرضا .

(١) انظر (٣/٧٥٨) ، والمادة رقم (١٣٧) في اللغات .

﴿سورة الأحقاف﴾

[﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَنْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ٦﴾ وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠﴾].

﴿تَنْزِيلُ﴾ ذكر في «الزمر» (١).

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ذكر مراراً (٢).

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

(١) انظر (٧٣٤/٣).

(٢) انظر (٥٣٩/٢)، (٧٢٨/٢)، (٧١٢/٣).

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا﴾ احتجاج على التوحيد، ورد على المشركين، فالأمر بمعنى التعجيز.

﴿شِرْكُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: نصيب.

﴿أَتَتُونِي بِكِتَابٍ﴾ تعجيز؛ لأنهم ليس لهم كتاب يدل على الإشراك بالله، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد.

﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقية من علم قديم يدل على ما تقولون.

وقيل: معناه من علم تثرونه؛ أي: تستخرجونه.

وقيل: هو الإسناد.

وقيل: هو الخط في الرمل، وكانت العرب تتكهن به، وقال رسول الله ﷺ: «كان نبي من الأنبياء يخط في الرمل؛ فمن وافق خطه فذاك»^(١).

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ الآية؛ معناها: لا أحد أضل ممن يدعو إلها لا يستجيب له، وهي الأصنام؛ فإنها لا تسمع ولا تعقل، ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم؛ لأنها لا تسمعه.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ أي: كان الأصنام أعداء للذين عبدوها.

﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كُفَرِينَ﴾ الضمير في ﴿وَكَانُوا﴾ للأصنام، أي: تبرأ الأصنام من الذين عبدوها.

وإنما ذكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء؛ لأنه أسند إليهم ما يُسند إلى العقلاء، من الاستجابة والغفلة والعداوة.

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لو افتريته لعاقبني الله على الافتراء عقوبة لا تقدرُونَ على دفعها، ولا تملكون شيئًا من ردّها، فكيف افتريه وأتعرّض لعقاب الله؟.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَقِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: بما تتكلّمون به، يقال: أفاض الرجل في الحديث: إذا خاض فيه واستمرّ.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ البِدْعُ والبديع من الأشياء: ما لم ير مثله؛ أي: ما كنت أوّل رسول، ولا جئت بأمر لم يجرّ به أحد قبلي، بل جئت بما جاء به قبلي ناسٌ كثيرون؛ فلا يّ شيء تنكرون ذلك؟!
﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾ فيها أربعة أقوال:

الأول: أنها في أمر الآخرة، وكان ذلك قبل أن يعلم أنه في الجنة، وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار، وهذا بعيد؛ لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله.

والثاني: أنها في أمر الدنيا؛ أي: لا أدري بما يقضي الله عليّ وعليكم؛ فإن مقادير الله مغيّبة، وهذا هو الأظهر.

والثالث: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي، وما تُلزمه الشريعة.

الرابع: أن هذا كان في الهجرة؛ إذ كان رسول الله ﷺ قد رأى في النوم أنه يهاجر إلى أرض نخل، فقلق المسلمون لتأخّر ذلك، فنزلت هذه الآية.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ معنى الآية: أرايتم إن كان القرآن

من عند الله وكفرتم به ؛ أَلستم ظالمين ؟ ثم حذف قوله : « أَلستم ظالمين » وهو الجواب ؛ لأنه دَلٌّ عليه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾ هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها ، فالمعنى : أُرأيتم إن اجتمع كونُ القرآن من عند الله ، مع شهادة شاهدٍ من بني إسرائيل على مثله ، ثم آمن به هذا الشاهد وكفرتم أنتم ، أَلستم أضلَّ الناس وأظلمَ الناس ؟

واختلف في الشاهد المذكور على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه عبد الله بن سلام :

ف قيل على هذا : إن الآية مدنية ؛ لأنه إنما أسلم بالمدينة .

وقيل : إنها مكية ، وأخبر بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت على حسب ما أخبر ، وكان عبد الله بن سلام يقول : فيَّ نزلت الآية .

الثاني : أنه رجل من بني إسرائيل كان بمكة .

الثالث : أنه موسى ﷺ ، ورجَّح ذلك الطبري ^(١) .

والضمير في ﴿ مِثْلِهِ ﴾ للقرآن ؛ أي : شهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد .

والضمير في ﴿ آمَنَ ﴾ للشاهد :

فإن كان عبد الله بن سلام أو الرجل الآخر : فإيمانه بين .

وإن كان موسى ﷺ فإيمانه : هو تصديقه بأمر محمد ﷺ وتبشيره به .

(١) تفسير الطبري (٢١/١٣١) .

[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِهِ أَفٍ لَّكُمَا أُعِدَّانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَاْمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيْبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْنَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أي: لو كان الإسلام خيرًا ما سبقنا إليه هؤلاء.

والقائلون لهذه المقالة: هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء؛ كبلال، وعمار، وصهيب.

وقيل: بل قالها كنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غفار ومزينة وجهينة.

وقيل: بل قالها اليهود لما أسلم عبد الله بن سلام.

والأول أرجح؛ لأن الآية مكية، وكانت مقالة قريش بمكة، وأما مقالة الآخرين فإنما كانت بعد الهجرة.

ومعنى ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: من أجل الذين آمنوا، أي: قالوا ذلك عنهم في غيبتهم. وليس المعنى: أنهم خاطبوا بهذا الكلام؛ لأنه لو كان خطاباً لقالوا: «ما سبقتونا».

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَسْقُوتُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي: لما لم يهتدوا به قالوا: هذا إفك قديم، ونحو هذا ما جاء في المثل: «مَنْ جَهَلَ شَيْئًا عَادَاهُ». ووصفوه بالقديم؛ لأنه قد قيل قديماً.

فإن قيل: كيف عمِلَ ﴿فَيَسْقُوتُونَ﴾ في ﴿إِذْ﴾ وهي للماضي والعامل مستقبل؟

فالجواب: أن العامل في ﴿إِذْ﴾ محذوف، تقديره: «إذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم، فيسقولون...»، قال ذلك الزمخشري^(١).

ويظهر لي: أن ﴿إِذْ﴾ هنا بمعنى التعليل، لا ظرفية بمعنى الماضي، فلا يلزم السؤال، والمعنى: أنهم قالوا: هذا إفك بسبب أنهم لم يهتدوا به، وقد جاءت ﴿إِذْ﴾ بمعنى التعليل في القرآن وفي كلام العرب، ومنه: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ [الزخرف: ٣٩] أي: بسبب ظلمكم.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ الضمير في ﴿قَبْلِهِ﴾ للقرآن،

و﴿كِتَابٌ مُوسَى﴾ هو التوراة، و﴿إِمَامًا﴾ حال، ومعناه: يُقْتَدَى به.
 وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴿الْإِشَارَةُ بِ﴾ ﴿هَذَا﴾ إِلَى الْقُرْآنِ.
 ومعنى ﴿مُصَدِّقٌ لِّسَانًا﴾: صَدَّقَ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي
 «البقرة»^(١).

و﴿لِّسَانًا﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿مُصَدِّقٌ﴾.
 وقيل: مفعول بـ ﴿مُصَدِّقٌ﴾؛ أي: صَدَّقَ ذَا لِسَانٍ عَرَبِيٍّ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ
 واختار هذا ابنُ عطية^(٢).

﴿أَسْتَغْفِرُكُمْ﴾ ذكر في «حم السجدة»^(٣).
 ﴿حُسْنًا﴾ ذكر في «العنكبوت»^(٤).
 ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا﴾ أي: حملته بمشقةٍ ووضعته بمشقةٍ.

ويقال: كَرِهَ بفتح الكاف وضمها بمعنى واحد.
 ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أي: مدة حملهِ ورِضَاعِهِ ثَلَاثُونَ شَهْرًا،
 وهذا لا يكون إلا بأن يَنْقُصَ مِنْ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ، وَذَلِكَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَدَّةُ
 الْحَمْلِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَمَدَّةُ الرِّضَاعِ حَوْلِينَ كَامِلَيْنِ، أَوْ تَكُونَ مَدَّةُ الْحَمْلِ تِسْعَةَ
 أَشْهُرٍ وَمَدَّةُ الرِّضَاعِ حَوْلِينَ غَيْرِ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ.

(١) انظر (٣٠٨/١).

(٢) المحرر الوجيز (٦١٦/٧).

(٣) انظر صفحة ١٧.

(٤) انظر (٤٦٢/٣).

ومن هذا أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه والعلماء: أن أقل مدة الحمل ستة أشهر.

وإنما عبّر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام؛ لأنه منتهى الرضاع.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ذكر في «يوسف»^(١).

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ هذا حدُّ كمال العقل والقوة.

ويقال: إن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وقيل: إنها عامة.

﴿فِي أَحْصَنِ الْجَنَّةِ﴾ أي: في جملة أصحاب الجنة، كما تقول: «رأيت فلاناً في الناس»، أي: مع الناس.

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَفٍّ لَّكُمَا﴾ قال مروان بن الحكم: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كُفِّرَ^(٢)، كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى ويقول لهما: «أفّ لكما».

وأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك وقالت: «والله ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلاّ براءتي»^(٣).

ويُبطل ذلك قطعاً قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أسلم وكان من خيار المسلمين، وكان

(١) انظر (٢/٦٢٥).

(٢) في د: «كفر».

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٢٧).

له في الجهاد غناءً عظيم، وقال السُّديُّ: ما رأيت أعبَدَ منه.

وقال ابن عباس: نزلت في ابنِ لأبي بكر، ولم يسمَّه.

ويردُّ ذلك: ما ذكرنا عن عائشة.

وقيل: هي على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه، ويدلُّ على أنها عامةٌ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بصيغة الجمع، ولو أراد واحداً بعينه لقال: «ذلك الذي حق عليه القول».

وقد ذكرنا ﴿أَفِ﴾ في «الإسراء»^(١).

﴿أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ أي: أتعدانني أن أُخرج من القبر للبعث.

﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ أي: قد مضت قرونٌ من الناس ولم يبعث منهم أحد.

﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ الضمير لوالديه؛ أي: يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقوله ابنهما، ثم يقولان له: ﴿وَيْلَكَ﴾، ثم يأمرانه بالإيمان، ﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: قد سطره الأولون في كتبهم، وذلك تكذيبٌ بالبعث والشرعة.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: للمحسنين والمسيئين درجاتٌ في الآخرة بسبب أعمالهم، فدرجات أهل الجنة إلى علو، ودرجات أهل النار إلى سفلى.

(١) انظر (٢/٨٠٢).

﴿وَلَنُؤْفِقَهُمْ﴾ تعليلٌ لفعل محذوف، وبه يتعلّق، تقديره: جعل جزاءهم درجاتٍ؛ ليوفيهم^(١) أعمالهم.

﴿وَنَوْمٌ يُعْرَضُ﴾ العامل فيه محذوف، تقديره: اذكر.

﴿أَذْهَبْتُمْ طِبْنَكُمْ﴾ تقديره: يقال لهم: أذهبتم طياتكم.

والطيات هنا: الملاذ من المآكل وغيرها.

وقرئ ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾:

بهمزة واحدة على الخبر.

وبهمزتين على التوبيخ.

والآية في الكفار؛ بدليل قوله: ﴿يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وهي مع ذلك واعظةٌ

لأهل التقوى من المؤمنين، ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله وقد رآه

اشترى لحماً: أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية؟

﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: العذاب الذي اقترن به هوانٌ.



(١) في د: «لنوفيههم».

[وَأَذْكُرْ آخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۖ
 أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكُنَا عَنْ هِيتِنَا
 فَأَنبِئْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلْغُمُ عَنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ۖ
 وَلَكِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا أَوْدَيْنَهُمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ
 مُنْطَرِفٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا
 لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ
 فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ
 مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾].

﴿وَأَذْكُرْ آخَا عَادٍ﴾ يعني: هوذا عَادٌ ﴿عَالِيَةً﴾.

﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ جمع جُفْفٍ، وهو الكُدْسُ من الرمل.

واختلف أين كانت؟

ف قيل: بالشام.

وقيل: بين عُمان ومَهْرَة.

وقيل: بين عُمان وحَضْرَموت.

والصحيح أن بلاد عادٍ كانت باليمن.

﴿وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ﴾ أي: تقدّمت من قبله ومن بعده.

و﴿النُّذُرُ﴾ جمع نذير.

فإن قيل: كيف يُتصوّر تقدّمها من بعده؟

فالجواب: أن هذه الجملة اعتراضٌ، وهي إخبارٌ من الله تعالى أنه قد

بَعَثَ رَسُولًا مُتَقَدِّمِينَ قَبْلَ هُودَ وَبَعْدَهُ .

وقيل : معنى ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ : في زمانه .

﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي : قال : إن العذاب الذي قُلْتُم ائْتِنَا بِهِ لَيْسَ لِي عِلْمٌ مَتَى يَكُونُ ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ ، وَمَا عَلَيَّ إِلَّا أَنْ أُبَلِّغَكُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ .
﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ العارض : السحاب الذي يَعْرِضُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ .

والضمير في ﴿رَأَوْهُ﴾ يعود :

على ﴿مَا تَعِدُنَا﴾ .

أو على المرئيِّ المبهم الذي فُسِّرَ قوله : ﴿عَارِضًا﴾ ، قال الزمخشري : وهذا أعرب وأفصح ^(١) .

وروي أنهم كانوا قد قَحِطُوا مَدَّةً ، فَلَمَّا رَأَوْا هَذَا الْعَارِضَ ظَنُّوا أَنَّهُ مَطَرٌ فَفَرَحُوا بِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ .

وقوله : ﴿رِيحٌ﴾ :

بدلٌ من ﴿مَا اسْتَعْجَلْتُمْ﴾ .

أو خبر ابتداء مضمَر .

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ عمومٌ يراد به الخصوص .

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ﴾ هذا خطابٌ لقريش على وجه التهديد ؛ أي : مَكَّنَّا

عَادًا فِيمَا لَمْ نَمُكِّنْكُمْ فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْأَمْوَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ أَهْلَكْنَاهُمْ لِمَا كَفَرُوا.

و﴿إِنْ﴾ هُنَا نَافِيَةٌ بِمَعْنَى «مَا»، وَعَدَلْ عَنْ «مَا» كِرَاهِيَةً لِاجْتِمَاعِهَا مَعَ «مَا» الَّتِي قَبْلَهَا.

وَقِيلَ: ﴿إِنْ﴾ شَرْطِيَّةٌ، وَجَوَابُهَا مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ طَغَيْتُمْ.

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَهَذَا تَنْطُعٌ فِي التَّأْوِيلِ^(١).



(١) المحرر الوجيز (٦٢٩/٧).

[وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيِ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِيبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّمْ بِخَلْقِهِنَّ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُغَيِّمَ أَلَمَْوْقًا بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَئِكَ الْعَظَمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَّغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيِ﴾ يعني: بلاد عاد، وثمود، وسبأ، وغيرها، والمراد: إهلاك أهلها.

﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ﴾ الآية؛ عرضُ معناه النفي؛ أي: لم تنصرهم آلهتهم التي عبدوا^(١) من دون الله.

﴿قُرْبَانًا﴾ أي: تقربوا بهم إلى الله، وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

وانتصاب ﴿قُرْبَانًا﴾ على الحال.

ولا يصح أن يكون ﴿قُرْبَانًا﴾ مفعولًا ثانيًا لـ ﴿اتَّخَذُوا﴾ و﴿آلِهَةً﴾ بدلًا

(١) في ب: «عبدوهم»، وفي د: «عبدوها».

منه ؛ لفساد المعنى ، قاله الزمخشري ^(١) .

وقد أجازَه ابن عطية ^(٢) .

﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ أي : تَلَفُوا لهم ، وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا إليهم .

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي : أَمَلْنَاهُمْ نحوك .

والنفر في اللغة : دون العشرة .

وروي أن الجن كانوا سبعة ، وكانوا كلهم ذكرانا ؛ لأن النفر الرجال دون النساء .

وكانوا من أهل نَصِييْن ^(٣) .

وقيل : من أهل الجزيرة .

واختلف هل رآهم النبي ﷺ ؟

قيل : إنه لم يرههم ، ولم يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك .

وقيل : بل علم بهم واستعدَّ لهم واجتمع معهم ، وقد ورد في ذلك عن عبد الله بن مسعود أحاديث مضطربة ^(٤) .

(١) الكشف (٣٠٧/١٤) .

(٢) المحرر الوجيز (٦٢٩/٧) .

(٣) هي بلدة في بلاد الجزيرة التي بين الشام والعراق . معجم البلدان ، لياقوت الحموي (٢٨٨/٥) .

(٤) أخرجه مسلم (٤٥٠) .

وسبب استماع الجن: أنهم لما طُردوا عن استراق السمع من السماء برجم النجوم قالوا: ما هذا إلَّا أمرٌ^(١) حدث!، فطافوا في الأرض ينظرون ما أوجب ذلك، حتى سمعوا قراءة رسول الله ﷺ في صلاة الفجر في سوق عكاظ، فاستمعوا إليه وآمنوا به.

﴿أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ في هذا دلالة^(٢) على أنهم كانوا على دين اليهود.

وقيل: كانوا لم يعلموا ببعث عيسى.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذكر في «البقرة»^(٣).

﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ ﴿مَنْ﴾ هنا للتبعيض على الأصح؛ أي: يغفر لكم الذنوب التي فعلتم قبل الإسلام، وأما التي بعد الإسلام فهي في مشيئة الله.

وقيل: معنى التبعض: أن المظالم لا تُغفر.

وقيل: إن ﴿مَنْ﴾ زائدة.

﴿وَيُجَرِّكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: من النار.

واختلف الناس هل للجن ثوابٌ زيادةً على النجاة من النار، أم ليس لهم ثواب إلَّا النجاة خاصة؟

(١) في د: «لأمر».

(٢) في أ، هـ: «دليل».

(٣) انظر (٣٠٨/١).

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ الآية؛ يحتمل:

أن يكون من كلام الجن.

أو من كلام الله تعالى.

ومعنى ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾: لا يفوت.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الآية؛ احتجاج على بعث الأجساد بخِلْقَةِ السموات والأرض.

﴿وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُمْ﴾ يقال: عَيَّتُ بالأمر: إذا لم تعرفه، فالمعنى: أنه تعالى عَلِمَ كيف خَلَقَ السموات، وأحكم خَلَقْتُهَا؛ فلا شك أنه قادرٌ على إحياء الموتى.

﴿بِقَدْرِ﴾ في موضع رفع؛ لأنه خبر ﴿أَنَّ﴾، وإنما دخلت الباء؛ لاشتغال النفي في أول الآية على ﴿أَنَّ﴾ وخبرها^(١).

﴿بِكُلِّ﴾ جوابٌ لما تقدّم؛ أي: هو قادر على أن يحيي الموتى.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ هذا خطابٌ للنبي ﷺ؛ أي: اصبر على تكذيب قومك.

وأولوا العزم هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى.

وقيل: هم الثمانية عشر المذكورون في سورة «الأنعام»؛ لقوله:

﴿فِيهِدُهُمْ أَقْصَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

(١) عبارة الكشاف (٣١٦/١٤): «وإنما دخلت الباء؛ لاشتغال النفي في أول الآية على ﴿أَنَّ﴾ وما في حيزها».

وقيل: كلُّ من لقي من أمته شدةً.

وقيل: الرسل كلهم أولوا عزم؛ ف﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ على هذا: لبيان الجنس.

وعلى الأقوال المتقدمة: للتبويض.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أي: لا تستعجل نزول العذاب بهم؛ فإنهم صائرون إليه؛ فإنهم^(١) إذا هلكوا كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعةً من نهار؛ لاستقصار أعمارهم.

﴿بَلَّغْ﴾ خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذا الذي وُعِظَ به بلَّغْ؛ بمعنى:

كفايةً في الموعظة.

أو بلاغ من الرسول ﷺ، أي: بلَّغْ هذه المواعظ والبراهين.



(١) في د: «وإنهم».

﴿ سورة القتال ﴾

[﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ ① ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ② ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّبِعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ③ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاكَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ④ سَيَجْزِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ⑤ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ⑥ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يُنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ⑦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ⑧ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ⑨ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ⑩ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ⑪ إِنْ اللَّهُ يُدْخِلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾].

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: كفار قريش، وعموم اللفظ يصلح لكل كافر.

كما أن قوله بعد هذا: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني به: الصحابة، وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن.

﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون ﴿وَصَدُّوا﴾:

بمعنى: أعرضوا، فيكون غير متعد.

أو يكون بمعنى : صدوا الناس ، فيكون متعديًا .

﴿سَبِيلَ اللَّهِ﴾ : الإسلام والطاعة .

﴿أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي : أبطلها وأحبطها .

وقيل : المراد بـ ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ هنا : ما أنفقوا في غزوة بدر ؛ فإن هذه السورة نزلت بعد بدر .

واللفظ أعم من ذلك .

﴿وَأَمَّا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ هذا تجريدٌ ؛ للاختصاص والاعتناء ، بعد عموم قوله : ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، ولذلك أكدّه بالجملة الاعتراضية ، وهي قوله : ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ .

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قيل : معناه : أصلح حالهم وشأنهم .

وحقيقة البال : الخاطر الذي في القلب ، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله ، فالمعنى : إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى .

﴿فَضْرَبَ الرِّقَابَ﴾ أصله : «فاضربوا الرقاب ضرباً» ، ثم حذف الفعل وأقام المصدر مقامه .

والمراد : اقتلوهم ، ولكن عبّر عنه بضرب الرقاب ؛ لأنه الغالب في صفة القتل .

﴿حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُّوهُمْ﴾ أي : هزمتموهم ، والإثخان : أن يكثروا فيهم القتل والأسر .

﴿فَشَدُّوا أَلْوَتَاقَ﴾ عبارة عن الأسر .

﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ المن: العتق، والفداء: فكُّ الأسير بمال، وهما جائزان.

فإن مذهب مالك: أن الإمام مخير في الأسارى بين خمسة أشياء؛ وهي: المن، والفداء، والقتل، والاسترقاق، وضرب الجزية.

وقيل: لا يجوز المن ولا الفداء؛ لأن الآية منسوخة بقوله: ﴿فَأَقْضُوا لِلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فلا يجوز على هذا إلا قتلهم. والصحيح أنها محكمة.

وانتصب ﴿مَنْ﴾ و﴿فِدَاءً﴾ على المصدرية، والعامل فيهما: فعلان مضمران.

﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الأوزار في اللغة: الأثقال، فالمعنى: حتى تذهب وتزول أثقالها، وهي آلاتها.

وقيل: الأوزار: الآثام؛ لأن الحرب لا بد أن يكون فيها آثام في أحد الجانبين.

واختلف في الغاية المرادة هنا:

ف قيل: حتى يُسلم الجميع؛ وحيثُ تَضَع الحرب أوزارها.

وقيل: حتى تقتلوهم وتغلبوهم.

وقيل: حتى ينزل عيسى بن مريم.

قال ابن عطية: ظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبداً، كما

تقول: «أنا أفعلُ كذا إلى يوم القيامة»^(١).

﴿ذَلِكَ﴾ تقديره: الأمرُ ذلك.

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: لو شاء الله لأهلك الكفار بعذابٍ من عنده، ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين، وأن يبلو بعض الناس ببعض.

﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ أي: جعلهم يعرفون منازلهم فيها، فهو من المعرفة.

وقيل: معناه طيَّبها لهم، فهو من العَرَف، وهو طيَّبُ الرائحة.

وقيل: معناه شَرَّفها ورفعها، فهو من الأعراف التي هي الجبال.

﴿فَتَعَسَّاهُمْ﴾ أي: عَثَارًا وهلاكًا.

وانتصابه على المصدرية، والعامل فيه فعلٌ مضمَر^(٢)، وعلى هذا الفعل عُطِفَ قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾.

﴿وَالْكَافِرِينَ أَهْمَلَهُمْ﴾ أي: لكفار قريش أمثالُ عاقبة الكفار المتقدمين من الدمار والهلاك.

﴿مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: وليُّهم وناصرهم، وكذلك: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ معناه: لا ناصر لهم.

ولا يصح^(٣) أن يكون المولى هنا بمعنى السيد؛ لأن الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى.

(١) المحرر الوجيز (٦٤١/٧).

(٢) أي: أنعس الذين كفروا تعسًا. الكشاف (٣٣٠/١٤).

(٣) في أ، هـ: «ولا يصلح».

ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله : ﴿رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقَّ﴾
 [الأنعام: ٦٢] ؛ لأن معنى المولى مختلِفٌ في الموضعين ؛ فمعنى ﴿مَوْلَهُمْ
 الْحَقَّ﴾ : ربُّهم ، وهذا على العموم في جميع الخلق ، بخلاف قوله : ﴿مَوْلَى
 الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فإنه خاصٌّ بالمؤمنين ؛ لأنه بمعنى الوليِّ والناصر .



[إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةَ مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ نَقَبُوهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾].

﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ عبارة عن كثرة أكلهم ، أو عن غفلتهم عن النظر كالبهائم .

﴿مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ يعني : مكة ، وخروجه ﷺ منها وقت الهجرة .
 ونسب الإخراج إلى القرية ، والمراد أهلها ؛ لأنهم آذوه حتى خرج .
 ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ الضمير للقرى المتقدمة المذكورة في قوله : ﴿وَكَايِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ وجمعه حملاً على المعنى ، والمراد : أهلكنا أهلها .
 ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي : على حجة ، ويعني به : النبي ﷺ ، كما يعني قريشاً بقوله : ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ .

اللفظ أعم من ذلك .

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ ذكر في «الرعد»^(١).

﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي: غير متغيّر.

﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ﴾ تقديره: أمثلُ أهل الجنة المذكورة كمن هو خالدٌ في النار؟، فحذف هذا التقدير المراد به النفي، وإنما حذفه؛ لدلالة التقدير المتقدم، وهو قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ﴾.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقين، وجاء «يستمعون» بلفظ الجمع؛ رعيًا لمعنى ﴿مَنْ﴾^(٢).

﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ روي أنه عبد الله بن مسعود.

﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين:

إمّا احتقارًا لكلامه، كأنهم قالوا: أيُّ فائدة فيه.

وإما جهلاً ونسيانًا؛ لأنهم كانوا وقتَ كلامه مُعرّضين عنه.

و﴿ءَانِفًا﴾ معناه: الساعة الماضية قريبًا، وأصله: من استأنفت الشيء: إذا ابتدأته.

(١) انظر (٢/٦٨٦).

(٢) كذا وردت هذه العبارة في جميع النسخ، وهو سهوٌ، فإن آية سورة القتال: ﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ بالإنفراد، وليست بالجمع، وإنما وردت بالجمع في سورة يونس فقط، وآية سورة القتال مثل آية الأنعام: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾، وقال المؤلف هناك في تفسيرها: «وأفرد ﴿يَسْتَمِعُ﴾ وهو فعل جماعية؛ حملًا على لفظ «مَنْ»، وعلّق في طرة نسخة ب على هذا الموضع تعليقًا فيه أدبٌ مع المؤلف فيقول: «هذا والله أعلم مما غلط فيه المؤلف بكثرة؛ فإنه ﴿يَسْتَمِعُ﴾ بلفظ المفرد لا الجمع؛ رعيًا للفظ «مَنْ» لا لمعناه، والكمال لله تعالى، وهذا من سهو المؤلف، وحاشاه أن يجهل مثل هذا».

﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ يعني : المؤمنين .

والضمير في ﴿زَادَهُمْ﴾ :

لله تعالى .

أو للكلام الذي قال فيه المنافقون : ﴿مَاذَا قَالَ ءِيفًا﴾ .

وقيل : يعني بـ ﴿الَّذِينَ أَهْدَوْا﴾ قومًا من النصارى آمنوا بمحمد ﷺ ، فاهتدواؤهم : هو إيمانهم بـ عيسى ، وزيادة الهدى : إسلامهم .

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ الضمير للمنافقين ، والمعنى : هل ينتظرون^(١) إِلَّا السَّاعَةَ ؛ لأنها قريبة .

﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي : علاماتها ، والذي كان قد جاء من ذلك : مبعث محمد ﷺ ؛ لأنه قال : «أنا من أشراط الساعة»^(٢) ، و«بعثت أنا والساعة كهاتين»^(٣) .

﴿فَأَنذَرْتُهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ أي : كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة ؛ فلا يقدرّون على عمل ولا تنفعهم التوبة ؟

ففاعل ﴿جَاءَهُمْ﴾ : الساعة ، و﴿ذِكْرُهُمْ﴾ مبتدأ ، وخبره الاستفهام المتقدّم ، والمراد به : الاستبعاد .

(١) في د : «ينظرون» .

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وفي مسند الإمام أحمد (٢١٩٩٢) : «سُت من أشراط الساعة : موتي . . .» الحديث .

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٣) ، ومسلم (٢٩٥٠) .

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: دُم على العلم بذلك.

واستدلّ بعضهم بهذه الآية على أن النظر^(١) والعلم قبل العمل؛ لأنه قدّم قوله: ﴿فَاعْلَمْ﴾ على قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ﴾.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَوْنَكُمْ﴾ قيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرفكم في الدنيا، ﴿وَمَثَوْنَكُمْ﴾: إقامتكم في القبور.

وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرفكم في اليقظة، ﴿وَمَثَوْنَكُمْ﴾: منامكم.

(١) في أ، د، هـ: «على النظر».

[وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۞ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۞ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۞ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۞ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ۞].

﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن، والرغبة فيه؛ لأنهم كانوا يفرحون به، ويستوحشون من إبطائه.

﴿مُحْكَمَةٌ﴾ يحتمل أن يريد بالمحكمة:

ليس فيها منسوخ.

أو يريد متقنة.

وقرأ ابن مسعود: «سورة مُّحَدَّثَةٌ».

﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقين، ونظرهم ذلك من شدة الخوف من القتال؛ لأن نظر الخائف قريب من نظر المغشي عليه.

﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ﴾ في معناه قولان :

أحدهما : أنه بمعنى : أحق ، وخبره على هذا : ﴿طَاعَةٌ﴾ ، والمعنى : أن الطاعة والقول المعروف أولى لهم وأحق .

والآخر : أن ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ﴾ كلمةٌ معناها : التهديد والدعاء عليهم كقولك : «ويل لهم» ، ومنه : ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ ﴿١٣٤﴾ [القيامة : ٣٤] .

فيُوقف على ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ﴾ على هذا القول ، ويكون ﴿طَاعَةٌ﴾ ابتداء كلام ، تقديره :

طاعةٌ وقولٌ معروفٌ أمثلُ .

أو المطلوبُ منهم طاعةٌ وقولٌ معروف .

أو قولهم لك يا محمد طاعةٌ وقولٌ معروفٌ بألستهم دون قلوبهم .

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أسند العزم إلى الأمر مجازاً ، كقولك : نهاره صائمٌ وليله قائمٌ .

﴿صَدَقُوا اللَّهَ﴾ يحتمل أن يريد :

صِدْقُ اللسان .

أو صدق العزم والنية ، وهو أظهر .

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿١٣٥﴾ هذا خطابٌ للمنافقين المذكورين ، خرج من الغيبة إلى الخطاب ؛ ليكون أبلغ في التوبيخ .

والمعنى: هل يُتَوَقَّعُ منكم الإفسادُ في الأرض وقطع الأرحام إن توليتم؟^(١)

ومعنى ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: صرتم ولايةً على الناس وصار الأمر لكم، وعلى هذا قيل: إنها نزلت في بني أمية.

وقيل: معناه: أعرضتم عن الإسلام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ نزلت في المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم.

وقيل: نزلت في قوم من اليهود، كانوا قد عرفوا نبوة محمد ﷺ من التوراة، ثم كفروا به.

﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: زَيَّنَ لهم ورجَّاهم أمانيتهم.

﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أي: مدَّ لهم في الأماني والآمال.

والفاعل: هو الشيطان.

وقيل: الله تعالى.

والأول أظهر؛ لتناسب الضميرين الفاعلين، في ﴿سَوَّلَ﴾ و﴿أَمْلَىٰ﴾.

﴿سُطِّيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ قال ذلك اليهود للمنافقين.

و﴿بَعْضِ الْأَمْرِ﴾: يعنون به: مخالفة رسول الله ﷺ ومحاربته.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة

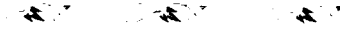
(١) الاستفهام للتقرير، والمعنى: فالتوقع منكم الإفساد.

يعني : ملك الموت ومن معه .

والفاء رابطة للكلام مع ما قبله ، والمعنى : هذا جزعهم من ذكر القتال ؛
فكيف يكون حالهم حين^(١) الموت ؟

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ ضمير الفاعل للملائكة .

وقيل : إنه للكفار ؛ أي : يضربون وجوه أنفسهم ، وذلك ضعيف .



(١) في أ، هـ : «عند».

[أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ﴿١٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعَرَّفْنَهُمْ بِإِسْمِهِمْ لَتَعَرَّفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٢٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُ أَعْمَلُهُمْ ﴿٢٢﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٢٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَ أَعْمَلَكُمْ ﴿٢٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ إِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴿٢٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخْفِمْكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْغَنَكُمْ ﴿٢٧﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤِلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ].

﴿أَمْ حَسِبَ﴾ الآية؛ معناها: أظن المنافقون أن لن يفضحهم الله؟

والضُّغْنُ: الحقد، ويراد به هنا: النفاق والبُغْضُ في الإسلام وأهله.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ أي: لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلاماتهم، ولكن الله ستر عليهم؛ إبقاء عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين.

وروي أن الله لم يذكر له واحدا منهم باسمه.

﴿وَلَتَعَرَّفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ معنى ﴿لَحْنِ الْقَوْلِ﴾: مقصده وطريقته.

وقيل: اللحن: هو الخفي المعنى، كالكناية والتعريض.

والمعنى : أنه ﷺ سيعرفهم من دلائل كلامهم ، وإن لم يعرفه الله بهم على التعيين .

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي : نختبركم .

﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ أي : نعلمه علماً ظاهراً في الوجود تقوم به الحجة عليكم ؛ وقد علم الله الأشياء قبل كونها ، ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده ؛ بما يصدر منهم .

وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى ، وقال : «اللهم لا تبتلنا ؛ فإنك إن ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا» .

﴿وَشَاقُوا الرَّسُولَ﴾ أي : خالفوه وعادوه .

ونزلت الآية في المنافقين .

وقيل : في اليهود .

﴿وَلَا تُبْطَلُوا أَعْمَالُكُمْ﴾ يحتمل أربعة معان :

أحدها : لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان .

والثاني : لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات ، ذكره الزمخشري^(١) ، وهذا على مذهب المعتزلة ، خلافاً للأشعرية ؛ فإن مذهبهم أن السيئات لا تبطل الحسنات .

والثالث : لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعُجب .

(١) الكشف (١٤/٣٥٨) .

والرابع: لا تبطلوا أعمالكم بأن تقطعوها قبل تمامها.

وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية، ولذلك يستدلون على أن من ابتدأ نافلة لم يجز له قطعها، وهذا أبعد هذه المعاني، والأول أظهرها^(١)؛ لقوله قبل ذلك في الكفار أو المنافقين: ﴿وَسَيُحِيطُ أَعْمَالُهُمْ﴾، فكأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدهم عن سبيل الله ومشاققتهم الرسول.

﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ هذا قطع بأن من مات على الكفر لا يغفر الله له، وقد أجمع المسلمون على ذلك.

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ أي: لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار وتبتدئوهم بطلب الصلح، فهو كقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

﴿وَلَنْ يَرْكُزَ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي: لن ينقضكم أجور أعمالكم، يقال: وترت الرجل أثره: إذا نقصته شيئاً، أو أذهبت له متاعاً.

﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ أي: لا يسألكم جميعها، إنما يسألكم في الزكاة ما يخف عليكم، مثل ربع العشر، وذلك خفيف.

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا﴾ معنى ﴿يُحْفِكُمْ﴾: يلح عليكم، والإحفاء: أشد السؤال، و﴿تَبَخَّلُوا﴾ جواب الشرط.

﴿وَيُخْرِجَ أَصْغَنَكُمْ﴾ الفاعل: الله تعالى، أو البخل.

والمعنى: يخرج ما في قلوبكم من البخل وكراهة الإنفاق.

(١) في أ، ج، هـ: «أظهر».

﴿هَؤُلَاءِ﴾ منصوبٌ على التخصيص، أو منادى.

﴿لِنُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: الجهاد أو الزكاة.

﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَحِلُّ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: إنما ضرر بخله على نفسه؛ فكأنه بخل على نفسه بالثواب الذي يستحقه بالإنفاق.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت^(١) بقومٍ على خلاف صفتكم، بل راغبين في الإنفاق في سبيل الله.

ف قيل: إن هذا الخطاب لقريش، والقوم غيرهم: الأنصار؛ وهذا ضعيف لأن الآية مدنية، نزلت والأنصار حاضرون.

وقيل: الخطاب لكل من كان حينئذ بالمدينة، والقوم: هم أهل اليمن، وقيل: فارس.



(١) في ب، ج، د، هـ: «يأتي».

﴿سورة الفتح﴾

نزلت هذه السورة حين انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، لما أراد أن يعتمر بمكة فصده المشركون، وقال ﷺ لعمر رضي الله عنه وهما راجعان إلى المدينة: «لقد نزلت علي سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها»^(١).

[﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ② وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ③﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ④ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ⑤ وَيُعَذِّبُ الْمُتَفَقِّهِينَ وَالْمُتَفَقِّهَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ⑥ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ⑦ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ⑧ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَنُقْضِيَهُ وَنُفَوِّضُوهُ وَسُبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ⑨ إِنَّ الدِّينَ يُبَايِعُوكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾].

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٣)، ومسلم (١٧٨٦).

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ (١) يَحْتَمِلُ هَذَا الْفَتْحُ فِي اللُّغَةِ أَنْ يَكُونَ :

من الفتح بمعنى الحكم ؛ أي : حَكَمْنَا لَكَ عَلَى أَعْدَائِكَ .

أو من الفتح بمعنى الْعَطَاءِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ [فاطر : ٢] .

أو من فتح البلاد .

وَاخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ بِهَذَا الْفَتْحِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ :

الأول : أنه فتح مكة ، وَعَدَهُ اللَّهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ، وَذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي ؛ لِتَحَقُّقِهِ ، وَهُوَ عَلَى هَذَا بِمَعْنَى فَتْحِ الْبِلَادِ .

الثاني : أنه ما جرى في الحديبية من بيعة الرضوان ، وَمِنَ الصَّلْحِ الَّذِي عَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ قُرَيْشٍ ، وَهُوَ عَلَى هَذَا بِمَعْنَى : الْحَكْمِ ، أَوْ بِمَعْنَى الْعَطَاءِ .

وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ : أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ صَلْحُ الْحَدِيبَةِ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ ؛ لِشُرُوطِ كَانَتْ فِيهِ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ الصَّلْحَ لَهُ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ ، وَهَذَا هُوَ الْأَرْجَحُ ؛ لِأَنَّهُ رَوِيَ أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ : مَا هَذَا الْفَتْحُ وَقَدْ صَدَدْنَا الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْبَيْتِ ؟ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : «بَلْ هُوَ أَعْظَمُ الْفَتْوحِ ، قَدْ رَضِيَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَدْفَعُوا كُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ بِالرَّاحِ ، وَرَغِبُوا إِلَيْكُمْ فِي الْأَمَانِ» (١) .

الثالث : أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح ، كَفَتْحِ خَيْبَرَ وَغَيْرِهَا .

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٤/ ١٦٠) .

الرابع : أنه الهداية إلى الإسلام ، ودليل هذا القول قوله : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ فجعل الفتح علةً للمغفرة ، ولا حجة في ذلك ؛ إذ يُصَوَّرُ في الجهاد وغيره أن يكون علةً للمغفرة أيضًا ، أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة ، لا للتعليل ؛ فيكون المعنى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ① فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة ؛ بأن غفر لك ، وأتمَّ نعمته عليك ، وهداك ونصرك .

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ أي : السكون والطمأنينة ، يعني : سكونهم في صلح الحديبية وتسليمهم لفعل رسول الله ﷺ .
وقيل : معناه الرحمة .

﴿الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ﴾ معناه : أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين ، فقالوا : لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدًا .

وقيل : معناه : أنهم لا يعرفون الله بصفاته ، فذلك هو ظن السَّوِّءِ به .
والأول أظهر ؛ بدليل ما بعده .

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ﴾ يَحْتَمِلُ أن يكون : خبرًا ، أو دعاءً .

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا﴾ أي : تشهدُ على أمتك .

﴿وَتُعَزِّزُوهُ﴾ أي : تعظّموه .

وقيل : تنصروه .

وقرئ : «تُعَزِّزُوهُ» بزاءين منقوطين .

والضمير في ﴿وَتَعَزَّزُوهُ وَتُقَرِّرُوهُ﴾ : للنبي ﷺ، وفي ﴿وَسَيِّحُوهُ﴾ : لله تعالى .

وقيل : الثلاثة لله .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هذا تشریف للنبي ﷺ؛ حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله، ثم أكد هذا المعنى بقوله : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك على وجه التخيّل والتمثيل، يريد : أن يد رسول الله ﷺ التي تعلو أيدي المبايعين له هي يد الله في المعنى، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول ﷺ، كعقده مع الله، كقوله : ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء : ٨٠] .

وتأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها : النعمة أو^(١) القوة، وهذا بعيد هنا^(٢) .

ونزلت الآية في بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد .
﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ يعني : أن ضرر نكثه على نفسه .
ويريد بالنكث هنا : نقض البيعة .

(١) في ب، د : «و» .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قوله : «وذلك على وجه التخيّل والتمثيل» إلخ، لو قال : على وجه التخييل والتمثيل لكان أولى، وقد أحسن المؤلف في ترجيح هذا الرأي، وتنظير الآية بقوله تعالى : ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، وأحسن في رده قول المتأولين اليد بالنعمة، وما رجحه هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله، والآية مع هذا تدل على إثبات اليد لله تعالى .

[سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنَاهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾] بَلْ طَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَنَنْتُمْ ظَنَكُمْ السَّوَاءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَأْخُذْهُمَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقْتَلُونَهُمْ أَوْ تَسْلِمُونَ فَإِنْ طَئِعُوا يُؤْذِنُكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾].

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الآية؛ سماهم بالمخلفين؛ لأنهم تخلفوا عن غزوة الحديبية.

والأعراب: هم أهل البوادي من العرب، لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة ليعتمر، رأوا أنه يستقبل عدوًا كثيرًا من قريش وغيرهم، فقعدها عن الخروج معه، ولم يكن إيمانهم متمكنًا، فظنوا أنه لا يرجع هو ولا المؤمنون من ذلك السفر، ففضحهم الله في هذه السورة، وأعلم رسول الله ﷺ بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم، وأعلمه أنهم كاذبون في اعتذارهم.

﴿يَقُولُونَ بِآلِسِنَاهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد:

قولهم: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾؛ لأنهم كذبوا في ذلك.

أو قولهم: ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾؛ لأنهم قالوا ذلك رياءً من غير توبة ولا صدق. ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هالكين؛ من البوار، وهو الهلاك، ويعني به: الهلاك في الدين.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الآية؛ أخبر الله نبيه ﷺ أن المخلفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرجوا إلى غزوة أخرى، وهي غزوة خيبر، فأمره الله بمنعهم من ذلك، وأن يقول لهم: ﴿لَنْ تَنِيْعُونَا﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ أي: يريدون أن يبدلوا وعْدَ الله لأهل غزوة الحديبية، وذلك أن الله وعدهم أن يعوّضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها، وأن يكون ذلك مختصاً بهم دون غيرهم، وأراد المخلفون أن يشاركوهم في ذلك، فهذا هو ما أرادوا من التبديل.

وقيل: ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ قوله: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، وهذا ضعيف؛ لأن هذه الآية نزلت في رجوع رسول الله ﷺ من تبوك بعد الحديبية بمدة.

﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يريد: وعده باختصاصه أهل الحديبية بغنائم خيبر.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ معناه: يعزُّ عليكم أن تُصيبَ معكم ما لا و غنيمة. و﴿بَلْ﴾ هنا: للإضراب عن الكلام المتقدم، وهو قوله: ﴿لَنْ تَنِيْعُونَا﴾ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ، فمعناها: ردُّ أن يكون الله حكَم بأن لا يتبعوهم. وأما ﴿بَلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فهي إضرابٌ

عن وصف المؤمنين بالحسد، وإثبات لوصف المخلفين بالجهل .
﴿سَدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ اختُلف في هؤلاء القوم على أربعة أقوال :

الأول: أنهم هوازن ومن حارب النبي ﷺ في غزوة حُنين .
والثاني: أنهم الروم ؛ إذ دعا رسول الله ﷺ الناس إلى قتالهم في غزوة تبوك .
والثالث: أنهم أهل الردّة من بني حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

والرابع: أنهم الفرس .
ويتقوى القول الأول والثاني : بأن ذلك ظهر في حياة النبي ﷺ .
وقوى المنذر بن سعيد القول الثالث ؛ بأن الله جعل حُكمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية ، قال : وهذا لا يوجد إلا في أهل الردّة .
قلت : وكذلك هو موجود في كفار العرب ؛ إذ لا تؤخذ منهم الجزية فيقوى ذلك أنهم هوازن .

﴿أَوْ يُسْلَمُونَ﴾ عطف على ﴿نُقْتِلُوهُمْ﴾ .

وقال ابن عطية : هو مستأنف^(١) .

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يريد : في غزوة الحديبية .

(١) المحرر الوجيز (٧/٦٧٦) .

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية؛ معناها: أن الله تعالى عذّر الأعمى والأعرج والمريض في تركهم للجهاد؛ بسبب أَعذارهم.



[لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَانِهِ كَثِيرَةٌ يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِهِ كَثِيرَةٌ تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْوَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مِجْلَهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النَّدْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾].

[لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ] قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله أحدٌ من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها»^(١).

وفي الحديث أنهم كانوا ألفاً وأربع مئة^(٢)، وقيل: ألفاً وخمسة مئة.

وسبب هذه البيعة: أن رسول الله ﷺ لما بلغ الحديبية، وهي موضعٌ على

(١) أخرجه أحمد (١٤٧٧٨)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في

الكبرى (٢٦٤/١٠)

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٤٠)، ومسلم (١٨٥٦).

نحو عشرة أميال من مكة، أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه رسولاً إلى أهل مكة، يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر، وأنه لا يريد حرباً، فلما وصل إليهم عثمان حبسه أقاربه؛ كرامةً له، فصرخ صارخ أن عثمان قد قُتِل، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفرَّ أحد، وقيل: بايعوه على الموت، ثم جاء عثمان بعد ذلك سالماً، وانعقد الصلح بين رسول الله ﷺ وأهل مكة؛ على أن يرجع ذلك العام ويعتمر في العام المقبل.

والشجرة المذكورة: كانت سَمُرَةً هنالك، ذهب بعد سنين، فمرَّ عمر بن الخطاب بالموضع في خلافته، فاختلف الصحابة في موضعها.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: من صدق الإيمان وصدق العزم على ما بايعوا عليه.

وقيل: من كراهة البيعة على الموت وهذا باطل؛ لأنه ذمٌ للصحابة. وقد ذكرنا ﴿السَّكِينَةَ﴾^(١).

﴿وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني: فتح خبير.

وقيل: فتح مكة.

والأول أشهر؛ أي: جعل الله ذلك ثواباً لهم على بيعة الرضوان، زيادةً إلى ثواب الآخرة.

وأما المغانم الكثيرة المذكورة أوَّلاً: فهي غنائم خبير، وهي المعطوفة على الفتح القريب.

(١) في أول السورة.

وأما المغانم الكثيرة التي وعدهم الله -وهي المذكورة ثانيًا- : فهي كل ما يَغْنَمُه المسلمون إلى يوم القيامة .

والإشارة بقوله : ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ إلى خير .

وقيل : إن المغانم التي وعدهم : مغانم خيبر ، والإشارة بـ ﴿هَذِهِ﴾ إلى صلح الحديبية .

﴿وَكَفَّ أَيْدَى النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أي : كفَّ أهل مكة عن قتالكم في الحديبية .

وقيل : كفَّ اليهود وغيرهم عن الإضرار بنسائلكم وذريّتكم بينما ^(١) خرجتم إلى الحديبية .

﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : تكون هذه الفِعلَة -وهي كفُّ أيدي الناس عنكم- آيةً للمؤمنين ، يستدلُّون بها على النصر .

واللام تتعلّق بفعل محذوفٍ ، تقديره : فعل الله ذلك لتكون آيةً للمؤمنين .

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ يعني : فتح مكة بعد ذلك ^(٢) .

وقيل : فتح بلاد فارس والروم .

وقيل : مغانم هوازن في حنين .

والمعنى : لم تقدروا أنتم عليها ، وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم .

وإعراب ﴿أُخْرَى﴾ :

معطوفٌ على ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ .

(١) في د : «حين» .

(٢) قوله : «بعد ذلك» زيادة من أ ، هـ .

أو مفعولٌ بفعلٍ مضمَرٍ تقديره: أعطاكم أخرى .

أو مبتدأ .

﴿وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: أهل مكة .

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: عادته .

والإشارة: إلى يوم بدر .

وقيل: الإشارة إلى نصرِ الأنبياء قديماً .

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ روي في سببها أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية، ليصيبوا من عسكر رسول الله ﷺ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في جماعة من المسلمين فهزموهم وأسرُوا منهم قومًا، وساقوهم إلى رسول الله ﷺ فأطلقهم .

فكفُ أيدي الكفار: هو أن هُزموا وأُسرُوا .

وكفُ أيدي المؤمنين عن الكفار: هو إطلاقهم من الأسر، وسلامتهم من القتل .

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: من بعدما أخذتموهم أسارى .

﴿هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: أهل مكة .

﴿وَصَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني: أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام عام الحديبية .

﴿وَالْهَدَىٰ مَكْشُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّةً﴾ الهدي: ما يُهدى إلى البيت من الأنعام،

وكان رسول الله ﷺ قد ساق حينئذ مئة بدنة، وقيل: سبعين؛ ليُهديها.

والمعكوف: المحبوس.

و﴿مَجْلَةً﴾: موضع نحره؛ يعني: مكة والبيت.

وإعراب ﴿وَالْهَدْيَ﴾ عطْفٌ على الضمير المفعول في ﴿صَدُّوكُمْ﴾، و﴿مَعْكُوفًا﴾ حالٌ من ﴿وَالْهَدْيَ﴾، ﴿أَنْ يَبْلُغَ﴾ مفعولٌ بالعَكْفِ.

فالمعنى: صدُّوكم عن المسجد الحرام، وصدُّوا الهدي عن أن يبلغ مجلَّه.

والعكف المذكور يعني به:

منع المشركين للهدي عن بلوغ مكة.

أو حبس المسلمين للهدي بينما ينظرون في أمرهم.

﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ الآية؛ تعليلٌ لصرف الله المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل، وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يُخفون إيمانهم، فلو سلَّط الله المسلمين على أهل مكة، لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن الله كفَّهم عنهم؛ رحمةً بالمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم.

وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف، تقديره: لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسلطناكم عليهم.

﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ في موضع بدل من ﴿رِجَالٌ﴾ و﴿نِسَاءٌ﴾.

أو بدلٌ من الضمير المفعول في ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾.

والوطء هنا : الإهلاك بالسيف وغيره .

﴿فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ﴾ أي : تصيبكم من قتلهم مشقةً وكراهة .

واختلف هل يعني :

الإثم في قتلهم؟

أو الدية؟

أو الكفارة؟

أو الملامة؟

أو عيب الكفار لهم ؛ بأن يقولوا : قتلوا أهل دينهم؟

أو تألّم نفوسهم من قتل المؤمنين؟ ، وهذا أظهر ؛ لأن قتل المؤمن الذي لا يُعلم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية ، ولا ملامة ، ولا عيب .

﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني : رحمته^(١) للمؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار ، بأن كفّ سيوف المسلمين عن الكفار من أجلهم .

أو رحمته لمن يشاء من الكفار ؛ بأن يسلموا بعد ذلك .

واللام تتعلق بمحذوف يدلُّ عليه سياق الكلام ، تقديره : كان كفّ القتل عن أهل مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء .

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معنى ﴿تَزَيَّلُوا﴾ : تميزوا عن الكفار ،

(١) في ج ، د : «رحمة» .

والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان؛ أي: لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا الكفار.

فقوله: ﴿لَعَذْبْنَا﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ الثانية، وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا.

ويحتمل أن يكون ﴿لَعَذْبْنَا﴾ جواب ﴿لَوْلَا﴾^(١) الأولى، وكُثِّرَت «لو» الثانية تأكيداً.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ يعني: أنفة الكفر^(٢)، وهي منعهم للنبي ﷺ والمسلمين عن العمرة، ومنعهم من أن يكتب في كتاب الصلح «بسم الله الرحمن الرحيم»، ومنعهم من أن يكتب «محمد رسول الله»، وقولهم: «لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك»^(٣)، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك».

والعامل في ﴿إِذْ جَعَلَ﴾:

محذوف تقديره: اذكر.

أو قوله: ﴿لَعَذْبْنَا﴾.

والسكينة: هي سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك.

﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ الْقَوَى﴾ قال الجمهور: هي «لا إله إلا الله»، وقد روي

(١) في أ، ب، ج، د: «لو».

(٢) في ب، ج: «الكفار».

(٣) في أ، ب، ج: «لتابعناك».

ذلك عن رسول الله ﷺ^(١).

وقيل: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

وقيل: «لا إله إلا الله، والله أكبر».

وهذه كلها متقاربة.

وقيل: هي «بسم الله الرحمن الرحيم» التي أبى الكفار أن تكتب.

﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي: كانوا كذلك في علم الله وسابق قضائه لهم.

وقيل: أحق بها من اليهود والنصارى.



(١) أخرجه أحمد (٢١٢٥٤)، والترمذي (٣٢٦٥).

[لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا].

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ كان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه، بعضهم محلّقون وبعضهم مقصّرون، وروي أنه أتاه ملكٌ في النوم فقال له: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ الآية، فأخبر الناس برؤياه ذلك، وظنوا أن ذلك يكون في ذلك العام، فلما صدّه المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون: أين الرؤيا؟، ووقع في نفوس المسلمين شيءٌ من ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ أي: تلك الرؤيا صادقة، وسيخرج تأويلها بعد ذلك، فاطمأنت قلوب المؤمنين، وخرج رسول الله ﷺ في العام المقبل، هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام، وظهر صدق رؤياه، وتلك عُمره القضية، ثم فتح مكة بعد ذلك، ثم حج هو وأصحابه.

و﴿صَدَقَ﴾ في هذا الموضع يتعدى إلى مفعولين.

و ﴿بِالْحَقِّ﴾ يتعلّق :

ب ﴿صَدَقَ﴾ .

أو ب ﴿الرُّبُيَا﴾ على أن يكون حالاً منها .

﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضي الشك في الأمر ،
وذلك محالٌ على الله ؛ اختُلف في هذا الاستثناء على خمسة أقوال :

الأول : أنه استثناءٌ قاله الملك الذي رآه النبي ﷺ في المنام ، فحكى الله
مقالته كما وقعت .

والثاني : أنه تأديبٌ من الله لعباده ؛ ليقولوا : «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» في كل أمرٍ
مستقبل .

والثالث : أنه استثناءٌ بالنظر إلى كل إنسان على حدّته ؛ لأنه يمكن أن يتِمَّ له
الوعد ، أو يموت أو يمرض ؛ فلا يتِمُّ له .

والرابع : أن الاستثناء راجع إلى قوله : ﴿ءَامِنِينَ﴾ ، لا لدخول المسجد
الحرام .

والخامس : أن «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» بمعنى : «إِذَا^(١) شَاءَ اللَّهُ» .

﴿مُخَلِّفِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الحلاق والتقصير من سنة الحج والعمرة ،
والحلاق أفضل من التقصير ، لقول رسول الله ﷺ : «رحم الله المحلقين»
ثلاثاً ، ثم قال في المرة الآخرة : «والمقصرين»^(٢) .

(١) في أ، ج، د : «إِذَا» والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (٦٨٧/٧) .

(٢) أخرجه البخاري (١٧٢٧) ، ومسلم (١٣٠١) .

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ يريد: ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدة؛ فإنه لما انعقد الصلح، وارتفعت الحرب رغب الناس في الإسلام، فكان رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية في ألف وخمس مئة، وقيل: ألف وأربع مئة، وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف.

﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ قيل: يعني: فتح خيبر.

وقيل: بيعة الرضوان.

وقيل: صلح الحديبية، وهذا هو الأصح؛ لأن عمر قال لرسول الله ﷺ: أوفتح^(١) هو يا رسول الله؟ قال: «نعم»^(٢).

وقيل: هو فتح مكة، وهذا ضعيف؛ لأن معنى قوله: ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ قبل دخول المسجد الحرام، وإنما كان فتح مكة بعد ذلك، فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمره القضية عام سبعة، وفتح مكة عام ثمانية.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ذكر في «براءة»^(٣).

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهداً بأن محمداً رسول الله.

أو شاهداً بإظهار دينه.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني: جميع أصحابه.

وقيل: من شهد معه الحديبية.

(١) في د: «أفتح».

(٢) أخرجه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥).

(٣) انظر (٤٨٩/٢).

وإعراب ﴿الَّذِينَ﴾ معطوفٌ على ﴿مُحَمَّدٌ﴾، و﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ صفةٌ، و﴿أَشِدَّاءُ﴾ خبرٌ عن الجميع.

وقيل: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ مبتدأ، و﴿أَشِدَّاءُ﴾ خبره، و﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبر ﴿مُحَمَّدٌ﴾، ورجح ابن عطية هذا^(١).

والأول عندي أرجح؛ لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبي ﷺ وأصحابه، وأما على ما اختاره ابن عطية؛ فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصاً بالصحابة دون النبي ﷺ، وما أحقَّ النبي ﷺ بالوصف بذلك؛ لأن الله قال فيه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال له: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] فهذا هو الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين.

﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ السیما: العلامة، وفيه ستة أقوال:

الأول: أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود.

الثاني: أنه أثر التراب في الوجه.

الثالث: أنه صُفرة الوجه من السهر والعبادة.

الرابع: حُسْن الوجه؛ لما ورد في الحديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»^(٢) وهذا الحديث غير صحيح، بل وقع فيه غلطٌ من

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٦٨٨-٦٨٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٣)، وقال ابن عدي في الكامل (٣٠٥/٢): «وبلغني عن محمد ابن عبد الله بن نمير أنه ذكر له هذا الحديث عن ثابت [بن موسى الزاهد] فقال: باطل، شُبّه على ثابت، وذلك أن شريك كان مَرَّاحاً، وكان ثابت رجلاً صالحاً فيشبهه أن يكون =

الراوي، فرفعه إلى النبي ﷺ وهو غير مروى عنه.

الخامس: أنه الخشوع.

السادس: أن ذلك يكون في الآخرة، يجعل الله لهم نوراً من أثر السجود كما يجعل غُرَّةً من الوضوء، وهذا بعيد؛ لأن قوله: ﴿تَرَنَّهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ وصف حالهم في الدنيا، فيكون^(١) ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ كذلك.

والأول هو الأظهر، وقد كان بوجه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وعلي بن عبد الله بن العباس أثر ظاهر من كثرة السجود.

﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ أي: وصفهم فيها، وتم الكلام هنا، ثم ابتداء قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ﴾.

وقيل: إن ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ عطفت على ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ ثم ابتداء قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ وتقديره: هم كزرع.

والأول أظهر؛ ليكون وصفهم في التوراة بما تقدّم من الأوصاف الحسان وتمثيلهم في الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك.

وعلى هذا: يكون ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ بمعنى التشبيه والتمثيل.

وعلى القول الآخر: يكون المثل بمعنى الوصف كـ ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾.

= ثابت دخل على شريك وكان شريك يقول: الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر عن النبي ﷺ قال: فالتفت فرأى ثابتاً، فقال يمازحه: من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، فظن ثابت لغفلته أن هذا الكلام الذي قال شريك هو من الإسناد الذي قرأه فحمله على ذلك، وإنما ذلك قول شريك والإسناد الذي قرأه متن حديث معروف.

(١) في أ، هـ: «فتكون».

﴿كَزَّرَجَ أَخْرَجَ شَطْطَهُ﴾ هذا مثلٌ ضربه الله للإسلام؛ حيث بدأ ضعيفاً، ثم قَوِيَ وظهر.

وقيل: الزرع مثلٌ للنبي ﷺ؛ لأنه بُعِثَ وحده فكان كالزرع حَبَّةً واحدة، ثم كثر المسلمون فهم كالشَّطْطِ، وهو فراخ السنبلَة التي تنبت حول الأصل، ويقال: بإسكان الطاء، وفتحها دون مد، وفتحها مع المد، وهي لغات.

﴿فَنَازَرَهُ﴾ أي: قَوَّاه، وهو من المؤازرة بمعنى المعاونة.

ويحتمل أن يكون: الفاعل الزرع، والمفعول ﴿شَطْطَهُ﴾، أو بالعكس؛ لأن كل واحد منهما يقوِّي الآخر.

وقيل: معناه: ساواه طولاً، فالفاعل على هذا: الشطء.

ووزن ﴿ءَازَرَهُ﴾ أفعله، وقيل: فاعله.

وقرئ بقصر الهمزة على وزن فَعَلَ.

﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: صار غليظاً.

﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ السُّوق: جمع ساق، أي: قام الزرع على سوقه.

وقيل: ﴿كَزَّرَجَ﴾ يعني: النبي ﷺ، ﴿أَخْرَجَ شَطْطَهُ﴾ بأبي بكر، ﴿فَنَازَرَهُ﴾ بعمر، ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ بعثمان، ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ بعلي بن أبي طالب.

﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ تعليلٌ لما دلَّ عليه المثل المتقدم من قوَّة المسلمين، فهو يتعلَّق بفعلٍ يدل عليه الكلام تقديره: جعلهم الله كذلك؛ ليغيب بهم الكفار.

وقيل : يتعلّق بـ ﴿وَعَدَ﴾ ، وهو بعيد .

﴿مَنْهُمْ﴾ لبيان الجنس ، لا للتبعض ؛ لأنه وعدٌ عمّ جميعهم ﷺ .

﴿ سورة الحجرات ﴾

[﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ① ﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ② إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ
عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ③
إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ④ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى
تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑤ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْ بَنِي
فَسَيِّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ⑥ وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ
اللَّهِ لَوْ يَطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ
وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ⑦ فَضَلَا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⑧ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ
إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا
بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑨ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ⑩] .

﴿ لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : لا تتكلموا بأمرٍ قبل أن يتكلم هو به ، ولا تقطعوا في رأيٍ
إلا بنظره .

والثاني: لا تُقدِّموا الولاية بمحضره؛ فإنه يقدم من شاء.

والثالث: لا تتقدَّموا بين يديه إذا مشى، وهذا إنما يجري على قراءة يعقوب: ﴿لَا تَقْدَمُوا﴾ بفتح التاء والقاف والدال.

والأول هو الأظهر؛ لأن عادة العرب الاشتراك في الرأي، وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له، فربما فعل ذلك قومٌ مع النبي ﷺ، فنهاهم الله عن ذلك، ولذلك قال مجاهد: معناه: لا تفتنوا على الله شيئاً حتى يذكره على لسان رسوله ﷺ.

وإنما قال: ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ﴾؛ لأن النبي ﷺ إنما يتكلم بوحى الله^(١).
﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتأدَّبوا مع النبي ﷺ بهذا الأدب؛ كرامةً له وتعظيماً.

وسببها: أن بعض جفاة الأعراب^(٢) كانوا يرفعون أصواتهم.
﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ مفعول من أجله، تقديره: مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعت أصواتكم فوق صوته، أو جهرتم له بالقول ﷺ.
فالمفعول من أجله يتعلق بالفعلين معاً من طريق المعنى.
وأما من طريق الإعراب:

فيتعلق عند البصريين بالثاني وهو: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا﴾.
وعند الكوفيين بالأول وهو: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾.

(١) في ج: «بوحى من الله».

(٢) في ب، هـ: «العرب».

وهذا الإحباط ؛ لأن قلة الأدب معه ﷺ والتقصير في توقيره يحبط الحسنات وإن فعله مؤمن ؛ لعظيم ما وقع فيه من ذلك .

وقيل : إن الآية خطابٌ للمنافقين ، وهذا ضعيف ؛ لقوله في أولها : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وقوله : ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فإنه لا يصح أن يقال هذا لمنافق ؛ فإنه يفعلهُ جُرْأَةً وهو يقصده .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فإنه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر : «والله يا رسول الله لا كلمتك إِلَّا سِرًّا»^(١) ، وكان عمر يخفي كلامه حتى يستفهمه النبي ﷺ .

ولفظها مع ذلك على عمومهِ .

ومعنى ﴿أَمْتَحَنَ﴾ : اختبر ، فوجدها كما يجب ، مثل ما يُختبر الذهب بالنار ، فيوجد طيبًا .

وقيل : معناه : درَّبها للتقوى ؛ حتى صارت قوية على احتمالهِ بغير تكلف .

وقيل : معناه : أخلصها الله للتقوى .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿الْحُجُرَاتِ﴾ : جمع حُجْرة ، وهي قطعة من الأرض يُحَجَّر حولها بحائط ، وكان لكل واحدة من أزواج النبي ﷺ حجرة .

ونزلت الآية في وفد بني تميم ، قدموا على النبي ﷺ فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبي ﷺ ، فوقفوا خارجها ونادوا : «يا محمد!

(١) في ج ، د : «إسرارًا» .

اخرج إلينا، يا محمد! اخرج إلينا»، فكان في فعلهم ذلك جفاءً وبداءة وقلّة توقير، فتربّص رسول الله ﷺ مدة ثم خرج إليهم، فقال له واحد منهم - وهو الأقرع بن حابس - : يا محمد إنّ مدحي زَيْنٌ وذمي شَيْنٌ، فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك!، ذلك الله تعالى»^(١).

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ :

أحدهما: أن يكون فيهم قليلٌ ممن يعقل، ونفى العقل عن أكثرهم، لا عن جميعهم.

والآخر: أن يكون جميعهم ممن لا يعقل، وأوقع القلة موضعَ^(٢) النفي. والأول أظهر في مقتضى اللفظ، والثاني أبلغ في الذم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ يعني: خيرًا في الثواب، وفي انبساط نفس النبي ﷺ لهم، وقضائه لحوائجهم. وإنكارُ فعلهم فيه تأديبٌ لهم، وتعليمٌ لغيرهم.

﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بَنِي فَتَبَيَّنُوا﴾ سببها: أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عتبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق؛ ليأخذ زكواتهم^(٣)، فروي أنه كان معاديًا لهم، فأراد إزائيتهم، فرجع من بعض طريقه وكذب عليهم، وقال للنبي ﷺ: إنهم قد منعوني الصدقة وطرّدوني وارتدوا، فغضب رسول الله ﷺ وهمّ بغزوهم،

(١) أخرجه أحمد (٢٧٢٠٣)، والترمذي (٣٢٦٧)، والنسائي في الكبرى (٢٦٧/١٠).

(٢) في ب، هـ: «موقع».

(٣) في أ، د، هـ: «زكاتهم».

ونظر في ذلك، فَوَرَدَ وفُذِّهْم منكرين لذلك.

وروي أن الوليد بن عقبة لما قَرَّبَ منهم خرجوا إليه مُتَلَقِّينَ له، فرآهم على بعدٍ ففزع منهم وظنَّ بهم الشر، وانصرف فقال ما قال.

وروي أنه بلغه أنهم قالوا: لا نعطيه صدقةً ولا نطيعه، فانصرف وقال ما قال.

فالفاسق المشار إليه في الآية: هو الوليد بن عقبة، ولم يزل بعد ذلك يفعل أفعال الفُسَّاق، حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران، ثم قال لهم: أزيدكم؟^(١).

ثم هي باقيةٌ فيمن اتصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر.

وقرئ:

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من التبيين.

و﴿تَبَيَّنُوا﴾ بالثاء من التَّبَيَّنَ^(٢)، ويقوي هذه القراءة: أنها لما نزلت روي أن رسول الله ﷺ قال: «التَّبَيَّنَ»^(٣) من الله، والعجلة من الشيطان»^(٤).

واستدلَّ بهذه الآية القائلون بقبول خبر الواحد؛ لأن دليل الخطاب يقتضي أن خبر غير الفاسق مقبول.

قال المنذر البلوطي: وهذه الآية تردُّ على من قال: إن المسلمين كلهم

(١) في أ، ه زيادة: «إن شئتم».

(٢) في أ، ب، ه: «التبيت».

(٣) في ب، ه: «التبيت».

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٥٢/٢١) ولفظه: «التَّبَيَّنَ من الله...»، وعليه؛ فليس في هذه الرواية دلالة على تقوية هذه القراءة، بل فيها دلالة على تقوية القراءة الأولى.

عدول؛ لأن الله أمر بالتبين^(١) قبل القبول، فالمجهول الحال يُخشى أن يكون فاسقًا.

﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ في موضع المفعول من أجله، تقديره: مخافة أن تصيبوا قومًا بجهالة.

والإشارة إلى قتال بني المصطلق؛ لما ذكر عنهم الوليد ما ذكر.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ أي: لشقيتُم، والعنت: المشقة.

وإنما قال: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ ولم يقل: «لو أطاعكم»؛ للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته ﷺ لهم، والحق خلاف ذلك، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم، وذلك أن رأي رسول الله ﷺ خير وأصوب من رأي غيره، ولو أطاع الناس في رأيهم^(٢) لهلكوا، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَنَ﴾ الآية.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ اختلف في سبب نزولها:

فقال الجمهور: هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم لعبد الله ابن أبي بن سلول حين مرَّ به رسول الله ﷺ وهو متوجهٌ إلى زيارة سعد بن عبادَةَ في مرضه، فقال عبد الله بن أبي للنبي ﷺ: لقد آذاني نثنُ حمارك، فردَّ عليه عبد الله بن رواحة وتلاحى الناس حتى وقع بين الطائفتين ضربٌ

(١) في ب، ج، د: «بالتبين».

(٢) في أ، هـ: «آرائهم».

بالجريد، ويروى: بالحديد.

وقيل: سبها أن فرقتين من الأنصار وقع بينهما قتال، فأصلحه رسول الله ﷺ بعد جُهدٍ.

ثم حُكمها باقي إلى آخر الدهر.

وإنما قال: ﴿أَقْتَتَلُوا﴾ ولم يقل: «اقتتلا»؛ لأن الطائفة في معنى القوم والناس، فهي في المعنى جمعٌ.

﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ أمر الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية، وذلك إذا تبين أنها باغية.

فأما الفتن التي تقع بين المسلمين؛ فاختلف العلماء فيها على قولين:

أحدهما: أنه لا يجوز النهوض في شيءٍ منها ولا القتال، وهذا مذهب سعد بن أبي وقاص، وأبي ذر، وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

وحجتهم: قول رسول الله ﷺ: «قتال المسلم كفر»^(١)، وأمره ﷺ بكسر السيوف في الفتن.

والقول الثاني: أن النهوض فيها واجبٌ؛ لِتَكْفِ الطائفة الباغية، وهذا مذهب علي، وعائشة، وطلحة، والزبير، وأكثر الصحابة، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء.

وحجتهم: هذه الآية.

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، مسلم (٦٤).

فإذا فرَّعنا على القول الأول: فإن دَخَلَ داخلٌ على مَنْ اعتزل الفريقين منزله، يريد نفسه أو ماله فعليه دفعه عن نفسه وإن أدَّى ذلك إلى قتله؛ لقوله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دون نفسه وماله فهو شهيد»^(١).

وإذا فرَّعنا على القول الثاني: فاختُلف مع من يكون النهوض في الفتن؟
ف قيل: مع السَّواد الأعظم.

وقيل: مع العلماء.

وقيل: مع مَنْ يرى أن الحقَّ معه.

وحكم القتال في الفتن: أن لا يُجهَّز على جريح، ولا يُطلب هارب، ولا يُقتل أسيرٌ، ولا يُقسَم فيءٌ.

﴿حَتَّى تَفِيءَ﴾ أي: ترجع إلى الحق.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إنما ذكره بلفظ التثنية؛ لأن أقلَّ مَنْ يقع بينهم البغي اثنان.

وقيل: أراد بالأخوين: الأوس والخزرج.

وقرئ ﴿بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ﴾ بالتاء على الجمع، وقرئ ﴿بَيْنَ إِخْوَانِكُمْ﴾ بالنون على الجمع أيضاً.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، مسلم (١٤١).

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبْنَا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾].

﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ نهى عن السخرية، وهي الاستهزاء بالناس.

﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: لعل المسخور منه خير من الساخر عند الله، وهذا تعليل للنهي.

﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ﴾ لما كان القوم لا يقع إلا على الذكر ان عطف النساء عليهم.

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا يطعن بعضكم على بعض.

واللمز: العيب، سواء كان بقول أو إشارة أو غير ذلك، وسنذكر الفرق بينه وبين الهمز في سورة «الهمزة».

و﴿أَنفُسَكُمْ﴾ هنا بمنزلة قوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] ^(١).

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا يدع أحد ^(٢) أحداً بلقب، والتنابز بالألقاب: التداعي بها.

(١) انظر (٣/٣١٨).

(٢) في د: «أحدكم».

وقد أجاز المحدثون أن يقال: الأعمش والأعرج ونحوه، إذا دعت إليه الضرورة، ولم يقصد التقص والاستخفاف.

﴿يَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ يريد بـ ﴿الْأَسْمُ﴾: أن يُسَمَّى الإنسان فاسقًا بعد أن سُمِّي مؤمنًا، وفي ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: استقباح الجمع بين الفسوق وبين الإيمان، فمعنى ذلك: أن من فعل شيئًا من هذه الأشياء التي نهى عنها فهو فاسق وإن كان مؤمنًا.

والآخر: بثس ما يقوله الرجل للآخر: «يا فاسق» بعد إيمانه، كقولهم لمن أسلم من اليهود: «يا يهودي».

الثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن، وهذا على مذهب المعتزلة^(١).
﴿اجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ يعني: ظن السوء بالمسلمين، وأما ظن الخير فهو حسن.

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ قيل: معنى الإثم هنا: الكذب لقوله ﷺ: «الظن

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف: «الثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن» إلخ، أقول: الفرق بين الوجه الثاني والثالث أن المراد بالوجه الثاني أن المراد: من أطلق على أخيه (فاسق) على وجه السب مغايظة له لخصومة بينهما، فأما الثالث فمعناه الحكم على المسلم العاصي بأنه فاسق وليس بمؤمن، فيخرجه عن الإيمان، ويجعله في منزلة بين الإيمان والكفر، وهذا كما قال المؤلف على مذهب المعتزلة؛ فإنهم يجعلون مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن، ولا هو كافر، فخالفوا أهل السنة الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة معه أصل الإيمان؛ فهو مؤمن ناقص الإيمان، وخالفوا الخوارج الذين يقولون: مرتكب الكبيرة كافر، ثم يتفق الخوارج والمعتزلة على حكمه في الآخرة، وهو الخلود في النار.

أكذب الحديث»^(١)؛ لأنه قد لا يكون مطابقاً للأمر.

وقيل: إنما يكون إثماً إذا تكلم به، وأما إذا لم يتكلم به فهو في فُسْحَةٍ؛ لأنه لا يَقْدِر على دفع الخواطر.

واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سدِّ الذرائع في الشرع؛ لأنه أمر باجتناب كثيرٍ من الظن، وأخبر أن بعضه إثمٌ؛ فأمر باجتناب أكثر من الإثم؛ احترازاً من الوقوع في البعض الذي هو إثم.

﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾ أي: لا تبحثوا عن مخبَّات الناس.

وقرأ الحسن: ﴿تَحَسَّسُوا﴾ بالحاء.

والتجسس بالجيم: في الشر، وبالحاء: في الخير.

وقيل: التجسس: ما كان من وراء وراء، والتجسس - بالحاء -: الدخول والاستعلام.

﴿وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ المعنى: لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه.

والغيبة: هي ما يكره الإنسان ذكره من خلقه أو خلقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره»، قيل: يا رسول الله وإن كان حقاً؟ قال: «إذا قلت باطلاً فذلك البهتان».

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، مسلم (٢٥٦٣).

وقد رُخص في الغيبة في مواضع؛ منها: في التجريح في الشهادة، والرواية، والنصيحة في النكاح وشبهه، وفي التحذير من أهل الضلال.

﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ شبه الله تعالى الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتًا، والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم، ثم زاد في تقييده أن جعله ميتًا؛ لأن الجيفة مستقدرة.

ويجوز أن يكون ﴿مَيْتًا﴾ حالًا: من الأخ، أو من لحمه.

وقيل: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ إخبار عن حالهم بعد التقرير، كأنه لما قرره: «هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا؟» أجابوا فقالوا: «لا نحب ذلك»، فقال لهم: «فكرهتموه»، وبعد هذا محذوف تقديره: «فكذلك فأكروها الغيبة التي هي تشبهه»، وحذف هذا؛ لدلالة الكلام عليه، وعلى هذا المحذوف يُعطف قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، قاله أبو علي الفارسي.

وقال الرُّماني: كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع، وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحق أن يجاب؛ لأنه بصيرٌ عالم، والطبع أعمى جاهل.

وقال الزمخشري: في هذه الآية مبالغات كثيرة:

منها: الاستفهام الذي معناه التقرير.

ومنها: جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولًا بالمحبة.

ومنها: إسناد الفعل إلى ﴿أَحَدُكُمْ﴾، والإشعار بأن أحدًا من الأحدين لا يحب ذلك.

ومنها: أن لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتًا.

ومنها: أن لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله أخاً^(١).

﴿يَتَأَيَّمُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ الذكر والأنثى هنا: آدم وزوجه^(٢).

قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد الجنس، كأنه قال: إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى^(٣).

والأول أظهر وأصلح؛ لقوله ﷺ: «الناس من آدم، وآدم من التراب»^(٤).

ومقصود الآية: التسوية بين الناس، والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، فبيّن الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب؛ إنما هو بالتقوى، قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يكون أكرم الناس فليتيق الله»^(٥).

وروي أن سبب الآية أن رسول الله ﷺ أمر بني بياضة أن يزوّجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا: كيف نزوّج نساءنا لموالينا؟

﴿وَجَعَلْنَكُمْ سُوءًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الشعوب: جمع شعب - بفتح الشين -، وهو أعظم من القبيلة، وتحت القبيلة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة، وهم القرابة الأذنون.

(١) الكشف (٥٠٢/١٤).

(٢) في زيادة: «حواء».

(٣) المحرر الوجيز (٢٣/٨).

(٤) أخرجه أحمد (٨٧٣٥)، وأبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٢٧٠).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٠٠/٤).

فمُضَر وربيعة وأمثالهما : شعوبٌ، وقريش قبيلةٌ، وبنو عبد مناف بطن، وبنو هاشم فخذ - ويقال بإسكان الخاء؛ فرقاً بينه وبين الجارحة -، وبنو عبد المطلب فصيلة.

وقيل : الشعوب : في العجم، والقبائل : في العرب، والأسباط : في بني إسرائيل.

ومعنى ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ : ليعرف بعضكم بعضاً.



[قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾].

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا﴾ نزلت في بني أسد بن خزيمة، وهي قبيلة كانت تجاور المدينة، أظهرها الإسلام، وكانوا إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا، فأكذبهم الله في قولهم: «أما»، وصدقهم لو قالوا: «أسلمنا».

وهذا على أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإسلام هو الانقياد للنطق^(١) بالشهادتين والعمل بالجوارح، فالإسلام والإيمان في هذا الموضع متباينان في المعنى، وقد يكونان متفقين، وقد يكون الإسلام أعم من الإيمان فيدخل الإيمان فيه، حسبما ورد في مواضع آخر.

﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ معنى ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾: لا ينقصكم شيئاً من أجور أعمالكم.

وفيه لغتان:

يقال: لات، وعليه قراءة نافع: ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾ بغير همز.

(١) في ب: «إلى النطق».

ويقال: ألت، وعليه قراءة من قرأ: ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بهمزة قبل اللام.
 فإن قيل: كيف يعطيهم أجور أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا؛ ولا تُقبل
 الأعمال^(١) إلا من مؤمن؟

فالجواب: أن طاعة الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال،
 فالمعنى: إن رجعتُم عما أنتم عليه من الإيمان بالسنتكم دون قلوبكم،
 وعملتُم أعمالًا صالحة فإن الله لا يَنقُصكم منها شيئًا.

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: لم يشكوا في إيمانهم، وفي ذلك تعريضٌ بالأعراب
 المذكورين؛ لأنهم في شك، وكذلك قوله في هؤلاء: ﴿أُولَئِكَ هُمُ
 الضَّالُّونَ﴾ تعريضٌ أيضًا بالأعراب؛ إذ كذبوا في قولهم: آمنا.
 وإنما عطف ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ بـ «ثُمَّ»؛ إشعارًا بثبوت إيمانهم في الأزمنة
 المتراخية المتطاولة.

﴿وَجَاهِدُوا﴾ يريد: جهاد الكفار؛ لأنه دليلٌ على صحة الإيمان.
 ويبعد أن يريد: جهاد النفس والشيطان؛ لقوله: ﴿يَا مَوْلَاهُمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ نزلت في بني أسد أيضًا؛ فإنهم قالوا للنبي ﷺ:
 إنا آمنا بك واتبعناك ولم نحاربك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم.
 ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ أي: هداكم للإيمان على زعمكم،
 ولذلك قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

(١) في د: «ولا يقبل الأعمال».

و﴿يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ:

بمعنى: يُنْعِمُ عَلَيْكُمْ.

أو بمعنى: يَذْكُرُ إِنْْعَامَهُ، وهذا أحسن؛ لأنه في مقابلة: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾.

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

﴿سورة ق﴾

[﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢﴾ أَوَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ٧﴾ تَبَصَّرَ وَذَكَرَ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ١١﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَشُعُوبٌ ١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤﴾ أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾].

تكلّمنا على حروف الهجاء في «البقرة»^(١).

ويختصُّ ﴿ق﴾:

بأنه قيل فيه: إنه من اسم الله: القاهر، أو القادر.

وقيل: هو اسم للقرآن^(٢).

(١) انظر (١/ ٢٦١).

(٢) في أ، هـ: «للقرآن».

وقيل : هو اسم الجبل ^(١) الذي يحيط بالدنيا .

﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ من المجد، وهو الشرف والكرم .

وجواب هذا القسم محذوف، تقديره : ما ردُّوا أمرَك بحجة وما كذبوك ببرهان وشبه ذلك، وعن هذا المحذوف وقع الإضراب بـ «بل» .

وقيل : الجواب : ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ .

وقيل : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ .

وقيل : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ .

وهذه الأقوال ضعيفة متكلفة .

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ الضمير في ﴿عَجِبُوا﴾ لكفار قريش، والمنذر : هو محمد ﷺ .

وقيل : الضمير لجميع الناس، واختاره ابن عطية، قال : ولذلك قال تعالى : ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ ^(٢) أي : الكافرون من الناس .

والصحيح : أنه لقريش، وقوله : ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمَر ؛ لقصد ذمهم بالكفر، كما تقول : «جاءني فلان، فقال الفاجر كذا» إذا قصدت ذمه .

(١) في د : «للجبل» .

(٢) المحرر الوجيز (٣٢ / ٨) ولم أقف من كلامه على ما يدل على أنه اختاره وارتضاه، وإنما حكاه عن جمهور المتأولين .

وقوله: ﴿مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ﴾:

إن كان الضمير لقريش: فمعنى ﴿مِّنْهُمْ﴾: من قبيلتهم، يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم.

وإن كان الضمير لجميع الناس: فمعنى ﴿مِّنْهُمْ﴾: إنسان مثلهم.

وتعجبهم^(١) يحتمل^(٢) أن يكون:

من أن يبعث الله بشراً.

أو من الأمر الذي يتضمّنه الإنذار، وهو الحشر، ويؤيد هذا ما يأتي بعد.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ العامل في ﴿إِذَا﴾: محذوف، تقديره: أنبعث إذا متنا؟.

﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ الرجع مصدر: رَجَعْتُ، والمراد به: البعث بعد الموت، ومعنى ﴿بَعِيدٌ﴾ أي: بعيد الوقوع عندهم.

وقيل: الرجع: الجواب، أي: جوابهم هذا بعيد عن الحق، وعلى هذا يكون قوله: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ من كلام الله تعالى.

وأما على الأول: فهو حكاية كلام الكفار، وهو أظهر.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ هذا ردٌّ على الكفار في إنكارهم للبعث.

ومعناه: قد علمنا ما تنقص الأرض من لحومهم وعظامهم؛ فلا يصعب

(١) في أ: "وتعجبهم".

(٢) في د: "وتعجبهم تحيرهم، فيحتمل...".

علينا بعثهم، قال رسول الله ﷺ: «كل جسد ابن آدم تأكله الأرض، إِلَّا عُجِبَ الذَّنْبُ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ»^(١) يُرْكَبُ»^(٢).

وقيل: المعنى: قد علمنا ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم.

والأول قول ابن عباس والجمهور، وهو أظهر.

﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيطٌ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، ومعنى ﴿حَفِيطٌ﴾: جامع لا يَشِدُّ عنه شيء.

وقيل: معناه: محفوظ من التبديل والتغيير.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول؛ للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أقبح من تعجبهم^(٣)، وهو التَّكْذِيبُ بالحق الذي هو النبوة، وما تَضَمَّنَتْه من الإخبار بالحشر وغير ذلك.

وقال ابن عطية: هذا الإضراب عن كلام محذوفٍ تقديره: «ما أجادوا النظر»، أو نحو ذلك^(٤).

﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ أي: مضطرب؛ لأنهم تارةً يقولون: ساحر، وتارةً شاعر، وغير ذلك من أقوالهم^(٥).

وقيل: معناه: منكر.

(١) في د: «ومنه» وهو موافقة لرواية البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٣) في أ: «تعجيبهم».

(٤) المحرر الوجيز (٣٣/٨).

(٥) في د زيادة: «الفاصلة».

وقيل : ملتبس .

وقيل : مختلط .

﴿وَزَيَّنَّهَا﴾ يعني : بالنجوم .

﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أي : من شِقَاقٍ ، وذلك دليلٌ على إتقان الصَّنعة .

﴿رَوَّسَى﴾ يعني : الجبال .

﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي : من كل نوع جميل .

﴿مَاءٌ مُبَارَكًا﴾ يعني : المطر كله .

وقيل : إنما الماء المبارك مطر^(١) مخصوص يُنزله الله كل سنة ، وليس كل المطر^(٢) يتصف بالبركة ، وهذا ضعيف .

﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد .

﴿بَاسِقَاتٍ﴾ أي : طويلات .

﴿طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ الطَّلْع : أول ما يظهر من التمر ، وهو أبيضٌ مَنْضَدٌ كحَبِّ

الرُّمَّان ، فما دام ملتصقاً ببعضه بعض فهو نضيد ، فإذا تفرَّق فليس بنضيد .

﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ تمثيلٌ لخروج الموتى من القبور بخروج النبات من

الأرض

﴿وَأَحْبَبُ أَلْوَانٍ﴾ قومٌ كانت لهم بئرٌ عظيمة ، وهي الرِّسُّ ، بُعِثَ إليهم نبيٌّ

(١) في د : «ماء» .

(٢) في ب ، ج ، د : «مطر» .

فجعلوه في الرس وردّموا عليه، فأهلكهم الله .

﴿وَأَصْحَبُ الْأَيْكَةِ﴾ يعني : قوم شعيب، وقد ذُكِرَ^(١) .

﴿وَقَوْمُ ثُعَاجٍ﴾ ذكر في «الدخان»^(٢) .

﴿فَخَقَّ وَعِيدٌ﴾ أي : حلّ بهم الهلاك .

﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ يقال : عَيَّيَ بالأمر : إذا لم يعرف عمله .

والخلق الأول : خلق الإنسان من نطفة ثم من علقه .

وقيل : يعني : خلق آدم .

وقيل : خلق السموات والأرض .

والأول أظهر .

ومقصود الآية : الاستدلال بالخلق الأولى على البعث، والهمزة للإنكار .

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي : هم في شكٍّ من البعث، وإنما نكّر

الخلق الجديد؛ لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين، وعرف

الخلق الأول؛ لأنه معروف معهود .



(١) انظر (٧٢٦/٢) (٣٧٨/٣) .

(٢) انظر صفحة ٩٦ .

[وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُ ط وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ﴿٢٣﴾ أَلَقِيََا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَتِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفَيْاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُونَا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَتِيدِ﴾].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني: جنس الإنسان^(١)، ومعنى ﴿تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُ ط﴾ تحدُّثه به نفسه في فكرتها، وذلك أخفى الأشياء.

وقيل: يعني: آدم، ووسوسته: عند أكله من الشجرة.

والأول أظهر وأشهر.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هو عِرْقٌ كبير في العُنُق، وهما وريدان عن يمين وشمال، وهذا مثلٌ في فَرْطِ الْقُرْبِ، والمراد به: قُرْبُ علم الله وإطلاعه على عبده.

وإضافة الحبل إلى الوريد:

كقولك: «مسجد الجامع».

(١) في ب، ج، د: «الناس».

أو يراد بالحبل : العاتق ^(١).

﴿إِذْ يَلْقَى الْمُتَلَقِّانِ﴾ يعني : الملكين الحافظين الكاتِبَيْنِ للأعمال .

والتلقي : هو تلقّي الكلام بحفظه وكتابه .

والعامل في ﴿إِذْ﴾ : ﴿وَحْنٌ أَقْرَبُ﴾ .

وقيل : مضمّر تقديره : اذكر . واختاره ابن عطية ^(٢).

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي : قاعد .

وقيل : مُقَاعِد ، بمعنى مُجَالِس ، وردّه ابن عطية : بأن المُقَاعِد إنما يكون مع قعود الإنسان ، والقاعد يكون على جميع هيئات الإنسان ^(٣).

إنما أفرده وهما اثنان ؛ لأن التقدير : «عن اليمين قعيدٌ ، وعن الشمال قعيد من المتلقّين» ، فحذف أحدهما ؛ لدلالة الآخر عليه .

وقال الفراء : لفظ «قعيد» يدلُّ على الاثنين والجماعة ^(٤) ؛ فلا يُحتاج إلى حذف .

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ العتيد : الحاضر ، وفي الحديث أن

(١) عبارة الكشف (١٤/٥٣٦) : «أن يُراد : حبلُ العاتق ، فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق ؛ لاجتماعهما في عضو واحد» ، فلعلَّ الأقرب في عبارة ابن جزي أن تكون : «أو يراد بالوريد العاتق» ، فيكون الحبل الذي هو الوريد مضافاً إلى العاتق ؛ أي : حبل العاتق ، فلا يكون الشيء مضافاً إلى نفسه .

(٢) المحرر الوجيز (٨/٣٩) .

(٣) المحرر الوجيز (٨/٣٩-٤٠) .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٧٧) .

رسول الله ﷺ قال: «إن مقعد الملكين على الشنيتين»^(١)، قلمهما اللسان، ومدادهما الريق»^(٢).

وعموم الآية يقتضي: أن الملكين يكتبان جميع كلام العبد، ولذلك قال الحسن وقتادة: يكتب الملكان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك.

وقال عكرمة: إنما تكتب^(٣) الحسنات والسيئات لا غير.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أي: بقاء الله، أو فراق الدنيا.

وفي مصحف عبد الله ابن مسعود: «وجاءت سكرة الحق بالموت»، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق.

وإنما قال: ﴿وَجَاءَتْ﴾ بالماضي؛ لتحقيق الأمر وقربه، وكذلك ما بعده من الأفعال.

﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تفر وتهرب، والخطاب للإنسان.

﴿سَاقٍ وَشَهِيدٌ﴾ السائق: ملك يسوقه.

وأما الشهيد:

فقليل: ملك آخر يشهد عليه، وهو الأظهر.

وقيل: صحائف الأعمال.

(١) في د: «الشفيتين»، والمثبت موافق لما في الرواية عند الثعلبي.

(٢) أخرج الثعلبي بإسناده في تفسيره الكشف والبيان (٩/٩٩).

(٣) في ب، ج: «تكتب».

وقيل : جوارح الإنسان .

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ خطابٌ للإنسان الذي يقتضيه قوله : ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ ، يريد : أنه كان غافلاً عما لقي في الآخرة .

وقيل : هو خطابٌ لمحمد ﷺ ؛ أي : كنتَ في غفلة من هذا القصص ؛ وهذا في غاية الضعف ؛ لأنه خروجٌ عن سياق الكلام .

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ يريد بكشف الغطاء : معاينة أمور الآخرة .

﴿فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي : يُبَصِّرُ ما لم يكن يبصره قبل ، قال رسول الله ﷺ : «الناس نيامٌ ؛ فإذا ماتوا انتبهوا»^(١) .

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ القرين هنا : الشيطان الذي كان يُغويه .

وقيل : الملك الذي يسوقه .

وقيل : الملك الذي يتولَّى عذابه في جهنم .

والأول أرجح ؛ لأنه هو القرين المذكور بعد ، ولقوله : ﴿نُقِضَ لَهُ شِطْرَانَا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف : ٣٦] .

ومعنى قوله : ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ ، أي : هذا الإنسان حاضرٌ لديّ ، أُعْتَدَتْهُ وَيَسَّرَتْهُ^(٢) لجهنم .

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٩٩٣) : «لم أجده مرفوعاً ، يعزى إلى علي ابن أبي طالب» ، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص : ٦٩١) : «هو من قول علي ابن أبي طالب» .

(٢) في ب : «واحتضرته» .

وكذلك المعنى إن قلنا : إن القرين هو الملك السائق .

وإن قلنا : إنه أحد الزبانية : فمعناه : هذا العذاب لديّ حاضرٌ .

ويَحْتَمِلُ أن تكون ﴿مَا﴾ في قوله : ﴿مَا لَدَيَّْ﴾ : موصوفةٌ أو موصولة .

[أ-] فإن كانت موصوفة : فـ ﴿عِنْدِي﴾ صفة لها .

[ب-] وإن كانت موصولة : فـ ﴿عِنْدِي﴾ :

بدلٌ منها .

أو خبرٌ بعد خبر .

أو خبرٌ مبتدأٌ محذوف .

و﴿مَا﴾ هي خبر المبتدأ^(١) على هذه الوجوه .

ويَحْتَمِلُ أن يكون ﴿عِنْدِي﴾ الخبر ، وتكون ﴿مَا﴾ :

بدلاً من ﴿هَذَا﴾ .

أو منصوبة بفعل مضمَر .

﴿أَلْقِيََا فِي جَهَنَّمَ﴾ خطابٌ للملكين السائقين والشهيد .

وقيل : إنه خطابٌ لواحد :

على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة ، ثم أُبدل منها ألف .

أو على أن يكون معناه : «ألقى ألقى» فثنى مبالغةً وتأكيذاً .

(١) وهو ﴿هَذَا﴾ من قوله : ﴿هَذَا مَا لَدَيَّْ عِنْدِي﴾ .

أو على أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم : «خليلي» ،
و«صاحبي» .

وهذا كله تكلفٌ بعيد .

ومما يدلُّ على أن الخطاب لاثنين قوله : ﴿فَالْقِيَاءُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ .

﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ قيل : مناع للزكاة^(١) المفروضة .

والصحيح : العموم .

﴿مُرِيبٌ﴾ شاكٌ في الدين ؛ فهو من الرِّيب بمعنى الشك .

﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ يحتمل :

أن يكون مبتدأ ، وخبره ﴿فَالْقِيَاءُ﴾ ، وأدخل فيه الفاء ؛ لتضمُّن معنى الشرط .

أو يكون بدلاً أو صفةً ، ويكون ﴿فَالْقِيَاءُ﴾ تكراراً ؛ للتوكيد .

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ القرين هنا : شيطانه الذي وُكِّل به في الدنيا بلا خلاف .

ومعنى ﴿مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ : ما أوقعته في الطغيان ، ولكنه طغى باختياره .

وإنما حذف الواو هنا ؛ لأن هذه جملة مستأنفة ، بخلاف قوله : ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ قبل هذا ؛ فإنه عطْفٌ .

﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ﴾ خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين .

(١) في أ ، هـ : «قيل : معناه الزكاة» .

﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾ أي : قد حكمتُ بتعذيب الكفار ؛ فلا تبديل لذلك .
وقيل : معناه : لا يكذب أحدٌ لديّ ؛ لعلمي بجميع الأمور ، فالإشارة على
هذا : إلى قول القرين : ﴿مَا أَطَعْتُهُ﴾ .



[يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٥﴾ وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣٦﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٧﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٨﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٩﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٤٠﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيسٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٤٣﴾ فَأَصِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٤٤﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٥﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤٦﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٧﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٩﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٥٠﴾].

﴿وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ الفعل مسندٌ إلى جهنم .

وقيل : إلى خزنتها من الملائكة .

والأول أظهر .

واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة ، أو مجازاً بلسان الحال ؟

والأظهر : أنه حقيقة ، وذلك على الله يسير .

ومعنى قولها : ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ أنها تطلب الزيادة وكانت لم تمتلئ .

وقيل : معناه : لا مزيد ؛ أي : ليس عندي موضعٌ للزيادة ، فهي على هذا قد

امتلات .

والأول أظهر وأرجح؛ لما ورد في الحديث: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع الجبار فيها قدمه»^(١)، وفي هذا الحديث كلام ليس هذا موضعه.

والمزيد يحتمل أن يكون: مصدرًا كالمحيض، أو اسم مفعول.
فإن كان مصدرًا: فوزنه مَفْعِل.

وإن كان اسم مفعول: فوزنه مَفْعُول.

﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ﴾ أي: قُرِبت، ثم أكَّد ذلك بقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي: كثير الرجوع إلى الله، فهو من: آب يؤوب: إذا رجع.

وقيل: هو المسبِّح لله؛ من قوله: ﴿يَجِئَالُ أَوْيَ مَعَهُ﴾ [سبا: ١٠].

﴿حَفِيطٍ﴾ أي: حافظ لأوامر الله فيفعلها، ولنواهيه فيتركها.

﴿مَنْ حَتَّى الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ﴾ أي: اتقى الله وهو غائب عن الناس، فالمجرور في موضع الحال.

و﴿مَنْ حَتَّى﴾ بدل، أو مبتدأ.

فإن قيل: كيف قرَن بالخشية الاسم الدالَّ على الرحمة؟

فالجواب: أن ذلك لقصد المبالغة في الشاء على من يخشى الله؛ لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه، قال ذلك الزمخشري^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).

(٢) الكشف (٥٥٢/١٤).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ : أَنَّ الرَّحْمَنَ قَدْ صَارَ يَسْتَعْمَلُ اسْتِعْمَالَ الْأَسْمِ الَّذِي لَيْسَ بِصِفَةٍ ، كَقَوْلِنَا : اللَّهُ .

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قيل : يعني : النظر إلى وجه الله ، كقوله : ﴿الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ﴾ [يونس : ٢٦] .

وقيل : يعني : ما لم يخطر على قلوبهم ، كما ورد في الحديث مما يرويه النبي ﷺ عن ربه أنه قال : «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر»^(١) .

﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ الضمير في ﴿هُمْ﴾ للقرون المتقدمة ، وفي ﴿مِنْهُمْ﴾ لكفار قريش .

﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي : طافوا فيها .

وأصله : دخولها من أنقابها ، أو من التَّنْقِيبِ عن الأمر ؛ بمعنى البحث عنه .

﴿هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ﴾ أي : قالوا : هل من مهرب عن الله؟ ، أو عن العذاب؟ .

﴿لِمَنْ كَانَ لَمْ قَلْبٌ﴾ أي : قلب واع يعقل ويفهم .

﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي : استمع وهو حاضر القلب .

﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ اللُّغُوبُ : الإعياء والتعب .

﴿فَأَصْرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ يعني : كفار قريش وغيرهم .

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤) ، ومسلم (٢٨٢٤) .

﴿وَسَيَحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يريد: التسيح باللسان، أو يريد الصلاة، وقد ذكر الزمخشري الوجهين^(١).

وقال ابن عطية: معناه: صلّ بإجماع من المتأولين^(٢).

وهي على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس ف﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: الصبح، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾: العصر والظهر، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء. وقيل: هي^(٣) النوافل.

﴿وَإِذْبَرِ السُّجُودَ﴾ قال عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما: يعني: الركعتين بعد المغرب.

وقال ابن عباس: هي النوافل بعد الفرائض.

وقيل: الوتر.

﴿وَأَسْمِعْ﴾ معناه: انتظر، فهو عامل في ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ على أنه مفعول به صريح.

وقيل: المعنى: استمع لما نقص عليك من أهوال القيامة، فعلى هذا: لا يكون عاملاً في ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ ويوقف على ﴿وَأَسْمِعْ﴾. والأول أظهر.

(١) الكشف (١٤/٥٥٩).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٥٧).

(٣) في ب، ج: «يعني».

﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ المنادي هنا: هو إسرافيل الذي ينفخ في الصور، قيل^(١): إنما وصفه بالقرب؛ لأنه يسمعه جميع الخلق.

وقيل: المكان: صخرة بيت المقدس، وإنما وصفها بالقرب: لقربها من مكة.

وقيل: لقربها من السماء؛ لأنها أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلًا، وهذا ضعيف.

﴿يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ يعني: خروج الناس من القبور.
﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ﴾ العامل في هذا الظرف: معنى قوله: ﴿حَسْرَةً عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾. أو هو بدلٌ مما قبله.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي: بقهَّار تقهرهم على الإيمان، فهو كقوله: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ ﴿٢٢﴾ [الغاشية: ٢٢].

وقيل: إنه إخبارٌ بأنه ﷻ رؤوف بهم، غيرُ جَبَّار عليهم، وهذا أظهر.
﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [فاطر: ١٨]؛ لأنه لا ينفع التذكير إلا فيمن^(٢) يخاف.



(١) في أ، ب: «وقيل».

(٢) في د: «من».

﴿سورة الذاريات﴾

[﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ فَالْحَمَلَتِ وَقَرَّ ﴿٢﴾ فَأَلْجَرَتِ سُرًّا ﴿٣﴾ فَأَلْمَسَتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعُ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أَيْكُ ﴿٩﴾ قُلِ الْخَرَصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَبَانَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَلَنْتَكُنَّ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِءِ سَتَعَجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُتَحِيزِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾].

﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾﴾ هي ^(١) الريح تَذَرُو ^(٢) التراب وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿تَذَرُهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٥].

وانتصب ﴿ذَرَوْا﴾ على المصدرية.

﴿فَالْحَمَلَتِ وَقَرَّ ﴿٢﴾﴾ هي السحاب تحمل المطر.

والوقر: الحمل، وهو مفعول به.

(١) في ب، ج: «يعني».

(٢) في أ، هـ: «تَذَرُ».

﴿فَالْجُرَيْتِ يُسْرًا﴾ (٢) هي السفن تجري في البحر .

وإعراب ﴿يُسْرًا﴾ : صفة لمصدر محذوف ، ومعناه : بسهولة .

﴿فَالْمُقْسَمِ أَمْرًا﴾ (٣) هي الملائكة تقسم أمر الملكوت ، من الأرزاق والآجال وغير ذلك .

و﴿أَمْرًا﴾ مفعول به .

وقيل : إن ﴿الْحَمَلَتِ وِقْرًا﴾ : السفن .

وقيل : جميع الحيوان الحامل .

وقيل : إن ﴿الْجُرَيْتِ يُسْرًا﴾ : السحاب .

وقيل : الجواري من الكواكب .

والأول أشهر ، وهو قول علي بن أبي طالب .

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ (٤) هذا جواب القسم .

ويحتمل ﴿تُوعَدُونَ﴾ أن يكون : من الوعد أو من الوعيد .

والأظهر : أنه يراد به البعث في الآخرة ، وهو يشمل الوعد والوعيد .

﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوْفٌ﴾ (٥) الدين هنا : الجزاء .

وقيل : الحساب .

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ (٦) أي : ذات الطرائق ، مثل الطرائق التي تكون في

الماء إذا هبَّت عليه الرياح^(١) ، وكذلك حُبْكُ الزرع ، وهي الطرائق التي فيه .

(١) في ب ، د : «الريح» .

وقيل : الحبك : النجوم .

وقيل : زينة السماء .

وقيل : حسن خلقتها .

وواحد الحبك : جباك أو حبيكة .

﴿إِنَّكَ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۖ﴾ (٨) يحتمل :

أن يكون خطاباً لجميع الناس ؛ لأنهم اختلفوا ، فمنهم مؤمن ومنهم كافر .

ويحتمل أن يكون خطاباً للكفار خاصة ؛ لأنهم اختلفوا فقال بعضهم :

ساحر ، وقال بعضهم : كاهن ، وقال بعضهم : شاعر .

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۖ﴾ (٩) معنى ﴿يُؤْفَكُ﴾ : يُصَرَفُ .

والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يحتمل أربعة أوجه :

أحدها : أن يكون للنبي ﷺ ، أو للقرآن ، أو للإسلام .

والمعنى : يصرف عن الإيمان به من صرف ، أي : من سبق في علم الله أنه

مصروف .

والثاني : أن يكون الضمير لـ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ ، أو للدين المذكور .

والمعنى : يصرف عن الإيمان به من صرف .

الثالث : أن يكون الضمير للقول المختلف .

والمعنى : يصرف عن ذلك القول إلى الإسلام من قضى الله بسعادته .

وهذا القول حسنٌ، إلّا أن عُرِف الاستعمال في «أَفِكَ يُؤَفِّكَ» إنما هو في الصَّرْف من خير إلى شر، وهذا من شرٍّ إلى خير.

الرابع: أن يكون الضمير للقول المختلف، وتكون «عن» سببية.

والمعنى: يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الإيمان.

﴿قِيلَ الْخَرْصُونَ ۝١٠﴾ دعاءٌ عليهم، كقولهم: قاتلك الله.

وقيل: إن ﴿قِيلَ﴾ بمعنى: لُعِنَ.

قال ابن عطية: واللفظة لا تقتضي ذلك^(١).

وقال الزمخشري: أصله الدعاء بالقتل، ثم جرى مجرى: لُعِنَ وَقُبِحَ^(٢).

و﴿الْخَرْصُونَ﴾: الكذّابون، وأصل الخَرْص: التخمين والقول بالظن.

والإشارة: إلى الكفار.

وقيل: إلى الكهان.

والأول أظهر.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ الغمرة: ما يغطي عقل الإنسان،

وأصله: غمرة الماء، والمراد به هنا: الجهالة والغفلة عن النظر.

﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ أَلْذِينَ ۝١٢﴾ أي: يقولون: «متى يوم الدين؟» على وجه

(١) المحرر الوجيز (٦٥/٨).

(٢) الكشف (١٢/١٥).

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (١٣) هذا جوابٌ عن سؤالهم.

ومعنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾: يُحَرِّقُونَ وَيُعَذِّبُونَ، ومنه قيل للحرّة: «فَتِينٌ»؛ كأن الشمس أحرقت حجارته.

ويحتمل أن يكون ﴿يَوْمَ هُمْ﴾:

[أ-] معربًا، والعامل فيه مضمر تقديره: يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون.

[ب-] وأن يكون مبنياً؛ لإضافته إلى مبني، وعلى هذا يجوز أن يكون:

في موضع نصبٍ بالفعل المضمر حسبما ذكرنا.

أو في موضع رفع، والتقدير: هو يوم هم على النار يفتنون.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا حرّقكم.

﴿أَخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعني: يأخذون في الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعم^(١).

وقيل: المعنى: آخذين في الدنيا ما آتاهم^(٢) ربهم من شرعه.

والأول أظهر وأرجح؛ لدلالة الكلام عليه.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (١٧) الهجوع: النوم.

وفي معنى الآية قولان:

(١) في د: «والنعيم».

(٢) في أ، هـ: «أعطاهم».

أحدهما - وهو الصحيح - : أنهم كانوا ينامون قليلاً من الليل ،
ويقطعون أكثر الليل بالسهرة في الصلاة والتضرع والدعاء .
والآخر : أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلاً ولا كثيراً .

ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين :

فأما على القول الأول : ففي الإعراب أربعة أوجه :

الأول : أن يكون ﴿ قَلِيلًا ﴾ خبر ﴿ كَانُوا ﴾ و ﴿ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ فاعل بـ ﴿ قَلِيلًا ﴾ ؛
لأن قليلاً صفة مشبهة باسم الفاعل ، وتكون ﴿ مَا ﴾ مصدرية ، والتقدير : كانوا
قليلاً هجوعهم من الليل .

والثاني : مثل هذا ، إلا أن ﴿ مَا ﴾ موصولة ، والتقدير : كانوا قليلاً الذين
يهجعون فيه من الليل .

والثالث : أن تكون ﴿ مَا ﴾ زائدة ، و ﴿ قَلِيلًا ﴾ ظرف ، والعامل فيه
﴿ يَهْجَعُونَ ﴾ ، والتقدير : كانوا يهجعون وقتاً قليلاً من الليل .

والرابع : مثل هذا ، إلا أن قليلاً صفة لمصدر محذوف ، والتقدير : كانوا
يهجعون هجوعاً قليلاً .

وأما على القول الثاني : ففي الإعراب وجهان :

أحدهما : أن تكون ﴿ مَا ﴾ نافية ، و ﴿ قَلِيلًا ﴾ ظرف ، والعامل فيه :
﴿ يَهْجَعُونَ ﴾ ، والتقدير : كانوا ما يهجعون قليلاً من الليل .

والآخر : أن تكون ﴿ مَا ﴾ نافية ، و ﴿ قَلِيلًا ﴾ خبر « كان » ، والمعنى : كانوا
قليلاً في الناس ، ثم ابتداء بقوله : ﴿ مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ .

وكلا الوجهين باطلٌ عند أهل العربية؛ لأن «ما» النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، فظهر ضعف هذا المعنى بطلان إعرابه.

﴿وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم، والأسحار: آخر الليل، وقد جاء في الحديث: «أن الله تعالى يقول في الثلث الآخر من الليل: من يستغفرني فأغفر له»^(١).

وقيل: معنى ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾: يصلُّون، وهذا بعيد من اللفظ.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الحق هنا: نوافل الصدقات.

وقيل: المراد الزكاة، وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة.

وقيل: إن الآية منسوخة بالزكاة، وهذا لا يُحتاج إليه؛ لأن النسخ إنما يكون مع التعارض، ولا تعارض بين الزكاة والنوافل، وتسمية النوافل بالحق كقوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦] وإن كان غير واجب.

وقال بعض العلماء: في المال حقٌ سوى الزكاة، ورجحه ابن عطية^(٢).

واختلف الناس في المحروم، حتى قال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم؟^(٣)

فقيل^(٤): المحروم: الذي ليس له في بيت المال سهم.

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) المحرر الوجيز (٤٠٨/٨).

(٣) تفسير الطبري (٥١٨/٢١).

(٤) في أ، د، هـ: «وقيل».

وقيل : الذي اجتاحت ثمرته .

وقيل : الذي ماتت ماشيته .

وقيل : هو الكلب .

وهذه الأقوال أمثلة ، والمعنى الجامع لها : أن المحروم الذي حرّمه الله المال بأيّ وجه كان .

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ إشارة إلى ما في خلقة الإنسان من الآيات والعبر ، ولقد قال بعض العلماء : إن فيه خمسة آلاف حكمة .

وقال بعضهم : الإنسان نسخة مختصرة من العالم كله .

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ معنى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ : المطر .

وقيل : القضاء والقدر .

ويحتمل أن يكون ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الوعد أو الوعيد والكل في السماء ، ولذلك قيل : يعني : الجنة والنار .

وقيل : ^(١) الخير والشر .

﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ هذا جواب القسم ، والضمير :

لما تقدّم من الآيات والرزق .

أول ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ .

(١) في ب زيادة : «يعني» .

﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ أي: حقٌّ مثلُ نُطْقِكُمْ لا يمكن الشكُّ فيه، و﴿مَا﴾ زائدة.

وقرئ ﴿مِثْلَ﴾ بالنصب والرفع:

[أ-] فالرفع: صفة لـ ﴿حَقٌّ﴾.

[ب-] والنصب:

على الحال من ﴿حَقٌّ﴾، أو من الضمير المستتر فيه.

أو صفة لـ ﴿حَقٌّ﴾، وبُني لإضافته إلى مبنيٍّ، أو لتركيبه مع ﴿مَا﴾ فيصير نحو: «أينما» و«كلما».



[هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ قَالُوا مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٤﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾ فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا ذُرِّيَّةً لِّدِينٍ لَّيْذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٨﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٩﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ يَجْنُونَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤١﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤٢﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٣﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ الصُّعْفَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٥﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِينَ ﴿٤٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٧﴾].

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ المراد بالاستفهام في مثل هذا: التفخيم والتهويل.

وضيف إبراهيم: هم الملائكة الذين جاؤوه ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط.

ووصفهم بـ ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾:

لأنهم مكرمون عند الله.

أو لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم؛ لأنه خدّمهم بنفسه، وعجل لهم الضيافة، والعامل في ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ على هذا: ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾.

ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف، تقديره: اذكر.

﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ نُصِبَ هذا؛ لأنه في معنى الطلب، وهو مفعول بفعل مضمّر.

ورُفِعَ الثاني؛ لأنه خبرٌ، تقديره: أمري سلامٌ.

وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة.

وإن كان بمعنى التحية:

فإنما رفع الثاني؛ ليدلّ على إثبات السلام، فيكون قد حيّاهم بأكثر مما حيّوه.

وينتصب السلام الأول - على هذا - على المصدرية، تقديره: سلّمنا عليك سلامًا.

ويرتفع الثاني بالابتداء، تقديره: سلامٌ عليكم.

﴿فَوَمُّ مَنَّكُون﴾ أي: لم يعرفهم.

﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَلَا﴾:

حُضًّا على الأكل.

أو تكون الهمزة للإنكار، دخلت على «لا» النافية.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ إنما خاف منهم لما لم يأكلوا.

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق عليه السلام؛ لقوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾

﴿فِي صَرَءَ﴾ أي: صيحة، وذلك قولها: ﴿يَوْنِلَيَّ الْوَيْدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود: ٧٢] وهو من صَرَ القلم وغيره: إذا صَوَّت.

وقيل: معناه: في جماعة من النساء.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي: ضربته حياءً منهم وتعجباً^(١) من ولادتها وهي عجوز.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ تقديره: قالت أنا عجوز عقيم؛ فكيف ألد؟

أو تقديره: أتلد عجوز عقيم؟

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكم وخبركم^(٢)؟

والخطب أكثر ما يقال^(٣) في الشدائد.

﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَجْرِمٍ﴾ يعني: قوم لوط.

وقد ذكرنا الحجارة و﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ في «هود»^(٤).

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الضمير المجرور لقرية قوم لوط؛

لأن الكلام يدلُّ عليها وإن لم يتقدَّم ذكرها.

والمراد بـ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: لوط وأهله، أمرهم الله بالخروج من القرية؛

لينجوا من العذاب الذي أصاب أهلها.

(١) في أ، هـ: «تعجبياً».

(٢) في أ، هـ: «وجزعكم»!.

(٣) في أ، هـ: «يكون».

(٤) انظر (٦٠٥/٢).

ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين ؛ لأنهم جمعوا الوصفين .
وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في «الأحزاب»^(١) .

﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ معطوف :

على قوله : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ .

أو على قوله : ﴿وَنَزَّلْنَا فِيهَا آيَةً﴾ .

﴿فَتَوَلَّىٰ بَرْكِيهَ﴾ معنى ﴿تَوَلَّى﴾ : أعرض عن الإيمان .

وركنه : سلطانه وقوته .

﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي : قال : إن موسى ساحرٌ أو مجنون ، ف ﴿أَوْ﴾
للشك ، أو للتقسيم .

وقيل : بمعنى الواو وهذا ضعيف ، ولا يستقيم هنا .

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي : فعل ما يُلام عليه ، يعني : فرعون .

﴿الرَّيْحَ الْعَقِيمَ﴾ وصفها بالعُقم ؛ لأنها لا بركة فيها من إنشاءٍ مطرٍ أو إلقاح
شجر .

﴿كَالْزَمِيرِ﴾ أي : الفاني المتقطع .

والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أُذن للريح أن تُهلكه .

﴿وَفِي نَمُودٍ إِذْ قِيلَ لَهُمُ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٢﴾﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الحين : هي الثلاثة الأيام بعد عقرهم الناقة .

والآخر: أن الحين: من أول بعث صالح عليه السلام إلى حين هلاكهم، وعلى هذا: يكون ﴿فَعَنَّا﴾ مرتبًا بعد تمتعهم.

وأما على الأول: فيكون إخبارًا عن حالهم غير مرتب على ما قبله.

﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّعِقَةَ﴾ يعني: الصيحة التي صاحها جبريل.

﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: يعاينونها؛ لأنها كانت بالنهار.



[﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَبْهُدُونَ﴾ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩) فَيَقْرَأُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥١) كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (٥٢) أَتَوَصَّوْنَ بِهِ ءَبَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ (٥٣) فَنُوحِيَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾ (٥٤) وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٥) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾ (٥٩) قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (٦٠)].

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أي: بقوة.

وانتصب ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ بفعل مضمر.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: قادرون؛ فهو من الوُسْع وهو الطاقة، ومنه ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦] أي: القوي على الإنفاق.

والآخر: جعلنا السماء واسعة، أو جعلنا بينها وبين الأرض سعة.

والثالث: أوسعنا الأرزاق بمطر السماء.

﴿فَنِعْمَ الْمَبْهُدُونَ﴾ الماهد: الموطئ للموضع.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: نوعين مختلفين، كالليل والنهار، والسواد والبياض، والصحة والمرض، وغير ذلك.

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أمرٌ بالرجوع إليه ^(١) بالتوبة والطاعة، وفي اللفظ تحذيرٌ وترهيب.

﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾ توقيفٌ وتعجيب، أي: هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضًا أن يقول ذلك.

﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: قد بلغت الرسالة؛ فلا لوم عليك.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قيل: معناه: خلقتهم لكي أمرهم بعبادتي.

وقيل: ليتذللوا لي؛ فإن جميع الإنس والجن متذللٌ.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ أي: ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ﴾ أي: لا أريد أن يطعموني؛ لأنني منزّه عن الأكل وعن صفات البشر، وأنا غنيٌّ عن العالمين ^(٢).

وقيل: المعنى: ما أريد أن يطعموا عبيدي، فحذف المضاف تجوُّزًا.

وقيل: معناه: ما أريد أن ينفعوني؛ لأنني غنيٌّ عنهم، وعبر عن النفع العام بالإطعام.

والأول أظهر.

(١) في أ، هـ: «إلى الله».

(٢) في د: «عن العطاء».

﴿الْمَتِينُ﴾ أي: الشديدُ القوة.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ الذنوب: النصيب، ويريد به هنا: نصيباً من العذاب، وأصل الذنوب: الدَّلُو.

والمراد بـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفار قريش، وبـ ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾: مَنْ تقدَّم من الكفار.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ١٠٠ ﴿يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ:

يوم القيامة.

أو يوم هلاكهم ببدر.

والأول أرجح؛ لقوله في «المعارج»: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾

[المعارج: ٤٤] يعني: يوم القيامة.



﴿سورة الطور﴾

[﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤﴾ وَالسَّافِرِ
 الْمَرْفُوعِ ٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ
 السَّمَاءُ مَوْرًا ٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ
 يَلْعَبُونَ ١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ
 ١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصِرُوا سَوَاءً عَلَيْكُمْ
 إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ ١٧﴾ فَكَيْهِنَ بِمَا ءَانَهُمْ
 رَبُّهُمْ وَوَقَّعَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩﴾ مُتَكِبِينَ
 عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
 بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ
 وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ٢٢﴾ يَنْشَرُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ ٢٣﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
 لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَنُونٌ ٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ ٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي
 أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٢٦﴾ فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ
 نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ٢٨﴾].

﴿وَالطُّورِ ١﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام .

وقيل : الطور : كلُّ جبل ، فكأنه أقسم بجنس الجبال .

﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ٢﴾ قيل : هو اللوح المحفوظ .

وقيل : القرآن .

وقيل : صحائف الأعمال .

﴿ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴾ (٣) الرَّقُّ في اللغة : الصحيفة ، وَخُصِّصَتْ في العُرف بما كان من جلد .

والمنشور : خلاف المطوي .

﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ هو بيتٌ في السماء السابعة ، يدخله (١) كلُّ يوم سبعون ألف ملك ، ولا يعودون إليه أبداً ، وبهذا هو عمرانها ، وهو حِيال الكعبة .

وقيل : البيت المعمور : الكعبة ، وعمرانها : بالحجاج والطائفين .

والأول أشهر ، وهو قول علي وابن عباس .

﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ (٥) يعني : السماء .

﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ (٦) هو بحر الدنيا .

وقيل : بحر في السماء تحت العرش .

والأول أظهر وأشهر .

ومعنى ﴿ الْمَسْجُورِ ﴾ : المملوء ماءً .

وقيل : الفارغ من الماء ، ويُروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة .

واللغة تقتضي الوجهين ؛ لأن اللفظ من الأضداد .

(١) في ب : «يدخل إليه في» .

وقيل : معناه : الموقد نارًا ، من قولك : سجرتُ التنورَ ، واللغة أيضًا تقتضي هذا ، وروي أن جهنم في البحر .

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) هذا جواب القسم ، ويعني : عذاب الآخرة .

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ (٩) أي : تجيء وتذهب .

وقيل : تدور .

وقيل : تنشق^(١) .

والعامل في الظرف : ﴿لَوَاقِعٌ﴾ ، أو ﴿دَافِعٌ﴾ ، أو محذوف .

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ (١٧) الخوض : التخبُّط في الأباطيل ، شبه بخوض الماء .

﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ﴾ أي : يُدفعون بتعنيف^(٢) .

و﴿يَوْمَ﴾ بدل من الظرف المتقدم .

﴿أَفَسِحْرُ هَذَا﴾ توبيخ للكفار على ما كانوا يقولونه في الدنيا من أن القرآن سحر .

﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُورَ﴾ توبيخ أيضًا لهم ، وتهكُّم بهم ؛ أي : هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذي حلَّ بكم كما كنتم في الدنيا لا تبصرون الحقائق ؟

(١) في ب ، ج ، هـ : «تشق» .

(٢) في ب : «بعنف» .

﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهي عنه، وإنما المراد: التسوية بين الصبر وعدمه في أن كل واحدة من الحالين لا تنفعهم، ولا تخفف عنهم شيئاً من العذاب.

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا تعليل لما ذكر من عذابهم، وليس تعليلًا للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس.

﴿فَنَكِهِينَ﴾ يحتمل أن يكون:

معناه: أصحاب فاكهة، فيكون نحو: «لَا بِنَ»، و«تَامِرٍ».

أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور.

﴿وَوَقَنَهُمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ أو على ﴿إِنَّهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

أو تكون الواو للحال.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: يقال لهم: كلوا.

﴿هَنِيئًا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: كلوا أكلاً هنيئًا.

ويحتمل أن يكون واقعاً موقع فعلٍ تقديره: هنأكم الأكل والشرب.

﴿مُحُورٍ عَيْنٍ﴾ الحور: جمع حوراء، وهي الشديدة بياض بياض العين وسواد سوادها.

والعين: جمع عيئة، وهي الكبيرة العين^(١) مع جمالها.

وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿مُحُورٍ﴾؛ لأنه تضمن قوله: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾

(١) في ب، ج، د: «العينين».

معنى: قرّناهم، قاله الزمخشري، وقال: إن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ معطوفٌ على بحور عين أي: قرناهم بحورٍ؛ للتلذُّذ بهنَّ، وبالذين آمنوا؛ للأنس معهم^(١).
والأظهر: أن الكلام تمَّ في قوله: ﴿بِحُورٍ عَيْنٍ﴾، ويكون ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مبتدأ، خبره ﴿الْحَقْنَا﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ معنى الآية: ما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقرَّ بهم عينه»^(٢)، فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء.

ف قيل: إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغاراً.

وقيل: على الإطلاق في أولاد^(٣) المؤمنين.

و﴿بِإِيمَانٍ﴾ في موضع الحال من الذرية، والمعنى: أنهم اتبعوا آباءهم في الإيمان.

وقال الزمخشري: إن هذا المجرور يتعلق بـ ﴿الْحَقْنَا﴾، والمعنى عنده: بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم^(٤).

والأول أظهر.

فإن قيل: لم قال: ﴿بِإِيمَانٍ﴾ بالتنكير؟

(١) الكشف (٤٩/١٥).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٢٨/٩)، والحاكم في المستدرک (٥٠٩/٢).

(٣) في ج، د: «الأولاد».

(٤) الكشف (٤٩/١٥).

فالجواب: أن المعنى: بشيءٍ من الإيمان لم يكونوا به أهلاً لدرجة آبائهم، ولكنهم لحقوا بهم كرامةً للآباء، فالمراد: تقليل إيمان الذرية، ولكنه رفعَ درجتهم، فكيف إذا كان إيماناً عظيماً؟.

﴿وَمَا أَلَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما نقصناهم من ثواب أعمالهم، بل وفينا لهم أجورهم.

وقيل: المعنى: ألحقنا ذريتهم بهم، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم بسبب ذلك، بل فعلنا ذلك تفضلاً؛ زيادةً إلى ثواب أعمالهم.

والضمير على القولين: يعود على ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

وقيل: إنه يعود على الذرية.

﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مُرْتَهَنٌ، فإمّا أن تنجيّه حسناته، أو تهلكه سيئاته.

﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ الإمداد: هو الزيادة مرة بعد مرة.

﴿يَسْرَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطونها إذ هم جلساء على الشراب.

﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ﴾ اللغو: الكلام الساقط، والتأنيث: الذنب، فهي بخلاف خمر الدنيا.

﴿عِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ يعني: خُدّامهم.

﴿كَانَهُمْ لَوْلُؤُهُمْ مَكُونٌ﴾ اللؤلؤ: الجوهر، والمكنون: المصون، وذلك لحسنه.

وقيل: هو الذي لم يخرج من الصّدَف.

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢١﴾﴾ أي: كنا في الدنيا خائفين من الله، والإشفاق: شدة الخوف.

﴿السُّمُورِ﴾ أشد الحر.

وقيل: هو من أسماء جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ يحتمل أن يكون:

بمعنى نعبد.

أو من الدعاء بمعنى الرغبة.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يعنون: في الدنيا قبل لقاء الله.

﴿أَنَّهُ هُوَ أَلْبَرُّ الرَّحِيمِ﴾ البر: الذي يبر عباده ويحسن إليهم.

وقرئ ﴿أَنَّهُ﴾:

بفتح الهمزة: على أن يكون مفعولاً من أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به.

وقرئ بكسرها: على الاستئناف.



[فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّهُ رَبِّبَ الْمُتَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُهُمْ هَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ هُمْ سُلَّامٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾].

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ هذا خطابٌ للنبي ﷺ، أي: ذكّر الناس.

ثم نفى عنه ما نسب إليه الكفار من الكهانة والجنون.

ومعنى ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾: بسبب إنعام الله عليك.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّهُ رَبِّبَ الْمُتَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿أَمْ﴾ في هذا الموضع وفيما بعده: للاستفهام بمعنى الإنكار.

والتربص: الانتظار.

و﴿رَبِّبَ الْمُتَنُونِ﴾: حوادث الدهر.

وقيل: الموت، وكانت قريش قد قالت: إنما هو شاعر ننتظر^(١) به ريب المنون، فَيَهْلِكُ كما هَلَكَ مَنْ كان قبله من الشعراء، كزهير والنابعة.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ أمرٌ على وجه التهديد.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْلَمُكُمْ بِهَذَا﴾ الأحلام: العقول؛ أي: كيف تأمرهم عقولهم بهذا؟.

والإشارة:

إلى قولهم: هو شاعر.

أو إلى ما هم عليه من الكفر والتكذيب.

وإسناد الأمر إلى الأحلام مجازٌ، كقوله: ﴿أَصْلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧].

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا: بمعنى «بل».

ويحتمل أن تكون بمعنى: «بل» وهمزة الاستفهام، بمعنى الإنكار، كما هي في هذه المواضع كلها.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ أي: اختلقه من تلقاء نفسه.

وضمير الفاعل: لرسول الله ﷺ، وضمير المفعول: للقرآن.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ ردٌ عليهم، وإقامة حجة عليهم، والأمر هنا للتعجيز.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: أم خلقوا من غير ربٍّ أنشأهم واستعبدهم؛ فهم من

(١) في ب، د: «نتربص».

أجل ذلك لا يعبدون الله؟.

الثاني: أم خلقوا من غير أب ولا أم، كالجمادات؛ فهم لا يؤمرون ولا يُنهون كحال الجمادات؟

الثالث: أم خلقوا من غير أن يحاسبوا ولا يجازوا بأعمالهم؟، فهو على هذا كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ معناه: أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق؟

وقيل: أهم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون؟

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ المعنى: أعندهم خزائن الله بحيث ^(١) يستغنون عن عبادته؟

وقيل: أعندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاءوا، ويمنعون من شاءوا، ويخصّون بالنبوة من شاءوا؟

﴿أَمْ هُمُ الْمُصِطْرُونَ﴾ أي: الأرباب الغالبون.

وقيل: المصيطر: المسلط القاهر.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يعني: أم لهم سلم يصعدون به ^(٢) إلى السماء، فيسمعون ما تقول الملائكة، بحيث يعلمون صحة دعواهم؟، ثم عجزهم بقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجة واضحة على دعواهم.

(١) في ب زيادة: «إنهم» وفي ج: «هم».

(٢) في ب، ج: «فيه».

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ المعنى : أتسألهم على الإسلام أجرة، فيثقل عليهم غرمها ؛ فيشق عليهم اتباعك؟

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾﴾ المعنى : أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا : لا نبعث ؛ وإن بعثنا لم نعذب؟

وقيل : المعنى : فهم يكتبون للناس سننا وشرائع من عبادة الأصنام وتسبب السوائب وشبه ذلك .

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ﴿٤٢﴾﴾ إشارة إلى كيدهم في دار الندوة بالنبي ﷺ، حيث تشاوروا في قتله أو إخراجة .

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي : المغلوبون في الكيد .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني : من تقدّم الكلام فيهم، وهم قريش، فوضع الظاهر موضع المضمّر .

ويحتمل أن يريد جميع الكفار .

﴿أَمْ هُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ ﴿٤٤﴾﴾ المعنى : هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه؟

وحصر الله في هذه الآيات جميع المعاني التي توجب التكبر والبعد من الدخول في الإسلام ونفاها عنهم ؛ ليبين أنّ تكبرهم من غير موجب، وكفرهم من غير حجة .

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٥﴾﴾ كانوا قد طلبوا أن يُنزل عليهم كسفا من السماء .

فالمعنى : أنهم لو رأوا الكسف ساقطاً عليهم لبلغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا : ليس بكسف وإنما هو سحب مركوم ، أي : كثيف بعضه فوق بعض .

﴿فَذَرَّهُمْ﴾ منسوخ بالسيف .

﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يعني : يوم القيامة .

والصعقة فيه : هي النفخة الأولى .

وقيل غير ذلك ، والصحيح ما ذكرنا ؛ لقوله في «المعارج» عن يوم القيامة ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج : ٤٤] .

﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني : قتلهم يوم بدر .

وقيل : الجوع بالقحط .

وقيل : عذاب القبر .

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي : اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم ؛ فإننا نراك .

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه قول «سبحان الله» ، ومعنى ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ : حين تقوم من كل مجلس .

وقيل : أراد : حين تقوم وتقعّد وفي كل حال ، وجعل القيام مثلاً .

الثاني : أنه الصلوات النوافل .

والثالث : أنها الصلوات الفرائض ، فـ ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ الظهر والعصر ،

أي: حين تقوم من نوم القائلة، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء، ﴿وَإِدْبَرَ
النُّجُومِ﴾: الصبح.

ومن قال: هي النوافل، جعل ﴿وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾: ركعتي الفجر.



﴿ سورة النجم ﴾

[﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ⑥ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ⑪ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ⑫ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ⑭ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ⑮ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ⑱ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ⑲ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ⑳ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ㉑ تِلْكَ إِذَا قَسَمَةٌ ضَيْرَىٰ ㉒ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ㉓ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ㉔ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ㉕].

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الثريا ؛ لأنها غلب عليها التسمية بالنجم ، ومعنى ﴿هَوَى﴾ : غرب ، أو انتثر يوم القيامة .

الثاني : أنه جنس النجوم ، ومعنى ﴿هَوَى﴾ : كما ذكرنا ، أو انقضت ترجم الشياطين .

الثالث : أنه من نجوم القرآن ، وهي الجملة التي تنزل منه ، و﴿هَوَى﴾ على هذا : معناه نزل .

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ﴿٢﴾ هذا جواب القسم، والخطاب لقريش.
 و﴿صَاحِبُكُمْ﴾ هو النبي ﷺ، فنفى عنه الضلال والغَيَّ، والفرق بينهما: أن
 الضلال بغير قصد، والغَيَّ بقصدٍ وتكسُّبٍ.
 ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٣﴾ أي: ليس يتكلَّم بهواه وشهوته، وإنما يتكلم بما
 يوحى الله ^(١) إليه.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿٤﴾ يعني: القرآن.
 ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ﴿٥﴾ ضمير المفعول للقرآن، أو للنبي ﷺ.
 والشديد القُوَى: جبريل.
 وقيل: الله تعالى.
 والأول أرجح؛ لقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ [التكوير: ٢٠]، و﴿الْقُوَى﴾
 جمع: قُوَّة.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ﴿٦﴾ أي: ذو قُوَّة.
 وقيل: ذو هيئة حسنة.
 والأول هو الصحيح في اللغة.
 ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ ﴿٧﴾ أي: استوى جبريل في الجو؛ إذ رآه رسول الله ﷺ وهو
 بحراء.

وقيل: معنى ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾: ظهر في صورته له ست مئة جناح قد سدَّ

(١) في ب: «بوحي».

الأفق، بخلاف ما كان يتمثل به من الصُّور إذا نزل للوحي، وكان ينزل في صورة دحية.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ (٧) الضمير لجبريل.

وقيل: لمحمد ﷺ.

والأول أصح.

﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّى﴾ (٨) الضميران^(١) لجبريل أي: دنا من محمد ﷺ فتدلَّى في الهواء.

وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره: تدلَّى فدنا.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩) القابُ: مقدار المسافة، أي: كان جبريل من محمد ﷺ في القُرب بمقدار قوسين عربيين^(٢)، ومعناه: من طرف العود إلى طرفه الآخر، وقيل: من الوتر إلى العود.

وقيل: ليس القوس التي يُرمى بها، وإنما هو^(٣) ذراعٌ تقاس بها المقادير، ذكره الثعلبي، وقال: إنه من لغة أهل الحجاز^(٤).

وتقدير الكلام: فكان مقدارُ مسافةِ قُربِ جبريل من محمد ﷺ مثل قَابِ قَوْسَيْنِ، ثم حُذِفَت هذه المضافات.

ومعنى ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ أو أقرب.

(١) في ب، هـ: «الضمير».

(٢) في أ، هـ: «عريبتين».

(٣) في أ، هـ: «هي».

(٤) الكشاف والبيان للثعلبي (١٣٩/٩).

و﴿أَوْ﴾ هنا مثل قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفات: ١٤٧]، وأشبه التأويلات فيها: أنه إذا نظر إليه البشر احتمال عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنى. وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح.

وقيل: إنها لله تعالى، وهذا القول يردُّ عليه الحديث والعقل، إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلي وغير ذلك^(١).

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ﴿١٠﴾ في هذه الضمائر ثلاثة أقوال:

الأول: أن المعنى: أوحى الله إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى.

الثاني: أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى.

وعاد الضمير على الله في القولين؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره، فهو كقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿١﴾ [القدر: ١].

الثالث: أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف: «وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح» إلخ، أقول: قد أصاب المصنف في تصحيحه أن الضمائر في الآيات لجبريل ﷺ، وأما قوله في تضعيف القول الثاني أن الضمائر تعود إلى الله: «إن هذا القول يرد عليه الحديث والعقل»، أقول: يريد بالحديث ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ﴾ ﴿٨﴾ قالت: ذاك جبريل، وأما قول المصنف: «والعقل» فمعناه أن العقل يدل على امتناع الدنو من الله تعالى، وهذا يجري على مذهب من ينفي علو الله فوق المخلوقات، وينفي قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه، وهذا خلاف ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من علوه تعالى فوق سماواته على عرشه، وأنه فعال لما يريد. والله أعلم.

وفي قوله: ﴿مَا أَوْحَى﴾ إبهامٌ يقتضي التفخيم والتعظيم.
 ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (١١) أي: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رأى بعينه،
 بل صدق بقلبه أن الذي رأى بعينه حقٌّ.

والذي رأى: هو جبريل، يعني: حين رآه قد ملأ الأفق.

وقيل: الذي رأى: ملكوت السموات والأرض.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣).

وقيل: الذي رأى: هو الله تعالى، وقد أنكرت ذلك عائشة، وسئل رسول
 الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه؟»^(١).

﴿أَفْتَمَرُوهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ (١٧) هذا خطاب لقريش، والمعنى: أتجادلونه على
 ما يرى، وكانت قريش قد كذّبت لما قال: إنه رأى ما رأى.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣) أي: لقد رأى محمدٌ جبريل ﷺ مرةً أخرى،
 وهي ليلة الإسراء.

وقيل: ضمير المفعول لله تعالى، وأنكرت ذلك عائشة، وقالت: «من
 زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله تعالى»^(٢).

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ هي شجرة في السماء السابعة، قال رسول الله ﷺ:
 «ثمرها كالقلال، وورقها كآذان الفيلة»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢).

وسميت سدره المنتهى؛ لأنها إليها ينتهي علم كل عالم، ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى.

وقيل: سميت بذلك؛ لأن ما نزل من أمر الله يُتَلَقَّى^(١) عندها، فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى أسفل، ولا يتجاوزها ملائكة السفلى إلى أعلى.

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾^(١٥) يعني: أن الجنة التي وعد الله عباده هي عند سدره المنتهى.

وقيل: هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء.

والأول أظهر وأشهر.

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾^(١٦) فيه إبهام؛ لقصد التعظيم.

قال ابن مسعود: غشيها فراش من ذهب.

وقيل: كثرة الملائكة.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «فغشيها ألوان لا أدري ما هي»^(٢)، وهذا أولى أن تفسر به الآية.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ أي: ما زاغ بصر محمد ﷺ عما رآه من العجائب، بل أثبتها وتيقنها، ﴿وَمَا طَغَى﴾ أي: ما تجاوز ما رأى إلى غيره.

(١) في أ، ج، د: «يلتقي».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ يعني : ما رأى ليلة الإسراء من السموات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك .

ويحتمل أن تكون ﴿الْكُبْرَى﴾ :

مفعولاً .

أو نعتاً لـ ﴿ءَايَاتِ رَبِّهِ﴾ .

والمعنى يختلف على ذلك .

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۚ﴾ هذه أوثانٌ كانت تُعبد من دون الله ، فخطب الله مَنْ كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم .

وقال ابن عطية : إن الرؤية هنا من رؤية العين ؛ لأن الأوثان المذكورة أجرامٌ مرئية^(١) .

فأما اللات : فصنم كان بالطائف ، وقيل : كان بالكعبة .

وأما العزَّى : فكانت صخرة بالطائف ، وقيل : شجرة فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها ، فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل ؛ فضربها بالسيف حتى قتلها .

وقيل : كانت بيتاً تعظمه العرب .

وأصل لفظ العزى : مؤنثة الأعز .

وأما مناة : فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة ، وكانت أعظم

(١) المحرر الوجيز (٨ / ١١٥) .

هذه الأوثان، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى: ﴿ثَالِثَةَ الْآخِرَى﴾ فأكدّها بهاتين الصفتين^(١).

وقال الزمخشري: ﴿الْآخِرَى﴾ ذمٌ وتحقير؛ أي: المتأخرة الوضعية القدر ومنه: ﴿قَالَتْ أَخَرْنَهُمْ لِأُولَئِهِمْ﴾ [الأعراف: ٣٨].

﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله، فأنكر الله عليهم ذلك، أي: كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور، وتجعلون لله البنات التي هي عندكم حقيرة بغيضة؟ وقد ذكر هذا المعنى في «النحل»^(٢) وغيرها.

ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعل هذه الأوثان شركاء لله تعالى؛ مع أنهن إناث، والإناث حقيرة بغيضة عندهم.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أي: هذه القسمة التي قسمت جائرة غير عادلة، يعني: جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى.

ووزن ﴿ضِيزَى﴾ فُعْلَى - بضم الفاء -، ولكنها كسرت للياء التي بعدها.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا﴾ الضمير للأوثان.

وقد ذكر المعنى في «الأعراف»^(٣) في قوله: ﴿أَتَجِدَلُونِي وَتَ أَسْمَاءُ﴾ [الأعراف: ٧١].

(١) المحرر الوجيز (٨/ ١١٦).

(٢) انظر (٢/ ٧٥٤).

(٣) انظر (٢/ ٣٥٨).

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يعني : أنهم يقولون أقوالاً بغير حجة ، كقولهم : إن الملائكة بنات الله ، وقولهم : إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك .

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا للإنكار ، والإنسان : جنس بني آدم ؛ أي : ليس لأحدٍ ما يتمنى ، بل الأمور بيد الله .

وقيل : إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام .

وقيل : إلى قول العاصي بن وائل : لأوتين ما لا وولداً .

وقيل : هو تمنى بعضهم أن يكون نبياً .

والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه .

[﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (٢١) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيمَةَ الْأُنثَى ﴿٢٢﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَذِّعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٣﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّغَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾].

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ الآية؛ ردُّ على الكفار في قولهم: إن الأوثان تشفع لهم، كأنه يقول: الملائكة الكرام لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا بإذن الله فكيف أوثانكم؟

﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ معناه: أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة فيه، ويرضى عنه.

﴿لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيمَةَ الْأُنثَى﴾ يعني: قولهم: إن الملائكة بنات الله، ثم ردُّ عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾.

﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: إلى ذلك انتهى علمهم؛ لأنهم علموا ما ينفع في الدنيا ولم يعلموا ما ينفع في الآخرة.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ اللام متعلقة بمعنى ما قبلها، والتقدير: إن الله ملك أمر السموات والأرض؛ ليجزي الذي أسأوا بما عملوا.

وقيل: يتعلق بـ ﴿ضَلَّ﴾ و﴿اهْتَدَى﴾.

﴿كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في «النساء»^(١).

﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أنه صغائر الذنوب، فالاستثناء على هذا منقطع.

الثاني: أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفلّته والسَّقطة دون دوام عليها.

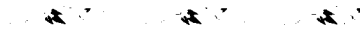
الثالث: أنه ما أَلَمُوا به في الجاهلية من الشرك والمعاصي.

الرابع: أنه الهمُّ بالذنب وحديث النفس به دون أن يفعل.

﴿أَجَنَةً﴾ جمع جنين.

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا تنسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون نهياً عن أن يزكّي بعض الناس بعضاً^(٢)، وهذا بعيد؛ لأنه تجوز التزكية في الشهادة وغيرها.



(١) انظر (٤٦/٢).

(٢) المحرر الوجيز (٨/١٢٣).

[﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ (٣٢) ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ (٣١) ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿وَأَنبَرِهِيْمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧) ﴿أَلَا نَزَرُ وَزِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٣٩) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (٤٠) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (٣٣) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (٤٤) ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٤٥) ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ (٤٦) ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ (٤٧) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ (٤٨) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ (٤٩) ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ (٥٠) ﴿وَتَمُودًا إِذْ بَقِيَ﴾ (٥١) ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى﴾ (٥٢) ﴿وَالْمُؤَنَفِكَهَ أَهْوَى﴾ (٥٣) ﴿فَفَسَنَهَا مَا عَشَى﴾ (٥٤) ﴿فَأَيَّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ (٥٥) ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ (٥٦) ﴿أَرَأَيْتَ الْأَرْفَةَ﴾ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ (٥٨) ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (٦١)].

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ (٣٢) الآية؛ نزلت في الوليد بن المغيرة.

وقيل: نزلت في العاصي بن وائل.

﴿وَأَكْدَى﴾ أي: قطع العطاء وأمسك.

﴿وَأَنبَرِهِيْمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧) قيل: وفى طاعة الله في ذبح ولده.

وقيل: وفى تبليغ الرسالة.

وقيل: وفى شرائع الإسلام.

وقيل: وفى الكلمات التي ابتلاه الله بهن.

وقيل: وفى هذه العشر الآيات: ﴿أَلَا نَزَرُ وَزِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ (٣٨) وما بعدها.

﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ ﴿٢٨﴾ ذكر فيما تقدم^(١)، وهذه الجملة تفسير لما في صحف إبراهيم وموسى عليه السلام.

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ ﴿٣٩﴾ السعي هنا: بمعنى العمل.

وظاهرهما: أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهي حجة لمالك في قوله: لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام.

واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعقق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره، ويصل نفعها إلى من فعلت عنه، واختلفوا في الأعمال البدنية كالصلاة والصيام.

وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

والصحيح أنها محكمة؛ لأنها خبر، والأخبار لا تنسخ.

وفي تأويلها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها إخبار عما كان في شريعة غيرنا، فلا يلزم في شريعتنا.

الثاني: أن للإنسان ما عمل بحق، وله ما عمل له غيره بهبة العامل له، فجاءت الآية في إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها.

الثالث: أنها في الذنوب، وقد اتفق أنه لا يحمل أحدُ ذنب أحد، ويدلُّ على هذا قوله قبلها: ﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ ﴿٢٨﴾ كأنه يقول: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ (٤١) قيل : معناه : يراه الخلق يوم القيامة .
والأظهر : أن صاحبه هو الذي يراه لقوله : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) [الزلزلة : ٧] .

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (٤٢) فيه قولان :

أحدهما : أن معناه : إلى الله المصير في الآخرة .

والآخر : أن معناها : أن العلوم تنتهي إلى الله ، ثم يقف العلماء عند ذلك ، وروي أن رسول الله ﷺ قال في الآية (١) : « لا فكرة في الرب » (٢) .
﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ (٤٣) قيل : معناه : أضحك أهل الجنة ، وأبكى أهل النار ، وهذا تخصيص لا دليل عليه .

وقيل : أبكى السماء بالمطر ، وأضحك الأرض بالنبات ، وهذا مجاز .
وقيل : خلق في بني آدم الضحك والبكاء .

والصحيح : أنه عبارة عن الفرح والحزن ؛ لأن الضحك دليل على السرور والفرح ، كما أن البكاء دليل على الحزن ، فالمعنى : أنه تعالى أحزن من شاء من عباده ، وسرَّ من شاء .

﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ يعني : الحياة المعروفة والموت المعروف .

وقيل : أحيا بالإيمان وأمات بالكفر .

والأول أرجح ؛ لأنه حقيقة .

(١) قوله : « في الآية » لم ترد في ب ، هـ .

(٢) أخرجه البغوي بإسناده في تفسيره (٤١٧/٧) ، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده في كتاب العظمة (٢١٧/١) عن سفيان الثوري من قوله .

﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يعني : المنى .

﴿إِذَا تَمَتَّى﴾ من قولك : أمتى الرجل : إذا خرج منه المنى .

﴿النَّشَأَ الْآخَرَى﴾ يعني : الإعادة للحشر .

﴿وَأَقْنَى﴾ أي : أكسب عباده المال ، وهو من قُنْيَةِ المال ، وهي كسبه وادّخاره .

وقيل : معنى ﴿أَقْنَى﴾ : أفقر ، وهذا لا تقتضيه اللغة .

وقيل : معناه : أَرْضَى .

وقيل : قَنَعَ عبده .

﴿الشَّعْرَى﴾ نجمٌ في السماء ، وتسمى كلب الجبار وهما شِعْرَيَان : الغُميصاء والعَبُور ، وخصَّها بالذكر دون سائر النجوم ؛ لأن بعض العرب كان يعبدها .

﴿عَادَا الْأَوَّلَى﴾ وصفها بـ ﴿الْأَوَّلَى﴾ ؛ لأنها كانت في قديم الزمان ، فهي أولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرين .

وقيل : إنما سميت أولى ؛ لأن ثمَّ عادًا أخرى متأخرة ، وهذا لا يصح .

وقرأ نافع ﴿عَادَا الْأَوَّلَى﴾ بإدغام تنوين ﴿عَادَا﴾ في لام ﴿الْأَوَّلَى﴾ بحذف الهمزة ، ونقل حركتها إلى اللام ، وضَعَفَ المزني والمبرد هذه القراءة .

وهمَزَ قالون الواو ، دون وَرْش .

وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين ﴿عَادَا﴾ وإسكان لام ﴿الْأَوَّلَى﴾ .

﴿وَتُؤْمِدُواْ مَا أَبْقَى﴾ أي: ما أبقى منهم أحداً.

وقيل: ما أبقى عليهم.

﴿وَالْمُؤْنِفَةَ أَهْوَى﴾ ٥٢ ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ ٥٣ ﴿هي مدينة قوم لوط.

ومعنى ﴿أَهْوَى﴾: طَرَحَهَا من علوِّ إلى سفلى.

وفي قوله: ﴿مَا غَشَّى﴾ تعظيمٌ للأمر.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِلَهِ رَبِّكَ نَتَعَارَى﴾ ٥٤ ﴿هذا مخاطبة للإنسان على الإطلاق، معناه: بأيِّ نعم ربك تشكُّ؟.

﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ يعني: القرآن، أو النبي ﷺ.

ومعنى ﴿مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾: من نوعها وصفتها.

﴿أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ﴾ ٥٥ ﴿أي: قُرِبَتِ القيامة.

﴿كَاشِفَةٌ﴾ يحتمل لفظه ثلاثة أوجه:

أن يكون مصدراً كالعاقبة^(١)، أي: ليس لها كشفٌ.

وأن يكون بمعنى: كاشف، والتاء للمبالغة كعلامة.

وأن يكون صفةً لمحذوف تقديره: نفسٌ كاشفة، أو جماعة كاشفة.

ويحتمل معناه وجهين:

أحدهما: أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة، أي: ليس لها من يزيلها

إذا وقعت.

(١) في أ، ج، د، هـ: «كالعاقبة».

والآخر : أن يكون بمعنى الاطلاع ؛ أي : ليس لها من يعلم وقتها إلا الله .
﴿أَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ الإشارةُ إلى القرآن ، وتعجبهم منه : إنكاره^(١) .
﴿وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ﴾^(١١) أي : لا عبون لاهون .
وقيل : غافلون مفرطون .

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾^(١٢) هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره ، وقد
قال ابن مسعود : قرأها رسول الله ﷺ فسجد ، وسجد كل من كان معه^(٢) .

❦ ❦ ❦

(١) في د : «إنكارهم له» .

(٢) أخرجه البخاري (١٠٦٧) ، ومسلم (٥٧٦) .

﴿سورة القمر﴾

[﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ②﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ③ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ⑤ فَقَوْلُ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ ⑥ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ⑦ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ⑧ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ⑨ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ⑩ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ⑪ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُدِرَ ⑫ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ⑬ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ⑭ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ⑮ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ⑯ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ⑰ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ⑱ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ⑲ تَنَزَّعُ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ⑳ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ㉑ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ㉒﴾].

﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ﴾ أي: قُرُبَتِ الْقِيَامَةُ، ومعنى قربها: أنه بقي إليها^(١) من الزمان قليلٌ بالنسبة إلى ما مضى، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وأشار بالسبابة والوسطى^(٢).

(١) في أ، هـ: «لها».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠).

﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ هذا إخبارٌ عما جرى في زمان رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشاً سألته آية فأراهم انشقاق القمر، فقال ﷺ: «اشهدوا»^(١). وقال ابن مسعود: انشقَّ القمر فرأيته فرقتين، فرقة وراء الجبل وأخرى دونه.

وقيل: معنى ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أنه ينشق يوم القيامة، وهذا قول باطل، تردُّه الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك، وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله.

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ هذه الضمائر لقريش. والآية المشار إليها: انشقاق القمر، وعند ذلك قالت قريش: سحر محمد القمر.

ومعنى ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾: دائم.

وقيل: معناه: ذاهب يزول عن قريب.

وقيل: معناه: شديد، وهو على هذا من المِرَّة، وهي القوة.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: كل شيء لا بدَّ له من غاية، فالحق يحقُّ والباطل يبطل.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ﴿الْأَنْبَاءِ﴾ هنا يراد بها: ما ورد في القرآن من القصص والبراهين والمواعظ.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).

و﴿مُزْدَجَرٌ﴾:

اسم مصدر بمعنى: ازدجارٌ.

أو اسم موضع بمعنى: أنه مظنة أن يُزدجر به.

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ بدلٌ من ﴿مَا فِيهِ﴾.

أو خبر ابتداء مضمرة.

﴿فَمَا تَعْنِ الْأُنذُرُ﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَا﴾:

نافية.

أو استفهامية لمعنى^(١) الاستبعاد والإنكار.

﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم؛ لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم.

﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾:

مضمرة تقديره: اذكر.

أو قوله: ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بعد ذلك.

وليس العامل فيه ﴿قَوْلٌ عَنْهُمْ﴾؛ لفساد المعنى، فقد تمّ الكلام في قوله:

﴿قَوْلٌ عَنْهُمْ﴾ فيوقف عليه.

وقيل: إن المعنى: تول عنهم إلى يوم يدع الداع.

والأول أظهر وأشهر.

(١) في ج، د، هـ: «بمعنى».

والداعي: جبريل، أو إسرافيل إذ ينفخ في الصور.

والشيء النُّكْر: الشديد الفظيع، وأصله من الإنكار؛ أي: هو منكور؛ لأنه لم يُر قط مثله، والمراد به: يوم القيامة.

﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ كناية عن الدِّلة.

وانتصب ﴿خُشَعًا﴾ على الحال من الضمير في ﴿يَخْرُجُونَ﴾.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: من القبور.

﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ شبههم بالجراد في خروجهم من الأرض، فيه استدلال على البعث، كالأستدلال بخروج النبات.

وقيل: إنما شبههم بالجراد في كثرتهم، وأن بعضهم يموج في بعض.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين.

وقيل: ناظرين إلى الداعي.

﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ يعني: نوحًا عليه السلام، ووصفه هنا بالعبد تشريف له واختصاص.

﴿وَأَزْدَجَرَ﴾ أي: زجروه بالشتم والتخويف، وقالوا له: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْفُخْ لَتَكُونَ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦].

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ أي: قد غلبني الكفار فانتصر لي، أو انتصر لنفسك.

وقالت المتصوفة: معناه: قد غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فانتصر

مني، وهذا بعيد ضعيف.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ (١١) عبارة عن كثرة المطر، فكأنه يخرج من أبواب.

وقيل: فتحت يومئذ في السماء أبواب حقيقة.

والمنهمر: الكثير.

﴿فَأَلْقَى الْمَاءَ﴾ يعني: ماء السماء وماء الأرض.

﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: قُضِيَ في الأزل.

ويحتمل أن يكون المعنى: أنه قُدِرَ بمقدار معلوم، وروي في ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعاً.

﴿وَحَمَلَتْهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِّرَ﴾ (١٢) يعني: السفينة.

والدُسِّر: هي المسامير، واحدها دِسَار.

وقيل: هي مقادم السفينة.

وقيل: أضلاعها.

والأول أشهر.

﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ عبارة عن حفظ الله ورَعِيَهُ لها^(١).

﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ أي: جزاء لنوح.

وقيل: جزاء لله تعالى.

والأول أظهر .

وانتصب ﴿جَزَاءً﴾ على أنه مفعول من أجله ، والعامل فيه : ما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال ؛ أي : فعلنا ذلك كله جزاءً لنوح .

ويحتمل أن يكون قوله : ﴿كُفِّرَ﴾ :

من الكفر بالدين ، والتقدير : «لمن كفر به» فحذف الضمير .

أو يكون من الكفر بالنعمة ؛ لأن نوحًا ﷺ نعمة من الله كفرها قومه ، فلا يحتاج على هذا إلى ضمير محذوف .

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً﴾ الضمير :

للقصة المذكورة .

أو الفعلة .

أو السفينة ، وروي في هذا المعنى : أنها بقيت على الجودي حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة .

﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ تحضيض على الإدكار ، فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده .

ووزن ﴿مُدَكِّرٍ﴾ مُفْتَعَل ، وأصله : «مُذْتَكِر» ثم أبدل من التاء دال وأدغمت فيها الذال .

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ﴿١٦﴾ توقيف فيه تهديد^(١) لقريش .

(١) في أ : «وتهديد» .

والنذر: جمع نذير.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: يسرناه للحفظ، وهذا معلوم بالمشاهدة، فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظًا بالغًا بخلاف غيره من الكتب، وقد روي أنه لم يحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن.

وقيل: معنى الآية: سهلناه للفهم والاتعاظ به؛ لما تضمن من البراهين والحكم البليغة.

وإنما كرر هذه الآية البليغة وقوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؛ لينبه السامع عند كل قصة، فيعتبر بها؛ إذ كل قصة من القصص التي ذكر عبرة وموعظة، فختم كل واحدة بما يوقظ^(١) السامع من الوعيد في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ومن الملاطفة في قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: مصوِّتة، فهو من الصَّرير بمعنى: الصوت.

وقيل: معناه: باردة؛ فهو من الصَّر.

﴿فِي يَوْمٍ نَخَسٍ مًسْتَمِرٍّ﴾ روي أنه كان يوم أربعاء، حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس وروي أن رسول الله ﷺ قال: «آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر»^(٢).

(١) في أ: «يعظ».

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (١٤٦/٨): «... الدولابي أبو بشر قد ذكر حديثًا رواه أبو جعفر المنصور عن أبيه محمد عن أبيه علي عن أبيه عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر». ١. هـ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبير (٢٨٦/١٠) من حديث جابر مرفوعًا، ولفظه: «إن يوم الأربعاء يوم نحس مستمر».

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ أي : تقلعهم من مواضعهم .

﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ أعجاز النخل : هي أصولها ، والمنقعر : المنقطع ، فشبّه الله عادًا لما هلكوا بذلك ؛ لأنهم طوّالَ عظام الأجساد كالنخل .

وقيل : كانت الريح تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادًا^(١) بلا رؤوس ، فشبّههم بأعجاز النخل ؛ لأنها دون أغصان .

وقيل : كانوا قد حفروا حفرةً يمتنعون فيها من الريح ، فهلكوا فيها فشبّههم بأعجاز النخل إذا كانت في حفراها .



(١) في أ : «أجساد»، وفي د : «أجسادهم».

[كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَحِدًا نَّنِيعُهُ إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَلْهَىٰ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّافَةِ فَنِنَّةٌ لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخَضَّرٌ ﴿٢٨﴾ فَادَّوَا صَاحِبَهُمْ فَطَعَانِي فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيَّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخِطِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا عَالَ لُوطٌ نُّجِّنْهُمْ يَسْحِرَ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿٤٠﴾].

﴿أَبَشَرًا﴾ هو صالح عليه السلام، وانتصب بفعل مضمر.

والمعنى: أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرًا، وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة، ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدًا وهم جماعة كثيرون.

﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: عناء.

وقيل: معناه: جنون.

وقيل: معناه: همٌّ وغم.

وأصله: من السعير بمعنى النار، وكأنه احتراق النفس بالهم.

﴿أَلْهَىٰ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ أنكروا أن يخصه الله بالنبوة دونهم، وذلك جهل منهم؛ فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

﴿أَشِرٌّ﴾ أي: بطرٌ متكبر.

﴿وَبَيْنَهُمْ أَنْ أَلَمَاءٌ فَسَمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي : لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدوا على الناقة ، فالضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يعود على ثمود وعلى الناقة ؛ تغليياً للعقلاء .
 وقيل : إن الضمير لثمود ، والمعنى : أن لا يتعدى بعضهم على بعض .
 ﴿كُلُّ شَرِبٍ تُخَضَّرُ﴾ أي : محصورٌ مشهود .
 ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ يعني : عاقر الناقة ، واسمه قُدار ، وهو أحيمر ثمود وأشقاها .

﴿فَنَعَاطَى﴾ أي : اجترأ على أمر عظيم ، وهو عقر الناقة .
 وقيل : تعاطى السيف .
 ﴿صَيِّحَةً وَجَدَةً﴾ صاح جبريل صيحة ماتوا منها .
 ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحُظِيرِ﴾ الهشيم : هو ما تكسر وتفتت من الشجر وغيرها .
 والمحتظر : الذي يعمل الحظيرة وهي حائِطٌ من الأغصان أو القصب ونحو ذلك ، يكون تحليقاً للمواشي أو للسكنى ، فشبّه الله ثمود لها هلكوا بما يتفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها .

وقيل : المحتظر : المحترق .
 ﴿حَاصِبًا﴾ ذكر في «العنكبوت»^(١) .
 ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ أي : تشككوا .
 ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ الضيف هنا : هم الملائكة الذين

(١) انظر (٤٧٢/٣) .

أرسلهم الله إلى لوط، ليُهْلِكُوا قومه، وكان قومه قد ظنوا أنهم من بني آدم،
وأرادوا منهم الفاحشة، فطمس جبريل على أعينهم، فاستوت مع وجوههم.
وقيل: إن هذا الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم، وأنهم دخلوا منزل لوط
فلم يروا فيه أحدًا.



[وَلَقَدْ جَاءَ عَالِ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾].

﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ﴾ هذا خطاب لقريش على وجه التهديد، والهمزة للإنكار.

ومعناه: هل الكفار منكم خيرٌ عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين؛ بحيث هلكوا هم لما كذبوا الرسل وتنجون أنتم وقد كذبتهم رسلكم؟ بل الذي أهلكهم يهلككم.

﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ معناه: أم لكم في كتاب الله براءة من العذاب؟ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ ﴿٤٤﴾ أي: نحن نجتمع ونتنصر لأنفسنا بالقتال.

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ ﴿٤٥﴾ هذا وعدٌ من الله لرسوله بأن يهزم جمع قريش، وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ ﴿٤٧﴾ المراد بـ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ هنا: الكفار، وضلالهم: في الدنيا، والسعر لهم: في الآخرة، وهو الاحتراق.

وقيل : أراد بـ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ القدرية ؛ لقوله في الرد عليهم : ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) .

والأول أظهر .

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ﴾ أي : يُجْرُونَ فيها .

﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) المعنى : أن الله خلق كل شيء بقدر ، أي : بقضاء معلوم سابق في الأزل .

ويحتمل أن يكون معنى ﴿بِقَدَرٍ﴾ : بمقدار في هيئته وصفاته ^(١) وغير ذلك .

والأول أرجح ، وفيه حجة لأهل السنة على القدرية .

وانتصب ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ بفعل مضمر يفسره : ﴿خَلَقْتُهُ﴾ .

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (٥٠) عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله .

والواحدة يراد بها الكلمة ، وهي قوله : «كن» .

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني : أشباهكم من الكفار .

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ (٥١) أي : كل ما فعلوه مكتوب ، في صحائف الأعمال .

﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ أي : مكتوب ، وهو من السَّطَر ، تقول : سطرت واستطرت بمعنى واحد .

(١) أ ، ج : «وصفته» .

والمراد بالصغير والكبير: أعمالهم.

وقيل: جميع الأشياء.

﴿وَنَهَرٌ﴾ يعني: أنهار الماء والخمر واللبن والعسل، واكتفى باسم الجنس.

﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ أي: في مكان مرضي.



﴿ سورة الرحمن جَلَّالَه ﴾

[﴿الرَّحْمَنُ ١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ١٠﴾ فِيهَا فَكِكُهُ ١١﴾ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ ١٢﴾ وَالْعَبْثُ ذُو الْعَصْفِ ١٣﴾ وَالرَّيْحَانُ ١٤﴾ فَيَايَ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٥﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ١٦﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ١٧﴾ فَيَايَ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ١٩﴾ فَيَايَ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٠﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ ٢١﴾ فَيَايَ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٢﴾ لَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ٢٣﴾ فَيَايَ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٤﴾]

﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ هذا تعديد نعمة على من علَّمه الله القرآن .

وقيل : معنى ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ : جعله علامة وآية لمحمد ﷺ .

والأول أظهر .

وارتفع ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بالابتداء ، والأفعال التي بعده أخباراً متوالية ، ويدلُّ على ذلك مجيئها دون حرف عطف .

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ قيل : جنس الناس .

وقيل : يعني : آدم .

وقيل : يعني : محمداً ﷺ .

ولا دليل على التخصيص ، فالأول أرجح .

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ يعني : النطق والكلام .

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي : يجريان في الفلك بحسابٍ معلوم وترتيب مقدّر ، وفي ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير .

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ النجم عند ابن عباس : هو النبات الذي لا ساق له كالبقول ، والشجر : النبات الذي له ساق .

وقيل : النجم : جنس نجوم السماء .

والسجود : عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى .

وقيل : سجود النجم : غروبه ، وسجود الشجر : بظله .

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ يعني : الميزان المعروف الذي يوزن به الطعام وغيره وكرّر ذكره ؛ اهتماماً بأمره .

وقيل : أراد العدل .

﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أي : لا تنقصوا إذا وزنتم .

﴿لِلْإِنْسَانِ﴾ أي : للناس .

وقيل : الإنس والجن .

وقيل : الحيوان كله .

﴿الْأَكْمَامِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ :

جمع كُمَّ - بالضم - ، وهو ما يغطي ويلفُّ النخل من الليف ، وبه شُبِّهَ كُمَّ القميص .

أو يكون جمع كِمٍّ - بكسر الكاف - ، وهو غلاف الثمرة .

﴿الْعَصْفِ﴾ ورق الزرع .

وقيل : التبن .

﴿وَالرَّيْحَانِ﴾ قيل : هو الريحان المعروف .

وقيل : كل مشموم طيب الريح من النبات .

وقيل : هو الرزق .

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿الْآلَاءِ﴾ : هي النعم .

واحدها : إِلَى عَلَى وزن : مِعَى .

وقيل : أَلَى عَلَى وزن قَفَا .

وقيل : أَلَى عَلَى وزن أَمَرٍ .

وإِلَى عَلَى وزن حِضَن .

والخطاب للثقلين الإنس والجن ؛ بدليل قوله : ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ .

وروي أن هذه الآية لما قرأها رسول الله ﷺ سكّت أصحابه فقال : «إن جواب الجن خير من سكوتكم، إني لما قرأتها على الجن قالوا : لا نكذب

بشيء من آلاء ربنا»^(١).

وكرر هذه الآية؛ تأكيداً ومبالغة.

وقيل: إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التي قبله فليس بتأكيد؛ لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ الإنسان هنا: آدم، والصلصال: الطين اليابس، فإذا طُبخ فهو فخار.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾^(١٥) الجان: الجن، يعني: إبليس والد الجن.

والمارج: اللهب المضطرب من النار.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾^(١٧) يريد: مشرق الشمس والقمر، ومغرب الشمس والقمر.

وقيل: مشرقَي الصيف والشتاء ومغربيهما.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في «الفرقان»^(٢).

﴿يَلْقَيَانِ﴾ أي: يلتقي ماء هذا وماء هذا، وذلك إذا نزل المطر في البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر.

وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون، فالتقاؤهما: بانصباب الأنهار في البحر.

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩١)، والحاكم في المستدرک (٥١٥/٢)، والبزار في مسنده (١٩٠/١٢).

(٢) انظر (٣٤٤/٢).

وأما قول من قال : إن البحرين بحرُ فارس والروم ، أو بحر القلزم واليمن فضعيف ؛ لقوله في «الفرقان» : ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [الفرقان : ٥٣] ، وكل واحد من هذه أُجَاج .

والمراد بـ ﴿ اَلْبَحْرَيْنِ ﴾ في هذه السورة ما أراد في «الفرقان» .
﴿ يَنْهَمَا بَرَزَخٌ ﴾ أي : حاجز ، يعني : جرم الأرض ، أو حاجزاً من قدرة الله .
﴿ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ أي : لا يبغي أحدهما على الآخر بالاختلاط .
وقيل : لا يبغيان على الناس بالفيض .

﴿ يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَاتُ ﴾ اللؤلؤ : كبار الجواهر ، والمرجان : صغاره .

وقيل : بالعكس .
وقيل : إن المرجان حجر أحمر ، قال ابن عطية : وهذا هو الصواب^(١) .
وأما قوله : ﴿ مِنْهُمَا ﴾ ولا يخرج إلا من أحدهما ، فقد تكلمنا عليه في «فاطر»^(٢) .

﴿ وَلَهُ الْخَوَارِجُ الَّتِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ يعني : السفن ، وسماها منشآت ؛ لأن الناس يُنشؤونها .

وقرئ بكسر الشين : بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج .
والأعلام : الجبال ، شبه السفن بها .

(١) المحرر الوجيز (٨/ ١٦٧) .

(٢) انظر (٣/ ٦٠٩) .

[كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ (٣١) وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ (٣٢) فَإِنِّي ءَالَءِ رَبِّكُمْ تُكْذِبَانِ (٣٣) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٣٤) فَإِنِّي ءَالَءِ رَبِّكُمْ تُكْذِبَانِ (٣٥) سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ (٣٦) فَإِنِّي ءَالَءِ رَبِّكُمْ تُكْذِبَانِ (٣٧) يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٨) فَإِنِّي ءَالَءِ رَبِّكُمْ تُكْذِبَانِ (٣٩) يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِلٌ مِنْ نَارٍ وَنَحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٤٠) فَإِنِّي ءَالَءِ رَبِّكُمْ تُكْذِبَانِ (٤١) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٤٢) فَإِنِّي ءَالَءِ رَبِّكُمْ تُكْذِبَانِ (٤٣) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٤٤) فَإِنِّي ءَالَءِ رَبِّكُمْ تُكْذِبَانِ (٤٥) يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَفْدَامِ (٤٦) فَإِنِّي ءَالَءِ رَبِّكُمْ تُكْذِبَانِ (٤٧) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكْذَبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ (٤٨) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ (٤٩) فَإِنِّي ءَالَءِ رَبِّكُمْ تُكْذِبَانِ (٥٠)].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ (٣١) الضمير في ﴿عَلَيْهَا﴾ للأرض ، يدل على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر .

ويعني بـ ﴿مَنْ عَلَيْهَا﴾ : بني آدم وغيرهم من الحيوان ، ولكنه غلب العقلاء .
 ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ (٣٢)﴾ الوجه هنا عبارة عن الذات (١) .
 و﴿ذُو الْجَلَلِ﴾ صفة الذات ؛ لأن من أسمائه تعالى الجليل ، ومعناه يَقْرُب من معنى العظيم .

وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون :

بمعنى أنه يكرم عباده كما قال في «الإسراء» : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ﴾

[الإسراء : ٧٠] .

أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسيحه وعبادته .

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى : أن كل من في السموات والأرض يسأل حاجته من الله ، فمنهم من يسأله بلسان المقال ، وهم المؤمنون ، ومنهم من يسأله بلسان الحال ؛ لافتقار الجميع إليه .

﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ المعنى : أنه تعالى يتصرف في ملكوته تصرفاً يظهر في كل يوم ، من العطاء والمنع ، والإماتة والإحياء ، وغير ذلك .

وروي : أن رسول الله ﷺ قرأها فقليل له : وما ذلك الشأن؟ قال : «من شأنه أن يغفر ذنباً ، ويفرج كرباً ، ويرفع قوماً ، ويضع آخرين»^(١) .

وسئل بعضهم : كيف قال : ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ والقلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة؟

فقال : هو في شأن يُبديه لا في شأن يَبْتديه .

﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَنَّهُ الثَّقَلَانِ﴾ معناه الوعيد ، كقولك لمن تهدده : «سأتفرغ لعقوبتك» ، وليس المعنى : التفريغ من شغل .

ويحتمل أن يريد : انتهاء مدة الدنيا ، وإنه حينئذ ينقضي شأنها ، فلا يبقى إلا شأن الآخرة ، فعبر عن ذلك بالتفريغ .

قال جعفر بن محمد : سمى الإنس والجن ثقلين ، لأنهما ثقلاً بالذنوب .
﴿إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ هذا كلامٌ يقال للجن والإنس يوم القيامة ، ومعناه : إن استطعتم الهروب والخروج من أقطار

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٢)، وذكره البخاري تعليقاً من قول أبي الدرداء (١٤٤/٦).

السموات والأرض فافعلوا، وروي أنهم يفرّون يومئذ؛ لما يرون من أهوال القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة، قد أحاطت بالأرض فيرجعون. وقيل: بل خوطبوا بذلك في الدنيا؛ والمعنى: إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا.

وقوله: ﴿فَأَنفُذُوا﴾ أمرٌ يراد به التعجيز.

﴿لَا تَنفُذُوا إِلَّا بِأَسْطِنِ﴾ أي: لا تقدرّون على النفوذ إلا بقوة، وليس لكم قوة.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ الشواظ: لهب النار.

والنحاس: الدخان.

وقيل: هو الصُّفْرُ يذاب ويُصبُّ على رؤوسهم.

وقرئ ﴿شَوَاظٌ﴾ بضم الشين وكسرهما، وهما لغتان.

وقرئ ﴿وَنُحَاسٌ﴾:

بالرفع عطفاً على ﴿شَوَاظٌ﴾.

وبالخفض عطفاً على ﴿نَّارٍ﴾.

﴿فَإِذَا أُنشِقَّتِ السَّمَاءُ﴾ جواب ﴿فَإِذَا﴾ قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾.

وقال ابن عطية: جوابها محذوف^(١).

﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ معنى ﴿وَرْدَةً﴾: حمراء كالورد.

(١) المحرر الوجيز (٨/ ١٧٥). وقال: «جواب ﴿فَإِذَا﴾ محذوف، مقصود به الإبهام، كأنه تعالى يقول: فإذا انشقت السماء فما أعظم الهول!».

وقيل : هو من الفرس الورْد.

قال قتادة : السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء .

والدهان : جمع دُهْنٍ كالزيت وشبهه ، شبه السماء يوم القيامة به ؛ لأنها تذاب من شدة الهول .

وقيل : شبه لمعانها بلمعان الذهب .

وقيل : إن الدهان هو الجلد الأحمر .

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ السؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المعرفة ؛ إذ لا يحتاج إلى ذلك ؛ لأن المجرمين يُعرفون بسيماهم ، ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صفائهم ، وأما السؤال الثابت في قوله : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر : ٩٢] وغيره ، فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ ، فلا تعارض بين النفي والإثبات .

وقيل : إن ذلك باختلاف المواطن .

والأول أحسن .

﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ يعني : بعلامتهم^(١) وهي سواد الوجوه وغير ذلك .

و﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ هنا الكفار ؛ بدليل قوله : ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ .

﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَفْئَامِ﴾ قيل : معناه : يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم

بقدميه .

(١) في أ : «بعلاماتهم» .

وقيل: بل يؤخذ كل واحد بناصيته وقدميه، فيطوى ويطرح في النار.
﴿يَطْوُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ﴾ ﴿٤٤﴾ الحميم: الماء السُّخْنُ، والآني: الشديد
الحرّ.

وقيل: الحاضر من قولك: أنى الشيء: إذا حضر.
والأول أظهر.



[وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ٤٦] فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٧ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ٤٨ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٩ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَجْرِيَانِ ٥٠ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥١ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ٥٢ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٣ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ٥٤ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٥ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْهِنَّ فَبَلَّغَهُنَّ وَلَا جَانٌّ ٥٦ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٧ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ٥٨ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٩ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ٦٠ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦١ وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّاتٍ ٦٢ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٣ مُدْهَامَتَانِ ٦٤ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٥ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ٦٦ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٧ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَخُلٌّ وَرَمَانٌ ٦٨ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٩ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ٧٠ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ٧٢ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْهِنَّ وَلَا جَانٌّ ٧٤ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٥ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ٧٦ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٧ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ٧٨].

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ٤٦﴾ ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ : القيام بين يديه للحساب، ومنه : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦﴾ ﴿المطففين : ٦﴾ .

وقيل : قيام الله عليه بأعماله ، ومنه : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد : ٣٣] .

وقيل : معناه : لمن خاف ربه وأقحم المقام ، كقولك : خفت جانب فلان . واختُلف هل الجنتان لكل خائف على انفراده أو لصنف الخائفين ؟ ، وذلك مبني على قوله : ﴿وَلَمَنْ خَافَ﴾ هل يراد به واحد أو جماعة ؟

وقال الزمخشري: إنما قال ﴿جَنَّاتٍ﴾؛ لأنه خاطب الثقلين، فكأنه قال: جنة للإنس وجنة للجن^(١).

﴿ذَوَاتًا أَفْنَانٍ﴾ ثنّى «ذات» هنا على الأصل؛ لأن أصله: «ذوات»، قاله ابن عطية^(٢).

والأفنان: جمع فَنٍّ، وهو الغصن.

أو جمع فَنٍّ، وهو الصنف من الفواكه وغيرها.

﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي: نوعان.

﴿وَحَيِّ الْجَنَّةِ دَانٍ﴾ الجنى: هو ما يجتنى من الثمار، و﴿دَانٍ﴾: قريب.

وروي أن الإنسان يجتنى الفاكهة في الجنة على أي حال كان؛ من قيام أو جلوس أو اضطجاع؛ لأنها تتدلى له إذا أرادها.

وفي قوله: ﴿وَحَيِّ الْجَنَّةِ﴾ ضربٌ من ضروب التجنيس.

﴿قَصِصَتْ أَلْطَرَفِ﴾ ذكر في «الصفات»^(٣).

﴿لَمْ يَطْمِئُنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ المعنى: أنهم أبكار، و﴿لَمْ يَطْمِئُنْ﴾ معناه: لم يفتضُّهُنَّ.

وقيل: الطمئ: الجماع سواء كان لبكر أو غيرها.

(١) الكشف (١٥/١٧١).

(٢) المحرر الوجيز (٨/١٧٧)، فردَّ عينها في الثنية، ولم يقل: «ذاتاً»، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان (٨/٥٣٦).

(٣) انظر (٣/٦٦٥).

ونفى أن يطمئنهن إنس أو جان؛ مبالغة وقصدا للعموم، فكأنه قال: لم يطمئنهن شيء.

وقيل: أراد: لم يطمث نساء الإنس إنس ولم يطمث نساء الجن جن، وهذا على القول بأن الجن^(١) يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذ البشر.

﴿كَانَ هُنَّ أَلْيَافُوتُ وَالْمَرْحَاجُ ۝٥٨﴾ شبه النساء بالياقوت والمرجان في الحمرة والجمال.

وقد ذكر معنى المرجان في أول السورة.

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ۝٥٩﴾ المعنى: أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة.

ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذي سأل عنه جبريل رسول الله ﷺ فقال له: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٢)، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة، فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين، ويقوي هذا: أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلي، وجعل جنتين دونهما لمن كان دون ذلك، فالجنتان المذكورتان أولاً للسابقين، والمذكورتان بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد في «الواقعة».

وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين، أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما فقال هنا: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، وقال في الأخريين: ﴿عَيْنَانِ

(١) في ج: «وعلى هذا القول فإن الجن . . .».

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

نَضَاحَتَانِ ﴿١٤٠﴾ ، والجري أشد من النضخ ، وقال هنا : ﴿ مِنْ كُلِّ فِكْهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ ، وقال هناك : ﴿ فِكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ ، وكذلك صفة الحور هنا أبلغ من صفاتها هناك ، وكذلك صفة البُسْط ، ويفسر ذلك قول رسول الله ﷺ : « جنتان من ذهب آنيتهما وكل ما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما »^(١) .

﴿ مُدْهَامَتَانِ ﴾ ﴿١٤١﴾ أي : تضربان إلى السواد من شدة الخضرة .

﴿ عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴾ أي : تفوران بالماء ، والنضخ - بالخاء المعجمة - أشد من النضخ - بالحاء المهملة - .

﴿ فِكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ خصَّ النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة ؛ تشريفاً لهما ، وبياناً لفضلهما على سائر الفواكه ، وهذا هو التجريد .

﴿ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ خيرات : جمع خيرة .

وقال الزمخشري وغيره : أصله خَيْرَاتٌ بالتشديد ثم خُفِّفَتْ ، كَمِيت ، وقد قرئ بالتشديد^(٢) .

قالت أم سلمة : يا رسول الله ! أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ قال : « خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه »^(٣) .

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ ﴿١٤٢﴾ الحور : جمع حَوراء ، والمقصورات : المحجوبات ؛ لأن النساء يُمدَّحن بملازمة البيوت ويُذممن بكثرة الخروج .

(١) أخرجه البخاري (٤٨٧٨) ، ومسلم (١٨٠) .

(٢) الكشف (١٧٥/١٥) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٣/٢٢) .

والخيام: هي البيوت التي من الخشب والحشيش ونحو ذلك، وخيام الجنة من لؤلؤ.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ الرَّفْرَف: البُسْط.

وقيل: الوسائد.

وقيل: رياض الجنة.

﴿وَعَبَقَرِي حَسَانٍ﴾ العبقري: الطَّنَافِس.

وقيل: الزَّرَابِيُّ.

وقيل: الديباج الغليظ.

وهو منسوب إلى عَبَقَر، وتزعم العرب أنه بلد الجن، فإذا أعجبها شيء نسبته إليه.

﴿نَبْرَكَ أَنْتُمْ رَبِّكَ﴾ دُكِرَ ﴿نَبْرَكَ﴾ في «الفرقان»^(١) وغيرها.

والاسم هنا يراد به المسمى على الأظهر.

وقرأ الجمهور ﴿ذِي الْجَلَلِ﴾ بالياء، صفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾.

وقرأ ابن عامر بالواو، صفة للاسم.

وقد ذكر معنى: ﴿ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

﴿ سورة الواقعة ﴾

روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدًا»^(١).

ولما حضرت ابن مسعود الوفاة قيل له: ما تركت لبناتك؟ قال: تركت لهن سورة الواقعة.

[﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ③ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ④ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ⑤ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ⑥ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ⑦ فَأَصْحَبُ الْيَمِينَةِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينَةِ ⑧ وَأَصْحَبُ الشِّمَةِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَةِ ⑨ وَالسَّيْفُونا السَّيْفُونَ ⑩ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ⑪ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ⑫ ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ⑬ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ⑭ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ⑮ مُتَكِدِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّلِينَ ⑯ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ⑰ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ⑱ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ⑲ وَفَكَهَنَهُمْ مِمَّا يَشَخَّرُونَ ⑳ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ㉑ وَخَوْرُ عَيْنٍ ㉒ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ ㉓ أَلَمْ يَكُنْوا يَمَآ كَانُوا يَعْمَلُونَ ㉔ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا تَأْتِيًا ㉕ إِلَّا قِيلاً سَلَامًا ㉖ وَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ ㉗ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ㉘ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ㉙ وَظِلِّ مَدُودٍ ㉚ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ㉛ وَفَكَهَنَهُ كَثِيرٌ ㉜ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ㉝

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٩١)، وانظر تخريجاً موسعاً له في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣/٤١١).

وَفُرِّشَ مَرُوعَةً ﴿٢٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ﴿٢٥﴾ جَعَلْنَاهُمْ أَتْبَارًا ﴿٢٦﴾ عُرْيًا أَتْرَابًا ﴿٢٧﴾ لِأَصْحَابِ
الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٠﴾].

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ﴿٣١﴾ يعني: إذا قامت القيامة، فالواقعة: اسم من
أسماء القيامة تدل على هولها، كالطامة والصاخة.

وقيل: الواقعة: الصيحة، وهي النفخة في الصور.

وقيل: الواقعة: صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة، وهذا بعيد.

﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ ﴿٣٢﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أن تكون ﴿كَاذِبَةٌ﴾ مصدرًا كالعاقبة، والمعنى: ليس لها كذب
ولا رد.

الثاني: أن تكون ﴿كَاذِبَةٌ﴾ صفة لمحذوف، كأنه قال: ليس لها حالة
كاذبة؛ أي: هي صادقة الوقوع ولا بد، وهذا المعنى قريب من الأول.

الثالث: أن يكون التقدير: ليس لها نفس كاذبة أي: تكذب في إنكار
البعث؛ لأن كل نفس تؤمن حينئذ.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ ﴿٣٣﴾ تقديره: هي خافضة رافعة، فينبغي أن يوقف على ما
قبله لبيان المعنى.

والمراد بالخفض والرفع: أنها تخفض أقوامًا إلى النار، وترفع أقوامًا إلى
الجنة.

وقيل: ذلك عبارة عن هولها؛ لأن السماء تنشق، والأرض تزلزل وتمدُّ،
والجبال تُنسف؛ فكانها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها.

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أي: زُلزلت وحركت تحريكًا شديدًا.

و﴿إِذَا﴾ هنا بدل من ﴿إِذَا وَقَعَتْ﴾.

ويحتمل أن يكون العامل فيه ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾.

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ﴾ أي: فُتَّت.

وقيل: سِيرت.

﴿هَبَاءٌ مُنَبِّئًا﴾ الهباء: ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا تكاد ترى إلا في الشمس إذا دخلت على كُوَّة، قاله ابن عباس.

وقال علي بن أبي طالب: هو ما تطاير من حوافر الدواب من التراب.

وقيل: ما تطاير من شرر النار، فإذا طَفِئ لم يوجد شيء^(١).

والمنبث: المفترق^(٢).

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ هذا خطاب لجميع الناس؛ لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة، وهم: السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال.

فأما السابقون: فهم أهل الدرجات العلى في الجنة.

وأما أصحاب اليمين: فهم سائر أهل الجنة.

وأما أصحاب الشمال: فهم أهل النار.

(١) في أ: «يجد شيئًا»، وفي ب، ج: «يوجد شيئًا».

(٢) في ج، هـ: «المفترق».

﴿فَأَصْحَبُ الِّمِئَةِ مَا أَصْحَبُ الِّمِئَةِ﴾ هذا ابتداءً وخبر، فيه معنى التعظيم،

كقولك: زيد ما زيد؟

و﴿الِّمِئَةِ﴾ يحتمل أن تكون:

مشتقة من الِّمْن وهو ضد الشؤم، وتكون ﴿الِّمِئَةِ﴾ مشتقة من الشؤم. أو تكون ﴿الِّمِئَةِ﴾ من ناحية اليمين، و﴿الِّمِئَةِ﴾ من ناحية الشمال، واليد الشؤمى هي الشمال، وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين، والشر من الشمال، أو لأن أهل الجنة يُحملون إلى جهة اليمين، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال.

أو يكون من أخذ الكتب^(١) باليمين أو الشمال.

﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۖ﴾ الأول: مبتدأ، والثاني خبره:

على وجه التعظيم، كقولك: «أنت أنت».

أو على معنى أن السابقين إلى الطاعة هم السابقون إلى الجنة.

وقيل: إن ﴿السَّيِّئُونَ﴾ الثاني صفة للأول أو تأكيد، والخبر ﴿أُولَئِكَ الْمَقْرُونُونَ ۖ﴾.

والأرجح أن يكون الثاني خبر الأول؛ لأنه في مقابلة قوله: ﴿فَأَصْحَبُ الِّمِئَةِ مَا أَصْحَبُ الِّمِئَةِ ۖ﴾ (٨) وَأَصْحَبُ الِّمِئَةِ مَا أَصْحَبُ الِّمِئَةِ (٩) وعلى هذا يوقف على ﴿السَّيِّئُونَ﴾ الثاني، ويبتدئ بما بعده.

(١) في ب، د، هـ: «الكتب».

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤)﴾ الثلة: الجماعة من الناس، فالمعنى: أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين.

والأولون: هم أول هذه الأمة، والآخرون: هم المتأخرون من هذه الأمة، والدليل على ذلك: ما روي أن رسول الله ﷺ قال: «الفرقتان في أمتي»^(١)، وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممن بعدهم فكثُر السابقون من السلف الصالح، وقتلوا بعد ذلك، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم»^(٢).

وقيل: إن الفرقتين في أمة كل نبي، فالسابقون في كل أمة يكثرون في أولها ويقلون في آخرها.

وقيل: إن الأولين هم من كان قبل هذه الأمة، والآخريين هم هذه الأمة، فيقتضي هذا: أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة، وهذا بعيد.

وقيل: إن السابقين يراد بهم: الأنبياء؛ لأنهم كانوا في أول الزمان أكثر مما كانوا في آخره.

﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥)﴾ السرر: جمع سرير.

والموضونة: المنسوجة.

وقيل: المشبكة بالدر والياقوت.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

وقيل : معناه : متواصلة قد أدني بعضها من بعض .

﴿مُتَقَلِّبِينَ﴾ أي : وجوه بعضهم إلى بعض .

﴿وَلَدْنُ مُخَلَّدُونَ﴾ الولدان : صغار الخدم ، والمخلدون : الذين لا يموتون .

وقيل : المقرطون بالخلدات ، وهي ضرب من الأقراط .

والأول أظهر .

﴿يَاكُوبَ وَأَبَارِيقَ﴾ الأكواب : جمع كوب ، وهو الإناء وهو الذي لا أذن له ولا خرطوم يُمسك به .

والأباريق : جمع إبريق ، وهو الإناء الذي له خرطوم أو أذن يمسك به .

﴿وَكُلٌّ مِّن مَّعِينٍ﴾ ذكر في «الصفات»^(١) .

﴿لَّا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ أي : لا يلحق رؤوسهم الصداغ الذي يصيب من خمر الدنيا .

وقيل : لا يُفَرِّقُونَ عنها ، فهو من الصَّدْع وهو الفُرقة .

ومعنى ﴿لَّا يُنْزِفُونَ﴾ : لا يسكرون .

﴿وَفَكَهَمَ مِمَّا بَخَرَوْتَ﴾ ٢٠ ﴿﴾ قيل : يتخيرون ما شاؤوا ؛ لكثرتها .

وقيل : متخيرة ؛ أي : مَرْضِيَّة .

﴿وَحُورٌ عَيْنٌ﴾ ٢١ ﴿﴾ قدمنا معناه .

(١) انظر (٣/٦٦٤) .

وَقَرَأَ:

[أ-] بِالرَّفْعِ:

على تقدير: فيها حور.

أو عطفٌ على الضمير في ﴿مُتَكِينٍ﴾^(١).

أو على ﴿وَلَدْنُ﴾.

[ب-] وبالحفْض: عطف على المعنى كأنه قال: يَنْعَمُونَ بهذا كله وبحور

عين.

وقيل: خفض على الجوار.

﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ شبههن باللؤلؤ في البياض ووصفه بالمكنون؛ لأنه أبعد عن تغير حسنه، وسألت أم سلمة رسول الله ﷺ عن هذا التشبيه فقال: «صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداق الذي لا تمسه الأيدي»^(٢).

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾^(٢٥) اللغو: الكلام الساقط كالفحش وغيره.

والتأثيم: مصدر، بمعنى: لا يؤثم أحدٌ هناك نفسه ولا غيره.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾^(٢٦) انتصب ﴿سَلَمًا﴾ على أنه:

بدلٌ من ﴿قِيلًا﴾.

(١) فيكون التقدير: استقرُّوا هم وحورٌ عينٌ حال كونهم متكئين. انظر: المحرر الوجيز

(٨/١٩٦) والكشاف (١٥/١٩١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٠٤).

أو صفة له .

أو مفعول به ﴿فِيْلًا﴾ ؛ لأن معناه : قولٌ ، ومعنى السلام على هذا التحية ، والمعنى : أنهم يفشون السلام فيسلمون سلامًا بعد سلام .

ويحتمل أن يكون معناه : السلامة ، فينتصب بفعل مضمّر تقديره : اسلموا^(١) سلامًا .

﴿وَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ﴾ ﴿٧٧﴾ هذا مبتدأ وخبره ، قصد به التعظيم فيوقف عليه ، ويبتدأ بما بعده .

ويحتمل أن يكون الخبر ﴿فِي سِدْرٍ﴾ ، ويكون ﴿مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ﴾ اعتراضًا . والأول أحسن .

وكذلك إعراب ﴿وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ﴾ .

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ ﴿٧٨﴾ السدر : شجر معروف .

قال ابن عطية : وهو الذي يقال له : شجر أم غيلان^(٢) .

وهو كثير في بلاد المشرق ، وهي في بعض بلاد الأندلس دون بعض .

والمخضود : الذي لا شوك فيه ، كأنه خُصِد شوكه ، وذلك أن سدر الدنيا له شوك ، فوصف سدر الجنة بضد ذلك .

وقيل : المخضود : هو المؤقر الذي انتنت أغصانه من كثرة حمله ، فهو

(١) في ب ، د : «سلموا» .

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ١٩٧) .

على هذا : من خَضد الغصن : إذا ثناه .

﴿وَطَلِحَ مَنُضُودٌ﴾ (٢٩) ﴿الطلح : شجر عظام كثيرة الشوك ، قاله ابن عطية﴾^(١) .

وقال الزمخشري : هو شجر الموز^(٢) .

وحكى ابن عطية هذا عن علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وقرأ علي ابن أبي طالب : «وطلع منضود» بالعين ، فقليل له : إنما هو «وطلح» فقال : ما للطلح وللجنة ! فقليل له : أنصلحها^(٣) في المصحف ؟ فقال : المصحف اليوم لا يغير .

والمنضود : الذي تنضد بالثمر من أعلاه إلى أسفله ، حتى لا يظهر له ساق .

﴿وَطَلَّ مَمْدُودٌ﴾ (٣٠) ﴿أي : منبسط لا يزول ؛ لأنه لا تنسخه شمس ، وقال رسول الله ﷺ : «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها واقرؤوا إن شئتم﴾ ﴿وَطَلَّ مَمْدُودٌ﴾ (٣٠) ﴿^(٤) .

﴿وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ﴾ (٣١) ﴿أي : مصبوب ، وذلك عبارة عن كثرته .

وقيل : المعنى : أنه جارٍ في غير ساقية ولا دلو ولا تعب .

وقيل : المعنى : أنه يجري من غير ساقية ولا دلو ولا تعب .

﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (٣٢) ﴿أي : لا ينقطع إبانها كفاكهة الدنيا ، فإن

(١) المحرر الوجيز (٨/ ١٩٧) .

(٢) الكشف (١٥/ ١٩٦) .

(٣) في ب ، هـ : «أنصلحها» .

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٥٢) .

شجر الجنة تثمر في كل وقت ، ولا تمتنع ببعد تناولها ولا بغير ذلك من وجوه المنع .

﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ هي الأسيرة ، وقد روي أن ارتفاع سرير منها مسيرة خمس مئة عام .

وقيل : هي النساء ، وهذا بعيد .

﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ﴾ الضمير لنساء الجنة ، فإن سياق الكلام يقتضي ذلك ، وإن لم يتقدم ذكرهن ، ولكن قد تقدّم ذكر الفرش وهي تدل على النساء .
وأما من قال : إن الفرش هي النساء فالضمير عائد عليها .

وقيل : يعود على الحور العين المذكورات قبل هذا ، وذلك بعيد ، فإن ذلك في وصف جنات السابقين ، وهذا في وصف جنات أصحاب اليمين .
ومعنى إنشاء النساء : أن الله تعالى يخلقهن في الجنة خلقاً آخر في غاية الحسن - بخلاف الدنيا - ، فالعجوز ترجع شابة والقيحة ترجع حسنة .

﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ روي : أنهن دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرًا .

﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب ، وهي المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته .

وعبر عنهن ابن عباس : بأنهن العواشق لأزواجهن .

وقيل : هي الحسنه الكلام .

﴿أَزْوَاجًا﴾ (٢٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٢٨) أي : مستويات في السن مع أزواجهن ، وروي أنهم يكونون في سن أبناء ثلاثة وثلاثين عامًا .

و﴿لَا ضَحَبَ الْيَمِينِ﴾ يتعلق بقوله: ﴿أَنشَأْنَهُنَّ﴾ على ما قال الزمخشري^(١).
ويحتمل أن يتعلق بـ﴿أَرْبَابًا﴾، وهذا هو الذي يقتضيه المعنى؛ أي: أتراباً
لأزواجهن.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ أي: جماعة من أول هذه الأمة
وجماعة من آخرها، وقد قال رسول الله ﷺ: «الفرقتان من أمتي»^(٢)، وفي
ذلك ردٌّ على من قال إنهما من غير هذه الأمة.

وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين،
بخلاف السابقين فإنهم قليل في الآخرين؛ وذلك لأن السابقين في أول
هذه الأمة أكثر منهم في آخرها؛ لفضيلة السلف الصالح، وأما أصحاب
اليمين فكثيرٌ في أولها وآخرها.

(١) الكشاف (٢٠١/١٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣٤/٢٢).

[وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾
لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنِثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾
وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ءَآءَنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾
قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَآ الضَّالُّونَ
الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَّا كُلُّونَ مِن شَجَرٍ مِّن زُفُورٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَشْرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ
﴿٥٤﴾ فَتَشْرِبُونَ شُرْبَ الْهَلِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ﴿٥٧﴾
أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ
بِمُسْتَوْفِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن تَبْدِلَ أَمْسَلَكُمْ وَنَنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ
الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ
نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحَرِّمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ
الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا
فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾
نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾].

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ السَّمُومُ: الحر الشديد.

والحميم: الماء الحار جدًا.

واليحوموم: هو الأسود.

والظل من يحوموم: هو الدخان في قول الجمهور.

وقيل: سرادق النار المحيط بأهلها؛ فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظللهم.

وقيل: هو جبل في جهنم.

﴿وَكَاثُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ معنى ﴿يُصِرُّونَ﴾ : يدومون من غير إقلاع .

و﴿الْحِنثِ﴾ : هو الإثم .

وقيل : هو الشرك .

وقيل : الحنث في اليمين ؛ أي اليمين الغموس .

﴿أَإِذَا مِتْنَا﴾ الآية ؛ معناها : أنهم أنكروا البعث بعد الموت .

وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين في «الرعد»^(١) ، و﴿أَوَّابًا﴾ في «الصافات»^(٢) .

﴿أَتَبَايَسُ الْكُفَّارُونَ الْكَافِرِينَ﴾ خطاب لكفار قريش وسائر الكفار .

﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ الضمير للمأكول .

﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ ③ وزن ﴿الْهَيْمِ﴾ فُعلٌ بضم الفاء ، وكسرت الهاء لأجل الياء ، وهو جمع أهيم ، وهو الجمل الذي أصابه الهيام - بضم الهاء - وهو داء معطش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم ، والأثنى هَيْمَاء .

وقيل : جمع هائم وهائمة .

وقيل : الهيم : الرمال التي لا تروى من الماء ، وهو على هذا جمع هيام - بفتح الهاء - .

وقرئ ﴿شُرْبَ﴾ بضم الشين ، واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب ؟

(١) انظر (٢/٦٦٩) .

(٢) انظر (٣/٦٥٩) .

وقرئ بالفتح ، وهو مصدر .

فإن قيل : كيف عطف قوله : ﴿ فَتَشْرَبُونَ ﴾ على ﴿ فَتَشْرَبُونَ ﴾ ومعناها واحد؟
فالجواب : أن المعنى مختلف ؛ لأن الأول يقتضي الشرب مطلقاً ،
والآخر يقتضي الشرب الكثير المشبه لشرب^(١) الهيم .
﴿ هَذَا نُزِّلُكُمْ ﴾ النزل : أول ما يأكله الضيف ، فكأنه يقول : هذا أول عذابهم
فما ظنك بسائره؟

﴿ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ تحضيضٌ على التصديق إما بالخالق تعالى ، وإما
بالبعث ؛ لأن الخلقة الأولى دليل عليه .

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ ﴿ ٥٨ ﴾ هذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على
الوحدانية وعلى البعث ، وتتضمن أيضاً وعيداً وتعيداً نعم .

ومعنى ﴿ تُمْنُونَ ﴾ : تقذفون المني في رحم المرأة .

﴿ أَأَسْمَنُ مَخْلُوقُهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ ﴿ ٥٩ ﴾ هذا توقيفٌ يقتضي أن يجيبوا عليه بأن
الله هو الخالق لا إله إلا هو .

﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ﴾ أي : جعلناه مقدراً بأجال معلومة وأعمار منها
طويل وقصير ومتوسط .

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ ﴿ ٦٠ ﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ٦١ ﴾
المسبوق على الشيء : هو المغلوب عليه ؛ بحيث لا يقدر عليه .

(١) في ب ، ج ، هـ : « يشرب » .

و﴿تُبَدَّلْ أَمْثَلَكُمْ﴾: معناه: نهلككم ونستبدل قومًا غيركم.

وقيل: نمسخكم قردة وخنازير.

و﴿نُنْشِئُكُمْ﴾ معناه: نبعثكم بعد هلاككم.

و﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ معناه: ننشئكم في خَلْقَةٍ لا تعلمونها على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه.

فمعنى الآية: أن الله قادر على أن يهلكهم وعلى أن يبعثهم، ففيها تهديد واحتجاج على البعث.

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تحضيضٌ على التذكُّر والاستدلالِ بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة.

وفي هذه دليل على صحة القياس.

﴿أَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ المراد بالزراعة هنا: إنبات ما يُزرع وتماام خلقته؛ لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره، قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم زرعت، ولكن يقول حرثت»^(١).

والمراد بالحرث: قلب الأرض وإلقاء الزريعة فيها، وقد يقال لهذا: زرع، ومنه قوله: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعُ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ١٥ الحطام: اليابس المتفتت.

وقيل: معناه تبُّنٌ بلا قمع.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٠/١٣)، والبخاري في مسنده (٣٠٨/١٧).

﴿فَطَلَّتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أي: تَطَرِّحُونَ الْفَكَاهَةَ وهي الْمَسْرَّةُ، يقال: رجلٌ فَكِيهٌ: إذا كان مسرورًا منبسط النفس، ويقال: تَفَكَّهَ إذا زالت عنه الْفَكَاهَةُ فصار حزينًا؛ لأن صيغة «تَفَعَّلَ» تأتي لزوال الشيء، كقولهم: تَحَرَّجَ وتَأَثَّم: إذا زال عنه الحرج والإثم.

فالمعنى: صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطامًا.

وقد عبر بعضهم عن ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ بأن معناه: تتفجعون.

وقيل: تندمون.

وقيل: تعجبون.

وهذه معانٍ متقاربة، والأصل ما ذكرنا.

﴿إِنَّا لَمُعْرُمُونَ﴾ (١٦) بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿١٧﴾ تقديره: تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطامًا.

والمُعْرَمُ المعذَّب؛ لأن الغرام هو أشد العذاب.

ويحتمل أن يكون من العُرْم؛ أي: مثقلون بما غَرِمْنَا من النفقة على الزرع.

والمحروم: الذي حرمه الله الخير.

﴿مِنَ الْمُرْدِ﴾ هي السحاب.

والأجاج: الشديد الملوحة.

فإن قيل: لم ثبتت اللام في قوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ وسقطت من قوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾؟

فالجواب : من وجهين :

أحدهما : أنه أغنى إثباتها أولاً عن إثباتها ثانياً مع قرب الموضعين .

والآخر : أن هذه اللام تدخل للتأكيد ، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب ؛ للدلالة على أن الطعام أوكد من الشراب ؛ لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل .

﴿النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي : تقدحونها من الزناد .

والزناد قد يكون من حجرين ، ومن حجر وحديدة ، ومن شجر وهو المرخ والعفّار ، ولما كانت عادة العرب في زنادهم من شجر قال الله تعالى : ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ أي : الشجرة التي تُزَنَدُ منها النار .

وقيل : أراد بالشجرة نفس النار ؛ كأنه يقول : نوعها أو جنسها فاستعار الشجرة لذلك ، وهذا بعيد .

﴿مَنْ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ أي : تذكّر بنار جهنم .

﴿وَمَتَّعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ المتاع : ما يُتَمَتَّعُ به .

ويحتمل المقوين :

أن يكون من الأرض القواء ، وهي الفيافي ، فمعنى المقوين : الذين دخلوا في القواء ، ولذلك عبر ابن عباس عنه : بالمسافرين .

ويحتمل أن يكون من قولهم : أقوى المنزل : إذا خلا ، فمعناه : الذين خلت بطونهم أو مزادهم من الطعام ، ولذلك عبّر بعضهم عنه : بالجائعين .

[﴿فَلَا أُفْسِدُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُمْ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الصَّاَلِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَزُلُّ مِنْ جَمِيرٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصْلُهُ جَمِيرٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ بَلَقٍ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾].

﴿فَلَا أُفْسِدُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) ﴿«لا» في هذا الموضع وأمثاله زائدة، وكأنها زيدت لتأكيد القسم، أو لاستفتاح الكلام، نحو: «ألا». وقيل: هي نافية لكلام الكفار، كأنه يقول: لا صحة لما يقول الكفار، وهذا ضعيف.

والأول أحسن؛ لأن زيادة «لا» كثيرة معروفة في كلام العرب.

و﴿مَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ فيه قولان:

أحدهما - قول ابن عباس - : إنها نجوم القرآن؛ إذ أنزل على النبي ﷺ مقطّعا بطول عشرين سنة، فكل قطعة منه نجم.

والآخر - قول كثير من المفسرين - : إن النجوم الكواكب، ومواقعها: مغاربها ومساقطها.

وقيل: مواضعها من السماء.

وقيل : انكدارها يوم القيامة .

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (٧٦) هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه .

وقوله : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراض بين الموصوف وصفته ، فهو اعتراض في اعتراض ، والمقصود بذلك : تعظيم المقسم به ، وهو مواقع النجوم .

وجواب القسم : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٧) وأعاد الضمير على القرآن ؛ لأن المعنى يقتضيه ، أو لأنه مذكور على قول من قال : إن ﴿مَوَاقِعَ النُّجُومِ﴾ نزول القرآن .

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ (٧٨) أي : مصون ، والمراد بهذا الكتاب المكنون : المصاحف التي كُتِبَ فيها القرآن .

أو صحف القرآن بأيدي الملائكة ﷺ .

﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٩) الضمير يعود على الكتاب المكنون . ويحتمل أن يعود على القرآن المذكور قبله ، إلا أن هذا ضعيف لوجهين : أحدهما : أن مسَّ الكتاب حقيقة ، ومس القرآن مجاز ، والحقيقة أولى من المجاز .

والآخر : أن الكتاب أقرب ، والضمير يعود على أقرب مذكور .

فإذا قلنا : إنه يعود على الكتاب المكنون :

[أ-] فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التي بأيدي الملائكة :

﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ يراد به الملائكة ؛ لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب ،

والآية إخبارٌ أنه لا يمسه إلا هم دون غيرهم .

[ب-] وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو المصحف الذي ^(١) بأيدي الناس :
فيحتمل :

أن يريد بالمطهرين المسلمين ؛ لأنهم مطهرون من الكفر .

أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر ، وهو الجنابة والحيض ، فالطهارة
على هذا : الاغتسال .

أو المطهرين من الحدث الأصغر ، فالطهارة على هذا : الوضوء .

ويحتمل أن يكون قوله : ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ : خبرًا ، أو نهياً .

على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهياً ، وقال : لو كان نهياً لكان بفتح
السين .

وقال المحققون : إن النهي يصح مع ضم السين ؛ لأن الفعل المضاعف إذا
كان مجزوماً واتصل به ضمير المفرد المذكر ضُمَّ عند التقاء الساكنين ؛ إتباعاً
لحركة الضمير .

وإذا جعلناه خبراً فيحتمل :

أن يقصد به مجرد الإخبار .

أو يكون خبراً بمعنى النهي .

وإذا كان لمجرد الإخبار ، فالمعنى : أنه لا ينبغي أن يمسه إلا المطهرون ؛

(١) في أ ، ب : «المصحف التي» .

أي: هذا حقه وإن وقع خلاف ذلك.

واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات في الآية:

فأجمعوا على أنه لا يجوز أن يمسه كافر؛ لأنه إن أراد بالمطهرين المسلمين، فذلك ظاهر، وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك.

وأما المحدث ففيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه لا يجوز أن يمسه الجنب ولا الحائض ولا المحدث حدثاً أصغر، وهذا قول مالك وأصحابه، ومنعوا أيضاً أن يحمله بعلاقة أو وسادة.

وحجتهم: الآية، على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، وقد احتج مالك في الموطأ بالآية على المسألة.

ومن حجتهم أيضاً: كتاب رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم: «أن لا يمس القرآن إلا طاهر»^(١).

القول الثاني: أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثاً أصغر، وهو مذهب أحمد بن حنبل^(٢) والظاهرية، وحملوا المطهرين على أنهم

(١) رواه مالك مرسلاً (٢٣٤)، وابن حبان (٥٠٤/١٤) والدارقطني (١٢١/١) متصلاً.

(٢) في نسبة هذا القول إلى الإمام أحمد نظر، فمذهب الإمام أحمد أنه يحرم على المحدث حدثاً أصغر أو أكبر مس المصحف. انظر: الشرح الكبير مع الإنصاف (٧١/٢).

المسلمون أو الملائكة، أو جعلوا ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ لمجرد الإخبار.

والقول الثالث: أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر، (وحمل صاحب هذا القول المطهرين على أنه يراد به: الطهارة من الحدث الأكبر)^(١).

ورخص مالك في مسه على غير وضوء للمعلم والصبيان؛ لأجل المشقة.

واختلفوا في قراءة الجنب القرآن:

فمنعه الشافعي وأبو حنيفة مطلقاً.

وأجازه الظاهرية مطلقاً.

وأجاز مالك قراءة الآيات اليسيرة.

واختلفوا في قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر قلب:

فعن مالك في ذلك روايتان.

وفرق بعضهم بين الكثير واليسير.

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِتُونَ﴾ (٨١) ﴿هذا خطاب للكفار، والحديث المشار إليه: هو القرآن.

و﴿مُذْهِتُونَ﴾: معناه متهاونون، وأصله من المداهنة وهي لين الجانب، والموافقة بالظاهر لا بالباطن.

وقال ابن عباس: معناه: مكذبون.

﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (٨٢) قال ابن عطية: أجمع المفسرون على

(١) سقط من أ، ج، هـ.

أن الآية توبيخ للقائلين في المطر: إنه نزل بنوء كذا وكذا^(١).

فالمعنى: تجعلون شُكْرَ رِزْقِكُم التَّكْذِيبَ، فحذف «شُكْرَ»؛ لدلالة المعنى عليه.

وقرأ علي ابن أبي طالب: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»، وكذلك قرأ ابن عباس، إلا أنه قرأ «تُكْذِبُونَ» بضم التاء وبالتشديد كقراءة الجماعة، وقراءة علي بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب، أي: يكذبون في قولهم: نزل المطر بنوء كذا.

ومن هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب، فأما من قال: مُطِرْنَا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا و^(٢)كوكب كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»^(٣).

والمنهي عنه في هذا الباب: أن يعتقد أن للكواكب تأثيراً في المطر، وأما مراعاة العوائد التي أجراها الله تعالى فلا بأس به كقوله ﷺ: «إذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلک عين غديقة»^(٤)، وقد قال عمر للعباس وهما في الاستسقاء: كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يقولون: إنها

(١) المحرر الوجيز (٨/٢١٣).

(٢) في ب، د: «أو».

(٣) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٦١٣).

تعرض في الأفق بعد سقوطها سبعا ، قال ابن المسيب : فما مضت سبع حتى مطروا^(١) .

وقيل : إن معنى الآية : تجعلون سبب رزقكم تكذيبكم للنبي ﷺ ؛ فإنهم كانوا يقولون : إن آمنا به حرمننا الله الرزق ، كقولهم : ﴿إِنْ نَنْبِغِ الْهُدَى مَعَكَ نُخَطِّفَ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصر : ٥٧] ، فأنكر الله عليهم ذلك .

وإعراب ﴿أَنْتُمْ﴾ على هذا القول : مفعول بـ ﴿وَجَعَلُونَ﴾ على حذف مضاف تقديره : تجعلون سبب رزقكم التكذيب .

ويحتمل أن يكون مفعولاً من أجله ، تقديره : تجعلون رزقكم حاصلًا من أجل أنكم تكذبون .

وأما على القول الأول فإعراب ﴿أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ مفعولٌ ، لا غير .
﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٢﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هنا عرضٌ .

والضمير في ﴿بَلَغَتِ﴾ للنفس ؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك .
وبلوغها للحلقوم : حين الموت .

والفعل الذي دخلت عليه ﴿لَوْلَا﴾ هو قوله : ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ ؛ أي : هَلَّا رددتم النفس حين الموت .

ومعنى الآية : احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم بأنهم إذا حضر أحدهم الموت لم يقدرُوا أن يرُدُّوا روحه إلى جسده ، وذلك دليلٌ على أنهم عبيد مقهورون .

(١) أخرجه الحميدي في مسنده (٤٣٢/٢) ، والبيهقي في السنن الكبير (٣٥٩/٣) .

﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ هذا خطاب لمن يحضر الميث من أقاربه وغيرهم، يعني: تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ يحتمل أن يريد:

قُرب نفسه تعالى بعلمه واطلاعه.

أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح، فيكون من قرب المسافة.

﴿وَلَكِنْ لَا بُصُورُونَ﴾ إن أراد بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾:

الملائكة فقوله: ﴿لَا بُصُورُونَ﴾ من رؤية العين.

وإن أراد نفسه تعالى: فهو من رؤية القلب.

﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هنا عرض كالأولى، وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام، والفعل الذي دخلت عليه ﴿لَوْلَا﴾ الأولى والثانية قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾؛ أي: هلاً رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير مربوبين ومقهورين، فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين في كفركم.

وترتيب الكلام: فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مديين؟؛ فارجعوها إن كنتم صادقين.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ الضمير في ﴿كَانَ﴾ للمتوفى.

وكرر هنا ما ذكره في أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف: السابقين، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال.

فالمراد بـ ﴿الْمُقَرَّبِينَ﴾ هنا: السابقون المذكورون هناك.

﴿فَرْوُحٌ وَرَّيْحَانٌ﴾ الرَّوْحُ : الاستراحة.

وقيل : الرحمة، وروي أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿فَرْوُحٌ﴾ بضم الراء^(١)، ومعناه الرحمة.

وقيل : الخلود، أي : بقاء الروح.

وأما الريحان :

فقليل : إنه الرزق.

وقيل : الاستراحة.

وقيل : الطيب.

وقيل : الريحان المعروف في الدنيا يلقاه في الجنة.

وفي قوله : ﴿فَرْوُحٌ وَرَّيْحَانٌ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿فَلَسَلْتُ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ٩١﴾ معنى هذا على الجملة : نجات أصحاب اليمين وسعادتهم.

والسلام هنا يحتمل أن يكون : بمعنى السلامة، أو التحية.

والخطاب في ذلك يحتمل : أن يكون للنبي ﷺ، أو لأحد أصحاب اليمين.

[أ-] فإن كان للنبي ﷺ : فالسلام بمعنى السلامة، والمعنى : سلام لك يا محمد منهم، أي : لا ترى فيهم إلا السلامة من العذاب.

(١) أخرجه أحمد (٣٤٣٥٢)، وأبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في الكبرى (٢٨٧/١٠).

[ب-] وإن كان الخطاب لأحد أصحاب اليمين :

فالسّلام بمعنى التّحية، والمعنى : سلام لك ، أي : تحية لك يا صاحب اليمين من إخوانك ، وهم أصحاب اليمين ، أي : يسلمون عليك ، فهو كقوله : ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾ (١٦) .

أو يكون بمعنى السّلامة ، والتقدير : سلامة لك يا صاحب اليمين ، ثم يكون قوله : ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ خبر ابتداء مضمر تقديره : أنت من أصحاب اليمين .

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ يعني : الكفار ، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة .

﴿فَنَزَّلُ مِنَ جَمِيرٍ﴾ (٩٣) التّزل : أول شيء يقدّم للضيف .

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٩٥) الإشارة إلى تضمّنته هذه السّورة من أحوال الخلق في الآخرة .

و﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ : معناه الثّابت من اليقين .

وقيل : إن الحق واليقين بمعنى واحد ، فهو من إضافة الشيء إلى نفسه ، كقولك : مسجد الجامع .

واختار ابن عطية أن يكون كقولك في أمر تؤكّده : «هذا يقين اليقين» أو «صواب الصواب» ، بمعنى : أنه نهاية الصواب^(١) .

(١) المحرر الوجيز (٨/٢١٦) .

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٧٤﴾ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ :
 «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ قال ﷺ :
 «اجعلوها في سجودكم»^(١).

فلذلك استحب مالك وغيره أن يقول في السجود: «سبحان ربي الأعلى»
 وفي الركوع: «سبحان ربي العظيم».
 وأوجه الظاهرية.

ويحتمل أن يكون المعنى:

سبح الله بذكر أسمائه، والاسم هنا: جنس الأسماء، و﴿الْعَظِيمِ﴾ صفة للرب.

أو يكون الاسم هنا واحداً، و﴿الْعَظِيمِ﴾ صفة له، فكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم، ويؤيد هذا ويشير إليه: اتصال سورة «الحديد» بها، وفي أولها التسييح وجملة من أسماء الله وصفاته.

قال ابن عباس: اسم الله الأعظم موجود في ست آيات من أول سورة الحديد.

وروي أن الدعاء بعد قراءتها مستجاب.



(١) أخرجه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧).

﴿سورة الحديد﴾

[﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِنُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٨﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْنَئُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْئَوِي مِنْكُمْ مَن أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاك أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٠﴾].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا التسييح المذكور هنا وفي أول سائر السور المسبِّحات يحتمل :
أن يكون حقيقة .

وأن يكون بلسان الحال ؛ لأن كل ما^(١) في السموات والأرض دليلٌ على وجود الله وقدرته وحكمته .

والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

وذكر التسييح هنا وفي «الحشر» و«الصف» بلفظ الماضي ، وفي «الجمعة» و«التغابن» بلفظ المضارع ، وكل واحد منهما يقتضي الدوام .

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ أي : ليس لوجوده بداية ، ولا لبقائه نهاية .

﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ أي : الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة عليه ، الباطن : الذي لا تدركه الأبصار ، أو الباطن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كُنْه ذاته .

وقيل : الظاهر : العالي على كل شيء ، فهو من قولك : ظَهَرْتُ على الشيء : إذا علوت عليه ، والباطن : الذي بطن كل شيء أي : علم باطنه .
والأول أظهر وأرجح^(٢) .

ودخلت الواو بين هذه الصفات ؛ لتدل على أنه تعالى جامع لها ، مع اختلاف معانيها .

(١) في ب ، د : «من» .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف : «والأول أظهر وأرجح» أقول : يريد القول الأول في تفسير الظاهر والباطن من أسماء الله ، والصواب في تفسير هذين الاسمين هو القول الثاني ؛ لأنه الموافق لتفسيره ﷺ ؛ إذ قال في الدعاء : «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء» ، وإنما رجَّح المؤلف القول الأول فراراً من إثبات علوه تعالى بذاته فوق مخلوقاته ، ونفي ذلك هو مذهب الأشاعرة ، وإثباته هو مذهب أهل السنة ، كما تقدم قريباً .

وفي ذلك مطابقة لفظية، وهي من أحسن أدوات البيان.

﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْشِ﴾ قد ذُكِرَ، وكذلك ما بعده ^(١).

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ يعني: أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته، وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك.

﴿يُورِثُ الْيَتْلَ﴾ ذكر في «الحج» ^(٢)، و«لقمان» ^(٣).

﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ يعني: الإنفاق في سبيل الله وطاعته.

روي أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك، وعلى هذا: روي أن قوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنه جهز جيش العسرة يومئذ.

ولفظ الآية مع ذلك عام، وحكمها باق لجميع الناس.

وقوله: ﴿مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ يعني: أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله؛ لأنه خلقها، ولكنه متّعكم بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكمها أن تنفقوها فيه.

ويحتمل أن يعني: ﴿جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ﴾ ممن كان قبلكم فورثتم عنهم الأموال، فأنفقوها قبل أن تخلّفوها لمن بعدكم، كما خلّفها لكم من كان قبلكم.

(١) انظر (٣٤٩/٢)، (٥٧٢/٣).

(٢) انظر (٢١٦/٣).

(٣) انظر (٥١١/٣).

والمقصود على كل وجه : تحريضٌ على الإنفاق وتزهيدٌ في الدنيا .

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ معناه : أي شيء يمنعكم من الإيمان ، والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة والمعجزات الظاهرة؟

فقوله : ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ استفهام يراد به الإنكار ، و﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه ﴿وَمَا لَكُمْ﴾^(١) ، والواو في قوله : ﴿وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال .

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الميثاق :

ما جعل في العقول من النظر الذي يؤدي إلى الإيمان .

أو يكون الميثاق الذي أخذه على بني آدم ؛ حين أخرجهم من ظهر آدم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألسن بربكم؟ قالوا : بلى .

﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ﴾ يعني : محمداً ﷺ ، والعبودية هنا : للتشريف والاختصاص ، والآيات هنا : القرآن .

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ معناه : أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله والله يرث ما في السموات والأرض إذا أفنى^(٢) أهلها؟

ففي ذلك تحريضٌ على الإنفاق وتزهيدٌ في الدنيا .

﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ﴾ الفتح هنا : فتح مكة .

وقيل : صلح الحديبية .

(١) قال في الكشاف (٢٣٣/١٥) : «كما تقول : مالك قائماً ، بمعنى : ما تصنع قائماً» .

(٢) في د : «فني» .

والأول أظهر وأشهر .

ومعنى الآية : التفاوت في الأجر والدرجات بين من أنفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة ، وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك ؛ فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفاً ، والحاجة إلى الإنفاق والقتال كانت أشد .

ويؤخذ من الآية : أن من أنفق في شدة أعظم أجراً ممن أنفق في حال الرخاء .

وفي الآية حذفٌ دلّ عليه الكلام ، تقديره : لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل ، ثم حذف ذلك ؛ لدلالة قوله : ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ .

وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه »^(١) ، يعني : السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة ، ويدخل في الخطاب كل من يأتي إلى يوم القيامة .

﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي : كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة .

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤٠) .

[مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظِرُونَا نَقْتِسِ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ قَالِیَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ وَآقَرُضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾].

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ ذكر في «البقرة»^(١).

﴿يَوْمَ تَرَى﴾ العامل في الظرف: ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، أو تقدير: اذكر.

﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ قيل: إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان.

والصحيح هو قول الجمهور: أنه حقيقة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ^(٢)، فالمعنى على هذا: أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نورٌ يضيء

(١) انظر (١/٤٦٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٩٨).

قُدَّامَهُمْ وعن يمين كل واحد منهم ، وقيل : يكون أصله في أيمانهم ، يحملونه فينبسط^(١) نوره قُدَّامَهُمْ .

وروي أن نور كل أحد على قدر إيمانه ، فمنهم من يكون نوره كالنخلة السَّحُوق^(٢) ، ومنهم من يضيء ما قُرب من قدميه ، ومنهم من يضيء مرة وبهم بالانطفاء مرة .

قال ابن عطية : ومن هذه الآية أخذ الناس مَشْيَ الْمُعْتَقِ بِالشَّمْعَةِ قُدَّامَ مُعْتِقِهِ إِذَا مَاتَ^(٣) .

﴿بُشْرِكُمْ أَلْيَوْمَ جَنَّتْ﴾ تقديره : يقال لهم ذلك .

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقَسٌ مِنْ تَوَكُّمٍ﴾ ﴿يَوْمَ﴾ : بدلٌ من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ .

أو متعلق بـ ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، أو بمحذوف : تقديره اذكر .

ومعنى الآية : أن كل مؤمن ومُظهر للإيمان يُعطى يوم القيامة نورًا ، فيبقى نور المؤمنين ، وينطفئ نور المنافقين ، فيقول المنافقون للمؤمنين ﴿انظُرُونَا نَقَسٌ مِنْ تَوَكُّمٍ﴾ أي : نأخذ منه ونستضيء به .

ومعنى ﴿انظُرُونَا﴾ : انتظرونا ، وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف ، والمنافقون ليسوا كذلك .

(١) في ب : «فيسطع» .

(٢) النخلة السَّحُوق : أي الطويلة التي بُعد ثمرها على المجتني . كما في لسان العرب مادة (سحق) .

(٣) المحرر الوجيز (٨/٢٢٦) .

ويحتمل أن يكون من النظر؛ أي: انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاءوا بنورهم، ولكن يَضْعَفُ هذا؛ لأن «نظر» إذا كان بمعنى النظر بالعين يتعدى بـ «إلى».

وقرئ ﴿أَنْظِرُونَا﴾ بهمزة قطع، ومعناه: أخرونا، أي: أمهلوا في مشيكم حتى نلحقكم.

﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ يحتمل أن يكون هذا: من قول المؤمنين، أو قول الملائكة.

ومعناه: الطرد للمنافقين، والتهكُّم بهم؛ لأنهم قد علموا أنهم ليس وراءهم نور.

﴿وَرَاءَكُمْ﴾ ظرف العامل فيه ﴿ارْجِعُوا﴾.

وقيل: إنه لا موضع له من الإعراب، وإنه كما لو قال: «ارجعوا ارجعوا». ومعنى هذا الرجوع:

ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور.

أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان.

أو ارجعوا خائبين، وتنحوا عنا فالتمسوا نورًا آخر، فلا سبيل لكم إلى هذا النور.

﴿فَضْرِبْ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾ أي: ضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم، وفي ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه.

وقيل: إن هذا السور هو الأعراف، وهو سور^(١) بين الجنة والنار.

وقيل: هو الجدار الشرقي من بيت المقدس، وهذا بعيد.

﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ باطنه: هو جهة المؤمنين، وظاهره: هو جهة المنافقين وهي خارجة، كقولك: ظاهر المدينة أي: خارجها.

والضمير في ﴿بَاطِنُهُ﴾ و﴿ظَاهِرُهُ﴾: يحتمل أن يكون:

للسور.

أو للباب.

والأول أظهر.

﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين فيقولون لهم: ألم نكن معكم في الدنيا؟ يريدون إظهارهم للإيمان.

﴿فَنَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق.

﴿وَتَرَبَّصْتُكُمْ﴾ أي: أبطأتهم بإيمانكم.

وقيل: تربصتم الدوائر بالنبى ﷺ وبالمسلمين.

﴿وَأَرْبَبْتُمْ﴾ أي: شككتهم في الإيمان.

﴿وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانِيَّ﴾ أي: طول الأمل والتمني، ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يهلك النبي ﷺ والمؤمنون، أو يهزموا، إلى غير ذلك من الأماني الكاذبة.

(١) في ج: «سد».

﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: الفتح وظهور الإسلام.

أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب.

﴿الْفُرُورُ﴾ هو الشيطان.

﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ أي: هي أولى بكم، وحقيقة المولى: الولي الناصر، فكان هذا استعارة منه، أي: لا ولي لكم تأوون إليه إلا النار.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ معنى ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾: ألم يحسن، يقال: أنى الأمر: إذا حان وقته.

وذكر الله يحتمل أن يريد به:

القرآن.

أو الذكر.

أو التذكير بالمواعظ.

وهذه آية موعظة وتذكير.

قال ابن عباس: عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن.

وسمع الفضيل بن عياض قارئاً يقرأ هذه الآية فقال: قد آن، فكان سبب رجوعه إلى الله.

وحكي أن عبد الله بن المبارك أخذ العود في صباه ليضربه، فنطق بهذه الآية، فكسره ابن المبارك، وتاب إلى الله.

﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ عَظَفَ ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ عَلَى ﴿أَنْ تَخْشَعَ﴾.

ويحتمل أن يكون نهياً .

والمراد : التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب المتقدمة وهم اليهود والنصارى .

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ أي : مدة الحياة .

وقيل : انتظار القيامة .

وقيل : انتظار الفتح .

والأول أظهر .

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي : يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات .

وقيل : إنه تمثيل للقلوب ؛ أي : يحيي الله القلوب بالمواعظ كما يحيي الأرض بالمطر ، وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين نُدبوا إلى أن تخشع قلوبهم .

والأول أرجح ؛ لأنه الحقيقة .

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ بتشديد الصاد ، من الصدقة ، وأصله : «المتصدقين» ، وكذلك قرأ أبي بن كعب .

وقرى بالتخفيف من التصديق ، أي : صدَّقوا الرسول ﷺ .

﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ معطوف على المعنى، كأنه قال: «إن الذين تصدقوا وأقرضوا».

وقد ذكرنا معنى ﴿وَأَقْرَضُوا﴾ في قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] ^(١).

﴿الصَّادِقُونَ﴾ مبالغة من الصدق، أو من التصديق.

وكونه من الصدق أرجح؛ لأن صيغة «فَعِيل» لا تبنى إلا من فعل ثلاثي في الأكثر، وقد حكي بناؤها من رباعي كقولهم: رجل مِسِيكٌ: من أمسك.

﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾:

مبتدأ وخبره ما بعده.

أو يكون معطوفاً على الصديقين.

[أ-] فإن كان مبتدأ: ففي المعنى قولان:

أحدهما: أنه جمع شهيد في سبيل الله، فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم.

والآخر: أنه جمع شاهد، ويراد بهم الأنبياء ﷺ؛ لأنهم يشهدون على قومهم.

[ب-] وإن كان معطوفاً: ففي المعنى قولان:

أحدهما: أنه جمع شهيد، فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء

(١) انظر (١/٤٦٧).

أي: جمعوا الوصفين، وروى في هذا المعنى: أن رسول الله ﷺ قال: «مؤمنو أمتي شهداء» وتلا هذه الآية^(١).

والآخر: أنه جمع شاهد؛ لأن المؤمنين يشهدون على الناس كقوله: ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ هذا خبرٌ عن الشهداء خاصة إن كان مبتدأ.

وخبر عن المؤمنين إن كان ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ معطوفاً.

و﴿نُورُهُمْ﴾ هو النور الذي يكون لهم يوم القيامة، حسبما ذكر في هذه السورة.

وقيل: هو عبارة عن الهدى والإيمان.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٤١٤).

[﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ ﴿١٥﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٧﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٩﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٠﴾].

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ الآية؛ معناها: تشبيه الدنيا بالزرع الذي ينبت الغيث في سرعة تغيره بعد حسنه، وتحطمه بعد ظهوره.

و﴿الْكُفَّارَ﴾ هنا يراد به: الزُّرَّاع، فهو من قولهم: كَفَرْتُ الْحَبَّ: أي سترته تحت الأرض، وخصَّهم بالذكر؛ لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيق أن يُعجب.

وقيل: أراد الكفار بالله، وخصَّهم بالذكر؛ لأنهم أشد إعجاباً بالدنيا وأكثر حرصاً عليها.

﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: سابقوا إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة:

ف قيل : المعنى كونوا في أول صف من القتال .

وقيل : احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام .

وقيل : كونوا أول داخل إلى المسجد ، وآخر خارج منه .

وهذه أمثلة ، والمعنى العام : المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحة .

وقد استدل بها قوم على أن الصلاة في أول الوقت أفضل .

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ السماء هنا يراد به جنس السموات ،
بدليل قوله في «آل عمران» : ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ،
وقد ذكرنا هناك معنى ﴿عَرْضُهَا﴾^(١) .

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ
نَبْرَأَهَا﴾ المعنى : أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من
قبل أن تكون ، قال رسول الله ﷺ : «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن
يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء»^(٢) .

والمصيبة هنا : عبارة عن كل ما يصيب^(٣) من خير أو شر .

وقيل : أراد به المصيبة في العرف ، وهو ما يصيب من الشر ، وخص ذلك
بالذكر ؛ لأنه أهم على الناس .

و﴿فِي الْأَرْضِ﴾ يعني : القحوط والزلازل وغير ذلك .

(١) انظر (١/٥٧٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) .

(٣) في ب زيادة : «الإنسان» .

﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: الموت، والفقر، وغير ذلك.

﴿نَبَرَاهَا﴾ معناه: نخلقها.

والضمير يعود: على المصيبة، أو على أنفسكم، أو على الأرض.

وقيل: يعود على جميعها؛ لأن المعنى صحيح في كلها.

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ المعنى: فعل الله ذلك وأخبركم به لكي تسلموا لقضاء الله، ولا تكثرثوا بأمور الدنيا.

ومعنى ﴿لَا تَأْسَوْا﴾: لا تحزنوا، أي: فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا بها.

وقرأ الجمهور: ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ بالمد؛ أي: بما أعطاكم الله من الدنيا.

وقرأ أبو عمرو: ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ بالقصر؛ أي: بما جاءكم من الدنيا.

فإن قيل: إن الإنسان لا يملك نفسه عن أن يفرح بالخير ويحزن للشر، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - لما أُتي بمال كثير - : «اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا».

فالجواب: أن النهي عن الفرح إنما هو عن الذي يقود إلى الكبر والطغيان، وعن الحزن الذي يُخرج عن الصبر والتسليم.

﴿كُلُّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ المختال: صاحب الخيلاء، والفخور: الشديد الفخر على الناس.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ بدل من ﴿كُلِّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾.

أو خبر ابتداء مضمّر تقديره : هم الذين .

أو منصوب بإضمار : أعني .

أو مبتدأ وخبره محذوف .

﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ الكتاب هنا : جنس الكتب .

والميزان : العدل .

وقيل : الميزان الذي يوزن به .

وروي أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى نوح وقال له : مُرْ قَوْمَكَ يزنوا به .

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ عبّر عن خلقه وإيجاده بالإنزال .

وقيل : بل أنزله حقيقة ؛ لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة .

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني : أنه يعمل منه سلاح للقتال ، ولذلك قال :

﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ .

والمنافع للناس : سكك الحرث والمسامير وغير ذلك .

[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِثِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا فَتَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٨﴾ إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٩﴾].

﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون؛ لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم.
﴿قَفَّيْنَا﴾ ذكر في «البقرة»^(١).

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم في بعض، كما وصف أصحاب محمد ﷺ، بأنهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانية: هي الانفراد في الجبال، والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا.

ومعنى ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾: أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم.
وإعراب ﴿وَرَهَابَانِيَّةً﴾ معطوف على ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾، أي: جعل الله في

(١) انظر (١/٣٣٤).

قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية، و﴿أَبَدَّعُوهَا﴾ صفة للرهبانية، والجعل هنا بمعنى الخلق.

والمعتزلة يعربون ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ مفعولاً بفعل مضمر يفسره ﴿أَبَدَّعُوهَا﴾؛ لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله، فأعربوها على مذهبهم، وكذلك أعربها أبو علي الفارسي.

وذكر الزمخشري الوجهين ^{(١)(٢)}.

﴿مَا كُتِبَتْهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ كتبنا هنا : بمعنى فرضنا وشرعنا. وفي هذا قولان:

أحدهما: أن الاستثناء منقطع، والمعنى: ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم؛ ابتغاء رضوان الله.

(١) الكشف (١٥/٢٥٨-٢٥٩).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف: «وإعراب (رهبانية) معطوف على (رأفة ورحمة)» إلخ، أقول: تضمن كلام المؤلف ذكر الوجهين في إعراب رهبانية، هل هي عطف على رأفة ورحمة؟ أو نصب على الاشتغال بفعل محذوف يفسره ما بعده، والتقدير: ابتدعوا رهبانية؟ ورجح المصنف الوجه الأول، ونسب الثاني للمعتزلة؛ لثلا يتعلق الجعل بمعنى الخلق بالرهبانية، وهي من فعل العبد، وعندهم أن العبد هو الذي يخلق فعله.

وأقول: إن الإعراب الثاني هو الراجح، وقد ذهب إليه جمع كالبعوي والقرطبي وابن عاشور وغيرهم؛ وذلك لأن مفعول جعل في الآية مقيّد في القلوب ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ﴾، والرهبانية سلوك ظاهر، وليس في إعراب رهبانية على الوجه الثاني حجة للمعتزلة، ولا منفعة للمخالف. قاله الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله.

والآخر: أن الاستثناء متصل، والمعنى: كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿أَبْدَعُوهَا﴾ ولقراءة عبد الله بن مسعود: «ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها».

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا﴾ أي: لم يدوموا عليها، ولم يحافظوا على الوفاء بها، يعني: أن جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم.

والضمير في ﴿رَعَوْهَا﴾ للذين ابتدعوا الرهبانية، وكان يجب عليهم إتمامها، وإن لم يكتبها الله ﷻ عليهم؛ لأن من دخل في شيء من النوافل وجب عليه إتمامه.

وقيل: الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم.
﴿وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ إن قيل: كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا يُتَغَى؟
فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن معنى ﴿ءَامِنُوا﴾ دوموا على الإيمان واثبتوا عليه.
والآخر: أنه خطاب لأهل الكتاب، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد ﷺ، ويؤيد هذا: قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: نصيبين، وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي...» الحديث^(١).

(١) أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤).

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يحتمل أن يريد:

النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة .
أو يكون عبارة عن الهدى .

ويؤيد الأول : أنه مذكور في هذه السورة ، ويؤيد الثاني : قوله : ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ «لا» في قوله :
﴿إِنَّمَا﴾ زائدة ، والمعنى : ليعلم أهل الكتاب ، وكذلك قرأها ابن عباس .
وقرأ ابن مسعود : «لكي يعلم» .

والمعنى إن كان الخطاب لأهل الكتاب : يا أهل الكتاب آمنوا بمحمد ﷺ ؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدرّون على شيء من فضل الله الذي وعد من آمن منكم ، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة ؛ لأنهم لم يسلموا ، فلا ينالون شيئاً من ذلك .

وإن كان الخطاب للمسلمين فالمعنى : ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرّون أن ينالوا شيئاً مما أعطى الله المسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة .

وقد روي أن سبب الآية : أن اليهود افتخرت على المسلمين ، فنزلت الآية في الرد عليهم ، فهذا يقوي هذا القول .

وروي أيضاً أن سببها : أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين ، فنزلت الآية معلّمة أن المسلمين مثلهم في ذلك .

﴿سورة المجادلة﴾

[﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ ٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطَاعًا سِتِينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا يَتَذَكَّرُ لِّلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٦﴾].

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ نزلت الآية في خولة بنت حكيم.

وقيل : خولة بنت ثعلبة .

وقيل : خولة بنت خويلد .

وقيل : اسمها : جميلة .

وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصاري أخي عبادة بن الصامت ، فظاهر منها ، وكان الظهار في الجاهلية يوجب تحريماً مؤبداً ، فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله : إن أوساً أكل

شبابي ونثرث له بطني^(١)، فلما كبرتُ ومات أهلي ظاهر مني!، فقال رسول الله ﷺ: «ما أراك إلا قد حرمت عليه»، فقالت: يا رسول الله لا تفعل!؛ فإني وحيدة، ليس لي أهل سواه، فراجعها رسول الله ﷺ بمثل مقالته فراجعته، فهذا هو جدالها^(٢).

﴿وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ﴾ كانت تقول: «اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري».

وروي أنها كانت تقول: «اللهم إن لي منه صبيّةً صغاراً إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا».

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَوَائِصَهُ﴾ المحاوره: هي المراجعة في الكلام.

قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان من وسع سمعه الأصوات!، لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفى عليّ وسمع الله كلامها^(٣).

ونزل القرآن في ذلك، فبعث رسول الله ﷺ في زوجها وقال له: «أَتُعَتِّقُ رقبة؟»، فقال: والله ما أملكها. فقال: «أتصوم شهرين متتابعين؟»، فقال: والله ما أقدر، فقال له: «أتطعم ستين مسكيناً؟» فقال: لا أجد إلا أن يعينني رسول الله ﷺ بمعونة وصلاة، يريد الدعاء، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة

(١) أرادت أنها كانت شابة تلد الأولاد عنده. النهاية لابن الأثير (٤٠٦٧/٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠٦٣)، والحاكم (٥٢٣/٢)، والطبري في تفسيره (٤٥٤/٢٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤١٩٥)، والنسائي في الكبرى (٢٧٦/٥)، وابن ماجه (١٨٩)،

والبخاري تعليقا (١١٧/٩) بلفظ: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات...».

عشر صاعًا، وقيل: بثلاثين صاعًا ودعا له، فكفر بالإطعام وأمسك زوجته^(١).

﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ قرئ ﴿يَظْهَرُونَ﴾ بألف بعد الظاء وبحذفها، وبالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد وهو إيقاع الظهار. والظهار المجمع عليه: هو أن يقول الرجل لامرأته: «أنت عليّ كظهر أمي».

ويجري مجرى ذلك عند مالك: تشبيه الزوجة بكل امرأة محرمة على التأييد، كالبنت والأخت وسائر المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع والمصاهرة، سواء ذكر لفظ الظهر أو لم يذكره، كقوله: «أنت عليّ كأمي» أو «كبطن أمي» أو «يدها» أو «رجلها»، خلافاً للشافعي؛ فإن ذلك كله ليس عنده بظهار؛ لأنه وقف عند لفظ الآية، وقاس مالك عليه؛ لأنه رأى أن المقصد تشبيهه حلال بحرام.

﴿مَا هِيَ أُمّهَاتُهُمْ﴾ ردّ الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة، وأخبر تعالى أن تصيير الزوجة أمّا باطل؛ فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور، فالمنكر: هو الذي لا تعرف له حقيقة، والزور: هو الكذب، وإنما جعله كذباً؛ لأن المظاهر يصير امرأته كأمه. وهي لا تصير كذلك أبداً.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤٦/٢٢).

والظهار محرّم، ويدل على تحريمه أربعة أشياء :

أحدها: قوله تعالى: ﴿مَا هِيَ أَثَمَّتِيهِمْ﴾ ؛ فإن ذلك تكذيب للمُظاهر .

والثاني: أنه سماه منكراً .

والثالث: أنه سماه زوراً .

والرابع: قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾ ، فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب .

وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة .

﴿وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اختلف الناس في معنى قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ على ستة أقوال :

الأول: أنه إيقاع الظهار في الإسلام، فالمعنى: أنهم كانوا يظاهرون في الجاهلية، فإذا فعلوه في الإسلام فذلك عودٌ إليه، هذا قول ابن قتيبة^(١)، فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار، بخلاف أقوال غيره، فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعود معاً .

الثاني: أن العود هو وطء الزوجة، روي ذلك عن مالك، فلا تجب الكفارة على هذا حتى يطأ، فإذا وطئ^(٢) وجبت عليه الكفارة، سواءً أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت .

الثالث: أن العود هو العزم على الوطء، وروي هذا أيضاً عن مالك، فإذا

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٤٥٦-٤٥٧).

(٢) في ب، ج: «وطئها».

عزم على الوطء وجبت الكفارة، سواءً أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت .
 الرابع: أن العود هو العزم على الوطء وعلى إمساك الزوجة، وهذا أصح
 الروايات عن مالك .

الخامس: أنه العزم على الإمساك خاصة، وهذا مذهب الشافعي، فإذا
 ظاهر ولم يطلقها بعد الظهار لزمته الكفارة .

السادس: أنه تكرار الظهار مرة أخرى، وهذا مذهب الظاهرية وهو
 ضعيف؛ لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكمًا في أول مرة، وإنما يوجبه
 في الثانية، وإنما نزلت الآية فيمن ظاهر أول مرة، فذلك يردُّ عليهم .

ويختلف معنى ﴿لَمَّا قَالُوا﴾ باختلاف هذه الأقوال :

فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية: فـ «ما» مصدرية، والمعنى: يعودون
 لقولهم .

وأما على سائر الأقوال فـ «ما» بمعنى «الذي»، والمعنى: يعودون للوطء
 الذي حرّموه، أو للعزم عليه، أو للإمساك الذي تركوه، أو للعزم عليه .

﴿فَتَحَرَّبُ رَقَبَةً﴾ جعل الله الكفارة في الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة،
 لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجز عن الأول، ولا ينتقل إلى الثالث حتى
 يعجز عن الثاني :

فالأول: تحرير رقبة .

والثاني: صيام شهرين متتابعين .

والثالث: إطعام ستين مسكينًا .

فأما الرقبة: فاشترط مالك أن تكون مؤمنة؛ لأن مذهبه حمل المطلق على المقيد، وجاءت هنا مطلقة، وجاءت في كفارة القتل مقيدة بالإيمان.

وأما صيام الشهرين: فاشترط فيه التابع، فإن أفسد الصائم التابع باختياره: ابتدأه من أوله باتفاق.

وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان:

فقال مالك: يبني على ما كان معه.

وقال أبو حنيفة: يبتدئ.

وروي القولان عن الشافعي.

وأما الإطعام: فمشهور مذهب مالك: أنه مدٌّ لكل مسكين بمد هشام^(١)، واختلف في مد هشام:

ف قيل: إنه مدّان غير ثلث بمد النبي ﷺ.

وقيل: إنه مدٌّ وثلث.

وقيل: إنه مدان.

وقال الشافعي وابن القصار: يطعم مدًّا بمد النبي ﷺ لكل مسكين.

ولا يجزئه إلا كمال عدد الستين، فإن أطعم مسكينًا واحدًا ستين يومًا: لم يُجزَّه عند مالك والشافعي، خلافًا لأبي حنيفة، وكذلك إن أطعم ثلاثين مرتين.

(١) هو هشام بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة المخزومي، عامل المدينة لعبد الملك بن مروان. انظر: شرح الزرقاني على الموطأ (٢/٢٢٢).

والطعام يكون من غالب قوت البلد.

﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ مذهب مالك والجمهور: أن المسيس هنا يراد به الوطء وما دونه من اللمس والتقبيل، فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئاً من ذلك حتى يكفر.

وقال الحسن والثوري: أراد الوطء خاصة، فأباح ما دونه قبل الكفارة. وذكر الله قوله: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ في التحرير والصوم، ولم يذكره في الإطعام، فاختلف العلماء في ذلك:

فحمل مالك الإطعام على ما قبله، ورأى أنه لا يكون إلا قبل المسيس، وجعل ذلك من المطلق الذي يحمل على المقيد.

وقال أبو حنيفة: يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة؛ لأن الله لم ينص في الإطعام أنه قبل المسيس.

﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا﴾ قال ابن عطية: الإشارة إلى الرخصة في النقل من التحرير إلى الصوم^(١).

وقال الزمخشري: المعنى: ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا^(٢)، وهذا أظهر؛ لأنه أعم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾ أي: يخالفون ويعادون.

﴿كُتِبُوا﴾ أي: أهلكوا.

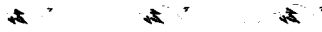
(١) المحرر الوجيز (٨/٢٤٧).

(٢) الكشاف (١٥/٢٧٨).

وقيل : لعنوا .

وقيل : كُتِبَ الرجل : إذا بقي خَزيَان .

ونزلت الآية في المنافقين واليهود .



[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْأَلْسِنِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِبَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَصُلُونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْأَلْسِنِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِبَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْيَدِ وَالنَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَرَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسْخَوْا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ فَأَذَلَّ لَكُمْ تَفَعَّلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾].

﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَجْوَى هُنَا :

بمعنى الكلام الخفي ، فيكون ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ مضافاً إليه .

أو بمعنى الجماعة من الناس ، فيكون ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ بدلاً ، أو صفة .

والأول أحسن .

﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني : بعلمه وإحاطته ، وكذلك ﴿سَادِسُهُمْ﴾ ، و﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ نزل في قوم من اليهود كانوا يتناجون فيما

بينهم ويتغامزون على المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك فعادوا .

وقيل : نزلت في المنافقين .

والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ ؛ لأن هذا من فعل اليهود .

والأحسن أن يريد اليهود والمنافقين معاً ؛ لقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فنزلت في الطائفتين .

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ فيقولون : «السلام عليك يا محمد» ، بدلاً من «السلام عليكم»^(١) ، والسام : الموت ، وهو ما أرادوه بقولهم ، فكان رسول الله ﷺ يقول لهم : «وعليكم» ، فسمعتهم عائشة يوماً فقالت : بل عليكم السام واللعنة ، فقال رسول الله ﷺ : «مهلاً يا عائشة ! ؛ إن الله يكره الفحش والتفحش» ، قالت : أما سمعت ما قالوا ؟ قال : «أما سمعت ما قلت لهم ؟ إني قلت : وعليكم»^(٢) .

ويريد بقوله : ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ : قوله تعالى : ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل : ٥٩] .

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون : لو كان نبياً لعذبنا الله بإذيته ، فقال الله : ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي : يكفيهم ذلك عذاباً .

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُحْزِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قيل^(٣) : يعني : النجوى

(١) في أ ، هـ : «عليك» .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٠) ، ومسلم (٢١٦٥) .

(٣) لم ترد في ب ، د .

بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وحذف وصفها بذلك؛ لدلالة الأول عليه.

وقيل: أراد نجوى اليهود والمنافقين، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِيُحْزِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾ اختُلف في سبب الآية: فقيل: نزلت في مقاعد الحرب والقتال.

وقيل: نزلت بسبب ازدحام الناس في مجلس رسول الله ﷺ وحرصهم على القرب منه.

وقيل: أقام النبي ﷺ قوماً ليجلسَ أشياخاً من أهل بدر في مواضعهم، فنزلت الآية.

ثم اختُلف هل هي مقصورة على مجلس النبي ﷺ أو هي عامة في جميع المجالس؟

فقال قوم: إنها مخصوصة، ويدلُّ على ذلك قراءة ﴿الْمَجَالِسِ﴾ بالإفراد. وذهب الجمهور إلى أنها عامة، ويدل على ذلك قراءة ﴿الْمَجَالِسِ﴾ بالجمع، وهذا هو الأصح، ويكون ﴿الْمَجَالِسِ﴾ بالإفراد على هذا للجنس. والتفْسُح المأمور به: هو التوسع دون القيام، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لا يقيم أحدٌ أحدًا من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧).

وقد اختلف في هذا النهي عن القيام من المجلس لأحد؛ هل هو على التحريم أو الكراهة؟

﴿يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يوسع لكم في جنته ورحمته.

﴿وَإِذَا قِيلَ ائْشُرُوا فَاَئْشُرُوا﴾ أي: إذا قيل لكم: ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك.

واختلف في هذا النشوز المأمور به:

ف قيل: إذا دُعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة.

وقيل: إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله ﷺ؛ لأنه كان يحب الانفراد أحياناً، وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام.

وقيل: المراد: القيام في المجلس للتوسع.

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: يرفع الله المؤمنين العلماء درجات، فقوله: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ صفة لـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، كقولك: «جاءني العاقل والكريم»، وأنت تريد رجلاً واحداً.

والثاني: يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعاً درجات.

فالدرجات:

على الأول: للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء.

وعلى الثاني: للمؤمنين الذين ليسوا علماء، وللعلماء أيضاً، ولكن

بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يؤخذ من موضع آخر، كقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»^(١)، وقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلاً»^(٢)، وقوله ﷺ: «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»^(٣) فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء، فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين! .

﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَنِكُمْ صَدَقَةٌ﴾ قال ابن عباس: سببها أن قومًا من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي ﷺ في غير حاجة، إلا لتظهر^(٤) منزلتهم، وكان النبي ﷺ سمحًا لا يرد أحدًا، فنزلت الآية مشددة في أمر المناجاة.

وقيل: سببها: أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاته ﷺ.

وهذه الآية منسوخة باتفاق، نسخها قوله بعدها: ﴿أَسْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَنِكُمْ صَدَقَتٌ﴾ الآية، فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة، بعد أن كان قد أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته ﷺ.

واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا؟

فقال قوم: لم يعمل بها أحد.

(١) أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣١٣).

(٤) في أ: «ليظهروا».

وقال قوم: عمل بها علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فإنه روي أنه كان له دينار
فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات، تصدق في كل مرة منها بدرهم،
وقيل: تصدق في كل مرة بدينار.

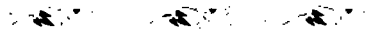
ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادراً على الصدقة، وأما من لم يجد
فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ التوبة هنا يراد بها:

عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي أمروا بها.

أو^(١) تخفيفها بعد وجوبها.

﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: دُوموا على هذه الأعمال التي هي
قواعد شرعكم، دون ما كنتم قد كُلفتم من الصدقة عند المناجاة.



(١) في ب، ج: «و».

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٤] أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ نزلت في قوم من المنافقين تولوا قوماً من اليهود، وهم الذين غضب الله عليهم.

﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ يعني: أن المنافقين ليسوا من المسلمين، ولا من اليهود، فهو كقوله فيهم: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا، وقد صدر ذلك منهم مراراً كثيرة هي مذكورة في السِّير وغيرها.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾ أصل الجُنَّة: ما يُسْتَرُّ به ويُتَّقَى به المحذور كالثرس
ثم استعمل هنا استعاراً؛ لأنهم كانوا يظهرون الأيمان لتعصم دماؤهم
وأموالهم.

وقرئ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ﴾ بكسر الهمزة.

﴿اسْتَحْذَرُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ﴾ أي: غلب عليهم وتملك نفوسهم.

﴿فِي الْآذِلِينَ﴾ أي: في جملة الأذلين؛ أي: معهم.

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى وقدر.

﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية؛ معناها: لا تجد مؤمناً يحب كافراً ولو كان أقرب
الناس إليه، وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان، ولذلك كان الصحابة رضي الله
عنه يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا كفاراً، فقد قتل أبو عبيدة بن
الجراح أباه يوم أحد، وقتل مصعب بن عمير أخاه عزيز^(١) بن عمير يوم
أحد، ودعا أبو بكر الصديق ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي ﷺ أن يقعد.
وقيل: إن الآية نزلت في حاطب حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار
رسول الله ﷺ.

والأحسن أنها على العموم.

وقيل: نزلت فيمن يصحب السلطان، وذلك بعيد.

﴿يُؤَادُّونَ﴾ هذه مفاعلة من المودة، فتقضي أن المودة من الجهتين.

﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ أي: عاداه وخالفه.

(١) الذي في سيرة ابن هشام (١/٦٤٥) أن اسمه: «أبو عزيز».

﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: أثبتته فيها كأنه مكتوب.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: بلطف وهدى وتوفيق.

وقيل: بالقرآن.

وقيل: بجبريل.

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ هذه ^(١) في مقابلة قوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾.

والحزب: هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه.



(١) في ج، د: «هذا».

﴿ سورة الحشر ﴾

نزلت هذه السورة^(١) في اليهود^(٢) بني النضير، وكانوا في حصون بمقربة من المدينة، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فأرادوا غدره، فأطلعهم الله على ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم، فخرجوا منها وتفرقوا في البلاد.

[سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكَتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا آفَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا آفَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرُّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحِذُّوه

(١) في أ: «الآية».

(٢) في د: «يهود».

وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنَّهُمْ وَانْقَرَأَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِثُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾].

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: بني النضير.

﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ في معناه أربعة أقوال:

أحدها: أنه حشر القيامة، أي: خروجهم من حصونهم أول الحشر، والقيام من القبور آخره، وروي في هذا المعنى: أن رسول الله ﷺ قال لهم: «امضوا هذا أول الحشر، وأنا على الأثر»^(١).

الثاني: أن المعنى: لأول موضع الحشر وهو الشام، وذلك أن أكثر بني النضير خرجوا إلى الشام، وقد جاء في الأثر: أن حشر^(٢) القيامة إلى أرض الشام.

وروي في هذا المعنى: أن النبي ﷺ قال لبني النضير: «اخرجوا». قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»^(٣).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٩٩/٢٢).

(٢) في ب زيادة: «الناس يوم»

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٤٥/١٠).

الثالث : أن المراد: الحشر في الدنيا الذي هو الجلاء والإخراج ،
فإخراجهم من حصونهم : أول الحشر ، وإخراج أهل خيبر : آخره .

الرابع : أن معناه : إخراجهم ^(١) من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم ؛ لأنه
أول قتال قاتلهم رسول الله ﷺ .

وقال الزمخشري : اللام في قوله : ﴿لَأَوَّلُ﴾ بمعنى : «عند» ، كقولك :
جئت لوقت كذا ^(٢) .

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ يعني : لكثرة عدّتهم ومنعة حصونهم .

﴿فَأَنذَهُمُ اللَّهُ﴾ عبارة عن أخذ الله لهم .

﴿يُخْرِجُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أما إخراج المؤمنين : فهو هدم
أسوار الحصون ليدخلوها ، وأسند ذلك إلى الكفار في قوله : ﴿يُخْرِجُونَ﴾ ؛
لأنه كان بسبب كفرهم وغدرهم .

وأما إخراج الكفار لبيوتهم فثلاثة مقاصد :

أحدها : حاجتهم إلى الخشب والحجارة ؛ ليسدّوا بها أفواه الأزقة
ويحصّنوا ما خرّبه المسلمون من الأسوار .

والآخر : ليحملوا معهم ما أعجبهم من الخشب والسواري وغير ذلك .

والثالث : أن لا تبقى مساكنهم مبنية للمسلمين ، فهدموها شحاً عليهم .

(١) في د ، هـ : «أخرجهم» .

(٢) الكشف (٣٠٤ / ١٥) .

﴿فَاعْتَبِرُوا يَكَاؤُلِيَ الْأَبْصَارِ﴾ استدلل الذين أثبوا القياس في الفقه بهذه الآية ، واستدلوا لهم بها ضعيف خارج عن معناها .

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ الجلاء : هو الخروج عن الوطن ، فالمعنى : لولا أن كتب الله على بني النضير خروجهم عن أوطانهم لعذبهم في الدنيا بالسيف كما فعل بإخوانهم بني قريظة ، ولهم مع ذلك عذاب النار .

﴿شَاقُوا﴾ ذكر في «الأنفال»^(١) .

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ﴾ اللينة : هي النخلة .

وقيل : هي الكريمة من النخل .

وقيل : النخلة التي ليست بعجوة .

وقيل : ألوان النخل المختلطة .

وسبب الآية : أن رسول الله ﷺ لما نزل على حصون بني النضير قطع المسلمون بعض نخلهم ، وأحرقوا ، فقال بنو النضير : ما هذا الإفساد يا محمد وأنت تنهى عن الفساد ! ، فنزلت الآية معلمة أن كل ما جرى من قطع أو إمساك فإن الله أذن للمسلمين في ذلك ؛ ليخزي الفاسقين بني النضير .

واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب ، فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها .

(١) انظر (٢/٤٤٧) .

واختلف العلماء في قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم :
فأجازه الجمهور ؛ لهذه الآية ، ولإقرار رسول الله ﷺ على تحريق نخل
بني النضير .

وكرهه قوم ؛ لوصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه الجيش الذي وجههم ^(١) إلى
الشام أن لا يقطعوا شجراً مثمراً .

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ معنى ﴿أَفَاءَ
اللَّهُ﴾ : جعله فينا لرسول الله ﷺ .

و﴿أَوْجَفْتُمْ﴾ من الوجيف ، وهو سرعة السير .

والركاب : هي الإبل .

والمعنى : أن ما أعطى الله رسوله من أموال بني النضير لم يمش
المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولا تعبوا فيه ، ولا حَصَلُوهُ بقتال ، ولكن حصل
بتسليط رسوله ﷺ على بني النضير ، فأعلم الله من هذه الآية أن ما أخذ لبني
النضير ^(٢) وما أُخِذَ مِنْ فَدَكٍ فهو فيءٌ خاص للنبي ^(٣) ﷺ ، يفعل فيه ما يشاء ؛
لأنه لم يُوجَفَ عليها ، ولا قوتلت كبير قتال ، فهي بخلاف الغنيمة التي تؤخذ
بالقتال ، فأخذ رسول الله ﷺ لنفسه من أموال بني النضير قوت عياله ، وقسم
سائرهما في المهاجرين ، ولم يعط الأنصار منها شيئاً ، غير أن أبا دُجَانَةَ وسهل

(١) في ج ، د : «وجهه» .

(٢) في أ : «ما أخذه من بني النضير» .

(٣) في أ ، هـ : «بالنبي» .

ابن حنيف شكوا فاقة فأعطاهما رسول الله ﷺ منها ، هذا قول جماعة .
وقال عمر بن الخطاب : كان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنة ،
وما بقي جعله في السلاح والكراع عدة في سبيل الله .

قال قوم من العلماء : وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجف عليه ، فهو
لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيه في مصالح المسلمين .

﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية ؛ اضطرب الناس في
تفسير هذه الآية وحكمها اضطراباً عظيماً ، فإن ظاهرها : أن الأموال التي
تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول ومن ذكر بعد ذلك ولا يخرج منها خمس ،
ولا تقسم على من حضر الواقعة ، وذلك يعارض ما ورد في «الأنفال» من
إخراج الخمس ، وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الواقعة !

فقال بعضهم : إن هذه الآية منسوخة بآية «الأنفال» ، وهذا خطأ ؛ لأن آية
«الأنفال» نزلت قبل هذه بمدة .

وقال بعضهم : إن آية «الأنفال» في الأموال التي تغنم ما عدا الأرض ، وإن
هذه الآية في أرض الكفار ، قالوا : ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين ، وهذا التخصيص لا دليل
عليه .

وقيل غير ذلك .

والصحيح : أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية «الأنفال» :

فإن آية «الأنفال» في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل

والركاب، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم^(١) بقيته على الغانمين.

وأما هذه الآية: ففي حكم الفيء، وهو ما يؤخذ من أموال الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، وإذا كان كذلك، فكل واحدة من الآيتين في معنى غير معنى الأخرى، ولها حكم غير حكم الأخرى فلا تعارض بينهما ولا نسخ.

وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفيء وفي «الأنفال» لفظ الغنيمة، وقد تقرّر في الفقه الفرق بين الغنيمة والفيء، وأن حكمهما مختلف.

قال أبو محمد ابنُ الفرس: وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه، وهو أظهر الأقوال^(٢).

وأما فعل عمر في أرض مصر والعراق، فالصحيح: أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين.

فقوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بني النضير، ولكنه حذف هذا؛ لقوله في الآية قبل هذا: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، فاستغنى بذكر ذلك أولاً عن ذكره ثانيًا، ولذلك لم تدخل الواو العاطفة في أول هذه الجملة؛ لأنها من تمام الأولى فهي غير أجنبية منها، فإنه بين في الآية الأولى حكم أموال بني النضير، وبين في هذه حكم ما كان مثلها من أموال غيرهم على العموم.

(١) في ب، ج: «ونقسم».

(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٨٩/٣).

ويصرف الفيء فيما يصرف فيه خمس الغنائم ؛ لأن الله سَوَّى بينهما في قوله : ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِلسَّيِّئَةِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ، وقد ذكرنا ذلك في «الأنفال» فأغنى عن إعادته .

وقد ذكرنا في «الأنفال» معنى قوله : ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ وما بعد ذلك ^(١) .

﴿كَئِىَ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي : كي لا يكون الفيء الذي أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء ، وذلك أن رسول الله ﷺ قَسَمَ أموال بني النضير على المهاجرين فإنهم كانوا حينئذ فقراء ، ولم يعط الأنصار منها شيئاً ، فإنهم كانوا أغنياء ، فقال بعض الأنصار : لنا سهمنا من هذا الفيء ، فأنزل الله هذه الآية .

والدولة - بالضم والفتح - : ما يدول الإنسان ^(٢) ؛ أي : يدور عليه من الخير .

ويحتمل أن يكون من المداولة ؛ أي : كي لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم ، ويبقى الفقراء بلا شيء .

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ نزلت بسبب الفيء المذكور ، أي : ما آتاكم الرسول من الفيء فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، فكانها أمرٌ للمهاجرين بأخذ الفيء ونهيٌ للأنصار عنه .

ولفظ الآية مع ذلك عامٌ في أوامر رسول الله ﷺ ونواهيه ، ولذلك استدلَّ

(١) انظر (٢/٤٥٩) .

(٢) في ب : «على الإنسان» .

بها عبد الله بن مسعود على أن المنع من لبس المُحَرَّم المَخِيط، ولَعَنَ
الواشمة والواصلة: في القرآن؛ لورود ذلك عن رسول الله ﷺ^(١).

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ هذا بدلٌ من قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ
السَّبِيلِ﴾؛ لبيانِ بذلك أن المراد المهاجرون، ووصفهم بأنهم ﴿أُخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾؛ لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها أموالهم وديارهم.
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هم الأنصار، و﴿الدَّارُ﴾: هي
المدينة؛ لأنها كانت بلدَهم، والضمير في ﴿قَبْلِهِمْ﴾ للمهاجرين.
فإن قيل: كيف قال ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ وإنما تَبَوَّأَ الدار -أي: تُسَكَنُ-
ولا يُتَبَوَّأُ الإيمان؟

فالجواب من وجهين:

الأول: أن معناه: تبوؤوا الدارَ وأخلصوا الإيمان فهو كقوله:

فَعَلَفْتُهَا^(٢) تَبْنَا وَمَاءَ بَارِدًا^(٣)

تقديره: علفتها تَبْنَا وسقيتها ماء.

الثاني: أن المعنى: أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطنٌ لهم؛ لتمكُّنهم فيه،
كما جعلوا المدينة كذلك.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، (٤٨٨٧)، ومسلم (٢١٢٥).

(٢) في د: «علفتها».

(٣) هذا صدر بيت، وعجزه: «حتى شئتُ هَمَالَةً عَيْنَاهَا». قال بدر الدين العيني في

«المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية»: «هذا رَجَزٌ مشهور بين القوم،

ولم أرَ أحدًا عزاه إلى راجزه».

فإن قيل: قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان، فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه؛ لأنها كانت بلدهم، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل؛ لأن أكثر المهاجرين أسلموا قبل الأنصار.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد بقوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من قبل هجرتهم.

والآخر: أنه أراد: تبوؤوا الدار مع الإيمان معاً؛ أي: جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين؛ لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبؤي^(١) الدار، فيكون: ﴿الْإِيْمَنَ﴾ على هذا مفعولاً معه، وهذا الوجه أحسن؛ لأنه جواب عن هذا السؤال، وعن السؤال الأول، فإنه إذا كان ﴿الْإِيْمَنَ﴾ مفعولاً معه لم يلزم السؤال الأول؛ إذ لا يلزم إلا إذا كان ﴿الْإِيْمَنَ﴾ معطوفاً على ﴿الدَّارَ﴾.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ قيل: إن الحاجة هنا: بمعنى الحسد.

ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتياج على أصلها.

والضمير في ﴿يَجِدُونَ﴾ للأنصار، وفي ﴿أُوتُوا﴾ للمهاجرين، والمعنى: أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفيء وغيره، فلا يجدون في صدورهم شيئاً بسبب ذلك.

(١) في ب، د: «بنزول».

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الاحتياج. والخاصة: هي الفاقة.

وروي أن سبب هذه الآية: أن رسول الله ﷺ لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم، وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وتركتم لهم هذه» فقالوا: بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة^(١).

وروي أيضًا أن سببها: أن رجلاً من الأنصار أضاف رجلاً من المهاجرين فذهب الأنصاري بالضيف إلى منزله فقالت له امرأته: والله ما عندنا إلا قوت الصبيان، فقال لها: نؤمي صبيانك وأطفئي السراج، وقدمي ما عندك للضيف، ونوهمه نحن أنا نأكل ولا نأكل، ففعلا ذلك، فلما غدا على رسول الله ﷺ قال له: «عجب الله من فعلكما البارحة» ونزلت الآية^(٢).

﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ شَحُّ النفس: هو البخل والطمع.

وفي هذا إشارة إلى أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم، وبأنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتي المهاجرون، وأنهم يحبون المهاجرين.

(١) أخرجه الواقدي في كتاب المغازي (ص: ٣٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هذا معطوف على المهاجرين والأنصار المذكورين قبل.

فالمعنى: أن الفياء للمهاجرين والأنصار ولهؤلاء الذين جاؤوا من بعدهم، ويعني بهم: الفرقة الثالثة من الصحابة وهم ما عدا المهاجرين والأنصار، كالذين أسلموا يوم فتح مكة.

وقيل: يعني: من جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة، وعلى هذا حملها مالك فقال: إن مَنْ قال في أحدٍ من الصحابة قول سوء فلا حظَّ له في الغنيمة والفياء؛ لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ فمن قال ضدَّ ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله.

[﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُوكَ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴾ (١٢) لَأَنَّهُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦) فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٧)] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ الآية ؛ نزلت في عبد الله ابن أبي بن سلول وقوم من المنافقين ، بعثوا إلى بني النضير ، وقالوا لهم : اثبتوا في حصونكم فإننا معكم كيفما تقلبت حالكم .

﴿ وَلَا تُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ﴾ أي : لا نسمع فيكم قول قائل ، ولا نطيع من يأمرنا بخذلانكم .

ثم كذبهم الله في هذه المواعيد التي وعدوا بها .

فإن قيل : كيف قال : ﴿ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُوكَ الْأَدْبَرَ ﴾ بعد قوله : ﴿ لَا يَنْصُرُوهُمْ ﴾ ؟

فالجواب : أن المعنى : على الفرض والتقدير ؛ أي : لو فرضنا أن ينصروهم لولوا الأدبار .

﴿ لَأَنَّهُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ الرهبة : هي الخوف .

والمعنى : أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله .
﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي : لا يقدر
على قتالكم مجتمعين إلا وهم في قرى محصنة بالأسوار والخنادق ،
أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم .

﴿بِأَسْهُمٍ يَبْتَغِيهِمْ شَدِيدٌ﴾ يعني : عداوة بعضهم لبعض .

﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي : تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة
وقلوبهم متفرقة ^(١) بالمخالفة والشحناء .

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي : هؤلاء اليهود كمثال الذين من قبلهم ،
يعني : اليهود بني قينقاع ؛ فإن رسول الله ﷺ أجلاهم عن المدينة قبل بني
النضير ، فكانوا مثلاً لهم .

وقيل : يعني : أهل بدر الكفار ، فإنهم قبلهم ومثل لهم في أن غلبوا
وقهروا .

والأول أرجح ؛ لأن قوله : ﴿قَرِيبًا﴾ يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة ،
وذلك أوقع على بني قينقاع ، وأيضاً فإن تمثيل بني النضير ببني قينقاع أليق ؛
لأنهم يهود مثلهم ، وأخرجوا من ديارهم كما فعل بهم ، وذلك هو المراد
بقوله : ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ .

و﴿قَرِيبًا﴾ ظرف زمان .

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ﴾ مثل الله المنافقين الذين أغوا

(١) في ج ، د ، هـ : «مفترقة» .

اليهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشیطان؛ فإنه يُغوي ابن آدم ثم يتبرأ منه.

والمراد بالشیطان والإنسان هنا: الجنس.

وقيل: أراد الشیطان الذي أغوى قريشاً يوم بدر وقال لهم: إني جار لكم.

وقيل: المراد بالإنسان برصيص العابد؛ فإنه استودع امرأة فزين له الشیطان الوقوع عليها فحملت فخاف الفضيحة فزين له الشیطان قتلها فلما وجدت مقتولة تبين ما فعل، فتعرض له الشیطان وقال له: اسجد لي وأنجيك، فسجد له فتركه الشیطان وقال له: إني بريء منك، وهذا ضعيف في النقل.

والأول أرجح.

﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ الضميران يعودان على الشیطان والإنسان، وفي ذلك تمثيل للمنافقين واليهود.



[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاَهُ خَشِيعًا مُّتَصِدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾].

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ هذا أمرٌ بأن تنظر كل نفس ما قدمت من أعمالها ليوم القيامة.

ومعنى ذلك : محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات ، وإنما عبّر عن يوم القيامة بـ ﴿غَدٍ﴾ تقريباً له ؛ لأن كل ما هو آت قريب .

فإن قيل : لم كرر الأمر بالتقوى ؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنه تأكيد .

والآخر - وهو الأحسن - : أنه أمر بالتقوى أولاً استعداداً ليوم القيامة ،

ثم أمر به ثانياً ؛ لأن الله خبير بما يعملون ، فلما اختلف الموجبان كرره مع كل واحد منهما .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ يعني: الكفار^(١).

والنسيان هنا يحتمل أن يكون: بمعنى الترك، أو الغفلة؛ أي: نسوا حقَّ الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ الآية؛ توبيخُ لابن آدم على قسوة قلبه، وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن، فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم!.

﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه. وقيل: الغيب: الآخرة، والشهادة: الدنيا.

والعموم أحسن.

﴿الْقُدُّوسُ﴾ مشتقٌّ من التقُدُّس^(٢)، وهو التنزُّه عن صفات المخلوقين، وعن كل نقص وعيب، وصيغة فُعُول للمبالغة كالسُبُّوح.

﴿السَّلَامُ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: الذي سَلِمَ عباده من جَوْرِهِ.

والآخر: السليم من النقائص.

وأصله مصدر بمعنى السلامة، ثم وُصِفَ به مبالغةً، أو على حذف مضاف تقديره: ذو السلام.

(١) في زيادة: «والمناققين».

(٢) في أ، هـ: «التقديس».

﴿الْمُؤْمِنُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه من الأمن؛ أي: الذي أمّن عباده.

والآخر: أنه من الإيمان؛ أي: المصدق لعباده في إيمانهم، أو في شهادتهم على الناس يوم القيامة، أو المصدق نفسه في أقواله.

﴿الْمُهِمِّنُ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: الرقيب والشاهد والأمين.

قال الزمخشري: أصله «مؤيمن» بالهمزة ثم أبدلت هاء^(١).

﴿الْجَبَّارُ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه من الإجبار بمعنى القهر.

والآخر: أنه من الجبر؛ أي: يجبر عباده برحمته.

والأول أظهر.

﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ أي: الذي له التكبر حقًا.

﴿الْبَارِئُ﴾ أي: الخالق، يقال: برأ الله الخلق أي: خلقهم، ولكن

البارئ والفاطر يراد بهما: الذي بدأ الخلق واخترعه.

﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أي: خالق الصور.

﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من

أحصاها دخل الجنة»^(٢).

(١) الكشف (٣٤٤/١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

قال المؤلف: قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبي عبد الله ابن الكمّاد فلما بلغت إلى آخر سورة «الحشر» قال لي: ضع يدك على رأسك، فقالت له: ولم ذلك؟ قال: لأنني قرأت على القاضي أبي علي بن أبي الأحوص فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر» قال لي: ضع يدك على رأسك، وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود قال: قرأت على النبي ﷺ فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر» قال لي: «ضع يدك على رأسك». قلت: ولم ذاك يا رسول الله فذاك أبي وأمي؟ قال: «أقرأني جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر»، قال لي: ضع يدك على رأسك يا محمد، قلت: ولم ذاك؟ قال: إن الله تبارك وتعالى افتتح القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة «الحشر» أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها، فقالت: يا ربنا ولم ذاك؟ قال: إنه شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت»^(١).



(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان (١/ ١٩٠) وأخرجه من طريقه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢/ ٢٥٣)، وقال السيوطي في «ذيل اللآلئ المصنوعة» (١/ ١٠٨): «قال الذهبي: هذا حديث باطل».

﴿ سورة الممتحنة ﴾

[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ (١) إِنْ يَشْفِقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۚ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ (٦) ۞]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ العدو: ينطلق على الواحد والجماعة، والمراد به: هنا كفار قريش، وهذه الآيات ^(١) نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية، فورى عن ذلك بخير، فشاع في الناس أنه خارج إلى خير، وأخبر

هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة، منهم حاطب، فكتب بذلك حاطب إلى قوم من أهل مكة، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ من السماء، فبعث علي بن أبي طالب والزيبر والمقداد وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين»، فانطلقوا حتى وجدوا المرأة، فقالوا لها: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب، ففتشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئاً، فقال بعضهم: ما معها كتاب!، فقال علي ابن أبي طالب: ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذب، والله لتُخرجن الكتاب أو لنجردنك! قالت: أعرضوا عني، فأخرجته من قرون رأسها، وقيل: أخرجته من حُجَرتِها، فجاؤوا به إلى رسول الله ﷺ فقال لحاطب: «من كتب هذا؟» قال: أنا يا رسول الله، ولكن لا تعجل عليّ، فوالله ما فعلت ذلك ارتداداً عن ديني، ولا رغبة في الكفر، ولكني كنت امرأً مُلصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، فأحببت أن تكون لي عندهم يدٌ يعاونني بها في قرابتي، فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «صدّق حاطبٌ، إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، لا تقولوا لحاطب إلا خيراً»^(١). فنزلت الآية عتاباً لحاطب، وزجراً عن أن يفعل أحد مثل فعله، وفيها مع ذلك تشريف له؛ لأن الله شهد له بالإيمان في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ عبارة عن إيصال المودة إليهم.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

و«ألقى» يتعدى بحرف جر، وبغير حرف جر كقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩].

وهذه الجملة:

في موضع الحال من الضمير في قوله: ﴿لَا تَنۡخِذُواْ﴾.

أو في موضع الصفة لـ ﴿أُولَآئِكَ﴾.

أو استئناف.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ﴾ حال من الضمير في ﴿لَا تَنۡخِذُواْ﴾، أو في ﴿تَلۡقَوۡنَ﴾.

﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَيَأۡكُمۡ﴾ أي: يخرجون الرسول ويخرجونكم، يعني: إخراجهم من مكة، فإنهم ضيقوا عليهم وآذوهم حتى خرجوا مهاجرين إلى المدينة، ومنهم من خرج ^(١) إلى أرض الحبشة.

﴿أَن تُوۡمِنُوۡاْ﴾ مفعول من أجله؛ أي: يخرجونكم من أجل إيمانكم.

﴿إِن كُنۡتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾ جواب هذا الشرط محذوف؛ لدلالة ما قبله عليه وهو ﴿لَا تَنۡخِذُواْ﴾، والتقدير: إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء.

و﴿جِهَادًا﴾:

مصدر في موضع الحال.

أو مفعول من أجله.

(١) في ب زيادة: «مهاجرًا».

وكذلك ﴿أَبْتِغَاءَ﴾.

﴿إِنْ يَتَّقَوْكُمْ﴾ معناه: إن يظفروا بكم.

﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: تمنوا أن تكفروا فتكونوا مثلهم.

قال الزمخشري: وإنما قال: ﴿وَدُّوا﴾ بلفظ الماضي بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع؛ لأنه أراد: ودُّوا كفركم قبل كل شيء^(١).

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ إشارة إلى ما قصد حاطب من رعي قرابته.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُفَصِّلُ بَيْنَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون:

من الفصل بالحكم بينهم.

أو من الفصل بمعنى التفريق؛ أي: يُفَرِّقُ بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة.

وقيل: إن العامل في ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ما قبله، وذلك بعيد.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الإسوة: هو الذي يُقْتَدَى به.

فأمر الله المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم الخليل عليه السلام وبالذين معه في عداوة الكفار والتبري منهم.

ومعنى ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: من آمن به من الناس.

وقيل: الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريباً من عصره، ورجح ابن

(١) الكشاف (٣٥٢/١٥).

عطية^(١) هذا القول بما ورد في الحديث أن إبراهيم عليه السلام قال لزوجته: «ما على الأرض مؤمن بالله غيري وغيرك»^(٢).

﴿بُرِّءُوا﴾ جمع بريء.

﴿كَفَرْنَا يَكُفِّرْ﴾ أي: كذبناكم في أقوالكم.

ويحتمل أن يكون عبارة عن إفراط البغض فيهم والمقاطعة لهم.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ هذا استثناء من قوله: ﴿إِسْوَةٌ خَسَنَةٌ﴾، فالمعنى: اقتدوا بهم في عداوتهم للكفار، ولا تقتدوا بهم في هذا؛ لأن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

وقيل: الاستثناء من التبري والقطيعة، والمعنى: تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار، إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ هذا من كلام إبراهيم عليه السلام والذين معه، وهو متصل بما قبل الاستثناء، فهو من جملة ما أمر أن يُقْتَدَى به.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في معناه قولان:

أحدهما: لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالة؛ لأنهم يقولون: غلبناهم لأننا على الحق، وهم على الباطل.

والآخر: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، ورجح ابن عطية هذا؛ لأنه

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١).

دعاء لأنفسهم، وأما على القول الآخر فهو دعاء للكفار، ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار، وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر؛ بحيث لا يفتتن الكفار بذلك^(١).

[عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَىٰ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَ وَلَا يَزْنِيَ وَلَا يَقْتُلَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾] .

﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ لما أمر الله المسلمين بعبادة الكفار ومقاطعتهم امتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة، فعلم الله صدقهم فأنسهم بهذه الآية، ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة، وهذه المودة كملت في فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش.

وقيل: المودة تزوج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب سيد قريش ورد ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية^(١).

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ رخص الله للمسلمين في مبرة^(١) من لم يقاتلهم^(٢) من الكفار، واختلف فيهم على أربعة أقوال:

الأول: أنهم قبائل من العرب منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب؛ كانوا قد صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه، ولا يُعينوا عليه.

الثاني: أنهم من كفار قريش، من لم يقاتل المسلمين ولا أخرجهم من مكة.

والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال.

الثالث: أنهم النساء والصبيان، وفي هذا ورد أن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت: يا رسول الله إن أُمِّي قدمت عليّ وهي مشركة أفأصلها؟ قال: «نعم صِلِي أُمَّكَ»^(٣).

الرابع: أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا. وأما الذين نهى الله عن مودتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم: فهم كفار قريش.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي: اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن.

وقد اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن تُستحلف المرأة أنها ما هاجرت بسبب بغضها في زوجها،

(١) في هامش د: «خ: مودة».

(٢) في د: «من لم يقاتلوه في الدين».

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

ولا لخوفٍ ولا غير ذلك من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة.

والثاني: أن يُعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

والثالث: أن تُعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا؛ من ترك الإشراك والسرقة وقتل أولادهم، وترك الزنا والبهتان والعصيان فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها، قالته عائشة رضي الله عنها.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ نزلت هذه الآية إثر صلح الحديبية، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يردَّ المسلمون إلى الكفار كل من جاء مسلمًا من الرجال والنساء، فنسخ الله أمر النساء بهذه الآية، ومنع من ردَّ المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين، وكانت المرأة التي هاجرت حينئذ أميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدَّحاحة، وقيل: سُبَيْعة الأُسلمية، ولما هاجرت جاء زوجها فقال: يا محمد ردها علينا، فإن ذلك في الشرط لنا عليك، فنزلت الآية، فامتحنها رسول الله ﷺ فلم يردّها، وأعطى مهرها لزوجها.

وقيل: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط، هربت من زوجها إلى المسلمين.

واختلف في الرجال هل حكمهم في ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على ردّ من أسلم منهم، أو تجوز حتى الآن؟ على قولين.
والأظهر: الجواز؛ لأنه إنما نسخ ذلك في النساء.

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا﴾ هذا تعليلٌ للمنع من ردِّ المرأة إلى الكفار، وفيه دليل على ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات.

﴿وَأَتَوْهُمْ مَّا أَنْفَقُوا﴾ يعني: أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات إذا هاجرن، ثم أباح للمسلمين تزواجهن بالصدّاق.

﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ العِصَم: جمع عصمة النكاح، فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر، يعني: المشركات من عبدة الأوثان، فالآية على هذا محكمة.

وقيل: يعني: كل كافرة، فعلى هذا: نُسخ منها جواز تزوج الكتابيات بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

وروي أن الآية نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب، كانت كافرة فطلقها. ﴿وَسَأَلُوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلُوا مَّا أَنْفَقُوا﴾ أي: اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم، اللاتي فرزن إلى الكفار، وليطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتَّوُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ معنى ﴿فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾: هروب نساء المسلمين إلى الكفار.

والخطاب في قوله: ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ و﴿فَاتَّوُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾: للمسلمين.

وقوله: ﴿عَاقِبْتُمْ﴾ ليس من العقاب على الذنب، وإنما هو:

من العُقْبَى ؛ أي : أصبتم عقبي وهي الغنيمة .

أو من التعاقب على الشيء ، كما يتعاقب الرجلان على الدابة إذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرى ، فلما كان نساء المسلمين يهربون^(١) إلى الكفار ونساء الكفار يهربون^(٢) إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء .

وسبب الآية : أنه لما قال الله : ﴿وَسَلُّوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْلُوا مَا أَنفَقُوا﴾ قال الكفار : لا نرضى بهذا الحكم ، ولا نعطي صدق من فرّت زوجته إلينا من المسلمين ، فأنزل الله هذه الآية الأخرى ، وأمر الله المسلمين أن يدفعوا الصّدّاق لمن فرّت زوجته من المسلمين إلى الكفار .

ويكون هذا المدفوع من مال الغنائم على قول من قال : إن معنى ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ : غنمتم .

وقيل : من مال الفياء .

وقيل : من الصدقات التي كانت تدفع للكفار إذا فرّ أزواجهم إلى المسلمين ، فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه .

وهذه الأحكام التي تضمنتها هذه الآية قد ارتفعت ؛ لأنها نزلت في قضايا معينة ، وهي مهادنة النبي ﷺ مع مشركي العرب ، ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة ؛ إذ لا تجوز لنا مهادنة المشركين من العرب ، إنما هو في حقهم الإسلام أو السيف ، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس ؛ لأن

(١) في د ، هـ : «يهربن» .

(٢) في د ، هـ : «يهربن» .

الله قال في المشركين: ﴿فَأَقْضُوا الْإِبْرَاجَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقال في أهل الكتاب: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال النبي ﷺ في المجوس: «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب»^(١).

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ﴾ هذه البيعة بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وكان رسول الله ﷺ يبايعهن بالكلام، ولا تَمَسُّ يده يد امرأة، ورد هذا في الحديث الصحيح عن عائشة^(٢).

وقيل: إنه غمس يده في إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء فغمسن أيديهن فيه. ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِنَّ﴾ معناه عند الجمهور: أن تنسب المرأة إلى زوجها ولداً ليس له، وكانت المرأة تلتقط الولد فتقول لزوجها: هذا ولدي منك. وإنما قال: ﴿يَقَرَّبُهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾؛ لأن بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذي تلد به بين رجلها.

واختار ابن عطية: أن يكون البهتان هنا على العموم في أن يُنسب إلى الرجل غير ولده، أو يُفترى على أحد بالقول، أو تكذب المرأة فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك^(٣).

والى هذا أشار بعض الناس بأن قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ يراد به: اللسان والفم، وبين الأرجل يراد به: الفروج.

﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي: لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من

(١) رواه مالك في الموطأ (٧٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧١١)، ومسلم (١٨٦٦).

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٢٨٧).

الأوامر والنواهي، ومن ذلك: النهي عن النياحة وشق الجيوب، ووصل الشعر وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه.

وورد في الحديث: «أن النساء لما بايعن رسول الله ﷺ هذه المبايعه، فقررن على أن لا يسرقن قالت هند بنت عتبة - وهي امرأة أبي سفيان بن حرب - : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل عليّ إن أخذت من ماله بغير إذنه، قال: «خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف»، فلما قررن على أن لا يزينين، قالت هند: يا رسول الله أترني الحرة؟ فقال ﷺ: «لا تزني الحرة»، يعني في غالب الأمر، وذلك أن الزنا في قريش إنما كان في الإماء، فلما قال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ قالت: نحن ربناهم صغارًا وقتلتهم أنت ببدر كبارًا، فضحك رسول الله ﷺ، فلما وقفهن على أن لا يعصينه في معروف، قالت: ما جلسنا هذا المجلس وفي أنفسنا أن نعصيك»^(١).

وهذه المبايعه للنساء غير معمول بها اليوم؛ لأنه أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهن هذا، فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ، أو يكون ترك هذه الشروط؛ لأنها قد تقررت^(٢) وعُلمت من الشريعة بالضرورة، فلا حاجة إلى اشتراطها.

﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود، وكان بعض فقهاء المسلمين يتوَدَّد إليهم ليصيبوا من أموالهم.

وقيل: يعني: كفار قريش.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٩٦/٢٢).

(٢) في ب: «قُرِّرَتْ».

والأول أظهر؛ لأن الغضب قد صار عرفاً لليهود كقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

﴿قَدْ يَسْأُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ من قال: إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود: فمعنى ﴿يَسْأُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾: يسأوا من خير الآخرة والسعادة فيها.

ومن قال: إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قريش: فالمعنى: يسأوا من وجود الآخرة وصحتها؛ لأنهم مكذبون بها تكذيباً جزماً.

وقوله: ﴿كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد: كما يسأل الكفار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور، فقوله: ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ يتعلق بـ ﴿يَسْأَلُ﴾، وهو على حذف مضاف.

والآخر: أن يكون ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ لبيان الجنس؛ أي: كما يسأل الكفار الذين في القبور من سعادة الآخرة؛ لأنهم يثقنوا أنهم يعذبون^(١) فيها.



(١) في ب، د: «معذبون».

﴿ سورة الحواريين ^(١) ﴾

[﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾].

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في سببها ثلاثة أقوال :

أحدها: -قول ابن عباس-: أن جماعة قالوا: ودنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله، ففرض الله الجهاد، فكرهه قوم، فنزلت الآية.
والآخر: أن قوماً من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم في الغزو

(١) قال السخاوي في «جمال القراء وكمال الإقراء» (ص: ٩٢): «سورة الصف، وتسمى سورة الحواريين».

بما لم يفعلوا، ويقولون: فعلنا وصنعنا، وذلك كذب، فنزلت؛ زجرًا لهم.
والثالث: أنها نزلت في المنافقين؛ لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين: نحن معكم ومنكم، ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك، وهذا ضعيف؛ لأنه خاطبهم بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم، وفيما يُظهرون.

ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجر من يقول ما لا يفعل.
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٣) كان بعض السلف يستحيي أن يعظ الناس؛ لأجل هذا الآية، ويقول: أخاف من مقت الله.
والمقت: هو البغض لريبة أو نحوها.

وانتصب ﴿مَقْتًا﴾ على التمييز، و﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ فاعل ﴿كَبُرَ﴾.
وقيل: فاعل ﴿كَبُرَ﴾ محذوف، تقديره: كبر فعلكم مقتًا، و﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ بدل من الفاعل المحذوف، أو خبر ابتداء مضمرة.
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ ورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التي قبلها في شأن القتال.

وقال بعض الناس: قتال الرِّجَالَةِ أفضل من قتال الفرسان؛ لأن التراص فيه يتمكّن أكثر مما يتمكن للفرسان، قال ابن عطية: هذا ضعيف، خفي على قائله مقصد الآية، وليس المراد نفس التصاف، وإنما المقصد: الثبوت والجد في القتال^(١).

(١) المحرر الوجيز (٨/٢٩٢).

﴿كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ﴾ المرصوص : هو الذي ضُمَّ بعضه إلى بعض .
وقيل : هو المعقود بالرصاص ، ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظة .
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُّونَنِي﴾ كانوا يؤذونه بسوء الكلام
وبعضيانه وتنقصه^(١) .

وانظر في «الأحزاب» قوله : ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ إِذْأَوْ مُوسَى﴾ [الأحزاب : ٦٩]^(٢) .
﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ هذا إقامة حجة عليهم ، وتوبيخ
لهم ، وتقييح لإذائته مع علمهم بأنه رسول الله ، ولذلك أدخل «قد» الدالة
على التحقيق .

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ هذه عقوبة على الذنب بذنب .

وزيغ القلب : هو ميله عن الحق .

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ إنما قال موسى : ﴿يَنْقُورِ﴾ ، وقال
عيسى : ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ؛ لأنه لم يكن له فيهم أب .

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ معناه مذكور في «البقرة» في قوله : ﴿مُصَدِّقًا
لِمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة : ٤١]^(٣) .

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾ عن كعب : أن الحواريين قالوا لعيسى : يا روح الله هل
بعدنا من أمة؟ قال : نعم ، أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء .

(١) في أ ، د ، هـ : «وتنقصه» .

(٢) انظر (٣/٥٦٨) .

(٣) انظر (١/٣٠٨) .

﴿أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب فلا نبي بعدي»^(١).

وأحمد: مشتق من الحمد.

ويَحْتَمَلُ أن يكون: فعلاً سَمِّيَ به، أو يكون صفة سمي بها كأحمر.

ويحتمل أن يكون: بمعنى حامد، أو بمعنى محمود كمحمد.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يحتمل أن يريد: عيسى أو محمد عليهما الصلاة والسلام.

ويؤيد الأول: اتصاله بما قبله.

ويؤيد الثاني: قوله: ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾؛ لأن الداعي إلى الإسلام هو محمد ﷺ.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ ذكر في «براءة»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

(٢) انظر (٤٨٩/٢).

[يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُلُّكُمْ عَلَى تَحَزُّفٍ تُجِئُكُمْ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَجُهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾
وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَامَنَتْ طَائِفَةٌ
مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾].

﴿تَوَمَّنْ بِاللَّهِ﴾ الآية؛ تفسيرٌ للتجارة المذكورة.

قال الأخفش: هو عطف بيان عليها.

وقال الزمخشري: هو استئناف^(١).

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جزمٌ في جواب ﴿تَوَمَّنْ﴾؛ لأنه بمعنى الأمر، وقد قرأ ابن مسعود: «آمنوا وجاهدوا» على الأمر.

وقال الفراء: هو جواب ﴿هَلْ أَذُلُّكُمْ﴾؛ لأنه يقتضي التحضيض.

﴿وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا﴾ ارتفع ﴿أُخْرَى﴾ على أنه خبر ابتداء مضمرة تقديره: ولكم نعمة أخرى.

أو^(٢) انتصب على أنه مفعول بفعل مضمرة تقديره: ويمنحكم أخرى.

وقيل: هو مخفوض بالعطف على ﴿تَحَزُّفٍ﴾، وهذا ضعيف.

(١) الكشف (٣٩١/١٥).

(٢) في ب، ج، د، هـ: «و».

﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ تفسير للأخرى ، فهو بدل منها ، أو خبر ابتداء مضمّر تقديره هي نصرٌ .

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الزمخشري : عطفٌ على ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ؛ لأنه في معنى الأمر^(١) .

﴿كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ﴾ جمع ناصر ، وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج ، وسماهم الله به ، وليس ذلك المراد هنا .

﴿كَأَنَّ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا التشبيه محمول على المعنى ؛ لأن ظاهره : كونوا أنصاراً لله كقول عيسى ، والمعنى : كونوا أنصاراً لله كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى : من أنصاري إلى الله .

وقد ذكر في «آل عمران» معنى الحواريين و﴿أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٢) .

﴿فَأَنْصَبُوا ظَهْرَهُنَّ﴾ قيل : إنهم ظهروا بالحجة .

وقيل : بل غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى ﷺ .

وقيل : إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد ﷺ .

(١) الكشف (١٥/٣٩٥) .

(٢) انظر (١/٥٤٣) .

﴿ سورة الجمعة ﴾

[﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ① هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ② وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ④ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا بَلَسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑤ قُلْ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَائِهِ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ⑥ وَلَا يَمْنُونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ⑦ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑧﴾].

﴿الْقُدُّوسِ﴾ ذكر في «الحشر» (١).

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يعني : محمداً ﷺ.

و﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ : هم العرب، وقد ذكر معنى الأُمِّي في «الأعراف» (٢).

﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ﴾ عطفٌ على ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾، وأراد بهؤلاء : فارس، سئل

(١) انظر صفحة ٣٦٢.

(٢) انظر (٢/٣٩٥).

رسول الله ﷺ: من هؤلاء الآخرون؟ فأخذ بيد سليمان الفارسي، وقال: «لو كان العلم بالثريا لئله رجال من هؤلاء»^(١) يعني: فارس.

وقيل: هم الروم.

و﴿مَنْهُمْ﴾ على هذين القولين يريد به: في البشرية وفي الدين، لا في النسب.

وقيل: هم أهل اليمن.

وقيل: هم التابعون.

وقيل: هم سائر المسلمين.

والأول أرجح؛ لوروده في الحديث الصحيح.

﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: لم يلحقوا بهم وسيلحقون، وذلك أن «لَمَّا» لنفي الماضي القريب من الحال.

﴿ذَلِكَ فَضَلُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى نبوة محمد ﷺ وهداية الناس به.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ﴾ يعني: اليهود، ومعنى ﴿حُمِلُوا الثَّورَةَ﴾ كُلفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها، و﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾: لم يطيعوا^(٢) أمرها، ولم يعملوا بها، شبههم الله بالحمار الذي يحمل الأسفار على ظهره، ولا يدري ما فيها.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٧٩٥٠).

(٢) في هـ: «يطيعوا».

﴿يَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني : اليهود الذين كذبوا محمدًا ﷺ وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها ؛ لأن التوراة تنطق بنبوته ﷺ ، فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة .
 ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ ذكر في «البقرة»^(١) .



(١) انظر (١/ ٣٤٠) .

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْوَى وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٩٣﴾].

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ النداء للصلاة: هو الأذان لها.

و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ بيان لـ ﴿إِذَا﴾، وتفسير له.

و﴿ذَكَرَ اللَّهَ﴾ يراد به: الخطبة والصلاة.

★ ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل:

الأولى: اختلف في الأذان للجمعة:

هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات؟

أو واجب لظاهر هذه الآية؟؛ لأنه شرط في السعي لها أن يكون عند الأذان، والسعي واجب فالأذان واجب.

الثانية: كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ على جدار المسجد.

وقيل: على باب المسجد.

وقيل: كان بين يديه ﷺ وهو على المنبر، وقد كان بنو أمية يأخذون بهذا، وبقي بقرطبة زماناً وهو باق بالمشرق إلى الآن.

قال أبو محمد ابن الفرس: قال مالك في «المجموعة»^(١): إن هشام بن عبد الملك هو الذي أحدث الأذان بين يديه، قال: وهذا دليل على أن الحديث في ذلك ضعيف^(٢).

الثالثة: كان المؤذن^(٣) للجمعة واحدًا، ثم زاد عثمان رضي الله عنه النداء على الزّوراء لسمع الناس، واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة؟

الرابعة: السعي في الآية بمعنى المشي لا بمعنى الجري، وقرأ عمر بن الخطاب: «فامضوا إلى ذكر الله» وهذا تفسير للسعي، فهو بخلاف السعي في قول رسول الله ﷺ: «إذا نودي للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون»^(٤).

الخامسة: حضور الجمعة واجب؛ لحمل الأمر الذي في الآية على الوجوب باتفاق، إلا أنها لا تجب على المرأة ولا الصبي ولا المريض باتفاق.

ولا على العبد والمسافر عند مالك والجمهور، خلافاً للظاهرية، وتعلقوا بعموم الآية.

وحجة الجمهور: قول رسول الله ﷺ: «الجمعة واجبة على كل مسلم في

(١) المجموعة على مذهب مالك وأصحابه، كتاب ألفه محمد بن إبراهيم بن عبدوس (ت ٢٦٠هـ) من كبار أصحاب سحنون. انظر: الديباج المذهب (٢/ ١٧٤).

(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٣/ ٥٥٨).

(٣) في أ: «الأذان».

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٦)، ومسلم (٦٠٢).

- جماعة إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض»^(١).
- وحجتهم في المسافر: أن رسول الله ﷺ كان لا يقيم الجمعة في السفر.
- واختلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا؟
- وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا؟
- والمشهور: أنها لا تسقط عنهما؛ لعموم الآية.
- السادسة: اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة؟
- فقل: إذا زالت الشمس.
- وقيل: إذا أذن المؤذن، وهو ظاهر الآية.
- السابعة: اختلف في الموضع الذي يجب منه السعي إلى الجمعة؟
- فقل: ثلاثة أميال وهو مذهب مالك.
- وقيل: ستة أميال.
- وقيل: تجب على من داخل المصر.
- وقيل: على من سمع النداء.
- وقيل: على من آواه الليل إلى أهله.
- الثامنة: اختلف في الوالي هل هو من شرط^(٢) الجمعة أم لا؟ على قولين، والمشهور: سقوطه؛ لأن الله لم يشترطه في الآية.

(١) أخرجه أبو داود (١٠٦٧).

(٢) في أ، هـ: «شروط».

﴿وَذُرُّوا الْبَيْعَ﴾ أمرٌ بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون في الأذان، وذلك على الوجوب، فيقتضي تحريم البيع.

واختلف في البيع الذي يعقد في ذلك الوقت هل يفسخ أم لا؟
واختلف في بيع من لا تلزمهم الجمعة من النساء والعبيد؛ هل يجوز في ذلك الوقت أم لا؟

والأظهر: جوازه؛ لأنه إنما منع منه مَنْ يُدْعَى إلى الجمعة، ويجري النكاح في ذلك الوقت مجرى البيع في المنع.

﴿فَانشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا الأمر للإباحة باتفاق، حكى الإجماع على ذلك ابن عطية^(١) وابن الفرس^(٢).

﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ قيل: معناه طلب المعاش، فالأمر على هذا إباحة، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الفضل المبتغى: عيادة مريض، أو صلة صديق، أو اتباع جنازة»^(٣).

وقيل: هو طلب العلم.

وإن صح الحديث لم يُعَدَلْ إلى سواه.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ سبب الآية: أن رسول الله ﷺ كان قائماً على المنبر يخطب يوم الجمعة، فأقبلت عير من الشام بطعام،

(١) المحرر الوجيز (٨/٣٠٤).

(٢) أحكام القرآن (٣/٥٦٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٦٤٤).

وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبي، وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سرورًا بها، فلما دخلت العير كذلك انفضَّ أهل المسجد إليها، وتركوا رسول الله ﷺ قائمًا على المنبر، ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلًا، قال جابر بن عبد الله: أنا أحدهم.

وذكر بعضهم: أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة.

واختلف في الثاني عشر:

ف قيل: عبد الله بن مسعود.

وقيل: عمار بن ياسر.

وقيل: إنما بقي معه ﷺ ثمانية.

وروي أنه ﷺ قال: «لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سُومت في السماء على المنفضين»^(١).

وظاهر الآية: يقتضي أن الجماعة شرط في الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور، إلا أنهم اختلفوا في مقدار الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة؟

فقال مالك: ليس في ذلك عدد محدود، وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية.

وروي ابن الماجشون عن مالك: ثلاثون^(٢).

وقال الشافعي: أربعون.

وقال أبو حنيفة: ثلاثة مع الإمام.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٣٦/٥).

(٢) في ب زيادة: «رجلاً».

وقيل : اثنا عشر ، عدد الذي بقوا مع النبي ﷺ .

فإن قيل : لم قال : ﴿ أَنْفَضُوا إِلَيْهَا ﴾ بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو ؟
فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنه أراد : انفضوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة ، ثم حذف أحدهما ؛ لدلالة الآخر عليه . قاله الزمخشري ^(١) .

والآخر : أنه قال ذلك تهمُّمًا بالتجارة ؛ إذ كانت أهم ، وكانت هي سبب اللهو ، ولم يكن اللهو سببها ، قاله ابن عطية ^(٢) .

﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ اختلفوا في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا ؟

وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا ؟

فمن أوجبه واشترطه : أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام .

ومن لم يوجبه : رأى أن ما فعله النبي ﷺ من ذلك لم يكن على الوجوب .

ومذهب مالك : أن من سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين .

وقال أبو حنيفة : لا يجلس بين الخطبتين ؛ لظاهر الآية ، وذكر القيام فيها دون جلوس .

وحجة مالك : فعل رسول الله ﷺ .

(١) الكشف (١٥/٤٢٠) .

(٢) المحرر الوجيز (٨/٣٠٥-٣٠٦) .

﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ الْيَجْرَةِ﴾ إن قيل : لم قدم الله هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟

فالجواب : أن كل واحد من الموضعين جاء على ما ينبغي فيه ؛ وذلك أن العرب تارة يبتدئون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل ، كقولك : «فلان يخون في الكثير والقليل» فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه ، وتارة يبتدئون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر ، كقولك : «فلان أمين على القليل والكثير» فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه ، ولو عكس في كل واحد من المثالين لم يكن حسناً ؛ فإنك لو قدمت في الخيانة ذكر القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى ، ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى ، فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة .

وكذلك قوله : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ قدم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها ، وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها ، وقوله : ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ الْيَجْرَةِ﴾ قدم اللهو ليبين أن ما عند الله خير من اللهو ، وأنه أيضاً خير من التجارة التي هي أعظم منه ، ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن .

﴿ سورة المنافقين ﴾

[﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنُلَهِمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾].

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فلذلك كذبهم الله في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: كذبوا في دعواهم الشهادة بالرسالة.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ فليس من كلام المنافقين، وإنما هو من كلام الله تعالى، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾

الْمُتَّفِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ إبطالاً للرسالة، فوسّطه بين حكاية قول المنافقين وبين تكذيبهم؛ ليُزيل هذا الوهم وليحقّق الرسالة، وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله: ﴿لَرَسُولُ اللَّهِ﴾.

﴿جَنَّةٌ﴾ ذكر في «المجادلة»^(١).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ الإشارة:

إلى سوء عملهم.

أو إلى فضيحتهم وتوبيخهم.

وأما قوله: ﴿ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون فيمن آمن منهم إيماناً صحيحاً، ثم نافق بعد ذلك.

والآخر: أن يريد: آمنوا في الظاهر، كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا

ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤].

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني: أنهم حسانُ الصُّور.

﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ يعني: أنهم فصحاء.

والخطاب في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُ﴾ وفي قوله: ﴿تَسْمَعُ﴾:

للنبي ﷺ، ولكل مخاطب.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُّسَدَّدٌ﴾ شَبَّهَهُم بالخشب في قلة أفهامهم، فكان لهم منظر

بلا مخبر.

وقال الزمخشري: إنما شبههم بالخشب المسندة إلى حائط؛ لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة، بخلاف الخشب التي تكون في سقف أو مغروسة في جدار؛ فإن فيها حينئذ منفعة فالتشبيه على هذا في عدم المنفعة^(١).

وقيل: كانوا يستندون في مجلس رسول الله ﷺ، فشبههم في استنادهم بالخشب المسندة إلى الحائط.

﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ عبارة عن شدة خوفهم من المسلمين، وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظنوا أن النبي ﷺ يأمر بقتلهم.

﴿قَالَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم يتضمن ذمهم وتوبيخ أحوالهم.

﴿أَنْ يُّؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الإيمان مع^(٢) ظهوره؟

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: أمالوها إعراضا واستكبارا.

وقصص هذه الآية وما بعدها: أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة بني المصطلق، فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه، فكان ممن ازدحم جهجاه ابن سعيد^(٣) أجير لعمر بن الخطاب، وسنان الجهنني حليف لعبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، فلطم الجهجاه سنانا، فغضب سنان ودعا

(١) الكشاف (٤٢٩/١٥).

(٢) في ب، د: «بعد».

(٣) الذي سيرة ابن هشام (٢/٢٩٠): «جهجاه بن مسعود»، وفي الإصابة (٢/٢٦٤):

«جهجاه بن سعيد، وقيل: ابن قيس، وقيل: ابن مسعود».

بالأنصار ودعا الجهجاه بالمهاجرين ، فقال عبد الله بن أبيّ : والله ما مثلنا ومثل هؤلاء - يعني المهاجرين - إلا كما قال الأول : «سَمَنْ كَلَبَكَ يَأْكُلُكَ» ، ثم قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، يعني بالأعزّ : نفسه وأتباعه ، ويعني بالأذلّ : رسول الله ﷺ ومن معه ، ثم قال لقومه : إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم ، ولو قطعتم ذلك عنهم لفرّوا عن مدينتكم ، فسمعه زيد بن أرقم فأخبر بذلك رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك عبد الله بن أبيّ ، فحلف أنه ما قال شيئاً من ذلك ، وكذّب زيداً ، فنزلت السورة عند ذلك ، فبعث رسول الله ﷺ في زيد ، وقال له : «لقد صدّقك الله يا زيد» ، فخزى عبد الله بن أبيّ ، ومقته الناس ، فقليل له : امض إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك ! ، فلوى رأسه إنكاراً لهذا الرأي ، وقال : أمرتموني بالإسلام فأسلمت ، وأمرتموني بأداء زكاة مالي ففعلت ، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني أن أسجد لمحمد ! ، ثم مات عبد الله بن أبيّ بعد ذلك بقليل^(١) .

وأُسندت هذه الأقوال التي قالها عبد الله بن أبيّ إلى ضمير الجماعة ؛ لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها .

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ روي أنه لما نزلت ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] قال رسول الله ﷺ : «لأزيدن على السبعين» فلما فعل عبد الله بن أبيّ وأصحابه ما فعلوا شدد الله

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٥٥ / ٢٢) .

عليهم في هذه السورة، وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه^(١).
وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الآية
الأخرى بمدة.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٩٩/١١).

[﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا لَّهُمْكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١)].

﴿لَا لَّهُمْكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: لا تشغلکم.

و﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾ هنا: على العموم في الصلاة والدعاء والعبادة.

وقيل: يعني: الصلاة المكتوبة.

والعموم أولى.

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ عموم في الزكاة وصدقة التطوع والنفقة في الجهاد وغير ذلك.

وقيل: يعني: الزكاة المفروضة.

والعموم أولى.

﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بالجزم: عطف على موضع جواب الشرط^(١).

وقرأ أبو عمرو ﴿وَأَكُونُ﴾ بالنصب عطف على ﴿فَأَصَّدَقَ﴾.

~~~~~

(١) والتقدير: إن تؤخرني أصدق وأكن من الصالحين. المحرر الوجيز (٣١٦/٨).

## ﴿ سورة التغابن ﴾

[﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١] هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَدَافُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكُفِّرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُغْنَى عَنْهُمْ قُلُوبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَالَّذِي أُنزِلَ اللَّهُ بِهِ الْقُرْآنَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ الْيَوْمَ الْجَمْعُ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: هو الذي خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به، لكن منكم من كفر ومنكم من آمن، فالكفر والإيمان على هذا: هو اكتساب العبد.

والآخر: أن المعنى: هو الذي خلقكم على صنفين: فمنكم من خلقه

مؤمنًا ومنكم من خلقه كافرًا، فالإيمان والكفر على هذا: هو ما قضى الله على كل أحد.

والأول أظهر؛ لأن عطفه على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بالفاء يقتضي أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة، لا في أصل الخلقة.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ذكر معناه في مواضع<sup>(١)</sup>.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ تعديد نعمة في حُسنِ خَلقة بني آدم؛ لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر، فلا يخرج ذلك عن حُسن الصورة الإنسانية، وإنما هو قبيحٌ بالنظر إلى من هو أحسن منه من الناس.

وقيل: يعني: العقل والإدراك الذي خُصَّ به الإنسان.

والأول أرجح؛ لأن الصورة إنما تنطلق على الشكل.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ خطاب لقريش وسائر الكفار.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ معناه: أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشرًا، أو تكبروا عن اتباع بشر.

والبشر: يقع على الواحد والجماعة.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثَ﴾ قال عبد الله بن عمر: زعم كناية عن كذب<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر (٥٣٩/٢)، (٧٢٨/٢)، (٧١٢/٣).

(٢) أخرجه الطبري بإسناده في تفسيره (٩/٢٣) إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «زعم: كُتِبَ الكذب».

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكَ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ :

﴿لَلنَّبِيِّنَ﴾ .

أو ﴿خَيْرٌ﴾ .

أو محذوف تقديره : اذكر .

ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره ﴿ذَلِكَ يَوْمُ النَّارِ﴾ ، يعني : يوم القيامة .

و﴿النَّارِ﴾ : مستعار من تغابن الناس في التجارة ، وذلك إذا فاز السعداء بالجنة ، فكأنهم غبنوا الأشقياء في منازلهم التي كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء ، فالتغابن على هذا بمعنى الغبن ، وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونها بين اثنين ، كقولك : تضارب وتقاتل ، إنما هي فعل واحد كقولك : تواضع ، قاله ابن عطية<sup>(١)</sup> .

وقال الزمخشري : يعني : نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء ، والتغابن على هذا بين اثنين ، قال : وفيه تهكم بالأشقياء ؛ لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغبن للسعداء<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٢١) .

(٢) الكشف (١٥/ ٤٥٥) .

[﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيهَا الذِّبْءُ ءَامِنُونَ إِنَّا مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْرُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَانْفِقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾].

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يحتتمل أن يريد بالمصيبة:

الرزايا، وخصّها بالذكر لأنها أهم على الناس.

أو يريد جميع الحوادث من خير وشر.

و﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ عبارة عن قضائه وإرادته تعالى.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ قيل: معناه: من يؤمن بأن كل شيء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله، وهذا حسن، إلا أن العموم أحسن منه.

﴿إِنَّا مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ سببها: أن قوماً أسلموا وأرادوا الهجرة، فبطنهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة، فحذرهم الله من طاعتهم في ذلك.

وقيل: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع

أهله وأولاده<sup>(١)</sup> فشكّوا من فراقه، فرق لهم ورجع، ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الآية محذرة من فتنة الأولاد، ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله: ﴿وَأِنْ تَعَفُّواْ وَتَصْفَحُواْ﴾ الآية.

ولفظ الآية مع ذلك على عمومه في التحذير ممن يكون للإنسان عدواً من أهله وأولاده، سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا.

﴿وَاللّٰهُ عِنْدَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيْمٌ﴾ ترغيب في الآخرة وتزهيد في الأموال والأولاد التي فتن الناس بها.

﴿فَأَنفِقُواْ اللّٰهُ مَا أَسْطَعْتُمْ﴾ قيل: إن هذا ناسخ لقوله: ﴿أَنفِقُواْ اللّٰهُ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وروي أنه لما نزل ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ شق ذلك على الناس حتى نزل ﴿مَا أَسْطَعْتُمْ﴾.

وقيل: لا نسخ بينهما؛ لأن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ معناه: فيما استطعتم؛ إذ لا يمكن أن يفعل أحد إلا ما يستطيع، فهذه الآية - على هذا - مبيّنة لتلك، وتحرز بالاستطاعة من الإكراه والنسيان وما لا يؤاخذ به العبيد.

وإعراب ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا أَسْطَعْتُمْ﴾ ظرفية.

﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ منصوب بإضمار فعل لا يظهر عند سيبويه.

وقيل: هو مفعول بـ ﴿أَنفِقُواْ﴾؛ لأن الخير بمعنى المال.

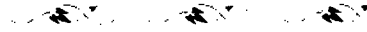
وقيل: هو نعت لمصدر محذوف تقديره: أنفقوا إنفاقاً خيراً لأنفسكم.

(١) في أ، هـ: «وولده».

﴿وَمَنْ يُوقَ﴾ ذكر في «الحشر»<sup>(١)</sup>.

﴿إِنْ تُقِرُّوْا﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ذكر في «اللغات»<sup>(٣)</sup>.



---

(١) انظر صفحة ٣٥٦.

(٢) انظر (١/٤٦٧).

(٣) انظر المواد (١٢٩)، و(٥٤٠).



## ﴿ سورة الطلاق ﴾

[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَاَتَسَكُّوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَبْسُنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيُغْنِهِ عَنْ سَعْيِهِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَ رُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكُلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إن قيل : لم نوذي النبي ﷺ وحده ثم جاء بعد

ذلك خطاب الجماعة؟

فالجواب: أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي ﷺ وأمته، قيل: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمْ﴾ خطاباً له ولهم، وخُصَّ هو ﷺ بالنداء أولاً تعظيماً له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: «يا فلان افعلوا»، أي: افعل أنت وقومك، ولأنه ﷺ هو المبلغ إلى أمته<sup>(١)</sup>، فكأنه قال: يا أيها النبي إذا طلقت أنت وأمتك.

وقيل: تقديره: يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتكم، وهذا ضعيف؛ لأنه يقتضي أن هذا الحكم مختص بأمة دونه.

وقيل: إنه خوطب النبي ﷺ بـ ﴿طَلَّقْتُمْ﴾ تعظيماً له، كما تقول للرجل المعظم: «أنتم فعلتم»، وهذا أيضاً ضعيف؛ لأنه يقتضي اختصاصه ﷺ بالحكم دون أمته.

ومعنى ﴿إِذَا طَلَّقْتُمْ﴾ هنا: إذا أردتم الطلاق.

واختلف في الطلاق هل هو مباح أو مكروه؟

وأما إذا كان على غير وجه السنة فهو ممنوع، ولكن يلزم.

وأما اليمين بالطلاق فممنوع<sup>(٢)</sup>.

﴿فَطَلَّقُوهُنَّ إِعْدَتِهِنَّ﴾ تقديره: طلقوهن مستقبلاً لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبي بن كعب: «فطلقوهن في قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ»، وقرأ

(١) في ب، د: «لأمته».

(٢) في أ، ب: «فهو ممنوع».

ابن عمر: «لَقُبْلٍ عَدْتِهِنَّ»، ورويت القراءتان عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

ومعنى ذلك كله: أن لا يطلقها وهي حائض، فهو منهي عنه بإجماع؛ لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمره الله بها وهو استقبال العدة. واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض هل هو معلل بتطويل العدة، أو هل هو تعبد؟

والصحيح أنه معلل بذلك.

وينبني على هذا الخلاف فروع:

منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا؟

ومنها: هل يجوز طلاقها وهي حامل أم لا؟

ومنها: هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟

فالتعليل بتطويل العدة يقتضي جواز هذه الفروع، والتعبد يقتضي المنع.

ومن طلق في الحيض لزمه الطلاق، ثم أمر بالرجعة على وجه الإيجاب عند مالك، ودون إيجاب عند الشافعي حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك، حسبما ورد في حديث ابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال له: «مرة فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر؛ فإن شاء طلق وإن شاء أمسك»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٢٧٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/٣٠٣)، (٦/٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١).

واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسه فيها ؛ لتعتد بذلك الطهر ، فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدري هل تعتد بالوضع أو بالأقراء؟ فليس طلاقاً لعدتها كما أمره الله .

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أمر بذلك ؛ لما يبنى عليها من الأحكام ، في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك .

﴿لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ نهى الله ﷻ أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه ، ونهاها أن تخرج هي باختيارها ، فلا يجوز لها المبيت عن بيتها ، ولا أن تغيب عنه نهاراً إلا لضرورة التصرف ، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة ، فإن كان المسكن ملكاً للزوج ، أو مكتراً عنده لزمه إسكانها فيه ، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة ، وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية ؛ ففي لزوم خُرْج<sup>(١)</sup> العدة له قولان في المذهب ، والصحيح لزومه ؛ لأن الإمتاع قد انقطع بالطلاق .

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ اختلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدة ما هي؟ على خمسة أقوال :

الأول : أنها الزنا ، فتخرج لإقامة الحد ، قاله الليث بن سعد والشعبي .

الثاني : أنه سوء الكلام مع الأصهار ، فتخرج ويسقط حقها من السكنى ، ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذه حفظاً للنسب ، قاله ابن عباس ، ويؤيده قراءة أبي بن كعب : «إلا أن يفحشَنَ عليكم» .

(١) في ب ، ج : «خروج» !.

الثالث: أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك، فمتى فعلت شيئاً من ذلك سقط حقها في السكنى، قاله ابن عباس أيضاً، وإليه مال الطبري<sup>(١)</sup>.

الرابع: أنه الخروج عن<sup>(٢)</sup> بيتها خروج انتقال فمتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى، قال ابن الفرس: وإلى هذا ذهب مالك في المرأة إذا نشزت في العدة<sup>(٣)</sup>.

الخامس: أنه النشوز قبل الطلاق، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى، قاله قتادة.

﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ المراد به: الرجعة عند الجمهور، أي: أحصوا العدة وامثلوا ما أمرتم به، لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم. وقيل: المعنى: لعل الله يحدث أمراً من نسخ هذه الأحكام، وهذا بعيد. وقيل: إن سبب الرجعة المذكورة في الآية: تطليق النبي ﷺ لحفصة بنت عمر، فأمره الله بمراجعتها.

﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْكُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ يريد: آخر العدة. والإمساك بمعروف: هو تحسين العشرة، وتوفية النفقة. والفراق بالمعروف: هو أداء الصداق، والإمتاع حين الطلاق، والوفاء بالشروط ونحو ذلك.

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٥).

(٢) في ب، د: «من».

(٣) أحكام القرآن (٣/ ٥٧٤).

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذا خطاب للأزواج، والإشهاد المأمور به : هو على الرجعة عند الجمهور، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب؟ على قولين في المذهب.

وقال ابن عباس : هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة، وذلك أظهر؛ لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع، ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق.

وقد ذكرنا العدالة في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

وقوله : ﴿ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يدل على إنه إنما يشهد في الطلاق والنكاح الرجال دون النساء، وهو مذهب مالك، خلافاً لمن أجاز شهادة النساء في ذلك.

وقوله : ﴿مِّنكُمْ﴾ يعني : من المسلمين.

وقيل : من الأحرار، فيؤخذ من ذلك : ردُّ شهادة العبيد، وهو مذهب مالك.

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ هذا خطاب للشهود.

وإقامة الشهادة :

يحتمل أن يريد به : القيام بها، فإذا استُشهد وجب عليه أن يشهد، وهو فرض كفاية، وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر (١/٤٩٨).

(٢) أحكام القرآن (٣/٥٧٦).

ويحتمل أن يريد: إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض، وبهذا فسرهُ الزمخشري<sup>(١)</sup>، وهو أظهر؛ لقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ فهو كقوله: ﴿كُونُوا قَوْمِينَ بِالْأَيْسِّطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأحكام.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ قيل: إنها في الطلاق، ومعناها: من يتق الله فيطلق طلاقاً واحدة، حسبما تقتضيه السنة يجعل له مخرجاً بجواز الرجعة متى ندم على الطلاق، وفي هذا المعنى روي عن ابن عباس أنه قال لمن طلق ثلاثاً: إنك لم تتق الله فبانت منك امرأتك، ولا أرى لك مخرجاً؛ أي: لا رجعة لك.

وقيل: إنها على العموم؛ أي: من يتق الله في أقواله وأفعاله يجعل الله له مخرجاً من كرب الدنيا والآخرة، وقد روي هذا أيضاً عن ابن عباس، وهذا أرجح لخمس أوجه:

أحدها: حمل اللفظ على عمومته، فيدخل في ذلك الطلاق وغيره.

الثاني: أنه روي أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أنه أسر ولده وضيق عليه رزقه، فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمره بالتقوى، فلم يلبث إلا يسيراً وانطلق ولده ووسع الله رزقه.

والثالث: أنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قرأها فقال: «مخرجاً من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكشاف (٤٧١/١٥).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٣٣٦/٩).

والرابع: روي أنه ﷺ قال: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ الآية، فما زال يقرؤها ويعيدها.

الخامس: قوله: ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، فإن هذا لا يناسب الطلاق وإنما يناسب التقوى على العموم.  
قال بعض العلماء: الرزق على نوعين:

رزق مضمون لكل حي طول عمره، وهو الغذاء الذي تقوم به الحياة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

ورزق موعود للمتقين خاصة، وهو المذكور في هذه الآية.  
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره.  
وقد تكلمنا على التوكل في «آل عمران»<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرُهُ﴾ أي: يبلغ ما يريد ولا يُعجزه شيء، وهذا حضٌّ على التوكل وتأکید له؛ لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده ولم يعوّل على سواه<sup>(٢)</sup>.

﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: مقداراً معلوماً ووقتاً محدوداً.  
﴿وَالَّتِي بَسَنَ مِنَ الْمَجِيزِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ روي أنه لما نزل قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قالوا: يا رسول الله فما عدة من لا قرء لها من صِغَرٍ أو كِبَرٍ؟ فنزلت هذه الآية

(١) انظر (١/٥٩٠).

(٢) في ج: «ما سواه».



مُعْلَمَةٌ أَنَّ الْمَطْلُوقَةَ إِذَا كَانَتْ مِمَّنْ لَا تَحِيضُ فَعِدَّتُهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ، فَقَوْلُهُ : ﴿وَالَّتِي يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ يَعْنِي : الَّتِي انْقَطَعَتْ حِيضُهَا لِكِبَرِ سِنِهَا ، وَقَوْلُهُ : ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحِضْ﴾ يَعْنِي : الصَّغِيرَةُ الَّتِي لَمْ تَبْلُغِ الْمَحِيضَ ، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿وَالَّتِي يَسِّنَ﴾ ، أَوْ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ : وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ كَذَلِكَ . وَقَوْلُهُ : ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ هُوَ مِنَ الرِّيبِ بِمَعْنَى الشَّكِّ ، وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ :

أَحَدُهُمَا : إِنْ أَرَبْتُمْ فِي حَكْمِ عِدَّتِهَا فَاعْلَمُوا أَنَّهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ .

وَالْآخَرُ : إِنْ أَرَبْتُمْ فِي حِيضِهَا هَلْ انْقَطَعَ أَوْ لَمْ يَنْقَطِعْ .

فَهِىَ عَلَى التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ : فِي الَّتِي انْقَطَعَتْ حِيضُهَا لِكِبَرِهَا حَسَبَمَا ذَكَرْنَا ، وَهُوَ الصَّحِيحُ .

وَهِيَ عَلَى التَّأْوِيلِ الثَّانِي : فِي الْمَرْتَابَةِ وَهِيَ الَّتِي غَابَتْ عَنْهَا الْحِيضَةُ وَهِيَ فِي سَنٍ مِنْ تَحِيضٍ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي عِدَّتِهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ : أَحَدُهَا : أَنَّهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ خَاصَّةٌ حَسَبَمَا تَقْتَضِيهِ الْآيَةُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ . وَالْآخَرُ : أَنَّهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ بَعْدَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ تَسْتَبْرِئُ بِهَا أَمَدَ الْحَمَلِ ، وَهَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ ، وَقَدَوْتُهُ فِي ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه .

وَالثَّلَاثُ : أَنَّهَا تَعْتَدُ بِالْأَقْرَاءِ وَلَوْ بَقِيَتْ ثَلَاثِينَ سَنَةً حَتَّى تَبْلُغَ سَنٍ مِنْ لَا تَحِيضُ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ .

﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ هَذِهِ الْآيَةُ عِنْدَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَسَائِرِ الْعُلَمَاءِ : عَامَةً فِي الْمَطْلُوقَاتِ وَالْمَتَوَفَّى عَنْهُنَّ ، فَمَتَى كَانَتْ إِحْدَاهُنَّ حَامِلًا فَعِدَّتُهَا وَضَعُ حَمْلِهَا .

وقال علي بن أبي طالب وابن عباس: إنما هذه الآية في المطلقات الحوامل فهن اللاتي عدتهن وضع حملهن، وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملاً فعدتها - عندهما - أبعد الأجلين: إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشر.

فحجة الجمهور: حديث سبيعة الأسلمية أنها كانت تحت سعد بن خولة فتوفي في حجة الوداع وهي حبلى، فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بَعَكْ، فسألت رسول الله ﷺ فقال لها: «انكحي من شئت»<sup>(١)</sup>. وقد ذكر أن ابن عباس رجع إلى هذا الحديث لما بلغه، ولو بلغ علياً رضي الله عنه لرجع إليه.

وقال عبد الله بن مسعود: إن هذه الآية التي نزلت في سورة النساء القصوى - يعني: سورة «الطلاق» - نزلت بعد الآية التي في «البقرة»: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. فهي مخصصة لها حسبما قاله جمهور العلماء.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكُنْتُمْ﴾ أمر الله بإسكان المطلقات طول العدة. فأما المطلقة غير المبتوتة: فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق. وأما المبتوتة: ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها يجب لها السكنى دون النفقة، وهو مذهب مالك والشافعي. والثاني: أنها يجب لها السكنى والنفقة، وهو مذهب أبي حنيفة.

(١) أخرجه البخاري (٥٣١٨)، ومسلم (١٤٨٤).

والثالث: أنها ليس لها سكنى ولا نفقة.

فحجة مالك: حديث فاطمة بنت قيس، وهو أن زوجها طلقها ألبتة، فقال لها رسول الله ﷺ: «ليس لك عليه نفقة»<sup>(١)</sup>، فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة.

وحجة من أوجب لها السكنى والنفقة: قول عمر بن الخطاب: لا ندع آية من كتاب ربنا لقول امرأة، فإني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «لها السكنى والنفقة»<sup>(٢)</sup>.

وحجة من لم يجعل لها لا سكنى ولا نفقة: أن في بعض الروايات عنها أنها قالت: لم يجعل لي رسول الله ﷺ نفقة ولا سكنى<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ معناه: أسكنوهم مكاناً من بعض مساكنكم، ف﴿مِنْ﴾ للتبعيض، ويفسر ذلك قول قتادة: لو لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه.

﴿مَنْ وَجِدَكُمْ﴾ الوجد: هو الطاقة والسعة في المال، فالمعنى: أسكنوهم مسكناً مما تقدرون عليه.

وإعرابه: عطف بيان لقوله: ﴿حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾.

ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها بمعنى واحد، والضم أكثر وأشهر.

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

﴿وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ اتفق العلماء على وجوب النفقة في العدة للمطلقة الحامل ؛ عملاً بهذه الآية ؛ سواء كان الطلاق رجعيًا أو بائنًا .

واتفقوا على أن للمطلقة غير الحامل النفقة في العدة إذا كان الطلاق رجعيًا .

فإن كان بائنًا فاختلفوا في نفقتها حسبما ذكرناه .

وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملاً :

فلا نفقة لها عند مالك والجمهور ؛ لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقات .

وقال قوم : لها النفقة في التركة .

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ المعنى : إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجره الرضاع ، وهي النفقة وسائر المؤن حسبما ذكر في كتب الفقه .

﴿وَأْتِمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء ، والمعنى : أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان .

وقيل : معنى ﴿وَأْتِمِرُوا﴾ تشاوروا ، ومنه : ﴿إِنَّكَ أَلَمْلَأَ يَأْتِمِرُونَ بِكَ﴾

[القصص : ٢٠] .

﴿وَإِنْ نَعَاَسَرْتُم فَسَرَضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾ المعنى : أن تشططت الأم على الأب في أجره الرضاع ، وطلبت منه كثيرًا ؛ فللأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما

هو أرفق به، إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه، فتجبر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج.

﴿لِئِنْفَقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ أمرٌ بأن ينفق كل أحد على مقدار حاله<sup>(١)</sup>، ولا يكلف الزوج ما لا يطيق، ولا تُضَيِّع الزوجة بل يكون الحال معتدلاً. وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس، وهو مذهب مالك، خلافاً لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية.

ومن عَجَزَ عن نفقة امرأته: فمذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه، خلافاً لأبي حنيفة.

وإن عَجَزَ عن الكسوة دون النفقة: ففي التطليق عليه قولان في المذهب.



(١) في ب، ج: «ماله».

﴿فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي: حاسبنا أهلها.

وقيل : يعني : في الدنيا ، وهذا أرجح ؛ لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ ، ولأن قوله : ﴿ فَحَاسِبْنَاهَا ﴾ و ﴿ وَعَذَّبْنَاهَا ﴾ بلفظ الماضي ؛ فهو حقيقة فيما وقع ، مجاز فيما لم يقع .

فمعنى ﴿فَحَاسِبْنَهَا﴾ أي: واخذناهم بجميع ذنوبهم ولم يغفر لهم شيء من صفاتها.

والعذاب : هو عقابهم فى الدنيا .

والنُّكْر: هو الشديد الذي لم يعهد مثله.

﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا﴾ الذكر هنا: هو القرآن، والرسول: هو محمد ﷺ.

وإعراب ﴿رَسُولًا﴾: مفعول بفعل مضمر تقديره: أرسل رسولًا، هذا

الذي اختاره ابن عطية<sup>(١)</sup>، وهو أظهر الأقوال.

وقيل: إن الذكر والرسول معًا يراد بهما القرآن، والرسول على هذا: بمعنى الرسالة.

وقيل: إنهما يراد بهما القرآن، على حذف مضاف تقديره: ذكرًا ذا رسول.

وقيل: يراد بهما النبي ﷺ، والذكر من أسمائه، وهذا ضعيف.

وقيل: ﴿رَسُولًا﴾ مفعول بالمصدر الذي هو الذكر.

وقال الزمخشري: الرسول هو جبريل أُبدل من الذكر؛ لأنه نزل به، أو سمي ذكرًا لكثرة ذكره لله<sup>(٢)</sup>.

وهذا كله بعيد.

﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ لا خلاف أن السموات سبع.

وأما الأرض فاختلف فيها:

فقيل: إنها سبع أرضين؛ لظاهر هذه الآية، ولقوله ﷺ: «من غصب شبرًا من أرض طوّقه يوم القيامة من سبع أرضين»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: إنما هي واحدة.

فقوله: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾:

على القول الأول: يعني به المماثلة في العدد.

(١) المحرر الوجيز (٣٣٦/٨).

(٢) الكشف (٤٨٤/١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠).

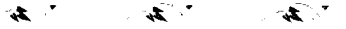
وعلى القول الثاني : يعني به المماثلة في عَظَم الجِرْم وكثرة العُمَّار ، وغير ذلك .

والأول أرجح .

﴿يَنْزِلُ أَلْمُرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يحتمل أن يريد بالأمر :

الوحي .

أو أحكام الله وتديره لخلقه .





## ﴿ سورة التحريم ﴾

[يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَى مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَبْأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُبُوءًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَنَبَّتٍ عِيدَاتٍ سَيَحِبَّنَّ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها روايتان:

إحدهما: أن رسول الله ﷺ جاء يوماً إلى بيت زوجته حفصة بنت عمر ابن الخطاب، فوجدها قد مرت لزيارة أبيها، فبعث في جاريته مارية فقال معها<sup>(١)</sup> في البيت، فجاءت حفصة فقالت: يا رسول الله أما كان في نسائك أهون عليك مني؟ أتفعل هذا في بيتي وعلى فراشي؟ فقال لها رسول الله ﷺ

(١) في د: «فقد معهما»، وفي ه: «فدخل معها».

مترضيًّا<sup>(١)</sup> لها : «أيرضيك أن أحرمها؟» ، قالت : نعم ، فقال : «إني قد حرّمتها»<sup>(٢)</sup> .

والرواية الأخرى : أن رسول الله ﷺ كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلًا ، فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له من دنا منها : أكلت مغاير ، والمغاير : صمغ العُرْفُط ، وهو حلو كريه الريح ، ففعلن ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : «لا ولكني شربت عسلًا» ، فقلن له : جرسَتْ نحله العرْفُط<sup>(٣)</sup> ، فقال رسول الله ﷺ : «لا أشربه أبدًا» ، وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة ، فدخل بعد ذلك على زينب فقالت : ألا أسقيك من ذلك العسل ؟ فقال : «لا حاجة لي به»<sup>(٤)</sup> .

فنزلت الآية عتابًا له على أن يضيق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل .

والرواية الأولى أشهر ، وعليها تكلم الناس في فقه السورة .

وقد خرّج الرواية الثانية البخاري وغيره .

ولتكلم على فقه التحريم :

فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ما عدا النساء :

فلا يلزم ، ولا شيء عليه عند مالك .

(١) في ب ، ج ، د : «مرتضيًّا» .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣ / ٨٤) .

(٣) أي : أكلت العرْفُط ، يقال للنحل : الجوارس . النهاية لابن الأثير (٢ / ٦٢٤) .

(٤) أخرجه البخاري (٥٢٦٨) ، ومسلم (١٤٧٤) .

وأوجب عليه أبو حنيفة كفارة.

وأما تحريم الأمة :

فإن نوى به العتق لزم.

وإن لم ينو به ذلك لم يلزم. وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام.

وأما تحريم الزوجة : فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة :

فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم :  
إنما يلزم<sup>(١)</sup> فيه كفارة يمين .

وقال مالك في المشهور عنه : ثلاث تطليقات في المدخول بها ، ويُنَوَّى  
في غير المدخول بها فيُحكم بما نوى من طلاق أو اثنتين أو ثلاث .

وقال ابن الماجشون : هي ثلاث في الوجهين .

وروي عن مالك : أنها طلاق بائنة .

وقيل : طلاق رجعية .

﴿ تَبَنَّى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ أي : تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله  
لك ، يعني : تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة ، وهذا يدل على أنها  
نزلت في تحريم الجارية .

وأما تحريم العسل فلم يقصد به رضا أزواجه ، وإنما تركه لرائحته .

﴿ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ في هذا إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من

(١) في أ ، هـ : « تلزم » .

التحريم، على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب على تضييقه ﷺ على نفسه، وامتناعه مما كان له فيه أرب.

وبئس ما قال الزمخشري في أن هذا كان منه زلة؛ لأنه حرّم ما أحل الله! <sup>(١)</sup>، وذلك قلة أدب على منصب النبوة.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ التحلة: هي الكفارة.

وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة «المائدة» من صفتها <sup>(٢)</sup>.

واختلف في المراد بها هنا :

[أ-] فأما على قول من قال : إن الآية نزلت في تحريم الجارية : فاختلف في ذلك :

فمن قال : إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدلل بها .

ومن قال : إن التحريم يلزم منه <sup>(٣)</sup> طلاق قال : إن الكفارة هنا إنما هي لأن رسول الله ﷺ حلف، فقال : «والله لا أطؤها أبداً».

[ب-] وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل : فاختلف أيضاً :

فمن أوجب في تحريم الطعام كفارة قال : هذه الكفارة للتحريم .

ومن قال : لا كفارة فيه قال : إنما هذه الكفارة ؛ لأنه حلف أن لا يشربه .

(١) الكشف (١٥/٤٩١).

(٢) انظر (٢/٢٠٦).

(٣) في أ، هـ : «فيه».

وقيل : هي في يمينه ﷺ أن لا يدخل على نسائه شهراً .

﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ :

بمعنى الولي الناصر .

أو بمعنى السيد الأعظم .

﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ اختلف في هذا الحديث على ثلاثة

أقوال :

أحدها : أنه تحريم الجارية ، فإنه لما حرمها قال لحفصة : « لا تخبري بذلك أحداً » .

والآخر : أنه قال<sup>(١)</sup> : إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده<sup>(٢)</sup> .

والثالث : أنه قوله : « شربت عسلاً » .

والأول أشهر .

﴿بَعْضُ أَزْوَاجِهِ﴾ حفصة .

﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴿كَانَتْ حَفْصَةُ قَدْ أَخْبَرَتْ عَائِشَةَ بِمَا أَسْرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ تَحْرِيمِ الْجَارِيَةِ ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِذَلِكَ ، فَعَاتَبَ حَفْصَةَ عَنْ إِفْشَائِهَا لِسْرِهِ وَطَلَّقَهَا ، ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ بِمِرَاجَعَتِهَا فَرَاجَعَهَا ، وَقِيلَ : لَمْ يَطْلُقَهَا .

(١) في دزيادة : « لحفصة » .

(٢) في د : « بعدي » .

فقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ حذف المفعول وهو عائشة، وقوله: ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلعه على إخبارها به.

وقيل: معناه: أظهر الله عليه<sup>(١)</sup> الحديث، من الظهور.

وقوله: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ أي: عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعضه؛ حياء وتكرُّماً، فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب.

وقرئ ﴿عَرَفَ﴾ بالتخفيف؛ من المعرفة.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ أي: لما أخبر النبي ﷺ حفصة بأنها قد أفشت سره، ظنت أن عائشة هي التي أخبرته به، فقالت له: ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه به سكتت وسلّمت.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة، وتوبتهما: مما جرى منهما في قصة تحريم الجارية أو العسل.

ومعنى ﴿صَغَتْ﴾: أي: مالت عن الصواب، وقرأ ابن مسعود: «زاغت».

والمعنى: إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة.

﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ المعنى: إن تعاونتما عليه ﷺ بما يسوؤه من إفراط الغيرة، وإفشاء سره ونحو ذلك فإن له من ينصره.

و﴿مَوْلَاهُ﴾ هنا:

يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم، فيوقف على ﴿مَوْلَاهُ﴾، ويكون

(١) أي: على النبي ﷺ. الكشاف (١٥/٤٩٧).

﴿وَجِبْرِيلُ﴾ مبتدأ، و﴿ظَهِيْرُ﴾ خبره وخبر ما عُطف عليه.

ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى: الولي الناصر، فيكون ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ معطوفاً، فيوصل مع ما قبله، ويوقف على ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾، ويكون ﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ﴾ مبتدأ و﴿ظَهِيْرُ﴾ خبره، وهذا أظهر وأرجح لوجهين:

أحدهما: أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع، فإن ذلك كرامة للنبي ﷺ وتشريف له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي ﷺ مع غيره؛ لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى، فليس في ذلك إظهار مزية له.

الوجه الثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح: أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء؛ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك»<sup>(١)</sup>، فنزلت الآية موافقة لقول عمر، فقوله: «معك» يقتضي معنى النصر.

﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ اختلف في ﴿وَصَلِّحُ﴾ هل هو مفرد أو جمع محذوف النون للإضافة؟

فعلى القول بأنه مفرد: هو أبو بكر الصديق، وقيل: علي بن أبي طالب. وعلى القول بأنه جمع: فهو على العموم في كل صالح.

﴿عَسَىٰ رُبُّهُۥٓ إِن تَلَاقَكُنَّ﴾ الآية؛ نصره للنبي ﷺ.

وروي أن عمر قال ذلك ونزل القرآن بموافقه، ولقد قال عمر حينئذ

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

للنبي ﷺ: «والله يا رسول الله لئن أمرتني بضرب عنق حفصة لضربت عنقها»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت<sup>(٢)</sup>.

والسائحات: معناه الصائمات، قاله ابن عباس، وقد روي عن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وقيل: معناه مهاجرات.

وقيل: ذاهبات إلى الله؛ لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض.

وقوله: ﴿ثَبَّتَ وَأَبْكَرَ﴾ قال بعضهم: المراد بالأبكار هنا: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون<sup>(٤)</sup>؛ فإن الله يزوج النبي ﷺ إياهما في الجنة، وهذا يفتقر إلى نقل صحيح.

ودخلت الواو هنا للتقسيم، ولو سقطت لاختل المعنى؛ لأن الثيوبة والبركة لا يجتمعان.

وقال الكوفيون: هي واو الثمانية، وذلك ضعيف.

﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ أي: أطيعوا الله، وأمروا أهليكم بطاعته؛ لتقوا

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٢) انظر (٥٤٤/٣).

(٣) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١٩٤/٥) من دون إسناد، ولم أقف على إسناد له.

(٤) كذا العبارة في جميع النسخ الخطية!، ولعل صوابها: «والمراد بالثييات: آسية امرأة فرعون». انظر: التعريف والإعلام للسهيلى (ص: ٣٤٢).



أنفسكم وأهليكم بطاعته من النار، فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة.

﴿وَقُودُهَا﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿مَلَكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يعني: زبانية النار.

وغلظهم<sup>(٢)</sup> وشدتهم: يحتمل أن يريد:

في أجرامهم.

أو في قسوة<sup>(٣)</sup> قلوبهم.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قيل: إن هذا تأكيد لقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ﴾.

وقيل: إن معنى ﴿لَا يَعْصُونَ﴾ امثال الأمر، ومعنى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ جذهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس.

﴿لَا نَعْذِرُكَ الْيَوْمَ﴾ يعني: يوم القيامة.

ويحتمل أن يكون هذا:

خطاباً من الله للكفار.

أو خطاباً من الملائكة.

(١) انظر (١/٢٩١).

(٢) في ب: «وغلظتهم».

(٣) في ب، ج: «قساوة».

[يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُثَسِّ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ ثَوَّجَ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿١٢﴾].

﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال عمر بن الخطاب: التوبة النصوح: هي أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه أبدًا، ولا يريد أن يعود.

وقيل: معناه: توبة خالصة، فهو من قولهم: غسل ناصح: إذا خلص من الشمع.

وقيل: هي أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت، كتوبة الثلاثة الذين خلفوا.

وقال الزمخشري: وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي، والنصح في الحقيقة صفة التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم<sup>(١)</sup>.

وقد تكلمنا على التوبة في قوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١] في «النور»<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ يحتمل أن يكون: ما قبله.

أو ما بعده.

أو محذوف تقديره: اذكر.

والوقف والابتداء يختلف على ذلك.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يحتمل أن يكون:

معطوفاً على ﴿النَّبِيِّ﴾.

أو مبتدأ وخبره بعده.

﴿تُورِثُهُمْ يَسْعَى﴾ ذكر في «الحديد»<sup>(٢)</sup>.

﴿جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ذكر في «براءة»<sup>(٣)</sup>.

﴿أَمْرَاتٍ نُّوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ﴾ قيل: اسم امرأة نوح والغة، واسم امرأة لوط والهة، وهذا يفتقر إلى صحة النقل.

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال ابن عباس: خانت امرأة نوح في أنها كانت تقول: إنه

(١) انظر (٢٩١/٣).

(٢) انظر صفحة ٣١٣.

(٣) انظر (٥١٠/٢).

مجنون، وخانت امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه،  
وكانتا مع ذلك كافرتين.

وقيل: خانتا بالزنا، وأنكر ابن عباس ذلك وقال: ما زنت امرأة نبي قط؛  
تنزيهاً من الله لهم عن هذا النقص.

وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء  
وسائل، كأنه يقول: لا يغني أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه؛ كقرب  
امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما.

وقيل: هو مثل لأزواج النبي ﷺ فيما ذكر في أول السورة، وهذا باطل؛  
لأن الله إنما ضربه للذين كفروا.

﴿أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ﴾ اسمها آسية، وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام، فبلغ ذلك  
فرعون فأمر بقتلها، فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها، وروي في  
قصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح.

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ تعني: كفره وظلمه.

وقيل: مضاجعته لها، وهذا ضعيف.

﴿أَخَصَّنَتْ فَرْجَهَا﴾ يعني: الفرج الذي هو الجارحة، وإحصانها له: هو  
صيانتها وعِفَّتْهَا عن كل مكروه.

وقيل: يعني فرج درعها، وهذا ضعيف.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ عبارة عن نفخ جبريل في فرجها، فخلق الله  
فيه عيسى عليه السلام.

وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه، وفي ذلك تشریف له .

﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكِتَابِهِ﴾ كلمات ربها : يحتمل أن يريد بها :

الكتب التي أنزل .

أو كلامه مع الملائكة وغيرهم .

﴿وَكِتَابِهِ﴾ بالتوحيد : يحتمل أن يريد به : التوراة ، أو الإنجيل ، أو جنس الكتب .

وقرئ بالجمع يعني : جميع كتب الله .

﴿مِنَ الْفَتَنَيْنِ﴾ أي : من العابدين .

فإن قيل : لم قال ﴿مِنَ الْفَتَنَيْنِ﴾ بجمع المذكر وهي أنثى ؟

فالجواب : أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء ، فغلب الذكور .



## ﴿ سورة الملك ﴾

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه<sup>(١)</sup>.

وأنه ﷺ قال: «إنها تنجي من عذاب القبر»<sup>(٢)</sup>.

[﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَنتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَإِنِجْعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ انْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسُورُ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُمْ عَلِيمُ ذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾].

﴿تَبَارَكَ﴾ فعل مشتق من البركة.

(١) أخرجه أحمد (١٤٦٥٩)، والترمذي (٢٨٩٢)، والنسائي في الكبرى (٢٦١/٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٩٠).

وقيل : معناه : تعاضم .

وهو مختص بالله تعالى ، ولم يُنطق له بمضارع .

﴿يَبْدِئُ الْمُلْكَ﴾ يعني : مُلْكُ السموات والأرض والدنيا والآخرة .

وقيل : يعني : مُلْكُ الملوك في الدنيا ، فهو كقوله : ﴿مَلِكُ الْمُلْكِ﴾

[آل عمران : ٢٦] .

والأول أعم وأعظم .

﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ يعني : موت الخلق وحياتهم .

وقيل : الموت : الدنيا ؛ لأن أهلها يموتون ، والحياءة : الآخرة ؛ لأنها

باقية ، فهو كقوله : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [التكوير : ٦٤] وهو على هذا وصفٌ بالمصدر .

والأول أظهر .

﴿لَيَبْلُوكُمْ﴾ أي : ليختبركم ، واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم

الحجة بما يصدر منهم ، وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه .

والمعنى : ليلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم .

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ روي أن رسول الله ﷺ قرأها فقال : «أيكم أحسن

عقلاً<sup>(١)</sup> ، وأشدكم لله خوفاً ، وأورع عن محارم الله ، وأسرع في طاعة الله<sup>(٢)</sup> .

(١) في أ ، ب ، ج ، هـ : «عملاً» ، والمثبت موافق لما في الرواية .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢ / ٣٣٥) .

﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: بعضها فوق بعض.

والطباق:

مصدرٌ وُصفت به السموات.

أو على حذف مضاف تقديره: ذوات طباق.

وقيل: إنه جمع طبقة.

﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ أي: من قلة تناسبٍ وخروج عن الإتيان، والمعنى: أن خلقة السموات في غاية الإتيان، بحيث ليس فيها ما يعيبها من الزيادة والنقصان والاختلاف.

وقيل: أراد خلقة جميع المخلوقات.

ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة، ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات أظهر؛ لورودها بعد قوله: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾، فكأن قوله: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ بيانٌ وتكميل لما قبله.

والخطاب في قوله: ﴿مَا تَرَىٰ﴾ و﴿أَنْجِعِ الْبَصَرَ﴾ وما بعده: للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب ليعتبر.

﴿فَأَنْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ الفطور: الشقوق، جمع فطر وهو الشق. ورجع البصر: ترديده في النظر.

ومعنى الآية: الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل<sup>(١)</sup>.

(١) في د: «خلال».



بل هي ملتزمة مستوية .

﴿ثُمَّ أَرْجِعْ الْبَصَرَ كَرَيْنًا﴾ أي : انظر نظراً بعد نظر للتثبت والتحقيق .

وقال الزمخشري : معنى التثنية في ﴿كَرَيْنًا﴾ التكثير ، لا مرتين خاصة ، كقولهم : «لييك» فإن معناه إجابات كثيرة<sup>(١)</sup> .

﴿يَنْفَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ الخاسئ : هو المبعد عن الشيء الذي طلب .

والحسير : هو الكليل الذي أدركه التعب .

فمعنى الآية : أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاً أو خللاً رجع بصرك ولم تر شيئاً من ذلك ؛ فكأنه خاسئ ؛ لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل ، وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التأمل .

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ السماء الدنيا : هي القرية منا .

والمصابيح : يراد بها النجوم .

فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال .

وإن كانت في غيرها من السماوات فقد زُيِّنَت السماء الدنيا ؛ لأنها ظاهرة فيها لنا .

ويحتمل أن يريد أنه زين السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في

غيرها، على أن القول بمواضع الكواكب وفي أيّ سماءٍ هي لم يرد في الشريعة.

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ أي: جعلنا منها رجومًا؛ لأن الكواكب الثابتة ليست تَرجم الشياطين، فهو كقولك: «أكرمت بني فلان»: إذا أكرمت بعضهم.

والرجوم: جمع رَجِمَ، وهو مصدر سُمِّيَ به ما يُرجم به.

قال الزمخشري: معنى كون النجوم رجومًا للشياطين: أن الشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء، فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب، لا أن الراجمة هي الكواكب أنفسها؛ لأنها ثابتة في الفلك<sup>(١)</sup>.

قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: زينة السماء، ورجوم الشياطين وليهتدى بها في ظلمات البر والبحر.

﴿وَأَعَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ يعني: للشياطين.

﴿سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا﴾ الشَّهيق: أقبح ما يكون من صوت الحمار، ويعني به هنا:

ما يُسمع من صوت جهنم؛ لشدة غليانها وهولها.

أو شهيق أهلها.

والأول أظهر.

(١) الكشف (١٥/٥٤٢).

﴿رَهَى تَقُورُ﴾ أي: تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها .  
 ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي: تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض؛ لشدة  
 غيظها على الكفار .

فيحتمل:

أن تكون هي المغتاظة بنفسها .  
 ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية .  
 والأول أظهر؛ لأن حال الزبانية يُذكر بعد هذا .  
 وغيظ النار يحتمل:

أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها .  
 أو يكون عبارة عن شدتها .  
 ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: كلما أُلقي في جهنم جماعة من الكفار سألهم  
 الزبانية: هل جاءكم <sup>(١)</sup> نذير؟ أي: رسول، وهذا السؤال على وجه التوبيخ  
 وإقامة الحجة عليهم، ولذلك اعترفوا فقالوا: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ .  
 وقوله: ﴿كُلَّمَا﴾ يقتضي أن يقال ذلك لكل جماعة تُلقَى في النار .  
 ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون:  
 من قول ملائكة النار للكفار .  
 أو من قول الكفار للرسول في الدنيا .

(١) في أ، ب: «جاءهم».

﴿وَقَالُوا﴾ الضمير للكفار؛ أي: لو كنا نسمع كلام الرسل ونعقل الصواب ما كنا في أصحاب السعير.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ اعترفهم هذا في وقت لا ينفعهم الاعتراف.

وذنبهم هنا: يراد به تكذيب الرسل.

﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ انتصب ﴿فَسُحْقًا﴾ بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: وهم غائبون عن الناس، ففي ذلك وصف لهم بالإخلاص.

والآخر: أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها، على أن هذا القول إنما يحسن في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ المعنى: سواء جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ هذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شيء؛ لأن الخالق يعلم مخلوقاته.

ويحتمل أن يكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾:

فاعلاً يراد به الخالق، والمفعول محذوف تقديره: ألا يعلم الخالق خلقه.

أو يكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ مفعولاً ، والفاعل مضمّر تقديره : ألا يعلم الله من خلق .

والأول أرجح ؛ لأن ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ إذا كان مفعولاً اختصّ بمن يعقل ، والمعنى الأول يعم من يعقل ومن لا يعقل .



[هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ  
 ١٥) ءَأَمِنْتُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۖ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ  
 أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۖ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ  
 كَانَ نَكِيرِ ۖ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِرٌ وَيَقْبِضُنَّ مَا يُمِسُّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ  
 شَيْءٍ بَصِيرٌ ۖ (١٩) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي  
 غُرُورٍ ۖ (٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۖ (٢١) أَفَمَن يَمْشِي  
 مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۖ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ  
 السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۖ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ  
 ۖ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ  
 مُبِينٌ ۖ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ  
 ۖ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَن مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُحْيِي الْكَافِرِينَ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ  
 ۖ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ  
 إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ۖ ] .

﴿الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ فَعُول هنا بمعنى : مفعول ، أي : مذلولة ، فهي كركوب  
 وحلوب .

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ ابن عباس : هي الجبال .

وقيل : الجوانب والنواحي .

وقيل : الطرق .

والمعنى : تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض ، فاستعار لها الذَّلَّ  
 والمناكب ؛ تشبيهاً بالدواب .

﴿وَالَيْهِ الشُّورُ﴾ يعني : البعث يوم القيامة .

﴿ءَأْمِنْتُمْ﴾ الآية ؛ مقصودها التهديد والتخويف للكفار ، وكذلك الآية التي بعدها .

﴿تَمُورُ﴾ ذكر في «الطور»<sup>(١)</sup> .

﴿حَاصِبًا﴾ يحتمل أن يريد : حجارة ، أو ريحًا شديدة .

﴿نَذِيرٌ﴾ بمعنى الإنذار ، وكذلك ﴿نَكِيرٌ﴾ بمعنى الإنكار .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ﴾ تنبيهٌ على الاعتبار بطيران الطيور في الهواء من غير شيء يمسكها .

و﴿صَفَّتْ﴾ جمع صافّة ، وهي التي تبسط جناحيها للطيران .

والقبض : ضم الجناحين إلى الجنب .

وعطف ﴿وَقَبْضُْنَ﴾ على ﴿صَفَّتْ﴾ ؛ لأن الفعل في معنى الاسم تقديره : قابضات .

فإن قيل : لِمَ لَمْ يقل «قابضات» على طريقة ﴿صَفَّتْ﴾ ؟

فالجواب : أن بسط الجناحين هو الأصل في الطيران ، كما أن مدّ الأطراف هو الأصل في السباحة ، فذكر بصيغة اسم الفاعل ؛ لدوامه وكثرته ، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطير<sup>(٢)</sup> قليلًا للاستراحة والاستعانة ، فذكره بلفظ الفعل ؛ لقلته .

(١) انظر صفحة ٢٢٣ .

(٢) في ب ، ج ، هـ : «الطائر» .

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ﴾ خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم .

ودخلت «أَمْ» التي يراد بها الإنكار على «مَنْ» فأدغمت فيها ، وكذلك ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾ .

والضمير في ﴿أَمْسَكَ﴾ : لله ؛ أي : من يرزقكم إن منع الله رزقه .

﴿بَلْ لَّجُوا﴾ أي : تمادوا في العتوّ والنفور عن الإيمان .

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ الآية ؛ توقيفٌ على الحالتين ، أيهما أهدى ، والمراد بها : توبيخ الكفار .

وفي معناها قولان :

أحدهما : أن المشي هنا استعارة في سلوك طريقة الهدى والضلال في الدنيا .

والآخر : أنه حقيقة في المشي في الآخرة ؛ لأن الكافر يُحمل إلى جهنم على وجهه .

فأما على القول الأول :

فقليل : إن الذي يمشي مكبًا : أبو جهل ، والذي يمشي سويًا : محمد ﷺ ، وقيل : حمزة .

وقيل : هي على العموم في كل مؤمن وكافر .

وقد تمشي هذه الأقوال أيضًا على القول الثاني .



والمكب: هو الذي يقع على وجهه، يقال: أكب الرجل، وكبه غيره، فالمتعدي دون همزة، والقاصر بالهمزة، بخلاف سائر الأفعال.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ الضمير للكفار، والوعد يراد به: البعث، أو عذابهم في الدنيا.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ ضمير الفاعل للكفار، وضمير المفعول للعذاب الذي يتضمنه الوعد.

﴿زُلْفَةً﴾ أي: قريباً.

وقيل: عياناً.

﴿سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ظهر فيها السوء لما حل بهم.

﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ تفتعلون من الدعاء؛ أي: تطلبون وتستعجلون به.

والقائلون لذلك: الملائكة، أو يقال لهم بلسان الحال<sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾ الآية؛ سببها: أن الكفار كانوا يتمنون هلاك

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ نظيره قوله سبحانه: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾، وهذا معنى ما قاله المصنف أنه افتعال من الدعاء بمعنى طلب الشيء، وعدي بالباء كقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، وقول المصنف: «والقائلون لذلك: الملائكة، أو يقال لهم بلسان الحال»، أقول: منشأ هذا التردد أن الفعل مبني للمفعول «قيل»، فيحتمل ما ذكره المصنف، ويحتمل أن القائل هو الله، توبيخاً للكافرين، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. والله أعلم.

النبي ﷺ والمسلمين ، فأمره الله أن يقول لهم : إن أهلكني الله وأهلك من معي أو رحمنا ؛ فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال .

والهلاك هنا يحتمل أن يراد به : الموت ، أو غيره .

ومعنى ﴿فَمَنْ يُجِرُ الْكَافِرِينَ﴾ : من يمنعهم من العذاب .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الآية ؛ احتجاج على المشركين .

والغور : مصدر وصف به فهو بمعنى غائر ؛ أي : ذاهب في الأرض .

والمعين : الكثير .

واختلف هل وزنه فَعِيل أو مَفْعول ؟

فالمعنى : إن غار ماؤكم الذي تشربون هل يأتيكم إله غير الله بماء معين ؟



## ﴿سورة ن والقلم﴾

[بَٓٔ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنْ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ  
 مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَتُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾  
 إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطْعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾  
 وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيْدُهُنَّ ﴿٩﴾ وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَامٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ  
 لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَئِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَى  
 عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِفُهُ عَلَى الْفَرْطُورِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ  
 الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَبَصَرِمْهَا مُصْحِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾  
 فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْحِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا  
 وَهُمْ يَخْخَفُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَعَدُوا عَلَى حَرِّ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا  
 قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ  
 رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَوْنُسًا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾  
 عَسَى رَبَّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا  
 يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾].

﴿بَٓٔ﴾ حرفٌ من حروف الهجاء، وقد تقدم الكلام عليها في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

ويختص ﴿بَٓٔ﴾ بأنه قيل: إنه حرف من «الرحمن»، فإن حروف الرحمن

في ﴿الرَّءِ﴾ و﴿حَمَّ﴾، و﴿تَّ﴾.

وقيل: إن نون<sup>(١)</sup> هنا يراد به: الحوت، وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبع، وهذا لا يصح.

على أن النون بمعنى الحوت معروف في اللغة، ومنه: ذو النون.

وقيل: إن نون هنا يراد به الدَّوَاة، وهذا غير معروف في اللغة.

ويَبْطِل قول من قال إنه الحوت أو الدَّوَاة: بأنه لو كان كذلك لكان معرباً بالرفع أو النصب أو الخفض، ولكان في آخره تنوين، فكونه موقوفاً دليل على أنه حرف هجاء نحو ﴿الْمَ﴾ وغيره من حروف الهجاء الموقوفة.

﴿وَالْقَالِرِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ اختلف فيه على قولين:

أحدهما: أنه القلم الذي كُتِبَ به في اللوح المحفوظ، فالضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ للملائكة.

والآخر: أنه القلم المعروف عند الناس، أقسم الله به لما فيه من المنافع والحِكم، والضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ على هذا لبني آدم.

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم، وهو خطاب لمحمد ﷺ معناه: نفي ما نسبته الكفار له من الجنون.

و﴿يَنْعَمْتَ رَبِّكَ﴾ اعتراضٌ بين ﴿مَا﴾ وخبرها، كما تقول: «أنت - بحمد الله - فاضل».

(١) في ب، د: «ن».

والمجرور في موضع الحال، وقال الزمخشري: إن العامل فيه: ﴿بِمَجْنُونٍ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿عَبْرَ مَمْنُونٍ﴾ ذكر في «فصلت»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا ثناء على خُلُقِ رسول الله ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلق رسول الله ﷺ القرآن»<sup>(٣)</sup> تعني: التأدب بآدابه وامتثال أوامره.

وعبر ابن عباس عن الخلق بالدين والشرع، وذلك رأس الخلق.

وتفصيل ذلك: أن رسول الله ﷺ جمع كل فضيلة، وحاز كل خصلة جميلة، فمن ذلك: شرف النسب، ووفور العقل، وصحة الفهم، وكثرة العلم، وكثرة العبادة، وشدة الحياء، والسخاء، والصدق، والشجاعة، والصبر، والشكر، والمروءة، والتؤدة، والاقتصاد، والزهد، والتواضع، والشفقة، والعدل، والعفو، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، وحسن المعاشرة، وحسن التدبير، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس، وحسن الصورة، وغير ذلك، حسبما ورد في أخباره وسيره ﷺ ولذلك قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(٤)</sup>.

وقال الجنيد: سمي خُلُقُه عظيمًا؛ لأنه لم تكن له همة سوى الله ﷻ.

(١) الكشف (٥٦٧/١٥).

(٢) انظر صفحة ٦.

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٤) أخرجه أحمد (١٩٥٢).

﴿فَسَبِّحْ وَبُصِّرْ ۝ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ قيل : إن ﴿الْمَفْتُونُ﴾ هنا بمعنى المجنون .

ويحتمل غير ذلك من معاني الفتنة .

والخطاب في قوله : ﴿فَسَبِّحْ﴾ للنبي ﷺ ، وفي قوله : ﴿وَبُصِّرْ﴾ لكفار قريش .

واختلف في الباء التي في قوله : ﴿بِأَيِّكُمُ﴾ على أربعة أقوال :  
الأول : أنها زائدة .

الثاني : أنها غير زائدة ، والمعنى : بأيكم الفتنة ، فأوقع ﴿الْمَفْتُونُ﴾ موقع الفتنة كقولهم : «ما له معقول» أي : عقل .

الثالث : أن الباء بمعنى «في» ، والمعنى : في أي فريق منكم المفتون ، واستحسن ابن عطية هذا <sup>(١)</sup> .

الرابع : أن المعنى : «بأيكم فتنة المفتون» ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

﴿وَدُّوا لَوْ نَدَّهْنُ فَيَذْهَبُونَ﴾ المداهنة : هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي ، وروي أن الكفار قالوا للنبي ﷺ : لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك ، فنزلت الآية .

ولم ينتصب ﴿فَيَذْهَبُونَ﴾ في جواب التمني ؛ بل رفعه بالعطف على ﴿نَدَّهْنُ﴾ . قاله ابن عطية <sup>(٢)</sup> .

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٦٧) .

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٣٦٨) .

وقال الزمخشري: هو خبر مبتدأ محذوف تقديره: فهم يدهنون<sup>(١)</sup>.

﴿حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل.

﴿مَهِينٍ﴾ هو الضعيف الرأي والعقل.

قال ابن عطية: هو من مَهْنٍ: إذا ضعف، فالميم فاء الفعل<sup>(٢)</sup>.

وقال الزمخشري: هو من المهانة، وهي الذلة والحقارة<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عباس: المهين: الكذاب.

﴿هَمَّازٍ﴾ هو الذي يعيب الناس.

﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ أي: كثير المشي بالنميمة، يقال: نميم ونميمة بمعنى واحد، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»<sup>(٤)</sup>.

﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ أي: شحيح؛ لأن الخير هنا هو المال.

وقيل: معناه: مناع من الخير؛ أي: يمنع الناس من الإسلام، والعمل الصالح.

﴿مُعْتَدٍ﴾ من العدوان، وهو الظلم.

﴿أَثِيمٍ﴾ من الإثم، وهو ارتكاب المحرمات.

﴿عُتْلٍ﴾ أي: غليظ الجسم، قاسي القلب، بعيد الفهم، كثير الجهل.

(١) الكشف (٥٧٣/١٥).

(٢) المحرر الوجيز (٣٦٨/٨).

(٣) الكشف (٥٧٤/١٥).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

﴿زَنِيمٍ﴾ أي: ولد زنا.

وقيل: هو الذي في عنقه زَنَمَةٌ كزئمة الشاة التي تتعلّق في حلّقها.

وقيل: معناه: مريب قبيح الأفعال.

وقيل: ظلوم.

وقيل: لئيم<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد ما ذكرنا من عيوبه، فهذا الترتيب في الوصف لا في الزمان.

واختلف في الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة:

ف قيل: لم يُقصد بها شخصٌ معين، بل كل من اتصف بها.

وقيل: المقصود بها: الوليد بن المغيرة؛ لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين، وكان كذلك.

وقيل: أبو جهل.

وقيل: الأخنس بن شَرِيق، ويؤيد هذا: أنه كانت له زَنَمَةٌ في عنقه، قال ابن عباس: عرفناه بزئمته، وكان أيضًا من ثقيف، ويعدّ في بني زُهرة، فيصح وصفه بزئيم على القولين.

وقيل: الأسود بن عبد يغوث.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ في موضع مفعول من أجله، متعلّق بقوله: ﴿وَلَا تُطْعَمُ﴾ أي: لا تطعه بسبب كثرة ماله وبنيه.

(١) في ب، د: «لائم».



ويجوز أن يتعلق بما بعده، والمعنى على هذا: أنه قال في القرآن: أساطير الأولين؛ لأنه ذو مال وبنين، يتكبر بماله وبنيه، والعامل في ﴿أَنْ كَانَ﴾ على هذا فعلٌ من المعنى، ولا يجوز أن يعمل فيه ﴿قَالَ﴾ الذي هو جواب ﴿إِذَا﴾؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله.

والأول أظهر.

وقد تقدم معنى ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُورِ﴾ أصل الخرطوم: أنف السبع، ثم استعير للإنسان استخفافاً به، وتقبيحاً له.

والمعنى: نجعل له سِمةً وهي العلامة على خرطومه.

واختلف في هذه السمة:

ف قيل: هي الضربة بالسيف يوم بدر.

وقيل: علامة من نار تجعل على أنفه في جهنم.

وقيل: علامة تجعل على أنفه يوم القيامة؛ ليعرف بها.

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي: بلونا قريشاً كما بلونا أصحاب الجنة، وكانوا إخوة من بني إسرائيل لهم جنة، روي: أنها بمقربة من صنعاء، فحلفوا أن لا يعطوا مسكيناً منها شيئاً، وباتوا عازمين على ذلك، فأرسل الله على جنتهم طائفاً من نار فأحرقتها، فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها، فحسبوا أنهم أخطؤوا الطريق، ثم تبينوا فعرفوها، وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما

(١) انظر (٢/٢٥٤).

قالوا، فندموا وتابوا إلى الله .

ووجه تشبيهه قريش بأصحاب الجنة : أن الله أنعم على قريش ببعث محمد ﷺ ، كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة ، فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك ، فعاقبهم الله كما عاقبهم .

وقيل : شبه قريشاً لما أصابهم الجوع بشدة القحط ، حين دعا عليهم رسول الله ﷺ ؛ بأصحاب الجنة لما هلكت جنتهم .

﴿إِذْ أَنتَمُوا لِحُرْمَتِهَا مُصِحِّينَ﴾ أي : حلفوا أن يقطعوا غلة جنتهم عند الصباح ، وكانت الغلة تمرّاً<sup>(١)</sup> .

﴿وَلَا يَسْتَنُونَ﴾ (١٨) في معناه ثلاثة أقوال :

أحدها : لم يقولوا : «إن شاء الله» حين حلفوا ليصرمونها .

والآخر : لا يستنون شيئاً من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم .

والثالث : لا يتوقفون في رأيهم ولا ينشئوا عنه ؛ أي : لا يرجعون عنه .

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾ قال الفراء : الطائف الأمر الذي يأتي بالليل .

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (٢٠) فيه أربعة أقوال :

الأول : أصبحت كالليل ؛ لأنها اسودّت لما أصابها ، والصريم في اللغة : الليل .

الثاني : أصبحت كالنهار ؛ لأنها ابيضّت كالحصيد ، ويقال : «صريم» لليل وللنهار .

(١) في ج ، د ، هـ : «ثمرّاً» .

الثالث: أن الصريم: الرماد الأسود بلغة بعض العرب.

الرابع: أصبحت كالمصرومة؛ أي: المقطوعة.

﴿فَنَادَوْا مُصِيعِينَ﴾ أي: نادى بعضهم بعضًا حين أصبحوا، وقال بعضهم لبعض: ﴿أَعْدُوا عَلَى حَرْكُكُمْ﴾ أي: جنتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ﴾ لها أي: حاصدين<sup>(١)</sup> لثمرها.

﴿يَتَخَفَتُونَ﴾ يكلم بعضهم بعضًا في السر، ويقولون: ﴿لَا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾.

و﴿أَنْ﴾ في قوله: ﴿أَنْ أَعْدُوا﴾ و﴿أَنْ لَا يَدْخُلُهَا﴾ حرف عبارة وتفسير.

﴿وَعَدُوا عَلَى حَرِّ قَدِيرٍ﴾ (٢٥) في الحرد أربعة أقوال:

الأول: أنه المنع.

والثاني: أنه القصد.

الثالث: أنه الغضب.

الرابع: أن الحرد اسم علم للجنة.

و﴿قَدِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون:

من القدرة؛ أي: قادرين في زعمهم.

أو من التقدير بمعنى التضيق؛ أي: ضيقوا على المساكين.

﴿إِنَّا لَصَّالُونَ﴾ أي: أخطأنا طريق الجنة، قالوا ذلك لما لم يعرفوها، فلما

(١) في د: «قاطعين».

عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ أي: حَرَمَنَا اللهُ خَيْرَهَا .  
 ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: خيرهم وأفضلهم، ومنه: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]  
 أي: خيارًا .

﴿لَوْلَا تَسْتَحِينُ﴾ أي: تقولون: «سبحان الله» .

وقيل: هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه .

وقيل: أراد الاستثناء في اليمين بقولهم<sup>(١)</sup>: «إن شاء الله» .

والأول أظهر؛ لقولهم بعد ذلك: ﴿سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾ .

والمعنى: أن هذا الذي هو أفضلهم كان قد حَضَّهم على التسييح .

﴿يَتَلَوْنَهُ﴾ أي: يلوم<sup>(٢)</sup> بعضهم بعضًا :

على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين .

أو على غفلتهم عن التسييح، بدليل قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تَسْتَحِينُ﴾ .

﴿عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُدْخِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ تَلْبَسُوا الْبَدَلَ: في الدنيا، أو في الآخرة .

والأول أرجح؛ لأنه روي عن ابن مسعود أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودًا .

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي: مثل هذا العذاب الذي نزل بأهل الجنة ينزل بقريش .

(١) في أ، ج، هـ: «كقولهم» .

(٢) في أ: «يلوموا» .

[إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغْتُهُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٢٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ رَعِيمٌ ﴿٣٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣٢﴾ خَلِيعَةً أَبْصَرُهُمْ زَهَقَهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلَامُونَ ﴿٣٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٣٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٣٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٣٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٣٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٤١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾].

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ الهمزة للإنكار؛ أي: كيف يُسَوِّي الله بين المسلمين والمجرمين؟ بل يجازي كل أحد بعمله.

والمراد بالمجرمين هنا: الكفار.

﴿مَا لَكُمْ﴾ توبيخ للكفار، و﴿مَا﴾ مبتدأ و﴿لَكُمْ﴾ خبره، وتمَّ الكلام هنا؛ فينبغي أن يوقف عليه.

﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ توبيخ آخر، أي: كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم؟

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ هذه الجملة معمول ﴿تَدْرُسُونَ﴾، وكان أصل ﴿إِنَّ﴾ الفتح وكسرت لأجل اللام التي في خبرها، و﴿تَخَيَّرُونَ﴾ معناه: تختارون لأنفسكم.

ومعنى الآية: هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم.

﴿أَمْ لَكُمْ أَتْمَنُّ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ﴾ المعنى: هل حلفنا لكم أيماناً أن لكم ما تحكمون؟

ومعنى ﴿بَلِغَةٌ﴾: ثابتة واصلة إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ هو جواب القسم الذي يقتضيه<sup>(١)</sup> الأيمان، ولذلك أكده بـ ﴿إِنَّ﴾ واللام.

و﴿مَا تَحْكُمُونَ﴾ هو اسم ﴿إِنَّ﴾، دخلت عليه اللام المؤكدة.

﴿سَلِّمُوا إِلَهُكُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: يا محمد! اسأل قريشاً أيهم زعيم بهذه الأمور؟

والزعيم: هو الضامن للأمر، القائم به.

﴿أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ هذا تعجيز للكفار، ومعناه: إن كان لكم شركاء يقدرون على شيء فأتوا بهم.

واختلف هل قوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾:

في الدنيا؛ أي: أحضروهم حتى يرى حالهم؟

أو هل يقال لهم ذلك يوم القيامة؟

والشركاء: هم المعبودون من الأصنام وغيرها.

(١) في أ: «تقتضيه».

وقال الزمخشري: معناه: أم لكم ناس يشاركونكم في هذا القول، ويوافقونكم عليه؟ فأتوا بهم، يعني: أنهم لا يوافقهم أحد عليه<sup>(١)</sup>.  
والأول أظهر.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال المتأولون: ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينادي منادي يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع القمر من كان يعبد القمر، ويتبع كل أحد ما كان يعبد، ثم تبقى هذه الأمة وغُبرَات<sup>(٢)</sup> من أهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم: ما شأنكم؟ فيقولون: نتظر ربنا، قال: فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، قال فيقول: أتعرفونه بعلامة ترونها؟ فيقولون: نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون: نعم أنت ربنا ويخرون للسجود فيسجد كل مؤمن، وترجع أصلاب المنافقين عظمًا واحدًا فلا يستطيعون سجودًا<sup>(٣)</sup>».

وتأويل الحديث كتأويل الآية<sup>(٤)</sup>.

(١) الكشف (١٥/٥٩٤).

(٢) جمع غُبر: أي: بقايا. النهاية لابن الأثير (٧/٢٩٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٤) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾» قال المتأولون: ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته، إلخ، أقول: اكتفى المؤلف رحمه الله بذكر قول المتأولين في الآية، وهو أن معنى «﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾» أي: يكشف عن هول يوم القيامة، والساق على هذا هي الشدة، ومن معاني الساق في اللغة الشدة، كقوله تعالى: «وَاللَّفْقَ السَّاقِ بِالسَّاقِ» أي: اتصلت الشدة بالشدة عند الموت، وذكر المؤلف الحديث =

﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ تفسيره في الحديث الذي ذكرنا .

فإن قيل : كيف يدعون في الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف؟

فالجواب : أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود لله في الدنيا ، لا على وجه التكليف والعبادة .

﴿وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ أي : قد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود فيمتنعون منه ، وهم سالمون في أعضائهم قادرون عليه .

﴿قَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَذَا الْحَدِيثَ﴾ تهديد للمكذبين بالقرآن .

وإعراب ﴿وَمَنْ يُكَذِّبُ﴾ مفعول معه ، أو معطوف .

وقد ذكرنا في «الأعراف» ﴿سَنَسْأَلُهُمْ﴾ وما بعده<sup>(١)</sup> .

﴿أَمْ سَأَلْتَهُمْ أَجْرًا﴾ معناه : أنت لا تسألهم أجره على الإسلام فتثقل عليهم ، فلا عذر لهم في تركهم الإسلام .

وقد فسرنا هذا وما بعده في «الطور»<sup>(٢)</sup> .

= وأجراه مجرى الآية ، والقول الثاني الذي أعرض عنه المؤلف أن المراد بالساق ساق الله تعالى ، كما في رواية في الصحيح : «يكشف ربنا عن ساقه» ، فالحديث يفسر الآية ، فيكون معناها : يوم يكشف ربنا عن ساقه ، ويؤيد ذلك أنه حينئذ يسجد له كل من كان يسجد في الدنيا استجابة وطاعة ، ويعجز المنافقون عن السجود ، كما يدل لذلك الآية والحديث ، والآية تحتل القولين ، وتفسيرها بما دل عليه الحديث أولى ؛ فإن السنة تفسر القرآن .

(١) انظر (٢/٤٢٢) .

(٢) انظر صفحة ٢٣١ .



﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يقتضي مسالمة للكفار، نُسخت بالسيف.

﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ هو يونس عليه السلام، وسماه صاحب الحوت؛ لأن الحوت ابتلعه، وهو أيضًا ذو النون، والنون هو الحوت.

وقد ذكرنا قصته في «الأنبياء»<sup>(١)</sup> و«الصفات»<sup>(٢)</sup>.

فنهى الله محمدًا ﷺ أن يكون مثله في الضجر والاستعجال حتى ذهب مغاضبًا.

وروي أن هذه الآية نزلت لما همَّ النبي ﷺ أن يدعو على الكفار.

﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ هذا آخر ما جرى ليونس، ونداؤه: هو قوله في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

والمكظوم: الشديد الحزن.

﴿لَنُذِيقَنَّهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ هذا جواب ﴿لَوْلَا﴾، والمنفي هو الذم، لا نُبْذُ بالعراء؛ فإنه قد قال في «الصفات»: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ [الصفات: ١٤٥].

فالمعنى: لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم، لكنه نبذ وهو غير مذموم.

وقد ذكرنا العراء في «الصفات»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ عبارة عن شدة عداوتهم.

(١) انظر (١٦٤/٣).

(٢) انظر (٦٨٢/٣).

(٣) انظر (٦٨٤/٣).

و﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، بدليل دخول اللام.

و﴿لَيَزِلُّ قُنُوكَ﴾ معناه: يُهلكونك، كقولك: «نظر فلان إلى عدوه نظراً كاد يصرعه»، وأصله: من زلق القدم.

وقرئ بفتح الياء وضمها، وهما لغتان.

وقيل: إن المعنى: يأخذونه بالعين، وكان ذلك في بني أسد، كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شيء إلا أصابه بالعين، فأراد بعضهم أن يصيب النبي ﷺ فعصمه الله من ذلك.

وقال الحسن: دواء الإصابة بالعين قراءة هذه الآية.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالِينَ﴾ يعني: القرآن؛ أي: هو موعظة وتذكير للخلق.



## ﴿ سورة الحاقة ﴾

[ ﴿ الْحَاقَّةُ ١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤﴾  
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦﴾ سَخَّرَهَا  
عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ حَاوِيَةٍ ٧﴾  
فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ٩﴾ فَعَصَوْا  
رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمُ فِي الْغَارِيَةِ ١١﴾ لِنَجْمَلَهَا لَكُمْ  
نَذِيرَةً وَنَعِيهَا أَذُنٌ وَاعِيَةٌ ١٢﴾ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ١٣﴾ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا  
دَكَّةً وَاحِدَةً ١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ١٦﴾ وَالْمَلَكُ  
عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ١٨﴾  
فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْثَرُ ١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبَائِيَةٍ ٢٠﴾  
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا  
بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَرَأَيْتُ أَتَى كِتَابِيَةٍ ٢٥﴾  
وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةٍ ٢٦﴾ بَلَيْتَنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي ٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي  
سُلْطَانِيَّةٌ ٢٩﴾ خَذُوهُ فَعْلُوهُ ٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ٣٢﴾  
إِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ٣٣﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا  
حَمِيمٌ ٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ٣٧﴾ ] .

﴿ الْحَاقَّةُ ١﴾ هي القيامة ، ووزنها فاعلة .

وسميت الحاقة :

لأنها تَحِقُّ، أي: يصح وجودها، ولا ريب في وقوعها.

أو لأنها حَقَّتْ<sup>(١)</sup> لكل أحد جزاء عمله.

أو لأنها تبدي حقائق الأمور.

﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٢) ﴿مَا﴾ استفهامية يراد بها التعظيم، وهي مبتدأ وخبرها ما بعده، والجملة خبر ﴿الْحَاقَّةُ﴾.

وكان الأصل: «الحاقة ما هي؟»، ثم وضع الظاهر موضع المضمرة زيادةً في التعظيم والتهويل.

وكذلك ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٣) لفظه الاستفهام، والمراد به: التعظيم والتهويل.

﴿بِالْقَارِعَةِ﴾ هي القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تَقْرَعُ القلوب بأهوالها.  
﴿بِالطَّائِفَةِ﴾ يعني: الصيحة التي أخذت ثمود، وسميت بذلك لأنها جاوزت الحد في الشدة.

وقيل: الطاغية مصدر، فكأنه قال: أهلكوا بطغيانهم، فهو كقوله:  
﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنِهَا﴾ (١١) [الشمس: ١١].

وقيل: هي صفة لمحذوف تقديره: أهلكوا بسبب الفعلة الطاغية، أو الفئة الطاغية.

(١) في ب: «حَقَّتْ».

والباء :

على هذين القولين : سببية .

وعلى القول الأول : كقولك : « قتلتي زيدًا بالسيف » .

﴿ بِرِيحٍ صَّارِصٍ ﴾ ذكر في « فصلت » <sup>(١)</sup> .

﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ أي شديدة ، وسميت بذلك ؛ لأنها عَتَتْ على عاد .

وقيل : عَتَتْ على خُزَّانِهَا <sup>(٢)</sup> ، فخرجت بغير إذْنِهِمْ .

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ ﴾ روي أنها بدأت صبيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال ، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر .

﴿ حُسُومًا ﴾ ابن عباس : معناه : كاملة متتابعة لم يتخلَّلْها غير ذلك .

وقيل : معناه شُومًا ونَحْسًا .

وقيل : هو جمع حاسم ، من الحسم وهو القطع ؛ أي : قطعتهُم بالإهلاك .

ف ﴿ حُسُومًا ﴾ :

على القولين الأولين : مصدر في موضع الحال .

وعلى الثالث : حال ، أو مفعول من أجله .

﴿ فَزَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى ﴾ جمع صريع ، وهو المطروح بالأرض .

(١) انظر صفحة ١٣ .

(٢) في د : « خزنتها » .

والضمير المجرور يعود:

على منازلهم؛ لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها.

أو على الأيام والليالي.

أو على الريح.

﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ تقدم في «القمر» معنى تشبيههم بأعجاز النخل<sup>(١)</sup>.

والخاوية: هي التي خَلَتْ من طول بِلَاها وفسادها.

﴿مَنْ بَاقِيَةٍ﴾ أي: من بقية.

وقيل: من فئة باقية.

وقيل: إنه مصدر بمعنى البقاء.

﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ يريد: من تقدم قبله من الأمم الكافرة، وأقربهم إليه قوم شعيب، والظاهر أنهم المراد؛ لأن عادًا وثمود قد ذُكِرَا، وقوم لوط هم المؤتفكات، وقوم نوح قد أُشير إليهم في قوله: ﴿لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمُ فِي الْجَارِيَةِ﴾.

وقرئ ﴿قَبْلَهُ﴾ بكسر القاف وفتح الباء، ومعناه: جنده وأتباعه.

﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ إما أن يكون:

مصدرًا بمعنى الخطيئة.

أو صفةً لمحذوف تقديره: بالفعل الخاطئة.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ إن عاد الضمير على فرعون وقومه: فالرسول موسى ﷺ .

وإن عاد على المؤتفكات: فالرسول لوط ﷺ .

وإن عاد على الجميع: فالرسول اسم جنس، أو بمعنى الرسالة.

﴿رَأَيْتُ﴾ أي: عظيمة، وهو من قولك: ربا الشيء: إذا كثر.

﴿طَغَا الْمَاءُ﴾ عبارة عن كثرته، فيحتمل أن يريد:

أنه طغى على أهل الأرض.

أو على خُرَّانه.

يعني: وقت طوفان نوح ﷺ .

﴿حَمَلْنَاكَ فِي الْجَارِيَةِ﴾ هي السفينة.

فإن أراد سفينة نوح: فمعنى ﴿حَمَلْنَاكَ﴾: حملنا آباءكم؛ لأن كل من على الأرض من ذرية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه في السفينة.

وإن أراد جنس السفن: فالخطاب على حقيقته.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ الضمير للفعلة، وهي الحمل في السفينة.

وقيل: للسفينة:

فإن أراد جنس السفن: فالمعنى: أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركبها أو سمع بها.

وإن أراد سفينة نوح: فقد قيل: إن الله أبقاها حتى رأى بعض عيdanها أوائل هذه الأمة.

﴿وَتَعْيَاهُ أَذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ ، وهذا يقوّي أن يكون للفعلة .

والأذن الواعية : هي التي تفهم ما تسمع وتحفظه ، يقال : وَعَيْتُ العلم : إذا حَصَلَتْه ، ولذلك عَبَّرَ بعضهم عنها بأنها التي عَقَلَتْ عن الله .

وروي أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب : «إني دعوت الله أن يجعلها أذُنك يا عليّ» ، قال عليّ : فما نسيت بعد ذلك شيئاً سمعته<sup>(١)</sup> .

قال الزمخشري : إنما قال : ﴿أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ بالتوحيد والتنكير ؛ للدلالة على قلة الوعاة ، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم ، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عَقَلَتْ عن الله تعالى فهي المعتبرة عند الله دون غيرها<sup>(٢)</sup> .

﴿نَفْخَةٌ وَحِدَةٌ﴾ يعني : نفخة الصعق ، وهي الأولى .

﴿فَذُكِّنَا﴾ الضمير للأرض والجبال .

ومعنى ﴿ذُكِّنَا﴾ : ضرب بعضها ببعض حتى تندق ، وقال الزمخشري : والدك أبلغ من الدق<sup>(٣)</sup> .

وقيل : معناه : بسطت حتى تستوي الأرض والجبال .

﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي : قامت القيامة .

وقيل : صخرة بيت المقدس ، وهذا ضعيف .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/٢٢٢) .

(٢) الكشف (١٥/٦١٣) .

(٣) الكشف (١٥/٦١٦) .



﴿وَاهِيَةً﴾ أي: مسترخية ساقطة القوة، ومنه قولهم: «دار واهية» أي: ضعيفة الجدران.

﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ الملك هنا: اسم جنس.

والأرجاء: الجوانب، واحدها رَجَا - مقصور -، والضمير يعود على السماء.

والمعنى: إن الملائكة يكونون يوم القيامة على جوانب السماء؛ لأنها إذا وهت وقفوا على أطرافها.

وقيل: يعود على الأرض؛ لأن المعنى يقتضيه، وإن لم يتقدم ذكرها، وروي في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفًا على جوانب الأرض. والأول أظهر وأشهر.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ ابن عباس: هي ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم أحد عدَّتْهم.

وقيل: ثمانية أملاك، رؤوسهم تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة، ويؤيد هذا: ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة قَوَّاهم الله بأربعة سواهم»<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خطاب لجميع العالم.

والعرض: البعث و<sup>(٢)</sup>الحساب.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢٩/٢٣).

(٢) في أ، هـ: «أو».

﴿خَافِيَةً﴾ أي: حالٌ خافية من الأعمال والسرائر.  
ويَحْتَمِلُ المعنى: لا يخفى من أجسادكم شيء؛ لأنهم يحشرون حفاة عراة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَتَبَ بِبِمِينِهِ﴾ الكتاب هنا: صحائف الأعمال.  
﴿فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ اسم فعل.  
قال ابن عطية: معناه: تعالوا<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: هو صوت يفهم منه معنى: «خُذْ»، و﴿كِتَابَهُ﴾ مفعولٌ يطلبه ﴿هَؤُلَاءِ﴾ و﴿أَقْرَأُوا﴾ من طريق المعنى، تقديره: «هاؤم كتابي اقرؤوا كتابي» ثم حُذف<sup>(٢)</sup> لدلالة الآخر عليه<sup>(٣)</sup>.

وعمل فيه:

العامل الثاني، - وهو ﴿أَقْرَأُوا﴾ - عند البصريين.  
والعامل الأول - وهو ﴿هَؤُلَاءِ﴾ - عند الكوفيين.  
والدليل على صحة قول البصريين: أنه لو أُعمل الأول لقال: «اقرؤوه». والهاء في ﴿كِتَابَهُ﴾ للوقف، وكذلك في ﴿حِسَابِهِ﴾ و﴿مَالِهِ﴾ و﴿سُلْطَانِيَّةِ﴾ وكان الأصل أن تسقط في الوصل، لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف، وقد أسقطها في الوصل بعضهم.

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩٢).

(٢) أي: حذف مفعول ﴿هَؤُلَاءِ﴾.

(٣) الكشاف (١٥/ ٦٢١).

ومعنى الآية: أن العبد الذي يُعطى كتابه بيمينه يقول للناس: «اقرأوا كتابيه» على وجه الاستبشار والسرور بكتابه.

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ الظن هنا: بمعنى اليقين.

﴿رَاضِيَةً﴾ أي: ذات رضا، كقولهم: تَامِرٌ لصاحب التمر.

قال ابن عطية: ليست بناء اسم فاعل<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: يجوز أن يكون اسم فاعل، نُسب الفعل إليها مجازاً، وهو لصاحبها حقيقة<sup>(٢)</sup>.

﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع قِطْف - بكسر القاف -<sup>(٣)</sup> وهو ما يُجْتَنَى من الثمار ويقطف كالعنقود.

﴿دَانِيَةً﴾ أي: قريبة، وروي أن العبد يأخذها بفمه من شجرها، على أيّ حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع.

﴿أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: قدمتم من الأعمال الصالحة.

﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي: الماضية، يعني: أيام الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ هم الكفار بدليل قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>، فجعل علة إعطائهم كتبهم<sup>(٤)</sup> بشمالهم عدم إيمانهم.

(١) المحرر الوجيز (٨/٣٩٣).

(٢) الكشف (١٥/٦٢٢).

(٣) قوله «بكسر القاف» زيادة من أ، هـ.

(٤) في أ، د: «كتابهم».

وأما المؤمنون فيعطون كتبهم<sup>(١)</sup> بأيمانهم.

لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم، هل يعطى كتابه قبل دخوله النار؟ أو بعد خروجه منها؟ وهذا أرجح لقوله: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابَكُمْ﴾؛ لأن هذا كلام مسرور، فيبعد أن يقوله من يُحمل إلى النار.

﴿فَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي﴾ أي: يتمنى أنه لا يعطاه<sup>(٢)</sup> كتابه.

وقال ابن عطية: يتمنى أن يكون معدومًا لا يجري عليه شيء<sup>(٣)</sup>.

والأول أظهر.

﴿يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ أي: ليت الموتة الأولى كانت القاضية، بحيث لا يكون بعدها بعث ولا حياة.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ أي: يحتمل أن يكون:

نفياً.

أو استفهاماً يراد به النفي.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي﴾ أي: زال عني ملكي وقدرتي.

وقيل: ذهب عني حجتي.

﴿خَذُوهُ﴾ خطاب للزبانية، يقوله لهم:

الله تعالى.

(١) في أ، ج، د: «كتابهم».

(٢) في د: «لا يعطى».

(٣) المحرر الوجيز (٨/٣٩٣).

أو الملائكة بأمر الله .

﴿فَعُلُّوْهُ﴾ أي : اجعلوا غُلًّا في عنقه .

وروي أنها نزلت في أبي جهل .

﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ معنى ﴿ذَرْعُهَا﴾ : أي مبلغ أذرع كيلها .

واختلف في هذا الذراع :

ف قيل : إنه الذراع المعروف .

وقيل : هو بذراع الملك .

وقيل : في الذراع سبعون باعًا ، كل باع كما بين مكة والكوفة .

ولله در الحسن البصري في قوله : الله أعلم بأي ذراع هي ! .

وجعلها سبعين ذراعًا ؛ لإرادة وصفها بالطول ، فإن السبعين من الأعداد التي تقصد بها العرب التكثير .

ويحتمل أن تكون هذه السلسلة :

لكل واحد من أهل النار .

أو تكون بين جميعهم ، وقد حكى الثعلبي ذلك <sup>(١)</sup> .

﴿فَأَسْلُكُوْهُ﴾ أي : أدخلوه ، وروي أن هذه السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج على دبره ، ف ﴿أَسْلُكُوْهُ﴾ على هذا من المقلوب في المعنى ، كقولهم : «أدخلت القلنسوة في رأسي» .

(١) الكشاف والبيان (١٠ / ٣١) .

وروي : أنها تُلَوَّى عليه حتى تَغْمَهُ وتَضْغَطَهُ ، فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها .

وإنما قدم قوله : ﴿ فِي سِلْسِلَةٍ ﴾ على ﴿ فَأَسْلُكُوهُ ﴾ لإرادة الحصر ؛ أي : لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة .

وكذلك قَدَّمَ ﴿ الْجَحِيمَ ﴾ على ﴿ صَلَّوْهُ ﴾ لإرادة الحصر أيضًا .  
﴿ طَعَامَ الْمَسْكِينِ ﴾ يحتمل :

أن أراد إطعام المسكين ، فوضع الاسم موضع المصدر .

أو يقدر : « لا يحض على بذل طعام المسكين » .

وأضاف الطعام إلى المسكين ؛ لأن له إليه نسبة .

ووضَّفه بأنه لا يحض على طعام المسكين يدل على أنه لا يطعمه من باب أولى وأحرى .

وهذه الآية تدل على عِظَمِ الصدقة وفضلها ؛ لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله .

﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴾ (٣٥) فيه قولان :

أحدهما : ليس له صديق .

والآخر : ليس له شراب ، ولا طعام إلا من غسيلين ، فإن الحميم : الماء الحار ، والغسلين : صديد أهل النار عند ابن عباس .

وقيل : شجر يأكله أهل النار .

وقال اللغويون: هو ما يجري من الجراح إذا غُسلت، وهو «فَعْلين» من الغَسَل.

﴿الْخَطِئُونَ﴾ جمع خاطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمِّدًا، والمخطئ: الذي يفعله بغير تعمُّد.



[﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾].

﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ «لا» زائدة غير نافية.

﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ يعني: جميع الأشياء؛ لأنها تنقسم إلى ما يُبصر وما لا يبصر، كالدنيا والآخرة، والإنس والجن، والأجسام والأرواح، وغير ذلك.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جواب القسم، والضمير للقرآن.

والرسول الكريم: جبريل.

وقيل: محمد عليهما الصلاة والسلام.

﴿قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ﴾ قال ابن عطية: يحتمل أن تكون ﴿مَّا﴾:

نافية، فنفي إيمانهم بالجملة.

أو تكون مصدرية، فوصف إيمانهم بالقلة<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: القلة هنا بمعنى العدم؛ أي: لا تؤمنون ولا تذكرون ألبتة<sup>(٢)</sup>.

(١) المحرر الوجيز (٣٩٧/٨).

(٢) الكشف (٦٣٠/١٥).



﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) التَّقْوُلُ : هو أن ينسب إلى أحد ما لم يقل .  
ومعنى الآية : لو تقوّل علينا محمد لعاقبناه ، ففي ذلك برهان على أن القرآن<sup>(١)</sup> من عند الله .

﴿لَاخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ابن عباس : اليمين هنا : القوة ، ومعناه : لو تقوّل علينا لأخذناه بقوتنا .

وقيل : هي عبارة عن الهوان ، كما يقال لمن يُسَجَن : أُخِذَ بيده وبيمينه .  
وقال الزمخشري : معناه : لو تقوّل علينا لقتلناه ، ثم صور صورة القتل ليكون أهول ، وعبر عن ذلك بقوله : ﴿لَاخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٥) ؛ لأن السيّاف إذا أراد أن يضرب المقتول في جيده أخذ بيده اليمنى ؛ ليكون ذلك أشد عليه ؛ لنظره إلى السيف<sup>(٢)</sup> .

﴿الْوَيْتَيْنِ﴾ نياط القلب ، وهو عرق إذا قُطِع مات صاحبه ، فالمعنى : لقتلناه .

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (٤٧) الحاجز : المانع ، والمعنى : لو عاقبناه لم يمنع أحد منكم ولم يدفع عنه عقابنا<sup>(٣)</sup> .

وإنما جمع ﴿حَاجِزِينَ﴾ ؛ لأن ﴿أَحَدٍ﴾ في معنى الجماعة .

﴿وَأَنْتُمْ لَذِكْرُهُ﴾ الضمير : للقرآن .

(١) في ب زيادة : «كلام الله وهو . . .» .

(٢) الكشف (١٥/٦٣٢) .

(٣) في أ ، هـ : «عقابنا» .

وقيل : لمحمد ﷺ .

والأول أظهر .

﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي : حسرة عليهم في الآخرة ؛ لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين .

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٥١) قال الكوفيون : هذا من إضافة الشيء إلى نفسه ، كقولك : مسجد الجامع .

وقال الزمخشري : المعنى : عين اليقين ، ومحض اليقين (١) .

وقال ابن عطية : ذهب الحذاق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه (٢) .



(١) الكشف (١٥/٦٣٤) .

(٢) المحرر الوجيز (٨/٣٩٨) .

## ﴿ سورة المعارج ﴾

[﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبْصَرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصَّلَتْهُ أَلْفُ نَفْسٍ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأُطَى ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتٍ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾].

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ من قرأ ﴿سَأَلَ﴾ بالهمز: احتمل معنيين:

أحدها: أن يكون بمعنى الدعاء؛ أي: دعا داع بعذاب واقع، وتكون الإشارة إلى قول الكفار: «أمطر علينا حجارة من السماء»، وكان الذي قالها النضر بن الحارث.

والآخر: أن يكون بمعنى الاستخبار؛ أي: سأل سائل عن عذاب واقع، والباء على هذا بمعنى: «عن»، وتكون الإشارة إلى قولهم: «متى هذا الوعد؟» وشبه ذلك.

وأما من قرأ ﴿سَال﴾ بغير همز: فيحتمل وجهين:  
 الأول: أن يكون مخففاً من المهموز، فيكون فيه المعنيان المذكوران.  
 والثاني: أن يكون من سال السيل: إذا جرى، ويؤيد ذلك: قراءة ابن عباس: «سال سَيْلٌ»، وتكون الباء على هذا كقولك: «ذهب بزيد». وإذا كان من السيل احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون شبه العذاب في شدته وسرعة وقوعه بالسيل.  
 وثانيهما: أن يكون حقيقة، قال زيد بن ثابت: في جهنم واد يقال له: سائل.

فتلخص من هذا: أن في القراءة بالهمز<sup>(١)</sup> معنيين، وفي القراءة بغير همز أربعة معان.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يحتمل:

[أ-] أن يتعلق بـ ﴿وَأَقْرَبَ﴾، وتكون اللام:

بمعنى «على».

أو تكون صفة للعذاب.

(١) في أ، ب، ج، هـ زيادة: «يحتمل»!.

[ب-] أو يتعلق ب ﴿سَالٌ﴾ إذا كانت بمعنى : دَعَا ، أي : دعا للكافرين بعذاب .

[ج-] أو يكون مستأنفاً ، كأنه قال : هو للكافرين .

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يتعلق :

ب ﴿وَأَقْعِرْ﴾ ؛ أي : واقع من عند الله .

أو ب ﴿دَافِعٌ﴾ ؛ أي : ليس له دافع من عند الله .

أو يكون صفة ل ﴿عَذَابٍ﴾ .

أو مستأنفاً .

﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ جمع مَعْرَج ، وهو المصعد إلى علوٍ ، كالسُّلَّم والمدارج التي يُرتقى بها .

قال ابن عطية : هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة<sup>(١)</sup> .

وقيل : هي المراقي إلى السماء ، وهذا أظهر ؛ لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة والروح إليه ، أي : إلى عرشه ، ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه<sup>(٢)</sup> .

فالعروج : هو من الأرض إلى العرش<sup>(٣)</sup> .

(١) المحرر الوجيز (٨ / ٤٠١) .

(٢) في هـ : «وقضاؤه» .

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف ﷺ : «قال ابن عطية : هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة» ، أقول : يريد ابن عطية أن المعارج أمور معنوية ، =

والروح هنا : جبريل عليه السلام بدليل قوله : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ﴾

[الشعراء : ١٩٣-١٩٤].

وقيل : الروح : ملائكة حفظة على الملائكة ، وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقله .

وقيل : الروح : جنس أرواح الناس وغيرهم .

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ اختلف في هذا اليوم على قولين : أحدهما : أنه يوم القيامة .

والآخر : أنه في الدنيا .

والصحيح : أنه يوم القيامة ؛ لقول رسول الله ﷺ في حديث مانع الزكاة : «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صُفِّحت له صفائح من نار يَكْوَى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد»<sup>(١)</sup> يعني : يوم القيامة .

= وهي صفات الكمال ، فلا تدل على علو الذات في حقه تعالى ، بل على علو القدر ، وهذا يتفق مع مذهب نفاة علو الله بذاته ، ولكن ابن جزى رحمه الله رجح أن المعارج هي المصاعد إلى السماء ، بدليل قوله تعالى : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ ، ولكنه قال : تعرج الملائكة والروح إليه أي : إلى عرشه ، وهذا تأويل بصرف الكلام عن ظاهره ، وهو أنها تعرج إلى الله ، ولا موجب لهذا التأويل إلا النزعة إلى نفي العلو الذي هو مذهب القوم ، وقد جاء في السنة ما يشهد لظاهر الآية ، وهو قوله ﷺ : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وفيه : «ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي» الحديث . والصواب في الآية أن الملائكة والروح تعرج إلى الله .

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) .

ثم اختلف :

هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة؟ وهذا هو الأظهر .

أو هل وصف بذلك لشدة أهواله؟ كما يقال : «يوم طويل» إذا كان فيه مصائب وهموم .

وإذا قلنا إنه في الدنيا : فالمعنى : أن الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا في خمسين ألف سنة .

وقيل : الخمسون ألف سنة هي مدة الدنيا ، والملائكة تعرج وتنزل في هذه المدة .

وهذا كله على أن يكون قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ ﴾ يتعلق بـ ﴿ تَعْرُجُ ﴾ .

ويحتمل أن يكون ﴿ فِي يَوْمٍ ﴾ صفةً للعذاب ، فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة ، والمعنى على هذا مستقيم .

﴿ فَأَصْرِ ﴾ هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره ، أي : اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب ، ولذلك وصفه بالقرب ؛ مبالغة في تسلية النبي ﷺ .

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴾ (١) يحتمل أن يعود الضمير :

على العذاب .

أو على اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة .

والبعيد يحتمل أن يراد به :

بُعد الزمان .

أو بُعد الإمكان.

وكذلك القرب يحتمل أن يراد به:

قرب الزمان؛ لأن كل آت قريب، ولأن الساعة قد قربت.

أو قرب الإمكان؛ لقدرة الله عليه.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِ ۖ ۞﴾ ﴿٨﴾ ﴿يَوْمَ﴾ هنا:

[أ-] بدل من ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

[ب-] أو بدل من الضمير المنصوب في ﴿وَنَرْنَهُ﴾.

[ج-] أو منصوب:

بقوله: ﴿قَرِيبًا﴾.

أو بقوله: ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمِ﴾.

أو بفعل مضمر تقديره: اذكر، أو: يقع العذاب يوم تكون السماء كالمهل.

والمهل: هو دُرْدِيُّ الزيت، شَبَّ السماء به في سوادها وانكدار أنوارها

يوم القيامة.

وقيل: هو ما أذيب من الفضة ونحوها، شَبَّ السماء به في تلونه.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ ۞﴾ العِهْن: هو الصوف، شَبَّ الجبال به في انتفاشه

وتخلخل<sup>(١)</sup> أجزائه.

(١) في ج، د: «وتخلل».



وقيل: هو الصوف المصبوغ ألواناً، فكيون التشبيه في الانتفاش، وفي اختلاف الألوان؛ لأن الجبال منها بيض وسود وحممر.

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ الحميم هنا: الصديق، والمعنى: لا يسأل أحد من حميمه نصرة ولا إغاثة<sup>(١)</sup>؛ لعلمه أنه لا يقدر له على شيء.

وقيل: لا يسأله عن حاله؛ لأن كل أحد مشغول بنفسه.

﴿يُبْصِرُكُمْ﴾ يقال: بَصَرَ الرجلُ بالرجل: إذا رآه، وبَصَرْتُهُ إياه - بالتشديد -: إذا أريته إياه.

والضميران يعودان على الحميمين؛ لأنهما في معنى الجمع.

والمعنى: أن كل حميم يُبْصَرُ حميمه يوم القيامة فيراه، ولكنه لا يسأله.

﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ يعني: امرأته.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ يعني: القرابة الأقربين.

﴿تُؤَيِّدُ﴾ أي: تضمه، فيحتمل أن يريد:

تضمه في الانتماء إليها.

أو في نصرته وحفظه من المضرات.

﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ الفاعل الافتداء الذي يقتضيه ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾، وهذا الفعل

معطوف على ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾، وإنما عطفه بـ ﴿ثُمَّ﴾ إشعاراً ببعد النجاة وامتناعها، ولذلك زجره عن ذلك بقوله: ﴿كَلَّا﴾.

(١) في أ، هـ: «إغاثة».

﴿إِنِّهَا لَظَى﴾ الضمير للنار؛ لأن العذاب يدل عليها.

ويحتمل أن يكون ضمير القصة وفسره بالخبر.

و﴿لَظَى﴾ علم لجهنم، مشتق من اللظى بمعنى اللهب.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾ (١٦) الشوى: أطراف الجسد.

وقيل: جلد الرأس، فالمعنى: أن النار تنزعها ثم تعاد.

و﴿نَزَّاعَةً﴾ بالرفع:

بدل من ﴿لَظَى﴾.

أو خبر ابتداء مضمرة.

أو خبر لـ ﴿إِنِّهَا﴾ إن جعلنا ﴿لَظَى﴾ منصوباً على التخصيص، أو بدلاً من الضمير.

أو خبر ثان لـ ﴿إِنِّهَا﴾ إن جعلنا ﴿لَظَى﴾ خبراً لها.

و﴿نَزَّاعَةً﴾ بالنصب: حال.

﴿تَدْعُوا مَن أَذْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ (١٧) يعني: الكفار الذين تولوا عن الإسلام.

ودعاؤها لهم: عبارة عن أخذها لهم.

وقال ابن عباس: تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

وقيل: معناه: تهلك، حكاه الخليل عن العرب.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (١٨) يقال: أوعيتُ المال وغيره: إذا جمعته في وعاء.

فالمعنى : جمع المال وجعله في وعاء ، وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حِلِّه ومنعوه من حقه .

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ الإنسان هنا : اسم جنس ، بدليل الاستثناء منه .  
وسئل أحمد بن يحيى مؤلف «الفصيح» عن الهلوع؟ فقال : قد فسره الله فلا تفسيرَ أَتَيْنَ من تفسيره وهو قوله : ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝﴾<sup>(١)</sup> .

وذكر الله ذلك على وجه الذم لهذا الخُلُق ، ولذلك استثنى منه المصلين ؛ لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا ، فلا يجزَعون من شرها ولا يبخلون بخيرها .

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝﴾ الدوام عليها : هو المواظبة بطول العمر .

والمحافظة عليها المذكورة بعد هذا : هي أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها .

﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ قد ذكرنا في «الذاريات» معنى ﴿حَقٌّ﴾ ، والسائل والمحروم<sup>(٢)</sup> .

ووصفه هنا بالمعلوم :

إن أراد الزكاة : فهي معلومة المقدار شرعًا .

(١) نقله في الكشاف (١٦/١٨) .

(٢) انظر صفحة ٢١٠ .

وإن أراد غيرها : فمعنى المعلوم : أن العبد يجعل على نفسه وظيفة معلومة عنده .

﴿عَبْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي : لا يكون أحد آمناً منه ؛ فإن الأمن من عذاب الله حرام ، فلا ينبغي للعبد أن يزول عنه الخوف حتى يدخل الجنة .

﴿لَا مَنَنْتَهُمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ ذكر في «المؤمنين» ، وكذلك ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ قال ابن عباس : يعني : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وقال الجمهور : يعني : الشهادة عند الحكام ، ثم اختلف على هذا في معنى القيام بها ؟

ف قيل : هو التحقيق لها ، كقوله ﷺ : «على مثل الشمس فاشهد»<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup> .

وقيل : هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع .

فأما إن دعي الشاهد إلى الأداء : فهو واجب عليه .

وأما إذا لم يُدع إلى الأداء : فإن الشهادة على ثلاثة أقسام :

أحدها : حقوق الناس ، فلا يجوز أدائها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك .

(١) انظر (٣/٢٢٧) .

(٢) في ب ، هـ : «فاشهدوا» .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/١١٠) ، وابن عدي في الضعفاء (٤/٦٩) .

والثاني: حقوق الله التي يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والأحباس، فيجب أداء الشهادة بذلك، دُعي أو لم يدع.

الثالث: حقوق الله التي لا يستدام فيها التحريم كالحدود، فهذا ينبغي ستره حتى يدعى إليه.



[﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا فَبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ ٣٦ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ ٣٧ ﴿أَطِيعُ كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ ٣٨ ﴿لَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٩ ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ ٤٠ ﴿عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمُسْبِقِينَ﴾ ٤١ ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ٤٢ ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَحْدَاثِ سَرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ﴾ ٤٣ ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ٤٤].

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا فَبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ ٣٦ أي : مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم ، كان رسول الله ﷺ إذا صَلَّى أَقْبَلَ إِلَيْهِ الْكَافَرِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَسْتَمْعُونَ قِرَاءَتَهُ . ومعنى ﴿فَبَلَكَ﴾ : في جهتك وما يليك .

﴿عِزِينَ﴾ ٣٧ أي : جماعاتٍ شتى وهو جمع عِزَّة - بتخفيف الزاي - ، وأصله : عِزْوَةٌ ، وقيل : عِزْهَةٌ ، ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضاً من اللام المحذوفة .

﴿أَطِيعُ كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ ٣٨ كانوا يقولون : إن كان ثم جنة فنحن أهلها .

﴿لَا﴾ ٣٩ ردع لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة .

﴿لَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٩ كناية عن المنى الذي خلق منه الإنسان .

وفي المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه :

الأول : تحقير الإنسان والردُّ على المتكبرين ، كما قال بعضهم : إن الإنسان خلق من نطفة مذرة<sup>(١)</sup> ، ويصير جيفة قذرة ، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة .

(١) المذرة : القذرة . القاموس المحيط (م ذ ر) .

الثاني: الرُّدُّ على الكفار في طمعهم أن يدخلوا الجنة، كأنه يقول: إنا خلقناكم مما خلقنا منه سائر الناس، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح؛ لأنكم سواء في الخلقة.

الثالث: الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين، فهو قادر على أن يعيدهم، كقوله: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يَمَنِى ۖ﴾ ﴿٣٧﴾ [القيامة: ٣٧] إلى آخر السورة.

﴿فَلَا أَقْسِرُ﴾ معناه: أقسم، و«لا» زائدة.

﴿بِرَبِّ الشَّرَقِ وَالْغَرْبِ﴾ ذكرت في «الصفات»<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ تهديد للكفار بإهلاكهم، وإبدال قوم خير منهم.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: مغلوبين، والمعنى: إنا لا نَعْجِزُ عن التبديل المذكور، أو عن البعث.

﴿فَذَرَّهُمْ﴾ وعيد لهم، وفيه مهادنة منسوخة بالسيف.

﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يعني: يوم القيامة، بدليل أنه أبدل منه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور.

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ النَّصْب: الأصنام، وأصله: كل ما نُصِبَ إلى الإنسان، فهو يَقْصِدُ إليه مسرعًا؛ مِنْ عِلْمٍ أو بِنَاءٍ أو غير ذلك.

وفيه لغات: فتح النون وإسكان الصاد، وضمهما، وضم النون وإسكان الصاد.

و﴿يُؤَفِّضُونَ﴾ معناه: يسرعون.

والمعنى: أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر، كما يسرعون المشي إلى أصنامهم في الدنيا.



## ﴿سورة نوح﴾

[﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١ قَالَ يٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٢ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْتَقُوهُ وَأَطِيعُوا ٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ٤ إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ٦ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ٧ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِي ٨ ءَادَانِهِمْ وَأَسْتَغْشُوا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ٩ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ١٠ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ١١ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ١٢ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ١٣ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ١٤ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٥ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ١٦ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ١٧ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ١٨ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ١٩ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ٢٠ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ٢١ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ٢٢].

﴿أَنْ أَنْذِرْ﴾ و﴿إِنْ أَعْبُدُوا﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَنْ﴾ :

مفسرة .

أو مصدرية على تقدير: «بأن أنذر» و«بأن اعبدوا» .

والأول أظهر .

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يريد:

عذاب الآخرة.

أو الغرق الذي أصابهم.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ ﴿مِنْ﴾ هنا للتبويض أي: يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا؛ لأن الإسلام يَجِبُ ما قبله، ولم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم؛ لأن ذلك في مشيئة الله تعالى.

وقيل: إن ﴿مِنْ﴾ هنا زائدة، وذلك باطل؛ لأن «مِنْ» لا تزداد عنه سيويه إلا في غير الواجب.

وقيل: هي لبيان الجنس.

وقيل: لا ابتداء الغاية.

وهذان قولان ضعيفان في المعنى.

والأول هو الصحيح؛ لأن التبويض فيه متجه.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ظاهر هذا: يقتضي أنهم إن فعلوا ما أمروا به أخرؤا إلى أجل مسمى، وإن لم يفعلوا لم يؤخروا، وذلك مقتضى القول بالأجلين، وهو مذهب المعتزلة، وعلى هذا حملها الزمخشري<sup>(١)</sup>.

وأما على مذهب أهل السنة: فهي من المشكلات، وتأولها ابن عطية فقال: ليس للمعتزلة في الآية تعلق؛ لأن المعنى: أن نوحًا عليه السلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل؟ ولا قال لهم: إنكم تؤخرون عن أجلٍ قد

حان، لكن قد سبق في الأزل إنهم إمّا ممن قُضي له بالإيمان والتأخير، أو ممن قُضي له بالكفر والمعالجة<sup>(١)</sup>.

وكأنّ نوحاً عليه السلام قال لهم: آمنوا يظهر في الوجود أنكم ممن قُضي له بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم على كفركم يظهر في الوجود أنكم ممن قُضي عليه بالكفر والمعالجة، فكأنّ الاحتمال الذي يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يُبرزه الغيب من حالهم؛ إذ يمكن أن يُبرز إمّا الإيمان والتأخير، وإما الكفر والمعالجة، وأما عند الله: فالحال الذي يكون منهم معلوم مقدّر محتوم، وأجلهم كذلك معلوم مقدر محتوم.

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ هذا يقتضي أن الأجل محتوم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، وفي هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذي ذكرنا، وفيه أيضاً ردٌّ على المعتزلة في قولهم بالأجلين.

ولما كان كذلك قال الزمخشري: إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا، وتأول ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذي لا يؤخر هو الأجل الثاني، وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمرهم الله مثلاً ألف عام، وإن لم يؤمنوا عمرهم تسع مئة عام، فالألف عام هي التي لا تؤخر إذا جاءت، والتسع مئة عام هي التي وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا<sup>(٢)</sup>.

(١) المحرر الوجيز (٨/٤١٦).

(٢) الكشف (١٦/٢٩).

﴿دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي: دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم، فذكر المغفرة التي هي مسبب عن الإيمان؛ ليظهر قبح إعراضهم عنه؛ فإنهم أعرضوا عن سعادتهم.

﴿جَعَلُوا أَصْيَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ فعلوا ذلك لئلا يسمعوا كلامه، فيحتمل: أنهم فعلوا ذلك حقيقة.

أو يكون ذلك عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك. ﴿وَأَسْتَعْشَوْا نِيَابَهُمْ﴾ أي: جعلوها غشاوة عليهم؛ لئلا يسمعوا كلامه، أو لئلا يراهم.

ويحتمل:

أنهم فعلوا ذلك حقيقة.

أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم.

﴿وَأَصْرُوا﴾ أي: داموا على كفرهم.

﴿دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ إعراب ﴿جِهَارًا﴾:

مصدر من المعنى، كقولك: قعد القرفصاء.

أو صفة لمصدر محذوف تقديره: دُعاء جهارًا.

أو مصدر في موضع الحال؛ أي: مجاهرًا.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ذكر أولاً أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارًا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية

الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة صلى الله على نبينا وعليه .

قال ابن عطية: الجهار: دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم، والإسرار: دعاء كل واحد على حدة<sup>(١)</sup>.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ﴿مِدْرَارًا﴾: مِفْعَالٌ مِنَ الدَّرِّ، وهو كثرة الماء.

وفي الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار، ولذلك خرج عمر بن الخطاب إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف، ف قيل له: ما رأيـناك استسقيت؟ فقال: «والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء»، ثم نزل المطر<sup>(٢)</sup>.

وشكا رجل إلى الحسن الجدي، فقال له: استغفر الله.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ﴿١٣﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الوقار بمعنى: التوقير والكرامة، فالمعنى: ما لكم لا ترجون أن يوقركم الله في دار ثوابه. قال ذلك الزمخشري، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ على هذا: بيان للموقر، ولو تأخر لكان صفة لـ ﴿وَقَارًا﴾<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أن الوقار بمعنى: التؤدة والتثبت، والمعنى: ما لكم لا ترجون الله تعالى متثبتين؛ حتى تتمكنوا من النظر بوقاركم<sup>(٤)</sup>، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ على

(١) المحرر الوجيز (٨/٤١٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/٢٩٣).

(٣) الكشف (١٦/٣٤).

(٤) في أ: «يتمكنوا من النظر لوقارهم».

هذا : مفعول دخلت عليه اللام ، كقولك : «ضربت لزيد» ، وإعراب ﴿وَقَارًا﴾ على هذا : مصدر في موضع الحال .

الثالث : أن الرجاء هنا بمعنى الخوف ، والوقار بمعنى : العظمة والسلطان ، فالمعنى : ما لكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه ، و﴿لِلَّهِ﴾ على هذا صفة<sup>(١)</sup> للوقار في المعنى .

الرابع : أن الرجاء بمعنى الخوف ، والوقار بمعنى الاستقرار ، من قولك : وقّر في المكان : إذا استقر فيه ، والمعنى : ما لكم لا تخافون الاستقرار في دار القرار إما في الجنة أو النار .

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي : طورًا بعد طور ، يعني : أن الإنسان كان نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغه ، إلى سائر أحواله .

وقيل : الأطوار : الأنواع المختلفة ، فالمعنى : أن الناس على أنواع في ألوانهم وأخلاقهم وألسنتهم وغير ذلك .

﴿طَبَاقًا﴾ ذكر في «الملك»<sup>(٢)</sup> .

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ القمر إنما هو في السماء الدنيا ، وساغ أن يقول ﴿فِيهِنَّ﴾ لأن القمر لما كان في إحداهن فهو في الجميع ، كقولك : فلان في الأندلس كذا : إذا كان في بعضها .

(١) كذا في النسخ الخطية ، ولعلّ الصواب : «صلة للوقار» ، أي : لا تخافون عظمة لله .

انظر : الكشف (٣٥ / ١٦) .

(٢) انظر صفحة ٤٣٨ .

والشمس في السماء الرابعة، وقيل: في الخامسة.

وَجَعَلَ الْقَمَرَ نُورًا وَالشَّمْسَ سِرَاجًا؛ لأن ضوء السراج أقوى من النور، فإن السراج هو الذي يضيء فيُبَصِّرُ به، والنور قد يكون أقل من ذلك.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ هذه عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض.  
و﴿نَبَاتًا﴾:

مصدر على غير الصِّدْر<sup>(١)</sup>.

أو يكون تقديره: أنبتكم فنبتُم نباتًا.

ويحتمل أن يكون منصوبًا على الحال.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يعني: بالدفن.

﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ يعني: بالبعث من القبور.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها.

وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كُرِّيَّة<sup>(٢)</sup>، خلافًا لما ذهب إليه أهل التعديل، وفي ذلك نظر.

﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ذكر في «الأنبياء»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر التعليق في ٥٣٣/١.

(٢) في أ، ب، هـ: «كورية»، وفي المصباح المنير (ك ري): «والنسبة إليها [أي: إلى الكُرَّة] كُرِّيٌّ وَكُرِّيَّةٌ على لفظها».

(٣) انظر (٣/١٤٢).

[﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْم عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ ٢١] ﴿مَكَرًا مَّكَرًا كَبِيرًا﴾ ٢٢ ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ ٢٣ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ ٢٤ ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْجَلُوا فَأَرَأَا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ ٢٥ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ٢٦ ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَبْطِلُوا عِبَادَتَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ ٢٧ ﴿رَبِّ آغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ ٢٨].

﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ يعني: اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم.

وقرئ ﴿وَوَلَدُهُ﴾ بفتحين، و﴿وَلَدُهُ﴾ بضم الواو وسكون اللام، وهما

بمعنى واحد.

﴿وَمَكَرُوا مَكَرًا كَبِيرًا﴾ الكِبَار - بالتشديد - أبلغ من الكِبَار - بالتخفيف - ، والكِبَار المخفف أبلغ من الكبير .

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: وصّى بعضهم بعضًا بذلك .

﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ هذه أسماء أصنام كان قوم نوح يعبدونها .

وروي أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا صوّرهم أهل ذلك العصر من حجارة، وقالوا: ننظر إليها لتتذكر أعمالهم، فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيم من بعدهم لتلك الصور، حتى عبدوها من دون الله، ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها - وقيل: بل الأسماء فقط - إلى قبائل من العرب، فكان ودّ لكلب بدومة الجندل، وكان سواع لهذيل، وكان يغوث لمراد، وكان يعوق لهمدان، وكان نسر لذي الكلاع من حمير .

وقرئ ﴿وَوَدًّا﴾ بفتح الواو وضمها، وهما لغتان .



﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ الضمير للرؤساء من قوم نوح ، والمعنى : أضلوا كثيرًا من أتباعهم .

وهذا من كلام نوح عليه السلام ، وكذلك ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ من كلامه ، وهو دعاء عليهم .

وقال الزمخشري : إنه معطوف على قوله : ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ والتقدير : قال : رب إنهم عصوني ، وقال : ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾<sup>(١)</sup> .  
﴿وَمِمَّا خَطِئْتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ هذا من كلام الله ، إخبارٌ عن أمرهم .  
و«ما» زائدة للتأكيد .

وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضًا ؛ لبيان أن إغراقهم وإدخالهم النار إنما كان بسبب خطيئاتهم ، وهي الكفر وسائر المعاصي .  
﴿فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ يعني : جهنم ، وعبرَ عن ذلك بالفعل الماضي ؛ لأن الأمر محقق .

وقيل : أراد عرضهم على النار ، وعبر عنه بالإدخال .  
﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿٢١﴾ ﴿دَيَّارًا﴾ : من الأسماء المستعملة في النفي العام ، يقال : ما في الدار ديارٌ ؛ أي : ما بها أحد ، ووزنه : فَيْعَال ، وكان أصله : دَيَّوَار ، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء .  
وليس وزنه فَعَال ؛ لأنه لو كان كذلك ل قيل : دَوَّار ؛ لأنه مشتق من الدَّوْر أو من الدار .

وروي أن نوحًا ﷺ لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يؤس من إيمانهم ، وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم .

﴿زَبِ أَغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ يؤخذ من هذا : أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره ، وكان والدًا نوح ﷺ مؤمنين .

قال ابن عباس : لم يكن لنوح أب كافر ما بينه وبين آدم ﷺ ، واسم والد نوح : لَمَكُ بن مُتَوَشِّلِخ وأمه شَمْخَا بيت أنوش ، حكاه الزمخشري <sup>(١)</sup> .

﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتَ مُؤْمِنًا﴾ قيل : بيته : المسجد .

وقيل : السفينة .

وقيل : شريعته ، سماها بيتًا استعارة ، وهذا بعيد .

وقيل : داره ، وهذا أرجح ؛ لأنه الحقيقة .

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم ، وفيه دليل على جواز ذلك ، خلافاً لمن قال من المتأخرين أنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم ، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة .

قال بعض العلماء : إن الإله الذي استجاب لنوح ﷺ ، فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار ، حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات .

﴿نَبَارًا﴾ أي : هلاكًا .

## ﴿ سورة الجن ﴾

[﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَنِيعَهُ وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمِعْ فَهُمْ نِسْمِعُ الْآنَ نُبْحِدُ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَا الْقَاسِطُونَ فَكَأَنَّهُمْ لِيَجْهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَالْوِ اسْتَقَمُّوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذَقًا ﴿١٦﴾ لَنَفْنِئَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾].

﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ تقدمت في «الأحقاف» قصة هؤلاء

الجن الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ وأسلموا<sup>(١)</sup>.

﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ أي: قال بعضهم لبعض.

و﴿عَجَبًا﴾ مصدر وصف به للمبالغة؛ لأن العَجَب مصدر قولك: عَجِبْتُ عَجَبًا.

وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: ذا عجب.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ جَدُّ الله: جلاله وعظمته.

وقيل: غناه، من قولك: فلان مجدودٌ: إذا استغنى.

وقرئ ﴿إِنَّمُ﴾ في هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها، وكذلك فيما بعده إلى قوله: ﴿وَإِنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾.

فأما الكسر:

فاستئناف.

أو عطف على ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾؛ لأنه كُسر في معمول القول، فيكون ما عطف عليه من قول الجن.

وأما الفتح:

فقيل: إنه عطف على قوله: ﴿أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرًا﴾، وهذا خطأ من طريق المعنى؛ لأن قوله: ﴿أَسْمَعَ نَفَرًا﴾ في موضع معمول ﴿أَوْحَى﴾، فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحى، وأن لا يكون من كلام الجن!، وهو من كلام الجن.

وقيل: إنه معطوف على الضمير المجرور في قوله: ﴿فَتَأْمَنَّا بِهِ﴾ وهذا ضعيف؛ لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض.

وقال الزمخشري: هو معطوف على محل الجار والمجرور في ﴿فَتَأْمَنَّا بِهِ﴾ كأنه قال: صدقناه وصدقنا أنه تعالى جدُّ ربنا، وكذلك ما بعده <sup>(١)</sup>.

ولا خلاف في فتح ثلاثة مواضع هي: ﴿أَنَّهُ أَسْمَعَ﴾، و﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا﴾، و﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾؛ لأن ذلك مما أوحى، لا من كلام الجن. ﴿وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ هذا من كلام الجن، وسفيهم: أبوهم إبليس.

وقيل: هو اسم جنس لكل سفيه منهم، واختار ذلك ابن عطية <sup>(٢)</sup>.  
والشطط: التعدي ومجاوزة الحد.

﴿وَإِنَّا ظَنَنَّاهُ أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: ظننا أن الأقوال التي كان الجن والإنس يقولونها على الله صادقة وليست بكذب؛ لأننا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله.

﴿وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ تفسير هذا: ما روي أن العرب كانوا إذا حلَّ أحدهم بوادٍ صاح بأعلى صوته: «يا عزيزَ هذا الوادي إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك»، ويعتقد أن ذلك الجني الذي بالوادي يحميه.

﴿فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا﴾ ضمير الفاعل: للجن، وضمير المفعول: للإنس، والمعنى: أن الجن زادوا الإنس ضللاً وإثماً لما عاذوا بهم.

(١) الكشف (٤٨/١٦).

(٢) المحرر الوجيز (٤٢٨/٨).

أو زادوهم تخويفًا لما رأوا ضعف عقولهم .

وقيل : ضمير الفاعل : للإنس ، وضمير المفعول : للجن ، والمعنى : إن الإنس زادوا الجن تكبرًا وطغيانًا لما عاذوا بهم ، حتى كان الجني يقول : أنا سيد الجن والإنس .

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ الضمير في ﴿ظَنُّوا﴾ لكفار الإنس ، و﴿ظَنَنْتُمْ﴾ خطاب الجن بعضهم لبعض .

فالمعنى : أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدًا .

والبعث هنا يحتمل أن يريد به :

بعث الرسل .

أو البعث من القبور .

﴿وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِثْلَ حَرِّ سَدِيدٍ وَشُهَبًا﴾ هذا إخبار عما حدث عند مبعث النبي ﷺ من منع الجن من استراق السمع في السماء ورجمهم بالنجوم .

واللمس : المس ، واستعير هنا للطلب .

والحرس : اسم مفرد في معنى الحُرَّاس ، كالخَدَم في معنى الخُدَّام ، ولذلك وُصِفَ بشديد وهو مفرد .

ويحتمل أن يريد به :

الملائكة الحُرَّاس .

النجوم الحارسة ، وكرر الشهب ؛ لاختلاف اللفظ .

﴿وَأِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ﴾ المقاعد: جمع مقعد، وقد فسر رسول الله ﷺ صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدًا فوق واحد، فمتى أُحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه، فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها، ثم يزيد الكهان للكلمة مئة كذبة<sup>(١)</sup>.

﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحْدِثْ لَّهُ شَهَابًا مَّصْدَرًا﴾ الرصد اسم جمع للراصد<sup>(٢)</sup>، كالحرس للحارس.

وقال ابن عطية: هو مصدر وُصف به<sup>(٣)</sup>، ومعناه: مُتَنَظِّر.

قال بعضهم: إن رمي الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي ﷺ. واختار ابن عطية والزمخشري: أنه كان قبل المبعث قليلاً، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية<sup>(٤)</sup>.

والدليل أنه كان قبل المبعث: قول رسول الله ﷺ لأصحابه وقد رأى كوكباً انقَضَ: «ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقول وُلد ملك أو مات ملك، فقال رسول الله ﷺ: «ليس الأمر كذلك»، ثم وصف استراق الجن للسمع<sup>(٥)</sup>، وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم.

﴿وَأِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، قال ابن عطية: معناه

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٠).

(٢) في أ، ب، هـ: «للوحد».

(٣) المحرر الوجيز (٤٣١ / ٨).

(٤) المحرر الوجيز (٤٣٠ / ٨)، والكشاف (٥٤ / ١٦).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٢٩).

لا ندري أيؤمن الناس بهذا النبي فيرشدوا ، أو يكفرون به فينزل بهم الشر؟<sup>(١)</sup>  
وقال الزمخشري : معناه : لا ندري هل أراد الله بأهل الأرض خيراً  
أو شراً من عذاب أو رحمة ، أو من خذلان أو توفيق؟

﴿وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ أَي : منا قوم دون ذلك فحذف الموصوف ،  
وأراد به : الذين ليس صلاحهم كاملاً ، أو الذين ليس لهم صلاح ، فإن «دون»  
قد تكون بمعنى «أقل» ، أو بمعنى «غير» .

﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدَا﴾ الطرائق : المذاهب والسير وشبهها ، والقِدْد : المختلفة  
وهو جمع قِدَّة .

وهذا بيان للقسمة المذكورة قبل ، وهو على حذف مضاف ؛ أي : كنا ذوي  
طرائق ، أو كنا في طرائق .

﴿وَإِنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ الظن هنا : بمعنى العلم .

قال ابن عطية : هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم<sup>(٢)</sup> .

ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم .

﴿وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ يعنون : القرآن .

﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ البخس : النقص والظلم ، والرهق : تحميل ما

لا يطاق .

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣١) .

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٢) .



وقال ابن عباس : البخس : نقص الحسنات ، والرهق : الزيادة في السيئات .

﴿وَمِمَّا أَلْقَيْتُكُمْ﴾ يعني : الظالمين ، يقال قَسَطَ الرجل : إذا جار ، وأقسط - بالألف - : إذا عدل .

وها هنا انتهى ما حكاه الله من كلام الجن .

وأما قوله : ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ فيحتمل :

أن يكون من بقية كلامهم .

أو يكون ابتداء كلام الله تعالى ، وهو الذي اختاره ابن عطية<sup>(١)</sup> .

وأما قوله : ﴿وَالْوِاسْتِقَامَ﴾ فهو من كلام الله باتفاق ، وليس من كلامهم .

﴿تَحَرَّوْا﴾ أي : قصدوا الرشد .

﴿وَالْوِاسْتِقَامَ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ الماء الغدق : هو الكثير ، وذلك استعارة في توسيع الرزق .

والطريقة : هي طريقة الإسلام وطاعة الله ، فالمعنى : لو استقاموا على ذلك لوسَّع الله أرزاقهم ، فهو كقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

وقيل : هي طريقة الكفر ، والمعنى على هذا : لو استقاموا على الكفر لوسَّع الله عليهم في الدنيا ؛ إملاء لهم واستدراجاً ، ويؤيد هذا قوله : ﴿لَنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ .

والأول أظهر .

والضمير في ﴿أَسْتَقْمُوا﴾ يحتمل أن يكون :  
للمسلمين .

أو للقاسطين المذكورين .

أو لجميع الجن .

أو للجن الذين استمعوا النبي <sup>(١)</sup> ﷺ .

أو لجميع الخلق .

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة : فمعنى الفتنة : الاختبار  
هل يشكرون أم لا ؟

وإن كانت الطريقة الكفر : فمعنى الفتنة : الإضلال والاستدراج .

﴿نَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ معنى ﴿نَسْلُكُهُ﴾ : ندخله .

والصَّعْدُ : الشديد المشقة ، وهو مصدر صَعِدَ يَصْعَدُ ، ووصف بالمصدر  
للمبالغة ، يقال : فلان في صَعْدٍ ؛ أي : في مشقة .  
وقيل : صَعْدٌ : جبل في النار <sup>(٢)</sup> .

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أراد المساجد على الإطلاق وهي بيوت عبادة الله ،  
وروي : أن الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة .

(١) في د ، هـ : «للنبي» .

(٢) في هـ : «جهنم» .

وقيل: أراد الأعضاء التي يُسجد عليها، واحدها مَسْجَدٌ - بفتح الجيم - ، وهذا بعيد.

وعطف ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ على ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾.

وقال الخليل: معنى الآية: لأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً؛ أي: لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله، فالعامل في ﴿أَنَّ﴾: ﴿فَلَا تَدْعُوا﴾. ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾ هنا: محمد ﷺ ووصفه بالعبودية؛ اختصاصاً له وتقريباً<sup>(١)</sup> وتشريقاً.

وقال الزمخشري: إنما سماه هنا ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾، ولم يقل الرسول أو النبي؛ لأن هذا واقع في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه؛ لأنه مما أوحى إليه، فذكر النبي ﷺ نفسه على ما يقتضيه التواضع والتذلل<sup>(٢)</sup>.

وهذا الذي قاله بعيد، مع أنه إنما يتمكن على قراءة ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ﴾ بفتح الهمزة، فيكون عطفاً على ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾، وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف: فيكون إخباراً من الله، أو من جملة كلام الجن، فيبطل ما قاله.

﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ اللبَد: الجماعات، واحدها لِبْدَةٌ.

والضمير في ﴿كَادُوا﴾ يحتمل:

أن يكون للكفار من الناس، أي: كادوا يجتمعون على الردِّ عليه وإبطال أمره.

(١) في هامش د: «خ: وتكريماً».

(٢) الكشاف (٦٤/١٦).

أو يكون للجن الذين استمعوا، أي: كادوا يجتمعون عليه لاستماع القرآن، والتبرُّك به.



[﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ١٥ ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ١٦ ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ١٧ ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ ١٨ ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ ١٩ ﴿قُلْ إِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ مِمَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُمُ رَبِّي أَمَدًا﴾ ٢٠ ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ٢١ ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ ٢٢ ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ ٢٣].

﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي : ملجأ .

﴿إِلَّا بَلَاغًا﴾ بدل من ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ؛ أي : لا أجد ملجأ<sup>(١)</sup> إلا بلاغ الرسالة .

أو بدل من ﴿ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ : أي : لا أملك شيئاً إلا بلاغ الرسالة .

ويحتمل أن يكون استثناء منقطعاً .

﴿مِنْ اللَّهِ﴾ قال الزمخشري : هذا الجار والمجرور ليس بصلة لبلاغ ، إنما هو بمعنى : بلاغاً كائنًا من الله<sup>(٢)</sup> .

ويحتمل عندي : أن يكون متعلقاً بـ ﴿بَلَاغًا﴾ ، والمعنى : بلاغ عن الله .

﴿وَرِسَالَاتِهِ﴾ قال الزمخشري : إنه معطوف على ﴿بَلَاغًا﴾ ، كأنه قال :  
إلا التبليغ والرسالة<sup>(٣)</sup> .

(١) في ب ، هـ : «منجى» .

(٢) الكشاف (١٦ / ٧٠) .

(٣) الكشاف (١٦ / ٧٠) .

ويحتمل أن يكون ﴿وَرِسَالَتِهِ﴾ معطوفاً على اسم الله .

﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ جمع ﴿خَالِدِينَ﴾ على معنى ﴿وَمَنْ يَعِصِ﴾ ؛ لأنه في معنى الجمع .

والآية في الكفار، وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين ؛ لأن مذهبهم خلودهم في النار .

والدليل على أنها في الكفار وجهان :

أحدهما : أنها مكية ، والسور المكية إنما الكلام فيها مع الكفار .

والآخر : دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار .

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ تعلق ﴿حَتَّىٰ﴾ بقوله : ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ وجُعِلَتْ غاية لذلك .

والمعنى : أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون ، قال ذلك الزمخشري ، وقال أيضاً : يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل عليه المعنى ، كأنه قيل : لا يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون<sup>(١)</sup> ، وهذا أظهر .

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿إِنْ﴾ هنا نافية ، والمعنى : قل : لا أدري أقرب ما توعدون أم بعيد ، وعبر عن بعده بقوله : ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ .  
ويعني بـ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ : قتلهم ببدر ، أو يوم القيامة .

﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ ﴿١٦﴾ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ أي: لا يُطلع على علم الغيب أحدًا إلا من ارتضى، وهم الرسل؛ فإنه يطلعهم على ما شاء من ذلك.

و﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾ لبيان الجنس، لا للتبعض.  
والرسول هنا يحتمل أن يراد به:

الرسل من الملائكة، وعلى هذا حملها ابن عطية<sup>(١)</sup>.

أو الرسل من بني آدم، وعلى هذا حملها الزمخشري<sup>(٢)</sup>، واستدل بها على نفي كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفة بالغيوب؛ فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم.

وفيها أيضًا دليل على إبطال الكهانة والتنجيم وسائر الوجوه التي يدعي أهلها الاطلاع على الغيب؛ لأنهم ليسوا من الرسل.

﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ المعنى: أن الله يسلك من بين يدي الرسول ومن خلفه ملائكة يكونون رصداً يحفظونه من الشياطين<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكرنا ﴿رَصَدًا﴾ في هذه السورة.

قال بعضهم: ما بعث الله رسولاً إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة<sup>(٤)</sup> ربه.

(١) المحرر الوجيز (٨/٤٣٨).

(٢) الكشف (١٦/٧٣).

(٣) في أ، ب، ج: «الشیطان».

(٤) في ج: «رسالات».

﴿لَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ في الفاعل بـ ﴿لَيَعْلَمَ﴾ ثلاثة أقوال :  
 الأول : أي : ليعلم الله أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم ، أي : يعلمه  
 موجودًا ، وقد كان علم ذلك قبل كونه .

الثاني : ليعلم محمد أن الملائكة الرصد قد أبلغوا رسالات ربهم .  
 الثالث : ليعلم من كفر أن الرسل قد أبلغوا الرسالة .  
 والأول أظهر .

وجَمَعَ الضمير في ﴿أَبْلَغُوا﴾ وفي ﴿رَبِّهِمْ﴾ حملاً على المعنى ؛ لأن ﴿مِنْ  
 أَرَزَقْنِي مِنْ رَسُولٍ﴾ يراد به جماعة .  
 ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي : أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع .  
 وهذه الجملة معطوفة على قوله : ﴿لَيَعْلَمَ﴾ ؛ لأن معناه أنه قد علم ، قال  
 ذلك ابن عطية<sup>(١)</sup> .

ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال .  
 ﴿وَأَخَصَّنِي كُلَّ شَيْءٍ عَدْدًا﴾ هذا عمومٌ في جميع الأشياء .  
 و﴿عَدْدًا﴾ منصوب :  
 على الحال .

أو تمييز .

أو مصدر من معنى ﴿أَخَصَّنِي﴾ .

(١) المحرر الوجيز (٨/٤٣٨) .



## ﴿ سورة المزمل ﴾

[﴿يَتَأْتِيَ الْمُزْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَضْفَعُهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَادْكُرْ ائِمَّ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَتَبَّلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْرِجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَنْفَوْنَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾].

﴿يَتَأْتِيَ الْمُزْمَلُ ﴿١﴾﴾ نداء للنبي ﷺ.

ووزن ﴿الْمُزْمَلُ﴾ مُتَفَعَّل فأصله: مُزْمَلٌ، ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي.

وفي تسمية النبي ﷺ بالمزمل ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان في وقت نزول الآية متمزلاً في كساء أو لحاف، والتزمّل: الالتفاف في الثياب بضم وتشمير، هذا قول عائشة والجمهور.

الثاني : أنه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة .

الثالث : أن معناه المتزمل للنبوة ، أي : المشمر ، المُجِدُّ في أمرها .

والأول هو الصحيح ؛ لما ورد في البخاري ومسلم : « أن رسول الله ﷺ لما جاءه الملك وهو في غار حراء في ابتداء الوحي رجع ﷺ إلى خديجة ترعد فرائصه ، فقال : زملوني زملوني » ، فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِيرُ﴾<sup>(١)</sup> ، وعلى هذا نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ﴾ ، فالتزمل<sup>(٢)</sup> على هذا : تزمله من أجل الرعب الذي أصابه أول ما جاء جبريل .

وقال الزمخشري : كان نائماً في قطيفة فنودي ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ لِيُهَجَّنَ<sup>(٤)</sup> إليه الحالة التي كان عليها من التزمل في القطيفة ؛ لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل<sup>(٥)</sup> . وهذا القول بعيد غير سديد .

وقال السهيلي : في ندائه بالمزمل فائدتان :

إحداهما : الملاطفة ، فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها ، كقول النبي ﷺ لعلي : « قم أبا تراب »<sup>(٥)</sup> .

والفائدة الأخرى : التنبيه لكل متزمل راقد بالليل ؛ ليتنبه إلى ذكر الله ؛

(١) أخرجه البخاري (٤) ، ومسلم (١٦١) .

(٢) في ب ، هـ : « فالتزمل » .

(٣) أي : يقبّح ، والتهجين : التقييح . القاموس المحيط ( هـ ج ن ) .

(٤) الكشف (٧٧ / ١٦) .

(٥) أخرجه البخاري (٤٤١) ، ومسلم (٢٤٠٩) .

لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة<sup>(١)</sup>.

﴿فُرِ أَيْلَ﴾ هذا الأمر بقيام الليل اختلف هل هو واجب أو مندوب؟

فعلى القول بالندب: هو ثابت غير منسوخ.

وأما على القول بالوجوب: ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه فرض على النبي ﷺ وحده، ولم يزل فرضاً عليه حتى توفي.

الثاني: أنه فرض عليه وعلى أمته، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، ثم نسخ بقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ الآية، وصار تطوعاً،

هذا قول عائشة رضي الله عنها وهو الصحيح.

واختلف كم بقي فرضاً؟

فقال عائشة: عاماً.

وقيل: ثمانية أشهر.

وقيل: عشرة أعوام، فالآية الناسخة على هذا مدنية.

الثالث: أنه فرض عليه ﷺ وعلى أمته، وهو ثابت غير منسوخ، ولكن ليس الليل كله، إلا ما تيسر منه، وهو مذهب الحسن وابن سيرين.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٢ نَصَفَهُ، أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ ٤ في معنى هذا الكلام أربعة أقوال:

الأول - وهو الأشهر والأظهر - : أن الاستثناء من الليل، وقوله: ﴿نَصَفَهُ﴾

(١) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٥٥-٣٥٦).

بدل من ﴿الَّيْلَ﴾ ، أو من : «قليل» ، وجعل النصف قليلاً بالنسبة إلى الجميع .  
والضميران في : ﴿أَنْقُصْ مِنْهُ﴾ ، و ﴿زِدْ عَلَيْهِ﴾ عائدان على النصف .  
والمعنى : أن الله خيرّه بين ثلاثة أحوال ، وهي : أن يقوم نصف الليل ،  
أو يَنْقُص من النصف قليلاً ، أو يزيد <sup>(١)</sup> عليه .  
القول الثاني : قال الزمخشري : ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ استثناء من النصف ، كأنه  
قال : «نصف الليل إلا قليلاً» <sup>(٢)</sup> .

فخيرّه على هذا بين حالتين ، وهما : أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه ،  
وهذا ضعيف ؛ لأن قوله : ﴿أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ قد تضمن معنى النقص من  
النصف ؛ فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف .

القول الثالث : قال الزمخشري أيضاً : يجوز أن يريد بقوله : ﴿أَنْقُصْ مِنْهُ  
قَلِيلاً﴾ نصف النصف ، وهو الربع ، ويكون الضمير في قوله : ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾  
يعود على ذلك ؛ أي : زد على الربع فيكون ثلثاً <sup>(٣)</sup> .

فالتخير على هذا : بين قيام النصف أو الثلث أو الربع ، وهذا أيضاً بعيد .

القول الرابع : قال ابن عطية : يحتمل أن يكون معنى ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾  
الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها ، والمراد بـ ﴿الَّيْلَ﴾ على هذا :  
الليالي ، فهو جنس <sup>(٤)</sup> ، وهذا بعيد ؛ لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما

(١) في أ ، ج ، هـ : «يزاد» .

(٢) الكشف (١٦/ ٨٣) .

(٣) الكشف (١٦/ ٨٧) .

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٤٤١) .

بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه، فدلّ ذلك على أن المراد بالليل المستثنى بعض أجزاء الليل، لا بعض الليالي.

فإن قيل: لم قيّد النقص من النصف بالقلة فقال: ﴿أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ وأطلق في الزيادة فقال: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل «قليلًا»؟

فالجواب: أن الزيادة تحسّن فيها الكثرة؛ فلذلك لم يقيدها بالقلة، بخلاف النقص، فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثير.

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ الترتيل: هو التمهّل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف، وذلك مُعينٌ على التفكير في معاني القرآن، بخلاف الهذّ الذي لا يفقه صاحبه ما يقول، وكان رسول الله ﷺ يُقَطِّع قراءته حرفًا حرفًا، ولا يمرُّ بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمرُّ بآية عذاب، إلا وقف وتعوّذ<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هذه الآية اعتراض بين آيات قيام الليل.

والقول الثقيل: هو القرآن، واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال:

أحدها: أنه سمي ثقيلاً؛ لِما كان النبي ﷺ يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه، حتى إن جبينه ليتفصّد<sup>(٢)</sup> عرقاً في اليوم الشديد البرد، وقد كان يثقل جسمه ﷺ بذلك حتى إنه إذا أُوحى إليه وهو على ناقته برّكت به، وأُوحى إليه وفخّذه على فخذه زيد بن ثابت فكادت أن تُرَضَّ فخذُ زيد، والثقل على هذا: حقيقة.

(١) أخرجه أحمد (٢٣٢٤٠)، وأبو داود (٨٧١)، والنسائي في الكبرى (٣٦١/١)، وابن

ماجه (١٣٥١).

(٢) في ب، ج، هـ: «يتفصد».

الثاني: أنه ثقیل علی الکفار بإعجازه ووعیده .

الثالث: أن ثقیل فی المیزان .

الرابع: أنه كلام له وزنٌ ورجحان .

الخامس: أنه ثقیل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهي ، وهذا اختيار ابن عطية<sup>(١)</sup> ، وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية قيام الليل ؛ لمشقتها .

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ في الناشئة سبعة أقوال :

الأول: أنه النفس الناشئة بالليل ؛ أي : التي تنشأ<sup>(٢)</sup> من مضجعها وتقوم للصلاة .

الثاني: الجماعة الناشئة الذين يقومون للصلاة .

الثالث: العبادة الناشئة بالليل ؛ أي : تحدث فيه .

الرابع: الناشئة: القيام بعد النوم ، فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة<sup>(٣)</sup> .

الخامس: الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء .

السادس: الناشئة بين المغرب والعشاء .

السابع: ناشئة الليل : ساعاته كلها .

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٤٢) .

(٢) في أ ، هـ : «تنشوا» ! .

(٣) في ب : «ناشئة الليل» ، وفي د : «ناشئا» .

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ :

أحدهما : أثقل وأصعب على المصلي ، ومنه قول النبي ﷺ : «اللهم أشدد وطأتك على مضر»<sup>(١)</sup> ، والأثقل أعظم أجراً ، فالمعنى : تحريض على قيام الليل ؛ لكثرة الأجر .

الثاني : أشدُّ ثبوتاً ؛ من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس ، ويقرب هذا من معنى ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ .

وقرئ ﴿وِطَاءً﴾ بكسر الواو على وزن فِعَالٍ ، ومعناه : موافقةٌ ؛ أي : يوافق القلبُ اللسانَ بحضور<sup>(٢)</sup> الذهن .

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ السبح هنا : عبارة عن التصرف في الأشغال . والمعنى : يكفيك النهار للتصرف في أشغالك ، وتفرغ بالليل لعبادة ربك . وقيل : المعنى : إن فأتك شيء من صلاة الليل فأدّه بالنهار ؛ فإنه طويل يسع فيه ذلك .

﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ قيل : معناه قل : «بسم الله الرحمن الرحيم» في أول صلاتك .

واللفظ أعم من ذلك .

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي : انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده .

وقيل : التبتل : رفض الدنيا .

(١) أخرجه البخاري (٨٠٤) ، ومسلم (٦٧٥) .

(٢) في د : «لحضور» .

و﴿بَنِيْلًا﴾ مصدرٌ على غير الصَّدْر<sup>(١)</sup>.

﴿فَاتَّخَذَهُ وَكِيلًا﴾ الوكيل: هو القائم بالأمر، والذي توكل إليه الأشياء، فهو أمرٌ بالتوكل على الله.

﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: على ما يقول الكفار، والآية منسوخة بالسيف.

وقيل: إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾، وأما الصبر فمأمور به في كل وقت.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا تهديد لهم، وانتصب ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾ على أنه مفعول معه، أو معطوف.

﴿أَوَّلِ النَّعْمَةِ﴾ أي: التَّعْمُ في الدنيا.

وروي أن الآية نزلت في بني المغيرة، وهم قوم من قريش كانوا متنعمين في الدنيا.

﴿أَنكَالًا﴾ جمع نَكْلٍ، وهو القيد من الحديد.

ويروى أنها قيود سنود من نار.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ يعني: شجرة الزقوم، ومعنى ﴿ذَا غُصَّةٍ﴾: يَعَصُّ به؛ أي: يَخْتَنَق.

وقيل: هو شوك من نار يعترض في حلوقهم<sup>(٢)</sup> لا ينزل ولا يخرج.

(١) انظر التعليق في ٥٣٣/١.

(٢) في د: «حلوقهم».



وروي أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فصُعق<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾ أي: تهتز وتزلزل.

والعامل في ﴿يَوْمَ﴾: معنى الكلام المتقدم، وهو ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾.

﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً﴾ الكتيب: كُدُس الرمل، والمهيل: اللين الرخو الذي تهيله<sup>(٢)</sup> الريح أي: تنشره<sup>(٣)</sup>، وزنه مفعول.

والمعنى: أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكتيب.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ خطاب لجميع الناس؛ لأن رسول الله ﷺ بعث إلى الناس كافة.

وقال الزمخشري: هو خطاب لأهل مكة<sup>(٤)</sup>.

﴿شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية.

وإنما يشهد على من أدركه؛ لقوله ﷺ: «أقول كما قال أخي عيسى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾» [المائدة: ١١٧]<sup>(٥)</sup>.

﴿كَأَمْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني: موسى عليه السلام، وهو المراد بقوله: ﴿فَعَصَىٰ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٨٥/٢٣).

(٢) في أ، هـ: «تثيره»، في ب، ج: «تنشره».

(٣) قوله «أي: تنشره» لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٤) الكشف (١٠٠/١٦).

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

فَرَعَوْتُ الرَّسُولَ ﴿١﴾ فاللام للعهد.

﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: غليظًا شديدًا.

﴿يَوْمًا﴾ مفعول به، وناصبه: ﴿تَتَّقُونَ﴾ أي: كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم.

وقيل: هو مفعول به <sup>(١)</sup>، على أن يكون ﴿كَفَرْتُمْ﴾ بمعنى: جحدتم.

وقيل: هو ظرف؛ أي: كيف لكم بالتقوى يوم القيامة.

ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره: اذكر، أو قوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾.

﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿الْوِلْدَانَ﴾ جمع وليد، وهو الطفل الصغير.

والشَّيب - بكسر الشين - : جمع أشيب، ووزنه فُعْل بضم الفاء، وكسرت لأجل الياء.

و﴿يَجْعَلُ﴾ يحتمل أن يكون مسندًا:

إلى الله تعالى.

أو إلى اليوم.

والمعنى: أن الأطفال يشيرون يوم القيامة:

فقل: إن ذلك حقيقة.

وقيل: إنه عبارة عن هول ذلك اليوم.

(١) أي: مفعول بـ ﴿كَفَرْتُمْ﴾. الكشف (١٦/١٠٠).

وقيل : إنه عبارة عن طوله .

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ الانفطار : الانشقاق .

والضمير المجرور يعود على اليوم ؛ أي : تنفطر<sup>(١)</sup> السماء بشدة هوله .

ويحتمل أن يعود على الله ؛ أي : تنفطر<sup>(٢)</sup> بأمره وقدرته .

والأول أظهر .

و﴿السَّمَاءُ﴾ مؤنثة ، وجاء ﴿مُنْفَطِرٌ﴾ بالتذكير :

لأن تأنيثها غير حقيقي .

أو على الإضافة ، تقديره : ذات انفطار .

أو لأنه أراد السقف .

﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ الضمير في ﴿وَعْدُهُ﴾ يحتمل أن يعود :

على اليوم .

أو على الله .

والأول أظهر ؛ لأنه ملفوظ به .

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المواعظ والوعيد .

﴿فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ يريد : سبيل التقرب إلى الله .

ومعنى الكلام : حضُّ على ذلك وترغيب فيه .

(١) في د ، هـ : «تنفطر» .

(٢) في د ، هـ : «تنفطر» .

[﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَءُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾].

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ﴾ هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به في أول السورة من قيام الليل .

ومعناها : إن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قيامًا مختلفًا ، مرة يكثر ومرة يقل ؛ لأنكم لا تقدرُونَ على إحصاء أوقات الليل وضبطها ، فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله ، فخفف عنكم وأمركم أن تقرأوا ما تيسر من القرآن .

﴿وَنُصْفِهِ وَثُلُثِهِ﴾ من قرأهما بالخفض : فهو عطف على ﴿ثُلُثِي اللَّيْلِ﴾ ؛ أي : تقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه ومن ثلثه .

ومن قرأ بالنصب : فهو عطف على ﴿أَدْنَىٰ﴾ ؛ أي : تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة .

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ يعني : المسلمين ، وهو معطوف على الضمير الفاعل في ﴿تَقُومُ﴾ .

﴿عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ﴾ الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام ؛ أي : لن تحصوا تقدير الليل .

وقيل : معناه : لن تطيقوه ؛ أي : لن تطيقوا قيام الليل كله .

﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عبارة عن التخفيف، كقوله: ﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَنَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾

[المجادلة: ١٣].

﴿فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي: إذا لم تقدرُوا على قيام الليل كله، فقوموا بعضه، واقروا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن، وهذا الأمر للنذب.

وقال ابن عطية: هو للإباحة عند الجمهور<sup>(١)</sup>.

وقال قوم - منهم الحسن وابن سيرين - : هو فرض لا بد منه ولو أقل ما يمكن، حتى قال بعضهم: من صلى الوتر فقد امتثل هذا الأمر.

وقيل: كان فرضاً ثم نسخ بالصلوات الخمس.

وقال بعضهم: هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم.

﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾ ذكر الله في هذه الآية الأعذار التي<sup>(٢)</sup> لبني آدم تمنعهم من قيام الليل، فمنها: المرض، ومنها: السفر للتجارة وهي الضرب في الأرض ابتغاء فضل الله، ومنها: الجهاد.

ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر:

تأكيداً للأمر به.

أو تأكيداً للتخفيف، وهذا أظهر؛ لأنه ذكره بإثر الأعذار.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يعني: المكتوبتين.

(١) المحرر الوجيز (٨/٤٤٧).

(٢) في دزيادة: «تكون».

﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ معناه تصدقوا ، وقد ذكر في «البقرة»<sup>(١)</sup> .  
 ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ نصب ﴿خَيْرًا﴾ ؛ لأنه مفعول ثانٍ لـ ﴿تَجِدُوهُ﴾ ، والضمير فضلٌ .  
 ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ قال بعض العلماء : إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط  
 من هذه الآية ، وكان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثاً<sup>(٢)</sup> .



(١) انظر (٤٦٧/١) .

(٢) أخرجه مسلم (٥٩١) .

## ﴿سورة المدثر﴾

[﴿يَتَأْتِيَ الْمَدَّثِرُ ١﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْكَرُ ٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧﴾ فَإِذَا يُقِرُّ فِي النَّاقُورِ ٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ١٢﴾ وَبَنِينَ شُهودًا ١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ١٦﴾ سَأَرْهَقُهُمْ صَعُودًا ١٧﴾ إِنَّهُمْ فَكَّرُوا وَقَدَّرَ ١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَفَرٌ ٢٦﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرٌ ٢٧﴾ لَا بُقِيَ وَلَا نَذَرٌ ٢٨﴾ لَوَاعَةٌ ٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرِ ٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَحْصَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْثَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنِ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرُنَا لِلْبَشَرِ ٣١﴾].

﴿يَتَأْتِيَ الْمَدَّثِرُ ١﴾ وزنه : مُتَفَعَّل ، ومعناه : الذي تدرثر في كساء أو ثياب .

وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا في موضعه <sup>(١)</sup> .

وقال السهيلي : في ندائه بـ ﴿الْمَدَّثِرُ﴾ ثلاث فوائد : الاثنان اللتان ذكرتا

في «المزمل»، وفائدة ثالثة؛ وهي: أن العرب يقولون: «النذير العريان»، للنذير الذي يكون في غاية الجِد والتشمير، والنذير<sup>(١)</sup> بالثياب ضد هذا، فكأنه تنبيه على ما يجب من التشمير<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إن هذه أول سورة نزلت من القرآن.

والصحيح أن سورة «اقرأ» نزلت قبلها.

﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ (٢) أي: أنذر الناس، وهذه بعثة عامة.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (٣) أي: عظمه.

ويحتمل أن يريد قول: «الله أكبر»، ويؤيد ذلك: ما روي عن أبي هريرة: أن المسلمين قالوا: بم نفتتح صلاتنا؟ فنزلت: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (٣).

وقول: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (٣) من المقلوب الذي يقرأ من أوله وآخره.

﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ (٤) فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة.

واختلف على هذا: هل يحمل على الوجوب؛ فتكون إزالة النجاسة واجبة؟، أو على الندب؛ فتكون سنة؟

والآخر: أنه يراد به: الطهارة من الذنوب والعيوب، فالثياب على هذا: مجاز.

(١) في ب: «التدثر»، وفي ج: «والمدثر»

(٢) التعريف والإعلام للسهيلى (ص: ٣٥٧-٣٥٨).

(٣) ذكره ابن عطية في تفسيره (٤٥١/٨) ولم أقف على إسناد له.



الثالث: أن معناه: لا تلبس الثياب من مكسب خبيث.

﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ٥﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الرجز: الأوثان، روي ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وهو قول عائشة.

والآخر: أن الرجز: السُّخْط والعذاب، وهذا أصله في اللغة، فمعناه: اهجر ما يؤدي إليه ويوجه.

الثالث: أنه المعاصي والفجور، قال بعضهم: كل معصية رجز.

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ٦﴾ يحتمل قوله: ﴿تَمْنُنْ﴾ أن يكون:

من معنى العطاء.

أو معنى المنّ، وهو ذكر العطاء وشبهه.

أو معنى الضعف.

فإن كان من العطاء: ففيه وجهان:

أحدهما: أن معناه: لا تعط شيئاً لتأخذ أكثر منه، قال بعضهم: هذا خاص بالنبي ﷺ ومباح لأئمة.

والآخر: لا تعط الناس عطاء وتستكثره؛ فإن الكريم يستقل ما يُعطي وإن كان كثيراً.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٥)، ومسلم (١٦١) من حديث جابر، وفي بعض طرقه «قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان»، فيكون هذا من تفسير أبي سلمة وليس من تفسير النبي ﷺ.

وإن كان من المنّ بالشيء: ففيه وجهان:

**الأول:** لا تمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه.

**الثاني:** لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك ويقع لك بها إعجاب.

وإن كان من الضعف: فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حملناك من ذلك.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (٧) أي: اصبر لوجهه وطلب رضاه.

ويحتمل أن يريد الصبر:

على المكاره والمصائب.

أو على إذابة الكفار له.

أو على العبادة.

﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي الْأَقْصَا﴾ (٨) يعني: نفخ في الصور.

ويحتمل أن يريد: النفخة الأولى، أو الثانية.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (٩) هذا وعيد وتهديد.

ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة باتفاق.

وفي معنى ﴿وَحِيدًا﴾ ثلاثة أقوال:

**أحدها:** روي أنه كان يلقب الوحيد؛ أي: لا نظير له في ماله وشرفه، فكونه وحيداً نعمة عدّها الله عليه.

**الثاني:** أن معناه: خلقته منفرداً ذليلاً.

الثالث: أن معناه: خلقتة وحدي، ف ﴿وَجِيدًا﴾ على هذا من صفة الله تعالى، وإعراجه على هذا: حال من الضمير الفاعل في قوله: ﴿خَلَقْتُ﴾. وهو على القولين الأولين: حال من الضمير المفعول.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ (١٣) أي: كثيرًا، واختلف في مقداره؛ فقليل: ألف دينار، وقيل: عشرة آلاف.

وقيل: يعني: الأرض؛ لأنها مُدَّت.

﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ (١٤) أي: حضورًا، وروي أنه كان له عشرة من الأولاد<sup>(١)</sup> - وقيل: ثلاثة عشر - لا يفارقونه.

وأسلم منهم ثلاثة، وهم: خالد، وهشام، وعِمارة.

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ (١٥) أي: بسطت له في الدنيا بالمال والعزة وطيب العيش.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ (١٦) أي: يطمع في الزيادة على ما أعطاه الله، وهذه غاية الحرص.

﴿كَلَّا﴾ زجر عما طمع فيه من الزيادة.

﴿عَنِيدًا﴾ أي: معاندًا مخالفًا.

والآيات هنا: يراد بها القرآن؛ لأن الوليد قال فيه: إنه سحر.

ويحتمل أن يريد الدلائل.

(١) في ب، د، هـ: «الولد».

﴿سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا﴾ (١٧) الصعود: العقبة الصعبة، روي عن النبي ﷺ أنها عقبة في جهنم، كلما صعدھا الإنسان ذاب ثم يعود<sup>(١)</sup>.

فالمعنى: سأشق عليه بتكليفه الصُّعود فيها.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ (١٨) أي: ﴿فَكَّرَ﴾ فيما يقول، ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقول في القرآن؛ أي: هيأ كلامه.

روي أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم، ودخل إلى أبي بكر الصديق، فعاتبه أبو جهل، وقال له: إن قريشاً قد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد، وما يخلصك عندهم إلا أن تقول في كلام محمد قولاً يرضيهم، فافْتَسَنَ وقال: أفعلُ ذلك، ثم فكر فيما يقول في القرآن فقال: أقول شعر؟ ما هو شعر، أقول كاهن؟ ما هو بكاهن، أقول: إنه سحر وإنه قول البشر؛ أي: ليس منزلاً من عند الله.

﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (١٩) دعاء عليه وذم، وكرره تأكيداً لذمه وتقييح حاله.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون مقتضاه: استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن، فيكون قوله: ﴿قِيلَ﴾ لا يراد به الدعاء عليه، وإنما هو كقولهم: «قاتل الله فلاناً ما أشجعه!»، يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه<sup>(٢)</sup>.

وقال الزمخشري: يحتمل أن يكون ثناءً عليه على طريقة الاستهزاء،

(١) أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور (ص: ٢٨١).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٤٥٧).

أو حكاية لقول قريش؛ تهكمًا بهم<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي: نظر في قوله، وقدر ما يقول.

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ البُسور: هو تقطيب الوجه، وهو أشد من العبوس.

وفعل ذلك من حسده للنبي ﷺ، أو عبس في وجهه ﷺ، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول.

﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ أي: أعرض عن الإسلام.

﴿يَعْرِىُ يُونْرُ﴾ أي: يُنقل عمن تقدم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظيم لها وتهويل.

﴿لَا بُقَىٰ وَلَا نَذْرُ﴾ مبالغة في وصف عذابها؛ أي: لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياه.

أو<sup>(٢)</sup> لا تبقي شيئًا ألقى فيها إلا أهلكته، وإذا أهلك<sup>(٣)</sup> لم تذكره هالكًا بل يعود إلى العذاب.

﴿لَوَاحٌ لِلْبَشَرِ﴾ معنى ﴿لَوَاحٌ﴾: مغيرة، يقال: لاحه السفر وغيره: إذا غيرّه.

والبشر: جمع بشرة، وهي الجلدة.

فالمعنى: أنها تحرق الجلود وتسودها.

(١) الكشف (١٦/١٢٥).

(٢) في ب، ج، د، هـ: «و».

(٣) في ب: «أهلكته».

وقيل: ﴿لَوَاعَةٌ﴾: من لاح: إذا ظهر، والبشر: الناس؛ أي: تلوح للناس.

وقال الحسن: تلوح لهم من مسيرة خمس مئة عام.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣٠) يعني: الزبانية خزنة جهنم:

ف قيل: هم تسعة عشرة ملكًا.

وقيل: تسعة عشر صفًا.

وقيل: تسعة عشر صفًا من الملائكة.

والأول أشهر.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَشْجَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَكَةً﴾ سبب هذه الآية: أنه لما نزل ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ

عَشَرَ﴾ (٣٠) قال أبو جهل لقريش: أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به؟ فنزلت الآية.

ومعناها: أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم.

وروي: أن الواحد منهم يرمي بالجبل على الكفار.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: جعلناهم هذا العدد ليفتن الكفار

بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم، ويقولوا ما قالوا.

﴿لَيْسَتَيْنِ اللَّيْنِ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: يعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به

محمد ﷺ من عدد ملائكة النار حق؛ لأنه موافق لما في كتبهم.

﴿وَلَا يَرْتَابُ﴾ أي: لا يشك ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أن ما قاله محمد ﷺ

حق.

فإن قيل : كيف نفى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين والمعنى واحد، وهو تكرار؟

فالجواب : أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن يشكوا فيما يُستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن، فكأنه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال .  
وقال الزمخشري : ذلك مبالغة وتأکید<sup>(١)</sup> .

﴿وَلَقَوْلَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ المرض : عبارة عن الشك، وأكثر ما يطلق  
﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ على المنافقين .

فإن قيل : هذه السورة مكية ولم يكن حينئذ منافقون وإنما حدث المنافقون  
بالمدينة؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن معناه : يقول المنافقون إذا حدثوا، ففيه إخبار بالغيب .

والآخر : أن يريد : مَنْ كان بمكة من أهل الشك .

وقولهم : ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ استبعاداً لأن يكون هذا من عند الله .

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يحتمل القصد بهذا وجهين :

أحدهما : وصف جنود الله بالكثرة؛ أي : هم من كثرتهم لا يعلمهم  
إلا الله .

والآخر : رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر؛ أي : لا يعلم أعداد

جنود الله إلا هو؛ لأن منهم عددًا قليلًا ومنهم عددًا كثيرًا حسبما أراد الله .

﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ الضمير :

لجهنم .

أو للآيات المتقدمة .





[﴿كَلَّا وَالْقَبَرِ﴾ (٣٦) وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرَ ﴿٣٨﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكَبِيرِ ﴿٣٩﴾ نَذِيرًا ﴿٤٠﴾ لِلْبَشَرِ ﴿٤١﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٤٢﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ﴿٤٣﴾ إِلَّا آصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴿٤٤﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٥﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٦﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٧﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٨﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٩﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٥٠﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٥١﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٥٢﴾ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٥٣﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٥٤﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٥﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥٦﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً ﴿٥٧﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٨﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٩﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٦٠﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّفْيِ وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾].

﴿كَلَّا﴾ ردع للكفار عن كفرهم.

وقال الزمخشري: هي إنكار لأن يكون لهم ذكرى<sup>(١)</sup>.

﴿إِذَا أَدْبَرَ﴾ أي: ولى.

وقرئ ﴿دَبَّرَ﴾ بغير ألف، والمعنى واحد.

وقيل: معناه: دبر الليل النهار؛ أي: جاء في دبره.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرَ﴾ أي: أضاء، ومنه الإسفار بصلاة الصبح.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكَبِيرِ﴾ الضمير:

لجهنم.

أو للآيات والنذارة؛ أي: هي من الأمور العظام.

و﴿الْكُبْرَى﴾ جمع كُبْرَى .

وقال ابن عطية: جمع كبيرة<sup>(١)</sup> .

والأول هو الصحيح .

﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ (٣٦) ﴿تميزٌ﴾ .

أو حال من ﴿لَا حُدَىٰ لِلْكَبْرِ﴾ .

وقيل: النذير هنا: الله، فالعامل فيه على هذا محذوف، وهذا ضعيف .

وقيل: هو حال من أول السورة؛ أي: «قم فأنذر نذيرًا»، وهذا بعيد، قال الزمخشري: هو من يدع التفاسير<sup>(٢)</sup> .

﴿لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (٣٧) ﴿التَّحَدُّمُ﴾: عبارة عن سلوك طريق الهدى، والتأخر ضده .

و﴿لَمَن شَاءَ﴾ بدل من البشر .

أي: هم متمكنون من التقدم أو التأخر .

وقيل: معناه الوعيد، كقوله: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾

[الكهف: ٢٩] .

وعلى هذا أعرب الزمخشري ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ مبتدأ و﴿لَمَن شَاءَ﴾ خبره<sup>(٣)</sup> .

والأول أظهر .

(١) المحرر الوجيز (٨/٤٦٢) .

(٢) الكشاف (١٦/١٤٠) .

(٣) الكشاف (١٦/١٤٠) .

﴿رَهِيْنَةً﴾ قال ابن عطية: الهاء في ﴿رَهِيْنَةً﴾ للمبالغة، أو على تأنيث النفس<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: ليست بتأنيث «رهين»؛ لأن فعلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي بمعنى الرهن؛ أي: كل نفس رهنٌ عند الله بعملها<sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَّا أَتَّخَبَ الْيَمِيْنُ﴾ أي: أهل السعادة؛ فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة، كما يفكُ الراهن رهنه بأداء الحق.

وقال علي بن أبي طالب: أصحاب اليمين: هم الأطفال؛ لأنهم لا أعمال لهم يُرْتَهَنون بها.

وقال ابن عباس: هم الملائكة.

﴿يَسْأَلُوْنَ﴾ عَنِ الْمُجْرِمِيْنَ أي: يسأل بعضهم بعضاً عن حال المجرمين الذين في النار.

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ أي: ما أدخلكم النار؟

وهذا خطاب للمجرمين، يحتمل أن خاطبهم به: المسؤولون، أو الملائكة.

فأجابوهم بقولهم: ﴿لَوْ نَكَّ مِنْ الْمُصَلِّيْنَ﴾ وما بعده، أي: هذا هو الذي أوجب دخولهم النار.

(١) المحرر الوجيز (٨/٤٦٤).

(٢) الكشف (١٦/١٤١-١٤٢).

وإنما آخر التكذيب يوم الدين ؛ تعظيمًا له ؛ لأنه أكبر جرائمهم .  
﴿نَحْوُ﴾ الخوض : هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه .  
﴿حَتَّى أَتَنَا الْيَقِينُ﴾ (٤٧) هو الموت عند المفسرين .  
وقال ابن عطية : إنما اليقين الذي أرادوا : ما كانوا يكذبون به في الدنيا ،  
فيتيقنوه بعد الموت (١) .  
﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨) إنما ذلك لأنهم كفار ، وأجمع العلماء أنه  
لا يشفع أحد في الكفار .  
وجمّع ﴿الشَّافِعِينَ﴾ دليلٌ على كثرتهم ، كما ورد في الآثار : «يشفع» (٢)  
الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحون» (٣) .  
﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ الذِّكْرِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) يعني : كفار قريش .  
﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ﴾ (٥٠) المستنفرة بفتح الفاء : التي استنفرها الفزع .  
وبالكسر : بمعنى النافرة .  
شبه الكفار بالحمير (٤) النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام ، ويعني :  
حمير الوحش .

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٦٥) .

(٢) في ب ، د : «تشفع» .

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) بلفظ : «يشفع النبيون والملائكة والمؤمنون»  
في حديث طويل ، وأخرجه ابن ماجه (٤٣١٣) بلفظ : «يشفع يوم القيامة ثلاثة :  
الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء» .

(٤) في د : «بالحمر» .

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (٥١) ابن عباس: القسورة: الرماة.

وقال أيضًا: هو الأسد.

وقيل: أصوات الناس.

وقيل: الرجال الشداد.

وقيل: سواد أول الليل.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُوقَىٰ صُحُفًا مُّنتَشَرَةً﴾ (٥٢) المعنى: يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتابٌ من عند الله.

ومعنى ﴿مُنْتَشَرَةً﴾: منشورة غير مطوية؛ أي: طرية كما كتبت لم تُطَوَّ بعد، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء فيها<sup>(١)</sup>: «من رب العالمين إلى فلان بن فلان» نؤمر باتباعك.

﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه.

﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: هذه هي العلة والسبب في إعراضهم.

﴿كَلَّا﴾ تأكيد للردع الأول.

أو ردع عن عدم خوفهم للآخرة.

﴿إِنَّهُ نَذِيرٌ﴾ الضمير:

لما تقدم من الكلام.

أو للقرآن بجملته.

(١) في ب، د: «فيه».

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ (٥٥) فاعل ﴿شَاءَ﴾ ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾ ، وفي ذلك حض وترغيب .

وقيل : الفاعل هو الله .

ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله .

﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْغِفْرِ﴾ أي : هو أهلٌ لأن يُتَّقَى ؛ لشدة عقابه ، وهو أهلٌ لأن يَغْفَرَ الذنوب ؛ لكرمه وسعة رحمته وفضله .

## ﴿سورة القيامة﴾

[﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝ وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْعَ عِظَامُهُ ۝ بَلْ قَدَرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ۝﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝﴾ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ ۝﴾ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ۝﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَنْ الْمَقَرُّ ۝﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝﴾ يُلَبِّثُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ ۝﴾ لَا تُحَرِّكَ بِهِ ۝﴾ لِسَانَكَ لِتَجْعَلَ فِيهِ ۝﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَالْيَعِ قُرْآنَهُ ۝﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۝﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۝﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ۝﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾].

﴿لَا أُقِيمُ﴾ في الموضعين : معناه أقسم ، و﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد القسم .

وقيل : هي استفتاح كلام بمنزلة : «ألا» .

وقيل : هي نفى لكلام الكفار .

﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب ، أو التقصير في الطاعة ؛ فإن النفوس على ثلاثة أنواع :

فخيرها : النفس المطمئنة .

وشرها : النفس الأمارة بالسوء .

وبينهما : النفس اللوامة .

وقيل : اللوامة : هي المذمومة الفاجرة ، وهذا بعيد ؛ لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات ، ويستقيم إن كان ﴿لَا أَقْسِمُ﴾ نفيًا للقسم .

﴿أَيَحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (٢٠) الإنسان هنا : للجنس ، والإشارة به إلى الكفار المنكرين للبعث .

ومعناه : أیظن أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها في التراب؟

وهذه الجملة هي التي تدل على جواب القسم المتقدم .

﴿بَلَى﴾ تقديره : نجمعها .

﴿تَدْرِيْنَ﴾ منصوب على الحال من الضمير في ﴿نَجْمَعُ﴾ ، والتقدير :

نجمعها ونحن قادرون .

﴿أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ البنان : الأصابع ، وفي المعنى قولان :

أحدهما : أنه إخبار بالقدرة على البعث ؛ أي : قادرين على أن نسوي أصابعه ؛ أي : نخلقها بعد فنائها مستويةً متقنة ، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء ؛ لدقة عظامها وتفرقها .

والآخر : أنه تهديد في الدنيا ؛ أي : قادرين أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة ، كيد الحمار وخف الجمل ، فلا يمكنه تصريف يديه في منفعه .

والأول أليق بسياق الكلام .

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ﴾ هذه الجملة معطوفة على ﴿أَيَحْسِبُ الْإِنْسَانُ﴾ ،

ويجوز أن تكون استفهامًا مثلها ، أو تكون خبرًا .



وليس ﴿بَل﴾ هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله؛ وإنما هي للخروج منه إلى ما بعده.

و﴿يَفْجُرُ﴾ معناه: يفعل أفعال الفجور.

وفي معنى ﴿أَمَامَهُ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عبارة عما يستقبل من الزمان، أي: يفجر بقية عمره.

الثاني: أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهوته، يقال: مشى فلان قُدَّامه: إذا لم يرجع عن شيء يريده.

والضمير على هذين القولين: يعود على الإنسان.

الثالث: أن الضمير يعود على يوم القيامة، والمعنى: يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة.

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿٦﴾ ﴿أَيَّانَ﴾ معناها: «متى».

وهذا السؤال عن يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد له.

﴿بَرْقَ الْبَصَرِ﴾ هذا إخبار عن يوم القيامة.

وقيل: عن حالة الموت، وهذا خطأ؛ لأن القمر لا يخسف عند موت أحد، ولا يجمع بينه وبين الشمس.

و﴿بَرْقَ﴾ بفتح الراء: معناه لمع وصار له بريق.

و﴿قُرئ بكسر الراء، ومعناه تحير من الفرع.

وقيل: معناه: شَخَصَ، فيتقارب معنى الفتح والكسر.

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ﴿٨﴾ ذهب ضوءه، يقال: خسف هو، وخسفه الله.

والخسوف للقمر، والكسوف للشمس .

وقيل : الكسوف : ذهاب بعض الضوء، والخسوف : ذهاب جميعه .

وقيل : هما بمعنى واحد .

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ في جمعهما ثلاثة أقوال :

أحدها : أنهما يجتمعان حيث يُطلعهما الله من المغرب .

والآخر : أنهما يجتمعان يوم القيامة ، ثم يقذف بهما في النار - وقيل : في البحر - ، فتكون النار الكبرى .

الثالث : أنهما يجتمعان<sup>(١)</sup> فيذهب ضوءهما .

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ أي : لا ملجأ ولا مُغيث .

﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ وَأَخَّرْتُمْ﴾ أي : بجميع أعماله ما قدّم منها في أول عمره وما أخر في آخره .

وقيل : ما قدم في حياته وما أخر من سُنة أو وصية بعد مماته .

وقيل : ما قدم من المعاصي وأخر من الطاعات .

وقيل : ما قدم لنفسه من ماله وما أخر منه لورثته .

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ في معناه قولان :

أحدهما : أنه شاهدٌ على نفسه بأعماله ؛ إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة .

(١) في د : «يجتمعان».

والآخر: أنه حجة بينة؛ لأن خلّقه تدل على خالقه، فوصف بالبصارة مجازاً؛ لأن من نظر فيه أبصر الحق.

والأول أليق بما قبله وما بعده، كأنه قال: ينبأ الإنسان يومئذ بأعماله، بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها، وكذلك يلتئم مع قوله: ﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِرُهُ﴾ (١٥)، ويكون هو جواب ﴿لَوْ﴾ حسبما ذكره.

﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِرُهُ﴾ (١٥) فيه قولان:

أحدهما: أن المعاذير: الأعذار؛ أي: الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها.

والآخر: أن المعاذير: الستور؛ أي أن الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١١) ﴿الضَّمِيرُ فِي﴾ ﴿بِهِ﴾ يعود على القرآن، دلت على ذلك قرينة الحال.

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه؛ مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن يُنصت ويستمع<sup>(١)</sup>.

وقيل: كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك، وشق عليه، فنزلت الآية.

والأول هو الصحيح؛ لأنه ورد في البخاري وغيره.

(١) أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨).

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٧) ﴿ضمن الله له أن يجمعه في صدره، فلا يحتاج إلى تحريك شفثيه عند نزوله.

ويحتمل ﴿قُرْآنَهُ﴾ هنا وجهين :

أحدهما: أن يكون بمعنى القراءة، فإن القرآن قد يكون مصدرًا من قرأت.

والآخر: أن يكون معناه: تأليفه في صدره، فهو مصدر من قولك: قرأت الشيء أي: جمعته.

﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنعِقُوا﴾ (٨) ﴿أي: إذا قرأه جبريل، فجعل قراءة جبريل قراءة الله؛ لأنها من عنده.

ومعنى ﴿فَأَنعِقُوا قُرْآنَهُ﴾ استمع قراءته واتبعها بذهنك؛ لتحفظها.

وقيل: اتبع القرآن في الأوامر والنواهي.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (٩) ﴿أي: علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه.

وقيل: علينا أن نبين معانيه وأحكامه.

فإن قيل: ما مناسبة قوله: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ﴾ الآية، لما قبلها؟

فالجواب: أنه لعله نزل معه في حين واحد فجعل على ترتيب النزول.

﴿بَلْ يُحِثُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على

مثل حالهم في حب الدنيا.

﴿وَكَلَّا﴾ ردع عن ذلك.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ بالضاد أي: ناعمة، ومنه ﴿نَضْرَةٌ أَلْيَمٌ﴾ [المطففين: ٢٤].  
 ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿٣٣﴾ هذا من النظر بالعين، وهو نصٌّ في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة، وهو مذهب أهل السنة.

وأنكره المعتزلة، وتأولوا ﴿ناظِرَةٌ﴾ بأن معناه: منتظرة، وهذا باطل؛ لأن «نظر» بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر، تقول: نظرتك أي: انتظرتك، وأما المتعدي بـ «إلى» فهو من نظر العين، ومنه قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٣].

وقال بعضهم: «إلى» هنا ليست بحرف جر، وإنما هي واحد «الآلاء» بمعنى النعم، وهذا تكلف في غاية البعد.  
 وتأوله الزمخشري: بأن معناه كقول الناس: «فلان ناظر إلى فلان» إذا كان يرتجيه ويتعلق به<sup>(١)</sup>، وهذا بعيد.

وقد جاء عن النبي ﷺ في النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل، فهي تفسير للآية.

﴿بَاسِرَةٌ﴾ أي: عابسة تظهر عليها الكآبة، والبُسور: أشد من العبوس.  
 ﴿تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ ﴿٤٥﴾ أي: مصيبة قاصمة الظهر.  
 والظن هنا يحتمل أن يكون: على أصله، أو بمعنى اليقين.



[﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَاللَّفَتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمُتَطِّحٌ ﴿٣٣﴾ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ﴿٣٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نَاطِقًا مِن مَّيِّ يَمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَمَخْلَقَ فَسَوَى ﴿٣٨﴾ جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَن يُخَيَّرَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾] .

﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ يعني : حالة الموت .

و﴿التَّرَاقِيَ﴾ : جمع تَرْقُوة ، وهي عظام أعلى الصدر .

والفاعل بـ ﴿بَلَغَتْ﴾ : نفس الإنسان ، دل على ذلك سياق الكلام .

وهو عبارة عن حال الحشرجة وسياق الموت .

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ (٢٧) أي : قال أهل المريض : مَنْ يَرْقِيهِ عَسَى أَن يَشْفِيَهُ؟

وقيل : معناه : أن الملائكة تقول : مَنْ يَرْقِي بَرُوحَهُ ؛ أي : يصعد بها إلى السماء؟

فالأول : من الرُّقية ، وهو أشهر وأظهر .

والثاني : من الرُّقِّي ، وهو العلو .

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ (٢٨) أي : تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله .

﴿وَاللَّفَتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ (٢٩) هذه عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته ، أي : التفت ساقه على الأخرى عند السياق .

وقيل : هو مجاز ، كقولك : «كشفت الحرب عن ساقها» : إذا اشتدت .

وقيل : معناه : ماتت ساقه فلا تحمله .

وقيل : التَّتَفَّتْ : أي : لفها الكفن إذا كُفِّنَ .

وفي قوله : ﴿الْمَسَاقُ﴾ و﴿الْمَسَاقُ﴾ ضرب من ضروب التجنيس .

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (٣١) هذا جواب ﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّارَ﴾ .

و﴿الْمَسَاقُ﴾ مصدر من السَّوَق ، كقوله : ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ .

﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (٣١) «لا» هنا نافية ، و﴿صَدَقَ﴾ هنا يحتمل أن يكون :

من التصديق بالله ورسله .

أو من الصدقة .

ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي جهل .

﴿يَتَمَطَّى﴾ أي : يتبختر في مشيه<sup>(١)</sup> ، وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء ،

وكانت هذه المشية معروفة في بني مخزوم الذين كان أبو جهل منهم .

﴿أَوَّلَىٰ لَكَ﴾ وعيد وتهديد .

﴿فَأَوَّلَىٰ﴾ وعيد ثان ، ثم كرر ذلك تأكيداً .

ويروى أن رسول الله ﷺ لَبَّبَ<sup>(٢)</sup> أبا جهل وقال له : «إن الله يقول لك :

أولى لك فأولى» . فنزل القرآن بموافقة ذلك<sup>(٣)</sup> .

(١) في ب : «مشيته» .

(٢) أي : جمع ثيابه عند نحره في الخصومة ، ثم جرّه . القاموس المحيط (ل ب ب) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٢٥) .

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) هذا توبيخ، ومعناه: أليظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء، فهو كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

والإنسان هنا: جنس.

وقيل: نزلت في أبي جهل.

ولا يبعد أن يكون سببها خاصًا ومعناها عامٌ.

﴿الَّذِي نَفْثَ مِنْ مَنِي تُمْنِي﴾ النطفة: النقطة، و﴿تُمْنِي﴾: من قولك: أمني الرجل.

ومعنى الآية: الاستدلال بخُلقة الإنسان على بعثه، كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

والعلقة: الدم؛ لأن المني يصير في الرحم دمًا.

﴿فَخَلَقَ فُسْوَى﴾ أي: خلقه بشرًا فسوى صورته؛ أي: أتقنها.

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ (٤٠) هذا تقرير واحتجاج.

وروي أن رسول الله ﷺ: «كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال: بلى»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «سبحانك اللهم بلى»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٧٣٩١).

(٢) أخرجه أبو داود (٨٨٤).



## ﴿ سورة الإنسان ﴾

[ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ① إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِّنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ② إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ③ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلًَا وَسَعِيرًا ④ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ⑤ عَنَّا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ⑥ يُوفُونَ بِالْذِّكْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ⑦ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧ إِنَّمَا نُطْعِمُكَ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكَ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ⑨ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ⑩ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ⑪ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرًا ⑫ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ⑬ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَلْفُوفُهَا نَدِيلًا ⑭ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَنَاتٍ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ⑮ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُهَا نَقِيرًا ⑯ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ⑰ عَنَّا فِيهَا شُعْنٌ سَلَسِيلًا ⑱ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخْلَدُونَ إِذَا رَأَوْهُمْ حَبِيبُهُمْ ثَبَابٌ سُنْدُسٍ ⑲ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ⑳ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ㉑ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ] .

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ① ﴾ ﴿ هَلْ ﴾ هنا بمعنى

التقرير ، لا لمجرد الاستفهام .

وقيل : هي بمعنى «قد» .

﴿الْإِنْسَنُ﴾ هنا : جنس ، والحين الذي أتى عليه : حين كان معدومًا قبل أن يخلق .

وقيل : الإنسان هنا : آدم ، والحين الذي أتى عليه : حين كان طينًا قبل أن ينفخ فيه الروح ، وهذا ضعيف لوجهين :

أحدهما : قوله : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ وهو هنا جنس باتفاق ؛ إذ لا يصح هذا في آدم .

والآخر : أن مقصد الآية تحقير الإنسان .

﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي : أخلاط ، واحدها : مَشْجٌ بفتح الميم والشين .  
وقيل : مَشْجٌ بوزن : عَدْلٍ .

وقال الزمخشري : ليس ﴿أَمْشَاجٍ﴾ بجمع ، وإنما هو مفرد كقولهم : «بُرْمَةٌ أعشارٌ» ، ولذلك وقع صفة للمفرد .

واختلف في معنى الاختلاط هنا :

ف قيل : اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء .

وقيل : اختلاط ماء الرجل والمرأة ، وروي أن عظام الإنسان وعصبه من ماء الرجل ، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة .

وقيل : معناه : ألوان وأطوار ، أي : يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة .

﴿تَبَيَّنَ﴾ أي : نختبره ، وهذه الجملة في موضع الحال ، أي : خلقناه مبتلين له .

وقيل : معناه : نَصَرِفُه في بطن أمه نطفة ثم علقة .

﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ هذا معطوف على ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ .

وَمَنْ جَعَلَ ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ بمعنى نصرفه في بطن أمه : فهذا عطف عليه .

وقيل : إن ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ مؤخر في المعنى ؛ أي : جعلناه سميعًا بصيرًا لنبتيه ، وهذا تكلف بعيد .

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي : سبيل الخير والشر ، ولذلك قسم الإنسان إلى قسمين : شاكِرٍ وكفورٍ ، وهما حالان من الضمير في ﴿هَدَيْنَاهُ﴾ .

والهدى هنا : بمعنى بيان الطريقين ، ومَوْهبة العقل الذي يميز به بينهما .  
ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد ؛ أي : هدى المؤمن للإيمان والكافر للكفر ، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء : ٧٨] <sup>(١)</sup> .

﴿سَلْسِلًا﴾ من قرأه بغير تنوين : فهو الأصل ؛ إذ هو لا ينصرف ؛ لأنه جمعٌ لا نظير له في الآحاد .

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قول المصنف رحمه الله : «ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد» إلخ ، أقول : يريد أن الهدى في قوله ﴿هَدَيْنَاهُ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى أرشدناه ، فإن كان الإرشاد عنده بمعنى دللناه ؛ فهو بمعنى البيان ، وهو المعنى الأول الذي ذكره المصنف ، وإن كان بمعنى دعواناه إليه فلا يصح ؛ فإنه تعالى لا يدعو إلا إلى سبيل الحق وطريق الخير ، وعلى هذا فالصواب أن الهدى بمعنى البيان ، وهو المعنى الأول الذي قدمه المؤلف ، وقوله : ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ أي : الهدى والضلال ، والكفر والإيمان ؛ كلٌّ من عند الله ، أي : بقدره ومشيئته ، وهذا هو معنى الإيمان بالقدر خيره وشره . وقوله : «ومَوْهبة العقل الذي يميز به بينهما» لعله يريد أن العقل مما يميز به بين طريق الخير وطريق الشر ، لا أنه لا يستقل بذلك ، بل التمييز التام بين الطريقين إنما يكون بما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

ومن قرأ بالتنوين : فله ثلاث توجيهات :

أحدها : أنها لغة لبعض العرب ، يصرفون كل ما لا ينصرف إلا «أفعل» .  
والآخر : أن النون بدل من حرف الإطلاق ، وأجرى الوصل مجرى الوقف .

والثالث : أن يكون صاحب هذه القراءة رَاوِيَةً للشعر ، قد عوّد لسانه صرف ما لا ينصرف ، فجرى على ذلك .

﴿الْأَبْرَارَ﴾ جمع بارٍّ أو بَرٍّ ، ومعناه : العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح ، حتى قال بعضهم : الأبرار هم الذين لا يؤذون الذرَّ .

﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ ذكر في «الصفات»<sup>(١)</sup> معنى الكأس .

و﴿مِنْ﴾ هنا يحتمل أن تكون : للتبعيض ، أو لابتداء الغاية .

﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي : تمزج الخمر بالكافور .

وقيل : المعنى : أنه كافور في طيب رائحته ، كما تمدح طعامًا فتقول : هذا مسك .

﴿عَيْنًا﴾ بدل من ﴿كَافُورًا﴾ على القول بأن الخمر تمزج بالكافور .

وبدل من موضع ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ على القول الآخر ، كأنه قال : يشربون خمرًا خمرَ عين .

وقيل : هو مفعول بـ ﴿يَشْرَبُونَ﴾ .

(١) انظر (٣/ ٦٦٤) .

وقيل : منصوب بإضمار فعل .

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال ابن عطية : الباء زائدة ، والمعنى : يشربها<sup>(١)</sup> ، وهذا ضعيف ؛ لأن الباء إنما تزداد في مواضع ليس هذا منها .

وإنما هي كقولك : « شربت الماء بالعسل » ؛ لأن العين المذكورة يمزج بها الكأس من الخمر .

﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ وصفهم بالعبودية فيه معنى التقريب والاختصاص ، كقوله :  
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان : ٦٣] .

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي : يُجْرُونَهَا<sup>(٢)</sup> حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرًا سهلًا لا يصعب عليهم .

وفي الأثر أن في قصر النبي ﷺ في الجنة عينًا تنفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين .

﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي : منتشرًا شائعًا ، ومنه : « استطار الفجر » : إذا انتشر ضوءه .

﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامًا﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطرمهم ليأكلوه جاء مسكين فدفعوه له ، وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين ، فلما وضعوا فطرمهم جاء يتيم فدفعوه له ، وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين ، فلما وضعوا فطرمهم جاء أسير فدفعوه له ، وباتوا طاوين .

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٨٨) .

(٢) في أ ، هـ : « يفجرونها » ، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٦/ ١٨٩) .

والآية على هذا مدنية؛ لأن عليًا إنما تزوج فاطمة بالمدينة.

وقيل: هي مكية، وليست في علي.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ الضمير<sup>(١)</sup> للطعام؛ أي: يطعمونه مع حبه والحاجة إليه، فهو كقوله: ﴿لَن نَّأَلُوا الْآلَ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا رَحْمَتُكَ عَلَيْنَا وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

ففي قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ تميم، وهو من أدوات البيان.

وقيل: الضمير لله.

وقيل: للإطعام المفهوم من ﴿يُطْعَمُونَ﴾.

والأول أرجح وأظهر.

﴿مَسْكِينًا وَنَيْمًا وَأَسِيرًا﴾ قد ذكرنا المسكين<sup>(٢)</sup> واليتيم<sup>(٣)</sup>.

وأما الأسير ففيه خمسة أقوال:

أحدها: أن الأسير الكافر بين<sup>(٤)</sup> المسلمين، ففي إطعامه أجر؛ لأن في كل ذي كبد رطبة<sup>(٥)</sup> أجرًا، وقيل: نسخ ذلك بالسيف.

والآخر: أنه الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية.

(١) في أ، هـ: «عائد».

(٢) انظر (٥٠٢/٢).

(٣) انظر (٣٣١/١).

(٤) في ج: «بيد».

(٥) في ب، د: «رطب».

والثالث : أنه المملوك .

والرابع : أنه المسجون .

والخامس : أنه المرأة ؛ لقوله ﷺ «استوصوا بالنساء خيراً ؛ فإنهنَّ عوانٍ عندكم»<sup>(١)</sup> ، وهذا بعيد .

والأول أرجح ؛ لأنه روي أن النبي ﷺ كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له : «أحسن إليه»<sup>(٢)</sup> .

﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرِجَالِهِمُ اللَّهُ﴾ عبارة عن الإخلاص لله ، ولذلك فسروه وأكدوه<sup>(٣)</sup> بقولهم : ﴿لَا تُبَدُّ مِنْكُمْ جَزَاءٌ وَلَا شُكْرًا﴾ .

والشُّكور : مصدر كالشكر .

ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام :

بألسنتهم .

أو قالوه في نفوسهم ، فهو عبارة عن النية والقصد .

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ وَصَفُ اليوم بالعبوس مجازٌ على وجهين :

أحدهما : أن يصف اليوم بصفة أهله ، كقولهم : «نهاره صائم» و«ليله قائم» ، وروي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه مثل القطران .

(١) أخرجه أحمد (٢٠٦٩٥) ، والترمذي (١١٦٣) ، والنسائي (٢٦٤ / ٨) ، وابن ماجه (١٨٥١) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (١٩١ / ١٦) عن الحسن مرسلًا ، ولم أقف على إسناده .

(٣) في ب ، د : «فسره وأكده» .

والآخر: أن يشبه في شدته بالأسد العبوس.

﴿مَطَرِيْرًا﴾ قال ابن عباس: معناه طويل.

وقيل: شديد.

﴿وَلَقَنَّهُمْ نَصْرَهُ وَسُرُورًا﴾ النصرة: التنعم. وهذا في مقابلة عبوس الكافر.

وقوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ و﴿وَلَقَنَّهُمْ﴾ من أدوات البيان، وهو<sup>(١)</sup>.

﴿يَمَّا صَبْرًا﴾ أي: بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم، حسبما ذكرنا من قصة علي وفاطمة والحسن عليهم السلام.

وقد ذكرنا ﴿الْأَرْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ عبارة عن اعتدال هوائها؛ أي: ليس فيها حر ولا برد.

والزمهير: هو البرد الشديد.

وقيل: هو القمر بلغة طيء، والمعنى على هذا: أن الجنة<sup>(٣)</sup> ضياء؛ فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ معناه: أن ظلال الأشجار متدلّية<sup>(٤)</sup> عليهم، قريبة

(١) في جميع النسخ الخطية هنا بياض بمقدار كلمة تقريبًا!، ولعله المناسب أن يكتب مكانه: «التجنيس»، وانظر المقدمة (١/١١٤).

(٢) انظر (٢٦/٣)، (٦٤٤/٣).

(٣) في د: «في الجنة».

(٤) في هامش د: «خ: مدنية».



منهم ؛ لأن الشيء المُظِلَّ إذا بَعُدَ فتر<sup>(١)</sup> ظله .

وإعراب ﴿وَدَانِيَةً﴾ : معطوف على ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ .

وقال الزمخشري : هو معطوف على الجملة التي قبلها ، وهي ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ ؛ لأن هذه جملة في حكم المفرد ، تقديره : «غير رائيين فيها شمسًا ولا زمهريراً ، ودانية» ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم ، أي : جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال<sup>(٢)</sup> .

وقيل : هو صفة لـ ﴿جَنَّةٍ﴾ ، عطفت بالواو كقولك : «فلان عالم وصالح» .

وقيل : هو معطوف عليها ؛ أي : وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها .

﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ القطوف : جمع قُطْفٍ ، وهو العنقود من النخل والعنب ، وشبه ذلك .

وتذليلها : هو أن تتدلى إلى الأرض .

وروي : أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أي حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع ؛ لأنها تتدلى لهم كما يريدون .

وهذه الجملة :

في موضع الحال من ﴿وَدَانِيَةً﴾ ؛ أي : دانية في حال تذليل قُطُوفِهَا .

أو معطوفة عليها .

(١) في د : «بَعُدَ» .

(٢) الكشف (١٦/ ١٩٥) .

﴿بَيِّنَةٍ﴾ هي جمع إناء ووزنها أفْعلة .

وقد ذكرنا الأكواب في «الواقعة»<sup>(١)</sup> .

﴿قَوَارِيرًا﴾ القوارير : هي الزجاج .

فإن قيل : كيف يتفق أنها زجاج مع قوله : ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾ ؟

فالجواب : أن المراد : أنها في أصلها من فضة وهي تُشَبَّه الزجاج في صفاتها وشَفِيفها .

وقيل : هي من زجاج ، وجعلها من فضة على وجه التشبيه ؛ لشرف الفضة وبياضها .

ومن قرأ ﴿قَوَارِيرًا﴾ :

بغير تنوين : فهو على الأصل .

ومن نَوَّنَه : فعلى ما ذكرنا في ﴿سَلْسِلًا﴾ .

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ هذه صفة للقوارير ، والمعنى : قَدَّرُوهَا على قدر الأكْفِّ ، أو على قدر ما يحتاجون من الشرب ، قال مجاهد : هي لا تَفِيض ولا تَغِيض .

وقيل : قدروها على حَسَب ما يشتهون .

والضمير الفاعل في ﴿قَدَّرُوهَا﴾ يحتمل أن يكون :

للشاربين بها .

أو للطائفين بها .

(١) انظر صفحة ٦٨٥ .

﴿مِرَاجُهَا زَنْجِيلاً﴾ هو كما ذكرنا في ﴿مِرَاجُهَا كَأُفُوراً﴾.

﴿سَلْسِيلاً﴾ معناه: سلسٌ منقادُ الجِريّة.

وقيل: سهل الانحدار في الحلق<sup>(١)</sup>.

يقال: شرابٌ سلسل وسلسال وسلسيل: بمعنى واحد.

وزيدت الباء في التركيب؛ للمبالغة في سلاسته، فصارت الكلمة خماسية.

وقيل: «سل» فعل أمر و«سبيلاً» مفعول به، وهذا في غاية الضعف.

﴿وَلَدَانٌ مُّخْلَدُونَ﴾ ذكر في «الواقعة»<sup>(٢)</sup>.

﴿لَوْوُلُوا مَنُورًا﴾ شبههم باللؤلؤ: في الحسن<sup>(٣)</sup> والبياض، وبالمنثور منه:

في كثرتهم وانتشارهم في القصور.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ مفعول ﴿رَأَيْتَ﴾ محذوف؛ ليكون الكلام على الإطلاق في

كل ما يرى فيها.

و﴿ثَمَّ﴾ ظرف مكان.

وقال الفراء: تقديره: «إذا رأيت ما ثَمَّ»، ف«ما» مفعولة ثم حذفت.

قال الزمخشري: هذا خطأ؛ لأن «ثَمَّ» صلة لـ«ما»، ولا يجوز حذف

الموصول وترك الصلة<sup>(٤)</sup>.

(١) في ج: «الحلوق».

(٢) انظر صفحة ٢٨٥.

(٣) في ب: «اللون».

(٤) الكشف (١٦/٢٠٣).

﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ يعني: كثرة ما أعطاهم الله، حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه، حسبما ورد في الحديث<sup>(١)</sup>.

وقيل: أراد أن الملائكة تسلم عليهم، وتستأذن عليهم، فهم بذلك كالملوك.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ بسكون الياء: مبتدأ خبره: ﴿ثِيَابٌ سُندِسٌ﴾ أي: ما يعلوهم من الثياب ثياب سندس.

وُقرئ بالنصب: على الحال من الضمير في ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ أو في ﴿حَسْبُهُمْ﴾.

وقال ابن عطية: العامل فيه ﴿وَلَقَنَهُمْ﴾ أو ﴿وَجَرَنَهُمْ﴾، وقال أيضاً: يجوز أن ينتصب على الظرف؛ لأن معناه: «فوقهم»<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكرنا معنى السندس والاستبرق<sup>(٣)</sup>.

وُقرئ: ﴿خُضْرٌ﴾:

بالخفض: صفة لـ ﴿سُندِسٍ﴾.

وبالرفع: صفة لـ ﴿ثِيَابُ﴾.

و﴿وَأَسْتَبْرَقٌ﴾:

بالرفع: عطف على ﴿ثِيَابُ﴾.

(١) أخرجه مسلم (١٨٩)، وفيه: «مثل مُلْكٍ من ملوك الدنيا».

(٢) المحرر الوجيز (٨/٤٩٧).

(٣) انظر (٣/٢٦).

وبالخنْفِضِ : عطف على ﴿سُنْدُسٍ﴾ .

﴿وَحُلُوءًا﴾ وزنه : فَعْلُوءَا ، ومعناه : جُعِلَ لَهُمْ حَلِيٌّ .

﴿أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ ذكرنا الأساور في «الكهف»<sup>(١)</sup> .

فإن قيل : كيف قال هنا : ﴿أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ ، وفي موضع آخر : ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ ؟

فالجواب : أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة ، قال رسول الله ﷺ : «جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما»<sup>(٢)</sup> ، فلعل الذهب للمقربين ، والفضة لأهل اليمين .

ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معًا .

﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي : ليس بنجس كخمر الدنيا .

وقيل : معناه : أنه لم تعصره الأقدام .

وقيل : معناه : لا يصير بولًا .

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ أي : يقال لهم هذا ، يقوله الله تعالى أو الملائكة .



(١) انظر (٢٦/٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٧٨) ، ومسلم (١٨٠) .

[﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (٢٢) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ هَؤُلَاءِ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمَثْلَهُمْ بِبَدِيلٍ ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اخُذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣١)].

﴿ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ﴿أَوْ﴾ هنا للتنويع، فالمعنى: لا تطع النوعين: فاعلاً للإثم، ولا كافرًا.

وقيل: هي بمعنى الواو؛ أي: جامعاً للوصفين؛ لأن هذه هي حالة الكفار. وروي أنه الآية نزلت في أبي جهل.

وقيل: إن الآثم: عتبة بن ربيعة، والكفور: الوليد بن المغيرة. والأحسن أنها على العموم؛ لأن لفظها عام، وإن كان سبب نزولها خاصاً.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هذا أمرٌ بذكر الله في كل وقت.

وقيل: هو إشارة إلى الصلوات الخمس، فالبكرة: صلاة الصبح، والأصيل: الظهر والعصر، ومن الليل: المغرب والعشاء.

﴿إِنَّكَ هَؤُلَاءِ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا، والإشارة إلى الكفار.

واليوم الثقيل: يوم القيامة، ووصفه بالثقل<sup>(١)</sup> عبارة عن هوله وشدته.

(١) في د: «بالثقل».

﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ الأسرُ: الخِلقَة.

وقيل: المفاصل والأوصال.

وقيل: القوة.

﴿بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ بَدِيلًا﴾ أي: أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم.

وقيل: مسخناهم فبدلنا صورهم.

وهذا تهديد.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ﴾ الإشارة:

إلى الآية.

أو السورة.

أو الشريعة بجملتها.

﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ تحضيض وترغيب، ثم قيد مشيئتهم بمشيئة الله.

﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: يعذب الظالمين.



## ﴿سورة المرسلات﴾

[﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ①﴾ وَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ②﴾ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ③﴾ وَالْفَرْقَتِ فَرْقًا ④﴾  
 فَالْمُلَقَّاتِ ذِكْرًا ⑤﴾ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ⑥﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ ⑦﴾ فَإِذَا التَّجُومُ طُمِسَتْ ⑧﴾ وَإِذَا  
 السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑨﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ ⑩﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُفْنِتْ ⑪﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ⑫﴾ لِيَوْمِ  
 الْفَصْلِ ⑬﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ⑭﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑮﴾ أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ  
 ⑯﴾ ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ ⑰﴾ كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ⑱﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑲﴾ أَلَمْ  
 نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ⑳﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ㉑﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ㉒﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ  
 ㉓﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ㉔﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ㉕﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ㉖﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا  
 رُوسًا شَلْخَاشٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً قُرَاتًا ㉗﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ㉘﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ  
 تَكْذِبُونَ ㉙﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ㉚﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْآلِهَةِ ㉛﴾ إِنَّهَا  
 تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْفَصْرِ ㉜﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صَفْرٌ ㉝﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ㉞﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا  
 يَنْطِقُونَ ㉟﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ ㊱﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ㊲﴾ هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ  
 وَالْأَوَّلِينَ ㊳﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِدُونِ ㊴﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.]

اختلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على

قولين:

أحدهما: أنها الملائكة.

والآخر: أنها الرياح.



فعلى القول بأنها الملائكة :

سماهم المرسلات ؛ لأنه تعالى يرسلهم بالوحي وغيره .

وسماهم العاصفات ؛ لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيهم<sup>(١)</sup> إلى امثال أوامر الله تعالى .

وسماهم الناشرات ؛ لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجو ، أو ينشرون الشرائع في الأرض ، أو ينشرون صحائف الأعمال .

وسماهم الفارقات ؛ لأنهم يفرقون بين الحق والباطل .

وعلى القول بأنها الرياح :

سماها المرسلات ؛ لقوله : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [الروم : ٤٨] .

وسماها العاصفات من قوله : ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس : ٢٢] ؛ أي : شديدة .

وسماها الناشرات ؛ لأنها تنشر السحاب في الجو ، ومنه قوله : ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم : ٤٨] .

وسماها الفارقات ؛ لأنها تفرق بين السحاب ومنه قوله : ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾

[الروم : ٤٨] .

وأما ﴿الْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾ : فهم الملائكة ؛ لأنهم يلقون الذكر للأنبياء ﷺ .

والأظهر في المرسلات والعاصفات : أنها الرياح<sup>(٢)</sup> ؛ لأن وصف الرياح بالعصف حقيقة .

(١) في د : «مضيهم» .

(٢) في أ ، د : «الريح» .

والأظهر في الناشرات والفارقات: أنها الملائكة؛ لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح، ولأن الملقيات المذكورة بعدها هي الملائكة، ولم يقل أحد إنها الرياح.

ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ ﴿فَالْعَصْفَاتِ﴾، ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ﴾، ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء.

وقد قيل في ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ و﴿الْمُلْقِيَاتِ﴾: إنهم الأنبياء ﷺ.

﴿عُرْفًا﴾ معناه: فضلاً وإنعاماً، وانتصابه: على أنه مفعول من أجله.

وقيل: معناه: متتابعة، وهو مصدر في موضع الحال.

وأما ﴿عَصْفًا﴾ و﴿نَشْرًا﴾ و﴿فَرْقًا﴾: فمصادر.

وأما ﴿ذِكْرًا﴾: فمفعول به.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ ﴿١﴾ العذر: فسره ابن عطية<sup>(١)</sup> وغيره بمعنى: إغذار الله إلى عباده؛ لئلا تبقى لهم حجة أو عذر.

وفسره الزمخشري: بمعنى الاعتذار، يقال: عذَر: إذا محا الإساءة<sup>(٢)</sup>.

وأما ﴿نُذْرًا﴾ فمن الإنذار وهو التخويف.

وقرئ بضم الذال في الموضعين وبإسكانها.

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٥٠٤).

(٢) الكشف (١٦/ ٢٢٢).

ويحتمل أن يكونا مصدرين، فيكون نصبهما :

على البذل من ﴿ذِكْرًا﴾ .

أو مفعولاً من أجله .

أو مفعولاً بـ ﴿ذِكْرًا﴾ .

ويحتمل أن يكون ﴿عُذْرًا﴾ جمع عُذِير أو عاذر، و﴿نُذْرًا﴾ جمع نذير، فيكون نصبهما : على الحال .

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعُ﴾ (٧) يعني : البعث والجزاء، وهو جواب القسم .

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (٨) أي : زال ضوؤها .

وقيل : مُحِيتُ .

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ (٩) أي : انشقت .

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾ (١٠) أي : صارت غباراً .

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ﴾ (١١) أي : جُعل لها وقت معلوم، فحان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة .

وقرئ ﴿وُقَّتْ﴾ بالواو وهو الأصل، والهمزة بدل من الواو .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمِ أُنِجَّتْ﴾ (١٢) هو من الأجل، كالتوقيت من الوقت .

وفيه توقيف يراد به تعظيمٌ لذلك اليوم، ثم بينه بقوله : ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ (١٣)

أي : (١) يفصل فيه بين العباد، ثم عظمه بقوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ .

(١) في ب زيادة : «يوم» .

﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ تكرر في هذه السورة :

قيل : إنه تأكيد .

وقيل : بل في كل آية ما يقتضي التصديق ، فجاء ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ راجعاً إلى ما قبله في كل موضع منها .

﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ١٦﴾ يعني : الكفار المتقدمين ، كقوم نوح وغيرهم .

﴿ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ ١٧﴾ يعني : قريشاً وغيرهم من الكفار بمحمد ﷺ ، وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره .

﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي : مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم ؛ يعني الكفار .

﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ١٨﴾ يعني : المني ، والمهين : الضعيف .

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ١٩﴾ يعني : رحم المرأة وبطنها .

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ٢٠﴾ يعني : وقت الولادة ، وهو معلوم عند الله ، وهو تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر .

﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالتشديد : من التقدير ، وبالتخفيف : من القدرة .

فإذا كان من القدرة : اتفق مع قوله : ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ .

وإذا كان من التقدير : فهو تجنيس .

﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ٢١﴾ أحياء وأمواتاً ﴿٢٢﴾ الكفات : من كفت : إذا ضَمَّ

و جمع .

فالمعنى : أن الأرض تَكْفِتُ الأحياء على ظهرها ، والموتى في بطنها .  
وانتصب ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ ﴿٣١﴾ على أنه مفعول بـ ﴿كَفَاتَا﴾ ؛ لأن الكفات  
اسم لم يُضْمُ وَيُجْمَعُ ، فكأنه قال : جامعة أحياء وأمواتا .  
ويجوز أن يكون المعنى : تكفتهم أحياء وأمواتا ، فيكون نصبهما على  
الحال من الضمير .

وإنما نكّر ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ ﴿٣١﴾ ؛ للتفخيم ، ودلالة على كثرتهم .

﴿رَوَّسَى﴾ يعني : الجبال .

﴿شِخَاتٍ﴾ أي : مرتفعات .

﴿مَاءَ فُرَاتًا﴾ أي : حلوا .

﴿أَنْطَلِقُوا﴾ خطاب للمكذبين .

وقرأ يعقوب بفتح اللام على أنه فعل ماض .

ثم كرّره ؛ لبيان المنطلق إليه .

﴿إِلَى ظِلٍّ﴾ يعني : دخان جهنم ، ومنه : ﴿وَوَيْلٌ مِّنْ يَّحْمُورٍ﴾ ﴿٤٣﴾ [الواقعة : ٤٣] .

﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ أي : يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتُظِلُّهم ، بينما يكون  
المؤمنون في ظلّ العرش .

وقيل : إن هذه الآية في عبدة الصليب ؛ لأنه <sup>(١)</sup> على ثلاثة شعب ، فيقال  
لهم انطلقوا إليه .

(١) أي : الصليب .

﴿لَا ظَلِيلٌ﴾ نفى عنه أن يُظلم كما يُظلم العرشُ المؤمنين، ونفى أيضاً أن يمنع عنهم اللهب.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ (٣٢) الضمير في ﴿إِنَّهَا﴾ لجهنم.

والقصر: واحد القصور، وهي الديار العظام، شبه الشرر به في عظمه وفي ارتفاعه في الهواء.

وقيل: هو الغليظ من الشجر، واحده قَصْرَةٌ، كجمرة وجمر.

﴿كَأَنَّهُ جُمِلَتِ صُفْرٌ﴾ في الجمالات قولان:

أحدهما: أنه جمع جَمَالٍ، شبه بها الشرر، و﴿صُفْرٌ﴾ على ظاهره؛ لأن لون النار يضرب إلى الصفرة.

وقيل: ﴿صُفْرٌ﴾ هنا: بمعنى سودّ، يقال: جمل أصفر أي: أسود، وهذا أليق بوصف<sup>(١)</sup> جهنم.

الثاني: أن الجمالات: قطع النحاس الكبار، فكأنه مشتق من الجُملة.

وقرئ ﴿جُمِلَتِ﴾ بضم الجيم، وهي قُلُوس السفن، وهي حبالها العظام.

﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) هذا في موطن، وقد يتكلمون في موطن آخر؛ كقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١].

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِدُونِ﴾ (٣٩) تعجيز لهم، وتعريض بكيدهم في الدنيا، وتقريع عليه.

(١) في أ، هـ: «الوصف».

[﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَةٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَنَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْزَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ازْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدُهُ يُؤْمِنُونَ﴾].

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يقال لهم ذلك في الجنة: بلسان الحال، أو بلسان المقال.

﴿هَنِيئًا﴾ نصبٌ:

على الحال.

أو على الدعاء.

﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا﴾ خطاب للكفار على وجه التهديد، تقديره: قل لهم: كلوا وتمتعوا قليلاً في الدنيا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ازْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ هذا إخبار عن حال الكفار في الدنيا. وذكر الركوع: عبارة عن الصلاة.

وقيل: معنى ﴿اَزْكَعُوا﴾: اخشعوا وتواضعوا لله.

وقيل: هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة؛ لأنهم إذا قيل لهم: اركعوا لا يقدرّون على الركوع، كقوله تعالى: ﴿وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

والأول أشهر وأظهر.

﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدُهُ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير للقرآن.

## ﴿سورة النبا﴾

[﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١] عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ٢ الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ٤  
 ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ٨  
 وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ  
 سَبْعًا شِدَادًا ١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ  
 حَبًّا وَنَبَاتًا ١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ١٦ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ١٧ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ  
 أَفْوَاجًا ١٨ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ١٩ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ  
 كَانَتْ مِرْصَادًا ٢١ لِلطَّالِعِينَ مَنَابًا ٢٢ لِيَشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ٢٣ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا  
 إِلَّا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ٢٤ جَزَاءً وَفَاقًا ٢٥ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ٢٦ وَكَذَّبُوا  
 بِآيَاتِنَا كِذَابًا ٢٧ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ٢٨ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ٢٩].

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١ أصل ﴿عَمَّ﴾ : «عَنْ مَا»، ثم أُدغمت النون في الميم، وحذفت ألف «ما»؛ لأنها استفهامية، تقديرها: عن أي شيء يتساءلون؟

وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام، وإنما المراد تفخيم الأمر.

والضمير في ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ :

لكفار قريش.

أو لجميع الناس.

ومعناه: يسأل بعضهم بعضًا.



﴿عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ﴾ (٢) هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك .

ويتعلق ﴿عَنِ النَّبِإِ﴾ بفعل محذوف يفسره الظاهر ، تقديره : يتساءلون عن النبأ .

ووقعت هذه الجملة جواباً عن الاستفهام ، وبياناً للمسؤول عنه ، كأنه لما قال : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) أجاب فقال : يتساءلون عن النبأ العظيم .

وقيل : يتعلق ﴿عَنِ النَّبِإِ﴾ بـ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ الظاهر ، والمعنى على هذا : لأي شيء يتساءلون عن النبأ العظيم ؟

والأول أفصح وأبرع ، وينبغي على ذلك أن يوقف على قوله : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) .

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ (٣) إن كان الضمير في ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ لكفار قريش فاختلافهم :

أن منهم من يقطع بالكذب ، ومنهم من يشك .

أو يكون اختلافهم قول بعضهم : سحر ، وقول بعضهم : شعر وكهانة وغير ذلك .

وإن كان الضمير لجميع الناس : فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر .

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٤) ردع وتهديد ، ثم كرهه للتأكيد .

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ (٥) أي : فراشاً .

وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة<sup>(١)</sup> التوقيف؛ ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث، كأنه يقول: إن الإله الذي قَدَّر على خَلْق هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم. ويَحْتَمِل أن يذكرها حجةً على التوحيد؛ لأن الذي خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له.

﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ ٧ ﴿شَبَّهَهَا بِالْأَوْتَادِ؛ لأنها تمسك الأرض أن تميد.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ٨ ﴿أَي: مُزْدَوِجِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ذَكَرًا وَأُنْثَى.

وقيل: معناه: أنواعًا في ألوانكم وصوركم وألستكم.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ ٩ ﴿أَي: راحة لكم.

وقيل: معناه قطعًا للأعمال والتصرف، والسَّبْتُ: القطع.

وقيل: معناه: مَوْتًا؛ لأن النوم هو الموت الأصغر، ومنه قوله تعالى:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبهه بالثياب التي تُلْبَس؛ لأنه يَسْتَر<sup>(٣)</sup> عن العيون.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي: تُطَلَّب فيه المعيشة، فهو على حذف مضاف

تقديره: ذا معاش.

وقال الزمخشري: معناه يُعَاش فيه، فجعله بمعنى الحياة في مقابلة

(١) في ب، د: «وجه».

(٢) في ج: «من زوجين».

(٣) في أ، هـ: «ستر».

السُّبَاتِ الَّذِي بِمَعْنَى الْمَوْتِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني: السموات.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يعني: الشمس، والوهَّاج: الوَقَادُ الشَّدِيدُ الإِضَاءَةِ.

وقيل: الحار الذي يضطرم من شدة لَهَبِهِ.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ يعني: المطر.

و﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾: هي السحاب، وهو مأخوذ:

من الْعَصْرِ؛ لأن السحاب تنعصر فينزل منها الماء.

أو من الْعُصْرَةِ؛ بمعنى الإِغَاثَةِ، ومنه: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩].

وقيل: هي السماوات.

وقيل: هي الرياح.

والتَّجَّاجُ: السريع الاندفاع.

﴿لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ الحب: هو القمح والشعير وسائر الحبوب،

والنبات: هو العشب.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أي: ملتفة، وهو جمع لُفٍّ بضم اللام، وقيل: بالكسر.

وقيل: لا واحد له.

﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ أي: في وقت معلوم.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يعني: نفخة القيام من القبور.

﴿فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعاتٍ .

﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي: تنفتح فيكون فيها شِقَاق كالأبواب .

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ أي: حُمِلت .

﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ عبارة عن تلاشيها وفنائها .

والسرَاب في اللغة: ما يظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا، وإنما هو تشبيه به في أنه لا شيء .

﴿مِرْصَادًا﴾ أي: موضع الرِّصْد، والرِّصْد: هو الارتقَاب والانتظار؛ أي: تنتظر الكفار ليدخلوها .

وقيل: معناه: طريقًا للمؤمنين يجوزون عليها إلى الجنة؛ لأن الصراط منصوب على جهنم .

﴿مَتَابًا﴾ أي: مرجعًا .

﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ﴿٣٣﴾ جمع حِقْبَة أو حَقْب<sup>(١)</sup>، وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة .

وقيل: إنها محدودة، ثم اختلف في مقدارها:

فروي عن النبي ﷺ أنها ثلاثون ألف سنة<sup>(٢)</sup> .

(١) في المحرر الوجيز (٥١٧/٨): «جمع حُقْب بضم الحاء وفتح القاف، وحُقْب بكسر الحاء، وحُقْب بضمها وضم القاف» .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٩٥/٩) من حديث أبي أمامة، وقال: «بسند ضعيف» .

وقال ابن عباس : ثمانون سنة .

وقيل : ثلاث مئة سنة .

وعلى القول بالتحديد : فالمعنى : أنهم يبقون فيها أحقاباً ، كلما انقضى  
حقبٌ جاء آخر إلى غير نهاية .

وقيل : إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي ، ثم نسخ بقوله : ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ  
نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٢٥ ﴾ ، وهذا خطأ ؛ لأن الأخبار لا تُنسخ .

وقيل : هي في عصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار ، وهذا خطأ ؛  
لأنها في الكفار لقوله : ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ .

وقيل : معناها أنهم يبقون أحقاباً<sup>(١)</sup> لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ، ثم  
يبدل لهم نوع آخر من العذاب .

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا ﴾ أي : لا يذوقون برودةً تخفف عنهم حر النار .

وقيل : لا يذوقون ماء باردًا .

وقيل : البرد هنا النوم .

والأول أظهر .

﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٦ ﴾ استثناء من الشراب ، وهو متصل .

والحميم : الماء الحار .

(١) في أ ، هـ : «أحياناً» .

والغساق: صديد أهل النار، وقد ذكر في سورة «داود»<sup>(١)</sup>.

﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ أي: موافقًا أعمالهم؛ لأن أعمالهم كفر وجزاءهم النار.  
و﴿وَفَاقًا﴾:

مصدر وصف به.

أو هو على حذف مضاف تقديره: ذا وفاق.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ هذا مثل ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وقد ذكر<sup>(٢)</sup>.

﴿كَذَّابًا﴾ بالتشديد: مصدر بمعنى تكذيب.

وبالتخفيف: بمعنى:

الكذب.

أو المكاذبة؛ وهي تكذيب بعضهم لبعض.

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال رسول الله ﷺ: «ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية»<sup>(٣)</sup>.



(١) انظر (٧٢٥/٣).

(٢) انظر (٥٣٩/٢)، (٣٣٢/٣).

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١١٧/١٠).

[إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْجَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اخْذِلْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾].

﴿مَفَازًا﴾ أي: موضع فوز، يعني: الجنة.

﴿حَدَائِقَ﴾ أي: بساتين.

﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جمع كاعب، وهي الجارية التي خرج ثديها.

﴿أَزْجَابًا﴾ أي: على سن واحد<sup>(١)</sup>.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ ﴿٣٤﴾ أي: ملأى.

وقيل: صافية.

والأول أشهر.

﴿عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ أي: كافيًا، مِّنْ أَحْسَبِهِ الشَّيْءُ: إذا كفاه.

وقيل: معناه: على حسب أعمالهم.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ بالرفع: مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمرة.

وبالخفض صفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾.

و﴿الرَّحْمَنُ﴾ بالخفض: صفة.

(١) في ب: «واحدة».

وبالرفع : خبر المبتدأ ، أو خبر ابتداء مضمرة .

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ قال ابن عطية : الضمير للكفار ؛ أي : لا يملكون أن يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها<sup>(١)</sup> .

ويحتمل أن يكون المعنى : لا يقدرّون أن يخاطبهم كقوله : ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ .

وقال الزمخشري : الضمير لجميع الخلق ؛ أي : ليس بأيديهم شيء من خطاب الله<sup>(٢)</sup> .

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قيل : هو جبريل .

وقيل : ملك عظيم يكون هو وحده صفًا ، والملائكة صفًا .

وقيل : يعني : أرواح بني آدم ، فهو اسم جنس .

و﴿يَوْمَ﴾ يتعلق :

بـ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ .

أو بـ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ .

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الضمير للملائكة والروح ؛ أي : تمنعهم الهيبة من الكلام<sup>(٣)</sup> إلا بعد أن يأذن الله لهم ، وقول الصواب يكون في ذلك الموطن على هذا .

(١) المحرر الوجيز (٥٢٣/٨) .

(٢) الكشف (٢٥٨/١٦) .

(٣) في ب : «كلام الله» .



وقيل : الضمير للناس خاصة ، والصواب المشار إليه : قول : « لا إله إلا الله » ؛ أي : من قالها في الدنيا .

﴿ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ أي : الحق وجوده ووقوعه .

﴿ فَمَنْ شَاءَ ﴾ تحضيض وترغيب .

﴿ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ يعني : عذاب الآخرة ، ووصفه بالقرب :

لأن كل آت قريب .

أو لأن الدنيا على آخرها .

﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ المرء هنا : عموم في المؤمن والكافر .

وقيل : هو المؤمن .

وقيل : هو الكافر .

والعموم أحسن ؛ لأن كل أحد يرى ما عمل ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ الآية [الزلزلة : ٧] .

﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ تمنى أن يكون يوم القيامة ترابًا فلا يحاسب ولا يجازى .

وقيل : تمنى أن يكون في الدنيا ترابًا ؛ أي : لم يخلق .

وروي أن البهائم تحشر ؛ ليقْتَصَّرَ لبعضها من بعض ، ثم تُرَدُّ ترابًا ، فيتمنى الكافر أن يكون مثلها ، وهذا يقوِّي الأول .

وقيل : الكافر هنا : إبليس ، يتمنى أن يكون<sup>(١)</sup> من تراب ، مثل آدم وذريته ؛  
لما رأى ثوابهم ، وقد كان احتقر التراب في قوله : ﴿ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِنْ  
طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢] .



---

(١) في د زيادة : «يوم القيامة» .

## ﴿ سورة النازعات ﴾

[ وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ① وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطًا ② وَالسَّيِّحَاتِ سَبَاحًا ③ فَالَسَّيْفَاتِ سَبَاقًا ④ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ⑤ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ⑥ تَتَّبِعُنَّ الرَّادِفَةُ ⑦ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ⑧ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ⑨ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ⑩ أَيْنَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً ⑪ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّهَ حَاسِرَةٌ ⑫ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ⑬ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ⑭ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ⑮ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقُدْسِ طُوًى ⑯ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ⑰ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَنِي ⑱ وَاهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشِنِي ⑲ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ⑳ فَكَذَّبَ وَعَصَى ㉑ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ㉒ فَحَشَرَ فَنَادَى ㉓ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ㉔ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ㉕ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ] .

اختلف في معنى النازعات والناشطات والسابقات والسابحات والمدبرات :

ف قيل : إنها الملائكة .

وقيل : النجوم .

فعلى القول بأنها الملائكة :

سماهم نازعات ؛ لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادهم <sup>(١)</sup> .

(١) في ب، ج، د : «أجسادها» .

وناشطات ؛ لأنهم يَنْشِطُونَهَا ؛ أي : يُخْرِجُونَهَا ، فهو من قولك : نَشَطْتُ الدلوَ من البئر : إذا أَخْرَجْتَهَا .

وسابحات ؛ لأنهم يَسْبَحُونَ في سيرهم ؛ أي : يسرعون ، فيسبقون ، فيدبّرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حَسَبَما يَأْمُرهم الله .  
وعلى القول بأنها النجوم :

سماها نازعات ؛ لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب .

وناشطات ؛ لأنها تَنْشِطُ من برج إلى برج .

وسابحات ؛ لأنها تسبح في الفلك ، ومنه : ﴿ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ، فتسبق في جريها ، فتدبّر أمرًا من علم الحساب .

وقال ابن عطية : لا أعلم خلافاً أن ﴿ الْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ الملائكة <sup>(١)</sup> .  
وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا <sup>(٢)</sup> .

وقد قيل في النازعات والناشطات : إنها النفوس ، تنزعُ من معنى النزع بالموت ، فتَنْشِطُ من الأجساد .

وقيل في السابحات والسابقات : إنها الخيل ، وإنها السفن .

﴿ غَرَقًا ﴾ إن قلنا : إن النازعات الملائكة : ففي معنى ﴿ غَرَقًا ﴾ وجهان :  
أحدهما : أنه من الغرق ؛ أي : تغرق الكفار في جهنم .

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٥٢٧) .

(٢) الكشف (١٦/ ٢٦٤-٢٦٧) .

والآخر: أنه من الإغراق في الأمر، بمعنى المبالغة فيه؛ أي: تبالغ في نزع النفوس حتى تخرجها من أقاصي الأجساد.

وإن قلنا: إن النازعات النجوم: فهو من الإغراق بمعنى المبالغة؛ أي: تبالغ في نزعها فتقطع الفلك كله.

وإن قلنا: إنها النفوس: فهو أيضاً من الإغراق؛ أي: تغرق في الخروج من الجسد.

وإعراب:

﴿عَرَفَا﴾ مصدر في موضع الحال.

و﴿نَشَطَا﴾ و﴿سَبَحَا﴾ و﴿سَبَقَا﴾: مصادر.

و﴿أَمَرَا﴾ مفعول به.

وجواب القسم: محذوف، وهو بعث الموتى، بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة.

وقيل: الجواب: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ﴾ (٧) على تقدير حذف لام التأكيد<sup>(١)</sup>.

وقيل: هو: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ (٢١) وهذا بعيد؛ لبعده عن القسم، ولأنه إشارة إلى قصة فرعون، لا لمعنى القسم.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ﴾ قيل: الراجفة: النفخة الأولى في الصور، والرادفة: النفخة الثانية؛ لأنها تتبعها، ولذلك سماها رادفة، من

(١) كأنه قال: «اليوم». المحرر الوجيز (٥٢٨/٨).

قولك : رَدِفْتُ الشيءَ : إذا تبعته ، وفي الحديث : «إن بينهما أربعين عاماً»<sup>(١)</sup>.

وقيل : الراجفة : الموت ، والرادفة : القيامة .

وقيل : الراجفة : الأرض ، من قوله : ﴿ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾ [المزمل : ١٤] ، والرادفة : السماء لأنها تنشق يومئذ .

والعامل في ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ محذوف ، وهو الجواب المقدر ، تقديره : «لتبعثن يوم ترجف الراجفة» .

وإن جعلنا : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ الجواب : فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾ معنى قوله : ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝﴾ ، ويكون : ﴿تَبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝﴾ في موضع الحال . ويحتمل أن يكون العامل فيه ﴿تَبَعُهَا﴾ .

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝﴾ أي : شديدة الاضطراب ، والوجيف والوجيب بمعنى واحد .

وارتفع ﴿قُلُوبٌ﴾ بالابتداء ، و﴿وَاجِفَةٌ﴾ خبره .

وقال الزمخشري : ﴿وَاجِفَةٌ﴾ صفة ، والخبر : ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۝﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۝﴾ كناية عن الذل والخوف .

وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوز ، والتقدير : قلوب أصحابها<sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦/٢٤) .

(٢) الكشف (٢٧٢/١٦) .

(٣) كذا في النسخ الخطية ، ولعله سبق قلم ، والصواب : «أبصارُ أصحابها» . الكشف (٢٧٢/١٦) .

﴿يَقُولُونَ أَءَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ إِذَا كُنَّا عِظْمًا تَنَحَّرَةً﴾ هذا حكاية قول الكفار في الدنيا .

ومعناه على الجملة : إنكار البعث ، فالهمزة في قولهم : ﴿أَءَنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ للإنكار ، ولذلك اتفق القراء على قراءته بالهمزتين ، إلا أن منهم من سهّل الثانية ومنهم من حققها .

واختلفوا في ﴿إِذَا كُنَّا عِظْمًا﴾ :

فمنهم من قرأه بهمزة واحدة ؛ لأنه ليس موضع استفهام ولا إنكار .

ومنهم من قرأه بهمزتين ؛ تأكيداً للإنكار المتقدم .

ثم اختلف في معنى ﴿الْحَافِرَةِ﴾ على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها الحالة الأولى ، يقال : «رجع فلان في حافرته» : إذا رجع إلى حاله الأولى ، فالمعنى : أننا لمردودون إلى الحياة بعد الموت ؟

والآخر : أن الحافرة : الأرض ، بمعنى محفورة ، فالمعنى : أننا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن في القبور ؟

والثالث : أن الحافرة : النار .

والعظام النّخرة : البالية المتعفنة<sup>(١)</sup> .

وقرئ ﴿تَنَحَّرَةً﴾ باللف ، وبحذف الألف ، وهما بمعنى واحد ؛ إلا أن حذف الألف أبلغ ؛ لأن «فَعِلٌ» أبلغ من «فَاعِلٌ» .

(١) في ب ، ج ، د : «المتفتنة» .

وقيل : معناه : العظام المجوفة التي تمر<sup>(١)</sup> بها الريح فيُسمع لها نخير .

والعامل في ﴿إِذَا كُنَّا﴾ محذوف ، تقديره : إذا كنا عظامًا نبعث؟

ويحتمل أن يكون العامل فيه : ﴿لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ ، ولكن إنما يجوز هذا على قراءة ﴿إِذَا كُنَّا﴾ بهمزة واحدة على الخبر ، ولا يجوز على قراءته بهمزتين ؛ لأن همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها .

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ (١٢) الكرة : الرجعة .

والخاسرة : منسوبة إلى الخسران ، كقوله : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٢١) [الحاقة : ٢١] ؛ أي : ذات رضا ، أو معناه : خاسرٌ أصحابها .

ومعنى هذا الكلام : أنهم قالوا : إن كان البعث حقًا فكُرتنا خاسرة ؛ لأننا ندخل النار .

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يعني : النفخة في الصور للقيام من القبور .

وهذا من كلام الله تعالى ؛ ردًا على الذين أنكروا البعث ، كأنه يقول : لا تظنوا أنه صعب على الله بل هو عليه يسير ، فإنما يُنفخ<sup>(٢)</sup> في الصور نفخةً واحدة فيقوم الناس من قبورهم .

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤) ﴿إِذَا﴾ هنا فجائية ، والساهرة : وجه الأرض ، والباء : ظرفية .

والمعنى : إذا نفخ في الصور حصلوا بالأرض أسرع شيء .

(١) في أ ، هـ : «يمر» .

(٢) في أ ، هـ : «تنفخ» .



﴿هَلْ أُنْتُكَ﴾ توقيفٌ وتنبية، وليس المراد به مجرد الاستفهام.

﴿طُوى﴾ ذكر في «طه»<sup>(١)</sup>.

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ تفسير للنداء.

﴿قُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزْكَى﴾ أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والردائل.

وقال بعضهم: ﴿تَزْكَى﴾: تُسَلِّم.

وقيل: تقول: «لا إله إلا الله».

والأول أعم.

﴿فَأَرْسَلْنَا آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ ﴿٢٢﴾ قلب العصا حية، وإخراج يده بيضاء.

وجعلهما واحدة؛ لأن الثانية تبعٌ للأولى.

ويحتمل أن يريد الأولى وحدها.

﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ الإدبار: كناية عن إعراضه عن الإيمان.

و﴿يَسْعَى﴾ عبارة عن جدّه في الكفر، وفي إبطال أمر موسى عليه السلام.

وقيل: هو حقيقة؛ أي: قام من مجلسه يفرّ من مُجالسة موسى، أو يهرب من العصا لما صارت ثعباناً.

﴿فَحَشَرَ﴾ أي: جمع جنوده وأهل مملكته.

﴿فَنَادَى﴾ أي : نادى قومه وقال لهم ما قال .

ويحتمل أنه :

ناداهم بنفسه .

أو أمر من يناديهم .

والأول أظهر ، وقد روي أنه قام فيهم خطيباً فقال ما قال .

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [٢٥] النكال : مصدر بمعنى التنكيل ، والعامل فيه ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ ؛ لأنه بمعناه .

وقيل : العامل محذوف .

و﴿الْآخِرَةِ﴾ هي : دار الآخرة ، ﴿وَالْأُولَى﴾ : الدنيا ، فالمعنى : نكال الآخرة بالنار ، ونكال الأولى بالغرق .

وقيل : ﴿الْآخِرَةِ﴾ قوله : ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ، ﴿وَالْأُولَى﴾ قوله : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص : ٣٨] .

وقيل : بالعكس .

فالمعنى : أخذ الله وعاقبه على كلمته الآخرة وكلمته الأولى .

[﴿إِنَّمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا (٢٨) وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا (٣٢) مَنَّاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمَ كُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْهَنًا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عِيشَةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (٤٦)].

﴿إِنَّمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ هذا توقيف قصد به الاستدلال على البعث ؛ فإن الذي خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها .

﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ السَّمَكُ : غِلْظُ السَّمَاءِ ، وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها .

ومعنى رَفَعَهُ : أنه جعله مسيرة خمس مئة عام .

وقيل : السَّمَكُ : السقف .

﴿فَسَوَّيْنَهَا﴾ أي : أتقن خِلْقَتَهَا .

وقيل : جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض .

﴿وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا﴾ أي : جعله مظلمًا ، يقال : غَطَّشَ اللَّيْلُ : إذا أظلم ، وأغطشه الله .

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي : أظهر ضوء الشمس في وقت الضحى .

وأضاف الليل والضحى إلى السماء من حيث إنهما ظاهران منها وفيها .

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٢٥) أي: بسطها.

واستدل بها من قال: إن الأرض بسيطة غير كُرِّيَّة.

وقد ذكرنا في «فصلت» الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصلت: ١١] (١).

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (٢٦) نسب الماء والمرعى إلى الأرض؛ لأنهما يخرجان منها.

فإن قيل: لم قال: ﴿أَخْرَجَ﴾ بغير حرف العطف؟

فالجواب: أن هذه الجملة في موضع الحال، أو تفسير لما قبلها، قاله الزمخشري (٢).

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا﴾ (٢٧) أي: أثبتها.

ونصبُ ﴿الْجِبَالَ﴾ بفعل مضمَر يدل عليه الظاهر، وكذلك ﴿وَالْأَرْضَ﴾.

﴿مَتَعًا لَّكُمْ﴾ تقديره: فعل ذلك كله تمتيعًا لكم ولأنعامكم؛ لأن بني آدم والأنعام ينتفعون بكل ما ذكر.

﴿الطَّائِفَةُ﴾ هي القيامة.

وقيل: النفخة الثانية.

واشتقاقها من قولك: طمَّ الأمرُ: إذا علا وغلب.

(١) انظر صفحة ٩.

(٢) الكشف (١٦/٢٨١-٢٨٢).

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ أي: أظهرت لكل من يرى، فهي لا تخفى على أحد.

﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ذكر في سورة «الرحمن»<sup>(١)</sup>.

﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ أي: ردّها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة.

قال بعض الحكماء: إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه.

وقال سهل التستري: لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين.

﴿أَيَّانَ مَرْسَنَهَا﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(٢)</sup>.

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ أي: من ذكر<sup>(٣)</sup> زمانها، والمعنى: لست في شيء من ذكر ذلك، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة كثيراً، فلما نزلت هذه الآية انتهى»<sup>(٤)</sup>.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَنَهَا﴾ أي: منتهى علمها، لا يعلم متى تكون إلا هو وحده.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَحْشَنَهَا﴾ أي: إنما بعثت لتنذر بها، وليس عليك الإخبار بوقتها.

وخصّ الإنذار بمن يخشاها؛ لأنه هو الذي ينفعه الإنذار.

﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزَوَّنَا لَهُمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ أي: أخبر أنهم إذا رأوا الساعة

(١) انظر: (٢٧٥).

(٢) انظر: (٤٢٤/٢).

(٣) في ب: «ذكرى».

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٣٢٣/١٠).

ظنوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور إلا عشية يوم أو ضحى يوم.  
وأضاف الضحى إلى العشية؛ لما بينهما من الملاسة؛ إذ هما في يوم  
واحد.



## ﴿ سورة عبس ﴾

[﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَزْكَى ۝ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝ (٤) أَمَّا مَنْ اسْتَعْزَى ۝ (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۝ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى ۝ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝ (٨) وَهُوَ يَحْسَبُ ۝ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝ (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝ (١٣) مُرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ (١٦) قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ۝ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۝ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝ (٢٠) ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۝ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ۝ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۝ (٢٤) أَنَا صَبَبْتُ الْمَاءَ صَبًّا ۝ (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝ (٢٦) فَأَبْلَقْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ (٢٧) وَعَسَا وَقَضَا ۝ (٢٨) وَزَيَّنَّا وَنَحَلًا ۝ (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝ (٣٠) وَفِكَهَةً وَأَبًّا ۝ (٣١) مَتَّعْنَا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِيكُمْ ۝ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاعَةُ ۝ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْزُّعْرُ مِنْ أَحِبِّهِ ۝ (٣٤) وَأُمُهُ وَأَبِيهِ ۝ (٣٥) وَصَحْبَيْهِ وَبَنِيهِ ۝ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَ ذُكُرٍ يُغْنِيهِ ۝ (٣٧) وَجُوهٌ يَوْمَ ذُكُرٍ مُسْفِرَةٌ ۝ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۝ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَ ذُكُرٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۝ (٤٢) ]

سبب نزول صدر هذه السورة: أن رسول الله ﷺ كان حريصًا على إسلام قريش، وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا، فيسلم بإسلامهم غيرهم، فبينما هو يومًا مع رجل من عظمائهم، قيل: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف، وقال ابن عباس: كانوا جماعة = إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، فقال: يا رسول الله علمني مما

علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم بتشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطع الأعمى لكلامه، فعبس وأعرض عنه، وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله ﷺ، فنزلت الآية<sup>(١)</sup>.

فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي»، ويبسط له رداءه<sup>(٢)</sup>، وقد استخلفه على المدينة مرتين. ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ① أي: عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه.

قال ابن عطية: في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب؛ لأن في ذلك بعض الإعراض<sup>(٣)</sup>.

وقال الزمخشري: في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار<sup>(٤)</sup>.

وقال غيرهما: هو إكرام للنبي ﷺ وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب، وهذا أحسن.

﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ ② في موضع مفعول من أجله، وهو منصوب بـ ﴿تَوَلَّى﴾ أو ﴿عَبَسَ﴾.

وذكر ابن أم مكتوم بلفظ الأعمى؛ ليدل أن عماه هو الذي أوجب احتقاره. وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كان لمنفعة، أو يُشهرُ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٣/٢٤).

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في الهداية (٨٠٥٣) من قول سفيان الثوري، ولم أقف على إسناده.

(٣) المحرر الوجيز (٥٣٦/٨).

(٤) الكشف (٢٩١/١٦).



صاحبُها بها، ومنه قول المحدثين: سليمان الأعمش، وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك.

﴿وَمَا يَذْرِيكَ﴾ أي: أي شيء يُطلعك على حال هذا الأعمى ﴿لَعَلَّكَ يَرْكِي﴾ أي: يتطهر ويتنفع في دينه بما يسمع منك.

﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعَىٰ ۝ فَآتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝﴾ أي: تتعرض<sup>(١)</sup> للغني؛ رجاء أن يسلم.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكِي﴾ أي: لا حرج عليك إذا<sup>(٢)</sup> لا يتركى هذا الغني.

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝﴾ إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم.

ومعنى ﴿يَسْعَىٰ﴾: يسرع في مشيه؛ من حرصه على طلب الخير.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝﴾ أي: يخشى الله، أو يخاف الكفار وإذابتهم له على إتيانك.

وقيل: جاء وليس معه من يقوده، فكان يخشى أن يقع، وهذا ضعيف.

﴿فَآتَ عَنْهُ لِلَّهِ ۝﴾ أي: تشتغل عنه بغيره، من قولك: لهيئت عن الشيء: إذا تركته.

وروي أن رسول الله ﷺ تأدب بما أدبه الله في هذه السورة فلم يُعرض بعدها عن فقير ولا تعرض لغني، وكذلك اتبعه فضلاء العلماء، فكان الفقراء في مجلس سفيان الثوري كالأمراء، وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء.

(١) في أ، ج، هـ: «يتعرض».

(٢) في أ، ب: «إذا».

﴿كَلَّا﴾ ردُّعٌ عن معاودة ما وقع العتاب فيه .

﴿إِنِّهَا نَذِيرَةٌ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إن هذا الكلام المتقدم تذكرةٌ ؛ أي : موعظة للنبي ﷺ .

والآخر : إن القرآن تذكرة لجميع الناس ، فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد ، وهذا أرجح ؛ لأنه يناسبه : ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ ، وما بعده .

وأنت الضمير في قوله : ﴿إِنِّهَا نَذِيرَةٌ﴾ على معنى : القصة ، أو الموعظة ، أو السورة ، أو القراءة .

وذكَّره في قوله : ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ على معنى : الوعظ ، أو الذكر ، أو القرآن .

﴿فِي صُحُفٍ﴾ صفة لـ ﴿نَذِيرَةٌ﴾ ؛ أي : ثابتة في صحف ، وهي الصحف المنتسخة من اللوح المحفوظ .

وقيل : هي مصاحف المسلمين .

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ إن كانت الصحف المصاحف : فمعناه مرفوعة المقدار .

وإن كان صحف الملائكة : فمعناه :

كذلك .

أو مرفوعة في السماء .

﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ أي : منزَّهة عن أيدي الشياطين .

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ هم الملائكة . ﴿١٥﴾

والسَّفَرَة: جمع سافر؛ وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن في الصحف.  
 وقيل: لأنهم سفراء بين الله وبين عباده.  
 وقيل: يعني: القرّاء من الناس.

والأول أرجح، وقد قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»<sup>(١)</sup>، أي: أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته، أو له من الأجر على القرآن مثل أجورهم.

﴿قُلِ الْإِنْسَنُ﴾ دعاءٌ عليه؛ على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ.

ومعناه: تقييح حاله، وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك.  
 وقيل: معناه: لُعِن، وهو بعيد.

﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾ تعجّب<sup>(٢)</sup> من شدة كفره، مع أنه يجب عليه خلاف ذلك.  
 ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ توقيف وتقرير، ثم أجاب عنه بقوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾  
 يعني: المني.

ومقصد الكلام: تحقير الإنسان، وأنه يجب عليه أن يعظم الرب الذي خلقه.

﴿فَقَدَرَهُ﴾ أي: هيأه لما يصلح له، ومنه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾

[الفرقان: ٢].

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

(٢) في أ: «تعجيب».

وقيل : معناه : جعله على مقدار معلوم في أعضائه وأجله ورزقه وغير ذلك .

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ﴾ نصب ﴿السَّبِيلَ﴾ بفعل مضمر فسره ﴿يَسْرُهُ﴾ .

وفي معناه ثلاثة أقوال :

أحدها : يسر سبيل خروجه من بطن أمه .

والآخر : أنه سبيل الخير أو الشر ، كقوله : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [٣] .

الثالث : سبيل النظر السديد المؤدي إلى الإيمان .

والأول أرجح ؛ لعطفه على قوله : ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ [١٦] ، وهو قول ابن عباس .

﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [٢١] أي : جعله ذا قبر ، يقال : قَبُرْتُ الميت : إذا دفنته ، وأقبرته : إذا أمرت أن يُدفن .

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ [٢٢] أي : بعثه من قبره ، يقال : نَشَرُ الميت : إذا قام ، وأنشره الله .

والإشارة بـ ﴿إِذَا شَاءَ﴾ ليوم القيامة ، أي : الوقت الذي قَدَّرَ أن ينشره فيه .  
﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عما هو فيه .

﴿لَمَّا يَبْضِ مَآ أَمْرُهُ﴾ أي : لم يقض الإنسان - على تطاول عمره - ما أمره

الله .

قال بعضهم : لا يقضي أحدٌ أبدًا جميع ما افترض الله عليه ؛ إذ لا بدَّ للعبد من تفريط .

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ (١) أمرٌ بالاعتبار في الطعام ؛ كيف خلقه الله بقدرته ، ويسرّه برحمته ، فيجب على العبد طاعته وشكره ، ويقبُح معصيته والكفر به .

وقيل : فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيئًا ؛ فيرى حقارة الدنيا وخساسة نفسه .

والأول أشهر وأظهر في معنى الآية ، على أن القول الثاني صحيح .  
وانظر كيف فسره بقوله : ﴿ إِنَّا صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ وما بعده ؛ ليعدّد النعم ويظهر القدرة .

وقرئ ﴿ أَنَا صَبَّيْنَا ﴾ بفتح الهمزة ؛ على البدل من الطعام .

﴿ شَقَقْنَا الْأَرْضَ ﴾ يعني : بخروج النبات منها .

﴿ حَبًّا ﴾ يعني : القمح والشعير وسائر الحبوب .

﴿ وَقَضَّا قِیلَ ﴾ : هي الفِضْفِصَةُ (١) .

وقيل : علف البهائم .

واختار ابن عطية : أنها البقول وشبهها مما يؤكل رَطْبًا (٢) .

(١) هي نبات كالبرسيم . المعجم الوسيط .

(٢) المحرر الوجيز (٨ / ٥٤١) .

﴿عَلَا﴾ أي: غليظة ناعمة.

﴿وَأَبَا﴾ الأب: المرعى عند ابن عباس والجمهور.

وقيل: التَّبن<sup>(١)</sup>.

وقد توقف في تفسيره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

﴿الصَّاعَةُ﴾ من أسماء القيامة، وهي مشتقة من قولك: صَحَّ الآذان: إذا أصمَّها بشدة صياحه، فكأنه إشارة:

إلى النفخة في الصور.

أو إلى شدة الأمر حتى يَصِحُّ<sup>(٢)</sup> من يسمعه؛ لصعوبته.

وقيل: هي من قولك: أصاخ للحديث: إذا استمعه.

والأول هو الموافق للاشتقاق.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْرُّءُوسُ مِنْ أَجْنِهِ﴾ الآية، ذكر فرار الإنسان من أحبابه، ورتبهم على ترتيب الحنو والشفقة، فبدأ بالأقل وختم بالأكثر؛ لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل من تقدم ذكره؛ وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه.

وقيل: إن فراره منهم؛ لئلا يطالبوه بالتبعات.

والأول أرجح وأظهر؛ لقوله: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب، حتى لا يسعه ذكر غيره،

(١) في ج، د: «التين» بالياء، والمثبت هو الصواب، كما في تفسير الثعلبي الكشاف والبيان (١٣٣/١٠).

(٢) في د: «يصم».

وانظر قول الأنبياء ﷺ يومئذ: «نفسى نفسى»<sup>(١)</sup>.

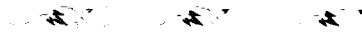
﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (٢٨) ﴿أَي: مضيئة من السرور، وهو من قولك: أسفر الصبح: إذا أضاء.﴾

﴿عَلَيَّاءُ غَبَرَةٌ﴾ أي: غبار.

والقترة أيضًا: الغبار.

فقال ابن عطية: الغبرة: هي من العبوس والكرب، كما يعتري وجه المهموم والمريض، والقترة: هي غبار الأرض<sup>(٢)</sup>.

وقال الزمخشري: الغبرة: غبار يعلوها، والقترة: سواد، فيعظم قبحها<sup>(٣)</sup> باجتماع الغبار والسواد<sup>(٤)</sup>.



(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٢) المحرر الوجيز (٥٤٣/٨).

(٣) في ج: «قبحهم».

(٤) الكشف (٣٠٣/١٦).

## ﴿سورة التكوير﴾

ذكر الله في هذه السورة أهوال القيامة ، وما يعترى الموجودات حينئذ من التغيير .

[﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ فَلَا أُقِيمُ بِالْخَنَسِ ⑮ الْجَوَارِ الْكُنَسِ ⑯ وَاللَّيْلُ إِذَا عَسْعَسَ ⑰ وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ ⑱ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ⑲ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ⑳ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ㉑ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ㉒ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَمِينِ ㉓ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ㉔ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ㉕ فَأَتَيْنَ تَذْهَبُونَ ㉖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ㉗ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ㉘ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾].

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾ ابن عباس : ذهب ضوءها فأظلمت .

وقيل : رمي بها .

وقيل : اضمحلت .

وأصله من تكوير العمامة ؛ لأنها إذا لُفَّت زال انبساطها وصغر جرمها .



﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢﴾ أي : تساقطت من مواضعها .

وقيل : تغيرت .

والأول أرجح ؛ لأنه موافق لقوله : ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْثَرَتْ ۝٢﴾ [الأنفطار : ٢] .

وروي أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ؛ ليراها من عبدها ، كما قال :  
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء : ٩٨] .

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ أي : حُملت ، وبعد ذلك تُفْتُ<sup>(١)</sup> فتصير هباء ثم تتلاشى .

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ العشار : جمع عُشراء ، وهي الناقة الحامل التي مر لحملها عشرة أشهر ، وهي أنفس ما عند العرب وأعزُّها ، فلا تُعْطَل إلا من شدة الهول .

وتعطيلها : هو تركها مسيبة ، أو ترك حلبها .

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ أي : جُمعت ، وفي صفة حشرها ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها تحشر ؛ أي : تبعث يوم القيامة ، ليقْتَصَرَ لبعضها من بعض ثم تكون ترابًا .

والآخر : أنها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة ، قاله ابن عباس ، وقال : إنها لا تُبعث ، وإنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن .

والثالث : أنها تجمع في أول أهوال القيامة وتفرُّ في الأرض ، فذلك حشرها .

(١) في ب : «تفتتت» ، وفي د : «تفتت» .

﴿وَإِذَا أَلْحَارَ سُجْرَتَ ⑥﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : ملئت وفجّر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرًا واحدًا .

والآخر : ملئت نيرانًا ؛ لتعذيب أهل النار .

والثالث : فرّغت من مائها ويّست .

وأصله : من سجّرتُ التنور : إذا ملأته .

فالقول الأول والثاني : أليق بالأصل .

والأول والثالث : موافق لقوله : ﴿فُجِّرَتْ ⑦﴾ [الانفطار : ٣] .

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑧﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن التزويج بمعنى التنويع ؛ لأن الأزواج هي الأنواع ، فالمعنى : جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن .

والآخر : زوّجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين .

والثالث : زوجت الأرواح والأجساد ؛ أي : رُدّت إليها عند البعث .

والأول هو الراجح ؛ لأنه مروي عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup> ، وعن عمر بن الخطاب وابن عباس .

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ ⑨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑩﴾ الموءودة : هي البنت التي

كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها ، ومن غيرته عليها ، فتُسأل يوم

القيامة : ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑩﴾ على وجه التوبيخ لقاتلها .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٣٠) .

وقرأ ابن عباس : «وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سَأَلَتْ» - بفتح السين والهمزة - «بَأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ» - بضم القاف وسكون اللام وضم التاء - .

واستدل ابن عباس بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة ؛ لأن الله ينتصر لهم ممن ظلمهم .

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۖ﴾ (١٠) هي صحف الأعمال ، تنشر ليقرأ كل أحد كتابه .

وقيل : هي الصحف التي تتطاير بالآيمان والشمائل بالجزاء .

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۖ﴾ (١١) الكَشُطُ : هو التقشير ، كما يُكشط جلدة الشاة حين تسلخ .

وكشط السماء : هو طيها كطي السجل ، قاله ابن عطية<sup>(١)</sup> .

وقيل : معناه كُشِفَتْ ، وهذا أليق بالكشط .

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ۖ﴾ (١٢) أي : أوقدت وأحميت<sup>(٢)</sup> .

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْفِلَتْ ۖ﴾ (١٣) أي : قربت .

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۖ﴾ (١٤) هذا جواب ﴿إِذَا﴾ المكررة في المواضع قبل هذا .

ومعناه : علمت كل نفس ما أحضرت من عمل ، فلفظ النفس مفرد يراد به الجنس والعموم .

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٥٤٨) .

(٢) في أ ، هـ : «وحميت» .

قال ابن عطية: إنما أفردتها؛ لبيان حقارتها وذلتها<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: هذا من عكس كلامهم الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه، كقوله: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: ٢] ومعناه التكثير، وكذلك هنا معناه: أعم المجموع<sup>(٢)</sup>.

و﴿مَا أَحْضَرْتُ﴾ عبارة عن الحسنات والسيئات.

﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ ذكرت نظائره<sup>(٣)</sup>.

﴿يَالْخُنُسُ﴾ (٥) الْجَوَارِ الْكُنُسُ يعني: الدراري السبعة، وهي الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري.

وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جريها؛ أي: تتقهقر، فيكون النجم في البرج ثم يكرر راجعاً.

وهي جوارى في الفلك.

وهي تَكْنُسُ<sup>(٤)</sup> في أبراجها؛ أي: تستتر، وهو مشتق من قولك: كَنَسَ الوحشي: إذا دخل كِنَاسَهُ، وهو موضعه.

وقيل: يعني: الدراري الخمسة؛ لأنها تستتر بضوء الشمس.

وقيل: يعني: النجوم كلها؛ لأنها تخنس في جريها، وتكنس بالنهار؛

(١) المحرر الوجيز (٨/٥٤٩).

(٢) الكشف (١٦/٣١٣-٣١٤).

(٣) انظر صفحة ٢٩٧.

(٤) في أ، هـ: «تكنس».

أي : تستتر ، وتخفى بضوء الشمس .

وقيل : يعني : بقر الوحش ، ﴿الْخُنُسِ﴾ على هذا : من خَنَسِ الأنف ،  
و﴿الْكُنَسِ﴾ من سُكْنَاهَا فِي كِنَاسِهَا .

﴿وَاللَّيْلَ إِذَا عَسَّسَ﴾ يقال عسَّس الليل : إذا كان غير مستحكم الظلام :  
فقليل : ذلك في أوله .

وقيل : في آخره ، وهذا أرجح ؛ لأن آخر الليل أفضل<sup>(١)</sup> ، ولأنه أعقبه  
بقوله : ﴿وَالضُّحَىٰ إِذَا نَفَّسَ﴾ ١٨ أي : استطار واتسع ضوؤه .

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الضمير للقرآن .

والرسول الكريم : جبريل .

وقيل : محمد ﷺ .

قال السهيلي : لا يجوز أن يقال إنه محمد ﷺ ؛ لأن الآية نزلت في الرد  
على الذين قالوا : إن محمداً قال القرآن ، فكيف يخبر الله أنه قوله ؟ ، وإنما  
أراد جبريل ، وأضاف القرآن إليه ؛ لأنه جاء به ، وهو في الحقيقة قول الله  
تعالى<sup>(٢)</sup> .

وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم ؛ فإنه قد يضاف إلى محمد ﷺ ؛ لأنه تلقاه  
عن جبريل ﷺ ، وجاء به إلى الناس .

ومع ذلك فالأظهر : أنه جبريل ؛ لأنه وصفه بقوله : ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ وقد وصف

(١) في هامش ب صححت : «أضوأ» .

(٢) التعريف والإعلام للسهيلي (ص : ٣٦٥) .

جبريل بهذا في قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٥ - ٦] .

﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ يتعلق بـ ﴿ذِي قُوَى﴾ .

وقيل: بـ ﴿مَكِينٍ﴾ ، وهذا أظهر .

والمكين: الذي له مكانة؛ أي: جاه وتقريب .

﴿مُطَاعٍ نَّمَّ﴾ هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله، وهو قوله: ﴿عِنْدَ

ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: مطاع في ملائكة ذي العرش .

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝﴾ هو محمد ﷺ باتفاق .

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ ضمير الفاعل: لمحمد ﷺ، وضمير المفعول:

لجبريل عليه السلام .

وهذه الرؤية: هي رؤيته له بغار حراء على كرسي بين السماء والأرض .

وقيل: هي الرؤية التي رآه عند سدره المنتهى في الإسراء .

ووصف هذا الأفق بالمبين؛ لأنه روي أنه كان في الشرق<sup>(١)</sup> من حيث

تطلع الشمس، وأيضاً فكل أفق فهو مبين .

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝﴾ الضمير للنبي ﷺ .

ومن قرأ بالضاد: فمعناه بخيل؛ أي: لا يبخل بأداء ما أُلقي إليه من

الغيب، وهو الوحي .

ومن قرأ بالظاء: فمعناه متهم؛ أي: لا يُتَّهم على الوحي، بل هو أمين

عليه .

(١) في أ، هـ: «المشرق» .

ورجَّح بعضهم هذه القراءة: بأن الكفار لم ينسبوا رسول الله ﷺ إلى  
البخل بالوحي، بل اتهموه، فنفى عنه ذلك.

﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ (٢٥) الضمير للقرآن.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (٢٦) خطابٌ لكفار قريش؛ أي: ليس لكم زوال عن هذه  
الحقائق.

وقد تقدم تفسير بقية السورة في نظائره فيما تقدم<sup>(١)</sup>.

(١) انظر الصفحات ٤٦٤، ٥٤٧، ٥٧٣.

## ﴿سورة الانفطار﴾

[﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيَ الْإِنْسَانَ مَا عَرَّفَكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾].

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ أي: انشقت.

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾﴾ أي: سقطت من مواضعها.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾﴾ أي: فرغت.

وقيل: فجر بعضها إلى بعض فاختلطت.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾﴾ أي: نُبِشت عن الموتى الذين فيها.

وقال الزمخشري: أصله من البعث والبعث فضمت إليها الراء، والمعنى: بُحِث وأُخرج موتاه<sup>(١)</sup>.

(١) الكشف (١٦/٣٢٣).



﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝﴾ هذا هو الجواب، ومعناه: علمت كل نفس جميع أعمالها.

وقيل: ما قدمت في حياتها وما أخرت مما تركته بعد موتها من سُنة<sup>(١)</sup> سنتها أو وصية أوصت بها.

وأفردت النفس والمراد بها العموم حسبما ذكرنا في «التكوير»<sup>(٢)</sup>.

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ﴾ خطاب لجنس بني آدم.

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ هذا توبيخ وعتاب، معناه: أي شيء غرَّكَ بربك حتى كفرت به، أو عصيته، أو غفلت عنه؟

فدخل في العتاب: الكفار وعصاة المؤمنين، ومن يغفل عن الله في بعض الأحيان من الصالحين.

وروي أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ فقال: «غرَّه جهله»<sup>(٣)</sup>.

وقال عمر: «غرَّه جهله وحمقه»، وقرأ: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

[الأحزاب: ٧٢].

وقيل: غرَّه الشيطان المسلط عليه.

وقيل: غرَّه ستر الله عليه.

(١) في أ، هـ: «حسنة».

(٢) انظر صفحة ٦١٧.

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٤٦/١٠).

وقيل : غرّه طمعه في عفو الله عنه .

ولا تعارض بين هذه الأقوال ؛ لأن كل واحد منها مما يغرّ الإنسان ، إلا أن بعضها يغرّ قومًا وبعضها يغرّ قومًا آخرين .

فإن قيل : ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور ؟

فالجواب : أن الكريم ينبغي أن يعبد ويطاع ؛ شكرًا لإحسانه ومقابلةً لكرمه ، ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة<sup>(١)</sup> وأضاع الشكر الواجب .

﴿فَعَدَّلَكَ﴾ بالتشديد والتخفيف ؛ أي : عدّل أعضائك وجعلها متوازنة<sup>(٢)</sup> ، فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى ، ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى ، ولا إحداهما كحلاء والأخرى زرقاء ، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضه<sup>(٣)</sup> أسود ، وشبه ذلك من الموازنة .

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ المجرور يتعلق بـ ﴿رَكَّبَكَ﴾ ، و﴿مَا﴾ زائدة .

والمعنى : ركبك في أي صورة شاء من الحسن والقبح ، والطول والقصر ، والذكورة والأنوثة<sup>(٤)</sup> ، وغير ذلك من اختلاف الصور .

ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره : ركبك حاصلًا في أي صورة .

(١) في ب ، د : «بالنعمة» .

(٢) في أ ، هـ : «متوازنة» .

(٣) في ج : «وبعضها» .

(٤) في ب : «الذكورية والأنوثة» .

وقيل : يتعلق بـ ﴿عَذْلَكَ﴾ على أن يكون بمعنى صرفك ؛ أي : صرفك إلى أي صورة شاء ، وهذا بعيد ، ولا يتمكن إلا مع قراءة ﴿عَذْلَكَ﴾ بالتخفيف .  
﴿كَلَّا﴾ ردع عن الغرور المذكور قبل ، أو التكذيب المذكور بعد .

﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ هذا خطاب للكفار .

والدين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة ، أو الحساب ، أو الجزاء .  
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠﴾ يعني : الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم .  
﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١١﴾ يعلمون الأعمال بمشاهدتهم لها .

وأما ما لا يرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب :  
ف قيل : إن الله ينفرد بعلم ذلك .

وقيل : إن الملك يجد لها ريحاً يدركها به .

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٢﴾ في هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان :  
المطابقة والترصيع .

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝١٣﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن معناه : لا يخرجون منها إذا دخلوها .

والآخر : لا يغيبون عنها في البرزخ قبل دخولها ؛ لأنهم يعرضون عليها غدواً وعشيا .

﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٤﴾ تعظيم له وتهويل ، وكرره للتأكيد ، والمعنى :  
أنه من شدته بحيث لا يدري أحد مقدار هوله وعظمته .

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي : لا يقدر أحد على منفعة أحد.

وقرئ ﴿يَوْمَ﴾ :

بالرفع :

على البدل من ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ .

أو على إضمار مبتدأ .

وبالنصب :

على الظرفية بإضمار فعل تقديره : يُجَاوِزُونَ يوم الدين .

أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره : اذكر .

ويجوز أن يفتح ؛ لإضافته إلى غير متمكن ، وهو في موضع رفع .

## ﴿سورة المطففين﴾

[وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُنْزِلُ عَلَيْهِ أَمْثَلُ الْإِسْطِيطِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُمْ مِنْ مِسْكِ ﴿٢٦﴾ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٧﴾ وَمِرَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٨﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٤﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٥﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٦﴾ هَلْ تُوْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٧﴾].

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف في اللغة: هو البخس والنقص، فسر به بذلك

الزمخشري<sup>(١)</sup>، واختاره ابن عطية<sup>(٢)</sup>.

وقيل: هو تجاوز الحد في زيادة أو نقصان، واختاره ابن الفرس<sup>(٣)</sup>، وهو أظهر؛ لأن المراد به هنا: بخس حقوق الناس في المكيال والميزان، بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره.

وسبب نزول السورة: أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص<sup>(٤)</sup>، فالسورة على هذا مدنية.

وقيل: مكية؛ لذكر أساطير الأولين.

وقيل: نزل بعضها بمكة، ونزل أمر التطفيف بالمدينة؛ إذ كانوا أشد الناس فسادًا في هذا المعنى، فأصلحهم الله بهذه السورة.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ (٢) معنى ﴿أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾: قبضوا منهم بالكيل، ف﴿عَلَى﴾ بمعنى «مِنْ»، وإنما أبدلت منها؛ لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم.

ويجوز أن يتعلق ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ بـ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، وقُدِّم المعمول لإفادة التخصيص.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ معنى ﴿يُخْسِرُونَ﴾: ينقصون حقوق الناس وهو من الخسارة، يقال: خسر الرجل، وأخسره غيره؛ إذا جعله يخسر.

(١) الكشف (١٦/٣٣٣).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٥٥٧).

(٣) أحكام القرآن (٣/٦١٣).

(٤) في أ: «بالناقص».

﴿كَالُوهُمْ﴾ معناه: كالوا لهم، و﴿وَزَنُوهُمْ﴾ معناه: وزنوا لهم، ثم حذف حرف الجرّ فانتصب المفعول؛ لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف جرّ، يقال: كِلْتُكَ وَكِلْتُ لَكَ، ووزنتك ووزنت لك بمعنى واحد.

وحُذف المفعول الثاني، وهو المكيل والموزون.

والواو التي هي ضمير الفاعل: للمطففين.

و«هم» الذي هو ضمير المفعول: للناس.

فالمعنى: إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم طعاماً أو غيره مما يكال أو يوزن بخسّوهم<sup>(١)</sup> حقوقهم.

وقيل: إن «هم» في قوله: ﴿كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ تأكيد للضمير الفاعل.

وقد روي عن حمزة أنه كان يقف على «كالوا» و«وزنوا» ثم يبتدئ «هم»؛ ليبين هذا المعنى، وهو ضعيف من وجهين:

أحدهما: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في «كالوا» و«وزنوا» فدلّ ذلك على أن «هم» ضمير المفعول.

والآخر: أن المعنى على هذا: أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نقصوا، وليس ذلك بمقصود؛ لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشِر، ألا ترى أن ﴿أَكَاَلُوا عَلَى النَّاسِ﴾ معناه: قبضوا منهم، و﴿كَالُوهُمْ﴾ و﴿وَزَنُوهُمْ﴾ معناه: دفعوا لهم؛ فقابل القبض بالدفع، وأما على هذا الوجه الضعيف

(١) في د: «يخسرونهم».

فهو خروج عن المقصود.

قال ابن عطية: ظاهر الآية: أن الكيل والوزن على البائع وليس ذلك بالجلبي، قال: وصدر الآية في المشتريين، فهم الذين يستوفون؛ أي<sup>(١)</sup>: يشاؤون ويطلبون الزيادة، وقوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> في البائعين؛ فهم الذين يُخْسِرُونَ المشتري<sup>(٢)</sup>.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾<sup>(٣)</sup> لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يعني: يوم القيامة، وهذا تهديد للمطففين، وإنكار لفعلهم.

وكان عبد الله بن عمر إذا مر بالبائع يقول له: «اتق الله!»، وأوف الكيل، فإن المطففين يُوقَفُونَ يوم القيامة لعظمة الرحمن».

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٦)</sup> الظرف:

منصوب: بقوله: ﴿مَبْعُوثُونَ﴾، وقيل: بفعل مضمر.

أو بدل من ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم، فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة وأقل من ذلك، حتى إن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة.

﴿كَلَّا﴾ ردع على التطفيف، أو افتتاح كلام.

﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ كتاب الفجار: هو ما يكتب من أعمالهم.

(١) في د: «أو».

(٢) المحرر الوجيز (٨/٥٥٨).



والفجار هنا يحتمل أن يراد به :

الكفار .

أو المطففين وإن كانوا مسلمين .

والأول أظهر ؛ لقوله بعد هذا : ﴿وَلَّيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٥) .

و﴿سِجِّينٌ﴾ : اسم علم منقول من صفة ، على وزن فَعِيل للمبالغة ، وقد عَظُم أمره بقوله : ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سِجِّينٌ﴾ (٨) ، ثم فسَّره بأنه : ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ (٩) أي : مسطورٌ بين الكتابة ، وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار .

وهو مشتق من السَّجَن بمعنى الحبس :

لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم .

أو لأنه مطروح في مكان الهوان والعذاب كالسجن ، فقد روي عن النبي ﷺ : «أنه في الأرض السفلى»<sup>(١)</sup> ، وروي عنه : «أنه في بئر هنالك»<sup>(٢)</sup> ، وحكى كعب عن التوراة : «أنه في شجرة سوداء هنالك»<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن عطية : يحتمل أن يكون معنى الآية : أن عِدَاد<sup>(٤)</sup> الفجار في سجين ؛ أي : كُتِبوا هنالك في الأزل<sup>(٥)</sup> .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩٧/٢٤) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩٦/٢٤) .

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٥٢/١٠) .

(٤) في أ ، ب ، د : «عدد» ، والمثبت موافق لعبارة المحرر الوجيز .

(٥) المحرر الوجيز (٥٥٩/٨) .

﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ قد ذكر<sup>(١)</sup>.

﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب، فطمس بصائرهم، فصاروا لا يعرفون الرشd من الغي.

وفي الحديث: «إن العبد إذا أذنب ذنبًا صارت نكتة سوداء في قلبه، فإذا زاد ذنبًا آخر زاد السواد، فلا يزال كذلك حتى يتغطى، وهو الرين»<sup>(٢)</sup>.

﴿لَمْحُجُّوْنَ﴾ حُجِبُ الكفار عن الله دليلٌ على أن المؤمنين لا يُحجبون عنه، وقد استدل بها مالك والشافعي على صحة رؤية المؤمن لله في الآخرة. وتأولها المعتزلة أن معناها: محجوبون عن رحمته.

﴿إِنْ كُنْتَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ عِلِّيُّون: اسم علم للكتاب الذي تكتب فيه الحسنات، وهو جمع منقول من صفةٍ على وزنٍ فعِيل للمبالغة، وقد عظمه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ثم فسره بقوله: ﴿كُنْتُ مَرْفُومٌ﴾، وهو مشتق من العلو؛ لأنه سبب في ارتفاع الدرجات في الجنة، أو لأنه مرفوع في مكان عليّ، فقد روي عن النبي ﷺ أنه تحت العرش<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن عباس: هو<sup>(٤)</sup> الجنة.

وارتفع ﴿كُنْتُ مَرْفُومٌ﴾ في الموضعين: على أنه خبر ابتداء مضمّر، تقديره: هو كتاب.

(١) انظر: (٢٥٤/٢).

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٥٢)، والترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤).

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٥٤/١٠).

(٤) في ب زيادة: «في».

وقال ابن عطية: ﴿كِتَبٌ مَّرْقُومٌ﴾ ﴿٩﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ والظرف <sup>(١)</sup> مُلَغًى <sup>(٢)</sup>. وهذا تكلف يفسد به المعنى.

وقد روي في الأثر ما يفسر الآية، وهو «أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد، فإن رضى الله قال: اجعلوه في عليين، وإن لم يرضه قال: اجعلوه في سجين» <sup>(٣)</sup>.

﴿يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١١﴾ يعني: الملائكة المقربين.

﴿الْأَرْأَبِ﴾ قد ذكر <sup>(٤)</sup>.

﴿يَنْظُرُونَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ينظرون إلى أعدائهم في النار» <sup>(٥)</sup>.

وقيل: ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها.

﴿نَضْرَةً الْيَعِيبِ﴾ أي: بهجته ورؤنقه، كما يرى في وجوه أهل الرفاهية والعافية.

والخطاب في ﴿تَعْرِفُ﴾: للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب من غير تعيين.

﴿يُسْفَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ الرحيق: الخمر الصافية.

والمختوم: قد فسر الله بأن ختامه مسك.

(١) الذي هو ﴿لَفِي سَجِينٍ﴾، و﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾.

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٦٠).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص: ١٥٣).

(٤) انظر (٢٦/٣)، (٦٤٤/٣).

(٥) ذكره المهدوي في كتابه التحصيل (٥٥/٧)، وذكر الثعلبي في تفسيره (١٥٥/١٠) من قول مقاتل.

وقرئ ﴿خَتْمُهُ﴾ بـالف بعد التاء، و﴿خَتْمُهُ﴾ بـالف بعد الخاء، وبفتح التاء وكسرها.

وفي معناه ثلاثة أقوال:

**أحدها:** أنه من الختم على الشيء، بمعنى جعل الطّابع عليه، فالمعنى: أنه خُتم على فم الإناء الذي هو فيه بالمسك، كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها وصيانتها.

**الثاني:** أنه من خُتم الشيء؛ أي: تمامه، فمعناه: خاتم شربه مسك؛ أي: يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك ولذته.

**الثالث:** أن معناه: مزاجه مسك؛ أي: يمزج الشراب بالمسك، وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ.

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ التنافس في الشيء: هو الرغبة فيه، والمغالاة في طلبه، والتزاحم عليه.

﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿تَسْنِيمٍ﴾: اسم علم لعين في الجنة، يشرب منها<sup>(١)</sup> المقربون صِرْفًا، ويُمزج منه الرحيق الذي يشرب منه الأبرار، فدل ذلك على أن درجة المقربين فوق درجات الأبرار، فالمقربون هم السابقون، والأبرار أصحاب اليمين.

﴿عَيْنًا﴾ منصوب:

على المدح بفعل مضمر.

(١) في ب، د: «منه».

أو على الحال من ﴿تَسْنِمٍ﴾ .

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ بمعنى : يشربها ، فالباء زائدة .

ويحتمل أن يكون بمعنى : «يشرب منها» ، أو كقولك : «شربت الماء بالعسل» .

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ نزلت هذه الآية في صناديد قريش ، كأبي جهل وغيره ، مرَّ بهم عليُّ بن أبي طالب عليه السلام وجماعة من المؤمنين ، فضحكوا منهم واستخفوا بهم .

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ معنى ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ : يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينه .

والضمير في ﴿مَرُّوا﴾ يحتمل أن يكون : للمؤمنين أو للكفار .

والضمير في ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ للكفار لا غير .

﴿فَكَهِنَ﴾ من الفكاهة ، وهي اللهو ؛ أي : يتفكهون بذكر المؤمنين ، والاستخفاف بهم ، قاله الزمخشري <sup>(١)</sup> .

ويحتمل أن يريد : يتفكهون بنعيم <sup>(٢)</sup> الدنيا .

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ ﴿٣١﴾ أي : إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال .

وقيل : إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال .

(١) الكشاف (١٦/٣٥١) .

(٢) في ج ، هـ : «بنعم» .

والأول أظهر وأشهر .

﴿وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ أي : ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدتهم أو ضلالهم ، فكأنه قال : كلامهم بالمؤمنين <sup>(١)</sup> فضول منهم .

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ <sup>(٣٤)</sup> يعني : بـ ﴿الْيَوْمَ﴾ يوم القيامة ؛ إذ تقدم ذكره ، فيضحك المؤمنون فيه من الكفار ، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا .

﴿هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ <sup>(٣٥)</sup> معنى ﴿تُؤَبُّ﴾ : جوزي ، يقال : ثُوبَهُ وأثابه : إذا جازاه .

وهذه الجملة يحتمل :

أن تكون متصلة بما قبلها ، في موضع معمول ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ، فتوصل مع ما قبلها .

أو تكون توقيفاً ، فيوقف قبلها ، ويكون معمول ﴿يَنْظُرُونَ﴾ محذوفاً ، حسبما ذكرنا في ﴿يَنْظُرُونَ﴾ الذي قبل هذا ، وهذا أرجح ؛ لاتفاق الموضعين .

(١) في ب : «في المؤمنين» .

## ﴿ سورة الانشقاق ﴾

[﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمَا لَقِيَهُ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑩ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑪ وَيَصْلَى سَعِيرًا ⑫ إِنَّهُمْ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑬ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَن لَّنْ يَحُورَ ⑭ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ⑮ فَلَا أَفْسِسُ بِالْشَّفَقِ ⑯ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ⑰ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ⑱ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ⑲ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑳ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ㉑ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ㉒ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ㉓ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ㉔ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ㉕ ﴾].

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ① ﴾ اختلف في هذا الانشقاق :

هل هو تشققها <sup>(١)</sup> بالغمام؟

أو انفتاحها أبواباً؟

وجواب ﴿ إِذَا ﴾ محذوف ؛ ليكون أبلغ في التهويل ؛ إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره .

(١) في ب : « انشقاقها » .

أو حذف للعلم به ؛ اكتفاءً بما في سورة «التكوير» و«الانفطار» من الجواب .

وقيل : الجواب : ما دل عليه : ﴿فُلْجِيهِ﴾ ؛ أي : إذا السماء انشقت لقي <sup>(١)</sup> الإنسان ربه .

وقيل : الجواب : ﴿أَذْنَتْ﴾ على زيادة الواو ، وهذا ضعيف .

﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ معنى ﴿أَذْنَتْ﴾ في اللغة : استمعت ، وهو عبارة عن طاعتها لربها ، وأنها انقادت إليه حين أراد انشقاقها .

وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدّها وإلقاء ما فيها .

﴿وَحَقَّتْ﴾ أي : حُقَّ لها أن تسمع وتطيع لربها .

أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة .

وهذه الكلمة من قولهم : «هو حقيقٌ بكذا» ، أو «محقوقٌ به» ؛ أي : يجب عليه أن يفعله .

فالمعنى : يحقُّ على السماء أن تسمع وتطيع لربها ، أو يحق عليها أن تنشق .

ويحتمل أن يكون أصله : «حَقَّقْتُ» بفتح الحاء وضم القاف على معنى التعجب ، ثم أدغمت القاف في القاف التي بعدها ، ونقلت حركتها إلى الحاء .

(١) في ج ، هـ : «لاقي» .



﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٢﴾﴾ أي: زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية .

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي: ألقَتْ ما في جوفها من الموتى ، فخرجوا للحشر .  
وقيل: ألقَتْ ما فيها من الكنوز ، وهذا ضعيف ؛ لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة ، والمقصود ذكر يوم القيامة .  
﴿وَنَحَلَتْ﴾ أي: بقيت خالية مما كان فيها .

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ﴾ خطاب للجنس .

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ الكَدْح في اللغة: هو الجد والاجتهاد والسرعة .  
فالمعنى: إنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربك ؛ لأن الزمان يطير<sup>(١)</sup> ، وأنت في كل لحظة تقطع حطًا من عمرك القصير ، فكأنك سائر مسرع إلى الموت ، ثم تلاقي ربك .

وقيل: المعنى: إنك ذو جد فيما تعمل من خير أو شر ، ثم تلقى ربك فيجازيك به .

والأول أظهر ؛ لأن ﴿كَادِحٌ﴾ تعدى بـ ﴿إِلَى﴾ ؛ لِمَا تَضَمَّنَ معنى السير ، ولو كان بمعنى العمل لقال: «لربك» .

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَكَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ﴾ ذكر في «الحاقة»<sup>(٢)</sup> .

(١) في د: «يُذِير» .

(٢) انظر صفحة ٤٧٢ .

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) يحتمل أن يكون اليسير :

بمعنى قليل .

أو بمعنى هين سهل .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «من نوقش الحساب عُدب»، فقالت عائشة : ألم يقل الله : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) . فقال رسول الله ﷺ : «إنما ذلك العرض ، وأما من نوقش الحساب فيهلك» (١) ، وفي الحديث أيضًا عن رسول الله ﷺ : «إن الله يدني العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقول : فعلت كذا وكذا ، ويعدد عليه ذنوبه ، ثم يقول : سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» (٢) ، وروي أن رسول الله ﷺ قال : «من حاسب نفسه في الدنيا هوّن الله حسابه يوم القيامة» (٣) .

﴿وَنَقَلِبْ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (٩) أي : يرجع إلى أهله في الجنة مسرورًا بما أعطاه الله .

والأهل : زوجاته في الجنة من نساء الدنيا ، أو من الحور العين .

(١) أخرجه البخاري (١٥٥) ، ومسلم (٢٨٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١) ، ومسلم (٢٧٦٨) .

(٣) لم أقف عليه مرفوعًا ، ووجدته من قول عمر رضي الله عنه : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن تزنوا ؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الأكبر ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية» ، أخرجه أحمد في الزهد (ص : ١٢٠) ، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ص : ٢٢) ، وأبو نعيم في الحلية (١٥٧/٢) .

ويحتمل أن يريد: قرابته من المؤمنين، وبذلك فسر الزمخشري<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٥) يعني: الكافر.

وروي أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة ابن عبد الأسد، وكان من فضلاء المؤمنين، وفي أخيه أسود، وكان من عتاة الكافرين. ولفظها أعم من ذلك.

فإن قيل: كيف قال في الكافر هنا إنه يؤتى كتابه ﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾، وقال في «الحاقة»: ﴿بِشْمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥]؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره<sup>(٢)</sup> فيأخذ بها كتابه.

وقيل: تدخل يده اليسرى في صدره وتخرج من ظهره، فيأخذ بها كتابه.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا﴾ (١٦) أي: يصيح بالويل والثبور.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مَسْرُورًا﴾ (١٧) أي: كان في الدنيا مسرورًا مع أهله، متنعمًا غافلاً عن الآخرة.

وهذا في مقابلة ما حكى عن المؤمن أنه ينقلب إلى أهله مسرورًا في الجنة، وهو ضد ما حكى عن المؤمنين في الجنة من قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦].

(١) الكشف (٣٥٨/١٦).

(٢) في الكشف (٣٥٨/١٦): «تُغْلُ يَمَنَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَتَجْعَلُ شِمَالَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ».

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ ٧٤٠ أي: لن يرجع إلى الله، والمعنى: أنه يكذب بالبعث.

﴿بَكَّى﴾ أي: يحور ويُبعث.

﴿فَلَا أَقْسَمُ﴾ ذكر في نظائره<sup>(١)</sup>.

﴿بِالشَّفَقِ﴾ هو الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس.

وقال أبو حنيفة: هو البياض.

وقيل: هو النهار كله، وهذا ضعيف.

والأول هو المعروف عند الفقهاء وأهل اللغة.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ ٧٤١ أي: جمع وضم، ومنه الوسق، وذلك الليل يضم الأشياء ويسترها بظلامه.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ ٧٤٢ أي: إذا كمل ليلة أربع عشرة.

ووزن ﴿اتَّسَقَ﴾ افتعل، وهو مشتق من الوسق، فكأنه امتلأ نوراً.

وفي الآية من أدوات البيان: لزوم ما لا يلزم؛ لالتزام السنين قبل القاف في ﴿وَسَقَ﴾ و﴿اتَّسَقَ﴾.

﴿لَتَرْكَبَنَّ ظَبْجًا عَنْ ظَبْيٍ﴾ ٧٤٣ الطبق في اللغة له معنيان:

أحدهما: ما طابق غيره، يقال: هذا طبق لهذا: إذا طابقه.

والآخر: جمع طبقة.

(١) انظر صفحة ٢٩٧، ٤٧٨.

فعلى الأول يكون المعنى : لتركبن حالاً بعد حال ، كل واحدة منها مطابقة للأخرى .

وعلى الثاني يكون المعنى : لتركبن أحوالاً بعد أحوال ، هي طبقات بعضها فوق بعض .

ثم اختلف في تفسير هذه الأحوال ، وفي قراءة : ﴿تَرْكِبْنَ﴾ :  
فأما من قرأه بضم الباء : فهو خطاب لجنس الإنسان ، وفي تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها شدائد الموت ، ثم البعث ، ثم الحساب ، ثم الجزاء .  
والآخر : أنها كون الإنسان نطفة ، ثم علقه ، إلى أن يخرج إلى الدنيا ، إلى أن يهرم ، ثم يموت .

والثالث : لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم .  
وأما من قرأ ﴿تَرْكِبْنَ﴾ بفتح الباء :  
فهو خطاب للإنسان على المعاني الثلاثة التي ذكرنا .  
وقيل : هو خطاب للنبي ﷺ ، ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال :  
أحدها : لتركبن مكابدة الكفار حالاً بعد حال .

والآخر : لتركبن فتح البلاد شيئاً بعد شيء .  
والثالث : لتركبن السماوات في الإسراء سماءً بعد سماء .  
وقوله : ﴿عَنْ طَبَقٍ﴾ :

في موضع الصفة لـ ﴿طَبَقًا﴾ .

أو في موضع حال من الضمير في ﴿تَرْكَبْنَ﴾ .  
قاله الزمخشري<sup>(١)</sup> .

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠) الضمير لكفار قريش ، والمعنى : أي شيء يمنعهم من الإيمان؟

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره ؛ لأن رسول الله ﷺ سجد فيها ، وليست عند مالك من عزائم السجّدات .

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني : المذكورين ، ووضع الظاهر موضع المضمّر ؛ ليصفهم بالكفر .

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ (٢١) أي : بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب .

أو بما يجمعون في صحائفهم (من الأعمال القبيحة)<sup>(٢)</sup> .  
يقال : أوعيت المال وغيره : إذا جمعته .

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وضع البشارة موضع النذارة ؛ تهكّماً بهم .  
﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني : من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار ، فلا استثناء على هذا متصل ، وإلى هذا أشار ابن عطية<sup>(٣)</sup> .

(١) الكشف (١٦/٣٦٣) .

(٢) سقط من أ ، ج ، هـ .

(٣) المحرر الوجيز (٨/٥٧٤) .

وقال الزمخشري: هو منقطع<sup>(١)</sup>.

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر<sup>(٢)</sup>.

❦ ❦ ❦

(١) الكشف (١٦/٣٦٥).

(٢) انظر صفحة ٦.

## ﴿سورة البروج﴾

[﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③﴾ قِيلَ أَصْحَبُ الْأَعْدُوْدِ ④ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُوْدِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُوْدٌ ⑥ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑧ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑨ إِنَّ الَّذِينَ فَنَوُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ⑩ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ⑪ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ⑫ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعْدُ ⑬ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ⑭ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ⑮ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ⑯ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ⑰ فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ ⑱ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ⑲ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ⑳ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ㉑ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾].

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ①﴾ البروج : هي المنازل المعروفة ، وهي اثنا عشر ، تقطعها الشمس في السنة .

وقيل : هي النجوم العظام ؛ لأنها تتبرج ؛ أي : تظهر .

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة باتفاق ، وقد روي عن رسول الله ﷺ (١) .

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③﴾ يحتمل الشاهد والمشهد :

أن يكون من الشهادة على الأمر .

(١) أخرجه أحمد (٧٩٧٢) ، والترمذي (٣٣٣٩) .



أو يكون من معنى الحضور .

وحذف المعمول، وتقديره: مشهود عليه، أو مشهود به، أو مشهود فيه .  
وقد اضطرب الناس في تفسير الشاهد والمشهود اضطراباً عظيماً،  
ويتلخّص من أقوالهم في الشاهد ستة عشر قولاً، يقابلها في المشهود اثنان  
وثلاثون قولاً<sup>(١)</sup>:

الأول: أن الشاهد: هو الله تعالى لقوله: ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].  
والمشهود على هذا يحتمل ثلاثة أوجه:

- [١-] أحدها: أن يكون الخلق، بمعنى أنه يشهد عليهم .
  - [٢-] والآخر: أن يكون الأعمال، بمعنى أنه يشهد بها .
  - [٣-] والثالث: أن يكون يوم القيامة، بمعنى أنه يشهد فيه ؛ أي: يحضر،  
لحساب والجزاء، أو تقع فيه الشهادة على الناس .
- القول الثاني: أن الشاهد: محمد ﷺ لقوله: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا  
عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٨٧].

والمشهود على هذا يحتمل أن تكون:

- [٤-] أمته ؛ لأنه يشهد عليهم .
- [٥-] أو أعمالهم ؛ لأنه يشهد بها .

(١) الذي ظهر لي واحد وثلاثون قولاً!.

[٦-] أو يوم القيامة ؛ لأنه يشهد فيه ؛ أي : يحضر ، أو تقع فيه الشهادة على الأمة .

**القول الثالث :** أن الشاهد : أمة محمد ﷺ ؛ لقوله : ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

والمشهود على هذا :

[٧-] سائر الأمم ؛ لأنهم يشهدون عليهم .

[٨-] أو أعمالهم .

[٩-] أو يوم القيامة .

**القول الرابع :** أن الشاهد : عيسى عليه السلام .

والمشهود :

[١٠-] أمته ؛ لقوله : ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة : ١١٧] .

[١١-] أو أعمالهم .

[١٢-] أو يوم القيامة .

**القول الخامس :** أن الشاهد : جميع الأنبياء .

والمشهود :

[١٣-] أممهم ؛ لأن كل نبي يشهد على أمته .

[١٤-] أو يشهد بأعمالهم .

[١٥-] أو يوم القيامة ؛ لأنه يشهد فيه .

القول السادس: أن الشاهد: الملائكة الحفظة.

والمشهود على هذا:

[١٦-] الناس؛ لأن الملائكة يشهدون عليهم.

[١٧-] أو الأعمال لأن الملائكة يشهدون بها.

[١٨-] أو يوم القيامة.

[١٩-] أو صلاة الصبح؛ لقوله: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾

[الإسراء: ٧٨].

القول السابع: أن الشاهد: جميع الناس؛ لأنهم يشهدون القيامة؛

أي: يحضرونها.

[٢٠-] والمشهود: يوم القيامة؛ لقوله: ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

القول الثامن: أن الشاهد: الجوارح.

والمشهود عليه:

[٢١-] أصحابها؛ لقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾

[النور: ٢٤].

[٢٢-] أو الأعمال؛ لأن الجوارح تشهد بها.

[٢٣-] أو يوم القيامة؛ لأن الشهادة تقع فيه.

القول التاسع: أن الشاهد: الله والملائكة وأولوا العلم؛ لقوله:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

[٢٤-] والمشهود به : الوجدانية .

**القول العاشر :** أن الشاهد : جميع المخلوقات .

[٢٥-] والمشهود به : وجود خالقها ، وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك .

**القول الحادي عشر :** أن الشاهد : النجم ؛ لما ورد في الحديث :  
« لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد » ، وهو النجم <sup>(١)</sup> .

[٢٦-] والمشهود على هذا : الليل والنهار ؛ لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل .

**القول الثاني عشر :** أن الشاهد : الحجر الأسود .

[٢٧-] والمشهود : الناس الذين يحجُّون .

**القول الثالث عشر :** روي عن النبي ﷺ : أن الشاهد : يوم الجمعة .

[٢٨-] والمشهود : يوم عرفة <sup>(٢)</sup> .

وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال ، ويوم عرفة يشهده جمعٌ عظيم من الناس .

**القول الرابع عشر :** أن الشاهد : يوم عرفة .

[٢٩-] والمشهود : يوم النحر ، قاله علي بن أبي طالب .

(١) أخرجه مسلم (٨٣٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٧٣) ، والترمذي (٣٣٣٩) .

القول الخامس عشر: أن الشاهد: يوم التروية.

[٣٠-] والمشهود: يوم عرفة.

القول السادس عشر: أن الشاهد: يوم الاثنين.

[٣١-] والمشهود: يوم الجمعة.

﴿قُتِلَ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾ الكلام هنا في ثلاثة فصول:

الأول: في جواب القسم، وفيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

وثانيها: أنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

وهذان القولان ضعيفان؛ لبعد القسم من الجواب.

وثالثها: أنه: ﴿قُتِلَ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾، تقديره: لقد قتل.

ورابعها: أنه محذوف، يدل عليه: ﴿قُتِلَ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾، تقديره:

لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الأخدود، وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام، فذكر الله قصة أصحاب الأخدود؛ وعيدًا للكفار، وتأنيسًا للمسلمين المعذبين.

الفصل الثاني: في تفسير لفظها:

فأما ﴿قُتِلَ﴾ فاختلف هل هو دعاء أو خبر؟

واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة، أو بمعنى: لعن؟

وأما ﴿الْأُخْدُودِ﴾: فهو الشَّقُّ في الأرض، كالخندق وشبهه.

وأما ﴿أَخَذُوا الْأَخْدُودَ﴾ فيحتمل أن يريد به :

الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود .

أو يريد به المؤمنين الذين حُرقوا فيه ، فيكون القتل حقيقةً خبراً .

والأول أظهر .

**الفصل الثالث :** في قصة أصحاب الأخدود ، وفيها أربعة أقوال :

**القول الأول :** ما ورد عن رسول الله ﷺ في حديث طويل معناه : أن ملكاً كافراً أسلم أهل بلاده ، فأمر بالأخدود فُحِدَ في أفواه السكك ، وأضرم فيها النيران فقال : من لم يرجع عن دينه فألقيه فيها ، ففعلوا ذلك ، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتعاسست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أمه ! اصبري فإنك على الحق<sup>(١)</sup> .

**القول الثاني :** أن ملكاً زنى بأخته ، ثم أراد أن يُحِلَّ للناس نكاح الأخوات ، فأطاعه قوم ، ومنهم<sup>(٢)</sup> أخذ المجوس ذلك ، وعصاه قوم ، فحفر لهم الأخدود وأحرقهم فيه بالنار .

**القول الثالث :** أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشياً ، وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود .

**القول الرابع :** أن صاحب الأخدود : ذو نواس المذكور في قصة عبد الله

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥) .

(٢) في ب : «ومنه» .

ابن التامر<sup>(١)</sup> التي وقعت السَّير .

ويَحْتَمَلُ أن يكون ذو نواس هو الملك الذي ذكره النبي ﷺ ، فيتفق هذا القول مع الأول ، فإنَّ ذا نواسٍ حفر أخدودًا فأوقد فيه نيرانًا<sup>(٢)</sup> ، وألقى فيها كل من وَّحَدَ الله تعالى واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر .

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُودِ﴾ ﴿النَّارِ﴾ بدل من ﴿الْأَخْدُودِ﴾ ، وهو بدل اشتمال .  
و﴿الْوُودِ﴾ : ما توقد به النار .

والقصد : وصف النار بالشدة والعظمة .

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ ﴿الضمير : للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود ، وهم أصحاب الأخدود على الأظهر .  
والعامل في ﴿إِذْ﴾ : قوله : ﴿قُتِلَ﴾ .

فروي أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفًا ، وقيل : سبعين ألفًا ، ف﴿قُتِلَ﴾ على هذا بمعنى : لعن ؛ أي : لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين .

وروي أن الله بعث على المؤمنين ريحًا قبضت أرواحهم وخرجت النار<sup>(٣)</sup> فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها ، ف﴿قُتِلَ﴾ على هذا بمعنى القتل الحقيقي أي : قتلهم النار .

(١) الذي في سيرة ابن هشام (٣٦/١) : «التامر» بالثاء .

(٢) في ب ، د : «فيها نارًا» .

(٣) في ب ، د : «وأخرجت النار» .

وقيل : الضمير في ﴿إِذْ هُمْ﴾ للمؤمنين .

والأول أشهر وأظهر ؛ لقوله : ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (٧) .

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (٧) : يحتمل أن يكون :

بمعنى الشهادة :

أي : يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق .

أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة .

أو يكون بمعنى الحضور ؛ أي : كانوا حاضرين على ذلك الفعل .

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ أي : ما أنكر الكفار على المؤمنين

إلا أنهم آمنوا بالله ، وهذا لا ينبغي أن يُنكر .

فإن قيل : لم قال ﴿أَن يُؤْمِنُوا﴾ بلفظ المضارع ولم يقل : «آمنوا» بلفظ

الماضي ؛ لأن القصة قد وقعت ؟

فالجواب : أن التعذيب إنما كان على دواهم على الإيمان ، ولو كفروا في

المستقبل لم يعذبوهم ، فلذلك ذكره بلفظ المستقبل ، فكأنه قال : إلا أن

يدوموا على الإيمان .

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إن كانت هذه الآية في أصحاب

الأخدود : فالفتنة هنا بمعنى الإحراق .

وإن كانت في كفار قريش : فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب ، وهذا أظهر ؛

لقوله : ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ ؛ لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا ، بل ماتوا على

كفرهم ، وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب .



وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له ما فعل في حين كفره؛ كقوله ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ يحتمل أن يريد:

في الآخرة، فيكون:

تأكيداً لعذاب جهنم.

أو نوعاً من العذاب زيادةً إلى عذاب جهنم.

ويحتمل أن يريد في الدنيا، وذلك على رواية أن الكفار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش: هو الأخذ بقوة وسرعة.

﴿إِنَّهُمْ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ أي: يبدئ الخلق بالنشأة الأولى، ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث.

وقيل: يبدئ البطش ويعيده؛ أي: يبسط بهم في الدنيا والآخرة.

والأول أظهر وأرجح؛ لقوله: ﴿اللَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس: ٣٤،

الروم: ١١].

وقد ذكرنا ﴿الْوَدُودُ﴾ في «اللغات»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد بهذا اللفظ (١٧٧٧٧)، وأخرجه مسلم (١٢١) بلفظ: «الإسلام يهدم ما كان قبله».

(٢) انظر المادة (٥٦٦).

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ أضاف العرش إلى الله، وخصه بالذكر؛ لأن العرش أعظم المخلوقات.

و﴿الْمَجِيدُ﴾ : من المجد، وهو الشرف ورفعة القدر.

وقرئ ﴿الْمَجِيدُ﴾ :

بالرفع : صفة لـ ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ .

وبالخفض : صفة لـ ﴿الْعَرْشِ﴾ .

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه وتعظيم الأمر.

والمقصود بذكر الجنود : تهديد الكفار، وتأنيس النبي ﷺ.

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ تهديد لهم، معناه : لا يفوتونه، بل يصيبهم عذابه إذا شاء.

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ يعني : اللوح المحفوظ الذي في السماء.

وقرئ ﴿مَّحْفُوظٌ﴾ :

بالخفض : صفة للوح.

وبالرفع : صفة للقرآن؛ أي :

حفظه الله من التبديل والتغيير.

أو حفظه المؤمنون في صدورهم.

## ﴿ سورة الطارق ﴾

[﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ② النَّجْمُ الثَّاقِبُ ③﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيَّهَا حَافِظٌ ④ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ⑤ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ⑥ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ⑦ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ⑧ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ⑨ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ⑩ وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ ⑪ وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ ⑫ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ ⑬ وَمَا هُوَ بِالْهَزَلِ ⑭ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ⑮ وَآكِيْدُ كَيْدًا ⑯ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْمُتُهُمْ رُؤِيًا ⑰﴾].

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ①﴾ هذه السماء التي أقسم الله بها : هي <sup>(١)</sup> المعروفة .

وقيل : أراد المطر ؛ لأن العرب قد تسميه سماء ، وهذا بعيد .

والطارق في اللغة : ما يطرق ؛ أي : يجيء ليلاً .

وقد فسرهُ الله هنا بأنه ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ③﴾ وهو يطلع ليلاً .

ومعنى ﴿الثَّاقِبُ ③﴾ : المضيء أو المرتفع :

ف قيل : أراد جنس النجوم .

وقيل : الثريا ؛ لأنه الذي تطلق عليه العرب النجم .

وقيل : زحل ؛ لأنه أرفع النجوم ؛ إذ هو في السماء السابعة .

(١) في ب زيادة : «السماء» .

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ هذا جواب القسم ، ومعناه عند الجمهور : إنَّ كل نفس من بني آدم عليها حافظ يكتب أعمالها ، يعني : الملائكة الحفظة .  
وروي عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية : «أن لكل نفس حفظة من الله يذَّبُون عنها كما يُذَّبُ عن العسل ، ولو وُكِّل المرء إلى نفسه طرفة عين لا اختطفته الآفات والشياطين»<sup>(١)</sup> ، وإن صح هذا الحديث فهو المعوَّل عليه .  
وقرئ ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا﴾ :

بتخفيف الميم : وعلى هذا تكون ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ، واللام للتأكيد ، و«ما» زائدة .

وقرئ ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد : وعلى هذا تكون ﴿إِنْ﴾ نافية ، و﴿لَّمَّا﴾ بمعنى الإيجاب بعد النفي .

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ حذف ألف «ما» ؛ لأنها استفهامية ، وجوابها ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾<sup>(٢)</sup> .

وسمي المني ماء دافقاً ؛ من الدفق ، بمعنى الدفع :

فقليل : معناه : مدفوق ، وصاحبه هو الدافق في الحقيقة .

وقال سيبويه : هو على النسب ؛ أي : ذو دفق .

وقال ابن عطية : يصح أن يكون الماء دافقاً ؛ لأن بعضه يدفع بعضاً<sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٧/٨) ، وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص : ٩٦) .

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٨٤ - ٥٨٥) .

ومقصود الآية: إثبات الحشر، فأمر الإنسان أن ينظر أصلَ خَلْقته؛ ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده.

ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله: أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها؛ أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى<sup>(١)</sup> كل نفس بأعمالها.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۖ﴾ (٧) الضمير في ﴿يَخْرُجُ﴾ للماء.

وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون للإنسان<sup>(٢)</sup>، وهذا بعيد جدًا.

والترائب: عظام الصدر، واحدها: تريبة.

وقيل: هي الأطراف، كاليدين والرجلين.

وقيل: هي عَصارة القلب، ومنها يكون الولد.

وقيل: هي الأضلاع التي أسفل الصلب.

والأول هو الصحيح المعروف في اللغة، ولذلك قال ابن عباس: هي موضع القلادة ما بين نُدْبِي المرأة.

ويعني صلب الرجل وترائب، وصلب المرأة وترائبها.

وقيل: أراد: صلب الرجل، وترائب المرأة.

﴿إِنَّهُمْ عَلَى رَجَبِهِمْ لَقَادِرٌ ۝﴾ (٨) الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ لله تعالى، وفي ﴿رَجَبِهِمْ﴾ للإنسان.

(١) في ب: «يجازي».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٨٥).

والمعنى : أن الله قادر على رجوع الإنسان حيًّا بعد موته ، والمراد : إثبات البعث .

وقيل : إن المعنى : رُدُّه ماءً كما كان أول مرة .

وقيل : رُدُّه من الكِبَر إلى الشباب .

وقيل : الضمير في ﴿رَجَعَهُ﴾ للماء الدافق ، والمعنى : رُدُّه في الإحليل أو في الصلب .

وهذا كله ضعيف بعيد ، والقول الأول هو الصحيح المشهور .

﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (٩) يعني : يوم القيامة .

و﴿السَّرَائِرُ﴾ : جمع سريرة ، وهي ما أسرَّ العبد في قلبه من العقائد<sup>(١)</sup> والنيات ، وما أخفى من الأعمال .

وبلاؤها : هو تعرُّفها والاطلاع عليها .

وروي عن النبي ﷺ أن السرائر : الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة<sup>(٢)</sup> ، وهذه معظمها ؛ فلذلك خصَّها بالذكر .

والعامل في ﴿يَوْمَ﴾ قوله : ﴿رَجَعَهُ﴾ ؛ أي : يَرْجعه يوم تبلى السرائر .

واعترض : بالفصل بينهما .

وأجيب : بقوة المصدر في العمل .

(١) في زيادة : «والعزائم» .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/٢٦٦) .

وقيل : العامل ﴿لَقَادِرٌ﴾ .

واعترض : بتخصيص القدرة بذلك اليوم .

وهذا لا يلزم ؛ لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم .

وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين : العامل فعل مضمر من المعنى ، تقديره : يرجعه يوم تبلى السرائر .

وهذا كله على المعنى الصحيح في ﴿رَجِيءٍ﴾ .

وأما على الأقوال الأخر : فالعامل في ﴿يَوْمٍ﴾ مضمر تقديره : اذكر .

﴿فَمَا لَمْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ (١٢) الضمير للإنسان .

ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له ؛ أخبره الله أنه يعدّمهما يوم القيامة .

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ (١١) المراد بـ ﴿الرَّجْعِ﴾ عند الجمهور : المطر ، وسماه رجعا بالمصدر :

لأنه يرجع كل عام .

أو لأنه يرجع إلى الأرض .

وقيل : الرجع : السحاب الذي فيه المطر .

وقيل : هو مصدر رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة .

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ يعني: ما تتصدع<sup>(١)</sup> عنه الأرض من النبات.

وقيل: يعني: ما في الأرض من الشُّقاق والخنادق وشبهها.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ الضمير للقرآن؛ لأن سياق الكلام يقتضيه.

والفصل معناه: الذي فصل<sup>(٢)</sup> بين الحق والباطل، كما قيل له: فرقان. والهزل: اللهو، يعني: أنه جَدُّ كُلِّهِ.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ الضمير لكفار قريش.

وكيدهم: هو ما دبّروا في شأن رسول الله ﷺ من الإضرار به، وإبطال أمره.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب؛ للمشاكلة بين الفعلين<sup>(٣)</sup>.

﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم، أو بالدعاء عليهم. وهذا منسوخ بالسيف.

﴿أَنَّهُلَهُمْ رُؤْيَا﴾ أي: إمهالاً يسيراً قليلاً يعني:

إلى قتلهم يوم بدر.

أو إلى الدار الآخرة، وجعله يسيراً؛ لأن كل آتٍ قريبٌ.

ولفظ ﴿رُؤْيَا﴾ هنا: صفة لمصدر محذوف، وقد تقع بمعنى الأمر بالتماهل

(١) في أ، د: «تصدع»، وفي ب: «يتصدع».

(٢) في ب: «يفصل».

(٣) انظر (٢٧٥/١)، (٥٤٥/١)، (٤٢٢/٢)، (٥١٢/٢).



كقولك : رويدًا يا فلان .

وكرر الأمر في قوله : ﴿أَمْهَلُهُمْ﴾ ، وخالف بينه وبين لفظ ﴿مَهْلٍ﴾ ؛ لزيادة التسكين والتصبير ، قاله الزمخشري <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

(١) الكشاف (١٦/٣٨٩) .

## ﴿ سورة الأعلى ﴾

[﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤ سَتَقِرُّكَ فَلَا تَنسَى ⑥ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ⑦ وَيُخَرِّجُكَ لِلْبَرْئِ ⑧ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ⑨ سِيَذَّرَكُم مِّنْ يَخْشَى ⑩ وَيَنْجِبُهَا الْأَشْقَى ⑪ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ⑫ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑬ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَرَكَّى ⑭ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ⑮ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ⑯ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ⑰ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ⑱ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ⑲﴾].

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ①﴾ التسييح في اللغة: التنزيه.

وذكر الاسم هنا يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد المسمى، ويكون الاسم صلة كالزائد، ومعنى الكلام: سبح ربك؛ أي: نزهه عما لا يليق به، وقد يتخرج ذلك على قول من قال: إن الاسم هو المسمى.

والآخر: أن يكون الاسم مقصودًا بالذكر، ويحتمل المعنى على هذا أربعة أوجه:

الأول: تنزيه أسماء الله تعالى عن المعاني الباطلة، كالتشبيه والتعطيل.

الثاني: تنزيه أسماء الله عن أن يُسمى بها صنم أو وثن.

الثالث: تنزيه أسماء الله عن أن تُذكر في حال الغفلة دون خشوع.

الرابع: أن المراد قول<sup>(١)</sup>: «سبحان الله»، ولما كان التسبيح باللسان لا بدَّ فيه من ذكر الاسم أوقع التسبيح على الاسم، وهذا القول هو الصحيح. ويؤيده: ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: «سبحان ربي الأعلى»<sup>(٢)</sup>، وأنها لما نزلت قال: «اجعلوها في سجودكم»<sup>(٣)</sup>، فدل ذلك على أن المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب، ولا بدَّ في التسبيح باللسان من ذكر اسم الله تعالى؛ فلذلك قال: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، مع أن التسبيح في الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسمه، وإنما ذكر الاسم؛ لأنه هو الذي يوصل به إلى التسبيح باللسان.

وعلى هذا: يكون موافقاً في المعنى لقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [الواقعة: ٧٤] لأن معناه: نزه الله بذكر اسمه، ويؤيد هذا: ما روي عن ابن عباس أن معنى ﴿سَبِّحْ﴾: صلِّ باسم ربك؛ أي: صل واذكر في الصلاة اسم ربك. و﴿الْأَعْلَى﴾: يحتمل أن يكون صفة:

للرب.

أو للاسم.

والأول أظهر.

(١) في د: «قل».

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٦٦)، وأبو داود (٨٨٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧).

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ حذف مفعول ﴿خَلَقَ﴾ و﴿سَوَّى﴾؛ لقصد الإجمال الذي يفيد العموم، والمراد: خلق كل شيء فسوّاه؛ أي: أتقن خلقتة.

وانظر ما ذكرنا في قوله: ﴿فَسَوَّكَ فَعَدَّلَكَ﴾ [الانقطار: ٧] <sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ﴿قَدَّرَ﴾ بالتشديد: يحتمل أن يكون:

من القدر والقضاء.

أو من التقدير والموازنة بين الأشياء.

وقرئ بالتخفيف: فيحتمل أن يكون:

من القدرة.

أو التقدير، وحذف المفعول؛ ليفيد العموم.

فإن كان من التقدير فالمعنى: قدر لكل حيوان ما يصلحه، فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به.

وقيل: هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث؛ لبقاء النسل.

وقيل: هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدي.

وقيل: هدى الناس للخير والشر، والبهائم للمراتع.

وهذه الأقوال أمثلة، والأول أعم وأرجح، فإن هداية الإنسان وسائر

الحيوانات إلى مصالحها <sup>(٢)</sup> باب واسع فيه عجائب وغرائب.

(١) انظر صفحة ٦٢٤.

(٢) في هـ: «منافعها».

وقال الفراء: المعنى: هدى وأضلّ، واكتفى بالواحدة؛ لدلالاتها على الأخرى<sup>(١)</sup>، وهذا بعيد.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿١﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٢﴾﴾ المرعى: هو النبات الذي ترعاه البهائم.

والغثاء: هو النبات اليابس المتحطم، وقد يقال للزُّبُل غثاء.

﴿أَحْوَى﴾ معناه: أسود، وهو صفة لـ ﴿غُثَاءً﴾.

والمعنى: أن الله أخرج المرعى أخضر، فجعله بعد خضرته غثاء أسود؛ لأن الغثاء إذا قَدِمَ تَعَفَّنَ واسودَّ.

وقيل: إن ﴿أَحْوَى﴾ حال من ﴿الْمَرْعَى﴾، ومعناه: الأخضر الذي يضرب إلى السواد، وفي الكلام على هذا تقديم وتأخير تقديره: الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، وفي هذا القول تكلف.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿١﴾﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، وعده الله أن يُقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له ﷺ؛ لأنه كان أميًا لا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن.

وقيل: معنى الآية كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ الآية [القيامة: ١٦]؛ فإن ﷺ كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل؛ خوفًا أن ينساه فضمن الله له أن لا ينساه.

وقيل: ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ نهْيٌ عن النسيان، وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في

(١) معاني القرآن للفراء (٣/٢٥٦).

قدرة البشر، فالمراد: الأمر بتعاهده حتى لا ينساه. وهذا بعيد؛ لإثبات الألف في ﴿تَنَسَّى﴾.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه: لا تنسى؛ إلا ما شاء الله أن تنساه، كقوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

والآخر: أنه لا ينسى شيئاً، ولكن قال: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾؛ تعظيماً لله بإسناد الأمر إليه، كقوله: ﴿خَلِّدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨] على بعض الأقوال.

وعبر الزمخشري عن هذا بأنه من استعمال التقليل في معنى النفي<sup>(١)</sup>.

والأول أظهر؛ فإن النسيان جائز على النبي ﷺ فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن، أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره، ومن هذا قول النبي ﷺ حين سمع قراءة عبّاد بن بشر: «يرحمه الله؛ لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد أنسيتها»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ ﴿٨﴾ عطف على ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾، ومعناه: نوفقك للأمور المرضية التي توجب لك السعادة.

وقيل: معناه للشيعة اليسرى، من قوله ﷺ: «دين الله يسر»<sup>(٣)</sup> أي: سهل لا حرج فيه.

(١) الكشف (٣٩٦/١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٥)، ومسلم (٧٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩).

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ المراد بهذا الشرط : توبيخ الكفار الذين لا تنفعهم الذكرى ، واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم ، كقولك : قد أوصيتك لو سمعت .

وقيل : إن المعنى : فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع ، واقتصر على أحد القسمين ؛ لدلالة الآخر عليه ، وهذا بعيد وليس عليه الرونق الذي على الأول .

﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (١٠) أي : من يخاف الله .

﴿وَيَنْجَنِيهَا الْأَشَقَى﴾ (١١) يعني : الكافر .

وقيل : نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة .

والضمير المفعول لـ ﴿الذِّكْرَى﴾ .

﴿النَّارَ الْكُبْرَى﴾ هي نار جهنم ، وسماها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا .

وقيل : سماها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم ؛ فإنها تتفاضل ، وبعضها أكبر من بعض .

وكلا القولين صحيح ، إلا أن الأول أظهر ، ويؤيده قول رسول الله ﷺ : «ناركم هذه التي توقدون جزءً من سبعين جزءاً من نار جهنم»<sup>(١)</sup> .

﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ أي : لا يموت فيستريح ، ولا يحيا حياة هنيئة .

وعطف هذه الجملة بـ ﴿ثُمَّ﴾ ؛ لأن هذه الحالة أشد من صلي النار ،

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٥) ، ومسلم (٢٨٤٣) .

فكانها بعده في الشدة.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١) يحتمل أن يكون ﴿تَزَكَّى﴾ :

بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصي.

أو بمعنى الطهارة للصلاة.

أو بمعنى أداء الزكاة، وعلى هذا قال جماعة: إنها في يوم الفطر، والمعنى: أدّى زكاة الفطر، وذكر اسم ربه في طريق المصلى إلى أن يخرج الإمام، وصلى صلاة العيد، وقد روي هذا عن النبي ﷺ (١).

وقيل: المراد: أدّى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الإشارة:

إلى ما ذكر قبل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة.

أو إلى ما تضمنته السورة.

أو إلى القرآن بجملته.

والمعنى: إنه ثابت في كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت في هذا الكتاب.

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/١٨٥).



## ﴿ سورة الغاشية ﴾

[﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ① وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ② عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ③ تَصَلَّى ④ نَارًا حَامِيَةً ⑤ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِنَةٍ ⑥ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ⑦ لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي ⑧ مِنْ جُوعٍ ⑨ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ⑩ لِسْعِيهَا رَاضِيَةٌ ⑪ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ⑫ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ⑬ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ⑭ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ⑮ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ⑯ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ⑰ وَزُرَّاقٌ مَبْثُوثَةٌ ⑱ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ⑲ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ⑳ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ㉑ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ㉒ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ㉓ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ㉔ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ㉕ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ㉖ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ㉗ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ㉘ ] .

﴿ هَلْ أَتَاكَ ﴾ توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر .

وقيل : ﴿ هَلْ ﴾ بمعنى « قد » ، وهذا ضعيف .

﴿ الْغَاشِيَةِ ﴾ هي القيامة ؛ لأنها تغشى جميع الخلق .

وقيل : هي النار ، من قوله : ﴿ وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم : ٥٠] ، وهذا

ضعيف ؛ لأنه ذكر بعد ذلك قسمين : أهل الشقاوة وأهل السعادة .

﴿ خَاشِعَةٌ ﴾ أي : ذليلة .

﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ③ ﴾ هو من النصب بمعنى التعب .

وفي المراد بهم ثلاثة أقوال :

**أحدهما :** أنهم الكفار ، ويحتمل على هذا يكون عملهم ونصبهم :

في الدنيا ؛ لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبدون فيها .

أو يكون في الآخرة ، فيعملون فيها عملاً يتعبدون فيه ؛ من جرّ السلاسل والأغلال وشبه ذلك ، ويكون زيادة في عذابهم .

**الثاني :** أنها في الرهبان الذين يجتهدون في العبادة ولا تقبل منهم ؛ لأنهم على غير الإسلام ، وبهذا تأولها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبكى رحمةً لراهب نصراني رآه مجتهداً ، ف﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ (٢) على هذا : في الدنيا .

و﴿نَاصِبَةٌ﴾ إشارة :

إلى اجتهدهم في العمل .

أو إلى أنه لا ينفعهم ، فليس لهم منه إلا النصب .

**الثالث :** أنها في القدرية ، وقد روي أن رسول الله ﷺ ذكر القدرية فبكى وقال : «إن فيهم المجتهد» <sup>(١)</sup> .

﴿سُقْنَىٰ مِنْ عَيْنٍ ۖ إِنِّي ۖ أَي : شديدة الحر ، ومنه ﴿حَمِيمٍ ۖ إِنِّي﴾ [الرحمن : ٤٤] ، ووزن ﴿ءَانِيَةٍ﴾ هنا فاعلة ، بخلاف ﴿رَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان : ١٥] فإن وزنه : أَفْعَلَةٌ .

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (٣) في الضريع أربعة أقوال :

**أحدها :** أنه شوك يقال له : الشُّبْرُق ، وهو سمّ قاتل ، وهذا أرجح

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ٥٩٧) ، ولم أقف على إسناد له .

الأقوال؛ لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي ﷺ قال: «الضريع شوك في النار»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه الزقوم؛ لقوله: ﴿إِنَّ سَجَرَتَ الزَّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيرِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤].

الثالث: أنه نبات أخضر مُتَنُّ يَنْبِت في البحر، وهذا ضعيف.

الرابع: أنه واد في جهنم، وهذا ضعيف؛ لأن ما يجري في الوادي ليس بطعام، إنما هو شراب.

ولله درُّ من قال: الضريع طعام أهل النار، فإنه عمَّ وسَلِمَ من عَهْدَةِ التعيين. واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة؛ لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به.

وقيل: بمعنى: مُضْرِع للبدن، أي: مُضْعِف.

وقيل: إن العرب لا تعرف هذا اللفظ.

فإن قيل: كيف قال هنا: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾، وقال في «الحاقة»: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٦]؟

فالجواب: أن الضريع لقوم، والغسلين لقوم.

أو يكون أحدهما في حال، والآخر في حال.

﴿لَا يَسْمَنُ وَلَا يَغْنَى مِنْ جُوعٍ﴾ هذه الجملة صفة لـ ﴿ضَرِيعٍ﴾، أول ﴿طَعَامٍ﴾.

(١) أخرجه ابن مردويه بسند واهٍ كما في الدر المنثور (١٥/٣٨٥).

نفى عنه منفعة الطعام، وهي التسمين وإزالة الجوع.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ (٨) أي: متنعمة في الجنة.

أو يظهر عليها نضرة النعيم.

﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٩) أي: رضيت في الآخرة؛ لأجل سعيها، وهو عملها في الدنيا.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (١٠) يحتمل أن يكون:

من علو المكان.

أو من علو المقدار.

أو الوجهين.

﴿لَا تُسْمَعُ فِيهَا لَغِيَّةٌ﴾ هو من لغو الكلام، ومعناه الفحش<sup>(١)</sup> وما يكره، فيحتمل أن يريد:

كلمة لاغية.

أو جماعة لاغية.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (١١) يحتمل أن يريد:

جنس العيون.

أو واحدة شرفها بالتعيين.

(١) في ب، د: «اللحن».

﴿وَأَكَّابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ (٤) ﴿قَدْ ذَكَّرْنَا﴾ ﴿وَأَكَّابٌ﴾ (١).

ومعنى ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ : حاضرة معدة بشرابها .

وفي قوله : ﴿مَرْفُوعَةٌ﴾ و ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ مطابقة .

﴿وَمَارِقٌ﴾ جمع نمرقة ، وهي الوسادة .

﴿وَزَرَائٍ مَبْثُوثَةٌ﴾ (٦) هي بُسْطٌ فاخرة .

وقيل : هي الطَّنَافِسُ .

واحدها : زَرْيَّةٌ .

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ أي : متفرقة ، وذلك عبارة عن كثرتها .

وقيل : مبسوطة .

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ حض على النظر إلى خلقتها ؛ لما فيها من العجائب في قوتها ، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف ، وصبرها على العطش ، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها ، وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك .

وقيل : أراد بالإبل السحاب ، وهذا بعيد ، وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال .

والصحيح أن المراد الحيوان المعروف ، وإنما ذكره لما فيه من العجائب ولاعتناء العرب به ؛ إذ كانت معاشهم في الغالب منه ، وهو أكثر المواشي في بلادهم .

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (٣٣) ﴿أي: قاهر متسلط.

وهذا من المنسوخ بالسيف.

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن من تولى وكفر فيعذبه الله.

وقيل: هو استثناء من مفعول ﴿فَذَكَّرْ﴾، والمعنى: ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئست منه، فهو على هذا متصل.

وقيل: هو استثناء من قوله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (٣٣) ﴿أي: لا تسلط إلا على من تولى وكفر، وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه؛ إذ لا موادة فيه، وهذا بعيد؛ لأن السورة مكية والموادة بمكة ثابتة.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (٢٥) ﴿أي: رجوعهم، والآية تهديد.



## ﴿ سورة الفجر ﴾

[﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨﴾ وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَيَالْمُرْصِدِ ١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرَمُونَ ١٧﴾ الْيَتِيمَ ١٨﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ١٩﴾ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ٢٠﴾ وَتُحِبُّونَ ٢١﴾ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ٢٢﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ٢٣﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٤﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَاتَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ٢٥﴾ يَقُولُ يَلَيِّنَتِي ٢٦﴾ قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ٢٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ٢٨﴾ وَلَا يُؤْنِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ ٢٩﴾ يَتَابَعَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ٣٠﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ٣١﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبْدِي ٣٢﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ٣٣﴾].

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم تعالى بالفجر، وهو الطالع كل يوم، كما أقسم بالصبح.

وقيل: أراد صلاة الفجر.

وقيل: أراد النهار كله.

وقيل: فجر يوم الجمعة.

وقيل: فجر يوم النحر.

وقيل : فجر ذي الحجة .

ولا دليل على هذه التخصيصات .

وقيل : أراد انفجار العيون من الحجارة ، وهذا بعيد .

والأول أشهر وأظهر .

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ ① هي عشر ذي الحجة عند الجمهور .

وقيل : العشر الأول من المحرم ، وفيها عاشوراء .

وقيل : العشر الآخر من رمضان .

وقيل : العشر الأول منه .

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ ② روي عن النبي ﷺ : أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة<sup>(١)</sup> ؛ وذلك لأن يوم النحر عاشر فعدده شفع ، ويوم عرفة تاسع فعدده وتر .

وروي عنه ﷺ : أن الشفع يوم عرفة ويوم الأضحى ، والوتر ليلة النحر<sup>(٢)</sup> .

وروي عنه ﷺ : أنها الصلوات ، منها شفع ووتر<sup>(٣)</sup> .

وقيل : الشفع التنفل بالصلاة مثنى مثنى ، والوتر الركعة الواحدة المعروفة .

وقيل : الشفع العالم ، والوتر الله ؛ لأنه واحد .

(١) أخرجه أحمد (١٤٥١١) ، والنسائي في الكبرى (١٩٤ / ٤) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٨٠ / ٤) .

(٣) أخرجه أحمد (١٩٩١٩) .



وقيل : الشفع آدم وحواء، والوتر الله تعالى .

وقيل : الشفع الصفا والمروة، والوتر البيت الحرام .

وقيل : الشفع أبواب الجنة ؛ لأنها ثمانية، والوتر أبواب النار ؛ لأنها سبعة .

وقيل : الشفع قران الحج، والوتر إفراده .

وقيل : المراد الأعداد، منها شفع ووتر .

فهذه عشرة أقوال .

وقرئ ﴿وَالْوَتْرَ﴾ بفتح الواو وكسرها، وهما لغتان .

﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾ أي : إذا يذهب، فهو كقوله : ﴿وَالَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ [المدثر : ٣٣] .

وقيل : أراد : يُسَرَّى فيه، فهو على هذا كقولهم : «ليلة قائم»، والمراد على هذا : ليلة جمع ؛ لأنها التي يُسَرَّى فيها .

والأول أشهر وأظهر .

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها .

والحجر هنا : هو العقل، كأنه يقول : إن هذا لقسم<sup>(١)</sup> عظيم عند ذوي العقول .

(١) في ب، د، هـ : «القسم» .

وجواب القسم محذوف، وهو: «لِأَخَذَنَّ اللهُ الْكُفَّارَ»، ويدل على ذلك: ما ذكر بعده من أخذ عاد وثمود وفرعون.

﴿إِرَمَ﴾ هي قبيلة عاد، سميت باسم أحد أجدادها، كما يقال: «هاشم» : لبني هاشم.

وإعرابه: بدل من ﴿عَادٍ﴾، أو عطف بيان.

وفائدته: أن المراد عادُ الأولى، فإن عادًا الثانية لا يسمَّون بهذا الاسم.

وقيل: ﴿إِرَمَ﴾ اسم مدينتهم، فهو على حذف مضاف تقديره: «بعادِ عادِ إِرَمَ»، ويدل على هذا: قراءة ابن الزبير: «بعادِ إِرَمَ» على الإضافة من غير تنوين «عاد».

وامتنع ﴿إِرَمَ﴾ من الصرف على القولين: للتعريف والتأنيث.

﴿ذَاتِ أَعْمَادٍ﴾ من قال ﴿إِرَمَ﴾ قبيلةً: قال ﴿أَعْمَادٍ﴾: أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر؛ لأنهم كانوا أهل عمود.  
وقال ابن عباس: ذلك كناية عن طول أبدانهم.

ومن قال ﴿إِرَمَ﴾ مدينة: فـ ﴿أَعْمَادٍ﴾ الحجارة التي بنيت بها.

وقيل: القصور والأبراج.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ﴾ ٨ ﴿﴾ صفة للقبيلة؛ لأنهم كانوا أعظم الناس أجسامًا، يقال: كان طول الرجل منهم أربع مئة ذراع.

أو صفة للمدينة، وهذا أظهر؛ لقوله: ﴿فِي الْبَلَدِ﴾، ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا.

وروي أنها بناها شَدَّاد بن عاد في ثلاث مئة عام، وكان عمره تسع مئة عام، وجعل قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزُّبرجد والياقوت، وفيها أنواع الشجرات والأنهار الجارية.

وروي أنه سَمِعَ ذكر الجنة، فأراد أن يعمل مثلها، فلما أتمَّها وسار إليها بأهل مملكته أهلَهم الله بصيحة.

وكانت هذه المدينة باليمن، وروي أن بعض المسلمين مر بها في خلافة معاوية.

وقيل: هي دمشق.

وقيل: الإسكندرية.

وهذا ضعيف.

﴿جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ أي: نَقَبُوهُ وَنَحَتُوا فِيهِ بِيوتًا.

والوادي: ما بين الجبلين، وإن لم يكن فيه ماء.

وقيل: أراد وادي القرى.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ذكر في «داود»<sup>(١)</sup>.

﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ صفة لعاد وشمود وفرعون.

ويجوز أن يكون:

منصوبًا على الذم.

(١) انظر: (٧٠٠/٣).

أو خبرَ ابتداء مضمّر .

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوِّطَ عَذَابٍ﴾ استعار<sup>(١)</sup> السوط للعذاب ؛ لأنه يقتضي من التكرار ما لا يقتضيه السيف وغيره . قاله ابن عطية<sup>(٢)</sup> .

وقال الزمخشري : ذُكر السوط إشارةً إلى عذاب الدنيا ؛ إذ هو أهون من عذاب الآخرة ، كما أن السوط أهون من القتل<sup>(٣)</sup> .

﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمِرْصَادِ﴾ عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان ، وريبٌ على كل إنسان ، وأنه لا يقوته أحد من الجبابرة والكفار ، وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم .

والمرصاد : المكان الذي يترقب<sup>(٤)</sup> فيه الرصدُ .

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ﴾ الابتلاء : هو الاختبار ، واختبار الله لعبده ؛ لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه ، وقد كان الله عالمًا بذلك قبل كونه .

﴿وَالْإِنْسَانُ﴾ هنا : جنس .

وقيل : نزلت في عتبة بن ربيعة .

وهي مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة .

وذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير ، ثم ذكر بعد ابتلاءه بالشر ،

(١) في أ ، هـ : «استعارة» .

(٢) المحرر الوجيز (٦٠٩/٨) .

(٣) الكشف (٤٢٤/١٦) .

(٤) في ب ، د : «ترتقب» .

كما قال في: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وأنكر عليه قوله حين الخير: ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ وقوله حين الشر: ﴿رَبِّتْ أَهْنَنِينَ﴾. ويتعلق بالآية سؤالان:

السؤال الأول: لم أنكر الله على الإنسان قوله: ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ و﴿رَبِّتْ أَهْنَنِينَ﴾؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الإنسان يقول: ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ على وجه الفخر بذلك والكبر، لا على وجه الشكر، ويقول: ﴿رَبِّتْ أَهْنَنِينَ﴾ على وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك، فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر.

والآخر: أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة، وتضييقه إهانة، وليس الأمر كذلك؛ فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه، ويضييقه على<sup>(١)</sup> أوليائه، فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة.

وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن، وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا؛ لأنه لا يصدق بالآخرة، ويرى أن الدنيا هي الغاية، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك.

السؤال الثاني: إن قيل: قد قال الله: ﴿فَأَكْرَمُهُ﴾ فأثبت إكرامه، فكيف أنكر عليه قوله: ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾؟

(١) في ب: «ويقبضه عن».

فالجواب من ثلاثة أوجه :

**الأول :** أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام ، وإنما أنكر عليه ما يدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشرك ، أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا في معنى الإنكار .

**الثاني :** أنه أنكر عليه قوله : ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ إذا اعتقد إن إكرام الله له باستحقاقه للإكرام ، لا على وجه التفضُّل والإنعام ، كقول قارون : ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص : ٧٨] .

**الثالث :** أن الإنكار إنما هو لقوله : ﴿رَبِّتْ أَهْنَيْنِ﴾ ، لا لقوله : ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ ؛ فإن قوله : ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ اعترافٌ بنعمة الله ، وقوله : ﴿رَبِّتْ أَهْنَيْنِ﴾ شكاية من فعل الله .

﴿فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أي : ضيقه .

وقرئ بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد ، وفي التشديد مبالغة .

وقيل : معنى التشديد : جعله على قدر معلوم .

﴿كَلَّا﴾ زجرٌ عما أنكر من قول الإنسان .

﴿لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ هذا ذمٌ لما ذكر من الأعمال القبيحة .

ومعنى هذا الإضراب بـ ﴿بَل﴾ : كأنه أنكر على الإنسان ما تقدم ، ثم قال : بل تفعلون ما هو شر من ذلك ، وهو أن لا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده .

قال رسول الله ﷺ : «أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم»<sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٩١/١٣) .

﴿وَلَا تَحْضُونَهُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ الحَضُّ على الأمر: هو الترغيب فيه، ومن لا يحض غيره على أمر فلا يفعله هو، فكأنه ذم لترك طعام المسكين. والطعام هنا: بمعنى الإطعام.

وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: لا تحضون على بذل طعام المسكين.

وقرئ ﴿تَحْضُونَ﴾ بفتح الحاء وألف بعدها، بمعنى لا يحض بعضكم بعضاً.

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ التُّرَاثُ: ما يُورَثُ عن الميت من المال، والتاء فيه بدل من واو. واللمُّ: الجمع واللف.

والتقدير: أكلاً ذالماً، وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره؛ لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيراً، بل ينفرد به الرجال. ﴿وَيَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: شديداً كثيراً، وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه.

﴿دَكَّتِ الْأَرْضُ﴾ أي: سُويت بذهاب جبالها.

﴿دَكًّا دَكًّا﴾ أي: دكاً بعد دك، كما تقول: تعلمت العلم باباً باباً.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ تأويله عند المتأولين: جاء أمره وسلطانه.

وقال المنذر بن سعيد: معناه ظهوره للخلق هنالك.

وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل<sup>(١)</sup>.

﴿وَالْمَلَكُ﴾ هو اسم جنس، فإنه روي أن الملائكة كلهم يكونون صفوفاً حول الأرض.

﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أي: صفًّا بعد صف، قد أحدقوا بالجن والإنس.

﴿وَحَإِىَ يَوْمَئِذٍ يَجْهَنُّ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»<sup>(٢)</sup>.

﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَنُ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا دُكَّتِ﴾، و﴿يَنْذَكُرُ﴾ هو العامل، وهو جواب ﴿إِذَا دُكَّتِ﴾.

والمعنى: أن الإنسان يتذكر يوم القيامة لأعماله في الدنيا، ويندم على تفريطه وعصيانه.

و﴿الْإِنْسَنُ﴾ هنا: جنس.

وقيل: يعني: عتبة بن ربيعة.

وقيل: أمية بن خلف.

﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ هذا على حذف تقديره: «أنى له الانتفاع بالذكرى»، كما تقول: «ندم حين لم تنفعه الندامة».

(١) انظر (٤٢٧/١)

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).



﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٤) فيه وجهان:

أحدهما: أنه يريد الحياة في الآخرة، فالمعنى: يا ليتني قدّمت عملاً صالحاً للآخرة.

والآخر: أنه يريد الحياة الدنيا، فالمعنى: يا ليتني قدّمت عملاً صالحاً وقت حياتي، فاللام على هذا كقولك: كتبتُ لعشرٍ من الشهر.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ﴾ (٢٥) من قرأ بكسر الذال من ﴿يُعَذِّبُ﴾ والشاء من ﴿يُوثِقُ﴾: فالضمير في ﴿عَذَابُهُ﴾ و﴿وَنَاقَهُ﴾: لله تعالى.

والمعنى: أنه الله يتولى عذاب الكفار ولا يكله إلى أحد.

ومن قرأ بالفتح: فالضمير للإنسان؛ أي: لا يعذب أحد مثل عذابه، ولا يوثق أحد مثل وثاقه.

وهذه قراءة الكسائي، وروي أن أبا عمرو رجع إليها، وهي قراءة حسنة، وقد رويت عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

﴿يَتَّيْنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أي: الموقنة يقيناً قد اطمأنت به، بحيث لا يتطرق إليها شك في الإيمان.

وقيل: المطمئنة: التي لا تخاف حينئذ، ويؤيد هذا: قراءة أبي بن كعب: «يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة».

﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ هذا الخطاب والنداء يكون: عند الموت.

وقيل: عند البعث.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩١/٢٤) وقال: «إسناده واه»

وقيل : عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار .  
والأول أرجح ؛ لما روي أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال له :  
«يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك»<sup>(١)</sup> .

﴿رَاضِيَةً﴾ معناه : راضية بما أعطاك الله ، أو راضية عن الله .  
ومعنى المرضية : مرضية عند الله ، أو أرضاها الله بما أعطاه .  
﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) أي : ادخلي في جملة عبادي الصالحين .  
وقرئ : ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ بالتوحيد ، ومعناه : ادخلي في جسده وهو  
خطاب للنفس .

ونزلت هذه الآية في حمزة .  
وقيل : في حُبيب بن عديّ الذي صلبه الكفار بمكة .  
ولفظها يعم كل نفس مطمئنة .



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٦/٢٤) .

## ﴿سورة البلد﴾

[لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا  
الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾  
أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾  
فَلَا اقْنَحْ عَاقِبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَفَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي  
مَسْعَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَصَّوْا  
بِالصَّبْرِ وَتَوَّصَوْا بِالْمَرْحَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُنَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِبِينَ هُمْ أَصْحَابُ  
الْمَشْئَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾].

﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾﴾ أراد مكة باتفاق، وأقسم بها تشريفًا لها،  
و﴿لَا﴾ زائدة.

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده، وفي  
معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى أنت حال<sup>(١)</sup> بهذا البلد؛ أي: ساكن؛ لأن السورة  
نزلت والنبي ﷺ بمكة.

والآخر: أن معنى ﴿حِلٌّ﴾: تُسْتَحَلُّ حرمتك ويؤذيك الكفار، مع أن مكة

(١) في ب، د، هـ: «حل».

لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر، ولا قطع شجر.

وعلى هذا قيل: ﴿لَا أَقِيمُ﴾ نفي؛ أي: لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذابة.

الثالث: أن معنى ﴿حِلٌّ﴾: حلال، يجوز لك في هذا البلد ما شئت من قتل كافر وغير ذلك مما لا يجوز لغيرك، وهذا هو الأظهر؛ لقوله ﷺ: «إن هذا البلد حرام حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، لم يحلّ لأحد قبلي ولا يحلّ لأحد بعدي، وإنما أحل لي ساعة من نهار»<sup>(١)</sup>، يعني: يوم فتح مكة، وفي ذلك اليوم أمر ﷺ بقتل ابن خطلٍ وهو متعلق بأستار الكعبة<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: إن السورة مكية، وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة؟  
فالجواب: أن هذا وعدٌ بفتح مكة، كما تقول لمن تعدّه بالكرامة: «أنت مُكْرَمٌ»، يعني: فيما يستقبل.

وقيل: إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح، وهذا ضعيف.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه أراد آدم وجميع ولده<sup>(٣)</sup>.

الثاني: نوح وولده.

الثالث: إبراهيم وولده.

(١) أخرجه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (١٣٥٧).

(٣) في د: «أولاده».

الرابع: محمد ﷺ وولده.

الخامس: جنس كل والد ومولود.

وإنما قال: ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾ ولم يقل: «ومن ولد»؛ إشارةً إلى تعظيم المولود كقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ [آل عمران: ٣٦]، قاله الزمخشري<sup>(١)</sup>.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: يكابد المشققات من هموم الدنيا والآخرة.

قال بعضهم: لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابده<sup>(٢)</sup> ابن آدم.

وأصل الكبد: من قولك: كَبَدَ الرجلُ فهو أَكْبَدُ: إذا وَجَعَتْ كَبِدُهُ.

وقيل: معنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾: واقفاً منتصباً القائمة، وهذا ضعيف.

و﴿الْإِنْسَانَ﴾ على هذين القولين: جنس.

وقيل: الإنسان آدم ﷺ، ومعنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾ على هذا: في السماء، وهذا

ضعيف، والأول هو الصحيح.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه.

والآخر: أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه.

فعلى الأول: نزلت في جنس الإنسان الكافر.

وعلى الثاني: نزلت في رجل معين، وهو أبو الأشد، رجل من قريش

كان شديد القوة.

(١) الكشف (١٦/٤٤٣).

(٢) في ج، د، هـ: «يكابده».

وقيل: عمرو بن عبد ودّ، وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة، وقتله علي ابن أبي طالب.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ﴾ (٦) ﴿أَي: كثيرًا.

وقرئ ﴿لُبْدًا﴾ بضم اللام وكسرهما، وهو جمع لبْدَةٍ - بالضم والكسر - بمعنى الكثرة.

ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة؛ فإنه أنفق مالا في إفساد أمر رسول الله ﷺ.

وقيل: في الحارث بن عامر بن نوفل، وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفارات، فقال: لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمداً.

﴿أَيَحْسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ (٧) ﴿يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا:

تكذيباً له في قوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ﴾.

أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي: طريقَي الخير والشر، فهو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد.

وقيل: يعني: ثديي الأم.

﴿فَلَا أَفْنَحَمُ الْعُقَبَةَ﴾ (١١) ﴿الافتحام: الدخول بشدة ومشقة.

و﴿الْعُقَبَةُ﴾ عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد، وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل؛ لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس.

وقيل : هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال .  
و﴿لَا﴾ هنا : تحضيضٌ بمعنى : «هَلَّا» .

وقيل : هي دعاء .

وقيل : هي نافية .

واعترض هذا القول : بأن «لا» النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها .

وأجاب الزمخشري بأنها مكررة في المعنى ، والتقدير : فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً<sup>(١)</sup> .

وقال الزجاج : قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يدل على التكرار ؛ لأن التقدير : فلا اقتحم العقبة ولا آمن<sup>(٢)</sup> .

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ۖ﴾ (١٧) تعظيم للعقبة ، ثم فسرها بفك الرقبة ، وهو إعتاقها ، وبالإطعام .

وقرئ ﴿فَكَ رَقَبَةٍ ۖ﴾ (١٣) :

بضم الكاف وخفض الرقبة ، وهو على هذا تفسير للعقبة .

وبفتح الكاف ونصب الرقبة ، وهو تفسير لـ ﴿أَفَنَحَمُ﴾ .

وفك الرقبة : هو عتقها ، قال رسول الله ﷺ : «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق

(١) الكشف (١٦/٤٤٨) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/٣٢٩) .

الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار»<sup>(١)</sup>.

وقال أعرابي لرسول الله ﷺ: دلني على عمل أنجوبه، فقال: «فُكَّ الرقبة وأعتق النسمة»، فقال الأعرابي: أليس هذا واحدًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا، عتق النسمة أن تنفرد بعقتها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها»<sup>(٢)</sup>.

وأما فداء أسارى المسلمين من أيدي الكافرين فإنه أعظم أجرًا من العتق؛ لأنه واجب، ولو استغرقت فيه أموال المسلمين، ولكنه لا يجزئ في الكفارات عن عتق رقبة.

﴿أَوْ إِطْعَمٌ﴾ من قرأ ﴿فُكَّ﴾ بالرفع قرأ ﴿إِطْعَمٌ﴾، فعطف مصدرًا على مصدر.

ومن قرأ ﴿فُكَّ﴾ بالفتح قرأ ﴿أُطْعِمَ﴾ بفتح الهمزة والميم، فعطف فعلاً على فعل.

﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: ذي مجاعة، يقال: سَغِبَ الرجل: إذا جاع.  
﴿بَيْتًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾<sup>(١٥)</sup> أي: ذا قرابة، ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم.  
﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ﴾<sup>(١٦)</sup> أي: ذا حاجة، يقال: تَرَبَّ الرجل: إذا افتقر، وهو مأخوذ من لُصُوقِهِ بالتراب.

وروي عن النبي ﷺ: أنه الذي مأواه المزابل<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩).

(٢) أخرجه ابن حبان (٩٧/٢)، والحاكم (٢٣٦/٢).

(٣) أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٢١٤/٤).



﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿ثُمَّ﴾ هنا للتراخي في الرتبة لا في الزمان، وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام.

ولا يصح أن تكون للترتيب في الزمان؛ لأنه يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام!، ولا يُقبل عمل إلا من مؤمن.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي: وصى بعضهم بعضًا بالصبر على قضاء الله.

وكأن هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذاية الكفار.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ أي: وصى بعضهم بعضًا برحمة المساكين وغيرهم.

وقيل: الرحمة: كل ما يؤدي إلى رحمة الله.

﴿الْيَمِينَةِ﴾ جهة اليمين و﴿الشِّمَّةِ﴾ جهة الشمال.

وروي أن الميمنة عن يمين العرش.

ويحتمل أن يكونا من اليُمن والشؤم.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوصَدَةٌ﴾ أي: مُطَبَّقة مُغلقة، يقال: أوصدت الباب: إذا أغلقته.

وفيه لغتان: الهمز، وترك الهمز.



## ﴿سورة الشمس﴾

[﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا لِلَّهَا ② وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ⑪ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ⑬ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ⑭ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ⑮﴾].

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ①﴾ الضحى: ارتفاع الضوء وكماله.

والضَّحَاء - بالفتح والمد-: بعد ذلك إلى الزوال.

وقيل: الضحى النهار كله.

والأول هو المعروف في اللغة.

﴿وَالْقَمَرُ إِذَا لِلَّهَا ②﴾ أي: تبعها، وفي تبعه لها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يتبعها في كثرة الضوء؛ لأنه أضوأ الكواكب بعد الشمس، ولا سيما ليلة البدر.

والآخر: أنه يتبعها في طلوعه؛ لأنه يطلع بعد غروبها، وذلك في النصف الأول من الشهر.

الثالث: أن تبعه لها: أخذه من نورها.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي: كشفها وأظهرها.

والضمير المفعول للشمس، وضمير الفاعل للنهار؛ لأن الشمس تتجلى بالنهار، فكأنه هو الذي جلاها.

وقيل: الضمير الفاعل: لله.

وقيل: الضمير المفعول: للظلمة، أو للأرض، أو للدنيا.

وهذا كله بعيد؛ لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي: يغطيها، وضمير المفعول للشمس، وضمير الفاعل لليل على الأصح.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ قيل: إن «ما» في قوله: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾ و﴿وَمَا طَحَّهَا﴾ و﴿مَا سَوَّاهَا﴾ موصولة بمعنى: «من»، والمراد الله تعالى.

وقيل: إنها مصدرية، كأنه قال: والسماء وبنيانها<sup>(١)</sup>، وضعف الزمخشري هذا بقوله: ﴿فَأَقْصَمَهَا﴾؛ فإن المراد الله باتفاق، فهذا القول يؤدي إلى فساد النظم<sup>(٢)</sup>.

وضعف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق.

فإن قيل: لم عدل عن «من» إلى «ما» في قول من جعلها موصولة؟

فالجواب: أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية، كأنه قال: والقادر الذي بناها.

﴿طَحَّهَا﴾ أي: مدّها.

(١) في ١، هـ: «وبنيانها».

(٢) الكشف (١٦/٤٥٩).

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ٧ ﴿تَسْوِيَةِ النَّفْسِ : إِكْمَالُ عَقْلِهَا وَفَهْمُهَا .

فَإِنْ قِيلَ : لِمَ نَكَّرَ النَّفْسَ ؟

فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ أَرَادَ الْجِنْسَ ، كَقَوْلِهِ : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير : ١٤] .

وَالْآخَرُ : أَنَّهُ أَرَادَ نَفْسَ آدَمَ .

وَالأَوَّلُ هُوَ الْمَخْتَارُ .

﴿فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي : عَرَّفَهَا طَرِيقَ<sup>(١)</sup> الْفَجْرِ وَالْتَقْوَى ، وَجَعَلَ لَهَا قُوَّةَ يَصْحَ مَعَهَا اكْتِسَابُ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْوَاوُ بِمَعْنَى «أَوْ» ، كَقَوْلِهِ : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ٢ [الإنسان : ٣] .

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ١ ﴿هَذَا جَوَابُ الْقِسْمِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ .

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : الْجَوَابُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ : لِيُذَمِّدَ مَنْ أَلَى أَهْلَ مَكَّةَ لَتَكْذِيبِهِمُ النَّبِيَّ ﷺ ، كَمَا ذَمُّدُمْ عَلَى قَوْمِ ثُمُودَ لَتَكْذِيبِهِمْ صَالِحًا ﷺ ، قَالَ : وَأَمَّا ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فَكَلَامٌ تَابِعٌ لِقَوْلِهِ : ﴿فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ ﴿عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِطْرَادِ<sup>(٢)</sup> ، وَهَذَا بَعِيدٌ .

وَالْفَاعِلُ بِـ ﴿زَكَّاهَا﴾ ضَمِيرُ يَعُودُ عَلَى ﴿مَنْ﴾ ، وَالْمَعْنَى : قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ ؛ أَيْ : طَهَّرَهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْعُيُوبِ .

(١) فِي ب ، د : «طَرِيقٌ» .

(٢) الْكَشَافُ (١٦/٤٦٤) .

وقيل : الفاعل ضمير الله تعالى .

والأول أظهر .

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ (١٠) ﴿أي : حَقَّرَهَا بالكفر والمعاصي .

وأصله : دَسَسَ بمعنى : أخفى ؛ فكأنه أخفى نفسه لما حقرها ، وأُبدل من السين الآخرة حرف علة ، كقولهم : «قَصَّيْتُ أَظْفَارِي» ، وأصله : قَصَصْتُ .

﴿يَطْفُونَهَا﴾ هو مصدر بمعنى الطغيان ، قلبت فيه الياء واوًا على لغة من يقول : «طَغَيْتُ» .

والباء الخافضة :

كقولك : «كتبت بالقلم» .

أو سببية ، والمعنى : بسبب طغيانها .

وقال ابن عباس : معناه كذبت ثمود بعذابها ، ويؤيده قوله : ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ (٥) [الحاقة : ٥] .

﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقَّهَا﴾ (١١) ﴿العامل في ﴿إِذْ﴾ : ﴿كَذَّبَتْ﴾ أو ﴿يَطْفُونَهَا﴾ .

ومعنى ﴿أُنْبِئَتْ﴾ : خرج إلى عقر الناقة بسرعة ونشاط .

و﴿أَشَقَّهَا﴾ : هو الذي عقر الناقة ، وهو أحيمر ثمود ، واسمه قُدَّار بن سالف .

ويحتمل أن يكون ﴿أَشَقَّهَا﴾ واقعًا على جماعة ؛ لأن «أفعل» التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع .

والأول أظهر وأشهر .

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني : صالحاً عليه السلام .

﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره : احفظوا ناقة الله ،  
أو احذروا ناقة الله .

و﴿سُقْيَهَا﴾ : شربها من الماء .

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ نَسَب العقر إلى جماعة ؛ لأنهم اتفقوا عليه ، وبأشره واحد  
منهم .

﴿فَدَمْدَمَ﴾ عبارة عن إنزال العذاب بهم ، وفيه تهويل .

﴿يَذْنِبُهُمْ﴾ أي : بسبب ذنبهم ، وهو التكذيب ، أو عقر الناقة .

﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ قال ابن عطية : معناه : فسَوَّى القبيلة في الهلاك ، لم يُفْلِت<sup>(١)</sup>  
أحد منهم<sup>(٢)</sup> .

وقال الزمخشري : الضمير للدمدمة ؛ أي : سواها بينهم<sup>(٣)</sup> .

﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ضمير الفاعل لله تعالى ، والضمير في ﴿عُقْبَاهَا﴾  
للمدمدمة والتسوية وهو الهلاك ؛ أي : لا يخاف عاقبة إهلاكهم ، ولا درك  
عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم ، وفي ذلك احتقار لهم .

وقيل : إن ضمير الفاعل لصالح ، وهذا بعيد .

(١) في أ ، د ، هـ : «يفت» .

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٦٣٠) .

(٣) الكشف (١٦/ ٤٦٧) .

وقرئ ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ بالفاء وبالواو.

وقيل في القراءة بالواو: إن الفاعل ﴿أَشَقَّهَا﴾ والجملة في موضع الحال؛ أي: انبعث ولم يخف عقبى فعلته، وهذا بعيد.



## ﴿ سورة الليل ﴾

[﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَآلَفَى ⑤ وَصَدَقَ بِالْحَسَنِ ⑥ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ ⑨ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ⑫ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ⑬ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ⑭ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ⑮ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⑯ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ⑰ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ⑱ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ⑲ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ⑳ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ㉑ ﴾].

﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ① ﴾ أي: يغطي، وحذف المفعول وهو:

الشمس؛ لقوله: ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ① ﴾ [الشمس: ٤].

أو النهار لقوله: ﴿ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ ① ﴾ [الأعراف: ٥٤].

أو كل شيء يستره<sup>(١)</sup> الليل.

﴿ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ② ﴾ أي: ظهر وتبين، والنهار: من طلوع الشمس، واليوم: من طلوع الفجر.

﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ③ ﴾ ﴿ مَا ﴾ بمعنى «من»، والمراد بها: الله تعالى، وعدل عن «مَنْ» لقصد الوصف، كأنه قال: والقادر الذي خلق الذكر والأنثى.

(١) في أ: «ستره».



وقيل : هي مصدرية .

وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ : « والذكر والأنثى »<sup>(١)</sup> .

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ هذا جواب القسم ، ومعناه : إن عملكم مختلف ، فمنه حسنات ومنه سيئات .

و﴿شَتَّى﴾ جمع شَتَّيت .

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ أي : أعطى ماله في الزكاة والصدقة وشبه ذلك ، أو أعطى حقوق الله من طاعته في جميع الأشياء ، واتقى الله .

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي : بالخصلة الحسنة وهي الإسلام ، ولذلك عبّر عنه بعضهم بأنها : « لا إله إلا الله » ، أو بالثوبة الحسنى وهي الجنة .

وقيل : يعني : الأجر والثواب على الإطلاق .

وقيل : يعني : الخلف على المنفق .

﴿فَسَيَّرُهُ لِلْبُسْرَى﴾ أي : نهىؤه للطريقة اليسرى ، وهي فعل الخيرات وترك السيئات .

و ضد ذلك ﴿فَسَيَّرُهُ لِلْبُسْرَى﴾ .

ومنه قوله ﷺ : « اعلموا فكل ميسر لما خلق له »<sup>(٢)</sup> ، أي : يهيؤه الله لما قدر له ، ويسهل عليه فعل الخير أو الشر .

(١) أخرجه البخاري (٣٧٦١) ، ومسلم (٨٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٩) ، ومسلم (٢٦٤٧) .

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ (٨) أي : بخل بماله ، أو بطاعة الله على الإطلاق ، فيحتمل الوجهين ؛ لأنه في مقابلة ﴿أَعْطَى﴾ ، كما أن ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ في مقابلة ﴿أَنْفَقَ﴾ ، و﴿وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى﴾ في مقابلة ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ (٦) ، و﴿فَسَنِّيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ في مقابلة ﴿فَسَنِّيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ .

ومعنى ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ : استغنى عن الله فلم يطمعه .

أو استغنى بالدنيا عن الآخرة .

ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق ؛ لأنه أنفق ماله في مرضات الله ، وكان يشتري من أسلم من العبيد فيعتقهم .

وقيل : نزلت في أبي الدحداح ، وهذا ضعيف ؛ لأنها مكية ، وإنما أسلم أبو الدحداح في المدينة .

وقيل : إن آية الذم نزلت في أبي سفيان بن حرب ، وهذا ضعيف ؛ لقوله : ﴿فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (١٧) ، وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك .

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (١١) هذا نفي ، أو استفهام بمعنى الإنكار .

واختلف في معنى ﴿تَرَدَّى﴾ على أربعة أقوال :

الأول : تردى أي : هلك ، فهو مشتق من الردى وهو الموت .

[٢-] أو تردى أي : سقط في القبر .

[٣-] أو سقط في جهنم .

[٤-] أو تردى بأكفانه ، من الرداء .

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ أي: بيان الخير والشر، وليس المراد الإرشاد عند الأشعرية، خلافاً للمعتزلة<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ مخاطبة:

من الله.

أو من النبي ﷺ على تقدير: «قل».

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ استدلال المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

وتأولها الناس بثلاثة أوجه:

أحدها: أن المعنى: لا يصلها صُلِّيْ خلود إلا الأشقى.

والآخر: أنه أراد ناراً مخصوصة.

الثالث: أنه أراد بـ ﴿الْأَشْقَى﴾ كافراً معيناً، وهو أبو جهل أو أمية ابن خلف، وقابل به ﴿الْأَتَقَى﴾، وهو أبو بكر الصديق؛ فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص، لا مخرج الإخبار على العموم.

﴿يَتَزَكَّى﴾ من أداء الزكاة.

أو من الزكاء؛ أي:

يصير زكياً عند الله.

أو يتطهر من ذنوبه.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك في صفحة ٥٦١.

وهذا الفعل :

بدل من ﴿الَّذِي يُؤْتِي﴾ .

أو حال من الضمير .

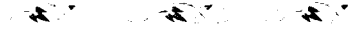
﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ (١٩) ﴿أَيَ﴾ : لا يفعل الخير جزاءً على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم ، بل يفعله ابتداءً خالصاً لوجه الله .

وقيل : المعنى لا يقصد جزاءً من أحد في المستقبل على ما يفعل .

والأول أظهر ، ويؤيده ما روي أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق لما أعتق بلالاً قالت قريش : كان لبلال عنده يد متقدمة ، فنفى الله قولهم .

﴿إِلَّا ابْنَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ (٢٠) ﴿استثناء منقطع .

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ (٢١) ﴿وعدُّ بأن يرضيه الله في الآخرة .



## ﴿ سورة الضحى ﴾

[﴿ وَالضُّحَى ١ ﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ٢ ﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ٣ ﴾ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ٤ ﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ٥ ﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ٦ ﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ٧ ﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ٨ ﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩ ﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠ ﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١ ﴾].

﴿ وَالضُّحَى ١ ﴾ ﴿ ذكر في «الشمس وضحاها»<sup>(١)</sup> .

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ٢ ﴾ ﴿ فيه أربعة أقوال :

[١-] إذا أقبل .

[٢-] وإذا أدبر .

[٣-] وإذا أظلم .

[٤-] وإذا سكن ؛ أي :

استقر واستوى .

أو سكن فيه الناس والأصوات ، ومنه : «ليلة ساجية» : إذا كانت ساكنة الريح ، و«طَرَفٌ ساجٍ» أي : ساكن غير مضطرب النظر .

(١) انظر صفحة ٦٩٦ .

وهذا أقرب في الاشتقاق، وهو اختيار ابن عطية<sup>(١)</sup>.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ بتشديد الدال: من الوداع.

وقرئ بتخفيفها بمعنى: ما تركك، والوداع مبالغة في الترك.

﴿وَمَا قَلَى﴾ أي: ما أبغضك.

وحذف ضمير المفعول من ﴿قَلَى﴾ و﴿فَتَاوَى﴾ و﴿فَهَدَى﴾ و﴿أَغْنَى﴾ اختصاراً؛ لظهور المعنى، ولموافقة رؤوس الآي.

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ أبطأ عنه الوحي، فقالت قريش: إن محمداً ودعه ربه وقلاه، فنزلت تكذيباً لهم.

وقيل: رُمي ﷺ بحجر في إصبعه فدميت، فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم، فقالت امرأة: ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه، فنزلت.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أي: الدار الآخرة خير لك من الدنيا.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالآخرة: حاله بعد نزول هذه السورة، ويريد بالأولى: حالة قبل نزولها<sup>(٢)</sup>، وهذا بعيد، والأول أظهر وأشهر.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضَى﴾ روي أنه ﷺ قال لما نزلت: «إِذْ لَا أَرْضَى أَنْ يَبْقَى وَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن.

(١) المحرر الوجيز (٦٣٨/٨).

(٢) المحرر الوجيز (٦٣٩/٨).

(٣) أخرجه الثعلبي بإسناده في تفسيره «الكشف والبيان» (٤٨٢/٣٠).

وقال ابن عباس : رضاه : أن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم .

وقيل : رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره .

والصحيح أنه وعدٌ يعمُّ كل ما أعطاه في الآخرة ، وكل ما أعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك .

﴿أَلَمْ يَحِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (٦) ﴿عَدَّدَ اللَّهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِ فِيمَا مَضَى مِنْ عَمْرِهِ ؛ لِيَقْيِسَ عَلَيْهِ مَا يَسْتَقْبِلُ فَتَطْيِبَ نَفْسَهُ ، وَيَقْوَى رَجَاؤُهُ .

و«وَجَدَ» في هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين ، وهي بمعنى : «علم» ؛ فالمعنى : ألم تكن يتيمًا فأواك ؟ ، وذلك أن والده ﷺ توفي وتركه في بطن أمه ، ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام ، وقيل : ثمانية ، فكفله جدُّه عبد المطلب ، ثم مات وتركه ابن اثني عشر عامًا ، فكفله عمه أبو طالب .  
وقيل : لجعفر الصادق : لم نشأ النبي ﷺ يتيمًا ؟ فقال : لئلا يكون عليه حقٌّ لمخلوق .

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (٧) ﴿فيه ستة أقوال :

أحدها : وجدك ضالًّا عن معرفة الشريعة فهذاك إليها ، فالضلال عبارة عن التوقُّف في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله ، فهو كقوله : ﴿مَا كُنْتُ نَذْرِي مَا أَلِكْتُ وَلَا أَلَيْمُنُ﴾ [الشورى : ٥٢] ، وهذا هو الأظهر ، وهو الذي اختاره ابن عطية<sup>(١)</sup> وغيره ، ومعناه : أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى

بعثه الله ، ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به ؛ لأنه كان معصوماً من ذلك من قبل النبوة وبعدها .

الثاني: وجدك في قوم ضلّال ، فكأنك واحد منهم ، وإن لم تكن تعبد ما يعبدون ، وهذا قريب من الأول .

الثالث: وجدك ضالاً عن الهجرة فهذاك إليها ، وهذا ضعيف ؛ لأن السورة نزلت قبل الهجرة .

الرابع: وجدك حامل الذكر لا تُعرف ، فهدى الناس إليك وهداهم بك ، وهذا بعيد عن المعنى المقصود .

الخامس: أنه من الضلال عن الطريق ، وذلك أنه ﷺ ضلّ في بعض شعاب مكة ؛ أي: تَلَفَ وهو صغير ، فردّه الله إلى جده .

وقيل: بل ضلّ من مرضعته حليلة ، فردّه الله إليها .

وقيل: بل ضل في طريق الشام حين خرج إليها مع أبي طالب .

السادس: أنه من الضلال بمعنى المحبة<sup>(١)</sup> أي: وجدك محباً لله فهذاك إليه ، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم ، ﴿ تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلٰلِكَ الْكَبِيرِ ﴾ [يوسف: ٩٥] ؛ أي: محبتك ليوسف ، وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير .

﴿ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى ﴾ العائل: الفقير ، يقال: عال الرجل فهو عائل: إذا كان محتاجاً ، وأعال فهو مُعِيل: إذا كثر عياله .

(١) في أ، هـ: «أنه بمعنى الضلال من المحبة»!



وهذا الفقر والغنى هو في المال.

وغناه<sup>(١)</sup> ﷻ: هو أن أعطاه الله الكفاف.

وقيل: هو رضاه بما أعطاه الله.

وقيل: المعنى: وجدك فقيراً إليه فأغناك به.

﴿فَأَمَّا أَلَيْتِمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ أي: لا تغلبه على ماله وحقه لأجل ضعفه.

أو لا تقهره بالمنع من مصالحه.

ووجوه القهر كثيرة، والنهي يعم جميعها.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ النَّهْرُ: هو الانتهاز والزجر، فالنهي عنه أمر بالقول

الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

ويحتمل ﴿السَّائِلَ﴾ أن يريد به:

سائل الطعام والمال، وهذا هو الأظهر.

أو السائل عن العلم والدين.

وفي قوله ﴿تَقْهَرْ﴾ و﴿تَنْهَرْ﴾ لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ قيل: معناه: بُثَّ القرآن وبلغ الرسالة.

والصحيح أنه عموم جميع النعم، قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعم

شكر»<sup>(٢)</sup>.

(١) في أ، هـ: «وغناؤه».

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/٢٤٢).

ولذلك كان بعض السلف يقول: «لقد أعطاني الله كذا، ولقد صليت البارحة كذا»، وهذا إنما يجوز إذا ذكره على وجه الشكر أو ليقْتدى به، فأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز.

وانظر كيف ذكر الله في هذه السورة ثلاث نعم، ثم ذكر في مقابلتها ثلاث وصايا:

[١-] فقابل قوله: ﴿أَلَمْ يَحْذِكْ يَتِيمًا﴾ بقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

[٢-] وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾:

بقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على القول الآخر.

[٣-] وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾:

بقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ على القول الأظهر.

وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على القول الآخر.

## ﴿ سورة ألم نشرح ﴾

[﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ ] .

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ هذا توقيف معناه: إثبات شرح صدره ﷺ، وتعدد ما ذكر بعده من النعم.

وشرح صدره ﷺ: هو اتساعه لتحصيل العلم، وتنويره بالحكمة والمعرفة. وقيل: هو شق جبريل لصدره في صغره، أو في وقت الإسراء، حين أخرج قلبه وغسله.

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: - قول الجمهور - : أن الوزر: الذنوب، ووضعها: هو غفرانها، فهو كقوله: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢]، وهذا على قول من جَوَزَ صغائر الذنوب على الأنبياء، أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة.

الثاني: أن الوزر: هو أثقال النبوة وتكاليفها، ووضعها على هذا: هو إعانتة عليها، وتمهيد عذره بعد ما بلغ الرسالة.

الثالث: أن الوزر: هو تحيُّره قبل النبوة؛ إذ كان يرى أن قومه على

ضلال، ولم يأت من الله أمر واضح، فوضعه على هذا: هو بالنبوة والهدى للشرعة.

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (٢) عبارة عن ثَقُلِ الوزر المذكور وشدته عليه.

قال الحارث المحاسبي: إنما وُصفت ذنوب الأنبياء بالثَقْل، وهي صغائر مغفورة لهم؛ لهمَّهم بها وتحسَّروهم عليها، فهي ثقيلة عندهم؛ لشدة خوفهم من الله، وهي خفيفة عند الله.

وهذا كما جاء في الأثر: «إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه»<sup>(١)</sup>.

واشتقاق ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾:

من نقض البنيان وغيره.

أو من النقيض، وهو الصوت؛ فكأنه يُسمع لظهره نقيض كنقيض ما يُحمل عليه شيء ثقيل.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٤) أي: نوَّهنا باسمك وجعلناه شهيراً في المشارق والمغارب.

وقيل: معناه اقتران ذكره بذكر الله في الأذان والخطب والتشهد وفي مواضع من القرآن، وقد روي في هذا حديث: إن الله قال له: «إذا ذكرتُ ذكرتُ معي»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٩٤ / ٢٤).

فإن قيل : لم قال : ﴿لَكَ ذِكْرُكَ﴾ و ﴿لَكَ صَدْرُكَ﴾ مع أن المعنى مستقل دون ﴿لَكَ﴾ ؟

فالجواب : أن قوله : ﴿لَكَ﴾ تدل على الاعتناء به والاهتمام بأمره .  
﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ هذا وعد باليسر بعد العسر ، وإنما ذكره بلفظ ﴿مَعَ﴾ التي تقتضي المقارنة<sup>(١)</sup> ، ليدل على قرب اليسر من العسر .  
فإن قيل : ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله ؟

فالجواب : أنه ﷺ كان بمكة هو وأصحابه في عُسر من إذاية الكفار ومن ضيق الحال ، فوعده الله باليسر ، وقدّم تعديد النعم تسليّة وتأنيساً ؛ لتطيب نفسه ويقوى رجاؤه ، كأنه يقول : إن الذي أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرك ويبدّل لك هذا العسر بيسر قريب ، ولذلك كرر ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ مبالغةً ، وقال رسول الله ﷺ : «لن يغلب عسر يسرين»<sup>(٢)</sup> ، وقد روي ذلك عن عمر وابن مسعود .

وتأويله : أن العسر المذكور في هذه السورة واحد ؛ لأن الألف واللام للعهد كقولك : «جاءني رجل فأكرمت الرجل» ، واليسر اثنان ؛ لتنكيره .  
وقيل : إن اليسر الأول : في الدنيا ، والثاني : في الآخرة .

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ٧ هو من النصّب بمعنى التعب ، والمعنى : إذا فرغت من أمر فاجتهد في آخر .

(١) في أ ، هـ : «المقارنة» .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٩٥) .

ثم اختلف في تعيين الأمرين :

فقليل : إذا فرغت من الفرائض فانصب في النوافل .

وقيل : إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء .

وقيل : إذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك .

﴿وَالِى رِبِكَ فَارْغَب﴾ ﴿٨﴾ قدم الجار والجرور؛ ليدل على الحصر؛ أي :

لا ترغب إلا إلى ربك وحده .



## ﴿ سورة التين ﴾

[﴿وَالْزَيْتُونِ وَالْأَلْجُفِ الْأَمِينِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّكْرِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْبَرَ الْحَكِيمِينَ ﴿٨﴾﴾].

﴿وَالْزَيْتُونِ وَالْأَلْجُفِ﴾ فيها قولان :

الأول: أنه التين الذي يؤكل، والزيتون الذي يعصر، أقسم الله بهما؛ لفضيلتهما على سائر الثمار.

روي أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تيناً فقال: «لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عَجَم، فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «نعم السواك الزيتون، من الشجرة المباركة، هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي»<sup>(٢)</sup>.

القول الثاني: أنهما موضعان، ثم اختلف فيهما:

ف قيل: هما جبلان بالشام، أحدهما بدمشق ينبت فيه التين، والآخر بإيلياء ينبت فيه الزيتون، فكأنه قال: ومنابت التين والزيتون.

(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتاب الطب (٢/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٣٩).

وقيل: التين: مسجد دمشق، والزيتون: مسجد بيت المقدس.

وقيل: التين: مسجد نوح، والزيتون: مسجد إبراهيم.

والأظهر أنهما الموضعان من الشام، وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى أو مسكنه، وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذي كلم عليه موسى، والبلد الذي بعث منه محمداً ﷺ، فتكون الآية نظير ما في التوراة: أن الله تعالى جاء من طور سيناء، وطلع من ساعر وهو موضع عيسى، وظهر من جبال فاران، وهي مكة<sup>(١)</sup>.

وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة؛ لشرفها بالأنبياء المذكورين.

﴿وَطُورِ سَيْنٍ﴾ (٢) هو الجبل الذي كلم عليه موسى وهو بالشام، وأضافه الله إلى ﴿سَيْنٍ﴾.

ومعنى ﴿سَيْنٍ﴾: مبارك، فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة.

وقيل: معناه: ذو الشجر، واحدها سينينة، قاله الأخفش.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكور بالواو والياء، وأن يلزم الياء وتُحرَّك النون بحركات الإعراب.

﴿وَهَذَا أَلْبَدِ الْأَمِينِ﴾ (٣) هو مكة باتفاق.

و﴿أَلْمِينِ﴾:

من الأمانة.



أو من الأمن ؛ لقوله : ﴿ أَجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ [البقرة: ١٢٦] .

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (١) فيه قولان :

أحدهما : أن حُسْنَ (١) التقويم : هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة ، و ﴿ أَسْفَلَ سَفِيلِينَ ﴾ : الضعف والهزم والخرف ، فهو كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ [يس: ٦٨] ، وقوله : ﴿ ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم: ٥٤] .

وقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بعد هذا : غير متصل بما قبله ، والاستثناء على هذا القول منقطع ، بمعنى : « لكن » ؛ لأنه خارج عن معنى الكلام الأول .

والآخر : أن حُسْنَ التقويم : الفطرة على الإيمان و ﴿ أَسْفَلَ سَفِيلِينَ ﴾ الكفر ، أو تشويه الصورة في النار ، والاستثناء على هذا متصل ؛ لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يُردُّوا أسفل سافلين .

﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ قد ذكر (٢) .

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالْإِيمَانِ ﴾ (٧) فيه قولان :

أحدهما : أنه خطاب للنبي ﷺ ، والدين : شريعته ، والمعنى : أي شيء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة نبوتك ؟

والآخر : أنه خطاب للإنسان الكافر ، والدين على هذا : الشريعة أو الجزاء الأخراوي ، ومعنى ﴿ يُكَذِّبُكَ ﴾ على هذا : يجعلك كاذبًا ؛ لأن من

(١) في أ ، هـ : « أحسن » .

(٢) انظر صفحة ٦ .

أنكر فهو كاذب، والمعنى: أي شيء يجعلك كاذبًا بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم، ثم ردك أسفل سافلين، ولا شك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا؛ فلا شيء تكذب بالبعث والجزاء<sup>(١)</sup>؟

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَخْكِرَ الْحَكِيمِينَ﴾ ﴿٨﴾ تقرير ووعد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون.

وكان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»<sup>(٢)</sup>.

(١) في ب، د: «والحساب».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٥/٢٤).

## ﴿ سورة العلق ﴾

نزل صدرها بغار حراء ، وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة في الحديث الذي ذكرناه في أول الكتاب<sup>(١)</sup>.

[﴿ أَفْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ⑥ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَ ⑦ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ⑧ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ⑨ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ⑩ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ ⑪ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⑫ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ⑬ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ⑭ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِفَةٍ ⑮ فليَدْعُ نَادِيَهُ ⑯ سَتَدْعُ الزَّبَانَةَ ⑰ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ⑱ ﴾ ] .

﴿ أَفْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن معناه : اقرأ القرآن مفتتحًا باسم ربك ، أو متبركًا باسم ربك .

وموضع ﴿ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ نصبٌ على الحال .

وإذا كان تقديره : مفتتحًا ، فيحتمل أن يريد :

ابتداء القراءة بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

(١) انظر : (٦٣/١) .

أو يريد الابتداء باسم الله مطلقاً .

والوجه الثاني : أن معناه : اقرأ هذا اللفظ وهو ﴿يَاسِىَ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ فيكون ﴿يَاسِىَ رَبِّكَ﴾ مفعولاً ، وهو المقروء .

﴿الَّذِى خَلَقَ﴾ حذف المفعول ؛ لقصد العموم ، كأنه قال : الذي خلق كل شيء ، ثم خصَّص خِلقة الإنسان ؛ لما فيه <sup>(١)</sup> من العجائب والعِبر .

ويحتمل أن أراد : الذي خلق الإنسان ، كما قال : ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن : ١-٣] ، ثم فسره بقوله : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝﴾ .

والعلق : جمع علقَة ، وهي القطعة <sup>(٢)</sup> من الدم .

والمراد بـ ﴿الْإِنْسَانَ﴾ هنا : جنس بني آدم ، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة ، بخلاف قوله : ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج : ٥] ؛ لأنه أراد كل واحد على حدته .

ولم يدخل آدم في الإنسان هنا ؛ لأنه لم يخلق من علقَة وإنما خلق من طين .

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝﴾ كرر الأمر بالقراءة تأكيداً ، والواو للحال .

والمقصود : تأنيس النبي ﷺ ، كأنه يقول : افعل ما أمرت به ؛ فإن ربك كريم .

(١) في ب ، د : «فيها» .

(٢) في أ ، ب ، ج ، هـ : «النطفة» .

وصيغة «أفعل» للمبالغة.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ هذا تفسير للكرم، فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة، وخصّ من التعليمات الكتابة بالقلم؛ لما فيها من تخليد العلوم، ومصالح الدين والدنيا، وقرأ ابن الزبير: «علم الخط بالقلم».

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٥) يحتمل أن يريد بهذا: تعليم الكتابة؛ لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره. أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق. وقيل: إن الإنسان هنا: محمد ﷺ.

والأظهر: أنه جنس الإنسان على العموم.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ (٦) نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول صدرها بمدة، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ في عداوة رسول الله ﷺ.

و﴿كَلَّا﴾ هنا يحتمل أن تكون:

زجرًا لأبي جهل.

أو بمعنى حقًا.

أو استفتاحًا.

﴿أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى﴾ (٧) في موضع المفعول من أجله؛ أي: يطغى من أجل غناه<sup>(١)</sup>.

(١) في ب: «ماله».

والرؤية هنا: بمعنى العلم، بدليل إعمال الفعل في الضمير، ولا يكون ذلك إلا في أفعال القلوب، والمعنى: رأى نفسه استغنى.

و﴿أَسْتَغْنَى﴾ هو المفعول الثاني.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ﴾ ﴿٨﴾ هذا تهديد لأبي جهل وأمثاله.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ اتفق المفسرون أن العبد الذي صلى: هو محمد ﷺ، وأن الذي نهاه: أبو جهل لعنه الله.

وسبب الآية: أن أبا جهل جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي في المسجد الحرام، فهمم بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة، وروي أنه قال: لئن رأيته يصلي، لأطأن عنقه، فجاءه وهو يصلي ثم انصرف عنه مرعوبًا، فقيل له: ما هذا<sup>(١)</sup>؟ فقال: لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار وهوّل وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْأُفُقَيْنِ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ﴿١٢﴾﴾ ﴿أَرَأَيْتَ﴾ في هذا الموضع وفي الذي قبله وفي الذي بعده: بمعنى «أخبرني»؛ فكأنه سؤال يفتقر إلى جواب وفيها معنى التعجب<sup>(٣)</sup> والتوقيف.

والخطاب فيها يحتمل أن يكون:

للنبي ﷺ.

أو لكل مخاطب من غير تعيين.

(١) في د: «ما منعك».

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٩٧).

(٣) في أ، هـ: «التعجب».

وهي تتعدى إلى مفعولين .

وجاءت بعدها ﴿إِنْ﴾ الشرطية في موضعين ، وهما : قوله : ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ وقوله : ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ .

فِيحْتَاجُ إِلَى الْكَلَامِ :

في مفعولي ﴿أَرَأَيْتَ﴾ في المواضع الثلاثة .

وفي جواب الشرطين .

وفي الضمائر المتصلة بهذه الأفعال ، وهي ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ ، و﴿أَمَرَ بِالْقَوَى﴾ ، و﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ، على من تعود هذه الضمائر؟

فقال الزمخشري : إن قوله : ﴿الَّذِي يَنْهَى﴾ هو المفعول الأول لقوله : ﴿أَرَأَيْتَ﴾ الأولى ، وإن الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع المفعول الثاني ، وكررت ﴿أَرَأَيْتَ﴾ بعد ذلك للتأكيد ، فهي زائدة لا تحتاج إلى مفعول .

وإن قوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ﴿٧﴾ هو جواب قوله : ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ، وإن جواب قوله : ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ محذوف يدل عليه جواب قوله : ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ، فهو في المعنى جواب للشرطين معاً .

وإن الضمير في قوله : ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ ﴿٨﴾ أو ﴿أَمَرَ بِالْقَوَى﴾ ﴿٩﴾ للذي نهى عن الصلاة ، وهو أبو جهل ، وكذلك الضمير في قوله : ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ .

وتقدير الكلام على هذا : أخبرني عن الذي ينهى عبداً إذا صلى ، إن كان هذا الناهي على الهدى أو إن كذب وتولى ؛ ألم يعلم بأن الله يرى جميع

أحواله من هداه وضلاله وتكذيبه ونهيه عن الصلاة وغير ذلك؟<sup>(١)</sup>

فمقصود الآية: تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه.

وخالفه ابن عطية في الضمائر، فقال: إن الضمير في قوله: ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ (١١) أو أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ ﴿لِلْعَبْدِ الَّذِي صَلَّى﴾، وإن الضمير في قوله: ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ للذي نهى عن الصلاة.

وخالفه أيضاً في جعله ﴿أَرَاءَيْتَ﴾ الثانية مكررة للتأكيد، وقال: إنها في المواضع الثلاثة توقيف، وإن جوابها في المواضع الثلاثة قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ (١٤)؛ فإنه يصلح مع كل واحد منها، ولكنه جاء به في آخر الكلام اختصاراً<sup>(٢)</sup>.

وخالفهما الغزنوي أيضاً في الجواب فقال: إن جواب قوله: ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ محذوف، فقال: إن تقديره: «إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب؟»، والضمير على هذا يعود على العبد الذي صلى، وفاقاً لابن عطية.

﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (١٥) أو عد أبا جهل إن لم ينته عن كفره وطغيانه أن يأخذ<sup>(٣)</sup> بناصيته فيلقى في النار.

والناصية مقدم الرأس، فهو كقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].  
والسَّفَع: هو الجذب والقبض على الشيء.

(١) الكشف (١٦/٥١٥-٥١٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٦٥٤).

(٣) في ب: «يأخذه».



وقيل: هو الإحراق، من قولك: سفعت النار.

وأكد ﴿لَنَسْفَعًا﴾ باللام والنون الخفيفة، وكتبت في المصحف بالآلف مراعاة للوقف عليها.

ويظهر لي أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجرّ إلى القليب.

﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أبدل ﴿نَاصِيَةٍ﴾ من ﴿النَّاصِيَةِ﴾، ووصفها بالكذب والخطيئة تجوزاً، والكاذب الخاطيء في الحقيقة: صاحبها. والخطيء: الذي يفعل الذنب متعمداً، والمخطيء: الذي يفعله بغير قصد.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (٧) النادي والنديّ: المجلس الذي يجتمع فيه الناس. وكان أبو جهل قد قال: أيتوعدني محمد!، فوالله ما بالوادي أعظم ندياً مني، فنزلت الآية تهديداً وتعجيزاً له.

والمعنى: فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدروا على ذلك، ثم أوعده بأن يدعوه له زبانية جهنم، وهم الملائكة الموكلون بالعذاب. والزبانية في اللغة: الشرط، واحدهم زبنيّة، وقيل: زبنيّ.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠/٣٤٠).

﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ أي: تقرب إلى الله بالسجود، كما قال رسول الله ﷺ:  
«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء»<sup>(١)</sup>.  
وهذا موضع سجدة عند الشافعي، وليست عند مالك من عزائم السجود.



(١) أخرجه مسلم (٤٨٢).

## ﴿ سورة القدر ﴾

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) نَزَّلَ الْمَلَكُ الْكَوْثَرُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّن كُلِّ أَمْرِ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾ .

اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولاً ؛ وهي :

[١-] أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان .

[٢-] وليلة ثلاث وعشرين .

[٣-] وليلة خمس وعشرين .

[٤-] وليلة سبع وعشرين .

[٥-] وليلة تسع وعشرين .

فهذه خمسة أقوال في ليالي الأوتار من العشر الأواخر<sup>(١)</sup> من رمضان ، على قول من ابتدأ عدتها من أول العشر .

وقد ابتدأ بعضهم عدتها من آخر الشهر<sup>(٢)</sup> ، فجعل ليالي الأوتار :

[٦-] ليلة ثلاثين ؛ لأنها الأولى .

(١) في أ : «الآخر» .

(٢) في د : «العشر» .

[٧-] ليلة ثمان وعشرين ؛ لأنها الثانية .

[٨-] ليلة ست وعشرين ؛ لأنها الخامسة .

[٩-] ليلة أربع وعشرين ؛ لأنها السابعة .

[١٠-] ليلة اثنين وعشرين ؛ لأنها التاسعة .

فهذه خمسة أقوال آخر ، فتلك عشرة أقوال .

والقول الحادي عشر : أنها تدور في العشر الأواخر ، ولا تثبت في ليلة واحدة منه .

الثاني عشر : أنها مخفية في رمضان كله ، وهذا ضعيف ؛ لقوله ﷺ : «التمسوها في العشر الأواخر»<sup>(١)</sup> .

الثالث عشر : أنها مخفية في العام كله .

الرابع عشر : أنها ليلة النصف من شعبان .

وهذان القولان باطلان ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ وقال : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، فدل ذلك على أن ليلة القدر في رمضان .

القول الخامس عشر : أنها رفعت بعد النبي ﷺ ، وهذا ضعيف .

القول السادس عشر : أنها ليلة سبع عشرة من رمضان ؛ لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة .

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢١) ، ومسلم (١١٦٥) .

وأرجح الأقوال: أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان، أو ليلة ثلاث وعشرين، أو ليلة سبع وعشرين، فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة خرجها مسلم<sup>(١)</sup> وغيره.

والأشهر: أنها ليلة سبع وعشرين.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) الضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ للقرآن، دل على ذلك سياق الكلام، وفي ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر؛ دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته.

والثاني: أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات.

والثالث: أن الله أسند إنزاله إلى نفسه.

وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان:

أحدهما: أنه ابتداءً إنزاله فيها.

والآخر: أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء، ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة.

وقيل: المعنى: أنزلناه<sup>(٢)</sup> في شأن ليلة القدرة وذكرها، وهذا ضعيف.

وسميت ليلة القدر:

من تقدير الأمور فيها.

(١) أخرجه مسلم (١١٦٧)، (١١٦٨)، (٧٦٢).

(٢) في ب، ج: «إنزاله».

أو من القَدْر بمعنى الشرف .

ويترجع الأول بقوله : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان : ٤] .

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ (٢) هذا تعظيم لها .

قال بعضهم : كل ما قال فيه « ما أدراك » فقد علمه النبي ﷺ ، وما قال فيه : « ما يدريك » فإنه لم يعلمه<sup>(١)</sup> .

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (٣) معناه : أن من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر .

قال بعضهم : يعني : في ألف شهر ليس فيها ليلة قدر<sup>(٢)</sup> .

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(٣)</sup> .

وسبب الآية : أن رسول الله ﷺ ذكر رجلاً ممن تقدم عبد الله ألف شهر ، فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك ، فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها خيراً من العبادة في تلك المدة الطويلة .

وروي أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عوتب حين بايع معاوية فقال : إن رسول الله ﷺ رأى في المنام بني أمية يَنْزُونَ على منبره نَزْوَ القردة ، وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر ، فاهتم لذلك ، فأعطاه الله ليلة

(١) قاله ابن عينة ، كما في صحيح البخاري (٤٥ / ٣) .

(٢) في أ ، ج ، د : « القدر » .

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠١) ، ومسلم (٧٦٠) .

القدر، وهي خير من مدة ملك بني أمية ألف شهر<sup>(١)</sup>، ثم كُشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية بالمشرق ألف شهر.

﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمُ﴾ الروح هنا: جبريل عليه السلام.

وقيل: صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة.

وتنزلهم: هو إلى الأرض.

وقيل: إلى السماء الدنيا.

وهو تعظيم لليلة القدر، ورحمة للمؤمنين القائمين فيها.

﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ هذا متعلق بما قبله، والمعنى: أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضي الله في ذلك العام، فإنه روي أن الله يعلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك؛ ليمثلوا ذلك في العام كله.

وقيل على هذا المعنى: إن ﴿مِنْ﴾ بمعنى الباء؛ أي: ينزلون بكل أمر، وهذا ضعيف.

وقيل: إن المجرور يتعلق بما بعده، والمعنى: أنها سلام من كل أمر؛ أي: سلامة من الآفات.

قال مجاهد: لا يصيب أحدًا فيها داء.

(١) أخرجه الحاكم (٥٢٧/٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥١١/٦)، وأبو يعلى في مسنده (٣٤٨/١١).

والأظهر: أن الكلام تمَّ عند قوله: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، ثم ابتداء قوله: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾.

واختلف في معنى ﴿سَلَّمَ﴾:

ف قيل: إنه من السلامة.

وقيل: إنه من التحية؛ لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها.

وكذلك اختلف في إعرابه:

ف قيل: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ مبتدأ وخبر، وهذا يصح سواء جعلناه متصلاً مع ما قبله أو منقطعاً عنه.

وقيل: ﴿سَلَّمَ﴾ خبر مبتدأ مضمّر، تقديره: أمرها سلام، أو: القول فيها سلام، و﴿هِيَ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾؛ أي: هي دائمة إلى طلوع الفجر.

ويختلف الوقف باختلاف الإعراب.

وقال ابن عباس: إن قوله: ﴿هِيَ﴾ إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين؛ لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات السورة.



## ﴿سورة لم يكن﴾

[﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ①  
 رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
 إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا  
 الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ  
 فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
 أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾].

ذكر الله الكفار، ثم قسمهم إلى صنفين: أهل الكتاب، والمشركون،  
 وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكين حتى تأتيهم البينة، وتقوم عليهم الحجة  
 يبعث رسول الله ﷺ.

ومعنى ﴿مُنْفَكِينَ﴾: منفصلين، ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة  
 أقوال:

أحدها: أن المعنى: لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة؛  
 لتقوم عليهم الحجة.

الثاني: لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة محمد ﷺ حتى يبعثه (١) الله.

(١) في ب: «يبعثه».

الثالث : - اختاره ابن عطية - وهو : لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته ، حتى يبعث الله إليهم رسولاً يقيم عليهم الحجة<sup>(١)</sup> .

الرابع : - وهو الأظهر عندي - : أن المعنى : لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم محمداً ﷺ ، فقامت عليهم الحجة ؛ لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ، فلما بعثه لم يبق لهم عذر ولا حجة .

﴿مُنْفَكِينَ﴾ على هذا كقولك : لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا .  
﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ يعني : محمداً ﷺ .

وإعرابه :

بدل من ﴿الْبَيِّنَةِ﴾ .

أو خبر ابتداء مضمرة .

﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ يعني : القرآن في صحفه .

﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (٣) أي : قائمة<sup>(٢)</sup> بالحق مستقيمة المعاني ، ووزن ﴿قِيمَةٌ﴾ : فِعْلَةٌ ، وفيه مبالغة .

قال ابن عطية : هذا على حذف مضاف تقديره : فيها أحكام كتب<sup>(٣)</sup> .

ولا يحتاج إلى هذا الحذف ؛ لأن الكتب بمعنى المكتوبات .

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٦٦٢-٦٦٣) .

(٢) في أ ، هـ : «قيمة» .

(٣) المحرر الوجيز (٨/ ٦٦٣) .

﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي : ما اختلفوا في نبوة محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا أنه حق .

ويَحْتَمِلُ أن يريد تفرقهم في دينهم كقوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [فصلت : ٤٥] .

وإنما خص الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة ؛ لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة محمد ﷺ ، بما يجدون في كتبهم من ذكره .

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ الآية ؛ معناها : ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله ، ولكنهم حَرَّفُوا وبَدَّلُوا .

ويحتمل أن يكون المعنى : ما أمروا في القرآن إلا بعبادة الله ، فلأي شيء ينكرونه ويكفرون به ؟

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء ، وهو بعيد ؛ لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء ، وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال ، وضد الإخلاص في التوحيد : هو الشرك الجلي ، وضد الإخلاص في الأعمال : هو الشرك الخفي ، وهو الرياء .

قال رسول الله ﷺ : «الرياء الشرك الأصغر»<sup>(١)</sup> ، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه إنه تعالى يقول : «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ، فمن عمل عملاً

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠) .

أشرك فيه غيري تركته وشريكه»<sup>(١)</sup>.

واعلم أن الأعمال على ثلاثة أنواع: مأمورات ومنهيات ومباحات.  
فأما المأمورات: فالإخلاص فيها: عبارة عن خلوص النية لوجه الله،  
بحيث لا يشوبها نية أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول.  
وإن كانت النية لغير وجه الله؛ من طلب منفعة دنيوية، أو مدح أو غير  
ذلك: فالعمل رياء محض مردود.

وإن كانت النية مشتركة: ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال.  
وأما المنهيات: فإن تركها دون نية خرج عن عهدها، ولم يكن له أجر في  
تركها.

وإن تركها بنية وجه الله: حصل له الخروج عن عهدها مع الأجر.  
وأما المباحات: كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك: فإن فعلها بغير نية  
لم يكن له فيها أجر.

وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر؛ فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا  
قصد به وجه الله؛ مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة، ويقصد بالجماع  
التعفف عن الحرام.

﴿حُفَاءٌ﴾ جمع حنيف، وقد ذكر<sup>(٢)</sup>.

﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ تقديره: الملة القيمة، أو الجماعة القيمة.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥)، ولفظة: «أنا أغنى الشركاء..»، وليس: «الأغنياء».

(٢) انظر المقدمة في اللغات المادة (١٣١).

وقد فسرنا ﴿الْقِيَمَةَ﴾ .

ومعناه : أن الذي أمروا به من عبادة الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام ؛ فلأي شيء لا يدخلون فيه ؟

﴿الْبَرِيَّةِ﴾ الخلق ؛ لأن الله برأهم ؛ أي : أوجدتهم بعد العدم .

وقرئ :

بالهمز ، وهو الأصل .

وبالياء ، وهو تخفيف من المهموز ، وهو أكثر استعمالاً عند العرب .

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة ؟

فرضاهم عن الله في الدنيا : هو الرضا بقضائه والرضا بدينه ، قال رسول الله ﷺ : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً »<sup>(١)</sup> .

ورضاهم عنه في الآخرة : هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها .

ورضا الله عنهم : كما ورد في الحديث أن الله يقول : « يا أهل الجنة هل تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : يا ربنا ! وأي شيء نريد »<sup>(٢)</sup> وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين ، فيقول : عندي أفضل من ذلك ، وهو رضواني فلا أسخط عليكم أبداً »<sup>(٣)</sup> .

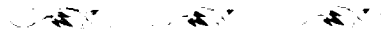
(١) أخرجه مسلم (٣٤) .

(٢) في أ ، هـ : «تزيد» .

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٤٩) ، ومسلم (٢٨٢٩) .

﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي: لمن خافه.

وهذا دليل على فضل الخوف، قال رسول الله ﷺ: «خوف الله رأس كل حكمة»<sup>(١)</sup>.



---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٠١) موقوفاً على ابن مسعود: «رأس الحكمة مخافة الله ﷻ»، وقال: «وقد روي من وجه آخر ضعيف مرفوعاً إلى النبي ﷺ».

## ﴿ سورة إذا زلزلت ﴾

[﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُسْرُوا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧ ﴾ ].

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ ﴾ أي: حُرِّكَتْ واهْتَزَّتْ.

و﴿ زِلْزَالَهَا ﴾ مصدر، وإنما أضيف إليها تهويلاً؛ كأنه يقول: الزلزال الذي يليق بها على عظمة جرمها<sup>(١)</sup>.

﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② ﴾ يعني: الموتى الذين في جوفها، وذلك عند النفخة الثانية في الصور.

وقيل: هي الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال.

﴿ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ ﴾ أي: يتعجب من شأنها، فيحتمل أن يريد:

جنس الإنسان.

أو الكافر خاصة؛ لأنه الذي يرى حينئذ ما لم يظن.

(١) قال في المحرر الوجيز (٦٦٦/٨): «وقوله تعالى: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ أبلغ من قوله: «زلزالاً» دون إضافة إليها، وذلك أن المصدر غير مضاف يقع على كل قدر من الزلزال وإن قل».

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿٤﴾ هذا عبارة عما يحدث فيها من الأحوال ، فهو مجاز وحديث بلسان الحال .

وقيل : هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها ، فهو حقيقة .  
و﴿تُحَدِّثُ﴾ يتعدى إلى مفعولين ، حذف الأول منهما ، والتقدير : تحدث الخلق أخبارها .

وانتزع بعض المحدثين من قوله : ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أن قول المحدث «حدثنا» و«أخبرنا» سواء .

وهذه الجملة هي جواب ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ .  
و﴿تُحَدِّثُ﴾ هو العامل في ﴿إِذَا﴾ ، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾ .  
ويجوز أن يكون العامل في ﴿إِذَا﴾ مضمراً ، و﴿تُحَدِّثُ﴾ عامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ .

﴿يَٰۤأَنۡ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۖ﴾ ﴿٥﴾ الباء سببية متعلقة بـ ﴿تُحَدِّثُ﴾ ؛ أي : تحدث بسبب أن الله أوحى لها .

ويحتمل أن يكون ﴿يَٰۤأَنۡ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۖ﴾ ﴿٥﴾ بدلاً من ﴿أَخْبَارَهَا﴾ ، وهذا كما تقول : «حدثت كذا» و«حدثت بكذا» .

والمعنى على هذا : تحدث بحديث الوحي لها .

وهذا الوحي يحتمل أن يكون :

إلهاماً .

أو كلاماً بواسطة الملائكة .



و﴿لَهَا﴾ بمعنى: إليها.

وقيل: معناه: أوحى إلى الملائكة من أجلها، وهذا بعيد.

﴿يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معنى ﴿أَشْتَاتًا﴾: مختلفين في أحوالهم، وواحد الأشتات شَتٌّ.

وصدر<sup>(١)</sup> الناس: هو انصرافهم من موضع وِرْدِهِم<sup>(٢)</sup>:

ف قيل: الورد: هو الدفن في القبور، والصّدر: هو القيام للبعث.

وقيل: الورد: القيام للحشر<sup>(٣)</sup>، والصّدر: الانصراف إلى الجنة أو إلى النار، وهذا أظهر، وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس؛ فيظهر كونهم أشتاتًا.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) المِثْقَال: هو الوزن، والذرة: هي النملة الصغيرة.

والرؤية هنا ليست برؤية بصر، وإنما هي عبارة عن الجزاء.

وذكر الله مِثْقَالَ الذرة؛ تنبيهًا على ما هو أكثر منه من طريق الأولى، كأنه قال: من يعمل قليلًا أو كثيرًا.

وهذه الآية هي في المؤمنين؛ لأن الكافر لا يُجازى في الآخرة على حسناته؛ إذ لم تقبل منه.

(١) في ب: «وصدور».

(٢) في ب: «ورودهم».

(٣) في ب، ج: «للمحشر».

واستدل أهل السنة بهذه الآية أنه لا يخلد مؤمنٌ في النار؛ لأنه لو خلد لم ير ثوابًا على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات.

وروي عن عائشة: أنها تصدقت بحبة عنب فقيل لها في ذلك؛ فقالت: كم فيها من مثقال ذرة؟

وسمع رجل هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ هذا على عمومته في حق الكفار.

وأما المؤمنون: فلا يُجزَّون بذنوبهم إلا بستة شروط؛ وهي:

[١-] أن تكون ذنوبهم كبائر.

[٢-] وأن يموتوا قبل التوبة منها.

[٣-] وألا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها.

[٤-] وأن لا يشفع فيهم.

[٥-] وأن لا يكونوا ممن استحق المغفرة بعملٍ، كأهل بدر.

[٦-] وأن لا يعفو الله عنهم، فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

## ﴿سورة العاديات﴾

[﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪﴾].

اختلف في العاديات والموريات والمغيرات؛ هل يراد بها الخيل  
أو الإبل؟

وعلى القول بأنها الخيل اختلف هل يعني:

خيل المجاهدين؟

أو الخيل على الإطلاق؟

وعلى القول بأنها الإبل اختلف هل يعني:

إبل غزوة بدر؟

أو إبل المجاهدين مطلقاً؟

أو إبل الحُجاج؟

أو الإبل على الإطلاق؟

ومعنى ﴿الْعَدِيَّتِ﴾: التي تعدو في مشيها<sup>(١)</sup>.

والضبح: هو تصويت جهير عند العدو الشديد، ليس بضُها<sup>(٢)</sup>.

وهو مصدر منصوب على تقدير: يضبحن ضبحًا.

أو هو مصدر في موضع الحال، تقديره: العاديات في حال ضبحها.

و﴿الْمُورِيَّتِ﴾ من قولك: أوريت النار: إذا أوقدتها<sup>(٣)</sup>.

والقدح: صك الحجارة، فيخرج منها شعلة نار، وذلك عند ضرب الأرض بأرجل الخيل أو الإبل.

وإعراب ﴿قَدَحًا﴾ كإعراب ﴿صَبَحًا﴾.

و﴿الْمُغِيرَاتِ﴾ من قولك: أغارت الخيل: إذا خرجت للإغارة على أعدائها.

و﴿صُبْحًا﴾ ظرف زمان؛ لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح.

﴿فَأَنزَلَ بِهِ نَقْعًا ۖ﴾ هذه الجملة معطوفة على ﴿الْعَدِيَّتِ﴾ وما بعده؛ لأنه في تقدير: التي تعدو.

والنقع: الغبار.

(١) في ب: «مشيتها».

(٢) في هـ: «بصهيل».

(٣) في ب: «أزندتها».

والضمير المجرور:

للوقت المذكور، وهو الصبح، فالباء ظرفية.

أو للمكان الذي يقتضيه المعنى، فالباء أيضًا ظرفية.

أو للعدو، وهو المصدر الذي يقتضيه ﴿الْعَدِيَّتِ﴾، فالباء سببية.

ومعنى ﴿أَثْرَنَ﴾ حرّكن.

والضمير الفاعل: للإبل أو للخيول؛ أي: حرّكن الغبار عند مشيهنّ.

﴿فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ معنى ﴿وَسَّطَنَ﴾: توسّطن.

و﴿جَمْعًا﴾ اختلف هل المراد به:

جمع من الناس؟

أو المزدلفة؟؛ لأن اسمها جمع.

والضمير المجرور:

للوقت.

أو للمكان.

أو للعدو.

أو للنقع.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ﴿٦﴾ هذا جواب القسم.

والكنود: الكفور للنعمة، فالتقدير: إن الإنسان لنعمة ربه لكفور،

و﴿الْإِنْسَانَ﴾: جنس.

وقيل : الكنود : العاصي .

وقال بعض الصوفية : الكنود : الذي يعبد الله على عَوْضٍ<sup>(١)</sup> .

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (٧) ◀ الضمير للإنسان ؛ أي : هو شاهد على نفسه بكنوده .

وقيل : هو لله تعالى على معنى التهديد .

والأول أرجح ؛ لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق ، فيجري الكلام على نسق واحد .

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ◀ الخير هنا : المال ، كقوله : ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة : ١٨٠] .

والمعنى : إن الإنسان شديد الحب للمال ، فهو ذمٌ لحبه والحرص عليه .

وقيل : الشديد : البخيل ، والمعنى على هذا : إنه لبخيلٌ ؛ من أجل حب المال .

والأول أظهر .

﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ ◀ أي بُحث عنه ، وذلك عبارة عن البعث .

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (١٠) ◀ أي : جُمع في الصحف وأظهر محصلاً .

أو مُيز خيره من شره .

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك : قوله : «وقال بعض الصوفية : الكنود : الذي يعبد الله على عوض» ، معناه عندهم : الذي يعبد الله رغبة في الثواب وخوفاً من العقاب ، وهذا مذموم عندهم ، وقولهم هذا هو من بدعهم ، لكن المصنف رحمه الله حكاه ولم يعلق عليه .

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ الضمير في ﴿رَبَّهُمْ﴾ و﴿بِهِمْ﴾ يعود على الإنسان؛ لأنه يراد به الجنس.

وفي هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أن هذه الجملة معمول ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾، فكان الأصل أن تفتح «إِنَّ»، ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها.

والثاني: أن تكون هذه الجملة مستأنفة، ويكون معمول ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ محذوفًا، ويكون الفاعل ضميرًا يعود على الإنسان، والتقدير: أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور؟ وهذا هو الذي قاله ابن عطية<sup>(١)</sup>.

ويحتمل عندي: أن يكون فاعل ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ ضميرًا يعود على الله، والمفعول محذوف، والتقدير: أفلا يعلم الله أعمال الإنسان إذا بعثر ما في القبور؟، ثم استأنف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ على وجه التأكيد، أو<sup>(٢)</sup> البيان للمعنى المتقدم.

والعامل في ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ على هذا الوجه هو: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾.

والعامل فيه على مقتضى قول ابن عطية: هو المفعول المحذوف.

و﴿إِذَا﴾ هنا ظرفية بمعنى: «حين» و«وقت»، وليست بشرطية.

(١) المحرر الوجيز (٦٧٦/٨).

(٢) في ب، د: «و».

والعامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ : ﴿خَيْرٌ﴾ .

وإنما خص ذلك بيوم القيامة؛ لأنه يوم الجزاء، فقصد التهديد<sup>(١)</sup>، مع أن الله خير على الإطلاق.

﴿ ٧٥٠ ﴾

(١) في أ، هـ: «التهويل».



## ﴿ سورة القارعة ﴾

[﴿ الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ⑦ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⑨ وَمَا أَدْرَكَ مَا هِيَ ⑩ نَارٌ حَامِيَةٌ ⑪ ﴾].

﴿ الْقَارِعَةُ ① ﴾ من أسماء القيامة؛ لأنها تفرع القلوب بهولها.

وقيل: هي النفخة في الصور؛ لأنها تفرع الأسماع.

﴿ مَا الْقَارِعَةُ ② ﴾ مبتدأ وخبر<sup>(١)</sup>، في موضع خبر ﴿ الْقَارِعَةُ ① ﴾.

والمراد به: تعظيم شأنها، وكذلك ﴿ وَمَا أَدْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ ﴾.

﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ العامل في الظرف: محذوف، دل عليه ﴿ الْقَارِعَةُ ① ﴾، تقديره: تفرع في يوم.

والفرش: هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح.

والمبثوث: هو المنتشر المتفرق، شبه الله الخلق يوم القيامة به في كثرتهم وانتشارهم وذلتهم.

(١) في ب، د: «وخبره».

ويحتمل أنه شبههم به ؛ لتساقطهم في جهنم كما يتساقط الفراش في المصباح .

قال بعض العلماء : الناس في أول قيامهم من القبور كالفراش المبتوث ؛ لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام ، ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر ؛ فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر ؛ لأن الجراد يقصد إلى جهة<sup>(١)</sup> واحدة .

وقيل : إن الفراش هنا : الجراد الصغار ، وهو ضعيف .

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ العهن : هو الصوف .

وقيل : الصوف الأحمر .

وقيل : الصوف الملون ألواناً .

شبه الله الجبال يوم القيامة به ؛ لأنها تُنسَف فتصير لينة .

وعلى القول بأنه الملون يكون التشبيه أيضاً من طريق اختلاف ألوان الجبال ؛ لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء .

﴿مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ هو جمع ميزان ، أو جمع موزون .

وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكِفَتَان عند الجمهور .

وقال قوم : هو عبارة عن العدل .

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ معناه : ذات رضا عند سيبويه .

(١) في د : «ناحية» .

وَيَقْلُ الموازين : بكثرة الحسنات ، وخِفَّتْهَا : بقلَّتْهَا .

ولا يَخِفُّ ميزان مؤمن خَفَّةً مُوبِقَةً ؛ لأن الإيمان يوزن فيه .

﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ (٩) فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الهاوية جهنم ، سميت بذلك ؛ لأن الناس يهونونها ؛ أي : يسقطون .

و﴿ أُمُّهُ ﴾ معناه : مأواه ، كقولك : « المدينة أم فلان » ؛ أي : مسكنه ، على التشبيه بالأمّ الوالدة ؛ لأنها مأوى الولد ومرجعه .

الثاني : أن الأم : هي الوالدة ، و﴿ هَاوِيَةٌ ﴾ : ساقطة ، وذلك عبارة عن هلاكه ، كقولك : « أمه تكلّى » : إذا هلك .

الثالث : أن المعنى : أم رأسه هاوية في جهنم ؛ أي : ساقطة فيها ؛ لأنه يُطرح فيها منكوسًا .

وروي أن رسول الله ﷺ قال لرجل : « لا أمَّ لك » ، فقال : يا رسول الله تدعوني إلى الهدى وتقول : لا أمَّ لك ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : « إنما أردت : لا نار لك ، قال الله تعالى : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ (٩) »<sup>(١)</sup> ، وهذا يؤيد القول الأول .

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ (١٠) الهاء للسكت ، والضمير :

لجهنم على القول بأنها هي الهاوية .

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦٧٩ / ٨) قال : « وروى المبرد أن النبي ﷺ قال : . . » إلخ ، ولم أقف على إسناده .

وهو للفعلة والخصلة التي يراد بها العذاب على القول الثاني والثالث.  
والمقصود: تعظيمها، ثم فسرهما بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (١١).

﴿سورة التكاثر﴾<sup>(١)</sup>

[﴿أَلْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّىٰ ذُرِّمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧﴾].

﴿أَلْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ① هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ.

ومعنى ﴿أَلْهَنَكُمُ﴾ : شغلکم.

و﴿التَّكَاثُرُ﴾ : المباهاة بكثرة المال والأولاد، وأن يقول هؤلاء : نحن أكثر، ويقول هؤلاء : نحن أكثر.

ولما قرأها النبي ﷺ قال : «يقول ابن آدم : مالي مالي !، وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفנית، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»<sup>(٢)</sup>.

﴿حَتَّىٰ ذُرِّمُ الْمَقَابِرَ﴾ ② فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن معناه : حتى مُتُّم، فأراد بزيارة المقابر : الدفن فيها.

الثاني : أن معناه : حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابر، فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها ؛ لأن بعض العرب تفاخر بآبائه الموتى.

(١) في ج، د : «سورة ألهاكم».

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٨).

فالمعنى : ألهاكم التكاثر حتى بلغت فيه إلى ذكر الموتى .

الثالث : أن معناه : زيارة المقابر حقيقة ؛ لتعظيم أهلها والتفاخر بهم ، فيقول : هذا قبر فلان ؛ لِيُشْهَر ذِكْرُهُ <sup>(١)</sup> ويعظم قدره .

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ زجر وتهديد ، ثم كرره ؛ للتأكيد ، وعطفه بـ ﴿ ثُمَّ ﴾ إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول .

وقيل : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ : في القبور ، ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ : يوم القيامة .

وقيل : الأول : تهديد للكفار ، والثاني : تهديد للمؤمنين .

وحذف مفعول <sup>(٢)</sup> ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ ، وتقديره :

تعلمون ما يحلُّ بكم .

أو تعلمون أن القرآن حق .

أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ في اشتغالكم بالدنيا .

وإنما حذفه ؛ لقصد التهويل ، فيقدّر السامعُ أعظمَ ما يخطر بباله .

﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ جواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف ، تقديره : لو تعلمون لآزدجرتكم واستعددتم للآخرة ، فينبغي الوقف على ﴿ الْيَقِينِ ﴾ .

ومفعول ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ محذوف أيضًا .

(١) في ب : «ليشتهر أمره» .

(٢) في أ ، ب ، ج ، هـ : «معمول» .

و﴿عَلَّمَ الْيَقِينَ﴾ مصدر، ومعنى علم اليقين: العلم الذي لا يُشك فيه.  
قال بعضهم: هو من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: دارُ الآخرة.  
وقال الزمخشري: معناه: علم الأمور التي تتيقَّنونها بالمشاهدة<sup>(١)</sup>.  
﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ﴿١﴾ هذا جواب قسم محذوف، وهو تفسير لمفعول  
﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ تقديره: لو تعلمون عاقبة أمركم، ثم فسرهما بأنها رؤية  
الجحيم، والتفسير بعد الإبهام يدل على التهويل والتعظيم.  
والخطاب: لجميع الناس، فهو كقوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].  
وقيل: للكفار خاصة، فالرؤية على هذا: يراد بها الدخول فيها.  
﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هذا تأكيد للرؤية المتقدمة، وعطفه بـ﴿ثُمَّ﴾؛  
للتهويل والتفخيم.  
والعين هنا: من قولك: عين الشيء: نفسه وذاته؛ أي: لترونها الرؤية  
التي هي نفس اليقين.  
﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم  
الدنيا:  
ف قيل: النعيم: الأمن والصحة.  
وقيل: الطعام والشراب.  
وهذه أمثلة، والصواب: العموم في كل ما يُتْلَذَّ به، قال رسول الله ﷺ:  
«بيت يُكِنُّكَ، وخرقةٌ تواريك، وكِسرةٌ تشدُّ قلبك، وما سوى ذلك فهو

نعيم»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «كل نعيم فمُسْؤُول عنه إلا نعيم في سبيل الله»<sup>(٢)</sup>، وأكل يومًا ﷺ مع بعض أصحابه رطبًا وشربوا عليه ماء، فقال لهم: «هذا من النعيم الذي تُسألون عنه»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٨١/١٠).

(٢) لم أقف على إسناده.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٣٨).



## ﴿ سورة العصر ﴾

[﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾].

﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه صلاة العصر، أقسم الله بها؛ لفضلها، قال رسول الله ﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه العشوي، أقسم به كما أقسم بالضحى، ويؤيد هذا: قول أبي بن كعب: سألت رسول الله ﷺ عن العصر فقال: «أقسم ربكم بآخر النهار»<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أنه الزمان.

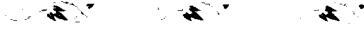
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ﴿الْإِنْسَانَ﴾: جنس، ولذلك استثنى منه ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فهو استثناء متصل.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أي: وصّى بعضهم بعضًا بالحق وبالصبر.

(١) أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦).

(٢) ذكر ابن عطية في تفسيره (٨/ ٦٨٥) ولم أقف على إسناده.

فالحق هو الإسلام وما يتضمنه ، وفيه إشارة إلى كذب الكفار .  
وفي الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذابة الكفار لهم بمكة .



## ﴿ سورة الهمزة ﴾

[وَبَلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةً ①] الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ② يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③  
 كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ⑥ الَّتِي  
 تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقِدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ⑧ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ⑨].

﴿وَبَلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةً ①﴾ هو على الجملة : الذي يعيب الناس ويأكل أعراضهم .

واشتقاقه : من الهمز واللمز ، وصيغة «فُعْلَةٌ» للمبالغة .

واختلف في الفرق بين الكلمتين :

ف قيل : الهمز في الحضور ، واللمز في الغيبة .

وقيل بالعكس .

وقيل : الهمز باليد والعين ، واللمز باللسان .

وقيل : هما سواء .

ونزلت السورة في الأخنس بن شريق ؛ لأنه كان كثير الوقعة في الناس .

وقيل : في أمية بن خلف .

وقيل : في الوليد بن المغيرة .

ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتصف بهذه الصفات .  
﴿وَعَدَدُهُ﴾ أي : أحصاه وحافظ على عدده أن لا ينقص ، فمنعه من  
الخيرات .

وقيل : معناه : استعدّه وذخره<sup>(١)</sup> عُدَّةٌ لحوادث الدهر .  
﴿يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ﴾ أي : يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله  
يُخلِّده في الدنيا .

وقيل : يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد .  
﴿كَلَّا﴾ ردُّ عليه فيما ظنه .

﴿لِيُبْدَنَّ فِي الْخُطْمَةِ﴾ هذا جواب قسم محذوف .  
و﴿الْخُطْمَةُ﴾ هي جهنم ، وإنما سميت خُطْمَةً ؛ لأنها تَحِطُّم ما يلقي  
فيها وتلتهمه ، وقد عَظَّمها بقوله : ﴿وَمَا أَذْرِيكَ﴾ ، ثم فسَّرها بأنها ﴿نَارُ اللَّهِ  
الْمُوقَدَةُ﴾ .

﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَئِدَةِ﴾ أي : تبلغ القلوب بإحراقها .  
قال ابن عطية : يحتمل أن يكون المعنى : أنها تَطَّلِع على ما في القلوب من  
العقائد والنيات بإطلاع الله إياها<sup>(٢)</sup> .  
﴿مُوصَدَّةٌ﴾ مغلقة .

(١) في ب : «وادخره» .

(٢) المحرر الوجيز (٨ / ٦٨٨) .

﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ (٩) العَمَد: جمع عمود، وهو عند سيويه اسم جمع .  
وقرئ ﴿عُمَدٍ﴾ بضميتين .

والعمود: هو المستطيل من حديد أو خشب، والممددة: الطويلة .  
وفي المعنى قولان :

أحدهما: أن أبواب جهنم أغلقت عليهم، ثم مُدَّت على أبوابها عَمَدٌ؛  
تشديدًا في الإغلاق والثِّقَاف، كما تُثَقَّف أبواب البيوت بالعمد، وهو على  
هذا متعلق بـ ﴿مُوصَدَّةٌ﴾ .

والآخر: أنهم موثوقون مغلولون في العَمَد، فالمجرور على هذا: في  
موضع خبر مبتدأ مضمرة تقديره: هم موثوقون في عمد .



## ﴿ سورة الفيل ﴾

نزلت هذه السورة منبّهةً على العبرة في قصة الفيل التي وقعت عام مولد رسول الله ﷺ، فإنها تدل على كرامة الله للكعبة، وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم، فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به، وفيها مع ذلك عجائبٌ من<sup>(١)</sup> قدرة الله وشدة عقابه.

وقد ذُكرت القصة في كتاب السّير وغيره، واختصارها: أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتًا باليمن، وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلى الكعبة، فذهب عربيٌّ وأحدث في البيت، فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة، فاحتفل في جموعه، وركب الفيل وقصد مكة، فلما وصل قريبًا منها فرّ أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة، وأخذ لعبد المطلب مئتي بعير فكلّمه فيها، فقال له: كيف تكلمني في الإبل ولا تكلمني في الكعبة، وقد جئت لهدمها وهي شرفك وشرف قومك؟ فقال له: أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًا سيمنعه، فبرك الفيل<sup>(٢)</sup> بذئ الغميس، ولم يتوجه إلى مكة، فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هرّول، وإذا وجهوه إليها توقف ولو بضّعه<sup>(٣)</sup> بالحديد، فبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيورًا سودًا، وقيل: خضرًا، عند كل طائر ثلاثة

(١) في ب: «من عجائب».

(٢) في د: «فلما توجه إليها برك الفيل».

(٣) أي: وخزوه بالمبضع، وهو آلة يشق بها الجلد. تاج العروس.

أحجار في منقاره ورجليه، فرمتهم الطيور بالحجارة، فكان الحجر يقتل من وقع عليه، وروي: أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره، ووقع في سائرهم الجُدري والأسقام، وانصرفوا فماتوا في الطريق متفرقين في المراحل، وتقطع أبرهة أنملة أنملة.

[﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ١ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ ٢ ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ ٣ ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ ٤ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُوِلٍ﴾ ٥].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ معناه: ألم تعلم، و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بـ ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾، لا بـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

والجملة معمول ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي: إبطال وتخسير.

﴿أَبَابِيلَ﴾ معناه: جماعات شيئاً بعد شيء.

قال الزمخشري: واحدها إِبَالَةٌ<sup>(١)</sup>.

وقال جمهور الناس: هو جمعٌ لا واحد له من لفظه.

﴿بِحِجَارٍ﴾ روي: أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحِمَصَة.

قال ابن عباس: إنه أدرك عند أم هانئ نحو قفيز من هذه الحجارة، وإنها كانت مخططة بحُمْرة.

(١) الكشاف (١٦/٥٨٢).

وروي: أنه كان على كل حجر اسمٌ مَنْ يقع عليه مكتوبًا .

﴿سَجِيلٌ﴾ قد ذكر<sup>(١)</sup> .

﴿كَعَصِفٍ مَّاكُولٍ﴾ العصف: ورق الزرع وتبته، والمراد: أنهم صاروا رميمًا .

وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه :

الأول: أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم رائته ، فجمع التلف والخسّة ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن .

الثاني: أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود .

الثالث: أنه أراد كعصفٍ مأكولٍ زرعه ، وبقي هو لا شيء .

.....



## ﴿ سورة قريش ﴾

[﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ① إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ②﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا  
الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④﴾].

﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ①﴾ إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ②﴾ قريش : هم حيٌّ  
من عرب الحجاز الذين من ذرية معد بن عدنان ، إلا أنه لا يقال قريش إلا لمن  
كان من ذرية النضر بن كنانة ، وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت ؛ نحو بني  
هاشم ، وبني أمية ، وبني مخزوم ، وغيرهم .

وإنما سميت القبيلة قريشاً ؛ لتقرشهم ، والتقرش : التكبس ، وكانوا تجاراً .  
وعن معاوية أنه سأل ابن عباس : بم سميت قريش ؟ قال : بدابة في البحر  
تأكل ولا تؤكل ، وتعلو ولا تُعلى .

وكانوا ساكنين بمكة ، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة ، رحلة في  
الشتاء إلى اليمن ، ورحلة في الصيف إلى الشام .  
وقيل : كانت الرحلتان جميعاً إلى الشام .

وقيل : كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل ، فيقيمون  
بها ، ويرحلون في الشتاء إلى مكة ؛ لسكناهم بها .

والإيلاف : مصدر من قولك : ألفت المكان : إذا ألفتَه .

وقيل : هو منقول منه بالهمزة ، يقال أَلِف الرجل الشيء ، وآلفه إياه غيره .

فالمعنى :

على القول الأول : أن قريشاً أَلِفُوا رحلة الشتاء والصيف .

وعلى الثاني : أن الله أَلَفَهُم الرحلتين .

واختلف في تعلق قوله : ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ﴾ على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه متعلق بقوله : ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ ، والمعنى : فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين ؛ فإن ذلك نعمة من الله عليهم .

الثاني : أنه يتعلق بمحذوف تقديره : اعجبوا لإيلاف قريش .

الثالث : أنه يتعلق بسورة الفيل ، والمعنى : أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش ، فهو يتعلق بقوله : ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أو بما قبله من الأفعال .

ويؤيد هذا : أن السورتين في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة لا فصل بينهما ، وقد قرأهما عمر في ركعة واحدة من المغرب .

وذكر الله الإيلاف أولاً مطلقاً ، ثم أبدل منه الإيلاف المقيّد بالرحلتين ؛ تعظيماً للأمر .

ونصبُ ﴿رِحْلَةٍ﴾ ؛ لأنه مفعول بـ ﴿إِلَافِهِمْ﴾ .

وقال : ﴿رِحْلَةٍ﴾ وأراد : «رحلتين» ، فهو كقول الشاعر :

كلوا في بعض بَطْنِكُمْ تَعْفُوا<sup>(١)</sup>

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ﴾ هذا إقامة حجة عليهم ، واستدعاء لهم

(١) هذا صدر بيت ، وعجزه : «فإن زمانكم زمنٌ خَمِيصٌ» ، وهو من شواهد سيبويه في «الكتاب» (٢١٠/١) ولا يعرف قائله .

بملاطفة، وتذكير بالنعمة.

والبيت: هو المسجد الحرام.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ يَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ:

إِطْعَامَهُمْ بِسَبَبِ الرَّحْلَتَيْنِ، فَقَدْ رَوَى أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِي شِدَّةٍ وَضِيقٍ حَالٍ حَتَّى أَكَلُوا الْجِيفَ.

وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ إِطْعَامَهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَقَدْ كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ سَاكِنِينَ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَطْعَمَهُمْ مِمَّا يَجْلِبُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْبِلَادِ، بِدَعْوَةِ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

﴿وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ يَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ:

أَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفِ أَصْحَابِ الْفِيلِ.

وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ: أَمْنَهُمْ فِي بِلَدِهِمْ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

وَقَدْ فُسِّرَ نَاهُ فِي مَوْضِعِهِ <sup>(١)</sup>.

أَوْ يَعْنِي: أَمْنَهُمْ فِي أَسْفَارِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي رَحْلَتِهِمْ آمِنِينَ، لَا يَتَعَرَّضُ لَهُمْ أَحَدٌ بِسُوءٍ، وَكَانَ غَيْرُهُمْ مِنَ النَّاسِ تَتَوَخَّذُ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ.

وَقِيلَ: أَمْنَهُمْ مِنَ الْجُذَامِ، فَلَا تَرَى بِمَكَّةَ مَجْذُومًا.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: التَّنْكِيرُ فِي ﴿جُوعٍ﴾ وَ﴿خَوْفٍ﴾؛ لِشِدَّتِهِمَا <sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: (٣٦٢/١).

(٢) الكشف (٥٨٩/١٦).

## ﴿سورة أرأيت﴾

[﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۖ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾].

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۖ ﴿١﴾﴾ قيل : إن هذا نزل في أبي جهل أو<sup>(١)</sup> أبي سفيان بن حرب.

وقيل : هو مطلق.

والدين هنا : الملة ، أو الجزاء .

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۖ ﴿٢﴾﴾ أي : يدفعه بعنف ، وهذا الدفع يحتمل أن يكون :

عن إطعامه والإحسان إليه .

أو عن ماله وحقوقه ، وهذا أشد .

والذي لا يحض على طعام المسكين لا يطعمه من باب أولى .

وهذه الجملة هي جواب ﴿أَرَأَيْتَ﴾ ؛ لأن معناها : «أخبرني» ، فكأنه سؤال وجواب .

(١) في أ ، ب ، د : «و».

والمعنى : انظر<sup>(١)</sup> الذي كذب بالدين ؛ تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة .

وإنما ذلك ؛ لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات .  
فمقصود الكلام : ذم الكفار وأحوالهم .

﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ قيل : إن هذا نزل في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق ، والسورة على هذا نصفها مكّي ونصفها مدني ، قاله أبو زيد السهيلي<sup>(٢)</sup> .

وذلك أن ذكر أبي جهل وغيره من الكفار أكثر ما جاء في السور المكية ، وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها ، إنما هي من صفات الذين كانوا بالمدينة ، لاسيما على قول من قال : إنها في عبد الله بن أبي .

وقيل : إنها مكية كلها ، وهو الأشهر ، ونزل آخرها - على هذا - في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان .  
وقيل : مدنية .

والسهو عن الصلاة : هو تركها ، أو تأخيرها تهاوئاً بها .

وقد سئل رسول الله ﷺ عن ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال : «الذين يؤخرونها عن وقتها»<sup>(٣)</sup> .

(١) في ب زيادة : «إلى» .

(٢) التعريف والإعلام ، للسهيلي (ص : ٣٩١) ، والسهيلي يُكنى بأبي القاسم وأبي زيد .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦٣/٢٤) .

وقال عطاء بن يسار: الحمد لله الذي قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: «في صلاتهم».

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ هو من الرياء؛ أي: صلاتهم رياء للناس، لا لله.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ فيه وصفٌ لهم بالبخل وقلة المنفعة للناس.

وفي ﴿الْمَاعُونَ﴾ أربعة أقوال:

الأول: أنه الزكاة.

الثاني: أنه المال بلغة قريش.

الثالث: أنه الماء.

الرابع: أنه ما يتعاطاه الناس بينهم، كالآنية، والفأس، والدلو، والمِقَصَّ.

وسئل رسول الله ﷺ: ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ فقال: «الماء، والنار، والملح»<sup>(١)</sup> وزاد في بعض الطرق: «الإبرة، والخمير»<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٧٣).

(٢) لم أقف على إسناد لهذه الرواية.

## ﴿ سورة الكوثر ﴾

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝ ﴾ .

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ ، والكوثر : بناء مبالغة من الكثرة .

وفي تفسيره سبعة أقوال :

الأول : حوض النبي ﷺ .

الثاني : أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة ، قاله ابن عباس ، وتممه سعيد بن جبير بأن قال : إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله ، فالمعنى : أنه على العموم .

الثالث : أن الكوثر القرآن .

الرابع : أنه كثرة الأصحاب والأتباع .

الخامس : أنه التوحيد .

السادس : أنه الشفاعة .

السابع : أنه نور وضعه الله في قلبه .

ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء<sup>(١)</sup> كلها، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض، لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله، وهو الحوض، أنيته عدد نجوم السماء»<sup>(٢)</sup>.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾ فيه خمسة أقوال:

الأول: أنه أمره بالصلاة على الإطلاق، وبنحر الهدى والضحايا.

الثاني: أنه ﷺ كان يضحى قبل صلاة العيد، فأمره أن يصلي ثم ينحر، فالمقصود على هذا: تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة.

الثالث: أن الكفار كانوا يصلون مكاءً وتصدية، وينحرون للأصنام، فقال الله لنبيه ﷺ: صل لربك وحده وانحر له؛ أي: لوجهه لا لغيره، فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص.

الرابع: أن معنى ﴿وَأَنحَرْ﴾: ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة، فهو على هذا من النحر، وهو الصدر.

الخامس: أن معناه: ارفع يدك عند نحر في افتتاح الصلاة.

﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الشانئ: هو المبغض، وهو من الشنآن بمعنى العداوة.

ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل - وقيل: في أبي جهل - على وجه

(١) في د: «الخصال».

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٠).



الرد عليه ؛ إذ قال : إن محمدًا أبتَرُ ؛ أي : لا ولد له ذكْرٌ ، فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته ، فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتَر وإن كان له أولاد ؛ لأنه مبتور من رحمة الله ؛ أي : مقطوع عنها ، ولأنه لا يُذكر إذا ذُكر إلا باللعنة ، بخلاف النبي ﷺ فإن ذكره خالده إلى آخر الدهر ، مرفوع على المنابر والصوامع ، مقرونٌ بذكر الله ، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه ، فهو كالوالد لهم<sup>(١)</sup> .

(١) في د: «فكانه والدهم».

## ﴿سورة الكافرين﴾

سبب هذه السورة: أن قومًا من قريش، منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم؛ قالوا: يا محمد! اتبع ديننا واتبع دينك، اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال: «معاذ الله أن أشرك بالله شيئاً»<sup>(١)</sup>، ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم، ولذلك قال ﷺ: «من قرأها فقد برئ من الشرك»<sup>(٢)</sup>.

[﴿قُلْ يَتَّابِهَا الْكٰفِرُونَ ۝ لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ ۝ وَلَا اَنَا عٰبِدُ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ ۝﴾].

﴿لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝﴾ هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم.

فإن قيل: لم كرر هذا المعنى بقوله: ﴿وَلَا اَنَا عٰبِدُ مَا عَبَدْتُمْ ۝﴾؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: - قاله الزمخشري - : وهو أن قوله: ﴿لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يريد في الزمان المستقبل، وقوله: ﴿وَلَا اَنَا عٰبِدُ مَا عَبَدْتُمْ﴾ يريد به فيما

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٠٣/٢٤).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٢٦٢/٧).

مضى ؛ أي : ما كنت قطّ عابداً ما عبدتم فيما سلف ؛ فكيف تطلبون ذلك مني الآن؟<sup>(١)</sup>

الثاني : - قاله ابن عطية - : وهو أن قوله : ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢﴾ لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ﴿٣﴾ ؛ أي : أبداً ما عشت<sup>(٢)</sup> .

وهذا مُعْتَرَضٌ ؛ لأن «لا» النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال ، فقوله : ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ لا يحتمل أن يراد به الحال .

ويحتمل عندي : أن يكون قوله : ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢﴾ يريد به : في المستقبل ، على حسب ما تقتضيه «لا» من الاستقبال ، ويكون قوله : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ﴿٣﴾ يريد به : في الحال ، فيحصل من المجموع نفي عبادته الأصنام في الحال والاستقبال ، ومعنى الحال في قوله : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ﴿٣﴾ أظهر من معنى الماضي الذي قاله الزمخشري ، ومن معنى الاستقبال ؛ فإن قولك : «ما زيد قائم» بنفي الجملة الاسمية يقتضي الحال .

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ﴾ ﴿٤﴾ هذا إخبارٌ أن هؤلاء الكفار لا يعبدون الله ، كما قيل لنوح : ﴿أَنْتَ لَنْ تُؤْمَرَ بِمَنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود : ٣٦] ، إلا أن هذا في حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر ، وقد روي أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم : أبو جهل ، والوليد بن المغيرة ، والعاصي بن وائل ، والأسود بن المطلب ، وأمّية بن خلف ، وأبيّ بن خلف ، وابنا

(١) الكشف (١٦/٦٠٧) .

(٢) المحرر الوجيز (٨/٧٠١) .

الحجاج<sup>(١)</sup>، وكلهم ماتوا كفارًا.

فإن قيل: لم قال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ بـ «ما» دون «من» التي هي موضوعة لمن يعقل؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن ذلك لمناسبة قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فإن هذا واقع على الأصنام التي لا تعقل ثم جعل ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ على طريقته؛ لتناسب اللفظ.

الثاني: أنه أراد الصفة، كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، قاله الزمخشري<sup>(٣)</sup>.

الثالث: أن «ما» مصدرية، والتقدير: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي، وهذا ضعيف.

فإن قيل: لم كرّر هذا المعنى واللفظ؛ فقال بعد ذلك: ﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾<sup>(٣)</sup> مرة أخرى؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: - قول الزمخشري - وهو أن الأول في المستقبل والثاني فيما مضى<sup>(٣)</sup>.

(١) وهما: نبيه ومبّيه ابنا الحجاج بن عامر. سيرة ابن هشام (١/٢٦٥).

(٢) الكشف (١٦/٦١١).

(٣) الكشف (١٦/٦٠٧).

والآخر: - قاله ابن عطية - : وهو أن الأول في الحال والثاني في الاستقبال، فهو حتمٌ عليهم أن لا يؤمنوا أبدًا<sup>(١)</sup>.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي: لكم شرككم، ولي توحيدي، وهذه براءة منهم.

وفيها مسالمة منسوخة بالسيف.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٧٠١).

## ﴿ سورة النصر ﴾

سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن معنى هذه السورة، فقالوا: إن الله أمر رسول الله ﷺ بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح، وذلك على ظاهر لفظها، فقال لابن عباس بمحضرهم: يا عبد الله ما تقول أنت؟ قال: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما علمت.

وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره، ويؤيده قول عائشة: إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني أستغفرك» يتأول القرآن<sup>(١)</sup>؛ أي هذه السورة، وقال لها مرة: «ما أراه إلا حضور أجلي»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عمر: نزلت هذه السورة بمضى أيام التشريق في حجة الوداع، وعاش رسول الله ﷺ بعدها ثمانين يوماً أو نحوها.

وقال ابن مسعود: هذه السورة تسمى «سورة التوديع».

[﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُمْ كَانَ تَوَّابًا ③ ﴾ ].

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠).

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝﴾ يعني بالفتح: فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ.

وقال ابن عباس: <sup>(١)</sup> النصر: صلح الحديبية، والفتح: فتح مكة.

وقيل: النصر: إسلام أهل اليمن.

والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبارٌ بغيب، فهو من أعلام النبوة.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ أي: جماعات، وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشرٌ كثير، فقد روي أن رسول الله ﷺ كان معه في فتح مكة عشرة آلاف، وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفاً.

وقال أبو عمر ابن عبد البر: لم يمت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر <sup>(٢)</sup>.

وقد قيل: إن عدد المسلمين عند موته: مئة ألف وأربعة عشر ألفاً.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۝﴾ قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيما تقدم <sup>(٣)</sup>.

فإن قيل: لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح، وعند اقتراب أجله؟

فالجواب: أنه أمره بالتسبيح والحمد؛ ليكون شكرًا على النصر والفتح

(١) في أ، ه زيادة: «من».

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٤/١٦٣٨).

(٣) انظر: (٣/١٢٧).

وظهور الإسلام، وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله؛ ليكون ذلك  
زادًا للآخرة وعُدَّةً للقاء الله<sup>(١)</sup>.



---

(١) في ج، د: «اللقاء».



﴿سورة أبي لهب<sup>(١)</sup>﴾

سببها : أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [انشعراء : ٢١٤] صعد رسول الله ﷺ على الصفا ، فنادى بأعلى صوته : «يا صباحاه<sup>(٢)</sup> !» ، فاجتمعت إليه قريش فقال لهم : «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ثم أنذرهم عموماً وخصوصاً ، فقال له أبو لهب : تباً لك ! ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت السورة<sup>(٣)</sup> .

[﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾] .  
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ معنى ﴿تَبَّتْ﴾ : خسرت ، والتباب : هو الخسران .  
وأبو لهب : هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم ، وهو عمُّ رسول الله ﷺ ، وكان من أشد الناس عداوةً له .

فإن قيل : لم ذكره الله بكنيته<sup>(٤)</sup> دون اسمه ؟

(١) قال الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٥٥٢) : «وتسمى سورة تبَّت ، وسورة أبي لهب ، وسورة المسد» .

(٢) في أ ، د ، هـ : «يا صاحباه» ! .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٧٠) ، ومسلم (٢٠٨) .

(٤) في أ ، هـ : «بتكنيته» .

فالجواب من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبي بكر وغيره ، ويقال : إنه كُنِّيَ أبا لهب لتلهب وجهه جمالاً .

الثاني : أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية .

الثالث : أنه لما كان من أهل النار واللهب ، كناه أبا لهب ، وليناسب ذلك قوله : ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ (٢) .

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ (٢) يحتمل أن تكون ﴿ مَا ﴾ : نافية ، أو استفهامية يراد بها النفي .

و﴿ مَالُهُ ﴾ : هو رأس ماله ، ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ : الربح .

أو ﴿ مَالُهُ ﴾ : ما ورث ، ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ : هو ما اكتسبه لنفسه .

وقيل : ﴿ مَالُهُ ﴾ : جميع ماله ، ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ : أولاده .

﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ (٢) هذا حتمٌ عليه بدخول النار ، ومات بعد ذلك كافرًا .

﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ (٤) اسم امرأته : أم جميل بنت حرب بن أمية ، وهي أخت أبي سفيان وعمه معاوية .

وفي وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال :

أحدها : أنها تحمل حطبًا وشوكًا فتلقيه في طريق النبي ﷺ لتؤذيه (١) .

(١) في ب ، ج زيادة : « به » .

الثاني : أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة ، يقال : فلان يحمل الحطب بين الناس : أي : يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم .

الثالث : أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين ، يقال : فلان يحطب على فلان : إذا قصد الإضرار به .

الرابع : أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها .

﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ (٥) الجيد : العنق .

والمسد : الليف .

وقيل : الحبل المفتول .

وفي المراد به ثلاثة أقوال :

الأول : أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول ، وفي ذلك تحقير لها ، وإظهار لخساسة حالها .

والآخر : أن حالها في جهنم يكون كذلك ؛ أي : يكون في عنقها حبل .

الثالث : أنها كانت قلادة فاخرة ، فقالت : لأنفقتُها على عداوة محمد ، فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذم لها بتبرُّجها .

ويحتمل قوله : ﴿ وَأَمْرَأتُهُ ﴾ وما بعده وجوهاً من الإعراب يختلف الوقف باختلافها ، وهي :

أن يكون ﴿ وَأَمْرَأتُهُ ﴾ مبتدأ ، و﴿ حَمَالَةُ الْحَطْبِ ﴾ خبره .

أو يكون ﴿ حَمَالَةُ الْحَطْبِ ﴾ نعت ، والخبر : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ (٥) .

أو يكون ﴿أَمْرَانَهُ﴾ معطوفاً على الضمير في ﴿يَصَلِّي﴾ ، و﴿حَمَالَهُ  
الْحَطَبِ﴾ : نعت ، أو خبر مبتدأ مضمرة .



## ﴿ سورة الإخلاص ﴾

سبب نزول هذه السورة: أن اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد! صف لنا ربك وانسبه؟ فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها!، فارتعد رسول الله ﷺ حتى خرَّ مغشيًا عليه، ونزل عليه جبريل ﷺ بهذه السورة. وقيل: إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك؟ فنزلت. وعلى الرواية الأولى: تكون السورة مدنية؛ (لأن سؤال اليهود بالمدينة)<sup>(١)</sup>.

وعلى الرواية الثانية: تكون مكية.

واختلف في معنى قوله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ»<sup>(٢)</sup>: فقيل: إن ذلك في الثواب؛ أي: لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن.

وقيل: إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم؛ وذلك أن علوم القرآن ثلاثة: توحيد، وأحكام، وقصاص، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد،

(١) سقط من ج، د.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٣)، ومسلم (٨١١).

فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار، وهذا أظهر، وعليه حمل ابن عطية الحديث<sup>(١)</sup>.

ويؤيده: أن في بعض روايات الحديث: «إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءاً من أجزاء القرآن»<sup>(٢)</sup>.

وخرج النسائي: أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقرأها فقال: «أما هذا فقد غفر له»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية أنه قال: «وجبت له الجنة»<sup>(٤)</sup>.

وخرج مسلم: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن؛ فأنا أحب أن أقرأها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبها»<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية خرَّجها الترمذي: أنه ﷺ قال للرجل: «حبك إياها أدخلك الجنة»<sup>(٦)</sup>.

وخرج الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

(١) المحرر الوجيز (٧١٣/٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨١١).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٢٦٢/٧).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (١٨/٢).

(٥) أخرجه مسلم (٨١٣).

(٦) أخرجه الترمذي (٢٩٠١).

مئتي مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة، إلا أن يكون عليه دين»<sup>(١)</sup>.  
 [﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ  
 يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ الضمير هنا عند البصريين: ضمير الأمر والشأن  
 الذي يراد به التعظيم والتفخيم.

وإعرابه: مبتدأ، وخبره الجملة التي بعده، وهي المفسرة له، و﴿اللَّهُ﴾  
 مبتدأ و﴿أَحَدٌ﴾ خبره.

وقيل: ﴿اللَّهُ﴾ هو الخبر، و﴿أَحَدٌ﴾ بدل منه.

وقيل: ﴿اللَّهُ﴾ بدل، و﴿أَحَدٌ﴾ هو الخبر.

و﴿أَحَدٌ﴾ له معنيان:

أحدهما: أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب،  
 كقولك: «ما جاءني أحد»، وليس هذا موضع هذا المعنى، وإنما موضعه  
 قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

والآخر: أن يكون بمعنى واحد، وأصله: «وَاحِدٌ» بواو، ثم أبدل من الواو  
 همزة، وهذا هو المراد هنا.

واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد<sup>(٢)</sup> له ثلاثة معان كلها صحيحة

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٩٨).

(٢) في ب، د: «بالوحدانية».

في حق الله تعالى :

الأول : أنه واحد لا ثاني معه ، فهو نفي للعدد .

والآخر : أنه واحد لا نظير ولا شريك ، كما تقول : «فلان واحد عصره» ؛  
أي : لا نظير له .

والثالث : أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعّض<sup>(١)</sup> .

والأظهر : أن المراد في السورة نفي الشريك ؛ لقصد الرد على المشركين  
ومنه قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ كَمِثْلِهِ وَجِدُّ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

قال الزمخشري : ﴿أَحَدٌ﴾ وصف بالوحدانية ونفي الشركاء<sup>(٢)</sup> .

قلت : وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته ، وذلك في  
القرآن كثير جداً ، وأوضحها أربعة براهين<sup>(٣)</sup> :

الأول : قوله : ﴿أَمَّنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] ؛ لأنه إذا ثبت أن الله  
تعالى خالق جميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحداً منها شريكاً له .

والآخر : قوله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] .

والثالث : قوله : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾

[الإسراء: ٤٢] .

(١) انظر (٣٨٤/١) .

(٢) الكشف (٦٣٨/١٦) .

(٣) انظر تبیین هذه الأوجه في كتاب «النور المبین في قواعد عقائد الدین» للمؤلف تكملة  
(ص: ٣٩) وما بعدها .



والرابع: قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقد فسرنا هذه الآيات في مواضعها.

وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله: ﴿وَاللَّهُ كُفُّهُ إِلَهٌُ وَحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] <sup>(١)</sup>.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ <sup>(٢)</sup> في معنى الصمد ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الصمد الذي يُصمَد إليه في الأمور؛ أي: يُلجأ إليه.

والآخر: أنه الذي لا يأكل ولا يشرب، فهو كقوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾

[الأنعام: ١٤].

والثالث: أنه الذي لا جوف له.

والأول هو المراد هنا على الأظهر.

ورجح ابن عطية: بأن الله هو مُوجد الموجودات وبه قوامها، فهي مفتقرة إليه؛ أي: تصمد إليه؛ إذ لا تقوم بأنفسها <sup>(٢)</sup>.

ورجَّحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير بورود معناه في القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله تعالى كقوله في «مريم»: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨] ثم أعقبه بقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ <sup>(٣)</sup> [مريم: ٩٣]، وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ

(١) انظر: (١/٣٨٤).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٧١١).

وَالْأَرْضُ ﴿البقرة: ١١٦﴾، وكذلك هنا ذكره مع قوله ﴿لَمْ يَكِلْهُ﴾ ؛ ليكون برهاناً على نفي الولد.

قال الزمخشري: صَمَدٌ: فَعْلٌ بمعنى مفعول ؛ لأنه مصمود إليه في الحوائج<sup>(١)</sup>.

﴿لَمْ يَكِلْهُ﴾ هذا ردُّ على كل من جعل لله ولداً، فمنهم النصارى في قولهم: عيسى ابن الله، واليهود في قولهم: عزيز ابن الله، والعرب في قولهم: الملائكة بنات الله.

وقد أقام الله البراهين في القرآن على نفي الولد، وأوضحها أربعة:

الأول: أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله تعالى ليس له جنس، فلا يمكن أن يكون له ولد، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانٍ أَلْطَعَامُ﴾ [المائدة: ٧٥] فوصفهما بصفة الحدوث ؛ لينفي عنهما صفة<sup>(٢)</sup> القدم فتبطل مقالة الكفار.

والثاني: أن الولد إنما يتخذ للحاجة إليه، والله لا يفتقر إلى شيء، فلا يتخذ ولداً، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ [يونس: ٦٨].

الثالث: أن جميع الخلق عباد الله، والعبودية تنافي البنوة، وإلى هذا

(١) الكشف (١٦/ ٦٣٥).

(٢) في ب، ج، هـ: «صفات».

أشار بقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾  
[مريم: ٩٣].

الرابع: أنه لا يكون ولد إلا لمن له زوجة، والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١].

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ هذا ردٌّ على الذين قالوا: «انُسبَ لنا ربك»، وذلك أن كل مولود محدث، والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده، القديم، الذي كان ولم يكن معه شيء غيره، فلا يمكن أن يكون مولودًا تعالى عن ذلك.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الكفو: هو النظير والمماثل.

قال الزمخشري: يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح، فيكون نفيًا للصاحبة<sup>(١)</sup>، وهذا بعيد.

والأول هو الصحيح، ومعناه: أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل. ويجوز في ﴿كُفُوًا﴾:

ضم الفاء، وإسكانها مع ضم الكاف، وقد قرئ بالوجهين.

ويجوز أيضًا كسر الكاف وإسكان الفاء.

ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد.

ويجوز فيه: الهمز والتسهيل.

وانتصب ﴿كُفُّوْا﴾ على أنه خبر «كان»، و﴿أَحَدٌ﴾ اسمها.

قال ابن عطية: يجوز أن يكون ﴿كُفُّوْا﴾ حالاً؛ لكونه كان صفة للنكرة فقدم عليها<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: لم قدم المجرور وهو ﴿لَهُ﴾، على اسم كان وخبرها، وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه قدم للاعتناء به والتعظيم؛ لأنه ضمير الله تعالى، وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى.

والآخر: أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته، فإنه ليس المقصود نفي الكفو مطلقاً، إنما المقصود نفي الكفو عن الله تعالى، فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يحوز<sup>(٢)</sup> هذا المعنى، فقدمه.

فإن قيل: إن قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يقتضي نفي الولد والكفو؛ فلم نصّر على ذلك بعده؟

فالجواب: أن هذا من التجريد، وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم مُتَقَدِّم، كقوله تعالى: ﴿وَمَلَأْكَ بِهِ رُسُلَهُ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، ويُفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا:

أحدهما: الاعتناء، ولا شك أن نفي الولد والكفو عن الله ينبغي

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٧١٢).

(٢) في ج، هـ: «يُحْزِرُ».

الاعتناء به؛ للرد على من قال خلاف ذلك من الكفار.

والآخر: الإيضاح والبيان؛ فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه، فنص على هذا بياناً، وإيضاحاً للمعنى، ومبالغة في الرد على الكفار، وتأكيذاً لإقامة الحجة عليهم.



## ﴿سورة الفلق﴾

[﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥].  
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ١ تقدم معنى ﴿أَعُوذُ﴾ في التعوذ<sup>(١)</sup>، ومعنى ﴿رَبِّ﴾ في «اللغات»<sup>(٢)</sup> و«الفاتحة»<sup>(٣)</sup>.

وفي الفلق ثلاثة أقوال:

الأول: أنه الصبح، ومنه ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

قال الزمخشري: هو فَعَلٌ بمعنى مفعول<sup>(٤)</sup>.

الثاني: أنه كل ما يفلقه الله، كفلق الأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحب والنوى وغير ذلك.

الثالث: أنه جُبٌّ في جهنم. وقد روي هذا عن رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: (٢٣٩/١) والمادة (٣٩٠) في اللغات.

(٢) انظر المادة (٢٠٤) في اللغات.

(٣) انظر: (٢٥٤/١).

(٤) الكشف (٦٤٤/١٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٤٢/٢٤).

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (٢) هذا عمومٌ في جميع المخلوقات، وشرُّهم: أنواع كثيرة، أعادنا الله منها.

و﴿مَا﴾ هنا:

موصولة.

أو موصوفة.

أو مصدرية.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٣) فيه ثمانية أقوال:

**الأول:** أنه الليل إذا أظلم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] وهذا قول الأكثرين، وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الأنس والجن، ولذلك قيل في المثل: «الليل أخفى للويل»<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** أنه القمر، خرج النسائي: أن رسول الله ﷺ رأى القمر فقال: «يا عائشة! استعيذي بالله من شر هذا؛ فإنه الغاسق إذا وقب»<sup>(٢)</sup>، ووقوبه على هذا: كسوفه؛ لأن «وَقَبَ» في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول، فالمعنى: إذا دخل في الكسوف، أو إذا أظلم به.

**الثالث:** أنه الشمس إذا غربت، والوقوب على هذا المعنى: الظلمة، أو الدخول.

(١) أي: افعل ما تريد ليلا فإنه أَسْتَرْ لِسْرِكَ. انظر: مجمع الأمثال للميداني (١٩٣/٢)، وفيه قصة هذا المثل.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٣٢٣)، والترمذي (٣٣٦٦)، والنسائي (١٢٢/٩).

الرابع: أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل، وهذا قريب من الذي قبله.  
الخامس: أن الغاسق سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «النجم هو الغاسق»<sup>(١)</sup> فيحتمل أن يريد الثريا.

السادس: أنه الذَّكْر إذا قام، حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس.  
السابع: قال الزمخشري: يجوز أن يراد بالغاسق: الأسود من الحيات، ووَقْبُهُ: ضَرْبُهُ<sup>(٢)</sup>.

الثامن: أنه إبليس، حكى ذلك السهيلي<sup>(٣)</sup>.  
﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ النفث: شبه النفخ دون تفل وريق.  
قاله ابن عطية<sup>(٤)</sup>.

وقال الزمخشري: هو النفخ مع ريق<sup>(٥)</sup>.  
وهذا النفث ضربٌ من السحر، وهو أن ينفث على عُقْدٍ تُعْقَدُ في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك.  
وحكى ابن عطية أنه حدّثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطاً أحمر قد عُقِدَتْ فيه عقد على فِضْلان - وهي أولاد الإبل -، فمُنِعَتْ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٤٨/٢٤).

(٢) الكشف (٦٤٧/١٦).

(٣) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٩٩).

(٤) المحرر الوجيز (٧١٥/٨).

(٥) الكشف (٦٤٨/١٦).



بذلك من رضاع أمهاتها، فكان إذا حلَّ عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه  
فرَضِعَ في الحين<sup>(١)</sup>.

قال الزمخشري: إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر، ومن إثمهن في ذلك.

والآخر: أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنتهن.

والثالث: أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن<sup>(٢)</sup>.

و﴿النَّفَثَاتِ﴾ بناء مبالغة، والموصوف محذوف تقديره:

النساء النفاثات.

أو الجماعات النفاثات.

أو النفوس النفاثات.

والأول أرجح؛ لأنه روي أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي،  
وكنَّ ساحرات سحرْنَ هُنَّ وأبوهم رسول الله ﷺ وعَقَدْنَ له إحدى عشرة  
عقدة، فأنزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية بعدد العقد، وشفَّى الله  
رسوله ﷺ.

فإن قيل: لم عَرَفَ ﴿النَّفَثَاتِ﴾ بالألف واللام، ونكَّر ما قبله وهو  
﴿غَاسِقٍ﴾ وما بعده وهو ﴿حَاسِدٍ﴾؛ مع أن الجميع مستعاذ منه؟

(١) المحرر الوجيز (٧١٥-٧١٦).

(٢) الكشف (٦٤٩/١٦).

فالجواب: أنه عرّف النفاثات؛ ليفيد العموم؛ لأن كل نفاثة شريرة، بخلاف الغاسق والحاسد؛ فإن شرهما في بعض دون بعض.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۖ﴾ الحسد خلق مذموم طبعًا وشرعًا، قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»<sup>(١)</sup>.

وقال بعض العلماء: الحسد أول معصية عُصِيَ الله بها في السماء والأرض، أما في السماء: فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض: فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد.

ثم إن الحسد على درجات:

الأولى: أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه، بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به.

الثانية: أن يحب زوال تلك النعمة؛ لرغبته فيها ورجاء انتقالها إليه.

الثالثة: أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره، وهذا جائز وليس بحسد، وإنما هو غبطة.

والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرّات:

أحدها: اكتساب الذنوب؛ لأن الحسد حرام.

الثانية: سوء الأدب مع الله تعالى، فإن حقيقة الحسد كراهة إنعام الله على عبده، واعتراض على الله في فعله.

الثالثة: تألم قلبه، وكثرة همه وغمه.

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣)، وابن ماجه (٤٢٠٩).

فترغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين ، فإن المحسود ذو نعمة والحاسد في كرب ونقمة ، ولله در القائل :

إني لأرحم حاسديّ لفَظُ ما      ضمّت صدورهم من الأوغار  
نظروا صنيع الله بي فعُيونهم      في جنة وقلوبهم في نار<sup>(١)</sup>  
وقال آخر :

إن يحسدوني فإني غير لائمهم      قلبي من الناس أهل الفضل قد حُسدوا  
فدام لي ولهم ما بي وما بهم      ومات أكثرنا غيظاً بما يَجْدُ<sup>(٢)</sup>  
ثم إن الحسود لا تزول عداوته ، ولا تنفع مداراته ، وهو ظالم يتشكّى كأنه مظلوم ، ولقد صدق القائل :

كل العداوة قد تُرجى إزالتها      إلا عداوة من عاداك من حسد<sup>(٣)</sup>  
وقال حكيم الشعراء :

وأظلم خلق الله من بات حاسداً      لمن بات في نعمائه يتقلّب<sup>(٤)</sup>

قال ابن عطية : قال بعض الحذاق : هذه السورة خمس آيات ، وهي مراد

(١) البيتان لأبي الحسن التهامي كما في ديوانه (ص : ٣١٦).

(٢) البيتان لبشار بن برد كما في ديوانه (٩٧/٣).

(٣) البيت للشافعي كما في مناقب الشافعي للبيهقي (٧٤/٢) ، ونسبه في العقد الفريد إلى ابن المبارك (١٧١/٢).

(٤) البيت للمتنبي كما في شرح العكبري لديوانه (١٨٥/١).

الناس بقولهم للحاسد الذي يخاف منه العين : الخمسة على عينك<sup>(١)</sup> .  
 فإن قيل : لم قال ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ ، و﴿إِذَا حَسَدَ﴾ فقيد بـ «إذا» التي تقتضي  
 تخصيص بعض الأوقات؟

فالجواب : أن شرَّ الحاسد ومضرَّته إنما تقع إذا أمضى حسده ، فحينئذٍ  
 يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين ، فإن عين الحسود قاتلة ، وأما إذا لم  
 يُمض حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف ، ولذلك قال رسول الله  
 ﷺ : «ثلاث لا ينجو منهن أحد : الحسد ، والظن ، والطيرة»<sup>(٢)</sup> . فمخرجه  
 من الحسد أن لا يبغي ، ومخرجه من الظن أن لا يُحقِّق ، ومخرجه من الطيرة  
 أن لا يرجع ، فلهذا خصه بقوله : ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ .

وكذلك الشر المخوف في الليل إنما هو إذا أظلم ، فلذلك خصه بقوله :  
 ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ .

فإن قيل : إن قوله : ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ② عمومٌ يدخل تحته كل ما ذكر  
 بعده ؛ فلا يـ شيء ذكر ما بعده؟

فالجواب : أن هذا من التجريد ؛ للاعتناء بالمذكور بعد العموم ، ولقد  
 تأكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهود  
 رسول الله ﷺ ، وشدة حسدهم له .

(١) المحرر الوجيز (٧١٦/٨) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٨/٣) .

## ﴿سورة الناس﴾

[﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ  
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْغِيَةِ  
وَالنَّاسِ﴾].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إن قيل : لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو  
رب كل شيء؟

فالجواب : أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس ،  
فخصهم بالذكر لأنهم المعوذون بهذا التعويذ ، والمقصودون هنا دون  
غيرهم .

﴿مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③﴾ هذا عطف بيان .

فإن قيل : لم قدم وصفه تعالى بـ ﴿رَبِّ﴾ ثم بـ ﴿مَلِكِ﴾ ثم بـ ﴿إِلَهِ﴾؟

فالجواب : أن هذا على الترتيب في الارتقاء إلى الأعلى ، وذلك أن الرب  
قد يُطلق على كثير من الناس ، فيقال : فلان رب الدار ، وشبه ذلك ، فبدأ به ؛  
لاشتراك معناه ، وأما الملك فلا يوصف به إلا آحاد من الناس وهم الملوك ،  
ولا شك أنهم أعلى من سائر الناس ، فلذلك جاء به بعد الرب ، وأما الإله فهو  
أعلى من الملك ، ولذلك لا يدعى الملوك أنهم آلهة ، وإنما الإله واحد  
لا شريك له ولا نظير ؛ فلذلك ختم به .

فإن قيل: لم أظهر المضاف إليه وهو ﴿النَّاسِ﴾ في المرة الثانية والثالثة؛ فهلاً أضمّره في المرتين لتقدّم ذكره في قوله: ﴿يَرْبِ النَّاسِ﴾؟ أو هلاً اكتفى بإظهاره في المرة الثانية؟

فالجواب: أنه لما كان عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار، وقصد أيضاً الاعتناء بالمكرّر ذكره، كقول الشاعر:

لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شيءٌ      نغص الموتُ ذا الغنى والفقيراً<sup>(١)</sup>

﴿الْوَسْوَاسِ﴾ وهو مشتق من الوسوسة، وهي الكلام الخفي.

فيحتمل أن يكون ﴿الْوَسْوَاسِ﴾:

[أ-] بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل، وهذا يظهر في قول ابن عطية: الوسواس من أسماء الشيطان<sup>(٢)</sup>.

[ب-] ويحتمل أن يكون مصدرًا وصف به الموسوس:

على وجه المبالغة، كالوصف بعْدِلٍ وَصَوْمٍ.

أو على حذف مضاف تقديره: ذي الوسواس.

وقال الزمخشري: إنما المصدر وسواس بالكسر<sup>(٣)</sup>.

﴿الْخَنَاسِ﴾ معناه: الراجع على عقبه المستتر أحياناً، وذلك متمكّن في

الشيطان؛ فإنه يوسوس، فإذا ذكر العبدُ الله وتعوذ به منه تباعد عنه، ثم رجع

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي كما في ديوانه (ص: ٦٥).

(٢) المحرر الوجيز (٧١٧/٨).

(٣) الكشف (٦٥٤-٦٥٣/١٦).

إليه عند الغفلة عن الذكر، فهو يَخْنَسُ في تباعه، ثم في رجوعه بعد ذلك .

﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة؛ منها :

إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد .

فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي .

فإن لم يقدر على ذلك ثَبَّطه عن الطاعات .

فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ؛ لِيُحِبَّطَهَا .

فإن سلم من ذلك أدخل عليه العُجْب بنفسه واستكثار عمله .

ومن ذلك : أنه يوقد في القلب نار الحسد، والحقْد، والغضب ؛ حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال .

وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء ؛ وهي :

[١-] الإكثار من ذكر الله .

[٢-] والإكثار من الاستعاذة بالله منه ، ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة .

والثالث : مخالفته والعزم على عصيانه .

فإن قيل : لم قال : ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ولم يقل : «في قلوب الناس» ؟

فالجواب : أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة ، وأنها غير حالة في القلب ، بل هي محوَّمة في الصدر حول القلب .

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هذا بيان لجنس الوسواس ، وأنه يكون من الجن ، ومن الإنس .

ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد :  
من يوسوس بخدعه ، وأقواله الخبيثة ؛ فإنه شيطان كما قال تعالى :  
﴿شَيْطَانُ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١١٢] .

أو يريد به : نفس الإنسان إذ تأمره بالسوء ؛ فإنها أمارة بالسوء .  
والأول أظهر .

وقيل : إن ﴿النَّاسِ﴾ معطوف على ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ ؛ كأنه قال : أعوذ من شر  
الوسواس من الجنة ، ومن شر الناس ، وليس الناس على هذا ممن يوسوس .  
والأول أظهر وأشهر .

فإن قيل : لم ختم القرآن بالمعوذتين ، وما الحكمة في ذلك ؟  
فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأول : قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير : لما كان القرآن من أعظم  
النعم على عباده ، والنعم مَظَنَّة الحسد ؛ فختم<sup>(١)</sup> بما يطفئ الحسد ؛ من  
الاستعاذة بالله .

الثاني : يظهر لي : أن المعوذتين ختم بهما ؛ لأن رسول الله ﷺ  
قال فيهما : «أنزلت عليّ آيات لم ير مثلهن قط»<sup>(٢)</sup> ، كما قال في فاتحة

(١) في د ، هـ : «ختم» .

(٢) أخرجه مسلم (٨١٤) .



الكتاب: «لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها»<sup>(١)</sup>، فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم يُرَ مثلهما؛ ليجمع حسن الافتتاح والاختتام، ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حُسْن افتتاحها واختتامها.

الوجه الثالث: يظهر لي أيضًا: أنه لما أمر القارئ أن يفتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، ختم القرآن بالمعوذتين؛ ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء؛ ليكون القارئ محفوظًا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره<sup>(٢)</sup> إلى آخره.



(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢٣١)، والترمذي (٢٨٧٥)، وأحمد في مسنده (٩٣٤٥) في

ضمن حديث طويل.

(٢) في ج، د: «مرة».

كمل كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» بعون الله وتوفيقه، فله الحمد كما هو أهله، فالخير بيده كله، وليس للعبد إلا إحسانه وطوله ورحمته وفضله، وأنا أرغب إلى الله كما أعانني بفضله على هذا الكتاب أن يجعله موجباً لدخولي الجنة من غير حساب ولا عذاب، بحرمة القرآن العظيم، وشفاعة محمد رسوله المصطفى الكريم<sup>(١)</sup>، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وكان تمام تقييده في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الثاني عام تسعة وثلاثين وسبع مئة، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «بحرمة القرآن العظيم، وشفاعة محمد رسوله المصطفى الكريم»، أقول: كان الأولى بالمصنف ﷺ التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وكما جاء في السنة: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت» الحديث، وما ذكره من التوسل بحرمة القرآن وشفاعة النبي ﷺ لا دليل عليه، فغفر الله له، ورحمه، وضاعف مثوبته.

## فهرس الموضوعات

| الموضوع                  | الصفحة |
|--------------------------|--------|
| ﴿ سورة حم السجدة ﴾ ..... | ٥      |
| ﴿ سورة الشورى ﴾ .....    | ٢٧     |
| ﴿ سورة الزخرف ﴾ .....    | ٥٥     |
| ﴿ سورة الدخان ﴾ .....    | ٨٩     |
| ﴿ سورة الجاثية ﴾ .....   | ١٠١    |
| ﴿ سورة الأحقاف ﴾ .....   | ١١١    |
| ﴿ سورة القتال ﴾ .....    | ١٢٩    |
| ﴿ سورة الفتح ﴾ .....     | ١٤٦    |
| ﴿ سورة الحجرات ﴾ .....   | ١٦٩    |
| ﴿ سورة ق ﴾ .....         | ١٨٦    |
| ﴿ سورة الذاريات ﴾ .....  | ٢٠٤    |
| ﴿ سورة الطور ﴾ .....     | ٢٢١    |
| ﴿ سورة النجم ﴾ .....     | ٢٣٤    |
| ﴿ سورة القمر ﴾ .....     | ٢٥١    |
| ﴿ سورة الرحمن ﷻ ﴾ .....  | ٢٦٥    |

- ﴿ سورة الواقعة ﴾ ..... ٢٨٠
- ﴿ سورة الحديد ﴾ ..... ٣٠٨
- ﴿ سورة المجادلة ﴾ ..... ٣٢٩
- ﴿ سورة الحشر ﴾ ..... ٣٤٦
- ﴿ سورة المتحنة ﴾ ..... ٣٦٥
- ﴿ سورة الحواريين ﴾ ..... ٣٧٩
- ﴿ سورة الجمعة ﴾ ..... ٣٨٥
- ﴿ سورة المنافقين ﴾ ..... ٣٩٥
- ﴿ سورة التغابن ﴾ ..... ٤٠١
- ﴿ سورة الطلاق ﴾ ..... ٤٠٧
- ﴿ سورة التحريم ﴾ ..... ٤٢٣
- ﴿ سورة الملك ﴾ ..... ٤٣٦
- ﴿ سورة ن والقلم ﴾ ..... ٤٤٩
- ﴿ سورة الحاقة ﴾ ..... ٤٦٥
- ﴿ سورة المعارج ﴾ ..... ٤٨١
- ﴿ سورة نوح ﷺ ﴾ ..... ٤٩٥
- ﴿ سورة الجن ﴾ ..... ٥٠٥
- ﴿ سورة المزمل ﴾ ..... ٥١٩
- ﴿ سورة المدثر ﴾ ..... ٥٣٣
- ﴿ سورة القيامة ﴾ ..... ٥٤٩

|     |                   |
|-----|-------------------|
| ٥٥٩ | ﴿ سورة الإنسان ﴾  |
| ٥٧٤ | ﴿ سورة المرسلات ﴾ |
| ٥٨٢ | ﴿ سورة النبأ ﴾    |
| ٥٩٣ | ﴿ سورة النازعات ﴾ |
| ٦٠٥ | ﴿ سورة عبس ﴾      |
| ٦١٤ | ﴿ سورة التكويد ﴾  |
| ٦٢٢ | ﴿ سورة الانفطار ﴾ |
| ٦٢٧ | ﴿ سورة المطففين ﴾ |
| ٦٣٧ | ﴿ سورة الانشقاق ﴾ |
| ٦٤٦ | ﴿ سورة البروج ﴾   |
| ٦٥٧ | ﴿ سورة الطارق ﴾   |
| ٦٦٤ | ﴿ سورة الأعلى ﴾   |
| ٦٧١ | ﴿ سورة الغاشية ﴾  |
| ٦٧٧ | ﴿ سورة الفجر ﴾    |
| ٦٨٩ | ﴿ سورة البلد ﴾    |
| ٦٩٦ | ﴿ سورة الشمس ﴾    |
| ٧٠٢ | ﴿ سورة الليل ﴾    |
| ٧٠٧ | ﴿ سورة الضحى ﴾    |
| ٧١٣ | ﴿ سورة ألم نشرح ﴾ |
| ٧١٧ | ﴿ سورة التين ﴾    |

- ﴿ سورة العلق ﴾ ..... ٧٢١
- ﴿ سورة القدر ﴾ ..... ٧٢٩
- ﴿ سورة لم يكن ﴾ ..... ٧٣٥
- ﴿ سورة إذا زلزلت ﴾ ..... ٧٤١
- ﴿ سورة العاديات ﴾ ..... ٧٤٥
- ﴿ سورة القارعة ﴾ ..... ٧٥١
- ﴿ سورة التكاثر ﴾ ..... ٧٥٥
- ﴿ سورة العصر ﴾ ..... ٧٥٩
- ﴿ سورة الهمزة ﴾ ..... ٧٦١
- ﴿ سورة الفيل ﴾ ..... ٧٦٤
- ﴿ سورة قريش ﴾ ..... ٧٦٧
- ﴿ سورة أرأيت ﴾ ..... ٧٧٠
- ﴿ سورة الكوثر ﴾ ..... ٧٧٣
- ﴿ سورة الكافرين ﴾ ..... ٧٧٦
- ﴿ سورة النصر ﴾ ..... ٧٨٠
- ﴿ سورة أبي لهب ﴾ ..... ٧٨٣
- ﴿ سورة الإخلاص ﴾ ..... ٧٨٧
- ﴿ سورة الفلق ﴾ ..... ٧٩٦
- ﴿ سورة الناس ﴾ ..... ٨٠٣
- فهرس الموضوعات ..... ٨٠٩

## فهرس تقريرات فضيلة الشيخ العلامة :

عبد الرحمن بن ناصر البراك - حفظه الله -

| م | موضوع التعليق                                                                                                                         | الإحالة                          |
|---|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------|
| ١ | معنى الإيمان لغة وشرعاً                                                                                                               | ١٢٨/١                            |
| ٢ | حكم إطلاق «واجب الوجود» على الله                                                                                                      | ١٥٥/١                            |
| ٣ | معاني علو الله تعالى                                                                                                                  | ٢٠٦/١                            |
| ٤ | حكم إطلاق «صفات الحدوث»<br>على صفات الله تعالى                                                                                        | ٢٢٠/١                            |
| ٥ | بيان الخطأ في تفسير الرحمة بالإحسان<br>أو بإرادة الإحسان                                                                              | ٢٤٧/١                            |
| ٦ | طريقة الصوفية في تقسيم الشكر إلى ثلاث<br>درجات وما فيها من المآخذ                                                                     | ٢٥٢/١                            |
| ٧ | بيان الخطأ في تفسير صفات الله الفعلية المقيدة<br>كالمكر والاستهزاء والكيد ونحوها : بأنها من<br>باب المشاكلة وتسمية العقوبة باسم الذنب | ٢٧٥/١ ، ٥٤٥/١ ،<br>٤٢٢/٢ ، ٥١٢/٢ |
| ٨ | المقصد بذكر المخلوقات في القرآن ،<br>هل هو الاستدلال على وحدانية الله تعالى<br>أو على وجوده؟                                          | ٢٨٧-٢٨٦/١                        |

|         |                                                                                                                                                                                                                     |    |
|---------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| ٢٩١ / ١ | دخول الأعمال في مسمى الإيمان وتفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾                                                                                                                     | ٩  |
| ٢٩٣ / ١ | صفة الحياء لله تعالى                                                                                                                                                                                                | ١٠ |
| ٣٥٢ / ١ | تفسير وجه الله تعالى                                                                                                                                                                                                | ١١ |
| ٣٥٤ / ١ | تفسير : ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾                                                                                                                                                                                    | ١٢ |
| ٣٥٥ / ١ | الإشكال في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بأنه إن كان خطاباً لمعدوم لم يصح ؛ لأن المعدوم لا يخاطب ، وإن كان خطاباً لموجود لم يصح ؛ لأن تحصيل الحاصل غير مطلوب ! | ١٣ |
| ٣٧٥ / ١ | مقامات الناس في المقصد بذكر الله ، وكلام الصوفية في ذلك ، وبيان ما في كلامهم من المآخذ                                                                                                                              | ١٤ |
| ٣٧٧ / ١ | بيان بطلان قول الصوفية في أن أفضل الذكر ذكر الله تعالى بالاسم المفرد «الله ، الله»                                                                                                                                  | ١٥ |
| ٣٨٤ / ١ | نقد طريقة المتكلمين في تقسيم التوحيد ، وبيان المآخذ الشرعية في ذكرهم معاني «الواحد» في حق الله تعالى ، ومعناه في قوله : ﴿وَاللَّهُ كَزَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾                                                            | ١٦ |
| ٣٨٥ / ١ | طريقة الصوفية في جعل الخلق في توحيد الله على ثلاث درجات والكلام عن مقام الفناء ، وبيان ما في كلامهم من المآخذ                                                                                                       | ١٧ |



|                          |                                                                                                                                  |    |
|--------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| ٣٨٨/١                    | المأخذ على طريقة الصوفية في تعظيم مقام محبة الله والتهوين من مقامات الخوف والرجاء والتوكل                                        | ١٨ |
| ٣٩٦/١                    | تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾                                                                                  | ١٩ |
| ٤٠٦/١                    | جواب الإشكال: كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة في قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾                                   | ٢٠ |
| ٤٢٧/١                    | صفة الإتيان لله تعالى                                                                                                            | ٢١ |
| ٤٧٦/١                    | نقد تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ عِلْمِهِ﴾ من معلوماته                                                                                | ٢٢ |
| ٥٤٦/١                    | بيان الخطأ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْكَ إِلَى﴾ بأنه: إلى سمائي وما يتضمنه من نفي علو الله تعالى                              | ٢٣ |
| ٥٨٩/١ ،<br>٦٠٨/٣ ، ٦٩٥/٢ | مذهب المعتزلة في القول بالأجلين ومعناه                                                                                           | ٢٤ |
| ٥٩١/١                    | بيان المأخذ على طريقة الصوفية في جعل التوكل ثلاث درجات                                                                           | ٢٥ |
| ٩٦/٢                     | مسألة تخليد القاتل عمداً في النار والإشكال في آية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾ | ٢٦ |
| ١٦٧/٢                    | آية: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ وتنازع المعتزلة والأشاعرة فيها                                            | ٢٧ |
| ١٩٥/٢                    | صفة اليدين لله تعالى                                                                                                             | ٢٨ |
| ٢٣٦/٢                    | تفسير قوله تعالى: ﴿تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾                                                    | ٢٩ |

|         |                                                                                                                              |
|---------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٢٨١ / ٢ | ٣٠ إطلاق نفي التغير عن الله واستدلال المتكلمين على ذلك بقصة إبراهيم في قوله : ﴿لَا أُحِبُّ آلَافِلِينَ﴾ وما في ذلك من المآخذ |
| ٣٠٦ / ٢ | ٣١ معنى الظلم الذي نزه الله عنه نفسه عند أهل السنة وعند الأشاعرة                                                             |
| ٣٤٩ / ٢ | ٣٢ استواء الله تعالى على عرشه                                                                                                |
| ٧٥٢ / ٢ | ٣٣ نفي فوقية الله تعالى وسلوك مسلك التفويض أو التأويل في تفسير قوله تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾           |
| ٥٨ / ٣  | ٣٤ نقد تفسير ﴿لِكَلِمَتٍ رَفِيَ﴾ بأنها معلومات الله وهي المعاني القائمة بالنفس ، وما فيه من سلوك طريقة الأشاعرة              |
| ٩٩ / ٣  | ٣٥ تفسير ﴿وَلِئُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾                                                                                       |
| ١٠١ / ٣ | ٣٦ تفسير ﴿وَأَصْطَفَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾                                                                                        |
| ١١١ / ٣ | ٣٧ من لم يتب هل تحصل له المغفرة؟                                                                                             |
| ١٣ / ٣  | ٣٨ تفسير ﴿مَا يَأْنِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مَنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ﴾                                                              |
| ١٥٦ / ٣ | ٣٩ تفسير ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بأنها الجنة ، أو في أهل رحمتنا                                                    |
| ٢٢٠ / ٣ | ٤٠ تفسير ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ بأن المراد معلومات الله                                                                  |

|       |                                                                                                                                                   |    |
|-------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| ٢٣٢/٣ | تفسير ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ووصف المخلوق بأنه خالق                                                                                             | ٤١ |
| ٢٩٩/٣ | تفسير ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾                                                                                                    | ٤٢ |
| ٣٠٦/٣ | تفسير ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ بأنه الجزاء، أو زبانية الله                                                                                     | ٤٣ |
| ٣٣٣/٣ | تفسير ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا﴾ بأنه مجاز بمعنى قصدنا، أو المراد قدوم الملائكة، وصفة المجيء لله تعالى                                      | ٤٤ |
| ٣٥٨/٣ | تفسير ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ وصفة الاستماع لله تعالى                                                                                     | ٤٥ |
| ٣٨٩/٣ | تفسير ﴿تُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ﴾                                                                 | ٤٦ |
| ٤١٢/٣ | تفسير ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وإشكال صحة الاستثناء مع كون الله ليس في السموات ولا في الأرض | ٤٧ |
| ٤١٦/٣ | نقد تفسير ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ بأنه القول الأزل من الله، وما فيه من جرّي على طريقة الأشاعرة في نفى تعلق الكلام بالمشيئة          | ٤٨ |
| ٤٤٧/٣ | تفسير ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ باحتمال كونه بواسطة أو بغير واسطة                                                                                   | ٤٩ |

|       |                                                                                                                                          |
|-------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٤٥٠/٣ | ٥٠ تفسير ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ وتمسك المعتزلة بها في قولهم بوجوب فعل الأصلح على الله |
| ٤٩١/٣ | ٥١ تفسير ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ بأنه هذا تقريب لفهم السامع وأن الأمور كلها متساوية عند الله ليس فيها تفاضل                           |
| ٥١٧/٣ | ٥٢ نقد تفسير ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ بأنه عبارة عن إيجاد الحياة فيه، وما فيه من عدم إثبات إضافة النفخ إلى الله تعالى               |
| ٥٩٨/٣ | ٥٣ نقد تفسير ﴿إِنَّهُمْ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ بعلمه وإحاطته، وما فيه من جري على مذهب الأشاعرة في عدم إثبات القرب الخاص                        |
| ٦٥٨/٣ | ٥٤ تفسير ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ على القراءة بضم الباء، وصفة العجب لله تعالى                                                       |
| ٧٤١/٣ | ٥٥ تفسير ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ وهل الرضا هو الإرادة؟                                                                     |
| ١٤٩/٤ | ٥٦ تفسير ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وتأويلها بالنعمة أو القوة                                                                     |
| ١٧٨/٤ | ٥٧ تفسير ﴿يَتَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ واستدلال المعتزلة بها على أن الفاسق غير مؤمن                                  |

|       |                                                                                                          |
|-------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٢٣٧/٤ | ٥٨ تفسير ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَّى﴾ (٨) الآيات ، وهل تعود الضمائر على جبريل أو الله؟                         |
| ٣٠٩/٤ | ٥٩ تفسير ﴿وَأَنظَاهُ وَأَلْبَانُ﴾                                                                        |
| ٣٢٦/٤ | ٦٠ تفسير ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ وإعرابها ، وهل فيها حجة للمعتزلة على أن العبد يخلق فعل نفسه؟   |
| ٤٤٧/٤ | ٦١ تفسير ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ وهل القائل الملائكة ، أو يقال لهم بلسان الحال؟  |
| ٤٤٧/٤ | ٦٢ تفسير ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ وصفة الساق لله تعالى                                               |
| ٤٨٣/٤ | ٦٣ نقد تفسير ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ بأنها استعارة في الفضائل والصفات الحميدة ، وما فيه من نفى علو الله بذاته |
| ٥٦١/٤ | ٦٤ تفسير ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾                                                                 |
| ٧٤٨/٤ | ٦٥ خطأ تفسير الصوفية للكنود بأنه : الذي يعبد الله على عوض                                                |
| ٨٠٨/٤ | ٦٦ حكم دعاء الله تعالى «بحرمة القرآن العظيم»                                                             |